المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم العقيدة

المسائل العقدية المتعلقة بآدم عليه السلام

رسالة مقدمة لنيل درجة العالمية (الماجستير)

إعداد الطالب
ألطاف الرحمن بن ثناء الله

إشراف
فضيلة الشيخ أ.د. سعود بن عبد العزيز الخلف - حفظه الله -

العام الجامعي ١٤٣٢هـ - ١٤٣٣هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمـــــة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالـــنا، مـــن يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ﷺ.

﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ﴾[1].

﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا ﴾ [2].

﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا * يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما ﴾ [3] [4].

أمـــا بعـــد : فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار [5] وبعد :

---

(١) آل عمران الآية : ١٠٢

(٢) النساء الآية : ١

(٣) الأحزاب الآيتان : ٧٠-٧١

(٤) هذه الخطبة تسمى خطبة الحاجة، أخرجها حم (٦/٢٦٢-٢٦٤ ح : ٢٧٢٠-٢٧٢٢)؛ و د (النكاح، ب: في خطبة النكاح ٢/٢٣٨ ح: ٢١١٨)؛ وت (النكاح، ب: ما جاء في خطبة النكاح ٣/٤١٣ ح: ١١٠٥)؛ ون (النكاح، ب : ما يستحب من الكلام عند النكاح ٦/٨٩ ح : ٣٢٧٧)؛ وجه (النكاح، ب : خطبة النكاح ١/٦٠٩ ح : ١٨٩٢) وغيرهم . وصححها الترمذي والألباني وغيرهم، وهي تشرع بين يدي كل خطبة : جمعة، أو عيد، أو نكاح، أو محاضـــرة، أو درس أو مؤلف. انظر : شرح خطبة الحاجة لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص : ٢٢)، وهو ضمن مجموع الفتاوى (١٨/٢٨٧)؛ وخطبة الحاجة للألباني (ص : ٣١)؛ وسلسلة الأحاديث الصحيحة (١/٢٨-٢٩).

(٥) أخـــرجه م (الجمعـــة، ب : تخفيف الصلاة والخطبة ٢/٥٩٢ ح : ٨٦٧) إلا قوله : ((كل محدثة بدعة)) وقوله : ((كل ضلالة في النار)) وهذه الزيادة أخرجها ن (صلاة العيدين، ب : كيف الخطبة ٣/١٨٨ ح : ١٥٧٨) وصححها الألباني في (صحيح سنن النسائي ١/٥١٢ ح : ١٥٧٧) .

إن الله سبحانه فعال لما يريد، وقادر على كل شئ، وحكيم في جميع أفعاله وأوامره، لا معقب لحكمه، ولا راد لقضائه وقدره، ولا شئ يعجزه في الأرض ولا في السماء، ولم يخـــل وقـــت من الأوقات من أفعال وأقوال له تقتضيها حكمته البالغة . فلما اقتضت حكمته الـــبالغة ورحمـــته السابغة وإرادته النافذة خَلْقَ الإنسانِ خَلَقَ أبا البشر آدمَ ﷺ، خلقه من طـــين، وســـواه ونفخ فيه من روحه فكان آدم ﷺ بشرا سويا . فسبحان الخالق العظيم، وتبارك الله أحسن الخالقين.

ولقد كرم الله سبحانه وتعالى أبا البشر آدم ﷺ بأن خلقه بيديه الكريمتين، ونفخ فيه من روحـــه، وعلَّمه أسماء كل شيء، وأسجد له ملائكته، وأسكنه الجنة ثم أنزله منها إلى الأرض، واخـــتاره نبيا، وأنزل عليه هداه الذي من اتبعه يكون في مأمن عن الضلال والشقاء والحزن والخوف، ويكون الفلاح والسعادة والنجاة والفوز حليفه في الدنيا والآخرة .

وآدم ﷺ هو أبو البشر والجد الأكبر للأسرة الإنسانية كلها، وهو أول مخلوق من البشر، وإليه ينتمي جميع سكان الأرض، فالناس أبيضهم وأسودهم... وعربهم وعجمهم ... كلهم من آدم وآدم من تراب .

فقصة أبي البشر آدم ﷺ ليست كغيرها من القصص والحكايات وأحاديث الناس بل هـــي قصة عظيمة فيها بيان لعظمة الرب وقدرته القاهرة وعظمته الباهرة وحكمته البالغة ورحمته الواسعة ونعمته السابغة... والحديث عنها حديث عن أصل الإنسان وتاريخه، وعن بداية وجود البشر على هذه المعمورة، وعما كرم الله به الإنسان، ودعوة للناس للنظر في أصـــلهم الكـــريم الشريف، الدال على نعم الرب عليهم، الموجب لشكرهم وامتنانهم تجاه خالقهم، الموجب عليهم أن يقوموا بحق الخالق وأن يحققوا الغاية التي خلقوا من أجلها.

فهـــي قصة جليلة القدر عظيمة المنافع كثيرة الفوائد بل هي من أعظم القصص التي اتفقت عليها الرسل، ونزلت بها الكتب السماوية، واعتقدها جميع أتباع الأنبياء والمرسلين من الأولين والآخرين .

وقد عرضها القرآن الكريم عرضا محكما، وذكرها في مواضع كثيرة بأسلوب واضح صـــريح . وزادها أصدق البرية وأفصح العرب محمد ﷺ بيانا وإيضاحا؛ فالوحيان تناولاها من جميع جوانبها ولم يتركا المجال لقائل متقول ولا لخارص متخرص بل وضحاها توضيحا

وبيـــناها بيانا كافيا شافيا لا يحتاج المسلم معه إلا الإيمان والتسليم والاستنباط والاستفادة مع الإقرار بعظمة الخالق وسعة رحمته سبحانه .

ومـــع هذا البيان والوضوح أخطأ كثير من الناس في فهم هذه القصة العظيمة وما يتعلق بها مـــن المسائل المهمة؛ فأحببت جَمْعَ مَسَائلِهَا المتعلقةِ بالعقيدَةِ وإيضاحَهَا وبيانَها في ضوء الكتاب والسنة النبوية الصحيحة، إصلاحا ونصحا لمن أخطأ في فهمها، ومساهمة في بيان الحق وتقريره، ومشـــاركة في الـــردِّ على الباطل والتحذير منه، وذلك في أول رسالة علمية لي، وهي مرحلة الماجستير وجعلت عنوانها : (**المسائل العقدية المتعلقة بآدم** عليه السلام) والله الموفق .

أهمية الموضوع :

١- إن من أول ما يدل على أهمية هذا الموضوع أن الله عز وجل ذكر قصة آدم عليه السلام في كتابه القرآن الكريم، وكررها وجَلّى جوانبها بعبارات متنوعة وصياغات مختلفة .

٢- إن هذا الموضوع فيه حديث عن أصل الإنسان وخلقته وما يتعلق بنشأته الأولى مما هو من علم الغيب الذي أظهره الله لنا .

٣- إن الإنسان مخلوق قابل للخير والشر، وعنده نوازع الخير ودوافعه ونوازع الشر ومغـــرياته، وقصة آدم عليه السلام فيها الطاعة والامتثال وتعظيم المحرمات والوقوف عند الحدود المحـــدودات، وفيها المعصية والخطيئة مع التوبة والإنابة، وهذه أمور وأحوال تحدث على آحادنا، وقد تتكرر في حياة المسلم مرات وكرات، ففي هذه القصة العظيمة لأبينا الكريم عبرة وعظة وقدوة وأسوة حسنة للتوبة والإنابة إلى الله سبحانه وتعالى.

٤- إنـــه بحـــث ونظر في عظيم قدرة الله تعالى وعظيم رحمته وفضله وتكرمه على الإنسان بخلق أبيهم آدم عليه السلام، وفي ذلك بيان بطلان دعوى الملاحدة ومن تأثر بهم في إنكار الخلق المباشر أو الدعاوى الباطلة الأخرى في هذا الموضوع .

٥- إن الأنـــبياء كـــلهم من أولهم إلى آخرهم قد دعوا إلى إفراد الله وحده سبحانه وتعالى بجميع أنواع العبادات من الدعاء والتوبة والاستغفار ...وإخلاصها له وعدم صرف

شــــيء مـــنها إلى سواه . قال تعالى : ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون ﴾ [1] وقال تعالى: ﴿ ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ﴾ [2] .

وآدم ﷺ أول هــؤلاء الأنــبياء وطليعـــتهم فعن أبي أمامة ﷺ أن رجلا قال: يـــا رسول الله ! أنبي كان آدم ؟ قال : " نعم مكلم ". قال : فكم كان بينه وبين نوح ؟ قال : " عشرة قرون " [3] .

فـــآدم ﷺ هو أول نبي على وجه الأرض، وأول داعية من دعاة التوحيد . ولاشك أنه قام بـــنقل ما تلقاه من ربه تعالى إلى بنيه، وعرفهم بالإسلام وعبادة الله عز وجل. وقد تلقى أبناؤه هذه التعليمات بالقبول، وتوارثوها جيلا بعد جيل، وتناقلوها قرنا بعد قرن . وفي ذلك أبلغ رد على تلك المذاهب المزعومة والأفكار الباطلة التي تزعم تطور العقيدة من الشرك إلى التوحيد .

٦- خـــلق الله تعالى آدم ﷺ من الطين ونفخ فيه من روحه سبحانه وتعالى. والطين يشير إلى مادية الإنسان والنفخة الإلهية تشير إلى روحانيته. فالإنسان في الإسلام ليس ماديا فقط وليس روحانيا فقط بل هو جامع بين المادة والروح.

وبذلـــك يظهر بطلان تلك النظريات الفاسدة التي تنظر إلى الإنسان من ناحية المادة فقط فتجعله ماديا شهوانيا أو تراه امتدادا للدود والقرود، كما يظهر به بطلان تلك الـــنظريات الكاســـدة الـــتي تنظر إلى الإنسان من جانب الروح فقط فتغفل جانب المادة وتصب كل اهتمامها على الجانب الروحي فقط فيختل النظام ويحصل الفساد. فلا بد من الاهـــتمام بالجانـــبين والعناية بالأمرين كما قال سلمان الفارسي لأبي الدرداء رضي الله عنهما: ((**إن لربك عليك حقا، ولنفسك عليك حقا، ولأهلك عليك حقا، فأعط كل ذي حق حقه.. فلما ذكرا ذلك للنبي ﷺ قال : صدق سلمان**)) [4].

فهذا هو تعليم نبي الإسلام فلا بد من الاهتمام بالجانبين معا وعدم إغفالهما أو أحدهما. وبه يظهر سماحة الإسلام وعدالته ووسطيته وفطريته وجدارته وصلاحيته لكل زمان ومكان .

---

(١) الأنبياء الآية : ٢٥

(٢) النحل الآية : ٣٦

(٣) حديث صحيح وسيأتي تخريجه مع ذكر أقوال أهل العلم في تصحيحه في (ص : ١٤٧-١٤٨).

(٤) أخرجه خ (الصوم، ب : من أقسم على أخيه ليفطر في التطوع... ٢/٦٩٤ ح : ١٨٦٧) .

٧- خلق الله تعالى آدم ﷺ بيده من الطين، ونفخ فيه من روحه، وعلمه أسماء كل شيء، وأسجد له ملائكته أجمعين، وأسكنه مع زوجه الجنة ... وهذه كلها من الفضائل والخصائص والمكرمات التي انفرد بها أبو البشر آدم ﷺ. وفي ذلك رد على من زعم أن (الإسلام منذ بدايته لم يعترف للإنسان إلا بقليل من التقدير، والقرآن يترع إلى إقناعه بمهانة أصله الجسدي)[(١)].

٨- بيان لشرف العلم ودعوة إلى التحلي به والتأدب بآدابه ... ودعوة إلى التوبة والاستغفار والاعتراف بالذنوب والتذلل والخضوع أمام الواحد الديان الخالق الرحمن من قلب خالص ونية صادقة ... ودعوة إلى الاستعداد الدائم لمقاومة العدو اللدود إبليس وحزبه وبيان لحيله ومكائده وطرق إفساده وتحذير منها ومن ذميم الأخلاق من الحسد والكبر والحرص... وبيان لعواقبها الوخيمة . عافانا وإياكم من ذلك.

٩- الدلالة والتقرير لمذهب أهل السنة والجماعة الذين ينفون عن الله ما نفاه الله عن نفسه و يثبتون له ما أثبته لنفسه من الأسماء الحسنى والصفات العليا في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ كما يليق بجلال الله تعالى وعظمته .

أسباب اختيار الموضوع :

بالإضافة إلى ما سبق من أهمية الموضوع هناك أسباب دعتني إلى اختياره، وهي كالتالي:

١- الرد على أولئك المفسدين من أعداء الإسلام الذين يحاولون قطع الطريق على المسلمين من بداية تاريخ البشرية والتشكيك في دينهم وعقيدتهم، زاعمين تارة أن الشرك هو الأصل في بني آدم، وتارة أخرى أن الإنسان تطور من سلالة أخرى ضمن حلقات مختلفة وليس هو من آدم وحواء كما ذكر القرآن الكريم.

٢- بيان زيف المنهج الذي يسلكه بعض الكتاب حيث يحاولون التوفيق بين النظريات الوافدة الفاسدة وبين ما يقرره الإسلام فيزيدون ضلالا وإضلالا من حيث يشعرون أو لا يشعرون .

٣- لقد تخرص المتخرصون وكثر القيل والقال في نواح كثيرة مما يتعلق بأبينا آدم ﷺ فمن قائل : أن معنى سجود الملائكة لآدم ﷺ تسخير هذا العالم من المواد الأرضية والمعدنية ونحوها لآدم ﷺ وأبنائه . ومن قائل : أن معناه طاعة قوى النفس الصالحة للعقل ومعنى

---

(١) هذا ما زعمه المستشرق النمساوي ج. أ . جروينباوم في كتابه : حضارة الإسلام . بواسطة كتاب : مع الأنبياء في القرآن الكريم لعفيف طبارة (ص : ٤٣) وانظر توضيح وجه الرد في (ص : ٣٨٥) .

امتناع إبليس من السجود عصيان القوى الخبيثة للعقل . ومن قائل بجواز السجود للمخلوق استدلالا به . ومن قائل: أنه كان مأمورا بالأكل من الشجرة في الباطن . ومن قائل : أنه توسل بحق النبي ﷺ في توبته . ومن قائل : أنه توسل بحق محمد وعلى وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم فتاب الله عليه. ومن قائل : أن خطيئته انتقلت من بعده إلى أبنائه ومات المسيح عليه السلام مصلوبا فداء للبشرية وتخليصا لهم من خطيئة أبيهم آدم عليه السلام ،ومن قائل : إن الله سمى عليا رضي الله عنه أمير المؤمنين يوم أخذ الميثاق، ومن قائل : إن روح آدم عليه السلام جزء من الله، ومن قائل : إن آدم عليه السلام جاء عن طريق التناكح والتناسل من أبوين، ومنهم من ينكر نبوته ، ومنهم من يدعي أن الناس كلهم في البداية كانوا على الشرك والوثنية والخرافة، ومنهم من يزعم أن إبليس اللعين وآدم عليه السلام سيكونان عند الله يوم القيامة في درجة واحد من القرب الإلهي والتنعم في الجنة الأبدية الخالدة ... وما إلى ذلك من أقوال باطلة وآراء ضالة.

فأحببت الرد على تلك المفاهيم الضالة وإصلاحها في ضوء الكتاب والسنة؛ فإن في كتاب ربنا وسنة نبينا البيان الكافي والدواء الشافي والقول الفصل والحكم العدل في كل ذلك، فالوقوف على ذلك مع بيان أهل العلم من الصحابة ومن بعدهم وصول للحكم العدل والقول الحق في كل ذلك ولله الحمد والمنة .

٤-شمول المسائل العقدية المتعلقة بآدم عليه السلام لكثير من أبواب العقيدة من توحيد الله سبحانه وتعالى بأنواعه الثلاثة، ومن الإيمان بالقدر والنبوة والملائكة والجنة والنار والشفاعة والحياة الأخروية والرد على المذاهب الفاسدة والأديان الباطلة والفرق المنحرفة .

٥- أشار فضيلة الشيخ الدكتور سعود بن عبد العزيز الخلف – حفظه الله وتولاه- المشرف على هذا البحث، بهذا الموضوع، وذكر لي الخطوط العامة والعناوين الرئيسة له، وحثني على النظر والقراءة و المطالعة حوله . فأمعنت النظر وقلبت الفكر وأطلقت عنان جواد البحث والقراءة في بطون الكتب فوجدت الأرض خصبة والمادة دسمة والموضوع مناسبا ومفيدا والحاجة داعية إليه . ولا أعرف وأنا أحرر هذه السطور أن كتب أحد عن آدم عليه السلام في رسالة جامعية بهذا التفصيل مع شدة الحاجة والضرورة إليه .

خطة البحث :

قسمت البحث إلى مقدمة ومدخل وأربعة أبواب وخاتمة.

أما المقدمة فهي مشتملة على ما يلي :

أ – الافتتاحية .

ب- بيان أهمية الموضوع .

ج – أسباب اختيار الموضوع .

د – خطة البحث .

هـ – المنهج المتبع في البحث .

و- شكر وتقدير

ز – المدخل : وذكرت فيه المسائل التالية:

المسألة الأولى : الحكمة من خلق الجن والإنس .

المسألة الثانية : الحكمة في وحدة أصل الإنسان .

المسألة ثالثة : الاكتفاء بالكتاب والسنة في أبواب الدين عموما، وفي المسائل المتعلقة بالعقيدة خصوصا.

الباب الأول

خلق آدم عليه السلام وبيان أنه أصل الإنسان، والرد على من خالف في ذلك.

وفيه تمهيد وفصلان.

التمهيد : معنى كلمة " آدم " في اللغة العربية .

الفصل الأول : خلق آدم عليه السلام وبيان أصل الإنسان في ضوء الكتاب والسنة،

وفيه تسعة مباحث.

المبحث الأول : خلق الله تعالى آدم عليه السلام بيده، وفيه مطلبان .

المطلب الأول : الأدلة على خلق الله تعالى آدم عليه السلام بيده.

المطلب الثاني : إثبات صفة اليد لله تعالى كما يليق به، وبيان موقف الطوائف المخالفة منها، والرد عليها.

المبحث الثاني : وقت خلق آدم عليه السلام .

المبحث الثالث : أصل الإنسان عند التطوريين من الملاحدة وغيرهم، وبيان بطلانه، وفيه ثلاثة مطالب .

المطلب الأول : دعوى الملاحدة ومن وافقهم أن الإنسان تطور من أدني الكائنات الحية في سلم التطور حتى وصل إلى صورته الحاضرة وبيان بطلانها.

المطلب الثاني : دعوى أن أصل الإنسان هو آدم وحواء عليهما السلام ولكنهما تطورا من مخلوق قبلهما وهو البشر وبيان بطلانها .

المطلب الثالث : دعوى أن الزوج الأول من الإنسان الذي ينتمي إليه الناس كلهم تم خلقهما مباشرة، و أنهما أصل السلالة البشرية بعدهما و لكنهم تطوروا في الشكل و العقل من الإنسان البدائي نسلا بعد نسل حتى وصلوا إلى الإنسان الحديث في شكله وعقله، وبيان ما فيها من الحق والباطل.

الباب الثاني

سجود الملائكة لآدم عليه السلام وموقف إبليس منه، وفيه فصلان.

الفصل الأول : سجود الملائكة لآدم عليه السلام، وفيه تمهيد وثلاثة مباحث.

تمهيد : معنى الملائكة وبيان وجوب الإيمان بهم.

المبحث الأول : معنى سجود الملائكة لآدم عليه السلام .

المبحث الثاني : الملائكة الذين سجدوا لآدم عليه السلام .

المبحث الثالث : الرد على من يرى من هذه الأمة جواز السجود للمخلوق استدلالا بسجود الملائكة لآدم عليه السلام .

الفصل الثاني : إبليس وموقفه من آدم عليه السلام، وفيه مبحثان.

المبحث الأول : معنى إبليس، وفيه مطلبان .

المطلب الأول : معنى كلمة " إبليس " لغة واصطلاحا .

المطلب الثاني : بيان الجنس الذي منه إبليس، من الجن أو من الملائكة .

المبحث الخامس : خلافة آدم عليه السلام في الأرض . وفيه ثلاثة مطالب .

المطلب الأول : معنى الخلافة في اللغة .

المطلب الثاني: معنى خلافة آدم عليه السلام عند السلف.

المطلب الثالث: معنى الخلافة عند أهل وحدة الوجود، وبيان بطلانه.

الباب الرابع

نبوة آدم ودعوته ووفاته .وفيه ثلاثة فصول .

الفصل الأول : نبوة آدم عليه السلام ، فيه مدخل ومبحثان .

المدخل : ضرورة العباد إلى الرسالة السماوية ووجوب الإيمان بها . وفيه مسألتان .

المسألة الأولى : ضرورة العباد إلى الرسالة السماوية .

المسألة الثانية : وجوب الإيمان بجميع أنبياء الله ورسله عليهم السلام .

المبحث الأول : إثبات نبوة آدم عليه السلام، وفيه تمهيد وثلاثة مطالب .

تمهيد : معنى النبي والرسول والفرق بينهما.

المطلب الأول : نبوة آدم عليه السلام وأدلتها .

المطلب الثاني : ذكر الخلاف في رسالته وبيان الراجح فيها.

المطلب الثالث : الرد على من أنكر نبوة آدم عليه السلام .

المبحث الثاني : عصمة آدم عليه السلام . وفيه أربعة مطالب .

المطلب الأول : تعريف العصمة .

المطلب الثاني : وقت العصمة ومم تكون .

المطلب الثالث : اختصاص العصمة بالأنبياء .

المطلب الرابع : شبهات حول عصمة النبي آدم عليه السلام والجواب عنها.

الفصل الثاني : دعوة آدم عليه السلام، وفيه ثلاثة مباحث .

المبحث الأول : دلالة قصة ابني آدم على مسائل عقدية وأخلاقية في دعوة آدم عليه السلام.

المبحث الثاني : بيان أن التوحيد قبل الشرك وأدلته .

المبحث الثالث : دعوى أن الشرك قبل التوحيد وبيان بطلانها .

الفصل الثالث : عمر آدم ﷺ ووفاته .وفيه ثلاثة مباحث .

المبحث الأول : عمر آدم ﷺ .

المبحث الثاني : وفاة آدم ﷺ .

المبحث الثالث : الكلام عن أجساد الأنبياء وحياتهم في القبور والرد على المفاهيم الضالة في ذلك.

الخاتمة : ذكرت فيه أهم نتائج البحث .

منهج البحث :

- خرجت الآيات القرآنية وعزوتها إلى مكانها في المصحف الشريف بذكر اسم السورة ورقم الآية، و لم أفرق في ذلك بين الآية الكاملة والجزء من الآية .
- خرجت الأحاديث النبوية الشريفة وعزوتها إلى مصادرها الأصلية بذكر اسم الكتاب والباب والجزء والصفحة ورقم الحديث إن كان ذلك المصدر مرقما .

فإن كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت بالعزو إليهما أو أحدهما إلا حديثا واحدا عند الإمام مسلم، وهو حديث التربة وقد فصلت الكلام فيه نظرا لاختلاف الأئمة فيه وانتقادهم له، وبينت ما ظهر لي فيه من الصواب .

وإن كان الحديث في غير الصحيحين خرجته من كتب السنة الأخرى المعتمدة ثم ذكرت بما ظفرت به من أقوال العلماء المتخصصين بهذا الشأن في بيان درجة ذلك الحديث فإن كان حكمهم مختلفا بين تصحيح الحديث وتضعيفه نظرت في الإسناد وبينت الراجح وإن كان الخلاف دائرا بين التحسين والتصحيح فاكتفيت بذكر أقوالهم . وإن لم أجد من أقوال أهل العلم ما يدل على درجة الحديث اجتهدت في بيان درجته من خلال دراسة سنده والحكم عليه.

- خرجت معظم الآثار الواردة عن السلف عن المظان المسندة، واجتهدت في بيان درجتها من حيث الصحة أو الحسن أو الضعف من خلال أقوال الأئمة، وإن لم أجد فمن خلال دراسة سنده ولكن باختصار، وذلك حسب أهمية الأثر .

● بيـــنت في الهـــامش المصادر التي استفدت منها أداء للأمانة وإكمالا للفائدة، فإن نقلت من كتاب نقلا حرفيا أحلت إليه في الهامش دون أن أقول فيه : انظر .

وإن نقـــلت منه بالمعنى أو بتصرف أحلت إليه في الهامش بقولي : انظر : ثم ذكرت ذلك الكتاب.

وإن كـــان المعنى مأخوذا من عدة مصادر فأبدأ بذكر الأقدم فالأقدم إلا لمعنى خاص كـــأن يكون الحديث عن ديانة أو طائفة من الطوائف فأذكر مصادر أهل تلك الديانة أو الطائفـــة أولا أو الكـــتب الخاصة بتلك الديانة أو الطائفة ثم أذكر ما ذكره غيرهم . وإن تعـــذر عـــلي العثور على مصادر خاصة بتلك الديانة أو الطائفة أذكر بواسطة أهل العلم المعروفين بالثقة والأمانة والتثبت في النقل .

● حـــاولت أن تكـــون الاستفادة من المصدر من طبعة واحدة ولكن اضطررت في بعض المصادر إلى الاستفادة منها من أكثر من طبعة وبيانها فيما يلي :

أ – سنن سعيد بن منصور . اعتمدت على الطبعة التي حققها الدكتور سعد بن عبد الله آل حميد . ورجعت في بعض الأماكن إلى الطبعة التي حققها الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي. وذلك لوجود الاختلاف في الكتابين إذ حقق كل منهما جزءا من الكتاب .

ب – مســـند الإمام أحمد بن حنبل . اعتمدت في غالب البحث على الطبعة التي أشرف عليها الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، وحققها شعيب الأرنؤوط وغيره . واستفدت في بعض الأماكن من الطبعة التي حققها الشيخ أحمد محمد شاكر فيما يتعلق بالحكم على الحديث .

ج– رد الإمـــام الدارمي عثمان بن سعيد على بشر المريسي العنيد . اعتمدت على الطبعة التي حققها محمـــد حـــامد الفقي . وأحلت مرة واحدة إلى الطبعة التي حققها شيخنا الدكتور منصور بن عبد العزيز السماري لدراسته أسانيد بعض الآثار وحكمه عليها بالصحة .

د – جـــامع البيان عن تأويل آي القرآن لابن جرير الطبري . اعتمدت في غالب البحث على طبعة دار الفكر بيروت . واستفدت في بعض الأماكن من الطبعة التي حققها وعلق عليها الشيخ أحمد محمد شاكر للنظر في درجة الحديث أو الأثر أو الحكم على رجال الإسناد .

هـــــ- تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم . اعتمدت في غالب البحث على الطبعة التي حققهـــا الأستاذ الدكتور أحمد بن عبد الله الغماري الزهراني، ورجعت في بعض الأماكن إلى الطبعة التي حققها أسعد محمد الطيب؛ لكون الأولى ناقصة إلا أنها محققه تحقيقا علميا.

و- تـــاريخ مدينة دمشق لابن عساكر . اعتمدت في غالب البحث على طبعة دار الفكـــر بيروت بتحقيق : محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمروي. واستفدت مرة واحـــدة مـــن طبعة دار إحياء التراث العربي، بتحقيق : أبي عبد الله علي عاشور الجنوبي، وذلك لوجود سقط في مكان الاستفادة في الطبعة التي اعتمدت عليها في البحث .

ز - نقض تأسيس الجهمية لشيخ الإسلام ابن تيمية وهو كتاب بعضه مطبوع وبعضه مخطوط؛ فاستفدت من المطبوع في بعض الأماكن، ومن المخطوط في بعضها، وأشرت في الهـــامش عند الاستفادة بالمطبوع بالجزء والصفحة، وعند الاستفادة من المخطوط بالجزء والصفحة واللوحة والوجه .

ح – الصـــواعق المرلة على الطائفة الجهمية المعطلة للعلامة ابن القيم . اعتمدت في غـــالب البحث على الطبعة التي حققها شيخنا الأستاذ الدكتور أحمد بن عطية الغامدي، ونشـــرها الجامعـــة الإسلامية بالمدينة النبوية، واستفدت في بعض الأماكن من الطبعة التي حققها الدكتور علي بن محمد الدخيل الله . ط. دار العاصمة الرياض .

فـــإن كـــان الإحالة في الهامش إحالة عامة من غير بيان للطبعة فالمراد بها الطبعة التي اعتمدت عليها في غالب البحث وإن كانت الأخرى بينتها في الهامش .

- ربطت المعلومات السابقة باللاحقة والعكس بواسطة الإحالات في الهامش .
- بينت في الهامش بعض الكلمات التي أرى أنها في حاجة إلى البيان والتوضيح .
- أضفت بعض التعليقات الضرورية في الهامش إتماما للفائدة .
- ترجمت للأعلام الوارد ذكرهم في الرسالة ترجمة مختصرة، ما عدا المشهورين منهم كمشـــاهير الصـــحابة والأئمة الأربعة اكتفاء بشهرتهم، وكذلك لم أترجم لبعض الأعلام الغريبة الذين لم أعثر لهم على ترجمة .
- عرفت بعض الفرق الضالة تعريفا مختصرا .
- راعيت القواعد العامة لمناهج البحث الحديثة قدر المستطاع .
- وقد استخدمت بعض الرموز في الهامش طلبا للاختصار وهي كما يلي :

خ = صـــحيح الـــبخاري . م = صحيح مسلم . د = سنن أبي داود . ت = سنن الترمذي . ن = سنن النسائي . جه = سنن ابن ماجه . ط = موطأ الإمام مالك . حم =

مسـند الإمـام أحمـد بـن حنبل . حب = صحيح ابن حبان . كم = المستدرك على الصحيحين للحاكم . خز = صحيح ابن خزيمة .

ب = الباب . ح = الحديث . ط= الطبعة . هـ = الهجري . م = الميلادي .

● قمت بوضع الفهارس المساعدة في الحصول على مسائل البحث بسهولة، وهي كما يلي :

١- فهرس الآيات القرآنية .

٢- فهرس الأحاديث النبوية .

٣- فهرس الآثار .

٤- فهرس الأعلام المترجم لهم .

٥- فهرس الكلمات المشروحة .

٦- فهرس الفرق والطوائف .

٧- فهرس الأماكن والبلدان .

٨- فهرس الأبيات الشعرية .

٩- فهرس المصادر والمراجع .

١٠ - محتويات البحث .

شكر وتقدير : قال تعالى : ﴿ ومن شكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن ربي غني كريم ﴾ [(١)].

فأشـكر الله سبحانه وتعالى على آلائه العظيمة ونعمه الكثيرة التي لا تعد ولا تحصى، وفي مقدمتها نعمة الإيمان والإسلام وشرف الانتساب إلى طلب العلم الشرعي على منهج أهل السـنة والجماعة، ولا سيما في مدينة رسول الله ﷺ، وفي هذه الجامعة المباركة . ثم أشكر الله عـلى توفيقه إياي بإتمام هذا البحث، ولساني يلهج إليه بالدعاء ﴿رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحا ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين ﴾ [(٢)].

وأتقـدم بخـالص الشكر والتقدير لأمي التي سهرت عليّ، ورغبتني في طلب العلم،

---

(١) النمل الآية : ٤٠

(٢) النمل الآية : ١٩

وعلمتني القراءة والكتابة في ابتداء الطلب، مع كثرة الأشغال المترلية التي كانت تقوم بها.
ثم أشكر والدي الذي تحمل في سبيل تعليمي مشاق كثيرة، وأرشدني إلى طلب العلم الشرعي على منهج أهل السنة والجماعة في بيئة مليئة بالشرك والبدع والخرافات، وفرغني لحصول العلم، وأنفق علي بما تيسر، وصبر على ابتعادي عنه في طلب العلم سنوات طويلة، مع ضعفه وتقدم سنه وشدة حبه لي، فجزاهما الله خيرا، وأنعم عليهما بالصحة والعافية، وبارك في حياقما، وأقول : ﴿ رب ارحمهما كما ربياني صغيرا ﴾[1].

ثم أتقدم بخالص شكري وتقديري لأستاذي المحترم فضيلة الشيخ الأستاذ الدكتور سعود بن عبد العزيز الخلف — حفظه الله — الذي أشار علي بهذا الموضوع، ورسم لي معالمه الرئيسة، وساعدني في إعداد الخطة ثم أحسن إلي بقبوله الإشراف على هذا البحث، ولم يدخر جهدا في إبداء توجيهاته القيمة وإرشاداته السديدة، ومنحني من وقته الثمين، وفتح لي قلبه وبابه، وسار معي خطوة خطوةً مما جعلني أستسهل المصاعب والمشكلات التي واجهتني أثناء السير. فالله يعلم كم من الأماكن صححه الشيخ بيده الطيبة، وكم من معضلات ذكر لي الشيخ حلها من علومه الغزيرة، فجزاه الله عني خير الجزاء، وأثابه على ذلك، وأمد في عمره على طاعته، مع الصحة والعافية، وزاده علما وعملا وتوفيقا وهدى، ونفع به، وشكر مساعيه، وختم له بالصالحات .

وشكر موصول لكل من ساعدني في إكمال هذا البحث من أساتذتي وإخواني، أخص منهم بالذكر فضيلة شيخي وأستاذي الدكتور عبد الرزاق بن فراج دخيل الصاعدي — حفظه الله — إذ قام بمراجعة المسائل المتعلقة باللغة العربية وعلومها في هذا البحث، وقابلني بكل فرح وسرور كلما ذهبت إليه، وأتحفني دائما بإرشادات قيمة وتوجيهات سديدة. فجزاه الله خيرا، وبارك في علمه وعمره على طاعته، وشكر له مساعيه الجميلة الجليلة .

وكذلك أرى من الواجب علي أن أتقدم بالشكر الجزيل للجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، التي أتاحت لي فرصة الدراسة تحت رعايتها، وهيئت لنا العلماء الصالحين والمشايخ النابغين المتخصصين، ووفرت لنا كل ما نحتاج إليه . فأشكر القائمين عليها وعلى رأسهم خادم الحرمين الشريفين — حفظه الله — وحكومته الرشيدة، وأنا لا أملك إلا أن أتوجه

---

(١) الإسراء الآية : ٢٤

وأتضـــرع بالدعـــاء لله تعالى أن يجازي القائمين على أمر الجامعة خير ما يجازي به عباده الصـــالحين، وأن يعيـــنهم على خدمة العلوم الشرعية وإيصالها إلى جميع المسلمين في كل مكـــان، وأن يحفظ هذا الصرح العلمي الشامخ وهذه الحكومة الرشيدة من كيد الكائدين وحقد الحاقدين وأعداء الدين، وأن يزيدها هدى وتُقى وغنى ومنعة وقوة وعزة وشوكة، إنه سبحانه على ذلك قدير وبالإجابة جدير .

وكذلك أشكر الشيخين المناقشين الكريمين، فضيلة الشيخ الدكتور / محمد بن عبد الرحمن أبـــو سيف الجهني، وفضيلة الشيخ الدكتور/ محمود بن عبد الرحمن قدح – حفظهما الله – لقـــبولهما مناقشـــة هذه الرسالة، وتحملهما عناء قراءتها، وتقويمها ومناقشتها، فأسأل الله جل وعلا أن يجعل ذلك في ميزان حسناتهم، وأن يجزل لهم المثوبة، إنه سميع مجيب.

وبعد، فهذا عمل بشر وجهد مقل، لا أدعي أني وفيت الموضوع حقه؛ وذلك بسبب طوله وصعوبته وتنوع مسائله وكثرتها وتشتت مادته العلمية في الكتب المختلفة بأنواعها، ولما يعتريني من ضعف البشر وقصر النظر وقلة الزاد ...ولكن يعزيني ويسليني أني اجتهدت وبذلت فيه قصارى جهدي فما كان فيه من صواب فهو بمحض فضل الله علي وإن كان غير ذلك فمن نفسي وأستغفر الله تعالى من ذلك وأتوب إليه، وهو حسبي ونعم الوكيل.

ولا عدمـــت أخـــا ناصحا يدلني على أخطائي لأستدركها، فإني أشكره على ذلك وأدعو له أن يجزيه الله خيرا .

وأســـأل الله سبحانه وتعالى أن يتقبل مني هذا الجهد، وأن يجعله عملا صالحا، ولوجهه الكريم خالصا، وأن لا يجعل فيه لأحد شيئا، وأن يغفر زلاتي وسيئاتي وهفواتي، إنه عفو كريم.

وصـــلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

كتبه الطالب : ألطاف الرحمن بن ثناء الله

قسم العقيدة، مرحلة الماجستير .

كلية الدعوة وأصول الدين

الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية .

المدخل : وفيه المسائل التالية :

المسألة الأولى : الحكمة من خلق الجن والإنس .

المسألة الثانية : الحكمة في وحدة أصل الإنسان .

المسألة الثالثة: الاكتفاء بالكتاب والسنة في أبواب الدين عموما، وفي المسائل المتعلقة بالعقيدة خصوصا .

المسألة الأولى: الحكمة من خلق الجن والإنس

معنى الحكمة :

(حكم) الحاء والكاف والميم أصل واحد، وهو المنع، وأول ذلك الحكم، وهو المنع من الظلم، وسميت حكمة اللجام؛ لأنها تمنع الدابة من الجماح ونحوه وتذللها لراكبها، و يقال : حكمت السفيه وأحكمته إذا أخذت على يديه (١).

قال الشاعر :

أبني حنيفة أحكموا سفهاءكم   إني أخاف عليكم أن أغضبا (٢).

أي : امنعوهم من الفساد .

ومنه اشتقاق الحكمة لأنها تمنع صاحبها من أخلاق الأراذل (٣) .

وجاء في القاموس : (" الحكمة " بالكسر : العدل والعلم والحلم والنبوة والقرآن والإنجيل، وأحكمه أتقنه فاستحكم، ومنعه من الفساد) (٤).

وقال في اللسان : (الحكمة عبارة عن معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم، ويقال لمن يحسن دقائق الصناعات ويتقنها حكيم) (٥).

وقال في المفردات : (الحكمة إصابة الحق بالعلم و العقل) (٦).

وفي المعجم الوسيط : (الحكمة : العلة، يقال : حكمة التشريع وما الحكمة في ذلك) (٧) .

وهو المراد في بحثنا هنا .

---

(١) انظر : معجم مقاييس اللغة (٩١/٢، مادة : حكم)؛ والمصباح المنير في غريب الشرح الكبير (ص: ٥٦، مادة:حكم).

(٢) شرح ديوان جرير (ص : ٤٧ حرف الباء) .

(٣) انظر : المصباح المنير في غريب الشرح الكبير (ص : ٥٦ ، مادة : حكم) .

(٤) القاموس المحيط (١٠٠/٤ ، مادة : حكم) .

(٥) لسان العرب (٢٧٠/٣ ، مادة : حكم)

(٦) مفردات ألفاظ القرآن (ص :٢٤٩ ، مادة : حكم) .

(٧) المعجم الوسيط (١٩٠/١ مادة : حكم) .

الحكمة في أفعال الله تعالى :

إن الله تعالى حكيم لا يفعل شيئا عبثا، ولا يخلو فعل من أفعاله ولا أمر من أوامره عن حكمة وغاية حميدة . وهي مقصودة لله تعالى، ومرادة له سبحانه، يفعل ويأمر لأجلها؛ لأنه يحبها ويرضاها [١].

قال العلامة ابن القيم [٢] : (أنه سبحانه حكيم، لا يفعل شيئا عبثا، ولا لغير معنى ومصلحة وحكمة هي الغاية المقصودة بالفعل، بل أفعاله سبحانه صادرة عن حكمة بالغة لأجلها فعل، كما هي ناشئة عن أسباب بها فعل، وقد دل كلامه وكلام رسوله على هذا، وهذا في مواضع لا تكاد تحصى، ولا سبيل إلى استيعاب أفرادها) [٣].

وتعود إلى الله تعالى من هذه الحكم حبه لها ورضاه بها؛ فهو سبحانه له محاب يحبها ويرضاها ويفرح بها، وتعود على الخلق لأنهم ينتفعون بها ويستفيدون منها ويلتذون بها [٤].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية [٥] : (الحكمة تتضمن شيئين :

أحدهما : حكمة تعود إليه يحبها ويرضاها.

والثاني : إلى عباده هي نعمة عليهم يفرحون بها ويلتذون بها)[٦] .

فكل ما خلقه الله نعمة على عباده ورحمة بهم، وله سبحانه فيه حكمة بالغة. وهذا هو مذهب السلف، وهو الذي تدل عليه الأدلة .

الأدلة على إثبات الحكمة والتعليل في أفعال الله تعالى :

أدلة إثبات الحكمة والتعليل في أفعال الله تعالى كثيرة منها :

---

(١) انظر : الحكمة والتعليل في أفعال الله تعالى (ص : ٣٦) .

(٢) محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي، المعروف بابن قيم الجوزية، الإمام العلامة الحافظ، لازم شيخ الإسلام ابن تيمية مدة طويلة، وبرع في علوم كثيرة، توفي سنة ٧٥١ هـ انظر : البداية والنهاية (١٠٤/٢٣٤-٢٣٥) .

(٣) شفاء العليل في مسائل القضا والقدر والحكمة والتعليل (ص: ١٩٠) .

(٤) انظر : الحكمة والتعليل في أفعال الله تعالى (ص : ٤٣) .

(٥) تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الحراني الدمشقي، المعروف بابن تيمية، شيخ الإسلام، بحر العلوم العقلية والنقلية، توفي سنة ٧٢٨ هـ انظر : البداية والنهاية (١٤/١٣٥-١٤٤)، وجلاء العينين في محاكمة الأحمدين (ص : ١٧-٣١) .

(٦) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٨/٣٥-٣٦) .

أولا : **الآيات القرآنية** الدالة على ثبوت الحكمة والتعليل في أفعاله تعالى، وهي أكثر من أن تحصى، ولا سبيل إلى استيعاب أفرادها، وفيما يلي ذكر بعض أنواعها :

١-آيات وصف الله فيها نفسه بالحكمة، وبين أنه هو الذي يعطيها وينزلها على من يشاء : قال الله تعالى : ﴿ واعلم أن الله عزيز حكيم ﴾[1] وقال تعالى : ﴿ لا إله إلا هو العزيز الحكيم ﴾ [2] وقال تعالى : ﴿ وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة ﴾ [3] وقال تعالى : ﴿ يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا ﴾ [4].

ولا شك أن معطي الحكمة غيرَه يكون حكيما؛ إذ فاقد الشيء لا يعطيه [5].

٢- آيات أخبر الله فيها أنه فعل كذا لكذا، وأنه أمر بكذا لكذا: قال تعالى : ﴿ الله الذي خلق سبع سماوات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علما ﴾ [6] وقال تعالى : ﴿ وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون ﴾ [7] وقال تعالى : ﴿ هذا بلاغ للناس ولينذروا به وليعلموا أنما هو إله واحد وليذكر أولوا الألباب ﴾ [8] .

فاللام في الآيات المذكورة هي لام التعليل، وليست لام العاقبة، كما يدعي نفاة التعليل؛ لأن لام العاقبة لا تكون إلا في حق من هو جاهل بالعاقبة، كما في قوله تعالى : ﴿ فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا ﴾ [9].

وأما من لا يخفى عليه شيء، ولا يعزب عنه مثقال ذرة، ولا يعجزه شيء فيستحيل في

---

(١) البقرة الآية : ٢٦٠

(٢) آل عمران الآية : ٦

(٣) النساء الآية : ١١٣

(٤) البقرة الآية : ٢٦٩

(٥) انظر : الحكمة والتعليل في أفعال الله تعالى (ص : ٤٥) .

(٦) الطلاق الآية : ١٢

(٧) النحل الآية : ٤٤

(٨) إبراهيم الآية : ٥٢

(٩) القصص الآية : ٨

حقه دخول هذه اللام، بل اللام الواردة في أفعاله وأحكامه لام الحكمة والغاية المطلوبة [1] .

وبالإضافة إلى هذا لقد جاء التعليل في القرآن الكريم بأدوات أخرى منها :

التعليل **بأداة (كي)** الصريحة في التعليل كما في قوله تعالى : ﴿ كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم ﴾[2].

وبلفظ { **من أجل** } كقوله تعالى :﴿ من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل ﴾[3].

٣-آيات امتن الله فيها على عباده بما خلق لهم، وأنعم به عليهم من الشمس والقمر، والليل والنهار، والهواء والماء ...وأخبر عن الحكم والغايات التي خلق تلك الأشياء لأجلها فلو كانت غير مقصودة بالفعل لما صح الامتنان به .

قال تعالى : ﴿ ألم نجعل الأرض مهادا * والجبال أوتادا * وخلقناكم أزواجا * وجعلنا نومكم سباتا * وجعلنا الليل لباسا * وجعلنا النهار معاشا * وبنينا فوقكم سبعا شدادا * وجعلنا سراجا وهاجا * وأنزلنا من المعصرات ماء ثجاجا * لنخرج به حبا ونباتا * وجنات ألفافا ﴾ [4].

فهذه نعم امتن الله بها على عباده، وبين الغايات العظيمة التي خلقت لأجلها فكيف يصح بعد هذا البيان الواضح أن يقول أحد أن هذه المخلوقات لم تخلق لحكم مقصودة وغايات حميدة .

٤- آيات نزه الله فيها نفسه عن أن يخلق شيئا عبثا، وأنكر على من زعم أنه خلق الخلق سدى : قال تعالى :﴿ وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار ﴾ [5]
وقال تعالى : ﴿ وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما لاعبين * ما خلقناهما إلا بالحق﴾ [6] وقال تعالى : ﴿ أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون * فتعالى الله الملك الحق لا إله إلا هو رب العرش الكريم ﴾[7].

تعالى الله وتقدس وتعاظم عن أن يخلق شيئا عبثا من غير حكمة ولا لغاية، فتتريه الله

---

(١) انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٨/٤٤)؛ وشفاء العليل (ص : ١٩١)؛ والحكمة والتعليل في أفعال الله تعالى (ص : ٤٥) .

(٢) الحشر الآية : ٧

(٣) المائدة الآية : ٣٢

(٤) النبأ الآيات : ٦-١٦

(٥) ص الآية : ٢٧

(٦) الدخان الآيتان : ٣٨-٣٩

(٧) المؤمنون الآيتان : ١١٥-١١٦

تعالى نفسه عن الخلق باطلا وإنكاره على من زعم ذلك دليل على أنه تعالى خلقهم لحكمة عظيمة محبوبة له تعالى ومطلوبة، وهي عبادته وتوحيده وشكره والثناء عليه .

ثانيا : إجماع المسلمين على أن الله تعالى موصوف بالحكمة. قال شيخ الإسلام ابن تيمية : (أجمع المسلمون على أن الله تعالى موصوف بالحكمة) [1] ولا يجوز أن يخلو فعل الحكيم من الحكمة، ولا تكون الحكمة إلا من فاعل مختار، يكون قاصدا بفعله تلك الحكمة [2].

أما إذا كان لا يقصد بفعله حكمة ما، فلا يسمى ما ترتب عليه حكمة ولا فاعله حكيما.

ثالثا : إن صنع الشيء واختراعه وإتقانه لغير غاية عبثا يترفع عنه العقلاء من البشر فمن باب أولى ـ ولله المثل الأعلى ـ أن يتتره الله عن ذلك. فما نشاهده من حسن خلق الله وبديع صنعه لم يفعله الله عبثا ولغوا بل في كل ذلك غاية باهرة وحكمة ظاهرة لا تنكرها إلا العقول السقيمة [3].

موقف المعتزلة والأشاعرة من الحكمة في أفعال الله تعالى :

وقد جانب الصواب في المسألة المعتزلة ومن وافقهم [4] الذين لم يجعلوا الحكمة في أفعال الله تعالى وأوامره صفة له تعالى بل جعلوها مخلوقة منفصلة مقصورة على الخلق، فزعموا أن الله إنما خلق الخلق للإحسان إليهم ومراعاة مصالحهم وإيصال المنافع إليهم، وأنه لا يعود إلى الله تعالى من الحكمة شيء .

كما جانب الصواب الأشاعرة ومن وافقهم الذين نفوا عن الله عز وجل الحكمة، وقالوا : إنه سبحانه وتعالى يفعل لا لعلة ولا لحكمة، وأن الحكمة مترتبة على الفعل وحاصلة بعده من غير أن تكون مقصودة ومرادة بالفعل [5]، فإنها لو كانت غير مطلوبة بالفعل وحاصلة من غير قصد ولا إرادة لا تعد من الحكمة في شيء بل تكون رمية من

---

(١) منهاج السنة النبوية (١/١٤١) .
(٢) انظر : المصدر السابق نفسه؛ والحكمة والتعليل في أفعال الله تعالى (ص : ٤٤) .
(٣) انظر : الحكمة والتعليل في أفعال الله تعالى (ص : ٤٤)؛ ومنهج السلف والمتكلمين في موافقة العقل للنقل (١/٢٥٧) .
(٤) انظر : نهاية الإقدام في علم الكلام (٣٩٧-٣٩٨)؛ وشرح الأصول الخمسة (ص : ٧٧ و٨٣ و٥١٠ و٥١٤-٥١٥)؛ وأيضا مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٣٨/٨ و٨٩)؛ والتحفة المهدية شرح الرسالة التدمرية (٢/١١٥-١١٦)؛ والحكمة والتعليل في أفعال الله تعالى (ص : ٥١) .
(٥) انظر : المواقف في علم الكلام مع شرحه (٢/٢٩٤-٣٠٠)؛ وشرح جلال الدين الدواني للعقائد النسفية مع حاشية الكلنبوي عليه (٢/٢٠٧)؛ وأيضا مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٨/٣٧-٣٨)؛ والتحفة المهدية شرح الرسالة التدمرية (٢/١١٥-١١٦)؛ والحكمة والتعليل في أفعال الله تعالى (ص : ٦٢) .

غير رام؛ فإن الحكمة لا تكون إلا من فاعل مختار يريدها ويقصدها [1].

والأدلة التي سبق ذكرها ترد على نفاة الحكمة في أفعال الله تعالى وأوامره، وتدل على ما ذهب إليه السلف [2].

بيان الحكمة من خلق الجن والإنس :

إن الله سبحانه وتعالى خلق السماوات والأرض وما بينهما ولكنه سبحانه وتعالى لم يخلق شيئا منها عبثا ولعبا . قال تعالى : ﴿ وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما لاعبين ﴾ [3] وقال تعالى : ﴿ وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلا ﴾ [4] وكذلك نزهه أولو الألباب من عباده عن الخلق باطلا كما أخبر الله عنهم بقوله : ﴿ ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار ﴾ [5] فتعالى الله وتقدس وتعاظم عن الخلق لغوا ولعبا، فهو سبحانه وتعالى خلق كل شيء لحكمة وغاية، سواء أدركها العباد أم لم يدركوها، ولم يخلق شيئا عبثا، فكيف بالثقلين الجن والأنس؛ فقد خلقهم لغاية نبيلة وحكمة عظيمة ومهمة جليلة، وقد بينها في محكم تتريله، فقال تعالى : ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون * ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون * إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين ﴾ [6]. فالرب جل جلاله الغني بذاته عما سواه لم يطلب من عباده رزقا ولا طعاما، وإنما خلقهم لحكمة عظيمة محبوبة له تعالى، وهي عبادته وحده التي أمرهم بها ونهاهم عن الإشراك فيها، وهذه هي الحكمة من خلق الجن والإنس كما دلت عليها الآية، وإن كانت هناك أقوال أخرى في بيان معنى الآية، وهي تتلخص فيما يلي :

---

(١) انظر : الحكمة والتعليل في أفعال الله تعالى (ص : ٣٧) .

(٢) يحسن الرجوع لمن أراد الوقوف على المسألة بالتفصيل إلى كتاب : شفاء العليل لابن القيم؛ والحكمة والتعليل في أفعال الله تعالى لشيخنا محمد بن ربيع المدخلي .

(٣) الدخان الآية : ٣٨

(٤) ص الآية : ٢٧

(٥) آل عمران الآية : ١٩١

(٦) الذاريات الآيات : ٥٦-٥٨

الأقوال في معنى قوله تعالى: ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾.

القول الأول : المعنى ما خلقتهم إلا ليعبدني السعداء منهم ويعصيني الأشقياء، والحكمة المقصودة من إيجادهم وخلقهم التي هي عبادة الله وحده حاصلة بفعل السعداء وأهل الطاعة منهم [١].

وهي كقوله تعالى : ﴿ قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم ﴾ [٢]

وإنما قال فريق منهم بدليل قوله تعالى : ﴿ ومن الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ﴾ [٣].

فالآية وإن جاءت بلفظ العموم ولكن دخلها التخصيص لما يأتي :

١- أن المجانين والصبيان لا يدخلون تحت الخطاب وإن كانوا من الإنس فهم غير مأمورين بالعبادة فلا يصح أن يقال : أراد منهم العبادة وخلقهم لها [٤].

٢ - قال تعالى : ﴿ ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس ﴾ [٥] فمن خلق للشقاء ولجهنم لا يكون ممن خلق للعبادة؛ لأنه لا يجوز أن يخلق الذين علم منهم أنهم لا يؤمنون للعبادة؛ لأنه إذا خلقهم للعبادة وأراد منهم العبادة فلا بد أن توجد منهم [٦].

٣- دلالة السياق وهو قوله تعالى قبله : ﴿ فتول عنهم فما أنت بملوم * وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين ﴾ [٧] ثم قال :

---

(١) انظر : تفسير سفيان الثوري (ص: ٢٨٢)؛ وتفسير القرآن للصنعاني (٣/٢٤٥)؛ وجامع البيان عن تأويل آي القرآن (٢٧/١١-١٢)؛ ومعالم التتريل (٤/٢٣٥)؛ وزاد المسير (٨/٤٢-٤٣)؛ والجامع لأحكام القرآن (١٧/٥٥)؛ وأنوار التتريل وأسرار التأويل (٤/١٦٨)؛ ومدارك التتريل وحقائق التأويل (٣/٣٨٠)؛ ومجموع فتاوى شيخ السلام ابن تيمية (٨/٢٩-٤٠)؛ وتفسير القرآن العظيم (٤/٢٣٨)؛ والدر المنثور (٧/٦٢٥)؛ وفتح القدير (٥/٩٢)؛ وأضواء البيان (٧/٤٤٤) .

(٢) الحجرات الآية : ١٤

(٣) التوبة الآية : ٩٩

(٤) انظر : الجامع لأحكام القرآن (١٧/٥٥)؛ ومدارك التتريل وحقائق التأويل (٤/١٨٢)؛ وزاد المسير (٨/٤٣)؛ وفتح القدير (٥/٩٢)؛ ومجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٨/٤٠) .

(٥) الأعراف الآية :١٧٩

(٦) انظر : المصادر المذكورة في الهامش قبل السابق .

(٧) الذاريات الآيتان : ٥٤-٥٥

﴿ وماخلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾ ؛ أي : هؤلاء المؤمنين الذين تنفعهم الذكرى ما خلقتهم إلا للعبادة [1].

٤- جاء في قراءة : {وما خلقت الجن والإنس من المؤمنين إلا ليعبدون }. [2]

فالآية محمولة على المؤمنين منهم، وبه قالت الكرامية [3]، وهو مروي عن طائفة من السلف والخلف .

قال سعيد بن المسيب [4] : ما خلقت من يعبدني إلا ليعبدني [5]. وقال الضحاك[6] والفراء [7]: هذا خاص لأهل طاعته. واختاره أبو جعفر النحاس[8] وأبو بكر بن الطيب[9] وغيرهما [10].

وهذا القول وإن كان مرويا عن بعض السلف ولكنه ضعيف مخالف لقول الجمهور، ولما تدل عليه الآية ويتبين ذلك بما يلي :

---

(١) انظر : الجامع لأحكام القرآن (٥٥/١٧)؛ وفتح القدير (٩٢/٥) .

(٢) ذكر القرطبي في (الجامع لأحكام القرآن ٥٥/١٧) أنها قراءة ابن مسعود، وذكر النسفي في (مدارك التتريل ٣٨٠/٣) أنها قراءة ابن عباس، وذكر الشوكاني في (فتح القدير ٩٢/٥) أنها قراءة ابن مسعود وأبي بن كعب، وجاء في معجم القراءات القرآنية (٤٩٠/٤) أنها قراءة ابن مسعود، وجاء في (مختصر في شواذ القرآن ص : ١٤٥) من غير إسناد- أنها وردت مرفوعة إلى النبي ﷺ فالله أعلم .

(٣) ذكره عنهم شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوي (٤٠/٨) .

(٤) سعيد بن المسيَّب بن حزْن القرشي المخزومي، أحد العلماء الأثبات الفقهاء الكبار، مات بعد التسعين، وقد ناهز الثمانين . انظر : تقريب التهذيب (ص : ٢٤١ برقم : ٢٣٩٦) .

(٥) انظر : زاد المسير (٣/٦)؛ ومجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٤٠/٨) .

(٦) انظر : تفسير الضحاك (٧٩٥/٢)؛ والضحاك هو الضحاك بن مزاحم الهلالي الخراساني، اشتهر بالتفسير، صدوق كثير الإرسال، مات بعد المائة . انظر : تهذيب التهذيب (٥٧٢/٢-٥٧٣ برقم : ٣٤٥٨) .

(٧) انظر : معاني القرآن للفراء (٨٩/٣)، والفراء هو يحيى بن زياد بن عبد الله الأسدي مولاهم، النحوي المشهور، صدوق، مات سنة ٢٠٧هـ . انظر : تقريب التهذيب (ص : ٥٩٠ برقم : ٧٥٥٢) .

(٨) انظر : إعراب القرآن (٢٥٠/٤)، والنحاس هو أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس، قال عنه الذهبي: العلامة إمام العربية النحوي صاحب التصانيف، مات سنة ٣٣٨هـ انظر : سير أعلام النبلاء (٤٠١/١٥) .

(٩) ذكره عنه شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوي (٤٠/٨)، وأبو بكر هو محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر البصري البغدادي المتكلم على طريقة الأشاعرة، إلا أنه كان يثبت كثيرا من الصفات الخبرية التي نفاها متأخرو الأشاعرة، توفي سنة ٤٠٣هـ . انظر: تبيين كذب المفتري (ص : ٢١٧)؛ ودرء تعارض العقل والنقل (١٧/٢-١٨)؛ وسير أعلام النبلاء (١٩٠/١٧) .

(١٠) انظر : معالم التتريل (٢٣٥/٤)؛ وزاد المسير (٤٢/٨)؛ ومجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٤٠/٨)؛ وفتح القدير (٩٢/٥) .

١- قصد العموم ظاهر في الآية، وبين بيانا لا يحتمل النقيض؛ فإن " ال " في ﴿ الجن والإنس ﴾ على المشهور للاستغراق [1] ولو كان المراد أهل الطاعة والسعادة منهم فقط لما ذكر الجن والإنس على وجه العموم [2].

٢- العبادة وقعت من الملائكة دون كثير من الجن والإنس، فلو كان المراد عبادة المؤمنين فقط لذكر معهم الملائكة كذلك؛ لأنهم أيضا فعلو ما خلقوا له، وعبدوا الله سبحانه وتعالى [3].

وأما الاستدلال بقوله تعالى : ﴿ ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس ﴾ والقول بأن من خلق للعبادة لابد أن توجد منه العبادة الشرعية ففيه نظر؛ لأن اللام في قوله تعالى : ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾ هي لام كي ولام التعليل، تسمى العلة الغائية، وهذه العلة هي المراد المطلوب المقصود من الفعل لكن ينبغي أن يعرف أن الإرادة في كتاب الله على نوعين :

النوع الأول : الإرادة الكونية، وهي الإرادة المستلزمة لوقوع المراد التي يقال فيها ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، وهذه الإرادة في مثل قوله تعالى : ﴿ ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم ﴾ [4] وقوله تعالى : ﴿ ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد ﴾[5].

النوع الثاني: الإرادة الدينية الشرعية، وهي محبة المراد ورضاه ومحبة أهله والرضا عنهم وجزاهم بالحسنى كما قال تعالى : ﴿ يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم والله عليم حكيم * والله يريد أن يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلا عظيما * يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الإنسان ضعيفا ﴾[6] وهذه الإرادة لا تستلزم وقوع المراد إلا أن يتعلق به النوع الأول من الإرادة [7].

وبهذا يتبين أن مقتضى اللام في قوله تعالى : ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾ ليس إرادة كونية حتى يلزم وقوع المراد منها بل هي إرادة دينية شرعية، ولا يلزم منها تحقق المراد،

---

(١) انظر : روح المعاني (٢٠/٢٧).
(٢) انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٤٠/٨-٤١) .
(٣) انظر : المصدر السابق نفسه .
(٤) هود الآية : ٣٤
(٥) البقرة الآية : ٢٥٣
(٦) النساء : الآيات : ٢٦-٢٨
(٧) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١٨٧/٨-١٨٨)؛ والقول المفيد على كتاب التوحيد (١٦٥/٣).

فقد يقع مرادها وقد لا يقع . ومثله قوله تعالى : ﴿ وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله ﴾ [1] فهو سبحانه لم يرسل الرسول إلا ليطاع ولكنه قد يطاع وقد يعصى [2] فكذلك ما خلقهم الله إلا للعبادة، وما أراد منهم غيرها، ثم هم قد يعبدونه تعالى وقد لا يعبدونه .

وأما سياق الآية فلا يدل على أن المؤمنين من الفريقين هم الذين خلقوا للعبادة دون الآخرين بل يقتضي ذما وتوبيخا لكل من لم يعبد الله منهم؛ لأن الله خلقهم لشيء فلم يفعلوا ما خلقوا له؛ ولهذا عقبها بقوله تعالى : ﴿ ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون ﴾ [3] فإثبات العبادة ونفي طلب الرزق والإطعام — كما يفعله السادة مع عبيدهم — يبين أنه خلقهم للعبادة .

وكذلك قوله تعالى في الآية التي بعدها : ﴿ فإن للذين ظلموا ذنوبا مثل ذنوب أصحابهم فلا يستعجلون * فويل للذين كفروا من يومهم الذي يوعدون ﴾ [4] يتضمن وعيدا لمن لم يعبده من الجن والإنس .

وقد ذكر الله تعالى قبله قصص الأنبياء إبراهيم ولوط وموسى وهود ونوح عليهم السلام ودعوتهم ومدى تجاوب أقوامهم لهم، فمن اتبعهم منهم وآمن بهم نفعه إيمانه ونجا من عذاب الله، وأما من خالفهم وكفر بهم ولم يقبل ما جاءوا به أدركه عذاب الله بكفره. وفيها بيان لعاقبة المطيعين والعصاة، ودلالة على إثبات النبوات وصدقِ ما جاء به الرسل ودعوا إليه من عبادة الله وحده لا شريك له .

ثم ذكر الله الآيات الكونية من بناء السماء وفرش الأرض وخلق كل شيء زوجين - وهذه الآيات العظيمة دالة على خالقها، وداعية إلى عبادة ربها تعالى . فلما انتهى من إقامة الحجة شرع في بيان المحجة، فقال عز من قائل : ﴿ ففروا إلى الله إني لكم منه نذير مبين * ولا تجعلوا مع الله إلها آخر ﴾ [5] .

فهذا كله يتضمن أمر الإنس والجن بعبادته وطاعته وطاعة رسله، واستحقاق من لا يفعل العقوبة في الدنيا والآخرة، فإذا قال بعد ذلك : ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون *

---

(١) النساء الآية : ٦٤

(٢) انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٥٦/٨) .

(٣) الذاريات الآية : ٥٧

(٤) الذاريات الآيتان : ٥٩-٦٠

(٥) الذاريات الآيتان : ٥٠-٥١

ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون ﴾[1] كان هذا مناسبا لما تقدم ومؤتلفا معه؛ أي : هؤلاء الذين أمرتهم إنما خلقتهم لعبادتي، ما أريد منهم غير ذلك، لا رزقا ولا طعاما .

فإذا قيل : لم يرد بالآية إلا المؤمنين من الجن و الإنس كان هذا مناقضا لما بينه الله تعالى وقرره قبل ذلك في السورة نفسها، وصار كالعذر لمن لا يعبده ممن ذمه ووبخه، وكلام الله تعالى متره من التعارض والتناقض[2]. قال تعالى : ﴿ ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا ﴾[3].

وأما الاستدلال بقراءة من قرأ : { وما خلقت الجن والإنس من المؤمنين إلا ليعبدون} على تخصيص الآية، وحملها على أهل السعادة من الفريقين فلا يصح؛ لأنها قراءة غير متواترة ولا مشهورة بل هي قراءة شاذة[4]؛ فلا تجوز القراءة به في الصلاة ولا في غيرها، ولا أخذ حكم منه على الراجح؛ لأنه نقلها على أنها قرآن و لم يثبت لمخالفتها المصحف الذي كتب فيه ما تواتر، فما خالفه غير متواتر فلا يكون قرآنا[5] وعلى فرض ثبوتها تكون منسوخة بالعرضة الأخيرة[6] وغاية ما فيها أن تحمل على وجه من أوجه التفسير للآية[7]، وهذا التفسير أيضا غير صحيح لما تقدم .

القول الثاني : هذه الآية عامة ولكن المراد بالعبادة تعبيده لهم وقهره لهم ونفوذ قدرته ومشيئته فيهم، وأنه أصارهم إلى ما خلقهم له من الشقاوة والسعادة، فكل مخلوق - ومنهم الجن والإنس - خاضع لقضاء الله تعالى متذلل لمشيئته، لا يملك أحد لنفسه خروجا عما خلق، فأمره نافذ على الجميع المؤمن يطيع باختياره، والكافر مذعن منقاد لقضاء ربه جبرا عليه[8].

ويدل عليه قوله تعالى : ﴿ وله أسلم من في السماوات والأرض طوعا وكرها ﴾[9] وقوله تعالى:

---

(١) الذاريات الآيتان : ٥٦-٥٧

(٢) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٨/٤١-٤٣) .

(٣) النساء الآية : ٨٢

(٤) انظر : مختصر في شواذ القرآن (ص : ١٤٥) .

(٥) انظر : التحرير والتنوير من التفسير (١/٥٤)؛ والإتقان في علوم القران (١/٢٢٥ و٢٢٧-٢٢٨) .

(٦) انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١٣/٣٩٤-٣٩٥) .

(٧) انظر : القراءات الشاذة بين الرواية والتفسير وأثرها في التفسير والأحكام (ص : ٧٦٠-٧٦١) .

(٨) انظر : زاد المسير (٨/٤٢)؛ والجامع لأحكام القرآن (١٧/٥٥)؛ وتفسير القرآن العظيم (٤/٢٣٨) .

(٩) آل عمران الآية : ٨٣

﴿ ولله يسجد من في السماوات والأرض طوعا وكرها ﴾ [1] الإسلام والسجود والعبادة كل ذلك خضوع وتذلل لله تعالى، وقد دلت الآية على أن بعضهم يفعل ذلك طوعا وبعضهم يفعله كرها .[2]

قال ابن عباس – رضي الله عنهما – في تفسير الآية : " إلا ليقروا لي بالعبودية طوعا أو كرها "، رواه ابن جرير الطبري عن ابن عباس – رضي الله عنهما –واختاره[3] .

وقال زيد بن أسلم [4] : (جبلهم على الشقاوة والسعادة) [5].

وقال وهب بن منبه [6] : (جبلهم على الطاعة وجبلهم على المعصية) [7].

ولكن هذا المعنى فيه نظر . قال شيخ الإسلام ابن تيمية : ومن فسر هذه الآية بأن المراد بـــ (يعبدون) هو ما جبلهم عليه، وما قدره عليهم من السعادة والشقاوة، فإن هؤلاء جعلوا معنى يعبدون بمعنى يستسلمون لمشيئتي وقدرتي، فيكونون مُعَبَّدِين مذللين كي يجرى عليهم حكمي ومشيئتي لا يخرجون عن قضائي وقدري، فهذا معنى صحيح في نفسه ولكن قوله : ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾ لم يرد به هذا المعنى الذي ذهبوا إليه وحاموا حوله من أن المخلوقات كلها تحت مشيئته وقهره وحكمه. فالمخلوقات كلها داخلة في هذا لا يشذ منها شيء عن هذا .

وقد قال تعالى: ﴿ ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين * وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم ﴾ [8]وقال تعالى:﴿ واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا ﴾ [9]وقال تعالى :﴿ والذين اتخذوا

---

(١) الرعد الآية : ١٥

(٢) انظر : أضواء البيان (٧/٤٤٤) .

(٣) انظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن (١٢/٢٧)، والطبري هو أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري، قال عنه الذهبي : الإمام العلم المجتهد علم العصر صاحب التصانيف البديعة، وتوفي سنة ٣١٠هـــ. انظر : سير أعلام النبلاء (١٤/٢٦٧)، والتفسير والمفسرون (١/٢٠٥) .

(٤) زيد بن أسلم العدوي المدني الفقيه المفسر، مولي عمر بن الخطاب، وكانت وفاته سنة ١٣٦هـــ . وقيل غير ذلك . انظر : تقريب التهذيب (ص : ٢٢٢)؛ التفسير والمفسرون (١/١١٦ –١١٧) .

(٥) ذكره عنه جماعة من المفسرين انظر : تفسير الثوري (ص: ٢٨٢)؛ وجامع البيان عن تأويل آي القرآن (١٢/٢٧)؛ ومعالم التنزيل (٤/٢٣٥)؛ ومجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٨/٤٥)؛ والدر المنثور (٧/٦٢٥)؛ وفتح القدير(٥/٩٢) .

(٦) وهب بن منبِّه بن كامل اليماني الصنعاني، من أحبار التابعين، صاحب القصص، كثير النقل من الإسرائيليات، كان ثقة صدوقا، توفي سنة ١١٤هـــ . انظر : ميزان الاعتدال (٤/٣٥٢)، وتقريب التهذيب (ص : ٥٨٥ برقم :٧٤٨٥) .

(٧) ذكره عنه شيخ الإسلام ابن تيمية في (مجموع الفتاوى ٨/٤٥) .

(٨) يس الآيتان : ٦٠-٦١

(٩) النساء الآية : ٣٦

من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى ﴾ [1] .

فهذا ونحوه من الآيات - وهي كثيرة في القرآن - لم يرد فيها بعبادة الله إلا العبادة التي أمرت بها الرسل، وهي عبادته وحده لا شريك له، والمشركون لا يعبدون الله وحده بل يعبدون الشيطان وما يدعونه من دون الله من الأصنام والتماثيل أو الأنبياء والصالحين أو الملائكة، فهؤلاء المشركون قد عبدوا غير الله تعالى كما أخبر الله بذلك فقال: ﴿ ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ﴾ [2] وقال تعالى : ﴿ قالوا أجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا ﴾ [3] فكيف يقال أن جميع الإنس والجن عبدوا الله لكون قدر الله جاريا عليهم ؟ أهـ بتصرف واختصار [4].

وفي تخصيص الله الجن والإنس من بين سائر المخلوقات بالذكر في الآية إشارة إلى الفرق بين العبادة الكونية العامة والتي هي عبادة القهر والملك الشاملة لجميع المخلوقات وبين العبادة الشرعية والتي هي عبادة الخضوع والذل والمحبة الاختيارية الخاصة لمن وفقه الله من الأنبياء والمرسلين خاصة ومن المؤمنين عامة؛ لأن الخلق كلهم عبيد مربو بون لله تعالى ولكن الله خص الجن والإنس بالذكر؛ لأنهما المخلوقان اللذان لهما إرادة واختيار ابتلاء من الله تعالى، ومن هنا وقع عليهم التكليف وحق عليهم الحساب والجزاء بمقتضى عملهم رحمة منه وعدلا، إن خيرا فخير وإن شرا فشر - دون سائر المخلوقات الداخلة تحت العبودية الكونية العامة التي لا يخرج عنها شيء من المخلوقات، والفرق بين عبادتهم إياه التي تحصل بإرادتهم واختيارهم وبين عبوديتهم له في نفوذ مشيئته فيهم وقدره عليهم ظاهر [5].

القول الثالث : خلقهم الله تعالى للعبادة ولكن منها ما ينفع ومنها ما لا ينفع . قال الله تعالى : ﴿ ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله ﴾ [6] هذا منهم عبادة، وليس ينفعهم مع شركهم. قاله السدي [7].

---

(١) الزمر الآية : ٣

(٢) يونس الآية : ١٨

(٣) الأعراف الآية : ٧٠

(٤) انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٨/٤٦-٤٧) .

(٥) انظر : المصدر السابق (٨/٤٧)؛ ومنهج أهل السنة والجماعة ومنهج الأشاعرة في توحيد الله تعالى (١/٥٦-٥٨) .

(٦) لقمان الآية : ٢٥ ، و الزمر الآية : ٣٨

(٧) ذكره عنه شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتاوى (٨/٥٠) وابن كثير في تفسيره (٤/٢٣٨)، والسُّدِّي هو إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة، صدوق يهم ورمي بالتشيع، مات سنة ١٢٧هـ. انظر : تقريب التهذيب (ص: ١٠٨ برقم:٤٦٣) .

ومثله قول الكلبي [1] بأن الله خلقهم للتوحيد ولكن منه ما ينفع ومنه ما لا ينفع، فالذي ينفع هو توحيد المؤمن الذي يوحد الله في الشدة والرخاء، وأما الذي لا ينفع فهو توحيد الكافر الذي يوحد في الشدة والبلاء، دون النعمة والرخاء [2] كما قال تعالى : ﴿ فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون ﴾ [3] وقال تعالى عن فرعون: ﴿ حتى إذا أدركه الغرق قال آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنوا إسرائيل وأنا من المسلمين * آلآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين ﴾ [4].

فهذا المعنى صحيح ولكن ليس هو معنى الآية؛ لأن مجرد الإقرار بالخالق مع الشرك به لا يسمى عبادة بل يقال كما قال تعالى : ﴿ وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون ﴾ [5] والكافر لا يعبد الله وحده بل يعبد الشيطان وغيره من المعبودات الباطلة، وهو وإن صرف جزءا من عبادته وتوحيده لله تعالى في وقت دون وقت؛ فهذا لا عبرة به لوجود ما يفسده ويحبطه من الشرك بالله تعالى. قال تعالى : ﴿ ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون ﴾ [6] وقال تعالى : ﴿ ولقد أوحي إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين * بل الله فاعبد وكن من الشاكرين ﴾ [7].

وعن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : قال الله تبارك وتعالى : أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه [8].

فالله تعالى غني عن الشرك، ومن عمل عملا وجعل فيه شيئا لغير الله تعالى لا يقبله بل يجعل كله لذلك الغير، ويتركه له وجاء هذا مصرحا في حديث بلفظ : ((فأنا منه بريء وهو للذي أشرك)) [9] .

---

(١) محمد بن السائب بن بشر الكلبي، أبو النضر الكوفي، النسابة المفسر، متهم بالكذب ورمي بالرفض، مات سنة ١٤٦هـ انظر: ميزان الاعتدال (٥٥٦/٣)؛ وتقريب التهذيب (ص : ٤٧٩ برقم : ٥٩٠١) .

(٢) انظر : معالم التنزيل (٢٣٥/٤)؛ والجامع لأحكام القرآن (٥٥/١٧)؛ ومجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٥٠/٨)؛ وفتح القدير (٩٢/٥) .

(٣) العنكبوت الآية : ٦٥

(٤) يونس الآيتان : ٩٠-٩١

(٥) يوسف الآية : ١٠٦

(٦) الأنعام الآية : ٨٨

(٧) الزمر الآيتان : ٦٥-٦٦

(٨) أخرجه م (الزهد والرقائق، ب : من أشرك في عمله غير الله ٢٢٨٩/٤ ح : ٢٩٨٥).

(٩) أخرجه جه (الزهد، ب : الرياء والسمعة ١٤٠٥/٢ ح : ٤٢٠٢)؛ وخز (جماع أبواب الأفعال المكروهة في الصلاة التي قد نهى عنها المصلي، ب : ذكر نفي قبول صلاة المرائي بها ٦٧/٢ ح : ٩٣٨). قال المنذري في (الترغيب ←

فعبادة المشركين وإن جعلوا بعضها لله لا يقبل منها شيء بل كلها لمن أشركوه. وعلى هذا، فهم ما عبدوا الله تعالى عبادة تنفعهم ويعتد بها [1] .

القول الرابع : معنى ﴿ إلاليعبدون ﴾ إلا ليعرفوني، لأنه لو لم يخلقهم لما عرف وجوده وتوحيده .
وقد استدل لهذا القول بقوله تعالى : ﴿ ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله ﴾ [2] ونحو ذلك من الآيات [3].
هذا القول ذهب إليه ابن جريج [4] ومجاهد[5] في رواية عنه [6]، واستحسنه الثعلبي[7] والبغوي[8].

فيقال : هذا المعنى صحيح وكونه إنما عرف بخلقه لهم يقتضي أن خلقهم شرط في معرفتهم له ولكن لا يقتضي أن يكون ما حصل لهم من المعرفة هو الغاية التي خلقوا لها [9]. ولو كانت هي الغاية المقصودة لكان فرعون وقومه وإبليس ومن تبعه قد أتوا بها وحققوها؛

والترهيب ٦٩/١ ح ٢٥) : (رواة ابن ماجه ثقات)، وقال البوصيري في (مصباح الزجاجة ٢٣٦/٤) : (هذا إسناد صحيح رجاله موثقون)، وصححه العلامة الألباني في (صحيح سنن ابن ماجه ٣٧١/٣ ح : ٣٤٠٦) .

(١) انظر : شرح النووي على صحيح مسلم (١١٥/١٨-١١٦)

(٢) الزخرف الآية : ٨٧

(٣) انظر : معالم التنزيل (٢٣٥/٤)؛ والجامع لأحكام القرآن (٥٥/١٧-٥٦)؛ وتفسير القرآن العظيم (٢٣٨/٤)؛ وفتح القدير (٩٢/٥) .

(٤) انظر : تفسير ابن جريج (ص : ٣٢٠)؛ وتفسير القرآن العظيم (٢٣٨/٤)، وابن جريج هو عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج الأموي مولاهم، المكي، ثقة فقيه فاضل، كان يدلس ويرسل، توفي بمكة سنة ١٥٠هـ أو بعدها. انظر : تقريب التهذيب (ص : ٣٦٣ برقم : ٤١٩٣) .

(٥) مجاهد بن جَبْر المخزومي مولاهم، المكي، ثقة إمام، ولد سنة ٢١هـ في خلافة عمر ﷺ ، وتوفي سنة ١٠٤ هـ على الأشهر . انظر : تقريب التهذيب (ص : ٥٢٠ برقم : ٦٤٨١)؛ والتفسير والمفسرون (١٠٤/١).

(٦) انظر : الجامع لأحكام القرآن (٥٥/١٧)؛ ومجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٨/ ٥٠)؛ وفتح القدير (٩٢/٥)؛ وأضواء البيان (٤٤٤/٧) .

(٧) انظر : الجامع لأحكام القرآن (٥٦/١٧)؛ وفتح القدير (٩٢/٥)، والثعلبي هو أحمد بن محمد إبراهيم الثعلبي النيسابوري المقرىء المفسر كان حافظا واعظا، رأسا في التفسير والعربية، متين الديانة، توفي سنة ٤٢٧هـ .انظر : سير أعلام النبلاء (٤٣٥/١٧)؛ والتفسير والمفسرون (٢٢٧/١) .

(٨) انظر : معالم التنزيل (٢٣٥/٤)، والبغوي هو أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد المعروف بالفراء البغوي قال عنه الذهبي : كان سيدا إماما عالما علامة زاهدا، بورك له في تصانيفه، وله القدم الراسخ في التفسير والباع المديد في الفقه، توفي سنة ٥١٠هـ . انظر : سير أعلام النبلاء (٤٣٩/١٩)؛ والتفسير والمفسرون (٢٣٤/١).

(٩) انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٥٠/٨-٥١) .

لأنهم أيضا عرفوا الله تعالى . قال تعالى : ﴿ وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا ﴾ [1] وقال تعالى : ﴿ قال رب فأنظرني إلى يوم يبعثون * قال فإنك من المنظرين * إلى يوم الوقت المعلوم * قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين * إلا عبادك منهم المخلصين * قال فالحق والحق أقول * لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين ﴾ [2] .

القول الخامس : إن الله خلقهم لعبادته، وهو فعل ما أمروا به، وترك ما نهوا عنه.

وأثر عن علي بن أبي طالب ﷺ في تفسير الآية أنه قال : (إلا لآمرهم أن يعبدون، وأدعو هم إلى عبادتي) [3]، وهذا هو المعروف بالإسناد الثابت [4] عن مجاهد حيث قال : (لآمرهم وأنهاهم) [5]، وروي عن الربيع ين أنس [6] أنه قال : (ما خلقتهما إلا للعبادة) [7]، وروي عن عكرمة [8] أنه قال : (إلا ليعبدون ويطيعون؛ فأثيب العابد، وأعاقب الجاحد) [9] واختاره الزجاج [10] وغيره، وهو الذي عليه جمهور المسلمين، واحتجوا قديما وحديثا بهذه الآية على هذا المعنى حتى في وعظهم وتذكيرهم[11].

ويؤيده قوله تعالى : ﴿ وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ﴾ [12] وقوله تعالى : ﴿ وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون ﴾ [13].

---

(١) النمل الآية : ١٤

(٢) ص الآيات : ٧٩-٨٥

(٣) انظر : معالم التنزيل (٢٣٥/٤)؛ وزاد المسير (٣/٦)؛ والجامع لأحكام القرآن (٥٥/١٧)؛ ومجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٥٢/٨) .

(٤) انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٥٢/٨) .

(٥) انظر : الجامع لأحكام القرآن (٥٦/١٧)؛ ومجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٥٢/٨)؛ وفتح القدير (٩٢/٥)؛ وأضواء البيان (٤٤٤/٧) .

(٦) الربيع بن أنس البكري أو الحنفي، بصري، نزل خراسان، صدوق له أوهام ورمي بالتشيع، مات سنة ١٤٠هـ أو قبلها . انظر : تقريب التهذيب (ص : ٢٠٥ برقم : ١٨٨٢) .

(٧) انظر : تفسير القرآن العظيم (٢٣٨/٤) .

(٨) عكرمة أبو عبد الله المدني، مولى ابن عباس، أصله بربري، ثقة ثبت عالم بالتفسير، توفي سنة ١٠٤هـ أو بعدها . انظر : تقريب التهذيب (ص : ٣٩٧ برقم : ٤٦٧٣) .

(٩) انظر : الجامع لأحكام القرآن (٥٦/١٧) .

(١٠) انظر : معاني القرآن وإعرابه (٥٨/٥)، والزجاج هو أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن السري الزجاج البغدادي، قال عنه الذهبي : الإمام نحوي زمانه، توفي سنة ٣١١هـ . انظر : سير أعلام النبلاء (٣٦٠/١٤) .

(١١) انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٥١/٨-٥٣) .

(١٢) البينة الآية : ٥

(١٣) التوبة الآية : ٣١

ويدل على هذا قوله تعالى : ﴿ أيحسب الإنسان أن يترك سدى ﴾ [1] يعني لا يؤمر ولا ينهى، وقوله تعالى : ﴿ يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا شهدنا على أنفسنا ﴾ [2] وقوله تعالى : ﴿ ألم أعهد إليكم يا بني آدم ألا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين * وان اعبدوني هذا صراط مستقيم ﴾ [3] وقالت الجن لما سمعوا القرآن : ﴿ يا قومنا إنا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم * يا قومنا أجيبوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم ﴾ [4] .

وقد قال تعالى في القرآن في غير موضع : ﴿ يا أيها الناس اعبدوا ربكم ﴾ [5] ﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم ﴾ [6] فقد أمرهم بما خلقهم له، وأرسل الرسل يذكرونهم بما خلقوا له، ويدعونهم إليه من عبادة الله وحده لا شريك له. ولذلك اتفقت دعوة الرسل كلهم من أولهم إلى آخرهم في الدعوة إلى إفراد الله تعالى بجميع أنواع العبادات وإخلاصها له دون سواه ونبذ الكفر والشرك بكل صوره وأشكاله ووسائله المؤدية إليه. قال الله تعالى : ﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ﴾ [7] وقال تعالى: ﴿ واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون ﴾ [8] وقال تعالى : ﴿ يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا إني بما تعملون عليم * وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون ﴾ [9] وقال تعالى: ﴿ إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدو ن ﴾ [10] وقال تعالى : ﴿ شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم إليه ﴾ [11] وقال تعالى: ﴿ أم اتخذوا آلهة من الأرض هم ينشرون * لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون * لا يسأل عما يفعل

---

(١) القيامة الآية ٣٦

(٢) الأنعام الآية : ١٣٠

(٣) يس الآيتان : ٦٠-٦١

(٤) الأحقاف الآيتان : ٣٠-٣١

(٥) البقرة الآية : ٢١

(٦) النساء الآية : ١، والحج الآية : ١، ولقمان الآية : ٣٣

(٧) النحل الآية : ٣٦

(٨) الزخرف الآية : ٤٥

(٩) المؤمنون الآيتان: ٥٠-٥١

(١٠) الأنبياء الآية :٩٢

(١١) الشورى الآية : ١٣

وهم يسألون * أم اتخذوا من دونه آلهة قل هاتوا برهانكم هذا ذكر من معي وذكر من قبلي بل أكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون * وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون ﴾ [1].

وعن معاذ بن جبل - رضي الله عنه – قال : بينا أنا رديف النبي ﷺ ليس بيني وبينه إلا آخرة الرحل فقال: يا معاذ! قلت : لبيك [2] رسول الله وسعديك [3] ثم سار ساعة ثم قال يا معاذ ! قلت : لبيك رسول الله وسعديك ثم سار ساعة ثم قال : يا معاذ! قلت : لبيك رسول الله وسعديك قال: هل تدري ما حق الله على عباده ؟ قلت: الله ورسوله أعلم . قال : حق الله على عباده أن يعبدوه، ولا يشركوا به شيئا . ثم سار ساعة ثم قال : يا معاذ بن جبل! قلت: لبيك رسول الله وسعديك فقال : هل تدري ما حق العباد على الله إذا فعلوه ؟ قلت : الله ورسوله أعلم ،قال: حق العباد على الله أن لا يعذبهم [4].

وعن ابن مسعود ﷺ أن النبيﷺ قال : لا أحد أغير من الله؛ ولذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن، ولا أحد أحب إليه المدح من الله؛ ولذلك مـــدح نفسه [5] .

وعن المغيرة ﷺ قال : قال سعد بن عبادة ﷺ : لو رأيت رجلا مع امرأتي لضربته بالسيف غير مصفح، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ ، فقال : تعجبون من غيرة سعد! والله لأنا أغير منه، والله أغير مني، ومن أجل غيرة الله حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن، ولا أحد أحب إليه العذر من الله؛ ومن أجل ذلك بعث المبشرين والمنذرين، ولا أحد أحب إليه المدحة من الله؛ ومن أجل ذلك وعد الله الجنة [6].

---

(١) الأنبياء الآيات : ٢١-٢٥

(٢) "لبيك" من المصادر المثناة لفظا، ومعناها التكرار؛ أي : إقامة على إجابتك بعد إقامة وأصله " ألب لك إلبابين " فحذف الفعل وأقيم المصدر مقامه، ثم حذفت الزوائد، وحذف الجار من الضمير المفعول، وأضيف المصدر إليه . وقيل : إنه من " لب" بمعنى ألب أي أقام . انظر : أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك مع شرحه ضياء السالك إلى أوضح المسالك (٣٠٧/٢).

(٣) "سعديك" أي : إسعادا لك بعد إسعاد، ولا تستعمل إلا بعد لبيك؛ لأن لبيك هي الأصل في الإجابة، وسعديك بمنزلة التوكيد لها . انظر : المصدر السابق نفسه .

(٤) أخرجه خ (اللباس ، باب إرداف الرجل خلف الرجل، ٢٢٢٤/٥ ح: ٥٦٢٢)، واللفظ له؛ و م (الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعا ٥٨/١ ح : ٣٠) .

(٥) أخرجه خ (الطلاق، ب : الغيرة ٢٠٠٢/٥ ح:٤٩٢٢)؛ و م (التوبة، ب : غيرة الله تعالى وتحريم الفواحش ٢١١٤/٤ ح : ٢٧٦٠)، واللفظ له .

(٦) أخرجه خ (التوحيد، ب : قول النبي ﷺ : لا شخص أغير من الله ٢٦٩٨/٦ ح :٦٩٨٠)؛ و م (اللعان ١١٣٦/٢ ح : ١٤٩٩)، واللفظ له .

وقال الأسود بن سريع ﷺ : يا رسول الله ! ألا أنشدك محامد حمدت بها ربي تبارك وتعالى ؟ فقال : إن ربك تبارك وتعالى يحب الحمد و لم يستزده على ذلك [(١)].

وعن أبي هريرة ﷺ قال : قال النبي ﷺ : كلمتان حبيبتان إلى الرحمن خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم [(٢)].

يتبين مما سبق من أدلة الكتاب والسنة وأقوال السلف أن المعنى الذي قصد بالآية قطعا هو الذي فهمه جمهور المسلمين واحتجوا بالآية عليه واعترفوا بأن الله خلقهم ليعبدوه، ويشكروه، ويذكروه، ويسبحوه، ويحمدوه؛ فهذا الذي خلقهم له وأمرهم به وأحبه ورضيه منهم، فإن فعلوه كان فيه خيرهم وصلاحهم وسعادتهم في الدنيا والآخرة، وبه يتحقق حصول العبودية الاختيارية الخاصة — لله تعالى، والنجاة من عذابه، والفوز برضوانه، والدخول في جنته، والنظر إلى وجهه الكريم. ولا نعمة أعظم عليهم في الدنيا من الإيمان به والعبادة له، ولا شيء ألذ وأحب إليهم في الآخرة من النظر إلى وجهه تبارك وتعالى [(٣)].

اللهم ثبتنا على الإيمان وشرفنا برؤية وجهك الكريم . آمين .

---

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (ب : من الشعر حكمة، ص : ٢٩٨ ح : ٨٥٩)؛ وكم (معرفة الصحابة، ذكر الأسود بن سريع ٦١٤/٣)؛ وقال : (صحيح الإسناد و لم يخرجاه)، ووافقه الذهبي، وحسنه الألباني في صحيح الأدب المفرد (ص : ٣٢٠ ح : ٦٦٠) .

(٢) أخرجه خ (التوحيد ب قول الله تعالى : ﴿ونضع الموازين القسط﴾ [الأنبياء : ٤٧] ٢٧٤٩/٦ ح : ٧١٢٤) .

(٣) انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٢٣/١) .

المسألة الثانية: الحكمة في وحدة أصل الإنسان.

حكمة الله أجل من أن يحيط بها مخلوق:

الملوك في الدنيا لا يخبرون جميع من تحت تدبيرهم من الرعية عن كل ما يدبرون ويعملون لهم، ولا يوقفونهم على تفاصيل ما يسعون له من مصالحهم ومنافعهم؛ لأن هذا مناف للحكمة والمصلحة. فإذا كان هذا بين المخلوقين، فكيف بشأن رب العالمين وأحكم الحاكمين الذي لا يشاركه في علمه ولا حكمته أحد أبدا [1].

والله تعالى له حكمة في كل ما خلقه وأمر به، ولم تخرج أفعاله وأوامره قط عن الحكمة والرحمة والمصلحة ولكن لا يمكن إطلاع الخلق على جميع الحكم في أفعاله وأوامره، فحكمة الله تعالى أعظم وأجل من أن يحاط بها [2].

فما يخفى على العباد من معاني حكمته في صنعه وإبداعه وأمره وشرعه ولم يعرفوا تفصيلها، فذلك من علم الغيب الذي استأثر الله به، ويكفيهم في ذلك الإسناد إلى حكمة الله البالغة العامة الشاملة، والاكتفاء بما ظهر لهم عما خفي منها؛ فقد يكون إخفاء الحكمة لحكمة جليلة، فمن حكمته سبحانه أنه تعالى لم يخبر أحدا من خلقه ولا عبدا من عباده عن وجه تدبيره وحكمته في كل ما يريده ويخلقه؛ لأن ذلك خارج عن قوى المخلوقات، وعقول الخلق عاجزة عن إدراكها والإحاطة بها [3].

ومع ذلك فإن الله قد يطلع عباده على شيء من حكمه العامة والخاصة في أمر من الأمور، وإنما الذي لا يمكن حصوله بالنسبة للإنسان هو الإحاطة بحكمة الله تعالى. قال تعالى: ﴿ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء﴾ [4] وقال تعالى: ﴿ولا يحيطون به علما﴾ [5] وقال تعالى: ﴿وما أوتيتم من العلم إلا قليلا﴾ [6].

---

(١) انظر: مفتاح دار السعادة (١/٣٠٤).

(٢) انظر: الحكمة والتعليل في أفعال الله تعالى (ص: ٧٤).

(٣) انظر: المنتقى من منهاج الاعتدال (ص: ١٣٤)؛ ومفتاح دار السعادة (١/٣٠٤-٣٠٥).

(٤) البقرة الآية: ٢٥٥

(٥) طه الآية: ١١٠

(٦) الإسراء الآية: ٨٥

بيان الوحدة للأصل الإنساني :

أخبر الله تعالى أنه خلق الناس كلهم من ذكر وأنثى، وهما آدم و حواء عليهما السلام فهما الأصلان الكليان للإنسان أبا وأما، والناس كلهم من غير تفريق بين الأجناس والألوان يلتقون فيهما وينتسبون إليهما .

قال الله تعالى : ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا ﴾ (١) وقال تعالى : ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير﴾ (٢) .

وقال النبي ﷺ : ((الناس كلهم بنو آدم، وآدم خلق من تراب))(٣).

وقد خلق الله الناس من أصل واحد حيث خلق آدم من تراب، وخلق منه زوجه، وبث منهما رجالا كثيرا ونساء، وفي ذلك من الحكم ما الله به عليم، وسأذكر هنا بعض ما يظهر لي منها بتوفيق الله تعالى، وعليه التكلان .

بيان الحكمة في وحدة الأصل الإنساني :

١- الدلالة على عظيم قدرة الله تعالى وربوبيته وألوهيته : خلق الله تعالى آدم عليه السلام من تراب، وخلق منه زوجه، وخلق ذريتهما من نطفة نقلا من طور إلى طور، وبثهم في أقطار الأرض وأرجائها مع اختلاف ألوانهم وأشكالهم وألسنتهم وأعمالهم، وفي ذلك دليل على كمال قدرة الله تعالى وتفرده بالربوبية المطلقة . قال تعالى :﴿ ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون * ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون * ومن آياته خلق السماوات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين ﴾ (٤) .

---

(١) النساء الآية : ١

(٢) الحجرات الآية : ١٣

(٣) جزء من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أخرجه د (الأدب، ب : في التفاخر بالأحساب ٤/٣٣١ ح : ٥١١٦)؛ و ت (أبواب المناقب عن رسول الله ﷺ ب: فضل الشام و اليمن ٥/٧٣٤ ح : ٣٩٥٥)، و اللفظ له، وقال : (هذا حديث حسن غريب)، وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داؤد (٣/٢٥٨ ح : ٥١١٦)؛ وفي صحيح سنن الترمذي (٣/٥٩٨ ح : ٣٩٥٥) .

(٤) الروم الآيات : ٢٠-٢٢

فإنشـــاؤكم من الأرض، وبثكم في أقطارها وأرجائها، وخلقكم على هذا التنوع في هيـــئاتكم وصوركم وألسنتكم وألوانكم مع أنكم تعودون إلى أصل واحد ومنبت واحد دليـــل على أن الله على كل شيء قدير، وأنه هو ربكم المستحق لعبادتكم [1] ؛ لأن الذي خلق هو الذي يستحق أن يعبد . قال تعالى : ﴿ يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم ﴾ [2]، فمن لم يخلقكم ليس برب، ولا بمعبود لكم [3].

٢-ظهور مقتضى أسماء الله تعالى وصفاته من كمال عدله وفضله وحكمته ورحمته بعباده : أخبر الله تعالى عن كمال عدله ونزه نفسه عن ضده من الظلم القليل والكثير [4] فقال تعالى : ﴿ إن الله لا يظلم مثقال ذرة ﴾ [5] وقال تعالى : ﴿ وما أنا بظلام للعبيد ﴾ [6] فهو سبحانه لا يجـــور، ولا يظـــلم، فلا يخاف عباده منه ظلما ولا هضما . وهذا مما اتفقت عليه جميع الكتب والرسل [7] بل الله تعالى موصوف بصفات الكمال المطلق من جميع الوجوه [8].

ومن كمال عدله وفضله وحكمته ورحمته أنه خلق آدم ﷺ وخلق زوجه، وبارك في ذريـــتهما وكثّرَ أولادهما، وملأ بهم أقطار الأرض وأرجاءها، وأمرهم جميعا بعبادته وتقواه دون ســـواه، وعـــليها يحاسبهم يوم القيامة ويجازيهم بها، فالكل مخلوق من أصل واحد، ومأمورون بعبادة رب واحد، ويحاسبون ويجازون على نظام واحد في صعيد واحد، وهذا هـــو مقتضـــى حكمـــته وعدله وموجب أسمائه وصفاته؛ لأن اختلاف الأصل موجب لاختلاف الخلقة واختلاف التكليف، ومن ثم اختلاف الحساب والجزاء، فمن حكمة الله أن جعـــلهم مـــن أصل واحد يتساوون في خطاب التكليف، ويتساوون في قواعد الجزاء والحساب . قال تعالى : ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره * ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره﴾ [9] .

---

(١) انظر : تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص : ٨٨٠) .
(٢) البقرة الآية : ٢١
(٣) انظر : أضواء البيان (١٨٢/٦) .
(٤) انظر : تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص : ٢٠٧) .
(٥) النسآء الآية : ٤٠
(٦) ق الآية : ٢٩
(٧) انظر : هداية الحيارى (ص : ٣١٢) .
(٨) انظر : المصدر السابق نفسه؛ ومعتقد أهل السنة والجماعة في الأسماء والصفات (ص : ٣٥) .
(٩) الزلزلة الآيتان : ٧-٨

٣- قطع أصل التفاخر بالأنساب والأحساب : خلق الله تعالى الناس من أصل واحد وجنس واحد، وكلهم من ذكر وأنثى، وجميعهم يرجعون إلى آدم وحواء، فهم سواء في الأصل. وإذا كان الأصل واحدا، فالكل متساوون؛ لأن أباهم واحد وأمهم واحدة، وفي ذلك أكبر زاجر عن التفاخر بالأنساب، والتعاظم بالآباء، والتطاول بالأحساب [١] .

عن ابن عمر - رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ خطب الناس يوم فتح مكة، فقال : يا أيها الناس إن الله قد أذهب عنكم عُبِّيَّة الجاهلية [٢] وتعاظمها بآبائها، فالناس رجلان، بر تقي كريم على الله، وفاجر شقي هين على الله، والناس بنو آدم، وخلق الله آدم من تراب . قال الله : ﴿ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير [٣] ﴾ [٤] .

وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال : لينتهين أقوام يفتخرون بآبائهم الذين ماتوا، إنما هم فحم جهنم أو ليكونن أهون على الله من الجعل [٥] الذي يدهده الخِراء بأنفه؛ إن الله قد أذهب عنكم عُبِّيَّة الجاهلية؛ إنما هو مؤمن تقي وفاجر شقي الناس كلهم بنو آدم وآدم خلق من تراب [٦] .

فالنبي ﷺ شبه المفتخرين بآبائهم الذين ماتوا في الجاهلية بالجعل، وآباءهم المفتخر بهم بالعذرة، ونفس افتخارهم بالدهدهة بالأنف، والمعنى أن أحد الأمرين واقع البتة إما الانتهاء عن الافتخار أو كونهم أذل عند الله تعالى من الجعل الموصوف [٧] .

---

(١) انظر : أضواء البيان (٧/٤٢١) .

(٢) عبية الجاهلية : بضم العين المهملة وكسرها وكسر الموحدة المشددة وفتح التحتية المشددة أي نخوتها وكبرها وفخرها . انظر : القاموس المحيط (١/١٠٣) .

(٣) الحجرات الآية : ١٣

(٤) أخرجه ت (التفسير ب : ومن سورة الحجرات ٥/٣٨٩ ح : ٣٢٧٠)، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٦/١/٤٤٩-٤٥٢ ح :١٧٠٠)؛ و في صحيح سنن الترمذي (٣/١٠٨ ح : ٢٦٠٨) .

(٥) الجعل بضم الجيم وفتح العين : حيوان كالخنفساء يكثر في المواضع الندية .انظر : المعجم الوسيط (١/١٢٦) وقال المباركفوري في (تحفة الأحوذي ١٠/٣١٦) : (هو دويبة سوداء تدير الغائط بأنفه يقال لها الخنفساء).

(٦) حديث حسن وقد سبق تخريجه في (ص : ٤٢) .

(٧) انظر : عون المعبود (١٤/١٧)؛ وتحفة الأحوذي (١٠/٣١٦) .

وبين أن الناس رجلان مؤمن تقي فهو الخير الفاضل وإن لم يكن حسيبا في قومه، وفاجر شقي فهو الدنيء وإن كان في أهله شريفا رفيعا [1].

أو أن المفتخر المتكبر إما مؤمن تقي؛ فإذن لا ينبغي له أن يتكبر على أحد، أو فاجر شقي، فهو ذليل عند الله؛ والذليل لايستحق التكبر؛ فالتكبر منفي بكل حال [2].

٤- تساوي بني آدم في إمكانية الاستفادة من نعم الله التي خلقها لهم :خلق الله الإنسان من أصل واحد، وجعلهم متساوين في القدرة على الاستفادة من الرزق والنعم التي خلقها لهم، قال تعالى : ﴿الله الذي سخر لكم البحر لتجري الفلك فيه بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون * وسخر لكم ما في السماوات وما في الأرض جميعا منه إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾ [3] .

فلو كانوا من أصول مختلفة لما أمكن لبعضهم الاستفادة بما جعل الله في الأرض من الرزق والخيرات، فإن الحيوانات والجن تستفيد من أشياء، وأشياء كثيرة لا تستطيع أن تستفيد منها لعدم مواءمتها لخلقتها لاختلافها في الأصل . وأما بنو آدم فإنهم متحدون في الأصل متساوون في القدرة على الاستفادة من كل ما خلقه الله لهم في الأرض .

٥- إمكانية التعارف والتعاون بين الناس فيما يصلح شئونهم : قال تعالى : ﴿ ياأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير ﴾ [4]فإذا كان الجميع يرجع إلى أب واحد وأم واحدة؛ فهم جميعا إخوة في النسب وأفراد من الأسرة الإنسانية ذوي خلقة واحدة وأصل واحد، وبه تتحقق إمكانية التعارف والتعاون بينهم فيما يحقق مصالحهم ويصلح شئونهم، فينبغي أن يكون التعامل فيما بينهم مبنيا على التعاون، بعيدا عن التعادي والتقاتل .

٦- دعوة الجميع إلى تقوى الله تعالى والعمل بما يرضيه : إذا كانوا جميعا من أب واحد وأم واحدة؛ فلا فضل لبعضهم على بعض من جهة النسب؛ إذ الكل فيه سواء .

---

(١) انظر: معالم السنن شرح سنن أبي داود (١٣٧/٤) .

(٢) انظر : عون المعبود (١٦/١٤)؛ وتحفة الأحوذي (٣١٧/١٠) .

(٣) الجاثية الآيتان : ١٢-١٣

(٤) الحجرات الآية : ١٣

وإنما تنال الفضيلة والرفعة بتقوى الله تعالى وطاعته . قال الله تعالى : ﴿ إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾ فتقوى الله تعالى والعمل بما يرضيه هو مدار الشرف والكرم .

عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم [1].

وعن أبي نضرة [2] حدثني من سمع خطبة رسول الله ﷺ في وسط أيام التشريق فقال : يا أيها الناس ! ألا إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على أعجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأحمر على أسود، ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى [3].

فالانتماء إلى لغة أو لون أو جنس أو نسب لا قيمة له، ولا فضل فيه، وإنما الشرف والكرم والفضل في تقوى الله تعالى والعمل بما يرضيه . ﴿ وفي ذلك فليتنافس المتنافسون ﴾ [4].

٧- بيان بطلان دعاوى الذين يزعمون أنهم المختصون بالفضيلة والقداسة دون الآخرين : إن دعاوى بعض البشر بأنهم أبناء الله وأحباؤه كدعوى اليهود والنصارى كما أخبر الله تعالى عنهم بقوله : ﴿ وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه ﴾ [5]، وترفع بعضهم على بعض بدعاوى تتعلق بشرف أصلهم ورفعة معدنهم ونحو ذلك من دعاوى الناس، فإنها كلها باطلة، فاليهود يزعمون أنهم المختصون بالفضيلة، المنفردون بالكرامة، المتوارثون للشرف والعزة أبا عن جد مهما خبثت أفعالهم، وساءت أعمالهم، وشنعت جرائمهم، ويزعمون أنهم أبناء الله وأحباؤه، وأن أرواحهم جزء من الله، وأن الجنة لا يدخلها غيرهم، وأنهم المختصون بالكرم والشرف والاستعلاء والتفوق، وأن أرواح غيرهم أرواح شيطانية، وشبيهة بأرواح الحيوانات، وأنهم مثل الكلاب والحمير، وإنما خلقوا على هيئة الإنسان حتى يكونوا لائقين بخدمتهم [6].

---

(١) أخرجه م (البر والصلة والآداب ، ب : تحريم ظلم المسلم و خذله ... ١٩٨٧/٤ ح : ٢٥٦٤) .

(٢) هو المنذر بن مالك بن قطعة العَوَقي البصري، ثقة، روى عن جماعة من الصحابة، توفي سنة ١٠٨هـ أو بعدها بسنة . انظر : تهذيب التهذيب (٥٣٧/٥ برقم : ٨٠٠٦)

(٣) أخرجه حم (٤٧٤/٣٨ ح : ٢٣٤٨٩)؛ قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٦٦/٣) : (رجاله رجال الصحيح) .

(٤) المطففين الآية : ٢٦

(٥) المائدة الآية : ١٨

(٦) انظر : دراسات في الأديان : اليهودية والنصرانية (ص : ١٠٢-١٠٣)؛ ومقال بعنوان " الأسفار المقدسة عند اليهود، وأثرها في انحرافهم : عرض و نقد " للدكتور : محمود عبد الرحمن قدح، نشر في مجلة الجامعة الإسلامية، العدد : ١١١ - السنة ٣٣ ١٤٢١ هـ (ص : ٣٧٢-٣٧٣) .

وكذلك رد على الطبقية البرهمية الهندوسية المذمومة التي تقسم الناس من حيث أصل خلقتهم على أربع طبقات، وتخص نفسها بالقداسة والفضيلة دون الآخرين؛ زاعمة أنها خلقت من رأس معبودها، وأما غيرهم فقد خلقوا من أماكن أخرى من جسد معبودهم، وإنما خلقوا لتوفير أسباب الراحة والخدمة لهم كما زعمت وبئس ما زعمت [1].

فكون الناس يرجعون إلى أصل واحد دليل صريح على كذب هذه الدعاوى، وكذب أصحابها في كل ما يدعون، وأن الناس سواسية لا فرق بينهم إلا بالتقوى وطاعة الله عز وجل .

---

(١) انظر : تحفة الهند (ص : ٤٥و ١٠١-١٠٣)؛ وفصول في أديان الهند (ص : ٥٥-٦٦)؛ والأديان، القسم الأول، الديانات القديمة (ص : ٨٧)؛ الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة (٢/٧٢٦-٧٢٧) .

المسألة الثالثة : الاكتفاء بالكتاب والسنة في أبواب الدين عموما، وفي المسائل المتعلقة بالعقيدة خصوصا.

الهدى محصور فيما أنزل الله من الكتاب والسنة :

لقد خلق الله الإنسان، وأنعم عليه بالهداية والبيان لما فيه أمنه وفلاحه وسعادته، وتجنيبه من الضلال والشقاء . قال تعالى : ﴿فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى * ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى﴾ (١).

قال ابن عباس – رضي الله عنهما – : (من قرأ القرآن، واتبع ما فيه، هداه الله من الضلالة، ووقاه يوم القيامة سوء الحساب؛ وذلك بأن الله عز وجل قال : ﴿فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى﴾) (٢).

والهدى هو ما بعث الله به رسوله، وأنزل في كتابه. قال تعالى : ﴿قل إن الهدى هدى الله﴾ (٣) وقال تعالى : ﴿قل إن هدى الله هو الهدى وأمرنا لنسلم لرب العالمين﴾ (٤) وقال تعالى : ﴿ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله﴾ (٥).

فالهدى محصور فيما أنزل الله تعالى من كتابه وسنة رسوله ﷺ فقط، وليس وراء هذا طريق ثالث يقرب إلى الله ويباعد من النار (٦) قال تعالى : ﴿فماذا بعد الحق إلا الضلال فأنى تصرفون﴾ (٧).

---

(١) طه الآيتان : ١٢٣-١٢٤

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (فضائل القرآن، في فضل من قرأ القرآن ٦/١٢٠ ح : ٢٩٩٥٥)؛ و كم (التفسير، طه، من قرأ القرآن واتبع ما فيه هداه الله من الضلالة ٢/٣٨١) وقال : هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه، ووافقه الذهبي .

(٣) آل عمران الآية : ٧٣

(٤) الأنعام الآية : ٧١

(٥) القصص الآية : ٥٠

(٦) انظر : شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/٩-١٠)؛ والحجة في بيان المحجة (١/٢١٠-٢١١)؛ والفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة (ص : ٤٣) .

(٧) يونس الآية : ٣٢

وجوب الاعتصام بالكتاب والسنة :

ولما كان فلاح العباد وصلاحهم وهدايتهم وسعادتهم محصورة في شرع الله الذي أنزله في كتابه، وبينه على لسان رسوله ﷺ جاءت نصوص كثيرة تبين أهمية الكتاب والسنة، وتبين وجوب اتباعهما، والعمل بمقتضاهما، وأنه لا يسع لأحد الخروج عما جاءت به الشريعة، ودل عليه الكتاب والسنة، وأنه من يعتصم بهما، ويصدر عنهما، ويأخذ منهما، ويبني عليهما يكون من المهتدين - بإذن الله تعالى - إلى صراط مستقيم .قال تعالى : ﴿ ومن يعتصم بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم ﴾ [1].

الأدلة على وجوب الاعتصام بالكتاب والسنة :

الأدلة على وجوب الاعتصام بالكتاب والسنة، والتمسك بهما كثيرة، يصعب عدد أفرادها والإحاطة بها، فأكتفي بذكر بعض أنواعها :

١ -الأمر بطاعة الله تعالى وطاعة رسوله ﷺ : قال تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا ﴾ [2] وقال تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه وأنتم تسمعون ﴾ [3] وقال تعالى : ﴿ وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون﴾ [4] فقد أمر الله بطاعته وطاعة رسوله كما أمر بطاعة أولي الأمر ولكن طاعتهم مشروطة بشرط أن لا يأمروا بمعصية الله فإن أمروا بها فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق كما قال النبي ﷺ : ((لا طاعة في معصية الله، إنما الطاعة في المعروف)) [5].

ولذلك أجمع العلماء على وجوب طاعة أولي الأمر في غير المعصية، وعلى تحريمها في المعصية [6]. ولعل هذا هو السر في حذف الفعل عند الأمر بطاعتهم، وذكره مع طاعة

---

(١) آل عمران الآية : ١٠١

(٢) النساء الآية : ٥٩

(٣) الأنفال الآية : ٢٠

(٤) آل عمران الآية : ١٣٢

(٥) جزء من حديث علي ﷺ، أخرجه خ (أخبار آحاد، ب : ما جاء في إجازة خبر الواحد الصدوق ٢٦٤٩/٦ ح : ٦٨٣٠)؛ و م (الإمارة، ب : وجوب طاعة الأمراء في غير معصية ... ١٤٦٩/٣ ح : ١٨٤٠)، واللفظ له .

(٦) انظر : شرح النووي على صحيح مسلم (٢٢٢/١٢-٢٢٣) .

الرسول [1]؛ لأن الرسول ﷺ لا يأمر إلا بطاعة الله، فمن يطعه فقد أطاع الله . قال تعالى : ﴿ من يطع الرسول فقد أطاع الله ﴾ [2]. وقال النبي ﷺ : ((من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله ...)) [3] .

٢-النهي عن معصية الله ورسوله ﷺ : قال تعالى : ﴿ إن الذين يحادون الله ورسوله أولئك في الأذلين ﴾ [4] وقال تعالى : ﴿ ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا ﴾ [5] وقال تعالى : ﴿ ومن يعص الله ورسوله فإن له نار جهنم خالدين فيها أبدا ﴾ [6] وقال تعالى : ﴿فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ﴾ [7].

فهذه الآيات فيها وعيد شديد لمن يعصي الله ورسوله، وأنه مخذول مرزول، ليس له عاقبة حميدة، ولا رأية منصورة، ويخشى عليه الفتنة، ولا يؤمن عليه من عذاب الله عاجلا أو آجلا . نسأل الله السلامة من كل خذلان والنجاة من كل مكروه .

٣-الأمر بالرد إلى الله ورسوله عند التنازع : قال تعالى : ﴿ فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا ﴾ [8] وقال تعالى : ﴿وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله ﴾ [9].

فقد أمر الله تعالى برد كل ما تنازع الناس فيه من أصول الدين وفروعه إلى الله ورسوله . قال العلماء : الرد إلى الله هو الرد إلى كتابه، والرد إلى الرسول بعد موته هو الرد إلى سنته [10].

ولا خير ولا صلاح ولا عدل في حكم غيرهما، فما حكما به فهو الحق، وما خالف ذلك

---

(١) انظر : فتح الباري (١٣/١١١-١١٢)؛ وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص : ٢١٤) .

(٢) النساء الآية : ٨٠

(٣) جزء من حديث أبي هريرة ﷺ، أخرجه خ (الأحكام، ب : قول الله تعالى : ﴿أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم ﴾ [النساء : ٥٩] ٦/٢٦١١ ح : ٦٧١٨)، و م (الإمارة ب : وجوب طاعة الأمراء في غير معصية ... ٣/١٤٦٦ ح : ١٨٣٥) .

(٤) المجادلة الآية : ٢٠

(٥) الأحزاب الآية : ٣٦

(٦) الجن الآية : ٢٣

(٧) النور الآية : ٦٣

(٨) النساء الآية : ٥٩

(٩) الشورى الآية : ١٠

(١٠) انظر : قاعدة مختصرة في وجوب طاعة الله ورسوله ﷺ وولاة الأمور (ص : ٢٦)؛ وهو في مجموع الفتاوى (٣٥//٦).

فهو باطل، فيجب الرد إليهما؛ لأن بناء الدين عليهما، ولا يستقـيم الإيمـان إلا بهما [1].

٤- **وجوب محبة الله ورسوله ﷺ** : قال تعالى : ﴿ ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله ﴾ [2] وقـال تعـالى : ﴿ قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين ﴾[3].

وعن أنس ﷺ عن النبي ﷺ قال : ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان : أن يكون الله ورسـوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار [4].

وعن أنس ﷺ قال : قال النبي ﷺ : لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين [5] .

فهـذه النصوص من كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ فيها دلالة قوية على وجوب محبة الله ورسوله، وعلى تقديمها على محبة كل شيء سواهما؛ حيث توعد الله بالوعيد الشديد والمقت الأكيد لمـن كان عنده شيء من الأشياء أحب إليه من الله ورسوله، وفيهما بيان للمحبة التي فيها صلاح العباد وسعادتهم، وتحذير من المحبة التي فيها فسادهم وشقاؤهم [6].

وقـد بين الله تعالى الميزان الذي يعرف به من يحب الله حقيقة، ومن يدعيها دعوى مجردة، فقال تعالى : ﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم ﴾ [7].

وقـالت الملائكة لما جاءت إلى النبي ﷺ وهو نائم : ((من أطاع محمدا ﷺ فقد أطاع

---

(١) انظر : تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص : ٢١٤ و ص : ١٠٤٥) .

(٢) البقرة الآية : ١٦٥

(٣) التوبة الآية : ٢٤

(٤) أخرجه خ (الإيمان، ب : حلاوة الإيمان ١٤/١ ح : ١٦)؛ و م (الإيمان، ب : بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان ٦٦/١ ح : ٤٣) .

(٥) أخرجه خ (الإيمان، ب : حب الرسول ﷺ من الإيمان ١٤/١ ح : ١٥)؛ و م (الإيمان، ب : وجوب محبة رسول الله ﷺ أكثر من الأهل ...٦٧/١ ح : ٤٤) .

(٦) انظر : تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص : ٨٥ و ص : ٤٣٣) .

(٧) آل عمران الآية : ٣١

الله، ومن عصى محمدا ﷺ فقد عصى الله، ومحمد ﷺ فرق بين الناس)) [1] .

فعلامـــة محبة العباد لربهم ومعبودهم هو اتباع رسوله محمد ﷺ . ومتابعته في جميع ما يدعو إليه ويأمر به طريق إلى محبة الله ورضوانه؛ لأنه لا يأمر إلا بما يحب الله، ولا ينهى إلا عما يبغضه الله، ولا يفعل إلا ما يحبه الله، ولا يخبر إلا بما يحب الله التصديق به، فمن كان محبا لله محبة صادقة، لزمه أن يتبع رسوله ﷺ، فيصدقه فيما أخبر، ويطيعه فيما أمر، ويتأسى به فيما فعل؛ فإن محبة الله ورضوانه وثوابه وكرامته لا تنال إلا بتصديق ما جاء به الرسول من الكتاب و السنة، وامتثال أمرهما، واجتناب نهيهما [2].

٥ -انـــتفاء الخيار عن العباد إذا جاء حكم الله ورسوله ووجوب الانقياد والتسليم له :

قال تعالى : ﴿ وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا ﴾ [3] وقـــال تعالى : ﴿ فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما ﴾ [4] وقال تعالى: ﴿ إن الحكم إلا لله يقص الحق وهو خير الفاصلين ﴾ [5].

فهذه الآيات نص على أنه إذا جاء حكم من الله ورسوله، فلا خيار لأحد عنده، بل يجب التسليم والانقياد له . قال الزهري [6]: (من الله عز وجل الرسالة، وعلى رسول الله ﷺ البلاغ، وعلينا التسليم) [7].

قـــال الحافظ ابن كثير [8] في تفسير آية الأحزاب المذكورة : (فهذه الآية عامة في

---

(١) جـــزء مـــن حديث جابر بن عبد الله – رضي الله عنهما –، أخرجه خ (الاعتصام بالكتاب والسنة، ب : الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ ٦/٢٦٥٥ ح : ٦٨٥٢) .

(٢) انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١٠/١٩١)؛ وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص : ١٤٨) .

(٣) الأحزاب الآية : ٣٦

(٤) النساء الآية : ٦٥

(٥) الأنعام الآية : ٥٧

(٦) هو محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب القرشي، الزهري، أبو بكر، الفقيه الحافظ متفق على جـــلالته وإتقانه، توفي سنة خمس و عشرين بعد المائة، وقيل قبل ذلك بسنة أو سنتين . انظر : تقريب التهذيب (ص : ٥٠٦ برقم: ٦٢٩٦) .

(٧) ذكره البخاري تعليقا بصيغة الجزم، في صحيحه (التوحيد، ب : قول الله تعالى : ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك ﴾[المائدة : ٦٧] ٦/٢٧٣٨) .

(٨) إسمـــاعيل بـــن عمـــر بـــن كثير الدمشقي، المفسر المحدث المؤرخ، توفي سنة ٧٧٤هـــ . انظر الدرر الكامنة (١/٣٧٣)؛ ومعجم المؤلفين (٢/٢٨٣-٢٨٤) .

جميع الأمور، وذلك أنه إذا حكم الله ورسوله بشيء فليس لأحد مخالفته، ولا اختيار لأحد ههنا، ولا رأي ولا قول كما قال تبارك وتعالى : ﴿ فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما ﴾) [1].

فهذه الآيات القرآنية والأحاديث النبوية فيها تأصيل لأصل عظيم، وبيان لقاعدة كلية شاملة لجميع أصول الدين وفروعه. وذلك أن ما جاء به الرسول ﷺ يتعين على العباد الأخذ به واتباعه، ولا تجوز مخالفته بحال من الأحوال، وأن نص الرسول ﷺ على حكم شيء كنص الله تعالى عليه، وأنه لا انفصال بين ما أنزله الله تعالى في كتابه وبين ما بينه على لسان رسوله ﷺ، فهما صنوان لا يفترقان، ومنبعان للتشريع متعاضدان [2]؛ فمن عمل بالقرآن على غير المنهج الذي انتهجه الرسول ﷺ لا يكون عاملا بالقرآن، والمرؤ لا يكون مؤمنا حتى يؤمن بما جاء في الكتاب المبين والسنة المحمدية قولا وعملا واعتقادا .

العقيدة إنما تؤخذ عن الله ورسوله :

لقد تبين مما سبق وجوب الاعتصام بالكتاب والسنة، وأن المرأ لا يكون مؤمنا حتى يؤمن بما جاء في الكتاب المبين والسنة المحمدية في أبواب الدين كله، ويتأكد ذلك في المسائل المتعلقة بالعقيدة؛ لأن البشر كلهم عبيد الله، ووظيفتهم أن يعبدوه جل وعلا ويخلصوا له العبودية، وقوام العبودية في تصحيح العقيدة، فمن فسدت عقيدته فسدت عبادته و لم يقبل منه عمله خاصة إذا كان الفساد متعلقا بأصول الاعتقاد [3]. قال تعالى : ﴿ وما منعهم أن تقبل منهم نفقاتهم إلا أنهم كفروا بالله وبرسوله ولا يأتون الصلاة إلا وهم كسالى ولا ينفقون إلا وهم كارهون ﴾ [4] ومن صحت عقيدته واستقام إيمانه كان القليل من عمله كثيرا مباركا

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٣/٤٩٠) .

(٢) انظر : تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص : ١١٨٤-١١٨٥)؛ وأضواء البيان (١/٦) .

(٣) انظر : رسالة التوحيد (ص : ١٩-٢٠) .

(٤) التوبة الآية : ٥٤

ومقبولا عند الله تعالى [1]. قال تعالى : ﴿ من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون ﴾ [2] .

فالعقيدة الصحيحة ضرورية للإنسان ضرورة الماء والهواء، بل حاجته إلى العقيدة الصحيحة أشد من حاجته إلى الماء والهواء؛ إذ بدون الماء والهواء أكثر ما يتصور عليه من الضرر هو موت البدن وفقدان الحياة الدنيوية، وأما إذا فَقَدَ العقيدة الصحيحة وحرم منها فالهلاك الأبدي والشقاء السرمدي يكون مآله ومصيره، ويكون ضائعا تائها خاسرا في الدنيا و الآخرة [3]. نسأل الله تعالى السداد والثبات على عقيدة الإسلام .

والعقيدة الصحيحة الخالصة لا توجد اليوم إلا في الإسلام؛ لأنه الدين المحفوظ الذي تكفل الله بحفظه قال تعالى : ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ [4].

فطالب العقيدة الصحيحة السليمة لن يجدها في اليهودية، ولا في النصرانية، ولا في كلام الفلاسفة ...، وإنما يجدها في الإسلام في أصليه الكتاب والسنة ندية طرية صافية مشرقة، تقنع العقل بالحجة والبرهان، وتملأ القلب إيمانا ويقينا ونورا، وتجعل الحياة سعيدة مطمئنة [5] . قال تعالى : ﴿ وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم ﴾ [6] .

لا يمكن للعقل البشري أن يستقل بمعرفة أمور العقيدة معرفة صحيحة :

إن الأمور العقدية ليست داخلة تحت نطاق نظر البشر، وهي أوسع من نطاق عقلهم، والقوى البشرية كلها محدودة بحدود لا تدرك ما وراء تلك الحدود، فقوة البصر التي في العين عاجزة عن الإبصار في الظلام، ومحتاجة إلى النور، فكذلك العقل البشري له

---

(١) انظر : رسالة التوحيد (ص :١٩-٢٠) .

(٢) النحل الآية : ٩٧

(٣) انظر : العقيدة في الله (ص : ١٢) .

(٤) الحجر الآية : ٩

(٥) انظر : العقيدة في الله (ص : ١١) .

(٦) الشورى الآية : ٥٢

إطار محدود ومجال معين لا يمكن له أن يتعداه .

وقد ذكر ابن بطة [1] في كتابه " الإبانة " بإسناده إلى ابن عباس — رضي الله عنهما — أنه جـــاء رجـــل من المسلمين بابن له فقال له : لقد حيرت الخصومة عقله، وأذهبت المنازعة قلبه، وذهبت به الكلفة عن ربه . فقال عبد الله ﷺ : امدد بصرك يا ابن أخي، ما السواد الذي ترى ؟ قـــال : فـــلان . قال : صدقت . قال : فما الخيال المسرف من خلفه ؟ قال : لا أدري . قال عـــبد الله : يـــا ابن أخي فكما جعل الله لأبصار العيون حدا محدودا من دونها حجابا مستورا، فكذلك جعل لأبصار القلوب غاية لا يجاوزها وحدودا لا يتعداها . قال : فرد الله عليه غارب عقله، وانتهى عن المسألة عما لا يعنيه، والنظر فيما لا ينفعه، والتفكر فيما يحيره [2].

وقال ابن خلدون [3] : (اتبع ما أمرك الشارع به من اعتقادك وعملك، فهو أحرص على سعادتك، وأعلم بما ينفعك؛ لأنه من طور فوق إدراكك، ومن نطاق أوسع من نطاق عقلك، وليس ذلك بقادح في العقل ومداركه، بل العقل ميزان صحيح، فأحكامه يقينية لا كـــذب فيها، غير أنك لا تطمع أن تزن به أمور التوحيد والآخرة وحقيقة النبوة وحقائق الصـــفات الإلهية وكل ما وراء طوره؛ فإن ذلك طمع في محال . ومثال ذلك مثال رجل رأى الميزان الذي يوزن به الذهب فطمع أن يزن به الجبال، وهذا لا يدرك على أن الميزان في أحكامه غير صادق لكن العقل قد يقف عنده، ولا يتعدى طوره) [4].

وقـــد اعـــترف عامة رؤوس العقلاء أنه لا يمكن أن ينال بالعقل علم جازم في تفاصيل الأمـــور الإلهيـــة، وإنما ينال به الظن والحسبان [5]. فلا يمكن للعقل البشري أن يستقل بمعرفة مسائل العقيدة معرفة صحيحة؛ فلا يصح إطلاق العنان له وإقحامه فيما وراء حدوده وإطاره من أمور الغيب بل يجب تقييده بقواعد الكتاب والسنة. فإذا اتصل به نور الوحي من الكتاب

---

(١) أبـــو عـــبد الله عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان العكبري الحنبلي المعروف بابن بطة . قال عنه الذهبي : الإمام القدوة العابد المحدث شيخ العراق، توفي سنة ٣٨٧هـــ . انظر : سير أعلام النبلاء (١٦/٥٢٩-٥٣٣) .

(٢) الإبانة عن شريعة الفرق الناجية (١/٤٤٢-٤٤٣)، والإسناد فيه ضعف .

(٣) أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن خلدون المالكي، عالم مؤرخ اجتماعي، توفي سنة ٨٠٨هـــ . انظر : معجم المؤلفين (٥/١٨٨) .

(٤) مقدمة ابن خلدون (الفصل السادس من المقدمة : علم الكلام، ص : ٣٨٤) .

(٥) انظر : الصارم المسلول على شاتم الرسول (ص : ٢٥٠) .

والسنة كان كنور العين إذا اتصل به نور الشمس والنار، وأمن من الزيغ والضلال [1].

مسائل الاعتقاد أمور غيبية :

ولقد أقام الله الحجة على خلقه بكتابه وسنة رسوله ﷺ [2]، وكل ما يحتاج الناس إلى معرفـــته واعتقاده والتصديق به قد بينه الله تعالى ورسوله ﷺ بيانا شافيا [3]، وأصول العقائد التي أمرنا باعتقادها حددها الرسول ﷺ في حديث جبريل المشهور حين سأله عن الإيمان فقال : ((أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره)) [4].

فـــالعقيدة في الإسلام تدور حول أمور معينة، وهذه المسائل التي يجب اعتقادها أمور غيبية، ليســـت مشـــاهدة منظورة، وهي التي عناها الله تعالى بقوله عندما مدح المؤمنين ﴿ الذين يؤمنون بالغيب ﴾ [5]، فالإيمان بالله والملائكة واليوم الآخر والقدر إيمان بالغيب، وأما الكتب والرسل فقد يتـــبادر إلى الذهـــن أنها تشاهد وتنظر ولكن نسبتها إلى الله، وكون الرسل مبعوثين من عند الله، وكون الكتب منزلة من عند الله أمر غيبي فالإيمان بها أيضا من الإيمان بالغيب [6].

والدخول في أمور الغيب لا يخلو من الخطر والزلل إلا إذا كان مصحوبا بنور الوحي ويـــدل عـــليه أنه لما توفي عثمان بن مظعون ﷺ، وحضر عنده الرسول ﷺ سمع الصحابية الجليـــلة أم العـــلاء تقول : رحمة الله عليك أبا السائب، فشهادتي عليك لقد أكرمك الله. فقـــال لها النبي ﷺ : وما يدريك أن الله أكرمه. قالت : لا أدري بأبي أنت وأمي يا رسول الله. فقال رسول الله ﷺ : أما عثمان فقد جاءه والله اليقين وإني لأرجو له الخير، والله ما أدري

---

(١) انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٣/٢٣٨-٢٣٩) .

(٢) انظر : الصواعق المنزلة على الطائفة الجهمية والمعطلة.(٢/٤٧٩-٤٨٠) .

(٣) انظر : درء تعارض العقل والنقل (١/٢٧-٢٨) .

(٤) جزء من حديث جبريل عليه السلام، أخرجه خ من حديث أبي هريرة ﷺ، (الإيمان، ب : سؤال جبريل عن النبي ﷺ عن الإيمان والإسلام والإحسان ١/٢٧ ح : ٥٠ والتفسير، ب : ﴿إن الله عنده علم الساعة﴾ [لقمان : ٣٤] ٤/١٧٩٣ح : ٤٤٩٩)؛و م (الإيمـــان، ب : بيـــان الإيمان والإسلام والإحسان ... ١/٣٩ ح : ٩ وأيضا من حديث عمر بن الخطاب ١/٣٦-٣٧ ح : ٨)، واللفظ له .

(٥) البقرة الآية : ٣

(٦) انظر : العقيدة في الله (ص : ١٠) .

- وأنا رسول الله - ما يفعل به . قالت : فوالله لا أزكي أحدا بعده أبدا [1].

فإنكار رسول الله ﷺ على أم العلاء في شهادتها لأبي السائب بأن الله قد أكرمه فيه تنبيه عظيم منه ﷺ لهذه الصحابية بأنها قد حكمت بحكم غيبي، وهذا لا يجوز لأنه لا يطلع على الغيب إلا الله عـز و جـل [2].فـالأمور الغيبية لايعلمها إلا الله أو من شاء الله أن يعلمه منها ما شاء . قال تعالى : ﴿عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا * إلا من ارتضى من رسول ﴾ [3].

والعقيدة كلها من أمور الغيب؛ فهي لا تعرف معرفة صحيحة نافعة إلا عن طريق الوحي المتمثل في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ .فيجب على العباد أن لا يدخروا وسعا في تصحيح عقيدتهم التي هي ملاك أمرهم و رأس مالهم بالتمسك بالكتاب والسنة في ضوء فهم السلف الصالح .

ضابط لا بد منه لفهم نصوص الكتاب والسنة :

ليـس لكـل أحد أن يفهم نصوص الكتاب والسنة على ما يشاء كما يفعل كثير من أهل الأهـواء والـبدع حيـث يعتمدون على أفهامهم دون أن يرجعوا إلى أقوال السلف وفهمهم للنصوص، ثم يبحثون عن الأدلة لما قد قرروه عندهم مسبقا، فيحورون الأدلة، ويحرفون الكلم عن مواضعه حسب أهوائهم ورغباتهم، مع أن العقول متفاوتة، والرغبات والأهواء مختلفة متباينة.

لذلـك لا بد من مقياس يعلم به الحق من الباطل حتى لا يختلط الحابل بالنابل . والميزان الـذي يعرف به الغث من السمين، والضابط الذي يتميز به الصحيح من السقيم هو الرجوع إلى فهـم السلف الصالح في تفسير النصوص والنظر في أقوالهم والتمسك بآثارهم، وبه ينقطع الطـريق عـلى أهـل الأهواء والبدع، وتدحض حجتهم، ويظهر بطلان منهجهم وكذب دعاويهم، ويتبين مدى قرب الرجل من الحق الثابت من الكتاب والسنة وبعده عنه.

والأدلة على وجوب اتباع السلف الصالح ولزوم منهجهم كثيرة أذكر بعضا منها :

قـال تعالى : ﴿ والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه

---

(١) أخرجه خ (الشهادات، ب : القرعة في المشكلات ٢/٩٥٤ ح : ٢٥٤١) .

(٢) انظر : شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/٩-١٠)؛ والفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة (ص : ٣٠).

(٣) الجن الآيتان : ٢٦-٢٧

وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم ﴾ [١] وقال تعالى : ﴿ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا ﴾ [٢] .

فقد رضي الله عز وجل عن السابقين الأولين رضاء مطلقا، ورضي عن التابعين لهم بإحسان، وتوعد من اتبع غير سبيلهم بعذاب جهنم، ووعد من اتبع سبيلهم وسار على منهجهم بالجنة والرضوان .فهذا دليل صريح على تصحيح مسلكهم ومنهجهم، وأن المنهج الصحيح والمسلك السليم هو ما كان مأخوذا عنهم [٣].

وقال النبي ﷺ : ((خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم)) [٤] .

فهذه الخيرية التي شهد النبي ﷺ بها لهذه القرون الثلاثة تدل على تفضيلهم وسبقهم وجلالة قدرهم وسعة علمهم بشرع الله وشدة تمسكهم بسنة رسوله ﷺ [٥].

وقال ابن مسعود - ﷺ - : (لا يزال الناس بخير ما أتاهم العلم من قبل أصحاب محمد ﷺ وأكابرهم، فإذا أتاهم العلم من قبل أصاغرهم فذلك حين هلكوا) [٦].

وبهذا يتبين وجوب الاعتصام بالكتاب والسنة والتمسك بهما في ضوء فهم السلف الصالح في أبواب الدين عموما، وفي المسائل المتعلقة بالعقيدة خصوصا [٧].

---

(١) التوبة الآية : ١٠٠

(٢) النساء الآية : ١١٥

(٣) انظر : معتقد أهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات (ص : ٥٥-٥٦) .

(٤) جزء من حديث عمران بن حصين ﷺ، أخرجه خ (الشهادات، ب : لا يشهد على شهادة جور إذا أشهد ٢/٩٣٨ ح : ٢٥٠٩ وفضائل الصحابة، ب : فضائل أصحاب النبي ﷺ ورضي الله عنهم ...٣/١٣٣٥ح : ٣٤٥١ والرقاق، ب : ما يحذر من زهرة الدنيا والتنافس فيها ٥/٢٣٦٢ ح : ٦٠٦٥)، و م (فضائل الصحابة رضي الله عنهم ، ب : فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ٤/١٩٦٣ ح : ٢٥٣٣) .

(٥) انظر : معتقد أهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات (ص : ٥٧) .

(٦) أخرجه ابن المبارك في الزهد والرقائق (ب : ما جاء في قبض العلم ٢/٦٢٣ ح : ٧٦٤)، رجال الإسناد كلهم ثقات، وقد صحح إسناده محقق الكتاب .

(٧) يحسن الرجوع لمن أراد المزيد من الأدلة الدالة على وجوب اتباع السلف الصالح ولزوم منهجهم إلى : صحيح البخاري (كتاب الاعتصام ٦/٢٦٥٣-٢٦٨٣)؛ وسنن أبي داود (كتاب السنة ٤/١٩٧-٢٤٦)؛ وشرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/٥٠-١١٣)؛ والحجة في بيان المحجة (١/٢١٠-٢١١ و٢٢١-٢٢٢ و٢/٤٠٥-٤٠٨) .

الباب الأول : خلق آدم عليه السلام وبيان أنه أصل الإنسان والرد على من خالف في ذلك . وفيه تمهيد وفصلان.

التمهيد : معنى كلمة " آدم " في اللغة العربية .

الفصل الأول : خلق آدم عليه السلام وبيان أصل الإنسان في ضوء الكتاب والسنة.

الفصل الثاني : الأقوال الباطلة في أصل الإنسان وبيان بطلانها .

تمهيد : معنى كلمة "آدم" في اللغة العربية .

معنى (أدم) :

الهمـــزة والدال والميم أصل واحد، وهو الموافقة والملاءمة يقال : أدم الله بينهما يأدم أدما وآدم الله بينهما يؤدم إيداما؛ أي : جعل المحبة والاتفاق بينهما [١].

الأُدْمَـــةُ : الخلطة، يقال : بينهما أُدْمَة ومُلْحَة؛ أي : خُلْطة، ويقال: أَدَمْت بين الشيئين إذا خلطت بينهما [٢].

الأُدْمَـــة : الوســيلة إلى الشيء، يقال : فلان أُدْمَتي إليك؛ أي : وسيلتي إليك؛ وذلك لأن المخالف لا يتوسل به [٣].

الأَدَمَةُ : الأسوة والقدوة، يقال : جعلت فلانا أَدَمَةَ أهلي؛ أي : أسوتهم؛ لأنه إذا فعل ذلك فقد وفق بينهم [٤].

الأَدَمَـــةُ : بـــاطن الجلد الذي يلي اللحم، والبشرة ظاهرها؛ لأنها أحسن ملاءمة لـــلحم مـــن البشرة [٥]، وأديم كل شيء ظاهر جلده، وأدمة الأرض وجهها [٦]، والإدام واللأُدْم : ما يؤتدم به مع الخبز [٧].

الأُدْمَـــةُ في الناس : شربة من سواد، وهي السمرة، والآدَمُ من الناس : الأسمر، يقال : رجل آدَمُ، وفي الإبل والظباء : البياض، يقال : بعير آدم وناقة أدماء، وظبي آدم وظبية أدماء [٨].

---

(١) انظر : العين (٨/٨٨ مادة : أدم)؛ وتهذب اللغة (١٢/٢١٤ مادة : أدم)؛ ومعجم مقاييس اللغة (١/٧٢ مادة : أدم) .

(٢) انظر : العين (٨/٨٨)؛ والزاهر في معاني كلمات الناس (١/٤٨٩) .

(٣) انظر : تهذب اللغة (١٢/٢١٤)؛ ومعجم مقاييس اللغة (١/٧٢) .

(٤) انظر : تهذيب اللغة (١٢/٢١٤)؛ والصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (٥/١٨٥٨- ١٨٥٩ مادة : أدم)؛ ومعجم مقاييس اللغة (١/٧٢) .

(٥) انظر : الصحاح (٥/١٨٥٨-١٨٥٩)؛ ومعجم مقاييس اللغة (١/٧٢) .

(٦) انظر : العين (٨/٨٨)؛ وتهذب اللغة (١٢/٢١٥) .

(٧) انظر : تهذب اللغة (١٢/٢١٥) .

(٨) انظر : العين (٨/٨٨)؛ والاشتقاق (ص : ٧١)؛ وتهذيب اللغة (١٢/٢١٤)؛ والصحاح (٥/١٨٥٨- ١٨٥٩)؛ ومفردات ألفاظ القرآن (ص : ٧٠) .

أصل اسم " آدم " الذي سمي به آدم أبو البشر عليه السلام :

اختـــلف أهل اللغة في كلمة آدم الذي سمي به أبو البشر عليه السلام، فمنهم من يرى أنها كلمة أعجمية، ومنهم من يرى أنها كلمة عربية، ومنهم من ذهب إلى الجمع بين القولين .

وعلى هذا، الكلام في كلمة آدم يتلخص في ثلاثة أقوال، وهي كالتالي :

القول الأول : ذهب جماعة من أهل اللغة إلى أن كلمة آدم الذي سمي به أبو البشر عليه السلام كلمة أعجمية وقالوا : إن آدم اسم أعجمي، لا اشتقاق فيه، وأقرب أمره أن يكون على وزن فاعَل بفتح العيَن، وهذا كثير في الأسماء مثل : آزر وعازر وعابر وشالخ وفالغ وأشباه ذلك .

وإن اشـــتقاق آدم من الأُدْمَة أو الأَدَمَة بالفتح بمعنى الأُسوة، أو من أديم الأرض وهو وجههـــا، أو من الأدم أو الأُدْمَة بمعنى الأُلفة – لا يخلو من التعسف،كاشتقاق إدريس من الدرس، ويعقوب من العقب، وإبليس من الإبلاس، وإسرئيل من الإسرال .

فمـــن ادعى الاشتقاق في كلمة آدم؛ وزعم أنها على وزن أفعل فغير صواب؛ لأنه قد نص التصريفيون على أن الاشتقاق إنما يكون من الألفاظ العربية؛ ولا يكون في الأسماء الأعجمية (١).

قال الثعلبي : (التراب بالعبرانية آدام، فسمي آدم به) (٢).

وقال الحافظ ابن حجر (٣) : (آدم اسم سرياني، وهو عند أهل الكتاب آدام بإشباع فتحة الدال بوزن خانام، وزنة فاعال، وامتنع صرفه للعلمية والعجمة) (٤).

وقـــال الدكتور/ ف . عبد الرحيم – حفظه الله – : هو بالعبرية אָדָם وبالسريانية ܐܕܡ (٥).

---

(١) انظر : الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٢٥٢/١)؛ وأنوار التنزيل وأسرار التأويل (٢٨٤/١-٢٨٥)؛ ومدارك التنزيل وحقائق التأويل (٣٦/١-٣٧)؛ وتفسير البحر المحيط (٢٨٥/١) .

(٢) ذكره عنه الحافظ ابن حجر في (فتح الباري ٣٦٤/٦)؛ والسيوطي في (الإتقان في علوم القرآن ٥٨/٤) .

(٣) هـــو أحمـــد بـــن على بن محمد المعروف بابن حجر العسقلاني، إمام حافظ محدث مورخ أديب شاعر، كثير التصـــانيف في الحديث النبوي وعلومها، وقد ترجم له السخاوي في مؤلف خاص سماه : الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر ، توفي سنة ٨٥٢هـــ . انظر : معجم المؤلفين (٢٠/٢-٢١) .

(٤) فتح الباري (٣٦٤/٦) .

(٥) انظـــر : المعرب والدخيل في اللغة العربية (ص : ١-٢)؛ والإعلام بأصول الأعلام الواردة في قصص الأنبياء عليهم السلام (ص : ١٩-٢١)؛ والمعرب للجواليقي بتحقيقه (ص : ١٠٣) .

وخلاصة هذا القول أن كلمة " آدم " اسم أعجمي، وأنه منع من الصرف للعجمة والعلمية [1].

واستشهد له بجمع آدم على " أوادم " بالواو لا " أآدم " [2]، وبتصغيره على "أويدم " لا " أأيدم " [3] ؛ لأن الجمـــع المكسر والتصغير كل واحد منهما يرد الكلمات إلى أصلها ووجود الواو في جمع التكسير وفي التصغير وعدم وجودها في أصل مادة كلمة " آدم " يشعر بأن الكلمة غير عربية .

وبقول النحاة : أسماء الأنبياء ممنوعة من الصرف إلا ستة يجمعها " صن شمله [4]" [5].

وهذا الاستشهاد فيه نظر .

أولا : لأن كلمة " أوادم " بالجمع أصلها " أآدم "، وكلمة " أويدم " بالتصغير أصلها " أُأَيدم ". اجـــتمعت همزتان متحركتان في كلمة واحدة، ووقعت الهمزة الثانية المفتوحة بعد همزة مفتوحة في " أآدم " وبعد همزة مضمومة في " أُأَيدم " ؛ أي : وقعت الهمزة الثانية بعد همزة متحركة غير مكسورة، فقلبت الهمزة الثانية واوا؛ لأن الثقل وقع بها، فصارت " أوادم " بالجمع، و" أويدم " بالتصغير [6].

فالصـــرفيون متفقون على رد الألف في " آدم " إلى أصلها، وهو الهمزة في الجمع وفي التصغير لكنه عرض للهمزة فيهما عارض أوجب قلبها واوا [7]، فالواو منقلبة عن همزة وهي موجودة في أصل مـــادة كـــلمة " آدم "، فـــاتفقت كلمة " آدم " مع جمع التكسير والتصغير في الأصل، فلا يصح الاستدلال بالواو الموجودة في جمع التكسير وفي التصغير على كون اسم " آدم " أعجميا غير عربي .

---

(١) وأيضا ممن ذهب إلى القول بأعجمية كلمة " آدم " الزمخشري في (الكشاف ٢٥٢/١)؛ وابن الأنباري في (البيان في غريب إعراب القرآن ٧٤/١)؛ والبيضاوي في (أنوار التنزيل ١٣٧/١)؛ والنسفي في (مدارك التنزيل ٧٨/١)؛ وأبو حيان في (تفسير البحر المحيط ٢٨٥/١)؛ والسمين الحلبي في (الدر المصون في علوم الكتاب المكنون ٢٦٢/١)؛ وابن الهائم المصري في (التبيان في تفسير غريب القرآن ص : ٧٤)؛ وابن عادل الدمشقي في (اللباب في علوم الكتاب ٥١٢/١)؛ وأبو السعود في (إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ٨٤/١)؛ والمحبي في (قصد السبيل فيما في اللغة العربية من الدخيل ١٣٧/١-١٣٩)؛ وعبد القـــادربن أحمـــد بدران في (جواهر الأفكار ومعدن الأسرار المستخرجة من كلام العزيز الجبار ص : ١٥٣)؛ ومحمد زكريا الكاندهلوي في (أوجز المسالك إلى موطأ مالك ٢٥٤/٢)؛ ومحي الدين الدرويش في (إعراب القرآن الكريم و بيانه ٨٠/١) .

(٢) انظـــر : قصـــد السبيل فيما في اللغة العربية من الدخيل (١٣٨/١)؛ وروح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (٢٢٣/١) .

(٣) انظر : روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (٢٢٣/١) .

(٤) تفصليه : صالح و محمد وشعيب ونوح وهود ولوط عليهم السلام .

(٥) انظر : قصد السبيل فيما في اللغة العربية من الدخيل (١٣٧/١-١٣٩) .

(٦) انظر : شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك (٢١٦/٤)؛ وتوضيح الصرف (ص : ٢٦-٣٠) .

(٧) انظر : شرح شافية ابن الحاجب (٢١٣/١) .

وثانيـــا : كون الكلمة ممنوعا من الصرف لا يلزم منه أن تكون الكلمة أعجمية لوجود كلمات كثيرة عربية ممنوعة من الصرف مع عدم العجمة فيها؛ فإن العجمة ليست هي السبب الوحيـــد لكـــون الكـــلمة ممنوعا من الصرف، وإنما هي سبب من أحد الأسباب المانعة من الصرف، فكلمة " أحمد " من أسماء النبي ﷺ ممنوعة من الصرف، وهي كلمة عربية بالاتفاق، منعها من الصرف العلمية ووزن الفعل، فالاستدلال بكون كلمة " آ دم " ممنوعا من الصرف على أعجميتها استدلال غير وجيه، ولا يخلو من النظر فيه، والله أعلم بالصواب .

القول الثاني : ذهب جماعة من أهل اللغة إلى أن كلمة " آدم " كلمة عربية [١].

والذيـــن قالوا بأنها كلمة عربية اختلفوا في بيان وزنها، وما اشتقت منه، وبيان وجه تسمية آدم عليه السلام بها على أقوال، وهي كالتالي :

١-إن كلمة " آدم " على وزن فاعَل مثل : خاتَم وطابَق وعالَم، وهو مشتق من أديم الأرض، وهو وجهها، وسمي به لأنه خلق من أدمة الأرض وترابها.

ولكـــن رد هـــذا الاشتقاق قطرب [٢] وقال : لا يصح في العربية أن يكون " آدم " مـــأخوذا من أديم الأرض؛ لأنه لو كان كذلك لكانت الهمزة الأولى أصلية والهمزة الثانية زائـــدة، وكان على وزن فاعَل بفتح العين مثل : خاتَم وعالَم وطابَق، فلم يكن يمنعه من الصرف مانع، فمن زعم أنه فاعَل من أديم الأرض فخطؤه ظاهر لعدم صرفه [٣].

---

(١) ممن ذهب من أهل اللغة إلى أن كلمة " آدم " كلمة عربية خليل بن أحمد الفراهيدي في (العين ٨٨/٨)؛ وابن جرير الطبري في (جـــامع البيان عن تأويل آي القرآن ٢١٤/١-٢١٥)؛ والزجاج في (معاني القرآن وإعرابه ١١٢/١)؛ وابن دريد في (الاشتقاق ص : ٧١)؛ والجوهري في (الصحاح ١٨٥٨/٥-١٨٥٩)؛ وابن فارس في (معجم مقاييس اللغة ٧٢/١)؛ ومكـــي بـــن أبي طالب القيسي في (مشكل إعراب القرآن ٨٧/١)؛ والجواليقي في (المعرب من كلام الأعجمي على حروف المعجم ص : ١٠٣)؛ وابن الأثير في (النهاية في غريب الحديث ٣٢/١)؛ وحسين بن أبي العز الهمذاني في (الفريد في إعراب القرآن المجيد ٢٦٧/١-٢٦٨)؛ والقرطبي في (الجامع لأحكام القرآن ٢٧٩/١ و٢٨١) وغيرهم .

(٢) هـــو محمد بن المستنير أبو علي، النحوي المعروف بقطرب، من تلامذة سيبويه والملازمين له، مات سنة ٢٠٦ هـــ . انظر : بغية الوعاة (٢٤٢/١-٢٤٣ برقم : ٤٤٤) .

(٣) ذكره عنه غير واحد، انظر : الزاهر في معاني كلمات الناس (٤٨٩/١)؛ وتفسير مبهمات القرآن (١٤٢/١) وانظر أيضا : تفسير البحر المحيط (٢٨٥/١)؛ والتبيان في تفسير غريب القرآن (ص : ٧٤)؛ والدر المصون في علوم الكتاب المكنون (٢٦٢/١)؛ واللباب في علوم الكتاب (٥١٢/١) .

٢- إن كـــلمة " آدم " على وزن " أفعل "، وأصله " أأدم " بهمزتين، اجتمع في كلمة همـــزتان في غـــير موضـــع العـــين مثل : سئّال، وتحركت أولاهما وسكنت ثانيتهما وجب الـــتخفيف، وذلك بإبدال الثانية مدة تجانس حركة الأولى، فقلبت الهمزة الثانية الساكنة ألفا لسكونها وانفتاح ما قبلها، فصار" آدم " نحو : " آخر " و " آدر "، وأصله " أأخر" و " أأدر" فقلبوا الهمزة الثانية الساكنة ألفا لسكونها و انفتاح ما قبلها [١].

والذيـــن قالوا بأن كلمة " آدم " على وزن " أفعل " اختلفوا في بيان ما اشتقت منه، وسبب تسمية آدم بها على ثلاثة أقوال :

أ- إن آدم مشتق من أديم الأرض لكنه ليس على وزن فاعَل بل هو على وزن أفْعَلَ، دخـــلت الهمـــزة الزائدة على الهمزة الأصلية كما تدخل على همزة الأدمة، فكما أن أول الأدمـــة همزة أصلية فكذلك أول الأديم همزة أصلية، فلا يمتنع أن يبنى منه " أفعل " فيكون غير منصرف كما يقال : رجل أَعْيَنُ وأَرْأس من العين والرأس، وأَسْوَقُ وأَعْنَقُ من الساق والعنق، ويكون ممنوعا من الصرف لوزن الفعل والعلمية [٢].

وهذا التوجيه فيه نظر لأمرين :

الأمـــر الأول : الأصـــل في صيغة أفعل الدلالة على الوصف، وعلى القول باشتقاق كـــلمة " آدم " مـــن أديم الأرض وهو وجهها ليس فيها من معنى الصفة شيء [٣] إلا أن يدخل فيها معنى اللون ؛ أي اللون المشبه بالتراب [٤] .

والأمـــر الثاني : من شروط صيغة أفعل الدالة على الوصف أنها لا تصاغ إلا مما له فعل ثلاثي تام متصرف، وصياغتها من غيرها معدود في الشذوذ [٥] .

---

(١) انظـــر : الصحاح (٥/١٨٥٨-١٨٥٩)؛ والبيان في غريب إعراب القرآن (ص : ٧٤)؛ وشرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك(٤/٢١٦)؛ وفتح القدير (١/٦٤) .

(٢) انظر : الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية (١/١٤)؛ وتفسير مبهمات القرآن (١/١٤٢)؛ وفتح الباري (٦/ ٣٦٤) .

(٣) انظر : مشكل إعراب القرآن (١/٨٧) .

(٤) من إفادات شيخي الدكتور / عبد الرزاق الصاعدي - حفظه الله - .

(٥) انظر : شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك (٣/١٧٤-١٧٥)؛ وشذا العرف في فن الصرف (ص : ٧٨-٧٩)؛ وتوضيح الصرف (ص : ٤٣) .

ولذلـــك عـــد السهيلي [1] القول باشتقاق آدم من أدم الأرض على وزن أفعل من المخالفة لقول السلف الذين هم أعلم بالعربية و أفصح لسانا و أذكى جنانا [2].

ب- إن كلمة آدم مشتق من الأدمة في اللون، وسمي بها آدم عليه السلام لأدمة جعلها الله فيه [3].

واختلفوا في بيان معنى الأدمة فزعم الضحاك أنها السمرة فآدم يكون معناه أسمر، وزعم النضر بن شميل [4] أنها البياض، وأن آدم عليه السلام كان أبيض أخذا من قولهم : ناقة أدماء : إذا كانت بيضاء [5].

ويـــرى أبن دريد [6] أن اللغة تحتمل الاثنين فقال : (إنه مشتق إما من قولهم : رجل آدم بيِّـــنَ الأدمـــة وهي سمرة كدرة، أو من قولهم : ظبي آدم، والآدم من الظباء : الطويل القوائم و العنق الناصع بياض البطن ...)[7] .

وعلى هذا القول أيضا لا ينصرف لوزن الفعل والعلمية .

ج- ويجـــوز أن يكـــون " آدم " مأخوذا من قولهم : أدمت بين الشيئين إذا خلطت بينهما، وسمي به " آدم " أبو البشر عليه السلام؛ لأنه خلق من عناصر مختلفة وقوى متفرقة، حيث كان ماء و ترابا خلطا جميعا، ثم نفخ فيه الروح، وجعل له العقل و الفهم [8].

٣- إن كـــلمة آدم على وزن " أفْعَل " من باب إفعال ؛ أي : آدم يودم إيداما، فآدم ليس بصـــيغة وصـــف، و إنما هو فعل ماض رباعي بالزيادة، سمي به أبو البشر، كما سمي أحمد من الإحماد، وأسعد من الإسعاد؛ فلذلك لم يجر، ويكون تأويله حينئذ آدم الملك الأرض يعني به أبلغ

---

(١) هـــو عـــبد الـــرحمن بن عبد الله بن أحمد أبو زيد وأبو القاسم الخثعمي السهيلي، كان عالما بالعربية واللغة والقراءات، توفي سنة ٥٨١هـ انظر: بغية الوعاة (٨١/٢ برقم : ١٤٩١) .

(٢) انظر : الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية (١٤/١) .

(٣) انظر : مشكل إعراب القرآن (٨٧/١)؛ وزاد المسير (٦٢/١) .

(٤) النضر بن شميل المازني، النحوي البصري، مات سنة ٢٠٤هـ. انظر : تقريب التهذيب (ص : ٥٦٢ برقم : ٧١٣٥) .

(٥) انظر : الجامع لأحكام القرآن (٢٧٩/١)؛ واللباب في علوم الكتاب (٥١٢/١) .

(٦) أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، من كبار أئمة اللغة، توفي سنة ٣٢١هـ . انظر : بغية الوعاة (٧٦/١ برقم : ١٣٠) .

(٧) الاشتقاق (ص : ٧١) .

(٨) انظر : الزاهر في معاني كلمات الناس (٤٨٩/١)؛ ومفردات ألفاظ القرآن : (ص : ٧٠)؛ وفتح الباري (٦/ ٣٦٤) .

أدمتها، ثم نقل من الفعل، فجعل اسما للشخص بعينه . هذا ما ذهب إليه ابن جرير الطبري [1]، ولكن استبعده أبو حيان [2] وابن الهائم [3].

والصواب : إن أبا البشر آدم ﷺ سمي بهذا الاسم قبل أن توجد هذه اللغات إذ سماه الله سبحانه وتعالى بهذا الاسم قبل أن ينزله إلى الأرض، واللغات التي يتكلم بها الناس وجدت بعد ذلك؛ فالله أعلم حقيقة كلمة آدم الذي سمي به أبو البشر في عالم الغيب ولكن نحن نبحث عن هذه الكلمة التي بينها الله تعالى في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ - فعندما ننظر إليها حسب قواعد اللغة العربية وضوابطها فيترجح لدينا أن أصل هذه الكلمة أعجمية ثم أنها وقعت للعرب فعربتها بألسنتها وحولتها من ألفاظ العجم إلى ألفاظها فصارت عربية فهي قبل التعريب كانت أعجمية، وبعد التعريب أصبحت عربية [4]، وكذلك يمكن أن تكون كلمة " آدم " التي هي موضع بحثنا هنا من الكلمات التي توافقت عليها اللغات العبرية والسريانية والعربية، فإن آدم ﷺ أبو البشر جميعا، وكونهم يتفقون على اسمه ليس ببعيد، والله أعلم .

---

(١) انظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن (٢١٤/١-٢١٥) .

(٢) انظر : تفسير البحر المحيط (٢٨٥/١)، وأبو حيان هو محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الأندلسي، الغرناطي، الحياني، الشهير بأبي حيان، إمام في القراءة والتفسير والنحو والتصريف، كانت وفاته بمصر سنة ٧٤٥هـ . انظر : الدرر الكامنة (٤/ ٣٠٢)؛ والتفسير والمفسرون (٣١٧/١) .

(٣) انظر : التبيان في تفسير غريب القرآن (ص : ٧٤)، وابن الهائم هو أحمد بن محمد بن عماد، أبو العباس القرافي المصري ثم القدسي الشافعي، يعرف بابن الهائم، مات سنة ٨١٥هـ . انظر : طبقات المفسرين (ص : ٣١١ برقم : ٣٩٤) .

(٤) انظر : جمهرة اللغة (٢٥٨/٢)؛ والكشاف (٣١٨/٥ ، الزمر : ٦٣)؛ والمعرب من الكلام الأعجمي على الحروف المعجم (ص : ٩٢)؛ والمهذب فيما وقع في القرآن من المعرب (ص : ٦٥)؛ وقصد السبيل فيما في اللغة العربية من الدخيل (١٣٨/١)؛ وروح المعاني (٢٢٣/١) .

الفصل الأول : خلق آدم عليه السلام وبيان أصل الإنسان في ضوء الكتاب والسنة، وفيه تسعة مباحث.

المبحث الأول : خلق الله تعالى آدم عليه السلام بيده.

المبحث الثاني : وقت خلق آدم عليه السلام .

المبحث الثالث : مكان خلق آدم عليه السلام .

المبحث الرابع : مادة خلق آدم عليه السلام ومراحل خلقه.

المبحث الخامس : نفخ الروح في آدم عليه السلام .

المبحث السادس : كلام الله عز و جل مع آدم عليه السلام وإثبات صفة الكلام لله تعالى من خلال النصوص المتعلقة بآدم عليه السلام.

المبحث السابع : صفات آدم عليه السلام، والكلام على حديث : ((إن الله خلق آدم على صورته)) .

المبحث الثامن : الأسماء التي علمها الله تعالى آدم عليه السلام، والتي كان يتكلم بها آدم عليه السلام .

المبحث التاسع : خلق زوج آدم عليه السلام .

المبحث الأول : خلق الله تعالى آدم عليه السلام بيده . وفيه مطلبان :

المطلب الأول : الأدلة على خلق الله تعالى آدم عليه السلام بيده .

إن الله تعالى خلق أبا البشر آدم عليه السلام، وخصه بفضائل وميزات لم يشاركه فيها أحد من بنيه، ومن أول تلك المميزات والخصائص التي اختص بها آدم عليه السلام : أن الله تبارك وتعالى كرمه بخلقه بيديه . وقد بين الله ذلك في كتابه المبين وعلى لسانه رسوله الكريم، واعتقده المؤمنون بالله ورسوله من الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، ومن كفر به وجحده وأنكره فقد كفر بالقرآن العظيم، ورد السنة النبوية، وخالف الأمة المحمدية [1].

الدليل من الكتاب :

قال الله تعالى : ﴿ قال يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي أستكبرت أم كنت من العالين ﴾ [2] . فالله سبحانه وتعالى عاتب إبليس على عدم امتثال أمره بالسجود لآدم عليه السلام الذي شرفه الله وكرمه بخلقه بيديه تعالى .

الأدلة من ا لسنة :

لقد جاءت السنة موافقة لكتاب الله، ومقررة لما بينه الله في الكتاب، فقد جاء في كثير من الأحاديث النبوية ما يبين أن الله تعالى خلق آدم عليه السلام بيده، وأن الله جعل ذلك خاصة بآدم دون غيره من البشر، وأكتفي بذكر ثلاثة أحاديث منها :

١- عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : يجتمع المؤمنون يوم القيامة فيقولون : لو استشفعنا إلى ربنا، فيأتون آدم، فيقولون : أنت أبو الناس، خلقك الله بيده، وأسجد لك ملائكته، وعلمك أسماء كل شيء، فاشفع لنا عند ربك حتى يريحنا من مكاننا هذا. فيقول : لست هناكم [3]،

---

(١) انظر : الشريعة (٣/١١٧٨) .

(٢) ص الآية : ٧٥

(٣) لست هناكم؛ أي : لست أهلا لذلك . انظر : شرح النووي على صحيح مسلم (١/٥٥) .

ويذكر ذنبه فيستحي، ائتوا نوحا فإنه أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض . . .الحديث [١] .

٢- وعـــن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : احتج آدم وموسى عليهما السـلام عند ربهما، فحج آدم موسى قال موسى : أنت آدم الذي خلقك الله بيده، ونفـخ فيـك من روحه، وأسجد لك ملائكته، وأسكنك في جنته، ثم أهبطت الناس بخطيئتك إلى الأرض ؟ فقال آدم : أنت موسى الذي اصطفاك الله برسالته، وبكلامه، وأعطاك الألواح فيها تبيان كل شيء، وقربك نجيا، فبكم وجدت الله كتب التوراة قبل أن أخلق ؟ قال موسى : بأربعين عاما . قال آدم : فهل وجدت فيها وعصى آدم ربه فغـوى ؟ قال : نعم قال : أفتلومني على أن عملت عملا كتبه الله على أن أعمله قبل أن يخلقني بأربعين سنة ؟ قال رسول الله ﷺ : فحج آدم موسى [٢] .

٣- وعن أبي هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ قال : خلق الله آدم يوم الجمعة بيده، ونفخ فيه من روحه، وأمر الملائكة أن يسجدوا له فسجدوا له إلا إبليس،كان من الجن ففسق عن أمر ربه [٣] .

---

(١) أخرجه خ (ب : قول الله : ﴿ وعلمآدمالأسماءكلها ﴾ [البقرة : ٣١] ١٦٢٤/٤ ح : ٤٢٠٦)، واللفظ له؛ و م (الإيمان، ب : أدنى أهل الجنة منزلة فيها ١٨٠ ح : ١٩٣) .

(٢) أخـــرجه خ (التفسير ، ب : قوله : ﴿ واصطنعتكلنفسي ﴾ [طه : ٤١] ١٧٦٤/٤ ح : ٤٤٥٩)؛ و م (القدر ب : حجاج آدم وموسى عليهما السلام ٢٠٤٣/٤ ح : ٢٦٥٢)؛ واللفظ له .

(٣) أخـــرجه أبو نعيم الأصبهاني في " المسند المستخرج على صحيح الإمام مسلم (ب : في فضل يوم الجمعة ٤٤٤/٢ ح : ١٩٢٣) بإســـنادين : **أولهما** : حدثنا أبو عمرو بن حمدان ثنا الحسن بن سفيان، وبه يلتقي مع شيخ الإمام مسلم قتيبة بن ســـعيد. **والإسناد الثاني** : ثنا أبو حفص الخطابي، ثنا أبو مسلم الكشي، ثنا الحجبي ، وبه يلتقي مع شيخ شيخ الإمام مسلم المغـــيرة بن عبد الرحمن . ورجال الإسنادين ثقات أثبات بدور وأقمار . **أبو عمرو بن حمدان** هو محمد بن أحمد بن حمدان الحيري انظر ترجمته في : المقتنى في سرد الكنى (٤٣٦/١ برقم : ٤٧٤١)؛ وميزان الاعتدال (٤٥٧/٣ برقم : ٧١٤١)؛ ولسان الميزان (٣٨/٥ برقم : ١٢٧) . **والحسن بن سفيان** هو ابن عامر أبو العباس الشيباني الخراساني . انظر ترجمته في : الجرح و التعديل (١٦/٣ برقم : ٦٠)؛ وسير أعلام النبلاء (١٥٧/١٤) . **وأبو حفص الخطابي** هو فاروق بن عبد الكبير بن عمر . انظر ترجمته في : سير إعلام النبلاء (١٤٠/١٦) . **وأبو مسلم الكشي** هو إبراهيم بن عبد الله بن مسلم المعروف بالكجي وبالكشي . انظر ترجمته في : تاريخ بغداد (١٢٠/٦-١٢٤)؛ وسير أعلام النبلاء (٤٢٣/١٣) . **والحَجَبي** هو عـــبد الله بن عبد الوهاب أبو محمد . انظر ترجمته في : الجرح و التعديل (١٠٦/٥ برقم : ٤٨٦)؛ وسؤالات أبي عبيد الآجـــري (٢٣١/٣ برقم : ٢٨٠)؛ والثقات لابن حبان (٣٥٣/٨ برقم : ١٣٨٣٧)؛ والكاشف (٥٧٠/١ برقم : ٢٨٣٤)؛ وتقريب التهذيب (ص : ٣١٢ برقم : ٣٤٤٩) والحديثان قبلهما يشهدان له فهو صحيح والله أعلم بالصواب.

دليل الإجماع : اتفق المسلمون كلهم على أن الله تعالى خلق آدم عليه السلام بيده .

قـال الآجـري [1] : (يقال للجهمي الذي ينكر أن الله خلق آدم عليه السلام بيده : كفرت بالقرآن، ورددت السنة، وخالفت الأمة) [2].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : (إن الله تعالى خلق آدم عليه السلام بيده كما ذكر ذلك في الكـتاب والسـنة ... وهذا يقوله جميع من يدعى الإسلام سنيهم ومبتدعهم بل وعليه أهل الكتاب) [3] .

من أقوال السلف الصالح :

لقد ثبت أن الله تعالى خلق آدم عليه السلام بيده كما سبقت الأدلة على ذلك في ضوء الكتاب والسنة وإجماع الأمة . لذلك جاءت أقوال كثيرة من السلف الصالح، منبثقة من نور الوحي، فيها إيمان وإقرار وبيان وتوضيح بأن الله تعالى خلق آدم عليه السلام بيده، وأكتفي بذكر بعض منها :

قال عبد الله بن عمر – رضي الله عنهما – : خلق الله عز وجل أربعـة أشياء بيده : آدم عليه السلام، والقلم، والعرش، وجنات عدن . ثم قال لسائر الخلق : كن فكان [4].

وقال كعب الأحبار [5]: لم يخلق الله بيده غير ثلاث : خلق آدم عليه السلام بيده، وكتب التوراة بيده، وغرس جنة عدن بيده، ثم قال لها : تكلمي . قالت : ﴿ قد أفلح المؤمنون ﴾ [6][7].

---

(١) محمـد بن الحسين بن عبد الله أبو بكر الآجري، قال عنه الخطيب : (كان ثقة صدوقا دينا)، وقال الذهبي : (كان صدوقا خيرا عابدا صاحب سنة و اتباع)، توفي بمكة سنة ٣٦٠هـ . انظر : تاريخ بغداد (٢/٢٤٣)؛ وسير إعلام النبلاء (١٦/١٣٣) .

(٢) الشريعة (٣/١١٧٨) .

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٤/٣٦٥) .

(٤) أخرجه الدارمي في الرد على بشر المريسي (ص : ٣٥)؛ والآجري في الشريعة (٣/١١٨٢-١١٨٣ برقم : ٧٥٦)؛ وأبو الشيخ في العظمة (٥/١٥٥٥-١٥٥٦ برقم : ١٠١٨)؛ واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٣/٤٢٩ برقم : ٧٢٩)؛ والبيهقي في الأسماء و الصفات(٢/١٢٦ برقم : ٦٩٣)؛ وكم (التفسير، سورة الأعراف، ب : خلق الله أربعة أشياء بيده ٢/٣١٩) وقال : (هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه) ووافقه الذهبي، وقال في (العلو للعلي الغفار ص : ٨٢ برقم : ١٨٥) : (إسناده جيد)؛ وصححه الألباني في (مختصر العلو ص : ١٠٥ برقم : ٥٣) على شرط مسلم .

(٥) كعب بن ماتع الحميري، أبو إسحاق، المعروف بكعب الأحبار، ثقة مخضرم، مات في آخر خلافة عثمان رضي الله عنه، وقد زاد على المائة . انظر : تقريب التهذيب (ص : ٤٦١ برقم : ٥٦٤٨) .

(٦) المؤمنون الآية : ١

(٧) أخرجه الدارمي في الرد على بشر المريسي (ص : ٣٥)؛ والآجري في الشريعة (٣/١١٨٥ برقم : ٧٥٩)، وصحح الألباني إسناده في مختصر العلو (ص : ١٣٠ ضمن كلامه على الأثر برقم : ١٠٤) .

وقـــال حكيم بن جابر [1]: أخبرت أن ربكم عز وجل لم يمس إلا ثلاثة أشياء : غرس الجنة بيده، وخلق آدم عليه السلام بيده، وكتب التوراة بيده [2].

وقـــال ميسرة [3] : إن الله لم يمس شيئا من خلقه غير ثلاث : خلق آدم عليه السلام بيده، وكتب التوراة بيده، وغرس جنة عدن بيده [4].

---

(١) حكيم بن جابر بن طارق بن عوف الأحمسي، ثقة، مات في آخر إمارة الحجاج سنة ٨٢هـــ.، وقيل : سنه ٩٥هـــ، وقيل غير ذلك . انظر : تهذيب التهذيب (٥٨٥/١ برقم : ١٧٣٤)؛ وتقريب التهذيب (ص : ١٧٦ برقم : ١٤٦٧) .

(٢) أخـــرجه الآجري في الشريعة (١١٨٣/٣ برقم : ٧٥٧)؛ وعبد الله بن الإمام أحمد في السنة (٢٩٥/١ برقم : ٥٧٠)؛ وأبو بكر النجاد في الرد على من يقول القرآن مخلوق (ص : ٦٧ برقم : ٩٨)؛ وذكره الذهبي في العلو للعلي الغفار (ص : ١٢٥ ح : ٣٣١)، وصححه الذهبي في الأربعين (ص :٨٠ برقم : ٧٧)؛ والألباني في مختصر العلو (ص : ١٣٠ برقم : ١٠٤) .

(٣) ميســـرة أبـــو صالح، مولى كندة، مقبول، ذكره الحافظ ابن حجر في الطبقة الثالثة ، يعني الطبقة الوسطى من التابعين . انظر : تقريب التهذيب (ص : ٤٢ و ص : ٥٥٥ برقم : ٧٠٤٠) .

(٤) أخرجه الدارمي في الرد على بشر المريسي (ص : ٣٥)؛ وقال الشيخ الألباني في (مختصر العلو ص : ١٣٠ ضمن تعليقه على الأثر برقم : ١٠٤) : (رجاله ثقات) .

المطلب الثاني : إثبات صفة اليد لله تعالى كما يليق به، وبيان موقف الطوائف المخالفة منها والرد عليها .

أولا : بيان ثبوت صفة اليد لله تعالى كما يليق بجلاله وعظمته :

إن صفة اليد ثابتة لله تعالى على الصفة التي تليق به تعالى، وقد ورد ذكر صفة اليد لله تعالى في القرآن والسنة وكلام الصحابة والتابعين في أكثر من مائة موضع ورودا متنوعا، متصرفا فيه، مقرونا بما يدل على أنها يد حقيقية [1]. وقد تقدم ذكر بعض ما يبين ثبوت صفة اليد لله تعالى من الكتاب والسنة وإجماع الأمة وأقوال السلف الصالح في المطلب السابق عند ذكر الأدلة على خلق الله تعالى آدم عليه السلام بيده . وهنا أذكر بعض الأدلة الأخرى غير المذكورة، الدالة على ثبوت صفة اليد لله تعالى كما يليق بجلاله وعظمته .

الأدلة من الكتاب :

- قال تعالى : ﴿ وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء ﴾ [2].

فالله تعالى أنكر على اليهود نسبة يده إلى النقص والعيب، ولم ينكر عليهم إثبات اليد له تعالى، ولعنهم على وصف يده بالعيب دون إثبات يده بل رد عليهم، وبين أنها يدان مبسوطتان؛ فليس كما زعموا [3].

- وقال تعالى : ﴿ قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير ﴾ [4] وقال تعالى : ﴿ قل إن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم ﴾ [5] وقال تعالى : ﴿ تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير ﴾ [6].

---

(١) انظر : مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة (١٧٠/٢) .

(٢) المائدة الآية : ٦٤

(٣) انظر : مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة (١٥٨/٢) .

(٤) آل عمران الآية : ٢٦

(٥) آل عمران الآية : ٧٣

(٦) الملك الآية : ١

فهذه الآيات مشتملة على شيئين : **أحدهما** : إثبات اليد .

والآخر : إضافة الملك والعمل إليها . وهذا يقع فيه التجوز كثيرا، أما الأول فإنه لايطلق هـــذا الكلام إلا لجنس له يد حقيقة؛ ولا يقولون يد الهواء ولا يد الماء، فهب أن قوله : ﴿ بيده الملك ﴾ قد علم أن المراد منه بقدرته، لكن لا يتجوز بذلك إلا لمن له يد حقيقة [1].

● وقـــال تعالى : ﴿ وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون ﴾ [2] .

وقـــد جاء تفسير الآية وبيانها عن أعلم الخلق بالله، و أعرف الخلق بمراد الله تعالى؛ فعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال : جاء حبر إلى النبي ﷺ فقال : يا محمد أو يا أبا القاسم، إن الله تعـــالى يمسك السماوات يوم القيامة على إصبع، والأرضين على إصبع، والجبال والشجر على إصـــبع، والماء والثرى على إصبع، وسائر الخلق على إصبع، ثم يهزهن، فيقول : أنا الملك ! أنا الملك ! فضحك رسول الله ﷺ تعجبا مما قال الحبر تصديقا له ! ثم قرأ ﴿ وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون ﴾ [3] .

فالقـــبض، والطي، والإمساك، والهز، والإصبع، واليمين، هذه كلها من صفات اليد الحقيقية، ولا تحتمل غيرها بوجه من الوجوه .

الأدلة من السنة :

عن أبي هريرة ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : يقبض الله الأرض، ويطوي السماوات بيمينه، ثم يقول : أنا الملك ! أين ملوك الأرض ؟ [4].

---

(١) انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٣٧٠/٦)؛ ومختصر الصواعق المرسلة ... (١٥٩/٢-١٦٢) .

(٢) الزمر الآية : ٦٧

(٣) الحديـــث أخرجه خ (التفسير، سورة الزمر، ب : ﴿ وما قدروا الله حق قدره ﴾ [الزمر : ٦٧] ١٨١٢/٤ح : ٤٥٣٣)؛ و م (صفة القيامة والجنة والنار ٢١٤٧/٤ ح : ٢٧٨٦)؛ واللفظ له .

(٤) أخـــرجه خ (التفسير، سورة الزمر، ب : قوله : ﴿ والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه ﴾ [الزمر : ٦٧] ١٨١٢/٤ح : ٤٥٣٤)، واللفظ لـــه؛ و م (صفة القيامة والجنة والنار ٢١٤٨/٤ ح : ٢٧٨٧) .

وعن عبد الله بن عمر – رضي الله عنهما – قال : قال رسول الله ﷺ : يطوي الله عــز وجــل الســماوات يوم القيامة، ثم يأخذهن بيده اليمنى، ثم يقول : أنا الملك ! أين الجــبارون ؟ أيــن المتكــبرون ؟ ثم يطوي الأرضين بشماله، ثم يقول : أنا الملك ! أين الجبارون؟ أين المتكبرون ؟ [١].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : تكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة، يتكفؤها الجبار بيده كما يكفأ أحدكم خبزته في السفر؛ نزلا لأهل الجنة ... الحديث [٢].

وعن عبد الله بن عمر – رضي الله عنهما – قال : رأيت رسول الله ﷺ على المنبر وهو يقول : يأخذ الله عز وجل سماواته وأرضيه بيديه، فيقول : أنا الله ! ويقبض أصابعه، ويبسطها، أنا الملك ! [٣].

وعــن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : لما خلق الله آدم، ونفخ فيه الروح عطــس فقال : الحمد لله؛ فحمد الله بإذنه، فقال له ربه : يرحمك الله يا آدم ! اذهب إلى أولــئك الملائكة – إلى ملإ منهم جلوس– فقل : السلام عليكم . قالوا : وعليك السلام ورحمــة الله، ثم رجــع إلى ربه، فقال : إن هذه تحيتك وتحية بنيك بينهم . فقال الله له – ويــداه مقبوضــتان – : اختر أيهما شئت . قال: اخترت يمين ربي، وكلتا يدي ربي يمين مباركة، ثم بسطها فإذا فيها آدم وذريته ... الحديث [٤].

---

(١) أخرجه م (صفة القيامة والجنة والنار ٢١٤٨/٤ ح : ٢٧٨٧) .

(٢) أخرجه خ (الرقاق ، ب : يقبض الله الأرض يوم القيامة ٢٣٨٩/٥ ح : ٦١٥٥)؛ و م (صفة القيامة والجنة والنار، ب : نزل أهل الجنة ٢١٥١/٤ ح : ٢٧٩٢) .

(٣) أخرجه م (صفة القيامة والجنة والنار ٢١٤٨/٤-٢١٤٩ ح : ٢٧٨٨) .

(٤) أخرجه ت (أبواب التفسير ، الباب الذي يلي سورتي المعوذتين ٤٥٣/٥ ح : ٣٣٦٨)، واللفظ له ؛ وابن أبي عاصم في السنة (ب: ذكر أخذ ربنا الميثاق من عباده ٩١/١ ح :٢٠٦)؛ وحب كما في الإحسان (التاريخ، ب : بدء الخلق ٤٠/١٤-٤١ ح : ٦١٦٧)؛ وكم (الإيمان ب : قصة خلق آدم... ٦٤/١)؛ والبيهقي في السنن الكبرى (ب : الإختبار في الإشهاد ١٤٧/١٠ ح : ٢٠٣٠٧) قــال الترمذي : (هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه ، وقد روي من غير وجه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ)، وقــال الحــاكم : (هــذا حديث صحيح على شرط مسلم) ووافقه الذهبي ؛ وقال الألباني في صحيح سنن الترمذي (٣٨١/٣ ح :٣٣٦٨) : (حســن صحيح)؛ وقال في تعليقه على السنة لابن أبي عاصم : (إسناده حسن) ؛ وقال الشيخ عبد العزيز بن عبد الرحمن العثيم في كتابه (أخذ الميثاق ... ص : ١٩ ح :٢) بعد دراسة وافية : صحيح لغيره .

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ سئل عن هذه الآية ﴿ وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ﴾ [1] فقـال رسول الله ﷺ : إن الله عز وجل خلق آدم، ثم مسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذرية فقال : خلقت هؤلاء للجنة وبعمل أهل الجنة يعملون ، ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية ، فقال : خلقت هؤلاء للنار وبعمل أهل النار يعملون ...الحديث [2] .

وعـن أبي الـدرداء رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : خلق الله آدم حين خلقه فضرب كتفه اليمنى فأخرج ذرية بيضاء كأنهم الذر، وضرب كتفه اليسرى فأخرج ذرية سوداء كأنهم الحمم، فقال للذي في يـمينه : إلى الجنة ولا أبالي . وقال للذي في كفه اليسرى : إلى النار ولا أبالي)) [3] .

فهـذه الأحـاديث الثابتة عن رسول الله ﷺ تبين ثبوت صفة اليد الحقيقية لله تعالى كما يليق بجلالـه وعظمـته، ولا تحـتمل التأويل بحال من الأحوال؛ فإن القبض، والأخذ، والمسح، والطي، والبسط، والإصبع، والكف، واليمين، والشمال كلها من صفات اليد الحقيقية، فلا يصح حمل اليدين الثابتتين لله تعالى في ضوء النصوص الثابتة من الكتاب والسنة وإجماع الأمة إلا على اليد الحقيقية .

من أقوال السلف :

قال عكرمة : قوله تعالى : ﴿ بل يداه مبسوطتان ﴾ قال : يعني اليدين .

---

(1) الأعراف الآية : ١٧٢

(2) أخرجه د (السنة ، ب : في القدر ٤/٢٢٦ ح : ٤٧٠٣)، واللفظ له؛ و ت (التفسير ، سورة الأعراف ٥/ ٢٦٦ ح :٣٠٧٥) وقال : (هذا حديث حسن ومسلم بن يسار لم يسمع من عمر، وقد ذكر بعضهم في هذا الإسناد بين مسلم بن يسار وبين عمر رجلا مجهولا)؛ و حب (ذكر إخراج الله جل و علا من آدم ذريته ... ١٤/٣٧ ح : ٦١٦٦)؛ و كم (التفسير ، ب : ذكر الميثاق من الناس جميعا ... ٢/٣٢٤-٣٢٥) وقال : (صـحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه)، ووافقه الذهبي ، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣/١٥٠ ح : ٤٧٠٣)، وقـال الشيخ عبد العزيز بن عبد الرحمن العثيم في " أخذ الميثاق " (ص : ١٤ ح : ١) بعد دراسة وافية : (حديث حسن) ،وسيأتي تفصيل مزيد عن هذا الحديث في (ص : ٦٠٦-٦٠٧) .

(3) أخرجه حم (٤٥/٤٨١ ح : ٢٧٤٨٨)، واللفظ له؛ والبزار كما في (كشف الأستار ٣/٢١ ح : ٢١٤٤)؛ وابن عساكر في (تاريخ مدينة دمشق ٧/٣٩٧ في ترجمة آدم برقم : ٥٧٨) قال البزار : (لا نعلمه يروى بهذا اللفظ إلا بهـذا الإسناد، وإسناده حسن). وقال الهيثمي في (مجمع الزوائد ٧/١٨٥) : (رواه أحمد والبزار والطبراني ورجاله رجال الصحيح) . وقال البوصيري في (إتحاف الخيرة المهرة ١٠/٥١٦ ح : ١٠٢٧٢) : (رواته ثقات) . وقال الألباني في (سلسلة الأحاديث الصحيحة ١/١١٤ ح : ٤٩) : " إسناده صحيح " .

وقال نافع بن عمر الجمحي [1] : سألت ابن أبي مليكة [2] عن يد الله تعالى واحدة أو اثنتان ؟ قال : بل اثنتان .

وقال عاصم الجحدري [3] قوله تعالى : ﴿ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي﴾ قال : بيديه [4].

وقال الإمام أبو حنيفة : (ولا يقال إن يده قدرته أو نعمته لأن فيه إبطال الصفة، وهو قول أهل القدر والاعتزال، ولكن يده صفة بلا كيف)[5].

وقال الإمام أحمد : (قلب العبد بين أصبعين، وخلق آدم بيده، وكل ما جاء الحديث مثل هذا قلنا به) [6].

قال أبو الحسن الأشعري [7] : (وأجمعوا على أنه عز وجل يسمع ويرى، وأن له تعالى يدين مبسوطتين، وأن الأرض جميعا قبضته يوم القيامة، والسماوات مطويات بيمينه) [8] .

قال أبو بكر الإسماعيلي [9] : (وخلق آدم بيده، ويداه مبسطتان ينفق كيف يشاء بلا اعتقاد كيف يداه ؛ إذ لم ينطق كتاب الله تعالى فيه بكيف) [10] .

---

(١) نافع بن عمر بن جميل الجُمَحي المكي، ثقة ثبت، مات سنة ١٦٩هـ . انظر : تقريب التهذيب (ص : ٥٥٨ برقم : ٧٠٨٠).

(٢) عبد الله بن عبيد الله بن عبد الله بن أبي مليكة، بالتصغير، التيمي المدني، أدرك ثلاثين من الصحابة، ثقة فقيه، مات سنة ١١٧هـ. انظر : تقريب التهذيب (ص : ٣١٢ برقم : ٣٤٥٤) .

(٣) عاصم بن العجاج الجحدري البصري، أبو المجشر المقرئ، وهو عاصم بن أبي الصباح، أخذ عنه جماعة قراءة شاذة، فيها ما ينكر . انظر : ميزان الاعتدال (٣٥٤/٢ برقم : ٤٠٥٧) .

(٤) هذا الآثار الثلاثة أخرجها الدارمي في الرد على بشر المريسي (ص : ٣٨). قال شيخنا الدكتور منصور بن عبد العزيز السماري في تحقيقه للكتاب المذكور (ص : ١٢٢-١٢٣) بأنها صحيحة متصلة الأسانيد إلى أصحابها .

(٥) الفقه الأكبر المنسوب إلى أبي حنيفة مع شرحه "الشرح الميسر " لمحمد الخميس (ص : ٤٢) .

(٦) المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد في العقيدة (٣٠٧/١) .

(٧) علي بن إسماعيل بن إسحاق، ينتهي نسبه إلى أبي موسى الأشعري ، كان معتزليا، ثم رجع إلى مذهب ابن كلاب، ثم من الله عليه بالرجوع إلى مذهب السلف، توفي سنة ٣٢٤هـ انظر : تاريخ بغداد (٣٤٦/١١)؛ ومجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٢٢٨/٣ و ٧٢/٤) .

(٨) رسالة إلى أهل الثغر (ص : ٢٢٥-٢٢٦) .

(٩) أبو بكر أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل الجرجاني الإسماعيلي، قال عنه الذهبي : الإمام الحافظ الحجة شيخ الإسلام، مات سنة ٣٧١هـ . انظر : سير أعلام النبلاء (٢٩٢/١٦) .

(١٠) اعتقاد أئمة أهل الحديث (ص : ٥١) .

وقـــد حكى الإجماع عن أهل السنة على ذلك قوام السنة أبو القاسم التيمي [1] فقال : (ومذهب أهل السنة إثبات ما أثبت الله لنفسه من الوجه واليد وسائرما أخبر الله به عن نفسه، وليس قولنا : أن لله وجها ويدا موجبا تشبيهه بخلقه أصلا بل كل ما أخـــبر به عن نفسه فهو حق، وقوله الحق، نقول ما قال، ولا نزيد شيئا، وحسبنا الله ونعم الوكيل)[2].

فأهل السنة والجماعة يعتقدون بثبوت يدين لله تعالى، وأنهما صفتان من صفات ذاته كمـــا يليق بالله جل جلاله و يصلح لذاته سبحانه، وأن حكمها حكم جميع صفاته من حياته، وعلمه، وقدرته، وإرادته، وكلامه، فيثبتون جميع صفاته التي أثبتها لنفسه في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ إثباتا بلا تمثيل، وتتريها بلا تعطيل على وفق قوله تعالى : ﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴾ [3] [4] .

ثانيا : بيان موقف الطوائف المخالفة من إثبات صفة اليد لله تعالى والرد عليها :

لقـــد خالف أهلَ السنة والجماعة في إثبات صفة اليد لله تعالى كما يليق به سبحانه طائفتان : طائفة بالغت في الإثبات حتى وقعت في القول بالتشبيه، وطائفة بالغت في التتريه فرارا من التشبيه حتى وقعت في التعطيل .

---

(١) إسماعيل بن محمد بن الفضل الملقب بقوام السنة، قال عنه أبو موسى المديني : كان قدوة أهل السنة في زمانه . توفي بسنة ٥٣٥هـــ . انظر : سير أعلام النبلاء (٢٠/٨٠) .

(٢) الحجة في بيان المحجة (١/١٩٥-١٩٦) .

(٣) الشورى الآية : ١١

(٤) انظـــر : الـــتوحيد لابـــن خـــزيمة (١/١١٨-٢٠١) ؛ والإبانة عن أصول الديانة (٢/١٢٤-١٤٠)؛ والشريعة (٣/١١٧٧-١١٨٥)؛ والتوحيد لابن منده (٣/٢١-٢٣)؛ والأسماء والصفات (٢/١٠٨-١٧٩)؛ ومجموع فتاوى شـــيخ الإسلام ابن تيمية (٤/٣٦٥ و ٥/١٩٥ و ٦/٣٦٢-٣٧٢)؛ ونقـــض تأسيس الجهمية (١/٥١٢-٥١٦)؛ ومختصر الصواعق المرسلة (٢/١٥٣-١٧٤)؛ وأضواء البيان (٧/٢٩٠-٣١٢)؛ والصفات الإلهية في الكتاب والسنة النبوية (ص : ٣٠٤-٣١٠)؛ والقول المفيد على كتاب التوحيد (٣/٣٦٥-٣٧٦)؛ واعتقاد أهل السنة لمحمد الخميس (ص : ٢٦-٢٩)؛ وصفات الله عز وجـــل لصالح المسند (ص : ٤٣-٥٢) .

الطائفة الأولى : وهم أهل التشبيه والتمثيل [1] الذين يعتقدون أن صفات الله تعالى مماثلة لصفات المخلوقين، ووصف الله نفسه أنه خلق آدم بيديه فهذا مفهومه مثل مفهومه في حقنا فيقولون : يده كيدي ! تعالى الله عن ذلك .

هذا القول في غاية البطلان والسقوط إذ هو صريح في التشبيه المحرم الذي نفاه الله عز وجل، وأجمع على نفيه أهل السنة والجماعة، ودل عليه العقل من أن صفات الرب تعالى لا يشبهه فيها شيء من المخلوقات، ولا يماثل هو سبحانه في شيء من صفاته صفات المخلوقات [2].

قال تعالى : ﴿ليس كمثله شيء﴾ وقال تعالى : ﴿ أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون ﴾ [3] وقال تعالى : ﴿ فلا تضربوا لله الأمثال إن الله يعلم وأنتم لا تعلمون ﴾ [4] وقال تعالى : ﴿ هل تعلم له سميا ﴾ [5] وقال تعالى : ﴿ ولم يكن له كفوا أحد ﴾ [6].

وانتفاء التماثل بين الخالق والمخلوق معلوم بصريح العقل؛ إذ أحدهما خالق والآخر مخلوق، وأحدهما رب والآخر مربوب، وأحدهما له صفات الكمال من جميع الوجوه غني بذاته عما سواه والآخر ناقص وفقير و محتاج إلى من يساعده ويكمله، فكيف يصح أن يقال : أن الرب الخالق الغني الكامل من جميع الوجوه مشابه في صفاته للمخلوق المربوب الناقص المفتقر إلى من يكمله ؟ [7].

---

(١) من الذين قالوا بالتشبيه والتجسيم هشام بن الحكم، وهشام بن سالم الجواليقي الرافضي، ويونس بن عبد الرحمن القمي، وأبي جعفر الأحول الذي كا يدعى شيطان الطاق، وداود الجواربي، وبيان بن سمعان التميمي؛ وكذلك يعزى شيء من التشبيه إلى الكرامية وهم أتباع محمد بن كرام السجستاني، ثم وصل هذا المرض إلى بعض أتباع أئمة المذاهب، وتهافت في ذلك من لم يكن له نصيب من الفهم الصحيح للكتاب والسنة . انظر : مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين (ص : ٢٠٧-٢١٠)؛ والملل والنحل (ص : ٤٤-٤٥ و ٦٥ و ٧٨-٧٩)؛ واعتقاد فرق المسلمين والمشركين (ص : ٦٣-٦٧)؛ ومجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٣/١٨٥ و ٦/٥١)؛ وأسماء الله وصفاته في معتقد أهل السنة و الجماعة (ص : ١٥٥-١٥٧) .

(٢) انظر : رسالة إلى أهل الثغر (ص : ٢١٠-٢١٢)؛ وشرح العقيدة الطحاوية (ص : ٥٧) .

(٣) النحل الآية : ١٧

(٤) النحل الآية : ٧٤

(٥) مريم الآية : ٦٥

(٦) الإخلاص الآية : ٤

(٧) انظر : شرح العقيدة الطحاوية (ص : ٦١-٦٢)؛ والقواعد المثلى للشيخ العثيمين (ص : ٢٦) .

ولو تماثلا للزم أن يكون كل واحد منهما خالقا ومخلوقا، وربا ومربوبا، وغنيا وفقيرا، وكـــاملا وناقصـــا فيـــلزم اجتماع الضدين، فعلم أن التماثل بين الخالق والمخلوق منتف بصريح العقل كما هو منتف بنصوص الشرع [١].

فلا يجوز تمثيل شيء من صفاته بصفات المخلوقين بل هو سبحانه ليس كمثله شيء لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله .

الطائفة الثانية : أهل النفي والتعطيل [٢] الذين ينكرون ثبوت صفة اليد الحقيقية لله تعـــالى؛ ويحـــرفون معاني النصوص الواردة في ذلك؛ فيفسرون اليد: مرة بالقدرة، ومرة بالنعمة فرارا من التشبيه في زعمهم [٣]. والله اكبر كبيرا .

---

(١) انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٨٧/٣)؛ وشرح العقيدة الطحاوية (ص : ٦١-٦٢) .

(٢) أهـــل النفي والتعطيل في باب صفات الله تعالى على مراتب ودرجات : فمنهم من ينفي جميع الصفات وهم الغلاة من المعطـــلة، منهم الفلاسفة، والجهمية أتباع جهم بن صفوان، وكذلك يقول بنفي جميع الصفات المعتزلة، ومن تبعهم كالزيدية والرافضـــة الإماميـــة والخوارج الإباضية، وهو أيضا قول النجارية والضرارية، وكذلك وافقهم عليه ابن تومرت وابن حزم، فهـــؤلاء جميعـــا اتفقـــوا على نفي جميع صفات الله تعالى مع تنوع أساليبهم في نفيها وتعطيلها وإنكارها . ومنهم من ينفي الصفات الاختيارية المتعلقة بالمشيئة، وهو قول الكلابية أتباع عبد الله بن سعيد بن كلاب، وقول أبي العباس القلانسي، وأبي الحسن الأشعري في طوره الثاني، وقدماء الأشاعرة كأبي الحسن الطبري، والباقلاني، وابن فورك، وأبي جعفر السمناني، ومن تأثـــر بهم من الحنابلة كالقاضي أبي يعلى، وابن عقيل، وأبي الحسن الزاغوني وغيرهم . ومنهم من يقول بإثبات سبع صفات فقـــط أو ثمـــان ونفي ما عداها، والصفات السبعة التي أثبتوها هي : الحياة والعلم والقدرة والسمع والبصر والإرادة والكلام ويزيد بعض الماتريدية صفة ثامنة، وهي التكوين، وما عداها من الصفات الثبوتية لايثبتونها، و لهم في نصوصها أحد طريقين : إما التأويل، أو التفويض كما قال قائلهم : (وكل نص أوهم التشبيها :: أوله أو فوضه ورم تنزيها) فهم متفقون على نفي تـــلك الصفات، ويخيرون في تحديد المعنى المراد أو السكوت عن ذلك . وهذا ما ذهب إليه المتأخرون من الأشاعرة والماتريدية . الحاصل أن الجهمية والمعتزلة ومن وافقهم وكذلك المتأخرون من الأشاعرة والماتريدية هؤلاء كلهم متفقون على عدم إثبات صفة اليد لله تعالى ونفيها وإنكارها . هذا ملخص من كتاب " مقالة التعطيل والجعد بن درهم " (ص : ٢٤-٢٥ و ٣٣ -٥٣) ويـــنظر للتفصيل : الرد على الزنادقة والجهمية للإمام أحمد والرد على الجهمية للدارمي وللحافظ ابن منده والأسماء والصـــفات للـــبيهقي، والصـــواعق المنزلة على الطائفة الجهمية والمعلطة لابن القيم؛ وأسماء الله وصفاته في معتقد أهل السنة والجماعة للدكتور محمد بن خليفة التميمي .

(٣) انظر : شرح الأصول الخمسة (ص : ٢٢٨ —٢٢٩)؛ والمواقف في علم الكلام (ص : ٢٩٨)؛ وإيضاح الدليل في قطـــع حجج أهل التعطيل (ص : ١٢٢-١٢٧ و ٢٠٦-٢٠٧)؛ وإتحاف المريد شرح جوهرة التوحيد للقاني (مخطـــوط ، ٢٤/ب)؛ وتحفـــة المريد شرح جوهرة التوحيد للبيجوري (ص : ٩٣)؛ وأيضا سنن الترمذي(٥٠/٣)؛ ومجمـــوع فـــتاوى شـــيخ الإسلام ابن تيمية (٣٦٦/٤)؛ والصفات الإلهية في الكتاب والسنة النبوية (ص : ٣٠٤)؛ والمعتزلة لزهدي جار الله (ص : ٨٥)؛ وفرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام (١١٣٠/٢) .

وهو قول باطل وزعم فاسد وبيان بطلانه من شقين :

الشــق الأول : إن إثــبات أي صفة من الصفات الثابتة لله تعالى ومنها صفة اليد على الوجه اللائق بالله تعالى لا يلزم منه التشبيه والتجسيم. وبيان ذلك من وجوه وهي كما يلي :

١-إن توهم لزوم التشبيه والتمثيل من إثبات صفة اليد وغيرها وهم باطل؛ فإنه ليس في المخلوقات يد تمسك السماوات السبع وتطويها، ويد تقبض الأرضين السبع، ولا إصبع توضع عليها الأرض، وإصبع توضع عليها الجبال، وإصبع توضع عليها الماء والثرى، وإصبع توضع عليها سائر الخلق . فلو كان في المخلوقات يد وإصبع هذا شأنها لكان لكم عذر ما في توهم التشبيه و التمثيل من إثبات اليد والإصبع لله حقيقة .

بــل إن جميع بني آدم منذ خلق الله آدم ﷺ إلى أن ينفخ في الصور لو اجتمعوا على إمساك جزء من أجزاء كثيرة من سماء من سماواته أو أرض من أراضيه السبع بجميع أبدانهم لكــانوا غــير قادرين على ذلك ولا مستطيعين له بل عاجزين عنه، وكذلك لو اجتمعوا جميعا على طي جزء من أجزاء سماء واحدة لم يقدروا على ذلك وكانوا عاجزين عنه .

فكيف تلتبس يد الخالق بيد المخلوق ؟ وكيف يكون من وصف يد خالقه بما بينه الله ورســوله من القوة والأيد، ووصف يد المخلوق بالضعف والعجز، مشبها يد الخالق بيد المخــلوق ؟ وبأي وجه يعقل أن إثبات صفة اليد الحقيقية لله تعالى كما يليق به سبحانه وتعالى يلزم منه التشبيه بيد المخلوق ؟ [1].

٢-توهــم التشــبيه من إثبات صفة اليد وغيرها من الصفات لله تعالى كما يليق بجلاله وعظمته ثم نفيها وتأويلها وصرفها عن ظاهرها إلى معنى مزعوم يلزم منه لوازم باطلة . منها :

- تعطيل هذه النصوص عن دلالتها، وتعطيل الرب عما يستحقه من صفات الكمال، ووصفه بنقيض ذلك من صفات النقص من صفات الأموات والجمادات والمعدومات .
- أن يكون الله سبحانه قد أنزل في كتابه وسنة نبيه من هذه الألفاظ ما يضل الناس ظاهره، ويوقعهم في التشبيه والتمثيل .
- أن يكون قد ترك بيان الحق والصواب لهم، ولم يفصح به بل رمز إليه رمزا، وألغزه

---

(١) انظر :التوحيد لابن خزيمة (١/٩٤-٩٥)؛ ومختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة (٢/١٦٣) .

إلغازا لا يفهم منه ذلك إلا بعد الجهد الجهيد .

● أن تــــرك الـــناس من إنزال هذه النصوص كان أنفع لهم وأقرب إلى الصواب، فإنهم ما اســـتفادوا بترولهـــا غير التعرض للضلال، و لم يستفيدوا منها يقينا ولا علما بما يجب لله ويمتنع عليه، إذ ذاك إنما يستفاد من عقول الرجال وآرائها، وغيرها من اللوازم الفاسدة الباطلة (١).

٣- إن الصحابة رضوان الله عليهم تلقوا هذه الآيات والأحاديث عن رسول الله ﷺ بلسان عربي مبين، وفهموا المراد منها، وحملوها على ظاهرها، و لم يتعرضوا لتأويلها، فلو كان التأويل سائغا لكانوا إليها أسبق لما فيه من إزالة التشبية ورفع الشبهة.

فصــــرف المعطلة لهذه النصوص عن ظاهرها بدعوى نفي التشبيه والتجسيم باطل؛ لأنه لو كان في إثباتها تشبيه أو تمثيل لكان الرسول وأصحابه أولى بنفيها لورود النصوص الشرعية الدالة على نفي التشبيه بين الخالق والمخلوق . فلما لم يتعرض لها النبي ﷺ بنفي ولا تأويل علمنا وتيقنا أن إثـــباتها ليس فيه تشبيه ولا تمثيل، فمن نفاها بهذه الدعوى فهو مخالف لما كان عليه النبي ﷺ وأصــــحابه، ومـــدع أنه أكثر علما، وأعظم ورعا وتعظيما للخالق من النبي ﷺ وأصحابه، ولا ريب أن ذلك دليل على بطلان قولهم وتهافت رأيهم وسوء نظرهم وفهمهم لدين الله ونصوص شرعه؛ لأن الحق بلا ريب فيما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه وسلف الأمة وأئمتها (٢) .

٤- الاتفاق في الاسم لا يلزم منه الاتفاق في الحقيقة : لأننا نشاهد في المخلوقات ما يـــتفق في الأسماء ويختلف في الحقيقة والكيفية، فنشاهد أن للإنسان يدا ليست كيد الفيل، وـــله قوة ليست كقوة الجمل، مع الاتفاق في الاسم؛ فهذه يد وهذه يد، وهذه قوة وهذه قوة، وبينهما تباين في الكيفية والوصف .

وإذا كـــان التباين في الحقيقة والكيفية معقولا بين المخلوقات مع الاتفاق في الأسماء فالتباين بين الخالق والمخلوق أظهر وأعظم (٣)بل التماثل مستحيل بين الخالق والمخلوق.

٥- إن المتبادر إلى الذهن من معاني النصوص يختلف بحسب السياق وما يضاف إليه

---

(١) انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٣/٤٨-٤٩)؛ والصواعق المنزلة على الطائفة الجهمية والمعطلة (١/١٦٧-١٧٣) .

(٢) انظر :مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٥/٩٠)؛ والعلو للعلي الغفار (ص : ٢٥١)؛ والقواعد المثلى (ص : ٤١) .

(٣) القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى (ص : ٢٦-٢٧) .

الكـــلام، فالكلمة الواحدة يكون لها معنى في سياق ومعنى آخر في سياق، فإذا قيل : إن لـــلملائكة أجنحة، وللطائرات أجنحة، وللطيور أجنحة، وللبعوض أجنحة لا يفهم منها عـــاقل أن هذه الأجنحة متماثلة في المعنى، ومتساوية في الوصف والكيفية، بل ذلك معلوم البطلان لدى جميع العقلاء؛ فكل جناح منها لـــه معنى مفهوم وصفة معلومة متبادرة إلى الذهن بحسب السياق وما أضيف إليه من الكلام .

فكذلك المعنى الظاهر المتبادر من لفظ اليد بالنسبة للمخلوق، هو كونها جارحة هي عظم ولحم ودم، وهذا هو الذي يتبادر إلى الذهن في نحو قوله تعالى : ﴿ والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله ﴾[1] .

والمعنى الظاهر المتبادر من اليد بالنسبة للخالق في نحو قوله تعالى : ﴿ ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي ﴾[2] أنهـــا صفة كمال وجلال، لائقة بالله جل وعلا ثابتة لـــه على الوجه اللائق بكماله وجلاله .

لأن التفاوت بين صفات الخالق وصفات المخلوق مثل التفاوت بين الخالق والمخلوق، فلا يعقل دخول صفة المخلوق في اللفظ الدال على صفة الخالق أو دخول صفة الخالق في الـــلفظ الـــدال على صفة المخلوق، فكل لفظ دل على صفة الخالق ظاهره المتبادر منه أن يكون لائقا بالخالق منزها عن صفات المخلوق[3].

الشق الثاني : بيان بطلان ما قال به المعطلة في تأويل يد الله تعالى بالنعمة أو القدرة، وذلك من وجوه :

١- لا ريـــب أن لفـــظ اليد في كلام العرب قد جاء بمعنى النعمة كقولهم : لفلان عندي يد، وبمعنى القدرة كقولهم : لفلان علي يد، ولكن وقوع اليد في قوله تعالى : ﴿ ما منعك أن تسجد لما خلقت

---

(١) المائدة الآية : ٣٨

(٢) ص الآية : ٧٥

(٣) انظر : أضواء البيان (٧/٢٨٩-٢٩٠)؛ والقواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى (ص : ٣٦-٣٧)؛ وأسماء الله وصفاته في معتقد أهل السنة والجماعة (ص : ١٧٦) .

بيدي ﴾ بهذا التركيب الذي أضاف الله سبحانه وتعالى فيه الخلق إلى نفسه، ثم عدى الفعل إلى اليد، ثم ثناها، ثم أدخل عليها الباء التي تدخل على مثل قولك : كتبت بالقلم ومثل هذا النص الصريح يستحيل تأويل اليد فيه بالنعمة أو القدرة؛ فإنه لا يحتمل هنا غير يد الذات، وإن كانت في تركيب آخر تصلح لذلك، فلا يلزم من صلاحية اللفظ لمعنى ما في تركيب صلاحيته له في كل تركيب [١].

٢- إذا أطلق لفظ اليد لا يكون إلا والمراد به اليد التي هي الصفة، هذا هو الأصل، وإن أريد به غيرها اقترنت معها قرينة تبين المراد منها، فإن أريد باليد النعمة قيل : لفلان عندي يد، فلفظ " عندي " قرينة تدل على النعمة . وإن أريد بها القدرة قيل : لفلان علي يد، فلفظ " علي " قرينة تدل على القدرة، وليس في الآية قرينة تبين أن المراد بها النعمة أو القدرة، فتعين أن المراد بها اليد التي هي الصفة [٢].

٣-إن اليد التي يقصد بها النعمة والقدرة لا يتجاوز بها لفظ اليد، فلا يتصرف فيها بما يتصرف في اليد الحقيقية، فلا يقال فيها كف، ولا إصبع ولا يمين ولا شمال، وقد ورد ذلك كله في صفة يد الله تعالى، فهذا ينفي أن يكون المراد بها يد النعمة أو يد القدرة [٣].

٤-إن اليد التي يقصد بها القدرة أو النعمة لا يعرف استعمالها البتة إلا في حق من له يد حقيقية، فهذه موارد استعمالها من أولها إلى آخرها مطردة في ذلك، فلا يعرف العربي خلاف ذلك، فاليد المضافة إلى الحي إما أن تكون يدا حقيقة أو مستلزمة للحقيقة، وأما أن تضاف إلى من ليس له يد حقيقة وهو متصف بصفات الأحياء فهذا لا يعرف البتة [٤].

٥-ليس من المعهود أن يطلق الله على نفسه معنى القدرة والنعمة بلفظ التثنية بل بلفظ الإفراد الشامل لجميع الحقيقة كقوله : ﴿ أن القوة لله جميعا ﴾ [٥] وكقوله : ﴿ وإن تعدوا نعمة الله

---

(١) انظر : الصواعق المنزلة على الطائفة الجهمية والمعطلة (١/٨٨-٨٩) .

(٢) انظر : نقض تأسيس الجهمية (١/٤٢)؛ ومختصر الصواعق المرسلة (٢/١٥٩) .

(٣) انظر : مختصر الصواعق المرسلة (٢/١٥٧) .

(٤) انظر : المصدر السابق (٢/١٥٩-١٦٠) .

(٥) البقرة الآية : ١٦٥

لاتحصوها ﴾[1] وقـــد يجمع النعم كقوله : ﴿ وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ﴾ [2] وأما أن يقول خلقتك بقدرتين أو بنعمتين فهذا لم يقع في كلامه ولا كلام رسوله ﷺ [3] .

٦-لـــو ثبت استعمال اليدين بمعنى القدرة أو النعمة لم يجز أن يكون المراد باليدين في الآية النعمة أو القـــدرة؛ لأنـــه لا يجوز أن يقال : خلق الله آدم بنعمتين؛ لأن نعم الله على آدم وغيره أكثر من أن تعد وتحصى، قال تعالى : ﴿ وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها ﴾ فلا يجوز أن يعبر عن النعم التي لا تحصى بصيغة التثنية .

ولإجمـــاع المسلمين المثبتين للصفات والنافين لها على أنه لا يجوز أن يكون لله تعالى قدرتان [4]، بل الله سبحانه وتعالى لـــه قدرة مطلقة لا حد لها [5]. قال تعالى :﴿ وهو على كل شيء قدير ﴾ [6]، فالقـــدرة صفة عامة مطلقة، ولا يجوز أن يعبر عنها بالاثنين [7].

٧-إن الله أراد تكـــريم آدم عليه السلام فخلقه بيديه، فلما تكبر إبليس وافتخر بكونه خلق من النار رد الله عـــليه افتخاره، وأثبت لآدم من المزية والاختصاص ما لم يثبت مثله لإبليس بقوله تعالى : ﴿ يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي ﴾ فلو كان الله عز و جل عنى بقوله : ﴿ لما خلقت بيدي ﴾ القدرة أو النعمة لم يكن لآدم عليه السلام عـــلى إبـــليس في ذلك مزية؛ لأنه وجميع المخلوقات حتى إبليس مخلوق بقدرة الله و نعمته سبحانه وتعـــالى، فحمل الآية على القدرة أو النعمة يزيل معنى التفضيل لاشتراكهما فيها، ويدل على التساوي بينهما في هذا، فلو كان إبليس مساويا لآدم عليه السلام لما صح الاحتجاج على إبليس في ذلك، وكان لإبليس أن يقول محتجا على ربه : فقد خلقتني بما خلقت به آدم، فأي فضيلة له علي بما ذكرته ؟ [8].

---

(١) إبراهيم الآية : ٣٤ ؛ والنحل الآية : ١٨

(٢) لقمان الآية : ٢٠

(٣) انظر : مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة (٢/١٥٥-١٥٦) .

(٤) انظر : مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة (٢/١٧٠) ؛ و أضواء البيان (٧/٢٩٠) .

(٥) انظر : الصفات الإلهية في الكتاب والسنة النبوية في ضوء الإثبات والتتريه (ص : ٣٠٤-٣٠٥) .

(٦) المائدة الآية : ١٢٠

(٧) انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٦/٢٦٥) .

(٨) انظـــر : الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث (ص : ٨٨) ؛ ومجموع فتاوى شـــيخ الاسلام ابن تيمية (٦/٣٦٩)؛ ونقض تأسيس الجهمية(١/٤١)؛ ومختصر الصواعق المرسلة(٢/١٥٦)؛ والصفات الإلهية في الكتاب والسنة (ص : ٣٠٥) .

٨- إذا قدر اثنان أحدهما يقدر أن يفعل بيديه، والآخر لا يمكنه ذلك . إما لامتناع أن يكون له يدان، وإما لامتناع الفعل باليدين كان الأول أكمل . ولا يقال : إن من يمكنه الفعل بكلامه أو بقدرته بدون يديه أكمل ممن يفعل بيديه؛ لأن من يمكنه الفعل بقدرته أو تكليمه إذا شاء وبيديه إذا شاء هو أكمل ممن لا يمكنه الفعل إلا بقدرته أو تكليمه ولا يمكنه أن يفعل باليد [(١)].

فاليدان لا يعدان من صفات النقص في شيء مما يوصف بذلك بل هما من صفات الكمال، ولله الكمال المطلق . وليس في الشرع ولا في العقل السليم ما ينفي ثبوتهما لله بل اتفق الشرع والعقل في إثبات اليدين لله تعالى؛ فيجب الإيمان بثبوتهما لله تعالى كما يليق بجلاله وعظمته من غير تشبيه ولا تمثيل ولا تجسيم كما يجب الإيمان بتقدس الله وتنزهه وعدم مشابهته بأحد من المخلوقين لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله – تنزيها من غير نفي ولا تعطيل على وفق قوله تعالى : ﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴾ [(٢)]، فأول الآية رد على أهل التشبيه والتمثيل، وآخرها رد على أهل النفي والتعطيل .

قال نعيم بن حماد الخزاعي [(٣)] : (من شبه الله بخلقه فقد كفر، ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر ، وليس ما وصف الله به نفسه ورسوله تشبيها) [(٤)].

فلا يكفي مجرد نفي التشبيه من غير إثبات، أو مطلق الإثبات من غير تنزيه بل لا بد من الجمع بين الإثبات والتنزيه كما جمع الله تعالى بينهما، إثباتا بلا تمثيل وتنزيها بلا تعطيل، وهذا هو مذهب السلف وهو الحق الثابت بالكتاب والسنة، وكفى بهما هداية ورشدا ونورا . قال تعالى : ﴿ يهدي الله لنوره من يشاء ﴾ [(٥)] وقال تعالى : ﴿ ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور ﴾ [(٦)].

---

(١) انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٦/٩٢-٩٣) .

(٢) الشورى الآية : ١١

(٣) نعيم بن حماد بن معاوية الخزاعي، كان أحد من يتصلب في السنة، ومات في محنة القرآن في السجن ببغداد غداة يوم الأحد لثلاثة عشرة دخلت من جمادى الأولى سنة ٢٢٨هـ . انظر : تهذيب التهذيب (٥/٦٣٥-٦٣٨ برقم : ٨٣١٠) .

(٤) ذكره عنه شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٥/١٩٦) .

(٥) النور الآية : ٣٥

(٦) النور الآية : ٤٠

المبحث الثاني : وقت خلق آدم عليه السلام .

لقـــد جـــاء في كثير من الأحاديث النبوية ما يبين أن الله تعالى خلق آدم عليه السلام يوم الجمعة، وأنه خُلِقَ بعد العصر في آخر ساعة من ساعات الجمعة فيما بين العصر إلى الليل، وهنا أكتفي بذكر بعض ما جاء من الأحاديث النبوية الثابتة في ذلك .

فعـــن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : **خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة؛ فيه خلق آدم**، وفيه أدخل الجنة، وفيه أخرج منها [1].

وعـــن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : **خلق الله آدم يوم الجمعة بيده**، ونفخ فيه من روحه، وأمر الملائكة أن يسجدوا له فسجدوا إلا إبليس، كان من الجن ففسق عن أمر ربه [2].

وعـــن أوس بن أوس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : **إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة؛ فيـــه خلق آدم**، وفيـــه قبض، وفيه النفخة، وفيه الصعقة، فأكثروا علي من الصلاة فيه؛ فإن صلاتكم معروضة علي . قال : قالوا : يا رسول الله وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت ـ يقولون : بليت ؟ . فقال : إن الله عـــز وجـــل حرم على الأرض أجساد الأنبياء [3].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : **خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة؛ فيه خلق آدم**، وفيه أهبط من الجنة، وفيه تيب عليه، وفيه مات، وفيه تقوم الساعة، وما من دابة

---

(١) أخرجه م (الجمعة، ب : فضل يوم الجمعة ٢/٥٨٥ ح : ٨٥٤) .

(٢) حديث صحيح، وقد تقدم تخريجه في (ص : ٦٩) .

(٣) أخرجه د (الصلاة، تفريع أبواب الجمعة، ب : فضل يوم الجمعة ١/٢٧٥ ح : ١٠٤٧)، واللفظ له؛ و ن (الجمعة، ب : إكـــثار الصلاة على النبي ﷺ يوم الجمعة ٣/٩١ ح : ١٣٧٤)؛ وجه (الجنائز ، ب : ذكر وفاته ﷺ ودفنه ١/٥٢٤ ح : ١٦٣٦)؛ والطبراني في الأوسط (٥/٩٧ ح : ٤٧٨٠)؛ وخز (ب : فضل الصلاة على النبي ﷺ يوم الجمعة ٣/١١٨ح : ١٧٣٣)؛ وحـــب كما في الإحسان (الرقاق، ب : الأدعية، ذكر البيان بأن صلاة من صلى على المصطفى من أمته ﷺ تعرض عليه في قبره ٣/١٩٠ ح : ٩١٠)؛ وكم (الجمعة، ب : الأمر بكثرة الصلاة في يوم الجمعة ١/٢٧٨ والأهوال، ب : إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء ٤/٥٦٠)، وصححه في الموضع الأول على شرط البخاري، وفي الموضع الـــثاني على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي في الموضعين، وصححه النووي في الأذكار (الصلاة على رسول الله ﷺ، ب : الصلة على رسول الله ﷺ ص : ٢٠٦ ح : ٤/٢٩٦)؛ والألباني في صحيح سنن أبي داود (١/٢٩٠ ح : ١٠٤٧) وغيره.

إلا وهـــي مُصِـــيْخَةٌ [1] يوم الجمعة من حين تصبح حتى تطلع الشمس شفقا من الساعة إلا الجن والإنس، وفيه ساعة لا يصادفها عبد مسلم وهوَ يصلي يسأل الله شيئا إلا أعطاه إياه . . .الحديث [2].

وعن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : **سيد الأيام يوم الجمعة؛ فيه خلق آدم** وفيه أدخل الجنة، وفيه أخرج منها، ولا تقوم الساعة إلا يوم الجمعة [3].

وعـــن سعد بن عبادة ﷺ أن رجلا من الأنصار أتى النبي ﷺ فقال : **أخبرنا عن يوم الجمعة :** مـــاذا فيه من الخير؟ قال : ((فيه خمس خلال : **فيه خلق آدم**، وفيه أهبط آدم، وفيه توفي آدم، وفيه ساعة لا يسأل الله عبد فيها شيئا إلا آتاه الله إياه، ما لم يسأل مأثما أو قطيعة رحم، وفيه تقوم الساعة، ما من ملك مقرب، ولا سماء، ولا أرض، ولا جبال، ولا حجر إلا وهو يشفق من يوم الجمعة [4].

وعـــن أبي لـــبابة بـــن عبد المنذر ﷺ قال : قال النبي ﷺ : **إن يوم الجمعة سيد الأيام**

---

(١) مصيخة : بالصاد، وقيل بالسين؛ أي : مسيخة، والأول هو الأصل، والمعنى : مصغية ومستمعة ومنصتة . انظر : النهاية في غريب الحديث (٤٣٣/٢ ، مادة : سيخ و ٦٤/٣ ، مادة : صيخ) .

(٢) أخرجه ط (الجمعة، ب : ما جاء في الساعة التي في يوم الجمعة ١٠٨/١-١٠٩ ح : ١٦)، واللفظ له؛ و د (الصلاة، تفريع أبواب الجمعة، ب : فضل يوم الجمعة ٢٧٤/١ ح : ١٠٤٦)؛ وت (الجمعة، ب : ما جاء في الساعة التي ترجى في يوم الجمعة ٣٦٢/٢ ح : ٤٩١)، وقال هذا حديث حسن صحيح؛ و ن (الجمعة، ب : ذكـــر الســـاعة التي يستجاب فيها الدعاء يوم الجمعة ١١٣/٣ ح : ١٤٣٠)؛ وحب كما في الإحسان (الصلاة ، ب : ذكر البيان بأن في الجمعة ساعة يستجاب فيها دعاء كل داعي ٧/٧ ح : ٢٧٧٢)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٢٨٩/١ ح : ١٠٤٦) وغيره .

(٣) أخرجه ابن جرير الطبري في تاريخه (٧٦/١)؛ و خز (١١٥/٣ ح : ١٧٢٩)؛ وكم (الجمعة، ب : سيد الأيام يوم الجمعة ٢٢٧/١) وصحح الحديث على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وحسَّن إسناده محققوا مسند الإمام أحمد (٣١٥/٢٤ ضمن كلامهم على ح : ١٥٥٤٨) .

(٤) أخرجه حم (١٢٢/٣٧ ح : ٢٢٤٥٧)،واللفظ له؛ وعبد بن حميد في مسنده (ص : ١٢٧ ح : ٣٠٩)؛ والبزار في مســـنده (١٩١/٩ ح : ٣٧٣٨)؛ وابن جرير الطبري في تاريخه (٧٥/١)؛ والطبراني في الكبير (١٩/٦-٢٠ ح : ٥٣٧٦) . قال البزار : (لا نعلمه يروى عن النبي ﷺ إلا من هذا الوجه بهذا الإسناد، وإسناده صالح) . وقال الهيـــثمي كمـــا في مجمع الزوائد (١٦٣/٢) : (رواه أحمد و البزار إلا أنه قال فيه : سيد الأيام يوم الجمعة، والطبراني في الكبير، وفيه عبد الله بن محمد بن عقيل، وفيه كلام وقد وثق، وبقية رجاله ثقات) قلت : ولذلك قال الحافظ ابن حجر عنه في تقريب التهذيب (ص : ٣٢١ برقم : ٣٥٩٢) : (صدوق في حديثه لين، ويقال تغـــير بأخـــرة) فإسناد الحديث أقرب إلى الحسن، ولا سيما الأحاديث المتقدمة تشهد له، ولذلك قال محققوا المسند عن الحديث بأنه صحيح لغيره .

وأعظمها عند الله، وهو أعظم عند الله من يوم الأضحى ويوم الفطر؛ فيه خمس خلال : **خلق الله فيه آدم**، وأهبط الله فيه آدم إلى الأرض، وفيه توفى الله آدم، وفيه ساعة لا يسأل الله فيها العبد شيئا إلا أعطاه ما لم يسأل حراما، وفيه تقوم الساعة، ما من ملك مقرب، ولا سماء، ولا أرض، ولا رياح، ولا جبال، ولا بحر، إلا وهن يشفقن من يوم الجمعة [(١)].

وعن أبي هريرة ﷺ قال : أخذ رسول الله ﷺ بيدي فقال : خلق الله عز وجل التربة يوم السبت، وخلق فيها الجبال يوم الأحد، وخلق الشجر يوم الاثنين، وخلق المكروه يوم الثلاثاء، وخلق النور يوم الأربعاء، وبث فيها الدواب يوم الخميس، **وخلق آدم عليه السلام بعد العصر من يوم الجمعة في آخر الخلق في آخر ساعة من ساعات الجمعة فيما بين العصر إلى الليل** [(٢)] .

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (الصلوات، في فضل الجمعة ويومها ٤٧٧/١ ح : ٥٥١٦)؛ وحم (٢٤/ ٣١٤-٣١٥ ح : ١٥٥٤٨)؛ وجه (إقامة الصلاة، ب : في فضل الجمعة ٣٤٤/١ ح : ١٠٨٤)؛ والطبراني في الكبير (٣٣/٥ ح : ٤٥١١) . قال البوصيري في (مصباح الزجاجة ٣٦٠/١ ح : ٣٨٢) : (هذا إسناده حسن)؛ وحسنه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (٣٢١/١ ح : ٨٩٥)؛ وفي مشكاة المصابيح (٤٣٠/١ ح : ١٣٦٣)؛ وكذلك حسنه الشيخ عبد القادر السندي في مقال له منشور في مجلة الجامعة الإسلامية بعنوان " إزالة الشبهة عن حديث التربة " (ص : ٦٠) ، السنة : (١٣) ، العدد : (٥٠و٥١) .

(٢) أخرجه م (صفة القيامة والجنة والنار، ب : ابتداء الخلق وخلق آدم عليه السلام ٢١٤٩/٤ ح : ٢٧٨٩) قال : حدثني سريج بن يونس وهارون بن عبد الله قالا : حدثنا حجاج بن محمد قال : قال ابن جريج : أخبرني إسماعيل بن أمية عن أيوب بن خالد عن عبد الله بن رافع مولى أم سلمة عن أبي هريرة ﷺ مرفوعا .

وقد تكلم بعض النقاد في سند هذا الحديث ومتنه وأجاب عنه الآخرون، فأما الكلام في سنده فهو يتلخص في وجهين، وهما كالتالي :

١-قال البيهقي : وزعم بعضهم أن إسماعيل بن أمية إنما أخذه عن إبراهيم بن أبي يحيى عن أيوب بن خالد، ثم ذكر بإسناده إلى علي بن المديني أنه سئل عن هذا الحديث فقال : وما أرى إسماعيل بن أمية أخذ هذا إلا من إبراهيم بن أبي يحيى . الأسماء و الصفات (٥٥١/٢ ح : ٨١٢) .

وإبراهيم بن أبي يحيى غير محتج به فهو متروك متهم بالكذب، فلا يثبت الحديث عن أيوب ولا من فوقه .

وأجيب عن ذلك بأن حكاية البيهقي قول ابن المديني بكلمة " زعم " فيها رد واضح وإنكار بين، ويتضح ذلك بما يلي :

أ- إسماعيل بن أمية لم ينفرد برواية هذا الحديث عن أيوب بن خالد؛ فقد تابعه اثنان من الرواة في رواية هذا الحديث عن أيوب بن خالد .

أحدهما : حجاج بن محمد الأعور، وهو ثقة ثبت إلا أنه كان اختلط في آخره، وروايته عند أبي يعلى في المسند (٥١٣/١٠-٥١٤ ح : ٦١٣٢) .

←

والآخر : موسى بن عبيدة الربذي، وهو ضعيف، وروايته عند البيهقي في الأسماء و الصفات (٢/٢٥٦ ح : ٨١٣).
ب- إسمـــاعيل بن أمية ثقة ثبت عند المحدثين، و لم يعرف عنه التدليس فهو غير مدلس مع معاصرته لشيخه أيوب بن خالد الأنصاري .

فلهذا والله أعلم لم يرتض البخاري قول شيخه علي ابن المديني، وأعل الخبر بأمر آخر، وهو ما يلي :
٢-قال البخاري بعد أن ذكر الحديث بإسناد رجاله ثقات حفاظ مأمونون إلى النبي ﷺ : (وقال بعضهم عن أبي هريرة عن كعب، وهو أصح) .التاريخ الكبير (١/٤١٣ في ترجمة أيوب بن خالد الأنصاري) .
وأجيب عن ذلك بما يلي :
أ- هـــذا البعض الذي أشار إليه البخاري كما ترى مجهول مبهم غير معروف العين والحال، فلا يصح تقديم رواية المجاهيل المبهمين على رواية الثقات المعروفين .
ب- هذه الرواية التي أشار إليها البخاري لم يذكر لنا سندها ولا متنها، ويا ليته ذكرها لنا، فقد تكون ضعيفة في نفسها .
ج- ويدل على ضعفها أن المحفوظ عن كعب وعبد الله بن سلام ووهب بن منبه ومن يأخذ عنهم أن ابتداء الخلق كان يوم الأحد، وهو قول أهل الكتاب المذكور في كتبهم، وعليه بنوا قولهم في السبت .
فقد جاء في التوراة (سفر التكوين ٢/٢-٣) : [و فرغ الله في اليوم السابع من عمله الذي عمل ، فاستراح في اليوم السابع من جميع عمله الذي عمل ، و بارك الله اليوم السابع و قدسه ، لأنه فيه استراح من جميع عمله الذي عمـــل الله خالقـــا] ؛ و في النسخة السامرية من التوراة (سفر التكوين ٢/٢-٣) [كمل الله في اليوم السادس صناعته التي صنع، وبارك الله اليوم السابع، واستراح من كل صناعته التي صنع، وبارك الله اليوم السابع وقدسه؛ لأن فيه بطل من جميع صناعته التي صنع الله للفعل] .
فهذا نص التوراة الموجودة بين يدي اليهود الآن وكذلك الروايات المأثورة عن كعب في الخلق كلها تدل على أن بداية الخلق كان يوم الأحد، والحديث يخالفه ويبين أن بداية الخلق كان يوم السبت لا الأحد ، و هذا يدفع أن يكون ما في الحديث مأخوذا من قول كعب بل هو مأخوذ عن النبي ﷺ .
فالحديث لا غبار عليه البتة، لا في إسناده كما تقدم، ولا في متنه كما سيأتي، بل هو حديث صحيح ثابت، وإن توهم البعض أن القرآن يخالفه ويناقضه، وذلك أن القرآن قد أخبر في غير ما آية أن الخلق كان في ستة أيام، والحديث استوعب الأيام السبعة، فقد بين العلماء موافقة الحديث لكتاب الله تعالى وعدم مخالفته له، وكيف يكون أحدهما مخالفا للآخر وهما يخرجان من مشكاة واحدة؟ فمن أوجه التوفيق التي ذكرهـــا أهل العلم بين الوحيين ما يلي :
١-الأيام السبعة في الحديث هي غير الأيام الستة في القرآن، فإن الحديث يتحدث عن شيء من التفصيل الذي أجـــراه الله على الأرض، ويبين مرحلة من مراحل تطور الخلق عليها حتى صارت صالحة للسكنى، ويؤيد أن القرآن يذكر أن بعض الأيام عند الله تعالى كألف سنة، وبعضها مقداره خمسون ألف سنة، فلا مانع أن تكون الأيام الستة من هذا القبيل والأيام السبعة من أيامنا هذه كما هو صريح الحديث؛ فالحديث يزيد على القرآن ولا يخالفه .
٢-إن الله تعالى خلق ما خلق في الأيام الستة المذكورة في القرآن، وكانت بداية الخلق يوم السبت ونهايته يوم الخميس فهـــي ستة أيام كاملة التي ذكرت في القرآن، و لم يخلق آدم عليه السلام في تلك الأيام الستة؛ فإنه ليس في القرآن ما يدل على أن خـــلق آدم عليه السلام كان في الأيام الستة، وليس في القرآن أو السنة وكذلك ليس من المعقول أن خالقية الله تعالى وقفت بعد



فهذه الأحاديث الثابتة عن النبي ﷺ تفيدنا علما من علوم النبوة، وتبين لنا أن الله تعالى خـــلق آدم عليه السلام يوم الجمعة في آخر الخلق في آخر ساعة من ساعات يوم الجمعة فيما بين العصر إلى الليل، والله أعلم .

الأيـــام الستة، فإن هذا معلوم البطلان بالضرورة، وإنما خلقه الله تعالى بعد ذلك بمدة ، فلما خلقه خلقه يوم الجمعة، ومما يدل عـــلى تأخر خلق آدم عليه السلام أنه كان في الأرض عمار قبله عاشوا فيها دهرا ، فقد أخرج الحاكم في المستدرك (التفسير ، ســـورة الـــبقرة ٢٦١/٢) بإسناده الصحيح عن ابن عباس – رضي الله عنهما – قال : لقد أخرج الله آدم من الجنة قبل أن يدخلها أحد . قال الله تعالى : ﴿ إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ﴾ [البقرة : ٣٠] وقد كان فيها قـــبل أن يخلق بألفي عام الجن بنو الجان، فأفسدوا في الأرض، وسفكوا الدماء فلما قال الله تعالى: ﴿ إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ﴾ ؛ يعـــنون : الجن بني الجان، فلما أفسدوا في الأرض بعث عليهم جنودا من الملائكة فضربوهم حتى ألحقوهم بجزائر البحور . قال : فقالت الملائكة : أتجعل فيها من يفسد فيها كما فعل أولئك الجن بنو الجان ؟ قال : فقال الله : ﴿إني أعلم ما لا تعلمون﴾ قال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه و وافقه الذهبي .

وكذلـــك أخرج ابن أبي حاتم في تفسيره (١٠٩/١ ح : ٣٢٢) بإسناده الصحيح إلى عبد الله بن عمرو- رضـــي الله عنهما – أنه قال : كان الجن بنو الجان في الأرض قبل أن يخلق آدم بألفي سنة ، فأفسدوا في الأرض، وسفكوا الدماء، فبعث الله جندا من الملائكة . فضربوهم حتى ألحقوهم بجزائر البحور ، فقال الله للملائكة : ﴿ إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ﴾ ﴿إني أعلم ما لا تعلمون﴾ .

وهـــاذان الحديثان و إن كانا موقوفين على الصحابيين : عبد الله بن عباس وعبد الله بن عمرو – رضي الله عنهم – فهما في حكم المرفوع إلى الرسول ﷺ لأن مثل هذا لا يقال من قبل الرأي، ولا مجال فيه للاجتهاد فهما محمولان على السماع من النبي ﷺ كما هو مقرر لدى أئمة الحديث . انظر : تدريب الراوي (١٩٠/١-١٩١) .

فالحديـــثان يـــدلان على أن خلق آدم عليه السلام متأخر عن خلق السموات والأرض، وأن آدم لم يخلق في تلك الأيـــام الستة التي خلقت فيها السموات والأرض، فلما خلق كان ذلك يوم الجمعة وليس هو اليوم السابع للخلق، وعـــلى هـــذا لا تعارض بين هذا الحديث وبين القرآن، فالحديث صحيح ثابت وموافق لكتاب الله تعالى، ودعوى مخالفته لظاهر القرآن دعوى باطلة . والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وهو أعلم بالصواب .

ويـــنظر للتفصـــيل : الأنوار الكاشفة لما في كتاب " أضواء على السنة من الزلل والتضليل والمجازفة (ص : ١٨٨-١٩٣)؛ وظـــلمات أبي رية أمام أضواء السنة المحمدية (ص : ١٥٠-١٥٨)؛ ومعارف السنن شرح سنن الـــترمذي للبنوري (٣١٦/٤-٣١٧)؛ ومشكاة المصابيح (١٢١/٣ ح : ٥٧٣٤) بتحقيق الألباني ؛ ومختصر العلو للعلي الغفار (ص : ١١١-١١٢)؛ وسلسلة الأحاديث الصحيحة (٤٤٩/٣-٤٥٠ ح : ١٨٣٣)؛ وتفسير ابن أبي حاتم بتحقيق : د.أحمد عبد الله الزهراني (١٠٣/١-١٠٤ برقم : ٣٠٥ و ١٠٩/١-١١٠ برقم : ٣٢٢) ؛ ومقال للشيخ عبد القادر السندي ، منشور في مجلة الجامعة الإسلامية بعنوان : " إزالة الشبهة عن حديث التربة "، [العدد : ٤٩ (ص : ٢٩-٣٩) ؛ و العدد : ٥٠ و٥١(ص : ٤٧-٦١) ، السنة : ١٣] ، وهذا أحسن وأشمل .

المبحث الثالث : مكان خلق آدم عليه السلام.

لقد اختلف أقوال أهل العلم في بيان مكان خلق آدم عليه السلام وتحديده وتعيينه، وفيما يلي ذكرها، وبيان الراجح منها، والله الموفق للصواب .

القـــول الأول : ما نسب إلى ابن عباس – رضي الله عنهما – أنه قال : مرت بآدم عليه السلام أربعـــون سنة قبل أن ينفخ فيه الروح، وهو ملقى بين مكة والطائف . وهذا القول ذكره القرطبي، ونسبه إلى ابن عباس – رضي الله عنهما – ولكنه لم يذكر له إسنادا إليه، كما لم يحل إلى من ذكره بالإسناد إليه [1].

القول الثاني : إن آدم عليه السلام خلق في بقعة من بقاع الأرض، وكانت بقعة مثمرة رائعة واقعــة عـــلى جبل من الجبال أو مكان مرتفع من الأرض . وهذا القول أعم من القول السابق إذ ليس فيه تحديد لمكان معين في الأرض . قال به جماعة من المتأخرين المعاصرين : مـــنهم الشيخ عبد الرحمن بن محمد الدوسري [2] وعبد الكريم الخطيب [3] وعفيف عبد الفتاح طبارة [4] وعبد الصبور شاهين [5] ومحمد علي حسن الحلبي [6].

---

(١) انظر : الجامع لأحكام القرآن (١١٩/١٩)؛ و القرطبي هو محمد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري الأندلسي، الإمام المفسر الفقيه المحدث، توفي سنة ٦٧١هـ. انظر : طبقات المفسرين (ص : ٢٤٦-٢٤٧ برقم : ٢٩٥).

(٢) انظر : صفوة الآثار والمفاهيم من تفسير القرآن العظيم (٩٢/١) و الدوسري هذا، كان عالما مفسرا داعية، توفي سنة ١٣٩٩هـ . انظر : تكملة معجم المؤلفين (ص : ٢٨٣) .

(٣) انظر : التفسير القرآني للقرآن (٥٩/١)؛ وقصتا آدم و يوسف عليهما السلام (ص : ٤٢)، والخطيب هو عبد الكريم محمود يونس أحمد حسن الخطيب، له عدة كتب، وفي بعضها ما يمس جانب العقيدة، وقد رد على بعض خرافاته الشيخ صالح الفوزان والشـــيخ سعود الخلف وغيرهما، وسيأتي ذكر بعض آرائه الضالة مع الرد عليها ، وقد توفي الخطيب هذا – سامحه الله – سنة ١٤٠٦هـ . انظر : تكملة معجم المؤلفين (ص : ٣٢٠-٣٢١)؛ والبيان لأخطاء بعض الكتاب للشيخ صالح الفوزان (ص : ٤٧-٦٩)؛ ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب بين المعارضين والمنصفين والمؤيدين للشيخ محمد جميل زينو (ص : ٢٤-٥٤)؛ ودراسات في الأديان : اليهودية والنصرانية للشيخ سعود الخلف (ص : ٢٤)؛ و(ص : ٢٣٧و ٨٢٢) من هذا البحث .

(٤) انظر : مع الأنبياء في القرآن الكريم (ص : ٣٩) .

(٥) انظر : أبي آدم قصة الخليفة بين الأسطورة والحقيقة (ص : ١٥٩-١٦١) .

(٦) انظر : المتشابه من القرآن (ص : ٣٦) .

وقــد اســتدل الدوســري وعفيف طبارة لما ذهبا إليه بأن الله خلق آدم ليكون خليفة في الأرض وبأنه لم يرد نص برفعه إلى السماء و لكن هذا الاستدلال فيه نظر، وبيان ذلك بما يلي :

١- خَــلْقُ اللهِ تعالى آدم ﷺ ليكون خليفة في الأرض لا يلزم منه أن يكون قد خلقه فيها، ولا مانع من أن يكون الله سبحانه وتعالى خلقه في غير الأرض ثم جعله خليفة فيها وأنزله إليها . وهذا هو الصحيح كما سيأتي بيانه .

٢- وقولــه تعالى : ﴿ إني جاعل في الأرض خليفة ﴾ [1] إذا قلنا أن المراد بالخليفة في الآية هو آدم ﷺ - مع خلاف فيه- [2]، فهذا لا يدل على المكان الذي خلق الله تعالى فيه آدم ﷺ، وإنما يدل على المكان الذي جعله خليفة فيه .

٣- قولهمــا : لم يرد نص برفعه إلى السماء، فهذا لا يدل على أنه خلق في الأرض، فإن عدم الدليل المعين لا يلزم منه عدم المدلول المعين .

٤-كمــا أنــه يجــب على من يقول بأن آدم ﷺ لم يخلق في الأرض أن يثبت ذلك بــالدليل، فكذلك يجب على من يقول بأنه خلق في الأرض أن يثبت بالدليل أن المادة التي خلق منها لم ترفع إلى السماء .

وقد استدل عبد الكريم الخطيب لما ذهب إليه بقوله تعالى : ﴿ منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى ﴾ [3] .

وهــذا الاســتدلال غير صحيح، فإنه ليس في الآية بيان مكان خلق آدم ﷺ بأنه خلق في الأرض، بل فيها إشارة إلى المادة التي خلق منها آدم ﷺ، فهو سبحانه وتعالى بين أنه خلقنا جميعا من الأرض إذ خلق أبانا وأصلنا آدم ﷺ من ترابها، وأنه يعيدنا فيها إذا متنا، وأنه يخرجنا منها يوم البعث والنشور للحساب والجزاء [4]، فليس في الآية بيان للمكان الذي خلق فيه آدم ﷺ .

---

(١) البقرة الآية : ٣٠

(٢) انظر : (ص : ٦٥٢-٦٥٥) .

(٣) طه الآية : ٥٥

(٤) انظر : تفسير القرآن العظيم (٣/١٥٦)؛ وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص : ٦٨٥) .

فــلا يصح الاستدلال بكون آدم ﷺ جعل خليفة في الأرض على قول من قال بأن المـــراد بالخـــليفة في الآية هو آدم ﷺ على أنه خلق في الأرض، كما لا يصح الاستدلال بكونه خلق من تراب الأرض و مادتها على أنه خلق في بقعة من بقاعها أو على جبل من جبالها، والله أعلم بالصواب .

القــول الثالث : خلق الله تعالى آدم ﷺ في سماء الدنيا، وإنما أسجد له ملائكة سماء الدنيا، و لم يسجد له ملائكة السماوات . هذا القول محكي عن ابن جريج [(١)] .

ولكن هذه الرواية فيها كلام في سندها ومتنها .

أما السند فلأن فيه راويا اسمه المسيب بن واضح، وهو مختلف فيه عند الأئمة، فكان الإمـــام النســـائي [(٢)]حســـن الرأي فيه، وكان لا يحب الكلام فيه، وكان يقول : الناس يؤذوننا فيه؛ أي : بالكلام فيه [(٣)].

وتكلم فيه الآخرون فقال عنه أبو حاتم [(٤)]: صدوق كان يخطئ كثيرا، فإذا قيل له لم يقبل . وقال الساجي [(٥)] : تكلموا فيه في أحاديث كثيرة . وقال الدارقطني[(٦)] : ضعيف . وقال ابن عدي [(٧)]: له حديث كثير، وأنه كان يشتبه عليه من غير أن يتعمد، وهو لا بأس به . وقال أيضا : قلت لعبدان : أيهما أحب إليك هو [أي : عبد الوهاب بن الضحاك] أو

---

(١) أخـــرجه أبو الشيخ في العظمة (٥/١٥٦٢ برقم : ١٠٣١) بإسناده إليه فقال : ثنا عبد الغفار الحمصي، ثنا المسيب بن واضح، ثنا حجاج، عن ابن جريج قال : خلق الله آدم ﷺ في سماء الدنيا ...ألخ .

(٢) أحمد بن شعيب بن علي النسائي، شيخ الإسلام، ناقد الحديث، صاحب السنن، توفي سنة ٣٠٣هـــ . انظر : سير أعلام النبلاء (١٤/١٢٥) .

(٣) انظر : سير أعلام النبلاء (١١/٤٠٣)؛ و ميزان الاعتدال (٤/١١٦ برقم : ٨٥٤٨)؛ ولسان الميزان (٦/٤٠ برقم : ١٥٧).

(٤) محمد بن إدريس بن المنذر الحنظلي، أبو حاتم الرازي، أحد الحفاظ، من كبار أئمة الجرح والتعديل، توفي سنة ٢٧٧هـــ . انظر : تقريب التهذيب (ص : ٤٦٧ برقم : ٥٧١٨) .

(٥) زكريا بن يحيى الساجي البصري، ثقة فقيه، توفي سنة ٣٠٧هـــ . انظر : تقريب التهـــذيب (ص : ٢١٦ برقم : ٢٠٢٩) .

(٦) الحسن بن علي بن عمر بن مهدي الشهير بالدارقطني، الإمام الحافظ الناقد، صاحب العلل والتصانيف الغزيرة، توفي سنة ٣٨٥هـــ . انظر : سير أعلام النبلاء (١٦/٤٤٩) .

(٧) عبد الله بن عدي بن عبد الله الجرجاني، الإمام الحافظ الناقد الجوال، توفي سنة ٣٦٥هـــ . انظر : سير أعلام النبلاء (١٦/١٥٤-١٥٦) .

المســـيب ؟ قال : كلاهما سواء . وقول ابن عدي هذا أشد تجريحا من القول السابق لأن أقوال الأئمة في عبد الوهاب بن الضحاك شديدة جدا فهو ضعيف جدا أو متروك [1].

وقال الجوزقاني [2]: كان كثير الوهم والخطأ [3]. وقال ابن الجوزي[4] : كثير الوهم .

والـــذي يظهر لي أن كلام الإمام النسائي عن المسيب بن واضح ألصق بجانب العدالة دون الضـــبط، فيمكن أن يقال بأنه كان مأمونا عليه في دينه وأخلاقه، فهو عدل من هذا الجـــانب، وهذا يستحسن منه، ولكنه لم يكن حافظا ضابطا لأحاديثه، فكان يشتبه عليه، ولذلك كثر منه الخطأ والوهم في مروياته كما نص على ذلك غير واحد من الأئمة إلا أنه لم يكن يتعمد ذلك كما قال الحافظ ابن عدي .

الحاصل : إن المسيب بن واضح في أحاديثه ورواياته أوهام كثيرة لأنه موصوف بكثرة الخطـــأ والوهـــم والإصرار على ذلك، فلا بد لقبول ما جاءت عن طريقه من التأني فيها والتأكد من ثبوتها وصحتها .

وأما الكلام في متن هذه الرواية المحكية عن ابن جريج ففيها نكارة شديدة؛ لأن فيها مخالفـــة واضـــحة لصـــريح كلام الله تعالى حيث أخبر الله تعالي في محكم كتابه أن جميع الملائكة سجدوا لآدم ﷺ فقال تعالى : ﴿ فسجد الملائكة كلهم أجمعون ﴾ [5] .

فهـــذه الآيـــة القرآنية تبين أن جميع الملائكة سجدوا لآدم ﷺ ولكن هذه الرواية المنسوبة إلى ابن

---

(١) انظر : (الكامل في ضعفاء الرجال ٢٩٥/٥ برقم : ١٤٣٥)؛ وميزان الاعتدال (٦٧٩/٢ برقم : ٥٣١٦)؛ ولسان الميزان (٤١/٦ برقم : ١٥٧)؛ وتقريب التهذيب (ص : ٣٦٨ برقم : ٤٢٥٧) .

(٢) الحســـين بن إبراهيم بن حسين الهمداني الجوزقاني وقيل : الجورقاني، محدث فاضل، عالم بالرجال، توفي سنة ٥٤٣هـــ . انظر : سير أعلام النبلاء (١٧٧/٢٠-١٧٨) .

(٣) انظر أقوال الأئمة عن المسيب بن واضح في : الجرح والتعديل (٢٩٤/٨ برقم : ١٣٥٥)؛ والكامل في ضعفاء الرجال (٢٩٥/٥ برقم : ١٤٣٥، ترجمة عبد الوهاب بن الضحاك و ٣٨٩/٦ برقم : ١٨٧٤، في ترجمة المسيب بن واضح)؛ والضعفاء والمتروكون لابن الجوزي (١٢١/٣ برقم : ٣٣٢٤)؛ وسير أعلام النبلاء (٤٠٤/١١)؛ وميزان الاعتدال (١١٦/٤-١١٧ برقم : ٨٥٤٨)؛ ولسان الميزان (٤١/٦ برقم : ١٥٧).

(٤) عـــبد الـــرحمن بن علي بن محمد بن علي القرشي التيمي، الشهير بابن الجوزي، إمام حافظ مفسر من شيوخ الحنابلة، صاحب التصانيف إلا أنهم لم يرضوا تصانيفه في العقيدة، توفي سنة ٥٩٧هـــ . انظر : سير أعلام النبلاء (٣٦٥/٢١) .

(٥) الحجر الآية : ٣٠ و ص الآية : ٧٣

جريج تقول : لم يسجد لآدم ﷺ جميع الملائكة، وإنما سجد له بعضهم، وهم ملائكة سماء الدنيا فقط . وسيأتي ذكر ذلك بالتفصيل إن شاء الله تعالى عند الكلام عن الملائكة الذين سجدوا لآدم ﷺ [1] .

خلاصة القول : إن هذا الكلام المحكي عن ابن جريج غير ثابت عنه، وعلى فرض ثبوته عنه لا يسلم له ذلك؛ لكونه مخالفا لما جاء في كتاب ربنا تبارك وتعالى وأحاديث نبينا الصحيحة .

القـــول الرابع : إن الله تعالى خلق آدم ﷺ في السماء . فهذا القول أعم من القول السابق ، وإليه ذهب أبو نضرة [2] و ابن زيد في رواية عنه [3] .

القـــول الخـــامس : خلق الله تعالى آدم ﷺ في الجنة . قال به ابن زيد كما في رواية أخرى عنه [4] ، وعبد الله بن وهب [5] كما حكى ذلك عنه ابن أخيه أحمد بن عبد الرحمن القرشي [6] فقال : (جاء يوسف بن عمرو [7] إلى عمي عبد الله بن وهب، فقال له : يا أبا محمد أخبرني عن الجنة التي خلق فيها آدم ﷺ، وأخرج منها، أهي الجنة التي يعود إليهـــا آدم ﷺ، ويدخـــلها المؤمنون، وهي الجنة التي فيها العرش ؟ فقال له : أي شيء هذا

---

(١) انظر : (ص : ٣٣٩-٣٤٩).

(٢) أخرجه أبو الشيخ في العظمة (١٥٦٠/٥-١٥٦١) بإسناد حسن .

(٣) أخرجه عنه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٩٨/٣٠) بإسناده إليه، ورجال الإسناد كلهم ثقات. وأيضا ذكر عـــنه هـــذا القول ابن الجوزي في زاد المسير (١٣٠/٩)؛ وابن كثير في تفسيره (٥١٢/٤)، وابن زيد هو عـــبد الرحمن بن زيد بن أسلم العدوي مولاهم، ضعيف، توفي سنة ٨٢هـــ . انظر : تقريب التهذيب (ص : ٣٤٠ برقم : ٣٨٦٥)؛ وسيأتي ذكر أقوال أخرى لأئمة الجرح والتعديل عنه في (ص : ٥٠٩-٥١٢) .

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (١٢٥/٢٧) بإسناده إليه، ورجال الإسناد كلهم ثقات . وأخرج أبو الشيخ في العظمة (١٥٦٣/٥ -١٥٦٤) في حديث طويل من حديث ابن زيد مرفوعا إلى النبي ﷺ، وفيه : ((...فألقى الله عز وجل تلك القبضة في نهر من أنهار الجنة حتى صارت طينا ثم تركها فكانت حمأ مسنونا ...)) وقد وصف السيوطي في الدر المنثور (١١٩/١) هذا السند بالصحة ولكنه صحيح إلى ابن زيد؛ أي : من قوله فقط، ولا يصح مرفوعا إلى النبي ﷺ لكون عبد الرحمن بن زيد ضعيفا كما تقدم، ولأنه من أتباع التابعين وقد روى الحديث مرفوعا إلى النبي ﷺ فأسقط من الإسناد الصحابي ومن روي عنه، وعلى هذا يكون الإسناد معضلا. فلا يصح الاعتماد عليه لعدم صحة إسناده إلى النبي ﷺ ولكنه يؤكد ما جاء عن ابن زيد بأن آدم ﷺ خلق في الجنة .

(٥) أبو محمد عبد الله بن وهب بن مسلم المصري، صاحب مالك، ثقة حافظ عابد، صاحب سنة وأثر، توفي سنة ١٩٧هـــ . انظر : تهذيب التهذيب (٢٩٥/٣-٢٩٧ برقم : ٤١٨٩) .

(٦) أحمد بن عبد الرحمن بن وهب بن مسلم القرشي مولاهم المصري، لقبه بحشل، صدوق تغير بأخرة، توفي سنة ٢٦٤هـــ . انظر : تقريب التهذيب (ص : ٨٢ برقم : ٦٧) .

(٧) يوسف بن عمرو بن يزيد المصري، صدوق صالح فقيه، توفي سنة ٢٠٥هـــ . انظر : تقريب التهذيب (٦١١ برقم : ٧٨٧٥) .

الكـــلام ؟ مـــن تجالس ؟ فقال : ما أجالس إلا أصحابنا و لكن تذاكروا شيئا أردت أن أســـألك عـــنه. فقال عمي : نعم، هي الجنة التي يدخلها المؤمنون، وهي الجنة التي فيها العرش، إنما أنفقنا الأموال وضربنا إلى العلماء لهذا وأشباهه) [1].

وإليه ذهب الإمام ابن مندة [2] إذ قال : (بيان آخر يدل على أن الله تعالى خلق آدم عليه السلام بيديه، وصفة خلقه لما خلقه الله عز وجل في الجنة) [3]، وبه قـــال القرطبي [4] وعبد الرؤوف المناوي [5]، والدكتور عمر سليمان الأشقر [6] وتبعه الأخ أبو بكر زكريا [7]، وكذلك قال به الدكتور عبد الله بن مطلق الطوالة [8].

وذكر علي المنوفي [9] ومحمد التتائي [10] وأحمد النفراوي [11] أن القول بخلق آدم عليه السلام في الجنة هو قول الجمهور .

أدلة هذا القول :

قال الشيخ عمر سليمان الأشقر : (وأخبرنا بالمكان الـــذي خلق فيه، وهـــو الجنة : ﴿ وقلنا يا آدم اسكن انت و زوجك الجنة ﴾ [12]) [13] .

---

(١) التوحيد (٣٠٧/٣ برقم : ٨٩٢) .

(٢) محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى العبدي الأصبهاني، الإمام الحافظ الجوال صاحب التصانيف، وكان من دعاة السنة وحفاظ الأثر، توفي سنة ٣٩٥هـــ . انظر : ميزان الاعتدال (٤٧٩/٣ برقم : ٧٢١٣).

(٣) كتاب التوحيد (٩١/٣) .

(٤) انظر : المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٥٩٧/٦ و ١٨٢/٧-١٨٣) .

(٥) انظر : فيض القدير (٤٢/٤)، والمناوي هو عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي الحدادي المناوي، عالم مشارك في أنواع من العلوم صاحب تصانيف كثيرة، توفي سنة ١٠٣١هـــ. انظر : معجم المؤلفين (٢٢٠/٥) .

(٦) انظر : العقيدة في الله (ص : ٩٠) ؛ وصحيح القصص النبوي (ص : ٢٢).

(٧) انظر : رسالته في الماجستير بعنوان : الشرك في القديم والحديث (٧٧٧/١) .

(٨) انظر : خلق آدم وذريته كما ورد في التنزيل (ص : ٢٤) .

(٩) انظر : كفاية الطالب الرباني لرسالة ابن أبي زيد القيرواني (٣٥/١)، والمنوفي هو علي بن محمد بن محمد المنوفي المصري، فقيه محدث نحوي لغوي، توفي بالقاهرة سنة ٩٣٩هـــ . انظر : معجم المؤلفين (٢٣٠/٧) .

(١٠) انظـــر : تنوير المقالة في حل ألفاظ الرسالة (٢٩٠/١)، والتتائي هو محمد بن إبراهيم بن خليل التتائي المصري المالكي، فقيه أصولي فرضي، توفي سنة ٩٤٢هـــ على الراجح . انظر : معجم المؤلفين (١٩٤/٨) .

(١١) انظـــر : الفواكـــة الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني (٨٢/١)، والنفراوي هو أحمد بن غنيم بن سالم بن مهنأ النفراوي المالكي، فقيه مشارك في بعض العلوم، توفي سنة ١١٢٥هـــ أو بعدها بسنة . انظر : معجم المؤلفين (٤٠/٢، ١٩٧) .

(١٢) البقرة الآية : ٣٥

(١٣) العقيدة في الله (ص : ٩٠) .

ولكــــن هـــذه الآية ليس فيها تصريح بأن آدم ﷺ كان خلق في الجنة إذ لا يلزم من إسكان الله تعالى للأبوين في الجنة أن يكون قد خلقهما فيها .

وقد أورد الإمام ابن مندة تحت عنوان : (بيان آخر يدل على أن الله تعالى خلق آدم ﷺ بيديه، وصفة خلقه لما خلقه الله عز وجل في الجنة) [1] ثلاثة أحاديث مرفوعة، وأربعة آثار محكية عن الصحابة موقوفة عليهم ولكن هذه الأحاديث والآثار متعلقة بخلق الله تعالى آدم ﷺ بيده من الطين، وأما خلقه في الجنة فليس في شيء منها ما يدل صراحة على ذلك إلا مـــا جاء عن طريق السدي منسوبا إلى ابن عباس وابن مسعود وناس من الصحابة – رضي الله عنهم – موقوفا عليهم، وفيه (... فلما دخل الروح في عينيه نظر إلى ثمار الجنة، فـــلما دخـــل في جوفه اشتهى الطعام، فوثب قبل أن يبلغ الروح في رجليه عجلا إلى ثمار الجنة، فذلك حين يقول : ﴿ خلق الإنسان من عجل ﴾ [2]...)[3].

---

(١) كتاب التوحيد (٩١/٣) .

(٢) الأنبياء الآية : ٣٧

(٣) أخرج عنه ابن جرير في تفسيره (٢٢٥/١)؛ وابن مندة في التوحيد (٩٣/٣-٩٤ برقم : ٤٨٦) كلاهما من طريق أسباط بن نصر عن السدي في خبر ذكره عن أبي مالك، وعن أبي صالح عن ابن عباس ، وعن أبي مرة عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب النبي ﷺ من قولهم . وهذا الإسناد محل خلاف بين العلماء تصحيحا وتضعيفا فقال ابن جرير الطبري (١٥٦/١-١٥٧) : (لســـت أعـــلمه صحيحا إذكنت بإسناده مرتابا) . وقال الإمام أحمد عن السدي كما في تهذيب التهذيب (٢٠٠/١ برقم : ٥٧٢) : (إنه ليحسن الحديث إلا أن هذا التفسير الذي يجيء به قد جعل له إسنادا واستكلفه). وقال الحافظ أبو يعلى الخليلي في (الإرشاد في معرفة علماء الحديث ٣٩٧/١-٣٩٨) : (وتفسير إسماعيل بن عبد الرحمن السدي فإنمـــا يسنده بأسانيد إلى عبد الله بن مسعود وابن عباس، وروى عن السدي الأئمة مثل الثوري وشعبة، لكن التفسير الذي جمعه رواه أسباط بن نصر، وأسباط لم يتفقوا عليه، غير أن أمثل التفاسير تفسير السدي). وقال الحافظ ابن كثير في تفسيره (٧٦/١-٧٧) : (فهـــذا الإسناد إلى هؤلاء الصحابة مشهور في تفسير السدي، ويقع فيه إسرائيليات كثيرة، فلعل بعضها مدرج ليس من كلام الصحابة أو أنهم أخذوه من بعض الكتب المتقدمة والله أعلم) ونحوه قال في (البداية والنهاية ١٨/١و ١٨٦) . وقال الحافظ ابن حجر في (العجاب في بيان الأسباب ٢١١/١-٢١٢) عن السدي : (هو كوفي صدوق لكنه جمـــع التفسير من طرق منها عن أبي صالح عن ابن عباس، و عن مرة بن شراحيل عن ابن مسعود، وعن ناس من الصحابة وغيرهم، وخلط روايات الجميع فلم تتميز رواية الثقة من الضعيف، و لم يلق من الصحابة إلا أنس بن مالك) . وقد صحح هـــذا الإســـناد ابن مندة في (التوحيد ٩٤/٣ برقم : ٤٨٦) فقال : (هذا إسناد صحيح ورواته ثقات مشاهير على رسم الجماعـــة) وكذلك صححه الحاكم في مواضع في المستدرك (٢٥٨/٢ ، ٢٦٠ ، ٢٧٣ ٣٢١-٣٢٢) ووافقه الذهبي، والشيخ أحمد شاكر في تعليقه على تفسير الطبري (١٥٦/١-١٦٠) وزاد أن الجمع بين الأسانيد الذي فعله السدي ليس بمستنكر عند السلف؛ فإن الإمام الزهري كان يفعل ذلك كما فعل في حديث الإفك في صحيح البخاري (الشهادات، ب :

←

ولكن في الاستدلال بهذا الأثر على القول بخلق آدم ﷺ في الجنة نظر من وجهين :

١- إسناد هذا الأثر فيه كلام، وجانب ضعفه أرجح كما تقدم بيانه في الهامش.

٢- يحتمل أن يكون من الإسرائيليات كما نبه على ذلك الحافظ ابن كثير وقد تقدم قوله - وكذلك نبه على ذلك الشيخ محمد الأمين الشنقيطي – رحمه الله – فقال: (قال بعض أهل العلم : المراد بالإنسان في قوله : ﴿ خلق الإنسان من عجل ﴾ آدم . وعن سعيد بن جبير [1] والسدي : لما دخل الروح في عيني آدم نظر في ثمار الجنة، فلما دخل جوفه اشتهى الطعام، فوثب من قبل أن تبلغ الروح رجليه عجلان إلى ثمار الجنة ... والظاهر أن هذه الأقوال ونحوها من الإسرائيليات) [2]. وعلى هذا، لا يمكن الاعتماد على الأثر المذكور، المنسوب إلى ابن عباس وابن مسعود وناس من أصحاب النبي ﷺ ولكن يمكن الاستئناس به .

تعديل النساء بعضهم بعضا ٩٤٢/٢-٩٤٦ ح : ٢٥١٨) ولكن هذا الرأي فيه نظر لأن الأئمة لم يقبلوا الجمع بين الأسانيد من كل أحد، وإنما قبلوا ذلك من الثقة الحافظ المتقن الذي يعرف اتفاق شيوخه واختلافهم كالزهري وابن وهب . وأما إذا جمع الراوي بين الأسانيد، وهو ليس من الحفاظ المتقنين فرواياته غير مقبولة عندهم وإن كانت روايته مقبولة عندهم إذا روى عن أحدهم مفردا من غير جمع . انظر : الإرشاد في معرفة علماء الحديث (٤١٧/١-٤١٨)؛ وشرح علل الترمذي (٨١٦/٢). والسدي ليس من أولئك الحفاظ المتقنين، فقد تكلم فيه الأئمة كما في تهذيب التهذيب (١٩٩/١-٢٠٠ برقم : ٥٧٢) فمنهم من وثقه ، ومنهم من ضعفه تضعيفا يسيرا، ومنهم من شدد في تضعيفه حتى وسمه بالكذب، ومنهم من جعله في مرتبة الصدوق، مع الحاجة إلى النظر والتثبت في مروياته. ويظهر لي من خلال النظر في أقوال الأئمة أن هذا من أعدل الأقوال فيه، فهو صدوق يهم على القول الراجح فيه، ولا يبلغ درجة الثقات الحفاظ المتقنين الذين قبل منهم الجمع بين الأسانيد، فلا تصح مقارنته بالإمام الحافظ المتقن كالزهري وأمثاله، والله أعلم . ثم إن مدار إسناد السدي على أسباط بن نصر الهمداني، وأسباط هذا لم يتفقوا عليه كما تقدم من قول الخليلي، وهو كما قال؛ فقد تكلم فيه الأئمة كما في تهذيب التهذيب (١٣٧/١ برقم : ٣٩٦) ففقد وثقه ابن معين في رواية ، وذكره ابن حبان في الثقات، وجعله البخاري وموسى بن هارون في مرتبة الصدوق، وضعفه الإمام أحمد والنسائي تضعيفا يسيرا، وضعفه ابن معين في رواية تضعيفا شديدا فقال : ليس بشيء . وقد بين سبب ذلك الضعف أبو نعيم فضعَّفه وقال : أحاديثه عامية سقط مقلوب الأسانيد. وقال الساجي : روى أحاديث لا يتابع عليها .. فهذا تضعيف شديد مبين من قبل أبي نعيم و الساجي، وأما توثيق ابن معين في رواية فتعارضه الرواية الأخرى عنه التي ضعف فيها، وهي توافق أكثر أقوال الأئمة الآخرين، فعليها الاعتماد من روايتيه، فلم يبق قول من أقوال الأئمة يدل على توثيقه إلا ما كان من ابن حبان إذ ذكره في الثقات، ويتبين مما سبق أن أكثر الأئمة لم يصفوه بالثقة ولذا قال الحافظ ابن حجر في (تقريب التهذيب ص : ٩٨ برقم : ٣٢١) : (صدوق كثير الخطأ يغرب)، ومن هنا يتبين أن الذين ضعفوا هذا الإسناد قولهم أقرب إلى الصواب، وأن الذين حكموا عليه بالصحة قد وقع منهم تساهل في هذا الحكم، والله أعلم بالصواب .

(١) سعيد بن جبير الأسدي مولاهم، ثقة ثبت فقيه، قتل بين يدي الحجاج سنة ٩٥هـ . انظر : تقريب التهذيب (ص : ٢٣٤ برقم : ٢٢٧٨) .

(٢) أضواء البيان (٤٣٣/٤ ، الأنبياء : ٣٧) .

ويدل على صحة هذا الاستئناس وصحة هذا القول ما جاء في حديث صحيح أن آدم ﷺ خُلِقَ وصُوِّرَ في الجنة . فعن أنس ﷺ مرفوعا إلى رسول الله ﷺ أنه قال : لما صور الله آدم في الجنة تركه ما شاء الله أن يتركه، فجعل إبليس يطيف به ينظر ما هو، فلما رآه أجوف عرف أنه خلق خلقا لا يتمالك [1] .

قال القرطبي في شرح هذا الحديث : (يعني أن الله تعالى لما صور طينة آدم، وشكلها بشكله على ما سبق في علمه تركه في الجنة) [2] .

وقـــال الدكتور عبد الله بن مطلق الطوالة : (يستفاد من هذا الحديث أن خلق آدم عليه الصلاة والسلام وتصويره كان في الجنة) [3] .

فهذا الحديث النبوي دليل واضح ونص صريح قاطع في محل النزاع، يدل على أن آدم ﷺ كان خلق في الجنة .

ويمكـــن الجمـــع بين القول السابق بأن آدم ﷺ خلق في السماء وبين هذا القول بأنه خـــلق في الجـــنة بأن يقال : إن آدم ﷺ خلق في الجنة، والجنة في السماء . وعلى هذا لا تعارض بين القولين، والله أعلم بالصواب .

القـــول السادس : خلق آدم ﷺ خارج الجنة ثم أدخل فيها . هذا القول ذهب إليه الشـــــوكاني [4]،وتـــــبعه خـــــليل أحمـــــد الســـــهارنفوري [5]

---

(١) أخرجه م (البر والصلة والآداب، ب : خلق الإنسان خلقا لا يتمالك ٢٠١٦/٤ ح : ٢٦١١) .

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٥٩٧/٦) .

(٣) خلق آدم وذريته كما ورد في التنزيل (ص : ٢٤) .

(٤) انظر : نيل الأوطار (٢٨٧/٣)، والشوكاني هو محمد بن علي بن محمد الشوكاني، مفسر محدث فقيه أصولي ذو تصانيف كثيرة في علوم متنوعة، توفي سنة ١٢٥٠هـ . انظر : معجم المؤلفين (٥٣/١١) .

(٥) انظر : بذل المجهود في حل أبي داود (٦/٦)، والسهارنفوري هو خليل أحمد بن مجيد على بن أحمد علي، من كبار علماء الأحناف الديوبنديين، ذكر في كتابه (المهند على المفند ص : ٢٩-٣٠) بأنه و مشايخه على عقيدة الأشعرية والماتريدية في الاعتقاد والأصول، وعلى مذهب الإمام أبي حنيفة في الفروع، وعلى عدة طرق صوفية في السلوك، و زعم في (ص : ٤٥-٤٦) : أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب ومن تبعه ونصر دعوته فرقة من الخوارج، إلى غير ذلك من أقوال القوم ومعتقداتهم الـــتي تمـــس جـــانب العقيدة الصحيحة والتي يجب الحذر منها، وقد وافقه على ذلك سبعة وثلاثون عالما من كبار العلماء الديوبـــنديين من القديم والحديث، توفي سنة ١٣٤١هـ . انظر : ترجمته في مقدمة كتابه " بذل المجهود " بقلم الشيخ أبي الحسن علي الندوي، وبقلم الشيخ حسين أحمد المدني . و انظر : عقائد علماء الديوبند (٩-١٠و ص : ٦٧) .

ومحمد زكريا الكاندهلوي [1]، و به قال الشيخ عبد القادر شيبة الحمد [2].

وقد استدلوا لما ذهبوا إليه بحديث أبي هريرة ﷺ مرفوعا إلى النبي ﷺ أنه قال : خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعـــة، فيه خلق آدم، وفيه أدخل الجنة، وفيه أخرج منها [3].

ولكـــن يمكن أن يقال بأن طينة آدم ﷺ حملت إلى الجنة فصورت فيها على ما سبق في علم الله تعالى ثم نفخ الخالق سبحانه فيه من روحه، وليس في حديث أبي هريرة وغيره مـــن الأحاديث التي فيها بأنه أدخل فيها يوم الجمعة ما يدل على أن آدم ﷺ أدخل الجنة بعد ما نفخ فيه الروح [4] .

فـــإن كان هذا التوجيه سليما مقبولا فكفى به رحمة و فضلا من الله سبحانه وتعالى، وإن كان غير سليم فأستغفر الله وأتوب إليه.

ثم إن حديث أنس ﷺ يمكن أن يرجح على حديث أبي هريرة ﷺ، وذلك لما يلي :

١- يمكـــن أن يقال بأن إدخال آدم ﷺ الجنة يوم الجمعة فيه احتمالان : إنه أدخل فيها بعد نفخ الروح فيه، وليس في الحديث ما يدل على ذلك أو أنه أدخل الجنة قبل نفخ الروح فيه ، أي حملت طينته إلى الجنة فصورت فيها على ما سبق في علم الله تعالى ثم نفخ الخالق سبحانه فيه من روحه . وهذا أقرب لما جاء في حديث أنس ﷺ وهو قوله ﷺ : ((لما صور الله آدم في الجنة تركه ما شاء أن يتركه فيها ...)) وهذا لا يحتمل إلا معنى واحدا وهو

(١) انظر : أوجز المسالك إلى موطأ الإمام مالك (٢٥٤/٢)؛ والكاندهلوي هو الشيخ محمد زكريا بن يحيى ، من أكابـــر علماء الأحناف الديوبنديين، نسب إليه القول بوحدة الوجود، وتوفي بالمدينة المنورة سنة ١٤٠٢هـــ. انظر : تكملة معجم المؤلفين (ص : ٤٨٣-٤٨٤)؛ وعقائد علماء الديوبند (ص : ١٤) .

(٢) انظر : تهذيب التفسير وتجريد التأويل (١٠٦/١) .

(٣) حديث صحيح أخرجه مسلم، وقد سبق تخريجه في (ص : ٨٦) .

(٤) هـــذا مستفاد من كلام الطيبي في (الكاشف عن حقائق السنن ٢٩٩/١٠)، و مثله ذكر القاري في (مرقاة المفـــاتيح ٣٢٨/٥)، والمناوي في (فيض القدير ٢٩٧/٥)، وفي (التيسير ٣٠١/٢) . و يؤيد ذلك ما سبق ذكره من حديـــث ابـــن زيد المرفوع المعضل الضعيف بأن الله ألقى تلك القبضة التي خلق منها آدم ﷺ في نهر من أنهار الجنة، وكذلك سألت غير واحد من أهل العلم والمشايخ فذكروا هذا التوجيه جمعا بين الحديثين؛ فالله أعلم بالصواب .

أن الله سبحانه و تعالى صور طينة آدم ﷺ في الجنة، وأنه خلقه فيها . وقد تقرر في الأصول أن النص الذي لا مزاحم لمدلوله مقدم على النص الذي له مزاحم لمدلوله [١].

٢- أن حديث أنس ﷺ نص منطوق في محل التزاع بأن الله سبحانه وتعالى صور طينة آدم ﷺ وشـكلها بشـكله على ما سبق في علمه سبحانه وتعالى في الجنة . وأما حديث أبي هريرة ﷺ بأنه أدخل الجنة، والاستدلال به على أنه خلق خارج الجنة فهذا معنى مفهوم. ولا شك أن النص المنطوق مقدم على المعنى المفهوم [٢] .

وبناء على ما تقدم من الوجهين يقدم حديث أنس ﷺ الذي فيها أن آدم ﷺ خلق في الجنة على حديث أبي هريرة ﷺ الذي يفهم منه أنه خلق خارج الجنة، والله تعالى أعلم بالصواب .

القـول السابع : إن طينة آدم ﷺ خمرت في الأرض، بين مكة والطائف، وتركت فيها حـتى مضت عليها الأطوار، واستعدت لقبول الصورة الإنسانية حملت إلى الجنة فصورت ونفخ فيها الروح . هذا ما ذكره الطيبي [٣] وملا علي القاري [٤] وعبد الرؤوف المناوي [٥].

وهم يريدون بهذا القول الجمع بين ما قيل بأن آدم ﷺ خلق في الأرض وبين ما جاء في الحديـث النـبوي الصحيح المروي عن أنس ﷺ بأنه صور في الجنة ولكن القول بأنه خمـرت طينـته في الأرض بين مكة و الطائف حتى مرت عليها الأطوار يحتاج إلى نقل صـحيح؛ فإن هذا من أمور الغيب، ولا مجال فيه للرأي والاجتهاد العقلي، ولا سبيل إلى إدراكه ومعرفته على وجه صحيح إلا بنور من الكتاب والسنة .

فالقول الذي يترجح لدي هو القول الخامس لكونه أوفق وألصق بما جاء عن النبي ﷺ؛ ولأن حديث أنس ﷺ صريح في محل التزاع أنه خلق في الجنة. وأما القول الأول فهو مجرد عن الدليل مع أنه لا يعلم له إسناد إلى من حكي عنه، وكذلك القول الثالث فإنه وإن كان

---

(١) انظر : شرح مختصر الروضة (٧٣٨/٣) .

(٢) انظر : مذكرة في أصول الفقه (ص : ٣٨٧) .

(٣) انظـر : الكاشف عن حقائق السنن (٢٩٩/١٠)، والطيبي هو شرف الدين الحسين بن محمد بن عبد الله، صاحب تصانيف وعالم مشارك في أنواع من العلوم، توفي سنة ٧٤٣هـ. انظر : معجم المؤلفين(٥٣/٤) .

(٤) انظر : مرقاة المفاتيح (٣٢٨/٥)، والقاري هو علي بن سلطان بن محمد الهروي المعروف بملا علي القاري، الحنفي، عالم مشارك في أنواع من العلوم، توفي سنة ١٠١٤هـ انظر : معجم المؤلفين (١٠٠/٧-١٠١) .

(٥) انظر : فيض القدير (٢٩٧/٥)؛ والتيسير بشرح الجامع الصغير (٣٠١/٢) .

له إسناد إلا أنه ضعيف لا يصح. وأما القول الثاني فأدلتها في طرف عن محل النزاع، وأما القول الرابع فهو لا يخالف هذا القول ويمكن الجمع بينهما، وأما القول السادس فلا شك أن دليلـــه صحيح قوي إلا أن دليل القول الخامس أقوى منه وأرجح لكونه نصا في محل الـــنزاع وعدم الاحتمال في دلالتها. وأما القول السابع ففيه محاولة للجمع بين دليل القول الخـــامس وبـــين القـــول الأول ولكن القول بأنها خمرت في الأرض بين مكة والطائف، وتـــركت فيها حتى مضت عليها الأطوار ثم حملت إلى الجنة فهذا يحتاج إلى نقل صحيح؛ فـــإن هذا من أمور الغيب، ولا سبيل إلى إدراكه ومعرفته على وجه صحيح إلا بنور من الكتاب والسنة، والله أعلم بالصواب .

المبحث الرابع : مادة خلق آدم عليه السلام ومراحل خلقه،

وفيه مطلبان

المطلب الأول : مادة خلق آدم عليه السلام .

خـــلق الله تعالى آدم عليه السلام من الطين. والطين يتكون من مادتين : التراب والماء؛ فإن التراب وحده إذا لم يكن رطبا مخلوطا بالماء لا يقال له طين بل هو تراب، فإذا خالطه ماء وأصبح التراب رطبا لينا صار طينا [١] مثل العجين الذي يتكون من الدقيق والماء؛ فالدقيق لوحـــده أو الماء لوحده لا يقال له عجين، فإذا اختلط الماء والدقيق صار عجينا ،فكذلك التراب والماء كل واحد منهما له اسم خاص به في حالة انفرادهما عن الآخر، فإذا اختلطتا جميعا صار طينا؛ فالطين يشتمل على مادتين : التراب و الماء ومنهما خلق آدم عليه السلام .

المادة الأولى في خلق آدم عليه السلام : التراب

خلق الله تعالى آدم عليه السلام من تراب الأرض جميعها، أسودها وأحمرها وأبيضها وسهلها وحزنها وطيـــبها وخبيـــثها، وهذه هي المادة الأولى في خلق أبي البشر آدم عليه السلام، وقد جاء بيان ذلك في القرآن الكريم في أسلوب بارع متنوع خلال كثير من الآيات بأسماء مختلفة، منها ما يلي :

- **الأرض** : قـــال تعالى : ﴿ هو أنشأكم من الأرض ﴾ [٢]، وقال تعالى : ﴿ هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض ﴾ [٣] .

- **التراب** : قال تعالى : ﴿ إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون ﴾ [٤] وقال تعـــالى : ﴿ أكفرت بالذي خلقك من تراب ﴾ [٥] وقال تعالى : ﴿ فإنا خلقناكم من تراب ﴾ [٦] وقال تعالى :

---

(١) انظر : مفردات ألفاظ القرآن (ص : ٥٣٣، مادة : طين) .

(٢) هود الآية : ٦١

(٣) النجم الآية : ٣٢

(٤) آل عمران الآية : ٥٩

(٥) الكهف الآية : ٣٧

(٦) الحج الآية : ٥

﴿ ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون ﴾ [1] وقال تعالى : ﴿ والله خلقكم من تراب ﴾ [2] وقال تعالى : ﴿ هو الذي خلقكم من تراب ﴾ [3].

● **الطين** : قال تعالى : ﴿ إذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرا من طين ﴾ [4] وقال تعالى : ﴿ هو الذي خلقكم من طين ﴾ [5] وقال تعالى : ﴿ قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين ﴾ [6] وقال تعالى : ﴿ قال أأسجد لمن خلقت طينا ﴾ [7] وقال تعالى : ﴿ وبدأ خلق الإنسان من طين ﴾ [8] وقال تعالى : ﴿ إنا خلقناهم من طين لازب ﴾ [9] وقال تعالى : ﴿ ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ﴾ [10].

● **صلصال من حمإ مسنون**: قال تعالى: ﴿ ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حمإ مسنون ﴾ [11] وقال تعالى: ﴿ وإذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرا من صلصال من حمإ مسنون ﴾ [12] وقال تعالى : ﴿ قال لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حمإ مسنون ﴾ [13] وقال تعالى : ﴿ خلق الإنسان من صلصال كالفخار ﴾ [14].

---

(١) الروم الآية : ٢٠
(٢) فاطر الآية : ١١
(٣) غافر الآية : ٦٧
(٤) ص : ٧١
(٥) الأنعام الآية : ٢
(٦) الأعراف الآية : ١٢ ؛ و ص الآية : ٧٦
(٧) الإسراء الآية : ٦١
(٨) السجدة الآية : ٧
(٩) الصافات الآية : ١١
(١٠) المؤمنون الآية : ١٢
(١١) الحجر الآية : ٢٦
(١٢) الحجر الآية : ٢٨
(١٣) الحجر الآية : ٣٣
(١٤) الرحمن الآية : ١٤

فهذه الآيات من القرآن الكريم تبين أن الله تعالى خلق أبا البشر آدم عليه السلام من تراب الأرض، هذا الذي قرره الله تعالى في كتابه جاءت السنة النبوية موافقة له، وزادت في شرحه وبيانه .

فعن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : خلقت الملائكة من نور، وخلق الجان من مارج من نار [1]، وخلق آدم مما وصف لكم [2] .

وعن ابن عمر – رضي الله عنهما – أن رسول الله ﷺ خطب الناس يوم فتح مكة فقال : يا أيها الناس إن الله قد أذهب عنكم عبية الجاهلية وتعاظمها بآبائها ، فالناس رجلان : بر تقي كريم على الله ، وفاجر شقي هين على الله . والناس بنو آدم ، وخلق الله آدم من تراب [3] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : لينتهين أقوام يفتخرون بآبائهم الذين ماتوا إنما هم فحم جهنم أو ليكونن أهون على الله من الجعل الذي يدهده الخراء بأنفه إن الله قد أذهب عنكم عُبِّيَّة الجاهلية إنما هو مؤمن تقي وفاجر شقي الناس كلهم بنو آدم وآدم خلق من تراب [4].

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض ؛ فجاء بنو آدم على قدر الأرض، جاء منهم الأحمر والأبيض والأسود وبين ذلك ، والسهل والحزن والخبيث والطيب وبين ذلك [5] .

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال : سمعت النبي ﷺ يقول : إن آدم خلق من ثلاث تربات : سوداء، وبيضاء، وخضراء [6] .

---

(١) أخرج الطبري في تفسيره (١٢٦/٢٧) عن مجاهد أنه قال : إن المارج من النار هو : اللهب الأصفر والأخضر الذي يعلو النار إذا أوقدت . وسنده صحيح كما في التفسير الصحيح (٤٢٢/٤)؛ وقال ابن الأثير : مارج النار : لهبها المختلط بسوادها . النهاية في غريب الحديث (٣١٥/٤) .

(٢) أخرجه م (الزهد والرقائق، ب : في أحاديث متفرقة ٢٢٩٤/٤ ح : ٢٩٩٦) .

(٣) حديث صحيح، وقد سبق تخريجه في (ص : ٤٤) .

(٤) حديث حسن، وقد سبق تخريجه في (ص : ٤٢) .

(٥) أخرجه د (السنة، ب : في القدر ٢٢٢/٤ ح : ٤٦٩٣)، واللفظ له؛ وت (التفسير ، سورة البقرة ٢١٤/٥ ح : ٢٩٥٥)، وقال : هذا حديث حسن صحيح ؛ وحب كما في الإحسان (التاريخ ، ب : بدء الخلق ذكر البيان بأن قوله ﷺ : خلق الله آدم من أديم الأرض كلها أراد به من قبضة واحدة منها ٢٩/١٤ ح: ٦١٦٠ و ٦٠/١٤ ح : ٦١٨١)؛ وكم (التفسير ، ب : خلق الله آدم من أديم الأرض كلها ...٢٦١/٢-٢٦٢)، وقال : (هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه) ووافقه الذهبي ؛ وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (١٤٣/٣-١٤٤ ح : ٤٦٩٣)؛ وفي السلسلة الصحيحة (١٧٢/٤ ح : ١٦٣٠) .

(٦) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٣٤/١)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٠٧/٤ ح : ١٥٨٠).

وعن ابن عباس – رضي الله عنهما – قال : خلق الله تعالى عز وجل آدم عليه السلام من أديم الأرض جميعها، من أسودها، وأحمرها، وأبيضها، ولينها، وطيبها، وغليظها وسباخها [1]؛ فكل ذلك أنت راء في ولده [2] .

فهذه الأحاديث الثابتة عن رسول الله ﷺ تبين أن آدم عليه السلام خلق من تراب الأرض، وأن هذا التراب لم يؤخذ من مكان واحد بل أخذ من جميع الأرض من تربة حمراء وبيضاء وسوداء ...وخلطت جميعها ثم خلق آدم عليه السلام منها، وهذه هي المادة الأولى التي خلق منها أبو البشر آدم عليه السلام كما تقدم في ضوء الكتاب و السنة .

المادة الثانية في خلق آدم عليه السلام : الماء

لقد تقدم ذكر الآيات الدالة على أن آدم عليه السلام مخلوق من الطين، وأن الطين يتكون من مادتين : التراب والماء ، فالتراب هي المادة الأولى في خلق آدم كما تقدم ، والماء هي الأخرى التي خلق منها آدم عليه السلام فجميع الآيات المتقدمة الدالة على أن آدم عليه السلام خلق من الطين أو الحمأ المسنون أو الصلصال كلها تدل على المادة الثانية التي خلق منها آدم عليه السلام وهو الماء .

هذا، وقد ورد ذكر الماء على أنه عنصر أساسي في خلق كل مخلوق حي . قال الله تعالى : ﴿ والله خلق كل دابة من ماء ﴾ [3] وقال تعالى : ﴿ وهو الذي خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا ﴾ [4] وقال تعالى : ﴿ وجعلنا من الماء كل شيء حي ﴾ [5].

فالله سبحانه وتعالى بين أنه خلق كل ما يدب ويمشي على الأرض من المخلوقات

---

(١) السِّباخ : جمع سَبَخَة، وهي الأرض التي تعلوها الملوحة، ولا تكاد تنبت إلا بعض الشجر . انظر : النهاية في غريب الحديث (٢/٣٣٣ ، مادة : سبخ) .

(٢) أخرجه أبو الشيخ في العظمة (٥/١٥٤٧-١٥٤٨ ح : ١٠٠٨-٧)، قال محققه : هو موقوف ورجال إسناده ثقات؛ والبيهقي في الأسماء والصفات (ب : بدء الخلق ٢/٢٥٨ ح : ٨١٧)، قال محققه : إسناده صحيح رجاله كلهم ثقات؛ والتيمي في الحجة في بيان المحجة (ذكر الآيات الدالة على وحدانية الله تعالى ، وأنه خالق الخلق ١/٣٧٧-٣٧٨ ح : ٢١٣)، ويشهدله حديثا أبي موسى الأشعري وأبي ذر الغفاري – رضي الله عنهما – وقد سبق ذكرهما في الصفحة الماضية.

(٣) النور الآية : ٤٥

(٤) الفرقان الآية : ٥٤

(٥) الأنبياء الآية : ٣٠

من الماء فتكون هذه الآيات شاملة لأبي البشر وبنيه، شمولها المخلوقات الحية الأخرى [1]، والله أعلم بالصواب .

وكذلـــك جـــاءت السنة النبوية موافقة لكتاب الله فعن أبي هريرة ﷺ قال : قلت : يا رســـول الله ! إني إذا رأيتك طابت نفسي، وقرت عيني، أنبئني عن كل شيء . قال : " كل شـــيء خلق من الماء " . فقلت : أخبر ني بشيء إذا عملت به، دخلت الجنة . قال : " أطعم الطعام، وأفش السلام، وصل الأرحام، وقم الليل والناس نيام، تدخل الجنة بسلام " [2].

فالنبي ﷺ بين أن كل شي خلق من الماء، فهذا أيضا يشمل آدم ﷺ، فالماء هي المادة الثانية في خلق آدم ﷺ ، والله أعلم بالصواب .

خلاصـــة القـــول : إن آدم ﷺ خلق من الطين [3]؛ أي : التراب والماء ولكن هذا الطين مر بأحوال وأطوار، ولذلك جاء التعبير عنه في القرآن بألفاظ مختلفة باعتبار صفات الطين وأحواله المختلفة .

سيأتي له مزيد بيان في المطلب التالي إن شاء الله تعالى، وهو ولي التوفيق .

---

(١) انظر : تفسير القرآن العظيم (١٧٧/٣)؛ وفتح البيان في مقاصد القرآن (٣٢٤/٩)؛ وأيسر التفاسير لكلام العلي الكبير (٤٠٩/٣)؛ ونهر الخير على أيسر التفاسير، وهو مطبوع مع أيسر التفاسير (٤٠٩/٣) .

(٢) أخرجه حم (٣١٤/١٣ ح : ٧٩٣٢)؛ وحب كما في الإحسان (الصلاة، ب : فصل في قيام الليل، ذكر إيجاب دخول الجـــنان للقائم في سواد الليل يتملق إلى مولاه ٢٩٩/٦ ح : ٢٥٥٩)، واللفظ له؛ وكم (البر والصلة ، ب : ارحموا أهل الأرض يرحمكم أهل السماء ١٦٠/٤)، وقال : (صحيح الإسناد و لم يخرجاه)، ووافقه الذهبي؛ قال ابن كثير في التفسير (١٧٧/٣) : (هـــذا إسناد على شرط الصحيحين إلا أن أبا ميمونة من رجال السنن و اسمه سليم والترمذي يصحح له)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (الأطعمة، ب : إطعام الطعام ١٦/٥) : (رجاله رجال الصحيح خلا أبي ميمونة وهو ثقة)، وقال الألباني في إرواء الغليل (٢٣٨/٣ ح : ٧٧٧) : (إسناده صحيح رجاله رجال الشيخين غير أبي ميمونة وهو ثقة) .

(٣) إن خـــلق الإنسان من طين يؤيده الواقع، ويشهد له العلم الحديث، فإنك لو أخذت قبضة من تراب الأرض وقطعة من جســـم الإنســـان، وأجـــريت على كل منهما عمليات التحليل الكيماوي لوجدت أن العناصر التي يتكون منها جسم الإنسان هي العناصر التي يشتمل عليها الطين، مع اختلاف مقدار كل عنصر تبعا لأهمية الوظيفة التي يؤديها في الجسم . انظر : الطب محراب للإيمان (٩٥/٢-٩٧)؛ وكتاب " آدم عليه السلام " (ص : ١٩-٢٠) .

المطلب الثاني : مراحل خلق آدم عليه السلام .

لقـــد تقدم في المطلب السابق أن الله سبحانه وتعالى أخبر الملائكة عن المادة التي خلق منها آدم عليه السلام قبل أن يخلقه بقوله تعالى : ﴿ إني خالق بشرا من طين ﴾ [١]، وقوله تعالى : ﴿ إني خالق بشرا من صلصال من حمإ مسنون ﴾ [٢].

وهـــذا الطـــين الذي خلق منه آدم عليه السلام أصله من تراب الأرض، أخذ من أديم الأرض كلها، وأضيف إليه الماء ؛ فأصبح طينا لازبا. واللازب : هو الطين الجيد اللزج الذي يلتصق بعضه ببعض [٣].

ثم تركت هذه الطينة حتى تغير لونها وريحها من طول مكثها، فصارت حمأ مسنونا [٤]؛ أي : طيـــنا متغيرا، ثم صور الله طينة آدم وشكلها بشكله على ما سبق في علمه سبحانه ثم تركه حتى جف وصار صلصالا [٥] كالفخار، كما قال تعالى : ﴿ خلق الإنسان من صلصال كالفخار ﴾ [٦] [٧].

---

(١) ص الآية : ٧١

(٢) الحجر الآية : ٢٨

(٣) قـــال ابـــن عباس في قوله تعالى : ﴿ طين لازب ﴾ : ملتصق . أخرجه الطبري في تفسيره (٤٣/٢٣) بإسناده وهو إســـناد حسن كما في التفسير الصحيح (١٩٦/٤) . وقال أيضا : الطين اللازب : اللازق الجيد . أخرجه الطبري في تفسيره (٢٨/١٤)؛ وأبو الشيخ في العظمة (١٥٤٥/٥ ح : ١٠٠٤)، وكلا الإسنادين يجتمعان في يحيى بن سعيد عن سفيان إلى ابن عباس موقوفا، والسند صحيح على شرط مسلم كما في التفسير الصحيح (١٥٥/٣) .

(٤) قال ابن عباس في قوله تعالى :﴿من حمإ مسنون ﴾ : من طين رطب . وقال مجاهد : حمأ منتن . والأثران أخرجهما الطبري في تفسيره (٢٩/١٤-٣٠) بإسناده، وإسناده إلى ابن عباس حسن، وإلى مجاهد صحيح كما في التفسير الصحيح (١٥٥/٣) .

(٥) هـــو الطين الذي قد جف ويبس بعد ما خمر حتى إذا ما قرع أصدر صوتا ورنينا يشبه صوت الفخار، وهو الطين المشوي بالنار . قال ابن عباس : ﴿ الصلصال ﴾ : الطين اليابس . وقال مجاهد : هو التراب اليابس الذي يسمع له صلصـــلة فهو كالفخار كما قال الله عز وجل . والأثران أخرجهما الطبري في تفسيره (١٢٥/٢٧)، وأثر ابن عباس ســـنده حســـن، وأثر مجاهد سنده صحيح كما في التفسير الصحيح (٤٢٢/٤)، وكذلك جاء عن قتادة مثل قول مجاهد، أخرجه الطبري في تفسيره (٢٨/١٤)، وسنده حسن كما في التفسير الصحيح (١٥٥/٣) .

(٦) الرحمن الآية : ١٤

(٧) انظـــر : الرد على الزنادقة والجهمية للإمام أحمد (ص : ٩-١٠)؛ والمفهم لما أشكل من تلخيص مسلم (٥٩٦/٦)؛ ودفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب [مع أضواء البيان] (١١٨/١٠)؛ وفتاوى اللجنة الدائمة (٦٨/١-٦٩) .

وبقـــي آدم عليه السلام هكذا مصورا منجدلا في طينته إلى ما شاء الله، و لم تنفخ فيه الروح، وهو في هذه الحال وإن كان شيئا غير أنه لم يكن شيئا مذكورا، كما قال الله تعالى : ﴿هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئًا مذكورا ﴾ (١).

قال ابن جرير الطبري في تفسير الآية : (لم يكن شيئا له نباهة ولا رفعة ولا شرف، وإنما كان طينا لازبا وحمأ مسنونا) (٢) .

ثم جاءت مرحلة من أعظم المراحل وأشرفها في خلق آدم عليه السلام، وهي التي ذكرها الله تعالى في قوله : ﴿ فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين ﴾ (٣)؛ فأكرم الله آدم عليه السلام وأنعم عليه غاية الإنعام، فنفخ فيه من روحه تبارك وتعالى .

وقد جاء في حديث رسولنا الكريم ﷺ بيان هذه المراحل كلها التي مر بها آدم عليه السلام في خلقه فقد أخرج أبو يعلى في مسنده بإسناده إلى أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : إن الله خـــلق آدم من تراب، ثم جعله طينا، ثم تركه حتى إذا كان حمأ مسنونا خلقه وصوره، ثم تـــركه حـــتى إذا كان صلصالا كالفخار . قال : فكان إبليس يمر به فيقول : لقد خلقت لأمر عظيم، ثم نفخ الله فيه روحه، فكان أول شيء جرى فيه الروح بصره وخياشيمه (٤)، فعطس، فلقاه الله حمد ربه، فقال الرب : يرحمك ربك ... الحديث (٥).

---

(١) الإنسان الآية : ١

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن (٢٠٢/٢٩)؛ وانظر : تفسير القرآن العظيم (٤٥٤/٤) .

(٣) ص الآية : ٧٢

(٤) أصل الخيشوم هو غضاريف في أقصى الأنف بينه وبين الدماغ، ويطلق ويراد به أقصى الأنف، ويراد ما فوق فتحة الأنف من القصبة وما تحتها؛ أي : الأنف بكامله . انظر : القاموس المحيط (١٠٧/٤ ، مادة : خشم)؛ ولسان العرب (١٠٣/٤)؛ ومختار الصحاح (ص : ٧٤) .

(٥) أخـــرجه أبـــو يعـــلى في المسند (٤٥٣/١١-٤٥٥ ح :٦٥٨٠)؛ قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٩٧/٨) : (فيه إسماعيل بن رافع ، قال البخاري ثقة مقارب الحديث وضعفه الجمهور، وبقية رجاله رجال الصحيح) لكن إسماعيل بن رافع لم ينفرد برواية هذا الحديث عن المقبري بل توبع عليه، وتابعه الحارث بن عبد الرحمن بن أبي ذباب، وروايته عند ت (أبـــواب التفســـير، ســـورتا المعوذتين، الباب الذي قبل الأخير ٤٥٣/٥ ح :٣٣٦٨)؛ وابن أبي عاصم في السنة (٩١/١ ح :٢٠٦)؛ والنسائي في عمل اليوم والليلة (ص : ٢٣٧ ح : ٢١٨)؛ وابن جرير الطبري في تاريخه (٩٨/١)؛ وحب كما في الإحسان (التاريخ، ب : بدء الخلق ٤٠/١٤ ح : ٦١٦٧)؛ و كم (الإيمان، قصة خلق آدم ... ٦٤/١)



فالصلصال متحول من الحمإ المسنون، وهو في أصله طين ...فالطين طور من أطوار خـــلق آدم عليه السلام، ثم الحمأ المسنون مرحلة تالية له، ثم الصلصال، وهي مرحلة بعد الحمإ المسنون، ثم جاءت مرحلة من أعظم المراحل وأسماها وأعلاها، وهي التي نفخ الله فيها من روحه في آدم عليه السلام، والله أعلم بالصواب.

وغيرهـــم، والحارث بن عبد الرحمن صدوق؛ فالحديث حسن لا سيما له ما يشهد من الأحاديث الصحيحة والحسنة منها : حديث عائشة وأبي موسى الأشعري وأبي ذر الغفاري وابن عباس – رضي الله عنهم –، وقد تقدمت أحاديثهم في (ص : ١٠٥-١٠٦)، وحديث أبي هريرة رضي الله عنه، وقد تقدم في (ص : ٤٢)، وحديث ابن عمر – رضي الله عنهما – وقد في (ص : ٤٤)، وحديث أنس رضي الله عنه، وقد تقدم في (ص : ٩٩) .

وقـــد قام الشيخ أحمد بن محمد بن عبد الله بدراسة هذا الحديث دراسة تفصيلية في تحقيقه للمجلد الرابع عشر من كـــتاب " المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية " للحافظ ابن حجر العسقلاني ولخص النتيجة بقوله : (ذكر العطاس صحيح لغيره في هذا الحديث، وكذلك ذكر التسليم وطرفه الأخير، والحديث باقيه حسن) . انظر للتفصيل : المطالب العالية (أحاديث الأنبياء ، ب : خلق آدم عليه السلام ١٤/٢٢٩-٢٣٥ ح : ٣٤٤٧) .

المبحث الخامس : نفخ الروح في آدم عليه السلام، وفيه مطلبان :

المطلب الأول : المراد بالروح التي نفخت في آدم عليه السلام .

خلق الله تعالى آدم عليه السلام وكرمه وشرفه بفضائل انفرد بها عن سائر الخلق، ومن تلك الخصائص والفضائل التي اختص بها آدم عليه السلام أن الله سبحنه وتعالى لما خلقه نفخ فيه من روحه تبارك وتعالى، قال تعالى : ﴿ فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين ﴾ [1] . وقال له موسى عليه السلام وقت المحاجة : ((أنت آدم الذي خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأسجد لك ملائكته، وأسكنك في جنته ...)) [2]، ويقول له أهل الموقف كما في حديث الشفاعة أن الناس يأتون إليه يوم القيامة، فيقولون له : ((يا آدم أنت أبو البشر خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا لك، وأسكنك الجنة، ألا تشفع لنا إلى ربك ...)) [3] .

فنفخُ اللهِ في آدم عليه السلام من روحه مما خصه الله به حيث لم يوكل ذلك إلى أحد من خلقه كما هو الحال في غيره، هذه فضيلة عظيمة اختص بها آدم عليه السلام، وانفرد بها عن سائر الخلق، ولذلك كانت مرحلة نفخ الروح فيه من أعظم مراحل خلقه وأعلاها وأسماها كما تقدم ولكن الروح التي نفخت فيه اختلفت الأقوال في بيان المراد منها، وفيما يلي ذكرها مع بيان ما لها وما عليها، والله الموفق .

القول الأول : الروح الذي نفخ في آدم عليه السلام جزء من الله تعالى غير مخلوق، انفصل عن ذات الله تعالى، فكان في آدم عليه السلام، ثم في شيث عليه السلام، ثم هو في كل نبي ووصي، إلى أن صار في علي رضي الله عنه، ثم في أولاده، ثم هو في كل وصي وإمام .

---

(١) الحجر الآية : ٢٩ و ص الآية : ٧٢

(٢) جزء من حديث صحيح أخرجه البخاري ومسلم، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، وقد سبق تخريجه في (ص : ٦٩) .

(٣) جزء من حديث الشفاعة رواه أبو هريرة رضي الله عنه، أخرجه خ (أحاديث الأنبياء، ب : قول الله عز وجل : ﴿ ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه...﴾ [نوح : ١] ١٢١٥/٣ ح : ٣١٦٢) ؛ و م (الإيمان ، ب : أدنى أهل الجنة منزلة ١٨٤/١ ح : ١٩٤) .

هذا قول الزنادقة من غلاة الروافض الحلولية كالجناحية والبيانية ومن وافقهم [١].

وهو مبني على كفر بواح، وظلمات دامسة بعضها فوق بعض، لا يقول به عاقل تجاه معبوده فضلا أن يقول به مسلم يعرف ربه ودينه، وبيان بطلانه من وجوه :

أولا : إن هذا القول يلزم منه أن هناك أشياء انفصلت من ذات الله تعالى، ودخلت في تركيب غيره، وهو سبحانه وتعالى منزه أن تكون ذاته مادة خلق لغيره [٢]، بل هو سبحانه بائن بذاته عن مخلوقاته؛ فليس في ذاته شيء من مخلوقاته، ولا في مخلوقاته شيء من ذاته، ومن قال : إن شيئا من صفات الله تعالى حال في العبد، أو قال بالتبعيض على الله فقد كفر، وقد اتفق على ذلك سلف الأمة وأئمتها [٣].

ثانيا : إن هذا القول من جنس قول النصارى في المسيح الذين يعتقدون أن المسيح إله على اعتبار أنه ذو طبيعتين : لاهوتية وناسوتية [٤]. وقد رد الله ذلك عليهم، وكفَّرهم من أجله [٥]. قال تعالى : ﴿ لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم قل فمن يملك من الله شيئا إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن في الأرض جميعا ﴾ [٦] وقال تعالى : ﴿ لقد كفر الذين قالوا إن الله

---

(١) قال صنف من الصابئة الفلاسفة : إن الروح قديمة أزلية، ولم يقولوا : إنما من ذات الرب تعالى . وقالت النصارى في روح عيسى : إنها قديمة، وإنما من ذات الرب تعالى . وقالت طائفة من الروافض في روح آدم عليه السلام مثل ما قالت النصارى في روح عيسى عليه السلام، وازدادت منهم ضلالا حيث زعمت أن روح الإله كان في آدم عليه السلام ... ثم في كل نبي ووصي إلى أن انتقلت إلى علي وأولاده ثم هو في كل وصي وإمام ! هذا قول الزنادقة من غلاة الروافض الحلولية كالجناحية : أتباع عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر . والبيانية : أتباع بيان بن سمعان، من ووافقهم . انظر : مقالات الإسلاميين (ص : ٦) ؛ والفرق بين الفرق (ص : ٢٢٧ و ٢٣٦ و ٢٤٢-٢٤٣)؛ والملل والنحل (١٥٢/١-١٥٣)؛ ومجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٢٢١/٤-٢٢٢ و ١٥٠/١٧)؛ ودرء تعارض العقل و النقل (٢٦٣/٧-٢٦٤)؛ والروح (ص : ٢٦٣)؛ والتعريفات (ص : ١٠٦-١٠٧)؛ وشرح قصيدة ابن القيم لابن عيسى (١٧٨/٢) .

(٢) انظر : الشرك في القديم والحديث (٤٨٤/١-٤٨٥) .

(٣) انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١٢٦/٢، ٣٤٠ و٨٣/٥ و٥٩٨/١٢) ؛ وهداية الحيارى (ص : ٣١١) .

(٤) انظر : الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة لابن قتيبة (ص : ٥٦)؛ وشرح الأصول الخمسة (ص : ٢٩٢)؛ والجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٥/٤)؛ وهداية الحيارى (ص : ٣٢٢-٣٢٤)؛ واليهودية والمسيحية للأعظمي (ص : ٣٠١) .

(٥) انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٢٢٠/٤ و ٢٢٢) .

(٦) المائدة الآية : ١٧ .

هو المسيح ابن مريم وقال المسيح يا بني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار * لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم ﴾ (1).

ثالثا : الروح موصوفة بالإرسال والإمساك والقبض والوفاة، وأن الملائكة يخرجونها من البدن طوعا أو كرها، فيمسكونها بأيديهم، ويكفنونها بكفن من الجنة أو النار، ويصعدون بها إلى السماء، فلو كانت أرواح من زعم هؤلاء أنها جزء من الله لما صح أن توصف بهذه الأوصاف بل الروح إذا كانت مشركة لا يفتح لها أبواب السماء، ويقال لها : ما هذه الروح الخبيثة ؟ فما كان هذا وصفه كيف يصح أن يقال أنه جزء من الله ؟! تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا (2) .

رابعا : نفخ الله تعالى في آدم عليه السلام من روحه ليس معناه أن روح آدم جزء من ذاته سبحانه جعله في آدم عليه السلام لما نفخ فيه الروح، بل ما أضافه الله تعالى إلى نفسه على نوعين (3) وهما :

النوع الأول : صفات لا تقوم بأنفسها، وتكون إضافتها إلى الله من باب إضافة الصفة إلى الموصوف . كقوله تعالى : ﴿ فأجره حتى يسمع كلام الله ﴾ (4) وقوله تعالى : ﴿ وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه ﴾ (5)، فعلمه وكلامه من صفاته تعالى، وصفاته غير مخلوقة .

والنوع الثاني : أعيان منفصلة عنه تعالى قائمة بنفسها، فإضافتها إليه من باب إضافة المخلوق إلى خالقه، وهذه الإضافة قد تكون على سبيل عموم الخلق، كقوله تعالى : ﴿ وسخر لكم ما في السماوات وما في الأرض جميعا منه ﴾ (6) وقوله تعالى : ﴿ إن أرضي واسعة ﴾ (7).

---

(1) المائدة الآيتان : ٧٢-٧٣

(2) انظر الأدلة على ذلك في (ص : ١٣٣-١٣٥) .

(3) انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١٥١/١٧-١٥٢)؛ ودرء تعارض العقل والنقل (٢٦٥/٧-٢٦٦)؛ والروح (ص : ٢٧٩-٢٨٠)؛ والقول المفيد على كتاب التوحيد (٨٨/١-٩٠) .

(4) التوبة الآية : ٦

(5) فاطر الآية : ١١ وفصلت الآية : ٤٧

(6) الجاثية الآية : ١٣

(7) العنكبوت الآية : ٥٦

وقد تكون على سبيل الخصوص لشرفه كقوله تعالى : ﴿ ناقة الله وسقياها ﴾[(١)] وقوله تعالى : ﴿ وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود ﴾ [(٢)] وقوله تعالى : ﴿ فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين ﴾ [(٣)].

فالروح التي نفخت في آدم عليه السلام إضافتها إلى الله تعالى من هذه الإضافة الخاصة؛ فهي ليست قديمـــة، ولا صـــفة له سبحانه، ولا جزأ منه تعالى، وإنما هي روح مخلوقة كبقية الأرواح، ولكنها انفردت عن غيرها وامتازت بأن الله نفخها في آدم عليه السلام، وأضافها إلى نفسه إضافة خاصة .

خامســـا : أن الأرواح كلها مخلوقة محدثة . والأدلة على كون الأرواح مخلوقة محدثة كثيرة في الكتاب والسنة، وقد أجمعت الأمة على ذلك، وهنا أكتفي بذكر بعضها [(٤)].

أ- من الكتاب والسنة .

جميـــع النصوص الدالة على أن الله سبحانه وتعالى هو ربنا، ورب آبائنا، ورب كل شيء تدل على أن الأرواح مخلوقة؛ لأن ربوبية الله تعالى لا تقتصر على الأبدان فقط، ولا على الأرواح فقط، بل هي شاملة للأرواح كما هي شاملة للأبدان، فالأرواح والأجسام كلها مربوبة مملوكة له سبحانه وتعالى، وكل ما هو مربوب مملوك؛ فهو مخلوق [(٥)].

ب – من الكتاب .

● قال تعالى : ﴿ الله خالق كل شيء ﴾ [(٦)] فهذا اللفظ عام لا تخصيص فيه بوجه من الوجوه، ولا يـــدخل في ذلك صفاته؛ فإنها داخلة في مسمى اسمه، والله تعالى هو الإله الموصوف بصفات الكمال، فعلمه، وقدرته، وحياته، وإرادته، وسمعه، وبصره، وسائر صفاته داخل في مسمى اسمه . ليس داخلا في الأشياء المخلوقة كما لم تدخل ذاته فيها؛ فهو سبحانه بذاته وصفاته الخالق وما سواه مخلوق .

---

(١) الشمس الآية : ١٣

(٢) البقرة الآية : ١٢٥

(٣) الحجر الآية : ٢٩ و ص الآية : ٧٢

(٤) يحسن الرجوع للتفصيل إلى مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٤/٢١٦-٢٣٠)؛ وكتاب الروح (ص : ٢٦١-٢٧٢) .

(٥) انظر : الروح (ص : ٢٦٦-٢٦٧) .

(٦) الزمر الآية : ٦٢

ومعـــلوم قطعا أن الروح ليست هي الله، ولا صفة من صفاته، وإنما هي مصنوع من مصنوعاته، فوقوع الخلق عليها كوقوعه على الملائكة والجن والإنس .[1]

● وقال تعالى : ﴿ يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغني الحميد ﴾[2]. وهذا الخطاب بالفقـــر إليه سبحانه للأرواح والأبدان معا، وليس هو للأبدان فقط؛ فلو كانت الأرواح قديمـــة غير مخلوقة لكانت مستغنية بنفسها في وجودها وصفاتها وكمالها، وهذا من أبطل الـــباطل؛ فـــإن فقرها إليه سبحانه من لوازم ذاتها، كما أن غنى ربها من لوازم ذاته، فهو سبحانه الغني بالذات، وهي الفقيرة إليه بالذات . فكيف تكون قديمة مستغنية عن خالقها ومبدعِها وشواهدُ الفقرِ والحاجة والضرورة تشهد على كونها مخلوقة مربوبة مصنوعة[3].

● وقـــال تعالى مخاطبا لعبده زكريا عليه السلام : ﴿ وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا ﴾[4]. وهذا الخطاب ليس لبدنه فقط بل هو خطاب لروحه وبدنه؛ فإن البدن وحده لا يفهم، ولا يخاطب، ولا يعقل، وإنما الذي يفهم ويعقل و يخاطب هو الروح وحده أو الروح مع البدن[5].

● وقال تعالى : ﴿ هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا ﴾[6]. فلو كانت روحه قديمة لكان الإنسان لم يزل شيئا مذكورا؛ فإنه إنما هو إنسان بروحه وبدنه لا ببدنه فقط[7].

ج – من السنة .

عـــن عائشـــة – رضي الله عنها – قالت : سمعت النبي ﷺ يقول : الأرواح جنود مجندة؛ فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف[8].

---

(١) انظر : الروح (ص : ٢٦٥-٢٦٦) .
(٢) فاطر الآية : ١٥
(٣) انظر : الروح (ص : ٢٧٠-٢٧١) .
(٤) مريم الآية : ٩
(٥) انظر : الروح (ص : ٢٦٦) .
(٦) الإنسان الآية : ١
(٧) انظر : الروح (ص : ٢٦٩) .
(٨) أخرجه خ (الأنبياء، ب : الأرواح جنود مجنده ١٢١٣/٣ ح : ١٣٥٨)؛ و م من حديث أبي هريرة ﷺ (البر والصلة والآداب، ب : الأرواح جنود مجندة ٢٠٣١/٤ ح : ٢٦٣٨) .

والجنود المجندة لا تكون إلا مخلوقة [1] .

د – الإجماع على كون الروح مخلوقة : ولما كانت الروح مخلوقة كما تقدمت الأدلة عليه من الكتاب والسنة، أجمعت الأمة على كونها مخلوقة، وقد حكى الإجماع على ذلك غير واحد من العلماء . منهم : ابن قتيبة الدينوري [2] حيث قال : (أجمع الناس على أن الله فالق الحبة، وبارئ النسمة ؛ أي : خالق الروح) [3] .

وقال محمد بن نصر المروزي [4] : (لا خلاف بين المسلمين أن الأرواح التي في آدم وبنيه وعيسى ومن سواه من بني آدم كلها مخلوقة لله، خلقها وأنشأها وكوّنها واخترعها ثم أضافها إلى نفسه كما أضاف إليه سائر خلقه . قال تعالى : ﴿ وسخر لكم ما في السماوات وما في الأرض جميعا منه ﴾ [5]) [6] .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : (روح الآدمي مخلوقة مبدعة باتفاق سلف الأمة وأئمتها وسائر أهل السنة) [7] .

وقال العلامة ابن القيم : (أجمعت الرسل صلوات الله وسلامه عليهم على أنها محدثة مخلوقة مصنوعة مربوبة مدبَّرة . هذا معلوم بالاضطرار من دين الرسل – صلوات الله وسلامه عليهم – كما يعلم بالاضطرار من دينهم أن العالم حادث، وأن معاد الأبدان واقع، وأن الله وحده الخالق وكل ما سواه مخلوق . وقد انطوى عصر الصحابة والتابعين وتابعيهم – وهم

---

(١) انظر : الروح (ص : ٢٦٢ و ٢٦٨-٢٦٩) .

(٢) عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، كان ثقة دَيّنا، صاحب التصانيف النافعة، توفي سنة ٢٧٦هـ . انظر : تاريخ بغداد (١٠/١٧٠)؛ وسير أعلام النبلاء (١٣/٢٩٦) .

(٣) الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة (ص : ٥٦)، وذكره عنه شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٤/٢١٦-٢١٧) وابن القيم في الروح (ص : ٢٦٤) .

(٤) محمد بن نصر المروزي، ثقة حافظ، قال عنه ابن تيمية : " الإمام المشهور، الذي هو أعلم أهل زمانه بالإجماع والاختلاف، أو من أعلمهم "، توفي سنة ٢٩٤هـ . انظر : مجموع الفتاوى (٤/٢١٦)؛ وتقريب التهذيب (ص : ٥١٠ برقم : ٦٣٥٢) .

(٥) الجاثية الآية : ١٣ .

(٦) ذكره عنه شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٤/٢١٦)؛ وتلميذه ابن القيم في (الروح ص : ٢٦٣)، واللفظ له؛ وابن عيسى في شرح قصيدة ابن القيم (٢/١٧٩) .

(٧) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٤/٢١٦) .

القرون الفضيلة – على ذلك من غير اختلاف بينهم في حدوثها، وأنها مخلوقة، حتى نبغت نابغة ممن قصر فهمه في الكتاب والسنة ؛ فزعم أنها قديمة غير مخلوقة) [1] .

وقـــال أبـــو حيـــان : (أجمع علماء الإسلام على أن الروح مخلوقة، وذهب كفرة الفلاسفة وكثير[2] ممن ينتمي إلى الإسلام أنها قديمة) [3].

وقـــال خير الدين الألوسي [4] : (أجمع المسلون على أنه (الروح) حادث حدوثا زمنيا، كسائر أجزاء العالم) [5].

سادســا : أنه لا يمكن رجوع الروح بعد خروجها من الجسم إلى العالم الأرضي في جسم آخر. لقد قرر الإسلام أن الدنيا هي دار العمل، وأن الآخرة هي دار الجزاء، وأن الإنسان يحيى حياة أرضية واحدة، ثم يكون بعدها البعث والحساب الذي يترتب عليه دخول الشخص الجنة أو النار، على حسب عمله في الدنيا؛ فلا تكرر حياة الإنسان الدنيوية على أية صورة من صور التجسد .

قال تعالى : ﴿ حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون * لعلي أعمل صالحا فيما تركت كلا إنها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون ﴾[6] وقال تعـــالى : ﴿ وترى الظالمين لما رأوا العذاب يقولون هل إلى مرد من سبيل ﴾ [7] وقال تعالى : ﴿ ولو ترى إذ وقفوا على النار فقالوا يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين * بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون ﴾[8] وقال تعالى : ﴿ ألم يروا كم أهلكنا قبلهم من القرون أنهم إليهم لا يرجعون * وإن كل لما جميع لدينا محضرون ﴾ [9].

---

(١) الروح (ص : ٢٦١) .

(٢) القائلون بقدم الروح من المنتسبين إلى الإسلام قليلون جدا فلا عبرة بهم بل اتفق سلف الأمة وأئمتها وسائر أهل السنة على كونها مخلوقة كما تقدم ذلك؛ فلو قال : وذهب كفرة الفلاسفة وبعض من ينتمي إلى الإسلام إلى أنها قديمة لكان أحسن والله أعلم .

(٣) تفسير البحر المحيط (٧٤/٦)؛ ونقله عنه مرعي بن يوسف الكرمي المقدسي في (أقاويل الثقات ص : ١٩١) .

(٤) نعمان بن محمود بن عبد الله الآلوسي، من أعلام الأسرة الآلوسية في العراق، توفي سنة ١٣١٧هـ . انظر : الأعلام (٤٢/٨) .

(٥) جلاء العينين في محاكمة الأحمدين (ص : ١٦٩) .

(٦) المؤمنون الآيتان : ٩٩-١٠٠

(٧) الشورى الآية : ٤٤

(٨) الأنعام الآيتان : ٢٧-٢٨

(٩) يس الآيتان : ٣١-٣٢

سئل عبد الله بن مسعود ﷺ عن قوله تعالى : ﴿ ولاتحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون ﴾ [1] فقال : أما إنا قد سألنا عن ذلك فقال : أرواحهم في جوف طير خضر، لها قناديل معلقة بالعرش، تسرح من الجنة حيث شاءت ثم تأوي إلى تلك القناديل، فاطلع إليهم ربهم اطلاعة فقال : هل تشتهون شيئا ؟ قالوا : أي شيء نشتهي ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا ؟ ففعل ذلك بهم ثلاث مرات . فلما رأوا أنهم لن يتركوا من أن يسألوا، قالوا : يا رب ! نريد أن ترد أرواحنا في أجسادنا حتى نقتل في سبيلك مرة أخرى، فلما رأى أن ليس لهم حاجة تركوا [2].

وعن جابر بن عبد الله – رضي الله عنهما – قال : لقيني رسول الله ﷺ فقال لي : يا جابر! ما لي أراك منكسرا ؟ قلت : يا رسول الله ! استشهد أبي قتل يوم أحد، وترك عيالا ودينا . قال : أفلا أبشرك بما لقي الله به أباك ؟ قال : قلت : بلى يا رسول الله . قال : ما كلم الله أحدا قط إلا من وراء حجاب، وأحيا أباك؛ فكلمه كفاحا، فقال : يا عبدي تمن علي أعطك . قال : يا رب تحييني فأقتل فيك ثانية . قال الرب عز وجل : إنه قد سبق مني أنهم إليها لا يرجعون ... الحديث [3].

فهذه النصوص الشرعية من الكتاب والسنة فيها بيان واضح على أن الإنسان يحيا حياة أرضية مرة واحدة؛ فمن مات منهم وارتحل من دار العمل إلى دار الجزاء، ليس له أن يرجع إلى الحياة الدنيا مرة أخرى بل جميع الأمم الماضية والآتية ستحضر للحساب والجزاء يوم القيامة بين يدي الله تعالى، فيحاسبهم ربهم، ويجازيهم بأعمالهم كلها [4] .

قال العلامة ابن حزم [5] : (من زعم أن الأرواح تنقل إلى أجساد أخر فهو قول

---

(١) آل عمران الآية : ١٦٩

(٢) أخرجه م (الإمارة، ب : بيان أن أرواح الشهداء في الجنة ...١٥٠٢/٣ ح : ١٧٨٧) .

(٣) أخرجه ت (التفسير، آل عمران ٢٣٠/٥ ح : ٣٠١٠)؛ و جه (المقدمة، ب : في ما أنكرت الجهمية ٦٨/١ ح : ١٩٠ والجهاد، ب : فضل الشهداء ٩٣٦/٢ ح : ٢٨٠٠) . قال الترمذي : (هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه...)؛ وحسنه العلامة الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢١٠/٣ ح : ٣٠١٠) ؛ و في صحيح سنن ابن ماجه (٨١/١-٨٢ ح : ١٥٨) .

(٤) انظر : تفسير القرآن العظيم (١٢٨/٢ و ٥٧٠/٣)؛ وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص : ٧٦١-٧٦٢ و ص : ٩٥٩)؛ والبوذية وتاريخها وعقائدها وعلاقة الصوفية بها (ص : ٢٤٢-٢٤٣) .

(٥) هو علي ين أحمد بن سعيد، أبو محمد الفارسي الأصل ثم الأندلسي القرطبي، قال عنه الذهبي : (الإمام الأوحد البحر ذو الفنون والتصانيف)، توفي سنة ٤٥٦هـ . انظر : سير أعلام النبلاء (١٨٤/١٨) .

أصحاب التناسخ، وهو كفر عند جميع أهل الإسلام)[١]. وقال أيضا : (من قال : إن الأرواح أعراض فانية، أو قال : إنها تنتقل إلى أجسام أخر فهو منسلخ من إجماع أهل الإسلام لخلافه القرآن والسنن الثابتة عن النبي ﷺ والإجماع ... و أما القول بنقل الأرواح إلى أجسام أخر فهو قول أهل التناسخ، وهو كفر بلا خلاف)[٢].

وقال القرطبي : (كل من يقول : إن الروح يموت ويفنى[٣] فهو ملحد، وكذلك من يقول بالتناسخ : أنها إذا خرجت من هذا ركبت في شيء آخر حمار أو كلب أو غير ذلك. إنما هي محفوظة بحفظ الله إما منعمة، و إما معذبة)[٤].

فهذه الأدلة من الكتاب والسنة والإجماع تبين أن روح آدم عليه السلام وأرواح من مات من بنيه ومن سيموت كلها تكون في مستقرها إلى يوم القيامة، وليس لها أن ترجع إلى دار الدنيا مرة أخرى، على أية صورة من صور التجسد، وبه يعلم بطلان قول من يقول بانتقال روح آدم عليه السلام أو غيره إلى أحد من بعده .

فتبين مما سبق من الوجوه في ضوء الكتاب والسنة والإجماع بطلان هذا القول، فلله الحمد والمنة، الذي بنعمته تتم الصالحات .

القول الثاني : المراد بالروح التي نفخت في آدم عليه السلام هو النور المحمدي : قال محمد بهاء الدين البيطار : (لما كانت بشريته صلى الله عليه وسلم نورا محضا كانت فضلاته مقدسة طاهرة...، ولم يكن لجسمه الشريف ظل كالأجسام الكثيفة ...، وهذا هو النور المحمدي، هو المعني بروح الله المنفوخ في آدم . قال تعالى :﴿ ونفخت فيه من روحي ﴾[٥] فروح الله نور محمد ﷺ)[٦].

وهذا القول باطل، وبيان ذلك من وجوه، وهي كما يلي :

---

(١) المحلى (١/٢٦) .

(٢) الدرة فيما يجب اعتقاده (ص : ٢١١-٢١٥) .

(٣) اختلف الناس هل الروح تموت مع البدن أو يموت البدن وحده وكل له أدلته والصواب في ذلك أن يقال : موت النفس هو مفارقتها لأجسادها وخروجها منها فإن أريد بموتها هذا القدر فهي ذائقة الموت، وإن أريد أنها تعدم وتضمحل وتصير عدما محضا فهي لا تموت بهذا الاعتبار بل هي باقية بعد خلقها في نعيم أو في عذاب . انظر : الروح (ص : ٧٠-٧١) .

(٤) التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة (١/١٦٠) .

(٥) الحجر الآية : ٢٩ و ص الآية : ٧٢

(٦) النفحات الأقدسية في شرح الصلوات الأحمدية الإدريسية (ص : ١٣) .

أولا : هذه الدعوى ليس لها دليل شرعي ولا عقلي، وإنما هي من باب الغلو المشابه لقول النصارى في المسيح [1]، بل هي من باب الكذب على الله ورسوله ﷺ .

ثانيا : إن في إثبات هذا المعنى نفيا لبشرية الرسول ﷺ التي دل عليها الكتاب والسنة. أما الكتاب فقد دلت الآيات القرآنية على بشرية الرسول ﷺ من وجوه عديدة، منها ما يلي :

أ- الرســـول ﷺ ليس بدعا من الرسل فقد خلت من قبله الرسل، وكلهم كانوا بشرا : قال تعالى : ﴿ قالوا إن أنتم إلا بشر مثلنا تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا فأتونا بسلطان مبين * قالت لهم رسلهم إن نحن إلا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده وما كان لنا أن نأتيكم بسلطان إلا بإذن الله ﴾ [2]. فالرسول ﷺ بشر كسائر الرسل عليهم السلام .

ب – الرسول ﷺ لا قدرة له إلا قدرة البشر : لما طلب المشركون من النبي ﷺ أمورا لا يقدر عليها البشر تعجيزا له ﷺ أمره ربه تبارك وتعالى أن يقول لهم : ﴿ قل سبحان ربي هل كنت إلا بشرا رسولا ﴾ [3] وقال تعالى : ﴿ قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد ﴾ [4]. فالرسول ﷺ بشر لا قدرة له إلا قدرة البشر، وإنما يؤيده الله تعالى بالوحي وبنصره كيف شاء [5].

ج – الرســـول مخلوق مما خلق منه البشر . البشر مخلوقون من تراب، لا من نور . قال تعالى : ﴿ ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون ﴾ [6] وقال تعالى : ﴿ والله خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم جعلكم أزواجا وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه ﴾ [7] والآيات في هذا المعنى كثيرة [8].

فقـــد أخبر الله تعالى أن رسوله محمدا ﷺ بشر، وأخبر أن البشر مخلوقون من تراب، وهذا خبر عام يشمل الرسول ﷺ وغيره من بني آدم، فكيف يكون نورا محضا منفردا عن

---

(١) انظر قول النصارى في المسيح وروحه في (ص : ١١٢و٤٧٨) .
(٢) إبراهيم الآيتان : ١٠-١١
(٣) الإسراء الآية : ٩٣
(٤) الكهف الآية : ١١٠
(٥) انظر : خصائص المصطفى بين الغلو والجفاء (ص : ٩٧-٩٨) .
(٦) الروم الآية : ٢٠
(٧) فاطر الآية : ١١
(٨) تقدمت عند الكلام عن مادة خلق آدم عليه السلام في (ص : ١٠٣-١٠٤) .

سائر البشر ؟ و تخصيص الرسول ﷺ بأنه نور محض وليس بشرا يحتاج إلى مخصص، وليس هناك ما يصلح للتخصيص [1].

د – الرســـول ﷺ يحتاج إلى ما يحتاج إليه البشر من ضروريات الحياة ولوازمها. لقد بـــين الله تعالى بشرية الرسول ﷺ ببيان خصائص البشرية ولوازمها؛ فقال تعالى : ﴿ وقالوا مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق ﴾ [2]، وكل من أكل الطعام فلا بد أن تكون له فضلات، وله مخارج بشرية تخرج منها تلك الفضلات، ويترتب على خروجها في الأنبياء ما يترتب عليها في البشـــر، ولذلك كان صلى الله عليه وسلم يتوضأ، ويغتسل، ويتنظف، ويتطيب، بل وأخبر سبحانه عن عبده ورسوله أنه سيموت، فقال تعالى :﴿ إنك ميت وإنهم ميتون ﴾[3] وموته – كما تفيد الآية – مثل موتنا [4]. فالقرآن الكريم يؤكد لنا بشرية الرسول ﷺ، وأنه مثلنا في بشريته، ومـــن تأمل قوله تعالى :﴿بشر مثلكم ﴾ علم أن بشريتنا كالقاعدة، ومحمد ﷺ منسوب إليها، وهذا أبلغ في الدلالة على بشريته من قوله : أنتم بشر مثله [5] .

وهذا الذي ذكره الله تعالى في كتابه بينه رسول الله ﷺ بلسانه، فأخبر أنه بشر ينسى، ويتذكر، ويرضـــى، ويغضـــب، ويخشع، ويحزن، كسائر البشر، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : صلى بنا رسول الله ﷺ خمسا، فقلنا : يا رسول الله ! أزيد في الصلاة ؟ قال : وما ذاك ؟ قالوا : صليت خمسا. قال : إنما أنا بشر مثلكم؛ أذكر كما تذكرون، وأنسى كما تنسون ثم سجد سجدتي السهو [6].

وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت : سمع رسول الله ﷺ خصومة بباب حجرته؛ فخرج إليهم، فقال : إنمـــا أنا بشر، وإنه يأتيني الخصم، فلعل بعضكم أن يكون أبلغ من بعض؛ فأحسب أنه صدق؛ فأقضي له بذلك؛ فمن قضيت له بحق مسلم؛ فإنما هي قطعة من النار؛ فليأخذها أو فليتركها [7].

---

(١) انظر : خصائص المصطفى بين الغلو والجفاء (ص : ٩٦-٩٧) .

(٢) الفرقان الآية : ٧

(٣) الزمر الآية : ٣٠

(٤) انظر : صوفيات : خطاب مفتوح إلى حضرة صاحب السماحة شيخ مشايخ الطرق الصوفية (ص : ٥٥-٥٦) .

(٥) انظر : المصدر السابق (ص : ٥٤-٥٥)؛ وهذه هي الصوفية (ص : ٧٩-٨٠) .

(٦) أخرجه خ (الصلاة، ب : التوجه نحو القبلة حيث كان ١/١٥٦ ح : ٣٩٢)؛ و م (المساجد ، ب : السهو في الصلاة والسجود له ١/٤٠٢ ح : ٥٧٢)، واللفظ له .

(٧) أخرجه خ (المظالم، ب : إثم من خاصم في باطل و هو يعلمه ٢/٨٦٧ ح : ٢٣٢٦)، واللفظ له؛ و م (الأقضية، ب : الحكم بالظاهر و اللحن بالحجة ٣/١٣٣٧ ح : ١٧١٣) .

وعـــن أنس بن مالك ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : إنما أنا بشر أرضى كما يرضى البشر، وأغضب كما يغضب البشر ... الحديث [1] .

وعن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال : اللهم إني أتخذ عندك عهدا لن تخلفنيه، فإنما أنا بشر؛ فأي المؤمنين آذيته، شتمته، لعنته، جلدته فاجعلها له صلاة وزكاة وقربة تقربه بها إليك يوم القيامة [2] .

وعـــن زيـــد بن أرقم ﷺ قال : قام رسول الله ﷺ يوما فينا خطيبا بماء يدعى خما بين مكة والمديـــنة، فحمد الله ، وأثنى عليه ، ووعظ وذكر. ثم قال : " أما بعد ألا أيها الناس! فإنما أنا بشر يوشـــك أن يأتي رسول ربي فأجيب . وأنا تارك فيكم ثقلين : أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور . فخـــذوا بكـــتاب الله واستمسكوا به " فحث على كتاب الله ورغب فيه . ثم قال : " وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي . أذكركم الله في أهل بيتي . أذكركم الله في أهل بيتي " ... الحديث [3] .

وعن محمود بن لبيد ﷺ قال : انكسفت الشمس يوم مات إبراهيم بن رسول الله ﷺ، فقـــال الـــناس : انكسفت الشمس لموت إبراهيم . فخرج رسول الله ﷺ حين سمع ذلك فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أما بعد ! أيها الناس، إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله، لا ينكســـفان لمـــوت أحـــد، ولا لحياة أحد،فإذا رأيتم ذلك فافزعوا إلى المساجد . ودمعـــت عيناه؛ فقالوا : يا رسول الله تبكي وأنت رسول الله ؟ قال : إنما أنا بشر، تدمع العين، ويخشع القلب، ولا نقول ما يسخط الرب، والله يا إبراهيم إنا بك لمحزونون [4] .

وقـــالت أم المؤمنين عائشة الصديقة – رضي الله عنها – عن رسول الله ﷺ : كان بشرا من البشر؛ يفلي ثوبه، ويحلب شاته، ويخدم نفسه [5] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : (والنبي ﷺ خلق مما يخلق منه البشر، و لم يخلق أحد من

---

(١) أخرجه م في حديث طويل (البر والصلة والآداب، ب : من لعنه النبي ﷺ أو سبه أو دعا عليه و ليس هو أهلا لذلك كان له زكاة وأجرا ورحمة ٢٠٠٩/٤ ح : ٢٦٠٣) .

(٢) المصدر السابق (٢٠٠٨/٤ ح : ٢٦٠١) .

(٣) أخرجه م في حديث طويل (فضائل الصحابة، ب : من فضائل علي بن أبي طالب ﷺ ١٨٧٣/٤ ح : ٢٤٠٨) .

(٤) أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى (١٤٢/١). قال الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٣١٠/٤ ح : ١٧٣٢) : (هذا إسناد صحيح، رجاله كلهم ثقات، ومحمود بن لبيد صحابي صغير) .

(٥) أخـــرجه الترمذي في الشمائل المحمدية (ب : ما جاء في تواضع رسول الله ﷺ ص : ١٨١ ح : ٣٣٥)، وصححه الألباني في مختصر الشمائل المحمدية (ص : ١٧٩-١٨٠ ح : ٢٩٣) .

البشر من نور، بل قد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال : ((إن الله خلق الملائكة من نور، وخلق إبليس من مارج من نار، وخلق آدم مما وصف لكم)))[1].

ثالـــثا : أن آدم عليه السلام هو الأصل الأول للعالم الإنساني، وهو أبو البشر جميعا، وكل من جاء بعده من بني آدم؛ فهو من أولاده وأحفاده؛ فهو تابع لهذا الأصل وفرع عنه، ولا يمكن أن يتقدم الفرع على الأصل في الوجود .

رابعـــا : أنـــه من المعلوم بالتواتر القطعي أن عبد الله بن عبد المطلب تزوج من آمنة بنت وهب، وأنهما أنجبا طفلا بعد تسعة أشهر، وأن هذا الطفل سمي محمدا، وأنه تربى في حجر أمه، وأرضـــعته حليمة السعدية، ونشأ وترعرع في مكة كما ينشأ الأطفال والشبان، فرعى الأغنام، واشتغل بالتجارة، وعاش في مجتمع مكة أربعين سنة أمينا صادقا كاملا في الأخلاق والآداب حتى شهد له بذلك الأعداء والأحباب، ثم اصطفاه الله تعالى واختاره رحمة للعالمين وخاتم النبيين[2].

وهذا كله كان بعد موت آدم عليه السلام بآلآف السنين . فكيف يكون الروح التي نفخت في آدم عليه السلام هو النور المحمدي و لم يكن لمحمد ﷺ وجود في ذلك الوقت فضلا عن نوره ؟

القول الثالث : إن آدم عليه السلام كان بشرا سويا كامل الحياة قبل أن ينفخ الله فيه من روحه، وكان له قلب ينبض، ورئة تتنفس، وعين ترى، وأذن تسمع ... فلما نفخ الله فيه مـــن روحه ارتفع آدم عليه السلام بهذه النفخة الإلهية الكريمة من مستوى البشرية الذي كان فيه مجرد كائن حي إلى مستوى الإنسانية الذي هو أحسن تقويم .

هذا القول ذهب إليه الدكتور فاروق أحمد الدسوقي، وقد استدل لذلك بالأمور التالية :

أ- إن التسوية في اللغة تعني تمام صنع الشيء أو تمام الفعل .

ب - إن الضمير الغائب في ﴿ سويته ﴾ (الهاء) عائد على ﴿ بشرا ﴾ في الآية مما يجعل المخلوق بالتسوية آدم البشر وليس آدم الإنسان .

ج - إن الروح ليست هي مصدر حياة الإنسان بل النفس هي مصدر حياة الإنسان[3].

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١١/٩٤-٩٥)، والحديث الذي ذكره صحيح قد تقدم تخريجه في (ص : ١٠٦) .

(٢) انظر : صوفيات : خطاب مفتوح إلى حضرة صاحب السماحة شيخ مشايخ الطرق الصوفية من عبد الرحمن الوكيل .(ص : ٥٣)؛ وهذه هي الصوفية (ص : ٨٠) .

(٣) انظر : الأصول الاعتقادية للمعرفة ومناهج الدراسات الإنسانية في الإسلام (ص : ١٧٩-١٨٠) .

ولكن هذا القول غير صحيح، وبيان ذلك من وجوه، وهي كما يلي :

١- إن التسوية في اللغة تعني التقويم والتعديل والإتقان والإحكام، يقال : سوى الشيء؛ أي : قومه وعدله وجعله سويا [(١)] قال تعالى : ﴿ أأنتم أشد خلقا أم السماء بناها * رفع سمكها فسواها ﴾ [(٢)]؛ أي : جعلها محكمة متقنة عالية البناء بعيدة الفناء مستوية الأرجاء [(٣)]، فالتسوية ليس فيها من معنى الإحياء شيء؛ فلا يفهم من قوله تعالى: ﴿ فإذا سويته ﴾ أنه بث فيه الحياة، وجعل له قلبا ينبض، ورئة تتنفس، وعينا ترى، وأذنا تسمع ...بل معنى التسوية في الآية أن الله صور طينة آدم عليه السلام وشكلها على ما سبق في علمه تعالى، وقدر أعضاءه وأوصاله، وجعله كامل الأعضاء والجوارح، ووضع كل عضو منه بالمحل الذي لا يليق به غيره، وهيأ كل جزء منه لما خلق له في أحسن شكل وأجمل صورة، فلا دمامة فيه ولا داء، ولا عيب فيه ولا نقص [(٤)]، فلما اكتمل تصويره و تشكيله، وصار جسدا مصورا مشكلا على أبلغ الوجوه كأنه ينطق إلا أنه لا روح فيه ولا حياة- نفخ الله فيه من روحه، فسرت فيه الحياة، وانقلب ذلك الطين لحما، ودما، وعظاما، وعروقا، وسمعا، وبصرا، وحركة، وكلاما . هذا ما ذهب إليه جمهور المفسرين في تفسير الآية، [(٥)] وهو الذي تدل عليه الأحاديث النبوية؛ فإن آثار الحياة من العطاس والاستماع والسلام والكلام والذهاب والمجيء والأكل والشرب ... [(٦)]كلها حصلت لآدم عليه السلام بعد نفخ الروح فيه.

٢- إن الآية لا تدل على ما ذهب إليه من التفريق بين آدم البشر وآدم الإنسان، وأنه كان بالتسوية بشرا وأصبح بالنفخة إنسانا- فالآية لا تدل على ذلك من قريب ولا من

---

(١) انظر : المعجم الوسيط (٤٦٦/١ ، مادة : سوي) .

(٢) النازعات الآيتان : ٢٧-٢٨

(٣) انظر : تفسير القرآن العظيم (٤٦٨/٤)؛ وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص : ١٢٦٨) .

(٤) العين (٣٢٧/٧ ، مادة : سوي) .

(٥) انظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن (٣١/١٤)؛ والوسيط في تفسير القرآن المجيد (٤٥/٣)؛ والوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٥٩١/١) كلاهما للواحدي؛ و معالم التنزيل (٤٩/٣)؛ والمحرر الوجيز العزيز لابن عطية (١٢٧/١٠)؛ وزاد المسير (٤٠٠/٧)؛ والتفسير الكبير (١٨١/١٩-١٨٢)؛ والتبيان في أقسام القرآن لابن القيم (ص : ٢٠٤-٢٠٥)؛ وفتح القدير (١٣٠/٣ و ٤٤٤/٤)؛ والفتوحات الإلهية (٥٤٤/٢)؛ وفتح البيان في مقاصد القرآن (١٦٥/٧)؛ وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص : ٥٧٨ وص : ٩٩١)؛ والتفسير الوسيط للقرآن الكريم للطنطاوي (٣٨/٨-٣٩) .

(٦) انظر : الأحاديث الدالة على ذلك في (ص : ١٠٩و١٤٣-١٤٤) .

بعيـــد؛ فالذي يرجع إليه الضمير الغائب في ﴿ سويته ﴾هو الذي يرجع إليه الضمير الغائب في ﴿ نفخت فيه ﴾ وهو ﴿ بشرا ﴾ المذكور في الآية نفسها، فكيف يصح القول بأنه كان بالتسوية بشرا وأصبح بالنفخة إنسانا بل هذا قول باطل وتفريق بين المتماثلين بدون دليل .

ويـــزداد بطلان هذا التفريق وضوحا ببيان بطلان ما فرق به صاحب هذا القول بين البشـــرية و الإنســـانية، فالبشرية عنده هي الخصائص والصفات الجسدية الحيوية التي لها نظائرها عند الكائنات الحية الأخرى مثل : نشأة الجسد البشري من الطين، وتكون الجسد من أعضاء مختلفة، وكونهم أجنة في أرحام الأمهات ثم نهاية وجودهم بالموت؛ فصفة الفناء وعدم الخلود في الدنيا بشرية وليست إنسانية، وكذلك من خصائص البشرية عنده التغذي والـــنمو والإحســـاس والحركة والتناسل، والذكورة والأنوثة وحاجة كل نوع منهما إلى الآخر، والحاجة إلى الماء والهواء والغذاء وقضاء الحاجة ...[1].

والإنسانية عنده هي الخصائص والصفات التي ميز الله بها بني آدم عن سائر الكائنات الحية؛ فلا توجد نظائر للخصائص الإنسانية عند غير الإنسان من الأحياء مثل : الابتلاء، والإرادة والاخـــتيار، والعـــلم والمعرفة، والضعف والهلع أمام الأحداث ومواقف البأس، والخلود وعدم الفناء ، والتطلع إلى ما هو أفضل ...[2].

ولكن هذا التعريف والتفريق لا يسلم له من و جوه، وهي كما يلي :

أ – إن استعمالات لفظ " البشر " في القرآن الكريم لم تقتصر على المعاني الجسدية الحيوية فقط بل البشر في القرآن الكريم موصوف بصفات معنوية غير جسدية، منها :

● **العـــلم** : فالعلم والتعليم والتعلم من صفات البشرية خلافا لزعمه أن العلم صفة إنسانية، وليست بشرية . قال تعالى : ﴿ ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر ﴾ [3]بل الحيوانات تكتسب من العلم ما يتناسب مع خلقتها والغاية من وجودها . قال تعالى : ﴿ وما علمتم من الجوارح مكلبين تعلمونهن مما علمكم الله ﴾ [4] وقال تعالى : ﴿ ألم تر أن الله يسبح له من في السماوات

---

(١) انظر : الأصول الاعتقادية للمعرفة ومناهج الدراسات الإنسانية في الإسلام (ص ١٦١-١٦٣) .

(٢) انظر : المصدر السابق (ص : ١٦٩-١٧٤) .

(٣) النحل الآية : ١٠٣

(٤) المائدة الآية : ٤

والأرض والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه ﴾ [1].

● **النســـب والصـــهر** : قال تعالى : ﴿ وهو الذي خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا ﴾[2]

وهـــو اســـتدل بهـــذه الآية على أن خلق الإنسان من ماء أمر يخص بشرية بني آدم، وأن التناســـل وتعـــاقب الأجيـــال أمر بشري ولكنه أغفل قوله تعالى : ﴿ **فجعله نسبا وصهرا** ﴾ فالنســـب والصـــهر مـــن خصائص البشر التي لا توجد في الحيوانات؛ لأنها شيء مرتبط بالتشريع والأعراف البشرية – وليست من الخصائص الجسدية الحيوية .

● **وكذلك من صفات البشرية الذكرى**، وأنهم يُنْذِرُون ويُنْذَرُون . قال تعـــالى : ﴿ وما هي إلا ذكرى للبشر ﴾ [3] وقال تعالى : ﴿ نذيرا للبشر ﴾[4] وهذه صفات معنوية غير جسدية .

● **وأيضا من صفات البشرية أن الله تعالى يعطي منهم من يشاء الكتاب والحكم والنبوة .**

قال تعالى : ﴿ ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله ﴾ [5].

فالدكـــتور الدسوقي وإن قال بأن النبوة بشرية ولكنه غفل أن هذه الصفة غير داخلة في تعريفه للبشرية؛ لكونها غير جسدية .

● **التطـــلع إلى ما هو أفضل وأحسن ليس من الخصائص الإنسانية** فقط كما زعم بل هو من الخصائـــص البشريـــة أيضـــا . قال تعالى : ﴿ ما هذا إلا بشر مثلكم يريد أن يتفضل عليكم ﴾[6].

فهو إما أن يعتبر العلم والنسب والصهر والذكرى والإنذار والنبوة وإرادة الأفضل والتطلع له من الخصائص الجسدية الحيوية أو أن يوافق على أنها ليست من الخصائص البشرية التي تكون في الإنسانية، فيكون بذلك رادا لنص القرآن الصريح في أن هذه الأمور وصف بها البشر، وهي بالتالي صفات أيضا وصف بها الإنسان؛ فلا معنى للتفريق الذي ذكر بين البشرية والإنسانية .

---

(١) النور الآية : ٤١

(٢) الفرقان الآية : ٥٤

(٣) المدثر الآية :٣١

(٤) المدثر الآية :٣٦

(٥) آل عمران الآية : ٧٩

(٦) المؤمنون الآية : ٢٤

ب - الابـــتلاء والإرادة والاختيار والعلم ... من الخصائص التي لم ينفرد بها الإنسان بل شاركهم فيها إخوانهم من الجن؛ فإنهم أيضا مخاطبون بخطاب الشرع، ومأمورون بأوامره، ومـــنهيون عـــن نواهيه، ولهم الإرادة والاختيار على فعل الطاعة أو المعصية كالإنسان، وقد شهدت بذلك كثير من الآيات القرآنية و الأحاديث النبوية، وهنا أكتفي بذكر بعضها .

قال تعالى : ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾ [1] وقال تعالى : ﴿ يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا شهدنا على أنفسنا وغرتهم الحياة الدنيا وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين ﴾[2] وقال تعالى : ﴿ وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قضي ولوا إلى قومهم منذرين * قالوا يا قومنا إنا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم ﴾ [3] وقال تعالى : ﴿ ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس ﴾ [4] وقال تعالى : ﴿ يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السماوات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان * فبأي آلاء ربكما تكذبان * يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران * فبأي آلاء ربكما تكذبان * فإذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان * فبأي آلاء ربكما تكذبان * فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان ﴾ [5] وقال تعالى : ﴿ قل أوحي إلي أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا * يهدي إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا * وأنه تعالى جد ربنا ما اتخذ صاحبة ولا ولدا * وأنه كان يقول سفيهنا على الله شططا * وأنا ظننا أن لن تقول الإنس والجن على الله كذبا ﴾ [6].

وعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : إن بالمدينة نفرا من الجن قد أسلموا؛ فمن رأى شيئا من هذه العوامر، فليؤذنه ثلاثا، فإن بدا له بعد، فليقتله؛ فإنه شيطان [7].

---

(١) الذاريات الآية : ٥٦

(٢) الأنعام الآية : ١٣٠

(٣) الأحقاف الآيتان : ٢٩-٣٠

(٤) الأعراف الآية : ١٧٩

(٥) الرحمن الآيات : ٣٣-٣٩

(٦) الجن الآيات : ١-٥

(٧) أخرجه م (السلام، ب : قتل الحيات وغيرها ٤/١٧٥٦-١٧٥٧ ح : ٢٢٣٦) .

وعــن ابن مسعود ﷺ قال : كنا مع رسول الله ﷺ ذات ليلة، ففقدناه، فالتمسناه في الأوديــة والشــعاب، فقلنا استطير أو اغتيل، قال : فبتنا بشرٍّ ليلةٍ بات بها قوم، فلما أصــبحنا إذا هو جاء من قبل حراء . قال : فقلنا : يا رسول الله ! فقدناك؛ فطلبناك، فلم نجدك؛ فبتنا بشر ليلة بات بها قوم . فقال : آتاني داعي الجن؛ فذهبت معه، فقرأت عليهم القرآن . قال : فانطلق بنا، فأرانا آثارهم، وآثار نيرانهم، وسألوه الزاد ؟ فقال : لكم كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع في أيديكم أوفر ما يكون لحما، وكل بعرة علف لدوابكم . فقال رسول الله ﷺ : فلا تستنجوا بهما؛ فإنهما طعام إخوانكم [١].

قــال القرطبي : (الجن مخاطبون، مكلفون، مأمورون، منهيون، مثابون، معاقبون، كالأنس سواء، مؤمنهم كمؤمنهم، وكافرهم ككافرهم، لا فرق بيننا وبينهم في شيء من ذلك) [٢].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : (يجب على الإنسان أن يعلم أن الله عز وجل أرسل محمــدا ﷺ إلى جميــع الثقــلين : الإنس والجن، وأوجب عليهم الايمان به، وبما جاء به، وطاعــته، وأن يحللوا ما حلل الله ورسوله، ويحرموا ما حرم الله ورسوله، وأن يوجبوا ما أوجبه الله ورسوله، ويحبوا ما أحبه الله ورسوله، ويكرهوا ما كرهه الله ورسوله، وأن كل من قامت عليه الحجة برسالة محمد ﷺ من الإنس والجن، فلم يؤمن به؛ استحق عقاب الله تعالى، كما يستحقه أمثاله من الكافرين الذين بعث إليهم الرسول ﷺ .

وهــذا أصل متفق عليه بين الصحابة، والتابعين لهم بإحسان، وأئمة المسلمين، وسائر طوائــف المســلمين أهل السنة والجماعة وغيرهم — رضي الله عنهم أجمعين ...ومعلوم بالاضــطرار أنهــم أحياء، عقلاء، فاعلون بالإرادة، بل مأمورون، منهيون، ليسوا صفات وأعراضا قائمة بالإنسان أو غيره ، كما يزعمه بعض الملاحدة) [٣].

فهــذه النصوص الشرعية من الكتاب والسنة تنص على أن الجن مخاطبون بخطاب الشرع، وأنهم مأمورون بفعل الطاعات والقيام بالعبادات، وأنهم منهيون عن ارتكاب المعاصي والمحرمات،

---

(١) أخرجه م (الصلاة، ب : الجهر بالقراءة في الصبح والقراءة على الجن ٣٣٢/١ ح : ٤٥٠) .

(٢) الجامع لأحكام القرآن (١٦٩/١٧) .

(٣) مجمــوع فــتاوى شــيخ الإسلام ابن تيمية (٩/١٩-١٠)؛ وانظر كلاما نحوه لتلميذه ابن القيم في (طريق الهجرتين (ص : ٧١٨ فما بعدها) .

وأنهـــم يفعلون ما يفعلون من الطاعات أو المعاصي، بالإرادة والاختيار، مع العلم والعقل والفهم والشـــعور، مـــن غير إكراه وإجبار، ابتلاء من الله سبحانه وتعالى، وأنهم يثابون على إحسانهم، ويعاقـــبون على إساءتهم، وهذا ما عليه جمهور أهل الإسلام، فهم بهذا كالبشر الذين كلفهم الله بالـــتكاليف الشرعية أمرا ونهيا، وبهذا يعلم بطلان قول من زعم أن الابتلاء، والإرادة والاختيار، والعلم والمعرفة من الخصائص الإنسانية التي لا توجد لها نظائر عند غير الإنسان من الأحياء .

ج – قـــال تعالى **لمريم – عليها السلام –** : ﴿ فإما ترين من البشر أحدا فقولي إني نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم إنسيا ﴾ [1] هذه الآية تدل على أن البشر مأمور بالشرع ومطالب به وإلا لما صـــح إنكار قوم مريم – عليها السلام – إتيان هذا الولد المبارك، فإن إستغرابهم لهذا الأمر لم يكـــن إنكارا لمجيء الولد عن طريق الالتقاء بين الذكور والإناث بالزواج أو الزنا، وإنما كان إنكارهم عليها إنكارا شرعيا؛ ولهذا قالوا :﴿ يا مريم لقد جئت شيئا فريا * يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا ﴾ [2]، فالبشر مأمور بالشرع، والإنسان مأمور بالشرع، ولا فرق بيـــنهما، ولعل ورود كلمة ﴿ البشر ﴾ في الآية مرة، وكلمة ﴿ إنسيا ﴾ أخرى يوحي إلى هذا المعنى؛ فلا يصح التفريق بين البشر والإنسان، ولا يصح القول بأن المأمور بالشرع هو الإنسان الذي له إرادة و اختيار ...دون البشر ... والله أعلم بالصواب .

د – وقولـــه : " صفة الفناء وعدم الخلود في الدنيا بشرية وليست إنسانية " من أبطـــل الباطل؛ لأن معنى ذلك أن الإنسان ليس من صفاته الموت، وهل النص القرآني في هـــذا يحـــتمل هذا التأويل ؟! وماذا يقول في قوله تعالى : ﴿ ويقول الإنسان أئذا ما مت لسوف أخرج حيا * أولا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئا * فوربك لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا ﴾ [3] بـــل الفناء صفة جميع المخلوقات والإنسان من بينها . قال تعالى :

---

(١) مريم الآية : ٢٦

(٢) مريم الآيتان : ٢٧-٢٨

(٣) مريم الآيات : ٦٦-٦٨

﴿ لا إله إلا هو كل شيء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون ﴾ (1) .

وقال تعالى : ﴿ ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين * ثم جعلناه نطفة في قرار مكين * ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين * ثم إنكم بعد ذلك لميتون * ثم إنكم يوم القيامة تبعثون ﴾ (2)

فهـــذه الآيـــات القرآنية تتحدث عن موضوع واحد، وهو خلق الإنسان، وقد ختمها الله تعـــالى بقولـــه : ﴿ ثم إنكم بعد ذلك لميتون * ثم إنكم يوم القيامة تبعثون ﴾، ولا يمكن فصل هذا السياق بعضه عن بعض؛ لأنه قال : ﴿ ثم إنكم ﴾؛ أي : بعد قوله : ﴿ ثم أنشأناه خلقا آخر ﴾، فالآيات كلها تحكـــي قصـــة خلق الإنسان، وتبين أطوار خلقه ومراحل نشأته من بدايته إلى نهايته، والخطاب لجنس الإنسان؛ أي : أنتم يا جنس الإنسان لميتون؛ فالموت أو الفناء صفة بشرية إنسانية .

هـــ - خلق الإنسان من الماء والتراب أو من النطفة أمر لا يخص بشرية بني آدم فقـــط بل هو أمر إنساني أيضا . قال تعالى : ﴿ هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا * إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا ﴾ (3) وقال تعالى : ﴿ يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا ﴾ (4) وقال تعالى : ﴿ ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين * ثم جعلناه نطفة في قرار مكين * ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين ﴾ (5).

---

(1) القصص الآية : ٨٨

(2) المؤمنون الآيات : ١٢-١٦

(3) الإنسان الآيتان : ١-٢

(4) الحج الآية : ٥

(5) المؤمنون الآيات : ١٢-١٤

فهـــذه آيـــات من كتاب الله تنص على أن خلق الإنسان من نطفة أو من طين أمر إنساني أيضا، ولا يخص بشرية بني آدم دون إنسانيتهم كما زعمه الزاعم .

والعجيب أنه استدل على كون نشأة الإنسان الأولى من الطين أمرا بشريا بقوله تعالى : ﴿ وإذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرا من صلصال من حمإ مسنون ﴾ [1] فقال : (و لم يقل (خالق إنســـانا من صلصال)) [2] وقال : (إن الأصل الأول تراب ثم صار مع الماء طينا ثم تحول إلى صلصال من حمإ مسنون، وهذا أصل بشريته وليس مصدرا للإنسانية، وتكريم آدم أساسا بالإنسانية، وليس بالبشرية) ! [3] و لكنه غفل عن آية قبلها في السورة نفسها، أعني قوله تعالى : ﴿ ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حمإ مسنون ﴾ [4].

ففي نفس المرحلة من الخلق وصف الله عز وجل ذلك المخلوق بالبشرية وبالإنسانية، فكيف يصح ما ذهب إليه من التفريق بين البشرية والإنسانية ؟ وكيف يصح أن يقال أن نشـــأة الإنسان من الطين أمر بشري غير إنساني ؟! و الله سبحانه و تعالى يصفه بالبشرية وبالإنسانية . ﴿ قل أأنتم أعلم أم الله ﴾ [5].

و- التناســـل وتعاقب الأجيال وإنعام الله عليهم بالذكور والإناث أو أحدهما أو كليهما أمر إنساني أيضا . قال تعالى : ﴿ وإنا إذا أذقنا الإنسان منا رحمة فرح بها وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم فإن الإنسان كفور * لله ملك السماوات والأرض يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور * أو يزوجهم ذكرانا وإناثا ويجعل من يشاء عقيما إنه عليم قدير ﴾ [6].

فهـــذه ثـــلاث آيات من سورة الشورى، وهو قد استدل بالآية الأولى على أن من خصائص الإنسانية الجزع والهلع عند الضراء، والنأي والكفر والفخر عند السراء، ولكنه

---

(١) الحجر الآية : ٢٨

(٢) الأصول الاعتقادية للمعرفة ومناهج الدراسات الإنسانية في الإسلام (ص : ١٦٣) .

(٣) المصدر السابق (ص : ١٦٤) .

(٤) الحجر الآية : ٢٦

(٥) البقرة الآية : ١٤٠

(٦) الشورى الآيات : ٤٨-٥٠

غفـــل عن الآيتين بعدها عند ما قرر أن التناسل وتعاقب الأجيال أمر بشري، وأنه يخص بشرية بني آدم دون إنسانيتهم . فمن أين له أن يفرق بين أمرين لم يفرق الله بينهما ؟ قال تعالى : ﴿ ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير ﴾ [1].

ويتـــبين مما سبق أن الآيات القرآنية التي ورد فيها كلمة " البشر " تصف هذا الكائن الحي بصفات غير جسدية أيضا، وبه يسقط زعمه أن البشرية هي مجموعة من الخصائص الجسدية الحيوية عند بني آدم، كما تبين أنه لا فرق بين البشر والإنسان في توجه خطاب الشـــرع إليهمـــا، وأن الابتلاء والإرادة والاختيار والعلم والمعرفة من الخصائص الإنسانية البشـــرية، وقـــد شاركهم فيها إخوانهم من الجن، وأن الفناء وعدم الخلود من الخصائص الإنسانية كغيره من المخلوقات، وبه يسقط زعمه أنها من الخصائص والصفات التي انفرد بها الإنسان، وأنه لا يوجد لها نظائر عند غيره من أحياء الأرض و السماء . و الله أعلم .

٣- وأما التفريق بين النفس والروح ثم القول بأن الروح ليست مصدر حياة الإنسان بل النفس هي مصدر حياة الإنسان فهذه مسألة طال حولها الكلام، واختلف أهل العلم في أنهما شيئان مختلفان أم هما اسمان لمسمى واحد ؟

وخلاصة ما قاله المحققون منهم وهو الصواب أن الروح لها معان [2] تختلف عن معنى الـــنفس، والـــنفس لها معان [3] تختلف عن معنى الروح، وبينهما معنى مشترك فيطلق كل واحد منهما على الآخر، فالذي يعيش به الإنسان، ويحيى به جسده، ويموت بمفارقته إياه هـــو الروح وهو النفس؛ فهما يشتركان في هذا المعنى، ولذلك جاء في كثير من النصوص الشرعية إطلاق كل منهما على الآخر، وعليه تدل أقوال أئمة اللغة [4].

---

(١) الملك الآية : ١٤

(٢) منها القرآن، والوحي، والرحمة، وأيضا جبريل عليه السلام . انظر : النهاية في غريب الحديث (٢/٢٧١-٢٧٢).

(٣) مـــنها : الدم، والذات، والعين، والصفات المذمومة . انظر : النهاية في غريب الحديث (٥/٩٥-٩٦، مادة : نفس)؛ ومجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٩/٢٩٢-٢٩٣)؛ والروح (ص : ٣٨٦-٣٨٧) .

(٤) انظر : الدرة فيما يجب اعتقاده (ص : ٢١٧-٢١٨)؛ والتذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة (١/١٥٩)؛ ومجموع فـــتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٤/٢٢٥-٢٢٦ و ٩/٢٨٩-٢٩٠)؛ والروح (ص : ٣٨٦-٣٨٨)؛ وشرح العقيدة الطحاوية (ص : ٥٦٧-٥٦٨)؛ وجلاء العينين (ص : ١٦٥-١٦٦)؛ والإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد (ص : ٢٦٦-٢٦٨) .

قال تعالى : ﴿ الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ﴾ [1] وقال تعالى : ﴿ ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسكم ﴾ [2].

والأنفس هنا هي الأرواح قطعا؛ فقد جاء في الصحيح عن أبي قتادة الأنصاري ﷺ قال : سرنا مع النبي ﷺ ليلة، فقال بعض القوم : لو عرست بنا يا رسول الله ! قال : أخاف أن تناموا عن الصلاة . قال بلال ﷺ : أنا أوقظكم، فاضطجعوا، وأسند بلال ﷺ ظهره إلى راحلته، فغلبته عيناه، فنام، فاستيقظ النبي ﷺ وقد طلع حاجب الشمس، فقال : يا بلال ! أين ما قلت ؟ قال : ما ألقيت علي نومة مثلها قط . قال : إن الله قبض أرواحكم حين شاء، وردها عليكم حين شاء. يا بلال ! قم فأذن بالناس بالصلاة، فتوضأ، فلما ارتفعت الشمس وابيضت قام فصلى [3].

وفي رواية عند مسلم أن بلالا ﷺ قال : ((أخذ بنفسي الذي أخذ - بابي أنت وأمي يا رسول الله !- بنفسك)) [4].

وعن أم سلمة — رضي الله عنها - قالت : دخل رسول الله ﷺ على أبي سلمة ﷺ، وقد شق بصره؛ فأغمضه، ثم قال : إن الروح إذا قبض تبعه البصر؛ فضج ناس من أهله؛ فقال : لا تدعوا على أنفسكم إلا بخير؛ فإن الملائكة يؤمنون على ما تقولون ...الحديث [5].

وعن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : ألم تروا الإنسان إذا مات شخص بصره ؟ قالوا : بلى . قال : فذلك حين يتبع بصره نفسه [6] .

وعن شداد بن أوس ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : إذا حضرتم موتاكم؛ فأغمضوا البصر؛ فإن البصر يتبع الروح، وقولوا خيرا؛ فإن الملائكة تؤمن على ما قال أهل البيت [7].

---

(١) الزمر الآية : ٤٢

(٢) الأنعام الآية : ٩٣

(٣) أخرجه خ (المواقيت، ب : الأذان بعد ذهاب الوقت ٢١٤/١ ح : ٥٧٠) .

(٤) أخرجه م (المساجد، ب : قضاء الصلاة الفائتة ...٤٧١/١ ح : ٦٨٠) .

(٥) أخرجه م (الجنائز، ب : في إغماض الميت والدعاء له إذا حضر ٦٣٤/٢ ح : ٩٢٠) .

(٦) أخرجه م (الجنائز، ب : في شخوص بصر الميت يتبع نفسه ٦٣٥/٢ ح : ٩٢١) .

(٧) أخرجه حم (٣٥٩/٢٨-٣٦٠ ح : ١٧١٣٦)؛ وجه (الجنائز، ب : ما جاء في تغميض الميت ٤٦٨/١ ح : ١٤٥٥)، واللفظ له؛ و كم (الجنائز ، ب : تغميض بصر الميت ٣٥٢/١)، وقال : (هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه)، ووافقه الذهبي، وحسنه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (٩/٢ ح : ١١٩٩)؛ وفي السلسلة الصحيحة (٨٤/٣-٨٥ ح : ١٠٩٢) .

وعن البراء بن عازب ﷺ قال : خرجنا مع النبي ﷺ في جنازة رجل من الأنصار... ثم قال : " إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة، نزل إليه ملائكة من السماء بيض الوجوه،كأن وجوههم الشمس معهم كفن من أكفان الجنة، وحنوط من حنوط الجنة، حتى يجلسوا منه مد البصر، ثم يجئ ملك الموت - عليه السلام - حتى يجلس عند رأسه، فيقول : **أيتها النفس الطيبة** اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان ". قال : " فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من في السقاء، فيأخذها، فإذا أخذها لم يَدَعُوها في يده طرفة عين حتى يأخذوها، فيجعلوها في ذلك الكفَن، وفي ذلك الحنوط ... ". قال : " فيصعدون بها، فلا يمرون - يعني بها - على ملأ من الملائكة إلا قالوا : **ما هذا الروح الطيب** ؟! فيقولون : فلان بن فلان بأحسن أسمائه، التي كانوا يسمونه بها في الدنيا، حتى ينتهوا بها إلى السماء الدنيا، فيستفتحون له، فيفتح لهم، فيشيعه من كل سماء مقربوها إلى السماء التي تليها، حتى يُنْتَهَى به إلى السماء السابعة، فيقول الله عز وجل : اكتبوا كتاب عبدي في عليين، وأعيدوه إلى الأرض؛ فإني منها خلقتهم، وفيها أعيدهم، ومنها أخرجهم تارة أخرى " . قال : " **فتعاد روحه في جسده**، فيأتيه ملكان، فيجلسانه، فيقولان له : من ربك ؟ فيقول : ربي الله ..." . قال : " وإن العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة، نزل إليه من السماء ملائكة سود الوجوه، معهم المُسُوح [1]، فيجلسون منه مد البصر، ثم يجئ ملك الموت حتى يجلس عند رأسه، فيقول : **يا أيتها النفس الخبيثة** اخرجي إلى سخط من الله وغضب " . قال : " فتفرَّقُ في جسده، فينتزعها كما ينتزع السفود [2] من الصوف المبلول، فيأخذها فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يجعلوها في تلك المسوح ... فيصعدون بها؛ فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا : **ما هذا الروح الخبيث** ؟ فيقولون : فلان بن فلان، بأقبح أسمائه التي كان يسمى بها في الدنيا، حتى يُنْتَهَى به إلى السماء الدنيا، فيستفتح له، فلا يفتح له ... فيقول الله عز وجل : اكتبوا كتابه في سجين في الأرض السفلى ، **فتطرح روحه طرحا** "،

---

(١) المسوح جمع، ومفرده المسح : وهو الكساء من الشعر . انظر : لسان العرب (١٠١/١٣، مادة : مسح) .

(٢) السفود : بوزن التنور، وهي الحديدة التي يشوى بها اللحم . انظر : مختار الصحاح (ص : ١٢٦، مادة : سفد) .

ثم قـرأ : ﴿ ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق ﴾ [1]، **فتعاد روحه في جسده**، ويأتيه ملكان، فيجلسانه، فيقولان له : من ربك ؟...الحديث [2].

فالمقـبوض المتوفى الخارج من البدن المعروج به إلى السماء سماه تارة روحا، وتارة نفسا، فالـروح المقبوضة هي النفس التي يتوفاها الله حين موتها وفي منامها، وهي التي يتوفاها ملك المـوت، وهي التي تتوفاها رسل الله، وهي التي يجلس الملك عند رأس صاحبها، ويخرجها من البدن كرها، ويكفّنها بكفن من الجنة أو النار، وهي التي تصعد بها الملائكة إلى السماء، وهي التي تعاد إلى الجسد عند السؤال، فهي التي يعيش بها الإنسان، ويموت بخروجها من البدن .

من أقوال أهل اللغة :

جـاء في كتاب العين : (الروح : النفس التي يحيا بها البدن، يقال : خرجت روحه؛ أي : نفسه، ويقال : خرج، فيذكر) [3] .

وفي تاج العروس : (الروح بالضم : النفس ...) وقال : (وتأويل الروح : ما به حياة الأنفس) [4].

وفي تهذيب اللغة : (الروح هو الذي يعيش به الإنسان، لم يخبر الله به أحد من خلقه، ولم يعـط علمه العباد ...) وفيه أيضا : (الروح : إنما هو النفس الذي يتنفسه الإنسان، وهو جار في جميع الجسد، فإذا خرج لم يتنفس بعده، وإذا تم خروجه بقي البصر شاخصا نحـوه حتى يغمض، وهو بالفارسية (جان) ...) وفيه أيضا : (سمي الوحي روحا لأنه حياة من موت الكفر ، فصار يحيا به الناس كالروح الذي يحيا به جسد الإنسان) [5].

وفي الـنهاية : (تكرر ذكر الروح في الحديث والقرآن، ووردت على معان : والغالب

---

(١) الحج الآية : ٣١

(٢) أخرجه حم (٣٠/٤٩٩-٥٠٣ ح : ١٨٥٣٤)؛ والطيالسي في مسنده (ص : ١٠٢ ح : ٧٥٣)؛ وهناد في الزهد (ب : يوم القيامة و عظمه وما أعد فيه ١/٢٠٥-٢٠٧ ح : ٣٣٩)؛ وابن مندة في الإيمان (ذكر وجوب الإيمان بالسؤال في القبر ٣/٢٠٨-٢١١ ح : ١٠٦٤)، وقال : (ذا إسناد متصل مشهور رواه جماعة عن البراء)؛ والبيهقي في شعب الإيمان (١/٣٥٥-٣٥٧ ح : ٣٩٥)، وقال : (هذا حديث صحيح الإسناد)؛ وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/٥٠) : (هو في الصحيح وغيره باختصار رواه أحمد و رجاله رجال الصحيح)؛ وقال ابن القيم في الروح (ص : ٩٢-٩٣) : (الحديث صحيح لا شك فيه) .

(٣) العين (١٣/٢٩١ ، مادة : روح) .

(٤) تاج العروس من جواهر القاموس (٦/٤٠٧ ، مادة : روح) .

(٥) تهذيب اللغة (٥/٢١٦-٢٢٥ ، مادة : روح) .

منها : أن المراد بالـــروح الذي يقوم به الجسد، وتكون به الحياة ...ويذكر ويؤنث)[1] .

فتــبين أن قـــول الدسوقي بأن الروح ليست مصدر حياة الإنسان بل مصدر حياة الإنســـان هـــي النفس قول باطل مخالف للأدلة الصحيحة الصريحة المستمدة من الكتاب والســـنة، وتـــبين أن الروح التي يعيش بها الإنسان ويموت بخروجها من البدن هي الروح المنفوخة فيه، وهي النفس التي تفارقه بالموت [2]، فهما متحدان في كونهما مصدر الحياة، ولا يصح التفريق بينهما من هذا الوجه، والله أعلم .

القول الرابع : الروح الذي نفخ في آدم عليه السلام خلق من خلق الله تعالى، له جسم مخالف لهذا الجســـم المحسوس، فهو جسم لطيف علوي شريف، ويكون جاريا في جميع أعضاء البدن، كما يسري الماء في الورد والنار في الفحم، وجعل الله تعالى حياة الأجساد به، فإذا خرج من البدن بقي البصر شاخصا نحوه و لم يتنفس بعده، و لم يعط الله علمه أحدا من العباد، فهو كسائر أرواح بني آدم ولكن الله كرم آدم عليه السلام وشرفه حيث نفخ فيه من روحه، و لم يوكل ذلك إلى أحـــد من خلقه، كمـــا هو الحال في غيره، قال تعالى : ﴿ فإذا سويته ونفخت فيه من روحي ﴾ [3] فهو الذي سواه بيده، ونفخ فيه من روحه، وأضافه إلى نفسه إضافة خلق وملك، لا أنه جزء منه [4].

قـــال الفراء : الروح هو الذي يعيش به الإنسان، لم يخبر الله به أحدا من خلقه، و لم يعـــط عـــلمه العباد، وقوله : ﴿ فإذا سويته ونفخت فيه من روحي ﴾ فهذا الذي نفخه في آدم عليه السلام، و لم يعط علمه أحدا من عباده؛ فهو من علم ربي، وليس من علمكم [5].

قال البيهقي [6]: (الروح الذي نفخ في آدم عليه السلام كان خلقا من خلق الله تعالى، جعل الله

---

(١) النهاية في غريب الحديث (٢/٢٧١-٢٧٢ ، مادة : روح) .

(٢) انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٩/٢٨٩) .

(٣) الحجر الآية : ٢٩ و ص الآية : ٧٢

(٤) انظـــر : الوسيط في تفسير القرآن المجيد (٣/٤٥)؛ والوجيز في تفسير الكتاب العزيز (١/٥٩١)؛ وتفسير القـــرآن لأبي المظفر السمعاني (٣/١٣٨)؛ والمحرر الوجيز (١٠/١٢٧)؛ ومعالم التنزيل (٣/٤٩)؛ وزاد المسير (٤/٤٠٠)؛ والنهاية في غريب الحديث (٢/١٧١-١٧٢، مادة : روح)؛ وشرح النووي على صحيح مســـلم (٦/٢٢٣)؛ والروح (ص : ٢٦٣ و ٢٨٠ و ٢٨٢ و ٣٢٤) ؛ وشرح العقيدة الطحاوية (ص : ٥٦٥)؛ ونيل الأوطار (٤/٢٨)؛ والتفسير الوسيط للقرآن الكريم (٨/٣٨-٣٩).

(٥) انظر : معاني القرآن (٢/١٣٠)؛ وأيضا : تهذيب اللغة (٥/٢٢٣-٢٢٤)؛ ولسان العرب (٥/٢٦١) .

(٦) أبـــو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، الحافظ العلامة الثبت الفقيه شيخ الإسلام، توفي سنة ٤٥٨هـــ انظر : سير أعلام النبلاء (١٨-١٦٣-١٧٠) .

عز وجل حياة الأجسام به، وإنما أضافه إلى نفسه على طريق الخلق والملك، لا أنه جزء منه، وهو كقوله عز وجل : ﴿ وسخر لكم ما في السماوات وما في الأرض جميعا منه ﴾ ؛ أي : من خلقه) [1].

وقـــال القرطبي في تفسير آية الحجر : (الروح جسم لطيف، أجرى الله العادة بأن يخـــلق الحياة في البدن مع ذلك الجسم، وحقيقته إضافة خلق إلى خالق؛ فالروح خلق من خلقه، أضافه إلى نفسه تشريفا وتكريما) [2].

وقـــال العلامـــة ابن القيم : (الروح الذي نفخ منها في آدم عليه السلام روح مخلوقة غير قديمة، وهي مادة روح آدم، فروحه أولى أن تكون حادثة مخلوقة) [3].

وهذا القول هو الصواب في المسألة كما قال ابن القيم بعد ما ذكر الأقوال في حقيقة الـــروح، وذكـــر القول السادس بأنه جسم لطيف مخلوق، وبه توجد الحس والحركة في الأعضـــاء مادامت صالحة لقبول آثاره متصلة به : (وهذا القول هو الصواب في المسألة، وهـــو الذي لا يصح غيره، وكل الأقوال سواه باطلة، وعليه دل الكتاب والسنة وإجماع الصحابة وأدلة العقل والفطرة) [4] وهو كما قال – رحمه الله – وقد تقدمت الأدلة على ذلك من خلال الرد على الأقوال الباطلة، والله أعلم بالصواب .

---

(١) الأسماء والصفات (٢/٢١٢) .

(٢) الجامع لأحكام القرآن (١٠/٢٤ ، الحجر : ٢٩) .

(٣) الروح (ص : ٢٨٢) .

(٤) المصدر السابق (ص : ٣٢٤) .

المطلب الثاني : أيهما أسبق في الخلق، جسد آدم عليه السلام أم روحه ؟

لا شك أن الروح التي نفخت في آدم عليه السلام تأخر خلقها عن خلق جسده، فالله سبحانه وتعالى خلق جسد آدم عليه السلام أولا ثم لما شاءت إرادته واقتضت حكمته تبارك وتعالى نفخ فيه من روحه، ولا أعلم خلافا في ذلك، وهو الذي يدل عليه الكتاب والسنة.

قال تعالى : ﴿ وإذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرا من صلصال من حمإ مسنون * فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين ﴾ [1].

وقال تعالى : ﴿ إذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرا من طين * فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين ﴾ [2].

فالله سبحانه نفخ من روحه في آدم عليه السلام بعد خلق جسده وتسويته له [3].

وعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لما صور الله آدم في الجنة تركه ما شاء الله أن يتركه، فجعل إبليس يطيف به ينظر ما هو، فلما رآه أجوف عرف أنه خلق خلقا لا يتمالك [4].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إن الله خلق آدم من تراب، ثم جعله طينا، ثم تركه حتى إذا كان حمأ مسنونا خلقه وصوره، ثم تركه حتى إذا كان صلصالا كالفخار. قال : فكان إبليس يمر به فيقول : لقد خلقت لأمر عظيم، ثم نفخ الله فيه روحه فكان أول شيء جرى فيه الروح بصره وخياشيمه ، فعطس فلقاه الله حمد ربه فقال الرب : يرحمك ربك ...الحديث [5].

---

(١) الحجر الآيتان : ٢٨-٢٩

(٢) ص الآيتان : ٧١-٧٢

(٣)انظر : تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص : ٥٧٨ و ص : ٩٩١) .

(٤)حديث صحيح أخرجه مسلم، وقد سبق تخريجه في (ص : ٩٩) .

(٥) حديث حسن بمتابعته وشواهده، وقد سبق تخريجه في (ص : ١٠٩-١١٠) .

وعن أبي هريرة ﷺ قال : قالوا : يا رسول الله ! متى وجبت لك النبوة ؟ قال : وآدم بين الروح والجسد [(١)].

وعن ميسرة الفجر [(٢)] ﷺ قال : قلت : يا رسول الله ! متى كتبت نبيا ؟ قال : وآدم بين الروح والجسد [(٣)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : ويغلط كثير من الناس في فهم هذا الحديث؛ فيظنون أن ذات النبي ﷺ ونبوته كانت موجودة في ذلك الوقت، وهذا جهل، فإن الله إنما نبأه على رأس أربعين من عمره، وقد قال له : ﴿بما أوحينا إليك هذا القرآن وإن كنت من قبله لمن الغافلين﴾ [(٤)] ... ومن قال : إن النبي ﷺ كان نبيا قبل أن يوحى إليه فهو كافر باتفاق المسلمين، وإنما المعنى أن الله تعالى كتب نبوته فأظهرها وأعلنها بعد خلق جسد آدم عليه السلام وقبل نفخ

---

(١) أخرجه ت (المناقب، ب : في فضل النبي ﷺ ٥/٥٨٥ ح : ٣٦٠٩)؛ و كم (التاريخ ٢/٦٠٩)، قال الترمذي : (هذا حديث حسن صحيح غريب من حديث أبي هريرة لا نعرفه إلا من هذا الوجه)؛ وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٣/٤٨٤ ح : ٣٦٠٩)؛ وفي السلسلة الصحيحة (٤/٤٧١-٤٧٢ ح : ١٨٥٦) .

(٢) هو ميسرة الفجر الكلابي، قال البخاري في التاريخ الكبير (٤/٣٧٤) : (له صحبة). وذكره الترمذي في " تسمية أصحاب رسول الله ﷺ " (ص : ٩٣ برقم : ٦١٧)؛ و ابن قانع في (معجم الصحابة ٣/١٢٩-١٣٠ برقم : ١١٠٣)؛ وابن حزم في " أسماء الصحابة الرواة وما لكل واحد من العدد " (أصحاب الواحد رضي الله عنهم ، ص : ٣٧٥ برقم : ٦١٤ و ص : ٥٣٢ برقم : ٩٤٩) وغيرهم ممن صنف في الصحابة .

وقيل : ميسرة لقب له، وإسمه عبد الله بن أبي الجدعاء ، كما ذكر محققوا المسند (٣٤/٢٠٢) نقلا عن أبي الوليدابن الفرضي في " الألقاب " ولم أتمكن من الحصول على الكتاب . وهذا يحتمل أن يكون صحيحا؛ لأن عبد الله بن شقيق روى هذا الحديث عن عبد الله ابن أبي الجدعاء، كما أخرجه أبو نعيم الأصبهاني في (معرفة الصحابة ٣/١٦١٣-١٦١٤برقم : ١٦٠١)؛ والبغوي في (معجم الصحابة ٤/١٣٤) وهو أيضا روي هذا الحديث عن ميسرة الفجر وسيأتي تخريج الحديث من طريقه في الهامش اللاحق، فيمكن أن يكون عبد الله بن شقيق ذكرمرة اسم شيخه ، و أخرى لقب شيخه، والله أعلم بالصواب .

(٣) أخرجه ابن سعد في الطبقات (١/٤٨)؛ وابن أبي شيبة في المصنف (المغازي ، ب : ما جاء في مبعث النبي ﷺ ١٤/٢٩٢ ح : ١٨٤٠٢)؛ و حم (٣٤/٢٠٢ ح : ٢٠٥٩٦)؛ والبخاري في التاريخ الكبير (ب : ميسرة، في ترجمة ميسرة الفجر ٧/ ٣٧٤ برقم : ١٦٠٦)؛ وابن أبي عاصم في السنة (١/١٧٩ ح : ٤١٠) ؛ وفي الآحاد والمثاني (٥/٣٤٧ ح : ٢٩١٨)؛ وعبد الله بن الإمام أحمد في السنة (٢/٣٩٨ ح : ٨٦٤)؛ وابن قانع في معجم الصحابة (ترجمة ميسرة الفجر الكلابي ، ٣/١٢٩-١٣٠ برقم : ١١٠٣)؛ وكم (التاريخ ، ٢/٦٠٨-٦٠٩) قال : (هذا حديث صحيح الإسناد)، ووافقه الذهبي، وصححه شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتاوى (٨/٢٨٢)، والحافظ ابن حجر في الإصابة (٣/٤٧٠ رقم : ٨٢٦٣)، والألباني في السلسلة الصحيحة (٤/٤٧١-٤٧٢ ح : ١٨٥٦) .

(٤) يوسف الآية : ٣

الـــروح فيه، كما يكتب رزق المولود وأجله وعمله وشقاوته وسعادته بعد خلق جسده وقبل نفخ الروح فيه . أهـــ بتصرف واختصار [1].

فهذه الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الثابتة عن رسول الله ﷺ تبين أن الله سبحانه وتعـــالى صور طينة آدم عليه السلام، وشكلها بشكله على ما سبق في علمه، ثم تركه ما شاء أن يتركه، ثم لما شاءت إرادته واقتضت حكمته نفخ فيه من روحه؛ وبهذا يتبين أن جسد آدم عليه السلام متقدم على روحه في الخلق، والله أعلم بالصواب .

---

(١) انظـــر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٨/٢٨٢-٢٨٣)، وانظر أيضا : (٢/٢٣٨ و١٨/٣٦٩)؛ وتلخيص كتاب الاستغاثة المعروف بالرد على البكري (ص : ٦٥-٦٧) .

المبحث السادس : كلام الله عز وجل مع آدم عليه السلام، وإثبات صفة الكلام لله تعالى من خلال النصوص المتعلقة بآدم عليه السلام، وفيه مطلبان :

المطلب الأول : الأدلة على كلام الله عز وجل مع آدم عليه السلام.

إن الله سبحانه تعالى له صفات الكمال المطلق، فله المشيئة المطلقة، يفعل ما يشاء، ويختار ما يشاء، ويصطفي من يشاء، ويكلم من شاء من عباده بما شاء، ومن عباده الذين أنعم الله عليهم بالكلام معه وخصهم وشرفهم به، ورفع به درجاتهم أبو البشر آدم عليه السلام ، فقد كلمه ربه قبلا وخاطبه في مقامات كثيرة ومواقف عديدة، وقد جاء بيان ذلك في كتاب الله المبين وفي سنة رسوله الأمين .

أولا : الأدلة من الكتاب على كلام الله تعالى مع آدم عليه السلام .

لقد جاءت آيات كثيرة في القرآن الكريم تبين بعض تلك المواقف التي كلم الله تعالى فيها آدم عليه السلام، وخاطبه فيها أمرا و نهيا، ومن تلك المواقف التي ذكرها الله تعالى في القرآن الكريم ما يلي :

أ – كلام الله تعالى مع آدم عليه السلام لما عرض الأسماء على الملائكة .

قال تعالى : ﴿ وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين * قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم * قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السماوات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون ﴾[1] .

ب – أمر الله لآدم أن يسكن الجنة هو وزوجه، وبيانه لهما بما أنعم عليهما من الجنة ونعيمها، ونهيهما عن الشجرة، وتحذيرهما من إبليس .

---

(١) البقرة الآيات : ٣١-٣٣

قـــال تعالى : ﴿ وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين ﴾ (1) وقال تعالى : ﴿ ويا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين ﴾ (2) وقال تعـــالى : ﴿ فقلنا يا آدم إن هـذا عدو لـك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى * إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى * وأنك لا تظمؤا فيها ولا تضحى ﴾ (3).

ج – نداء الله تعالى الأبوين في الجنة لما أكلا من الشجرة التي نهاهما عنها .

قـــال تعالى : ﴿ فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين * قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين ﴾ (4).

د ـــ تلقي آدم ﷺ كلمات من ربه تبارك وتعالى .

قال تعالى : ﴿ فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم ﴾ (5) وقال تعالى : ﴿ قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين ﴾ (6).

هـــ – أمر الله آدم ﷺ بالهبوط إلى الأرض والاستقرار فيها إلى حين، وبشارته لمن اتبع هداه المنزل بعدم الحزن والخوف، وبحفظه من الضلال والشقاء .

قال تعالى : ﴿ قلنا اهبطوا منها جميعا فإما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ (7) وقال تعالى : ﴿ قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين *

---

(1) البقرة الآية : ٣٥
(2) الأعراف الآية : ١٩
(3) طه الآيات : ١١٧-١١٩
(4) الأعراف الآيتان : ٢٢-٢٣
(5) البقرة الآية : ٣٧
(6) الأعراف الآية : ٢٣
(7) البقرة الآية : ٣٨

قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون ﴾ [1] وقال تعالى : ﴿ قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو فإما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى * ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى ﴾ [2].

ثانيا : الأدلة على كلام الله تعالى مع آدم عليه السلام من السنة .

تقدم ذكر بعض تلك المواقف التي كلم الله تعالى فيها أبا البشر آدم عليه السلام، وسجلها لنا ربنا في كتابه الكريم، وهناك مواقف غيرها كلم الله فيها آدم عليه السلام، وبينها لنا الرسول ﷺ، فـزاد ما قرره القرآن من كلام الله مع آدم عليه السلام وضوحا وبيانا وشرحا وتفصيلا وتقريرا، فمما جاء عن النبي ﷺ ما يدل على كلام الله تعالى مع آدم عليه السلام ما يلي :

أ- عطاس آدم عليه السلام بعد نفخ الروح فيه، وقول الرب له : يرحمك الله .

عـن أنـس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : لما نفخ في آدم فبلغ الروح رأسه عطس، فقال : الحمد لله رب العالمين. فقال له تبارك وتعالى : يرحمكَ الله [3].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : لما خلق الله آدم عطس، فألهمه ربه أن قال : الحمد لله. فقال له ربه : يرحمك الله. فلذلك سبقت رحمته غضبه [4].

ب - أمر الله تعالى آدم عليه السلام أن يسلم على الملائكة، ويستمع منهم ما يحيونه به؛ فإنها تحيته وتحية ذريته بينهم .

عـن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : خلق الله عز وجل آدم على صورته. طوله

---

(١) الأعراف الآيتان : ٢٤-٢٥

(٢) طه الآيتان : ١٢٣-١٢٤

(٣) أخرجه حب مرفوعا كما في الإحسان (التاريخ، ب : بدء الخلق، ذكر البيان بأن قوله ﷺ : لما خلق الله آدم عطس أراد به بعد نفخ الروح فيه ١٤/٣٧ ح : ٦١٦٥)؛ و كم موقوفا (الأدب ٤/٢٦٣) وقال : (هذا حديث صحيح الإسناد على شرط مسلم و إن كان موقوفا فإن إسناده صحيح بمرة)، ووافقه الذهبي، وصحح محقق الإحسان إسناده مرفوعا على شرط مسلم .

(٤) أخرجه حب كما في الإحسان (التاريخ ، بدء الخلق ، ذكر حمد آدم ربه لما خلقه بإلهامه جل و علا إياه ذلك ١٤/٣٦ ح : ٦١٦٤)، قال ابن كثير في البداية والنهاية (١/٨٦) : (هذا الإسناد لا بأس به) . وحسن إسناده الألباني في السنة لابن أبي عاصم بتحقيقه (١/٢٦٥ ح : ٥٩٦) إلا أن ابن أبي عاصم لم يذكر إلا العطاس .

ســتون ذراعــا. فلما خلقه قال : اذهب فسلم على أولئك النفر. وهم نفر من الملائكة جــلوس. فاســتمع ما يحيونك، فإنها تحيتك وتحية ذريتك، قال : فذهب فقال : السلام عليكم. فقالوا : السلام عليك ورحمة الله. فزادوه ورحمة الله . قال : فكل من يدخل الجنة على صورة آدم وطوله ستون ذراعا.فلم يزل الخلق ينقص بعده حتى الآن [1].

ج – قول الله تعالى لآدم ﷺ – ويداه مقبوضتان – : اختر أيهما شئت .

وعــن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : لما خلق الله آدم ونفخ فيه الروح، عطس فقال : الحمد لله؛ فحمد الله بإذنه، فقال له ربه : رحمك الله يا آدم ! اذهب إلى أولئك الملائكة إلى ملإ منهم جلوس، فقل : السلام عليكم . قالوا : وعليك السلام ورحمة الله، ثم رجع إلى ربه، فقال : إن هذه تحيتك وتحية بنيك بينهم . فقال الله له ويداه مقبوضتان : اختر أيهما شئت قال: اخترت يمين ربي كلتا يدي ربي يمين مباركة، ثم بسطها فإذا فيها آدم وذريته ...الحديث [2].

د – كلام الله مع آدم ﷺ لما مسح الله ظهره فسقطت ذريته، وأعطى آدم داود – عليهما السلام – أربعين سنة من عمره .

عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : لما خلق الله آدم مسح ظهره، فسقط من ظهــره كل نسمة هو خالقها من ذريته إلى يوم القيامة، وجعل بين عيني كل إنسان منهم وبيصــا [3] مــن نــور، ثم عرضهم على آدم، فقال : أي رب من هؤلاء ؟ قال : هؤلاء ذريتك، فرأى رجلا منهم، فأعجبه وبيص ما بين عينيه، فقال : أي رب ! من هذا ؟ فقال : هذا رجل من آخر الأمم من ذريتك يقال له داود، فقال : رب كم جعلت عمره ؟ قال : ســتين سنة، قال : أي رب! زده من عمري أربعين سنة، فلما قضي عمر آدم جاءه ملك المــوت، فقال : أو لم يبق من عمري أربعون سنة ؟ قال : أو لم تعطها ابنك داود؟ قال : فجحد آدم فجحدت ذريته، ونسي آدم فنسيت ذريته، وخطئ آدم فخطئت ذريته [4].

---

(١) أخرجه خ (الاستئذان، ب : بدء السلام ٥/٢٢٩٩ ح : ٥٨٧٣)؛ و م (الجنة وصفة نعيمها وأهلها، ب : يدخل الجنة أقوام أفئدتهم مثل أفئدة الطير ٤/٢١٨٣ ح : ٢٨٤١)، واللفظ له .

(٢) حديث صحيح لغيره، وقد تقدم تخريجه في (ص : ٧٤) .

(٣) الوبيص : البريق . انظر : النهاية في غريب الحديث (٥/١٤٦ ، مادة : وبص) .

(٤) أخـــرجه ت (التفسير، سورة الأعراف ٥/٢٦٧ ح : ٣٠٧٦)، وقال :(هذا حديث حسن صحيح)، وهذا لفظه؛ ←

ك – نـداء الله عز وجل آدم ﷺ يوم القيامة بصوت، وأمره تعالى أن يخرج من ذريته بعثا إلى النار .

عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال : قال النبي ﷺ : يقول الله عز وجل يوم القيامة : يا آدم ! يقـول : لبيك ربنا وسعديك، فينادى بصوت : إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثا إلى النار . قال : يا رب ! وما بعث النار ؟ قال : من كل ألف أراه قال تسعمائة وتسعة وتسعين، فحينئذ تضع الحامل حملها، ويشيب الوليد، وترى الناس سكارى، وما هم بسكارى، ولكن عـذاب الله شديد؛ فشق ذلك على الناس حتى تغيرت وجوههم، فقال النبي ﷺ : من يأجوج ومأجوج تسعمائة وتسعة وتسعين ومنكم واحد، ثم أنتم في الناس كالشعرة السوداء في جنب الـثور الأبيض أو كالشعرة البيضاء في جنب الثور الأسود، وإني لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة، فكبرنا، ثم قال : ثلث أهل الجنة، فكبرنا، ثم قال : شطر أهل الجنة، فكبرنا [(1)].

وعن عمران بن حصين ﷺ أن النبي ﷺ لما نزلت ﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم ﴾ [(2)] إلى قولـه : ﴿ ولكن عذاب الله شديد ﴾[(3)] قال : أنزلت عليه هذه، وهو في سفر، فقـال : " أتدرون أي يوم ذلك ؟" فقالوا : الله ورسوله أعلم . قال : " ذلك يوم يقول الله لآدم : ابعـث بعـث النار، فقال : يا رب ! وما بعث النار؟ قال: تسعمائة وتسعة وتسعون



وأبو يعلى في مسنده (٢٦٣/١١ ح : ٦٣٧٧ و ٨/١٢-٩ ح : ٦٦٥٤)؛ وحب كما في الإحسان (التاريخ، ب : بدء الخلق ٤٠/١٤ ح : ٦١٦٧)، مع زيادة ذكر قصة تسليمه على الملائكة وردهم عليه؛ وكم (الإيمان،ب : قصة خلق آدم ... ٦٤/١ والتفسير، ب : إعطاء آدم أربعين سنة من عمره داود ﷺ ٣٢٥/٢)، وصححه في الموضعين على شرط مسلم ، وأيضا وافقه الذهبي في الموضعين، وكذلك صححه ابن العربي في (أحكام القرآن ٧٩٩/٢)، وابن منده في (الرد على الجهمية ص : ٤٩-٥٠ ح : ٢٣)؛ وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في (رسالة في قنوت الأشياء ص : ١٢) : (إسناد جيد)، وكذلك صححه الألباني في (صحيح سنن الترمذي ٢٣٩/٣ ح : ٣٠٧٦)؛ وفي سلسلة الأحاديث الصحيحة (١٦٠/٤ ضمن كلامه على ح : ١٦٢٣) .

(١) أخرجه خ (التفسير، سورة الحج، ب : ﴿ وترى الناس سكارى ﴾ [الحج : ٢] ١٧٦٧/٤ ح : ٤٤٦٤)، واللفظ له؛ و م (الإيمان، ب : قوله : يقول الله لآدم أخرج بعث النار من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين ٢٠١/١ ح : ٢٢٢) .

(٢) الحج الآية : ١

(٣) الحج الآية : ٢

إلى النار وواحــد إلى الجنة " . قال : فأنشأ المسلمون يبكون، فقال رسول الله ﷺ : " قاربوا وســددوا، فإنهـا لم تكـن نبوة قط إلا كان بين يديها جاهلية "، قال : " فيؤخذ العدد من الجاهلية، فإن تمت وإلا كملت من المنافقين،وما مثلكم والأمم إلا كمثل الرقمة [(١)] في ذراع الدابــة، أو كالشــامة في جنب البعير " ثم قال : " إني لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة "؛ فكــبروا ثم قال : " إني لأرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة "؛ فكبروا ثم قال : " إني لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة "؛ فكبروا. قال : لا أدري قال : الثلثين أم لا ؟ [(٢)].

وعــن أنــس ﷺ قال : نزلت ﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم ﴾ إلى قوله : ﴿ ولكن عذاب الله شديد ﴾ على النبي ﷺ، وهو في مسير له، فرفع بها صوته حتى ثاب إليه أصحابه، فقال : " أتــدرون أي يوم هذا ؟ يوم يقول الله لآدم : قم، فابعث بعثا إلى النار، من كل ألف تسع مائــة وتسعة وتسعين إلى النار، وواحدا إلى الجنة "، فكبر ذلك على المسلمين، فقال النبي ﷺ : " ســددوا وقاربوا و أبشروا، فوالذي نفسي بيده ما أنتم في الناس إلا كالشامة في جــنب الــبعير أو كالرقمة في ذراع الدابة، إن معكم لخليقتين ما كانتا في شيء قط إلا كثرتاه : يأجوج ومأجوج، ومن هلك من كفرة الجن والإنس " [(٣)].

ل – آدم ﷺ نبي مكلم .

عن أبي أمامة ﷺ أن رجلا قال : يا رسول الله ! أنبي كان آدم ؟ قال : " نعم مكلم " قال : فكم كان بينه وبين نوح ؟ قال : " عشرة قرون " [(٤)].

---

(١) الرقمة : الهنة الناتئة في ذراع الدابة من داخل، وهما رقمتان في ذراعيها . انظر : النهاية في غريب الحــديث (٢/٢٥٤) .

(٢) أخــرجه ت (التفسير، سورة الحج ٥/٣٢٢ ح : ٣١٦٨)؛ و حم (٣٣/١١٤ ح : ١٩٨٨٤)؛ و كــم (الأهــوال ٤/٥٦٧)، قــال الترمذي : (هذا حديث حسن صحيح، قد روي من غير وجه عن عمران بن حصين عن النبي ﷺ)، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٣/٢٨٥-٢٨٦ ح : ٣١٦٩) .

(٣) أخــرجه أبــو يعلى في المسند (٥/٤٣٠ ح : ٣١٢٢)؛ وحب كما في الإحسان (إخباره ﷺ عن مناقب الصحابة، ب : إخباره ﷺ عن البعث وأحوال الناس ١٦/٣٥٢ ح : ٧٣٥٤)؛ و كم (الأهوال ٤/٥٦٦-٥٦٧) و قال : (هذا إسناد صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه)، ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/٣٩٤) : (رواه أبو يعلى و رجاله رجال الصحيح غير محمد بن مهدي و هو ثقة) .

(٤) أخرجه حب كما في الإحسان (التاريخ، ب : بدء الخلق، ذكر الإخبار عما كان بين آدم ونوح – صلوات الله عليهما – من القرون ١٤/٦٩ ح : ٦١٩٠)؛ والطبراني في الأوسط (١/١٢٨ ح : ٤٠٣)؛ وفي الكبير ←

فهـــذه جملة من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الثابتة عن رسول الله ﷺ تبين ما أنعـــم الله به على عبده آدم عليه السلام فجعله نبيا مكلما، وشرفه بالكلام معه، فكلمه بعد نفخ الـــروح فيه، وأمره أن يسلم على الملائكة، وقال له — ويداه مقبوضتان — : اختر أيهما شـــئت، وكـــلمه عند عرض الأسماء على الملائكة، وعند إسكانه مع زوجه الجنة، وعند أكـــلهما من الشجرة ناداهما، ولقنهما كلماته ليتوب عليهما، وكلمه عند هبوطهما إلى الأرض، وعند إخراج الذرية من ظهره، وعند إعطاء آدم داود عليهما السلام أربعين سنة من عمره، وسيكلمه ربه يوم القيامة، ويناديه بصوت، ويأمره أن يخرج من ذريته بعثا إلى النار كما أخبر بذلك الصادق المصدوق ﷺ .



(٨/١١٨ ح : ٧٥٤٥)؛ وابن منده في التوحيد (٣/١٤١ ح : ٥٧١)، وقال : (هذا إسناد صحيح على رسم مسلم والجماعة إلا البخاري)؛ وكم (التفسير، ب : كانت الرسل ثلاث مائة وخمس عشرة ٢/٢٦٢)، وقال : (هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه)، ووافقه الذهبي؛ وقال الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (١/١٠١) : (هذا على شرط مسلم ولم يخرجه)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/٢١٠) : (رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير أحمد بن خليد الحلبي وهو ثقة)، وصححه الألباني في تعليقه على مشكاة المصابيح (٣/١٢٢ ح : ٥٧٣٧) .

المطلب الثاني : بيان موقف السلف من كلام الله تعالى .

اعتقاد السلف الصالح هو الإيمان بالله ورسوله، والإقرار والتسليم لكل ما جاء عن الله ورسوله؛ فهم يصفون الله بما وصف به نفسه، وبما وصف به رسوله ﷺ، من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف و لا تمثيل [1]. وصفة الكلام من الصفات التي وصف الله بها نفسه ووصفه بها رسوله ﷺ، وقد جاء بيان ذلك في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ في أكثر من ثلاثة آلاف موضع - كما ذكر ابن القيم – رحمه الله - [2]. وهنا أكتفي بذكر بعض الأدلة الدالة على كلام الله تعالى من القرآن الكريم والسنة النبوية غير ما ذكرت في المطلب السابق .

أولا : الأدلة من الكتاب .

الأدلة في كتاب الله تعالى على ثبوت صفة الكلام له تعالى كثيرة يصعب حصرها والإحاطة بأجزاء أفرادها؛ فأكتفي بذكر بعض أنواعها الدالة على كلام الله تعالى من كلامه المجيد .

١- ما جاء بلفظ القول: قال تعالى : ﴿ والله يقول الحق وهو يهدي السبيل ﴾ [3] وقال تعالى : ﴿ يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم المرسلين ﴾ [4] وقال تعالى : ﴿ وقال ربكم ادعوني استجب لكم ﴾ [5].

٢- ما جاء بلفظ النداء : قال تعالى : ﴿ وناديناه من جانب الطور الأيمن وقربناه نجيا ﴾ [6]

---

(١) انظر : التوحيد لابن مندة (٣/٧-١٣)؛ وأصول السنة لابن أبي زمنين (ص : ٧٤-٧٥)؛ ومجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٦/٥١٨)؛ والصفات الإلهية (ص : ٦٥)؛ ومعتقد أهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات (ص : ٤٠-٤١ و٨٧).

(٢) انظر : مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة (٢/٢٩٧-٢٩٨) .

(٣) الأحزاب الآية : ٤

(٤) المائدة الآية : ١٠٩

(٥) غافر الآية : ٦٠

(٦) مريم الآية : ٥٢

وقال تعالى : ﴿ وإذ نادى ربك موسى أن ائت القوم الظالمين ﴾ [1] وقال تعالى : ﴿ ويوم يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون ﴾ [2] وقال تعالى : ﴿ ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين ﴾ [3].

٣- مـا جـاء بلفظ الكلام : قال تعالى : ﴿ منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات ﴾ [4] وقـال تعالى : ﴿ وكلم الله موسى تكليما ﴾ [5] وقال تعالى : ﴿ وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ﴾ [6].

٤- مـا جاء بلفظ الأمر : قال تعالى : ﴿ إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها ﴾ [7] وقال تعالى : ﴿ إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى ﴾ [8] و قال تعالى : ﴿ ألا له الخلق والأمر ﴾ [9].

٥-مـا جاء بلفظ الشهادة : قال تعالى : ﴿ شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم ﴾ [10] وقال تعالى : ﴿ لكن الله يشهد بما أنزل إليك أنزله بعلمه ﴾ [11].

ثانيا : الأدلة من السنة النبوية .

لا شـك أن الرسـول ﷺ هـو أعرف الخلق بالله تبارك وتعالى، وأفهمهم لكتابه، وأعـلمهم بمقصـوده ومـراده؛ فهو الشارح الاكبر والمفسر الأعظم لكتاب الله تعالى،

---

(١) الشعراء الآية : ١٠

(٢) القصص الآية : ٦٢و٧٤

(٣) القصص الآية : ٦٥

(٤) البقرة الآية : ٢٥٣

(٥) النساء الآية : ١٦٤

(٦) التوبة الآية : ٦

(٧) النساء الآية : ٥٨

(٨) النحل الآية : ٩٠

(٩) الأعراف الآية : ٥٤

(١٠) آل عمران الآية : ١٨

(١١) النساء الآية : ١٦٦

ولا يمكن فهم كتاب الله تعالى فهما صحيحا سليما إلا في ضوء السنة النبوية المباركة، وقد جاء بيان ثبوت صفة الكلام لله تعالى في أحاديث كثيرة، وهنا أكتفي بذكر ثلاثة منها .

عن عدي بن حاتم ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربـــه ليس بينه و بينه ترجمان، فينظر أيمن منه، فلا يرى إلا ما قدم من عمله، وينظر أشأم منه، فلا يرى إلا ما قدم، وينظر بين يديه فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه؛ فاتقوا النار ولو بشق تمرة [(١)].

وعـــن أبي سعيد الخدري ﷺ قال : قال النبي ﷺ : إن الله يقول لأهل الجنة يا أهل الجـــنة ! فيقولون : لبيك وسعديك ، والخير في يديك . فيقول : هل رضيتم ؟ فيقولون : وما لنا لا نرضى يا رب ! وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدا من خلقك . فيقول : ألا أعطيكم أفضل من ذلك ؟ فيقولون : يا رب ! وأي شيء أفضل من ذلك ؟ فيقول : أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبدا [(٢)].

وعن أنس بن مالك ﷺ عن النبي ﷺ قال : إن الله يقول لأهون أهل النار عذابا : لو أن لك ما في الأرض من شيء كنت تفتدي به؟ قال : نعم. قال : فقد سألتك ماهو أهون من هذا وأنت في صلب آدم : أن لا تشرك بي، فأبيت إلا الشرك [(٣)].

فهذه النصوص الشرعية من كتاب ربنا تبارك وتعالى وسنة نبينا ﷺ فيها بيان واضح ود لالة متنوعة على ثبوت صفة الكلام لله تعالى على الوجه اللائق به سبحانه .

قال ابن القيم : (وقد نوع الله تعالى هذه الصفة في إطلاقها عليه تنويعا يستحيل معه نفي حقائقها بل ليس في الصفات الإلهية أظهر من صفة الكلام والعلو والفعل والقدرة بل

---

(١) أخرجه خ (التوحيد، ب : كلام الرب عز وجل يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم ٢٧٢٩/٦ ح : ٧٠٧٤)؛ و م (الزكاة، ب : الحث على الصدقة ولو بشق تمرة ... ٧٠٣/٢ ح : ١٠١٦) .

(٢) أخـــرجه خ (الـــتوحيد، ب : كلام الرب مع أهل الجنة ٢٧٣٢/٦ ح : ٧٠٨٠)، واللفظ له؛ و م (صفة القيامة والجنة والنار، ب : إحلال الرضوان على أهل الجنة فلا يسخط عليهم أبدا ٢١٧٦/٤ ح : ٢٨٢٩) .

(٣) أخرجه خ (الأنبياء، ب : خلق آدم عليه السلام ذريته ١٢١٣/٣ ح : ٣١٥٦)، واللفظ له ؛ و م (صفة القيامة والجنة والنار، ب : طلب الكافر الفداء بملء الأرض ذهبا ٢١٦٠/٤ ح : ٢٨٠٥) .

حقيقـــة الإرســـال تبليغ كلام الرب تبارك وتعالى، وإذا انتفت عنه حقيقة الكلام انتفت حقيقة الرسالة والنبوة، والرب تبارك وتعالى يخلق بقوله وكلامه كما قال تعالى : ﴿ إنما أمره إذا أراد شيئًا أن يقول له كن فيكون ﴾ [1] فـــإذا انتفت حقيقة الكلام عنه انتفى الخلق ... فإذا كـــان كلامه وتكليمه وخطابه ونداؤه وقوله وأمره ونهيه ووصيته وعهده وإذنه وحكمه وإنباؤه وإخباره وشهادته كل ذلك لا حقيقة له بطلت الحقائق كلها) [2].

● اتفاق السلف الصالح على إثبات صفة الكلام لله تعالى .

لقـــد اتفق السلف الصالح على إثبات صفة الكلام لله تعالى كما هو شأنهم في جميع الصـــفات، إثباتا بلا تمثيل وتنزيها بلا تعطيل، من غير أن يخوضوا في البحث عن كيفيتها والـــتعرف عـــلى ماهيتها بل يثبتونها لله تعالى على الوجه اللائق بجلاله وعظمته وكماله، فيثبـــتون له كلاما حقيقيا بحرف وصوت يسمعه المخاطب ويحفظه ويتلوه، ويصفونه بما وصف به نفسه من القول والكلام والنداء والمناجاة كما ينبغي له تعالى [3].

---

(١) يس الآية : ٨٢

(٢) مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية و المعطلة (٢/٢٨٥-٢٨٦) .

(٣) انظـــر : الـــرد على الزنادقة والجهمية (ص : ٢٦)؛ ورد الإمام الدارمي على بشر المريسي (ص : ١١١)؛ وصريح السنة (ص : ١٨-١٩)؛ وشرح السنة للبربهاري (ص : ٢٥)؛ واعتقاد أئمة أهل الحديث (ص : ٥٧-٦٠)؛ والتوحيد لابـــن منده (٣/١٢٩-١٦٤)؛ وشرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٢/٢١٦-٣٦٢)؛ ورسالة السجزي إلى أهل زبيـــد (ص : ١٠٥)؛ وعقيدة السلف أصحاب الحديث (ص : ٧-١٤)؛ والحجة في بيان المحجة (٢/١٩٣-١٩٤)؛ والاقتصـــاد في الاعتقاد (ص : ١٣٠)؛ ولمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد (ص : ١٥-١٩)؛ ومجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٦/٥١٨ و ٥٢٨ و ٩/٢٨٥-٢٨٦ و ١٢/٥٢ ، ١٧٣، ٢٤٤)؛ ومختصر الصواعق المرسلة (٢/٢٧٧-٢٩٨)؛ وشـــرح العقيدة الطحاوية (ص : ١٧٢-٢٠٤)؛ وجلاء العينين في محاكمة الأحمدين (ص : ٢٩٩-٣٧٩)؛ وســـؤال وجواب في أهم المهمات للسعدي ، مطبوع مع مجموعة مؤلفاته (٣/٦٣)؛ والصفات الإلهية في الكتاب والسنة (ص : ٢٦٢-٢٦٦)؛ وصـــفات الله عز وجل (ص : ٦٩-٨٧)؛ وشرح عقيدة أهل السنة والجماعة على مذهب الإمام مـــالك لمحمد الخميس (٣٠-٣١)؛ واعتقاد أهل السنة أصحاب الحديث له كذلك (ص : ٦٢-٦٤)؛ ومنهج السلف والمتكـــلمين في موافقـــة العقل للنقل (١/٤٠١-٤١٧)؛ و مقال لشيخنا الدكتورمحمد بن خليفة التميمي بعنوان " الصفات الإلهية تعريفها وأقسامها " منشور في مجلة الجامعة الإسلامية عام : ١٤٢١هـــ العدد : ١١٢ (ص : ١٢٣) .

● الكلام من صفات الله الذاتية والفعلية :

الصفات التي أثبتها الله تعالى لنفسه في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ من حيث تعلقها بالله تعالى تنقسم إلى قسمين : ذاتية وفعلية .

فالذاتية : هي التي لم يزل ولا يزال الله تعالى متصفا بها كالعلم، والقدرة، والسمع، والبصر، والوجه، واليدين .

والفعلية : هي التي تتعلق بمشيئته تعالى إن شاء فعلها، وإن شاء لم يفعلها كالنزول إلى السماء الدنيا، والاستواء على العرش، والإتيان، والمجيء .

وصفة الكلام اجتمع فيها القسمان : الذاتية والفعلية [1] فهي من الصفات الذاتية له سبحانه وتعالى باعتبار نوع الكلام، فهو سبحانه وتعالى لم يزل ولا يزال متكلما ولم تتجدد له هذه الصفة بل كونه متكلما من لوازم ذاته المقدسة قائمة به سبحانه وتعالى من الأزل إلى الأبد، فهو موصوف به أزلا وأبدا كما يليق بجلاله وعظمته تعالى .

وهي من الصفات الفعلية له سبحانه وتعالى باعتبار أفراد الكلام، فهو سبحانه وتعالى يكلم من شاء بما شاء متى شاء، فكلامه مع الملائكة عن خلق آدم عليه السلام بقوله : ﴿ إني خالق بشرا من طين ﴾ [2] غير الكلام الذي خاطب به آدم وزوجه – عليهما السلام – فقال : ﴿ وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة ﴾ [3]. وكلامه مع آدم عليه السلام غير الكلام الذي خاطب به نوحا عليه السلام في شأن ابنه فقال : ﴿ إني أعظك أن تكون من الجاهلين ﴾ [4]. وكلامه مع نوح

---

(١) انظر : الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد (ص : ٧٠)؛ ومجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١٢/٣٧-٣٨)؛ ومختصر الصواعق المرسلة (٢/٢٩٦)؛ والقواعد المثلى (ص : ٢٥)؛ والصفات الإلهية في الكتاب والسنة النبوية (ص : ٢٦٢ -٢٦٣)؛ ومقال لشيخنا الدكتور / محمد بن خليفة التميمي – حفظه الله – بعنوان : " الصفات الإلهية تعريفها وأقسامها " منشور في مجلة الجامعة الإسلامية عام : ١٤٢١هـ العدد : ١١٢ – السنة : ٣٣ (ص : ١٢٤) .

(٢) ص الآية : ٧١

(٣) البقرة الآية : ٣٥

(٤) هود الآية : ٤٦

عليه السلام غـــير كلامه الذي خاطب به موسى عليه السلام فقال : ﴿ يا موسى أني أنا الله رب العالمين ﴾[1].
وكلامه مع موسى عليه السلام غير الكلام الذي خاطب به النبي ﷺ ليلة المعراج في شأن الصلاة فقـــال : ((إني قد أمضيت فريضتي، وخففت عن عبادي، وأجزي الحسنة عشرا)) [2].
وهذا كله غير الكلام الذي أنزله عليه وختم به كتبه، وهذا كله من كلام الله تعالى تكلم به حقيقة في أوقات مختلفة، فمتى شاء تكلم كما يليق به سبحانه وتعالى .

• كلام الله ليس له حد ينتهي إليه .

إن الله ســـبحانه لم يزل متكلما إذا شاء، فمتى شاء أن يتكلم تكلم بما شاء، فالقرآن كلامه بالعربية، والتوراة كلامه بالعبرانية، وهو غير كلامه في الإنجيل الذي يقال عنه بأنه كان باللغة السريانية، وكلامه غير مقتصر على الكتب المنزلة على الأنبياء والمرسلين فقط بل كل ما خاطب به أنبياءه فهو من كلامه تبارك وتعالى، وهو سبحانه وتعالى كما تكلم في الماضـــي بما شاء، فكذلك يتكلم في المستقبل، وفي كل وقت بما شاء، فكلامه سبحانه ليس له حد ينتهي إليه [3].

قال تعالى : ﴿ قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا ﴾ [4]

وقال تعالى : ﴿ ولو أنما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله ﴾ [5].

فقد ضرب الله تعالى لكلامه واستمراره ودوامه المثل بالبحر يمده من بعده سبعة أبحر، وأشجار الأرض كلها أقلام فيفنى المداد والأقلام، ولا تنفد كلماته؛ فإنه ليس لكلامه تبارك وتعالى نهاية بل هو متعلق بمشيئته؛ فهو سبحانه لم يزل ولا يزال متكلما إذا شاء كما يليق بجلاله وعظمته [6].

---

(١) القصص الآية : ٣٠

(٢) أخرجه خ (بدء الخلق، ب : ذكر الملائكة ١١٧٣/٣ ح : ٣٠٣٥) .

(٣) انظـــر : الـــتوحيد لابن خزيمة (٣٩٥/١-٣٩٩)؛ والأسماء والصفات (٤٧٠/١)؛ ومجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٣٧/١٢-٣٨)؛ وصفات الله عز وجل (ص : ٧٠) .

(٤) الكهف الآية : ١٠٩

(٥) لقمان الآية : ٢٧

(٦) انظر : مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة (٢٨٦/٢) .

● إن الله تعالى يتكلم بحرف وصوت .

والله سبحانه وتعالى يتكلم بكلام يسمع، ولا خلاف بين العقلاء على كون الكلام حرفا وصوتا؛ فإن الكلام هو الحروف المتسقة والأصوات المقطعة [1]، وقد نادى سبحانه الأبوين – عليهما السلام –، ونادى موسى عليه السلام، وسينادي عباده يوم القيامة بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب .

والنداء باتفاق أهل اللغة لا يكون إلا بصوت مسموع، فإن انتفى الصوت انتفى النداء قطعا [2] ولهذا جاء تقييده بالصوت في الحديث الصحيح إيضاحا وتأكيدا كما قيد التكليم بالمصدر في قوله تعالى : ﴿ وكلم الله موسى تكليما ﴾ [3].

فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : يقول الله عز وجل يوم القيامة : يا آدم ! يقول : لبيك ربنا وسعديك ، فينادى بصوت : إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثا إلى النار . قال : يا رب ! وما بعث النار ؟ قال : من كل ألف أراه قال تسعمائة وتسعة وتسعين ...الحديث [4].

وعن عبد الله بن أنيس رضي الله عنه قال : سمعت النبي ﷺ يقول : يحشر الله العباد، فيناديهم بصوت يسمعه من بعُدَ كما يسمعه من قَرُبَ : أنا الملك، أنا الديان [5].

---

(١) انظر : رسالة السجزي إلى أهل زبيد (ص : ٨١ و ١٤٩) .

(٢) انظر : مفردات ألفاظ القرآن (ص : ٧٩٦ ، مادة : ندي)؛ والمعجم الوسيط (٩١٢/٢ ، مادة : ندي)؛ ومجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١٣٠/١٢)؛ ومختصر الصواعق المرسلة (٢٧٧/٢)؛ وصفات الله عز وجل (ص : ٧٧-٧٨) .

(٣) النساء الآية : ١٦٤

(٤) حديث صحيح اتفق عليه البخاري ومسلم، وقد سبق تخريجه في (ص : ١٤٥) .

(٥) أخرجه خ تعليقا بصيغة التمريض (التوحيد، ب : قول الله تعالى : ﴿ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له...﴾ [سبأ : ٢٣] ٦/ ٢٧١٩)، وبصيغة الجزم في (العلم ، ب : الخروج في طلب العلم ٤١/١) وذكر رحلة جابر بن عبد الله إلى عبد الله بن أنيس ولم يذكر بقية الحديث؛ أخرجه كاملا بإسناده في الأدب المفرد (ب : المعانقة، ص : ٣٣٧ ح : ٩٧٠)؛ وحم (٤٣١/٢٥-٤٣٢ ح : ١٦٠٤٢)؛ وابن أبي عاصم في السنة (٢٢٥/١ ح : ٥١٤)؛ وفي الآحاد والمثاني (٨٠/٤ ح : ٢٠٣٤)؛ وكم (الأهوال، ٥٧٤/٤)؛ والخطيب في (الرحلة في طلب الحديث ص : ١٠٩-١١٥ح : ٣١-٣٢)؛ وفي (الجامع في أخلاق الراوي وآداب السامع ٢٢٥/٢-٢٢٦ ح : ١٦٨٦)؛ قال الحاكم : (صحيح الإسناد ولم يخرجاه)، ووافقه الذهبي، وحسنه المنذري في الترغيب والترهيب (٤٠٤/٤ ح : ٥٣)، وابن القيم كما في مختصر الصواعق المرسلة (٢٨٠/٢)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٣٥١/١٠)، وحسن الحافظ ابن حجر في فتح الباري (١٧٤/١) إسناد قسم الارتحال منه، وحسنه الألباني في صحيح الأدب المفرد (ص : ٣٧١-٣٧٢ ح : ٧٤٦)؛ وفي السلسلة الصحيحة (٣٠١/١-٣٠٢ ح : ١٦٠) .

فتبين من هذا أن الله تبارك وتعالى يتكلم بكلام يسمع منه تعالى، والكلام المسموع لا يكـــون إلا صوتا مشتملا على حروف منظومة، ولكن صوته تعالى ليس كمثل أصوات خـــلقه، ولهذا قال : " يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب " فهذه صفة خاصة بصوته تبارك وتعالى، وأما أصوات خلقه فيسمعها القريب فقط حسب قوة الصوت وضعفه (١).

• كلام الله تعالى يسمع منه تارة بالواسطة و تارة بلا واسطة .

وكلام الله سبحانه وتعالى يسمع منه تارة بلا واسطة كما سمعه جبريل وآدم وموسى – عـــليهم السلام – وكما يكلم عباده يوم القيامة، ويكلم أهل الجنة، ويكلم الأنبياء في الموقـــف، وتارة يسمع كلامه من المبلغ عنه كما سمع الأنبياء الوحي من جبريل ﷺ تبليغا عـــنه، وكما سمع الصحابة القرآن الكريم من الرسول ﷺ عن الله تعالى، فسمعوا كلام الله بواسطة المبلغ، وكذلك نحن نسمع بواسطة التالي (٢).

• كلام الله تعالى صفة له غير مخلوق .

الله ســـبحانه وتعالى هو الخالق وحده بذاته وصفاته، وقد دلت الأدلة على أن الكلام من صفاته تبارك وتعالى، فما تكلم الله به فهو صفة لـــه قائمة بذاته، وليس مخلوقا منفصلا عنه؛ لأن صفاته ليست غيره بل هي داخلة في مسمى اسمه، ولازمة لذاته المقدسة، فكما لم تدخل ذاته تعالى في الأشياء المخلوقة؛ فكذلك لا تدخل صفاته في الأشياء المخلوقة؛ فكل ما ثبت أنه من كلام الله سبحانه وتعالى فهو صفة له غير مخلوق (٣).

• إجماع السلف على أن القرآن كلام الله غير مخلوق .

وقد أجمع السلف الصالح على أن القرآن كلام الله تعالى، بحروفه ومعانيه، منزل غير مخلوق، منه بدأ، وإليه يعود (٤) .

---

(١) انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١٢/٦٥)؛ وصفات الله عز وجل (ص : ٧٧-٧٨) .

(٢) انظر : صفات الله عز وجل (ص : ٧٠) .

(٣) انظر : الروح (ص : ٢٦٦)؛ وشرح العقيدة الطحاوية (ص : ١٧٨-١٨٧)؛ وصفات الله عز وجل (ص: ٧٠) .

(٤) معـــنى قـــول السلف : " منه بدأ " أي : الله سبحانه وتعالى هو المتكلم به ابتداء، و لم يخلقه في غيره، فإنه لو كان مخلوقا في غيره لكان كلاما لذلك المحل الذي خلق فيه، و لم يكن كلاما لرب العالمين فهو سبحانه إنما يتصف بما قامت به



قـال عمرو بن دينار [1] : (أدركت أصحاب النبي ﷺ فمن دونهم منذ سبعين سنة يقولون : الله الخالق، وما سواه مخلوق، والقرآن كلام الله، منه خرج، وإليه يعود) [2].

وقـال الآجـري : (اعلموا – رحمنا الله وإياكم – أن قول المسلمين الذين لم تزغ قـلوبهم عـن الحق، ووفقوا للرشاد قديما وحديثا : أن القرآن كلام الله عز وجل، ليس بمخلوق؛ لأن القرآن من علم الله تعالى، وعلم الله لا يكون مخلوقا، تعالى الله عن ذلك .

دل عـلى ذلـك القـرآن والسنة وقول الصحابة - رضي الله عنهم - وقول أئمة المسلمين، لا ينكر هذا إلا جهمي خبيث، والجهمي عند العلماء كافر) [3].

وقـال اللالكائي [4] بعد أن ذكر خمسمائة وخمسين من أسماء العلماء من التابعين وأتباع

من الصفات لا بما خلقه في غيره من المخلوقات .

ومعـنى قولهم : " و إليه يعود "أنه يرفع من الصدور والمصاحف؛ فلا يبقى في الصدور منه آية، ولا في المصاحف، كما جاء ذلك في عدة آثار . انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٥٢٩/٦ و ٤٠/١٢-٤١) وشرح العقيدة الطحاوية (ص : ١٩٥) .

ومن الأحاديث الدالة على رفع القرآن من الصدور والمصاحف ما رواه حذيفة بن اليمان مرفوعا قال : قال رسول الله ﷺ : يـدرس الإسـلام كما يدرس وشي الثوب حتى لا يدرى ما صوم، ولا صلاة، ولا نسك، ولا صدقة وليسري على كتاب الله عزوجل في ليلة؛ فلا يبقى في الأرض منه آية .... الحديث . أخرجه جه (الفتن، ب : ذهاب القرآن والعلم ٢/ ١٣٤٤ ح : ٤٠٤٩)؛ وكم (الفتن والملاحم ، ب : يدرس الإسلام كما يدرس وشي الثوب ٤٧٣/٤ و ٥٤٥) و قال : (صـحيح عـلى شرطهما و لم يخرجاه)، ووافقه الذهبي، قال البوصيري في مصباح الزجاجة (١٩٤/٤) : (هذا إسناد صـحيح رجالـه ثقات)، وقال الحافظ ابن حجر في فتح الباري (١٦/١٣) عن سنده : (قوي)، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (٣٢٦/٣ ح : ٣٢٨٩)؛ وفي السلسلة الصحيحة (١٧١/١ ح : ٨٧) .

ومعنى " وشي الثوب " : نقشه ولونه . انظر : لسان العرب (٣١٢/١٥)؛ والمعجم الوسيط (١٠٣٥/٢) .

(١) عمرو بن دينار المكي الجمحي مولاهم، ثقة ثبت ، مات سنة ١٢٦هـ . انظر : تقريب التهذيب (ص : ٤٢١ برقم : ٥٠٢٤) .

(٢) أخرجه البخاري في خلق أفعال العباد (ص : ٢٩)؛ والدارمي في الرد على بشر المريسي (ص : ١١٦-١١٧)، واللفظ له؛ وابن بطة العكبري كما في المختار من الإبانة (١٨٣/٢-١٨٤ برقم : ١٨٣)؛ واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السـنة، مـن عدة طرق (٢٣٤/٢ –٢٣٥ برقم : ٣٨١-٣٨٥)؛ والبيهقي في السنن الكبرى (٤٣/١٠)؛ وفي الأسماء والصفات (٥٩٨/١ ح : ٥٣٢)، قال الذهبي في العلو للعلي الغفار (ص : ١٥٥-١٥٦ ح : ٤٢١) : (وقد تواتر هذا عن ابن عيينة)، وقال الألباني في مختصر العلو (ص : ١٦٤ ح : ١٧٣) : (إسناده صحيح مسلسل بالثقات الحفاظ) .

(٣) الشريعة (٤٨٩/١) .

(٤) أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الرازي الطبري اللالكائي، إمام من أئمة أهل السنة، قال عنه الذهبي : مفيد بغداد في وقته، توفي سنة ٤١٨هـ . انظر : سير أعلام النبلاء (٤١٩/١٧-٤٢٠) .

التابعين والأئمة المرضيين سوى الصحابة الخيرين من شتى البلدان والأمصار مع اختلاف الأعوام والأعصار : (قالوا كلهم : القرآن كلام الله غير مخلوق، ومن قال مخلوق فهو كافر) [١].

قال السجزي [٢] : (لا خلاف بين المسلمين أجمع في أن القرآن كلام الله عز وجل، وأنـــه الكتاب المترل بلسان عربي مبين الذي له أول وآخر، وهو ذو أجزاء وأبعاض، وأنه شيء ينقرى [٣]، ويتأتى أداؤه، وتلاوته، ثم اختلفوا بعد هذه الجملة، فقال أهل الحق : هو غير مخلوق، لأنه صفة من صفات ذاته ...) [٤].

وقال أبو عثمان الصابوني [٥] : (ويشهد أصحاب الحديث، ويعتقدون : أن القرآن كلام الله وكتابه ووحيه وتتريله غير مخلوق، ومن قال بخلقه واعتقده فهو كافر عندهم ...) [٦] .

وقال الحافظ عبد الغني المقدسي [٧] : (وأجمع أئمة السلف والمقتدى بهم من الخلف على أن القرآن غير مخلوق، ومن قال بخلقه فقد كفر) [٨].

قـــال ابـــن أبي العز [٩] : (أهل السنة كلهم، من أهل المذاهب الأربعة وغيرهم من السلف والخلف متفقون على أن القرآن كلام الله غير مخلوق) [١٠].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : (مذهب سلف الأمة وأئمتها من الصحابة والتابعين لهم بإحسان وسائر أئمة المسلمين كالأئمة الأربعة وغيرهم ما دل عليه الكتاب والسنة وهو الذى

---

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٢/٣١٢) .

(٢) أبو نصر عبيد الله بن سعيد بن حاتم بن أحمد الوايلي البكري السجزي، من أئمة أهل السنة وأكابرهم . قال عنه الذهبي : شيخ السنة، توفي سنة ٤٤٤هـــ . انظر : سير أعلام النبلاء (١٧/٦٥٤-٦٥٧) .

(٣) و هو بمعنى : يقرأ كما قال محقق الكتاب شيخنا محمد باكريم – حفظه الله – .

(٤) رسالة السجزي إلى أهل زبيد في الرد على من أنكر الحرف والصوت (ص : ١٠٥) .

(٥) إسماعيل بن عبد الرحمن بن أحمد الصابوني النيسابوري، إمام فقيه محدث، توفي سنة ٤٤٩هـــ. انظر : سير أعلام النبلاء (١٨/٤٠) .

(٦) عقيدة السلف أصحاب الحديث (ص : ٧) .

(٧) عـــبد الغني بن عبد الواحد بن سرور المقدسي، قال عنه الذهبي : (الإمام العالم الحافظ الكبير الصادق القدوة العابد الأثري المتبع)، توفي سنة ٦٠٠هـــ . انظر : سير أعلام النبلاء (٢١/٤٤٣ وما بعده).

(٨) الاقتصاد في الاعتقاد (ص : ١٣٦) .

(٩) أبو الحسن علي بن علي بن محمد بن محمد الحنفي الدمشقي، المعروف بابن أبي العز، إمام عالم فقيه توفي سنة ٧٩٢هـــ . انظر : الدرر الكامنة (٣/٨٧)؛ ومعجم المولفين (٧/١٥٦).

(١٠) شرح العقيدة الطحاوية (ص : ١٨٥) .

يوافق الأدلة العقلية الصريحة أن القرآن كلام الله مترل غيرمخلوق منه بدأ وإليه يعود)[1].

فهذا موقف السلف من كلام الله بإيجاز فيما يتعلق ببيان ما هو الحق الثابت بالكتاب والسـنة وإجماع الأمة، وما هو اللائق بكمال الله وجلاله وعظمته، وما يجب على العباد اعتقاده في كلام ربهم سبحانه وتعالى .

وأمـا موقفهـم عما خالف الحق وجانب الصواب في المسألة، فإنهم بينوا الحق من الباطل، وميزوا الصحيح من السقيم بتأصيل العقيدة الصحيحة وبيان منهج الكتاب والسنة وسـلف الأمـة الصالح تارة، وأخرى بالرد على الباطل وأهله، فمنهم من رد على أهل الباطل عموما [2]، ومنهم من رد على طائفة من أهل الباطل بعينها [3]، ومنهم من رد على رئيـس الطائفة وداعيتها وحامل لوائها [4]، ومنهم من رد على مسألة معينة من المسائل التي خالفوا الحق وأخطئوا فيها [5]، ومؤلفاتهم في ذلك معروفة مشهورة .

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٣٧/١٢) و أنظر : أيضا (٥٢٨/٦-٥٢٩ و ٢٤٣/١٢-٢٤٤) .

(٢) مثل كتاب الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة لابي عبد الله ابن بطة العكبري .

(٣) مثل كتاب الرد على الزنادقة والجهمية لأبي عبد الله الإمام أحمد بن حنبل الشيباني .

(٤) مثل رد الإمام الدارمي عثمان بن سعيد على بشر المريسي العنيد .

(٥) مثل رسالة السجزي إلى أهل زبيد في الرد على من أنكر الحرف والصوت .

المبحث السابع : صفات آدم عليه السلام والكلام على حديث : "إن الله خلق آدم على صورته"

أولا : صفات آدم عليه السلام .

أ-كان آدم عليه السلام طويل القامة، وكان طوله ستين ذراعا، ويدل على ذلك من أحاديث رسول الله ﷺ ما يلي :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : خلق الله عز وجل آدم على صورته طوله ستون ذراعا، فلما خلقه قال : اذهب فسلم على أولئك النفر وهم نفر من الملائكة جلوس، فاستمع ما يحيونك؛ فإنها تحيتك وتحية ذريتك . قال : فذهب فقال : السلام عليكم فقالوا : السلام عليك ورحمة الله . قال : فزادوه ورحمة الله . قال : فكل من يدخل الجنة على صورة آدم وطوله ستون ذراعا، فلم يزل الخلق ينقص بعده حتى الآن [1].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : إن أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر، ثم الذين يلونهم على أشد كوكب دري في السماء إضاءة، لا يبولون، ولا يتغوطون، ولا يتفلون، ولا يَمْتَخِطُون، أمشاطهم الذهب، ورَشْحُهُم [2] المسك، ومجامرهم [3] الألُوَّةُ [4]، الأَلَنْجُوج [5] : عود الطيب، وأزواجهم الحور العين،

(١) حديث صحيح أخرجه البخاري ومسلم، وقد سبق تخريجه في (ص : ١٤٤) .

(٢) الرشح : العرق لأنه يخرج من البدن شيئا فشيئا كما يرشح الإناء المتخلخل الأجزاء . انظر : النهاية في غريب الحديث (٢/٢٢٤) .

(٣) المجامر : جمع مِجْمَر ومُجْمَر، فالمِجْمَر بكسر الميم : هو الذي يوضع فيه النار للبخور. والمُجْمَر بالضم : هو الذي يتبخر به، وأعد له الجمر، وهو المراد في هذا الحديث ؛ أي : إن بخورهم بالألُوَّة، كما قال ابن الأثير في (النهاية في غريب الحديث ١/ ٢٩٣، مادة : جمر)، قلت : حمل الحديث على المعنيين أولى من قصره على أحدهما فإنه إذا كان الإناء الذي يتبخر فيه من العود الذي يتبخر به كان أحسن وأكثر رائحة، هذا من إفادة شيخنا المشرف على البحث – جزاه الله خيرا– والله أعلم .

(٤)الأُلُوَّة : بفتح الهمزة وضمها وهي العود الذي يتبخر به. انظر : النهاية في غريب الحديث (٦٣/١ مادة : ألي).

(٥) الأَلَنْجُوج : هو العود الذي يتبخر به . يقال : أَلَنْجُوج ويَلَنْجُوج وأَلَنْجَج، والألف والنون زائدتان، كأنه يلج في تضوع رائحته وانتشارها . انظر : النهاية في غريب الحديث (٦٢/١) .

على خلق [1] رجل واحد، **على صورة أبيهم آدم ستون ذراعا في السماء** [2].

وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال : خلق الله عز وجل آدم على صورته، وطوله ستون ذراعا [3].

وعـــن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : خلق الله آدم على صورته، وطوله ستون ذراعا [4].

وعـــن أبي هريـــرة ﷺ عن النبي ﷺ قال : يدخل أهل الجنة الجنة جُرْدا [5]، مُرْدا، بِيْضا، جِعَادا [6]، مُكَحَّلِين، أبناء ثلاث وثلاثين، على خلق آدم؛ ستون ذراعا في عرض سبع أذرع [7].

---

(١) لفظ " خلق " في الحديث ضبطه أبو بكر ابن أبي شيبة بضم الخاء واللام ، و يؤيد هذا الضبط ما ورد في رواية أخرى عند مســلم بلفظ : ((لا اختلاف بينهم ولا تباغض، قلوبهم قلب واحد))، وضبطه أبو كريب بفتح الخاء وسكون اللام ويؤيد هذا الضبط ما ورد في تمام الحديث بلفظ : ((على صورة أبيهم آدم ستون ذراعا في السماء))، وهو الذي ذهب إليه الحافظ ابن حجر كما في فتح الباري (٦/٣٦٧) وقال النووي في شرح صحيح مسلم (١٧/١٧٢) : كلاهما صحيح . وهو كما قال فلا مانع من أن يجمع الله لهم الحسنيين فيجعلهم على خلق رجل واحد في الصورة وعلى خلق رجل واحد في السيرة .

(٢) أخـــرجه خ (الأنـــبياء، ب : خلق آدم ﷺ وذريته ٣/١٢١٠ ح : ٣١٤٩)؛ و م (الجنة وصفة نعيمها وأهلها، ب : في سوق الجنة وما ينالون فيها من النعيم والجمال ٤/٢١٧٩ ح : ٢٨٣٤) .

(٣) أخرجه عبد الله بن الإمام أحمد في السنة (٢/٤٨٠ ح : ١١٠٠)، وفي سنده عبد الرحمن بن إسحاق بن عبد الله المدني فيه كلام لأهل العلم؛ فمنهم من ضعفه، ومنهم من حسنه، ومنهم من وثقه، ويظهر لي من خلال النظر في أقوالهم عنه أنه لا ينحط عن درجة الحسن، وحديثه هذا يصل إلى درجة الصحيح لغيره؛ لأن الراوي عنه هنا الإمام أحمد وقد قال : (مـــا كتبنا من حديثه فصحيح)، ولما له من الشواهد الصحيحة من الأحاديث المتقدمة والآتية . وانظر أقوال الأئمة في عبد الرحمن بن إسحاق جرحا وتعديلا : تهذيب التهذيب (٣/٣٣٧-٣٣٨ برقم : ٤٣٣٢) .

(٤) أخرجه حم (١٤/٤٦ ح : ٨٢٩١)؛ وعبد بن حميد في مسنده (ص : ٤١٧ ح : ١٤٢٧)؛ وابن خزيمة في التوحيد (١/٩٢-٩٣ ح : ٤٣)؛ والدارقطني في الصفات (ص : ٦٤ ح : ٤٧) وقال محققوا المسند : (حديث صحيح، وهذا إسناد حسن من أجل موسى بن أبي عثمان التبان وأبيه، وباقي رجاله ثقات رجال الشيخين ... ولم يذكر عبد بن حميد في روايته " طوله ستون ذراعا ") .

(٥) الجرد جمع مفرده أجرد، وهو الذي ليس على بدنه شعر، ويقابله أشعر وهو الذي على جميع بدنه شعر. انظر : النهاية في غريب الحديث (١/٢٥٦ ، مادة : جرد) .

(٦) الجعـــاد جمع مفرده جعد، والجعد في صفات الرجال يكون مدحا وذما : فالمدح معناه أن يكون شديد الأسر والخَلْق، أو يكون جَعْد الشعر، وهو ضد السبط، لأن السبوطة أكثرها في شعور العجم وهو المراد في الحديث . وأما الذم فهو القصير المتردد الخَلْق . انظر : النهاية في غريب الحديث (١/٢٧٥، مادة : جعد) .

(٧) أخـــرجه حـــم (١٣/٣١٥ ح : ٧٩٣٣ و ١٤/٢١٠ ح : ٨٥٢٤ و ١٥/٢٢٠-٢٢١ ح : ٩٣٧٥ و ١٦/٥٣٢ ح : ١٠٩١٣)؛ وابن أبي شيبة في المصنف (٧/٣٥ ح : ٣٤٠٠٦)؛ وابن أبي الدنيا في (صفة الجنة ص : ٥٣ ح : ١٥)؛ والطبراني في (الصغير ٢/١٧)؛ وفي الأوسط (٥/٣١٨ ح : ٥٤٢٢)؛ وابن عدي في (الكامل في ضعفاء الرجال ترجمة علي بن زيد ، ٥/ ١٩٨)؛ وأبو الشيخ في العظمة (٣/١٠٩٧ ح : ٥٩٤- ٥٧)؛ وأبو نعيم في (صفة الجنة ٢/١٠٠-١٠١ ح : ٢٥٥)؛ والبيهقي في (الـــبعث والنشـــور ص : ٢٤٥ ح : ٤٢٠)؛ والبغوي في (معالم التتريل ٤/٢٨٤، الواقعة : ٣٧) كلهم من طريق علي بن زيد ←

قال القرطبي : (قوله : ((ستون ذراعا في السماء)) ؛ أي : في الارتفاع وكل ما علاك فهو سماء ويعني بذلك : أن الله تعالى أعاد أهل الجنة إلى خلقة أصلهم الذي هو آدم، وعلى صفته وطوله الذي خلقه الله عليه في الجنة، وكان طوله فيها ستين ذراعا من ذراع نفسه والله أعلم) [1].

وقال القسطلاني [2] : (قوله : ((وطوله ستون ذراعا)) ؛ أي : بقدر ذراع نفسه أو بقـــدر الذراع المتعارف يومئذ عند المخاطبين، ورجح الأول بأن ذراع كل أحد مثل ربعه فلو كان بالذراع المعهود لكانت يده قصيرة في جنب طول جسده) [3].

ب – كان آدم عليه السلام كثير شعر الرأس .

عـــن أبي بـــن كعب رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : إن آدم كان رجلا طُوالا كأنه نخلة ســـحوق [4] كـــثير شعر الرأس، فلما ركب الخطيئة بدت له عورته، وكان لا يراها قبل ذلـــك ، فانطلق هاربا في الجنة، فتعلقت به شجرة، فقال لها : أرسليني ، فقالت : لست بمرسلتك، قال : وناداه ربه يا آدم ! أمني تفر ؟ قال : رب إني استحييتك [5].

مـــرفوعا . قـــال الهيثمي في (مجمع الزوائد ٣٩٩/١٠) :(إسناده حسن). وصححه أحمد شاكر في تحقيق مسند الإمام أحمد مرة وحسنه أخرى؛ فصححه في (٧٤/١٥ ح : ٧٩٢٠)، وحسنه في (٢١٨/١٦ح : ٨٥٠٥). وقال محقق صفة الجنة لابن أبي الدنيا : (حديث صحيح وإسناده حسن) . وقال محقق صفة الجنة لأبي نعيم : (ضعيف). والذي يظهر لي أن إطلاق الحكم على الحديث بالحسن أو الصحة أو الضعف لا يخلو من النظر . وذلك لأن إسناد الحديث مداره على علي بن زيد ابن جدعان، وهو ضعيف كما يظهر من أقوال الأئمة فيه؛ فلا يحتج بما تفرد به، ولا يعلم له متابع ولكن له ما يشهد ما عدا الجملة الأخيرة، وهي " في عرض سبع أذرع " فيكون الحديث – كما قال محققوا المسند – حسنا بشواهده ما عدا الجملة الأخيرة فهي ضعيفة، والله أعلم بالصواب .

انظر أقوال الأئمة في علي بن زيد بن جدعان بالتفصيل في كتاب : " أوضح البيان في جرح علي بن زيد بن جدعان ..." لمؤلفه : علي بن حسن الأثري – حفظه الله – (ص : ١٣-٩٤) .

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (١٨٢/٧-١٨٣) .

(٢) أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك القسطلاني، محدث مؤرخ فقيه مقرئ، توفي سنة ٩٢٣هـــ . انظر : الضوء اللامع لأهل القرن التاسع (١٠٣/٢-١٠٤)؛ ومعجم المؤلفين (٨٥/٢-٨٦) .

(٣) إرشاد الساري بشرح صحيح البخاري (٢٣٤/٧) .

(٤) النخلة السحوق؛ أي : الطويلة التي بعد ثمرها على المجتني . انظر : النهاية في غريب الحديث (٣٤٧/٢) .

(٥) أخـــرجه عبد الله بن الإمام أحمد في الزهد (ص : ٨٢ ح : ٢٦٥)؛ وابن أبي حاتم في تفسيره (١٢٩/١ ح : ٣٩٢) بإســـنادهما، وكلاهما يجتمعان في قتادة عن الحسن عن أبي بن كعب مرفوعا، وقتادة صرح بالتحديث عن الحسن في رواية عبد الله بن الإمام أحمد، إلا أن الأئمة ذكروا كما في تهذيب التهذيب (٤٨١/١-٤٨٤ برقم : ١٤٤٩) أن روايات الحسن البصري عن الصحابة البدريين فيها انقطاع ولكن جاء في طريق آخر ما يبين هذه الواسطة، ويجعل الإسناد متصلا؛ فقد أخرج ابن سعد في الطبقات (٣١/١) بإسناده عن قتادة عن الحسن عن عتي عن أبي بن كعب مرفوعا . وعتي بن ضمرة التميمي ثقة من الثالثة كما قال الحافظ ابن حجر في تقريب التهذيب (ص : ٣٨١ برقم : ٤٤٤٥) . ومن طريق ابن سعد أخرجه كم (التفسير، ٢٦٢/٢)؛ والبيهقي في البعث و النشور (ص : ١١٩ ح : ١٩٣) ، قال الحاكم : (هذا حديث صحيح

ج –كان آدم عليه السلام في غاية الجمال البشري .

خلق الله تعالى آدم عليه السلام، وصوره بيده الكريمة، ونفخ فيه من روحه، فمن كرمه الله وشـــرفه بهذه المكرمات والفضائل ما كان أن يخلقه إلا في أحسن شكل وأجمل صورة .

قال تعالى : ﴿ ولقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ﴾ (١) .

قال السهيلي في قوله ﷺ في حديث المعراج : ((فإذا أنا بيوسف ﷺ إذا هو قد أعطي شطر الحسن (٢))) : إن معناه أن يوسف عليه السلام كان على النصف من حسن آدم عليه السلام، فإن الله خلق آدم عليه السلام بيده على أكمل صورة وأحسنها، ولم يكن في ذريته من يوازيه في جماله، وكـــان يوسف عليه السلام قد أعطي شطر حسنه، فآدم عليه السلام كان في غاية نهايات الحسن البشري، ولهذا يدخل أهل الجنة الجنة على طول آدم وحسنه (٣).

واستحسنه الحافظ ابن كثير فقال : (وهذا مناسب؛ فإن الله خلق آدم عليه السلام وصوره بيده الكريمة، ونفخ فيه من روحه، فما كان ليخلق إلا أحسن الأشباه) (٤).

وقـــال القسطلاني في قوله ﷺ : ((فلم يزل الخلق ينقص بعده حتى الآن)) : أي : لم يـــزل الخلق ينقص من طوله وجماله بعد آدم حتى الآن، فإذا دخلوا الجنة عادوا إلى ما كان عليه أبوهم من الحسن والجمال وطول القامة . أهـــ بتصرف (٥) .

خلاصـــة مـــا سبق : أن آدم عليه السلام كان طويل القامة، وكان طوله ستون ذراعا، وكان كثير شعر الرأس كأنه نخلة سحوق، وكان في غاية الحسن ونهاية الجمال البشري والله أعلم .

ثانيا : الكلام على حديث : " إن الله خلق آدم على صورته " .

إن هذا الحديث اختلفت فيه وجهات أهل العلم، فمنهم من نقل عنه إنكاره ونهيه عن

الإسناد و لم يخرجاه) و وافقه الذهبي، وحسَّن الحافظ ابن حجر في فتح الباري (٣٦٧/٦) إسناد ابن أبي حاتم، ولكن ذكر محقـــق تفسير ابن أبي حاتم في إسناد ابن أبي حاتم لهذا الحديث أربع علل، ثم أجاب عن كل واحدة منها، وقال : " الإسناد بمجموع طرقه صحيح " والذي يظهر لي أن إسناد ابن سعد حسن لذاته وبمجموع الطرق يكون صحيحا لغيره، والله أعلم .

(١) التين الآية : ٤

(٢) أخرجه م (الإيمان، ب : الإسراء برسول الله ﷺ ...١/١٤٥-١٤٦ ح : ١٦٢) .

(٣) ذكره عنه الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (٩٧/١) .

(٤) المصدر السابق نفسه .

(٥) انظر : إرشاد الساري بشرح صحيح البخاري (٢٣٠/١٣) .

الـــتحدث به، ومنهم من أقر بثبوته ولكن أخطأ في فهمه، فحمله على غير وجهه وصرفه عن مدلوله ومراده، ومنهم من و فقه الله تعالى للصواب وهداه إلى الرشاد، وأذكر مواقف أهل العلم ووجهات نظرهم تجاه هذا الحديث باختصار [1]، وهي تتلخص في نقاط تالية:

الـــنقطة الأولى : ما روي عن الإمام مالك من إنكار ثبوت هذا الحديث، والنهي عن التحدث به .

ذكر العقيلي [2] بإسناده إلى ابن القاسم [3] قال : سألت مالكا عمن يحدث بالحديث الـــذي قالوا : إن الله خلق آدم على صورته ؛ فأنكر ذلك مالك إنكارا شديدا، ونهى أن يحدث به أحد [4].

وقـــال ابن أبي زمنين : (كان مالك يعظم أن يحدث أحد بهذه الأحاديث التي فيها : إن الله خلق آدم على صورته، وضعفها) [5].

وهذا القول فيه نظر من وجوه :

١- إن الإمام مالكا — رحمه الله — من أئمة أهل السنة وأكابر علماء هم، وهو أجل من أن ينكر مثل هذا الحديث الصحيح الثابت عن النبي ﷺ .

٢- الإســـناد الـــذي ساقه العقيلي إلى الإمام مالك — رحمه الله — فيه كلام؛ فإن في سنده مقدام بن داود، وهو متكلم فيه؛ فقد قال الإمام النسائي فيه : (ليس بثقة) [6]. وقال الدارقطني : (ضعيف) [7]. وقال أبو عمرو الكندي : (كان فقيها مفتيا لم يكن بالمحمود في

---

(١) أغـــلب الأقوال والردود عليها مستفاد من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه " نقض تأسيس الجهمية " بتصـــرف واختصار، وكذلك استفدت ممن نقل عنه مثل الشيخ حمود التويجري في كتابه " عقيدة أهل الإيمان في خلق آدم على صورة الرحمن " والشيخ عبد الله الغنيمان في كتابه " شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري " .

(٢) أبـــو جعفر محمد بن عمر بن موسى العقيلي، قال عنه الذهبي : الإمام الحافظ الناقد مصنف كتاب الضعفاء، توفي سنة ٣٢٢هـــ . انظر : سير أعلام النبلاء (١٥/٢٣٦-٢٣٩) .

(٣) هو عبد الرحمن بن القاسم بن خالد العُتَقِي، الفقيه، صاحب مالك، ثقة، توفي سنة ١٩١هـــ . انظر : تقريب التهذيب (ص : ٣٤٨ برقم : ٣٩٨٠) .

(٤) انظر : كتاب الضعفاء الكبير (٢/٢٥١-٢٥٢)، وانظر أيضا : ميزان الاعتدال (٢/٤١٩ برقم : ٤٣٠١)؛ وسير أعلام النبلاء (ترجمة أبي الزناد عبد الله بن ذكوان ٥/٤٤٩-٤٥٠) .

(٥) أصـــول الســـنة (ص : ٧٥)، وابن أبي زمنين هو محمد بن عبد الله بن عيسى المري الأندلسي، قال عنه الذهبي : الإمام القدوة شيخ قرطبة صاحب جد وإخلاص، توفي سنة ٣٩٣هـــ . انظر : سير أعلام النبلاء (١٧/١٨٨-١٨٩) .

(٦) انظر : سير أعلام النبلاء (١٣/٣٤٥)؛ وميزان الاعتدال (٤/١٧٦)؛ ولسان الميزان (٦/٨٤) .

(٧) انظر : سير أعلام النبلاء (١٣/٣٤٥)؛ ولسان الميزان (٦/٨٤) .

الرواية) [١]. وقال ابن أبي حاتم : (تكلموا فيه) [٢]. وقال ابن يونس: (تكلموا فيه) [٣].

فإسناد هذا القول إلى الإمام مالك ضعيف، ولا عبرة بكلام لم يصح إسناده إلى قائله، ولم يثبت عن المحكي عنه .

٣- وعلى تقدير ثبوت ذلك عن الإمام مالك؛ فقد اعتذر له أهل العلم في ذلك لأحد أمرين [٤] :

أ - عدم بلوغ الروايات الصحيحة إليه .

قال الحافظ الذهبي : (أنكر مالك ذلك؛ لأنه لم يثبت عنده، لا اتصل به؛ فهو معذور) [٥].

ب - أنها وصلت إليه وثبتت عنده ولكنه أنكر التحدث به خوفا من فتنة بعض من يشتبه عليه الفهم الصحيح كما قال علي بن أبي طالب ﷺ : (حدثوا الناس بما يعرفون، أتحبون أن يكذب الله ورسوله ؟) [٦] وقال عبد الله بن مسعود ﷺ : (ما أنت بمحدث قوما حديثا لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة) [٧] . فكان إنكار مالك – رحمه الله – سدا للذريعة، وإغلاقا لباب الفتنة .

قال ابن وهب وابن القاسم : (كره مالك أن يحدث بها عوام الناس الذين لا يعرفون وجهه، ولا تبلغه عقولهم؛ فينكروه، أو يضعوه في غير موضعه) [٨].

---

(١) انظر : سير أعلام النبلاء (٣٤٥/١٣)؛ وميزان الاعتدال (١٧٦/٤)؛ ولسان الميزان (٨٤/٦)، والكندي هو محمد بن يوسف بن عبد الله الكندي، ثقة ثبت، توفي في حدود سنة ٢٤٠هـ . انظر : تقريب التهذيب (ص : ٥١٥ برقم : ٦٤١٤) .

(٢) الجرح و التعديل (٣٠٣/٨ برقم : ١٣٩٩)، وابن أبي حاتم هو عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس الرازي التميمي، ثقة حافظ، له معرفة بالرجال، وتوفي سنة ٣٢٧هـ . انظر : سير أعلام النبلاء (٢٦٣/١٣-٢٦٩) .

(٣) انظر : سير أعلام النبلاء (٣٤٥/١٣)؛ وميزن الاعتدال (١٧٦/٤)؛ ولسان الميزان (٨٤/٦)، وابن يونس هو عبد الرحمن بن أحمد بن الإمام يونس الصدفي المصري، إمام بصير بالرجال فهم متيقظ، توفي سنة ٣٧٤هـ . انظر : سير أعلام النبلاء (٥٧٨/١٥-٥٧٩) .

(٤) انظر : فتح الباري (١/ ٢٢٥)؛ وعقيدة أهل الإيمان في خلق آدم على صورة الرحمن (ص : ١٠- ١١)؛ ومنهج الإمام مالك في إثبات العقيدة (ص : ٢٦٢)؛ وتعريف أهل الإيمان بصحة حديث صورة الرحمن (ص : ٢٩-٣٠)، وهو مقال للشيخ حماد الأنصاري منشور في مجلة الجامعة السلفية، بنارس الهند، المجلد الثامن، العدد الرابع، شهر ذي القعدة ١٣٩٦هـ .

(٥) سير أعلام النبلاء (١٠٤/٨، ترجمة الإمام مالك)، والذهبي هو محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، علامة، محدث، مؤرخ، صاحب التصانيف الكثيرة المفيدة، توفي سنة ٧٤٨هـ . انظر : معجم المؤلفين (٢٨٩/٨-٢٩١) .

(٦) أخرجه خ تعليقا بصيغة الجزم (العلم ، ب : من خص بالعلم قوما دون قوم كراهية أن لا يفهموا ٥٩/١) .

(٧) أخرجه م (المقدمة، ب : النهي عن الحديث بكل ما سمع ١١/١) .

(٨) ترتيب المدارك و تقريب المسالك (٤٤/٢) .

وقال ابن عبد البر : (وإنما كره ذلك مالك خشية الخوض في التشبيه بكيف هاهنا) [1].

٤- وأمـــا الحديـــث فهو ثابت مستفيض من طرق كثيرة، رواه عدد من الصحابة، وتلقاه عنهم جماعة كبيرة من التابعين، فمن بعدهم؛ فلا كلام في صحته وثبوته بل هو مما اتفق على صحته وثبوته أئمة هذا الشأن [2].

النقطة الثانية : ذكر الخلاف في مرجع الضمير في قوله ﷺ : ((إن الله خلق آدم على صورته))، وبيان الراجح من الأقوال في ذلك .

اختـــلف أهـــل العلم في بيان مرجع الضمير في قوله ﷺ : ((إن الله خلق آدم على صورته)) على ثلاثة أقوال، وهي كالتالي :

القول الأول : الضمير يرجع إلى المضروب والمشتوم .

قال ابن خزيمة [3] : الهاء في قوله ﷺ : ((خلق الله آدم على صورته)) كناية عن اسم المضروب والمشـــتوم، أراد ﷺ أن الله خلق آدم على صورة هذا المضروب، الذي أمر الضارب باجتناب وجهه بالضرب، والذي قبح وجهه، فزجر ﷺ أن يقول : ووجه من أشبه وجهك، لأن وجه آدم شبه وجوه بنيه، فإذا قال الشاتم لبعض بني آدم : قبح الله وجهك ووجه من أشبه وجهك، كان مقبحا وجه آدم — صلوات الله وسلامه عليه — الذي وجوه بنيه شبيهة بوجه أبيهم .أهـــ بتصرف يسير [4].

وقال ابن حبان [5] : (يريد به على صورة الذي قيل له : قبح الله وجهك من ولده) [6].

وقال البيهقي : (إنما أراد — والله أعلم — فإن الله خلق آدم على صورة هذا المضروب) [7].

---

(١) التمهيد (١٥٠/٧)، وابن عبد البر هو يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري الأندلسي، حافظ المغرب، أحد أكابر المالكية، توفي سنة ٤٦٣هـــ. انظر : سير أعلام النبلاء (١٥٣/١٨) .

(٢) انظر : نقض تأسيس الجهمية (٥٧/١/٣ أ – ب)؛ وسير أعلام النبلاء (ترجمة أبي الزناد عبد الله بن ذكوان ٤٤٥/٥)؛ وميـــزان الاعتدال (٤١٩/٢-٤٢٠ برقم : ٤٣٠١)؛ تعريف أهل الإيمان بصحة حديث : إن آدم خلق على صورة الرحمن (ص : ٣٠-٣١)؛ وشرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري (٥٠٣/١-٥٠٥) .

(٣) أبـــو بكـــر محمد بن إسحاق بن خزيمة السلمي النيسابوري، قال عنه الذهبي : الحافظ، الحجة، الفقيه، شيخ الإسلام، إمام الأئمة، صاحب التصانيف، توفي سنة ٣١١هـــ .انظر : سير أعلام النبلاء (٣٦٥/١٤-٣٨٢) .

(٤) انظر : التوحيد (٨٤/١-٨٥) .

(٥) أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد بن حبان التميمي الدارمي البستي، إمام علامة حافظ مجود صاحب كتب مشهورة، توفي سنة ٣٥٤هـــ . انظر : سير أعلام النبلاء (٩٢/١٦- ١٠٤) .

(٦) كما في الإحسان في ترتيب صحيح ابن حبان (١٨/١٣) .

(٧) الأسماء والصفات (٦٣/٢) .

وقال الحافظ ابن حجر : (واختلف في الضمير على من يعود، فالأكثر على أنه يعود على المضروب لما تقدم من الأمر بإكرام وجهه، ولولا أن المراد التعليل بذلك لم يكن لهذه الجملة ارتباط بما قبلها)[1].

وهذا القول فيه نظر وبيان ذلك من وجوه :

١- جـــاء في الصحيحين من قول رسول الله ﷺ ابتداء : ((خلق الله عز وجل آدم عـــلى صورته طوله ستون ذراعا)) وكذلك في أحاديث أخر : ((إن الله خلق آدم على صورته)) ولم يتقدم فيها ذكر أحد يعود الضمير إليه[2].

٢- جميـــع الروايات الواردة عن النبي ﷺ في ذلك لم يتقدم فيها ذكر مضروب أو مشتوم يصـــلح عود الضمير إليه، فإنه ﷺ لم يقل : إذا ضرب أحدكم أحدا أو إذا قاتل أحدكم أحدا، وإنمـــا قال : ((إذا قاتل أحدكم فليجتنب الوجه؛ فإن الله خلق آدم على صورته))[3] وقال : ((لا يقل أحدكم قبح الله وجهك ووجه من أشبه وجهك؛ فإن الله خلق آدم على صورته))[4] وليس في هذا ذكر مضروب أو مشتوم حتى يصلح عود الضمير إليه .

فـــإن قيـــل قد يعود الضمير إلى ما دل عليه الكلام وإن لم يكن مذكورا، قيل : إنما يكـــون ذلـــك فيما لا لبس فيه حيث لم يتقدم ما يصلح لعود الضمير إليه إلا ما دل عليه الخطاب، أما إذا تقدم اسم صريح قريب إلى الضمير فلا يصلح أن يترك عوده إليه ويعود إلى شيء متقدم لا ذكر له في الخطاب، وهذا مما يعلم فساده في اللغات[5].

٣- ومـــا ذكر بعضهم من أن النبي ﷺ رأي رجلا يضرب رجلا ويقول : قبح الله وجهك ووجه من أشبه وجهك فقال : خلق الله آدم على صورته؛ أي : على صورة هذا

---

(١) فتح الباري (١٨٣/٥) .

(٢) انظر : نقض تأسيس الجهمية (٦١/١/٣ ب)؛ وعقيدة أهل الإيمان ... (ص : ٦٤) وأما الأحاديث فانظر تخريجها في (ص : ١٤٤و١٥٩-١٦٠و١٧١-١٧٣) من هذا البحث .

(٣) أخرجه م (البر والصلة والآداب، ب : النهي عن ضرب الوجه ٢٠١٧/٤ ح : ٢٦١٢) .

(٤) رواية من روايتي حديث أبي هريرة ﷺ ، أخرجها ابن أبي عاصم في (السنة ٢٢٩/١ح : ٥١٩) والدارقطني في (الصفات ص : ٥٦-٥٧ ح : ٤٦) قال الألباني في تعليقه على السنة : (إسناده حسن صحيح ورجاله ثقات على كلام في ابن عجلان ...) وسيأتي مزيد إيضاح عن الحديث في (ص : ١٧٣-١٧٤) .

(٥)انظر : نقض التأسيس (٦١/١/٣ب و ٦٢ أ)؛ وعقيدة أهل الإيمان ...(ص : ٦٤-٦٥) .

المضروب، فهذا شيء لا أصل له، و لا يعرف في شيء من كتب الحديث [(١)] .

٤- أن الله سبحانه و تعالى خلق بني آدم كلهم على صورة أبيهم آدم عليه السلام، فلا يصح تخصيص واحد منهم لم يتقدم له ذكر بأن الله خلق آدم عليه السلام على صورته بل هذا في غاية البعد، ولا سيما قوله ﷺ : إذا قاتل أحدكم و إذا ضرب أحدكم و لا يقولن أحدكم عام في كل مخاطب [(٢)].

٥- أن ذرية آدم عليه السلام خلقوا على صورة آدم عليه السلام، و لم يخلق آدم عليه السلام على صورهم ، فإن مثل هذا الخطاب إنما يقال فيه : خلق الثاني المتأخر في الوجود على صورة الأول المتقدم في الوجود، ولا يقال : إنه خلق الأول على صورة الثاني المتأخر في الوجود، كما إذا قيل : خلق الولد على صورة أبيه كان كلاما سديدا، بخلاف ما إذا قيل : خلق الوالد على صورة ولده كان كلاما فاسدا، لأن المصنوع المقيس في كل شيء يكون متأخرا عن المقيس عليه في الوجود، فكيف يقال خلق آدم عليه السلام على صورة هذا المضروب أو المشتوم من بنيه، وهو متأخر في الوجود عن آدم عليه السلام بآلاف السنين [(٣)].

٦- الحديث خرج مخرج المدح والتعظيم لآدم عليه السلام وعلى القول برجوع الضمير إلى المضروب ليس فيه أي منقبة لآدم عليه السلام، قال عبد الله بن الأمام أحمد [(٤)] : (قال رجل لأبي : إن فلانا يقول في حديث رسول الله : ((إن الله خلق آدم على صورته)). فقال : على صورة الرجل . فقال أبي : كذب، هذا قول الجهمية، و أي فائدة في هذا ؟) [(٥)].

٧- كون الوجه يشبه وجه آدم عليه السلام فليس للوجه اختصاص بذلك بل سائر أعضاء الإنسان تشبه أعضاء آدم عليه السلام؛ فإن رأس الإنسان يشبه رأس آدم عليه السلام، ويده تشبه يده وهكذا رجله وبطنه وظهره وفخذه وساقه ... يشبه ظهره وبطنه وفخذه وساقه ...، فلو كان الشبه علة لمنع ضرب الوجه لم يجز ضرب شيء من أعضاء بني آدم لأن ذلك جميعه على صورة أبيهم آدم عليه السلام .

وقد أجمع المسلمون على وجوب ضرب هذه الأعضاء في الجهاد للكفار والمنافقين وإقامة الحدود مع كونها مشابهة لأعضاء آدم وسائر النبيين . وبهذا يتبين أن المنع من ضرب

---

(١)انظر : نقض التأسيس (٦١/١/٣ ب)؛ وعقيدة أهل الإيمان ...(ص : ٦٤) .

(٢) انظر : نقض التأسيس (٦٢/١/٣ أ)؛ وعقيدة أهل الإيمان ... (ص : ٦٥) .

(٣) انظر : نقض التأسيس (٦٢/١/٣ أ)؛ وعقيدة أهل الإيمان ...(ص : ٦٦) .

(٤) عبد الله بن الإمام أحمد بن محمد بن حنبل، ثقة، مات سنة ٢٩٠هـ . انظر : تقريب التهذيب (ص : ٢٩٥ برقم : ٣٢٠٥) .

(٥) انظر : ميزان الاعتدال (٦٠٣/١ برقم :٢٢٨٧)؛ وفتح الباري (١٨٣/٥) .

الوجه ليس لأجل هذه المشابهة كما قال القائلون [1].

٨- أنه لو كان علة النهي عن شتم الوجه وتقبيحه أنه يشبه وجه آدم لنهي أيضا عن الشتم والتقبيح لسائر الأعضاء، لا يقولن أحدكم : قطع الله يدك ويد من أشبه يدك [2].

٩- جاء مرويا عن النبي ﷺ من غير وجه بلفظ " على صورة الرحمن " وسيأتي الكلام عليه في القول الثالث في المسألة .

القول الثاني : الضمير يرجع إلى آدم عليه السلام .

هذا القول مروي عن أبي ثور الكلبي [3]، ونسبه ابن قتيبة إلى قوم من أهل الكلام المذموم [4]، واختاره الرازي، وزعم أنه أولى الوجوه الثلاثة [5]، وإليه ذهب القرطبي [6] والأبي [7] والسنوسي [8] والألباني [9] والدكتور عبد الله بن مطلق الطوالة [10].

قال الحافظ ابن حجر في قوله ﷺ : ((خلق الله عز وجل آدم على صورته وطوله ستون ذراعا)) : (وهذه الرواية تؤيد قول من قال أن الضمير لآدم، والمعنى : أن الله تعالى أوجده على الهيئة التي خلقه عليها، لم ينتقل في النشأة أحوالا، ولا تردد في الأرحام أطوارا كذريته بل خلقه الله رجلا كاملا سويا من أول ما نفخ فيه الروح، ثم عقب ذلك بقوله: ((وطوله ستون ذراعا)) فعاد الضمير أيضا على آدم) [11].

---

(١) انظر : نقض التأسيس (٦٢/١/٣ ب)؛ وعقيدة أهل الإيمان ... (ص : ٦٧) .

(٢) انظر : نقض التأسيس (٦٢/١/٣ ب و ٦٣ أ)؛ وعقيدة أهل الإيمان ... (ص : ٦٧) .

(٣) انظر : عقيدة أهل الإيمان ...(ص : ١٥)، والكلبي هو أبو ثور إبراهيم بن خالد بن أبي اليمان الكلبي، صاحب الشافعي، ثقة فقيه، توفي سنة ٢٤٠هـ . انظر : تقريب التهذيب (ص : ٨٩ برقم : ١٧٢) .

(٤) انظر : تأويل مختلف الحديث (ص : ٢١٩) .

(٥) انظر : أساس التقديس (ص : ١١٣)، والرازي هو محمد بن عمر بن الحسن التميمي، من كبار متكلمي الأشاعرة، ندم في آخر عمره لخوضه في علم الكلام، توفي سنة ٦٠٦هـ . انظر : لسان الميزان (٤٢٦/٤-٤٢٩)؛ والأعلام (٣١٣/٦).

(٦) انظر : المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (١٨٣/٧) .

(٧) انظر : إكمال إكمال المعلم (٢١٥/٧-٢١٦)، والأبي هو محمد بن خلفة بن عمر التونسي، المشهور بالأبي، عالم بالحديث والفقه والتفسير، توفي سنة ٨٢٧هـ . انظر : الأعلام (١١٥/٦)؛ ومعجم المؤلفين (٢٨٧/٩).

(٨) انظر : مكمل إكمال الإكمال (٢١٥/٧-٢١٦)، والسنوسي هو محمد بن يوسف بن عمر السنوسي، مشارك في بعض العلوم، توفي سنة ٨٩٥هـ . انظر : معجم المؤلفين (١٣٢/١٢) .

(٩) انظر : صحيح الأدب المفرد (ب : لا تقل قبح الله وجهه، ص : ٨٥) .

(١٠) انظر : خلق آدم وذريته كما ورد في التنزيل (ص : ٢٥) .

(١١) فتح الباري (٣٦٦/٦) .

وهذا القول فيه نظر، وبيان ذلك من وجوه، وهي كما يلي :

١- إذا قـال قائل : إذا قاتل أحدكم فليجتنب الوجه؛ فإن الله خلق آدم على صورة آدم، أو قال : " لا تقبحوا الوجه، ولا يقل أحدكم قبح الله وجهك ووجه من أشبه وجهك ؛ فإن الله خلق آدم عـلى صورة آدم "، كان هذا من أفسد الكلام لعدم وجود المناسبة بين الحكم والعلة قطعا، وذلـك أن كـون آدم مخلوقا على صورة آدم سواء كان فيه تشريف له أو كان فيه إخبار مجرد بالواقع؛ فليس فيه مناسبة للنهي عن ضرب وجوه بنيه ولا عن تقبيحها وتقبيح ما يشبهها [١].

٢- أن آدم ﷺ لم تكن له صورة خلق عليها قبل صورته التي خلقه الله عليها [٢]، وقـال حمدان الوراق [٣]: (أنه سمع أحمد بن حنبل، وسأله رجل عن حديث خَلْقِ آدمَ عـلى صورته على صورة آدم ؟ فقال أحمد : فأين الذي يروى عن النبي ﷺ أن الله خلق آدم على صورة الرحمن ؟ ثم قال أحمد : وأي صورة كانت لآدم قبل أن يخلق ؟) [٤].

وقال أبو طالب [٥] : (سمعت أبا عبد الله يقول : من قال إن الله تعالى خلق آدم على صورة آدم فهو جهمي، وأي صورة كانت لآدم قبل أن يخلقه ؟!) [٦].

٣- أن الله خـلق سائر أعضاء آدم على صورة آدم، فلا فرق بين الوجه وسائر أعضائه في هـذا الحكم . فلو كان خلق آدم على صورة آدم مانعا من ضرب الوجه أو تقبيحه لوجب أن يكون مانعا من ضرب سائر الوجوه وتقبيح سائر الصور، وهذا معلوم الفساد في العقل والدين؛ وتعـليل الحكم الخاص بالعلة المشتركة من أقبح الكلام، وإضافة ذلك إلى النبي ﷺ لا يصدر إلا عن جهل عظيم أو نفاق شديد؛ إذ لا خلاف في علمه وحكمته وحسن كلامه وبيانه [٧].

٤- أن هذا تعليل للحكم بما يوجب نفيه، وهذا من أعظم التناقض، وذلك أنهم تأولوا

---

(١) انظر : نقض التأسيس (٦٣/١/٣ أ - ب)؛ وعقيدة أهل الإيمان ...(ص : ٦٩-٧٠) .
(٢) انظر : نقض التأسيس (٦٣/١/٣ ب - ٦٤ أ)؛ وعقيدة أهل الإيمان ...(ص : ٧١) .
(٣) هـو محمد بن علي بن عبد الله البغدادي الوراق، كان من نبلاء أصحاب الإمام أحمد، توفي سنة ٢٧٢هـ . انظر : سير أعلام النبلاء (٤٩/١٣-٥٠) .
(٤) ذكره الذهبي في (ميزان الاعتدال، ترجمة : حمدان بن الهيثم ٦٠٣/١ برقم : ٢٢٨٧) .
(٥) هو أحمد بن حميد المُشْكاني، روى عن الإمام أحمد مسائل كثيرة، وكان الإمام أحمد يكرمه ويقدمه، توفي سنة ٢٤٤هـ . انظر : المنهج الأحمد في تراجم أصحاب الإمام أحمد (١٩٧/١-١٩٨ برقم : ٤٥) .
(٦) أخرجه ابن بطة كما في المختار من الإبانة (الرد على الجهمية ، ٢٦٦/٣ برقم : ١٩٨) .
(٧) انظر : نقض التأسيس (٦٣/١/٣ ب)؛ وعقيدة أهل الإيمان ...(ص : ٧٠) .

الحديث على أن آدم عليه السلام لم يخلق من نطفة وعلقة ومضغة، وعلى أنه لم يتكون في مدة طويلة بواسطة العناصر، وأما بنوه فقد خلقوا من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة، وخلقوا في مدة من عناصر الأرض . فإن كانت العلة المانعة من ضرب الوجه وتقبيحه كونه خلق على ذلك الوجه وهذه العلة منتفية في بنيه ينبغي أن يجوز ضرب وجوه بنيه وتقبيحها لانتفاء العلة فيها؛ لأن آدم هو الذي خلق على صورته ولكن بنوه لم يخلقوا على صورهم التي هم عليها، كما خلق آدم على صورته بل نقلوا من نطفة إلى علقة إلى مضغة [(١)].

٥- من المعلوم أن قوله ﷺ : ((خلق الله عز وجل آدم على صورته)) من خصائص آدم عليه السلام وإن كان بنوه تبعا له في ذلك ولكن قول القائل في بيان معناه : أن الله خلق آدم على صورة آدم فهذا يزيل ما اختص به آدم عليه السلام، ويوجب الاشتراك بينه وبين غيره من المخلوقات؛ لأن جميع المخلوقات من السماوات والأرض وما بينهما من الملائكة والجن والإنس والبهائم كلهم مخلوقون على صورهم .

وأما كون آدم خلق على هذه الصورة ابتداء أو في غير مدة فإنه لم يخلق إلا من حال إلى حال من التراب ثم من الطين ثم من الصلصال كما خلق بنوه من النطفة ثم من العلقة ثم من المضغة فلا منافاة في الحقيقة بين الأمرين . فإذا جاز أن يقال في أحدهما : إنه خلق على صورته مع تنقله في هذه الأطوار جاز أن يقال في الآخر : خلق على صورته مع تنقله في هذه الأطوار . و إذا كان كذلك زال ما اختص الله به آدم عليه السلام، ووجب الاشتراك بينه وبين سائر المخلوقات بموجب هذا القول فدل ذلك على بطلانه [(٢)].

٦- أن دلالة قول القائل : خلق آدم على صورة آدم، وما يدعونه من معان أخر مثل : كونه لم يخلق من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة، أو كونه لم يخلق في مدة ومن مادة، أو لم يخلق بواسطة القوى والعناصر مما لا دليل عليه بحال؛ فإن لفظ الحديث : ((خلق الله عز وجل آدم على صورته)) لا يفهم منه هذه المعاني بوجه من الوجوه؛ فلا بد أن يبين وجه دلالة لفظ الحديث على المعاني المذكورة من جهة اللغة، وأن يذكر له نظير في الاستعمال[(٣)].

---

(١)انظر : نقض التأسيس (٦٣/١/٣ ب)؛ وعقيدة أهل الإيمان ...(ص : ٧٠) .
(٢) انظر : نقض التأسيس (٦٤/١/٣ أ - ب)؛ وعقيدة أهل الإيمان ...(ص : ٧٢) .
(٣) انظر : نقض التأسيس (٦٤/١/٣ ب)؛ وعقيدة أهل الإيمان ...(ص : ٧٣) .

٧- جاء مرويا عن النبي ﷺ من غير وجه بلفظ : ((على صورة الرحمن)) وسيأتي الكلام عليه.

القول الثالث : الضمير يرجع إلى لفظ الجلالة : " الله " سبحانه وتعالى .

الوجوه التي تقدمت في بيان بطلان قول من يقول : إن الضمير في قوله : ((خلق الله آدم على صورته)) راجع إلى آدم أو أحد من بنيه مضروب أو مشتوم فهي أدلة أيضا على أن الله سبحانه و تعالى خلق آدم عليه السلام على صورة نفسه، وقد جاء ذلك مصرحا في حديث رسول الله ﷺ فعن ابن عمر – رضي الله عنهما – قال : قال رسول الله ﷺ : لا تقبحوا الوجه؛ فإن الله خلق آدم على صورة الرحمن [(١)].

(١) أخرجه الحارث بن أبي أسامة في مسنده كما في بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث (٢/٨٣١ ح : ٨٧٢) وابن أبي عاصم في السنة (١/٢٢٨-٢٢٩ ح : ٥١٧)؛ وعبد الله بن الإمام أحمد في السنة (١/٢٦٨ ح : ٤٩٨)؛ وابن خزيمة في التوحيد (١/٨٥ ح : ٤١)؛ والطبراني في المعجم الكبير (١٢/٤٣٠، ١٣٥٨٠)؛ والآجري في الشريعة (٣/١١٥٢ ح : ٧٢٥)؛ وابن بطة كما في المختار من الإبانة (الرد على الجهمية ، ٣/٢٤٤-٢٥٨ ح : ١٨٥)؛ والدارقطني في الصفات (ص : ٦٤ح : ٤٨)؛ وكم (التفسير، الأعراف ٢/٣١٩)؛ والبيهقي في الأسماء والصفات (٢/٦٤ح : ٦٤٠) كلهم من طريق جرير بن عبد الحميد عن الأعمش عن حبيب بن أبي ثابت عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عمر مرفوعا بلفظ : ((صورة الرحمن)) . وهذا الحديث أعله ابن خزيمة في كتاب التوحيد (١/٨٧) بثلاث علل : الأولى : مخالفة الثوري للأعمش في الإسناد حيث أرسله الثوري، و لم يقل عن ابن عمر، ورواية الثوري عند ابن خزيمة (ص : ٨٦ ح : ٤٢) . والثانية والثالثة : عنعنة الأعمش وحبيب وقد وصفا بالتدليس . وزاد عليها العلامة الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة (٣/٣١٧ ح: ١١٧٦) علة رابعة : وهي قول الذهبي في الميزان (١/٣٩٤) نقلا عن البيهقي في السنن الكبرى (٦/٨٧) في جرير بن عبد الحميد أنه نسب في آخر عمره إلى سوء الحفظ . وهناك علة خامسة : ذكرها الشيخ عمرو بن عبد المنعم سليم في (المنهج السلفي عند الشيخ ناصر الدين الألباني ص : ١٥٠) وهي أن العقيلي ذكر في [الضعفاء الكبير ١/٢٦٣] أن رواية حبيب بن أبي ثابت عن عطاء تكلم فيها يحيى القطان إذ قال : (حبيب بن ثابت عن عطاء ليست بمحفوظة إن كانت محفوظة فقد نزل عنها) وقال العقيلي : (له عن عطاء غير حديث لا يتابع عليه). وقد أجاب أهل العلم عن هذه العلل التي أعل بها الحديث من أعله، فمن أجوبتهم عن العلة الأولى :١- أن مخالفة الثوري لا تضر رواية الأعمش لأن كلا منهما حافظ إمام، وشيخ من شيوخ الإسلام، وثناء العلماء على الأعمش كثيرة جدا حتى قال ابن المديني كما في تهذيب التهذيب (٢/٤٢٤ برقم : ٣٠٤٩) : حفظ العلم على أمة محمد ﷺ ستة : عمرو بن دينار بمكة، والزهري بالمدينة، وأبو إسحاق السبيعي والأعمش بالكوفة، وقتادة ويحيى بن أبي كثير بالبصرة . والأعمش من شيوخ الثوري، ومن كان بهذه المثابة فلا تعلل روايته بمخالفة الثوري؛ لأنه قد حفظ ما لم يحفظه الثوري .٢- عطاء بن أبي رباح إذا أرسل هذا الحديث عن النبي ﷺ، فلا بد أن يكون قد سمعه من أحد، وإذا كان في إحدى الطريقين قد بين أنه أخذه عن ابن عمر كان هذا بيانا وتفسيرا لما تركه وحذفه من الطريق الأخرى و لم يكن هذا اختلافا أصلا . ٣- لو قدر أن عطاء لم يذكره إلا مرسلا، معلوم أن مثل عطاء لو أفتى في مسألة فقه بموجب خبر أرسله لكان ذلك يقتضي ثبوته عنده ، فإذا كان عطاء قد جزم بهذا الخبر العلمي عن النبي ﷺ في مثل هذا الباب العظيم فهل يستجيز ذلك من غير أن يكون ثابتا عنده أو أن يكون قد سمعه من مجهول لا يعرف أو كذاب ؟ ٤- المرسل إذا اعتضد بقول الصحابي احتج به من لا يحتج بالمرسل كالشافعي وغيره، وقد حكي عن بعض الصحابة أنهم تكلموا بمعناه كما في قول ابن عباس – رضي الله عنهما – الذي أخرجه عنه ابن بطة بإسناده كما في المختار من الإبانة (الرد

←

علـى الجهميـة ، ٢١٦/٣ برقم : ١٩١) وقال المحقق : "إسناده ضعيف ". ؛ وذكره ابن قتيبة في تأويل مختلف الحديث (ص : ٢٢١) وشيخ الإسلام ابن تيمية في نقض التأسيس (٦٤/١/٣ ب) وقال في (٦٦/١/٣- أ) : (ثبت عن بعض الصحابة أنهم تكلموا بهذا المعنى) . وأما العلة الثانية : وهي كون الأعمش موصوفا بالتدليس، وقد عـنعن فـلا يضـر ذلك في صحة الإسناد لأنه معدود من أهل المرتبة الثانية من المدلسين الذين قد احتمل الأئمة تدليسهم، وأخرجوا لهم في الصحيح لإمامتهم وقلة تدليسهم بجانب ما رووا . وأما العلة الثالثة، وهي كون حبيب بن أبي ثابت موصوفا بالتدليس، وهو من أهل المرتبة الثالثة، وقد عنعن أيضا فالجواب عن ذلك : ١- قبل بعض أهل العلم عنعنة من كان في المرتبة الثالثة من الموصوفين بالتدليس ومنهم الإمام مسلم، وأخرج لهم في صحيحه محتجا بهم ٢- الظاهر أنه لم يدلس في هذه الرواية لأن سماعه عن ابن عمر ثابت، وكان يروي عنه مباشرة فلو كان قد دلس في هـذا الحديث لكان جديرا أن لا يذكر الواسطة بينه وبين ابن عمر ويروي عنه مباشرة؛ ليحصل له علو الإسناد ولكـن لما رواه عن عطاء عن ابن عمر دل ذلك على أنه لم يدلس في هذه الرواية . ٣- له شاهد من حديث أبي هريرة ﷺ، وسيأتي تخريجه، والحكم عليه . أما العلة الرابعة وهي أن جرير بن عبد الحميد نسب إلى سوء الحفظ في آخر عمره كما قال البيهقي فالظاهر أن الإمام البيهقي حصل منه وهم في ذلك بل الذي اختلط هو جرير بن حازم ولذلـك قال الحافظ ابن حجر في ترجمة جرير بن عبد الحميد (تهذيب التهذيب ٣٧٠/١) : (وقال البيهقي في السـنن نسـب في آخر عمره إلى سوء الحفظ؛ وذكر صاحب الحافل عن أبي حاتم أنه تغير قبل موته بسنة فحجبه أولاده، وهـذا ليس بمستقيم؛ فإن هذا إنما وقع لجرير بن حازم فكأنه اشتبه على صاحب الحافل)، وكذلك يردها تصحيح الأئمة الحديث ومنهم الذهبي نفسه الذي نقل عن البيهقي هذا القول في جرير. وأما العلة الخامسة فالجواب عـنها أن قـول يحيى القطان هذا يحتمل أنه عنى بذلك أحاديث مخصوصة، ومع ذلك لم يجزم جزما قاطعا بأنها غير محفوظـة عن عطاء ثم إن القطان معروف بتشدده في الجرح مع أن عامة الأئمة وثقوه توثيقا مطلقا فالأخذ بقولهم أرجح، ولذلك قال الدكتور صالح بن حامد الرفاعي في (الثقات الذين ضعفوا في بعض شيوخهم ص : ١٥٤) بعد دراسـة وافية : (خلاصة القول : أنه لا ينبغي أن يخدش في توثيق الأئمة المطلق لحبيب بن أبي ثابت بمثل هذا القول المحتمل الذي ذكره القطان) . فيتبين مما سبق أن العلل التي أُعل بها الحديث مندفعة . ثم اتفاق السلف على رواية هذا الخبر ونحوه مثل عطاء بن أبي رباح وحبيب بن أبي ثابت والأعمش والثوري وأصحابهم من غير نكير سمع من أحد لمـثل ذلـك في ذلك العصر الفاضل المشهود له بالخيرية على لسان أصدق البرية، مع كون هذه الروايات في مظنة الشهرة دليل على أن علماء الأمة لم ينكروا إطلاق القول بأن الله خلق آدم على صورة الرحمن بل كانوا متفقين على إطـلاق مثل هذا . ولذلك صحح الحديث جماعة من كبار أهل العلم .قال الإمام أحمد بن حنبل : (هذا الحديث صحيح). انظر : ميزان الاعتدال (٤٢٠/٢ برقم : ٤٣٠١)؛ وفتح الباري (١٨٣/٥) . وقال إسحاق بن راهوية : (صـح عن رسول الله ﷺ أن آدم خلق على صورة الرحمن)، وقال مرة : (صح عن رسول الله ﷺ أنه نطق به)، وقال أيضا : (صحيح ولا يدعه إلا مبتدع أو ضعيف الرأي) . انظر : المختار من الإبانة (الرد على الجهمية، ٢٦٦/٣ برقم : ١٩٧)؛ وميزان الاعتدال (٤٢٠/٢ برقم : ٤٣٠١)؛ وفتح الباري (١٨٣/٥). وقال الحاكم في المستدرك (٢/ ٣١٩) : (هذا حديث صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه). وقد بين شيخ الإسلام ابن تيمية صحة الحدث، ورد على من أعل الحديث بما ذكره ابن خزيمة من العلل، وأجاب عنها بالتفصيل. انظر : نقض تأسيس الجهمية (٣/ ٦٤/١ ب – ٦٦ أ)؛ وعقيدة أهل الإيمان (ص : ٧٣-٧٧) . ووافق الذهبي في تلخيص المستدرك (٣١٩/٢) على تصحيح الحاكم للحديث على شرط الشيخين؛ وقال في سير أعلام النبلاء (٤٥٠/٥ ، ترجمة أبي الزناد) بعد ما ذكر طرق حديث أبي هريرة ﷺ : (وصح أيضا من حديث ابن عمر، وقد قال إسحاق بن راهويه عالم خراسان صـح هـذا عـن رسول الله ﷺ) . وقال الهيثمي في (مجمع الزوائد ١٠٦/٨) : (رواه الطبراني ورجاله رجال الصـحيح غـير إسحاق بن إسماعيل الطالقاني وهو ثقة وفيه ضعف)، وقال في (إتحاف الخيرة المهرة ١٠٥/٤ ، بواسطة محقق بغية الباحث ٨٣١/٢ ح : ٨٧٢) : (هذا الإسناد رواته ثقات) . وقال الحافظ ابن حجر في فتح الـباري (١٨٣/٥) : (أخـرجه ابن أبي عاصم والطبراني من حديث ابن عمر بإسناد رجاله ثقات)، وكذلك صحح الحديث اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء في المملكة، وجماعة من العلماء المعاصرين منهم : الشيخ عبد

وعـــن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : إذا قاتل أحدكم فليجتنب الوجه؛ فإن الله تعالى خلق آدم على صورة وجهه (١).

وعن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : من قاتل فليجتنب الوجه؛ فإن صورة وجه الإنسان على صورة وجه الرحمن .(٢)

إجماع القرون الأولى المفضلة على رجوع الضمير إلى الله :

الـــرزاق عفيفـــي، والشيخ حمود بن عبد الله التويجري، والشيخ حماد بن محمد الأنصاري، والشيخ عبد الله محمد الدويش، والشيخ عبد الله بن محمد الغنيمان ، و الشيخ صالح علي المسند وغيرهم . انظر للتفصيل : فتاوى اللجنة الدائمة (٥٠٤/٣ —٥٠٦)؛ وفتاوى ورسائل سماحة الشيخ عبد الرزاق عفيفي (١٦٠/١)؛ وعقيدة أهل الإيمان في خلق آدم على صورة الرحمن للتويجري (ص : ٢٢-٣٢)، والرد القويم على المجرم الأثيم (ص : ٣٠٥-٣٠٧) له أيضا، ورســالة للشيخ حماد بن محمد الأنصاري بعنوان : " تعريف أهل الإيمان بصحة حديث : إن آدم خلق على صورة الرحمن "؛ ورســالة للشيخ عبد الله محمد الدويش بعنوان : دفاع أهل السنة والإيمان عن حديث خلق آدم على صورة الرحمن؛ وشرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري للغنيمان (٥٠٥/١-٥٠٦)؛ وصفات الله عز وجل للمسند (ص ١٤٤) .

(١) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (٢٢٧/١-٢٢٨ ح : ٥١٦)، قال الشيخ الألباني تعليقا على هذا الحديث : (إسناده صحيح رجاله رجال الشيخين غير شيخ المصنف، وهو ثقة لكني في شك من ثبوت قوله : " على صورة وجهه " فإن المحفوظ في الطرق الصحيحة " على صورته " ثم إن سعيد بن أبي عروبة قد خولف في إسناده أيضا عن قتادة فقال المثنى بن سعيد عن قتادة عن أبي أيوب عن أبي هريرة مرفوعا بلفظ " على صورته) وهذا الكلام فيه نظر، وبيان ذلك من وجوه، وهي كما يلي : ١- صـــحة الإسناد دليل على صحة الحديث إذا خلا متنه من شذوذ وعلة قادحة . والإسناد صحيح كما قال الشيخ نفسه وليس في متنه ما يقدح في الحديث، فيجب الأخذ به والتسليم له .٢- ثناء أئمة الجرح والتعديل على سعيد بن أبي عروبة أكثر بكثير من ثناءهم على المثنى بن سعيد فلا تقابل بينهما و لا سيما رواية ابن أبي عروبة عن قتادة فلا نظير له في ذلك فقد نص ابن أبي خيثمة وأبو داود الطيالسي وأبو زرعة و أبوحاتم وابن معين و ابن عدي و ابن حجر أن سعيدا هذا من أثبت الناس في قتادة وأعـــلمهم بحديثـــه وأحفظهم له؛ فهو المقدم على غيره في الروايه عن قتادة . انظر : تهذيب التهذيب (٣٢٣/٢-٣٢٤)؛ وتقـــريب التهذيب (ص : ٢٣٩ برقم : ٢٣٦٥)؛ و الكاشف (٤٤١/١ برقم : ١٩٣٣) . ٣- مخالفة المثنى بن سعيد لسعيد بن أبي عروبة لا تجعل رواية ابن أبي عروبة — الذي هو من أثبت الناس في قتادة – شاذة، بل كلا اللفظين ثابت وغاية ما يقـــال : أن أحدهما صحيح والآخر أصح .٤- رواية سعيد بن أبي عروبة يؤيدها حديث ابن عمر السابق ذكره وحديث أبي هريرة التالي ذكره . ٥-لا منافاة بين المتن الذي جاء في رواية سعيد بن أبي عروبة عن قتادة وبين المتن الذي جاء في رواية المثنى بن سعيد عن قتادة . بل كل منها مطابق للآخر في الدلالة على أن الله تعالى خلق آدم عليه السلام على صورته تبارك و تعالى، وما جـــاء في روايـــة المثنى بن سعيد وغيره مضمرا جاء في رواية ابن أبي عروبة موضحا، وجاء ذلك في حديث ابن عمر السابق وحديث أبي هريرة اللاحق مصرحا؛ فهذه الروايات توضح بعضها بعضا وتفسرها ولا تناقضها والله أعلم .

(٢) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (٢٣٠/١ ح : ٥٢١)؛ وعبد الله بن الإمام أحمد في السنة (٥٣٦/٢ ح : ١٢٤٣)؛ وابن بطـــة كما في المختار من الإبانة (الرد على الجهمية ، ٢٦٠/٣ ح : ١٨٩) كلهم من طريق ابن لهيعة عن أبي يونس مولى أبي هريـــرة عن أبي هريرة مرفوعا، ورجال الإسناد كلهم ثقات ما عدا ابن لهيعة؛ فقد تكلم فيه الأئمة؛ فمنهم من ضعفه، ومنهم من وثقه، ويبدو لي من خلال النظر في أقوالهم أنه أقرب إلى الصدوق، وحديثه هذا حسن لشهادة حديث ابن عمر السابق له ولمتابعة رواية سعيد بن أبي عروبة له متابعة قاصرة بلفظ : " على صورة وجهه " ثم إنه لم يخالف غيره من الثقات؛ فالحديث حسن إن شاء الله وقد حسنه الشيخ حمود التويجري في " عقيدة أهل الإيمان ... " (ص : ٢٧)، وكذلك حسن إسناده الشيخ عبد الله الغنيمان في شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري (٥٠٦/١)؛ والشيخ صالح المسند في صفات الله عز و جل (ص : ١٤٥) .

قـــال شـــيخ الإســـلام ابن تيمية : هذا الحديث مستفيض من طرق متعددة عن عدد من الصـــحابة، ولم يكـــن بين السلف من القرون الثلاثة نزاع في أن الضمير عائد إلى الله، وسياق الأحاديث كلها تدل على ذلك ... وقد اتفقت الأمة على تصديقه وتبليغه ...ولكن لما انتشرت الجهمية في المائة الثالثة جعل طائفة الضمير فيه عائدا إلى غير الله تعالى حتى نقل ذلك عن طائفة مـــن العلماء المعروفين بالعلم والسنة كأبي ثور وابن خزيمة وأبي الشيخ الأصبهاني [١] وغيرهم، ولذلك أنكر عليهم أئمة الدين وغيرهم من علماء السنة . أهـــ بتصرف واختصار [٢] .

والقول بأن الله خلق آدم على صورة الرحمن هو قول أهل السنة والجماعة [٣] .

فقد ذكر الإمام أحمد هذا القول فيما أملاه على بعض أصحابه من أقوال أهل السنة و الجماعة، قال محمد بن عوف [٤] : (أملى علي أحمد بن حنبل [فذكر جملة من المسائل التي أملاها عليه مما يعتقده أهل السنة و الجماعة، ومنها] أن آدم عليه السلام خلق على صورة الرحمن كما جاء الخبر عن رسول الله ﷺ رواه ابن عمر عن رسول الله ﷺ) [٥] .

النقطة الثالثة : الأقوال في بيان معنى خلق الله تعالى آدم عليه السلام على صورة الرحمن .

ســـبق البيان بأن الضمير عائد إلى الله تعالى، وأن آدم عليه السلام خلق على صورة الرحمن جل جلاله، فما معنى الصورة في الحديث ؟ وما نوع إضافة هذه الصورة إلى الله تعالى ؟ وما المراد بخلق آدم على صورة الرحمن ؟ فالأقوال في بيان معنى الحديث وتحديد المراد منه مختلفة، وهي كما يلي ذكرها، وبيان الصواب منها والله الموفق .

القول الأول : إن إضافة الصورة إلى الرحمن في هذا الحديث إنما هو من إضافة الخلق إلى الخـــالق؛ لأن الخـــلق يضـــاف إلى الرحمن؛ إذ الله خلقه، فكذلك الصورة تضاف إلى

---

(١) عـــبد الله بـــن محمد بن جعفر، المعروف بأبي الشيخ الأصبهاني، قال عنه الذهبي : كان أبو الشيخ من العلماء العاملين، صاحب سنة واتباع لولا ما يملأ تصانيفه بالواهيات، توفي سنة ٣٦٩هـــ . انظر : سير أعلام النبلاء (٢٧٦/١٦- ٢٨٠) .

(٢) انظر : نقض التأسيس (٥٧/١/٣ ب)؛ وعقيدة أهل الإيمان ...(ص : ٥ و ٥٤-٥٥) .

(٣) انظر : الدرر السنية في الأجوبة النجدية (٢٦٠/٣-٢٦٤)؛ ومجموعة الرسائل والمسائل المنيرية (٢٢١/٢-٢٢٣)؛ وعقيـــدة أهـــل الإيمـــان في خلق آدم على صورة الرحمن (ص : ١٩)؛ وفتاوى ورسائل سماحة الشيخ عبد الرزاق عفيفي (١٦٠/١)؛ وفتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء (٥٠٦/٣ برقم : ٢٣٣١) .

(٤) محمـــد بن عوف بن سفيان الطائي، قال عنه الذهبي : الأمام الحافظ المجود محدث حمص، سمع منه الإمام أحمد حديثا واحدا، توفي سنة ٢٧٢هـــ . انظر : سير أعلام النبلاء (٦١٣/١٢-٦١٦) .

(٥) طبقات الحنابلة (ترجمة أبي جعفر محمد بن عوف بن عثمان الطائي، ٣١٣/١ برقم : ٤٣٦) .

الرحمن؛ لأن الله صورها .

قال به ابن خزيمة [1] إن صح الخبر مسندا – وهو صحيح كما تقدم – وتبعه في ذلك الرازي [2]، وكذلك قال به ابن حزم [3].

وهذا الكلام فيه نظر من وجوه :

١- أن الأعيان القائمة بنفسها كالناقة والبيت والأرض إذا أضيفت إلى الله سبحانه وتعالى علم أنها إضافة خلق إلى خالقه ومملوك إلى مالكه؛ لأن الأعيان القائمة بنفسها لا تكون قائمة بذات الله تعالى باتفاق العقلاء، وأما الصفات التي لا تقوم بنفسها كالعلم والقدرة والكلام إذا أضيفت إلى الله تعالى علم أنها أضيفت إلى موصوفها التي هي قائمة به. والصورة قائمة بالشيء المصور، وليست قائمة بنفسها، فصورة الله لوجهه مثل كلامه وقدرته وعلمه؛ فهي من صفاته قائمة بذاته تعالى؛ فلا يصح أن يقال أنها مضافة إلى الله من باب إضافة الخلق إلى الخالق، بل هي من إضافة الصفة إلى الموصوف؛ لأنها ليست من الأعيان القائمة بنفسها، وما كان من صفاته تعالى فهو غير مخلوق [4].

٢- أن الأعيان المضافة إلى الله لا تضاف إليه لعموم كونها مخلوقة ومملوكة له سبحانه وتعالى؛ لأن ذلك يوجب إضافة جميع الأعيان إلى الله تعالى لاشتراكها في الخلق والملك، فلو كان إضافة ناقة صالح عليه السلام إلى الله بمعنى أن الله خلقها وهي ملكه لوجب أن تضاف سائر النوق إلى الله بهذا المعنى فلا يكون حينئذ لها اختصاص بالإضافة، وإذا كان كذلك فالصورة المخلوقة هي مشاركة لجميع الصور في كونها مخلوقة لله فما الموجب لتخصيصها بالإضافة إلى الله [5].

٣- قال النبي ﷺ : ((إذا قاتل أحدكم فليجتنب الوجه فإن الله خلق آدم على صورته)) [6] فلو كانت الإضافة إضافة خلق وملك لوجب أن لا يضرب شيء من الأعضاء؛ لأن إضافته إلى خلق الله وملكه كإضافة الوجه سواء [7].

---

(١) انظر : التوحيد (٨٨/١-٩٢) .

(٢) انظر : أساس التقديس (ص : ١١٥) .

(٣) انظر : الفصل في الملل والأهواء والنحل (١٢٨/٢) .

(٤) انظر : نقض التأسيس (٧٦/١/٣ ب)؛ وعقيدة أهل الإيمان ...(ص : ٩٤-٩٥) .

(٥) انظر : نقض التأسيس (٧٦/١/٣ ب – ٧٧ أ)؛ وعقيدة أهل الإيمان ...(ص : ٩٥-٩٦).

(٦) حديث صحيح، أخرجه مسلم، وقد سبق تخريجه في (ص : ١٦٦) .

(٧)انظر : نقض التأسيس (٧٧/١/٣ أ)؛ وعقيدة أهل الإيمان ...(ص : ٩٦-٩٧) .

٤- أن جميع ما يضرب ويشتم من الموجودات هو من مخلوق الله، فلو كانت إضافة صورة الوجه إلى الله إضافة خلق وملك، لوجب أن لا يضرب أي مخلوق، ولا يشتم أي مخلوق [(١)].

٥- أن الله خلق آدم عليه السلام، وهذا من أظهر العلوم عند العامة والخاصة ، فإذا لم يكن في قوله : ((على صورته)) معنى إلا أنها الصورة التي خلقها وهي ملكه لكان قوله : ((خلق آدم)) كافيا إذ ((خلق آدم)) و ((خلق آدم على صورته)) سواء على هذا التقدير، ومثل هذا الكلام لا يضاف إلى أدنى الناس فضلا أن يضاف إلى النبي ﷺ [(٢)].

القول الثاني : المراد من الصورة الصفة والمعنى أن الله تعالى خلق آدم عليه السلام من أول الأمر كاملا تاما في علمه وقدرته، فامتاز آدم عن سائر الأشخاص والأجسام بكونه عالما بالمعقولات قادرا على استنباط الحرف والصناعات، وهذه صفات شريفة مناسبة لصفات الله من بعض الوجوه، فصح قوله : ((إن الله خلق آدم على صورته)) على هذا التأويل . هذا القول ذهب إليه الرازي [(٣)].

وقريب منه قول الحافظ ابن حجر : (وقيل : الضمير لله، وتمسك قائل ذلك بما ورد في بعض طرق هذا الحديث : ((على صورة الرحمن))، والمراد بالصورة الصفة، والمعنى أن الله خلقه على صفته من العلم والحياة والسمع والبصر وغير ذلك، و إن كانت صفات الله تعالى لا يشبهها شيء) [(٤)].

هذا القول فيه نظر وبيان ذلك من وجوه، وهي كما يلي :

١- الصورة هي الصورة الموجودة في الخارج، ولفظ : " صور " يدل على ذلك، وما من موجود من الموجودات إلا له صورة في الخارج . وأما الصفة فهي في الأصل مصدر وصفت الشيء أصفه وصفا وصفة، ثم يسمون المفعول باسم المصدر؛ فيقولون لما يوصف به من المعاني صفة.

فحيث دل لفظ الصورة على صفة قائمة بالموصوف، أو على صفة قائمة بالذهن واللسان، فلا بد مع ذلك أن يدل على صورة في الخارج . أما الصفة فقد يكون لها صورة خارجية وقد لا تكون لها صورة خارجية بل تكون مقصورة على معنى قائم بغيره .

فتفسير لفظ الصورة بمجرد الصفة التي تقوم بالأعيان كالعلم والقدرة، دون وجود صورة له في الخارج قصر له على بعض معانيه من غير دليل؛ فإنه لا يوجد في الكلام أن

---

(١) انظر : نقض التأسيس (٣/١/٧٧ ب)؛ وعقيدة أهل الإيمان ...(ص : ٩٧) .
(٢) انظر : نقض التأسيس (٣/١/٧٧ ب)؛ وعقيدة أهل الإيمان ...(ص : ٩٨) .
(٣) انظر : أساس التقديس (ص : ١١٤-١١٥) .
(٤) فتح الباري (١١/٣) .

قـــول القائل – مثلا – : صورة فلان، يراد بها مجرد الصفات القائمة به من العلم والقدرة ونحو ذلك بل هذا من البهتان على اللغة وأهلها (1).

٢- أن قولـــــه : إن آدمعليه السلام امتاز عن سائر الأشخاص والأجسام بالعلم والقدرة، إن أراد بـــه امتيازه على بنيه، فليس كذلك، وإن أراد امتيازه عن الملائكة والجن، فهو لم يتميز بنفس العلم، والقدرة، فإن الملائكة قد تعلم ما لا يعلمه آدمعليه السلام، كما أنها تقدر ما لا يقدر عليه، وإن كان علمه الله ما لم تكن الملائكة تعلمه .

فقد ثبت باتفاق الطوائف، أن آدم لم يخلق على صفة من العلم والقدرة امتاز بها عن سائر الأشخاص والأجسام، بل فيها من كان امتيازه عن آدم بالعلم و القدرة أكثر (2).

٣- لم يخـــلق الله تعالى آدم عليه السلام كاملا في صفاته التي ذكروها من ابتداء خلقه، بل بعـــد أن خـــلقه الله تعالى علمه الأسماء التي لم يكن بها عالما، كما علم بنيه البيان بعد أن خلقهم، وكذلك لقنه كلماته وعلمه التوبة والإنابة إلى ربه، وكان ذلك بعد معصيته لربه بـــالأكل من الشجرة الممنوعة، فكيف يصح أن يقال أن الله خلق آدم عليه السلام من أول الأمر كـــاملا تاما في علمه و قدرته ... بل هذا المعنى الذي ذهبوا إليه مخالف لنصوص الشرع، وما خالف النصوص الشرعية؛ فهو باطل قطعا (3).

٤- أن هـــذا المعنى الذي ذكروه وإن كان ثابتا في نفسه، ويمكن أن يكون الحديث دالا عليه باللزوم والتضمن ولكن قصر الحديث عليه باطل قطعا (4).

٥- أن الأدلة الشرعية والعقلية التي يثبت بها تلك الصفات يثبت بنظيرها هذه الصورة؛ فـــإن وجـــود ذات مجردة عن الصفات ممتنع في العقل، وثبوت الصفات الكمالية لله تعالى معلوم بالشرع والعقل، وكذلك ثبوت ذات لا تشبه الموجودات بوجه من الوجوه ممتنع في العقـــل، وثبوت المشابهة من بعض الوجوه في الأمور الكمالية معلوم بالشرع والعقل، وكما

---

(1) انظر : نقض التأسيس (٦٧/١/٣ أ – ب ، ٦٨ أ ، ٦٩ أ)؛ وعقيدة أهل الإيمان (ص : ٨١-٨٣ ، ٨٦)، هـــذا الفرق الذي ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية مطابق لما ذكره أهل اللغة . انظر : تهذيب اللغة (٢٤٨/١٢)؛ والفـــروق في الـــلغة (ص : ٢٣)؛ والقاموس المحيط (٧٥/٢ ، صور و ٢١١/٣ ، وصف)؛ ولسان العرب (٤٣٨/٧، صور و١٥/٢١٦ ، وصف)؛ والمعجم الوسيط (١٠٣٦/٢، وصف) .

(2) انظر : نقض التأسيس (٦٩/١/٣ أ)؛ وعقيدة أهل الإيمان ...(ص : ٨٦-٨٧) .

(3) انظر : نقض التأسيس (٦٨/١/٣ أ)؛ وعقيدة أهل الإيمان ...(ص : ٨٣) .

(4) انظر : نقض التأسيس (٧٦/١/٣ ب)؛ وعقيدة أهل الإيمان ... (ص : ٩١) .

أنــه لا بــد لكل موجود من صفـــات تقوم به فلا بد لكل موجود قائم بنفسه من صورة يكون عليها، و يمتنع أن يكون في الوجود قائم بنفسه ليس له صورة يقوم عليها [(١)].

٦- المحذور الذي فروا منه وأولوا الحديث على أن الصورة بمعنى الصفة يلزمهم فيما أثبتوه نظير ما فروا منه، و ذلك أن كون الإنسان على صورة الله التي هي صفته فيه نوع من المشابهة، كما أنه إذا أقر الحديث كما جاء فيه نوع من المشابهة، غايته أن يقال المشابهة هــنا أكــثر، لكــن مسمى نوع من التشبيه لازم على التقديرين، والتشبيه المنفي بالنص والإجمـــاع والأدلـــة العقلية الصحيحة منتف على كلا التقديرين، وإذا كان كذلك كان الأخذ بمقتضى الحديث ومفهومه أولى من تركه أو تأويله [(٢)].

٧- قـــال النبي ﷺ : ((إذا قاتل أحدكم أو ضرب أحدكم فليجتنب الوجه فإن الله خـــلق آدم على صورته)) [(٣)] فنهى رسول الله ﷺ عن ضرب الوجه؛ لأن الله تعالى خلق آدم عليه السلام عـــلى صورته، فلو كان المراد مجرد خلقه عالما قادرا ونحو ذلك لم يكن للوجه بذلك اختصاص بل لا بد أن يريد الصورة التي يدخل فيها الوجه [(٤)].

٨- اتفق سلف الأمة وأئمتها على إثبات صفة الصورة لله تعالى كما يليق بجلال الله وعظمـــته [(٥)]، فقد قد جاء في كثير من الأحاديث النبوية ما يد ل على ثبوت هذه الصفة لله تعالى غير ما تقدم، منها ما يلي :

حديث أبي هريرة رضي الله عنه الطويل في رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة، وفيه : ((...فيأتيهم الله، فيقول : أنا ربكم، فيقولون : هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا، فإذا جاءنا ربنا عرفناه، فيأتيهم الله في صورته التي يعرفون، فيقول : أنا ربكم. فيقولون : أنت ربنا؛ فيتبعونه ...))الحديث [(٦)].

وكذلـــك حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه الطويل وفيه ((... فيأتيهم الجبار في صورة غير

---

(١)انظر : نقض التأسيس (٧٥/١/٣ ب)؛ وعقيدة أهل الإيمان ...(ص : ٩١) .

(٢)انظر : نقض التأسيس (٧٤/١/٣ ب — ٧٥ أ)؛ وعقيدة أهل الإيمان ...(ص : ٩٠) .

(٣) حديث صحيح أخرجه مسلم، وقد سبق تخريجه في (ص : ١٦٦) .

(٤) انظر : نقض التأسيس (٦٨/١/٣ ب)؛ وعقيدة أهل الإيمان ...(ص : ٨٨) .

(٥) انظر : نقض التأسيس (٧٦/١/٣ ب)؛ وعقيدة أهل الإيمان ...(ص : ٩١) .

(٦) أخـــرجه خ (الـــتوحيد، ب : قول الله تعالى : ﴿ وجوه يومئذ ناضرة* إلى ربها ناظرة ﴾ [القيامة : ٢٢-٢٣] ٦/ ٢٧٠٤ ح : ٧٠٠٠)؛ و م (الإيمان، ب : معرفة طريق الرؤية ١٦٣/١ ح : ١٨٢) .

صورته التي رأوه فيها أول مرة، فيقـول : أنا ربكم، فيقـولون : أنت ربنا ...)) الحديث [١].

وحديث معاذ بن جبل ﷺ في اختصام الملأ الأعلى، وفيه : ((...صليت ما قدر لي فنعست في صلاتي، فاستثقلت، فإذا أنا بربي في أحسن صورة، فقال : يا محمد! قلت : رب لبيك، قال : فيم يختصم الملأ الأعلى ؟ ...)) الحديث[٢].

القول الثالث : (ليس الإنسان [٣]عبارة عن هذه البنية، بل هو موجود، ليس بجسم، ولا بجسماني، ولا تعلق له بهذا البدن إلا على سبيل التدبير أو التصرف، فقوله عليه السلام : ((إن الله خلق آدم على صورته)) ؛ أي : أن نسبة ذات آدم عليه السلام إلى هذا البدن، كنسبة الباري إلى العالم، من حيث أن كلا منهما غير حال في هذا الجسم، وإن كان مؤثرا فيه بالتصرف والتدبير)، قاله الرازي، وعزاه إلى الغزالي [٤].

وهذا القول أفسد من القولين السابقين، وبيان فساده وبطلانه من وجوه، وهي كما يلي :

١- إن غاية هذا القول أن الله تعالى خلق آدم عليه السلام على بعض صفاته، وهي صفة التدبير للخلق من غير حلول فيه، وهذا دون قول من يقول أن الله خلقه على بعض صفاته من الحياة والعلم والقدرة وما إلى ذلك، وقد تقدم بطلان قول من حمل لفظ الصورة على هذه الصفات بما فيه كفاية، و ذلك كله دليل على بطلان هذا القول من باب أولى [٥].

٢- إن دعواهم أن الروح ليست بجسم، وأنها لا تكون في البدن خلاف لما نطقت

---

(١) أخرجه خ (التوحيد، ب : قول الله تعالى : ﴿ وجوه يومئذ ناضرة * إلى ربها ناظرة ﴾ [القيامة : ٢٢-٢٣] ٢٧٠٦/٦ ح : ٧٠٠١)؛ و م (الإيمان، ب : معرفة طريق الرؤية /١٦٧ ح : ١٨٢) .

(٢) أخرجه ت (أبواب التفسير عن رسول الله ﷺ، سورة : ص ٣٦٨/٥ ح : ٣٢٣٥)؛ وحم (٤٢٢/٣٦-٤٢٣ ح : ٢٢١٠٩)؛ وابن خزيمة في التوحيد (٥٤٠/١-٥٤١)، قال الترمذي : (هذا حديث حسن صحيح، وسألت محمد بن إسماعيل عن هذا الحديث فقال : هذا صحيح)؛ وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٣١٨/٣-٣١٩ ح : ٣٢٣٥).

(٣) مراد الغزالي بالإنسان هنا روح الإنسان، وهو في هذا القول تابع لقول الصابئة المتفلسفة الذين يزعمون : أن الروح ليست بجسم، ولا يشار إليها، ولا تختص بمكان دون مكان، ولكنها مدبرة للجسم كما أن الرب مدبر للعالم . انظر : ما ذكره في ذلك شيخ الإسلام في نقض التأسيس (٧٨/١/٣ أ)، وما نقله عنه التويجري في عقيدة أهل الإيمان ... (ص : ٩٩)، وما قاله محقق كتاب الرازي " أساس التقديس " (ص : ١٦٦) .

(٤) أساس التقديس (ص : ١١٦)، والغزالي هو أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسي الغزالي، من كبار متكلمي الأشعرية، وفي الأخير مال إلى طريقة أهل الحديث، فمات وهو يشتغل بالبخاري ومسلم، كانت وفاته سنة ٥٠٥هـ . انظر : مجموع فتاوي شيخ الإسلام ابن تيمية (٧٢/٤)؛ والصفدية له (٢١٢/١)؛ وسير أعلام النبلاء (٣٢٢/١٩-٣٤٦)؛ ومنهج أهل السنة والجماعة ومنهج الأشاعرة في توحيد الله تعالى (٦٧٦/٢-٦٨٢) .

(٥) انظر : نقض التأسيس (٧٩/١/٣ ب)؛ وعقيدة أهل الإيمان ...(ص : ١٠٢-١٠٣) .

به نصوص الكتاب و السنة، وهو خلاف لما يعرفه ويحسه بنو آدم، لا سيما حين الموت إذا أحسـوا بـنزع الروح من الجسد، وأنها تخرج من جميع أعضاء البدن، وقد تقدم بيان ما توصف به الروح من الدخول والخروج والصعود والهبوط والقبض والإرسال وغيرها من الصفات في ضوء الكتاب والسنة [1]، وهي صفات لا تقوم إلا في الجسم، فقول القائل : ليست بجسم، وليست في البدن مضادة لقول الله وقول رسوله ﷺ [2].

٣ - قـال الله تعـالى : ﴿ فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين ﴾ [3] فأخبر سبحانه أنه نفخ فيه من روحه فكيف يجوز أن يقال إن الروح ليست فيه [4].

٤- قال النبي ﷺ : ((خلق الله عز وجل آدم على صورته طوله ستون ذراعا)) فهذا صريح في أن آدم عليه السلام كان طوله ستين ذراعا، وهذا نص في البدن فكيف يجوز أن يقال إن البدن ليس داخلا في الحديث، وإنما المراد الروح فقط [5].

٥- أن مـن ألفـاظ الحديث : ((إذا ضرب أحدكم فليجتنب الوجه فإن الله خلق آدم على صورته)) فنهى رسول الله ﷺ عن ضرب الوجه، وهو جزء من أجزاء البدن، ولو كان المـراد الروح فقط لما نهى عن ضرب الوجه، فإنه من البدن بل لقال : لا تقبحوا الروح، ولا تسبوها، أو لا تغموا الآدمي، أو لا تحزنوه، أو لا تضيقوا صدره؛ فإن الله خلقه على صورته، فيكون النهي عن تعذيب الروح المشابهة للرب من الوجه الذي ذكره فيما زعم [6].

٦- من جعل نسبة روح آدم عليه السلام إلى جسده كنسبة الباري إلى العالم لزمه أن يجعل الباري روح العالم، وفساده من أظهر الأمور [7].

٧- أن اسـم آدم يتـناول البدن كتناوله الروح، وهذا معلوم بالاضطرار من كلام الله وكلام رسوله؛ فمن زعم أن قوله ﷺ : ((خلق الله عز وجل آدم على صورته)) لا يتناول إلا روح آدم دون جسده، فإن بطلان قوله معلوم بالاضطرار، وإنما يقال هذا في مثل قوله في حديث المعراج : أنه رأي في

---

(١) انظر : (ص :١٣٣-١٣٥) .
(٢)انظر : نقض التأسيس (٣/١/٨٠ ب – ٨١ أ)؛ وعقيدة أهل الإيمان ...(ص : ١٠٦-١٠٧) .
(٣) الحجر الآية : ٢٩ و ص الآية : ٧٢
(٤)انظر : نقض التأسيس (٣/١/٨١ أ)؛ وعقيدة أهل الإيمان ...(ص : ١٠٧) .
(٥)انظر : نقض التأسيس (٣/١/٧٩ أ – ب)؛ وعقيدة أهل الإيمان ...(ص : ١٠١) .
(٦)انظر : نقض التأسيس (٣/١/٧٩ أ)؛ وعقيدة أهل الإيمان ...(ص :٩٩-١٠٠) .
(٧)انظر : نقض التأسيس (٣/١/٨١ ب)؛ وعقيدة أهل الإيمان ...(ص : ١٠٨) .

السماء آدم وإبراهيم ونحوهم فإنه في مثله يقال هي الأرواح للعلم بأن أجسادهم في قبورهم [1].

١٠-أن إطـــلاق لفظ الصورة على مجرد كونه مدبرا للعالم من غير حلول فيه أمر لا يدل عليه اللفظ بوجه من الوجوه [2].

القـــول الـــرابع : خلق الله آدم على صورته؛ أي : على صورة العالم؛ فإن الإنسان على صورة العالم، وهو على صورة الله . تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا .

ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية [3] عن طائفة من الاتحادية [4].

هذا القول باطل و بيان بطلانه من وجوه، وهي كما يلي :

١- قـــول الـــنبي ﷺ : ((إذا قاتل أحدكم فليجتنب الوجه فإن الله خلق آدم على صورته)) يقتضـــي أن خـــلقه على صورة الرحمن هو المانع من ضربه، وكونه على صورة العالم لا يمنع ضربه وقتاله؛ فإن العالم بنفسه مشتمل على النعيم والعذاب، وعلى ما ينعم ويعذب، وعلى البر والفاجر [5].

٢- أن خلقه على نسخة العالم ليس له اختصاص بالوجه بل هو شامل لروحه وسائر أعضائه، فينبغي أن يكون النهي عن الضرب لسائر أعضائه ونفسه، أو لا ينهى عن ضرب شيء منها، وكلاهما باطل [6].

٣- أن تسمية العالم صورة الله أمر باطل لا أصل له في اللغة، بل العالم مخلوق الله ومملوكه [7].

٤- أن هذا القول يتضمن أن إضافة الصورة إليه إضافة خلق وملك لا إضافة ذاتية، وقد تقدمت الوجوه الدالة على بطلانه، فهي تبطل هذا التأويل أيضا [8].

٥- أن كـــون الإنســـان مشـــابها للعالم ليس بأعظم من مشابهة بعض الناس لبعض

---

(١) انظر : نقض التأسيس (٧٩/١/٣ ب)؛ وعقيدة أهل الإيمان ...(ص : ١٠١-١٠٢) .

(٢) انظر : نقض التأسيس (٧٩/١/٣ ب)؛ وعقيدة أهل الإيمان ...(ص : ١٠١-١٠٢) .

(٣) انظر : نقض التأسيس (٨٢/١/٣ ب و ٨٣ ب)؛ وعقيدة أهل الإيمان ... (ص : ١١٠و١١٤) .

(٤) وهو كما قال . انظر : فصوص الحكم (ص : ٤٨-٤٩) ؛ ومصرع التصوف (ص : ٣٩-٤٠) سأكتفي هنا بذكر ما يتعلق بحديث الصورة، وستأتي وجوه أخرى تدل على بطلان هذا القول عند بيان مفهوم الخلافة عند أهل وحدة الوجود والرد عليه . انظر : (ص : ٦٧١-٦٧٥) .

(٥) انظر : نقض التأسيس (٨٣/١/٣ ب)؛ وعقيدة أهل الإيمان ...(ص : ١١٤) .

(٦) انظر: نقض التأسيس (٨٣/١/٣ ب)؛ وعقيدة أهل الإيمان ...(ص : ١١٤) .

(٧) انظر : نقض التأسيس (٨٤/١/٣ أ)؛ وعقيدة أهل الإيمان ...(ص : ١١٤) .

(٨) انظر : نقض التأسيس (٨٤/١/٣ أ)؛ وعقيدة أهل الإيمان ...(ص : ١١٤- ١١٥) .

كمشابهة الرجل لأبيه، ومعلوم أن مشابهة بعض الآدميين لبعض ليس مقتضيا لذم، ولا مدح، ولا مانعا من العقاب، بل هو سبحانه يخرج الحي من الميت، ويخرج الميت من الحي [1].

٦- جـــاء مرويا عن النبي ﷺ من غير وجه بلفظ : ((على صورة الرحمن)) وهذا يمنع أن يكون المراد جميع أعضاء الإنسان وروحه [2].

٧- ومن ألفاظ الحديث أن النبي ﷺ قال : ((لا تقبحوا الوجه فإن الله خلق آدم على صـــورته)) ، وقال : ((إذا قاتل أحدكم فليجتنب الوجه فإن الله خلق آدم على صورته)) فنهى عن ضرب الوجه وتقبيحه لكون آدم عليه السلام مخلوقا على صورة الله، وهؤلاء يزعمون أن وجود كل موجود هو عين وجود الرب، فكل تقبيح ولعن وشتم وذم وضرب وإهانة في العالم هو واقع على الرب في زعمهم، كما يقع عليه كل مدح ودعاء وحمد، وهو عند هم الداعي والمدعو له، والمصلي والمصلى له، واللاعن والملعون، والشاتم والمشتوم، والقاتل والمقتول والناكح والمنكوح، فلا يتصور عندهم أن يختص شيء بعينه عن التقبيح والضرب لكونه على صورة الله؛ إذ ليس في الوجود شيء إلا وهو على صورة الله عندهم [3].

٨- يمتنع على أصلهم وهو القول بوحدة الوجود أن يكون آدم مخلوقا على صورة الله؛ إذ على أصلهم ليس في الوجود شيئان أحدهما خالق والآخر مخلوق بل الخالق هو المخلوق [4].

القـــول الخـــامس : إن الله سبحانه وتعالى خلق آدم عليه السلام على صورته؛ أي : على صـــورة الـــرحمن، فالصورة صفة من صفات الله الذاتية على الوجه اللائق بجلاله وعظمته وكـــبريائه، وحكمهـــا كسائر الصفات الثابتة لله تعالى بالكتاب والسنة كالعلم والقدرة والـــرحمة والســـمع والبصـــر ...فهي من الصفات التي يوصف بها الخالق، ويوصف بها المخلوق؛ فإذا أطلقت هذه الصفة و لم تقيد كان مشتركا بين الخالق والمخلوق، فإذا قيدت وأضـــيفت إلى المخـــلوق كـــان له بما يناسب حاله من الضعف والفقر والحاجة ...وإذا أضـــيفت إلى الله ســـبحانه وتعالى كان له بما يناسب عظمته وجلاله وغناه وكبرياءه ... فالنصوص الدالة على ثبوت هذه الصفة لله تعالى نمرها كما جاءت، ونؤمن بثبوتها لله تعالى

---

(١)انظر : نقض التأسيس (٨٤/١/٣ أ)؛ وعقيدة أهل الإيمان ...(ص : ١١٥) .
(٢)انظر : نقض التأسيس (٨٤/١/٣ أ)؛ وعقيدة أهل الإيمان ...(ص : ١١٦) .
(٣) انظر : نقض التأسيس ...(٨٨/١/٣ أ)؛ وعقيدة أهل الإيمان ...(ص : ١٢٥-١٢٦) .
(٤) انظر : نقض التأسيس ...(٨٨/١/٣ أ)؛ وعقيدة أهل الإيمان ...(ص : ١٢٥) .

كما يليق بجلاله وعظمته، إثباتا بلا تمثيل وتتريها بلا تعطيل، ولا نفسره بكيفية أو حد .

قـــال الإمام أحمد بن حنبل – وقد سئل عن حديث النبي ﷺ : ((خلق الله آدم على صورته)) : (لا نفسره، ما لنا أن نفسره، كما جاء في الحديث) [1].

وقـــال ابن قتيبة : (فإن صحت رواية ابن عمر – رضي الله عنهما – عن النبي ﷺ بذلـــك [أي: ((على صورة الرحمن))] فهو كما قال رسول الله ﷺ، فلا تأويل، ولا تـــنازع فيـــه ...والـــذي عندي – و الله أعلم – أن الصورة ليست بأعجب من اليدين والأصابع والعين، وإنما وقع الإلف لتلك لمجيئها في القرآن، ووقعت الوحشة من هذه؛ لأنها لم تأت في القرآن، ونحن نؤمن بالجميع، ولا نقول في شيء منه بكيفية ولا حد) [2].

وقـــال الآجري : (باب الإيمان بأن الله – عز وجل – خلق آدم على صورته، بلا كيـــف) ثم ذكر حديث أبي هريرة من عدة طرق وحديث ابن عمر وكلها بأسانيده ثم قال : (هذه من السنن التي يجب على المسلمين الإيمان بها، ولا يقال فيها : كيف ؟ و لم ؟ بل تستقبل بالتسليم والتصديق، وترك النظر كما قال من تقدم من أئمة المسلمين)[3].

وقـــال أيضا : (سمعت أبا عبد الله الزبيري [4]-رحمه الله – وقد سئل عن معنى هذا الحديث فذكر مثل ما قيل فيه ثم قال أبو عبد الله : " نؤمن بهذه الأخبار التي جاءت كما جـــاءت، ونؤمن بها إيمانا، ولا نقول : كيف، ولكن ننتهي في ذلك إلى حيث انتُهِيَ بنا، فنقول من ذلك ما جاءت به الأخبار كما جاءت ") [5].

وقال ابن بطة : (باب الإيمان بأن الله – عز و جل – خلق آدم على صورته بلا كيف) ثم قال : (وكل ما جاء من هذه الأحاديث، وصحت عن رسول الله ﷺ، ففرض على المسلمين قبولها، والتصديق بها، والتسليم لها، وترك الاعتراض عليها، وواجب على من قبلها، وصدق بها أن لا يضـــرب لها المقاييس، ولا يتحمل لها المعاني والتفاسير؛ لكن تمر على ما جاءت، ولا يقال فيها : لم ؟ ولا كيف؟ إيمانا بها وتصديقا، ونقف من لفظها وروايتها حيث وقف أئمتنا وشيوخنا،

---

(١) ذكره عنه الشيخ محمود التويجري وعزاه إلى الخلال . انظر : عقيدة أهل الإيمان في .. (ص :٢٤-٢٥) .

(٢) تأويل مختلف الحديث (ص : ٢٢٠-٢٢١) .

(٣) الشريعة (٣/١١٤٧-١١٥٣) .

(٤) لم أتمكن من معرفته .

(٥) الشريعة (٣/١١٥٥) .

ونتهي منها حيث انتهي بنا، كما قال المصطفى نبينا ﷺ، بلا معارضة، ولا تكذيب، ولا تنقير، ولا تفتيش، و الله الموفق، وهو حسبنا ونعم الوكيل . فإن الذين نقلوها إلينا هم الذين نقلوا إلينا القــرآن وأصل الشريعة؛ فالطعن عليهم، والرد لما نقلوه من هذه الأحاديث طعن في الدين، ورد لشريعة المسلمين، ومن فعل ذلك، فالله حسيبه، والمتنقم منه بما هو أهله) [(١)].

وقــال ابن عبد البر : (الذي عليه أهل السنة وأئمة الفقه والأثر في هذه المسألة وما أشبهها : الإيمان بما جاء عن النبي ﷺ فيها، والتصديق بذلك، وترك التحديد والكيفية في شيء منه) [(٢)].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : (لفظ الصورة في الحديث كسائر ما وردمن الأسماء والصفات، التي قد يسمى المخلوق بها، على وجه التقييد، وإذا أطلقت على الله اختصت به، مثل العليم، والقدير، والرحيم، والسميع، والبصير، ومثل خلقه بيديه، واستوائه على العرش، ونحو ذلك) [(٣)].

وقال الذهبي بعد ما ذكر صحة حديث أبي هريرة وابن عمر – رضي الله عنهم – : (أما معــنى حديث الصورة فنرد علمه إلى الله ورسوله، ونسكت كما سكت السلف، مع الجزم بأن الله ليس كمثله شيء) [(٤)] و قال أيضا : (فنؤمن به، ونفوض، [أي : نمره كما جاء] ونسلم، ولا نخوض فيما لا يعنينا، مع علمنا بأن الله ليس كمثله شيء، وهو السميع البصير) [(٥)].

كمــا بــين أن التأويل ليس من منهج السلف وقد أخطأ ابن خزيمة بتأويله لحديث الصــورة فقــال : (ولابن خزيمة عظمة في النفوس، وجلالة في القلوب، لعلمه، ودينه، واتــباعه السنة ... وقد تأول حديث الصورة فليعذر، وأما السلف فما خاضوا في التأويل بــل آمنوا، وكفوا، وفوضوا علم ذلك إلى الله ورسوله، ولو أن كل من أخطأ في اجتهاده مع صحة إيمانه وتوخيه لاتباع الحق أهدرناه وبدعناه لقل من يسلم من ذلك) [(٦)].

وقال الحافظ ابن حجر بعد تصحيحه لحديث ابن عمر – رضي الله عنهما – : (فتعين إجــراء ما في ذلك على ما تقرر بين أهل السنة، من إمراره كما جاء من غير اعتقاد تشبيه،

---

(١) المختار من الإبانة (الرد على الجهمية ، ٢٤٤/٣) .

(٢) التمهيد (١٤٨/٧) .

(٣) ذكره الشيخ عبد الله الغنيمان نقلا عنه انظر : شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري (٥١١/١٠) .

(٤) ميزان الاعتدال (٤٢٠/٢ برقم : ٤٣٠١، في ترجمة عبد الله بن ذكوان) .

(٥) سير أعلام النبلاء (٤٥٠/٥، في ترجمة أبي الزناد عبد الله بن ذكوان) .

(٦) المصدر السابق (٣٧٤/١٤-٣٧٦ ، في ترجمة ابن خزيمة) .

أو من تأويله على ما يليق بالرحمن جل جلاله) [1].

ولكـــن تعقب على كلام الحافظ ابن حجر، فإن الموقف الأول الذي ذكره — وهو إمـــراره كمـــا جاء من غير اعتقاد تشبيه هو مذهب أهل السنة والجماعة، كما تدل عليه الأقـــوال الســـابقة واللاحقة، وأما التأويل فهو مذهب المتأخرين بعد القرون الفاضلة من الفرق المخالفة لأهل السنة والجماعة [2].

وقد سئل الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن أبا بطين [3] عن حديث : ((خلق الله آدم على صورته)) عـــن مرجع الضمير و عن معنى الصورة في الحديث ؛ فبين أن الضمير راجع إلى الله سبحانه وتعالى، واستدل لذلك بحديث ابن عمر المشهور، ورد على الأقوال الباطلة مستشهدا بأقوال السلف، وبين أن الصـــورة من صفات الله تعالى، وقال في الأخير : (الذي ينبغي في هذا ونحوه إمرار الحديث كما جاء على الرضا والتسليم مع اعتقاد أنه ليس كمثله شيء و هو السميع البصير، والله سبحانه أعلم) [4].

وقـــال الشـــيخ عـــبد العزيز بن عبد الله بن باز — رحمه الله تعالى – : (إن الضمير في الحديـــث الصـــحيح في خلق آدم على صورته يعود إلى الله عز وجل، وهو موافق لما جاء في حديـــث ابـــن عمـــر : ((إن الله خلق آدم على صورة الرحمن)) وقد صححه الإمام أحمد وإســـحاق بن راهويه [5] والآجري وشيخ الإسلام ابن تيمية وآخرون من الأئمة — رحمة الله عليهم جميعا –، وقد بين كثير من الأئمة خطأ الإمام ابن خزيمه — رحمه الله — في إنكار عود الضـــمير إلى الله سبحانه في حديث ابن عمر، والصواب ما قاله الأئمة المذكورون وغيرهم في عـــود الضـــمير إلى الله عز وجل، بلا كيف ولا تمثيل، بل صورة الله سبحانه وتعالى تليق به وتناسبه كسائر صفاته، ولا يشابهه فيها شيء من خلقه سبحانه وتعالى؛ كما قال عز وجل :

---

(١) فتح الباري (١٨٣/٥) .

(٢) انظر : الآثار الواردة عن أئمة السنة في أبواب الاعتقاد من كتاب " سير أعلام النبلاء " للذهبي جمعا وتخريجا ودراسة (٢٩٤/١).

(٣) عبد الله بن عبد الرحمن أبا بطين، العلامة، أحد الأفذاذ من العلماء في البلاد النجدية في أثناء المائة الثالثة عشرة من الهجرة، وكانت وفاته سنة ١٢٨٢هـــ . انظر : الأعلام (٢٣٢/٤)؛ ومعجم المؤلفين (٧٢/٦) .

(٤) مجموعـــة الرســـائل والمسائل النجدية (٢٢٣/٢)؛ والدرر السنية في الأجوبة النجدية (٢٦٢/٣-٢٦٣)؛ وعقيدة أهل الإيمان في خلق آدم على صورة الرحمن (ص : ١٣٠) .

(٥) هـــو إسحاق بن إبراهيم بن مخلد الحنظلي، أبو محمد ابن راهويه المروزي، ثقة حافظ مجتهد، قرين الإمام أحمد بن حنبل، توفي سنة ٢٣٨هـــ . انظر : تقريب التهذيب (ص : ٩٩ برقم : ٣٣٢) .

﴿ قل هو الله أحد * الله الصمد * لم يلد ولم يولد * ولم يكن له كفوا أحد ﴾ (١) وقال عز وجل : ﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴾ (٢) وقـــال سبحانه : ﴿ هل تعلم له سميا ﴾ (٣) وقال عز وجل : ﴿ فلا تضربوا لله الأمثال إن الله يعلم وأنتم لا تعلمون ﴾ (٤) والآيات في هذا المعنى كثيرة .

والواجـــب عـــلى أهـــل العلم والإيمان إمرار آيات الصفات وأحاديثها الصحيحة كما جـــاءت، وعدم التأويل لها بما يخالف ظاهرها كما درج على ذلك سلف الأمة وأئمتها، مع الإيمـــان بأن الله سبحانه ليس كمثله شيء في صورته، ولا وجهه، ولا يده، ولا سائر صفاته، بـــل هو سبحانه له الكمال المطلق من جميع الوجوه في جميع صفاته، لا شبيه له، ولا مثل له، ولا تكييف صفاته بصفات خلقه، كما نص على ذلك سلف الأمة وأئمتها من أصحاب النبي ﷺ وأتباعهم بإحسان - رحمهم الله جميعا، وجعلنا من أتباعهم بإحسان) (٥) .

وقـــال أيضا : (الحديث ثابت عن رسول الله ﷺ ... وهذا لا يلزم منه التشبيه والتمثيل، بل المعنى عند أهل العلم : أن الله خلق آدم سميعا بصيرا متكلما إذا شاء، وهذا هو وصف الله عز وجل، فإنـــه سميع بصير متكلم ذو وجه جل وعلا، وليس المعنى التشبيه والتمثيل، بل الصورة التي لله غير الصورة التي للمخلوق، وإنما المعنى : أنه سميع بصير، ذو وجه ومتكلم إذا شاء، وهكذا خلق الله آدم سميعا بصيرا، ذا وجه، وذا يد، وذا قدم، ويتكلم إذا شاء (٦) ولكن ليس السميع كالسميع، وليس البصـــير كالبصير، وليس المتكلم كالمتكلم، وليس الوجه كالوجه؛ بل لله صفاته سبحانه وتعالى لا يشـــابهه فيها شيء، بل تليق به سبحانه، وللعبد صفاته التي تليق به، صفات يعتريها الفناء والنقص والضـــعف، وأما صفات الله سبحانه وتعالى فهي كاملة لا يعتريها نقص ولا ضعف ولا فناء ولا

---

(١) الإخلاص الآيات : ١-٤

(٢) الشورى الآية : ١١

(٣) مريم الآية : ٦٥

(٤) النحل الآية : ٧٤

(٥) تقريظ الشيخ ابن باز - رحمه الله - على كتاب " عقيدة أهل الإيمان في خلق آدم على صورة الرحمن (ص : ج) .

(٦) ولا يلتـــبس هذا بقول الرازي الذي سبق ذكره لأن الرازي ينكر الصفات الذاتية كلها، وأما كلام الشيخ هنا فهو في إثـــبات أن صورة آدم عليه السلام على صورة الله من ناحية أن الله عز وجل موصوف بصفة الوجه والعين واليد والقدم، وآدم وأبناؤه موصوفون بهذه الصفات إلا أن صفة الله عز وجل على كيفية لا يماثله فيها أحد من خلقه تبارك وتعالى .

زوال . ولهذا قال الله عز وجل :﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴾[1] ...) [2].

وقال الشيخ محمد بن صالح العثيمين – رحمه الله – في حديث خلق الله آدم على صورته : (أنه لا يراد به صورة تماثل صورة الرب – عز وجل – بإجماع المسلمين والعقلاء؛ لأن الله – عز وجل – وسع كرسيه السماوات والأرض، والسماوات والأرضون كلها بالنسبة للكرسي – موضع القدمين – كحلقة ألقيت في فلاة من الأرض، وفضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على هذه الحلقة؛ فما ظنك برب العالمين ؟ فلا أحد يحيط به وصفا وتخيلا، ومن هذا وصفه لا يمكن أن يكون على صورة آدم ستون ذراعا، وإنما يراد به أحد معنين :

الأول : أن الله خلق آدم على صورة اختارها، وجعلها أحسن صورة في الوجه، وعلى هذا؛ فلا ينبغي أن يقبح أو يضرب؛ لأنه لما أضافه إلى نفسه اقتضى من الإكرام ما لا ينبغي معه أن يقبح أو أن يضرب .

الثاني : أن الله خلق آدم على صورة الله – عز و جل – ولا يلزم من ذلك المماثلة بدليل قوله ﷺ : ((إن أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر، ثم الذين يلونهم على أضوء كوكب في السماء)) ولا يلزم أن يكون على صورة نفس القمر؛ لأن القمر أكبر من أهل الجنة، وأهل الجنة يدخلونها وطول أحدهم ستون ذراعا) [3].

وقال أيضا : (فإذا قلت : ما هي الصورة التي تكون لله ويكون آدم عليها ؟

قلنا : إن الله عز وجل له وجه، وله عين، وله يد، وله رجل عز وجل، لكن لا يلزم من أن تكون هذه الأشياء مماثلة للإنسان؛ فهناك شيء من الشبه، لكنه ليس على سبيل المماثلة؛ كما أن الزمرة الأولى من أهل الجنة فيها شبه من القمر، لكن بدون مماثلة، وبهذا يصدق ما ذهب إليه أهل السنة والجماعة؛ من أن جميع صفات الله سبحانه وتعالى ليست مماثلة لصفات المخلوقين؛ من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل) [4].

---

(١) الشورى الآية : ١١

(٢) فتاوى نور على الدرب، من أجوبة سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز (٦٦/١) وانظر له كلاما نحوه في مجموع فتاوى سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز (٣١٤/١-٣١٦) ط. دار الوطن الرياض .

(٣) القول المفيد على كتاب التوحيد (١٤٨/٣-١٤٩) .

(٤) شرح العقيدة الواسطية (١١٠/١-١١١) .

وجاء في فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء : (إن الضمير في قوله : ((على صـــورته)) يعود على الله بدليل ما جاء في رواية أخرى صحيحة : ((على صورة الرحمن)) وهـــو ظاهر السياق، ولا يلزم على ذلك التشبيه؛ فإن الله سمى نفسه بأسماء سمى بها خـــلقه، ووصف نفسه بصفات وصـــف بها خلـــقه، ولم يلـــزم من ذلك تشبيه، وكذا الصورة، ولا يـــلزم مـــن إتيانها لله تشبيهه بخلـــقه؛ لأن الاشتراك في الاسم، وفي المعنى الكلي لا يلزم منه التشبيه فيما يخص كلا منهما؛ لقوله تعالى : ﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴾ [(١)]) [(٢)].

خلاصة القول : إن الحديث : ((خلق الله آدم على صورته)) صحيح ثابت عن النبي ﷺ، ولم يكـــن عند السلف خلاف في رجوع الضمير إلى الله ، كما جاء مصرحا في حديث ابن عمر وأبي هريـــرة — رضي الله عنهم —، وأن الصورة صفة من صفات الله الذاتية على الوجه اللائق به ســـبحانه وتعالى كما جاء في هذا الحديث وغيره، فيجب الإيمان بثبوت هذه الصفة لله تعالى كما يليق به سبحانه، وعدم الخوض في تأويلها، وقطع الطمع عن إدراك كيفيتها، والله أعلم [(٣)].

---

(١) الشورى الآية : ١١

(٢) فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء (٥٠٦/٣ فتوى رقم : ٢٣٣١) .

(٣) وينظر للتفصيل : الشريعة للآجري بتحقيق : د. عبد الله بن عمر الدميجي (١١٤٧/٣-١١٥٥)؛ وعقيدة أهل الإيمان في خلق آدم على صورة الرحمن للشيخ حمود التويجري؛ وأيضا كتابه " الرد القويم على المجـــرم الأثيم " (٣٠٤/١-٣٠٧)؛ وتعريف أهل الإيمان بصحة حديث : إن آدم خلق على صورة الرحمن للشيخ حماد الأنصاري؛ ودفاع أهل السنة والإيمان عن حديـــث خـــلق آدم على صورة الرحمن للشيخ عبد الله محمد الدويش ؛ وشرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري للشيخ عـــبد الله الغنيمان (٤٩٦/١-٥٦٨)؛ وصفات الله عز وجل لصالح المسند (ص : ١٤٣-١٥٣)؛ وصفات الله عز وجل الواردة في الكتاب والسنة للشيخ علوي السقاف (ص : ١٦٥-١٦٧)؛ ومنهج الحافظ ابن حجر العسقلاني في العقيدة من خلال كتابه " فتح الباري للشيخ محمد إسحاق كندو (٨١٩/٢-٨٣٧) .

المبحث الثامن : الأسماء التي علمها الله آدم عليه السلام، واللغة التي كان يتكلم بها آدم عليه السلام . وفيه مطلبان :

المطلب الأول : الأسماء التي علمها الله تعالى آدم عليه السلام .

إن مما أكرم الله سبحانه وتعالى أبا البشر آدم عليه السلام أنه علمه الأسماء كلها قال تعالى : ﴿ وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين * قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم * قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السماوات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون ﴾ [1] وجاء في حديث الشفاعة أن الناس يأتون آدم عليه السلام فيقولون له : ((أنت أبو الناس، خلقك الله بيده، وأسجد لك ملائكته، وعلمك أسماء كل شيء ... الحديث [2]. وجاء في احتجاج آدم وموسى عليهما السلام أن موسى عليه السلام قال لآدم عليه السلام : ((أنت الذي نفخ الله فيك من روحه، وعلمك الأسماء كلها، وأمر الملائكة فسجدوا لك ... الحديث [3]. فهذه النصوص من الكتاب والسنة تدل على أن الله سبحانه وتعالى علم آدم الأسماء كلها ولكن اختلفت أقوال السلف في بيان الأسماء التي علمها الله تعالى آدم عليه السلام ويمكن تلخيصها في قولين .

أولهما : أن الله علم آدم عليه السلام أسماء معدودة لمسميات مخصوصة . ويندرج تحت هذا القول أربعة أقوال :

---

(١) البقرة الآيات : ٣١-٣٣

(٢) جزء من حديث أنس رضي الله عنه وهو حديث صحيح، أخرجه الشيخان، وقد سبق تخريجه في (ص : ٦٩) .

(٣) جزء من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، أخرجه د (السنة، ب : في القدر ٢٢٦/٤ ح : ٤٧٠٢)، واللفظ له؛ وابن أبي عاصم في السنة (ب : ذكر احتجاج موسى و آدم عليهما السلام ٦٢/١-٦٣ ح : ١٣٧)؛ وأبو يعلى في مسنده (٢٠٩/١ ح : ٢٤٣)؛ والمقدسي في الأحاديث المختارة (١٦٧/١-١٧٨ ح : ٨٥)، وإسناد الحديث حسنه شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٣٠٤/٨)، وقال عنه في (درء تعارض العقل والنقل ٤١٨/٨) ؛ وفي مجموع الفتاوى (١٠٨/٨) : (إسناد جيد)، وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود (١٤٩/٣ ح : ٤٧٠٢)؛ وفي السلسلة الصحيحة (٢٧٧/٤ ح : ١٧٠٢)؛ وفي تحقيقه لكتاب السنة لابن أبي عاصم .

١-أن الله سبحانه و تعالى علم آدم عليه السلام أسماء من يعقل . وهذا القول يشتمل على قولين :

أ- أنه علمه أسماء الملائكة وهو مروي عن أبي العالية [١] وربيع بن أنس في رواية عنه [٢].

لأنه لم يكن حينئذ من يعقل إلا الملائكة، وإبليس لم يكن انفصل عن الملائكة،و لم يكن له في ذلك الوقت ذرية [٣].

ب - أنه علمه أسماء ذريته . وهو مروي عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم [٤].

وهذا يناسب نوعا ما حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لما خلق الله آدم مسح ظهره، فسقط من ظهره كل نسمة هو خالقها من ذريته إلى يوم القيامة، وجعل بين عيني كل إنسان منهم وبيصا من نور، ثم عرضهم على آدم، فقال : أي رب من هؤلاء ؟ قال : هؤلاء ذريتك، فرأى رجلا منهم، فأعجبه وبيص ما بين عينيه، فقال : أي رب ! من هذا ؟ فقال : هذا رجل من آخر الأمم من ذريتك يقال له داود ... الحديث [٥] .

ورجح ابن جرير هذين القولين واختارهما وقال : (أولى بتأويل الآية أن تكون الأسماء التي علمها آدم أسماء أعيان بني آدم وأسماء الملائكة) [٦].

وعلل ذلك بأن الله سبحانه وتعالى قال :﴿ ثم عرضهم ﴾ فالهاء والميم (هم) عبارة عما يعقل [٧] ولكن تعقب بأن ما ذهب إليه ليس بلازم؛ فإنه لا ينفي أن يدخل معهم غيرهم، ويعبر عن الجميع بصيغة من يعقل، تغليبا للعاقل على غيره [٨] كما في قولـــه تعالى : ﴿ والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على أربع يخلق الله ما يشاء إن الله على كل شيء قدير ﴾ [٩].

٢- أنه علمه أسماء ما خلق في الأرض من الدواب، والهوام، والطير . وهذا القول

---

(١) ذكره عنه ابن الجوزي في زاد المسير (٦٣/١)؛ وشيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٩٤/٧) .

(٢) أخرجه عنه ابن جرير الطبري في تفسيره (٢١٦/١)، وفي الإسناد إليه جهالة .

(٣) انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٩٤/٧) .

(٤) أخرجه عنه ابن جرير الطبري في تفسيره (٢١٦/١)، ورجال الإسناد إليه كلهم ثقات .

(٥) حديث صحيح، وقد سبق تخريجه في (ص : ١٤٤-١٤٥) .

(٦) جامع البيان عن تأويل آي القرآن (٢١٦/١) .

(٧) انظر : المصدر السابق نفسه .

(٨) انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٩٤/٧)؛ وتفسير القرآن العظيم (٧٥/١)؛ وفتح القدير (٦٤/١) .

(٩) النور الآية : ٤٥

منسوب إلى ابن السائب الكلبي ومقاتل [1] وابن قتيبة [2].

٣- أنه علمه أسماء الأجناس دون الأنواع مثل : إنسان، وملك، وجن وطائر. وهذا القول منسوب إلى عكرمة [3].

٤- أنه علمه أسماء النجوم . وهو مروي عن حميد الشامي [4] .

وهذه الأقوال الثلاثة فيها نظر لعدم موافقتها لظاهر الآية؛ فإن الله تعالى قال : ﴿الأسماء كلها﴾ وهذا لفظ عام مؤكد يدل على أن الله تعالى علم آدم عليه السلام جميع الأسماء، ولم يخرج عن هذا شيء منها [5]؛ فلا يصح قصرها على أسماء معدودة لمسميات مخصوصة بدون دليل والله أعلم .

والثاني : أثر عن جماعة من السلف أنهم حملوا الآية على العموم، وقالوا : إن الله تعالى علم آدم عليه السلام أسماء كل شيء .

وهذا القول مروي ابن عباس [6]وسعيد بن جبير [7] ومجاهد [1]وقتادة [2] والربيع

---

(1) مقـاتل بن سليمان الأزدي الخراساني، كان مشهورا بتفسير الكتاب العزيز، حكي عن الشافعي عنه أنه قال : كلهم عيال على مقاتل بن سليمان في التفسير، توفي سنة ١٥٠هـ . انظر : طبقات المفسرين (ص : ٢٠ برقم : ٣٢) .

(2) ذكـره عنهم ابن الجوزي في زاد المسير (٦٣/١)؛ وشيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوي (٩٤/٧) وانظر : قو ل ابن قتيبة في كتابه " تفسير غريب القرآن " (ص : ٤٥-٤٦) .

(3) ذكره عنه ابن الجوزي في زاد المسير (٦٣/١)، وشيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٩٤/٧) .

(4) أخـرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١١٦/١ برقم : ٣٤٣)، ورجال إسناده ثقات ما عدا قائله حميد الشامي فهـو مسـتور الحال كما قال المحقق، وقال عنه الحافظ ابن حجر : حميد الشامي هو ابن أبي حميد الحمصي، مجهول، من الخامسة . انظر : تقريب التهذيب (ص : ١٨٢ برقم : ١٥٦٧) .

(5) انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٩٤/٧) .

(6) أخـرجه ابن جرير في تفسيره (٢١٥/١) بإسناده إلى ابن عباس من عدة طرق بألفاظ مختلفة ومعناها واحد، وفي الاثنين منها سـعيد بـن معبد وهو مجهول الحال، ذكره البخاري في التاريخ الكبير (٥١٢/٣ برقم : ١٦٩٩)؛ وابن أبي حاتم في الجرح و التعديل (٦٣/٤ برقم : ٢٦٥) ولم يذكرا عنه جرحا و لا تعديلا . و في الطريق الثالث بشر بن عمارة، وهو ضعيف كما في تقريب التهذيب (ص : ١٢٣ برقم : ٦٩٧)، والطريق الرابع وهو أحسن من الطرق المتقدمة وفيه الحسين بن عبد الرحمن الجرجرائي، ذكره ابن حبان في الـثقات (١٨٨/٨بـرقم : ١٢٩٠٧) وقال عنه الحافظ ابن حجر في التقريب (ص : ١٦٧ برقم : ١٣٢٧) : مقبول . والطريق الخامس وهو عن أحمد بن إسحاق، ثنا أبو أحمد، ثنا شريك، عن عاصم بن كليب عن الحسن بن سعد عن ابن عباس . هذا الإسناد أحسـن من الأسانيد السابقة ورجاله ما بين صدوق و ثقة؛ فأبو أحمد وهو الزبيري وكذلك الحسن بن سعد الراوي عن ابن عباس كلاهما ثقتان والبقية صدوق، فهذا الإسناد لا يقل عن درجة الحسن فيما يظهر لي، ولا سيما تشهد له الطرق الأخرى، والله أعلم .

(7) أخـرجه ابـن جرير في تفسيره (٢١٥/١)، ورجال إسناده ما بين ثقة وصدوق : وكيع بن الجراح وسالم الأفطس ثقتان و البقية صدوق، فالإسناد إليه حسن والله أعلم .

ابن أنس في رواية عنه [٣] .

وهو الذي رجحه شيخ الإسلام ابن تيمية [٤]، واختاره ابن كثير [٥]، واستدلا له بحديث الشفاعة أن أهل الموقف يأتون إلى آدم عليه السلام يوم القيامة؛ فيقولون له : ((...وعلمك أسماء كل شيء ...)) [٦]، وبظاهر الآية ﴿ الأسماء كلها ﴾ .

وكذلك يشهد له حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه في احتجاج آدم و موسى عليهما السلام مرفوعا إلى النبي ﷺ أن موسى قال : يا رب ! أرنا آدم الذي أخرجنا ونفسه من الجنة ، فأراه الله آدم ، فقال : أنت أبونا آدم ؟ فقال له آدم : نعم . قال : أنت الذي نفخ الله فيك من روحه، وعلمك الأسماء كلها، وأمر الملائكة فسجدوا لك. قال نعم ...الحديث [٧] .

وهذا هو الأظهر لشهادة ظاهر الآية وحديث الشفاعة وحديث احتجاج آدم وموسى له، فآدم عليه السلام كان في إمكانه أن يعبر عن جميع ما يريده ويتصوره بلفظه، وكان قادرا على تسمية ما يراه، ويقع تحت حسه من جميع الأجناس بلا استثناء بإلهام الله له [٨]، والله أعلم .

---

(١) أخرجه عنه ابن أبي حاتم في تفسيره (١/١١٥-١١٦ برقم : ٣٤٢) وقال المحقق : صحيح الإسناد .

(٢) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (١/٢١٦-٢١٧)؛ وابن أبي حاتم في تفسيره (١/١١٦ برقم : ٣٤٤) كلاهما عـن طريق عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة بألفاظ متقاربة . وهذا الأثر إسناده حسن كما في التفسير الصحيح (١/١٣٧)؛ وكما قال محقق تفسير ابن أبي حاتم .

(٣) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (١/٢١٦)، وفي الإسناد إليه جهالة .

(٤) انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٧/٩٤)؛ وكتاب الاستقامة (١/١٩٩) .

(٥) انظر : تفسير القرآن العظيم (١/٧٥) .

(٦) جزء من حديث أنس رضي الله عنه في الشفاعة، أخرجه البخاري ومسلم، وقد سبق تخريجه في (ص : ٦٩).

(٧) حديث حسن، وقد سبق تخريجه في (ص : ١٨٩).

(٨) انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٧/٩٥)؛ وجواهر الأفكار ومعادن الأسرار لابن بدران (ص : ١٦١) .

المطلب الثاني : لغة آدم عليه السلام .

اللغة التي كان يتكلم بها آدم عليه السلام الأقوال فيها مختلفة ومتباينة :

فقيل : إنه كان يتكلم بالسريانية [1]، وقيل : إنه كان يتكلم باليونانية [2]، و قيل : إنه كان يتكلم بالعبرانية [3]، وقيل : إنه كان يتكلم بالنبطية [4]، وقيل : إنه كان يتكلم بالفارسية [5]، وقيل : إنه كان يتكلم بالعربية قبل الأكل من الشجرة الممنوعة فلما أكل منها سلبت منه العربية فكان يتكلم بالسريانية ولما تاب ردت إليه العربية [6]، وقيل : إنه كان يتكلم بسبعمائة لغة أفضلها العربية [7]، وقيل : إنه كان يتكلم بسبع مائة ألف لغة [8].

وهذه الأقوال لم يذكر قائلوها أو ناقلوها دليلا لها يعتمد عليه من الكتاب أو السنة النبوية الثابتة عن النبي ﷺ؛ فهي مجرد حكايات، ولا عبرة بها .

وقيل : إن آدم عليه السلام كان عالما بجميع اللغات، وفصل بعضهم هذا التعميم فقال : إنه كان عالما بجميع اللغات التي يتكلم بها ولده اليوم، وما يتكلمون بها إلى يوم القيامة من جميع الأجناس [9].

وغلا بعضهم في هذا التفصيل، فقال : علمه الأشياء كلها، ما كان وما سيكون إلى يوم القيامة، وعلمه أصول العلوم، وقوانين الصناعات، وأسماء الآلات، من السيارات والطيارات

---

(١) انظر : الفهرست (ص : ١٨)؛ ومعالم التتريل (٣٠/٢)؛ والجامع لأحكام القرآن (١٤٠/٦)؛ ومجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٣٠١/٤)؛ والدر المنثور (٦٨٤/٥)؛ وروح المعاني (١١٥/٦ و١٧٣/١٢)؛ وأبجد العلوم (٣٤٣/١) .

(٢) انظر : الإحكام في أصول الأحكام (ص : ٣٦) .

(٣) انظر : المصدر السابق نفسه .

(٤) انظر : الفهرست (ص : ١٨) .

(٥) انظر : المصدر السابق نفسه .

(٦) انظر : المزهر في علوم اللغة (٣٠/١)؛ والدر المنثور (١٤١/١)؛ وروح المعاني (١٧٢/١٢) .

(٧) انظر : معالم التتريل (٢٦٦/٤ ، الرحمن : ٤) .

(٨) انظر : دفع شبه من شبه وتمرد ونسب ذلك إلى السيد الجليل الإمام أحمد (ص : ٢٢) .

(٩) انظر : الجامع لأحكام القرآن (٢٨٣/١-٢٨٤ و ١٥٢/١٧)؛ ومعالم التتريل (٦١/١)؛ ولسان العرب (٣٨٢/٦ مادة : سمو)؛ والبرهان في علوم القرآن للزركشي (٣٧٧/١)؛ والإتقان في علوم القرآن (١٤٥/٤)؛ وكشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون (٢٥/١)؛ وقصص المرسلين في كتاب رب العالمين للشيخ أبي بكر الجزائري (ص : ١)؛ والمتشابه من القرآن لمحمد الحلبي (ص : ٣١) .

...وتفاصيلها أجزائها وأدواتها وطرق استخدامها ...وما يحتاج إليه ذريته [1].

واستدل بعضهم لذلك بقوله تعالى: ﴿ وعلم آدم الأسماء كلها ﴾ [2] وبقول النبي ﷺ في حديث الشفاعة أن أهل الموقف يأتون إلى آدم عليه السلام يوم القيامة فيقولون له : ((... وعلمك أسماء كل شيء ...)) [3].

ولكن هذا القول فيه نظر وبيان ذلك بما يلي [4] :

١- القول بأن آدم عليه السلام كان عالما بجميع ما تكلم به ذريته من اللغات، وما سيتكلمون به من اللغات إلى يوم القيامة لم يقل به أحد من السلف و لم يفسر أحد منهم الأسماء التي علمها الله تعالى آدم عليه السلام بهذا التفسير بل اللغة التي حصل فيها الكلام وهل علم الله آدم عليه السلام لغة معينة من اللغات أو كلها أو بعضها لم يرد له ذكر عن السلف في تفسير الآية فيما وقفت عليه من أقوالهم وآثارهم [5].

٢- أنه يؤدي أن آدم عليه السلام تكلم جميع اللغات التي يتكلم بها جميع الناس إلى يوم القيامة، وأن تلك اللغات اتصلت إلى أولاده فلا يتكلمون إلا بها؛ ودعوى هذا كذب ظاهر .

٣- أن آدم عليه السلام لا ينقل عنه هذه اللغات إلا بنوه، وقد أغرق الله تعالى عام الطوفان جميع ذريته إلا من في السفينة، وأهل السفينة انقطعت ذريتهم إلا أولاد نوح كما قال تعالى : ﴿ وجعلنا ذريته هم الباقين ﴾ [6] قال ابن عباس في تفسير الآية : (لم يبق إلا ذرية نوح) [7]، وهم لم يتكلموا بجميع ما تكلمت به الأمم بعدهم .

٤- قد أجرى الله عادة بني آدم أنهم إنما يعلمون أولادهم لغتهم التي يخاطبونهم بها أو يخاطبهم بها غيرهم، وأما لغات لم يخلق الله من يتكلم بها فلا يعلمونها أولادهم .

---

(1) انظر : إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (٨٤/١)؛ والمقتطف من عيون التفاسير (٦٤/١-٦٥) .

(2) البقرة الآية : ٣١

(3) جزء من حديث أنس رضي الله عنه في الشفاعة، أخرجه البخاري ومسلم، وقد سبق تخريجه في (ص : ٦٩) .

(4) هـذه الوجوه التالية في الرد مستفادة من كتاب الإيمان لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص : ٨٨-٩١)، وهو في مجموع الفتاوى (٩١/٧-٩٦) .

(5) انظر : (ص : ١٨٩-١٩٢) .

(6) الصافات الآية : ٧٧

(7) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٦٧/٢٣)، وإسناده حسن كما في التفسير الصحيح (٢٠٥/٤) .

٥- أن اللغة الواحدة كالفارسية والعربية والرومية والتركية فيها من الاختلاف والأنواع ما لا يحصيه إلا الله تعالى، والعرب أنفسهم لكل قوم منهم لغات ولهجات لا يفهمها إلا أصحابها ولا يفهمها غيرهم فكيف يتصور أن تنقل هذه اللغات كلها عن أولئك الذين كانوا في السفينة، وأولئك جميعهم لم يكن لهم نسل، وإنما النسل لنوح عليه السلام وجميع الناس من أولاده .

٦- ذكر أهل التاريخ [١] أن أولاد نوح عليه السلام الذين بقوا بعد الطوفان ثلاثة فقط وهم سام أبو العرب ، ويافث أبو الروم، وحام أبو الحبش، وقد ورد بذلك أيضا حديث ضعيف عن النبي ﷺ [٢]. وإذا كان كذلك فهؤلاء الثلاثة لا يمكنهم أن ينطقوا بهذه اللغات كلها، ويمتنع نقل ذلك عنهم .

٧- هناك تفاوت بين اللغات في سعتها وألفاظها وكلماتها ومدلولاتها ...فترى أن أكثر اللغات ناقصة عن اللغة العربية؛ ففيها من أسماء الأصوات والأولاد والبيوت والحيوانات وما إلى ذلك ما ليس في غيرها. فلو كانت هذه اللغات كلها مأخوذة عن آدم عليه السلام لعلم جميع أولاده لغات متناسبة؛ فتفاوت هذه اللغات بهذا الشكل يوحي بأنها ليست متلقاة عن أبي البشر آدم عليه السلام.

٨- قال الله تعالى : ﴿ الرحمن * علم القرآن * خلق الإنسان * علمه البيان ﴾ [٣] وقال تعالى : ﴿ سبح اسم ربك الأعلى * الذي خلق فسوى * والذي قدر فهدى ﴾ [٤] وقال تعالى : ﴿ وقالوا لجلودهم لما شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء ﴾ [٥]. فالله سبحانه وتعالى ألهم النوع الإنساني المنطق والتعبير عما يريده ويتصوره بلفظه كما ألهم غيره. وأول من علم ذلك أبوهم آدم عليه السلام وهم توارثوا عنه وعلموا كما علم - وإن اختلفت اللغات -. ولذلك نرى أن بني آدم قد يتكلمون بألفاظ لم يسمعوها قط من غيرهم. فلا يصح أن يقال أن آدم عليه السلام كان عالما

---

(١) انظر : تاريخ الأمم والملوك للطبري (١/١٢٠و١٢٤-١٢٦)؛ وتاريخ مدينة دمشق (١/٣٤)؛ والبداية والنهاية (١/١١٥-١١٦) .

(٢) أخرجه حم (٢٩٢/٣٣ ح : ٢٠٠٩٩ و ٢٩٣/٣٣ ح : ٢٠١٠١)؛ و ت (التفسير، الصافات ٣٦٥/٥ ح : ٣٢٣٠) من حديث سمرة رضي الله عنه مرفوعا، والحديث ضعفه الألباني في ضعيف سنن الترمذي (ص : ٤٠٨ ح : ٦٣٤-٦٣٥) .

(٣) الرحمن الآيات : ١-٤

(٤) الأعلى الآيات : ١-٣

(٥) فصلت الآية : ٢١

بجميع اللغات التي تكلم بها بنوه إلى اليوم، وما سيتكلمون بها إلى يوم القيامة والله أعلم .

وقيل : إن آدم عليه السلام كان يتكلم بالعربية [1].

وقد يستدل له بما قيل : أن الملائكة يتكلمون بالعربية، والدليل على ذلك قول الملائكة لآدم عليه السلام كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : خلق الله عز وجل آدم على صورته طوله ستون ذراعا، فلما خلقه قال : اذهب فسلم على أولئك النفر وهم نفر من الملائكة جلوس، فاستمع ما يحيونك؛ فإنها تحيتك وتحية ذريتك. قال : فذهب فقال : السلام عليكم، فقالوا : السلام عليك ورحمة الله، فزادوه ورحمة الله ... الحديث [2].

قال القسطلاني : (قيل : إن في الحديث أن الملائكة يتكلمون بالعربية) [3].

فإن دل الحديث على أن الملائكة يتكلمون بالعربية علم به أنها لغة آدم عليه السلام من باب أولى؛ لأنه هو الذي بدأ بالسلام عليهم والتحية لهم ثم هم ردوا عليه السلام وزادوه : ((ورحمة الله)) .

وكذلك قولـــه : ((السلام عليكم)) يوحي بأن العربية هي لغته إذ لا يوجد في أي لغة من لغات العالم ما يعادل هذه الكلمة بما فيها من معاني الدعاء بالخير والحفظ والأمان والصحة والعافية ...وصفاء القلب وإظهار المحبة وإرادة الخير والفلاح والصلاح ... ودوام السرور والسعادة والرخاء والهناء ...والسلامة من الأمراض والآفات في المال والبدن والأهل والدين ، والنجاة من كل مكروه في الدنيا والآخرة ...أو ما يقاربها فيما يقوله الناس من الألفاظ والكلمات عند لقاء الآخرين والدعاء لهم .

ولا شك أن اللغة العربية هي أقوى اللغات البشرية وأوسعها وأجمعها وأفصحها وأفضلها، وقد قال ابن حزم عن اللغة التي علمها الله آدم عليه السلام : (أننا نقطع على أنها أتم اللغات كلها، وأبينها عبارة، وأقلها إشكالا، وأشدها اختصارا) [4] فقد تكون العربية هي التي اختارها الله لصفيه ونبيه أبي البشر آدم عليه السلام .

---

(1) انظر : البداية والنهاية (١/١٢٠)؛ والمزهر في علوم اللغة (١/٣٠-٣١)؛ وروح المعاني (١٢/ ١٧٢-١٧٣) .

(2) حديث صحيح أخرجه البخاري ومسلم، وقد سبق تخريجه في (ص : ١٤٤) .

(3) إرشاد الساري (١٣/٢٣٠) .

(4) الإحكام في أصول الأحكام (ص : ٣٦) .

قال عبد الملك بن حبيب [1]: (كان اللسان الأول الذي نزل به آدم عليه السلام من الجنة عربيا، إلى أن بعد العهد وطال حرف وصار سريانيا، وهو منسوب إلى أرض سورى أو سوريانه وهي أرض الجزيرة، بها كان نوح عليه السلام وقومه قبل الغرق .قال : وكان يشاكل اللسان العربي، إلا أنه محرف، وهو كان لسان جميع من في سفينة نوح، إلا رجلا واحدا يقال له جرهم، كان لسانه لسان العربي الأول؛ فلما خرجوا من السفينة تزوج إرم بن سام بعض بناته؛ فمنهم صار اللسان العربي في ولده عوص أبي عاد وعبيل، وجاثر أبي ثمود وجديس، وسميت عاد باسم جرهم؛ لأنه كان جدهم من الأم، وبقي اللسان السرياني في ولد أرفخشد بن سام، إلى أن وصل إلى يشجب بن قحطان من ذريته، وكان باليمن؛ فنزل هناك بنو إسماعيل عليه السلام؛ فتعلم منهم بنو قحطان اللسان العربي) [2].

وقد ذكر أهل التاريخ أن اللغة السريانية هي لغة محرفة عن العربية، وأن العربية هي لغة القبائل التي سكنت شبه الجزيرة العربية من اليمن إلى الشام إلى العراق وتخوم فلسطين وسيناء، وأن العربية هي لغة عاد وثمود وطسم و جديس وعمليق وجرهم من أولاد إرم بن سام، وهي المعروفة في تواريخ العرب بالقبائل البائدة [3].

فهذه الوجوه المتقدمة – إن كانت في محلها – فهي قرائن قوية تدل على أن اللغة العربية كانت لغة آدم عليه السلام فهي أم اللغات، وعنها تفرعت اللغات الأخرى، وتعددت حيث أصبحت لها لهجات مختلفة، ثم انفصلت كل لهجة من أمها شيئا فشيئا، وابتعدت حتى أصبحت لغة مستقلة والله أعلم .

ولكن هذا القول لا يمكن الجزم به؛ فإن الاستدلال بسلام آدم عليه السلام على الملائكة وجوابهم بالسلام والرحمة له على أن الملائكة تكلموا معه بالعربية لا يخلو من النظر، وبيان ذلك من وجوه، وهي كما يلي :

١- عورض هذا القول باحتمال أن يكون بغير اللسان العربي ثم لما خلق العرب ترجم

---

(١) عبد الملك بن حبيب بن سليمان الأندلسي، قال عنه الذهبي : (كان موصوفا بالحذق في الفقه كبير الشأن بعيد الصيت كثير التصانيف إلا أنه في باب الرواية ليس بمتقن)، وقال عنه ابن حجر : (صدوق ضعيف الحفظ كثير الغلط)، توفي سنة ٢٣٨هـ . انظر : سير أعلام النبلاء (١٢/١٠٢- ١٠٧)؛ وتقريب التهذيب (ص : ٣٦٢ برقم : ٤١٧٤) .

(٢) ذكره السيوطي في المزهر في علوم اللغة (١/٣٠-٣١)؛ والآلوسي في روح المعاني (١٢/١٧٢) .

(٣) انظر : مقدمة المحقق لكتاب الصحاح للجوهري (ص : ١١-١٢) .

بلسانهم . ذكره القسطلاني [1].

٢- لقد ذكر الله تعالى في كتابه الكريم وعلى لسان رسوله الأمين من أحداث الأمم الماضية ووقائعهم شيئا كثيرا بلسان عربي مبين وهذا لا يعني بالضرورة أن ما جرى من ذلك كان باللغة العربية، وأنهم كانوا يتكلمون بها بل الله سبحانه وتعالى حكى لنا معاني كلامهم في لغتهم، باللغة العربية التي بها نتفاهم، بيانا لنا ورحمة بنا [2].

٣- قال تعالى عن نوح عليه السلام : ﴿ قيل يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى أمم ممن معك ﴾ [3] وقال تعالى عن إبراهيم عليه السلام : ﴿ ولقد جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى قالوا سلاما قال سلام فما لبث أن جاء بعجل حنيذ ﴾ [4] وقال تعالى : ﴿ ونبئهم عن ضيف إبراهيم * إذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال إنا منكم وجلون ﴾ [5] وقال تعالى : ﴿ هل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين * إذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال سلام قوم منكرون ﴾ [6] وقال تعالى عن قول إبراهيم عليه السلام لأبيه : ﴿ قال سلام عليك سأستغفر لك ربي إنه كان بي حفيا ﴾ [7] وقال الله تعالى عن موسى وهارون عليهما السلام أنهما قالا لفرعون : ﴿ قد جئناك بآية من ربك والسلام على من اتبع الهدى ﴾ [8] وقال تعالى عن عيسى بن مريم عليهما السلام أنه قال لقومه : ﴿ قال إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا * وجعلني مباركا أين ما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا * وبرا بوالدتي ولم يجعلني جبارا شقيا * والسلام علي يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا ﴾ [9].

وقد أخبر النبي ﷺ أن موسى عليه السلام سلم على خضر عليه السلام، فرد السلام عليه وقال : ((وأنى بأرضك السلام ...)) الحديث [10].

---

(1) انظر : المصدر السابق نفسه .

(2) انظر : الإحكام في أصول الإحكام (ص : ٤٠) .

(3) هود الآية : ٤٨

(4) هود الآية : ٦٩

(5) الحجر الآيتان : ٥١-٥٢

(6) الذاريات الآيتان : ٢٤-٢٥

(7) مريم الآية : ٤٧

(8) طه الآية : ٤٧

(9) مريم الآيات : ٢٩-٣٣

(10) جزء من حديث موسى مع خضر عليهما السلام، أخرجه خ (أحاديث الأنبياء، ب : حديث الخضر مع موسى عليهما السلام ١٢٤٦/٣ ح : ٣٢٢٠)؛ و م (الفضائل، ب : في فضائل الخضر عليه السلام ١٨٤٧/٤ ح : ٢٣٨٠) .

فهذه الآيات من كتاب الله ورد فيها ذكر السلام من بعض من قبلنا على بعضهم، وأن نوحا عليه السلام قيل له أن يهبط بالسلام والبركة عليه وعلى من معه، وأن الملائكة سلموا على إبراهيم وهو أيضا أجابهم ورد السلام عليهم، وأن موسى وهارون عليهما السلام قالا لفرعون لما ذهبا إليه : السلام على من اتبع الهدى، وأن عيسى عليه السلام قال لقومه : السلام علي يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا .

وكذلك أخبر النبي ﷺ أن موسى عليه السلام سلم على الخضر عليه السلام وهو رد السلام عليه فهل هذا كله كان بالعربية؟ وأن نوحا وإبراهيم وموسى وهارون وعيسى – عليهم السلام – كانوا يتكلمون بالعربية ؟ وهؤلاء رسل الله إلى أقوامهم والرسول لا يرسل إلا بلسان قومه كما قال تعالى : ﴿ وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم ﴾[1] فهل كانت أقوامهم يخاطبون بالعربية ويفهمونها ويتكلمون بها أم حكى الله سبحانه وتعالى لنا معاني كلامهم في لغتهم باللغة العربية التي نتفاهم بها؟

فيتبين مما سبق أن الاستدلال بسلام آدم عليه السلام على الملائكة وبردهم السلام عليه على أن الملائكة تكلموا مع آدم عليه السلام بالعربية بعيد[2] والله أعلم .

وأما قول عبد الملك بن حبيب وما ذكره بعض المؤرخين فمحتمل إلى حد كبير لو صح ولكن هذا من أمور الغيب لنا، وعقولنا قاصرة، وأبصارنا كالة عن النظر في هذه الدجنة والخوض في هذه اللجة على الوجه الصواب بدون أنوار الوحي من الكتاب والسنة الصحيحة الثابتة عن النبي ﷺ فلا يمكن الأخذ به على وجه اليقين والقطع، ولا يمكن الجزم

---

(1) إبراهيم الآية : ٤

(2) هذا القول وهذا الاستدلال شبيه بما جرى مع ابن حزم – رحمه الله – حيث جاء إليه رجل فقال : إن اللغة العربية هي لغة أهل الجنة، واحتج لذلك بقوله تعالى : ﴿ وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين ﴾ [يونس : ١٠] ؛ فقال له : قل : إنها لغة أهل النار كذلك لقوله تعالى عنهم أنهم قالوا : ﴿ سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص ﴾ [إبراهيم : ٢١] ولأنهم قالوا : ﴿ أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله ﴾ [الأعراف : ٥٠] ولأنهم قالوا : ﴿ لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير ﴾ [الملك : ١٠]، فسلم له الرجل، وقال : نعم . فقال له : إذا سلمت هذا فناقض أن موسى وجميع الأنبياء عليهم السلام كانت لغتهم العربية؛ لأن كلامهم محكي في القرآن عنهم بالعربية، فإن قلت هذا كذبت ربك في قوله : ﴿ وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم ﴾ [إبراهيم : ٤]فصح أن الله تعالى إنما يحكي لنا معاني كلام كل قائل في لغته باللغة التي نتفاهم بها ليبين لنا . أهـ بتصرف . انظر : الإحكام في أصول الأحكام (ص : ٤٠) .

بأن اللغة العربية هي التي نزل بها آدم عليه السلام من الجنة .

قال العلامة ابن حزم : (لا ندري أي لغة هي التي وقف آدم عليه السلام عليها أولا إلا أننا نقطع على أنها أتم اللغات كلها، وأبينها عبارة، وأقلها إشكالا ...ولا ندري لعل قائلا يقول : لعل تلك اللغة قد درست البتة، وذهبت بالجملة، أو لعلها إحدى اللغات الباقية، لا نعلمها بعينها، وهذا هو الذي توجبه الضرورة .

وقد يمكن أن يكون الله تعالى وقف آدم عليه السلام على جميع اللغات التي ينطق بها الناس إلى اليوم، ولعلها كانت حينئذ لغة واحدة مترادفة الأسماء على المسميات، ثم صارت لغات كثيرة . إذا توزعها بنوه بعد ذلك . وهذا هو الأظهر عندنا والأقرب إلا أننا لا نقطع على هذا كما نقطع على أنه لا بد من لغة واحدة وقف الله تعالى عليها) [١] .

الحاصل : الأقوال في بيان لغة آدم عليه السلام مختلفة، وأكثرها مذكورة من قبل ناقليها أو قائليها بدون ذكر أي دليل من عقل سليم أو نقل صحيح فلا عبرة بها، وقد ذكر بعضهم أنه كان عالما بجميع اللغات البشرية وفصلوه تفصيلا لا تدل عليه النصوص وإن زعموا أنها تدل على ما ذهبوا إليه . و قيل إنه كان يتكلم بالعربية وهو الأشبه كما قال ابن كثير [٢] ولكن ما ذكرت معه من الأدلة لا تخلو من النظر فهي غير كافية للجزم به، فلا يمكن تعيين اللغة التي كان يتكلم بها آدم عليه السلام على وجه اليقين، والله أعلم بالصواب .

---

(١) الإحكام في أصول الأحكام (ص : ٣٦-٣٨)؛ وانظر : دراسات في العربية وتاريخها (ص : ١١) .

(٢) أنظر : قصص الأنبياء لابن كثير (ص : ٧٩) .

المبحث التاسع : خلق زوج آدم عليه السلام .

خلق الله سبحانه وتعالى كل شيء بحكمته وقدرته ومشيئته؛ فهو خالق كل شيء، ورب كل شيء، وما سواه فمخلوق ومربوب . وهو سبحانه وتعالى يخلق ما يشاء، ويفعل ما يشاء، لا يمنعه شيء عن شيء في الأرض ولا في السماء، يخرج الحي من الميت، ويخرج الميت من الحي، وهو على كل شيء قدير .

ومن آثار ربوبيته وحكمته وقدرته ورحمته أنه سبحانه وتعالى خلق أبا البشر آدم عليه السلام من الطين، وخلق منه زوجه حواء عليها السلام، ثم بارك في ذريتهما، وكثّرَ أولادهما، وملأ بهم أقطار الأرض وأرجاءها؛ فسبحان الخالق العظيم .

قال تعالى : ﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا ﴾ [1] وقال تعالى : ﴿ وهو الذي أنشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع ﴾ [2] وقال تعالى : ﴿ هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها ﴾ [3] وقال تعالى : ﴿ ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة ﴾ [4] وقال تعالى : ﴿ خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها ﴾ [5].

فقد بين الله سبحانه وتعالى أنه خلق الناس كلهم من نفس واحدة، وخلق منها زوجها، وبارك في هذين الزوجين، وبث منهما رجالا كثيرا ونساء . والمراد بالنفس الواحدة في الآيات السالفة الذكر هو أبو الناس كلهم آدم عليه السلام، وزوجه هي حواء عليها السلام، وبه قال جماعة من السلف كالسدي [6]

---

(١) النساء الآية : ١

(٢) الأنعام الآية : ٩٨

(٣) الأعراف الآية : ١٨٩

(٤) الروم الآية : ٢١

(٥) الزمر الآية : ٦

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٨٥٢/٣) بإسناد حسن، كما في التفسير الصحيح (٣/٢) .

وقتادة [1] ومقاتل [2] وعليه جمهور المفسرين [3].

هذا المعنى الذي ذهب إليه المفسرون من السلف والخلف في تفسير الآيات منبثق عن الفهم السليم لكتاب الله تعالى، المبني على كلام النبي ﷺ؛ فقد جاءت أحاديث عديدة عن النبي ﷺ تبين أن الله سبحانه وتعالى خلق حواء – عليها السلام – من ضلع من أضلاع آدم عليه السلام، وفيما يلي ذكر بعضها :

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : من كان يؤمن بالله واليوم الآخر؛ فلا يؤذي جاره، واستوصوا بالنساء خيرا؛ فإنهن خلقن من ضِلَع، وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج؛ فاستوصوا بالنساء خيرا [4].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : إن المرأة خلقت من ضلع لن تستقيم لك على طريقة، فإن استمتعت بها استمتعت بها وبها عوج، وإن ذهبت تقيمها كسرتها، وكسرها طلاقها [5].

وعن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : إن المرأة خلقت من ضلع إن أقمتها كسرتها؛ فدارها تعش بها [6].

---

(١) أخرجه عنه ابن جرير الطبري في تاريخه (٧٠/١)؛ وتفسيره (٢٢٤/٤ و٢٨٦/٧ و ٣١/٢١) بإسناد حسن كما في التفسير الصحيح (٢٦١/٢ و ٨٢/٤)، وقتاده هو قتادة بن دِعامة بن قتادة السدوسي البصري، ثقة ثبت، روى له الجماعة، وذكره الحافظ ابن حجر في المرتبة الثالثة من المدلسين، توفي سنة بضع عشرة بعد المائة من الهجرة النبوية . انظر : تقريب التهذيب (ص : ٤٥٣ برقم : ٥٥١٨)؛ وطبقات المدلسين (ص : ٤٣ برقم : ٩٢) .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٨٥٣/٣) بإسناده حسن كما في التفسير الصحيح (٣/٢)، مقاتل هو مقاتل بن حيان النَبَطي، صدوق فاضل، توفي في كابل، وهي الآن عاصمة أفغانستان - وكانت وفاته قبل ١٥٠هـ . انظر : تهذيب التهذيب (٥٢٢/٥-٥٢٣ برقم : ٧٩٨٠)؛ وتقريب التهذيب (ص : ٥٤٤ برقم : ٦٨٦٧) .

(٣) انظر : معالم التنزيل (٣٨٩/١)؛ وزاد المسير (١/٢)؛ ورموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز لعبد الرزاق الرسعني (ص : ٣٥٣)؛ والجامع لأحكام القرآن (٢/٥)؛ والتسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي (١٧٢/١)؛ وإرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (١٨٣/٢)؛ وفتح القدير (٤١٧/١)؛ والتحرير والتنوير من التفسير (٢١٥/٤)؛ وفتاوى اللجنة الدائمة (٤٣٧/٢ برقم : ٥١٦٧)؛ وتهذيب التفسير ... للشيخ عبد القادر شيبة الحمد (١٧٧/٣) .

(٤) أخرجه خ (النكاح، ب : الوصاة بالنساء ١٩٨٧/٥ ح : ٤٨٩٠)، و اللفظ له؛ و م (الرضاع ، ب : الوصية بالنساء ١٠٩١/٢ ح : ١٤٦٨) .

(٥) أخرجه م (الرضاع، ب : الوصية بالنساء ١٠٩١/٢ ح : ١٤٦٨) .

(٦) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (الطلاق، في مداراة النساء ١٩٧/٤ ح : ١٩٢٧٠)؛ و حم (٢٨٣/٣٣ ح : ←

وعـــن أبي ذر ﷺ أن رســـول الله ﷺ قال : إن المرأة خلقت من ضلع؛ فإن تقمها كسرتها؛ فدارها؛ فإن فيها أودا [(١)] وبلغة [(٢)].

وعـــن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال : لما خلق الله عز وجل آدم انتزع ضلعا من أضلاعه فخلق منه حواء [(٣)].

معنى قول النبي ﷺ : ((إن المرأة خلقت من ضلع ...)) .

قول النبي ﷺ : ((إن المرأة خلقت من ضلع)) يحتمل معنيين :

أولهما : أن المرأة خلقت من أصل معوج وهو الضلع، وفي ذلك إشارة إلى ما تقدم ☜

٢٠٠٩٣)؛ والحـــارث بـــن أسامة في مسنده كما في بغية الباحث (١/٥٥٠ ح : ٤٩٦)؛ وأبو بكر الروياني في مسنده (٧٦/٢ ح : ٨٥١) كلهم من طريق عوف عن رجل عن سمرة مرفوعا . وهذا الرجل المبهم هو أبو رجاء؛ فقد أخرجه البزار كما في كشف الأستار (١٨٢/٢ح : ١٤٧٦)؛ والطبراني في الأوسط (٢٣١/٨ ح : ٨٤٨٩)؛ وحـــب كما في الإحسان (النكاح، ب : معاشرة الزوجين، ذكر الأمر بالمداراة للرجل مع امرأته ... ٤٨٥/٩ ح : ٤١٧٨)، واللفظ له؛ و كم (البر والصلة، ب : المرأة خلقت من ضلع أعوج ١٧٤/٤) من طريق عوف عن أبي رجاء عن سمرة مرفوعا . وأبو رجاء هو عمران بن مِلْحَان العُطَاردي ثقة مخضرم أخرج له الجماعة كما في التقريب (ص : ٤٣٠ بـــرقم : ٥١٧١)؛ فالحديث صحيح، وقد صححه ابن حبان، وقال الحاكم : (هذا حديث صحيح الإسناد على شرط الشيخين ولم يخرجاه) ووافقه الذهبي؛ وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٣٠٤/٤): (رواه أحمد والبزار بإسنادين ورجال أحدهما رجال الصحيح وسمي الرجل أبا رجاء العطاردي) .

(١) أوِدَ : من باب سمع و معناه : اعْوَجَّ ؛ فالأود : العوج . انظر : مختار الصحاح (ص : ١٣)؛ ومعجم مقاييس اللغة (١٥٤/١)؛ ولسان العرب (٢٦٠/١) .

(٢) أخـــرجه حم (٢٦٦/٣٥ ح : ٢١٣٣٩)؛ والبخاري في الأدب المفرد (ب : من قدم إلى ضيفه طعاما فقام يصلي ص : ١٩٤-١٩٥ ح : ٧٤٧) مطولا؛ والدارمي في مسنده (النكاح، ب : مداراة الرجل أهله ١٤٢٥/٣ ح : ٢٢٦٧)، واللفظ له؛ والبزار كما في كشف الأستار (١٨٣/٢ ح : ١٤٧٨)؛ والنسائي في الكبرى (عشرة النساء، ب : مداراة الرجل زوجته ٣٦٤/٥ ح : ٩١٥٢) مختصرا . والحديث حسنه الألباني في صحيح الأدب المفرد (ص : ٢٧٩-٢٨٠ح : ٥٧٤) .

(٣) أخـــرجه ابن مندة في كتاب التوحيد معلقا (٢١١/١ ح : ٧٩) مختصرا، واللفظ له؛ وأخرجه ابن أبي حاتم في تفســـيره (١٦١٤/٥ ح : ٨٥٣٥) موصولا مع زيادة ذكر الميثاق؛ وأبو الشيخ في العظمة (١٥٥٣/٥ ح : ١٠١٥٤١) ولفظـــه قريب من لفظ ابن مندة . ومدار الإسناد على عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، وهو ضعيف كما تقـــدم في (ص : ٩٦) من قول الحافظ ابن حجر، وسيأتي ذكر أقوال الأئمة الآخرين عنه في (ص : ٥٠٩-٥١٢) الحاصـــل : لا شك في ضعف هذا الإسناد ولكن الأحاديث المتقدمة تشهد لمحل الشاهد منه، ولذلك قال محقق كتاب العظمة فيما معناه : الإسناد من طريقه ضعيف ولكن الحديث صحيح ثابت من طرق أخرى، والله أعلم .

من أن حواء عليها السلام خلقت من ضلع من أضلاع آدم عليه السلام. وهو الذي عليه جمهور المفسرين والمحدثين [1].

والـثاني : هـذا بيان من النبي ﷺ لطبيعة المرأة، وأنها كالضلع في الاعوجاج [2]، ويشهد له قوله ﷺ : ((ثم إن المرأة كالضلع)) كما في بعض روايات الحديث [3].

ولكـن لا تعارض بين ألفاظ الحديث؛ لأن رواية الحديث بلفظ : ((المرأة خلقت من ضلع)) تشير إلى نقطة تشبيه المرأة بالضلع في الرواية الأخرى ((إن المرأة كالضلع))، وتبين أن المرأة عوجاء مثل الضلع لأن أصلها منه؛ إذ خلقت حواء عليها السلام من ضلع من أضلاع آدم عليه السلام فالمرأة في مشاعرها وعواطفها تحاكي ذلك الضلع المعوج الذي خلقت منه، وبهذا يتبين أنه لا تناقض بين ألفاظ الحديـث ورواياته الثابتة عن النبي ﷺ بل يوضح بعضها بعضا، وكلها متفقة في بيان حقيقة واحدة، وهي أن حواء خلقت من ضلع من أضلاع آدم عليه السلام، والله أعلم بالصواب [4].

فيتـبين مما سبق من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والآثار المروية عن السلف بجلاء ووضـوح أن حواء عليها السلام خلقت من ضلع من أضلاع آدم عليه السلام، وفيها رد دامغ على أولـئك الذين يزعمون أنها خلقت خلقا مستقلا من التراب كما هو شأن آدم عليه السلام [5]، أو أنها ولدت من أبوين، وجاءت من ذكر وأنثى عن طريق التناسل، والالتقاء بين الزوجين [6].

---

(١) انظـر : المفهـم لمـا أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٢٢٢/٤)؛ وشرح النووي على صحيح مسلم (٥٧/١٢)؛ والكاشف عن حقائق السنن (٣٠٦/٦-٣٠٧)؛ وفتح الباري (٣٦٨/٦ و ٢٥٣/٩)؛ وسبل السلام (١٣٩/٣)؛ ونيل الأوطار (٢٤٤/٦)، وانظر : ما سبقت الإشارة إليه في (ص : ٢٠٣ ،الهامش رقم : ٣) .

(٢) انظر : المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٢٢٢/٤)؛ والكاشف عن حقائق السنن (٣٠٦/٦-٣٠٧) .

(٣) جزء من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أخرجه خ (النكاح، ب : المداراة مع النساء، وقول النبي ﷺ : إنما المرأة كالضلع ١٩٨٧/٥ ح : ٤٨٨٩)؛ و م (الرضاع ، ب : الوصية بالنساء ١٠٩٠/٢ ح : ١٤٦٨) .

(٤) انظر : فتح الباري (٢٥٣/٩)؛ وحياة آدم لمحمود شلبي (ص : ٦١) بواسطة كتاب " الإنسان" للمطرودي (ص: ١٩) .

(٥) ذكره الماوردي في كتابه " أعلام النبوة " (ص : ٧٧) عن أبي مسلم محمد بن بحر الأصفهاني المعتزلي المتوفى (٣٢٢هـ) وإليه يميل محمود بن حمزة الكرماني (ت : ٥٣٥هـ) في كتابه : غرائب التفسير وعجائب التأويل (٣٤/١)؛ وذكره عبد الوهـاب النجار في كتابه : قصص الأنبياء (ص : ٨) ولكنه لم يرض به واختار الأول . وانظر أيضا : ما قاله عبد الصبور شاهين في كتابه " أبي آدم قصة الخليقة بين الأسطورة والحقيقة " (ص : ٧٦) .

(٦) قاله عبد الصبور شاهين . انظر كتابه المذكور آنفا : (ص : ١١٧) .

وقت خلق حواء عليها السلام :

أما الوقت الذي خلقت فيه حواء عليها السلام فلم أقف فيه على دليل صريح من القرآن أو السنة الثابتة عن النبي ﷺ يحدد الوقت الذي خلقت فيه أم بني آدم حواء عليها السلام ولكن هناك آيات في كتاب الله تعالى استنبط منها المفسرون أن حواء عليها السلام خلقت بعد سجود الملائكة لآدم عليه السلام وامتناع إبليس من السجود له، وقبل أن يأمر الله تعالى آدم عليه السلام بأن يسكن هو وزوجه الجنة .

قال تعالى : ﴿ وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين ﴾ [1] ، وقال تعالى : ﴿ ويا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين ﴾ [2]، وقال تعالى : ﴿ فقلنا يا آدم إن هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى * إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى * وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى ﴾ [3].

فقد أمر الله سبحانه وتعالى آدم عليه السلام أن يسكن هو وزوجه الجنة، ويفهم من هذا الخطاب وسياق الآيات أن حواء عليها السلام كانت قد خلقت قبل أن يتلقى آدم خطاب ربه للسكن في الجنة مع زوجه عليهما السلام [4].

قال الآلوسي [5] : (وقال كثيرون – ولعلي أقول بقولهم – : إنها خلقت قبل الدخول ودخلا معا، وظاهر الآية الكريمة يشير إليه، وإلا توجه الأمر إلى معدوم وإن كان في علمه تعالى موجودا، وأيضا تقديم ﴿زوجك﴾ على ﴿الجنة﴾ نوع إشارة إليه، وفي المثل : (الرفيق قبل الطريق)، وأيضا هي مسكن القلب والجنة مسكن البدن، ومن الحكمة تقديم الأول على الثاني) [6].

---

(١) البقرة الآية : ٣٥

(٢) الأعراف الآية : ١٩

(٣) طه الآيات : ١١٧-١١٩

(٤) انظر : تفسير البحر المحيط (٣٠٧/١)؛ والبداية والنهاية (٧٤/١)؛ وتفسير القرآن العظيم (٧٨/١-٧٩)؛ وجواهر الأفكار ومعادن الأسرار المستخرجة من كلام العزيز الجبار (ص : ١٧٢)؛ وقصص الأنبياء لمحمد الفقي (ص : ٢٢)؛ والابتلاء وأثره في حياة المؤمنين كما جاء في القرآن الكريم للشيخ عبد الله مير غني (ص : ٩٤) .

(٥) أبو الثناء شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الآلوسي، مفسر، محدث، فقيه، أديب، لغوي، نحوي، توفي سنة ١٢٧٠هـ . انظر : معجم المؤلفين (١٧٥/١٢) .

(٦) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (٢٣٤/١) .

وقال الشيخ عبد القادر شيبة الحمد – حفظه الله – : لا شك أن هذا الأمر إنما صدر مـــن الله عـــز وجل لآدم عليه السلام بعد أن خلق الله له زوجه حواء – عليها السلام – حيث خلقها من ضلع من أضلاع آدم عليه السلام ... والظاهر أن سجود الملائكة لآدم عليه السلام و تأبِّيَ إبـــليس – لعنه الله – عن السجود كان قبل خلق حواء، وكان قبل أن يؤمر آدم و زوجه – عليهما السلام – بأن يسكنا الجنة .أهـــ بتصرف واختصار[1].

ويتـــبين مما سبق أن حواء عليها السلام خلقت من ضلع من أضلاع آدم عليه السلام، وأنها خلقت بعد سجود الملائكة لآدم عليه السلام، وقبل أن يأمر الله لآدم بأن يسكن هو وزوجه الجنة، والله أعلم بالصواب.

---

(١) انظر : تهذيب التفسير وتجريد التأويل مما ألحق به من الأباطيل ورديء الأقاويل (١/ ١٠١-١٠٢) .

الفصل الثاني : الأقوال الباطلة في أصل الإنسان والرد عليها .

وفيه ثلاثة مباحث .

المبحث الأول : أصل الإنسان عند الهندوس وبيان بطلانه .

المبحث الثاني : أصل الإنسان عند الملاحدة وبيان بطلانه .

المبحث الثالث : أصل الإنسان عند التطوريين من الملاحدة وغيرهم، وبيان بطلانه.

المبحث الأول : أصل الإنسان عند الهندوس و بيان بطلانه .

يعـتقد الهندوس [1] أن الروح الكوني [2] تشكل بالشكل الإنساني، ثم نظر حوله، فلم يجـد هناك شيئا غير نفسه، فصرخ بملء فيه : " هأنذا "، فوجدت من هذه الساعة كلمة " أنـا " ولذلـك فأول ما يقول الإنسان إلى الآن عند كلامه عن نفسه : " أنا ". وشعر هذا الـروح الكوني أو الإنسان الأول بالخوف من وحدته؛ ولذلك يخاف الإنسان إلى الآن إذا كان وحيدا، ولكنه سأل نفسه : لماذا أخاف فإنه لا يوجد أحد غيري، و إنما يخاف الإنسان مـن غـيره . ووجد نفسه لا يشعر بالسعادة؛ ولذلك لا يشعر الإنسان بالسعادة إذا كان وحيدا، فرغب في إيجاد قرين له، فقسم نفسه قسمين : قسم بقي على حاله، وتحول القسم الآخر إلى امرأة، فكانت هذه المرأة زوجته، ومن تلك الساعة تسلسل خلق الإنسان [3].

وجـاء في " الأبانشاد " وهو من كتب الهندوس المقدسة : (كان الله في الحق كبير الجسم حتى ليعدل جسمه رجلا وامرأة، ثم شاء لهذه الذات أن تنشق نصفين، فقسم نفسه إلى قسـمين : قسـم بقي على حاله، وتحول القسم الآخر إلى امرأة، فكانت هذه المرأة زوجته، وضاجع الزوج زوجته؛ وبهذا أنسل البشر .

وسـألت الزوجة نفسها : كيف استطاع أن يضاجعني بعد أن أخرجني من نفسه ؟

---

(١) الهندوسية ديانة وثنية عبارة عن مجموعة من العقائد والعادات والتقاليد التي تشكلت عبر مسيرة طويلة من القرن الخامس عشر قبل الميلاد إلى وقتنا الحاضر، وهي تعبد آلهة كثيرة؛ فلكل منطقة إله ولكل عمل أو ظاهرة إله . انظر : الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة (٢/٧٢٤) .

(٢) يقصد الهندوس بالروح الكوني " براهما " فهو الذات الكونية والروح العالمية التي هي أصل الأرواح كلها، ومع تطور الفلسفة الهندوسية أصبحت هذه القوة تعني روح الكون والقوة التي تثبت الكون . انظر : الموسوعة العربية العالمية (٤/٢٩٠ مادة : براهما) .

(٣) انظـر : الفكر الفلسفي الهندي (ص : ١٣٧-١٣٨) بواسطة كتاب : أصل الإنسان وسر الوجود (ص : ٤٠-٤١)؛ والأساطير الهندية عن الكون وخلقه (ص : ٣٤) بواسطة كتاب : مقارنة الأديان (أديان الهند الكبرى، ٤/٥٢-٥٣)، ومنه نقل الأعظمي في " فصول في أديان الهند " (ص : ١٠٢-١٠٣) .

فلأخـــتف ! فاختفت في صورة البقرة، وانقلب هو ثورا فزاوجها، فاتخذت لنفسها هيئة الفرس، واتخذ لنفسه هيئة الجواد، ثم أضبحت أتانا فصارا حمارا، وانقلبت عنزا فصار تيسا ...وهكذا حتى توالدت جميع المخلوقات من الذر والنمل إلى الفيلة والجمال .

فـــلما انتهى إلى هذا ونظر الإله إلى تلك الكائنات أدرك حقيقة الأمر وقال : حقا أنا هذا الخلق نفسه؛ لأني أخرجته من نفسي) [١] .

فهذه الحكاية الهندوسية التي نسب فيها الهندوس إلى ربهم صفات وأفعالا يتتره البشر أن تنسب إليه - تذكر أن الإنسان بل كل المخلوقات من ذوات الأرواح مخلوقة من ذات إلههم ومعبودهم .

وجاء في " الريج فيدا " كتاب الهندوس المقدس : (خلق الله طائفة " البراهمة " من فمه، و" الكشتري " من عضده، و" الويش " من فخذه، و" الشودرا " من رجله) [٢].

وجاء في " شريعة منو " وهو من كتبهم المقدسة : (كانت الدنيا غامضة، لا توجد لها علاقة، ولا وسيلة للوصول إليها، ثم ظهر " برميشور " (الإله الأكبر) بمادة التكوين، وأراد أن يخـــلق خلقا من ذاته؛ فخلق الماء، وألقى فيه النطفة، وأصبحت هذه النطفة بيضة، فخرج منها " برهما " (الخالق)، وكسر البيضة نصفين، فخلق من أحدهما الجنة، ومن الثاني الأرض والسماء وما بينهما، والجهات الثمانية، والبحور المتموجة، ثم أخرج من فمه طائفة " البراهمة "، ومـــن عضـــده طائفة " الكشتري "، ومن فخذه طائفة " الويشيا "، ومن رجله طائفة " الشودرا "، فما دام " برهما " مستيقظا؛ فالدنيا باقية، فإذا أخذه النوم تقع القيامة) [٣] .

هكـــذا تذكـــر كتب الهندوس المقدسة لديهم فهم يعتقدون بأنهم خلقوا من جسد معـــبودهم وخـــالقهم " برهما "، وأنه هو الذي جعلهم على طبقات بحيث خلقهم من أمـــاكن مختلفة من جسده و لكن جاء في الحوادث التاريخية أن الآريين - لما سيطروا على شمـــالي وشرقي الهند في الألف الثانية قبل الميلاد استعبدوا الأهالي - خلقوا هذه الطبقات،

---

(١) بريها درانياكا (سفر من أسفار " الأبانشاد ") (٨١/٤/١) بواسطة كتاب: قصة الحضارة (الهند وجيرانها ٣/٣٣-٣٤)، ومنه نقله عبد الكريم الخطيب في " قصتا آدم و يوسف ... "(ص : ٢٣-٢٤)؛ وفي " قضية الألوهية بين الفلسفة والدين : الله ذاتا وموضوعا " (ص : ١٧٥) .

(٢) الريج فيدا ١٠/٩٠/١٢ بواسطة كتاب : فصول في أديان الهند (ص : ٥٥-٥٦) وانظر : تحفة الهند (ص : ٤٥و ١٠١-١٠٣)؛ والأديان: دراسة تاريخية مقارنة (القسم الأول، الديانات القديمة ص : ٨٧) .

(٣) منو إسمرتي، الباب الأول : ٥١-٥٢ بواسطة كتاب : فصول في أديان الهند (ص : ١٠٠-١٠١) .

وذلك بجعل أهالي البلاد عبيدا ومنبوذين يقومون بخدمة الأسياد الذين تتكون منهم الطبقات الثلاث التي تنتمي إلى الجنس الآري [1].

كما يلاحظ أن " برهما " مخلوق خلقه " برميشور " من مادة التكوين مع أنه روح الله الأزلية في عقيدة الهنادك، وإليها ترجع الأرواح السفلية، وأن هذا المخلوق انقلب فصار خالقا، فخلق الجنة والأرض والسماء وما بينهما، وأن هذا الخالق المخلوق خلق الطبقات الأربع من الناس، فمن خلق الباقي من الأجناس البشرية ؟ ، ثم إذا كان " برهما " هو الذي يدبر الكائنات فما هو وظيفة " برميشور " الذي خلق " برهما "؟ وبه يتبين تناقض هذه الديانة وفساد هذا القول [2]، وسيأتي بيان بطلان هذا القول من أوجه أخرى غير ماذكرت [3].

---

(١) انظر : فصول في أديان الهند (ص : ٥٥-٥٨)؛ والأديان : دراسة تاريخية مقارنة (القسم الأول : الديانات القديمة ص : ٨٧)؛ ومقارنة الأديان (الأديان الهند الكبرى، ٤/٢٤-٢٥) .

(٢) انظر : فصول في أديان الهند (ص : ١٠١) .

(٣) انظر : (ص : ٢١٨-٢٢٢) .

المبحث الثاني : أصل الإنسان عند الملاحدة و بيان بطلانه .

لقـــد خـــلق الله تعـــالى الإنســـان، ومنحه اللسان، وعلمه البيان، وأحسن إليه كل الإحسان، وأنعم عليه غاية الإنعام، وأغدق عليه نعمه كل حين وآن ... فضلا من الرب الرحيم الرحمن .

ومـــع ذلـــك كله نجد من الناس من ينأ بجانبه، ويستكبر عن ربه، فينسب خلقه إلى غـــيره، ويعطلـــه عـــن مخلوقه، ويشرك معه غيره في خلقه ...أو يكفر به ويجحده وينكر وجوده ولا يؤمن به أصلا .

وأقوالهـــم الدالـــة على إنكار الخالق وجحده، وتعطيله عن مخلوقه، ونسبة الخلق إلى غيره كثيرة، وهنا أكتفي بذكر بعض أقوالهم الباطلة المتعلقة بأصل الإنسان من خلال المطلبين الآتيين.

المطلب الأول : أصل الإنسان عند الملاحدة الإسماعيلية الباطنية وبيان بطلانه .

مصدر مقالة الإسماعيلية في أصل الإنسان :

زعمت جماعة من الفلاسفة عن خلق الكون وإيجاده أنه صدر عقل أول عن عقل محض، وهـــو الله عـــندهم، ومن العقل الأول صدرت عقول أخرى بعضها من بعض، إلى عشرة عقـــول، ومـــن العقل العاشر الذي يسمونه العقل الفعال فاضت العناصر الأربعة التي يتركب منها جميع المخـــلوقـــات الأرضية من الجماد، والنبات، والحيوان البهيم، والإنسان [1].

---

(1) انظـــر : آراء أهل المدينة الفاضلة للفارابي ضمن كتاب : تراث الإنسانية (٢/٥٧٦-٥٧٨)؛ و "في سبيل موسوعة فلسفية " (الفارابي، الفيض والعقول الإبداعية عند الفارابي ص : ٦١-٦٩ وابن سينا، ابن سينا والفيض الإلهي ص : ٤٥-٤٨)؛ وأصل الإنسان وسر الوجود (الفيض و الإبداع بمفهوم الفارابي، ص : ١٥٩-١٦٤ والفيض عند ابن سينا، ص : ١٧٢-١٧٤) .

وتابعتهم على ذلك الإسماعيلية فزعمت أن جميع المبدعات الروحانية والمخلوقات الجسمانية من جماد وحيوان ونبات وإنسان ...ونجوم وكواكب ... هذه كلها وجدت بواسطة العقل والنفس، وزعموا أن الله أبدع العقل الأول وهو تام بالفعل، وبتوسط هذا العقل أبدع النفس وهي غير تامة، ولما اشتاقت النفس إلى كمال الفعل احتاجت إلى حركة من النقص إلى الكمال، والحركة تحتاج إلى وسيلة، وهي الأفلاك السماوية [1].

فالإنسان وما سواه من المخلوقات كلها وجدت بواسطة العقل الفعال في زعم الفلاسفة، وهي وجدت بواسطة العقل والنفس في زعم أذنابهم من الإسماعيلية إلا أن الإسماعيلية فصلوا خلق المعدن والنبات والإنسان — والأخير هو المقصود ذكره هنا — تفصيلا ازدادوا به ضلالا وكفرا وشركا وإلحادا وزندقة على مشايخهم من الفلاسفة .

قول الإسماعيلية في أصل الإنسان :

قال الحسين بن علي بن محمد الإسماعيلي [2] : (فلما أراد المدبر أن يجعل الأرض مقرا لظهور ما يظهره من المواليد — التي هي المعدن والنبات والحيوان — وكانت وما يليها من الجو في نهاية الإفراط في البرد واليبس، فحرك الفلك، فرمت الكواكب بأشعتها نحو الأرض، وقد كانت صخرة صلدة لشدة بردها ويبسها، فلم تجد الأشعة فيها منفذا لصلابتها، فرجعت منعكسة، فسخَّنت وجه الأرض وما يليها من الهواء، وصيرته معتدلا ...ثم إن المدبر تعالى صرف تدبير العالم إلى زحل بمادته في تحريكه للفلك، فدبر العالم ألف سنة ...ثم إن المشتري رافَد زحل في التدبير ألف سنة ثانية ...ثم إن المريخ رافد زحل في التدبير ألف سنة ثالثة ... ثم إن الشمس رافدت زحل في التدبير ألف سنة رابعة ... ثم إن الزهرة رافدت زحل ألف سنة خامسة ...وكان كل ذلك مقدمة لظهور الشخص البشري)

وقال : (إن المدبر تعالى حرك الفلك، فصعدت البخارات الحادثة من صفو المعدن والنبات والحيوان، فصارت غيوما، ثم انهلَّت على وجه الأرض أمطارا صافية معتدلة، وخددت الأرض خددا غير عميقة، وقد صفا ذلك الماء في عمقها، ثم صعد بخارا على ألطف

---

(1) انظر : الإسماعيلية المعاصرة (ص : ٧٤-٧٥)؛ والإسماعيلية تاريخ وعقائد (ص : ٣٩٨ و٤٠٧) .

(2) هو الحسين بن علي بن محمد بن الوليد الإسماعيلي، متكلم إسماعيلي، توفي سنة ٦٦٧هـ . انظر : معجم المؤلفين (٣٧/٤) .

وأشــرف وأصفى من الأول، فأهلَّ مطرا كثيرا نظير مني الرجل، فوقع في تلك المغارات والخدد التي [هي] شبيهة بأرحام النساء، فمازج الماء الكائن فيها المشاكل لماء المرأة، فصار شيئا واحدا .

ثم أسخنته حرارة الأرض، فصعد هاربا من الحر، فلحقه برد النسيم من خارج الخدد، فهبط منه هاربا، ثم لم يزل يهبط تارة ويصعد تارة، وهو يقتصر ويتلطف وينعقد ويتكون في مراتب الخلقة مدة تسعة أشهر، بتدبير المدبر وتأثير قوى الكواكب والأفلاك فيه، إلى أن كمــلت له المــدة . ثم فتح عينيه وحواسه، واستنشق النسيم، واتصلت به الحياة المحيية الحســية بواسطة النسيم، فتمدد تارة وقعد تارة، وجعل يتمرغ ببدنه في ذلك الماء الذي تكون منه، ويجتذبه بمسام بدنه وقد صار دهنا .

ثم طلب الغذاء من فمه، وقد كان أولا يغتذي من صفو ذلك الدهن، فجعل يمتص أصبعه الإبهام، فأجرى الله له فيها لبنا خالصا سائغا للشاربين، فاغتذى به، فجعل ينام تارة ويقعد تارة إلى أن كمــل له ســنة، ثم قام، و هو يومئذ في كبر جثته كمثل ابن أربع سنين . وذلك لكبر الأبويــن اللذين هما السماء والأرض . فمشى وتناول بما قرب منه من الغذاء من التين والعنب والفواكــه التي كان قدمها له المدبر سبحانه . وكان هذا النشوء الحادث في جميع جزائر الأرض الاثنتا عشرة؟!، وتكون من فضلات تلك المياة إناث، وكان النشوء الأول كلهم ذكورا .

وكــان المدبــر تعالى قد ميز من تلك المياه أصفاها وأشرفها وأفضلها، وساقه إلى أشــرف الــبقاع في أول الكون، وهي جزيرة " سرنديب " (١) لأنها موضع الاعتدال من الأرض يومــئذ في تــلك الخدد . وفي تلك الخدد ثمانية وعشرون شخصا هم في الشرف والفضــل على سائر البشر بمنزلة الياقوت الأحمر في شرفه على الأحجار، وفيهم — أعني الــثمانية والعشرون شخصا ؟ (٢)— شخص واحد عليه من الشرف والفضل ما للياقوت الأحمر على الأحجار وهو زبدة العالم وخلاصته ...ثم إن هذا الشخص الفاضل فرق من

---

(١) سرنديب : بفتح أوله وثانيه وسكون النون ودال مهملة مكسورة وياء مثناة من تحت وباء موحدة : بلغة الهنود وهي جزيرة عظيمة في بحر هركند بأقصى بلاد الهند . انظر : معجم البلدان (٢١٦/٣) .

(٢) هكذا مكتوب مع أن قواعد اللغة العربية تقتضي أن تكون العبارة " أعني الثمانية والعشرين شخصا "؛ أي : باليــاء لا بالواو لأنه مفعول به، و" العشرين " من ملحقات الجمع المذكر السالم الذي ينصب بالياء . انظر : أوضح المسالك مع شرحه ضياء السالك (٦٢/١) .

السـبعة والعشرين اثني عشرة في جزائر الأرض الاثنتا عشرة [1]؟ يدعوهم إلى عبادة الله وطاعته ... هذا الشخص الفاضل هو آدم الأول، وهو أبو البشر من حيث أنه معلمهم أو أمـر معاشهم وأمر معادهم؛ فهو سبب حياتهم في الدنيا والآخرة ...وأقام هذا الشخص الفاضـل بحضرته اثني عشر شخصا (حجج الليل) وهم أفضل السبعة والعشرين، منهم أربعـة يسمون (الحرم) وهم أفضل من الثمانية، ومن الأربعة واحد وهو أفضلهم، وهو الـباب لذلك المقام الكريم ...ثم إن كل داع أمر أهل جزيرته بأن يتزوج كل واحد منهم بالأنـثى الـتي تكونـت في مغارة غيره، ولا يتزوج بالأنثى التي تكونت معه في مغارته، وظهرت منها عن فضلة مائه؛ فهي له كالأخت لا يحل له نكاحها .

فهذه طريقة أهل الحق الطاهرة المتره عليها، لا ما يعتقد الجهلة من أهل الظاهر من أن آدم زوج أولاده الـبطن الأول بالـبطن الثاني فيكون أهل النشوء سفاحا، نعوذ بالله من ذلـك...وكـانت هذه الولادة من الأرض تلك الدفعة الواحدة الأولة [2]لا غير، ورجعت من التناسل بين الرجال والنساء إلى الآن) [3].

وقال إبراهيم الحامدي الإسماعيلي[4]: (... دارت الأفلاك، ودبرت المدبرات، وتدافع الهواء، وامـتزجت الأمهـات، فانعصر البخار بذلك السحاب، بتدافع جرم الهواء الذي يقال له الريح، فأمطـرت مطرا نظير المني، فأخرجت الأرض الجثة لجميع الحيوان حالا بعد حال، وظهرت جثة الإنسـان والطـالع العذراء بقوة تأثير الأصلين اللذين كانا سببا لوجود آدم الروحاني وزوجه في الروحانيين، وسبب وجود الطين ، فخلق من ذلك جميع الموجودات في الأرضين والسماوات ...) .

---

(١) هكـذا مكـتوب مع أن قواعد اللغة العربية تقتضي أن تكون العبارة " الاثنتي عشرة " لأنها تتبع المتبوع في الإعـراب، والمتبوع مجرور لدخول حرف الجر " في " عليها، والاثنتان من الملحقات بالمثنى الذي يجر بالياء . انظر : المصدر السابق (٥٨/١) .

(٢) هكذا مكتوب مع أن تأنيث كلمة " الأول " في اللغة العربية " الأولى "، لا " الأولة " كما قال المؤلف .

(٣) المبدأ والمعاد لعلي بن الوليد، مخطوطة في المكتبة الخاصة لمصطفى غالب الإسماعيلي برقم : ١١٥، بواسطة كتاب " أصـل الإنسان وسر الوجود " لمؤلفته : باسمة كيال – وهي من القوم أنفسهم، وتقول بمقولتهم – (ص : ٣٤٩-٣٥٥)؛ وكتاب : الإسماعيلية تاريخ وعقائد للعلامة إحسان إلهي ظهير (ص : ٤١٤-٤١٨) .

(٤) هو إبراهيم ين الحسين الحامدي، من دعاة الإسماعيلية وعلمائهم في اليمن، توفي سنة ٥٥٧هـ . انظر : معجم المؤلفين (٢٣/١) .

وقـــال : (إن ظهـــور الجثة من غير نطفة، ولا ازدواج بالقوة الإلهية المكنونة بالآلة المعتدلة الشريفة السعيدة الفلكية، وقوة العالم، والفلك هو معلول علة العلل الواحد الذي ليـــس كمـــثله شيء، فالبشر نتيجة الفلك، ثم كان من بعد ذلك الازدواج والتناسل من الذكر والأنثى، من كل زوج ليبقى الجنس إلى الوقت المعلوم ...).

وقال : (... ثم ابتدأ زحل وعطارد في تكوين الإنسان في ابتداء خلق البشر ...اجتمع الماء في المغـــارات والكهوف ... فحدث في تلك الأغوار من ماء المطر الذي يشبه مني الرجل و من مـــاء الأرض مـــا يجـــانس نطفة المرأة، ومن النداوة المتقدمة من الثلوج والأمطار، المتجمعة من الطوفـــان مـــاء نظـــير دم الطمث الذي يجمع بين النطفتين ...وظهرت قوى حرارة الأرض ...وهـــبت الرياح من ناحية إلى أخرى ...فصار الماء دهنيا سيالا معتدلا لطيفا طبعه طبع النطفة المتكونة في الرحم ...وسخن الهواء، وحمي ظاهر الأرض، فجف شيئا بعد شيء، وابتدأ الدهن ينعقد بإنضاج الحرارة ... إلى حد المضغة ... وأحدث كل كوكب فيها شيئا ما تولى جزء من جسده، وأكسبه قوة من قواه . والمتولي لنقش الصورة عطارد بشراكه الشمس وزحل والقمر، فـــأول ما انفعل بقوة الشمس. ثم الرجلان بقوة زحل، ثم الرأس بقوة القمر، وعطارد يزيد في كـــل قوة وهو يرسم التصوير، والزهرة تتولى التذكير والتأنيث ... فلما حدث في الجثة الطول والعـــرض والعمق، وتخطط رأسه ووجهه — وقد نضبت المغارات — انقشرت الأغطية، وانبعث فيـــه الروح من الحرارات التي كونته ثم استجنت في بدنه، وأعطاه القمر قوة الحياة الإلهية المحيية التي يحيى بها ما استكن فيه، من حرارة الشمس وقوتها ...وتحرك الإنسان بالحياة المتعلقة به، التي دخـــلت عليه عند كماله من قوى الأفلاك... وهو يجتذب ببدنه تلك الرطوبات وخواصها... وتـــزداد قوتـــه بعد إقامته فيها بين الماء والطين تسعة أشهر...، فلما صارت الشمس في برج العقـــرب وتقوى الإنسان البشري فتح فاه وطلب الغذاء من فمه المهيأ له، وسار لستة أشهر من يوم خلع المشيمة التي كانت تلفه، وهو في هذه الستة الأشهر يرضع إبهامي يديه...، فسار وهو في الخلق والقوة كمولود أربع سنين لقوة الأبوين وعظمتهما ...) [1].

فهؤلاء يعتقدون في أصل الإنسان أنه نزل مطر من السماء، ووقع في حفريات كثيرة

---

(1) ذكرته عنه باسمة كيال في : أصل الإنسان وسر الوجود (ص : ٢٨٠-٢٩٢) .

في الأرض، كما يقع مني الرجل في رحم المرأة، وبتأثير الأجرام السماوية في المياه المتجمعة في تلك الحفريات ولد من كل حفرة رجل، ثم ولدت امرأة من كل حفرة بما بقي فيها من المـــاء، وهكذا ولدت جماعة كبيرة من الرجال من الأرض دفعة واحدة، ثم ولدت جماعة كـــبيرة مـــن النســـاء من الأرض في دفعة لاحقة، ثم حصل التزاوج والتناكح بين أولئك الـــرجال و النساء، وبذلك استمر التناسل والتوالد . وهؤلاء الرجال والنساء الذين ولدوا في تلك الحفريات من خلال دفعتين هم أصول الإنسان عندهم .

بيان بطلان مقالة الإسماعيلية وشيوخهم من الفلاسفة في أصل الإنسان :

لا شـــك أن ما ذهبت إليه الإسماعيلية وشيوخهم من الفلاسفة في أصل الإنسان من أبطل الباطل؛ فإنهم بهذه المقالة الشنيعة والعقيدة الفاسدة ما قدروا الله حق قدره بل كذبوه فيما أخبر به، وعطلوه عن خلقه، وجعلوا العقل والنفس مع الأفلاك والكواكب والنجوم بمترلـــة الخالق المدبر المحيي المتصرف في العباد ... ولا شك أن هذه الدعوى منهم زندقة واضحة، ووثنية ظاهرة، وشرك جلي بالله تبارك وتعالى . وهو قول لا ينتمي إلى عقل ولا إلى شـــرع، و إنمـــا ينتمي إلى الوثنية اليونانية التي تتعبد للكواكب والنجوم، وتدعي لها أرواحـــا وتصرفا وتدبيرا . ولا يختلف عن دعوى عباد الأصنام في أصنامهم من مشركي العرب والهندوس ومن على شاكلتهم . وجميع آيات التوحيد في القرآن ترد عليهم، وتبين ضلالهم، وكفى بها برهانا ساطعا وحجة واضحة لمن أراد الله هدايته [(١)] .

وبالإضـــافة إلى ما سبق يمكن أن يقال في بيان بطلان ما نسبوا إليه الخلق من العقل والنفس ما يلي [(٢)]:

١- إن هذه العقول والنفوس التي يدعونها لا يقر بها جل بني آدم، وليس لها في نفوسهم أي صـــدى ولا أثر، فلا تجد أحدا منهم يدعو في رخاء ولا شدة العقل أو النفس الكلية ولا

---

(١) انظر : مقالا لشيخنا سعود بن عبد العزيز الخلف – حفظه الله – بعنوان : قول الفلاسفة المنتسبين للإسلام في توحيد الربوبية ، عرض ونقد في ضوء السلف " (ص : ٣٨٣-٣٨٤)، وهو منشور في مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية و آدابها ج ١٣ ع ٢١ رمضان ١٤٢١هـــ.

(٢) الوجـــوه التالية في الرد مستفادة من المقال السابق لشيخنا سعود بن عبد العزيز الخلف – حفظه الله – (ص : ٣٨٧-٣٩٠) ومقال آخر له – يسر الله طبعه ليعم النفع به – بعنوان " قول فلاسفة اليونان الوثنيين في توحيد الربوبية " (ص : ٥٣) .

غيرهمـــا بـــل لا يدعو إلا الله تعالى . وما ذلك إلا لأنهم لا يعرفون خالقا غيره سبحانه . قال تعالى : ﴿ فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون ﴾ (١) .

٢- قولهم عن الله تعالى بأنه عقل، هذا في الحقيقة نفي للخالق تعالى؛ لأن العقل ما هو إلا معنى من المعاني، وهو أشبه ما يكون في دعواهم بالفكر أو الخيال، والمعاني ليس لها وجود ذاتي في الخـــارج، بل تكون قائمة بغيرها أو صادرة عن غيرها مثل الكلام والأفكار والخيالات ، فهذه المعـــاني تقوم بغيرها ولا تقوم بنفسها . وهم ينفون أن يكون الله قائما بغيره أو صادرا عنه، وإذا كان الله معنى، وليس له وجود ذاتي في الخارج، وليس قائما بغيره، وليس صادرا عن غيره فمعناه أنه ليس له وجود أصلا . وهو قول يتناقض تماما مع دعوى وجوده ودعوى صدور العالم منه .

٣- إذا تـــبين أن العقـــل معنى من المعاني و ليس له وجود ذاتي في الخارج، وإنما هو موجود ذهني قائم بالنسبة لنا بالعقل المركب في أجسادنا . فالادعاء بأنه صدر عنه النفس دعوى مرفوضة عقلا ، لأنه لا وجود له بنفسه في الخارج ، فكيف يكون موجدا لما له وجود خارجي مستقل ؟.

فهـــذا مرفوض عقلا، كما لو قلنا : إن أحدا من الناس تخيل خيال طائرة، ثم الطائرة التي تخيلها بذهنه أنتجت حصانا محسوسا، فلو قال قائل ذلك، لقيل له : هذا كذب وجنون .

فـــإن قيـــل : إن ما يتعلق بالعقل الأول، أو العقل الفعال أو نحوه، يختلف عما عليه الإنسان لقيل له : من أخبرك بذلك ؟ هل اطلعتم على تكون العقل الأول ومادته وفعله ، أم تخرصون و تخبطون ؟ لا شك أنهم يخرصون ويخبطون .

٤- إن العقل الأول لا يمكن بحال أن يوجد عنها ما يسمونه بالنفس أو غيرها؛ لأنها إن كانت من جنس العقل الأول، فقد نتج عندنا تكرار من الصنف نفسه، وإن كانت من غـــير جنسه فهي دعوى باطلة يرفضها الواقع؛ لأن العقل الأول عندهم ذو صفة واحدة وكيفية واحدة، فكيف ينتج عنه ما هو خلاف جنسه ؟ .

٥- إن مـــا نسبوا إليه الخلق والإيجاد هي أشياء عاجزة تماما، فإن العقل الأول أو النفس أو مجموعهمـــا أمور معنوية عاجزة، يدل على عجزها في دعواهم أنه لم يصدر عن كل واحد مـــنها إلا شيء واحد، أو شيئان أو ثلاثة أشياء، وهذا دليل عجزها وضعفها . وإذا نظرنا إلى

---

(١) العنكبوت الآية : ٦٥

الكــون والمخلوقات الموجودة فيه وجدنا فيها ما هو أقوى وأقدر بكثير مما زعموا أنه أصلها ومادتها . ومعنى ذلك أنها أعظم من موجـدها وخالـقها فيما يزعـمون ! .

٦- الإنســان وكذلك غيره من الحيوانات مكونة من شيئين : روح ومادة . أما الروح فــلا نعلم كنهها ومادتها . وأما المادة الموجودة في هذه المخلوقات من الحيوانات وغيرها التي تحيــط بنا، فإن لها مكونات لا نكاد نحصيها كثرة من تراب وماء وهواء ونار ونور وخشب ومعــادن وحيوانات ...ولها تكوين آخر تتكون منه مثل : الدم والعصب والعظم، وكل نوع من هذه الأنواع مكون من مكونات عديدة كثيرة، لا يعلم عددها إلا الذي خلقها .

فكيف أمكن لما يسمونه العقل أو النفس أو هما معا أن يوجدا تلك المكونات العديدة المتــنوعة وهما فاقدان لها ؟ وكيف أمكن لهما أن يوائما بينهما تلك الموائمة العجيبة التي تــدل عــلى علم وحكمة متناهية ؟ وكيف أمكن لهما الرعاية والعناية بالاستمرار حتى تحققت هذه النتائج الباهرة ؟ وهل يمكن أن تعزى هذه الأشياء الغريبة العجيبة المتناهية في العلم والحكمة إلى أمور معنوية قائمة في الأذهان، والتي ليس لها وجود في الخارج ؟

لا شــك أن ذلك لا يمكن بداهة، بل وراء هذه المخلوقات خالق عظيم، مدبر عليم حكيم، له كل صفات الكمال والجلال، ولا بد أن يعزى إليه القدرة التامة على إيجاد كل موجــود وتدبيره وتنظيم شؤون خلقه، وأن له القدرة المطلقة على إيجاد الأشياء من العدم المحض وتدبيرها والتصرف فيها .

يتبين مما سبق بطلان ما زعمت الفلاسفة ومن وافقهم من الإسماعيلية، وأن مزاعمهم لا تمت بصلة إلى العقل الذي يزعمون أنهم أربابه، كما لا تمت إلى الشرع الذي يزعمون أنهــم ينتصرون له باستدلالاتهم العقلية، بل قولهم في غاية الفساد والبطلان، ولا يعدو عن كونه ظنا كاذبا وخيالا فاسدا وخرصا باطلا .

مناقشة عامة لأقوال الهندوس والإسماعيلية وشيوخهم من الفلاسفة :

قد سبق ذكر بعض الوجوه الدالة على بطلان أقوالهم عند ذكرها، وهنا أذكر وجوها أخرى عامة، كلها تدل على بطلان أقوالهم جميعا، وهي كما يلي :

١- إن خلق آدم وحواء – عليهما السلام – من أمور الغيب لنا، وشأن الأمور المغيبة عــن الإنســان أنه لا يستطيع أن يحكم عليها حكما صحيحا إلا بما وصل إليه من نقل

الـثقات وخـبر الصـادقين، فـإن الشيء إنما تدرك حقيقته بإحدى ثلاث : إما برؤيته ومشاهدته، و إما بمشاهدة مثله ونظيره، وإما بالخبر الصادق الثقة عنه [1].

والأول والـثاني منـتف في حق آدم وزوجه حواء عليهما السلام أما الأول فلأنه لم نشهد خلقهما. قال تعالى : ﴿ ما أشهدتهم خلق السماوات والأرض ولا خلق أنفسهم ﴾ [2] . والذي لم يشهد الأمر لا يعلمه .

وأما الثاني فلأنه لا يوجد مثيل لخلقهما، فإن الله تعالى خلق الإنسان على أربعة أنواع متقابلة :

١- خلق أبا البشر آدم ﷺ من غير ذكر ولا أنثى .

٢- خلق حواء – عليها السلام – من ذكر بغير أنثى .

٣- خلق عيسى ﷺ من أنثى بغير ذكر .

٤- خلق عامة بني آدم من ذكر وأنثى [3].

فالآن لا يوجد نظير لخلق الإنسان على النحو الذي خلق الله تعالى آدم وحواء عليهما السلام حتى يمكن معرفة خلقهما بمشاهدة نظيره .

فما بقي من طرق المعرفة الصحيحة عن أصل الإنسان إلا الطريق الثالث، وهو خبر الصادق عن ذلك، وقد أخبر الله تعالى في كتابه وعلى لسان رسوله أنه تعالى خلق الناس كلهم من نفس واحـدة، وهو آدم ﷺ قال تعالى : ﴿ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير ﴾ [4] وقال تعالى : ﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة و خلق منها زوجها و بث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تسآءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا ﴾ [5] .

عن ابن عمر – رضي الله عنهما ـ أن رسول الله ﷺ خطب الناس يوم فتح مكة فقال : يا أيها الناس إن الله قد أذهب عنكم عُبِّيَّة الجاهلية وتعاظمها بآبائها؛ فالناس رجلان : بر تقي

---

[1] انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٣٣/٣)؛ والقواعد المثلى (ص : ٢٧) .

[2] الكهف الآية : ٥١

[3] انظر : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٥٤/٤-٥٥)؛ وتوضيح المقاصد وتصحيح القواعد (٥٦٦/٢-٥٦٧)؛ وتفسير القرآن العظيم (٣٦٧/١) .

[4] الحجرات الآية : ١٣

[5] النساء الآية : ١

كريم على الله، وفاجر شقي هين على الله . **والناس بنو آدم . وخلق الله آدم من تراب** [1].

وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال : لينتهين أقوام يفتخرون بآبائهم الذين ماتوا؛ إنما هم فحم جهنم أو ليكونن أهون على الله من الجعل الذي يدهده الخراء بأنفه؛ إن الله قد أذهب عنكم عُبِّيَّة الجاهلية إنما هو مؤمن تقي وفاجر شقي . الناس كلهم بنو آدم . وآدم خلق من تراب [2] .

فالله تعالى خلق الناس كلهم من نفس واحدة، وخلق منها زوجها، ثم بارك فيهما، وبث منهما رجالا كثيرا ونساء، وجعلهم شعوبا وقبائل، وربطهم بالصلة والرحم من النسب والصهر فيما بينهم، هذا هو الحق الثابت عن أصل الإنسان من غير شك و لا مرية فيه؛ لأن هذا خبر الخالق الذي خلقهم ﴿ ومن أصدق من الله حديثا ﴾[3] ﴿ ومن أصدق من الله قيلا ﴾ [4] .

فلا عبرة بما زعم هؤلاء من أن الناس خلقوا من أجزاء مختلفة من جسد برهما كما زعم الهندوس أو خلقوا بواسطة العقل العاشر كما زعم الفلاسفة أو خلقوا بواسطة العقل والنفس، وفي شكل المجموعات ؛ أي : مجموعة من الرجال أولا، ومجموعة من النساء ثانيا، كما زعمت الإسماعيلية .

٢- إن ما قاله أصحاب هذه الأقوال مناقض و معارض كل المعارضة لما أخبر الله تعالى به في وحيه من كتابه وسنة نبيه ﷺ، وليس بإمكانهم أن يقيموا دليلا واحدا يثبتون به صحة مزاعمهم الباطلة، فضلا أن يثبتوا بطلان ما أخبر الله به تعالى عن خلق آدم وحواء عليهما السلام [5].

٣- أصحاب هذه الأقوال عطلوا الخالق عن خلقه ونفوا عنه أن يكون قد خلق الإنسان بل العالم كله خلقا مباشرا، وإنما أبدعه تعالى في نظرهم بواسطة مخلوق غيره، فالمخلوق هو الخالق المباشر، وبذلك وصفوا الخالق بالضعف والعجز والفقر إلى من

---

(1) حديث صحيح، وقد سبق تخريجه في (ص : ٤٤) .

(2) حديث حسن، وقد سبق تخريجه في (ص : ٤٢) .

(3) النساء الآية : ٨٧

(4) النساء الآية : ١٢٢

(5) انظر : مقالا لشيخنا سعود بن عبد العزيز الخلف – حفظه الله – بعنوان : " قول الفلاسفة المنتسبين للإسلام في توحيد الربوبية عرض ونقد في ضوء مذهب السلف " ، منشور في مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها ج ١٣ ع ٢١ رمضان ١٤٢١هـ (ص : ٣٨٦) .

يساعده بل وصفوه تعالى بكل صفات النقص والذم؛ إذ جعلوه معزولا لا دور له في الخلق والإيجاد والتصرف والتدبير بعد وجود هذه الوسائط التي تم بها الخلق في زعمهم .

٤- ولما لم يؤمن هؤلاء بالخالق الواحد الصمد القادر على كل شيء نسبوا الخلق إلى غيره من المخلوقات، فتعدد الخالق لديهم؛ ولذلك تارة ينسبون الخلق إلى فرد من أفراد البشر، وأخرى إلى جماد من الجمادات كالكواكب والنجوم، وثالثة إلى معنى لا يقوم بنفسه كالعقل ...ولم يكتفوا بهذا بل صبوا على ذلك المصنوع المخلوق كل معاني الإلهية وصفاتها من الرزق والتدبير والإحياء ... ولا شك أن تعدد الإله يخالف العقل السليم؛ (فإنه لو كان للعالم صانعان، فعند اختلافهما - مثل أن يريد أحدهما تحريك جسم والآخر تسكينه، أو يريد أحدهما إحياءه والآخر إماتته — فلا يخلو الأمر من ثلاثة أحوال :

فإما أن يحصل مراد كل واحد منهما : وهذا ممتنع؛ لأنه يستلزم الجمع بين الضدين وذلك محال .

وإما أن لا يحصل مراد كل واحد منهما : وهذا أيضا ممتنع؛ لأنه يلزم منه خلو الجسم من الحركة والسكون وهو ممتنع . كما يستلزم عجز كل واحد منهما، والعاجز لا يكون إلها .

وإما أن يحصل مراد أحدهما دون الآخر : فيكون هذا القادر هو الإله، وأما الآخر العاجز المغلوب لا يصلح أن يكون إلها) [١].

٥- إن الناظر في هذا الكون الفسيح يجد انسجاما تاما واتساقا عاما، لا تضاد ولا تنافر، وإنما هي مخلوقات رتب خلقها وإيجادها وجميع شؤونها، بحيث تدل على موجدها الأحد الفرد الصمد، وهي توحي بحكمة عامة وغاية عظيمة في خلقها وإيجادها، فانظر الشمس والقمر والأرض ...كيف رتب وجود كل منها ليقوم بوظيفته المحددة بكيفية محددة، وانظر إلى الزوجين الذكر والأنثى، كيف خلقهما الله تعالى لتحقيق الغاية والمهمة المنوطة بهما، وكيف جعلهما لباسا لهما، يكمل كل واحد منها الآخر .

فهذا التكامل العجيب و الانسجام التام في هذا الكون الفسيح لا يمكن بحال أن تنسب إلى اثنين فضلا عن ثلاثة وأربعة، إلى غير ذلك من دعاوى أهل الضلال والانحراف والإلحاد [٢].

---

(١) انظر : شرح العقيدة الطحاوية (ص : ٢٨) .

(٢) انظر : مقال شيخنا سعود بن عبد العزيز الخلف — حفظه الله — بعنوان : " قول الفلاسفة المنتسبين للإسلام في توحيد الربوبية عرض ونقد في ضوء مذهب السلف " (ص : ٣٨٥) .

٦- قد بين الله تعالى وحدانيته في ذاته وصفاته وأفعاله واستحقاقه بالألوهية والعبودية، ونفى الشركة فيها لأحد غيره، ونهى عن اتخاذ إلهين، وبين بطلان تعدد الآلهة وفساده، وأمر باتخاذ إله واحد فرد صمد، لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء. قال تعالى: ﴿ ءأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار ﴾[1] وقال تعالى: ﴿ أم اتخذوا آلهة من الأرض هم ينشرون* لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون* لا يسأل عما يفعل وهم يسألون* أم اتخذوا من دونه آلهة قل هاتوا برهانكم ﴾[2] وقال تعالى: ﴿ ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون ﴾[3] وقال تعالى: ﴿ وقال الله لا تتخذوا إلهين اثنين إنما هو إله واحد فإياي فارهبون ﴾[4] وقال تعالى: ﴿ أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم قل الله خالق كل شيء وهو الواحد القهار ﴾[5] وقال تعالى: ﴿ ذلكم الله ربكم خالق كل شيء لا إله إلا هو فأنى تؤفكون ﴾[6] وقال تعالى: ﴿ ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شيء فاعبدوه وهو على كل شيء وكيل ﴾[7] والآيات في هذا المعنى كثيرة. وهي تبين فساد تعدد الخالق وبطلانه، وتقرر تفرد الله تعالى بالخلق وصفات الخالق، وتبين ما يجب على المخلوق تجاه خالقه من توحيده وعبوديته، وهذا الذي يتفق مع العقل السليم والفكر المستقيم، والله الهادي إلى سواء السبيل.

---

(١) يوسف الآية: ٣٩

(٢) الأنبياء الآيات: ٢١-٢٤

(٣) المؤمنون الآية: ٩١

(٤) النحل الآية: ٥١

(٥) الرعد الآية: ١٦

(٦) غافر الآية: ٦٢

(٧) الأنعام الآية: ١٠٢

المطلب الثاني : أصل الإنسان عند الدهريين والملاحدة الماديين المعاصرين وبيان بطلانه .

إن الملاحـــدة القدماء كانوا مشركين بالله تعالى، فكانوا يمنحون خصائص الألوهية والـــربوبية لغير الله تعالى، و لم يكن إنكار وجود الله تعالى بالكلية عندهم ظاهرة منتشرة متفشـــية إلا في القليل منهم، كأولئك الذين أخبر الله عنهم بقوله تعالى : ﴿ وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر ما لهم به من علم إن هم إلا يظنون ﴾ [1].

وقد رد الله عليهم مقالتهم بأن هذا صادر عن غير علم، وإنما هي ظنون وأوهام وتخيلات، وصدق الله العظيم؛ إذ كيف يكون الدهر الذي هو عبارة عن مرور الأيام والليالي مالكا لحياقم ومماقم ؟ وكيف يمكن لعاقل يحترم نفسه أن يسلم بأن السافل الناقص العاجز الأخرس الأبكم المجـــرد عـــن العقل والشعور والإدراك – وهذه صفات الدهر – يستطيع أن يتحكم في الأعلى القادر العاقل المتكلم الناطق المفكر – وهذه صفات الإنسان ؟ فإنه من المستحيل عقلا أن يضع القانون من لا يعلم شيئا عن القانون، وأن يضع نظاما للأحياء من ليس بحي في نفسه [2].

وأمـــا الملاحـــدة المعاصـــرون فهم ينكرون وجود الله تعالى أصلا، ولكنهم يلبسون إنكـــارهم للخالق لباس العلم المادي!، فلا يؤمنون إلا بما تثبته علومهم المادية، ويقع تحت حســـهم، ويخضع لتجاربهم المعملية . ويرفضون المفاهيم الدينية، والإيمان بالله، وما غاب عـــن حســـهم بحجة أن العلم التجريبي يأباها !! وهؤلاء لما أنكروا خالقهم الذي خلقهم تـــاهوا وضلوا ضلالا بعيدا، وأقوالهم الدالة على إنكار الخالق وجحده وتعطيله عن مخلوقه ونسبة الخلق إلى غيره كثيرة، وهنا أكتفي بذكر بعض أقوالهم الباطلة المتعلقة بأصل الإنسان الدالة على إنكارهم الخالق وجحدهم الرب تبارك وتعالى .

قـــال " داروين ": (نستطيع القول أن مفصل الباب مصنوع من قبل الإنسان، ولكننا لا نستطيع الادعاء بأن المفصل المدهش الموجود في صدفة المحار هو من صنع كائن عاقل) [3]. وقال

---

(1) الجاثية الآية : ٢٤

(2) انظر : الإسلام ونظرية داروين (ص : ٢٨ و ٣١) .

(3) نقلا من كتاب " دارون ونظرية التطور " (ص : ٢٠) .

أيضا : (إن مفصل الباب يومئ إلى صانعه الإنسان ، أما المفصل الحي فهو نتيجة للصدفة) [(١)].

وقال " برتراند راسل " : (ليس وراء نشأة الإنسان غاية أو تدبير، إن نشأته وحياته ... ليست إلا نتيجة لاجتماع ذرات جسمه عن طريق المصادفة) [(٢)] .

وقد ألف " جوليان هكسلي " كتابا سماه : (Man Stands Alone) أي : الإنسان يقوم وحده ؛ أي : هكذا دون خالق [(٣)].

وكان " هيكل " قد بلغ به عماه في إلحاده وزندقته حتى كان يقول : (إنه لو أعطي ماء، ومواد كيموية، ووقتا كافيا، لاستطاع أن يخلق إنسانا) [(٤)].

فهذه جملة من أقوال الملاحدة عن أصل الإنسان، وخلاصتها : أنهم يرون أن الإنسان لم يخلق من قبل خالق حكيم، وإنما نشأته وحياته نتيجة لاجتماع ذرات جسمه عن طريق المصادفة، وأنه ليس هناك قصد وإرادة وتدبير أو حكمة وغاية وراء وجود الإنسان ونشأته .

إن هؤلاء الملاحدة لما أنكروا الخالق الذي خلقهم ونسوه عميت بصائرهم، وزاغت قلوبهم، وضلوا، وتاهوا، وتناقضوا، وأتوا بما لا يقره العقل، ولا يشهد له الواقع، وتأباه الفطرة السليمة . والمتأمل في كلامهم يرى تناقضهم واضحا؛ فعندما يذكر أحدهم أن مفصل أي باب بسيط يومئ إلى صانعه الإنسان ولكن المفصل الحي الذي يصفه بأنه مدهش لم يصنعه صانع حكيم عاقل . فهذا تناقض صارخ يندر أن يشاهد في دنيا العلم، وهل يستطيع أن يقول عاقل بأن كوخا صغيرا لحارس لا بد أن بنَّاء ماهرا بناه، ولكن أثرا معماريا فخما مثل القلعة الحمراء أو أهرام مصر لا يحتاج إلى أي بناء أو مهندس ! [(٥)] .

---

(١) نقلا من المصدر السابق (ص : ١١١) .

(٢) نقلا من كتاب : الله يتجلى في عصر العلم (المادية وحدها لا تكفي، كتبه : أبر فنج وليام نو بلوتشي ص : ٥٧)؛ وركائز الإيمان بين العقل والقلب (ص : ٤٤)؛ و" في موكب النبيين " (١/٩٨) .

(٣) وقد انبرى له عالم آخر، وهو " أ . كرسي موريسون " – الرئيس السابق لأكاديمية العلوم بنيورك – وصنف كتابا سماه : (Man Does Not Stand Alone) ؛ أي : الإنسان لا يقوم وحده، أي : إنه يقوم في هذه الدنيا ومعه الله . والكتاب مترجم إلى اللغة العربية، ومطبوع باسم " العلم يدعو للإيمان " . انظر : كلمة المترجم : محمود صالح الفلكي (ص : ١٨)؛ وكلمة المقدم : أحمد زكي (ص : ٣٨) .

(٤) نقلا من كتاب " العلم يدعو للإيمان " (ص : ٤٥) .

(٥) انظر : دارون ونظرية التطور (ص : ٢١) .

ولو أن هؤلاء الملاحدة فكروا في أنفسهم ونظروا في مبدأ خلقهم من نطفة إلى علقة إلى مضغة ...حتى صاروا بشرا كامل الأعضاء الظاهرة والباطنة؛ لاضطرهم هذا النظر وهذا الفكر إلى الاعتراف بالرب القادر على كل شيء، العليم الذي أحاط علمه بكل شيء، الحكيم في كل ما خلقه وصنعه .

فقد سئل أحد العقلاء المؤمنين بالله تعالى : بم عرفت ربك ؟ فقال : هذه النطفة التي يلقيها الفحل برحم الأنثى، فيطورها الله من نطفة إلى علقة إلى مضغة إلى آخر أطوارها؛ فيكون بشرا سويا كامل الأعضاء الظاهرة والباطنة، له سمع يسمع به المسموعات، وبصر يبصر به، وعقل يهتدي به إلى مصالحه، ويدان يبطش بهما، ورجلان يمشي بهما، وله منافذ يدخل فيها ما يغذي البدن وينفعه، ومنافذ أخر يخرج منها ما يضره، ووضع كل عضو في موضعه اللائق به . فهذا كله دليل على وجود خالق حكيم عليم قادر على كل شيء[1]. قال الله تعالى : ﴿وفي أنفسكم أفلا تبصرون﴾ [2].

وأما الملاحدة فقد سئل أحدهم وهو " أوبارين " [3] وهو من خلفاء داعية الإلحاد " أرنست هيكل " : هل التفاعل الكيماوي في المادة قادر الآن على إيجاد الحياة بالطريقة التي زعم انبثاق الحياة الأولى بها ؟ فتلعثم هذا الملحد – ولعلمه في قرارة نفسه بأن هذا القول خرافة في خرافة، ومن المستحيل على أي إنسان تحقيقه – وقال : إن هذا لا يزال ممكنا ولكن في كواكب أخرى غير كوكبنا هذا (يعني الأرض) .

ولا يخفى على العاقل ما في هذه الإجابة السخيفة من مراوغة وتنصل لأنه لو قال : إن ذلك ممكن على ظهر هذه الأرض لانتصب أمامه سؤال محرج للغاية يقول : لماذا لم تقوموا بتحقيق هذا الأمر الممكن ؟ وهكذا يتملص الملاحدة عندما يدعون إلى البرهنة على صحة مزاعمهم الإلحادية عمليا، ويظل السؤال قائما دون إجابة من " أوبارين " أو غيره من الملاحدة . أليس ذلك دليلا واضحا على سخف الملاحدة، وسفاهة عقولهم، وكذب

---

(١) انظر : الرياض الناضرة والحدائق الزاهرة للسعدي، ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفاته (٥/ ١/ ٥٣٤-٥٣٥ و ٥٤١-٥٤٢) .

(٢) الذاريات الآية : ٢١

(٣) هو " ألكسندر ايفانو فيتش أوبارين " ، عالم سوفيتي طبيعي، وكان مدير معهد باخ للكيمياء الحيوية التابع لأكاديمية علوم الاتحاد السوفيتي بموسكو، وكان رئيس الندوة الدولية التي عقدت للبحث عن " نشأة الحياة على الأرض " عام ١٩٥٧م. انظر : تراث الإنسانية (٢/ ١٧٠-١٧١).

دعاويهم، وبعدهم عن العلم والأمانة والعقل ؟ [1].

فلو اجتمع الملاحدة كلهم من أول الزمان إلى آخره بل لو اجتمع الخلق كلهم من أولهم إلى آخرهم على إيجاد شخص واحد على هذا الوصف المحكم الغريب، وساعد بعضهم بعضا لم يقـــدروا على ذلك، ولعجزت علومهم ومعارفهم وقدرهم عن ذلك، بل لا يستطيعون أن يخلقوا عضوا واحدا من أعضاء الإنسان أو خلية واحدة من خلاياه كما خلق الله تعالى .

قـــال تعـــالى : ﴿ يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له ﴾ [2]. فهـــؤلاء الملاحدة لا يستطيعون أن يخلقوا ذبابا واحدا الذي هو من أحقر المخـــلوقات وأخسها وأدناها، كما أخبر بذلك خالقهم الذي يعلم سرهم وجهرهم . ﴿ ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير ﴾ [3].

وعـــن أبي هريرة ﷺ قال : سمعت النبي ﷺ يقول : قال الله عز وجل : ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي فليخلقوا ذرة [4] أو ليخلقوا حبة أو شعيرة [5].

فهـــؤلاء الملاحـــدة فضلا أن يخلقوا إنسانا أو جزء من أجزاء بدنه لا يستطيعون أن يخلقوا حشرة واحدة من ذبابة أو نملة فيها روح تتصرف بنفسها كما تتصرف النملة الصغيرة التي هي مـــن خلق الله تعالى بل لا يستطيعون أن يخلقوا حبة حنطة أو شعير فيها طعم تؤكل، وتزرع، وتنبت، ويوجد فيها ما يوجد في حبة الحنطة والشعير ونحوهما من الحب الذي يخلقه الله تعالى .

وهذا التعجيز والتحدي من الخالق الجبار سيظل قائما إلى يوم القيامة، وليس بإمكان أحد من الملاحدة أو غيرهم من المخلوق أن يخلقوا كخلق الله تعالى [6]، أليس ذلك دليلا

---

(١) انظر : الإسلام ونظرية داروين (ص : ٢٩ و٣٤-٣٥)؛ و "في موكب النبيين" (١/ ٩٠) .

(٢) الحج الآية : ٧٧

(٣) الملك الآية : ١٤

(٤) الذرة : هي النملة الصغيرة . وقيل : هي النملة الحمراء، وهي من أصغر النمل . وقيل : هي ما ترفعه الريح من التراب . انظر : التبيان في تفسير غريب القرآن (ص : ١٦٧ ، النساء : ٤٠) .

(٥) أخـــرجه خ (الـــتوحيد، ب : قول الله تعالى : ﴿ والله خلقكم وما تعملون ﴾ [الصافات : ٩٦] ٢٧٤٧/٦ ح : ٧١٢٠)، واللفظ له؛ و م (اللباس والزينة، ب : تحريم تصوير صورة الحيوان ١٦٧١/٣ ح : ٢١١١) .

(٦) انظر : شرح النووي لصحيح مسلم (٩١/١٤) .

واضحا وبرهانا ساطعا على وجود الخالق وعظمته وكبريائه سبحانه وتعالى؟ ولكن الملاحدة، كما قال الله تعالى : ﴿ صم بكم عمي فهم لا يعقلون ﴾[1].

وإذا سئل أحدهم : من خلق هذه الذرات وهذه المادة التي تكون منها جسم الإنسان ؟ فإنهم يجيبون : إن العلم أثبت أنها وجدت دائما منذ الأزل . فنحن نطرح عليهم سؤالا لا بد من إجابته لإثبات هذا المدعى، وهو : أين الدليل العلمي التجريبي القاطع الذي يثبت صدق دعواكم أن هذه الذرات وهذه المادة كانت موجودة منذ الأزل ؟ وليس عندهم أي دليل علمي قاطع على ذلك [2].

فإن الأدلة العلمية تدل على أن الكون له بداية، يقول " إدوارد لوثر كيسيل " في معرض رده على القائلين بأزلية الكون : (ولكن القانون الثاني من قوانين الديناميكا الحرارية يثبت خطأ هذا الرأي الأخير، فالعلوم تثبت بكل وضوح أن هذا الكون لا يمكن أن يكون أزليا، فهنالك انتقال حراري مستمر من الأجسام الحارة إلى الأجسام الباردة، ولا يمكن أن يحدث العكس بقوة ذاتية بحيث تعود الحرارة فترتد من الأجسام الباردة إلى الأجسام الحارة، ومعنى ذلك أن الكون يتجه إلى درجة تتساوى فيها حرارة جميع الأجسام، وينضب فيها معين الطاقة، ويومئذ لن تكون هنالك عمليات كيموية أو طبيعية، ولن يكون هنالك أثر للحياة نفسها في هذا الكون، ولما كانت الحياة لا تزال قائمة، ولا تزال العمليات الكيموية والطبيعية تسير في طريقها، فإننا نستطيع أن نستنتج أن هذا الكون لا يمكن أن يكون أزليا، وإلا لاستهلكت طاقته منذ زمن بعيد، وتوقف كل نشاط في الوجود، وهكذا توصلت العلوم – دون قصد – إلى أن لهذا الكون بداية، وهي بذلك تثبت وجود الله، لأن ماله بداية لا يمكن أن يكون قد بدأ نفسه، ولا بد له من مبدئ أو من محرك أول، أو من خالق، هو الإله) [3] .

فما لكم يا معشر الملاحدة تؤمنون بمثل هذه النظرية الباطلة، العارية عن الأدلة والبراهين، القائمة على الظنون الكاذبة والتخمينات الواهمة، ولا تؤمنون بالخالق المبدع العظيم مع أن آثار وجوده ظاهرة وباهرة ؟

---

(١) البقرة الآية : ١٧١

(٢) انظر : الشرك في القديم والحديث (١/٧٠١-٧٠٢) .

(٣) الله يتجلى في عصر العلم (فلننظر إلى الحقائق دون ملل أو تحيز، كتبه : أدوارد لوثر كيسيل، ص : ٣٣).

ثم إن الـــناظر في هذا الكون بما فيه الإنسان إذا تأمل تأملا صحيحا أدرك أن وجود الكون لا بد أن يكون بواحدة من ثلاثة أمور، وهي :

١- أن توجـــد هذه المخلوقات بنفسها من غير محدث ولا خالق، فهذا محال ممتنع يجزم العقـــل ببطلانه ضرورة، ويعلم يقينا أن من ظن ذلك فهو إلى الجنون أقرب منه إلى العـــقل؛ لأن كل من له عقل يعرف أنه لا يمكن أن يوجد شيء من غير موجـــد ولا محدث .

٢ - أن تكـــون هذه المخلوقات هي المحدثة لنفسها الخالقة لها، فهذا أيضا محال ممتنع بضرورة العقل، فكل عاقل يجزم أن الشيء لا يحدث نفسه، وإذا بطل هذان القسمان عقلا وفطرة تعين القسم الثالث .

٣- وهو أن هذه المخلوقات وما يجري في هذا الكون من الحوادث لها خالق خلقها ومحدث أحدثها، وهو الرب العظيم الخالق لكل شيء، المتصرف في كل شيء، المدبر للأمور كلها .

ولهـــذا نبه الله تعالى على هذا التقسيم العقلي الواضح لكل عاقل فقال تعالى : ﴿ أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون * أم خلقوا السماوات والأرض بل لا يوقنون ﴾ [(١)].

فالمخلوق لا بد له من خالق، والأثر لا بد له من مؤثر، والمحدَث لا بد له من محدِث، والموجَد لا بد له من موجِد، والمصنوع لا بد من صانع، والمفعول لا بد له من فاعل .

هـــذه قضايا بديهية جلية، يشترك في العلم بها جميع العقلاء، وهي من أعظم القضايا العقلية؛ فمن ارتاب فيها أو شك في دلالتها فقد برهن على اختلال عقله وضلاله [(٢)].

وأما الكلام عن القول بأن الذرات التي تكون منها الإنسان اجتمعت صدفة فوجد منها الإنسان بدون أي خطة سابقة، أو عمل حكيم

فهـــذا من الافتراءات الآثمة التي قال بها دعاة الإلحاد الغافلون عن الإبداع الرباني في جسم الإنسان، وما يحتوي عليه من حكم وأسرار، التي لا يمكن أن توجد صدفة، فهي من المســـلمات التي اتفقت عليها الدلائل العلمية المادية والبراهين العقلية المنطقية، ويمكن ذكر

---

(١) الطور الآيتان : ٣٥-٣٦

(٢) انظر : الرياض الناضرة والحدائق الزاهرة للسعدي ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفاته (٥/١/٥٣٤)؛ وانظر : الله يتجلى في عصر العلم (نشأة العالم هل هو مصادفة أو قصد ؟ كتبه : فرانك ألن ، ص : ١١-١٦) .

بعضها باختصار فيما يلي :

١- إن الأجهزة الآلية التي يستخدمها الإنسان، المعقدة منها والبسيطة، تحيل الدلائل العلمية المادية المستندة إلى الوسائل الإنسانية وجودها عن طريق المصادفة، فكيف يصح أن يقـــال في الإنسان الذي اخترع هذه الأجهزة وسخرها لخدمته أنه جاء عن طريق مصادفة عمياء من غير تصميم ولا إبداع ؟

٢- يقـــول عـــلماء الخـــلية : إن عـــدد الخلايـــا في جســـم الإنســـان يبـــلغ إلى ٦٠،٠٠٠،٠٠٠،٠٠٠،٠٠٠ ســـتين ألـــف مليار خلية، وداخل كل خلية نظام فائق الدقة، وهي تشكل بمجموعها حياة اجتماعية رائعة، وتعطي عن العلاقات الاجتماعية مثالا باهرا ... [١]، وإن جـــزئيات D.N.A. الموجـــودة في خـــلية واحـــدة في جسم الإنسان تحتوي على معلومات بقدر موسوعة عملاقة مؤلـــفة من ستة وأربعين مجلدا يتألف كل مجلد من (١٢٠) ألف صفحة [٢]، وإنها تملك تركيبا ليس أعقد فقط من أي محرك للـــطائرة، بل أعقد وأكمل من تركيب أي كومبيوتر موجود حاليا في العالم بدرجة لا تقبل القياس أو المقارنة [٣].

وإذا كـــانت الأجهزة الآلية التي يستخدمها الإنسان، المعقدة منها والبسيطة، لم توجد أية مـــنها عن طريق المصادفة بل جاءت عن طريق التصميم والإبداع [٤] فهل من المعقول أن يأتي الإنسان الذي يحتوي جسمه على ستين ألف مليار خلية، وداخل كل خلية نظام فائق الدقة ... وهي أعـــقد وأكمل من أي مخترع آلي في العالم - عن طريق المصادفة المحضة ؟ [٥].

٣- إن خلايا أجسامنا وأجسام غيرنا من الحيوانات دائمة الانقسام في جميع ساعات الـــليل والـــنهار حتى في أثناء النوم، وذلك الانقسام قد يكون لنمو الجسم أو لتعويض ما يفقـــد أو يموت من الخلايا لأسباب عديدة، وكل خلية من هذه الخلايا تتكون أساسا من مادة عجيبة يطلق عليها اسم (البروتوبلازم) .

---

(١) انظر : دارون ونظرية التطور (ص : ٤٠-٤١) .

(٢) انظر : المصدر السابق (ص : ٣٦ و ٣٨) .

(٣) انظر : دارون ونظرية التطور (ص : ٨٨) .

(٤) انظر : الله يتجلى في عصر العلم (التوافق بين العلوم . كتبه : واين أولت . ص : ١٣٨) .

(٥) انظر : دارون ونظرية التطور (ص : ٤٠-٤١) .

وتوجـــد بداخل كل خلية محتويات عديدة ذات وظائف محددة، ومن هذه المحتويات أجسام دقيقـــة تحمـــل عوامـــل وراثيـــة هـــي التي يطلق عليها اسم (الكروموسومات) . وعدد هذه الكروموسومات ثابت في خلايا كل نوع من أنواع الحيوانات والنباتات المختلفة، فعددها في خلايا القط – مثلا – يختلف عن عددها في خلايا الكلب أو الفيل أو الأرنب أو نبات الجزر أو الفول .

وفي كل خلية من الخلايا التي يتكون منها جسم الإنسان يوجد ستة وأربعون من هذه الكروموسومات . وعندما تنقسم الخلية إلى خليتين داخل أجسامنا، فإن كل خلية جديدة لا بد أن تحتوي على العدد نفسه من الكروموسومات؛ أي : ستة وأربعين كروموسوما، إذ لو اختل هذا العدد لما أصبح الإنسان إنسانا .

ولكن هناك نوعان من الخلايا يختلفان عن بقية الخلايا، وهما الخلايا التناسلية؛ أي : الحيوان المنوي في الذكر والبويضة في الأنثى، فعندما تنقسم خلايا الأنسجة لتكوين هذه الخلايا التناسلية فإنها تنتج خلايا لا تحتوي على الستة والأربعين كروموسوما بل تحتوي على نصف هذا العدد ؛ أي : يصبح في كل خلية تناسلية ذكرية أو أنثوية ثلاثة وعشرون كروموسوما فقط .

إن هـــذا لا يحدث سدى من غير حكمة، وإنما يحدث هذا لحكمة بالغة ولهدف عظيم، إذ أن الخلية الذكرية (الحيوان المنوي) لا بد أن تندمج مع الخلية الأنثوية (البويضة) لتكوين أول خـــلية في جســـم الجنين، هي التي يطلق عليها اسم الخلية الملقحة . وبهذا الاندماج يعود عدد الكروموسومات في الخلية الجديدة إلى العدد الأصلي، وهو ستة وأربعون كروموسوما .

وهـــذه الخـــلية المـــلقحة التي أصبحت تحتوي على ستة وأربعين كروموسوما توالي انقسامها فتصبح خليتين ثم أربع خلايا ثم ثمان خلايا، وهكذا حتى يتم تكوين الجنين الذي يخرج من بطن أمه، ويستمر نموه عن طريق انقسام الخلايا حتى يصبح إنسانا كامل النمو في كـــل خلية من خلاياه ستة وأربعون كروموسوما، كما هو الحال في خلايا جسد أبيه وأمه وأجداده وجميع أفراد الجنس البشري .

إن اخـــتزال عـــدد الكروموسومات إلى النصف عند تكوين الخلايا التناسلية بالذات لكي تندمج فيعود العدد الأصلي (للكروموسومات) في الخلايا لا يمكن أن يكون نتيجة مصادفة عمياء، بل لا بد أن يكون نتيجة تخطيط دقيق من قوة عليا تعرف ما تفعل، وهي في الوقت نفسه لا يمكن أن تخضع للتجربة واحتمال الخطأ، إذ لو حدث خطأ مرة واحدة

عند بدء الخلق لقضى على الكائن الحي قبل تكوين الجيل الثاني؛ أي أن هذا الترتيب لا بد أن يكون قد تم منذ تكوين أول جنين ظهر في الوجود .

ألا يكفـــي هذا وحده دليلا على وجود قوة عليا مدبرة مقدرة حكيمة ؟ بل لا يمكن أبدا أن يكون هذا المبدأ أو القانون الذي يسود جميع الكائنات الحية من صنع مصادفة عمياء تتخبط في الظلام؛ فإن المصادفة لا يمكن أن تتخذ مظهر قانون عام تخضع له جميع الكائنات [١].

٤- ولقـــد حسب علماء الرياضيات بأن التريلايين من السنين لا تكفي لأن تجعل ممكن التصـــور بـــأن شـــيئا (أي : الخلية) على هذا التنسيق والروعة كان حصيلة الصدفة، [٢] فالإنسان الذي يحتوي جسمه على ستين ألف مليار خلية وجوده عن طريق المصادفة المزعومة كم يستغرق من الوقت، هذا لا يمكن النطق به، والأرقام الرياضية عاجزة عن التعبير عنه .

٥- ولنضع الجسم الحي الذي يحتوي على تركيب معقد جدا، ولنأخذ مسألة ترتيب الأعداد من واحد إلى عشرة، ولنكتب هذه الأرقام على أوراق، ثم لنضع هذه الأوراق في كيس، وبعد خلط هذه الأوراق جيدا دعنا نحاول سحب ورقة واحد، إن احتمال ظهور رقم (١) هو بنسبة ١: ١٠ ، أما احتمال ظهور الرقمين (١) و (٢) بالتسلسل فهو بنســبة ١: ١٠٠ ؛ أي : (١٠× ١٠= ١٠٠)، واحتمال ظهور الأرقام (١، ٢ ، ٣) بالتتابع هو بنسبة ١: ١٠٠٠ ؛ أي : (١٠× ١٠× ١٠= ١٠٠٠)، واحتمال ظهـــور الأرقـــام من (١) إلى (١٠) بالتسلسل هو بنسبة ١: ١٠،٠٠٠،٠٠٠،٠٠٠ أي : ١٠× ١٠×١٠×١٠×١٠×١٠×١٠×١٠×١٠×١٠= ١٠،٠٠٠،٠٠٠،٠٠٠؛ أي : بنســبة واحـــد إلى عشرة مليارات . ولو أجرينا عملية سحب الأوراق ليلا ونهارا بحيث نســحب ورقـــة كل خمس ثوان لاحتجنا إلى ألف وخمسمائة سنة (١٥٠٠ سنة) لكي يكون هناك احتمال لسحب هذه الأرقام بتسلسلها [٣]، وعلى ذلك كم يستغرق بناء هذا

---

(١) انظـــر : العقيدة في الله (ص : ٩٩-١٠٣) باختصار وتصرف، وهو استفاد من مقالة الدكتور يوسف عز الدين في جريدة الأهرام المصرية .

(٢) انظر : أيهما هو الصحيح : الخلق أم النشوء ؟ (ص : ٦٤-٦٥)، والتريلايون جمع مفردها تريليون وهو رقم مؤلف من واحد، وإلى يمينه ثمانية عشر صفرا . انظر : تعليق المترجم على المصدر المذكور .

(٣) انظر : داروين ونظرية التطور (ص : ٢٢-٢٣)؛ والعلم يدعو إلى الإيمان (ص : ٥١) .

الإنسان الحي العاقل ...لو نشأ بالمصادفة والاتفاق، ولو حاسبنا ذلك بالطريقة نفسها ستتكاثر الأعداد بشكل هائل جدا ضد المصادفة، بحيث يصعب حسابه فضلا عن تصوره تصورا جيدا، ما يجعل هذا الاحتمال خياليا فقط .

فهذه نماذج قليلة من الأدلة والبراهين العلمية والعقلية والرياضية، وغيرها كثير، وكلها تدل دلالة واضحة على أن الإنسان لم يأت إلى الوجود عن طريق المصادفة، وأنه لم يظهر على هذه الأرض فجأة بدون خطة سابقة أو عمل حكيم بل هو مخلوق خلقه الله تعالى العليم الحكيم، فقد زوده بقوى محدودة بما يناسب حاجاته ومقتضياته، فليس في إمكانه أن يخلق إنسانا أو حيوانا أو حبة من شعير ... بل هو مخلوق عاجز ...وليس له أن يتعدى طوره، وإنما عليه أن يعرف قدره، وأن يشعر بما من به عليه ربه، وأن يقوم بما هو واجب عليه تجاه خالقه، فيعبده وحده تعالى، ويخلص له جميع أنواع العبودية من حمد وتسبيح وتكبير وصيام وصلاة ونسك ودعاء ... وغيرها من العبادات التي أمر الله عباده أن يعبدوه بها، وهذه هي الحكمة من خلقهم، وقد تقدم بيان ذلك بالتفصيل عند الكلام عن الحكمة من خلق الجن والإنس [1].

---

(١) انظر : (ص : ٢٧-٤٠) .

المبحث الثالث : أصل الإنسان عند التطوريين من الملاحدة وغيرهم وبيان بطلانه .

هناك من يزعم أن الإنسان لم يصل إلى صورته الحاضرة وشكله الحالي وعقله المعاصر إلا بعـــد سلسلة طويلة من التطور والارتقاء عبر الملايين من السنين، ولهم في ذلك أقوال مختلفة وآراء متباينة، وفيما يلي ذكر خلاصتها مع بيان بطلانها من خلال المطالب التالية :

المطلب الأول : دعوى الملاحدة ومن وافقهم أن الإنسان تطور من أدنى الكائنات الحية في سلم التطور حتى وصل إلى صورته الحاضرة، وبيان بطلانها .

القـــول بتطور الإنسان من مخلوق آخر قبله قديم [1]، والوقت الذي أثيرت فيه هذه القضية لأول مـــرة يصعب تحديده بالضبط ولكن من الأقوال ما يرجع تاريخها إلى القرن السادس قبل الميـــلاد؛ فقـــد نقـــل عن بعض فلاسفة الإغريق أنهم كانوا يرون أن العالم الحي كان خاضعا لـــتحولات، وقـــد قدموا عددا من الفرضيات عن تطور الحياة من الأنواع البسيطة إلى الأنواع المعقدة [2]، ومما نقل من تلك الأقوال ما قاله " انكسمندروس " (ولد سنة ٦١٠ قبل الميلاد) : (إن نشـــأة المخـــلوقات الحية منسوب إلى تأثير الشمس في الأرض، وتمييز العناصر المتجانسة بالحـــركة الدائمـــة، والأرض كـــانت في البدء طينية ورطبة أكثر مما هي الآن، فلما وقع فعل الشـــمس فـــارت العناصر الرطبة التي في جوفها، وخرجت منها على شكل فقاقيع، فتولدت الحيوانات الأخرى، غير أنها كانت كثيفة ذات صور قبيحة غير منتظمة، وكانت مغطاة بقشرة غـــليظة تمـــنعها من التحرك والتناسل وحفظ الذات فكان لا بد من نشوء مخلوقات جديدة أو ازدياد فعل الشمس في الأرض لتوليد حيوانات منتظمة يمكنها أن تحفظ نفسها وتزيد نوعها، أما

---

(١) انظر : أيهما هو الصحيح الخلق أم النشوء (ص : ٢٨-٢٩) .

(٢) انظر : ما أصل الإنسان ؟ إجابات العلم والكتب المقدسة (ص : ٣٥)؛ ومذهب النشوء والارتقاء في مواجهة الدين (ص : ٨)؛ وأصل الأجناس البشرية بين القرآن والعلم (ص : ٢٦٤-٢٦٦) .

الإنســـان فظهـــر بعد الحيوانات كلها و لم يخل من التقلبات التي طرأت عليها فخلق أول الأمر شنيع الصورة ناقص التركيب، وأخذ يتقلب إلى أن حصل على صورته الحاضرة) [١].

فهذا الفيلسوف اليوناني يرى أن ظهور الحياة نتيجة لاختلاط العناصر بحرارة الشمس وأثرها فيها . وأن المخلوقات الحية - والإنسان منها -كلها تقلبت في صور من الارتقاء والنشوء حتى بلغت حالتها الحاضرة . فالادعاء بمجيء الأحياء بعضها عن بعض عن طريق الـــتطور ادعاء قديم، وقد ردد نحو هذا القول أناس آخرون في أوقات مختلفة [٢]، ولكن هذه النظريات كلها لم تلبث طويلا، وذهبت أدراج الرياح .

وفي العصر الحديث قدم " جارلس روبرت داروين [٣]" نظرية التطور في ثوب جديد وتفصـــيل جديد، ووافق ذلك هوى في نفس ملاحدة العصور المتأخرة، فطاروا بها شرقا وغـــربا، جاعـــلين منها منطلقا للدعوة إلى الإلحاد ومحاربة الدين، أشهروا بها عبر وسائل الإعلام المختلفة، حتى أصبحت هذه النظرية منوطة باسمه، فيقال لها : " نظرية داروين "، وأصبح ذلك الاسم المشهور لنظرية النشوء والارتقاء [٤].

قـــال " داروين " : (إن تفسير النشوء والارتقاء بتدخل الله هو بمثابة إدخال عنصر خارق للطبيعة في وضع ميكانيكي بحت) [٥]. وقال أيضا : (أومن بكل كياني أنه [أي : الإنسان] متطور من ذكاء أدنى الحيوانات في سلم التطور) [٦].

---

(١) نقلا من كتاب : أصل الأجناس البشرية بين القرآن والعلم (ص : ٢٦٤)؛ وأصل الإنسان وسر الوجود (ص : ٣٧) .

(٢) انظر : دارون ونظرية التطور (ص : ١٦-١٧)؛ وأصل الأجناس البشرية بين القرآن والعلم (ص : ٢٦٦-٢٦٧) .

(٣) ولد " جارلس روبرت داروين " سنة ١٨٠٩م بانكلترة من أب طبيب، درس الطب و لم يكمله، ثم دخل كلية اليسوع في جامعـــة كمبردج، ثم ذهب في سفرة بحرية على متن سفينة " بيجل " إلى جنوب أمريكا وغيرها لمدة خمس سنوات، وقـــام بـــتدقيق أنواع الحيوانات التي صادفها، وتأثر بالبحث الذي نشره " توماس روبرت مالثوس " — المتخصص في الاقتصاد — حول التزايد السكاني وقلة الغذاء، وعند ما طبق داروين أفكار مالثوس هذه على مشاهداته توصل إلى فكرة الانـــتخاب الطبيعي، وأن هناك صراعا بين الكائنات الحية لأجل البقاء، والانتخاب الطبيعي يجري تأثيره بإزالة الضعفاء دون الأقويـــاء، وتبعا لقانونه في الانتخاب الطبيعي رحل داروين من هذه الحياة سنة ١٨٨٢م . انظر : المنجد (الأعلام ص : ٢٣٨)؛ وتراث الإنسانية (٩٧٣/٢-٩٧٧)؛ و دارون ونظرية التطور (ص : ١٧-١٩) .

(٤) انظر : دارون ونظرية التطور (ص : ١٩) .

(٥) نقلا من كتاب : في موكب النبيين (٨٦/١)؛ وانظر : مصرع الدارونية (ص : ١٢٢) .

(٦) نقلا من كتاب : دارون ونظرية التطور (ص : ١١٢) .

ما هي نظرية التطور والارتقاء ؟

الذين قالوا بتطور الإنسان من مخلوق آخر قبله أكثرهم يرون أن الإنسان جاء عن طريق عملية التطور من الشرارة الأصلية للحياة، وهذا هو الأساس الذي تقوم عليه فكرة التطور كلها [(١)].

وتفصيل ذلك كما يراها أصحابها أن الحياة الأولى للإنسان والحيوان والنبات بدأت عـــلى ظهـــر هذه الأرض بجرثومة أو جراثيم قليلة، تطورت من حال إلى حال تحت تأثير فواعل طبيعية حتى وصلت إلى هذه الأنواع المختلفة التي نراها، وعلى رأسها الإنسان .

وعلى هذا، فالإنسان عندهم بدأت حياته على ظهر الأرض بشكل جرثومة صغيرة، وتحولـــت إلى حيـــوان صغير، ثم تدرج هذا الحيوان وارتقى إلى حياة حيوانية بدائية، فإلى حيوانـــات أكبر فأكبر ريشة ومجنحة، ثم تحولت إلى ذوات فقرات، ثم ارتقت إلى حيوان أشبه بالإنسان، ثم كانت نهاية هذا التطور إنسانا أول : لا يعقل، ولا يدرك، ولا يتكلم، ثم إنسانا كاملا، وهو المشهود اليوم بعقله وتفكيره وإدراكه .

ويقولـــون : إن الحياة الأولى عند ما وجدت كان عليها أن تصارع من أجل البقاء، فهذه التحولات والتطورات والترقيات جاءت بعد صراع مرير، بين هذه الكائنات وبين عوامل الطبيعة وتقلباتها وبين نفس هذه الكائنات الحية بعضها مع بعض، وكان ذلك عبر آلاف القرون [(٢)].

اخـــتلاف التطوريين في تحديد الأصل المباشر الذي تطور منه الإنسان في زعمهم :

في زعمهم : اختلف القائلون بتطور الإنسان من مخلوق آخر قبله في تحديد الأصل المباشـــر الـــذي تطور منه الإنسان، فمنهم من يرى أنه تطور من أصل بعيد منقرض مشترك بين القرد والإنسان، فهما فرعان انحدرا من أصل واحد بعيد، ولكن الإنسان ســـار في مسار تطوري إلى الأعلى، وأما القردة فلم تستطع ذلك فبقيت على حالها. وعـــلى هذا القول لا يكون القرد جَدًّا أعلى للتطوريين بل يكون ابن عم لهم بعيد .

---

(١) انظر : العلم يدعو إلى الإيمان (ص : ١٠٧) .

(٢) انظر : الإسلام ونظرية داروين (ص : ٢١-٢٢)؛ و في موكب النبيين (٥٦/١) .

وعليه حمل " أحمد باشميل " مذهب " داروين " [1].

ومـــنهم من يرى أن الإنسان والقرد كان أخوين، وأن الإنسان لم يترق عن القرد، وإنمـــا تردى هذا القرد من أوج الإنسانية إلى عالم الحيوانية، وعلى هذا القول يكون القرد العم الأعلى للتطوريين . وهذا الرأي ذهب إليه " شلفر " (المولود سنة ١٧٧٨م) [2].

ومـــنهم مـــن يرى أن الأصل المباشر الذي تطور منه الإنسان هو القرد، دون تحديد نوع القرد، ومن هؤلاء من يفصل فيقول : إن النوع الإنساني انحدر من ثلاثة أنواع من القردة :

فالـــنوع الأبيـــض : انحـــدر إنسانه الأول من " الشمبازي "، وهو أرقي أنواع القردة، والإنسان الأسود : يرجع أصله إلى القرد المعروف باسم " الغوريلا "، وهو أحط أنواع القردة .

وأمـــا الأقـــوام ذوو الأيدي الطويلة، والشعر الضارب إلى الحمرة، والجماجم البيضية التي يساوي طولها عرضها فأصلهم من الأورانغ، وهو الـــقرد الذي يلي الشمبازي في المرتبة [3].

وعلى هذا القول يكون القرد هو الجد المباشر للتطوريين، وليس جد واحد من القرد بل لهم ثلاثة أجداد، ومن ثلاثة أنواع من القرود !!! .

والقـــول بتطور الإنسان من القرد هو الذي استقر عليه رأي غلاة التطوريين الماديين الملحدين [4] كما صرح به كبارهم [5]، ويظهر لي أن حمل مذهب دارون على هذا القول أقرب لقوله : (المسافة بين القوى الفكرية لحيوان من أدنى الفقريات والقوى الفكرية لقرد من القردة العلياء أكبر من المسافة بين القوى الفكرية في القرد وبينها في الإنسان) [6].

ومنهم من يرى أن الإنسان متطور من حيوان ثدي حيث يقول : (لما ظهر الإنسان

---

(١) انظر : الإسلام ونظرية داروين (ص : ١٤٧) .

(٢) انظر : دائرة معارف القرن العشرين (٧٠٣/١، مادة : إ نس)؛ والإسلام ونظرية داروين (ص : ١٤٧).

(٣) انظر : دائرة معارف القرن العشرين (٧٠٧/١، مادة : إنس)؛ والإسلام ونظرية داروين (ص: ١٤٨-١٤٩).

(٤) انظر : الإسلام ونظرية داروين (ص ١٤٨) .

(٥) منهم : " لا مارك " و " كارل فوت " و " هكسلي " و " أرنست هيكل " و " روبرت ليرمان " و " لويس س . ب . ليكـــي " و غيرهم . انظر : أقوالهم في كتاب " الفكر المادي الحديث وموقف الإسلام منه (ص : ١٢٥-١٢٦)؛ وأصل الأجناس البشرية بين العلم والقرآن (ص : ١٩٩-٢٠٥ و ٢١٥-٢١٧) .

(٦) نقلا من كتاب " الفكر المادي الحديث وموقف الإسلام منه " (ص : ١٢٥)، وهو نقل من كتاب " تاريخ الفلسفة الحديثة (ص : ٣٥٣) .

عـــلى وجه الأرض لم يكن بأكثر من حيواني ثدي، و لم يكن يختلف عن سائر الحيوانات العلياء في النواحي التشريحية العامة، وإن كان يتميز ببعض الخواص القديمة والحديثة، وهي التي مهدت له السبيل إلى التطور والارتقاء) . وهذا القول أعم من القول السابق، وقال به أحد المعاصرين التطوريين، وهو يوسف مصطفى الحاروني [١].

ومـــنهم مـــن لا يحدد الأصل المباشر الذي تطور منه الإنسان في زعمه ولكنه يدعو إلى الاحـــترام والتقدير لما جاء به دارون عن أصل الإنسان [٢] فيقول نحو قوله فيزعم أن الإنسان ارتقـــى في سلم التطور من أدنى الأحياء؛ أي البكتيريا [٣]، وبعد سلسلة من التطورات، وبعد عملية طويلة من التصفية والانتخاب انتهت بظهور الإنسان على تلك الصورة التي انفصل بها عن سائر الأحياء [٤] عبر ملايين السنين [٥]. وهذا ما ذهب إليه عبد الكريم الخطيب .

ومنهم يزعم أن الإنسان لم يوجد كإنسان، وأنه تطور فيما بعد إلى ما هو عليه الآن، ولا يحـــدد الأصل المباشر الذي تطور منه الإنسان في زعمه، ولكنه لا يقف عند هذا الحد كمـــا وقـــف غيره من التطوريين بل هو لا يزال يتوقع مزيدا من التطور فيقول : (إن الإنســـان لم يوجد كإنسان منذ بدأت الحياة ولكنه تطور فيما بعد إلى ما هو عليه الآن، وعلى أي حال لم يظهر كإنسان إلا بعد أن عجزت كل أشكال الحياة للكائنات الأخرى عـــن إيجـــاد أي جهاز بالغ التعقيد كالعقل البشري ... ويبدو أن الجنس الأبيض هو في الذروة في الوقت الحاضر . أ فيأتي الزمان بالإنسان الممتاز " السوبرمان " الذي ينسل ذرية من نوعه تملأ الأرض على رحبها ؟) [٦] هذا ما زعمه " أ . كرسي موريسون ".

فهذه الأقوال المختلفة المتباينة من قبل التطوريين في تحديد الأصل المباشر الذي تطور منه الإنســـان في زعمهم إن دلت على شيء، فإنما تدل على أن أصحابها ليسوا على شيء، وأنهم تـــائهون في بحـــار مـــن الظنون والتخمينات، وأن أقوالهم مبنية على الوهم والتخييل، وأنهم

---

(١) العلم ومشكلات الإنسان (ص : ٧) .

(٢) انظر : " قصتا آدم و يوسف عليهما السلام " (ص : ٢٩) .

(٣) انظر : المصدر السابق (ص : ٢٦) .

(٤) انظر : " قصتا آدم ويوسف عليهما السلام " (ص : ٣٥) .

(٥) انظر : المصدر السابق (ص : ٢٦) .

(٦) العلم يدعو للإيمان (ص : ١٠٧- ١١٠) .

عاجـــزون عـــن تحديد الأصل المباشر الذي يزعمون تطور الإنسان منه في ضوء العلم والعقل والحجة والبرهان ولكن مع ذلك نجدهم مصرين على القول بتطور الإنسان من مخلوق قبله .

ذكرهم كيفية عملية التطور وبيان بطلانها .

قالوا في كيفية عملية التطور : أن هناك ثلاث وسائل في إكمال عملية التطور، وهي كما يلي :

١- الانـــتخاب الطبيعي : زعموا أن هناك تنازعا للبقاء بين الكائنات الحية، وتقوم عوامل الفـــناء بإهلاك الكائنات الضعيفة الهزيلة، والإبقاء على الكائنات القوية، وذلك ما يسمى بزعمهم بقانون " البقاء للأصلح "، فيبقى القوي السليم الذي يورث صفاته القوية لذريته، وتتجمع الصفات القويـــة مع مرور الزمن مكونة صفة جديدة في الكائن، وذلك هو " النشوء " الذي يجعل الكائن يرتقي بتلك الصفات الناشئة إلى كائن أعلى، وهكذا يستمر التطور وذلك هو الارتقاء [1].

٢- الانـــتخاب الجنســـي : وذلك بواسطة ميل الذكر والأنثى إلى التزوج بالأقوى والأصـــلح، فتورث بهذا صفات الأصلح، وتنعدم صفات الحيوان الضعيف لعدم الميل إلى التزاوج بينه وبين غيره [2].

٣- كلما تكونت صفة جديدة، ورثت في النسل . [3]

تفنيد شرح داروين لعملية التطور :

أمـــا القول بالانتخاب الطبيعي : بأن هناك صراعا مريرا بين الكائنات الحية لأجل الـــبقاء، وأن هناك ناموسا أو قانونا يعمل على إفناء الكائنات الحية الضعيفة فلا يبقى إلا الأصلح الذي يورث صفاته لأبنائه فتتراكم الصفات القوية حتى تكون حيوانا جديدا .

فهذا قول باطل، وبيان ذلك من وجوه، وهي كما يلي :

١-لو أن مجرد البقاء كان المطلب الوحيد للكائنات الحية الأولى، فإن نوعا من الحياة الـــبدائية كـــاف للإيفاء بالغرض، وكان لها أن تقنع ببقائها هكذا مادامت هي حية، ولا داعي للتنازع على البقاء، ولا سيما في مثل هذه الحياة البدائية - بشكل جرثومة مثلا - لا يـــرجى لها المنافسة والمصارعة والتنازع لأجل الاستمرار والبقاء والنمو؛ فليس هناك ما

---

(١) انظر : العقيدة في الله (ص : ٨٠) .

(٢) انظر : المصدر السابق نفسه .

(٣) انظر : العقيدة في الله (ص : ٨٠) .

يستدعي ظهور نوع أقوى وفوزه بالبقاء دون غيره كما زعم الزاعمون [١].

٢- إن الانتخاب الطبيعي — على فرض التسليم المطلق له — لا يفسر ولو من جانب بعيد أكثر الحقائق وضوحا فيما يتعلق بالعملية كلها، وهو اتجاه الكائنات الحية في سلم التطور نحو الأحسن والأرقى، فما الذي جعل الكائنات الحية تتجه نحو التطور والارتقاء ... دون التدهور والانحطاط إلى الأدنى ؟ وكيف تسنى لهذا المفهوم الخالي من الحياة والشعور أن يبقي الصالح من الأحياء ويزيل الطالح، فيكون هو صاحب الكلمة النافذة على أقدار الأحياء ؟ أليس من المستحيل عقلاً أن يضع القانون من لا يعلم شيئا عن القانون، وأن يضع نظاما للأحياء من ليس بحي في نفسه ؟ [٢].

٤-إن فكرة الانتخاب الطبيعي تتعارض مع نظرية تطور الأحياء كلها من أصل واحد أو أصول قليلة؛ لأن علماء الأحياء أحصوا حتى الآن ما يقارب مليون نوع من الحيوانات وثلاثمائة ألف نوع من النباتات، ويعتقد أن العدد الحقيقي للأنواع هو ضعف هذا العدد [٣]، فإذا نظرنا إلى الكائنات الحية الموجودة بمختلف أنواعها بمنظار الانتخاب الطبيعي يلزم أن يكون عدد أنواع الأحياء في الماضي أضعاف أضعاف العدد الموجود حاليا، ليكون الناتج النهائي بعد عمليات الانتخاب الطبيعي والانقراض هذا العدد الحالي البالغ مليونين تقريبا كما يذكر عن علماء الأحياء [٤]، وفي ذلك تناقض صريح لمن يقول بالانتخاب الطبيعي، ويرى أن البقاء للأصلح في معركة الصراع لأجل البقاء، مع دعواه انحدار الأحياء كلها من جرثومة واحدة أو جراثيم عديدة عن طريق التطور .

فالقول بالانتخاب الطبيعي نقطة ضعيفة جدا في نظرية التطور، وهي كافية لوحدها لنسف النظرية كلها ودحضها من أساسها .

ولسائل أن يسأل من حماة نظرية التطور وأنصارها : متى بدأ الانتخاب الطبيعي يعمل عمله بحيث يبقى الأقوياء ويزول الضعفاء ؟ وكيف وصل عدد الأحياء بأنواعها إلى

---

(١) انظر : العلم في مواجهة المادية (ص : ١٣)؛ ومصرع الداروينية (ص : ٧٢) .

(٢) انظر : العلم في مواجهة المادية (ص : ١٣ و ١٥)؛ وداروين ونظرية التطور (ص : ٢٥-٢٦) .

(٣) انظر : داروين ونظرية التطور (ص : ٢٤) .

(٤) انظر : داروين ونظرية التطور (ص :٢٥)؛ وما أصل الإنسان ؟ إجابات العلم والكتب المقدسة (ص :٣٢).

هذا العدد الهائل إن كان هناك وجود للانتخاب الطبيعي ؟

٥- وليس بإمكانهم أن يأتوا بجواب صحيح مقنع لما ذكر؛ لأنه لا وجود في الحقيقة للانتخاب الطبيعي في صراع الحياة بحيث يبقى الأقوياء فقط، ويزول الضعفاء كلهم؛ لأننا نجد أن الحيوانات الدنيا البحرية منها والبرية هي باقية حتى اليوم على الحالة التي كانت عليها في الابتداء، ولم نجد أنها تأثرت بناموس الارتقاء أو تعرضت لغضبة الانتخاب الطبيعي ففقدت الحياة وذهبت عن الوجود، بل الكون يعج بالأصلح والصالح من شتى أصناف الحيوانات من أدناها إلى أعلاها [1] .

فلا يصح دعوى من زعم أن الأقوياء يتكيفون للحياة ويبقون، وأن الضعفاء يزولون نتيجة ضعفهم وعجزهم فلو كان قانون الاصطفاء والبقاء للأصلح صحيحا لم يكن هناك وجود للكائنات الحية الضعيفة .

٦- حقا هناك نظام وناموس وقانون ولكن هذا النظام وهذا القانون لا يقتصر عمله على إهلاك الكائنات الضعيفة فقط -كما زعم الزاعمون - بل يعمل على إهلاك الكائنات الحية جميعها قويها وضعيفها؛ لأن الله الخالق قدر الموت على كل حي مخلوق [2].

٧- هناك نظام آخر يعمل بمقابلة هذا النظام، ذلك هو قانون التكافل على الحياة بين البيئة والكائن، لأن الله قدر الحياة فهيأ أسبابها؛ فنجد الشمس والبحار والرياح والأمطار والنباتات والجاذبية كل هذه وغيرها تتعاون للإبقاء على حياة الإنسان وغيره من الحيوانات. فإذا كانت هناك سنة للهلاك فهناك سنة للحياة، ولكل دور في الحياة. فلماذا النظر إلى عوامل الفناء دون النظر إلى عوامل البقاء ؟ وهذا من أحد الأسباب التي أحدثت خللا في تفكيرهم، وسببت سوء فهمهم للحياة والأحياء والكون [3].

٨- وإذا كانت الظروف الطبيعية : من رياح ورعد وحرارة وماء وعواصف وغيرها

---

(١) انظر : قصة الإيمان بين الفلسفة والعلم والقرآن (ص : ١٨٧)، وينظر أيضا : داروين ونظرية التطور (ص : ٢٦-٢٧ كلام البروفيسور Etiene Rabaud ، مدير معهد علوم الحياة في جامعة باريس)، وما أصل الإنسان ؟ إجابات العلم والكتب المقدسة (ص : ٣٨ و٥٠-٥٣)؛ وكبرى اليقينيات الكونية (ص : ٢٦٠) .

(٢) انظر : العقيدة في الله (ص : ٨٢-٨٣)؛ وما أصل الإنسان ؟ إجابات العلم والكتب المقدسة (ص : ٤٨-٤٩) .

(٣) انظر : العقيدة في الله (ص : ٨٣)؛ وكبرى اليقينيات الكونية (ص : ٢٦٠-٢٦١) .

قـــادرة – بإذن الله وتقديره – على تشويه الخلق أو تدمير صنعة كطمس عين أو هدم بناء، فإنه من غير المعقول أن تقدر هذه الظروف الطبيعية الميتة الجامدة والبليدة أن تنشئ عينا لمن لا يملك عينا أو تصلح بناء فيه نقص [1].

٨ – إن العقل يقبل أن تكون الظروف الطبيعية – بإذن الله وتقديره – صالحة لإحداث الخـــراب والهلاك، لكنه من غير المعقول أن تكون هذه الظروف صالحة لتفسير الخلق البديع والتصـــوير والتكوين المنظم المتقن . إن أي عضو من أعضاء الكائنات الحية قد رسم بإتقان، وكون بنظام، ورتبت أجزاؤه بحكمة بالغة محيرة، ونسق عمله مع غيره في غاية الإبداع، ومن المحال أن ينسب ذلك الإتقان والنظام البديع إلى خبط الظروف الطبيعية العشواء [2].

٩- إن الانـــتخاب الطبيعي – على فرض التسليم المطلق له – إنما يفسر بقاء الأقوى ولكنه لا يستطيع تفسير وجوده أصلا . [3] وقد يتضح ذلك بالمثال الآتي :

توضيح عملية الانتخاب الطبيعي بمثال :

إن رميـــنا إلى حوضِ ماءٍ سمكةً وقطة وطائرا، فإن القطة والطائر سوف يموتان غرقا بعـــد دقـــائق، وتبقى السمكة وحدها حية؛ أي : أن " الانتخاب الطبيعي " نفذ حكمه، فأبقى على " الصالحين "، ونحى وأبعد " غير الصالحين " [4].

فقد يرى من لا يعرف شيئا عن أسلوب العمل في عالمنا في هذا الإيضاح شيئا موافقا للعقل، ولكـــن يجـــب أن لا يغيب عن بالنا أنه لكي نعطي " الانتخاب الطبيعي " هذه الفرصة لإجراء حكمه، فلا بد من وجود حوض ماء وسمكة وقطة وطائر، فكما نحتاج إلى بحر لكي تسير السفينة فيه، فكذلك يحتاج " الانتخاب الطبيعي " – إن كان هناك شيء اسمه " الانتخاب الطبيعي " – إلى عالم للأحياء لكي يعمل عمله فيه [5]، ولكن السؤال : كيف ظهرت الأحياء إلى عالم الوجود بأنواعهـــا المختـــلفة إذا كانت كلها منحدرة من أصل واحد ؟ لأن فكرة الانتخاب الطبيعي لا

---

(١) انظر : العقيدة في الله (ص : ٨٣) .

(٢) انظر : المصدر السابق نفسه .

(٣) انظر : مذهب النشوء والارتقاء في مواجهة الدين (ص : ١٩) .

(٤) انظر : دارون ونظرية التطور (ص : ٨٣) .

(٥) انظر : المصدر السابق (ص : ٨٤) .

يتحقق دورها ولا يمكن لها أن يعمل عملها إلا بعد وجود عالم من الأحياء . فعلى القائلين بنظرية التطور أن يبينوا كيفية تنوع الأحياء – مع ما فيها من الفروق – من أصل واحد وإلا ستبقى قلعة نظرية التطور أي : الانتخاب الطبيعي قلعة معلقة في الهواء من غير قاعدة ولا أساس .

الطفرة هي قاعدة الانتخاب الطبيعي :

لما رأي القائلون بنظرية التطور أن فكرة الانتخاب الطبيعي هي كقلعة معلقة في الهواء، وأنه لا بـد لهـا من قاعدة، بدؤوا يبحثون عنها، وأخيرا اكتشفوا لها قاعدة غير مبنية على أساس ثابت، كما سيأتي بيانه، وتلك القاعدة التي اكتشفوها هي ما يسمى بفكرة " الطفرة " .

فقالوا : الفروقات بين الكائنات الحية حصلت نتيجة للطفرات، والطفرات هي التغيرات الـتي تحصـل عن طريق الخطأ أو الصدفة في شفرات D.N.A الموجودة في الكروموسومات الناقـلة للصفات الوراثية، فإذا تعرضت إلى الأشعة الكونية أو إلى أشعة اكس أو إلى الحرارة، تغيرت جزئيات D.N.A، وبنتيجة هذا التغير وتراكم المفيد منه تظهر فروق مهمة في التركيب البنيوي الذي يؤدي في الأجيال القادمة إلى ظهور أنواع جديدة من الأحياء [١].

ولكن هذه القاعدة المزعومة لم يزد في قلعتهم الموهومة إلا وهنا على وهن؛ فإنها ليست إلا ترقيعا اصطناعيا استعمل لسد رتوق نظرية التطور الكثيرة، ولكن هذا الترقيع الاصطناعي لا يسـتطيع سـد فجوات النظرية ورتوقها، بل هو يبين ضعف النظرية وشدة افتقارها إلى الأدلـة، وأن أصـحابها يلهـثون وراء الأدلة الواهية التي لا قيمة لها في ميزان العلم، فهم كالظمآن يجري وراء السراب يحسبه ماء فإذا جاءه لم يجده شيئا، وذلك لأننا عندما نضع " فكـرة الطفرة " أمام أشعة العقل والعلم يظهر لنا أن أية نظرية تستند على مثل هذه الفكرة يكون مصيرها الإخفاق والإفلاس . وبيان ذلك من وجوه، وفيما يلي ذكر بعضها :

أولا : ليـس مـن دليل على الإطلاق على حدوث الطفرة – بالمفهوم الذي يقدمه التطوريون – أو حتى إمكانية حدوثها [٢].

ثانيا : لقد ثبت بالبحوث العلمية أن التغيرات العشوائية الحاصلة في شفرات الوراثة –

(١) انظر : داروين ونظرية التطور (ص : ٨٧–٨٨ و ص : ٩٩)؛ وكبرى اليقينيات الكونية (ص : ٢٦٤).

(٢) انظر : المصدر السابق (ص : ٩٢) .

والتي يطلقون عليها اسم الطفرات – لا تؤدي إلى تكامل وتحسن الكائن الحي، بل تضره وتؤدي به إلى العجز، وإلى الموت [1].

قـــال الدكتور/ وولتر إدوارد لا ميرنس – أخصائي علم الوراثة – : الطفرات قليلة الحـــدوث، وهـــي على قلتها تعتبر الأساس المادي الذي يبني عليه علماء التطور تفسيرهم لظاهـــرة التطور، ولكن هل يمكن أن تكون الطفرات حقيقة وسيلة التطور؟ إن الدراسة الطويـــلة المتصـــلة لهذه الطفرات في كثير من الكائنات تدل على أن الغالبية العظمى من الطفـــرات تكون من النوع المميت، أما الأنواع غير المميتة منها فإن التغيرات المصاحبة لها تكـــون من النوع الذي يؤدي إلى التشويه أو على الأقل من النوع الذي يضعف من قوة الفرد؛ فمن الصعب إذن أن يؤدي تجمع هذه الطفرات الوراثية إلى التغيرات اللازمة لنشأة أنواع جديدة تعتبر أكثر تقدما ورقيا من أسلافها .أهـــ باختصار وتصرف [2].

وقال أيضا : قد تؤدي الطفرة في بعض الحالات النادرة إلى تحسين صفة من الصفات ولكن اجتماع هذه الصفة مع بعض الصفات الأخرى التي تطرأ عليها يؤدي إلى تكوين كائن أقصر عمرا و أقل قدرة على الحياة ولكن دعنا نسلم جدلا بحدوث طفرات نادرة تصحبها تحسينات تبلغ ١ ٪ فكم تحتاج مثل هذه الطفرات من الأجيال لكي يتراكم ويظهر أثرها و ينتج عنها نوع جديد ؟

لقد أوضح " باتو " في كتاب (التحليل الرياضي لنظرية التطور) أن تعميم صفة من الصـــفات عن طريق الطفرة في سلالة من السلالات لا يمكن أن يستغرق أقل من مليون جيـــل مـــن الأجيـــال المتتابعة؛ وحتى لو سلمنا بقدم الأحقاب الجيولوجية كما يقدرها الجيولوجيـــون فمن الصعب أن نتصور كيف أن حيوانا حديثا نسبيا مثل الحصان قد نشأ من سلـــفه الذي كان عـــدد الأصـــابع في قدمه خمسة، في الفترة من العـــصر الفجري (الايوسيني) الحديث حتى الآن أهـــ بتصرف[3] .

ثالـــثا : إن الطفـــرة لا تستطيع أبدا إنشاء عضو غير موجود أصلا، فلكي يتحول حيوان زاحـــف إلى حيوان طائر، لا بد أن تتغير أعضاؤه الداخلية، وبشكل كبير ومعقد (نظام الدورة

---

(١) انظر : دارون ونظرية التطور (ص : ٩٣) .

(٢) انظر : مقاله بعنوان " ما وعاه ابن صاحب البستان " ضمن كتاب : الله يتجلى في عصر العلم (ص : ٧٦-٧٧) .

(٣) انظر : المصدر السابق (ص : ٧٧) .

الدمويـــة، نظام التنفس، شكل العظام ...الخ) ولا يكفي هذا؛ إذ يجب ظهور أعضاء جديدة لم يكـــن يملكها سابقا مثل : الأجنحة والريش والمنقار ... الخ فكيف تستطيع الطفرة تأمين هذه الحاجات ؟ وكيف تستطيع تعيين شكل هذه الأجنحة والريش والمنقار ؟ وكيف تستطيع تخطيط كيفية عمل هذه الأعضاء الجديدة ؟ وكيف تعمل على نماذج غير موجودة لديها ؟ [١].

رابعـــا : المعلومات الجديدة التي أمكن الحصول عليها عن الإنسان تبين بطلان هذا القـــول : يقـــول عـــلماء الخـــلية أن عـــدد الخلايـــا في جســـم الإنســـان يبلغ إلى ٦٠،٠٠٠،٠٠٠،٠٠٠،٠٠٠ ستين ألف مليار خلية [٢]، وأن جزئيات D.N.A. الموجودة في خلية واحدة في جسم الإنسان تحتوي على معلومات بقدر موسوعة عملاقة مؤلفة من ستة وأربعين مجلدا يتألف كل مجلد من (١٢٠) ألف صفحة [٣].

ثم إن التغيرات التي قد يتحملها الجسم الإنساني حسب حسابات العالم الياباني " موتو كـــيمورا " يجب حصول تبدل كل بضع سنين في جزئية واحدة في الإنسان، وأما حسب حســـابات عالم الوراثة الانكليزي الشهير " جون بوردون ساندرسن هالدن (١٨٩٢-١٩٦٤م) فإن نسل الإنسان يستطيع تحمل تغيير مقداره جزئية واحدة كل ألف سنة، وإن أي تغيير أسرع سيؤدي إلى انقراض النوع الإنساني [٤].

بينما نظرية التطور تحتاج لإثبات صحتها إلى تغييرات وطفرات أسرع من هذا بكثير، ولـــو فرضنا المستحيل ... وأن الطفرات تعمل بالشكل الذي يقول به التطوريون، فمعنى هذا أنه لا يسعنا إلا إعطاء إجازة قسرية للانتخاب الطبيعي لمئات الملايين من السنين لكي تتحقق نظرية التطور[٥].

خامسا : ما هو أساس الطفرة و كيف يحدث ؟

فقـــد أرجـــع التطوريون حدوث هذه الطفرات إلى الخطأ أو إلى الصدفة [٦]، ولكن

---

(١) انظر : دارون ونظرية التطور (ص : ٩٤) .
(٢) انظر : المصدر السابق (ص : ٤٠) .
(٣) انظر : دارون ونظرية التطور (ص : ٣٦ و ٣٨) .
(٤) انظر : المصدر السابق (ص : ١٠٢) .
(٥) انظر : أيهما هو الصحيح الخلق أم النشوء (ص : ٥٣) .
(٦) انظر : الإنسان في القرآن الكريم للعقاد (ص : ١١٤) .

حدوثهـــا عن طريق الخطأ أو الصدفة، ثم اتجاهها نحو التحسن والارتقاء أمر لا يستسيغه العقل السليم ولا يشهد له الواقع المشاهد .

حدوث الخطأ في العمل لا يزيد في إتقانه .

إذا حدث خطأ في عمل ما؛ فإنه من المحتمل إلى حد كبير أن يفسد العمل أو يتضرر بـــه عـــلى أقل تقدير ولكنه لا يزيد في إتقانه وإحكامه؛ ولذلك لم يشاهد حتى الآن أن الأخطاء المطبعية في كتاب مطبوع أدت إلى تكامل ذلك الكتاب وارتفاع مستواه، كما لم يشاهد أن خطأ في صنع الطائرة أدى إلى تحسن نوعية الطائرة ورفع مستواها بل قد تسقط الطائرة بسبب مسمار أو صامولة واحدة فيها خلل [1].

ودعـــنا نتخيل بأننا قمنا بإمطار إحدى الطائرات وابلا من الرصاص بواسطة رشاشة أتوماتيكيـــة، فـــإذا كان محرك الطائرة قد أصيب برصاصة أو برصاصتين فإنه من المحتمل أن تســـقط هذه الطائرة، ولكن نظرية التطور تتوقع عكس هذه النتيجة ... إذ تتوقع أن يتحسن محرك الطائرة فتصبح من النوع التي تفوق سرعتها سرعة الصوت (Super Sonic) [2].

وأما حدوث الطفرة عن طريق الصدفة في جزئيات D.N.A، التي تملك تركيبا أعقد وأكمل من تركيب أي كومبيوتر موجود حاليا في العالم، ثم اتجاهها نحو الأحسن والأرقي ...فهو أمر غير ممكن الوقوع كما تقدم بيان بطلان ذلك في ضوء الأدلة والبراهين العلمية والعقـــلية ، وأن الأرقام الرياضية تعجز عن التعبير عن الوقت الذي يستغرق حصول خلية واحدة عن طريق الصدفة [3] فكيف بالإنسان الذي يحتوي جسمه على ستين ألف مليار خلية؟ وهنا أضيف إلى ما تقدم مثالا واحدا يبين استحالة تطور الإنسان عن طريق الصدفة .

وهي مسألة تراصف حروف كلمة (نظرية التطور) :

لنضع الجسم الحي الذي يحتوي على تركيب معقد جدا جانبا، ونأخذ مسألة تراصف حروف كلمة : (نظرية التطور) عن طريق الصدفة .

---

(١) انظر : دارون ونظرية التطور (ص : ٩٣) .

(٢) انظر : المصدر السابق (ص : ٨٨) .

(٣) انظر : (ص : ٢٢٨-٢٣٢) .

فلنكــتب عــلى قصاصات الورق الحروف من الألف إلى الياء، ولنجلب آلة طابعة عليها الحروف الأبجدية فقط (من دون الإشارات والأرقام)، ولنجلس أمامها قردا (وهو مــن الحيوانات الراقية في نظرية التطور)، ولنتصور أن القرد سيضرب على هذه الحروف عشوائيا، فما هو احتمال ظهور " نظرية التطور " عن طريق الصدفة ؟

إن عبارة " نظرية التطور " تحتوي على (١١) حرفا، و بما أن هذه الحروف هي من بين الحــروف الأبجديــة البالغة (٢٨) حرفا، فإن احتمال ظهور حرف النون هو بنسبة ١: ٢٨، واحــتمال ظهور حرفين (النون والظاء) بالتسلسل هو بنسبة ١: ٢٨×٢٨= ٧٨٤، واحتمال ظهــور الأحرف : (النون والظاء والراء) بالتسلسل هو بنسبة ١: ٢٨×٢٨×٢٨= ٢١٩٥٠، وهكــذا ...ظهــور كلمة : نظرية التطور عن طريق الصدفة هو بنسبة (١: ٢٨ ١١) أي رقم واحــد إلى رقم هائل جدا، يتألف من ضرب العدد (٢٨) في نفسه إحدى عشرة مرة، ولكي تتصور مدي ضخامة هذا الرقم نقول بأنه يساوي تقريبا عدد الثواني التي مضت اعتبارا من خلق الكون حتى الآن، أي : لو كان القرد يضرب على هذه الآلة الطابعة مرة كل ثانية من قبل خمسة عشر مليار سنة حتى الآن لكان هناك احتمال أن تظهر عبارة " نظرية التطور " بعامل الصدفة [١].

وبهذا يتبين أن حدوث الطفرة الذي بنوه على أساس الخطأ أو الصدفة أسا س باطل، ولذلــك يمكن تصوير نظرية التطور كقمة قلعة معلقة في الهواء. فهذه النظرية أنشأت قمة هــذه القلعة المسماة ب" الانتخاب الطبيعي "، ثم اكتشف أنه لا بد من قاعدة تحت هذه القمــة، وهكذا طرحت فكرة الطفرة، وأخير جاء دور إنشاء الأساس، وذلك عن طريق الصدفة [٢]، وقد تقدم بيان بطلان كل من الصدفة والطفرة و الانتخاب الطبيعي في ضوء البراهين والأدلة العلمية والعقلية، وبه يعلم بطلان هذه النظرية وانهيارها من أساسها .

فهــذا غيــض من فيض من ثغرات نظرية التطور وأوجه بطلانها فيما يتعلق بفكرة

---

(١) انظر : دارون ونظرية التطور (ص : ٢٣-٢٤) . وانظر : أمثلة أخرى بين بها العلماء استحالة وجود الإنسان والكــون عــن طريق المصادفة في المصدر السابق (ص : ٢٢-٢٣)؛ والعلم يدعو للإيمان (ص : ٥١ و ص : ١٩٣-١٩٦)؛ والله يتجلى في عصر العلم (مقال بعنوان : نشأة العالم هل هو مصادفة أو قصد . كتبه : فرانك ألــن . ص : ١٥-١٦)؛ وفي موكــب النبيين (١/٨٠-٨١)؛ والإسلام يتحدى (ص : ٧٢-٧٥)؛ ومصرع الدارونية (ص : ٩٠-٩٣)؛ والعقيدة في الله (ص : ٧٣-٧٤)؛ وعقيدة المسلم لمحمد الغزالي (ص : ١٦-١٩).

(٢) انظر : دارون ونظرية التطور (ص : ٨٤) .

الانـــتخاب الطبيعي، وقاعدهٓا المزعومة الموسومة بالطفرة، وأساسها الموهوم أي الخطأ أو الصدفة. ومع ذلك نجد من التطوريين من يعتقد بها ، و يقول بتطور الكائنات الحية تحت إشرافها، فلنستمع الآن إلى شرح " داروين " (واضع هذا الصنم) كيفية تحول عضو من شكل لآخر تحت إشراف الانتخاب الطبيعي :

شرح داروين كيفية تحول عضو من شكل لآخر وبيان بطلانه :

قـــال داروين : (قد يصعب على الكثيرين الاعتقاد بأن عضوا كالعين وصل إلى أقصى درجـــات الكمال بواسطة الانتخاب الطبيعي، ولكننا إن أحطنا علما بسلسلة المراحل الطويلة الـــتي يمـــر بها أي عضو، والتي تؤدي كل مرحلة منها وظيفة مفيدة للكائن، فإن وصول هذا العضـــو إلى أية درجة من درجات الكمال لا يكون مستحيلا، لنأخذ مثلا خياشيم السمكة، فمن الواضح أن هذه الخياشيم تطورت وتحولت إلى عضو الرئة في الحيوانات البرية التي تتنفس الهـــواء . ولا بد أن هذا العضو اضطر لفترة ما إلى القيام بوظيفتين مختلفتين في الوقت نفسه، حـــتى تيســـر له الاختصـــاص في إحداهمـــا، كما أن قيام عضوين مختلفين عن بعضهما تمام الاخـــتلاف بإيفـــاء نفـــس الوظيفة، وقيام أحد العضوين بمساعدة العضو الآخر عند تطوره وتكامله يعد من الأسباب التي سهلت في أحيان كثيرة المراحل الانتقالية في التطور) [1].

هكـــذا ... وبهذه البساطة يعتقد " داروين " أنه استطاع أن يشرح كيفية تحول عضو من شكل إلى آخر تحت إشراف الانتخاب الطبيعي ولكن العلم المعاصر يرفض هذا الشرح وهذا التفسير، بل يعتبره مضحكا .

فكما يصعب على الإنسان الاعتقاد بأن سيارة تسير بالبترين قد تحولت نتيجة سلسلة حوادث المرور إلى سيارة تعمل بالغاز السائل، وأنها في فترة من فترات التحول كانت تسير بالبترين وبالغاز معا من باب الاحتياط !!

كذلـــك يصعب عليه تصديق كل هذه الحكايات حول خروج الأحياء من الماء إلى اليابسة، فإن قليلا من العلم وقليلا من التفكير يكفيان لرؤية كيف أن اللوحة التي تقدمها نظرية التطور في حاجة إلى عقل وشعور خارقين .

---

(١) أصل الأنواع (ص : ٢٣١-٢٣٢) نقلا من المصدر السابق (ص : ١٠٥-١٠٦) .

ويمثل هنا بمثال واحد، فمثلا قبل كل شيء يحتاج جهاز التنفس لكي يتعرض لمثل هذا التبدل والتحول إلى تعيين هدف أمامه ... وهذا الهدف هنا هو (الخروج من الماء إلى اليابسة)، فمن الذي يعطي هذا القرار ويعين هذا الهدف ؟ أهو الكائن نفسه ؟ أهي جزئيات جسمه ؟ أهو الماء ؟ أهو الهواء ؟ .

ثم يجب تعيين الخطوات اللازمة للوصول إلى هذا الهدف، ووضع خطة تحتوي على تفاصيل كثيرة جدا تشتمل أجهزة الجسم كله، فمن الذي يضع هذه الخطة ؟ أهو الكائن الحي ؟ أهي ذرات جسمه ؟ أم الهواء ؟ .

ثم يجب الأخذ بنظر الاعتبار جميع العوائق والمشاكل التي قد تظهر أثناء خطوات التقدم نحو الهدف، أخذ التدابير والاحتياطات اللازمة تجاهها، وإدراج جميع هذه التدابير في الخطة بشكل مناسب، بحيث لا تتعارض مع الخط العام للخطة . فمن الذي يرى المشاكل والعوائق والصعوبات قبل أوانها، ويفكر بالتدابير اللازمة فيؤمن التنسيق بين الأعضاء ؟.

ثم تأتي مرحلة التنفيذ، والتطوريون يرون أنها تتحقق نتيجة ملايين الحوادث التي تصيب شفرات الجينات . والغريب أن هذه الحوادث تكون وكأنها مرتبة ضمن خطة معينة!! ثم إن حادثة معينة تأتي لتكمل " التقدم " الذي حققته الحادثة السابقة، ولتدفع خطوة أخرى إلى الأمام، ولتقرب الكائن خطوة أخرى نحو الهدف !! وهكذا يتخلص هذا الكائن من قبضة الانتخاب الطبيعي (الذي يجول في الدنيا في كل ساعة من ليل ونهار دون أن يحس به أحد) [1].

وأخيرا، وبعملية تشبه عملية تحول دراجة أطفال ذات ثلاث عجلات إلى طائرة فانتوم إثر تعرضها لسلسلة من الحوادث العشوائية !! تظهر أمامنا المعجزة وتتكامل .

ثم إنه من الغريب جدا، أن لا يؤدي عبث الصدفة بشفرات الجينات إلى كوارث، وقد يفسر عدم فهم داروين ومعاصريه هذا الأمر إلى قلة معلوماتهم. أما الإصرار ممن جاء بعدهم عليه، فلا يفسر إلا بالعناد والتعصب. ذلك لأن مد يد العبث إليها أو تدخل الصدفة لا تؤدي إلا إلى كارثة .

واليوم يحاول الذكاء الإنساني — وليست الصدفة — أن ينفذ إلى أعماق علوم الجينات

---

(١) انظر : أصل الأنواع (ص : ١٣٣) نقلا من كتاب : دارون ونظرية التطور (ص : ١٠٤) .

بدراسات شاقة، فمن المستحيل قبول الادعاء بأن الصدفة والانتخاب الطبيعي استطاعا القيام بحل كل هذه الألغاز التي استعصى حلها على الذكاء الإنساني بالرغم من جميع الجهود المبذولة في هذا المجال، ومن المستحيل قبول هذا الادعاء و إن بذلت المحاولات لوضع قناع العلم عليه [١].

وأمـــا القول بالانتخاب الجنسي : الذي يكون به الميل في التناسل بين الأفراد القوية مما سبب اندثار الأفراد الضعاف، وبقاء الأقوى :

فيقـــال : إن ذلك ليس دليلا على حدوث تطور في النوع، بل يفهم منه بقاء النوع القـــوي من نفس النوع الذي اندثر الضعيف منه، فلا يفهم أن الباقي القوي أصبح نوعا راقيا متطورا غير النوع الضعيف الذي اندثر وذهب .

ثم إنه ليس بصحيح أن الصفات الحسنة في فرد من الأفراد تنقل بواسطة الوراثة، فمثلا : الحداد القوي العضلات لا تنتقل قوة عضلاته إلى ذريته كما أن العالم الغزير العلم لا ينتقل علمه بالوراثة إلى أبنائه [٢].

أما القول الأخير في شرحه لعملية التطور بأنه كلما تكونت صفة جديدة ورثت في النســـل : فيقال في الجواب عليه : إن القول بحدوث النشوء لبعض الخصائص والصفات العارضة ثم توريثها في النسل فذلك ما يرفضه علم الوراثة الحديث؛ فكل صفة لا تكمن في الناسلة، ولا تحتويها صبغة من صبغاتها؛ فهي صفة عارضة لا تنتقل إلى الذرية بالوراثة[٣].

كما أن وحدات الوراثة بأنواعها المختلفة تحتفظ بخصائص نوعها، وتحتم على الكائن الحي البقاء في دائرة النوع الذي نشأ منه وعدم الخروج منها. فلا يتطور الكائن الحي إلى نـــوع جديد؛ فالقط أصله قط، وسيظل قطا بإذن الله على توالي القرون، وكذلك الكلب والـــثور والحصان والقرد والإنسان . فالكل لهم أصلهم الخاص بهم، وسيبقون في دائرة أصلهم الذي نشئوا منه بإذن الله تعالى[٤].

ومـــع مخالفة علم الوراثة لنظرية داروين فإن التجربة تنقض هذا القول؛ فهاهم اليهود

---

(١) انظر : دارون ونظرية التطور (ص : ١٠٦-١٠٩)

(٢) انظر : العقيدة في الله (ص : ٨٤) .

(٣) انظر : المصدر السابق نفسه؛ والإنسان في القرآن الكريم (ص : ٧٨) .

(٤) انظر : في ظلال القرآن (٥/٢٨٠٩ ، السجدة : ٧) .

والمسلمون من بعدهم يختنون أبناءهم ولكن ذلك كله لم يسبب أن ولد أطفالهم بعد مرور السنين مختونين،[1] وهكذا ، فكلما تقدم العلم أثبت بطلان نظرية " داروين " .

أدلتهم على تطور الإنسان من مخلوق آخر قبله وبيان بطلانها :

وقد استدل القائلون بتطور الإنسان على ما ذهبوا إليه بما يلي :

دليـــلهم الأول : الحفريات الأرضية : تعتمد النظرية على أساس ما شوهد في زمن " داروين " من الحفريات الأرضية؛ فقد وجدوا أن الطبقات القديمة تحتوي على كائنات أولية، وأن الطبقات التي تليها تحتوي على كائنات أرقى فأرقى . فقال " داروين " : إن تلك الحيوانات الراقية قد جاءت نتيجة للنشوء والارتقاء من الحيوانات والكائنات الأولى .[2] ثم وجد الداروينية من هذه الحفريات ما يسمونه " إنسان بلتداون " بجمجمة إنسان وفك قرد [3].

ولكـــن اعتماد هذه النظرية على الحفريات واستدلالها بها على تطور الإنسان من مخلوق آخر باطل، وبيان ذلك من وجوه، وهي كما يلي :

١- نقص علم الحفريات : فإن علم الحفريات لا يزال ناقصا، فلا يدعي أحد أنه أكمل التنقيب في جميع طبقات الأرض وتحت الجبال والبحار، فلم يجد شيئا جديدا ينقض المقررات [4].

٢- عـــدم توفـــر أســـباب حفظ هذه الحفريات في حالتها الأصلية : إن الشروط الواجـــب توفرها لحفظ عظام الحفريات وجماجمها التي يستدلون بها غير متوفرة، فوجودها حتى الآن مصونة الأنسجة والأعضاء بحالة صحيحة مع مضي الملايين من الأعوام والسنين عـــليها – كمـــا زعمـــوا – أمر تعج حوله كثير من الشكوك والشبهات فكيف يصح الاستدلال بما ليس بثابت بل هو بنفسه يحتاج إلى الإثبات ؟ [5].

٣ – عـــلم الحفـــريات في تغير فلا يمكن الاعتماد عليه كدليل قطعي : إن الحفريات في زمن دارون كانت تقول : إن أقدم عمر للإنسان هو ستمائة ألف سنة ولكن الاكتشافات الجديدة في علم

---

(١) انظر : العقيدة في الله (ص : ٨٥)؛ وانظر : أمثلة أخرى من هذا النوع في كتاب : الإنسان في القرآن الكريم (ص : ٧٥ ، ١٠٢) .

(٢) انظر : العقيدة في الله (ص : ٧٩-٨٠) .

(٣) انظر : دارون ونظرية التطور (ص : ١١٦-١١٩) .

(٤) انظر : العقيدة في الله (ص : ٨٠) .

(٥) انظر : مصرع الداروينة (ص : ٤٣) .

الحفريات قد قدرت أن عمر الإنسان يصل إلى عشرة ملايين من السنين، فكيف يعتمد لإثبات شيء على شيء لا يثبت بل هو ما زال في احتمال التغير، فقد ينكشف في الغد غير هذا ؟ [1].

٤-٦ - سـر العقـل عند الإنسان ليس كبر حجم الدماغ : التطوريون كثيرا ما يستدلون بسعة الجمجمة الحفرية وفراغها على سعة العقل وقدرة التفكير وعلو الذكاء، فيقولون : أن الإنسان في البداية لم يكن قادرا على التفكير، وكانت جمجمته صغيرة، فلما كبرت جمجمته بمرور الأيام ازداد عقله، وأصبح قادا على التفكير واختراع الآلات واستخدامها ... [2] ولكن الاستدلال بسعة الجمجمة وفراغها على قوة الذكاء والعقل والفهم استدلال غير سليم؛ فإن وزن الدماغ ليس مقياسا للذكاء وإلا لكان الفيل الذي يحتوي دماغه على ٥٠٠٠ سم لكان أذكى من الإنسان [3].

ثم من أهم الحفريات التي يتعلق بها أصحاب التطور " الإنسان النياندرتالي " الذي كان يعيش قبل ١٠٠٠٠٠ أو ٥٠٠٠٠٠ سنة على خلاف بينهم في مزاعمهم، ويعدونه من الموجة الثالثة من موجات تطور الإنسان [4]، ويذكرون أن جمجمته كان يبلغ حجمها ١٣٠٠-١٦٠٠ سم [5].

و يذكرون أن الإنسان الهوموسابيتر (Homo Sapiens) أي : الإنسان بشكله الحالي الذي يعدونه من الموجة الرابعة والأخيرة من موجات تطور الإنسان في زعمهم، ويقولون : إن حجم فراغ جمجمته انخفض، وحجمها المتوسط ١٣٠٠ سم [6].

فهل يعتبر " الإنسان النياندر تالي " الذي هو من الموجة الثالثة من موجات التطور أرقى من " الإنسان الهومو سابيتر " الذي هو من الموجة الرابعة عندهم على حد اصطلاحهم ؟

بينما يذكر في كتاب علم الحيوان أن حجم جمجمة الإنسان الطبيعي ١٤٨٠ سم للرجال، و١٣٠٠ سم للنساء، و يبلغ وزن دماغ الرجل ١٣٥٠ جراما، ويبلغ وزن دماغ المرأة ١٢١٠

---

(١) انظر : العقيدة في الله (ص : ٨١)؛ و في موكب النبيين (١/٦٢-٦٣) .

(٢) انظر : ما أصل الإنسان ؟ إجابات العلم والكتب المقدسة (ص : ١٠٢-١٠٧) .

(٣) انظر : الإنسان وجوده وخلافته في الأرض في ضوء القرآن الكريم (ص : ٨٠) .

(٤) انظر : ما أصل الإنسان ؟ إجابات العلم والكتب المقدسة (ص : ١٠٥) .

(٥) انظر : المصدر السابق (ص : ١٠٦)؛ و" في موكب النبيين " (١/٦١) .

(٦) انظر : ما أصل الإنسان ؟ إجابات العلم والكتب المقدسة (ص : ١٠٧) .

جـــرامات . وأن أصغر وزن لدماغ بشري طبيعي مهما كان عرقه ١٠٢٥ جراما . فلو اعتبرنا بالقياس للنسبة بين الوزن والحجم للإنسان لبلغ الحجم ٩٤٠ سم . فهل يعتبر الإنسان النياندرتالي شخصا دون مرتبة الإنسان الحالية وهو يبلغ أكثر من الحجم الأخير بكثير ؟ [١] .

٧- لو كان ناموس الارتقاء أكيدا لوجب أن توجد الحيوانات العلياء دائما في أعلى طـبقات الأرض، وأن لا يوجـــد منها شيء في طبقاتها السفلى، كما يجب أن لا توجد الحيوانـــات الدنيـــا في الطبقات العلياء ولكن الأمر ليس كذلك؛ فقد وجدت الآثار من طوائـــف الأحيـــاء الكبرى، الدنيا منها والعلياء في أسفل طبقات الأرض، كما وجدت الحيوانـــات الدنيـــئة فوق الحيوانات العالية في طبقات الأرض، فهذا ينقض دعوى تطور الحيوانات العلياء من الحيوانات الدنيا استدلالا بحفريات الأرض [٢] .

٨- وجود الكائنات الأولى البدائية في بعض طبقات الأرض أولا ثم الأرقى ليس دليلا عـــلى تطـــور الكائـــنات الراقية من الكائنات الدنيا بل هو دليل على ترتيب وجود هذه الكائنات فقط عند ملائمة البيئة لوجودها على أي صورة كان هذا الوجود [٣].

٩- الدراســـات والتجارب الواسعة على الهياكل والجماجم تعارض فرضية التطور : فقـــد قام العالم السويسري " جوهانس هورذمر " بإجراء الدراسات والتجارب الواسعة عـــلى الهيـــاكل والجمـــاجم، فأثبتت له معارضتها لفرضية التطور، فأعلن في ١٠ مارس ١٩٥٦م أنـــه لا يوجـــد دليل واحد من الألف على أن الإنسان من سلالة القردة . وأنه يعيش منفردا وبعيدا عن القردة منذ عشرة ملايين سنة [٤]، و أيده آخرون كما سيأتي .

وقال " فيركو " — من علماء الحفريات — في كتابه " النوع الإنساني " : (يجب علي أن أعلن بأن جميع الترقيات الحسية التي حدثت في دائرة علم الأنتروبولوجيا السابقة على التاريخ، تجعل القرابة المزعومة بين الإنسان والقرد تبعد عن الاحتمال شيئا فشيئا .

فـــإذا درسنا الإنسان الحفري في العهد الرابع، وهو الذي يجب أن يكون أقرب إلى أسلافه

---

(١) انظر : في موكب النبيين (٦١/١) .

(٢) انظر : قصة الإيمان (ص : ١٨٧)؛ وأيهما هو الصحيح الخلق أم النشوء (ص : ٧٤-٤٨) .

(٣) انظر : العقيدة في الله (ص : ٨١) .

(٤) انظر : الإنسان وجوده وخلافته في الأرض في ضوء القرآن الكريم (ص : ٧٨) .

نجـــد إنســـانا مشابها لنا كل الشبه، **فإن جماجم جميع الرجال الحفريين تثبت بطريقة لا تقبل المنازعة بأنهم كانوا يؤلفون مجتمعا محترما للغاية،** وكان حجم الرأس **فيهم على درجة يعتبرها الكـــثير مـــن معاصرينا أنفسهم سعداء إذا كان لهم رأس مثلهم، فإذا قابلنا مجموع الرجال الحفـــريين الذيـــن نعرفهم بما نراه في أيامنا هذه استطعنا أن نؤكد بكل جرأة بأن الأشخاص ناقصـــي الخلقة بين الرجال العصريين أكثر منهم بين الرجال الحفريين،** ولا أتجاسر أن أفترض في اكتشـــافاتنا الحفرية، فلم نصادف غير أصحاب القرائح السامية من أهل العهد الرابع، ومهما كان الأمر فيجب أن أقول : لم توجد قط جمجمة قرد تقرب من جمجمة إنسان) [1].

والمتتبع لكلام هذا العالم يعرف عدة أمور :

أ – كلما كان التقدم في العلم فإن احتمال تطور الإنسان عن الحيوان يعد شيئا فشيئا .

ب – أن الإنسان القديم كان بحالة أحسن مما نحن عليه الآن، وهذا عكس ما تريد أن تقـــرره نظرية النشوء والارتقاء بل هذا موافق لما جاء في الأحاديث النبوية الثابتة عن النبي ﷺ أن آدم خلق وطوله ستون ذراعا و لم يزل الخلق يتناقص حتى الآن [2].

ج – أن بعـــض الاكتشافات الحفرية ليس ببعيد أن تكون لغير الأصحاء من المرضى والمصابيين بكوارث .

١٠– عظـــام الحفريات وجماجمها الدالة على عدم اكتماله أصحابها لا يعني بالتأكيد أن الناس كلهم في ذلك الزمان كانوا ناقصي التكوين : فقد يكون النقص في التكوين والتركيب راجعـــا إلى عاهة أو مرض رافق أصحاب هذه العظام كما يدل عليه كلام الأستاذ " فيركو " أو قـــد تكون لإنسان معاصر أصيب بمرض كما ذكر العالم " أب كاروزينيا " عن جمجمة " الإنســـان النياندر تالي " حيث قال : (وقد أثار العثور على هذه الجمجمة نقاشا حادا بين علماء الحفريات حيث اعتبرها البعض جمجمة الإنسان القديم، بينما اعتقد البعض أنها جمجمة إنسان معاصر كان قد أصيب بمرض) . [3] ومثل هذه الأمور الشاذة تحدث حتى اليوم [4].

---

(١) نقلا من كتاب : في موكب النبيين (١/٦٨-٦٩) .

(٢) انظر : الأحاديث الدالة على ذلك في (ص : ١٥٩-١٦٠) .

(٣) نقلا من كتاب : في موكب النبيين (١/٦٠) .

(٤) انظر : مثالا لذلك ذكره محمد أحمد باشميل في كتابه : الإسلام ونظرية داروين (ص : ٨٨) .

١١- السلســـلة التي تغطيها الحفريات منقطعة غير متصلة : قال " أنتوني ستادن " في كـــتابه " العـــلم بقرة مقدسة " : (إنه لأقرب من الحقيقة أن نقول : إن جزءا كبيرا من السلسلة مفقود، وليس حلقة واحدة، بل إننا لنشك في وجود السلسلة ذاتها) [١].

قال العلامة " ليكونت دينوي " في كتابه مصير البشرية : (إن التطور يبدو لنا كفيلم ســـينمائي غير تام . فهناك أجزاء عديدة مفقودة ولا نعرف عنه سوي مرحلته الحاضرة، وبعض مقاطع من الماضي نحاول الربط بينها قدر استطاعتنا) [٢].

وقال الدكتور " حليم عطية سوريال " في كتابه " تصدع مذهب دارون " : (إن الحلقات المفقودة ناقصة بين طبقات الأحياء، وليست بالناقصة بين الإنسان وما دونه فحسب، فلا توجد حـــلقات بين الحيوانات الأولية ذات الخلية الوحيدة والحيوانات ذوات الخلايا المتعددة، ولا بين الحيوانـــات الرخوة، ولا بين المفصلية، ولا بين الحيوانات اللافقرية، ولا بين الأسماك والحيوانات البرمائية، ولا بين الأخيرة والزحافات والطيور، ولا بين الزواحف والحيوانات الثدية) [٣].

قـــالت منيرة علي الغاياتي : (إننا في حاجة إلى ملايين الحلقات لنربط بين الإنسان وبـــين أي نـــوع مـــن القرود، ومما يبعث على الحيرة أكثر أن نقطة بداية الحياة في هذه السلسلة مفقودة !..) [٤].

١٢- الحفريات المتعلقة بتطور الإنسان دخلها الغش والتزوير [٥]: مثلا : ادعاءهم أنهم عـــثروا على " إنسان بلتداون " بجمجمة إنسان وفك قرد، وهذا يدل على أن الإنسان تطور من القرد، وأن " إنسان بلتداون " صورة من صور الحلقات المفقودة في عملية التطور .

فهـــذه قضية مزيفة وقد دخلها من الكذب والغش والخيانة والتزوير شيء كثير؛ لأن هذه العظام لا تعود إلى كائن واحد بل إلى عدة كائنات . ولذلك قال " فرانز ويدنريج " ســـنة ١٩٤٠م ؛ أي بعـــد ثلاثين سنة تقريبا من اكتشاف هذه العظام : (يجب حذف

---

(١) نقلا من كتاب : مذهب النشوء والارتقاء في مواجهة الدين (ص : ١٤) .

(٢) نقلا من كتاب : مصرع الداروينية (ص : ٤٤) .

(٣) نقلا من كتاب : العقيدة في الله (ص : ٨١)؛ وكتاب : الإنسان في القرآن الكريم (ص : ١١٨) .

(٤) مذهب النشوء والارتقاء في مواجهة الدين (ص : ١٤-١٥) .

(٥) راجـــع للاطلاع على أمثلة كثيرة للتزوير في الحفريات من قبل أنصار النظرية وكشف العلماء عن تزويرها وتزييفها كتاب : النظريات العلمية ونظرية التطور (ص : ٩) .

إنســـان بلتداون من سجلات المتحجرات؛ لأنه ليس إلا عبارة عن تركيب اصطناعي بين جمجمة إنسان وفك قرد الأورانج ووضع أسنان في هذه الفك بشكل اصطناعي) [1].

وفي ســـنة ١٩٤٩م قـــام " كنيث أوكلي " وزملاؤه بعدة تجارب على عظام " إنسان بلتداون " فأظهرت التجارب أنها ليست قديمة بالدرجة المتصورة سابقا، وأن العظام دفنت في مـــنطقة " بلـــتداون " في زمن قريب جدا ... في عصرنا الحالي، وأن البقع الموجودة عليها لم تكـــن ناتجة عن بقائها مدة طويلة مدفونة في التراب بل إنها أحدثت بشكل اصطناعي للإيهام بأنهـــا تعود إلى أزمان غابرة جدا، وليس هذا فحسب، بل تبين أن الأسنان المغروسة في عظم الفك بردت بمبردة للتموية وللإيهام بأنها تآكلت على مر الزمن، وكانت علامات البرد ظاهرة لكل عين متفحصة، وأخيرا أعلنت النتيجة في تشرين الثاني سنة ١٩٥٣م، وكانت كما يلي :

(إن " إنســـان بلتداون " ليس إلا قضية تزوير وخداع، تمت بمهارة، ومن قبل أناس محترفين؛ فالجمجمة تعود إلى إنسان معاصر، أما عظام الفك فهي لقرد أورانج بعمر عشر سنوات، والأسنان هي أسنان إنسان غرست بشكل اصطناعي، وركبت على عظام الفك، وظهـــر كذلـــك أن العظـــام عوملت بمحلول ديكرومايت البوتاسيوم لإحداث آثار بقع للتموية وإعطاء شكل تاريخ قديم لها) [2].

دليلهم الثاني : تشابه الأجنة : تعتمد النظرية على ما كان معروفا في زمن " داروين " من تشابه أجنة الحيوانات في أدوارها الأولى، فهو يوحي بأن أصل الكائنات واحد، كما أن الجنين واحد، وحدث التطور على الأرض كما يحدث في أرحام الكائنات الحية [3].

ولكـــن الاســـتدلال بتشابه الجنين البشري بأجنة الحيوانات – كما زعموا – على اشـــتراك ســـلف الإنسان والحيوانات، وأنهما من أصل واحد استلال غير صحيح. وبيان ذلك من وجوه، وهي كما يلي :

١-القـــول بتشـــابه الجنين البشري بأجنة الحيوانات خطأ كبير : وقد وقع فيه بعض

---

(١) نقلا من كتاب : دارون ونظرية التطور (ص : ١٢٠) .

(٢) نقلا من كتاب : دارون ونظرية التطور (ص : ١٢٤) وانظر تفصيله في المصدر السابق : (ص : ١١٥-١٢٦)؛ ومصرع الدارونية (ص : ٦٠-٦١) .

(٣) انظر : العقيدة في الله (ص : ٨٠) .

العـــلماء، نتيجة لعدم تقدم الآلات المكبرة التي تبين التفاصيل الدقيقة التي تختلف فيها أجنة الحيوانات بعضها عن بعض في التكوين والتركيب والترتيب [1] .

٢- الجنين البشري يختلف عن أجنة الحيوانات من عدة أوجه : لما تقدمت الآلات المكبرة في العصر الحاضر بينت هذه الآلات تفاصيل دقيقة بين أجنة الحيوانات، وظهر أنه لا تشابه بين أجنة الحيوانات أبدا، وأن أجنة الإنسان تختلف عن أجنة الحيوانات من عدة جوانب [2].

٣- الذين رسموا صور الأجنة وقالوا بتشابهها خانوا وزوروا في الرسم : إن " أرنست هيكـــل [3]" الـــذي وضع صور الأجنة المتشابهة قام بالتزييف والتزوير في التصوير. وقد اعـــترف بتزويره في هذه الصور بعد انتقاد علماء الأجنة له وأعلن : أنه اضطر إلى تكملة الشبه في نحو ثمانية في المائة من صور الأجنة لنقص الرسم المنقول [4].

وليـــس هيكل هو الرجل الوحيد الذي قام بالتزوير في تصوير الأجنة وإيهام التماثل بين الجنين البشري والحيواني دعما لنظرية التطور بل هناك مئات من رجال العلم شاركوه في هذه ا الجريمة، فقد قال هيكل بعد اعترافه بالتزوير : (يعزيني أن أرى بجانبي في كرسي الاتهـــام مـــئات من شركائي في الجريمة، وبينهم عدد كبير من الفلاسفة المعول عليهم في الـــتجارب العـــلمية وغيرهم من علماء الأحياء (البيولوجيا)؛ فإن كثيرا من الصور التي توضح علم أبنية الأحياء وعلم التشريح وعلم الأنسجة وعلم الأجنة المنتشرة والمعول عليها مزور مثل تزويري تماما لا يختلف عنه في شيء) [5].

٤- التشابه الخارجي لا يدل على التماثل الباطني : فقد يوجد الشبه بين شيء وآخر مـــن حيث المظهر، ويكون في باطنهما من التفاوت ما الله به عليم؛ فجميع أنواع البيض تبدو متشابهة في مظهرها الخارجي ولكن فيها من الاختلاف الكيميائي الحيوي ما هو أبلغ

---

(١) انظر : المصدر السابق (ص : ٨٢).

(٢) انظـــر : دارون ونظـــرية التطور (ص : ٧٨) فقد ذكر المؤلف الفوارق المهمة بين أجنة الحيوانات بالرسم والصورة المأخوذة من الآلات المكبرة .

(٣) هو بيولوجي ألماني، صاحب مذهب التحول وتطور الأجنة، توفي سنة ١٩٥٦م . انظر : المنجد (ص : ٦٠٦).

(٤) انظـــر : مصـــرع الدارونية (ص : ٦٠)؛ ومذهب النشوء و الارتقاء في مواجهة الدين (ص : ١٣)؛ و في موكب النبيين (١٠٥/١)؛ ودارون ونظرية التطور (ص : ٧-٨)؛ والعقيدة في الله (ص : ٨٢)؛ والإنسان في القرآن الكريم (ص : ٩٤).

(٥) نقلا من كتاب : مصرع الدارونية (ص : ٦٠)، وانظر : مذهب النشوء و الارتقاء في مواجهة الدين (ص : ١٣) .

بكثير من التشابه الخارجي .

فــلا يصــح الاستدلال بتشابه الجنين البشري – على فرض التشابه المطلق – بأجنة الحيوانات في الظاهر على وحدة الأصل بين الإنسان والحيوانات [١].

دليــلهم الثالث : الأعضاء الأثرية : يعتقد النشوئيون أن بعض أعضاء الإنسان تمثل بقايا أعضــاء كــانت ضرورية لأسلافه ولكنها مع الزمن أصبحت عديمة الضرورة بالنسبة له، ومن تــلك الأعضاء التي يسموها الأعضاء الأثرية ويستدلون بها لنظريتهم- وجود الزائدات الدودية في الإنسان التي هي المساعد في هضم النبات، وليس لها الآن عمل في الإنسان – كما زعموا – فهذا مما يوحي بأنها أثر بقي من القرود لم يتطور؛ لأنها تقوم بدورها في حياة القرود الآن [٢].

ولكــن الاستدلال بوجود الزائدة الدودية على نظرية تطور الإنسان من القرد ونحوه من الحيوان استدلال غير سليم وبيان ذلك من وجوه :

١- لا يخــلو جــزء مــن أجزاء جسم الإنسان من فائدة : كان يعتقد النشوئيون أن الأعضــاء الأثرية في الإنسان يبلغ عددها إلى مائة وثمانين عضوا ولكن هذا العدد ظل يتناقص مــع تــزايد المعرفة، والآن بعض النشوئيين بدؤوا يعترفون بأن ما كانوا يسمونه بقايا أعضاء ليــس من بينها عضو واحد بلا فائدة أو غرض . قال " البروفيسر أ . س . جورديتش " من جامعة أكسفورد : (من الحماقة القول بأن أي جزء من جسم الإنسان لا فائدة له) [٣].

٢- وجــود الــزائدة الدودية في الإنسان ليس دليلا على تطوره من القرد : إن وجود الــزائدة الدودية في الإنسان كعضو أثري – على فرض التسليم له – فليس ذلك دليلا قاطعا عــلى أن الإنســان تطور من القرد بل قد يكون سبب وجودها عند الإنسان وراثته لها من الإنسان الجد الذي كان اعتماده على النباتات، فخلقت لمساعدته في هضم تلك النباتات [٤] .

٣- الــزائدة الدودية لها وظيفة في جسم الإنسان : القول بأن الزائدة الدودية ليست لهــا وظيفة حاليا في جسم الإنسان قول غير صحيح؛ فقد أثبت الطب الحديث أنها ذات

---

(١) انظر : في موكب النبيين (١٠٥/١) .

(٢) انظر : العقيدة في الله (ص : ٨٠) .

(٣) نقلا من كتاب : مذهب النشوء و الارتقاء في مواجهة الدين (ص : ١١-١٢) .

(٤) انظر : العقيدة في الله (ص : ٨٢) .

وظيفة في جسم الإنسان، فهي جهاز لمفاوي مناعي في البطن كغيره من أجهزة المناعة في جسم الإنسان، ولذلك تدعى باسم (لوزات البطن) . [1] والعلم كل يوم إلى الازدياد؛ فقد يكشف لنا أن لها حقيقة ووظائف أخرى لا تزال غائبة عنا حتى اليوم [2].

٤- وجـــود الأعضاء الأثرية في جسم الإنسان لا يدل على تطوره وارتقائه بل هو دليل على تدهوره وانحطاطه : فإنه لو كانت ثمة أعضاء أثرية في جسم الإنسان وليس لها وظيفـــة الآن، فهذا لا يدل على ارتقاء الإنسان وتطوره، وإنما يدل على انحطاط الإنسان وتدهـــوره لتعطل بعض أعضائه التي كانت تقوم بوظيفتها من قبل، وهذا عكس ما يريده القائلون بالتطور، فهم إذا أرادوا أن يعززوا نظريتهم عليهم أن يثبتوا ظهور أعضاء جديدة في الإنسان وليس اختفاء أعضاء كانت موجودة من قبل [3].

دليـــلهم الرابع : وجود التشابه في البناء الجسمي الظاهري وفي بعض السلوك بين الإنسان والكائنات الحية الراقية ولا سيما منها القرد .

ولكـــن وجـــود التشـــابه بين الإنسان و بين بعض الكائنات الحية الأخرى في البناء الجســـمي والهيكل الخارجي لا يستلزم منه أن الإنسان تطور من ذلك الحيوان، وتوضيح ذلك من وجوه، وهي كما يلي :

١- وجـــود التشابه في البناء الجسمي لدى الكائنات الحية وفي بعض سلوكهم الخارجي فهـــذا لا يقتضي النسب بينها، ولا ينفي خروج كل نوع من بداية خاصة : فقد تكون هناك بدايـــات متعددة : بداية تطورت إلى نباتات، وبداية تطورت إلى فرع الحيوانات كالاسفنج مـــثلا، وبدايـــة أخرى خرج منها فرع آخر كالأسماك، وبداية خرج منها الإنسان، وبذلك يكون للإنسان جد منفصل، ويكون لكل نوع جد خاص به . فالتشابه التشريحي في الأنواع لا ينفي خروج كل نوع من بداية خاصة، ولا يلزم أن يكون بينها نسب مشترك [4].

---

(١) انظر : كواشف زيوف في المذاهب الفكرية المعاصرة (ص : ٣٢٩، في الهامش)؛ وأيهما هو الصحيح الخلق أم النشوء ؟ (ص : ٦٤) .

(٢) انظر : العقيدة في الله (ص : ٨٢) .

(٣) انظر : مذهب النشوء والارتقاء في مواجهة الدين (ص : ١٢) .

(٤) انظر : مصرع الدارونية (ص : ٥٠)؛ وكواشف زيوف في المذاهب الفكرية المعاصرة (ص ٣٣٠) .

قـال العـالم البيولوجي " أوستن كلارك " : (لا توجد علامة واحدة تحمل على الاعتقاد بأن أيا من المراتب الحيوانية الكبرى ينحدر من غيره . إن كل مرحلة لها وجودها المـتميز الناتج عن عملية خلق خاصة ومتميزة . لقد ظهر الإنسان على الأرض فجأة وفي نفس الشكل الذي نراه عليه الآن) [١].

وقـال " أ.كرسي موريسون " : (الإنسان ... تكوينه يشبه تكوين فصائل السيميا ولكـن هذا الشبه الهيكلي ليس بالضرورة برهانا على أننا من نسل أسلاف سيمائية " من القرود " أو أن تلك القرود هي ذرية منحطة للإنسان، ولا يستطيع أحد أن يزعم أن سمك القـد قـد تطور من سمك الحساس وإن يكن كلاهما يسكن المياه نفسها، ويأكل الطعام نفسه، ولهما عظام تكاد تكون متشابهة. وإنما يعني ذلك ببساطة أنه في وقت ما عند بداية التكييف كانت هناك ضرورة متوازنة لتنظيم كل من النوعين) [٢].

٢- وأما ما يذكرونه من وجود التشابه في الجينات بين القرد والإنسان، وبالتالي يحكمون عـلى توحد أصلهما فهذا حكم اعتباطي؛ لأنه من الممكن أن نصل إلى نفس النوع من القوائم بمقارنة الخنزير والكلب والفأر ...لأننا سنجد – ولا شك – كثيرا من نقاط الالتقاء بينهما [٣] .

٣- ليس من الغرابة أن تتشابه الأحياء في البناء الجسمي فإنها متشابهة في قوانين الحياة العامـة : فعلى سبيل المثال يلزم في الحيوانات التي تتنفس وجود الحويصلات الرئوية كما تتطـلب التغذية وجود قناة هضمية وما يلحق بها من غدد، كما أن التخلص من النواتج المضـرة يتطلب وجود الكلى ... ويلزم بالضرورة أن تكون متشابهة في تركيبها الظاهري [٤] ولكـن مـن الغرابة أن لا تتشابه هذه الأحياء مع كونها محكومة بنظام موحد من الله سبحانه وتعالى [٥]، ويتضح ذلك بالوجه التالي .

٤- الفرق بين الإنسان وبين غيره من الأحياء كبير : فالإنسان في أول ولادته يكون في

---

(١) نقلا من كتاب : مذهب النشوء والارتقاء في مواجهة الدين (ص : ١٣) .

(٢) العلم يدعو للإيمان (ص : ١٤٤) .

(٣) انظر : ما أصل الإنسان ؟ إجابات العلم والكتب المقدسة (ص : ١٢١) .

(٤) انظر : المصدر السابق نفسه .

(٥) انظر : الإنسان ووجوده وخلافته في الأرض في ضوء القرآن الكريم (ص : ٨١) .

غايـــة مـــن الضعف عقلا وجسدا، لايقدر على مشي، ولا جلوس بنفسه، ولا أدنى حركة جسـدية تكـون منتظمة، وهو في غاية البلادة والبله، لا يدري ما هو محيط به، ولا يعرف الأرض من السماء، ولا النار من الماء، فلا يتجنب مؤذيا، ولا يختار نافعا حتى لا يدري كيف يـأخذ ثدي أمه، ثم بعد كل ذلك الضعف وجميع تلك البلادة نراه — بتوفيق من الله تعالى — يترقى في القوة والإدراك شيئا فشيئا حتى يبلغ في القوة والذكاء إلى درجة لم تكن منتظرة منه فيما لو قيس على بقية الحيوانات التي تكون عند ولادتها أقوى منه حالا جسدا وإدراكا [1].

بين الإنسان والقرد :

ولنـترك الحيوانات الأخرى جانبا، ولنأخذ القرد الذي يزعم التطوريون أن الإنسان تطور منه أو أن هناك نسبا مشتركا بينهما، وأنهما يرجعان إلى أصل واحد؛ فلنقارن بينهما مقارنة في ضوء العلم الحديث والواقع لنتبين صحة ما ذهب إليه التطوريون أو بطلانه .

فلو افترضنا جدلا وجود مشابهة تعطي الظن باشتراك الإنسان والقرد في أصل واحد أو أن الإنسان متطور من القرد ...فلماذا يوجد فرق رهيب بين سلسلة تطور القرد الطفل وسلسـلة تطور الطفل الإنسان ؟ فالعلم والعقل والمشاهدة البحتة تثبت أن البون شاسع جدا بين الإنسان والقرد في مرحلة الطفولة .

فالإنسان الطفل يولد عاجزا من الناحتين البدنية والعقلية، ويترقى فيهما ببطء شديد، وتستمر حالة العجز فيه زمنا طويلا ... ولكنه عندما يكبر يصل إلى درجة عظيمة من القوة والذكاء .

بخـلاف القرد ...فإنه بمجرد ولادته يساعد أمه في رعايته، ويستطيع أن يعتمد على نفسه اعتمادا كاملا، وهو ما يزال قردا صغيرا .

فـلو كان الإنسان متطورا من القرد لما كان دونه عند الولادة، ولو كان كلاهما من أصـل واحـد مشترك بينهما لما كان بينهما هذا البون الشاسع الرهيب فما الذي جعل الإنسان دون القرد عند الولادة، ثم جعل القرد دون الإنسان بعد تقدم السن ؟ [2].

---

(١) انظر : الرسالة الحميدية في حقيقة الديانة الإسلامية وحقيقة الشريعة المحمدية (ص : ٢٤٣-٢٤٤) .

(٢) انظر : المصدر السابق نفسه؛ والإنسان في الكون بين القرآن والعلم (ص : ١١٩-١٢٠)؛ وأصل الأجناس البشرية بين القرآن والعلم (ص : ٣٥٧-٣٥٨) .

الدراسة العلمية الحديثة تدل على عدم وجود القربة بين الإنسان والقرد :

قال " فيركو " – من علماء الحفريات ـ : (يجب علي أن أعلن بأن جميع الترقيات الحسية التي حدثت في دائرة علم الأنتروبولوجيا السابقة على التاريخ، تجعل القرابة المزعومة بين الإنسان والقرد تبعد عن الاحتمال شيئا فشيئا ... ومهما كان الأمر فيجب أن أقول : لم توجد قط جمجمة قرد تقرب من جمجمة إنسان)(١).

قال العلامة " فون بسكوف " بعد أن قام مع زميله الأستاذ " فيرخو " بالدراسة التشريحية للإنسان والقرد والمقابلة بينهما : (إن ا لفروق بين البشر والقرود أصلي وبعيد)(٢).

وأذاع البروفيسور جوهانس هورذلر – العالم الذري بسويسرا – بيانا في مارس ١٩٥٦م – فقال : (إنه لا يوجد دليل واحد من الألف على أن الإنسان من سلالة القرد، وإن التجارب الواسعة التي أجراها دلت على أن الإنسان يعيش منفردا، وبعيدا جدا، وأن الهياكل التي درسها تؤكد نظريته) أهـ بتصرف (٣).

وأيد الدكتور " دويتر " – المشرف على الأبحاث بجامعة كولومبيا – وجهة نظر البروفيسور " هورذلر " وأعلن ذلك في أمريكا بتاريخ ٣١ مارس ١٩٥٦م بـ (أن الكائنات إنما خلقت مستقلة الأنواع استقلالا تاما، فمنها الإنسان الذي يمشي على رجليه، ومنها الداواب التي تمشي على أربع، ومنها الزواحف التي تمشي على بطنها)(٤).

اعتراف التطوريين بفروق كثيرة بين الإنسان والقرد

ولم يكن القائلون بتطور الإنسان غافلين عن مثل هذه الفروق بين الإنسان والقرد، بل كان بعضهم يدرك ذلك جيدا . ومم يجدر ذكره في هذا الصدد ما قاله " توماس هكسلي " – وهو من غلاة التطوريين القائلين بتطور الإنسان من القرد – فقد قال " هكسلي " : (إنني سأنتهز هذه الفرصة لأقرر بوضوح – على العكس – أن لهما وزنهما وأهميتهما، وأن كل عظمة من عظام الغوريلا تحمل ملامح تميزها عن نظيرتها في الإنسان، وأنه على الأقل في

---

(١) نقلا من كتاب : في موكب النبيين (١/٦٨-٦٩) .

(٢) نقلا من المصدر السابق (١/٧٩) .

(٣) بواسطة كتاب : في موكب النبيين (١/٦٢) .

(٤) نقلا من كتاب : في موكب النبيين (١/٦٢-٦٣) .

مخلوقات ليس هناك من أشكال وسطية تغطي الثغرة التي تفصل بين الإنسان وبين الغوريلا) [1].

ويقـــول العـــالم " آرثــر كيث " – أحد علماء التطور : (لقد أحصيت الصفات المشتركة بين الإنسان والقرد؛ فوجدتها لا تتجاوز ٧ ، ٨ ٪) [2] فما نصيب الـــ ٣ ، ٩١ ٪ من الصفات غير المتشابهة ؟ فشتان ما بين القرد ... والإنسان ... [3].

وقال الأستاذ "فرخو " – وكان يري بتسلسل الإنسان من القرد، ثم شك في ذلك، ورجـــع عنه، وعارضه في آخر أمره بمنتهى القوة [4] – : (إنه يتبين لنا من الواقع أن بين الإنسان والقرد فرقا بعيدا، فلا يمكننا أن نحكم بأن الإنسان سلالة قرد أو غيره من البهائم، ولا يحسن أن نتفوه بذلك) [5].

فالقرد وهو من الحيوانات العلياء التي يرى التطوريون أن الإنسان تطور منه، وإذا كان الفرق بينه وبين الإنسان بهذه الدرجة فما بالك بغيره من الأحياء ؟ فوجود نوع من التشابه بين الأحياء في البناء الجسمي لا يستلزم وجود نسب مشترك بينها، ولا يصح الاستدلال به أن جميع الكائنات الحية انحدرت من أصل واحد، ولو تأمل الماديون بعقل وروية، ونظروا بعـــين الإنصــــاف لظهــــر لهم أن المشابهة الصورية الظاهرة بين الإنسان والقرد أو غيره من الحيوان لا تدل على وجود نسب مشترك بينها . والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل .

دليلهم الخامس : التأخر في وجود بعض أنواع الأحياء على سطح الأرض عن بعض [6] .

ولكن الاستدلال بتأخر وجود بعض أنواع الأحياء على سطح الأرض عن بعض على إثبات نظرية التطور استدلال غير سليم؛ لأن تأخر ظهور بعض الأنواع الراقية عن أنواع سابقة لها في الوجود لا يقتضي أن السابق أب أو جد لما ظهر بعده، إذ الاحتمال الأقرب للتصـــور أن يكـــون مبدع النوع الأول قد أبدع بعده النوع الأرقى، ثم أبدع بعد ذلك

---

(١) نقلا من كتاب : ما أصل الإنسان ؟ إجابات العلم والكتب المقدسة (ص : ١٢١) .

(٢) نقلا من كتاب : في موكب النبيين (١/١٠٥-١٠٦) .

(٣) انظر : المصدر السابق نفسه .

(٤) انظر : الفكر المادي الحديث وموقف الإسلام منه (ص : ١٢٦) .

(٥) نقلا من كتاب : في موكب النبيين (٧٨/١) .

(٦) انظر : كواشف زيوف في المذاهب الفكرية المعاصرة (ص : ٣١٨ و ٣٢٩) .

الأرقى فالأرقى، ثم أبدع أخيرا الإنسان [1].

فهـــذه هي الأدلة التي تمسك بها أعيان القائلين [2] بتطور الإنسان من أدنى الكائنات الحية إلى صورته الحاضرة، وقد سبق بيان بطلانها، وبه يتبين أن الأسس والقواعد التي بنيت عليها هذه النظرية منهارة، وأن الأدلة التي تعلق بها أصحابها واهية، فدعواهم فاسدة باطلة، عاريـــة عن الحجة والبرهان، وبالإضافة إلى ما سبق يدل على بطلانها أوجه أخرى كثيرة، أجملها في نقاط، وهي كما يلي :

الأولى : الـــنظرية لا يؤيدها الواقع المشاهد [3]: فهذه النظرية الباطلة يخالفها الواقع المشاهد ولا يؤيدها وبيان ذلك بما يلي :

١- لـــو كانت النظرية حقا لشاهدنا كثيرا من الحيوانات والإنسان تأتي إلى الوجود عـــن طريق التطور، لا عن طريق التناسل فقط . وإذا كان التطور يحتاج إلى زمن طويل فذلك لا يمنع من مشاهدة قرود تتحول إلى آدميين في صورة دفعات متوالية كل سنة، أو كل عشر سنوات، أو كل مائة سنة .

٢- لو سلمنا جدلا : أن الظروف الطبيعية والانتخاب الطبيعي، قد طورت قردا إلى رجـــل – مثلا – فإننا لن نسلم أبدا بأن الظروف قد قررت أيضا أن تكون امرأة لذلك الرجل ليستمرا في التناسل والبقاء مع الموازنة بينهما .

٣- إن القـــدرة عـــلى التكيف التي نشاهدها في المخلوقات – كالحرباء – مثلا تتلون بحسب المكان هي مقدرة كامنة في تلك المخلوقات تولد معها، وهي عند بعضها وافرة، وعند الـــبعض الآخر تكاد تكون معدومة، وهي عند جميع المخلوقات محدودة لا تتجاوز حدودها. فالقدرة على التكيف صفة كامنة. لا صفة متطورة، تكونها البيئة كما يزعم أصحاب النظرية،

---

(١) انظر : المصدر السابق (ص : ٣٣٠) .

(٢) وقـــد حاول بعض أذنابهم الاستدلال لهذا القول الفاسد بآيات من القرآن الكريم كقوله تعالى : ﴿ وقد خلقكم أطوارا ﴾ [نوح : ١٤] وقوله تعالى : ﴿ ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ﴾ [المؤمنون : ١٢] وغيرها من الآيات الدالة على كون الإنسان مخلوقا من الطين . وهي في معزل عن الدلالة على زعمهم الباطل، وسيأتي بيان بطلان استدلالهم بها على ما زعموا مع بيان معناه الصحيح في المطلب القادم إن شاء الله .

(٣) تمت الاستفادة في هذه الردود من كتاب : العقيدة في الله (ص : ٨٥-٨٦) بتصرف يسير .

وإلا لكانت البيئة فرضت التكيف على الأحجار والأتربة وغيرها من الجمادات .

٤- تمتاز الضفادع على الإنسان بمقدرة على الحياة في البر والماء، كما تمتاز الطيور عليه بمقدرة على الطيران والانتقال السريع، وذلك بدون آلة، كما أن أنف الكلب أشد حساسية من أنف الإنسان، وكما أن عين الجمل أو الخيل أو الحمار ترى في النهار وفي المساء على السواء في حين تعجز عين الإنسان عن الرؤية في الظلام ...فهل أنف الكلب أكثر رقيا من أنف الإنسان ؟ وهل الضفادع والطيور أرقى من الإنسان في بعض الجوانب؟ وهل الجمال والخيول والحمير أرقى من الإنسان ؟

فهذه النظرية يخالفها الواقع المشاهد مخالفة تامة .

الثانية : هذه النظرية الباطلة عاجزة عن الإجابة المقنعة لكثير من الأسئلة عن الظواهر الموجودة :

إن نظرية التطور تحسب أنها استطاعت تفسير نشوء الكائنات الحية وتكاملها وتطورها وكل شيء بـ (الانتخاب الطبيعي) ولكن الحياة هي أشمل وأعقد من مجرد أجساد الكائنات الحية، فعلاوة على وجود الأجهزة العضوية في أجساد الكائنات، هناك علاقات متداخلة ومتشعبة ومعقدة وحساسة بين هذه الكائنات والكائنات الأخرى من جهة، وبينها وبين بيئتها، وهذا موضوع مهم جدا لا يمكن لأي نظرية تدعي تفسير الحياة أن تهمل إيضاحها وتفسيرها، غير أننا نرى أن الظلمات تحيط بهذا الموضوع في نظرية التطور، ولا نرى أي بصيص من نور .

فمثلا لا تستطيع نظرية التطور أن تفسر كيف أن الطفل وهو جنين في بطن أمه — يتدرب لاكتساب المهارة الوحيدة المطلوبة منه، وهي عملية مص الثدي، وذلك بمص أصبعه ؟ [(١)].

كما لا تستطيع هذه النظرية أن تفسر كيف أن النحلة تستطيع التجول بين الأزهار، وامتصاص رحيقها، لعمل غذاء من أنقى الأغذية، وليس هناك من معلم أو مدرب لها ؟ وكيف تستطيع بإشاراتها ورقصاتها الخاصة من التخاطب مع أفراد مجموعتها، ثم القيام بإنشاء خلاياها بطريقة هندسية متناهية في الدقة من غير أن يرى فيها خطأ مليمتر واحد ؟ [(٢)].

أم تستطيع هذه النظرية أن تفسر كيف تبني العناكب بيوتها ؟ والطيور أوكارها ؟ والنمل

---

(١) انظر : دارون ونظرية التطور (ص : ١٣٥) .

(٢) انظر : المصدر السابق نفسه .

مساكنها ؟ ...فإن حاولت النظرية الادعاء بأن هذه الكائنات الحية اكتسبت المهارة بعد ملايين السنين نتيجة طفرات عديدة وعمليات الانتخاب الطبيعي، نسألها أن توضح لنا كيف تسنى لها أن تعيش طيلة هذه القرون الطويلة؟ ومن الذي أنقذها من الموت جوعا وعطشا ومرضا ؟ ومن الذي أودع جميع أنواع الأغذية اللازمة لكل كائن حي بحساب دقيق، في المأكولات والأغذية الخاصة بذلك الكائن الحي ؟ ومن الذي دبر لها رزقها وهيأ لها أسباب حياتها ؟ [١].

ويمكن تعداد أمثلة أكثر وأكثر، وكتابة مجلدات من الكتب حول هذا الموضوع، بل يمكن صرف العمر كله في تعداد مثل هذه الأمثلة، أما الاكتفاء بالقول بأن (الغريزة) هي الكلمة السحرية التي تفسر وتوضح هذه المهارات المتعددة والمذهلة، الموجودة بين ملايين الأنواع من الأحياء على اختلافها، والظن بأن هذه الكلمة كافية لإيضاح كل شيء، فليس إلا إعلان عن جهل الإنسان وعماه [٢].

الثالثة : الذين أيدوا هذه النظرية الباطلة لم يكن تأييدهم لها عن علم واقتناع قلبي بل كان رغبة في الإلحاد أو جهلا بمبادئها الكفرية : إن " داروين " لما قدم نظرية النشوء والارتقاء في لباس العلم الجديد بتفصيل جديد، وافق ذلك هوى في نفس الملاحدة، فطاروا بها شرقا وغربا، جاعلين منها منطلقا للدعوة إلى الإلحاد ومحاربة الدين، أشهروا بها عبر وسائل الإعلام المختلفة، فأجابهم من أجابهم جريا وراء كل ناعق إما جهلا بمبادئها الكفرية ومحتوياتها الإلحادية، وإما محاربة للدين ورغبة في الإلحاد والزندقة وهم الأكثر، وأصبحوا من حماتها وأنصارها، يدعون إليها ويضلون الناس بها .

ولم يكن تأييدهم لها ودعوتهم إليها إلا انتصارا لحرية الفكر الذي كانت الكنيسة تحاربه، وحربا مضادة يشنها علماء الطبيعة ضد قساوسة الكنيسة وأفكارهم بعد أن نشبت حرب طاحنة بين الفريقين، فالتأييد إنما هو نتيجة حرب حاقد على الأديان، لا عن علم واقتناع قلبي، فقد اعترف كثير من مؤيدي هذه الفرضية بأنها غير ثابتة وغير علمية، وفيما يلي بعض أقوالهم [٣] :

---

(١) انظر : دارون ونظرية التطور (ص : ١٣٥-١٣٧) .

(٢) راجع للاطلاع على المزيد من هذه الأسئلة التي تعجز نظرية التطور الإلحادية عن الإجابة المقنعة لها كتاب : دارون ونظرية التطور (ص : ١٣٤-١٤١)؛ ومصرع الداروينية (ص : ١٨٩-١٩١) .

(٣) هذه الأقوال مأخوذة مما ذكرتها عنهم " منيرة علي الغاياتي " في كتابها : مذهب النشوء والارتقاء في مواجهة الدين (ص : ٦-٩) .

وقال تعالى عن خلق الإنسان : ﴿ ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حمإ مسنون ﴾[1]

وقال تعالى : ﴿ خلق الإنسان من صلصال كالفخار ﴾[2] وقال تعالى : ﴿ الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين ﴾[3] وقال تعالى : ﴿ ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ﴾[4].

فالآيات القرآنية تبين أن البشر خلق من الطين، وأن الإنسان كذلك خلق من الطين، فلا فرق بين البشر والإنسان، فهما اسمان لمخلوق واحد خلق من الطين، ولاشك أن الذي خلق من الطين هو آدم ﷺ فهو أبو البشر وهو أبو الإنسان كذلك . فلا يصح أن يقال : أن آدم ﷺ أبو الإنسان وليس " أبو البشر "، كما لا يصح أن يقال : الذي خلق من الطين بشر غير آدم ﷺ، وأنه جاء مولودا لأبوين من البشر؛ لأن الذين جاءوا مولودين لأبويهما من البشر هم أولاد أبي البشر آدم ﷺ وذريته كما قال تعالى : ﴿ وبدأ خلق الإنسان من طين * ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين ﴾[5].

ثانيا : إن آدم ﷺ هو أبو البشر وأبو الناس كما أخبر بذلك النبي ﷺ : فعن أنس ﷺ عن النبي ﷺ قال : يجتمع المؤمنون يوم القيامة فيقولون : لو استشفعنا إلى ربنا، فيأتون آدم، فيقولون : أنت أبو الناس، خلقك الله بيده، وأسجد لك ملائكته، وعلمك أسماء كل شيء، فاشفع لنا عند ربك حتى يريحنا من مكاننا هذا . فيقول : لست هناكم، ويذكر ذنبه فيستحي، ائتوا نوحا فإنه أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض ...الحديث[6].

وفي حديث أبي هريرة ﷺ مرفوعا : أن الناس يأتون إليه يوم القيامة، فيقولون له : ((يا آدم أنت أبو البشر، خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا لك، وأسكنك الجنة، ألا تشفع لنا إلى ربك ...)) الحديث[7].

---

(١) الحجر الآية : ٢٦

(٢) الرحمن الآية : ١٤

(٣) السجدة الآية : ٧

(٤) المؤمنون الآية : ١٢

(٥) السجدة الآيتان : ٧-٨

(٦) جزء من حديث الشفاعة، أخرجه البخاري ومسلم، وقد تقدم تخريجه في (ص : ٦٩) .

(٧) جزء من حديث الشفاعة، أخرجه البخاري ومسلم، وقد سبق تخريجه في (ص : ١١١) .

والناس اسم جمع، ومفرده إنسان [1]، وآدم عليه السلام وصف بأنه أبو الناس كما وصف بأنه أبو البشر على لسان أفصح العرب وأصدق البرية. فكيف يسوغ لمسلم عالم أن يقول بالتفريق بين آدم البشر وآدم الإنسان، وأن يقول : إن آدم عليه السلام هو أبو الإنسان وليس أبا البشر ؟!

ثالثا : كتب اللغة والمعاجم لا تدل على التفريق المذكور بين البشر والإنسان [2] : فقد جاء في مفردات ألفاظ القرآن : (عبر عن الإنسان بالبشر اعتبارا بظهور جلده من الشعر بخلاف الحيوانات التي عليها الصوف أو الشعر أو الوبر) [3].

---

(١) انظر : تاج العروس من جواهر القاموس (١٥/٤١١ ، مادة : أنس)؛ وأبي آدم ... (ص : ٩٩) .

(٢) اختلف أئمة اللغة في الوزن الصرفي لكلمة " إنسان " ومادة اشتقاقه على قولين : **القول الأول** : ذهب جمهور الكوفيين إلى أن " إنسان " على وزن " إفعان "، وهو مشتق من النسيان، وأصله " إنسيان " على وزن " إفعلان " ولكن حذفت الياء – وهي لام الكلمة – لكثرة الاستعمال كقول العرب : " أيش " في أي شيء، و" عم صباحا " في " أنعم صباحا " . والدليل على أن الإنسان مأخوذ من النسيان قولهم في تصغيره : " أنيسيان " فردوا الياء في حال التصغير لأن الاسم لا يكثر استعماله مصغرا كثرة استعماله مكبرا، فالتصغير يرد الأشياء إلى أصولها، وبهذا علم أن الإنسان مأخوذ من النسيان، وأنه على وزن " إفعان " .

ولكن تعقب هذا القول بما يلي : ١- قولهم : إن " إنسان " أصله " إنسيان "، وحذفت منه الياء لكثرة الاستعمال كما حذفت في قولهم : " أيش " في " أي شيء "، و" عم صباحا " في " أنعم صباحا "، فهذا باطل إذ لو كان الأمر كما قالوا لكان جائزا أن يؤتى به على الأصل، كما يجوز أن تقول : أي شيء ، وأنعم صباحا. فلما لم يأت ذلك في الإنسان، و لم يرد استعمال " الإنسيان " في أي شيء من كلامهم في حالة اختيار و لا ضرورة دل على بطلان ما ذهبوا إليه . ٢- وأما الاستدلال بتصغير الإنسان على " أنيسيان " بزيادة الياء فهذا على خلاف القياس، وكما زيدت الياء في قولهم : " لييلية " في تصغير ليلة، و" عشيشية " في تصغير عشية، فكذلك زيدت الياء في قولهم : " أنيسيان " في تصغير " إنسان " ... إلى غير ذلك مما جاء على خلاف القياس؛ فلا يكون فيه حجة، والله تعالى أعلم .

والقول الثاني : ذهب البصريون وجماعة من الكوفيين إلى أن " إنسان " على وزن " فعلان " مأخوذ من الإنس، لأجل ظهور هم في مقابل الجن أو لما يوجد فيهم من الأنس وعدم الاستيحاش في مقابل الحيوانات الأخرى، وفي كلا الوجهين تكون الهمزة في الإنس أصلية فكذلك الهمزة في الإنسان أصلية . وألف ونون زائدتان؛ ولهذا قالوا : إن وزنه " فعلان " . والذي يترجح لي هو رجحان القول الثاني لأن القول الأول تعقب من الوجهين المذكورين، فذلك على أقل تقدير يدل على ضعفه، ولأن القول الثاني أكثر موافقة لما قاله أئمة اللغة في بيان معنى الإنسان، والله أعلم بالصواب . انظر للتفصيل : الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين : البصريين والكوفيين (المسألة السابعة عشر بعد المائة ، ٢/٨٠٩-٨١٢)؛ والصحاح (٣/٩٠٤-٩٠٥، مادة : أنس)؛ ومفردات ألفاظ القرآن (ص : ٩٤، مادة : أنس)؛ وتفسير غريب القرآن لابن قتيبة (ص : ٢١-٢٢)؛ ولسان العرب (١/٤٣١-٤٣٢، مادة : أنس) .

(٣) مفردات ألفاظ القرآن (ص : ١٢٤ ؛ مادة : بشر) .

وفيه أيضا : (الإنس خلاف الجن ... الإنسان سمي بذلك لأنه خلق خلقة لا قوام له إلا بأنس بعضهم ببعض، ولهذا قيل : الإنسان مدني بالطبع من حيث لا قوام لبعضهم إلا ببعض، ولا يمكنه أن يقوم بجميع أسبابه. وقيل : سمي بذلك : لأنه يأنس بكل ما يألفه، قيل : هو إفعلان : وأصله إنسيان سمي بذلك لأنه عهد إليه فنسي)[1].

وفي تهذيب اللغة : (أصل الإنس والناس والإنسان من الإيناس، وهو الإبصار. يقال : أَنَسْتُه وأَنِسْتُه؛ أي : أبصرته ... وسمي الإنسيون إنسيين لأنهم يؤنسون؛ أي : يُرَوْنَ، وسمي الجن جنا لأنهم مجتنُّون عن رؤية الناس؛ أي : متوارون)[2] .

وفي كتاب " الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين " : (سمي الإنس إنسا لظهورهم،كما سمي الجن جنا لاجتنانهم؛ أي : استتارهم . ويقال : آنست الشيء : إذا أبصرته . قال تعالى : ﴿آنس من جانب الطور نارا﴾ [3]؛ أي : أبصر ... ويجوز أن يكون سمي الإنس إنسا؛ لأن هذا الجنس يستأنس به، ويوجد فيه من الأنس وعدم الاستيحاش ما لا يوجد في غيره من سائر الحيوان)[4].

وفي الصحاح : (الإنس : البشر : الواحد إنسِيٌّ و أَنَسِيٌّ أيضا بالتحريك، والجمع أناسيُّ، وإن شئت جعلته إنسانا، ثم جمعته أناسيَّ؛ فتكون الياء عوضا من النون . وقال تعالى : ﴿ وأناسي كثيرا ﴾[5])[6].

وفي تاج العروس : (الإنس بالكسر : البشر، كالإنسان بالكسر أيضا ... سمي الأنسيون لأنهم يؤنسون؛ أي : يرون، وسمي الجن جنا؛ لأنهم مجنونون عن رؤية الناس؛ أي: متوارون)[7].

---

(١) المصدر السابق (ص : ٩٤ ، مادة : أنس) .

(٢) تهذيب اللغة (٨٩/١٣ ، مادة : أنس) .

(٣) القصص الآية : ٢٩

(٤) الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين : البصريين والكوفيين (٨١١/٢-٨١٢) .

(٥) الفرقان الآية : ٤٩

(٦) الصحاح (٩٠٤/٣ ، مادة : أنس) .

(٧) تاج العروس من جواهر القاموس (٤٠٨/١٥-٤٠٩) .

وفي معجـــم مقاييس اللغة : (بشر : الباء والشين والراء أصل واحد : ظهور الشيء مع حسن وجمال ... وسمي البشر بشرا لظهورهم) [1].

وفيـــه أيضا : (أنس : الهمزة والنون والسين أصل واحد : وهو ظهور الشيء وكل شيء خالف طريقة التوحش، وقالوا الإنس خلاف الجن، وسموا لظهورهم) [2].

وفي القـــاموس المحيط : (البَشَر : محركة : الإنسان، ذكرا وأنثى واحدا وجمعا، وقد يثنى ويجمع) [3].

وفيه أيضا : (الإنس : البشر) [4].

وفي كتاب الاشتقاق : (البشر : الناس، يقع على الواحد والجمع) [5].

وفي المعجم الوسيط : (البشر : الإنسان) [6].

يتبين من النظر فيما ذكره أئمة اللغة عن معنى البشر وعن معنى الإنسان أن الفرق بين الإنســـان و البشر ليس فرقا في الذات، فهما اسمان لمخلوق واحد، أطلقا عليه بالنظر إلى صفات مختلفة في الإنسان، فإطلاق البشر عليه بالنظر إلى حسنه وجماله، وإطلاق الإنسان عليه بالنظر إلى استئناس بعضهم ببعض وتآلفهم وتعاونهم فيما بينهم أو لما يطرأ عليهم من النســـيان على قول الكوفيين وهو لا يخلو من النظر؛ فلا يصح أن يقال : أن البشر مخلوق من جنس، والإنسان مخلوق من جنس آخر كما قال القائل بل الفرق بين البشر والإنسان فيما يظهر لي هو فرق بالصفات، فالبشر فيه معنى الظهور مع الحسن والجمال، والإنسان فيه معنى الظهور مع الألفة والاستئناس وعدم التوحش، والله أعلم بالصواب .

رابعا : قوله تعالى : ﴿ إني خالق بشرا من طين ﴾ [7] لا يدل على أن خلق البشر كان قد تم قبل

---

(١) معجم مقاييس اللغة (٢٥١/١ ، مادة : بشر) .

(٢) المصدر السابق (١٤٥/١ ، مادة : أنس) .

(٣) القاموس المحيط (٣٨٦/١ ، مادة : بشر) .

(٤) المصدر السابق (٢٠٥/٢ ، مادة : أنس) .

(٥) الاشتقاق (ص : ٧٧ ، مادة : بشر) .

(٦) المعجم الوسيط (٥٨/١ ، مادة : بشر) .

(٧) ص الآية : ٧١

إعـــلام الله الملائكـــة عـــن خلق الإنسان؛ لأن ﴿خالق﴾ اسم فاعل وهو مجرد من الألف واللام، والقاعدة النحوية تقول : إذا كان اسم الفاعل مجردا من الألف واللام، فلا يخلو من حالتين : إما أن يكون بمعنى الحال والاستقبال أو بمعنى المضي، فإن كان بمعنى الحال والاستقبال جاز فيه وجهان :

الوجه الأول : حذفُ التنوينِ والنونِ والإضافةُ مثل قوله تعالى : ﴿ ربنا إنك جامع الناس ليوم لا ريب فيه ﴾ (١)، وقوله تعالى : ﴿ إن الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا ﴾(٢)، وقوله تعالى : ﴿ إنهم ملاقوا ربهم ﴾ (٣) وقوله تعالى : ﴿ كل نفس ذائقة الموت ﴾ (٤). فهذه كلها للاستقبال .

ومثل قوله تعالى : ﴿ وهذا كتاب أنزلناه مبارك مصدق الذي بين يديه ﴾ (٥) فهذا حال .

الوجه الثاني : إثبات التنوين والنون والنصب مثل قوله تعالى : ﴿ إذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرا من طين ﴾ (٦)، وقوـــله تعالى : ﴿ وإذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرا من صلصال من حمإ مسنون ﴾(٧) وقوله تعالى : ﴿ وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة ﴾ (٨)وقوله تعالى : ﴿ وإنا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا ﴾(٩) وقوله تعالى: ﴿ ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غدا * إلا أن يشاء الله ﴾(١٠) وقوله تعالى : ﴿ ثم إنكم أيها الضالون المكذبون * لآكلون من شجر من زقوم * فمالئون منها البطون ﴾ (١١). هذه كلها للاستقبال.

---

(١) آل عمران الآية : ٩

(٢) النساء الآية : ١٤٠

(٣) هود الآية : ٢٩

(٤) آل عمران الآية : ١٨٥ ؛ والأنبياء الآية : ٣٥ ؛ والعنكبوت الآية : ٥٧

(٥) الأنعام الآية : ٩٢

(٦) ص الآية : ٧١

(٧) الحجر الآية : ٢٨

(٨) البقرة الآية : ٣٠

(٩) الكهف الآية : ٨

(١٠) الكهف الآيتان : ٢٤

(١١) الواقعة الآيات : ٥١-٥٣

ومثل قوله تعالى : ﴿ قل الله أعبد مخلصا له ديني ﴾ [1] وهذا للحال .

وإن كان بمعنى الماضي فلا يجوز فيه إلا وجه واحد وهو حذف التنوينِ والنونِ والإضافةُ مثل قوله تعالى : ﴿ الحمد لله فاطر السماوات والأرض ﴾ [2] .

لأن اسم الفاعل يعمل عمل فعل المضارع من رفع الفاعل ونصب المفعول لموافقته له في الحركات والسكنات فـ " ضارب " موافق لـ " يضرب " (ضَ ا رِ بٌ = يَ ضْ رِ بُ) فهو يشبه الفعل الذي هو بمعناه لفظا ومعنى، ولا يعمل عمل فعل الماضي لعدم موافقته له في الحركات والسكنات فـ " ضارب " لا يوافق " ضرب " فهو مشبه للفعل من ناحية المعنى؛ أي : الدلالة على معنى الضرب. أما من ناحية اللفظ فلا يشبهه، ولذا تجب إضافته [3].

ويتبين مما سبق أن النصب دلالته قطعية إذ هو لا يدل إلا على الحال والاستقبال، وأما الإضافة فدلالتها احتمالية إذ هي تدل على المضي والحال والاستقبال .

قال الفراء : (وأكثر ما تختاره العرب التنوين والنصب في المستقبل، فإذا كان معناه ماضيا لم يكادوا يقولون إلا بالإضافة) [4].

وقال ابن قتيبة : (ولو أن قائلا قال : هذا قاتلٌ أخي بالتنوين، وقال آخر : هذا قاتل أخي بالإضافة لدل التنوين على أنه لم يقتله، ودل حذف التنوين على أنه قد قتله) [5].

فلو كان المراد هنا في قوله تعالى للملائكة : ﴿ إني خالق بشرا من طين ﴾ الإخبار عن الماضي، وأن البشر كانوا قد خلقوا في ذلك الوقت الذي أعلم الله به ملائكته وخاطبهم بهذا القول الكريم لقال تعالى : { إني خالقُ بشرٍ } حتى يفهم منه الماضي، ولكن الله سبحانه وتعالى

---

(١) الزمر الآية : ١٤

(٢) فاطر الآية : ١

(٣) انظر : شرح ابن عقيل (٣/١٠٦-١٠٧)؛ وأوضح المسالك مع شرحه ضياء السالك (٣/١٣-١٤)؛ والمساعد على تسهيل الفوائد (٢/١٩١-٢٠٠)؛ وشرح جمل الزجاجي (٢/٥-٦)؛ وتعجيل الندى بشرح قطر الندى (ص : ٢٧٨-٢٨٠)؛ ومعاني النحو (٣/١٧٠-١٧٤) .

(٤) معاني القرآن (٢/٢٠٢ ، الأنبياء : ٣٥) .

(٥) تأويل مشكل القرآن (ص : ١١)؛ وانظر : مناظرة لطيفة حول هذه المسألة النحوية بين القاضي أبي يوسف والكسائي، وما حكم به بينهما الخليفة هارون الرشيد، ذكرها السيوطي في كتابه : الأشباه والنظائر في النحو (٣/٢٤٤) .

لم يقل : { إني خالقُ بشرٍ }، وإنما قال : ﴿ إني خالق بشرا ﴾ فدل ذلك على بطلان القول بأن البشر كان قد تم خلقهم لما أخبر الله ملائكته عن خلق الإنسان بالآية المذكورة، فما ذهب إليه هذا القائل باطل و مخالف لقواعد اللغة العربية المعروفة عند أئمة اللغة والنحاة والله أعلم .

خامسا : قال تعالى : ﴿ وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة ﴾ [١] ولا شك أن الله تعالى لما أخبر الملائكة عن هذا لم يكن آدم ﷺ قد جعل في ذلك الوقت خليفة في الأرض؛ إذ لو كان آدم ﷺ في ذلك الوقت خليفة في الأرض بالفعل لم يكن لما بعدها من الآيات الدالة على تعليم آدم الأسماء، وعرضها على الملائكة، وسجود الملائكة، ورفض إبليس السجود، وإسكان الأبوين في الجنة، وإغواء الشيطان لهما وتوبتهما وهبوطهما إلى الأرض ... لم يكن لهذه الآيات كلها كبير معنى إذ هو خليفة في الأرض فلا فائدة من هذا كله، وخاصة قول الملائكة كما قال الله تعالى ﴿ أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون ﴾ [٢] فهذا يدل على أن آدم ﷺ لم يكن جعل خليفة في الأرض في ذلك الوقت؛ إذ لو كان قد جعل خليفة في الأرض لقالت الملائكة :{ أجعلت فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء } .

فكما أن آدم ﷺ لم يكن جعل خليفة في الأرض لما خاطب الله تعالى الملائكة بهذه الآية، وأخبرهم بها فكذلك لم يكن قد تم خلق ذلك البشر — وهو آدم ﷺ - الذي أخبر الله عن خلقه في قوله تعالى : ﴿ إذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرا من طين ﴾ فلا يصح أن يقال أن الله خلق بشرا أولا ثم جعلهم إنسانا استدلالا بالآية المذكورة .

سادسا : الأطفال عند الولادة يكونون كاملي الأعضاء والجوارح : يبدأ تكوين الأعضاء والجوارح وما فيها من القوى عند الأطفال وهم أجنة في الأرحام . وهذه الأعضاء والقوى تتكون شيئا فشيئا، وتأخذ صورها الأخيرة قبل الولادة ثم يولدون وهم كاملوا الأعضاء والجوارح . وإنما يختلفون عن الكبير في القوة والضعف، فالكبير تكون قوة سمعه وبصره وفهمه وإدراكه ...أكثر من الصغير. وإذا أخذ الصغير في النمو والكبر، وتقدم به

---

(١) البقرة الآية : ٣٠

(٢) البقرة الآية : ٣٠

العمر ازدادت قواه العقلية والبصرية والسمعية والجسدية ... [1] فالأصل أن الأطفال يكونون مزودين بهذه القوى كلها من الله سبحانه وتعالى، ويكونون متصفين بها عند الولادة .

ولذلك نرى أن المولود الجديد منذ الساعات الأولى من الولادة يميز بين طعم وطعم؛ فإن أعطي شرابا ممزوجا بالمرارة يبصقه ولا يبتلعه بل يصرخ ويصيح ويرفع صوته بالبكاء ولكـــنه إذا أعطـــي شرابا ممزوجا بالسكر أو العسل أو تمرا مليناً ممضوغا كما يفعل عند تحـــنيكه فهو يتركه في فيه، ويحرك به لسانه وشفتيه ويحاول أن يبتلعه. فهذا يدل على أنه قادر على معرفة الطعوم والتمييز بين حلوها ومرها منذ ولادته . فسبحان الخالق العظيم .

وكذلك نرى في بيوتنا وأولادنا أن المولود الصغير- ابن بضعة أسابيع - يفتح عينيه، وإذا ذهـــبت أمه تجعل الكحل في عينيه أو تريد أن تجعل الدواء في عينيه فإذا هو يغمض عيـــنيه قـــبل أن يصل عود الكحل أو ما فيه الدواء إلى عينيه، فهذا دليل على أنه يرى أن هناك شيئا يتجه إلى عينيه، ولذلك يغلق عينيه .

ونرى أن الولد الصغير إذا كان نائما فقليل من الصوت أو الإزعاج يوقظه، ونرى أنه إذا أخـــذ في البكاء، وأمه على بعد منه، فهي تهدئه من بعد فإذا وصل صوتها إليه يهدأ ويعلم أن الإســـعاف قريب ويطمئن بذلك، مع أنه يميز بين صوت وصوت؛ فهو لا يطمئن لصوت أي شخص، وإنما يطمئن لصوت أقرب الأشخاص لديه الذين يقومون بخدمته وخاصة الأم، فهذا يـــدل على أنه يسمع، وأنه يعقل و يفهم و يميز و لكن كل ذلك حسب جسمه . فكما هو صغير في جسمه فكذلك صغير في قواه العقلية والسمعية والبصرية [2]... والله سبحانه و تعالى لم ينف عن المولود السمع والبصر والفؤاد، وإنما نفى عنه العلم، حيث قال : ﴿ والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئًا وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون ﴾ [3] ولكنه تعالى من فضله زود هذا المولود بوسائل العلم الثلاثة : وهي السمع والبصر والفؤاد ليتمكن المولود من

---

(١) انظر : رحلة الإيمان في جسم الإنسان (ص : ٥٨-٧٩)؛ و Text Book Of Pediatrics لمؤلفه : Nelson (٣٤/١) . تمت الاستفادة من الكتاب المذكور بمساعدة الدكتور علي علي البهجي — أخصائي طب الأطفال — بمستشفى الجامعة الإسلامية بالمدينة، وجزاه الله خيرا .

(٢) من إفادات الدكتور علي علي البهجي — حفظه الله - .

(٣) النحل الآية : ٧٨

التعـــلم بهـــا . ولذلـــك امتن الله بها على وجه أخص؛ إذ هي داخلة في منة الخلق والإيجاد والإخراج من بطن الأم. فهو سبحانه وتعالى امتن على عباده بخلقه لهم وإيجاده لهم من العدم . وكذلـــك امـــتن عليهم بتزويده إياهم بهذه الأعضاء التي لها شرف على غيرها من الأعضاء لكونها من وسائل العلم [1]، فلا يصح القول أن الأطفال يولدون وليس لهم سمع ولا بصر ولا فـــؤاد، بل هذه القوى كلها تبدأ في التكوين وهم أجنة في الأرحام، وتكون موجودة عندهم منذ الولادة، و إن لم تكن كالكبير في القوة والإدراك، والله أعلم بالصواب .

ســـابعا : البشـــر ليسوا كالحيوانات بل البشر هو الإنسان وهم مخاطبون بشرع الله تعالى، ومأمورون بأوامره، ومنهيون عن نواهيه، وبيان ذلك من وجوه، وهي كما يلي :

أ – قال تعالى : ﴿ وهوالذي خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا ﴾[2] فالنسب والصهر مـــن خصـــائص البشر التي لا توجد في الحيوانات لأنها شيء مرتبط بالتشريع والأعراف البشـــرية – وليست من الخصائص الحيوانية المحضة . فلو كان البشر غير مخاطب بالشرع وليـــس عـــندهم حلال وحرام لم يكن هناك أي حكمة وفائدة في جعلهم نسبا وصهرا؛ فالكل حلال؛ فلا داعي للنظر في النسب أو الصـــهر كما هو الحال عند الحيوانات .

ب – وقال تعالى لمريم – عليها السلام – : ﴿ فإما ترين من البشر أحدا فقولي إني نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم إنسيا ﴾ [3] هذه الآية تدل على أن البشر مأمور بالشرع ومطالب به وإلا لما صح إنكار قوم مريم – عليها السلام – إتيان هذا الولد المبارك؛ فإن إستغرابهم لهذا الأمر لم يكن إنكارا لمجيء الولد عن طريق الالتقاء بين الذكور والإناث بالزواج أو الزنا، وإنما كان إنكـــارهم عليها إنكارا شرعيا؛ ولهذا قالوا : ﴿ يا مريم لقد جئت شيئا فريا * يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا ﴾ [4]، فالبشر مأمور بالشرع، والإنسان مأمور بالشرع، ولا فرق بينهما، ولعل ورود كلمة ﴿ البشر ﴾ في الآية مرة، وكلمة ﴿ إنسيا ﴾ أخرى يوحي إلى

---

(١) انظر : تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص : ٥٩٨ ، النحل : ٧٨) .

(٢) الفرقان الآية : ٥٤

(٣) مريم الآية : ٢٦

(٤) مريم الآيتان : ٢٧-٢٨

هذا المعنى . فلا يصح التفريق بين البشر والإنسان، ولا يصح القول بأن المأمور بالشرع هو الإنسان...دون البشر ... والله أعلم بالصواب ..

ج - وقال تعالى : ﴿ وماهي إلاذكرى للبشر ﴾ [1] وقال تعالى : ﴿ نذيرا للبشر ﴾[2] فمن صفات البشر أنهم يُنْذِرُون و يُنْذَرُون وأنهم يحتاجون إلى الإنذار والتذكير، فلو كان البشر كالحيوان غير مخاطب بالشرع، لم يكن هناك أي وجه وأي داع للإنذار والتذكير لأنهم غير مأمورين بأوامر الشرع ولا منهيون عن نواهيه؛ فالأمر والنهي عندهم سواء فلا فائدة من هذه الذكرى ومن هذا الإنذار .

د - وقال تعالى : ﴿ وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي بإذنه ما يشاء ﴾ [3] وقال تعالى : ﴿ ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله ﴾ [4] وقال تعالى : ﴿ قالوا إن أنتم إلا بشر مثلنا تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا فأتونا بسلطان مبين * قالت لهم رسلهم إن نحن إلا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده وما كان لنا أن نأتيكم بسلطان إلا بإذن الله ﴾ [5] . فالله سبحانه وتعالى يمن على من شاء من عباده من البشر فيوحي إليهم بما يشاء، ويعطيهم الكتاب والحكمة والنبوة. ولا شك أن الذي أوتي الكتاب والحكمة والنبوة هو أول من يدخل في هذا الخطاب، وأول من يؤمر بأوامره، وأول من ينهى عن نواهيه؛ ولذلك هؤلاء الرسل من البشر كثيرا ما كانوا يقولون لأممهم من البشر أمرت أن أكون أول المؤمنين ...وأمرت أن أكون أول المسلمين. قال تعالى عن نوح عليه السلام أنه قال لقومه : ﴿ وأمرت أن أكون من المسلمين ﴾[6] وقال تعالى عن موسى عليه السلام : ﴿ فلما أفاق قال سبحانك تبت إليك وأنا أول المؤمنين ﴾[7] وقال تعالى عن عيسى عليه السلام : ﴿ قال إني عبد الله آتاني الكتاب

---

(١) المدثر الآية :٣١

(٢) المدثر الآية :٣٦

(٣) الشورى الآية : ٥١

(٤) آل عمران الآية : ٧٩

(٥) إبراهيم الآيتان : ١٠-١١

(٦) يونس الآية : ٧٢

(٧) الأعراف الآية : ١٤٣

وجعلني نبيا * وجعلني مباركا أين ما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا * وبرا بوالدتي ولم يجعلني جبارا شقيا ﴾ [1] وقال تعالى عن نبينا محمد ﷺ : ﴿ قل إني أمرت أن أكون أول من أسلم ﴾ [2] وقال تعالى : ﴿ قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين * لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين ﴾ [3] وقال تعالى : ﴿ قل إني أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين * وأمرت لأن أكون أول المسلمين ﴾ [4] وقال تعالى : ﴿ قل إني نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله لما جاءني البينات من ربي وأمرت أن أسلم لرب العالمين ﴾ [5] فهؤلاء الرسل عليهم السلام الذين اختصهم الله تعالى بالكتاب والحكمة والنبوة كلهم من البشر، وأرسلوا إلى بني جنسهم من البشر؛ فالرسل والمرسَلون إليهم كلهم من البشر، وكلهم مخاطبون بخطاب الرسالة الإلهية والرسل أول من يدخل في ذلك .

فلا يصح القول بأن البشر لم يعرفوا رسولا، ولم يتلقوا رسالة، ولم يعرفوا أمرا ولا نهيا. فهم ليسوا كالحيوانات والبهائم، والاتصال الجنسي لم يكن بينهم قائما من غير شرط ولا قيد بل هم كانوا ولم يزالوا مخاطبين بالشرع، ومطالبين بإتيان أوامره، والابتعاد عن نواهيه . ومنهم من اختص بحمل الرسالة الإلهية وتبليغها إلى من أرسل إليهم، وبه يعلم بطلان ما زعمه الزاعم من أن البشر كانوا أشبه بالحيوانات من غير رسالة إلهية وشريعة ربانية .

الحاصل : يتبين مما سبق من الوجوه أن الآيات القرآنية لم تفرق بين البشر والإنسان؛ فالكل مخلوق من الطين. وأن النبي ﷺ بين أن آدم عليه السلام هو أبو البشر، وأنه أبو الناس؛ فالنبي ﷺ لم يفرق بين آدم البشر وبين آدم الإنسان. وأن كتب اللغة والمعاجم لم تفرق بين البشر والإنسان كما فرق صاحب هذا القول. وأن البشر ليسوا كالحيوانات بل البشر هو الإنسان وهم مخاطبون بشرع الله، ومأمورون بأوامره، ومنهيون عن نواهيه. ومنهم من اختص بحمل رسالة الله إلى بني جنسهم من البشر. وأن البشر يبدأ تاريخه من وجود أبي البشر آدم عليه السلام، وأنه

(١) مريم الآيات : ٣٠-٣٢

(٢) الأنعام الآية : ١٤

(٣) الأنعام الآيتان : ١٦٢-١٦٣

(٤) الزمر الآيتان : ١١-١٢

(٥) غافر الآية : ٦٦

لم يكـــن هناك وجود لأي جنس بشري قبل آدم ﷺ . وبه يتبين بطلان ما فرق به صاحب هذا القول بين البشر والإنسان وما عرف به كلا من البشر والإنسان، فإنه رأي ساقط باطل لمخالفته للكتاب والسنة ومقتضى اللغة العربية. والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل .

الآيات القرآنية التي استدل بها لما ذهب إليه وبيان معانيها الصحيحة :

حـــاول الدكـــتور عـــبد الصبور شاهين أن يدعم رأيه فيما ذهب إليه من القول بتطور الإنســـان مـــن مخلوق قبله وهو البشر، وما فرق به بين البشر والإنسان - بالآيات القرآنية، وفـــيما يلي ذكر بعض تلك الآيات القرآنية التي حاول الاستدلال بها على ما ذهب إليه وبيان معناها الصحيح في ضوء الكتاب والسنة وأقوال السلف الصالح، فمن الآيات التي استدل بها :

- قولـــه تعالى : ﴿ ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس لم يكن من الساجدين ﴾ [(١)] .

فهو يرى أن الآية تتحدث عن جماعة من البشر، خلقوا في أشكال بدائية ثم سواهم الله وشكلهم وطورهم من الأشكال البدائية إلى الأشكال الحسنة شيئا فشيئا خلال ملايين السنين حـــتى جاء التطور الأخير في صورة آدم ﷺ الذي خرج من البشر، ودخل في الإنسان، فنفخ الله فيه من روحه وأمر الملائكة بالسجود له . فأول الآية تتحدث عن جماعة من البشر خلقوا قبل آدم ﷺ، وآخرها تتحدث عن آدم ﷺ الذي سجدت له الملائكة [(٢)].

ولكـــن ما ذهب إليه الدكتور عبد الصبور شاهين في تفسير الآية غير صحيح إذ يلزم مـــنه أن آدم ﷺ كان حيا قبل نفخ الروح فيه، وأنه قبل النفخ كان بشرا، وبالنفخ صار إنســـانا، وأنه ابن للبشر وليس أبا لهم، وأنه كان قبله أصول بشرية، تناسل منها آدم ﷺ وهذا كله باطل على باطل وقد سبق الكلام عن ذلك [(٣)].

بل هذه الآية من أولها إلى آخرها تتحدث عن آدم ﷺ فالذي خلقه الله تعالى وصوره بالصـــورة البشـــرية هو آدم ﷺ ولكنه تعالى نسب الخلق والتصوير إلى المخاطبين في هذا

---

(١) الأعراف الآية : ١١

(٢) انظر : أبي آدم قصة الخليقة بين الأسطورة والحقيقة (ص : ٨٦ و ١٠٧) .

(٣) انظر : (ص : ١٢٣-١٣٦) .

المقـــام، مـــع أن المخلوق المصور بالذات هو آدم ﷺ بدليل قوله تعالى : ﴿ ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم ﴾ امتـــنانا عـــليهم لامتنانه على أصلهم الذي تفرعوا منه . فخلق الله لآدم وتصـــويره له بالصورة البشرية الكريمة خلق وتصوير لهم؛ لأنها سرت إليهم وهم توارثوها من أبيهم جيلا بعد جيل . ففي ذلك إشارة إلى أن لهم حظا من خلقه وتصويره، فترل الله خلق الأصل الأول للنوع الإنساني مترلة أفراد النوع الذين منهم المخاطبون.

ونظـــيره قولـــه تعالى : ﴿ إنا لما طغى الماء حملناكم في الجارية ﴾ [1] ؛ أي : حملنا أصولكم وهـــم الذيـــن كـــانوا مع نوح ﷺ وتناسل منه الناس بعد الطوفان . والله تعالى يخاطب الموجودين والمراد آباؤهم كقوله تعالى لبني إسرائيل الذين كانوا في زمن النبي ﷺ : ﴿ وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون * ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون * وظللنا عليكم الغمام وأنزلنا عليكم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم ﴾ [2] وليس المراد بـــنو إسرائيل الذين كانوا في زمن النبي ﷺ بل المراد آباؤهم ولكن لما كان ذلك منة على الآباء الذين هم أصل صار كأنه واقع على الأبناء .

والقرآن يفسر بعضه بعضا ونظير هذه الآية قوله تعالى : ﴿ يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ﴾ [3] فأوقع الله الخلق من التراب على الناس كلهم وهو في الحقيقة لأبيهم آدم الذي هو أصلهم والآيات في هذا المعنى كثيرة .

فمعنى الآية أن الله تعالى خلق آدم ﷺ من طين غير مصور ثم صوره بالصورة البشرية ثم نفخ فيه من روحه تبارك وتعالى ثم أمر الملائكة أن يسجدوا له كما قال تعالى : ﴿ إذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرا من طين * فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين ﴾ [4] وهذا ما ذهب إليه المفسرون

---

(١) الحاقة الآية : ١١

(٢) البقرة الآيات : ٥٥-٥٧

(٣) الحج الآية : ٥

(٤) ص الآيتان : ٧١-٧٢

في بيان معنى الآية [1]، وهو موافق للآيات الأخرى من القرآن الكريم كما هو موافق للأحاديث الواردة عن النبي ﷺ في هذا الموضوع، فلا ينبغي العدول إلى غيره، والله أعلم بالصواب .

• وقولـــه تعالى : ﴿ ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين * ثم جعلناه نطفة في قرار مكين * ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا ءاخر فتبارك الله أحسن الخالقين ﴾ [2].

• وقولـــــه تعالى : ﴿ الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين * ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين * ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ما تشكرون ﴾ [3].

• وقولـــه تعالى : ﴿ وقد خلقكم أطوارا ﴾ [4].

فهـــو يفســـر هذه الآيات بأن الإنسان كانت بداية خلقه من الطين ولكنه لم يخلق من الطين مباشـــرة بل الذي خلق من الطين حيوان اسمه البشر وهو المعبر عنه بـــ ﴿ سلالة من طين ﴾، وكانوا في أشكال بدائية، بلا سمع ولا بصر ولا فؤاد...لقوله تعالى في الآية الثانية : ﴿ ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة ﴾، ثم تناكح هؤلاء البشر وتزاوجوا فيما بينهم، فأخذت سلالة من مائهم، وجعـــلت في قرار مكين فكانت نطفة وعلقة ومضغة ... واستمر هذا التناسل متطورا نحو الأحسن والأكمـــل ملايين السنين حتى اكتمل خلق الإنسان؛ فكان مختلفا عن الخلق السابق أي : عن خلق البشـــر، لأنه الآن أصبح إنسانا، وهو الذي أشير إليه في قوله تعالى : ﴿ فأنشأناه خلقا آخر ﴾، هذه هي

---

(١) انظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن (١٢٧/٨)؛ والتفسير الكبير (٣٠/١٤)؛ والجامع لأحكام القرآن (١٦٨/٧-١٦٩)؛ وتفســـير القرآن العظيم (٢٠٢/٢-٢٠٣)؛ والضوء المنير على التفسير (١٢٥/٣)؛ وإرشـــاد العقـــل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (٢١٤/٣-٢١٥)؛ ومحاسن التأويل (١٥/٧-١٦)؛ وفي رحاب التفسير (١٣٠٤/٨)؛ وروح المعاني (٨٦/٨-٨٧)؛ والتحرير والتنوير من التفسير (٣٦/٨-٣٧)؛ وأيسر التفاسير (١٥٦/٢)؛ وتهذيب التفسير (١٤٩/٥-١٥٠) .

(٢) المومنون الآيات : ١٢-١٤

(٣) السجدة الآيات : ٧-٩

(٤) نوح الآية : ١٤

أطوار خلق الإنسان المشار إليها في قوله تعالى : ﴿وقد خلقكم أطوارا ﴾ [1] هكذا زعم الدكتور [2].

ولكـــن هذا الاستدلال وهذا التفسير غير صحيح؛ لأن الله سبحانه وتعالى أخبر أنه خلق الإنسان من سلالة من طين؛ أي : من شيء مستل ومأخوذ من الطين ولكن القائلين بتطور الإنسان من حيوان قبله زعموا أن الله تعالى لم يخلق الإنسان من سلالة من طين بل خـــلقه – في زعمهم – من سلالات حيوانات مختلفة؛ أي : من مائها المهين، نسلا بعد نسل عبر ملايين السنين. هذا خلاف ما أخبر به الله سبحانه وتعالى .

ثم إن كلمة السلالة في قوله تعالى : ﴿ ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ﴾ لا يدل على وجود نسل وذريـــة خلقت من الطين وعاشت ملايين السنين ثم تناسل منها الإنسان بل معناها أن الإنسان الأول، وهـــو آدم ﷺ لم يخـــلق من جميع الطين الموجود في الأرض بل أخذت قبضة من تراب الأرض كلها واستلت منها سلالة، ومن هذه السلالة الطينية المأخوذة من جميع الأرض خلق أبو البشر آدم ﷺ.

ونظيره قوله تعالى عن خلق بني آدم : ﴿ الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين * ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين * ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ما تشكرون ﴾ [3].

وهـــذه الآيـــة واضحة في التفريق بين خلق الإنسان وبين نسله فالإنسان مخلوق من طين ونســـله مخـــلوق من ماء مهين، وكما أن الله تعالى خلق هذا النسل الآدمي بالسلالة المائية المـــأخوذة من ماء الزوجين، وليس بين ماء الزوجين والسلالة المائية المأخوذة من مائهما نســـل وذريـــة، فكذلـــك خلق الله تعالى آدم ﷺ من السلالة الطينية المأخوذة من جميع الأرض، وليس بين هذا الطين والسلالة الطينة نسل وذرية.

---

(١) نوح الآية : ١٤

(٢) انظـــر : أبي آدم قصـــة الخـــليقة بين الأسطورة والحقيقة (ص : ٩٠-٩٢)، وكذلك استدل بهذه الآيات عبد الكريم الخطيب على أن الإنسان تطور من البكتيريا، وأنه بعد سلسلة طويلة من التطورات وبعد عملية طويلة من التصـــفية والانـــتخاب وصل إلى حالته الحاضرة وقد سبقت الإشارة إلى ذلك في (ص : ٢٣٧و٢٦٣)، وكذلك استدل بهذه الآيات الدكتور موريس بوكائي على دعواه أن الإنسان تطور في شكله وعقله من الإنسان البدائي نسلا بعـــد نسل حتى وصل إلى الإنسان المعاصر في شكله وعقله إلا أنه أصاب في جانب إذ لم يقل بتطور الإنسان من أية سلالة حيوانية سابقة كما قال غيره من التطوريين، وسيأتي الكلام عن ذلك في (ص : ٢٩٤-٣٠٤) .

(٣) السجدة الآيات : ٧-٩

فالمقصـــود بالسلالة في آية " المؤمنون " هي الطينة التي أخذت من جميع الأرض التي خلق منها آدم ﷺ، وهو الذي تدل عليه الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الثابتة عن النبي ﷺ [1].

وقولـــه تعالى : ﴿ ثم جعلناه نطفة في قرار مكين * ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا ءاخر فتبارك الله أحسن الخالقين ﴾ يبين مراحل خلق بـــني آدم وهم أجنة في أرحام أمهاتهم. يدل على ذلك قوله تعالى : ﴿ وبدأ خلق الإنسان من طين * ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين * ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ما تشكرون ﴾ . ودلالة هذه الآية على المعنى المذكور واضحة جدا لا غموض فيه أبدا .

فهـــذا الإنسان المخلوق من الطين جعل الله له نسلا وذرية ولكنه تعالى لم يخلقهم من الطين مباشرة، وإنما خلقهم عن طريق الماء المهين، فجعله في قرار مكين إلى وقت معلوم فمر بعدة مراحل وأطـــوار، فكان أولا نطفة، ثم أصبح علقة، ثم مضغة. والله سبحانه وتعالى سواه في هذه المراحل وصوره، فخلق له العظام والأعضاء والأعصاب والعروق، وغطاه باللحم، ووضع كل عضو منه في المحل الذي لا يليق به غيره، ثم أرسل إليه الملك لينفخ فيه من الروح بإذنه تبارك وتعالى .

عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال : حدثنا رسول الله ﷺ، وهو الصادق المصدوق : إن أحدكم يجمع في بطـــن أمـــه أربعين يوما، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث الله إليه ملكا بأربع كلمات : فيكتب عمله، وأجله، ورزقه، وشقي أم سعيد، ثم ينفخ فيه الروح ... الحديث [2].

وعن أنس بن مالك ﷺ عن النبي ﷺ قال : وكل الله بالرحم ملكا ، فيقول : أي رب نطفةٌ، أي رب علقةٌ، أي رب مضغةٌ. فإذا أراد الله أن يقضي خلقها قال : أي رب ذكر أم أنثى؟ أشقي أم سعيد ؟ فما الرزق ؟ فما الأجل ؟ فيكتب كذلك في بطن أمه . [3]

فهذا الملك الموكل بالرحم عندما ينفخ فيه الروح يتحرك ذلك الجماد بإذن الله تعالى، ويصـــبح حيوانـــا بعـــد أن كان جمادا، ويصير خلقا آخر ذا سمع وبصر وإدراك وحركة

---

(١) انظر : (ص : ١٠٣-١٠٧) .

(٢) أخرجه خ (أحاديث الأنبياء، ب : خلق آدم وذريته ١٢١٢/٣ ح : ٣١٥٤)، واللفظ له؛ و م (القدر، ب : كيفية خلق الآدمي في بطن أمه ... ٢٠٣٦/٤ ح : ٢٦٤٣) .

(٣) أخرجه خ (القدر ٢٤٣٣/٦ ح : ٦٢٢٢) واللفظ له؛ و م (القدر، ب : كيفية خلق الآدمي في بطن أمه ... ٢٠٣٨/٤ ح : ٢٦٤٦) .

واضـــطراب؛ فتبارك الله أحسن الخالقين [1]. وهذا هو معنى الآية الثابت في ضوء الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، فلا ينبغي العدول إلى غيره، والله أعلم .

وأمـــا قوله تعالى : ﴿ وقد خلقكم أطوارا ﴾ فهذه الأطوار ليست هي المراحل والأطوار الـــتي يذكرها القائلون بتطور الإنسان بعد خلقه وإيجاده في شكل بدائي بشري ثم تطوره إلى شكل متطور إنساني حديث [2] بل هذه الأطوار التي مر بها خلق الإنسان قد جاء بيانها في آيـــات أخر من كتاب الله تعالى، وقد تقدم بيانها في ضوء الآيات القرآنية مثل آيات " المؤمنون " وآيات السجدة وغيرها من الآيات . و هذا هو المروي عن جماعة من السلف في تفسير الآية وبيان معناها . قال الحافظ ابن كثير : (معناه من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة . قاله ابن عباس وعكرمة وقتادة ويحيى بن رافع والسدي وابن زيد) [3].

وقيل أطوارا : يعني صبيانا ثم شبانا ثم كهولا ثم شيوخا . وقد جاءت آية الحج جامعة لهذا المعنى والذي قبله فقال تعالى : ﴿ يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا ﴾ [4] .

وقيل أطوارا : أي أنواعا : صحيحا وسقيما وبصيرا وضريرا وغنيا وفقيرا .

وقيل أطوارا : أي : مختلفين في الأقوال والأفعال والأخلاق .

والأقـــوال الثلاثة الأخيرة ذكرها غير واحد من المفسرين منهم القرطبي [5]، وصديق حسن خان القنوجي [6] والشيخ عطية محمد سالم [7].

---

(١) انظر : تفسير القرآن العظيم (٣/٢٤٠-٢٤٢)؛ وتيسير الكريم المنان في تفسير كلام الرحمن (ص : ٧٤٦ و ص : ٩٠١) .

(٢) انظر : أبي آدم قصة الخليقة بين الأسطورة والحقيقة (ص : ٩٠) .

(٣) تفسير القرآن العظيم (٤/٤٢٥) .

(٤) الحج الآية : ٥

(٥) انظر : الجامع لأحكام القرآن (١٨/٣٠٣-٣٠٤) .

(٦) انظر : فتح البيان (١٤/٣٣٦)، والقنوجي هو محمد بن علي بن حسن، المشهور بصديق حسن خان القنوجي، زوج ملكة بهوبال الهندية، علامة محدث مفسر سلفي صاحب تصانيف كثيرة، من رجال النهضة الإسلامية المجددين، توفي سنة ١٣٠٧هـــ.
انظر : الأعلام (٦/١٦٧)؛ والأعلام الشرقية في المائة الرابعة عشرة الهجرية (١/٣٨٥ برقم : ٤٨٣) .

(٧) انظر : أضواء البيان (التكملة ، ٨/٣٢٠) .

وأنسب الأقوال وأحسنها في بيان معنى الآية هو القول الأول وإن كان الجميع صحيحا. وذلك لوجود قرينة وهي أن الآية في قضية الخلق وهو الإيجاد الأول، لأن ما بعد الإيجاد صفات عارضة، ولأن الآية سيقت في الدلالة على قدرة الله على بعثهم بعد موتهم لمجازاتهم، فكان الأنسب بها أن يكون متعلقها كمال الخلقة والقدرة على الإيجاد. والأنسب لهذا المعنى هو خلقهم من نطفة أمشاج وماء مهين، ثم تطويرها إلى علقة، ثم تطوير العلقة مضغة، ثم خلق المضغة عظاما، ثم كسو العظام لحما، ثم نشأته نشأة أخرى . فهذا كله مرجح للقول الأول في بيان معنى الأطوار(١)، والله أعلم بالصواب .

فهذه جملة من الآيات القرآنية التي حاول التطوريون ومن تأثر بهم من المسلمين وغيرهم الاستدلال بها على ما ذهبوا إليه من القول بتطور الإنسان ولكنها في معزل عن الدلالة على ما استدلوا له، والتفسير الذي يذكرونه ليس له أي دليل من الكتاب والسنة ولا من أقوال السلف الصالح . فلا عبرة بمثل هذه التأويلات الباطنية الفاسدة للآيات القرآنية، لا سيما مع مخالفتها لما بينه الله في كتابه ولما بينه نبيه ﷺ في أحاديثه عن أصل الإنسان وخلقه .

الحاصل : إن ما ذهب إليه الدكتور عبد الصبور شاهين من القول بأن آدم وحواء عليهما السلام مرحلة أخيرة من التطور البشري، وأنهما جاءا مولودين لأبويهما من البشر الذين تعرضوا للتطور في الشكل والعقل خلال ملايين السنين، وكذلك ما فرق به بين البشر والإنسان فهذا كله باطل بعيد عن دلالة الكتاب والسنة واللغة العربية ومخالف تماما لما أخبر الله ورسوله عن خلق الإنسان وأصله، وكل ما خالف قول الله وقول رسوله؛ فلا عبرة به في ميزان العلم الصحيح والعقل السليم، والله أعلم بالصواب وهو الموفق والهادي إلى سبيل الرشاد .

---

(١) انظر : المصدر السابق (٨/٣٢٠-٣٢١) .

المطلب الثالث : دعوى أن الزوج الأول من الإنسان الذي ينتمي إليه الناس كلهم تم خلقهما مباشرة، وأنهما أصل السلالة البشرية بعدهما ولكنهم تطوروا في الشكل والعقل من الإنسان البدائي نسلا بعد نسلا حتى وصلوا إلى الإنسان الحديث في شكله وعقله، وبيان ما فيه من الحق والباطل .

يرى الدكتور " موريس بوكائي " أن الإنسان من ناحية الأصل قادم من زوجين تم خلقهما مباشـــرة، وأنـــه لم يتطور من حيوان كما تزعم الداروينية ومن تأثر بها، ولكنه تطور من الإنسان البدائي الذي وجد قبل ملايين السنين، ومر بمراحل عديدة من التطور في الشكل والعقل حتى وصل إلى الإنســـان الحديث، وكان هذا التطور عن طريق التطور في الخلية والإضافة في الشفرة الوراثية، حيـــث حصل في جيل تعديلات طفيفة، وتجمعت تدريجيا، وانتهت بالإنسان الذي نعرفه اليوم . فهو يثبت تطور الإنسان عن طريق التطور في الخلية، ويرد على القول بتطور الإنسان من أية سلالة حيوانية. وهو برأيه هذا الخاص يحاول الجمع بين معطيات العلم وتعليمات الكتب المقدسة .

قـــال الدكتور " موريس بوكائي " : (إذا كان الله بقدرته التي لاتحد قد شاء في وقت معين أن يسمح لزوجين جديدين من الكائنات الحية بأن يظهرا على الأرض ... وما أن تم خلق هذين الزوجين الجديدين حتى كونا أصل سلالة بشرية تعرضت عبر ملايين السنين للتحولات الجسدية التي يشير إليها عـــلم الإحاثـــة بما لا يدع مجالا للإنكار. وبالتالي فإن الإنسان الذي خلقه الله – قد تطور من حيث الشكل – كما يوحي بذلك القرآن الكريم فيما يبدو. وتذكر آيات القرآن الكريم كذلك اختفاء بعض الأقـــوام الذين تم استبدالهم، وجاء أقوام آخرون يحملون ملامح شكلية شبيهة بملامح أسلافهم. ومن الممكن حقا أن يكون النمط البشري الذي يعيش الآن قد جاء نتيجة لهذه الأحداث والظواهر) [(١)] .

وقال : (إن خلق النوع البشري تم بمعزل عن أية سلالة كانت موجودة من قبل، وأن هذا الـــنوع تعـــرض بالتالي للتغيرات التي تحدثنا عنها ...)[(٢)] وقال : (إن شكل الإنسان تعرض

---

(١) ما أصل الإنسان ؟ إجابات العلم والكتب المقدسة (ص : ٢١٩)، وانظر (ص : ١١٤ و١٤١-١٤٢و١٩٠-١٩١ و ٢٠٧) والدكـــتور موريس بوكائي له عناية بدراسة العلوم الدينية والدنيوية والتقريب بينهما يدل على ذلك كتابه المذكور آنفا وكذلك كتابه : القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم . انظر : مقدمة الناشر لكتاب : ما أصل الإنسان ؟

(٢) المصدر السابق (ص : ٢٢١) .

لتحولات منذ عهد بعيد ... ولا بد أن ننظر إلى التغيرات الشكلية التي طرأت على الإنسان عبر العصـــور، في ضوء المعلومات التي جاء بها علم الوراثة، فالتحولات طويلة المدى في الإنسان لا يمكن أن تكون قد حدثت إلا بسلسلة من عمليات " إعادة تشكيل " حدثت عبر أجيال متعاقبة، وتـــراكمت تدريجيا بمرور الزمن تحت تأثير المعلومات الجديدة التي وفرها الوراثة الجينية، واستمر مفعـــول المعـــلومات الجديدة بعد الولادة وطوال مرحلة الطفولة، وقد أثرت بصفة خاصة على البـــنيات البشـــرية . ومـــثال ذلك **إن العنصر الذي طرأ عليه تغير كبير بمرور الزمن هو سعة الجمجمـــة، والـــتي ازدادت زيـــادة كبيرة بالارتباط مع نمو المخ!**، وقد تطلبت هذه التغيرات تعديـــلات مستمرة ومتعاقبة عبر عدد كبير من الأجيال؛ لأن كل تحول من هذه التحولات كان صغيرا جدا في الواقع، وقد حدثت التحولات جمعيها بطريقة منظمة تحت تأثير الوراثة الجينية) [1].

وقـــال : (وتوجد لدينا دلائل لا يتطرق إليها الشك تدل على أن إنسان العصر الحديث ليـــس ممـــاثلا تماما للأشكال البشرية التي كانت تعيش في العصور السحيقة والتي اكتشفت بقاياها منذ عهد قريب ومن ثم فإن وجود تحولات في النوع البشري بمرور الزمن أمر لا سبيل إلى إنكـــاره بل إنها مسألة واضحة مثلما أن الأرض كروية، وإذا كانت التوراة لا تذكر هذه التغييرات على وجه التحديد، فإن القرآن الكريم يخبرنا أنها قد وقعت بعد خلق الإنسان، ومن ثم فإن الكتاب المقدس على وفاق تام مع المعلومات العلمية في هذه الناحية) [2].

وهذا الرأي الذي ذهب إليه الدكتور موريس بوكاي فيه حق وباطل :

فممـــا فيه من الحق قوله : إن الإنسان لم يتطور من أية سلالة حيوانية، وأن النوع البشري تم خلقه بمعزل عن أية سلالة كانت موجودة من قبل .

فهـــذا حق وصواب. ولا شك أن الإنسان لم يتطور من أية سلالة حيوانية بل خلق خلقا مستقلا، وهو الذي تدل عليه النصوص الشرعية .

وكذلـــك قوله : إن الإنسان من ناحية الأصل قادم من زوجين تم خلقهما مباشرة، وهما الأصل للسلالة البشرية، فالناس كلهم من نسلهما، وجاءوا عن طريقهما .

---

(١) ما أصل الإنسان ؟ إجابات العلم والكتب المقدسة (ص : ٢٢٢-٢٢٤) .

(٢) المصدر السابق (ص : ٢٢٥) .

فهـــذا صحيح، ولا شك أن الإنسان من ناحية أصله قادم من آدم وحواء – عليهما السلام – وهما أول زوج من الإنسان على وجه الأرض ولكن ينبغي أن يعلم أن الله تعالى خلق أولا آدم ﷺ خلقا مستقلا ثم خلق منه زوجه حواء، و لم يخلقها مباشرة كما قال بل خلقها منه ﷺ ثم بارك في أولادهما .

وأمـــا قوله : إن الإنسان في البداية لم يكن مثل إنسان اليوم بل كان كما يصوره عـــلم الحفـــريات؛ أي :صغير الجسم، قليل العقل، قبيح الشكل ....، وتعرض تحولات جســـدية وتغيرات شكلية عبر أجيال متعاقبة خلال ملايين السنين الماضية ... حتى وصل الإنسان إلى شكله الحالي ...**فهذا قول باطل قطعا** وبيان ذلك بما يلي :

إن خلق أبي البشر الذي ينتمي إليه الناس كلهم من أمور الغيب لنا قال تعالى : ﴿ ما أشهدتهم خلق السماوات والأرض ولا خلق أنفسهم ﴾ [1]فـــنحن لم نشهد هذا الخلق ، كما أنه شيء لا يقع تحت حواسنا البشرية، ولا يخضع لتجاربنا المعملية، وأيضا ليس هناك نظير مشاهد له يمكن قياسه عليه؛ فـــلا يمكن العلم به على وجه صحيح إلا عن طريق الخبر الصادق المتمثل في الوحيين من الكتاب والسنة وهما يدلان على بطلان هذا القول، وبيان ذلك من وجوه، وهي كما يلي :

أولا : بيـــان بطلان ما ذهب إليه الدكتور" موريس بوكاي " عن الإنسان الأول من خلال الآيات القرآنية .

● قـــال تعالى عن أبي البشر آدم ﷺ : ﴿ وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين * قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم * قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السماوات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون ﴾ [2] .

فـــالله سبحانه وتعالى بين أنه من جملة ما أكرم به آدم ﷺ وأنعم عليه أنه علمه الأسماء كلها، وأنه علمه علما فاق به الملائكة، وعجزت الملائكة عن معرفة ما عرفه آدم ﷺفلا يصح أن يقال إن الإنسان الأول لم يكن عنده علم ولا عقل ولا إدراك وأنه تطور في ذلك كله شيئا فشيئا .

---

(١) الكهف الآية : ٥١

(٢) البقرة الآيات : ٣١-٣٣

● وقـــال تعـــالى : ﴿ إذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرا من طين * فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين * فسجد الملائكة كلهم أجمعون * إلا إبليس استكبر وكان من الكافرين * قال يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي أستكبرت أم كنت من العالين ﴾ [١] .

فـــالله سبحانه وتعالى أمر ملائكته كلهم أن يخروا ساجدين لأبي البشر آدم ﷺ الذي أكرمه سبحانه وتعالى بخلقه بيديه الكريمتين، وبنفخه فيه من روحه سبحانه . فهل يأمر الله سبحانه ملائكته بالسجود لمخلوق ناقص في خلقته وشكله وعلقه ؟ وهل هذا البشر الذي خـــلقه الله تعـــالى بيديـــه الكريمتين، ونفخ فيه من روحه سبحانه ثم أمر ملائكته كلهم بالسجود له كان مخلوقا ناقص التكوين قليل العقل صغير الجسم قبيح الصورة ؟ كلا، إن ذلك لا يليق بالله سبحانه وتعالى ، ولا يليق بقدرته العظيمة، ولا يليق بملائكته الكرام، ولا يليق بأبي البشر آدم ﷺ . بل خلقه الله تعالى خلقا كاملا مستقلا في أحسن صورة وأجمل شكل وأحسن تقويم . كما قال تعالى : ﴿ولقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم﴾ [٢].

● وقال تعالى : ﴿ ويا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين * فوسوس لهما الشيطان ليبدي لهما ما ووري عنهما من سوآتهما وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين * وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين * فدلاهما بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين * قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين * قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين ﴾ [٣] وقال تعالى : ﴿ قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو فإما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى * ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى ﴾ [٤].

---

(١) ص الآيات : ٧١-٧٥

(٢) التين الآية : ٤

(٣) الأعراف الآيات : ١٩-٢٤

(٤) طه الآيتان : ١٢٣-١٢٤

فالله سبحانه وتعالى أمر آدم عليه السلام أن يسكن مع زوجه الجنة، وأباح لهما أن يأكلا منها ما شاءا إلا شجرة عينها لهما ومنعهما عن الاقتراب منها. ولكنه لما أكلا من الشجرة المحرمة بإغواء الشيطان لهما ناداهما ربهما وذكرهما بنهيه إياهما عن الأكل منها، فمباشرة من غير توان منهما رفعا إلى الله سبحانه وتعالى أكف الضراعة والندامة، وطلبا منه سبحانه أن يغفر لهما خطيئتهما، ويمحو عنهما زلتهما، متوسلَين برحمته سبحانه، وبإظهار ضعفهما أمامه . فأمرهما الله تعالى بالهبوط إلى الأرض، وبشر بمن تبع هداه بالفوز والفلاح والسعادة في الدنيا والآخرة . فهل يصح أن يقال أن هذا الخطاب الإلهي بهذه الأوامر والنواهي كان متوجها من الله سبحانه وتعالى إلى مخلوق لم يتم خلقه، و لم ينضج عقله ؟ وهل يمكن أن يصدر مثل هذا الجواب من مخلوق ناقص التكوين، قليل العقل، قليل الفهم وقليل الإدراك ؟ ألا يدل اعتراف الأبوين بذنبهما ورجوعهما إلى ربهما وتوسلهما برحمته وبيان ضعفهما وخسارتهما إن لم يدركهما الله برحمته ومغفرته ... على تمام معرفتهما وكمال عقلهما وسلامة فطرتهما ونضوج عقلهما ودقة إدراكهما ؟ .

ثانيا : بيان بطلان ما ذهب إليه الدكتور " موريس بوكاي " عن الإنسان الأول في ضوء الأحاديث النبوية .

● لقد جاء في عدد من الأحاديث النبوية على لسان المصطفى ﷺ ما يدل على أن الله سبحانه وتعالى كان قد أكرم أبا الناس آدم عليه السلام بتعليمه الأسماء كلها، وأنه سبحانه وتعالى كان قد علمه صنعة كل شيء لما أخرجه من الجنة .

فعن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : يجتمع المؤمنون يوم القيامة فيقولون : لو استشفعنا إلى ربنا، فيأتون آدم، فيقولون : أنت أبو الناس، خلقك الله بيده، وأسجد لك ملائكته، وعلمك أسماء كل شيء، فاشفع لنا عند ربك حتى يريحنا من مكاننا هذا. فيقول : لست هناكم، ويذكر ذنبه فيستحي، ائتوا نوحا فإنه أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض ...الحديث [1].

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : إن موسى قال : يا رب ! أرنا آدم الذي أخرجنا ونفسه من الجنة، فأراه الله آدم، فقال : أنت أبونا آدم ؟ فقال له آدم: نعم . قال : أنت الذي نفخ الله فيك من روحه، وعلمك الأسماء كلها، وأمر الملائكة

---

(١) حديث صحيح أخرجه البخاري ومسلم، وقد سبق تخريجه في (ص : ٦٩) .

فسجدوا لك. قال نعم ...الحديث [1].

وعن أبي موسى الأشعري ﷺ قال : إن الله لما أخرج آدم من الجنة زوده من ثمار الجنة، وعلمه صنعة كل شيء، فثماركم هذه من ثمار الجنة غير أن هذه تغير، وتلك لا تغير [2].

فهـــذه الأحـــاديث النبوية تدل على أن آدم ﷺ الذي هو أبو الناس كلهم كان الله سبحانه وتعالى قد علمه الأسماء كلها. وكان علمه صنعة كل شيء لما أخرجه من الجنة . فآدم ﷺ كان قادرا على الاستفادة من جميع الأشياء، ولا سيما ما كان يحتاج إليه منها. وكان بإمكانه أن يعبر عن جميع ما يريده ويتصوره بلفظه، وكان قادرا على تسمية ما يراه ويقع تحت حسه من جميع الأجناس بلا استثناء بإلهام الله له .

وفي ذلك رد دامغ على دعوى كل من زعم أن الإنسان الأول تطور في خلقته وعقله وأنه في نشأته الأولى لم يكن يعقل سويا، ولم يكن يفهم جيدا، وأنه كان قليل العقل والإدارك، بعيدا عـــن النضـــوج العقلي، عاريا من التفكير السليم السوي، بل أقرب إلى الحرمان من قوة الفكر والإدراك والتدبر، ثم تطورت هذه القوى شيئا فشيئا في أبنائه حتى وصل الإنسان إلى عقله الحالي وعلمه الحديث وفكره المعاصر، فلا يصح أن يقال أن الإنسان الأول كان قليل العقل وأن أبناءه تطوروا عقلا وإدراكا فيما بعد شيئا فشيئا حتى وصلوا إلى عقلهم المعاصر؛ فإنها دعوى باطلة منتنة .

● وكذلك جاء في عدد من الأحاديث النبوية الثابتة عن النبي ﷺ مزيد بيان وإيضاح لصفات الإنسان الأول : أبي البشر آدم ﷺ الذي ينتمي إليه الناس كلهم، وفيما يلي ذكر بعضها :

عـــن أنـــس بـــن مالك ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : لما نفخ في آدم فبلغ الروح رأسه عطس، فقال : الحمد لله رب العالمين. فقال له تبارك وتعالى : يرحمك الله [3].

---

(١) حديث حسن، وقد سبق تخريجه في (ص : ١٨٩) .

(٢) أخرجه البزار في مسنده (٤٥/٨ ح : ٣٠٢٩) مرفوعا وموقوفا، وأخرجه موقوفا كل من عبد الرزاق الصنعاني في تفسيره (٤٤/١)؛ وابن جرير في تفسيره (٧٥/١)؛ وتاريخه (٨٢/١)؛ وابن أبي حاتم في تفسيره (١٣٨/١ برقم: ٤٢١)؛ وكم (التاريخ، ب : ثماركم هذه من ثمار الجنة ٥٤٣/٢)، واللفظ له . وقال : (صحيح الإسناد و لم يخرجاه)، ووافقه الذهبي وقال الهيثمي في (مجمع الزوائد ١٩٧/٨-١٩٨) عن الرواية المرفوعة : (رواه البزار والطبراني ورجاله ثقات) وقال الشيخ أحمـــد شاكر في تعليقه على تفسير الطبري (٣٩٣/١-٣٩٤) : (وهو وإن كان موقوفا لفظا فإنه مرفوع حكما لأنه من إخبار عن غيب لا يعلم بالرأي والقياس، والأشعري هو أبو موسى و لم يكن ممن يحكي عن الكتب القديمة) .

(٣) حديث صحيح على شرط مسلم، وورد مرفوعا وموقوفا، وقد سبق تخريجه وبيانه في (ص : ١٤٣) .

وعن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : لما خلق الله آدم عطس، فألهمه ربه أن قال : الحمد لله. فقال له ربه : يرحمك الله. فلذلك سبقت رحمته غضبه [1].

وعـــن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال : خلق الله عز وجل آدم على صورته. طوله ســـتون ذراعـــا. فلما خلقه قال : اذهب فسلم على أولئك النفر. وهم نفر من الملائكة جـــلوس. فاســـتمع ما يحيونك، فإنها تحيتك وتحية ذريتك، قال : فذهب فقال : السلام عليكم. فقالوا : السلام عليك ورحمة الله. فزادوه ورحمة الله . قال : فكل من يدخل الجنة على صورة آدم وطوله ستون ذراعا.فلم يزل الخلق ينقص بعده حتى الآن [2].

وعـــن أبي بن كعب ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال : إن آدم كان رجلا طُوالا كأنه نخلة ســـحوق كثير شعر الرأس، فلما ركب الخطيئة بدت له عورته، وكان لا يراها قبل ذلك، فانطلق هاربا في الجنة، فتعلقت به شجرة، فقال لها : أرسليني ، فقالت : لست بمرسلتك، قال : وناداه ربه يا آدم ! أمني تفر ؟ قال : رب إني استحييتك [3].

وعن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : لما خلق الله آدم ونفخ فيه الروح، عطس فقال : الحمـــد لله؛ فحمد الله بإذنه، فقال له ربه : رحمك الله يا آدم ! اذهب إلى أولئك الملائكة إلى ملإ منهم جلوس، فقل : السلام عليكم . قالوا : وعليك السلام ورحمة الله، ثم رجع إلى ربه، فقال : إن هذه تحيتك وتحية بنيك بينهم . فقال الله له ويداه مقبوضتان : اختر أيهما شئت قال: اخترت يمين ربي كلتا يدي ربي يمين مباركة، ثم بسطها فإذا فيها آدم وذريته . . .الحديث [4].

وعـــن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : لما خلق الله آدم مسح ظهره، فسقط مـــن ظهـــره كل نسمة هو خالقها من ذريته إلى يوم القيامة، وجعل بين عيني كل إنسان مـــنهم وبيصـــا من نور، ثم عرضهم على آدم، فقال : أي رب من هؤلاء ؟ قال : هؤلاء ذريتك، فرأى رجلا منهم، فأعجبه وبيص ما بين عينيه، فقال : أي رب ! من هذا ؟ فقال : هـــذا رجل من آخر الأمم من ذريتك يقال له داود، فقال : رب كم جعلت عمره ؟ قال :

---

(1) حديث لا يقل عن درجة الحسن، وقد سبق تخريجه في (ص : ١٤٣) .

(2) حديث صحيح، أخرجه البخاري ومسلم، وقد سبق تخريجه في (ص : ١٤٤) .

(3) حديث إسناده حسن لذاته، وبمجموع طرقه يكون صحيحا لغيره، وقد سبق تخريجه وبيانه في (ص : ١٦١-١٦٢).

(4) حديث صحيح لغيره وقد سبق تخريجه في (ص : ٧٤) .

ســتين سنة، قال : أي رب! زده من عمري أربعين سنة، فلما قضي عمر آدم جاءه ملك المــوت، فقال : أولم يبق من عمري أربعون سنة ؟ قال : أولم تعطها ابنك داود؟ قال : فجحد آدم فجحدت ذريته، ونسي آدم فنسيت ذريته، وخطئ آدم فخطئت ذريته [1].

فمــن صــفات أبي البشر آدم ﷺ الواردة في ضوء الأحاديث النبوية أنه كان أكمل الناس قامة، فكان طوله ستون ذراعا في السماء، كأنه نخلة سحوق، وأن الناس قد تناقص خــلقهم بعده شيئا فشيئا[2]، وأنه كان يمشي على قدميه، وكان يأكل ويشرب، ويبصر ويســمع، ويعطس، ويحمد ربه، ويتكلم، ويفهم الخطاب، ويرد بأحسن الجواب، ويشعر بالحيــاء والندم، ويعبد ربه، ويطلب رحمته، ويستغفر منه ذنبه . ومن كانت هذه صفاته كمــا وردت على لسان أصدق البرية محمد ﷺ لا يصح أن يقال عنه بأنه كان ناقصا في خلقــته وعقلــه وشكله وصورته، وأنه تطور شيئا فشيئا حتى وصل أبناؤه خلال ملايين السنين إلى صورهم الحاضرة وشكلهم الحالي وعقلهم المعاصر .

● لقد استنبط العلماء من قوله ﷺ عن يوسف ﷺ : ((فإذا أنا بيوسف ﷺ إذا هو قد أعطي شــطر الحسن [3])) أن آدم ﷺ كان في غاية نهايات الحسن البشري، وأنه لم يكن في ذريته من يوازيه حسنا وجمالا، وهو استنباط حسن؛ فإن آدم ﷺ خلقه الله تعالى بيديه الكريمتين ونفخ فيه من روحه فما كان الله ليخلق بيده إلا أحسن الأشياء وأجملها [4]. فلا يصح أن يقال أن الإنسان الأول كان رديء الشكل والصورة ثم تطور أبناؤه في شكلهم شيئا فشيئا حتى وصلوا إلى شكلهم الحالي .

فالآيــات القرآنية والأحاديث النبوية تدل على أن أبا البشر آدم ﷺ كان على قدر كــبير من العلم والعقل والمعرفة والإدراك، وأنه كان أكمل خلقا وأكثر طولا وجمالا من الإنســان الحــالي، وأن الإنسان الحالي تناقص منه في خلقه وطوله وجماله شيئا فشيئا،وفي ذلــك دلالة واضحة على بطلان دعوى من زعم أن الإنسان الأول في نشأته الأولى كان صغير العقل قليل العلم والمعرفة، وأنه كان دميم الشكل قبيح الصورة سيئ المظهر والمنظر،

---

(١) حديث صحيح، وقد سبق تخريجه في (ص : ١٤٤-١٤٥) .

(٢) انظر : صفات آدم ﷺ في (ص : ١٥٩-١٦٣) .

(٣) جزء من حديث المعراج، وهو حديث صحيح، واللفظ لمسلم، وقد سبق تخريجه في (ص : ١٦٢) .

(٤) انظر : (ص : ١٦٢).

وأنـــه تطور أبناءه شيئا فشيئا في أجسادهم وعقولهم حتى وصلوا إلى الإنسان الحديث في عـــلمه وعقلـــه وحسنه وجماله ... فالأمر ليس كما زعم الدكتور " موريس بوكاي " وأمثاله، فإنه قول باطل وزعم فاسد؛ لأنه مخالف لقول الله وقول رسوله ﷺ في بيان صفة أبي البشر الذي ينتمي إليه جميع الناس، وكل قول أو رأي خالف ما جاء في كتاب الله أو ثبت مجيئه عن رسول الله محمد ﷺ فهو قول باطل باطل بلا ريب .

ثالـــثا : دلالـــة علم الحفريات والخلية والواقع المشاهد على بطلان ما ذهب إليه الدكتور "موريس بوكاي " وغيرهم من أنصار التطور .

أ – **علم الحفريات** : سبق أن ذكرت من خلال أقوال علماء الحفريات أن الدراسات والتجارب الواسعة على الهياكل والجماجم تعارض فرضية التطور، وأنه كلما يتقدم العلم ســيتبين بُعْـــدُ احـــتمال تطور الإنسان من مخلوق قبله، وأن دراسة جماجم جميع الرجال الحفـــريين تثـــبت بطريقة لا تقبل المنازعة بأنهم كانوا يؤلفون مجتمعا محترما للغاية، وكان حجـــم الرأس فيهم على درجة يعتبرها الكثير من المعاصرين أنفسهم سعداء إذا كان لهم رأس مثـــلهم، وأن الأشخاص ناقصي الخلقة بين الرجال العصريين أكثر منهم بين الرجال الحفـــريين، وأنه ليس بعيدا أن تكون بعض الاكتشافات الحفرية لغير الأصحاء من المرضى والمصابين بكوارث، وأن مثل هذه الأمور الشاذة لا زالت تحدث حتى اليوم (1).

ب – **الواقع المشاهد** : بالإضافة إلى ما سبق من دلالة الأحاديث النبوية ومتابعة علم الحفـــريات لها على أن الإنسان في الماضي كان أقوى من الإنسان الحالي يشهد له الواقع والـــتجربة؛ فـــإن الإنسان في السابق كان أحسن قامة وأكثر قوة وأشد بنية وأقدر على الحفـــظ والـــتحمل من إنسان اليوم بل لو قورن ذلك بين الأجيال السالفة القريبة وبين الأجيـــال الموجـــودة لوجدنا فرقا واضحا بين هذه الأجيال الموجودة وبين تلك الأجيال الماضية، ولوجدنا أن الجيل السابق كان في حالة أحسن وبنية أقوي من إنسان اليوم .

فالـــناس منذ خلق آدم ﷺ ما زالوا يتناقصون في الخلق، وهذا هو الصحيح الذي لا مـــرية فيـــه، كما أخبر بذلك النبي ﷺ، وشهد له علم الحفريات والمتخصصون في ذلك،

---

(1) انظر : (ص : ٢٥٢-٢٥٣) .

ويشـــهد له الواقع المشاهد. وهذا عكس ما يريده الدكتور "موريس بوكاي " وغيره من القائلين بتطور الإنسان الحالي من الإنسان السابق البدائي في الشكل والعقل وغيره .

ج – عـــلم الخلية : وكذلك سبق أن ذكرت من خلال أقوال علماء الخلية أن المعلومات الجديدة التي أمكن الحصول عليها عن الإنسان تبين بطلان القول بتطوره، وأن التغييرات التي قد يتحملها الجسم الإنساني يجب حصول تبدل كل بضع سنين لجزئية واحدة في الإنسان، وأن أي تغيـــير أسرع سيؤدي إلى انقراض النوع الإنساني ولكن نظرية التطور تحتاج لإثبات صحتها إلى تغيـــيرات أســـرع من هذا بكثير. فلو زادت سرعة التغير والتطور لانقرض النوع الإنساني وإلا الوقـــت الـــذي يقدرونه للتطور غير كاف له . فالعلم الحديث عن الإنسان يبين بطلان القول بتطور الإنسان الحديث من الإنسان البدائي الناقص السابق ويدل على استحالته (١).

أدلة الدكتور موريس بوكائي" فيما ذهب إليه .

١– **الحفريات** : وقد تقدم الكلام على بطلان الاستدلال بها على تطور الإنسان من عدة وجوه (٢).

٢– **الوراثة والخلية** : وقد سبق بيان بطلان التطور عن طريق الخلية في ضوء أقوال علماء الخلية والمتخصصين فيها، وفي ضوء حسابات العـــلماء المتخصصين في علم الحساب (٣).

٣–**آيات من القرآن** : وهي من الآيات نفسها التي استدل بها الدكتور عبد الصبور شاهين عـــلى زعمه أن الإنسان تطور من مخلوق قبله وهو البشر وقد تقدم الكلام عنها وبيان معانيها الصحيحة الموافقة للكتاب السنة وفهم السلف الدالة على شرف أصل الإنسان وفضله (٤).

الحاصــــل : إن مـــا ذهب إليه الدكتور " موريس بوكاي " من أن الإنسان قادم من زوجـــين تم خلقهما مباشرة، وأنهما لم يتطورا من أية سلالة حيوانية سابقة فهذا صحيح موافـــق لمـــا دل عليه الكتاب والسنة . وأما زعمه أن الإنسان الحالي متطور من الإنسان القـــديم، وأن الإنســـان في الماضي السحيق كان أدنى في علمه وعقله، وأنه كان أقبح في شـــكله وصـــورته من الإنسان الحديث، ثم حصل التحسن والتطور والارتقاء في الشكل

---

(١) انظر : (ص : ٢٤٤) .

(٢) انظر : (ص : ٢٥٠–٢٥٥) .

(٣) انظر : (ص : ٢٤٤) .

(٤) انظر : (ص : ٢٨٧–٢٩٣) .

والعقل عبر الأجيال خلال ملايين السنين فهذا قول غير صواب، يدل على بطلانه الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، ويشهد بفساده المعلومات الحديثة عن الإنسان وعلم الحفريات وكذلك الواقع المشاهد والتجربة فهو قول باطل بلا شك والله أعلم بالصواب .

خلاصة الكلام عن أصل الإنسان : يتلخص لنا مما سبق أن ما ذهب إليه الهندوس عن أصل الإنسان، ومن شابه قوله قولهم من الفلاسفة وأتباعهم من الإسماعيلية الذين جعلوا الخالق مادة خلق لغيره من المخلوق، ثم وصفوا هذا المخلوق بصفات الخالق، فعطلوا الخالق الحق عن مخلوقه، ونسبوا الخلق إلى غيره، وأشركوا معه غيره من المخلوق في الخلق و الإيجاد، وجعلوا لأنفسهم أكثر من خالق، فهم بذلك ظلموا أنفسهم، وبخسوا حق خالقهم، وقالوا قولا يتنافى مع العقل السليم .

وأما ما قاله الملاحدة المعاصرون من وجود الإنسان صدفة بدون خالق مدبر حكيم فهذا إنكار للخالق ظلما وعلوا، وهذا ظلم ليس بعده ظلم؛ فإن من أكبر الظلم وأشنعه أن ينكر المخلوق الحقير خالقه ... كما أنه مخالف للعقل والمنطق السليم .

وأما أصل الإنسان الذي يصوره داروين — ذلك القرد الذي ترقى عن فأر أو صرصور — أو أصل الإنسان الذي يصوره من تأثر بنظرية داروين وذهب إلى الجمع بين الداروينية وبين ما قرره الإسلام فيرى أن أصل الإنسان مشوه الصورة قبيح الخلقة خفيف العقل ثقيل الظل لا سمع له ولا بصر ولا عقل .. وأشبه ما يكون بحيوان مفترس .. فهذا أصل يخجل الإنسان من الانتساب إليه ولكن مع ذلك وجد من الناس من يفتخر بالانتساب إليه [1]. ﴿ ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور ﴾ [2].

وأما ما قرره الإسلام عن أصل الإنسان فهو أصل كريم شريف يشعر الإنسان في نفسه العزة والكرامة والسعادة بالانتساب إليه، كما أنه يعطي الخالق الحكيم حقه من الإجلال والتعظيم. ويستوجب من العبد شكره وامتنانه تجاه خالقه وربه، وهو الذي يتوافق مع العقل السليم والفكر المستقيم .

وقد تقدمت بعض ما خص الله تعالى به أبا لبشر آدم ﷺ وشرفه وكرمه به في الفصل الأول من هذا الباب، والآن سننظر مظهرا آخر من مظاهر إكرام الباري لآدم ﷺ، وألا وهو سجود الملائكة له بأمره تبارك وتعالى، وذلك في الباب القادم إن شاء الله تعالى، وبه التوفيق .

---

(١) انظر : ما أصل الإنسان ؟ إجابات العلم و الكتب المقدسة (ص : ١٨٨) .

(٢) النور الآية : ٤٠

الباب الثاني : سجود الملائكة لآدم عليه السلام وموقف إبليس منه، وفيه فصلان.

الفصل الأول : سجود الملائكة لآدم عليه السلام .

الفصل الثاني : إبليس وموقفه من آدم عليه السلام .

....

الفصل الأول : سجود الملائكة لآدم عليه السلام، وفيه تمهيد وثلاثة مباحث.

تمهيد : معنى الملائكة وبيان وجوب الإيمان بهم.

المبحث الأول : معنى سجود الملائكة لآدم عليه السلام .

المبحث الثاني : الملائكة الذين سجدوا لآدم عليه السلام .

المبحث الثالث : الرد على من يرى جواز السجود للمخلوق استدلالا بسجود الملائكة لآدم عليه السلام .

تمهيد : معنى الملائكة وبيان وجوب الإيمان بهم.

أولا : معنى الملائكة في اللغة .

الملائكة في اللغة جمع مَلَك .

وقد اختلف أئمة اللغة في أصل كلمة " مَلَك " على أقوال ، و يمكن تلخيصها في قولين، وهما كما يلي :

القول الأول : أن كلمة " ملك " ليس لها اشتقاق عند العرب بل هي كلمة معربة من اللغة العبرانية . ذكره القرطبي عن النضر بن شميل (1)، وعنه ذكره ابن عاشور (2).

ويؤيده أن التوراة سمت المَلَك مَلَاكاً بالتخفيف ولكن تعقب هذا القول بأن وجود كلمة متقاربة في اللفظ والمعنى في لغتين لا يلزم منه أن إحداهما منقولة عن الأخرى (3).

القول الثاني : إن " مَلَك " كلمة عربية، وهو قول جمهور أئمة اللغة، ولكنهم اختلفوا في بيان ميزانه الصرفي، وما اشتق منه، على أقوال، وهي كما يلي :

أ – أن " مَلَك " مشتق من المِلْك ؛ لأن المَلَكَ مالك للأمور التي جعلها الله إليه . وهذا القول عزاه رضي الدين (4) إلى ابن كيسان . (5)

ب – أنه مشتق من المَلْك (بفتح الميم وسكون اللام) : بمعنى القوة والشدة يقال : مَلكت العجين؛ أي : شددت عجنه، ويقال : حائط ليس له ملاك؛ أي قوة وتماسك (6)، هذا القول ذكره الراغب عن بعض المحققين (7)،

---

(1) انظر : الجامع لأحكام القرآن (١/٢٦٣) .

(2) انظر : التحرير والتنوير من التفسير (١/٣٩٨)، وابن عاشور هو محمد الطاهر بن محمد الشاذلي بن عبد القادر التونسي، عالم أديب مفسر، توفي سنة ١٢٨٤هـ انظر : معجم المؤلفين (١٠/١٠١-١٠٢) .

(3) انظر : التحرير والتنوير من التفسير (١/٣٩٨) .

(4) انظر : شرح شافية ابن الحاجب (٢/٢٤٧) .

(5) محمد بن إبراهيم بن كيسان، أديب نحوي لغوي، توفي سنة ٢٩٩هـ . انظر : معجم المؤلفين (٨/٢١٣ و ٣١١) .

(6) انظر : مفردات ألفاظ القرآن (ص : ٧٧٦ ، مادة : ملك)؛ والتحرير والتنوير من التفسير (١/٣٩٨)؛ وتفسير آيات القرآن عن علاقة الملائكة بالإنسان (ص : ١٤) .

(7) انظر : المفردات في ألفاظ القرآن (ص : ٧٧٦، مادة : ملك)، والراغب هو الحسين بن محمد بن المفضل المعروف بالراغب الأصفهاني، أديب لغوي مفسر، توفي سنة ٥٠٢هـ . انظر : معجم المؤلفين (٤/٥٩) .

وعزاه القرطبي [1] وابن عاشور [2] إلى ابن كيسان، والحافظ ابن حجر إلى أبي عبيدة [3].

وقـــال أبو عبيدة [4]: (الملائكة : الهمزة فيها مجتلبة؛ لأن واحدها مَلَك بغير همزة) [5]. فهو لم يبين أنه مشتق من المِلْك أو المَلْك، وإنما بين أن مفرد الملائكة ليس فيها همزة زائدة، وعلى هذا فهو يحتمل كلا القولين.

وعـــلى الوجهين السابقين يحتمل أن يكون " مَلَك " على وزن " فَعَل " مثل : بَطَل وأَسَد، من غير همزة مزيدة فيه، كما قال أبو عبيدة .

ويؤيـــده أنهم جوزوا في جمعه " أملاك " على وزن " أفعال ". و" أفعال " لا يكون جمعـــا لما في أوله ميم زائدة [6]، وعلى هذا تكون " ملك " حروفه كلها أصلية من غير حـــذف أو تغيـــير فيها، ولكن جمعه " ملائك " على وزن " فعائل " يكون مما شذ عن القياس [7] لأن " فعائل " من أوزان الرباعي، وليس من أوزان الثلاثي [8]، والله أعلم .

وأيضـــا يحـــتمل أن يكون " مَلَك " أصله " مَلْأَك " على وزن " فَعْأَل "، ثم حذفت الهمزة بعد نقل حركتها إلى الحرف الصحيح الساكن قبلها تخفيفا، فأصبح " مَلَك " على وزن " فعل " فبقيت الأحرف الأصلية، وحذفت منها الهمزة التي كانت زائدة، وعلى هذا يكون جمعه " ملائك " على وزن " فعائل " جمعا قياسيا لكون مفرده رباعيا في الأصل .

وهذا القول ذكره القرطبي [9]، ونسبه رضي الدين [10] إلى ابن كيسان، وبين أنه مشتق عنده مـــن المِلْك، وتعقبه بأن هذا اشتقاق بعيد، وأن " فعأل " قليل لا يرتكب مثله إلا لظهور الاشتقاق

---

(١) انظر : الجامع لأحكام القرآن (٢٦٢/١-٢٦٣) .

(٢) انظر : التحرير والتنوير من التفسير (٣٩٨/١) .

(٣) انظر : فتح الباري (٣٠٦/٦) .

(٤) هـــو معمر بن المثنى التيمي مولاهم، البصري، النحوي اللغوي، صاحب تصانيف، وقد رمي برأي الخوارج، توفي سنة ٢٠٨هـــ وقيل بعد ذلك . انظر : طبقات المفسرين (ص : ٣٠-٣١ برقم : ٤٦)؛ وتقريب التهذيب (ص : ٥٤١ برقم : ٦٨١٢) .

(٥) مجاز القرآن (٣٥/١) .

(٦) انظر : فتح الباري (٣٠٦/٦) .

(٧) انظر : تفسير آيات القرآن عن علاقة الملائكة بالإنسان (ص : ١٤) .

(٨) انظر : شرح ابن عقيل (١٣٢/٤)؛ وأوضح المسالك مع شرحه ضياء السالك (٢٠٨/٤)؛ وشذا العرف في فن الصرف (ص : ١٠٥-١٠٦) .

(٩) انظر : الجامع لأحكام القرآن (٢٦٣/١) .

(١٠) محمد بن الحسن الاستراباذي، نحوي صرفي، متكلم منطقي، توفي سنة ٦٨٦هـــ . انظر : معجم المؤلفين (١٨٣/٩) .

كمـــا في " شمأل " [1]. وكذلك عزاه إليه ابن عاشور، وبين أنه مشتق عنده من المَلْك، وتعقبه بأن دعوى زيادة حرف بلا فائدة دعوى بعيدة [2].

ج – أن " مَـــلَك " كـــان أصـــله " مَأْلَك " على وزن " مَفْعَل " من الألوك، وهي الرسالة، ولكن حصل فيه قلب مكاني، وذلك بتقديم عين الكلمة على فائها؛ أي : بتقديم الـــلام على الألف، فصار " مَلْأَك " على وزن " مَعْفَل "، ثم حذفت الهمزة تخفيفا لكثرة اســـتعمالها، فأصبح " مَلَك " على وزن " مَعَل "، فالميم الموجودة فيه زائدة، والهمزة التي هي فاء الكلمة محذوفة. ويكون جمعه ملائكة على وزن " معافلة " .

وعلى هذا القول، سميت الرسالة ألوكا لأنها تؤلك في الفم، أخذا من قول العرب : يألك الفرس اللجام إذا مضغ الحديدة وعلكها [3] .

وأثر عن الكسائي [4] أنه كان يقول بهذا القول [5] ولكنه تعقب بأن القلب خلاف الأصل [6]، ولـــو كـــان مـــأخوذا مـــن " ألـــك" لظهـــر ذلك في بعض تصاريفه، ولقالوا في جمعه " مآلكة " و "مآلك" مع أن الجمع قد جاء على ملائكة؛ أي: على الأصل، وهو " لأك " [7]، وهو القول الآتي .

د – أن "مـــلك" أصله "مَلْـــأَك" على وزن "مَفْعَل" مصدر ميمي بمعنى اسم المفعول، مشـــتق مـــن لأك بمعنى أرسل : ومنه قولهم في الأمر بتبليغ رسالة : ألكني إليه؛ أي : كن رسولي إليه [8]. ثم حذفت الهمزة وهي عين الكلمة بعد نقل حركتها إلى الحرف الصحيح الســـاكن قبـــلها طلبا للتخفيف، فأصبح " مَلَك " على وزن " مَفَل "، وعلى هذا، الميم

---

(١) انظر : شرح شافية ابن الحاجب (٢٤٧/٢) .

(٢) انظر : التحرير والتنوير من التفسير (٣٩٨/١) .

(٣) انظـــر : تهذيب اللغة (٢٧٠/١٠، ألك)؛ والمفردات في ألفاظ القرآن (ص : ٨٢، ألك)؛ والعين (٤٠٩/٥، ألك)؛ ومعجم مقاييس اللغة (١٣٣/١، ألك)؛ وتفسير آيات القرآن عن علاقة الملائكة بالإنسان (ص : ١٤).

(٤) عـــلي بـــن حمزة بن عبد الله الأسدي المعروف بالكسائي، مقرئ مجود لغوي نحوي شاعر صاحب تصانيف كثيرة، توفي سنة ١٨٠هـــ . انظر : معجم المؤلفين (٨٤/٧) .

(٥) انظر : شرح شافية ابن الحاجب (٢٤٧/٢)؛ والتحرير والتنوير من التفسير (٣٩٨/١)؛ وتداخل الأصول عند اللغويين وأثره في بناء المعجم العربي (٣٨٧/١) .

(٦) انظر : التحرير والتنوير من التفسير (٣٩٨/١) .

(٧) انظر : تداخل الأصول عند اللغويين وأثره في بناء المعجم العربي (٣٨٧/١) .

(٨) انظر : تفسير غريب القرآن (ص : ٢٣)؛ والتحرير والتنوير من التفسير (٣٩٧/١-٣٩٨) .

الموجودة فيه زائدة، وليست أصلية، كالقول الذي قبله، ولكن الهمزة المحذوفة هنا هي عين الكلمة . و تكون " ملائكة " على وزن " مفاعلة " .

وإنما اشتق اسم الملائكة من لأك بمعنى أرسل لأن الملائكة رسل الله تعالى إلى عباده . وهـــذا القول عزاه رضي الدين [1] وابن عاشور[2] إلى أبي عبيدة، وذكر شيخنا الدكتور عـــبد الـــرزاق بن فراج الصاعدي [3] – حفظه الله – أنه قول الجمهور، وأنهم رجحوه لســـلامته مـــن القلب [4]، ولظهور الهمزة في المفرد في قولهم : " ملأك "، وفي الجمع في قولهـــم : " ملائكة "، ولوجود نظيره في بعض اللغات السامية فهو في الحبشية والسريانية والعبرية " ملأك "، كما أن فعله الثلاثي " لأك " لم يزل مستعملا في اللغة الحبشية بمعنى : أرسل رسالة أو رسولا، فهذا كله مما يرجح هذا القول [5].

ويرى شيخ الإسلام ابن تيمية أن اللغة تحتمل كلا القولين : فيمكن أن يكون "مَلَك" مشـــتقا من " لأك "؛ أي من غير قلب، وهو الذي اختاره، ويحتمل أن يكون مشتقا من " ألك " ثم وقع فيه القلب، وكلا الوجهين بمعنى الرسالة والبلاغ [6].

والـــذي يظهـــر لي أن الأمر فيه سعة؛ فإن الملائكة موصوفون بالقوة والشدة كما قال تعالى : ﴿ ملائكة غلاظ شداد ﴾ [7]، وأنهـــم رسل الله تعالى ويقومون بتبليغ رسالات الله إلى أنبيائه ورسله عليهم السلام، وأن الرسالة تؤلك في الفم وتؤدى به، فكل هذا يحتمل أن يكون قد اشتق منه كلمة "مـــلك "، وإن كـــان اشتقاقه من " ألك " أو " لأك " بمعنى : أرسل أقرب وأيسر لأنه أوضح في الدلالة، وأوفق لما يقوم به الملائكة من إبلاغ رسالات الله إلى الأنبياء والمرسلين، ثم إن اشتقاقه من " لأك " أرجـــح من الكل لسلامته من القلب، ولظهور الهمزة في المفرد في قولهم : " ملأك "، وفي

---

(١) انظر : شرح شافية ابن الحاجب (٢٤٧/٢) .

(٢) انظر : التحرير والتنوير من التفسير (٣٩٧/١-٣٩٨) .

(٣) انظر : تداخل الأصول عند اللغويين وأثره في بناء المعجم العربي (٣٨٧/١) .

(٤) انظر : شرح شافية ابن الحاجب (٢٤٧/٢)؛ والتحرير والتنوير من التفسير (٣٩٧/١-٣٩٨) .

(٥) انظر : تداخل الأصول عند اللغويين وأثره في بناء المعجم العربي (١٩٧/١ و ٣٨٧-٣٨٨) .

(٦) انظر : الرد على المنطقيين (ص : ٥٠٠) .

(٧) التحريم الآية : ٦

الجمـــع في قولهـــم : " ملائكة "، ولوجود نظيره في بعض اللغات السامية، كما تقدم، والله أعلم بالصواب .

ثانيا : الملائكة عند المسلمين .

الملائكة عند المسلمين [١] خلق من خلق الله تعالى، مخلوقون من نور، وهم أحياء، ناطقون، متصـــفون بصفات حميدة، وأعمال رشيدة، وأقوال سديدة، ولهم ذوات قائمة بأنفسها، وقد زودهـــم الله تعالى بالقدرة على التشكل في أشكال مختلفة، وهم لا يأكلون، ولا يشربون، ولا ينكحون، ويسبحون الليل والنهار لا يفترون، ولا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون [٢] وهم كثيرون جدا،لا يعلم عددهم إلا الله .قال تعالى : ﴿ وما يعلم جنود ربك إلا هو ﴾ [٣] .

ثالثا : وجوب الإيمان بالملائكة عليهم السلام .

الإيمان بالملائكة ركن من أركان الإيمان، ولا يعتبر الشخص مؤمنا إلا إذا آمن بهم؛ فقـــد أمر الله عباده أن يؤمنوا بهم، وذكر ذلك في جملة العقائد الإيمانية التي لقنها عباده، فقـــال تعالى : ﴿ آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله ﴾ [٤]، وقال تعالى : ﴿ ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين ﴾ [٥] .

وقـــال النبي ﷺ في شرح الإيمان لما سأله عنه جبريل عليه السلام كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يوما بارزا للناس، إذ أتاه رجل يمشي فقال : يا رسول الله ما الإيمان ؟

---

(١) انظر : أقوال الناس ومعتقداتهم في الملائكة مفصلة مع الرد على الأقوال الباطلة منها في كتاب : تفسير آيات القرآن عن علاقة الملائكة بالإنسان (ص : ١٥-٢٣) .

(٢) انظـــر : الرد على المنطقيين (ص : ٤٨٩-٤٩٨)؛ وفتح الباري (٣٠٦/٦)؛ ولوامع الأنوار البهية ...(٤٤٦/١-٤٤٧)؛ ومعارج القـــبول لـــلحكمي (٦٥٦/٢)؛ وتفسير آيات القرآن عن علاقة الملائكة بالإنسان (ص : ١٤-١٥)؛ والإيمان بالملائكة عليهم السلام لعبد الله سراج الدين (ص : ٣-٤، و ١٩-٢٢)؛ وكتاب الإيمان للدكتور محمد نعيم ياسين (ص : ٣٥-٣٨)؛ وأصول الإيمـــان في ضوء الكتاب والسنة، إعداد نخبة من العلماء تحت إشراف مجمع الملك فهد لطباعة المصحف (ص : ٩٩)؛ والمنظومة الألفية في مسائل الاعتقاد السلفية لفهد النفيعي (ص : ٨٥-٨٧)؛ وتعليقه على هذه الأبيات (ص : ٢٣٨-٢٤٣) .

(٣) المدثر الآية : ٣١

(٤) البقرة الآية : ٢٨٥

(٥) البقرة الآية : ١٧٧

قال : الإيمان أن تؤمن بالله، وملائكته، ورسله، ولقائه، وتؤمن بالبعث الآخر ... الحديث[1].

وفي حديث عمر بن الخطاب ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : ((... أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره . قال : صدقت ...الحديث [2].

وقـــد جاء ذكرهم في مناسبات متعددة من كتاب الله تعالى وأحاديث رسول الله ﷺ، وجميع تلك النصوص القرآنية والأحاديث النبوية تدل دلالة قاطعة على وجود الملائكة وجودا حقيقيا، وأنهم ليسوا ضربا من الأوهام ولا نوعا من تخيلات الأحلام، كما أنهم ليسوا عقولا مجردة، ولا من معاني النفوس البشرية السعيدة بل هم عالم حقيقي الوجود وإن كانوا غيبا عن العيان الشهود [3].

فـــإن وجـــود الموجود لا يتوقف على رؤية العيان، لأننا نجد كثيرا من الكائنات هي قطعية الوجود دون أن تكون في الشهود، ولكن ثبت وجودها بآثارها الدالة عليها، فهذه الأرواح المدبرة للأشباح، وهذه العقول المدبرة للأجسام بإحكام ونظام، وهذا الهواء الذي ملأ الفراغ والفضاء، هي كائنات موجودة قطعا مع أنها لا ترى بالعين [4].

فكذلك الملائكة لا شك في وجودهم لدلالة الأدلة القطعية عليها، ولا يستبعده العقل السليم؛ فلا ينبغي لعاقل أن يرتاب في ذلك بعد ثبوته من الكتاب والسنة بل يجب الإيمان بكل ما ورد في الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الثابتة عن النبي ﷺ من أسمائهم وصفاتهم ووظـــائفهم وأعمالهم . فما كان منه مفصلا يجب الإيمان به مفصلا، وما كان منه مجملا ولم يرد تفصيله في الكتاب والسنة يجب الإيمان به مجملا [5].

ومن أنكرهم ولم يؤمن بهم يكون كافرا بإجماع المسلمين [6] بل بنص القرآن الكريم كما قال تعالى : ﴿ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا﴾ [7].

---

(١) جزء من حديث جبريل عليه السلام ، أخرجه الشيخان، وهذا لفظ البخاري ح : ٤٤٩٩)، وقد سبق تخريجه في (ص : ٥٦).

(٢) أخرجه مسلم، وقد سبق تخريجه في (ص : ٥٦) .

(٣) انظر : الإيمان بالملائكة عليهم السلام (ص : ٣) .

(٤) انظر : المصدر السابق (ص : ٥) .

(٥) انظر : تفسير آيات القرآن عن علاقة للملائكة بالإنسان (ص : ١٤-١٥)؛ وكتاب الإيمان للدكتور محمد نعيم (ص : ٤٦-٤٩) .

(٦) انظر : كتاب الإيمان للدكتور محمد نعيم ياسين (ص : ٣٦) .

(٧) النساء الآية : ١٣٦

المبحث الأول: معنى سجود الملائكة لآدم عليه السلام.

لقد كرم الله تعالى آدم عليه السلام وخصه بميزات وفضائل كثيرة، ومن تلك المكرمات والخصائص التي اختص بها آدم عليه السلام أن الله تعالى أسجد له ملائكته، وقد جاء ذكر هذه الفضيلة العظيمة لأبي البشر آدم عليه السلام في سبعة مواضع من كتاب الله تعالى، وفي كثير من أحاديث النبي ﷺ، وفيما يلي ذكر تلك الآيات الدالة على سجود الملائكة لآدم عليه السلام، وشيء من أحاديث النبي ﷺ.

الآيات القرآنية الدالة على سجود الملائكة لآدم عليه السلام:

قال تعالى: ﴿ وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿ ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس لم يكن من الساجدين ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿ وإذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرا من صلصال من حمإ مسنون * فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين * فسجد الملائكة كلهم أجمعون * إلا إبليس أبى أن يكون مع الساجدين ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿ وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس ﴾[4]، وقال تعالى: ﴿ وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه ﴾[5]، وقال تعالى: ﴿ وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى ﴾[6]، وقال تعالى: ﴿ إذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرا من طين * فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين * فسجد الملائكة كلهم أجمعون * إلا إبليس استكبر وكان من الكافرين ﴾[7].

---

(1) البقرة الآية: ٣٤

(2) الأعراف الآية: ١١

(3) الحجر الآيات: ٢٨-٣١

(4) الإسراء الآية: ٦١

(5) الكهف الآية: ٥٠

(6) طه الآية: ١١٦

(7) ص الآيات: ٧١-٧٤

من الأحاديث النبوية الدالة على سجود الملائكة لآدم عليه السلام :

عن أنس ﷺ عن النبي ﷺ قال : يجتمع المؤمنون يوم القيامة فيقولون : لو استشفعنا إلى ربنا، فيأتون آدم، فيقولون : أنت أبو الناس، خلقك الله بيده، وأسجد لك ملائكته، وعلمك أسماء كل شيء، فاشفع لنا عند ربك حتى يريحنا من مكاننا هذا. فيقول : لست هناكم، ويذكر ذنبه فيستحي، ائتوا نوحا فإنه أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض ...الحديث [1].

وعن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : احتج آدم وموسى عليهما السلام عند ربهما، فحج آدم موسى قال موسى : أنت آدم الذي خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأسجد لك ملائكته، وأسكنك في جنته، ثم أهبطت الناس بخطيئتك إلى الأرض ؟ فقال آدم : أنت موسى الذي اصطفاك الله برسالته، وبكلامه، وأعطاك الألواح فيها تبيان كل شيء، وقربك نجيا، فبكم وجدت الله كتب التوراة قبل أن أخلق ؟ قال موسى : بأربعين عاما . قال آدم : فهل وجدت فيها وعصى آدم ربه فغوى ؟ قال : نعم قال : أفتلومني على أن عملت عملا كتبه الله على أن أعمله قبل أن يخلقني بأربعين سنة ؟ قال رسول الله ﷺ : فحج آدم موسى [2].

وعن أبي هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ قال : خلق الله آدم يوم الجمعة بيده، ونفخ فيه من روحه، وأمر الملائكة أن يسجدوا له فسجدوا له إلا إبليس،كان من الجن ففسق عن أمر ربه [3].

فهذه الآيات القرآنية والأحاديث النبوية تبين وتنص على أن مما أكرم الله تعالى به أبا البشر آدم عليه السلام أنه أسجد له ملائكته؛ فهذه منقبة جليلة و فضيلة عظيمة لآدم عليه السلام بشهادة من الله ورسوله ﷺ .

معنى السجود في اللغة العربية .

قبل الدخول في بيان معنى سجود الملائكة لآدم عليه السلام يحسن بنا أن نعرج على بيان

---

(1) حديث صحيح، أخرجه البخاري ومسلم، وقد سبق تخريجه في (ص : ٦٩) .

(2) حديث صحيح، أخرجه البخاري ومسلم، وقد سبق تخريجه في (ص : ٦٩) .

(3) حديث صحيح، وقد سبق الكلام عنه في (ص : ٦٩) .

معـــنى الســـجود في اللغة العربية، حتى يسهل فهم معنى سجود الملائكة لآدم عليه السلام وحتى يسهل الرد على من جانبه الصواب في المسألة .

جاء في معجم مقاييس اللغة : (سجد : السين والجيم والدال أصل واحد مطرد يدل على تطامن وذل. يقال : سجد إذا تطامن، وكل ما ذل فقد سجد) [1].

وفي الصحاح : (سجد : خضع ... ومنه سجود الصلاة وهو وضع الجبهة على الأرض) [2].

وفي تهذيب اللغة : (أسجد الرجل إذا طأطأ رأسه وانحنى. وسجد إذا وضع جبهته بـــالأرض ...وكـــل من ذل وخضع لما أمر به فقد سجد ... وسجود الموات كله في القرآن: طاعته لما سخر له، ومنه قول الله جل وعز : ﴿ ألم تر أن الله يسجد له من في السموات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس ﴾ [3]. وليس سجود الموات لله بأعجب من هبوط الحجارة من خشية الله، وعلينا التسليم والإيمان بما أنزل من غير تطلب كيفية ذلك السجود وفقهه؛ لأن الله عز و جـــل لم يفقهناه) [4].

وفي " المحكـــم والمحيـــط الأعظم" : (سجد يسجد سجودا : وضع جبهته بالأرض، وقوم سُجَّدٌ و سُجُوْدٌ) [5].

وفي المعجـــم الوسيط : (سجد يسجد سجودا : خضع وتطامن. و – وضع جبهته على الأرض فهو ساجد، ج : سُجَّد وسُجُوْد) [6].

وفي " الزاهر في معاني كلمات الناس" : (سجد الرجل : معناه قد انحنى وتطامن ومال إلى الأرض من قول العرب : قد سجدت الدابة وأسجدت إذا خفضت رأسها لتركب) [7].

وفي مفـــردات ألفـــاظ القرآن : (السجود أصله التطامن والتذلل، وجعل ذلك عبارة عن

---

(1) معجم مقاييس اللغة (٣/١٣٣) .

(2) الصحاح (٢/٤٨٣ مادة : سجد) .

(3) الحج الآية : ١٨

(4) تهذيب اللغة (١٠/٥٦٩-٥٧٢ ، مادة : سجد) .

(5) المحكم والمحيط الأعظم (٧/١٨٧ ، مادة : سجد) .

(6) المعجم الوسيط (١/٤١٦ ، مادة : سجد) .

(7) الزاهر في معاني كلمات الناس (١/١٤١ ، مادة : سجد) .

الـــتذلل لله وعـــبادته، وهـــو عام في الإنسان والحيوانات والجمادات. وذلك ضربان : سجود باختيار، وليس ذلك إلا للإنسان، وبه يستحق الثوابَ نحو قوله : ﴿ فاسجدوا لله واعبدوا ﴾ [1]؛ أي : تذللوا له . وسجود تسخير : وهو للإنسان والحيوانات والنبات. وعلى ذلك قوله : ﴿ ولله يسجد من في السماوات والأرض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والآصال ﴾ [2] فهذا سجود تسخير، وهو الدلالة الصامتة الناطقة المنبهة على كونها مخلوقة، وأنها خلق فاعل حكيم) [3].

وفي لسان العرب : (سجد يسجد سجودا : وضع جبهته بالأرض، وقوم سُجَّد وسُجُود) [4].

فالســـجود في اللغة معناه الخضوع والتذلل والطاعة والانقياد والانحناء، ويكون غايته بوضع الجبهة على الأرض .

الأقوال في بيان معنى سجود الملائكة لآدم عليه السلام و بيان الراجح منها :

لا شك أن الله تعالى أمر ملائكته أن يسجدوا لآدم عليه السلام، كما بين الله ذلك في كتابه الكريم، وعلى لسان رسوله الأمين. وقد اتفقت الأمة على أن سجود الملائكة لآدم عليه السلام لم يكـــن سجود عبادة لآدم عليه السلام [5]، ثم اختلفوا في بيان معنى سجود الملائكة له على أقوال، وفيما يلي ذكرها، وبيان الراجح منها، والله الموفق .

القول الأول : الملائكة هي قوى النفس الصالحة، والشياطين هي قوي النفس الخبيثة، وســـجود الملائكـــة لآدم عليه السلام معناه طاعة القوى الصالحة للعقل، وامتناع الشياطين عن السجود معناه عصيان القوى الخبيثة للعقل .

هذا قول الفلاسفة ومن وافقهم [6]، وهو قول باطل، وبيان ذلك من وجوه، وهي كما يلي :

---

(1) النجم الآية : ٦٢

(2) الرعد الآية : ١٥

(3) مفردات ألفاظ القرآن (ص : ٣٩٧ ، مادة : سجد) .

(4) لسان العرب (١٧٥/٦ ، مادة : سجد) .

(5) انظر : التفسير الكبير (٢١٢/٢)؛ وأحكام القرآن لابن العربي (١٦/١)؛ والجامع لأحكام القرآن (٢٩٣/١)؛ واللباب في علوم الكتاب (٥٢٨/١) .

(6) انظـــر : ما ذكره ابن الجوزي في (كيد الشيطان لنفسه قبل خلق آدم عليه السلام و معه بيان مذاهب الفرق الضالة ص :

←

أحدهـــا : الفلاسفة في الحقيقة ليس عندهم شيء من الإيمان بالغيب الذي أخبرت به الأنبياء – عليهم السلام –، فهم منكرون لحقيقة الإيمان وأركانه (1)، وإن كان من يذهب مـــنهم إلى الجمـــع بين الآراء الفلسفية والأخبار النبوية يوحي ظاهر كلامهم أنهم مقرون بالإيمان بالغيب ولكن حقيقة كلامهم ومؤداه يكون النفي وعدم الإيمان به (2).

والإيمان بالملائكة من الإيمان بالغيب الذي استأثر الله بعلمه. وقد أخبر الله عنهم في كتبه، وعـــلى ألســـنة رسله – عليهم السلام – ولكن الفلاسفة لا يؤمنون بهم، ويؤولون الآيات والأحـــاديث الدالة على وجود الملائكة تأويلا يفضي إلى إنكارهم. فمن تأويلاتهم لنصوص الكـــتاب والسنة الدالة على وجود الملائكة أنهم زعموا أن الملائكة عبارة عن القوى الصالحة في النفس، وأن سجود الملائكة لآدم معناه طاعة القوى الصالحة للعقل (3).

وهذا في الحقيقة إنكار لوجود الملائكة أصلا، وكفر وتكذيب بما أخبر الله به عنهم في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ.

فهـــذا القول ليس من أقوال المسلمين الذين يؤمنون بما أخبرت به الآيات القرآنية والأحـــاديث النبوية بل هو ليس من أقوال اليهود والنصارى القائلين بالنبوات الإلهية،

٨٠-٨١)؛ والرازي في تفسيره (٢/٢٣٨)؛ وشيخ الإسلام ابن تيمية في (مجموع فتاوى ٤/١٢٧ و ٤/٣٤٦)؛ وفي (الصـــفدية ١/١٨٩ و ٢/٢٥٢)؛ وفي (الرد على المنطقيين ص : ١٠٦ و ٤٤٤ و٤٨١)؛ وابن القيم في (الصواعق المرسلة ٤/١٥٤٦) بتحقيق : علي بن محمد الدخيل الله ، دار العاصمة ط.الثالثة .

(1) انظر : الرد على المنطقيين (ص : ١٣٩)؛ وشرح العقيدة الطحاوية (ص : ٤٠٢-٤٠٣) .

(2) انظر : الرد على المنطقيين (ص : ١٩٦ و ٢٧٥)؛ والصفدية (٢/٢٥٢) .

(3) وكذلك من أقوال الفلاسفة ومن شايعهم والذين يريدون الجمع بين الآراء الفلسفية والأخبار النبوية أنهم يقولون تارة أن المقصود بالملائكة هي العقول العشرة والنفوس التسعة التي يقول بها الفلاسفة اليونانيون وقد يستدلون لذلك بقوله تعالى : ﴿ عليها تسعة عشر ﴾ [المدثر الآية : ٣٠]، وتارة يقولون : أن جبريل هو العقل الفعال الذي بواسطته وجدت المخلوقات التي هي دون فلك القمر في زعمهم ، وتارة يجعلون جبريل هو ما يتشكل في نفس النبي من الصور الخيالية، وتارة يقولون : إن الملائكة هي الجواهر الروحانية أو أنها أرواح البشر الصافية أو أنها الممدة لنفوسنا القوة والطاعة، وهي لنا كنسبة الضوء إلى الشمس وغيرها من الأقوال الباطلة . انظر للاطلاع على هذه الأقوال ومعرفة بطلانها : كيد الشيطان لنفسه قبل خلق آدم عليه السلام و معه بيان مذاهب الفرق الضالة لابن الجوزي (ص : ٨٠-٨١)؛ والتفسير الكبير (٢/٢٣٨)؛ ومجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٤/١١٩-١٢٩ ، ٢٥٩-٢٦٠ ، ٣٤٦)؛ والرد على المنطقيين (ص : ١٠٢ و ١٠٦ و١٩٦-١٩٨ و ٢١٩ و ٢٧٦-٢٧٨ و ٤٤٤ و ٤٦٩-٤٧١ و ٤٨٦-٤٩٨)؛ والصفدية (١/١٨٩ ، ٢٠١-٢٠٩ و ٢/٢٥١-٢٥٢ ، ٢٥٨)؛ وبغية المرتاد (ص : ١٩٠و ٢١٥ و ٢١٩-٢٢٠ و ٢٣١-٢٣٢ و ٢٤١-٢٤٣ و ٢٥١-٢٥٥ و ٣٥٤-٣٥٥ و ٣٧٥-٣٧٧)؛ وتفسير القرآن العظيم (٤/ ٤٤٤، المدثر : ٣١)؛ وتفسير آيات القرآن عن علاقة الملائكة بالإنسان (ص : ١٨-٢٣) .

وإنما هو من أقوال الملاحدة المتفلسفة وأمثالهم من القرامطة الباطنية ومن سلك سبيلهم من ضلال المتكلمة والمتعبدة وغيرهم (١).

الـــثاني : أن الملائكـــة الذيـــن وصفهم الله في الكتاب والسنة لا ينطبقون على هذه الأعـــراض والقـــوى الصالحة. فهم ليسوا أعراضا تقوم بالنفس بل هم خلق من خلق الله تعـــالى، أحيـــاء نـــاطقون، لهم ذوات قائمة بأنفسها، قائمون بوظائف وأعمال جليلة، موصوفون بالذهاب، والمجيء، والصعود، والنزول، والسمع، والبصر، والنطق، والكلام ... إلى غير ذلك مما ورد في شأنهم وصفاتهم في الكتاب والسنة .

كذلـــك الشـــياطين الذين ورد ذكرهم في الكتاب والسنة ليسوا مجرد القوى الخبيثة والأعـــراض الفاســـدة والصفات الذميمة في النفس بل هم أعيان وذوات خبيثة يقومون بالإضلال والإفساد، وهم يأكلون ويشربون .....إلى غير ذلك مما ورد في وصفهم وذمهم والتحذير منهم في الكتاب والسنة .

فتفسير الملائكة والشياطين بالأعراض والقوي في النفوس خلاف لما بينه الله تعالى في كتبه، وأخبرت به رسله، واتفق عليه المسلمون (٢).

الثالث : لقد أخبر الله في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ بأنه تعالى أمر الملائكة بالسجود لآدم عليه السلام، وأنه سجد له الملائكة كلهم امتثالا لأمر ربهم، وأنه لم يشذ ممن أمر بالسجود له إلا إبليس، فـــالقول بأن امتناع إبليس عن السجود معناه عصيان القوى الخبيثة للعقل مخالف لما بينه الله في كـــتابه وعلى لسان رسوله؛ إذ لم يكن أحد من الشياطين مأمورا بالسجود لآدم عليه السلام إلا أباهم الذي أبى وعصى واستكبر، و لم يكن مأمورا بالسجود منهم غيره (٣).

وستأتي وجوه أخرى تبين بطلان هذا القول وفساده إن شاء الله .

القول الثاني : إن سجود الملائكة لآدم عليه السلام معناه تسخير هذا العالم للآدميين، وأن الكون بما فيه من المواد الأرضية والمعدنية ونحوها قد سخرها الله لهم، وأعطاهم القدرة على الانتفاع بها والتصرف فيها (٤).

---

(١) انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٣٤٦/٤) .
(٢) انظر : الرد على المنطقيين (ص : ٤٨٩-٤٩٨) .
(٣) انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٣٤٦/٤) .
(٤) انظر : الإنسان في ظل الأديان للدكتور عمارة نجيب (ص : ٤٩)؛ والهداية والعرفان في تفسير القرآن بالقرآن لأبي زيد ←

وهذا القول ذهب إليه طائفة من العصريين الذين يريدون أن يفسروا القرآن تفسيرا عصريا – تأثرا بالمناهج والأفكار والنظريات الوافدة الفاسدة، وجهلا بأضرارها ومفاسدها، أو حبا للظهور وطلبا للشهرة عن طريقها [1] – ففسروا القرآن الكريم بما يخالف روح الإسلام، ولا يتفق مع الغاية والحكمة التي من أجلها أنزلت الكتب وأرسلت الرسل . وقد يفضي بصاحبه إلى إنكار ما هو من أركان الإيمان ومسلمات الدين التي لا يصح الإيمان بدونها . و تأويلاتهم الفاسدة للآيات القرآنية كثيرة، ولكن اكتفيت هنا بذكر ما أتوا به من تأويلات فاسدة للآيات القرآنية المتعلقة بسجود الملائكة لآدم ﷺ، ولا شك أن تفسير هذه الآيات القرآنية بمثل هذه الأقوال والآراء باطل، وبيان ذلك من وجوه، وهي كما يلي :

الأول : إن هذه التفسيرات لا تستحق أن تسمى تفسيرا لكتاب الله تعالى بل هي أقرب إلى التحريف من التفسير لكتاب الله تعالى؛ فإنه لا فرق بينها و بين تحريف الباطنية والقرامطة الذين يفسرون القرآن حسب أهوائهم وخواطرهم ووساوسهم، بغير هدى من الله ولا هدي من رسول الله ﷺ [2].

الثاني : إذا أولت هذه الآيات بمثل هذه التأويلات الباطلة توجه نظير هذا التحريف والتبديل لغيرها من الآيات القرآنية، فينقلب القرآن بعد ما كان تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة – رموزا وإشارات وألغازا وأحاجي. وينفتح باب عظيم من الشر، ويمكن لكل عدو للإسلام أن يدخل من هذا الباب، ويأتي بمثل هذه التفسيرات الباطلة والأقاويل الضالة؛ فيبطل بذلك القرآن كله، وتعود هدايته إضلالا، ورحمته نقمة .

محمد اللمنهوري (ص : ٧) بواسطة كتاب : التفسير والمفسرون للدكتور محمد الذهبي (٥٤٠/٢)؛ وبواسطة كتاب : اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر للأستاذ فهد الرومي (١٠٩١/٣)؛ والقرآن محاولة لفهم عصري لمصطفى محمود (ص : ٦٨) وانظر : ما قاله عنه الشيخ فهد الرومي في كتابه : اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر (١١٢٨/٣)، وانظر : ما ذكره الشيخ رشيد رضا في تفسيره عن شيخه محمد عبده (٢٦٩/١ و ٢٨١/١-٢٨٢) وما قاله هو تبعا لشيخه (٣٣٢/٨)؛ وكذلك انظر : ما ذكره عنهم العلامة عبد الرحمن السعدي في (تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن ٣٢٦/٨) [ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفاته]؛ و أيضا قصص الأنبياء له (ص : ٢٣) .

(١) انظر : التفسير والمفسرون (٥٢٢/٢-٥٢٣) .

(٢) انظر : تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن (٣٢٦/٨) [ضمن المجوعة الكاملة لمؤلفات الشيخ عبد الرحمن السعدي]؛ وأيضا قصص الأنبياء له (ص : ٢٣) .

فسبحان ربي إن هذا لبهتان عظيم [1].

الثالث : القول بأن سجود الملائكة لآدم ﷺ معناه تسخير هذا الكون وما فيه من القوى للإنسان يوحي بإنكار وجود الملائكة . وهذا أمر جد خطير؛ فإن الإيمان بالملائكة ركن من أركان الإيمان، ولا يصح الإيمان إلا بالإيمان بهم، ويكفر منكرهم. فيجب الإيمان بهم إيمان تسليم وتصديق، ولا ينبغي تأويلهم على نحو يؤدي إلى الإنكار وعدم التسليم [2].

الرابع : إن هذه التفسيرات ليس لها ما يساندها من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية وأقوال السلف الصالح من الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان .

الخامس : إن هذه التفسيرات لا تدل عليه اللغة العربية التي نزل بها القرآن الكريم، فإن قوله تعالى : ﴿ وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس ﴾ [3] لا يقول أي شخص عاقل - له معرفة باللغة العربية - فضلاً أن يقول بها مسلم يعرف دينه وكتابه : أن معناه طاعة القوى الصالحة للعقل، أو أن الله سخر للإنسان هذا الكون؛ فله حق التصرف والانتفاع بما فيه، أو أن الملائكة خدام آدم وذريته، وأنهم ما زالوا ساجدين لهم، وأنهم سيبقون ساجدين لهم إلى يوم القيامة؛ أي : مستمرين في خدمتهم، وساعين لمنافعهم ولما يكفل معاشهم؛ فإن الآية لا تدل على مثل هذه الهذيانات من قريب ولا بعيد .

فيتبين مما سبق من الوجوه أن القول بأن سجود الملائكة لآدم ﷺ معناه تسخير هذا العالم للآدميين، وتمكينهم من الاستفادة بما فيه المواد الأرضية والمعدنية قول غير صحيح، وكذلك تدل هذه الوجوه على بطلان قول المتفلسفة ومن وافقهم، وقد سبق ذكره وبيان بطلانه، كما أنها تدل أيضا على بطلان القول الآتي، وهو :

القول الثالث : سجود الملائكة لآدم ﷺ معناه موالاتهم لآدم ﷺ وبنيه، وخدمتهم، وسعيهم لما يفيد بني آدم في حياتهم، ومعاشهم إلى يوم القيامة . هذا القول ذهب إليه

---

(١) انظر : المصدرين السابقين نفساهما .

(٢) انظر : اتجاهات التفسير في العصر الراهن (ص : ١٥٩) .

(٣) البقرة الآية : ٣٤ و الإسراء الآية : ٦١ و الكهف الآية : ٥٠ و طه الآية : ١١٦

الأستاذ طنطاوي جوهري[1] والدكتور عبد الصبور شاهين .

قـــال الأستاذ طنطاوي بن جوهري مبينا معنى سجود الملائكة لآدم عليه السلام : (سجود الملائكة لآدم تسخيرهم وانقيادهم للسعي لمنافع آدم وبنيه فيما يكفل معاشهم) [2].

قد أوضح ذلك وفصل الدكتور عبد الصبور شاهين فقال : إن سجود الملائكة يعنى تكليفهم بحياطة الحياة الإنسانية، ابتداء من آدم، وهو تكليف ماض إلى يوم القيامة، تتولى الملائكة فيه المحافظة على بني آدم، وإلهامهم الخير، طبقا لمشيئة الله تعالى، في مقابل ما توعد به إبليس آدم وذريته من الغواية والتضليل .

وعـــلى ذلك فقد سجد الملائكة، وما زالوا ساجدين لآدم، ولبني آدم، وهذه هي الكرامة الـــوارد ذكـــرها في قولـــه تعـــالى : ﴿ ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا ﴾ [3] . وهي التي أشار إليها إبليس في قصة الحوار في سورة الإسراء كما قال تعالى : ﴿ قال أرأيتك هذا الذي كرمت علي ﴾ [4] [5] . أهـــ بتصرف واختصار .

وقـــال أيضـــا : (إن تكـــليف الله سبحانه للملائكة بالسجود كان يعني تكليفهم بالاشـــتغال بحفظ ذلك الخليفة النبي، وذريته إلى يوم القيامة . وقد رفض إبليس أن يخضع للأمـــر الإلهي، وأن يعمل في خدمة الإنسان كالملائكة . وبذلك انشق على الأمر الإلهي، وصـــار عدوا لآدم وذريته، كما صار عدوا لله خالقه) [6] وقال أيضا : (المعنى الصحيح للسجود : هو موالاة آدم وذريته إلى يوم القيامـــة) [7].

---

(١) طنطاوي بن جوهري المصري، كان مولعا بالعلوم الحديثة، وحاول أن يفسر القرآن تفسيرا ينطوي على كل ما وصل إليه البشر من العلوم، ولذلك تعرض لنقد كبير من العلماء حتى إن المملكة العربية السعودية منعت تفسيره مـــن الدخـــول في المملكة، وتوفي سنة ١٣٥٨هـــ. انظر : الأعلام (٣/٢٣٠)؛ والأعلام الشرقية في المائة الرابعة عشرة الهجرية (٣١٨/١ برقم : ٤٢٠)؛ التفسير والمفسرون (٢/٥٠٥-٥٠٩) .

(٢) الجواهر في تفسير القرآن الكريم (١/٥٢-٥٣) .

(٣) الإسراء الآية : ٧٠

(٤) الإسراء الآية : ٦٢

(٥) انظر : أبي آدم قصة الخليقة بين الأسطورة والحقيقة (ص : ١٤٣-١٤٤) .

(٦) المصدر السابق (ص : ١٤٦) .

(٧) أبي آدم قصة الخليقة بين الأسطورة والحقيقة (ص : ١٤٩) .

فهمـــا يـــريان أن أمر الله الملائكة بالسجود لآدم ﷺ يعنى التكليف من الله لهم أن يقوموا بالمحافظة على بني آدم، وإلهامهم الخير وموالاتهم، والسعي لهم لما ينفعهم في معاشهم. وأن سجود هم لم ينته بعد بل هم مازالوا ساجدين لآدم وبنيه. وأنهم سيبقون ساجدين لهم إلى يوم القيامة؛ أي : مواليين لهم، ومحافظين عليهم، وقائمين بخدمتهم، وساعين لما ينفعهم ويكفل معاشهم .

وهـــذا القول من جنس القول السابق وقد تقدم بيان بطلانها من عدة وجوه، وهي كـــلها تـــدل عـــلى بطلان هذا القول أيضا ، و الآن أضيف إليها – بتوفيق الله تعالى – وجوها أخرى تدل على بطلان هذا القول وكذلك الذي قبله، وهي كما يلي :

الأول : إن الملائكـــة – عليهم السلام – كانوا أمروا بالسجود لآدم ﷺ فقط؛ و لم يكونـــوا أمروا بالسجود لآدم وذريته لأن الله تعالى قال لهم مخاطبا إياهم : ﴿اسجدوا لآدم﴾ و لم يقـــل لهم : { اسجدوا لآدم وذريته أو أسجدوا لآدم وبنيه } فكيف يصح القول بأن الملائكة أمروا بالسجود لآدم وذريته، وأنهم سجدوا لآدم وذريته ؟ .

الثاني : قال تعالى : ﴿ فسجد الملائكة كلهم أجمعون ﴾ [1] سجد فعل ماض. وقد اتفق أئمة اللغة أن الفعل الماضي المجرد عن القرينة [2] يدل على معنى – أي : حدث – وزمن قد مضى وفـــات قبل النطق به [3]. والحدث هنا هو السجود من الملائكة لآدم ﷺ، ولا شك أن هذا الحـــدث كـــان قد وقع ومضى قبل أن يخبرنا الله به بإنزال كتابه العزيز على رسوله محمد ﷺ بـــزمن لا يعلمه إلا الله تعالى. فكيف يصح أن يقال : أن الملائكة ما زالوا ساجدين منذ خلق آدم ﷺ إلى الآن، وأنهـــم ســـيبقون ساجدين له ولذريته إلى يوم القيامة ؟ والله إن هذا لقول غريب جدا! ولا تكاد تسمع أحدا يقول بهذا القول أو يوافقك على هذا التفسير .

الـــثالث : قد أخبر الله عن سجود الملائكة لآدم ﷺ بقوله تعالى : ﴿ فسجدوا ﴾ وبقولـــــه تعـــالى : ﴿ فسجد الملائكة ﴾ . وكذلك أخبر النبي ﷺ عن ذلك كما قال

---

(١) الحجر الآية : ٣٠ و ص الآية : ٧٣

(٢) قـــد تكون الصيغة للفعل الماضي ويراد بها المستقبل . مثلا : إذا كان على سبيل الطلب والدعاء كقول أحدنا لشخص أحسن إليه : جزاك الله خيرا، وأعانك الله، ورفع درجاتك . انظر للتفصيل : معاني النحو (٣/٣١٢-٣٢٧) .

(٣) انظـــر : ضياء السالك إلى أوضح المسالك (٣٦/١)؛ وشذا العرف في فن الصرف (ص : ٢٥)؛ والنحو الوافي (٤٥/١-٤٦)؛ والمرشد إلى قواعد اللغة العربية (٣٦/٢)؛ وتصريف الأفعال (ص : ١٠٩) .

موسى لآدم – عليهما السلام –، وكما يقـــول له أهـــــل الموقف وذلك بقوله ﷺ : ((... وأسجد لك ملائكته ...))، وبقولـــه ﷺ كما في حديث أبي هريرة ﷺ : ((... فسجدوا ...)) ، فـــ (سجد) و (سجدوا) و (أسجد) هذه كلها من صيغ الفعل الماضي الذي يدل على وقوع الحدث في الزمن الماضي .

والأزمـــنة ثلاثة : الماضي، والحال، والاستقبال . وللإخبار بحدوث أي حدث في زمن من هذه الأزمان الثلاثة أفعال خاصة . فللإخبار بوقوع الحدث في الزمن الماضي فعل خاص، وهو الفعل الماضي . وللإخبار بوقوع الحدث في الزمن الحاضر أو المستقبل فعـــل مشـــترك بينهما، وهو الفعل المضارع . وإذا أراد المخبر أن يخبر بوقوع الخبر في أحدهما بالتعيين، فهناك أدوات خاصة يخصص بها المتكلم الزمن الذي وقع فيه الحدث من الحال أو الاستقبال. وإذا أراد المتكلم الإخبار عن حدث وقع في الماضي، وهو يقع في الحـــال، وكذلك سيقع في المستقبل فيجب عليه أن يستعمل لذلك الأفعال والصيغ والأدوات الخاصـــة بالـــزمن الذي وقع فيه الحدث. فهي تتغير من فعل إلى فعل، ومن شكل إلى شكل، ومن صيغة إلى صيغة، ومن حالة إلى حالة، ومن تركيب إلى تركيب، باختلاف الزمن الذي وقع فيه الحدث، فعل واحد بصيغة واحدة في تركيب واحد ونسق واحد يدل على الأزمان الثلاثة : أي :مضيا، أو حالا، أو استقبالا، ولكن لا يوجد منذ خلق آدم ﷺ إلى وقتنا الحالي، وإلى يوم القيامة باستمرار، بل قد لا تجد ذلك في أي لغة مـــن لغات العالم فضلا أن تجدها في اللغة العربية التي أجمع اللغات وأوسعها وأفصحها وأبلغلها وأدقها على الإطلاق .

فـــلو كان المقصود بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية المتعلقة بسجود الملائكة لآدم ﷺ الـــبيان والإخـــبار بأن الملائكة سجدوا لآدم وبنيه في الماضي السحيق، وأنهم لا زالوا ســـاجدين لهـــم إلى وقتـــنا الحاضر، وأنهم سيستمرون في سجودهم في المستقبل ويبقون ســـاجدين لهـــم إلى يوم القيامة لجاءت هذه النصوص الشرعية من الكتاب والسنة بأفعال وصيغ مختلفة حسب اختلاف زمن السجود – كما زعم الزاعم –، ولم تكن على نسق واحد بفعل واحد في الأحوال كلها، والله أعلم بالصواب .

الـــرابع : إن الله تعالى أكرم أبا البشر آدم ﷺ بمكرمات وفضائل لم يشاركه فيها

أحـــد مـــن المخـــلوقين، ومن تلك الفضائل التي اختص بها آدم ﷺ أن الله أسجد له ملائكـــته أجمعين. ولذلك قال له موسى ﷺ : ((أنتَ آدم الذي خلقك الله بيده، ونفـــخ فيك من روحه، وأسجد لك ملائكته، وأسكنك في جنته...)) الحديث [1].

وكذلـــك أهل الموقف يأتون إليه يوم القيامة فيقولون له : ((يا آدم أنت أبو الناس، خلقك الله بيده، وأسجد لك ملائكته، وعلمك أسماء كل شيء، فاشفع لنا عند ربك حتى يريحنا من مكاننا هذا . فيقول : لست هناكم ، ويذكر ذنبه فيستحي ، ائتوا نوحا فإنـــه أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض ...)) الحديث [2]، ثم يذهبون إلى غيره من الأنبياء عليهم السلام، ويذكرون لكل واحد منهم بما اختص به .

فآدم ﷺ أبو البشر كلهم، وقد خلقه الله بيده، على صورته، ونفخ فيه من روحه، وأسجد له ملائكته، وعلمه أسماء كل شيء، وأسكنه في جنته . فهذه جملة من الكرامات والفضائل التي اختـــص بها آدم ﷺ، وهي التي أشار إليها إبليس عند إبائه عن السجود لآدم ﷺ .

وأمـــا مـــا أنعم الله به على بني آدم وكرمهم به فقد ورد ذكر بعضه في آية الإسراء حيث يقول الباريء جل وعلا : ﴿ ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا ﴾ [3].

قـــال الحـــافظ ابن كثير في تفسير هذه الآية : (يخبر تعالى عن تشريفه لبني آدم وتكـــريمه إياهم في خلقه لهم على أحسن الهيئات وأكملها كقوله تعالى : ﴿ لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ﴾ [4]؛ أي : يمشي قائما منتصبا على رجليه، ويأكل بيديه، وغيره من الحيوانات يمشي على أربع، ويأكل بفمه، وجعل له سمعا وبصرا وفؤادا يفقه بذلك كلـــه، وينتفع به، ويفرق بين الأشياء، ويعرف منافعها وخواصها ومضارها في الأمور الدينية والدنيوية. ﴿ وحملناهم في البر ﴾؛ أي : على الدواب من الأنعام والخيل والبغال،

---

(١) جزء من حديث أبي هريرة ﷺ، وهو حديث صحيح، أخرجه الشيخان، وقد سبق تخريجه في (ص : ٦٩).

(٢) جزء من حديث الشفاعة برواية أنس ﷺ، وهو حديث صحيح، أخرجه الشيخان، وقد سبق تخريجه في (ص : ٦٩) .

(٣) الإسراء الآية : ٧٠

(٤) التين الآية : ٤

وفي البحر أيضا على السفن الكبار والصغار، ﴿ ورزقناهم من الطيبات ﴾ ؛ أي : من زروع، وثمار، ولحوم، وألبان، من سائر أنواع الطعوم، والألوان المشتهاة اللذيذة، والمناظر الحسنة، والملابس الرفيعة، من سائر الأنواع على اختلاف أصنافها، وألوانها، وأشكالها، مما يصنعونه لأنفسهم، ويجلبه إليهم غيرهم من أقطار الأقاليم والنواحي ﴿ وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا ﴾ ؛ أي : من سائر الحيوانات وأصناف المخلوقات)[١].

فهذه جملة مما أنعم الله به على بني آدم وكرمهم به، فسجود الملائكة مما أختص به آدم ﷺ ولم يشاركه فيها أحد من المخلوق، فلا يصح إدخال هذه الكرامة الخاصة بآدم ﷺ في تلك الكرامة العامة التي جعلها الله لبني آدم كلهم. فإن ذلك يستلزم سلب هذه الخصوصية العظيمة من أبي البشر ونفيه عنه[٢].

وهذا الوجه يدل أيضا على بطلان قول المتفلسة ومن شايعهم، كما يدل على بطلان قول العصريين العقلانيين؛ إذ يلزم من أقوالهم أيضا سلب هذه المفخرة العظيمة والخصوصية الجليلة من أبي البشر آدم ﷺ، وقد تقدم ذكر أقوالهم، وبيان بطلانها .

وكذلك الوجه القادم أيضا يدل على بطلان أقوالهم جميعا وهو :

الخامس : لو كان المقصود من سجود الملائكة لآدم ﷺ ما ذكره الفلاسفة ومن وافقهم من العصريين يلزم منه أن الله تعالى لم يبين ذلك في كتابه أوضح بيان، وأن رسول الله ﷺ لم يفهم المقصود من هذه الآيات على وجه صحيح، أو أنه ﷺ فهم المقصود منها ولكنه لم يبين ذلك لأصحابه وكتمه منهم، أو أنه أراد الخير لهم وحاول بيان ذلك لهم ولكنه لم يساعده لسانه وبيانه، فلم يتمكن من الإفصاح عما في ضميره حتى يفهم السامعون منه على الوجه الصحيح، فبقيت هذه الآيات غير مفهومة فهما صحيحا منذ نزولها، ولم يفهمها أحد من أصحاب القرون المفضلة من الصحابة والتابعين وأتباعهم إلى أن جاء هؤلاء العقلانيون من الفلاسفة والعصريين، ففهموها على وجه صحيح بعد آلاف السنين، وحرصوا على صلاح الناس وفلاحهم فبينوها لهم

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٥١/٣) .

(٢) انظر : مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة (١٥٦/٢)؛ وقصص الأنبياء لابن كثير (ص : ١١) .

بيانا واضحا يفهمونه !! .

فيـــلزم مـــن أقوالهـــم القدح فيمن أنزل عليه هذه النصوص وأخبر بها، إما في علمه ومعرفته، وإما في فصاحته وبيانه، وإما في نصحه وحرصه على هداية المخاطبين وصلاحهم وإرادة الخير لهم .

فهل هؤلاء أفصح بيانا من كتاب الله أو أنهم أعلم بمراد الله من رسول الله ﷺ أو أنهم أحســن كلاما وأفصح بيانا من رسول الله ﷺ أو أنهم أحرص على صلاح الأمة وفلاحها وأنصــح لها من رسول الله ﷺ أو أنهم أفهم لكتاب الله من الصحابة والتابعين وأتباعهم ؟! لا يمكن أن يدعي ذلك إلا جاهل أو زنديق [1]. والله المستعان .

ويتــبين ممـــا ســبق أن هذا القول في بيان معنى سجود الملائكة لآدم عليه السلام بعيد جدا عن الصواب لكونه مخالفا للكتاب والسنة وأقوال السلف الصالح وقواعد اللغة العربية، والله أعلم .

القول الرابع : روح آدم عليه السلام جزء من الله تبارك وتعالى، انتقلت إلى آدم لما نفخ الله فيــه من روحه تعالى، وبه استحق آدم سجود الملائكة؛ أي : كان سجود الملائكة لذلك الجزء الإلهي الذي حل في آدم عليه السلام . تعالى الله عما يصف الظالمون علوا كبيرا .

وهـــذا قول بيان بن سمعان التميمي، وهو الذي تنتسب إليها البيانية التي هي إحدى فرق الرافضة الغالية الحلولية [2].

ولا شـــك أن هذا قول مبني على كفر بواح، وظلمات دامسة بعضها فوق بعض، لا يقول به عاقل مسلم يعرف شيئا من دينه وما أنزل على نبيه . وقد تقدم بيان بطلان هذا القول عند بيان المراد بالروح التي نفخت في آدم عليه السلام [3].

القـــول الخـــامس : هـــو ما ذهب إليه ابن الفارض [4] ومن وافقه من أمثاله من القائلين

---

(١) انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٤/٩٨ و ٥/ ٢٦-٢٧ و ٣٠-٣١)؛ والصواعق المترلة على الطائفة الجهمية والمعطلة (١/١٧٧-١٧٨) .

(٢) انظر : الملل والنحل (١/١٥٢-١٥٣) .

(٣) انظر : (ص : ١١١-١١٩) .

(٤) هـــو عمر بن علي المعروف بابن الفارض، من الصوفية القائلين بوحدة الوجود، ولذلك كفره جماعة من أهل العلم من عصره إلى عصرنا، وقد ذكر البقاعي في كتابه " مصرع التصوف " (ص : ١٩٢-١٩٥) نحوا من أربعين من كـــبار أهل العلم الذين كفروا ابن الفارض، وبين أن تكفير العلماء له متواتر. وفعلا من نظر في قصيدته التائية رأى ←

بوحدة الوجود [1] الذين يرون أنه ليس هناك فرق بين الخالق والمخلوق والعابد والمعبود بل الكل واحد؛ فالخالق عين المخلوق، والمخلوق عين الخالق !! تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا .

وبناء على هذه العقيدة الكفرية زعم ابن الفارض : أنه عين الله، وأنه عين الرسل الكرام، وأنه عين آدم ﷺ، وأنه عين الملائكة الذين سجدوا لآدم ﷺ . فقال :

وفي شهدت الساجدين لمظهري فحققت أني كنت آدم سجدتي [2]

وقال القاشاني في شرح هذا البيت : (أي عاينت في نفسي الملائكة الساجدين لمظهري، فعلمت حقيقة أني كنت في سجدتي تلك السجدة، وأن الملائكة يسجدون لي، والملائكة صفة من صفاتي ، فالساجد صفة من صفاتي تسجد لذاتي) [3].

فزعم ابن فارض ووافقه أمثاله أن الملائكة سجدوا لمظهره، وأن آدم ﷺ تجسد في الذات الإلهية التي هي ابن فارض؛ فلا يرى بين الله تعالى وآدم ﷺ والملائكة وبين نفسه فرقا بل يرى أن الكل واحد وهذا الواحد هو ابن الفارض. واجتنابا من القول بالتعدد والغيرية، ومن الاعتراض عليه بأنك ما دمت تتحدث عن ساجدين، وعن مسجود له، فقد قلت بذوات كثيرة وأغيار عديدة زعم القاشاني أن الملائكة ليست ذوات، وإنما هي صفات للذات الإلهية، والصفات عنده عين الذات، فلا تعدد ولا غيرية .

ولا شك أن هذا القول وهذا المعتقد أقبح من كفر البيانية الحلولية وزيغهم وضلالهم، لأن البيانية قالوا بحلول جزء من الذات الإلهية في آدم ﷺ. أما ابن الفارض ومن وافقه فقد جعلوا الذات الإلهية والملائكة وآدم وابن الفارض بل الخلق كله ذاتا واحدة؛ وليس عندهم وجود منفصل للذات الإلهية عن الخلق، ولا للخلق عن الخالق . وقد تقدم بيان بطلان القول بحلول جزء من الروح الإلهية في آدم ﷺ من عدة وجوه فهي تدل على بطلان هذا القول من باب أولى [4].

فيها كفرا بواحا وزندقة صريحة والله المستعان . انظر ترجمته ونماذج من كلامه الدال على اعتقاده وحدة الوجود في (لسان الميزان ٤/٣١٧-٣١٩ ، في ترجمته)؛ وهذه هي الصوفية (ص : ٢٤-٣٣ ، ٩٧-٩٨) .

(١) انظر : أقوال القائلين بوحدة الوجود مع بيان بطلانها في كتاب " هذه هي الصوفية " (ص : ٢٢-٦٨) .

(٢) ديوان عمر ابن الفارض (التائية الكبرى المسماة بنظم السلوك ، ص : ٦٣) .

(٣) كشف الوجوه الغر (٢/٨٩) على هامش شرح الديوان، نقلا من كتاب : هذه هي الصوفية (ص : ٣٣).

(٤) انظر : (ص : ١١٢-١١٧) .

وبالإضافة إلى ما سبق تضاف هنا وجوه أخر تدل على بطلان هذا القول وفسادِ هذا المعتقد، وهي كما يلي :

الأول : إن الناظر في قصة آدم ﷺ التي حكاها الله تعالى في كتابه الكريم وبينه رسوله الأمين في أحاديثه الكريمة يجد أن هناك آمرا بالسجود، وهو الله سبحانه وتعالى. وهناك مسجود له وهو آدم ﷺ. وهناك ساجدون، وهم جميع الملائكة الذين لا يعلم عددهم إلا الله. وهناك من امتنع من السجود، وهو إبليس . فكيف يصح أن يقال أن الآمر بالسجود، والمسجود له، والساجدين الذين لا يعلم عددهم إلا الله، والممتنع عن السجود هؤلاء كلهم واحد؟. وكيف يصح أن يقال أنه ليس لأحد منهم وجود منفصل عن الآخر ؟ وهل يصح أن يقال أن آدمﷺ والملائكة وإبليس كلهم أُمَروا بالسجود لآدم ﷺ كما أمر الله تعالى بذلك، وأن كلهم كانوا مأمورين بالسجود لآدم ﷺ، وأن كلهم سجدوا له، وأن كلهم امتنعوا عن السجود ؟ ألا يتناقض هذا مع بداهة العقول ؟

الثاني : كذلك هناك زوجة آدم ﷺ وهي حواء عليهما السلام . وقد جعل الله لهما ذرية كثيرة، وهم ما زالوا يولدون إلى الآن، وسيبقون يولدون إلى يوم القيامة . فكيف يصح أن يقال : أن الكل واحد، وأنه ليس هناك غير واحد في الوجود مع أن التوالد والتكاثر ما زال مستمرا في بني آدم، وسيبقى مستمرا إلى يوم القيامة ؟

الثالث : إن ابن الفارض الذي ادعى بهذه الدعوى الخبيثة قد خلق من أبوين في الربع الأخير من القرن السادس من الهجرة النبوية، وبالتحديد ولد في ذي القعدة سنة ست وسبعين وخمس مائة بالقاهرة [1]. فهو جاء بعد وفاة آدم ﷺ بآلاف كثيرة من السنين. فكيف يصح أن يقال أن الملائكة لما سجدت لآدم ﷺ كان ذلك السجود لمظهر ابن الفارض وذاته مع أنه لم يكن لابن الفارض ولا لأحد من بني آدم وجود في ذلك الوقت أصلا ؟ .

الرابع : إذا كان ابن الفارض هو عين الرب الرازق الخالق المعبود، وأنه هو الذي به حياة الأحياء ... فهل العالم بأرضه وسمائه وما بينهما كان موجودا قبل أن يخلق ابن فارض أم لا ؟ ولا شك أنه لا يقول عاقل أن العالم وجد بوجود ابن فارض، وأنه لم يكن

---

(١) انظر : لسان الميزان (٣١٧/٤ برقم : ١٠٠٣) .

للعالم وجود قبله بل العالم موجود قبل أن يخلق ابن فارض بآلاف كثيرة من السنين التي لا يعـــلم عددهـــا إلا الله تعـــالى . فمن خلق هذا العالم كله ودبره وصيره قبل أن يخلق ابن الفارض في الدنيا ؟ ومن خلق أبويه اللذين ربياه صغيرا ؟ فهل يصح أن يصدق دعوى من يدعي الألوهية، وهو مخلوق عن طريق الأبوين من البشر، وقد بقي شهورا وهو جنين في بطن أمه ؟ ثم خلق ضعيفا عاجزا لا يعلم شيئا ...؟ كلا وألف كلا .

الخـــامس : ثم إن ابن فارض مات سنة اثنين وثلاثين وستمائة من الهجرة .فهل مات إلَــه هــؤلاء المدعيين المفترين الكذابين من الاتحادية بموت ابن فارض ومن وافقه في هذه الدعــوى الخبيثة ؟ وهل انتهى العالم وذهب الوجود كله بموته من الدنيا ؟ وهل لا يوجد الآن وجـــود للدنيا ومن فيها ؟ وأهم من ذلك كله هل يموت الإله ويهلك ؟ ومن يموت ويفنى ويهلك هل يستحق أن يكون إلها ؟ فاعتبروا يا أولي الأبصار .

السادس : وأما قول القاشاني أن الملائكة صفة من صفاتي فهذا معلوم بطلانه وفساده فإن الملائكـــة ليسوا أعراضا وصفات للذات الإلهية بل هم خلق من خلق الله تعالى، أحياء ناطقون، لهم ذوات قائمة بأنفسها، موصوفون بصفات حميدة، وقائمون بوظائف وأعمال جليلة .

السابع : يمكن أن يقال لهم : من أين علمتم وأخذتم معلوماتكم هذه التي تتناقض مع الشرع تناقضا بينا ؟ فإن ما في الشرع جاء عن طريق الوحي من الله إلى الأنبياء – عليهم السلام – وقد جاءوا بالأدلة والبراهين والمعجزات الدالة على صدقهم . وأما ما ادعيـــتموه فلا بد أن تبينوا مصدره فإن العقل لا يستطيع أن يتوصل إلى ما ذكرتموه . فهـــل أوحـــى الله تعالى إليكم كما أوحى إلى أنبيائه ورسله من قبل ؟ وأين الأدلة والبراهين والمعجزات التي تدل على صدقكم في دعواكم ؟

ولا شك أنه لا يوجد شيء من ذلك سوى الدعاوى الكاذبة التي يفترون بها على الله تعالى من عند أنفسهم. وليس بإمكانهم أن يقيموا عليها برهانا شرعيا ولا عقليا . فهم ممن قال الله فيهم : ﴿ ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ﴾[1] ﴿ ومن الناس من

---

(١) القصص الآية : ٥٠

يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير ﴾[1] ﴿ فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا ليضل الناس بغير علم ﴾[2] .

الثامن : إن هذا القول نابع من الاعتقاد بوحدة الوجود. والقول بوحدة الوجود معـــلوم بطلانه بالضرورة، وزعمهم أن الملائكة سجدوا لمظهر ابن الفارض وذاته فرع مـــن فـــروع تلك العقيدة الباطلة . فإذا كان أساس القول وأصله باطلا فلا شك في بطلان ما بني عليه وتفرع منه؛ فإنك لا تجني من الشوك العنب، والله أعلم بالصواب .

القـــول السادس : إن سجود الملائكة لم يكن لآدم ﷺ بل كان لله تعالى. وإنما جعل آدم ﷺ قبلة لهم، كما جعلت الكعبة قبلة لنا في سجودنا وصلاتنا . وذلك لأن الســـجود لغير الله محرم في جميع الأديان والشرائع بل كفر، ولأنه لم يسبق لآدم ﷺ ما يوجب الإكرام له بالسجود .

وهـــذا القـــول ذكـــره جماعة من المفسرين[3]، واختاره ابن العربي[4]، وإليه جنح القرطبي[5]، وعده شيخ الإسلام ابن تيمية من أقوال بعض الأغبياء وهذيانهم من المعتزلة، ومـــن تبعهم من متأخري الأشاعرة، وبعض من ينتسب إلى السنة[6]، وذكرابن مفلح[7] والقاسمي[8] والشيخ محمد سيد طنطاوي أنه من قول المعتزلة[9].

---

(١) الحج الآية : ٨

(٢) الأنعام الآية :١٤٤

(٣) انظـــر : أحكـــام القرآن للجصاص (٣٧/١)؛ والتفسير الكبير (٢١٢/٢)؛ وإرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (٨٧/١)؛ وفتح القدير (٦٦/١) .

(٤) انظـــر : أحكـــام القرآن لابن العربي (١٦/١)، وابن العربي هو القاضي أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد المالكي، إمام حافظ صاحب التصانيف، توفي سنة ٥٤٣هـــ . انظر : سير أعلام النبلاء (١٩٧/٢٠- ٢٠٤).

(٥) انظر : الجامع لأحكام القرآن (٢٩٢/١) .

(٦) انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٣٥٦/٤ و ٣٥٨ و ٣٦١) .

(٧) انظر : مصائب الإنسان من مكائد الشيطان (ص : ٣٦)، وابن مفلح هو إبراهيم بن محمد بن مفلح بن محمد المقدسي، عالم فقيه، توفي سنة ٨٠٣هـــ . انظر : معجم المؤلفين (١٠٧/١) .

(٨) انظـــر : محاســـن التأويل (١٠١/٢-١٠٢)، القاسمي هو جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم القاسمي، عالم مشارك في أنواع من العلوم، توفي سنة ١٣٣٢هـــ . انظر : معجم المؤلفين (١٥٧/٣-١٥٨) .

(٩) انظر : التفسير الوسيط للقرآن الكريم لمحمد الطنطاوي وهو من شيوخ الأزهر في مصر (٩٨/١) .

وهذا القول باطل؛ وبيان ذلك من وجوه، وهي كما يلي :

أحدهـــا : إن سجود الملائكة كان لآدم عليه السلام بأمر من الله تعالى وفرضه عليهم . وقد أجمع على ذلك كل من يسمع قوله ويعتد به [1].

الثاني : قال تعالى مخاطبا لملائكته : ﴿ فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين ﴾

وقال تعالى : ﴿ اسجدوا لآدم ﴾. ولم يقل : {فقعوا إليه ساجدين أو اسجدوا إلى آدم }، وكل حرف له معنى، ومن التمييز في اللسان أن يقـــال : سجدت له، وسجدت إليه .

وقد أجمع المسلمون على أن السجود لغير الله محرم . وكذلك قد ثبت أن النبي ﷺ كـــان يصلي إلى بيت المقدس ثم صلى إلى الكعبة إلى آخر حياته، وأنه كان يصلى إلى عترة، وإلى عمود، وإلى شجرة . ولا يصح أن يقال أنه ﷺ كان يصلي لبيت المقدس أو للكعبة أو للعترة، أو للعمود أو للشجرة [2].

الـــثالث : إن إبـــليس لم يمتـــنع من السجود لآدم عليه السلام إلا لأنه رأي فيه تكريما وتعظـــيما وتشريفا لآدم عليه السلام. ويدل على ذلك قول إبليس فيما حكى الله عنه حيث قـــال جل وعلا : ﴿ أأسجد لمن خلقت طينا * قال أرأيتك هذا الذي كرمت علي ﴾ [3]. فلو كـــان آدم عليه السلام قبـــلة لم يمتنع إبليس من السجود له . فإن القبلة قد تكون أحجارا، وليـــس في ذلك تفضيل لها على المصلين إليها . وقد يصلى الرجل إلى عترة وبعير، ولا يـــتوهم أنه مفضل بذلك. فهذا يدل على أن الشيطان إنما فر من تكريم الله لآدم عليه السلام وتشريفه له بذلك السجود [4].

الـــرابع : إنه لو جعل آدم عليه السلام قبلة في سجدة واحدة لكانت القبلة وبيت المقدس

---

(1) انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٣٥٨/٤) .

(2) انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٣٥٨/٤)، وانظر أيضا : التفسير الكبير (٢١٢/٢)؛ واللباب في علوم الكتاب (٥٢٩/١) .

(3) الإسراء الآيتان : ٦١-٦٢

(4) انظر : أحكام القرآن للجصاص (٣٧/١-٣٨)؛ والتفسير الكبير (/٢١٢)؛ ومجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٣٥٩/٤)؛ وتفسير القرآن العظيم (٧٨/١)؛ واللباب في علوم الكتاب (٥٢٩/١) .

أفضل منه بآلاف كثيرة؛ إذ جعلت قبلة دائمة في جميع أنواع الصلوات [1].

الخامس : هذه القصة الطويلة التي قد جعلت علما له؛ ومن أفضل النعم عليه، والله سبحانه وتعالى قد رفعه بها وامتن عليه ليس فيها أكثر من أنه جعله قبلة كالكعبة في بعض الأوقات! مع أن بعض ما أوتيه من الإيمان والعلم والقرب من الرحمن أفضل بكثير من الكعبة؛ والكعبة إنما وضعت له ولذريته؛ أفيجعل من جسيم النعم عليه أو يشبه به في شيء نزر قليل جدا ؟ !! هذا مالا يقوله عاقل البتة [2].

وأما قولهم : لا يجوز السجود لغير الله : فيقال لهم أولا : التحليل والتحريم بيد الله تعالى؛ فالحلال ما أحله الله، والحرام ما حرمه الله . فكيف يكون سجود الملائكة لآدم عليه السلام حراما، والله سبحانه تعالى هو الذي أمرهم بالسجود له ؟ [3].

ثانيا : نفي السجود عن الملائكة لآدم عليه السلام بحجة أنه لا يجوز السجود لغير الله غير صحيح؛ لأن القول بعدم جواز السجود لغير الله كلمة عامة تنفي بعمومها جواز السجود لغير الله من آدم عليه السلام وغيره من المخلوق . ولكن هناك أدلة خاصة تدل على أن الملائكة سجدوا لآدم عليه السلام بأمر من الله تعالى لهم بذلك . وقد تقرر في الأصول أن الدليل العام إذا عارضه الدليل الخاص؛ فإنه يقضى بالخاص على العام. وذلك جمعا بين الدليلين وعملا بهما؛ فإن العمل بهما أولى من إهمالهما أو إهمال أحدهما [4] .

فالأصل العام أنه لا يجوز السجود من مخلوق إلا لله تعالى ولكن الملائكة سجدوا لآدم عليه السلام بأمر خاص من الله تعالى وفرضه عليهم. وعلى هذا فلا إشكال في ذلك [5].

ثالثا : قال تعالى عن أبوي يوسف وإخوته : ﴿ وخروا له سجدا ﴾ [6]. قال قتادة في تفسير الآية : (كانت تحية من قبلكم، كان بها يحيي بعضهم بعضا، فأعطى الله هذه

---

(1) انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٣٥٩/٤) .

(2) انظر : المصدر السابق نفسه .

(3) انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٣٦٠/٤) .

(4) انظر : الواضح في أصول الفقه (٤٣٤/٣-٤٣٨)؛ وشرح مختصر الروضة (٧٣٣/٣ و ٧٣٨) .

(5) انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٣٥٩/٤) .

(6) يوسف الآية : ١٠٠

الأمة السلام، تحية أهل الجنة، كرامة من الله تبارك وتعالى، عجلها لهم ونعمة منه) [1].
فإذا كان سجود بعضهم لبعض تحيتهم فيما بينهم فكيف يقال إن السجود كان محرما على الإطلاق ؟ [2].

رابعـــا : يتـــبين من قول قتادة وغيره من المفسرين أن السجود كان جائزا في الأمم السابقة على سبيل التحية والتعظيم فيما بينهم . ولكنها نسخت في الأمة المحمدية، وأصبح السـجود خاصـا بـالله تعالى وحده لا شريك له. فلا يستشكل الناسخ بالمنسوخ إذ لا تعارض بينهما لعدم اجتماعهما في وقت واحد [3].

خامسا : لقد ثبت أن البهائم كانت تسجد للنبي ﷺ [4]، والبهائم مسخرة لأمر الله الكـوني؛ فـليس عـندها شرك بالله تعالى بل هي ماشية على خطها المستقيم في صلاتها وتسـبيحها لله تعالى من غير إلحاد فيها ولا انحراف عنها . فلو كان السجود لشيء يعني عبادته ما كان لهذه البهائم أن تسجد للنبي ﷺ [5].

سادســا : إن الخضـوع والقنوت بالقلوب والاعتراف بالربوبية والعبودية، فهذا لا يكون على الإطلاق إلا لله سبحانه وتعالى وحده، وهو في غيره ممتنع باطل .

وأمـا السـجود فشريعة من الشرائع لأن الله تعالى أمرنا أن نسجد له. ولو لم يفرضه سبحانه علينا لم يجب فعله علينا البتة . ولو أمرنا الله أن نسجد لأحد من خلقه غـيرَه لسجدنا لذلك الغير طاعة لله، وقربة إليه، وعبودية له سبحانه وتعالى. فكذلك سـجود الملائكة لآدم عليه السلام عبادة لله وطاعة له وقربة تقربوا بها إليه سبحانه. وهو في الوقت نفسه تشريف وتكريم وتعظيم لآدم عليه السلام. والله سبحانه وتعالى يكرم من يشاء

---

(1) أخرجه ابن جرير الطبري (٦٨/١٣، يوسف : ١٠٠)، وصحح إسناده الحافظ ابن حجر في فتح الباري (٣٧٦/١٢)، وحسنه الشيخ حكمت بشير – حفظه الله – في التفسير الصحيح (٩٨/٣) .

(2) انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٣٦٠/٤) .

(3) انظـر : أحكـام القـرآن للجصاص (٣٧/١-٣٨)؛ وتهذيب اللغة (٥٧١/١٠، مادة : سجد)؛ والجامع لأحكام القرآن (٢٩٣/١)؛ وتفسير القرآن العظيم (٧٧/١ و ٤٩١/٢)؛ والتحرير والتنوير من التفسير (٤٢٢/١)؛ وفتح القدير (٦٦/١)؛ وفتح البيان (١٣١/١) .

(4) انظر : جملة من الأحاديث النبوية الدالة على سجود البهائم للنبي ﷺ في (ص : ٣٥٤-٣٥٦) .

(5) انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٣٦٠/٤) .

من خلقه بما يشاء كيف يشاء [1].

وأما قول بعضهم : لم يسبق لآدم ما يوجب إكرامه بالسجود له : فهذا لغو من القول، هذى به بعض من اعتزل الجماعة، وجانب الصواب في المسألة؛ فإن نعم الله تعالى وأياديه وآلاءه على عباده ليست بسبب منهم بل كلها فضل وكرم منه سبحانه وتعالى . ولو كانت بسبب منهم فهو المنعم بذلك السبب عليهم. فهو المنعم بها على عباده أولا وآخرا . فله الشكر كله على ما أنعم. ونسأله سبحانه المزيد من نعمه وفضله وكرمه [2].

القول السابع : سجود الملائكة لآدم ﷺ يعني مجرد الخضوع والتذلل والاعتراف بالفضل لآدم ﷺ .

وسيأتي ذكر هذا القول، ومن ذكره، والرد عليه عند الكلام عن كيفية سجود الملائكة لآدم ﷺ إن شاء الله تعالى، والله الموفق والهادي إلى سواء الصراط [3].

القول الثامن : إن الملائكة سجدوا لآدم ﷺ بأمر من الله سبحانه وتعالى وفرضه عليهم؛ فسجودهم كان طاعة لله وقربة إليه وعبادة له سبحانه وتعالى، وكان في الوقت نفسه تكريما وتشريفا وتعظيما لآدم ﷺ. والله سبحانه وتعالى يكرم من خلقه من يشاء بما يشاء كيف يشاء؛ فله الأمر كله، وله الحكم كله، ويفعل ما يريد [4].

قال قتادة في قوله تعالى : ﴿ وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم . . . ﴾ : (فكانت الطاعة لله، والسجدة لآدم ﷺ، أكرم الله آدم أن أسجد له ملائكته) [5] .

وهذا قول الجمهور [6]، وهو محكي عن جماعة من السلف [1]، وبه قال ابن جرير

---

(1) انظر : المصدر السابق نفسه .

(2) انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٣٦١/٤) .

(3) انظر : (ص : ٣٣٥-٣٣٧) .

(4) انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٣٦٠/٤)؛ وقصص الأنبياء للسعدي (ص : ١٥)؛ ومرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح لأبي الحسن عبيد الله المباركفوري (١٦١/١) .

(5) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٢٢٩/١)، وصحح إسناده الحافظ ابن حجر في (فتح الباري ٣٧٦/١٢)، وحسنه شيخنا حكمت بشير – حفظه الله – في (التفسير الصحيح ١٤٠/١) .

(6) انظر : تفسير البحر المحيط (٣٠٢/١) .

الطـــبري، واخـــتاره أبـــو بكر الجصاص [٢] والرازي والبغوي وشيخ الإسلام ابن تيمية والحافظ ابن كثير [٣] وغيرهم [٤].

وهذا القول هو الصواب لموافقته للكتاب والسنة وأقوال السلف، ولأنه أنسب وأليق بالمقام الذي هو إظهار الفضل لآدم عليه السلام؛ فهو أكثر دلالة على تعظيم آدم عليه السلام وتشريفه وتكريمه، والله أعلم بالصواب .

---

(١) انظر : الجواهر الحسان في تفسير القرآن (٢١٥/١)؛ وتفسير البحر المحيط (٣٠٢/١)؛ والدر المنثور (١٢٣/١) .

(٢) أحمد بن علي الرازي الجصاص، من كبار الأحناف، قيل : كان يميل إلى الاعتزال، توفي سنة ٣٧٠هـ . انظر : سير أعلام النبلاء (٣٤٠/١٦) .

(٣) انظر بالترتيب :جامع البيان للطبري (٢٢٨/١)؛ وأحكام القرآن للجصاص (٣٧/١)؛ والتفسير الكبير (٢١٢/٢-٢١٣)؛ ومعـــالم التنزيل (٦٢/١)؛ ومجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٣٦٠/٤)؛ تفسير القرآن العظيم (٧٧/١-٧٨)؛ والبداية والنهاية (٦٥/٢) .

(٤) انظـــر : فتح القدير (٦٦/١ و ٢٩٢/٣)؛ وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص : ٤١)؛ تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن (٣٢١/٨) ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفات السعدي .

كيفية سجود الملائكة لآدم عليه السلام :

إن كيفية سجود الملائكة لآدم عليه السلام اختلفت فيها أقوال المفسرين، وفيما يلي ذكرها مع بيان ما لها وما عليها، وبالله التوفيق .

القول الأول : كان سجود الملائكة إيماء . هذا القول مروي عن محمد بن عباد بن جعفر المخزومي [1].

وهذا القول غير صحيح، وبيان ذلك من وجوه، و هي كما يلي :

أولا : أن هذا الأثر لم يصح إسناده إلى قائله لأن فيه راويا اسمه عبد الله بن المؤمل المخزومي المكي، وهو ضعيف، كما قال أئمة الجرح والتعديل [2].

فهذا القول المنسوب إلى محمد بن عباد المخزومي غير ثابت عنه؛ فلا عبرة برواية لم يصح سندها إلى قائلها، ولا التفات إلى قول لم يثبت عن المحكي عنه .

ثانيا : ليس هناك دليل يدل على أن سجود الملائكة لآدم عليه السلام كان إيماء .

ثالثا : هذا خلاف ظاهر القرآن الكريم كما سيأتي بيانه .

رابعا : هذا خلاف لما هو معروف في اللغة العربية كما تقدم [3].

خامسا : هذا مخالف لما عليه جمهور المفسرين كما سيأتي .

القول الثاني : سجود الملائكة لآدم عليه السلام يعني مجرد الخضوع والتذلل والانقياد والاعتراف بالفضل له من غير أن يكون هناك سجود بوضع الجبهة على الأرض . ذكره

---

(1) أخرجه عنه أبو الشيخ في العظمة (١٥٦٢/٥ برقم : ١٠٢٩)؛ ومحمد بن عباد بن جعفر بن رفاعة المخزومي المكي، روى عن جماعة من الصحابة، ثقة، أخرج له الجماعة . انظر : تهذيب الكمال (٤٣٣/٢٥ برقم : ٥٣٢٠) .

(2) انظر : الضعفاء والمتروكون للنسائي (ص : ١٤١ برقم : ٣٣١)؛ والجرح والتعديل (١٧٥/٥ برقم : ٨٢١)؛ والضعفاء والمتروكون لابن الجوزي (١٣٧/٢ برقم : ٢٠٩٧)؛ وميزان الاعتدال (٥١٠/٢-٥١١ برقم : ٤٦٣٧)؛ والمغني في الضعفاء (٣٥٩/١ برقم : ٣٣٩٠)؛ وتهذيب التهذيب (٢٧٩/٣ برقم : ٤١٣٥)؛ وتقريب التهذيب (ص : ٣٢٥ برقم : ٣٦٤٨) .

(3) انظر : (ص : ٣١٤-٣١٥) .

الـــرازي وابن كثير وابن عادل الدمشقي [1] والشوكاني وصديق حسن خان ولكنهم لم يرضوا به بل ضعفوه[2]. واختاره بعض المتأخرين [3].

وقـــريب مـــن هذا القول ما ذكره ابن الجوزي[4]، وقاله الواحدي [5] وجلال الدين المحلي [6]وجلال الدين السيوطي [7]، والبغوي [8] وغيرهم [9] من أن سجود الملائكة لآدم عليه السلام كان بالميل والانحناء له .

وهذا القول فيه نظر؛ فإنه لا شك أن من معاني السجود في اللغة العربية الخضوع والـتذلل والانقيـــاد والانحناء كما قال أئمة اللغة إلا أن قصر سجود الملائكة على ما ذكروه يخالف ظاهر القرآن الكريم؛ أي : قولـــه تعالى : ﴿ فقعوا له ساجدين ﴾ . وهذا أمـــر من وقع يقع وقوعا، وهو الخرور والسقوط . ففيه دليل على أن المأمور به ليس مجرد الانحناء أو مجرد الخضوع والتذلل كما قيل، بل معناه اسقطوا له ساجدين [10].

(1) عمر بن علي بن عادل النعماني الدمشقي، مفسر، توفي بعد سنة ٨٨٠هـــ . انظر : معجم المؤلفين (٧/ ٣٠٠) .

(٢) انظر بالترتيب : التفسير الكبير (٢/ ٢١٣)؛ و تفسير القرآن العظيم (١/ ٧٨)؛ واللباب في علوم الكتاب (١/ ٥٢٩)؛ وفتح القدير (١/ ٦٦)؛ وفتح البيان (١/ ١٣١) .

(٣) مثل البهي الخولي في كتابه : آدم عليه السلام (ص : ٧٦-٧٧)؛ والدكتور محمد الطيب النجار في كتابه : تاريخ الأنبياء في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية (ص : ٥١-٥٢) .

(4) انظر : زاد المسير (١/ ٦٤) .

(5) انظر : الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (١/ ١٠٠)، والواحدي هو علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي النيسابوري الشافعي، وكان إماما في اللغة والتفسير، توفي سنة ٤٦٨هـــ . انظر : سير أعلام النبلاء (١٨/ ٣٣٩-٣٤٢) .

(٦) انظـــر : تفســـير الجلالين (ص : ٤٥٨، سورة ص : ٧٢) والمحلي هو محمد بن أحمد بن محمد المحلي، عالم مشارك في أنواع من العلوم، توفي سنة ٨٦٤هـــ. انظر : معجم المؤلفين (٨/ ٣١١-٣١٢) .

(7) انظر : تفسير الجلالين (ص : ٦ ، البقرة : ٣٤ و ص : ٢٦٣ ، الحجر : ٢٩)، والسيوطي هو عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن أبي بكر السيوطي، عالم كبير مفسر صاحب تصانيف كثيرة في علوم متنوعة، توفي سنة ٩١١هـــ . انظر : معجم المؤلفين (٥/ ١٢٨) .

(8) انظر : معالم التنزيل (١/ ٦٢) .

(٩) انظر : مع الأنبياء في القرآن الكريم لمؤلفه : عفيف عبد الفتاح طبارة (ص : ٣٦) .

(10) انظر : إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (٥/ ٧٥ و ٧/ ٢٣٦)؛ وفتح القدير (٣/ ١٣٠)؛ وروح ←

وذلك لا يكون إلا بوضع الوجه على الأرض، وهذا هو المعنى للسجود في العرف الشـــرعي [1]، ثم إن الســـجود غايته يكون بوضع الجبهة على الأرض كما ذكر أئمة اللغة؛ فالقول بأن سجود الملائكة لآدم عليه السلام كان بالانحناء أو بالخضوع المجرد له قول يخـــالف ظاهـــر القرآن الكريم، ويخالف العرف الشرعي لمعنى السجود، وأيضا قصر للكلمة ؛ أي : السجود على بعض معانيها من غير دليل، و بهذا يتبين عدم صحة هذا القول وبطلانه، والله أعلم بالصواب .

القـــول الثالث : إن الملائكة خروا على وجوههم ساجدين لآدم عليه السلام امتثالا بأمر ربهم فكان سجودهم لآدم عليه السلام بوضع الجبهة على الأرض مثل سجود بني آدم في الصلاة. وهذا القول ذهب إليه جمهور المفسرين [2].

هذا هو القول الذي يتفق مع ظاهر الكتاب العزيز، ومع العرف الشرعي كما تقدم . ويؤيده ما رواه الإمام مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا قرأ ابـــن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي يقول : يا ويلي ! أمر ابن آدم بالسجود فسجد؛ فله الجنة. وأمرت بالسجود فأبيت؛ فلي النار [3].

ولا شـــك أن سجود بني آدم عند آيات السجود القرآنية يكون بوضع الجبهة على الأرض، وذلك هو أقصى معاني السجود وغايته [4].

ثم إن حمل سجود الملائكة لآدم عليه السلام على أقصى معاني السجود اللغوية أي : وضع الجبهة على الأرض أكثر دلالة على تعظيم آدم عليه السلام، وأنسب بأحوال الملائكة الذين من صفاتهم أنهم

المعاني (٢٢٤/٢٣)؛ وفتح البيان (١٦٥/٧) .

(١) انظر : التفسير الكبير (٢١٣/٢) .

(٢) انظر : زاد المسير (٦٤/١)؛ ومدارك التنزيل وحقائق التأويل (٨٠/١)؛ وغرائب القرآن ورغائب الفرقان للنيسابوري (٢٦١/١)؛ وفتح القدير (٦٦/١)؛ وفتح البيان (١٣١/١)؛ واللباب في علوم الكتاب (٥٢٩/١)؛ ومرعاة المفاتيح (١/ ١٦١)؛ وصفوة الآثار والمفاهيم من تفسير القرآن العظيم (٨٣/١-٨٤)؛ وأوضح التفاسير (ص : ٨) .

(٣) أخرجه م (الإيمان، ب : بيان إطلاق اسم الكفر على من ترك الصلاة ٨٧/١ ح : ٨١) .

(٤) انظر : مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح للمباركفوري (١٦١/١) .

﴿ لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ﴾[1]؛ فالقول بأن الملائكة خروا على وجوههم ساجدين لآدم عليه السلام امتثالا بأمر ربهم هو الصحيح من الأقوال، والله أعلم بالصواب .

ولكـــن هـــل سجد لآدم عليه السلام جميع الملائكة أم بعضهم ؟ وهذا سيأتي الكلام عنه في المبحث القادم بإذن الله تعالى .

---

(1) تحريم الآية : ٦

المبحث الثاني : الملائكة الذين سجدوا لآدم عليه السلام .

لقد عرفنا فيما مضى من السطور أن الله سبحانه وتعالى أكرم أبا البشر آدم عليه السلام بأن أسجد له ملائكته، وأن الملائكة خروا ساجدين له امتثالا لأمر ربهم سبحانه وتعالى ولكن مـــن هم الملائكة الذين سجدوا لآدم عليه السلام فهل أمر بالسجود له كلهم أم بعضهم ؟ فقد اختـــلفت أقوال أهل العلم في ذلك، ويمكن تلخيصها في قولين، وفيما يلي ذكرهما، وبيان الراجح منهما، والله الموفق .

القول الأول : لم يسجد لآدم عليه السلام جميع الملائكة، وإنما سجد له طائفة منهم. وهذه الطائفة من الملائكة التي سجدت لآدم عليه السلام فيها أقوال :

فقيل : هم ملائكة الأرض دون ملائكة السماء . وهذا القول محكي عن ابن عباس(١) وأبي العالية (٢) .

وقيل : إنما أسجد الله لآدم عليه السلام ملائكته الذين كانوا في السماء الدنيا دون ملائكة السماوات . هذه القول محكي عن ابن جريج (٣).

وقال أبو حامد الغزالي : الملائكة الأرضية الموكلة بجنس الإنس هي التي سجدت لآدم عليه السلام، ولم يسجد له الملائكة السماوية، ولا سيما أعلاهم والمقربون منهم الذين لا التفات لهم إلى غير الله تعالى لاستغراقهم بجمال الحضرة الربوبية وجلالها (٤).

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١/٢٠١-٢٠٢ و ١٣١/٨) بإسناده إليه، فقال : ثنا أبو كريب، ثنا عثمان بن سعيد، ثنا بشر بن عمارة، عن أبي روق، عن الضحاك، عن ابن عباس من قوله في حديث طويل، وذكره عنه غير واحد كالقاضي بدر الدين في (آكام المرجان ص ١٩٨)؛ و ابن كثير في تفسيره (١/٧٥-٧٦)؛ وفي (البداية والنهاية ٧٣/١) ولكن هذا الأثر غير ثابت عن ابن عباس – رضي الله عنهما – فإنه من أضعف طرق التفسير إليه، وسيأتي الكلام عليه إن شاء الله .

(٢) أخـــرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٢١/١ برقم : ٣٦٢) من طريق أبي جعفر، عن الربيع، عن أبي العالية من قوله . قال صاحب التفسير الصحيح (١٣٩/١) عن هذا الإسناد بأنه " إسناد جيد " ولكن هذا الحكم لا يخلو من النظر فيه، ولا سيما هذا الأثر، وسيأتي بيان ذلك إن شاء الله . وأما أبو العالية فهو رُفَيع، بالتصغير، ابن مِهران الرِّياحي، تابعي كبير، أدرك الجاهلية وأسلم بعد وفاة النبي ﷺ بسنتين، مجمع على ثقته إلا أنه كان يرسل كثيرا ، توفي سنة ٩٠هـــ وقيل : سنة ٩٣هـــ وقيل بعد ذلك . انظر : سير أعلام النبلاء (٤/٢٠٧-٢١٣) .

(٣) سبق تخريجه والكلام عليه في (ص : ٩٣-٩٥) .

(٤) انظر : جواهر القرآن (ص : ٢٧) .

وقد استَدَل لذلك بما روي منسوبا إلى رسول الله ﷺ أنه قال : إن لله أرضا بيضاء مسيرة الشمس فيها ثلاثون يومًا مثل أيام الدنيا ثلاثين مرة، مشحونة خلقا لا يعلمون أن الله تعالى يعصى في الأرض، قالوا : يا رسول الله ! من ولد آدم ؟ قال : لا يعلمون أن الله خلق آدم . قالوا : يا رسول الله ! فأين إبليس منهم ؟ قال : لا يعلمون أن الله خلق إبليس . رواه ابن عباس رضي الله عنهما [(١)].

وقال الآلوسي عن الملائكة الذين سجدوا لآدم عليه السلام : والذي عليه السادة الصوفية [(٢)] أنهم ما عدا العالين؛ فإنهم لم يكونوا داخلين في الخطاب ولا مأمورين بالسجود؛ لاستغراقهم وعدم شعورهم بسوى الذات. وقوله تعالى : ﴿أستكبرت أم كنت من العالين﴾ [(٣)] يشير إلى ذلك عندهم [(٤)].

فهذه الأقوال تدل على أن آدم عليه السلام لم يسجد له جميع الملائكة، وإنما سجد له طائفة منهم ولكن لا يمكن الاعتماد عليها؛ فإنها باطلة، وبيان ذلك من وجوه، وهي كما يلي :

أولها : الآثار المروية لم تصح أسانيدها عمن حكيت عنهم ونسبت إليهم .

١- الأثر المنسوب إلى ابن عباس — رضي الله عنهما — .

قال عنه القاضي بدرالدين : (هذا الذي ذكره ابن جرير فيه انقطاع، وفي السياق نكارة) [(٥)].

وقال الحافظ ابن كثير : (هذا سياق غريب، وفيه أشياء فيها نظر يطول مناقشتها) [(٦)]

وقال أيضا : (رواه ابن جرير من طريق الضحاك عن ابن عباس، وفيه انقطاع، وفي السياق نكارة) [(٧)].

---

(١) ذكره أبو حامد الغزالي في (جواهر القرآن ص : ٢١)؛ والديلمي في (الفردوس بمأثور الخطاب ١/١٨٩ ح : ٧٠٨)؛ والقرطبي في تفسيره (١٠/٨٠ ، النحل : ٨)؛ والزبيدي في (إتحاف السادة المتقين ١٠/١٦٢) كلهم من غير إسناد . وقد ورد حديث مسند مرفوع بهذا المعنى أخرجه أبو الشيخ في العظمة (٤/١٤٤٠ ح : ٩٥١) بإسناده إلى أبي هريرة ﷺ مرفوعا ولكنْ في إسناده راو متروكٌ، و هو مسلمة بن علي الخُشَني كما في تهذيب التهذيب (٥/٤٣٩-٤٤٠ برقم : ٧٧٥٨)، وكذلك فيه راو آخر، وهو عبد الرحمن الخُراساني لم يعرف من هو ولم يعثر له على ترجمة كما قال محقق الكتاب، ولذلك قال عن الحديث : ضعيف جدا . وهو كما قال .

(٢) ظهرت التصوف في القرن الثالث الهجري كنزعات فردية تدعو إلى الزهد وشدة العبادة تعبيرا عن فعل مضاد للانغماس في الترف الحضاري ثم تطورت تلك النزعات حتى صارت طرقا كثيرة مع التأثر بالأفكار الهندوسية والبوذية والفارسية واليونانية والمسيحية وغيرها إلى أن وصل غلاتهم إلى القول بالحلول والاتحاد والفناء وما إلى ذلك . انظر : الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة (١/٢٤٩-٢٧٠)؛ وفرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام (٢/٧٤٢) .

(٣) ص الآية : ٧٥

(٤) انظر : روح المعاني (١/٢٢٠) .

(٥) آكام المرجان في غرائب الأخبار وأحكام الجان (ص : ١٩٨)، والقاضي هو محمد بن عبد الله الشبلي، الحنفي، فقيه محدث مؤرخ أديب، توفي سنة ٧٦٩هـ . انظر : معجم المؤلفين (١٠/٢١٩) .

(٦) تفسير القرآن العظيم (١/٧٦) .

(٧) البداية والنهاية (١/٧٣) .

وقـــال السيوطي : (طريق الضحاك بن مزاحم عن ابن عباس منقطعة؛ فإن الضحاك لم يلقه. فإن انضم إلى ذلك رواية بشر بن عمارة عن أبي روق عنه فضعيفة لضعف بشر) [١].

فالأثر المنسوب إلى ابن عباس غير صحيح عنه لعدم سماع الضحاك عن ابن عباس – رضـــي الله عنهما – [٢] ، ولكون بشر بن عمارة ضعيفا [٣] ولكون المتن منكرا . وسيأتي بيان وجه النكارة في الوجه الثاني من الرد إن شاء الله .

٢– وكذلـــك مـــا أثر عن أبي العالية في إسناده إليه كلام . قال ابن القيم : (وهذا الإسناد يروى به أشياء منكرة جدا) [٤] . ففيه رواة تكلم فيهم الأئمة ، منهم :

● إبراهيم بن محمد بن يوسف الفريابي قال عنه الساجي: يحدث بالمناكير والكذب [٥]. وقال الأزدي : ساقط؟. ورد عليه الذهبي فقال : (لا يلتفت إلى قول الأزدي؛ فإن في لسانه في الجـــرح رهـــقا [٦]) [٧]. وقال الحـــافظ ابن حجر : (صدوق تكلم فيه الساجي) [٨]. فهو لا ينحط عن درجة الصدوق، ولا يخرج عن دائرة الاحتجاج [٩].

● وربيع بن أنس البكري، وهو صدوق له أوهام، وخاصة فيما رواه عنه أبو جعفر الـــرازي . قال ابن حبان : (الناس يتقون من حديثه ما كان من رواية أبي جعفر عنه لأن في أحاديثه عنه اضطرابا كثيرا) [١٠]. فمرويات الربيع بن أنس ما كان منها عن طريق أبي جعفر الرازي فيها اضطراب كثير، وهذا الأثر من رواية أبي جعفرعنه .

● وأبوجعفـــر الرازي هو عيسى بن عبد الله بن ماهان التميمي، وهو عالم بتفسير

---

(١) الإتقان في علوم القرآن (٢٠٩/٤، النوع الثمانون : في طبقات المفسرين) .

(٢) انظر أقوال الأئمة الدالة على عدم سماع الضحاك بن مزاحم عن ابن عباس : ميزان الاعتدال (٣٢٥/٢-٣٢٦ برقم : ٣٩٤٢)؛ وتهذيب التهذيب (٥٧٢/٢-٥٧٣ برقم : ٣٤٥٨) .

(٣) انظـــر : أقوال الأئمة الدالة على كون بشر بن عمارة ضعيفا : ميزان الاعتدال (٣٢١/١ برقم : ١٢٠٩)؛ وتهذيب التهذيب (٢٨٧/١ برقم : ٨٣٦)؛ وتقريب التهذيب (ص : ١٢٣ برقم : ٦٩٧) .

(٤) الروح (ص : ٢٩٣) .

(٥) نقلا من : تهذيب التهذيب (١٠٥/١ برقم : ٢٨٥) .

(٦) رهقا؛ أي : عجلة وحدة وشدة . انظر : النهاية في غريب الحديث (٢٨٣/٢-٢٨٤ ، مادة : رهق) .

(٧) ميزان الاعتدال (٦١/١ برقم : ١٩٠) .

(٨) تقريب التهذيب (ص : ٩٣ برقم : ٢٤٢) .

(٩) انظر : أقوال الأئمة الآخرين في توثيقه : ميزان الاعتدال (٦١/١ برقم : ١٩٠)؛ وتهذيب التهذيب (١٠٥/١ برقم : ٢٨٥) .

(١٠) نقلا من : تهذيب التهذيب (١٤٢/٢ برقم : ٢٢١٢) .

القـــرآن ولكـــنه ليس بقوي في الحديث، ويخطئ فيه . قال الحافظ ابن كثير : (قال فيه الحـــافظ أبـــو زرعـــة [1] يهم في الحديث كثيرا، وقد ضعفه غيره أيضا، ووثقه بعضهم، والظاهر أنه سيء الحفظ، فيما تفرد به نظر) [2]. وقال عنه الحافظ ابن حجر : (صدوق سيء الحفظ خصوصا عن مغيرة) [3] فلا يحتج بما تفرد به .

فهـــذا الإسناد مداره على أبي جعفر الرازي عن الربيع بن أنس البكري، و لا يمكن الاعـــتماد عليه لسوء حفظ أبي جعفر، ولكون مرويات الربيع بن أنس ما كان منها عن طـــريق أبي جعفر مضطربة، كما نص الأئمة على ذلك، وهذا الأثر من رواية أبي جعفر عنه، ولعدم وجود متابع أو شاهد له، ولكونها منكرة المتن كما سيأتي بيانه [4].

٣- وكذلـــك مـــا أثر عن ابن جريج في إسناده أيضا إليه نظر؛ لأن فيه راويا اسمه المسيب بن واضح ، قد تقدم الكلام عنه [5] بأن الأئمة تكلموا فيه، وأن أحاديثه ورواياته فيهـــا أوهـــام، فلا بد لقبولها من التأني فيها، والتأكد من ثبوتها وصحتها، هذا إذا كانت

---

(1) عبيد الله بن عبد الكريم بن يزيد الرازي، إمام ناقد مشهور، توفي سنة ٢٦٤هـــ. انظر : تقريب التهذيب (ص : ٣٧٣ برقم : ٤٣١٦).

(٢) تفسير القرآن العظيم (٢١/٣، الإسراء : ١) .

(٣) تقريب التهذيب (ص : ٦٢٩ برقم : ٨٠١٩) .

(٤) وهـــذا الإسناد قد ضعفه الألباني في تعليقه على السنة لابن أبي عاصم (٢٩٨/١ ح : ٦٦٣)؛ وفي (ضعيف سنن أبي داود ص : ٩١ ح : ١١٨٢)؛ و في (ضعيف سنن الترمذي ص : ٣٦٦-٣٦٧ ح : ٣٣٦٥)؛ وكذلك ضعفه المحققون للكـــتب الـــتالية : تفســـير ابن أبي حاتم (١٢١/١ برقم : ٣٦٢)، ومسند الإمام أحمد (١٤٤/٣٥ ح : ٢١٢١٩ و١٤٨/٣٥ ح : ٢١٢٢٥ و ١٥١/٣٥ ح : ٢١٢٢٧)، والرد على الجهمية للدارمي (ص : ٢٣ ح : ٢٨)، والأسماء والصفات للبيهقي (٩٢/١-٩٤ ح : ٥٠) .

وهـــذا الإسناد صححه الحاكم حيث قال في المستدرك (التفسير، سورة الإخلاص ٥٤٠/٢) : (هذا حديث صحيح الإســـناد ولم يخرجاه)، ووافقه الذهبي ولكن تعقب عليهما الشيخ مقبل الوادعي في (تتبع أوهام الحاكم التي سكت عليها الذهبي ٦٣٤/٢) [مطبوع مع المستدرك ط. الأولى دار الحرمين] فقال : (في رواية أبي جعفر ضعف سيما إذا روي عن الربيع بن أنس)، وكذلك حسن حديثا من هذا الإسناد الألباني في ضعيف الترمذي (ص : ٣٦٦ ح : ٣٣٦٤). والذي يظهـــر لي أن تحسين الألباني للحديث الوارد بهذا السند إنما هو نظرا للشواهد، ويدل على ذلك تحسينه الطرف الأول من الحديث دون آخره، وتضعيفه بالسند نفسه حديثا آخر في نفس الباب والمقام، وأما ما كان من الحاكم و الذهبي فقد كفى المؤونة الشيخ مقبل الوادعي بالتعقب السابق عليهما وهو تعقب في محله . وعلى كل حال الأثر الذي معنا لا يمكن الاعتماد عليه لما تقدم من الكلام في رواته، ولعدم وجود متابع أو شاهد له، ولمخالفة صريح القرآن له، والله أعلم بالصواب .

(٥) انظر : (ص : ٩٣-٩٤) .

روايته مرفوعة متصلة فكيف إذا كانت مقطوعة غير متصلة .

ومما يدل على عدم صحة هذه الأقوال أنها مخالفة لما نص عليه القرآن نصا صريحا، فلا التفات إليها مع وجود النص القرآني ولو كانت ثابتة عنهم فكيف بها و هي غير صحيحة الأسانيد إليهم؟ فلا عبرة بأقوال لم تصح أسانيدها إلى المحكي عنهم و لم تثبت عن المنسوب إليهم .

الثاني : هذا القول مخالف لصريح القرآن الكريم؛ أي : قوله تعالى : ﴿ فسجد الملائكة كلهم أجمعون ﴾ (١) فهذه الآية عامة مؤكدة تأكيدا بعد تأكيد (٢)، و إذا أراد شخص أن يخبر أحدا أن جميع الملائكة سجدوا لآدم عليه السلام لا يمكنه أن يأتي بعبارة أبلغ وأفصح من هذه الآية، فكيف يسوغ أن يقال أنه لم يسجد جميع الملائكة لآدم عليه السلام .

الثالث : أما حديث ابن عباس الذي استدل به بعضهم فهو حديث لم أقف له على إسناد. ولا يمكن قبول أي كلام منسوب إلى النبي ﷺ بدون النظر في ناقليه والكشف عن أحوال رواته. والذين ذكروا هذا الحديث في كتبهم لم يذكروا له إسنادا حتى ينظر فيه فيقبل أو يرد . هذا إذا كان متن الحديث خاليا من الطعن فكيف إذا كان متعارضا مع صريح القرآن الكريم ؟.

بل إن هذا الحديث منسوب إلى النبي ﷺ كذبا، لم يخرج من مشكاة النبوة، فهو من الأحاديث الموضوعة المختلقة على رسول الله ﷺ؛ ولذا حكم عليه أهل العلم بالحديث بالوضع والاختلاق، وبينوا أنه منسوب إلى رسول الله ﷺ كذبا وزورا .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : (الحديث الذي ذكره [أي: الغزالي] عن ابن عباس من الموضوعات المكذوبات باتفاق أهل العلم، ولا يوجد في شيء من كتب الحديث المعتمدة) (٣).

الرابع : أما قول بعضهم بأنهم مستغرقون بجمال الحضرة الإلهية، ولا يلتفتون إلى غير ذات الباري تعالى؛ فهذا الكلام من جنس الطامات، وهو من جنس ما يسميه بعض الصوفية الفناء، وهو استغراق القلب في الحق حتى لا يشعر بغيره . ومعلوم باتفاق الناس أن حال البقاء أكمل من حال الفناء. وهذه حال الأنبياء والمرسلين والملائكة المقربين.

---

(١) الحجر الآية : ٣٠ و ص الآية : ٧٣

(٢) انظر : أوجه الدلالة على العموم والتأكيد له من الآية في (ص : ٣٤٦-٣٤٧) .

(٣) بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية (ص : ٢٣٠) .

ومعلوم أن الرسل أفضل الخلق، وهم يدعون العباد إلى الله، ويعلمونهم، ويجاهدون في سبيل الله، ويأكلون الطعام، ويمشون في الأسواق. فلو كانت تلك الحال أكمل لكان من لم يرسل أكمل من الرسل. وهذا خلاف دين المسلمين واليهود والنصارى [1].

الخامس : أما استدلال بعضهم لذلك بقوله تعالى : ﴿ أستكبرت أم كنت من العالين ﴾ [2]، وتفسيرهم ﴿ العالين ﴾ بالكروبيين أو ملائكة السماء المقربين، وأنهم لم يكونوا داخلين في خطاب الأمر بالسجود [3] فهذا قول في كتاب الله بلا علم، ولا يعلم ذلك عن إمام ولا متبع، ولا يدل عليه لفظ الآية من قريب ولا بعيد بل معنى الآية : أ طلبت أن تكون كبيرا من هذا الوقت أم كنت عاليا قبل ذلك [4]. وليس لنا أن نفسر كلام الله بآرائنا وأهوائنا، والله أعلم بتفسيره [5].

ويتبين مما سبق أن القول بأن الذين سجدوا لآدم ﷺ هم طائفة من الملائكة : سواء قيل : هم ملائكة الأرض أو هم ملائكة السماء الدنيا أو ما عدا المقربين منهم فهذه الأقوال كلها باطلة لمخالفتها لصريح الكتاب والسنة . وكل قول خالف ما جاء في كتاب الله وما ثبت مجيئه عن رسول الله ﷺ فلا عبرة به والتفات إليه، ولا سيما إذا كان من أمور الغيب الذي لا مجال فيه للرأي والاجتهاد العقلي، ولا سبيل إلى إدراكه ومعرفته على وجه صحيح إلى بنور من الكتاب والسنة الصحيحة. والله أعلم بالصواب .

القول الثاني : إن الله تعالى أمر جميع ملائكته بالسجود لآدم ﷺ، ولم يبق منهم أحد إلا وقد شمله الخطاب الإلهي بالوقوع ساجدا لآدم ﷺ ؛ فامتثلوا لأمر ربهم، و سجد له الملائكة كلهم . هذا قول جمهور المفسرين وهو الذي عليه عامة أهل العلم بالكتاب والسنة [6] .

---

(١) انظر : المصدر السابق (ص : ٢٢٦-٢٢٧) .

(٢) ص الآية : ٧٥

(٣) انظر : روح المعاني (٢٢٠/١) .

(٤) انظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن (١٨٥/٢٣-١٨٦)؛ والجامع لأحكام القرآن (٢٢٨/١٥)؛ ومجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٣٦٤/٤)؛ وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص : ٩٩١).

(٥) انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٣٦٤/٤) .

(٦) انظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن (٣١/١٤ و ١٨٥/٢٣)؛ ومعالم التنزيل (٤٩/٣-٥٠)؛ وزاد المسير (٦٤/١)؛ ومجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٣٦٢/٤)؛ و بغية المرتاد (ص : ٢٢٣)؛ وتفسير القرآن العظيم (٧٩/١)؛ والبداية والنهاية (٧٣/١)؛ وإرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (٢٣٦/٧)؛ وفتح القدير (١٣٠/٣و٤٤٥/٤)؛ ومحاسن التأول (١٠٢/١)؛ وأضواء البيان (٩٣/٤و٣٩٥/٤) .

أدلة هذا القول من الكتاب والسنة :

استدل أصحاب هذا القول لما ذهبوا إليه من القول بأن جميع الملائكة سجدوا لآدم عليه السلام بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية .

أولا : الأدلة من الكتاب العزيز :

ذكر الله تعالى سجود الملائكة لآدم عليه السلام في سبعة مواضع من القرآن الكريم، وكلها تدل على أن جميع الملائكة سجدوا لآدم عليه السلام بأمر من الله سبحانه وتعالى وفرضه ذلك عليهم . فمن الآيات القرآنية التي ذكرت قصة سجود الملائكة لآدم عليه السلام قوله تعالى : ﴿ وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين ﴾ [1] وقوله تعالى : ﴿ ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس لم يكن من الساجدين ﴾ [2] وقوله تعالى : ﴿وإذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرا من صلصال من حمإ مسنون * فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين * فسجد الملائكة كلهم أجمعون * إلا إبليس أبى أن يكون مع الساجدين﴾ [3] وقوله تعالى : ﴿ وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس ﴾ [4] وقوله تعالى : ﴿ وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه ﴾ [5] وقوله تعالى : ﴿ وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى ﴾ [6]، وقوله تعالى : ﴿ إذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرا من طين * فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين * فسجد الملائكة كلهم أجمعون * إلا إبليس استكبر وكان من الكافرين ﴾ [7].

---

(١) البقرة الآية : ٣٤

(٢) الأعراف الآية : ١١

(٣) الحجر الآيات : ٢٨-٣١

(٤) الإسراء الآية : ٦١

(٥) الكهف الآية : ٥٠

(٦) طه الآية : ١١٦

(٧) ص الآيات : ٧١-٧٤

وجه الدلالة من هذه الآيات على أن جميع الملائكة سجدوا لآدم عليه السلام :

هذه الآيات القرآنية تدل على أن جميع الملائكة أمروا بالسجود لآدم ﷺ، وأنهم جميعا امتثلوا لأمر ربهم؛ فسجدوا لآدم ﷺ. وبيان ذلك من وجوه، وهي كما يلي :

أحدها : الاسم المجموع المعرف بالألف واللام لغير المعهود يقتضي العموم، ويوجب استيعاب الجنس كله [1]. وقد قال تعالى : ﴿ وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم ﴾، وقال تعالى : ﴿ ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم ﴾ . فالملائكة من ألفاظ الجموع وهو اسم معرف بالألف واللام غير المعهودة مثل : المسلمين، والمشركين، والذين . والشخص العربي السليم بمجرد أن يسمع هذه الألفاظ يفهم منها العموم من غير إشكال أو حاجة إلى الاستفسار، ولا يتطرق إلى ذهنه أن المراد منه مسلم دون مسلم أو مشرك دون مشرك أو شخص دون شخص . فكذلك لفظ الملائكة في هذه الآيات؛ فلا يفهم منها أن المأمور بالسجود كان ملكا دون ملك أو طائفة منهم دون طائفة بل يفهم أن جميع الملائكة أمروا بالسجود، وأن جميعهم سجدوا لآدم ﷺ امتثالا بأمر ربهم تبارك وتعالى. وهذا هو مقتضى اللسان الذي نزل به القرآن، وليس هناك من دليل صالح يوجب العدول من العموم إلى الخصوص؛ فهذه الآيات باقية على عمومها، ودالة على أن جميع الملائكة سجدوا لآدم ﷺ، والله أعلم [2].

الثاني : قال تعالى : ﴿ فسجد الملائكة كلهم أجمعون * إلا إبليس ﴾ وصيغة " كل " من أبلغ العموم [3]. فلو لم يكن الاسم الأول المجموع المعرف بالألف واللام موجبا للاستيعاب والاستغراق لكان توكيده بصيغة " كل " موجبا لذلك ومقتضيا له [4].

الثالث : لو لم تفد صيغة " كل " تلك الإفادة العامة لكان قوله تعالى : ﴿ أجمعون ﴾ دالا على العموم؛ لأن صيغة " جميع " وما تصرف منها من ألفاظ العموم

---

(١) انظر : شرح مختصر الروضة (٤٦٦/٢)؛ ومذكرة في أصول الفقه (ص : ٢٤٤ و ص : ٢٤٧)؛ ومعالم أصول الفقه عند أهل السنة والجماعة (ص : ٤٢٣) .

(٢) انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٣٤٥/٤ و ٣٦٢) .

(٣) انظر : شرح مختصر الروضة (٤٧٢/٢)؛ ومجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٣٤٥/٤)؛ ومذكرة في أصول الفقه (ص : ٢٤٦ و ٢٤٨) ؛ ومعالم أصول الفقه عند أهل السنة والجماعة (ص : ٤٢٣) .

(٤) انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٣٤٥/٤ و ٣٦٣/٤) .

كذلك [1] ؛ و ليس هذا كله إلا تحقيقا للعموم، وتوكيدا له بعد توكيد [2].

الرابع : ذكر الله تعالى أن الملائكة كلهم سجدوا لآدم عليه السلام ولكنه تعالى استثنى منهم إبليس . واستثناء الشخص الواحد منهم يدل على أن من عدا ذلك الشخص كان داخلا في ذلك الحكم [3].

قال الحافظ ابن كثير في قوله تعالى : ﴿ فسجد الملائكة كلهم أجمعون * إلا إبليس ﴾ : (فهذه أربعة أوجه مقوية للعموم) [4].

الخامس : لا يصح التزاع في موجب الأسماء العامة، وخاصة بعد توكيدها بما يفيد العموم لأن صيغة التوكيد بعد العموم لا تؤتى إلا لقطع احتمال الخصوص [5]. وقد وردت كلمة " الملائكة " في الآيات المذكورة معرفة بالألف واللام دالة على العموم ثم أكدت بعدها بتأكيدين، وبأبلغ صيغ العموم فذهب احتمال الخصوص، وتعين القول بالعموم والله أعلم .

ثانيا : الأدلة من السنة النبوية :

لقد جاءت الأحاديث النبوية موافقة لكتاب الله تعالى، فقررت ما قررته الآيات القرآنية، وبينت أن الله تعالى كرم آدم عليه السلام بأن أسجد له ملائكته بأسلوب يدل على أن جميع الملائكة سجدوا لآدم عليه السلام، فمن الأحاديث الدالة على سجود الملائكة لآدم عليه السلام ما يلي :

عن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : يجتمع المؤمنون يوم القيامة فيقولون : لو استشفعنا إلى ربنا، فيأتون آدم، فيقولون : أنت أبو الناس، خلقك الله بيده، وأسجد لك ملائكته، وعلمك أسماء كل شيء، فاشفع لنا عند ربك حتى يريحنا من مكاننا هذا. فيقول : لست هناكم، ويذكر ذنبه فيستحي، ائتوا نوحا؛ فإنه أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض ...الحديث [6].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : احتج آدم وموسى عليهما السلام عند ربهما،

---

(١) انظر : شرح مختصر الروضة (٤٧٢/٢)؛ ومذكرة في أصول الفقه (ص : ٢٤٦ و ٢٤٨) ؛ ومعالم أصول الفقه عند أهل السنة والجماعة (ص : ٤٢٣) .

(٢) انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٣٦٣/٤) .

(٣) انظر : التفسير الكبير (٢٣٨/٢) .

(٤) تفسير القرآن العظيم (٧٩/١) .

(٥) انظر : شرح ابن عقيل (٣/ ٢٠٧-٢٠٨)؛ وأوضح المسالك مع شرح ضياء السالك (١٥٢/٣)؛ ومجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٣٦٣/٤) .

(٦) حديث صحيح، أخرجه البخاري ومسلم، وقد سبق تخريجه في (ص : ٦٩) .

فحج آدم موسى قال موسى : أنت آدم الذي خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأسجد لــك ملائكــته، وأسكنك في جنته، ثم أهبطت الناس بخطيئتك إلى الأرض ؟ فقال آدم : أنت موســى الذي اصطفاك الله برسالته ، وبكلامه ، وأعطاك الألواح فيها تبيان كل شيء، وقربك نجيا، فبكم وجدت الله كتب التوراة قبل أن أخلق ؟ قال موسى : بأربعين عاما . قال آدم : فهل وجدت فيها وعصى آدم ربه فغوى ؟ قال : نعم قال : أفتلومني على أن عملت عملا كتبه الله على أن أعمله قبل أن يخلقني بأربعين سنة ؟ قال رسول الله ﷺ : فحج آدم موسى [1].

وعـــن أبي هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ قال : خلق الله آدم يوم الجمعة بيده، ونفخ فيه من روحه، وأمر الملائكة أن يسجدوا له فسجدوا له إلا إبليس،كان من الجن ففسق عن أمر ربه [2].

فهذه الأحاديث النبوية الصحيحة الثابتة عن أصدق البرية وأعرف الخلق بكلام الله تعالى وأعــلم الخلق بالمراد منه وأفصح من نطق باللغة العربية وأنصح الناس للأمة تدل على أن الله تعالى أكرم آدم ﷺ بأن أسجد له جميع ملائكته، وبيان ذلك من وجوه؛ وهي كما يلي :

أحدهما : الإضافة إلى المعرفة من أساليب الكلام العربي الدالة على العموم [3] مثل : قوله تعالى : ﴿ وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الله لغفور رحيم ﴾ [4]؛ أي إن حاولتم يا عباد الله أن تعــدوا جميــع نعــم الله عــليكم لا تستطيعون إحصاءها بل تعجزون عن عدها وحســابها، فضلا عن قيامكم بشكرها ولكن سددوا وقاربوا وأبشروا؛ فإن ربكم غفور رحيم يرضى باليسير من شكركم، مع إنعامه الكثير عليكم [5].

ومــثل قولــه تعالى : ﴿ فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ﴾ [6]. فلا تخالفوا يا عباد الله أمرا من أوامره بل عليكم أن تتبعوا جميع أوامره وإلا سيأتيكم فتنة أو عذاب أليم .

---

(١) حديث صحيح، أخرجه البخاري ومسلم، وقد سبق تخريجه في (ص : ٦٩) .

(٢) حديث صحيح، وقد سبق الكلام عنه في (ص : ٦٩) .

(٣) انظر : شرح مختصر الروضة (٤٦٦/٢)؛ ومذكرة في أصول الفقه (ص : ٢٤٥-٢٤٦) .

(٤) النحل الآية : ١٨

(٥) انظر : تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص : ٥٧١ و ص : ٥٨٨) .

(٦) النور الآية : ٦٣

فيتضح مما سبق أن الإضافة إلى المعرفة من الأساليب العربية الدالة على العموم.
فكذلك قول النبي ﷺ في شأن آدم ﷺ : ((وأسجد لك ملائكته)) كما في حديث الشفاعة وحديث احتجاج آدم وموسى – عليهما السلام – يدل على أن جميع ملائكة الله سجدوا لآدم ﷺ، والله أعلم .

الثاني والثالث : قول النبي ﷺ كما في حديث أبي هريرة ﷺ الثاني : ((وأمر الملائكة أن يسجدوا له فسجدوا إلا إبليس ...)) فالملائكة من ألفاظ الجموع، وهو اسم معرف بالألف واللام غير المعهودة، وذلك يعنى استيعاب الجنس كله .

وكذلك استثناء إبليس من الملائكة الذين سجدوا يدل على أن الباقين كلهم سجدوا.
وقد تقدم بيان هذين الوجهين عند ذكر أوجه الدلالة من الآيات القرآنية على سجود جميع الملائكة لآدم ﷺ .

فهذه الآيات القرآنية والأحاديث النبوية تدل على أن مما أكرم الله تعالى به أبا البشر آدم ﷺ أنه أسجد له ملائكته، وقد تكرر ذلك في سبعة مواضع من كتاب الله، وفي عدة مواضع من أحاديث رسول الله ﷺ . فهذه عشرة مواضع من الكتاب والسنة فيما وقفت عليه تكرر فيها ذكر سجود الملائكة لآدم ﷺ بصيغ وأساليب تدل على العموم، و لم يقترن بشيء منهما ما ينافي العموم ويدل على التخصيص . فليس هناك دليل مقترن أو دليل منفرد يصلح للدلالة على التخصيص [1] ؛ ولذلك لا يصح أن يقال بأن طائفة معينة من الملائكة هم الذين أمروا بالسجود لآدم ﷺ بل يتعين القطع بالعموم، ويجب القول والاعتقاد بأن جميع الملائكة سجدوا لآدم ﷺ كما أخبر الله بذلك في كتابه، وكما أخبر بذلك رسوله ﷺ في أحاديثه، وكما قال بذلك عامة أهل العلم بالكتاب والسنة، والله أعلم بالصواب .

مسألة : سجود الملائكة كلهم كان في وقت واحد أم في أوقات مختلفة ؟

ذكر جماعة من المفسرين أن جميع الملائكة سجدوا لآدم ﷺ في وقت واحد غير متفرقين في أوقات مختلفة. وقد استدلوا لذلك بقوله تعالى : ﴿ فسجد الملائكة كلهم أجمعون ﴾،

(١) انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٣٤٥/٤-٣٤٦ و ٣٦٣/٤-٣٦٤) .

فقالوا : قولـــه تعالى : ﴿ كلهم ﴾ يدل على الإحاطة؛ أي : الملائكة كلهم سجدوا لآدم عليه السلام، ولم يبق منهم أحد إلا خر ساجدا له. وقوله تعالى : ﴿ أجمعون ﴾ يدل على المعية والاجتماع في السجود بحيث لم يتأخر أحد منهم عن أحد بل كلهم سجدوا معا في وقت واحد [1].

وقـــد سئل المبرد [2] عن هذه الآية فقال : (لو قال : ﴿ فسجد الملائكة ﴾ احتمل أن يكـــون ســـجد بعضـــهم . فلما قال : ﴿ كلهم ﴾ زال هذا الاحتمال، فظهر أنهم بأسرهم سجدوا، ثم عند هذا بقي احتمال، وهو أنهم سجدوا دفعة واحدة أو سجد كل واحد في وقت ؟ فلما قال : ﴿ أجمعون ﴾ ظهر أنهم سجدوا جميعا دفعة واحدة) [3].

وقـــال الزمخشري [4] : (كل للإحاطة، وأجمعون للاجتماع. فأفادا معا أنهم سجدوا عـــن آخـــرهم، مـــا بقي منهم ملك إلا سجد، وأنهم سجدوا جميعا في وقت واحد غير متفرقين في أوقات) [5] ومثله قال النسفي [6].

ولكـــن تعقـــب هذا القول بأنه لو كان المقصود بالآية الدلالة على المعية، وبيان أن الملائكـــة كلهم سجدوا مجتمعين في وقت واحد غير متفرقين في أوقات مختلفة لكان قوله تعـــالى : ﴿ أجمعـــون ﴾ منصوبا على الحال، ولقال سبحانه وتعالى : { أجمعين } أي : منصـــوبا بالياء والنون لكونه حالا دالا على أنهم سجدوا معا في وقت واحد ولكن الأمر ليس كذلك بل قوله تعالى : ﴿ كلهم ﴾ توكيد لـــ﴿ الملائكة ﴾، و﴿ أجمعون ﴾ توكيد ثان

---

(١) انظر : الكشاف (٢٨١/٥)؛ وأنـــوار التتريل (٨٦/٣)؛ وفتـــح القـــدير (٤٤٥/٤)؛ وروح المعـــاني (٢٢٤/٢٣-٢٢٥)؛ والقصة القرآنية هداية وبيان للدكتور وهبة الزحيلي (ص : ٢٩) .

(٢) محمـــد بن يزيد الأزدي المعروف بالمبرد، من أئمة النحو المعروفين، مات في أول سنة ٢٨٦ هـــ . انظر : سير أعلام النبلاء (٥٧٦/١٣-٥٧٧) .

(٣) حكـــاه عنه غير واحد من المفسرين، انظر : إعراب القرآن للنحاس (٣٨٠/٢)؛ ومشكل إعراب القرآن (٤١٣/١)؛ ومعالم التتريل (٤٩/٣)؛ وإعراب القرآن الكريم وبيانه لمحي الدين الدرويش (٢٣٧/٥)؛ وفتح البيان (١٦٦/٧) .

(٤) هو محمود بن عمر بن محمد الزمخشري، وكان رأسا في البلاغة والعربية والمعاني والبيان، وكان من كبار دعاة الاعتزال — سامحه الله —، وتوفي سنة ٥٣٨هـــ . انظر : سير أعلام النبلاء (١٥١/٢٠-١٥٦) .

(٥) الكشاف عن حقائق غوامض التتريل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل (٢٨١/٥ ، ص : ٧٣) .

(٦) انظر : مدارك التتريل وحقائق التأويل (١٦٤/٣) .

لـــه، فهذا توكيد بعد توكيد يدل على أن جميع الملائكة سجدوا ولكن لا يدل على أنهم سجدوا في وقت واحد في دفعة واحدة (1).

وقـــد أجيب عن ذلك بأنه لا اختصاص لإفادته ذلك بالحالية بل الاشتقاق الواضح يرشـــد أن فيه معنى الجمع والضم؛ فإن ﴿ أجمعون ﴾ مشتق من (ج م ع) والجيم والميم والعين أصل واحد يدل على تضام الشيء وعدم تفرقته (2). والأصل في الإطلاق الخطابي الـــتتريل على أكمل أحوال الشيء، ولا خفاء في أن الجمع في وقت واحد أكمل أصنافه، ولكن لما شاع استعماله تأكيدا أقيم مقام كل في إفادة الإحاطة من غير نظر إلى الكمال، فإذا فهمت الإحاطة بلفظ آخر لم يكن بد من ملاحظة الأصل صونا للكلام عن الإلغاء، ولـــو سلم ما قالوا فكل تأكيد الشمول بإخراجه عن الظهور إلى المنصوص، وأجمعـــون تأكيد لذلك التأكيد؛ فيفيد أتم أنواع الإحاطـــة، وهو الإحاطة في وقت واحـــد (3).

ثم إن سجود الملائكة كلهم لآدم عليه السلام في وقت واحد أكثر دلالة على تشريف آدم عليه السلام وتعظيمه وتكريمه، وأنسب بأحوال الملائكة وصفاتهم. فهم كما قال الله تعالى عنهم: ﴿ لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون * يسبحون الليل والنهار لا يفترون ﴾ (4) و﴿ لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ﴾ (5).

وهـــذا استنباط لطيف وتوجيه جميل للآية، يطمئن إليه القلب؛ فإن كان صوابا فمن الله، وإن كان غير ذلك فمن تقصيرنا وسوء فهمنا. ونسأل الله تعالى أن يرزقنا السداد والصواب في فهم الكتاب العزيز والعمل به؛ فهو المسدد والموفق للصواب والهادي إلى سواء الصراط .

---

(1) انظر : إعراب القرآن للنحاس (٢/٣٨٠)؛ ومشكل إعراب القرآن (١/٤١٣)؛ وأنوار التتريل (٣/٨٦) .

(2) انظـــر : معجـــم مقاييس اللغة (١/٤٧٩)؛ وتهذيب اللغة (١/٣٩٧-٣٩٩)؛ ولسان العرب (٣/١٤)؛ والمعجم الوسيط (١/١٣٤) .

(3) انظر : روح المعاني (٢٣/٢٢٤-٢٢٥) .

(4) الأنبياء الآية : ١٩-٢٠

(5) التحريم الآية : ٦

المبحث الثالث : الرد على من يرى من هذه الأمة جواز السجود للمخلوق استدلالا بسجود الملائكة لآدم عليه السلام .

لقــد ذهــب بعض الناس إلى القول بأنه يجوز السجود من باب التعظيم لمن يستحق الاحترام والتقدير والتعظيم، كما سجدت الملائكة لآدم عليه السلام تعظيما له وتكريما [1].

ولكــن الاستدلال بسجود الملائكة لآدم عليه السلام على جواز السجود من أحد من هذه الأمة المحمدية لمخلوق استدلال غير صحيح ، وبيان ذلك من وجوه، وهي كما يلي :

أحدهــا : السجود عبادة عظيمة، والعبادة بجميع أنواعها لا تجوز إلا لله تعالى . قال تعالى : ﴿ فاسجدوا لله واعبدوا ﴾ [2]، وقال تعالى : ﴿ ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن إن كنتم إياه تعبدون ﴾ [3]، وقال تعالى : ﴿ يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون ﴾ [4].

فــالله ســبحانه وتعالى بين لنا في هذه الآيات الكريمة أن السجود من أعظم شعائر العــبادة، وهــي مختصة بالخالق جل وعلا؛ فلا يجوز لأحد منا أن يسجد لمخلوق، وقد تساوى في هذه الصفة الشمس، والقمر، والنبي، والولي ....، وكل مخلوق [5].

الــثاني : لاشك أن الرسول محمد بن عبد الله ﷺ هو سيد الأولين والآخرين، وأكرم الخلق عند رب العالمين، وأحبهم إليه. وقد امتن الله على عباده؛ إذ بعثه رسولا إلى الناس أجمعين، ورحمة للعالمين فقال تعالى : ﴿ لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب

---

(١) قال به الخميني في كتابه (كشف الأسرار ص : ٤٢-٤٣)؛ وجعفر سبحاني – الشيعي الاثنا عشري – في كتابه (التوحيد والشرك في القرآن الكريم ص : ٥١-٥٣ و٥٧-٥٩)، وكذلك سمعت بعض علماء البريلوية القبورية في خطبهم ومحاضراتهم يستدلون بهذه القصة على جواز السجود للمخلوق من باب التعظيم، وبذلك يلبسون على الناس ويجعلونهم يعــبدون المقابــر ويسجدون لها وما إلى ذلك من الفساد والضلال، وأيضا يستدل به الآغاخانية والبهائية في سجودهم لزعمائهم وأئمتهم كما أخبرني بذلك شيخنا أ . د . محمود بن عبد الرحمن قدح – حفظه الله وجزاه خيرا .

(٢) النجم الآية : ٦٢

(٣) فصلت الآية : ٣٧

(٤) البقرة الآية : ٢١

(٥) انظر : رسالة التوحيد (ص : ٩٦) .

والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين ﴾[١] ، وقال تعالى : ﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾[٢] .

وقد أدبنا الله تعالى بآداب كثيرة تجاه حبيبه المصطفى ورسوله المرتضى ﷺ، فقد نهانا عن معصيته، وإيذائه، ورفع الصوت فوق صوته، والتقدم بين يديه، والجهر له بالقول، كما هو الحال فيما بيننا...، في غير ما آية، وأمرنا بطاعته، ومحبته، وتكريمه وتعظيمه، والتأدب معه ... ، في غير ما آية [٣]، ولكنه سبحانه وتعالى لم يأمر بالسجود له، ولو كان السجود من البشر جائزا لأحد من المخلوق لكان الرسول ﷺ أولى به من غيره، ولجاء بيانه وتقريره من الله تعالى في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ .

الثالث : لقد اختار الله تعالى لصحبة نبيه ﷺ رجالا كانوا يحبون النبي ﷺ ويعظمونه أكثر من كل ما نحبه ونعظمه، كما اختار الله تعالى لهم نبيا كان حريصا أشد الحرص على إرشادهم، وهدايتهم، ونصحهم، وتوجيههم لكل خير .

ومما يدل على ذلك أن بعض الصحابة رضوان الله عليهم سجدوا للنبي ﷺ، وبعضهم استأذنوا منه أن يسمح لهم بالسجود له. ولا شك أنه لم يحملهم على ذلك إلا شدة حبهم وتعظيمهم له ﷺ ولكنه ﷺ لم يسمح لهم بذلك بل منعهم وبين لهم أنه لا ينبغي لبشر أن يسجد لأحد من المخلوق أيا من كان. وقد ورد بيان ذلك في كثير من أحاديث المصطفى ﷺ، وهنا أكتفي بذكر بعضها، وهي كما يلي :

عن عبد الله بن أبي أوفى ﷺ قال : لما قدم معاذ من الشام سجد للنبي ﷺ، قال : " ما هذا يا معاذ ؟ " قال : أتيت الشام فوافقتهم يسجدون لأساقفتهم [٤] وبطارقتهم [٥]، فوددت في

---

(١) آل عمران الآية : ١٦٤

(٢) الأنبياء الآية : ١٠٧

(٣) انظر : (ص : ٤٩-٥٣) .

(٤) أساقفة جمع أُسْقُف ومعناه : عالم ورئيس من علماء النصارى ورؤسائهم، وهي مرتبة فوق القس. وهو أعجمي معرب، فقيل : هو سرياني، وقيل : هو يوناني وهو الذي صوبه الدكتور ف . عبد الرحيم – حفظه الله –، ويحتمل أن يكون سمي به لخضوعه وانحنائه في العبادة، والسقف في اللغة طول في انحناء، فيكون عربيا . انظر : المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم بتحقيق : الدكتور . ف. عبد الرحيم (ص : ١٤٤)؛ والنهاية في غريب الحديث (٣٧٩/٢ ، مادة : سقف) .

(٥) بطارقة جمع بِطْرِيق، وهو الحاذق بالحرب وأمورها، وهو ذو منصب وتقدم عندهم تصف به العرب يريدون المدح، وقيل هو رومي معرب، وقيل : هو عربي وافق عجميا . انظر : المعرب (ص : ٢٠٠-٢٠١)؛ والنهاية في غريب الحديث (١٣٥/١ ، مادة : بطرق)؛ وقصد السبيل فيما في اللغة العربية من الدخيل (٢٨٧/١) .

نفسـي أن نفعل ذلك بك. فقال رسول الله ﷺ : " فلا تفعلوا؛ فإني لو كنت آمرا أحدا أن يسجد لغير الله، لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها، والذي نفس محمد بيده لا تؤدي المرأة حق ربها حتى تؤدي حق زوجها، ولو سألها نفسها وهي على قتب لم تمنعه [(1)].

وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ دخل حائطا من حوائط الأنصار، فإذا فيه جملان يضربان ويرعدان، فاقترب رسول الله ﷺ منهما، فوضعا جرانهما [(2)] بالأرض، فقال من معه : نسـجد لك ؟ فقال النبي ﷺ : ما ينبغي لأحد أن يسجد لأحد، ولو كان أحد ينبغي له أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها؛ لما عـظم الله عليها من حقه [(3)].

وعـن أنس بن مالك ﷺ قال : كان أهل بيت من الأنصار لهم جمل يَسْنُوْنَ عليه [(4)]، وإن الجمل استصعب عليهم فمنعهم ظهره، وإن الأنصار جاءوا إلى رسول الله ﷺ، فقالوا : إنه كـان لـنا جمل نسني عليه، وإنه استصعب علينا، ومنعنا ظهره، وقد عطش الزرع والنخل . فقـال رسول الله ﷺ لأصحابه : " قوموا" فقاموا فدخل الحائط، والجمل في ناحيته، فمشى الـنبي ﷺ نحـوه، فقالت الأنصار : يا رسول الله ! إنه قد صار مثل الكَلْبِ الكَلِبِ [(5)]، وإنا

---

(1) أخـرجه حم (١٤٥/٣٢ ح : ١٩٤٠٣)؛ وجه (النكاح، ب : حق الزوج على المرأة ٥٩٥/١ ح : ١٨٥٣)، والـلفظ له؛ وحـب كما في الإحسان (النكاح، ب : معاشرة الزوجين، ذكر استحباب الاجتهاد للمرأة في قضاء حقوق زوجها ... ٤٧٩/٩ ح : ٤١٧١)؛ والبيهقي في الكبرى (القسم والنشوز ب : ما جاء في بيان حقه عليها ٢٩٢/٧)؛ وكم (البر و الصلة، ب : حق الزوج على المرأة ١٧٢/٤)، وقال : (هذا حديث صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه)، ووافقه الذهبي؛ وكذلك صححه الألباني في (صحيح سنن ابن ماجه ١٢١/٢ح :١٥١٥)؛ وفي السلسلة الصحيحة (٢٠٢/٣ ح : ١٢٠٣)؛ وحسن إسناده في (إرواء الغليل ٥٦/٧ ح : ١٩٩٨) .

(2) الجران : باطن العنق . انظر : النهاية في غريب الحديث (٢٦٣/١ ، مادة : جرن) .

(3) أخـرجه ت (الرضاع، ب : ما جاء في حق الزوج على المرأة ٤٦٥/٣ ح : ١١٥٩)؛ وقال : حديث أبي هريرة حسن غريب من هذا الوجه)؛ والبيهقي في الكبرى (القسم و النشوز ، ب : ما جاء في عظم حق الزوج على المرأة ٢٩١/٧)؛ وحـب كما في الإحسان (النكاح، ب : معاشرة الزوجين، ذكر استحباب الاجتهاد للمرأة في قضاء حقوق زوجها ... ٤٧٩/٩ ح : ٤١٧١)، والـلفظ له، وكـلهم بإسناد واحد إلا أنه لم يذكر الترمذي والبيهقي قصة الجملين، وذكرا آخر الحديث . قال الهيثمي في (مجمع الزوائد ٧/٩) :(روى الترمذي طرفا من آخره، وإسناده حسن)، وكذلك قال الألباني في (إرواء الغليل٥٤/٧ ح : ١٩٩٨)،وقال في (صحيح سنن الترمذي ٥٩٣/١ ح : ١١٥٩) : (حسن صحيح) .

(4) يسنون عليه : أي : يستخدمونه لسقي الزرع والنخل . انظر : النهاية في غريب الحديث (٤١٥/٢) .

(5) الكَـلْبُ الكَـلِب : الذي يكلب في أكل لحوم الناس فيأخذه شبه جنون، فإذا عقر إنسانا كلب المعقور وأصابه داء الكَـلَب يعوي عواء الكلب، ويمزق ثيابه عن نفسه، ويعقر من أصاب ثم يصير أمره إلى أن يأخذه العطاش فيموت من شدة العطش ولا يشرب . انظر : النهاية في غريب الحديث (١٩٥/١)؛ ولسان العرب (١٣٥/١٢) .

نخـــاف عليك صولته. فقال : " ليس علي منه بأس " . فلما نظر الجمل إلى رسول الله ﷺ أقبل نحوه حتى خر ساجدا بين يديه. فأخذ رسول الله ﷺ بناصيته أذل ما كانت قط حتى أدخله في العمـــل. فقال له أصحابه : يا نبي الله ! هذه بهيمة لا تعقل تسجد لك، ونحن نعقل، فنحن أحق أن نســـجد لك . فقال : " لا يصلح لبشر أن يسجد لبشر، ولو صلح لبشر أن يسجد لبشر، لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها من عظم حقه عليها ..... الحديث [١].

وعن قيس بن سعد ﷺ قال : أتيت الحيرة [٢]، فرأيتهم يسجدون لمرزبان [٣]لهم، فقلت: رســـول الله ﷺ أحق أن يسجد له . قال : فأتيت النبي ﷺ فقلت : إني أتيت الحيرة، فرأيتهم يســـجدون لمـــرزبان لهم، فأنت يا رسول الله أحق أن نسجد لك. قال : أرأيت لو مررت بقـــبري أكنت تسجد له ؟ قال : قلت : لا . قال : " فلا تفعلوا، لو كنت آمرا أحدا أن يسجد لأحد لأمرت النساء أن يسجدن لأزواجهن؛ لما جعل الله لهم عليهن من الحق [٤].

وعـــن أنس بن مالك ﷺ قال : دخل النبي ﷺ حائطا للأنصار، ومعه أبو بكر وعمر

---

(١) أخرجه حم (٢٠/٦٤-٦٥ ح : ١٢٦١٤)؛ والمقدسي في الأحاديث المختارة (٥/٢٦٥ ح : ١٨٩٥)؛ والنسائي في الكبرى (عشرة النساء ، ب : حق الرجل على المرأة (٥/٣٦٣ ح : ٩١٤٧)، ولم يذكر قصة الجمـــل . قال المنذري في الترغيب و الترهيب (٣/٥٥ح :٢٠) : (رواه أحمد والنسائي بإسناد جيد، رواته ثقـــات مشهورون)؛ وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩/٤) : (رواه أحمد و البزار و رجاله رجال الصحيح غير حفص بن أخي أنس، وهو ثقة) ، ووافقهما الألباني كما في إرواء الغليل (٧/٥٥ ح : ١٩٩٨)؛ وقال محققوا المسند : صحيح لغيره دون قوله في آخر الحديث : والذي نفسي بيده لو كان من قدمه ... إلى آخره .

(٢) الحيرة (بكسر الحاء وسكون الياء) : مدينة على ثلاثة أميال من الكوفة على موضع يقال له النجف . وقال في الـــنهاية : البلد القديم بظهر الكوفة، ومحلة معروفة بنيسابور . وهو الآن في العراق . انظر : معجم البلدان (٢/٣٢٨)؛ والنهاية في غريب الحديث (١/٤٦٧ ، مادة : حير)؛ وقصد السبيل... (١/٤٤٤) .

(٣) مرزُبان (بضم الزاء) : أحد مرازبة الفرس، وهو الفارس الشجاع المقدم على القوم دون الملك، وهو معرب وتفسيره بالعربية : حافظ الحد، و الجمع : مرازبة و مرازب . انظر : المعرب (ص : ٥٨٨-٥٨٩)؛ والنهاية في غريب الحديث (٤/٣١٨، كلمة : مرزبان تحت مادة : مرز)؛ وقصد السبيل (٢/٤٥٧-٤٥٨).

(٤) أخـــرجه د (النكاح، ب : في حق الزوج على المرأة ٢/٢٤٤ ح : ٢١٤٠)؛ والدارمي في مسنده (الصلاة، ب : النهي أن يسجد لأحد ٢/٩١٧ ح : ١٥٠٤)؛ والطبراني في الكبير (١٨/٣٥١-٣٥٢ ح : ٨٩٥)؛ والبيهقي في الكـــبرى (القســـم و النشوز، ب : ما جاء في عظم حق الزوج على المرأة ٧/٢٩١)؛ والبزار في مسنده باختصار (٩/١٩٩ ح : ٣٧٤٧)؛ وكـــم (الـــنكاح، ٢/١٨٧)، وقال : (هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه)، ووافقه الذهبي ؛ وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (١/٥٩٥ ح : ٢١٤٠) دون جملة القبر .

ورجال من الأنصار، قال : وفي الحائط غنم، فسجدت له. قال أبو بكر : يا رسول الله إنا نحن أحق بالسجود لك من هذه الغنم. فقال : إنه لا ينبغي أن يسجد أحد لأحد، ولو كان ينبغي أن يسجد أحد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها [(١)].

وعن عائشة - رضي الله عنها - أن رسول الله ﷺ كان في نفر من المهاجرين والأنصار، فجاء بعير، فسجده، فقال أصحابه : يا رسول الله تسجد لك البهائم والشجر، فنحن أحق أن نسجد لك. فقال : " **اعبدوا ربكم، وأكرموا أخاكم**، ولو كنت آمرا أحدا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها، ولو أمرها أن تنقل من جبل أصفر إلى جبل أسود، ومن جبل أسود إلى جبل أبيض كان ينبغي لها أن تفعله [(٢)].

فلو كان السجود من البشر جائزا لأحد من المخلوق في هذه الشريعة لكان رسولها محمد ﷺ أولى الناس به لعظم حقه على أمته جميعا، ولأذن للصحابة لما استأذنوا منه لذلك، و لم يمنع الذين سجدوا له منهم بل لأقرهم، وشجعهم، وطلب من الباقين أن يفعلوا كما فعل هؤلاء، وكذلك لأمر النساء أن يسجدن لأزواجهن لعظم حقوقهم عليهن،ولبين للأمة أن السجود ضرب من الإكرام والتعظيم؛ وأن عليهم أن يسجدوا لكل من يستحق الاحترام والتقدير؛ فإنه ﷺ لا يسكت عن حق، ولا يقر على باطل، ولا يضن بأي خير يعلمه، ولكنه لما كان السجود عبادة عظيمة لا تصلح إلا للخالق تعالى نهى النبي ﷺ عن السجود لغير الله، وبين أنه لا ينبغي أن يُسْجَدَ لأحد من المخلوق، فهذا كله دليل على عدم جواز السجود لأحد من المخلوق في هذه الملة .

الرابع : إن الشرائع السابقة على الشريعة المحمدية قد أباح الله فيها لأصحابها بعض ما حرمه علينا في شريعتنا، ومنها ما لا يهم أحد منا بفعله الآن، فضلا أن يقترب منه أو يفعله مثلا :

---

(١) أخرجه المقدسي في الأحاديث المختارة (٦/١٣٠-١٣١ ح : ٢١٢٩ -٢١٣٠) بإسنادين، وألفاظهما متقاربة، وقال المحقق عن كليهما : (إسناده حسن) .

(٢) أخرجه حم (٤١/١٨-١٩ ح : ٢٤٤٧١)، واللفظ له؛ وابن أبي شيبة في المصنف (الصلوات، من كره أن يسجد الرجل للرجل ٥٢٨/٢، والنكاح ، ما حق الزوج على امرأته ٣٠٦/٤) ولم يذكر قصة سجود الجمل؛ ومن طريقه جه (النكاح، ب : حق الزوج على المرأة ٥٩٥/١ ح : ١٨٥٢). قال الهيثمي في (مجمع الزوائد ٣١٠/٤) : (روى ابن ماجه بعضه بغير سياقه، رواه أحمد، وفيه علي بن زيد، وحديثه حسن، وقد ضعف)، وقال أيضا (٩/٩) : (رواه أحمد، وإسناده جيد)، وصححه الشيخ الألباني في (صحيح سنن ابن ماجه ١٢١/٢ ح : ١٥١٤) .

الـــنكاح بالأخوات الشقيقات كان مباحا في عهد آدم ﷺ [1] و لكنه محرم علينا في ديننا بنص الكتاب حيث قال تعالى : ﴿ حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم . . . ﴾ [2]، والآن لا تجد أحدا من المسلمين يقول بالزواج من الأخت الشقيقة نظرا إلى أنه كان مباحا في شريعة من شرائع الله تعـــالى السابقة. فكما أنه لا يفتى و لا يحكم هنا بالشريعة المتقدمة؛ لأنها عارضت ما جاءت به شريعتنا [3] فكذلك لا يستدل بسجود الملائكة لآدم ﷺ على جواز السجود لأحد من المخلوق لأنه يتعارض مع ما تقرر في شريعتنا. فقد جاء الأمر في شريعتنا بالسجود لله وحده تعالى، كما جاء النهي عن السجود لغيره تعالى، ولما سجد بعض أصحاب النبي ﷺ له منعهم، و لم يأذن بذلك لمن استأذنه منهم، فهذا كله دليل على عدم جواز السجود لأي مخلوق في شريعتنا .

الخـــامس : الســـجود كان جائزا في الأمم السابقة على سبيل التحية والتعظيم فيما بينهم، ولكنها نسخت في الأمة المحمدية. وقد أبدلها الله تعالى التسليم والتحية فيما بينها، فأصبح السجود خاصا لله وحده لا شريك له، ولا يجوز لأحد من المخلوق .

قال قتادة في تفسير قوله تعالى عن أبوي يوسف وإخوته : ﴿ ورفع أبويه على العرش وخروا له سجدا ﴾ [4] : (كانت تحية من قبلكم، كان بها يحيي بعضهم بعضا، فأعطى الله هذه الأمـــة السلام، تحية أهل الجنة، كرامـــة من الله تبارك وتعالى، عجلها لهم، ونعمة منه) [5].

والنصـــوص الشرعية المتقدمة من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الدالة على عدم جواز السجود لأحد غير الله تعالى فيها دلالة على صحة ما قالـــه قتادة وغيره من المفسرين [6].

---

(١) انظر : تفسير القرآن العظيم (٢/٤١-٤٢)؛ ورسالة التوحيد للدهلوي (ص : ٩٧-٩٨)؛ والإنسان في ظل الأديان (ص : ٩٣-٩٤) .

(٢) النساء الآية : ٢٣

(٣) انظر : شرح مختصر الروضة (٣/١٦٩-١٧٠)؛ ومذكرة في أصول الفقه (ص : ١٩٢-١٩٣) .

(٤) يوسف الآية : ١٠٠

(٥) إسناده لا يقل عن درجة الحسن لذاته، وقد سبق تخريجه وبيانه حكمه في (ص : ٣٣٥) .

(٦) انظـــر : أحكـــام القرآن للجصاص (١/٣٧-٣٨)؛ وتهذيب اللغة (١٠/٥٧١،سجد)؛ والجامع لأحكام القرآن (١/٢٩٣)؛ وتفسير القرآن العظيم (١/٧٧ و٢/٤٩١)؛ والتحرير والتنوير من التفسير (١/٤٢٢)؛ وفتح القدير (١/٦٦)؛ وفتح البيان (١/١٣١) .

فلا يصح الاستدلال بجواز السجود في الأديان السابقة لبعض المخلوقات على جواز السجود من أحد من هذه الأمة لمخلوق من شيخ أو ولي أو صالح ... فإنه ينافي كمال الامتثال لأوامر الله تعالى بل معصية عظيمة له سبحانه قد تؤدي بصاحبه إلى الكفر بالله والخروج عن دينه [1].

والله سبحانه وتعالى له المشيئة المطلقة، وله الأمر المطلق، فله أن يأمر من شاء بما شاء، وأن ينهى من شاء عما شاء. وكان قد أباح لعباده أن يسجد بعضهم لبعض على سبيل التحية والتعظيم فيما بينهم، ولكنه سبحانه وتعالى لما نهانا عن ذلك، وأمرنا بالتسليم والتحية فيما بيننا، وأمرنا أن نفرده تعالى بالسجود له، وأن نتوجه إليه بجميع أنواع العبادات، مخلصين له وحده، لا شريك له تعالى يجب علينا الامتثال بأمر الله تعالى، والانقياد له من غير ضيق، ولا حرج في النفوس، وليس لنا أن نتشبث بما أمر الله به الأولين، ونترك ما أمرنا به ربنا في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ .

ويتبين مما سبق من الوجوه أنه يجب السجود لله وحده، ولا يجوز السجود لمخلوق أيا كان، وأن الاستدلال بسجود الملائكة لآدم ؑ على جواز السجود لمخلوق نبي أو ولي أو عالم أو معلم ...استدلال باطل قطعا، والله أعلم بالصواب .

---

(١) انظر : رسالة التوحيد (ص : ٩٨) .

الفصل الثاني : إبليس وموقفه من آدم عليه السلام.

وفيه مبحثان .

المبحث الأول : معنى إبليس .

المبحث الثاني : موقف إبليس من آدم عليه السلام .

المبحث الأول : معنى إبليس .وفيه مطلبان .

المطلب الأول : معنى كلمة " إبليس " لغة واصطلاحا .

أولا : معنى كلمة " إبليس " في اللغة العربية :

اختـــلف أئمـــة اللغة في كلمة إبليس على قولين، فمنهم من يرى أنها كلمة عربية، ومـــنهم من يرى أنها كلمة أعجمية، وفيما يلي ذكر القولين، وبيان الراجح منهما، والله الموفق للصواب .

القول الأول : ذهب جماعة من أئمة اللغة [١] إلى أن إبليس كلمة عربية. فهو اسم على وزن " إفعيـــل "، ومشتق من الإبلاس .قال تعالى :﴿ ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون ﴾ [٢]، وقال تعـــالى : ﴿ أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون ﴾ [٣]. والمبـــلس هو : الحزين النادم المخذول المتروك المنقطع عن الحجة، اليائس من الخير والنجاة [٤].

وسمـــي إبليس إبليسا لأنه افتضح بعصيانه أمر ربه عندما أمره بالسجود مع الملائكة لآدم عليه السلام، فطرده الله من الجنة، فيئس من رحمة الله، فحزن وندم، فصار مخذولا متروكا ذليلا منقطع الحجة ساكتا، فقيل له : إبليس [٥].

وقد تعقب بأنه لو كان كذلك لكان قد سمي به بعد يأسه من رحمة الله ولعنه وطرده، وظاهر القرآن

---

(١) من أئمة اللغة الذين قالوا بعربية كلمة " إبليس " خليل بن أحمد الفراهيدي في (العين ٢٦٢/٧،مادة : بلس)؛ وابن جرير الطـــبري في تفسيره (٢٢٧/١-٢٢٨)؛ والجوهري في (الصحاح ٩٠٩/٣، مادة : بلس)؛ وابن فارس في (معجم مقـــاييس الـــلغة ٢٩٩/١-٣٠٠، مادة : بلس)، وكذلك قال به ابن دريد في (جمهرة اللغة ٢٨٨/١ و ٣٧٧/٣)؛ والأزهري في (تهذيب اللغة ٤٤٢/١٢، مادة : بلس)، والراغب في (مفردات ألفاظ القرآن ص : ١٤٣، مادة : بلس) ولكنهم لم يجزموا به، و إنما ذكروا هذا القول فقط ولكن بصيغة التمريض والحكاية وبما يوحي بعدم إطمئنانهم إليه .

(٢)الروم الآية : ١٢

(٣) الأنعام الآية : ٤٤

(٤) انظر : لسان العرب (٤٨٢/١-٤٨٣ ، مادة : بلس) .

(٥) انظر : الزينة في الكلمات الإسلامية العربية (١٩٣/٢) بواسطة كتاب " عالم الجن في ضوء الكتاب والسنة (ص : ٤٦٢) .

والحديث يدل أنه كان يسمى به قبل ذلك [(١)] إلا أنه يمكن أن يقال أنه سمي به باعتبار ما سيقع له [(٢)].

وكذلك يشكل عليه بأن إبليس ممنوع من الصرف. فلو كان على وزن " إفعيل "، مشتقا من الإبلاس لكان منصرفا؛ لأنه لا يكون فيه إلا سبب واحد وهو العلمية، وهذا وحده لا يكفي لكونه ممنوعا من الصرف [(٣)].

وقد اعتذر لذلك من جعله عربيا بقلته وشذوذه في العربية، وأنه لما لم يكن له نظير في الأسماء العربية عد بمنزلة الأعجمي، فهو غير منصرف للعلمية ولشبهه بالأعجمية [(٤)].

وهذا اعتذار ركيك لأن كون الكلمة شاذة وقليلة لا يلزم منه أن تكون ممنوعة من الصرف؛ فإن القلة والشذوذ ليست من موانع الصرف [(٥)]. وكذلك هناك كلمات كثيرة بالعربية قال عنها أئمة اللغة بأنها قليلة الاستعمال أو أنها شاذة، ولم يقل أحد بأنها كلها ممنوعة من الصرف بل هي تأخذ مجراها حسب قواعد اللغة العربية المعروفة [(٦)]،ولأن الذي لا يوجد في كلام العرب هو ما كان على وزن " أفعيل " بفتح الهمزة؛ فإنه عديم النظير [(٧)]. وأما " إفعيل " فهو من الأوزان العربية المعروفة، وله نظائر كثيرة [(٨)] في كلام العرب مثل : إجفيل للجبان الذي يفر من كل شيء، وإحليل لمخرج البول من عضو الإنسان، واللبن من الثدي. وإكليل للتاج، وما كلل به الرأس من ذهب وغيره، وما أحاط بالظفر من اللحم، وغيرها من الكلمات التي جاءت على وزن إفعيل [(٩)].

---

(١) لأنه لما امتنع عن السجود قال الله له : ﴿يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي﴾ [ص : ٧٥]. وجاء في حديث أنس بن مالك ﷺ مرفوعا : ((لما صور الله آدم في الجنة تركه ما شاء الله أن يتركه، فجعل إبليس يطيف به ...)) الحديث ، ولا شك أن هذا كان قبل طرده ولعنه . والحديث قد سبق تخريجه في (ص : ٩٩) .

(٢) انظر : فتح الباري (٦/٣٣٩) .

(٣) انظر : البيان في غريب إعراب القرآن (١/٧٤) .

(٤) انظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن (١/٢٢٧-٢٢٨)؛ والتبيان في تفسير غريب القرآن (١/٧٥-٧٦)، وقصد السبيل فيما في اللغة العربية من الدخيل (١/١٥٣)، والتحرير والتنوير من التفسير (١/٤٢٤) .

(٥) انظر : فتح الباري (٦/٣٣٩) .

(٦) من إفادات شيخنا الدكتور /عبد الرزاق الصاعدي – حفظه الله – .

(٧) انظر : قصد السبيل فيما في اللغة العربية من الدخيل (١/١٥٣) .

(٨) انظر : الفريد في إعراب القرآن المجيد (١/٢٧٢-٢٧٣)؛ وتفسير غريب القرآن العظيم (ص : ٢٥٩)، والدر المصون في علوم الكتاب المكنون (١/٢٧٦)، وقصد السبيل ...(١/١٥٣) .

(٩) انظر : معاني هذه الكلمات وأمثلة أخرى لها، ذكرها ابن دريد في (جمهرة اللغة، باب ما جاء على " إفعيل " ٣/٣٧٦-٣٧٧) .

يتبين مما سبق أن القول بأن إبليس اسم عربي، وأنه مشتق من الإبلاس، وأنه على وزن إفعيل، وأنه منع من الصرف للعلمية ولشبهه بالأعجمية؛ لقلته وشذوذه في العربية قول غير صواب، والله أعلم .

القـــول الـــثاني : ذهب أكثر أئمة اللغة [1] إلى أن إبليس ليس بعربي، وأن وزنه " فعليل "، وأنه ممنوع من الصرف للعلمية والعجمة [2].

ويظهـــر لي أن هذا القول هو الصواب، وأنه لا يصح أن يشتق إبليس من الإبلاس، وإن وافـــق معنى أبلس لفظا ومعنى؛ لأنه لو كان كذلك لانصرف كما ينصرف نظائره، فإنه لو سمي رجل بإجفيل ونحوه لكان منصرفا [3]، ولم يكن ممنوعا من الصرف. وإبليس ممـــنوع من الصرف بالاتفاق، فذلك يدل على أنه اسم أعجمي، فليس هناك ما يمنعه من الصرف إلا العلمية والعجمة، والله أعلم بالصواب .

---

(١) من أئمة اللغة الذين قالوا بأن كلمة " إبليس " ليست بعربية، وإنما هي كلمة أعجمية أبوعبيدة معمر بن المثنى في (مجاز القـــرآن ٣٨/١)، والزجاج في (معاني القرآن وإعرابه ١١٤/١)، وأبو جعفر النحاس في (إعراب القرآن ٢١٢/١)، ومكـــي بن أبي طالب القيسي في (مشكل إعراب القرآن ٨٧/١)، والزمخشري في (الكشاف ٢٨/٤ ، مريم : ٥٦)، والجواليقي في (المعرب ص : ١٢٢)، وابن عطية في (المحرر الوجيز ١٧٩/١)، ومحمود بن أبي الحسن النيسابوري في (إيجاز البيان عن معاني القرآن ٩٠/١)، وابن الأنباري في (البيان في غريب إعراب القرآن ٧٤/١)، وحسين بن أبي العز الهمذاني في (الفريد في إعراب القرآن المجيد ٢٧٢/١-٢٧٣)، ومحمد بن أبي بكر الرازي في (تفسير غريب القرآن العظيم ص : ٢٥٩)، وفي (مخـــتار الصحاح ص : ٢٦ ، بلس)، وعلي بن عثمان المادريني في (بهجة الأريب في بيان ما في كـــتاب الله العزيـــز من الغريب ص : ٥٥)، والسمين الحلبي في (الدر المصون في علوم الكتاب المكنون ٢٧٦/١)، والفيومي في (المصباح المنير ص : ٢٤ ، بلس)، وابن هائم في (التبيان في تفسير غريب القرآن ٧٥/١-٧٦)، وابن حجر في (فتح الباري ٣٣٩/٦)، والثعالبي في (الجواهر الحسان في تفسير القرآن ٢١٦/١-٢١٧)، وأبو السعود في (إرشاد العقـــل الســـليم في مزايا القرآن الكريم ٨٧/١)، والمحبي في (قصد السبيل فيما في اللغة العربية من الدخيل ١٥٣/١)، والـــزبيدي في (تـــاج العروس ٤٦٤/١٥، بلس)، والآلوسي في (روح المعاني ٢٢٩/١)، وابن عاشور في (التحرير والتـــنوير من التفسير ٤٢٤/١)، ومحي الدين الدرويش في (إعراب القرآن الكريم وبيانه ٨٠/١ و ٨٤)، ومحمد سيد طنطاوي (في التفسير الوسيط ٩٨/١)؛ وشيخنا الدكتور ف . عبد الرحيم في (المعرب والدخيل في اللغة العربية ص : ٢١)، وفي " المعرب " للجواليقي بتحقيقه (ص : ١٢٢). وذكر الدكتور ف . في كتابيه المذكورين والدكتور حسن ظاظا في كتابه (الساميون ولغاتهم ص : ١٣٠) : أن كلمة إبليس أصله يوناني ؛ أي : (Diaboleus) ، ومعناه الأصلي النمام الكذاب العدو ثم انتقل مع الأديان السماوية إلى معنى رئيس الشياطين، والله أعلم بالصواب .

(٢) انظر : المصادر السابقة نفسها .

(٣) انظر : المصباح المنير (ص : ٢٤ ، مادة : بلس) .

ثانيا : معنى كلمة " إبليس " اصطلاحا .

وفي الاصطلاح : إبليس علم يطلق على ذلك الشيطان الأكبر الذي خلق من النار، وكان يجالس الملائكة، ويتعبد معهم، وليس من جنسهم كما سيأتي بيانه[1]، فلما أمر الله ملائكته بالسجود لآدم ﷺ خالف أمر ربه بتكبره على آدم ﷺ؛ لادعائه أن النار التي خلق منها خير من الطين الذي خلق منه آدم ﷺ [2]؛ فكان جزاء هذه المخالفة أن طرده الله عن باب رحمته، وحضرة قدسه، وأنزله من السماء مذموما مدحورا إلى الأرض، فسأل الله النظرة إلى يوم البعث، فأنظره الحكيم العليم الحليم الذي لا يعجل على من عصاه، فلما أمن الهلاك إلى يوم القيامة تمرد وطغى[3]، وقال كما حكى الله عنه : ﴿ لئن أخرتن إلى يوم القيامة لأحتنكن ذريته إلا قليلا ﴾ [4] فإبليس علم ذات تفردت بإغواء بني آدم وإضلالهم وقيادهم إلى الشرك والشر [5].

وقد أطلق عليه القرآن اسم الشيطان في مواضع منها قوله تعالى : ﴿ فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه ﴾ [6] وقوله تعالى : ﴿ فوسوس لهما الشيطان ليبدي لهما ما ووري عنهما من سوآتهما وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين ﴾ [7] وقوله تعالى : ﴿ وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين ﴾[8] وقوله تعالى : ﴿ يا بني ءادم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما ﴾ [9] وقوله تعالى : ﴿ فوسوس إليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى ﴾ [10].

---

(١) انظر : (ص : ٣٦٥-٣٧٦) .

(٢) انظر تعليل إبليس عن امتناعه من السجود وبيان بطلانه في (ص : ٣٨١-٣٨٧) .

(٣) انظر : عالم الجن والشياطين للأشقر (ص : ١٦)؛ وعالم الجن في ضوء الكتاب و السنة لعبد الكريم عبيدات (ص : ٤٦٥-٤٦٦) .

(٤) الإسراء الآية : ٦٢

(٥) انظر : أبي آدم قصة الخليقة بين الأسطورة والحقيقة (ص : ١٧٦) .

(٦) البقرة الآية : ٣٦

(٧) الأعراف الآية : ٢٠

(٨) الأعراف الآية : ٢٢

(٩) الأعراف الآية : ٢٧

(١٠) طه الآية : ١٢٠

فالمقصـــود بالشيطان في هذه الآيات هو إبليس الذي تولى إغواء آدم وحواء عليهما السلام، وحثهما على الأكل من الشجرة المنهي عنها حتى أكلا منها .

ولفظ الشيطان قد يراد به إبليس خاصة كما في الآيات المذكورة، وقد يراد به معنى عامـــا، وهـــو كل شرير مفسد داع للغي والفساد من الجن والإنس كما في قوله تعالى : ﴿ وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا ﴾ (١).

وكذلـــك يطـــلق لفظ الشيطان على المتميز بالخبث والأذى من الحيوان . قال أسلم مـــولى عمر بن الخطاب (٢): ركب عمر ﷺ برذونا فجعل يتبختر به، فضربه فلم يزدد إلا تبخترا، فنزل عنه، وقال : ما حملتموني إلا على شيطان، لقد أنكرت نفسي (٣).

وعلى هذا فإن الشيطان إذا أريد به الجنس فله معنيان : معنى خاص ومعنى عام .

فأمـــا الخـــاص فيراد به إبليس وذريته المخلوقون من النار، والذين لهم القدرة على التشـــكل، وهم يتناكحون ويتناسلون ويأكلون ويشربون، وهـم محاسبون على أعمالهم في الآخـــرة، مطـــبوعون بفطـــرتهم على الوسوسة والإغواء، وهـم بهذا عاملون على التفريق والخراب، جاهدون لفصل ما أمر الله به أن يوصل، ووصل ما أمر الله به أن يفصل، وإبرام مـــا يجـــب فصمه، وفصم ما يجب إبرامه؛ فإبليس هو قائد جنود الشر والموحي به إليهم والمحرك لهم لفتنة الناس وإغوائهم وإضلالهم (٤).

وأما المعنى العام فيراد به كل مخلوق عات متمرد من الإنس والجن والدواب. فأما من جـــانب الجن و الإنس فهو التمرد والعصيان لأمر الله ومحاولة بذر الفساد في الأرض بشتى صوره وأشكاله.قال تعالى : ﴿ شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا ﴾ (٥) .

وأما مِنْ جانبِ الدواب فهو الخبث والأذى الذي تميزت به عن جنسها (٦) والله أعلم بالصواب.

---

(١) الأنعام الآية : ١١٢

(٢) أسلم العدوي، مولى عمر، ثقة مخضرم، توفي سنة ٨٠هـــ وقيل بعد سنة ٦٠هـــ . انظر : تقريب التهذيب (ص : ١٠٤ برقم : ٤٠٦) .

(٣) ذكره الحافظ ابن كثير في تفسيره (١٦/١)، وقال : (إسناده صحيح) .

(٤) انظر : دائرة معارف القرن العشرين (٣٣٢/٢) .

(٥) الأنعام الآية : ١١٢

(٦) انظر : عالم الجن في ضوء الكتاب والسنة (ص : ٤٦٥-٤٦٩) .

المطلب الثاني : بيان الجنس الذي منه إبليس، من الجن أو من الملائكة.

اختلف العلماء في بيان الجنس الذي منه إبليس فمنهم من يرى أنه كان من الملائكة، ومنهم من يرى أنه لم يكن من الملائكة، وإنما كان من الجن، ومنهم من يرى الجمع بين القولين، فيرى أنه كان من الملائكة صورة، ولم يكن منهم أصلا ومادة، وفيما يلي ذكر تلك الأقوال، وبيان الراجح منها، وبالله التوفيق والتسديد .

القول الأول : ذهب جماعة من أهل العلم إلى أن إبليس كان من الملائكة. وهذا الذي اختاره ابن جرير الطبري والبغوي وأبو حيان والسمين الحلبي [(١)] وصديق حسن خان والقاسمي وغيرهم [(٢)].

وقد استدل القائلون بكونه من الملائكة بما يلي :

الدليل الأول : قالوا : إن الاستثناء في قوله تعالى : ﴿ فسجد الملائكة كلهم أجمعون * إلا إبليس استكبر ﴾ [(٣)] إنما هو استثناء متصل، لأن الأصل في الاستثناء الاتصال لا الانقطاع. فإخراجه بالاستثناء من لفظ الملائكة دليل على أنه منهم .

ومما يؤكد ذلك توجه الأمر بالسجود إليه. فلولا أنه منهم لما أمر بالسجود لآدم عليه السلام، ولو لم يكن مأمورا بالسجود لآدم عليه السلام لم يكن عاصيا، ولم يقع عليه ذم لتركه فعل ما لم يؤمر به . فإخراجه بالاستثناء من لفظ الملائكة واستحقاقه الخزي والنكال لعدم سجوده لآدم عليه السلام دليل على أنه من الملائكة [(٤)].

ولكن تعقب هذا الاستدلال بما يلي :

---

(١) أحمد بن يوسف بن عبد الدائم الحلبي، المعروف بالسمين، مفسر نحوي فقيه، توفي سنة ٧٥٦هـ . انظر : معجم المؤلفين (٢١١/٢) .

(٢) انظر بالترتيب : جامع البيان عن تأويل آي القرآن (٢٢٤/١ ، ٢٢٧)؛ ومعالم التنزيل (٦٣/١)؛ وتفسير البحر المحيط (٣٠٣/١)؛ والدر المصون في علوم الكتاب المكنون (٢٧٣/١)؛ وفتح البيان (١٣٢/١)؛ ومحاسن التأويل (١٠٣/٢) .

(٣) ص الآيتان : ٧٣-٧٤

(٤) انظر : معالم التنزيل (٦٣/١)؛ وموسوعة الأسماء والأعلام المبهمة في القرآن لكريم للأدكاوي (٥٦/١) .

١- إن استثناء الله تعالى إياه من الملائكة لا يدل على كونه من جملتهم. وإنما استثناه منهم لأنه كان مأمورا بالسجود معهم. ويدل عليه قوله تعالى: ﴿ قال ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك ﴾ [1] فلما دخل معهم في الأمر جاز إخراجه بالاستثناء منهم، وأصبح عاصيا بمخالفة الأمر؛ ولذلك استحق الذم والخزي والنكال في الدنيا والآخرة. فهذا استثناء من جنس المأمورين بالسجود لآدم عليه السلام، وليس استثناء من جنس الملائكة [2].

قال الزمخشري: (كان جنيا واحدا بين أظهر الألوف من الملائكة، مغمورا بهم، فغلبوا عليه في قوله: ﴿ فسجدوا ﴾ ثم استثنى منهم استثناء واحد منهم) [3].

وقال أيضا: إنما تناوله الأمر وهو للملائكة خاصة؛ لأن إبليس كان في صحبتهم، وكان يعبد الله تعالى عبادتهم. فلما أمروا بالسجود لآدم عليه السلام والتواضع له كرامة له، كان الجني الذي معهم أجدر بأن يتواضع. أهـ بتصرف يسير [4].

وقال الحافظ ابن كثير: (إن الله تعالى لما أمر الملائكة بالسجود لآدم دخل إبليس في خطابهم؛ لأنه وإن لم يكن من عنصرهم، إلا أنه كان قد تشبه بهم، وتوسم بأفعالهم؛ فلهذا دخل في الخطاب لهم، وذم في مخالفة الأمر) [5].

٢- وقد ورد الاستثناء من غير الجنس في آيات كثيرة من القرآن الكريم منها: قوله تعالى: ﴿لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم﴾ [6]، وقوله تعالى: ﴿ما لهم به من علم إلا اتباع الظن﴾ [7]، وقوله تعالى: ﴿فإنهم عدو لي إلا رب العالمين﴾ [8]، وقوله تعالى: ﴿وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنني براء مما تعبدون * إلا الذي فطرني فإنه سيهدين ﴾ [9]، وقوله تعالى: ﴿لا يسمعون فيها لغوا ولا تأثيما *

---

(١) الأعراف الآية: ١٢

(٢) انظر: الإيمان بالملائكة (ص: ٢٦٠-٢٦١)؛ ومجموع فتاوى الشيخ محمد العثيمين (٢٨٦/١-٢٨٧).

(٣) الكشاف (٢٥٤/١).

(٤) انظر: المصدر السابق (١١٣/٤).

(٥) تفسير القرآن العظيم (٧٧/١).

(٦) النساء الآية: ٢٩

(٧) النساء الآية: ١٥٧

(٨) الشعراء الآية: ٧٧

(٩) الزخرف الآيتان: ٢٦-٢٧

إلاقيلاسلاما سلاما ﴾ [1]، وقوله تعالى : ﴿وما لأحد عنده من نعمة تجزى * إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى﴾ [2].

فهـــذا الآيـــات القرآنية المستثنى فيها ليس من جنس المستثنى منه. والاستثناء من غير الجنس أمر شائع في كلام العرب [3]؛ فلا مانع أن يقال أن الاستثناء في قوله تعالى : ﴿ وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر ﴾ [4] من باب المنقطع، وأن المستثنى فيه ليس من جنس المستثنى منه، وعلى هذا إبليس لم يكن من جنس الملائكة .

ويؤيد هذا المذهب قوله تعالى : ﴿ وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه ﴾ [5] فبين الله أنه كان من الجن. ولا شك أن الجن جنس آخر غير الملائكة، فإبليس ليس من جنس المستثنى منه؛ أي : ليس من الملائكة [6].

٣ – ويمكن أن يقال بأن هذه الآية محتملة لكون إبليس من جنس الملائكة على أن الاستثناء من المتصل، فهي محتملة كذلك لكونه ليس منهم على أن الاستثناء من المنقطع. وهو شائع في كلام العرب كما مر. فهذا الدليل لا ينهض حجة لهم [7] لأنه كما قال أهل العلم : الدليل إذا تطرق إليه الاحتمال سقط به الاستدلال [8]، والله أعلم بالصواب.

٤– وعـــلى سبيل الفرض لو سلم أن الاستثناء متصل يمكن أن يقال : إن الجن من جنس الملائكـــة مـــن حيث لطافة الجسم، وعدم رؤية البشر له . فيكون الاستثناء متصلا، مع كون إبليس من عنصر الجن حقيقة؛ لدلالة النصوص الشرعية على ذلك [9] وسيأتي بيانها إن شاء الله.

---

(١) الواقعة الآيتان : ٢٥-٢٦

(٢) الليل الآيتان : ١٩-٢٠

(٣) انظر : شرح جمل الزجاجي (٢/٤٠١-٤٠٤)؛ ومعاني النحو (٢/٢٤٧)؛ وشرح مختصر الروضة (٢/٥٩٢-٥٩٦)؛ ومذكرة في أصول الفقه (ص : ٢٧١-٢٧٢) .

(٤) البقرة الآية : ٣٤

(٥) الكهف الآية : ٥٠

(٦) انظر : عالم الجن والشياطين للدكتور/ عمر سليمان الأشقر (ص : ١٨) .

(٧) انظر : الجن في القرآن والسنة لمؤلفه : ولي زار بن شاه ز الدين (ص : ٧٥) .

(٨) انظـــر : شرح السيوطي لسنن النسائي (٢/٧)؛ وفيض القدير (١/١٠١ ، ٣٧٠ و ٣/٣٥٣ و ٥/٤٧٤)؛ وحاشية السندي على سنن النسائي (٢/٧)؛ ونيل الأوطار (٢/٧٠)؛ وتحفة الأحوذي (١/٥٢٧) .

(٩) انظر : عالم الجن في ضوء الكتاب والسنة لعبد الكريم نوفان عبيدات (ص : ٤٨٢) .

الدليـــل الثاني : وردت آثار عن بعض السلف كعلي بن أبي طالب [1]، وابن عباس [2]؛ وابـــن مسعود [3]، وسعيد بن المسيب [4]،وقتادة [5] وغيرهم. وهي تدل على أن إبليس كان من الملائكة.

ولكـــن الاســـتدلال بهذه الآثار على كون إبليس من الملائكة لا يخلو من النظر فيه، وذلك لما يلي:

١- لم يثـــبت خـــبر واحد عن رسول الله ﷺ أن إبليس كان من الملائكة [6]. فلو كان هو من الملائكـــة لبينه لنا رسول الله ﷺ وحفظه لنا أصحابه رضي الله عنهم ونقلوه إلينا كما نقلوا جميع أحاديثه

---

(١) عزا إليه النسفي في تفسيره (١/٨٠) من غير ذكر للإسناد ولا إحالة إلى من ذكره بالإسناد .

(٢) أكثر من نسبت إليه الآثار في هذه المسألة من الصحابة هو ابن عباس، فإنها حكيت عنه من طرق كثيرة، ذكرها ابن جرير في تفسيره (١/٢٢٤-٢٢٦)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١/٢٢٢ برقم : ٣٦٥)، وأبو الشيخ في العظمة (٥/١٦٧٦ برقم : ١١١٩ ، ٥/١٦٨١ برقم : ١١٣١-١١٣٢)، وقد تبين لي بعد دراستها أنه لم يخل سند منها من الكلام فيه وفي رواته أو من النظر في متنه، وقد تقدم الكلام على بعضها من حيث سندها ومتنها في (ص : ٩٧-٩٨ و٣٤٠-٣٤١ و٣٤٥-٣٤٩).
وأقوى الطرق عن ابن عباس في هذه المسألة حسب علمي ما ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره (١/٢٢٢ برقم : ٣٦٥) بسنده فقال : ثنا أبي، ثنا سعيد بن سليمان، ثنا عباد بن العوام، عن سفيان بن حسين، عن يعلى بن مسلم، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : كان إبليس اسمه عزازيل، وكان من أشرف الملائكة ...) .قال المحقق : (رجال إسناده ثقات لكن عباد بن العوام مع ثقته في حديثه لين واضطراب)، قلت : أولا : سفيان بن حسين لا يوصف بكونه ثقة على الإطلاق بل هو ثقة في غير الزهري، وهذا بالاتفاق. ثانيا : العباد بن العوام لا يوصف بالاضطراب في أحاديثه على الإطلاق، وإنما اضطرابه فيما رواه عـــن سعيد بن أبي عروبة، وهذا لا يضر هنا ؛ فإن الرواية التي معنا ليست من طريق ابن أبي عروبة بل هي من طريق سفيان بن حسين فلا يضر ذلك، فالذي يظهر لي أن هذا الإسناد حسن إلى ابن عباس .والله أعلم .

(٣) أخرج عنه ابن جرير في تفسيره (١/٢٢٥) من طريق أسباط بن نصر عن السدي ... وهذا الإسناد قد سبق الكـــلام عنه مفصلا في (ص : ٩٧-٩٨)، وبالإضافة إلى ما تقدم هناك من الكلام في إسناد تفسير السدي عموما، وفي السدي وأسباط بن نصر خصوصا، يوجد في إسناد هذه الرواية شيخ الطبري موسى بن هارون الهمداني، وقد قال عنه الشيخ أحمد شاكر في تعليقه على تفسير الطبري (١/١٥٦) : (ما وجدت له ترجمة، ولا ذكرا في شيء مما بين يدي من المراجع إلا ما يرويه عنه الطبري) .

(٤) أخرج عنه ابن جرير الطبري في تفسيره (١/٢٢٥) بإسناد حسن، كما قال الدكتور/أحمد نجيب في رسالته للدكتوراه :الروايات الإسرائيلية في تفسير الطبري (ص :١٣٦برقم :٤٧) .

(٥) أخرج عنه ابن جرير في تفسيره (١/٢٢٥) بإسناده إليه من طريقين، وكلاهما حسن إسناده كما قال الدكتور أحمد نجيب في كتابه المذكور (ص : ١٣٦-١٣٧ برقم : ٤٨-٤٩)؛ وكما في التفسير الصحيح (١/١٣٩) .

(٦) انظر : تهذيب التفسير وتجريد التأويل من الأباطيل ورديء الأقاويل (١/٩٩) .

بل جاء في القرآن الكريم ما يبين أنه كان من الجن . والجن غير الملائكة، وسيأتي بيانه إن شاء الله .

٢- إن الآثار الواردة في المسألة ، المحكية عن بعض الصحابة كعلي بن أبي طالب وابن مسعود وابن عباس – رضي الله عنهم – فهي وإن كانت في حكم الرفع لكونها مما لا مجال فيه للرأي والاجتهاد لكنه لا يمكن الاستدلال بها لأمرين :

الأول : أنها لا تخلو من النظر والكلام فيها إما في أسانيدها أو في متونها أو فيهما معا، كما تقدم .

والثاني : الاحتجاج بقول الصحابي من الأصول المختلف فيها، والذين قالوا بالاحتجاج به من شروطهم أن لا يكون مأخوذا عن الإسرائيليات (١). وهذه الآثار المحكية عن بعض الصحابة على فرض ثبوت بعضها عنهم يحتمل أن تكون مأخوذة عن الإسرائيليات التي لا يعول عليها .

قال الحافظ ابن كثير بعد ما ذكر إسناد السدي إلى ابن عباس وابن مسعود وناس من أصحاب رسول الله ﷺ : (فهذا الإسناد إلى هؤلاء الصحابة مشهور في تفسير السدي، ويقع فيه إسرائيليات كثيرة، فلعل بعضها مدرج ليس من كلام الصحابة أو أنهم أخذوه من بعض الكتب المتقدمة والله أعلم) (٢) .

وقال أيضا بعد ما ذكر جملة من الآثار الواردة عن السلف في هذا المعنى : (وقد روى في هذا آثار كثيرة عن السلف. وغالبها من الإسرائيليات التي تنقل لينظر فيها، والله أعلم بحال كثير منها، ومنها ما قد يقطع بكذبه؛ لمخالفته للحق الذي بأيدينا. وفي القرآن غنية عن كل ما عداه من الأخبار المتقدمة؛ لأنها لا تكاد تخلو من تبديل وزيادة ونقصان، وقد وضع فيها أشياء كثيرة. وليس لهم من الحفاظ المتقنين، الذين ينفون عنها تحريف الغالين وانتحال المبطلين، كما لهذه الأمة من الأئمة والعلماء، والسادة والأتقياء، والبررة والنجباء، من الجهابذة النقاد والحفاظ الجياد، الذين دونوا الحديث وحرروه، وبينوا صحيحه من حسنه، من ضعيفه، من منكره، وموضوعه، ومتروكه، ومكذوبه، وعرفوا الوضاعين، والكذابين، والمجهولين، وغير ذلك من أصناف الرجال، كل ذلك صيانة للجناب النبوي والمقام المحمدي خاتم الرسل وسيد البشر صلى الله عليه وسلم أن ينسب إليه كذب أو يحدث

---

(١) انظر : مذكرة في أصول الفقه (ص : ١٩٨) .

(٢) تفسير القرآن العظيم (١/٧٦-٧٧)، وانظر في البداية والنهاية (١/١٨و٨٦) كلاما نحوه.

عنه بما ليس منه؛ فرضي الله عنهم وأرضاهم، وجعل جنات الفردوس مأواهم) [1].

قــال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي : (وما يذكره المفسرون عن جماعة من السلف كــابن عباس وغيره : من أنه كان من أشراف الملائكة، ومن خزان الجنة، وأنه كان يدبر أمر السماء الدنيا، وأنه كان اسمه عزازيل كله من الإسرائيليات التي لا معول عليها) [2].

فهــذه الآثار الواردة عن بعض الصحابة لا يمكن الاعتماد عليها للنظر في ثبوت تلك الآثار عنهم، ولاحتمال أن تكون مأخوذة عن الإسرائيليات .

وأمــا الآثــار المحكية عن غير الصحابة من التابعين ومن بعدهم كسعيد بن المسيب وقــتادة وغيرهم، فهي وإن كانت حسنة الأسانيد إليهم إلا أن أقوالهم و تفسيراتهم ليست حجة باتفاق أهل العلم؛ فإنها ليست من الأصول التي اختلف أهل العلم في الاحتجاج بها، مع احتمال كونها إسرائيلية كما قال أهل العلم [3].

وغاية ما يمكن أن يقال بأنه يمكن الاستئناس بهذه الآثار المحكية عن السلف من الصحابة فمن بعدهم، والنظر فيها ولكن لا ينبغي الاعتماد عليها والاستدلال بها، والله أعلم .

الدليل الثالث : وهو إطلاق لفظ الجن على الملائكة في الكلام العربي . قال تعالى : ﴿ وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا ولقد علمت الجنة إنهم لمحضرون ﴾ [4].قالوا : المراد بالجنة في الآية الملائكة ؛ لأنهم كانوا يقولون : الملائكة بنات الله [5].

وقال الأعشى :

وسخر من جن الملائك تسعة قياما لديه يعملون بلا أجر [6].

فأطلق على الملائكة اسم الجن، ويتضح مما سبق بأن الملك يسمى جنا بحسب اللغة،

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٨٩/٣) .

(٢) أضواء البيان (٩٤/٤) .

(٣) وقد جمع الدكتور / أحمد نجيب بن عبد الله هذه الآثار في رسالته للدكتواه بعنوان : " الروايات الإسرائيلية في تفسير الطبري ... "، وناقشها نقاشا طيبا من حيث سندها ومتنها، يحسن الرجوع إليها للحصول على التفصيل والاستزادة في المعلومات .

(٤) الصافات الآية : ١٥٨

(٥) انظر : معالم التنزيل (٦٣/١) .

(٦) ملحق ديوان الأعشى (ص : ٢٤٣)، والأعشى هو ميمون بن قيس بن جندل، من بني قيس بن ثعلبة الوائلي، من شعراء الطبقة الأولى في الجاهلية وأحد أصحاب المعلقات، أدرك الإسلام و لم يسلم، توفي سنة ٧هـ . انظر : الأعلام (٣٤١/٧)؛ والشعر والشعراء (ص : ١٥٤) .

وهو الذي يشير إليه قوله تعالى : ﴿ كان من الجن ﴾؛ فإن الجن جنس من الملائكة سموا ذلك لاستتارهم عن العيون [1].

ولكن هذا التوجيه والاستدلال فيه نظر، وبيان ذلك من وجوه، وهي كما يلي :

١- قوله تعالى : ﴿ وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا ولقد علمت الجنة إنهم لمحضرون ﴾ غير صريح في أن المـــراد بالجنة في هذه الآية الملائكة؛ فقد اختلف العلماء في بيان معنى ﴿ الجنة ﴾ في الآية، وذكر أكثر المفسرين في تفسيرها قولين [2] :

أحدهما : أن المراد بها الملائكة، وذلك قولهم : الملائكة بنات الله .

والآخر : أن المراد بها الجن، كما في قوله تعالى : ﴿ من الجنة والناس ﴾ [3]، وذلك لأن المشركين زعموا أن الملائكة بنات الله من سروات الجن؛ أي : من فريق نساء من أشراف الجن. وقوى هذا القول جماعة من العلماء كابن القيم [4] والآلوسي [5] وابن عاشور [6].

وبهـــذا يتضـــح أن لفظ الجنة في الآية لا يقطع بحملها على الملائكة فقط، بل يترجح حملها على الجن، والدليل إذا تطرق إليه الاحتمال سقط به الاستدلال .

٢- لا شـــك أن الملائكة يصح إطلاق اسم الجن عليهم بحسب اللغة؛ أي : لاستتارهم عـــن العيون، ولكن لفظ الجن بحسب العرف أصبح مختصا بغيرهم، كما أن لفظ الدابة يتناول كل ما يدب على الأرض بحسب اللغة الأصلية، ولكنه بحسب العرف اختص ببعض ما يدب من ذوات الأربع [7]. فلا مانع من أن تحمل آية الصافات على اللغة الأصلية، وهو المعنى العام الشامل للملائكة والجن لتشاركهم في لطافة الجسم وعدم رؤية البشر لهم – مع أن حمله على

---

(١) انظر : تفسير غريب القرآن لابن قتيبة (ص : ٢١)؛ ومعالم التنزيل (٦٣/١)؛ وموسوعة الأسماء والأعلام المبهمة في القرآن الكريم (٥٦/١) .

(٢) انظـــر : معالم التنزيل (٤٤/٤-٤٥)؛ وزاد المسير (٩١/٧)؛ والجامع لأحكام القرآن (١٣٤/١٥-١٣٥)؛ ومجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٢٧١/١٧-٢٧٢)؛ وتفسير القرآن العظيم (٢٣/٤) .

(٣) الناس الآية : ٦

(٤) انظر : حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح (ص : ٦٦) .

(٥) انظر : روح المعاني (١٥١/٢٣) .

(٦) انظر : التحرير والتنوير من التفسير (١٨٥/٢٣-١٨٦) .

(٧) انظر : التفسير الكبير (٢١٤/٢)؛ وشرح مختصر الروضة (٤٨٦/١) .

الجن أرجح من حمله على الملائكة كما تقدم-، وأن تحمل آية الكهف على العرف الحادث، وهو المعنى الخاص بالجن دون الملائكة لدلالة النصوص الأخرى على ذلك [1].

٣- أن قولــه تعالى : ﴿ إلاإبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه ﴾ جملة مستأنفة تشعر بتعليل فسوقه وعصـــيانه وعدم سجوده لآدم ﷺ، وهو كونه من الجن، فلو كان ملكا كسائر من سجد لآدم لم يفسق عن أمر الله؛ لأن الملائكة معصومون ألبتة، لا يجوز عليهم ما يجوز على الجن والإنس [2].

وقـــد تقرر في الأصول أن الفاء من الحروف الدالة على التعليل [3]، كقولهم : سرق فقطعت يده؛ أي : لأجل سرقته، وسها فسجد؛ أي : لأجل سهوه .

ومـــن هذا القبيل قوله تعالى : ﴿ قل هو أذى فاعتزلوا النساء في المحيض ﴾ [4]؛ أي : لأجل كونه أذى، وقوله ﷺ : ((من بدل دينه فاقتلوه)) [5]؛ أي : لأجل ارتداده عن الإسلام.

فكذلـــك قولـــه تعالى : ﴿ كان من الجن ففسق ﴾ ؛ أي : لعلة كينونته من الجن، فهذا وصف فارق بينه وبين الملائكة؛ لأنهم امتثلوا الأمر وعصى هو فلم يسجد [6].

٤- جواز إطلاق الكلمة الواحدة على أكثر من معنى لا يلزم أن تكون المعاني كلها من جنس واحـــد مـــثل : العين فإنها تطلق ويراد بها العين الباصرة، أو العين الجارية، أو الجاسوس، وغيرها من المعـــاني [7]، فكذلك جواز إطلاق كلمة الجن على الملك من حيث اللغة لوجود مشابهة بينهما من بعض الوجوه لا يصح أن يفهم منه أن إبليس الذي هو من جنس الجن أنه كان من جنس الملائكة .

الدليل الرابع : قالوا : إن المقصود من قوله تعالى : ﴿ كان من الجن ﴾ البيان والإيضاح بأنه كان من الملائكة الذين جعلهم الله تعالى على خزائن الجنة، وأنه كان رئيسهم . قاله

---

(١) انظر : التفسير الكبير (٢/٢١٤) .

(٢) الكشاف (٣/٥٩٢)؛ وأضواء البيان (٤/٩٣-٩٤) .

(٣) انظر : شرح مختصر الروضة (٣/٣٦٢-٣٦٣)؛ ومذكرة في أصول الفقه (ص : ٣٠٢)؛ وأضـــواء البيان (٤/٩٣) .

(٤) البقرة الآية : ٢٢٢

(٥) جزء من حديث ابن عباس – رضي الله عنهما –، أخرجه خ (استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، ب : حكم المرتد والمرتدة واستتابتهم ٦/٢٥٣٧ ح : ٦٥٢٤) .

(٦) انظر : أضواء البيان (٤/٩٣) .

(٧) انظر : مختار الصحاح (ص : ١٩٥، مادة : عين)، والأمثلة على هذا كثيرة جدا . انظر لذلك كـــتاب : ما اتفق لفظه واختلف معناه لابن الشجري .

البغوي، وذكره عن سعيد بن جبير وغيرهم [1] .

و لكنه هذا التوجيه لا يخلو من النظر فيه، وبيان ذلك بما يلي :

١- أن القول بأنه كان خازنا للجنة قول يحتاج لثبوته إلى دليل من الكتاب والسنة؛ لأنه من أمور الغيب؛ فلا يمكن الأخذ به إلا بدليل من كتاب الله أو بحديث ثابت عن رسول الله ﷺ، ولا دليل على ذلك من الكتاب والسنة؛ فلا يصح أن يقال بأنه كان ملكا جعله الله تعالى خازنا للجنة .

٢- أن قوله تعالى : ﴿ كان من الجن ففسق ﴾ يشعر بتعليل تركه للسجود لكونه جنيا، كما تقدم، ولا يمكن تعليل تركه السجود بكونه خازنا للجنة [2] .

٣- وهناك أدلة أخرى من الكتاب والسنة تدل على كونه من الجن وسيأتي ذكرها .

القول الثاني : إن إبليس لم يكن من الملائكة قط، وإنما هو من الجن . وقد ذهب إلى هذا القول جماعة من أهل العلم من السلف والخلف . وهو قول الحسن البصري [3] وابن شهاب الزهري [4]، وهو الذي اختاره الزجاج ومكي بن أبي طالب القيسي [5] والزمخشري وحسين بن أبي العز الهمذاني [6] وابن كثير ومحمد بن علي البلنسي [7] والزرقاني [8]

---

(١) انظر : معالم التنزيل (٦٣/١) وانظر : التفسير الكبير (٢١٣/٢)، وكذلك انظر الآثار الواردة عن السلف في كون إبليس من الملائكة، المحال إليها في (ص : ٣٦٨) .

(٢) التفسير الكبير (٢١٤/٢) .

(٣) أخرج عنه ابن جرير في تفسيره (٢٢٦/١)، وهو إسناد صحيح كما قال الحافظ ابن كثير في تفسيره (٧٨/١)؛ واللجنة الدائمة في فتواها (٥٠٩/٣)؛ وشيخنا / حكمت بشير في (التفسير الصحيح ١٣٩/١)، والحسن البصري هو الحسن بن أبي الحسن البصري، واسم أبيه يسار، الأنصاري مولاهم، ثقة فقيه فاضل مشهور، من كبار التابعين، توفي سنة ١١٠هـ. انظر : تقريب التهذيب (ص : ١٦٠ برقم : ١٢٢٧) .

(٤) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره (٢٣٦٦/٧ برقم : ١٢٨٤٦) بدون إسناد، وأخرجه أبو الشيخ في العظمة (١٦٤٤/٥ برقم : ١٠٨٨) بإسناده إليه، وأخرجه ابن أبي الدنيا في (مكائد الشيطان ص : ٥٢-٥٣ برقم : ٣٢) من طريق آخر، وتبين لي بعد دراسة الإسنادين أن هذا الأثر عن الزهري بالنظر إلى الطريقين يصل إلى درجة الحسن إن شاء الله، والله أعلم بالصواب .

(٥) مكي بن أبي طالب حموش بن محمد القيسي، من أهل التبحر في علوم القرآن والعربية، توفي سنة ٤٣٧هـ انظر : معرفة القراء الكبار (٧٥٢/٢ برقم : ٤٧٣).

(٦) حسين بن أبي العز يعقوب الهمذاني، ولقبه المنتجب على أصح الأقوال، مقرىء نحوي، توفي سنة ٦٤٣هـ . انظر : الأعلام (٢٩٠/٧)؛ ومعجم المؤلفين (٧/١٣) .

(٧) محمد بن علي بن أحمد الأوسي البلنسي، عالم بالعربية، أندلسي من أهل غرناطة، توفي سنة ٧٨٢هـ . انظر : الأعلام (٢٨٦/٦) .

(٨) محمد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني، المالكي، محدث فقيه أصولي، توفي بالقاهرة سنة ١١٢٢هـ . انظر : معجم المؤلفين (١٢٤/١٠) .

والأدكاوي [١]، ورجحه العلامة الآلوسي وابن عاشور ومحمد الأمين الشنقيطي ومحمد بن صالح العثيمين وصالح بن فوزان الفوزان ... [٢] وغيرهم من العلماء المتأخرين [٣]، وبه أفتت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء في المملكة العربية السعودية [٤].

وقد استدلوا بالآتي :

الدليل الأول : قوله تعالى : ﴿ وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه ﴾ [٥]. فالله تعالى صرح في هذه الآية الكريمة بأنه كان من الجن، وهذا نص قرآني في محل النزاع، فلا عدول إلى غيره .

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي : (وأظهر الحجج في المسألة — حجة من قال : إنه غير ملك؛ لأن قوله تعالى : ﴿ إلا إبليس كان من الجن ففسق ﴾ وهو أظهر شيء في الموضوع من نصوص الوحي، و الله أعلم) [٦].

الدليل الثاني : قوله تعالى : ﴿ ويوم يحشرهم جميعا ثم يقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون *

---

(١) عبد الله بن عبد الله بن سلامة الأدكاوي المصري، أديب ناثر ناظم، توفي سنة ١١٨٤هـ . انظر : معجم المؤلفين (٧٩/٦).

(٢) انظر بالترتيب : معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١١٣/١-١١٤)؛ ومشكل إعراب القرآن المجيد للقيسي (٨٧/١)؛ والكشاف (٢٥٤/١ و ٥٩٢/٣ و ٢٨١/٥)؛ والفريد في إعراب القرآن المجيد للهمذاني (٢٧٢/١-٢٧٣)؛ وتفسير القرآن العظيم (٧٧/١ و ٨٨/٣-٨٩)؛ وتفسير مبهمات القرآن للبلنسي (١٣١/١)؛ والأجوبة المصرية على الأسئلة المغربية للزرقاني (ص :٥٠و٩٢)؛ وموسوعة الأسماء والأعلام المبهمة في القرآن للأدكاوي (٥٦/١)؛ وروح المعاني (٢٩٢/١٥-٢٩٣)؛ والتحرير والتنوير من التفسير (٤٢٣/١)؛ وأضواء البيان (٩٣/٤-٩٤)؛ وأحكام من القرآن الكريم للعثمين(ص ١٦٣)؛ وكذلك مجموع فتاواه ورسائله (٢٨٥/١-٢٨٧)؛ والمنتقى من فتاوى فضيلة الشيخ صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان (٣٢/٢) .

(٣) انظر : الإيمان بالملائكة (ص : ٢٦٠)؛ وقصص الأنبياء لعبد الوهاب النجار (ص : ٨)؛ والقصة القرآنية هداية وبيان للدكتور / وهبة الزحيلي (ص : ٣٢-٣٣)؛ والجن في القرآن والسنة لمؤلفه : ولي زار بن شاه ز الدين (ص : ٨٠)؛ وعالم الجن في ضوء الكتاب والسنة لعبد الكريم نوفان عبيدات (ص : ٤٨٦-٤٩٠)؛ وعالم الجن والشياطين للدكتور عمر الأشقر (ص : ١٧-١٨)، وتهذيب التفسير وتجريد التأويل للشيخ عبد القادر شيبة الحمد (١٠٠/١)؛ والنبوة والأنبياء لمحمد علي الصابوني (ص : ١٢٨-١٢٩)؛ ومنهج المدرسة العقلانية الحديثة في التفسير لفهد الرومي (٦٤٨/٢-٦٤٩) وغيرهم .

(٤) انظر : فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء (٥٠٤/٣-٥٠٥ و ٥٠٩/٣) .

(٥) الكهف الآية : ٥٠

(٦) أضواء البيان (٩٤/٤) .

قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن ﴾ [1]. فهذا الآية تدل على أن الجن جنس آخر غير الملائكة، وإبليس من الجن بنص القرآن. فلا يصح القول بأنه كان من الملائكة، ولا يعدل إلى غيره مع وجود النص القرآني الصريح القاطع لمحل التراع في ذلك [2].

الدليـــل الثالث : قولـــه تعالى : ﴿ قال ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك قال أنا خير منه خلقتني من نار و خلقته من طين ﴾ [3] فقد أخبر الله تعالى أنه خلق إبليس من نار، و لم يخبر أنه خلق الملائكة من نار بل جاء على لسان أصدق البرية أهم مخلوقون من نور . فعن عائشة قالت : قال رسول الله ﷺ : خلقت الملائكة من نور، وخلق الجان من مارج من نار، وخلق آدم مما وصف لكم [4].

فهذا الحديث النبوي يدل على أن الملائكة مخلوقون من نور، لا من نار. وأما إبليس فهو مخلوق من نار، لا من نور؛ إذا طبيعتهما مختلفة .

الدليل الرابع : قوله تعالى : ﴿ أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو ﴾ [5] فقد أخـــبر الله أن إبليس له نسل وذرية. وأما الملائكة فليس لهم نسل وذرية، لأن الذرية إنما تحصـــل مـــن الذكر والأنثى، والملائكة لا أنثى فيهم لقوله تعالى : ﴿ وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا أشهدوا خلقهم ستكتب شهادتهم ﴾ [6] . فالله سبحانه وتعالى أنكر على من حكم عليهم بالأنوثة. فإذا انتفت الأنوثة انتفى التوالد لا محالة، فانتفت الذرية . فهذا دليل على أن إبليس من الجن، وليس من الملائكة؛ إذ لو كان من الملائكة لما كان له نسل و ذرية كالملائكة [7].

الدليـــل الخامس : قوله تعالى : ﴿ لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ﴾ [8] وقوله تعالى : ﴿ لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون ﴾ [9].

---

(١) سبإ الآيتان : ٤٠-٤١

(٢) انظر : أضواء البيان ٤/٩٤) .

(٣) الأعراف الآية : ١٢

(٤) حديث صحيح أخرجه مسلم وقد تقدم تخريجه في (ص : ١٠٥).

(٥) الكهف الآية : ٥٠

(٦) الزخرف الآية : ١٩

(٧) انظر : التفسير الكبير (٢/٢١٤) .

(٨) التحريم الآية : ٦

(٩) الأنبياء الآية : ٢٧

فقـــد وصف الله تعالى ملائكته بأنهم يمتثلون أمره، ولا يسبقونه بالقول. ونفى عنهم المعصـــية نفيا تاما. وأما إبليس فقد خالف الأمر وعصى، فوجب أن لا يكون من الملائكة الموصوفين بالعصمة عن المعصية لربهم تبارك وتعالى .

القـــول الـــثالث : لا منافاة بين القولين المتقدمين، ويمكن الجمع بينهما، وذلك أن إبليس كان من الملائكة باعتبار صورته، وليس منهم باعتبار أصله ومادته .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : (جعله بعض الناس من الملائكة؛ لدخوله في الأمر بالسجود، وبعضهم من الجن؛ لأن له قبيلا وذرية، ولكونه خلق من نار، والملائكة خلقوا من نور .

والتحـــقيق أنه كان منهم باعتبار صورته، وليس منهم باعتبار أصـــله، ولا باعتبار مثاله، ولم يخرج من السجود لآدم أحد من الملائكة : لا جبرائيل، ولا ميكائيل، ولا غيرهما) [1].

وقال العلامة ابن القيم : (الصواب التفصيل في هذه المسألة، وأن القولين في الحقيقة قول واحـــد، فإن إبليس كان مع الملائكة في صورته، وليس منهم بمادته وأصله، وكان أصله من نار، وأصل الملائكة من نور، فالنافي كونه من الملائكة والمثبت لم يتوردا على محل واحد) [2].

والـــذي يظهر لي أن الراجح من هذه الأقوال هو القول الثاني بأن إبليس من الجن، وليس من الملائكة؛ وذلك لصراحة ما اعتمدوا عليه من آية الكهف في قوله تعالى : ﴿كان من الجن﴾، ولما ورد في الكتاب والسنة من وصف إبليس بالعصيان، وبأن له نسلا وذرية، وبأنه مخلوق من نار، وأنـــه يأكل ويشرب ... فهذه كلها من صفات الجن دون الملائكة، ولشيوع الاستثناء من غير الجـــنس في كـــلام العرب، وو روده في القرآن الكريم، ولاستقامة توجيههم استثناء إبليس من الملائكـــة مـــن جهة المعنى بأنه كان يتعبد الله مع الملائكة، ويجالسهم ويتسم بأفعالهم، فأصبح واحدا منهم لمعايشته إياهم، ولذلك دخل في خطاب الأمر بالسجود لآدم مع الملائكة .

وأمـــا مـــا ذكـــره شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم من أن إبليس كان من الملائكة باعتبار صورته، ولم يكن منهم باعتبار أصله ولا باعتبار مثاله — حيث لم يتخلف أحد من الملائكة عن السجود لآدم عليه السلام فهو في الحقيقة ترجيح للقول الثاني بأن إبليس كان من الجن، وأنه لم يكن من الملائكة، والله أعلم بالصواب .

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٣٤٦/٤) .

(٢) نقلا من " محاسن التأويل " للقاسمي (١٠٤/٢) .

المبحث الثاني : موقف إبليس من آدم عليه السلام . وفيه مطلبان.

المطلب الأول : موقف إبليس من آدم عليه السلام قبل نفخ الروح فيه .

إن إبليس خلق قبل أن يخلق آدم عليه السلام. ولما خلق الله آدم عليه السلام وصوره على ما سبق بـه علمه سبحانه وتعالى تركه ما شاء أن يتركه، قبل نفخ الروح فيه. فكان إبليس يأتي إليـه، ويقول : لقد خلقت لأمر عظيم. وكان يطوف به ويدور حوله ينظر فيه، فلما رآه أجوف عرف أنه خلق خلقا لا يتمالك، وقال : ظفرت به .

عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لما صور الله آدم في الجنة تركه ما شاء الله أن يـتركه، فجعـل إبليس يطيف به ينظر ما هو، فلما رآه أجوف عرف أنه خلق خلقا لا يتمالك [1]، وهو عند ابن حبان بلفظ : " ظفرت خلق لا يتمالك " [2].

وعـن أبي هريـرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إن الله خلق آدم من تراب، ثم جعله طينا، ثم تركه حتى إذا كان حمأ مسنونا خلقه وصوره، ثم تركه حتى إذا كان صلصالا كالفخار. قال : فكان إبليس يمر به فيقول : لقد خلقت لأمر عظيم ، ثم نفخ الله فيه روحه ... الحديث .[3]

يتبين من الحديثين أن إبليس كان موقفه من آدم عليه السلام قبل أن ينفخ الله سبحانه وتعالى فيه من روحه موقف العداء والاستكبار والحسد، وأنه كان يزعم أن آدم لا ينجو من سلطانه وكيده، وأنه لا يستطيع أن يسلط عليه، وأنه كان ينوي في نفسه مخالفة آدم عليه السلام قبل أن يتم خلقه .

ويؤيد هذا ما رواه ابن جرير الطبري في تفسيره [4] و تاريخه [5]بإسناده إلى ابن عباس أنـه قـال : (... فمكـث أربعين ليلة جسدا ملقى، فكان إبليس يأتيه فيضربه برجله فيصلصـل - أي : يصـوت - ... ثم يدخل في فيه ويخرج من دبره، ويدخل من دبره

---

(1)حديث صحيح، أخرجه مسلم، وقد سبق تخريجه في (ص : ٩٩) .

(٢) أخرجه حب كما في الإحسان (التاريخ، ب : بدء الخلق ١٤/٣٥ ح : ٦١٦٣) .

(3) حديث حسن بمتابعته وشواهده، وقد تقدم تخريجه في (ص : ١٠٩-١١٠) .

(٤) جامع البيان عن تأويل آي القرآن (١/٢٠١-٢٠٢) .

(٥) انظر : تاريخ الطبري (١/٦٤) أخرج فيه مفرقا .

ويخـــرج من فيه، ثم يقول : لست شيئا ؟ - للصلصلة — ولشيء ما خلقت ؟ لئن سلطت عليك لأهلكنك، ولئن سلطت عليَّ لأعصينك ...) .

وكذلـــك ما ذكره في تفسيره [٦] و تاريخه [٧] بإسناده عن طريق السدي من قول ابن مسعود أنه قال : (... فكان جسدا من طين أربعين سنة من مقدار يوم الجمعة، فمرت به الملائكة ففزعوا منه لما رأوه، وكان أشدهم منه فزعا إبليس، فكان يمر به فيضربه، فيصوت الجســد كما يصوت الفخار وتكون له صلصلة ... ويقول : لأمر ما خلقت! ودخل من فيه فخرج من دبره، فقال للملائكة : لا ترهبوا من هذا؛ فإن ربكم صمد، وهذا أجوف، لئن سلطت عليه لأهلكنه ...) .

فهـــذه الآثار عن الصحابة رضي الله عنهم متفقة مع الحديث النبوي في بيان عداء إبـــليس وحســـده واستكباره على آدم ﷺ قبل نفخ الروح فيه ولكن الزيادة التي في هذه الآثـــار عـــلى مـــا ثبت من الحديث النبوي كبقاء آدم ﷺ في طينته أربعين ليلة أو سنة، وضـــرب إبليس طينة آدم المصورة برجله، ودخوله في فيه، وخروجه من دبره، وكذلك العكس فهذا لا يمكن الاعتماد عليها لأن مثل هذا الأمر يحتاج إلى دليل صحيح من كتاب أو ســـنة، ولأن في ثبوت هذه الآثار عمن حكيت عنهم من الصحابة نظر، وفي أسانيدها إليهم كلام- كما تقدم [٨]- والله أعلم بالصواب .

---

(٦) جامع البيان عن تأويل آي القرآن (٢٢٣/١) .

(٧) انظر : تاريخ الطبري (٦٤/١) ، ذكره مفرقا .

(٨) انظر : (ص : ٩٧-٩٨ و٣٤٠-٣٤١ و٣٦٨). وانظر ما قاله الدكتور / أحمد نجيب بن عبد الله عن هذه الروايات في رسالته للدكتوراة " الروايات الإسرائيلية في تفسير الطبري" (ص : ١٢٦-١٢٧) .

المطلب الثاني : امتناع إبليس من السجود لآدم عليه السلام،

وفيه ثلاثة مسائل .

المسألة الأولى : تعليل إبليس امتناعه عن السجود لآدم عليه السلام وبيان بطلانه .

أمْرُ اللهِ إبليسَ بالسجود لآدمَ عليه السلام وامتناعه عن السجود له :

إن مما أكرم الله به أبا البشر آدم عليه السلام أن أسجد له ملائكته، فلما أمر سبحانه الملائكة بالسجود لآدم عليه السلام امتثل جميعهم بأمر ربهم، وخروا ساجدين تكريما وتعظيما لآدم عليه السلام، وعبادة وطاعة وقربة لربهم جل وعلا، ولكن إبليس أبى واستكبر أن يكون من الساجدين لآدم عليه السلام. وقد ذكر الله سبحانه وتعالى ذلك في كتابه، فقال تعالى : ﴿ وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين ﴾[1] وقال تعالى : ﴿ ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس لم يكن من الساجدين ﴾[2] وقال تعالى : ﴿ فسجد الملائكة كلهم أجمعون * إلا إبليس أبى أن يكون مع الساجدين ﴾[3] وقال تعالى : ﴿ وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه ﴾[4] وقال تعالى : ﴿ وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى ﴾[5] وقال تعالى : ﴿فسجد الملائكة كلهم أجمعون * إلا إبليس استكبر وكان من الكافرين ﴾[6].

فهذه الآيات القرآنية تبين أن إبليس لم يسجد لآدم عليه السلام إباء منه واستكبارا، ويزداد ذلك وضوحا وبيانا بالنظر فيما اعتل به لعدم سجوده لأبي البشر آدم عليه السلام .

---

(١) البقرة الآية : ٣٤
(٢) الأعراف الآية : ١١
(٣) الحجر الآيتان : ٣٠-٣١
(٤) الكهف الآية : ٥٠
(٥) طه الآية : ١١٦
(٦) ص الآيات : ٧٣-٧٤

تعليل إبليس امتناعه من السجود لآدم عليه السلام :

ولما عاتب الله إبليس على مخالفته أمره سبحانه، وعدم سجوده لآدم عليه السلام جاء اللعين بعذر أقبح من الذنب، وهو أنه مخلوق من النار، وأن آدم عليه السلام مخلوق من الطين، واستنتج من ذلك أنه خير من آدم عليه السلام، ثم رتب على هاتين المقدمتين أنه لا يحسن منه الخضوع لمن هو فوقه، وأنه لا ينبغي أن يؤمر بالسجود لمن هو خير منه [1]. وقد حكى الله تعالى ذلك في كتابه فقال : ﴿ قال ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين ﴾ [2] وقال تعالى : ﴿ قال يا إبليس ما لك ألا تكون مع الساجدين * قال لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حمإ مسنون ﴾ [3] وقال تعالى : ﴿ وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس قال ءأسجد لمن خلقت طينا ﴾ [4] وقال تعالى : ﴿ قال يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي أستكبرت أم كنت من العالين * قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين ﴾ [5].

فالشبهة التي تعلق بها إبليس زعمه أنه خير من آدم عليه السلام؛ لكونه مخلوقا من النار، وكون آدم عليه السلام مخلوقا من الطين .

بيان بطلان ما علل به إبليس امتناعه من السجود لآدم عليه السلام .

إن امتناع إبليس من السجود لآدم عليه السلام إنما كان عن إباء وكبر وغرور وحسد . قال قتادة : (حسد عدو الله إبليس آدم على ما أعطاه الله من الكرامة، وقال : أنا ناري، وهذا طيني، فكان بدء الذنوب الكبر، استكبر عدو الله أن يسجد لآدم) [6].

وأما الشبهة التي تعلق بها فإنما ذكرها على سبيل التعنت، ومع ذلك هي شبهة واهية

---

(١) انظر : استخراج الجدال من القرآن الكريم (ص : ٦٠)؛ وإغاثة اللهفان (٢/١٠٢-٢٠٢)؛ وبدائع الفوائد (٤/ ١٨٨)؛ وآكام المرجان في غرائب الأخبار وأحكام الجان (ص : ١٥٧-١٥٨)؛ ومذكرة في أصول الفقه (ص : ٣٤٢)؛ وأضواء البيان (٥٩/١) .

(٢) الأعراف الآية : ١٢

(٣) الحجر الآيتان : ٣٢-٣٣

(٤) الإسراء الآية : ٦٠

(٥) ص الآيتان : ٧٥-٧٦

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٢٣/١ برقم : ٣٦٨)، وإسناده صحيح كما في (التفسير الصحيح ١٤٠/١) .

داحضة، وبيان بطلانها من وجوه، وهي كما يلي :

الوجه الأول : إن قياس إبليس نفسه علىٰ عنصره الذي هو النار، وقياسه آدم عليه السلام على عنصره الذي هو الطين، واستنتاجه من ذلك أنه خير من آدم عليه السلام، وأنه لا ينبغي أن يؤمـــر الفاضل بالسجود للمفضول، فهذا قياس فاسد؛ لأنه في مقابلة النص الصريح الذي هو قوله تعالى : ﴿اسجدوا لآدم﴾ [1]. والقياس إذا صادم النص يكون فاسد الاعتبار، إذ لا مجال للقياس عند وجود النص [2].

الوجـــه الـــثاني : لا يسلم له دعواه أن النار خير من الطين بل الطين خير من النار، وبيان ذلك من وجوه، وهي كما يلي :

١- أن الـــتراب إذا وضـــع فيه القوت من الحب والنوى أخرجه - بإذن الله - أضعاف أضـــعاف مـــا وضع فيه، فمن بركته يؤدي ما استودعته فيه إليك مضاعفا. ولو استودعته النار لخانتك وأكلته، ولم تبق ولم تذر، بل النار طبعها الفساد وإتلاف ما تعلقت به؛ فإنه لو وقع منها شـــواظ [3] بقدر الحبة في مدينة عظيمة لأفسدها كلها ومن فيها، ولا يمكنها أن تحفظ شيئا من الأمانة. فالنار مظنة الإهلاك والخيانة بخلاف التراب، فإنه مظنة الحفظ والأمانة والإنماء [4].

٢- أن الـــنار طـــبعها الخفـــة والطيش والحدة، وهو الداعي لإبليس بعد الشقاوة التي سبقت له إلى الاستكبار والإصرار؛ فأورثه اللعنة والشقاوة إلى الأبد . والتراب طبعه الرزانة والسكون والثبات، وهو الداعي لآدم عليه السلام بعد السعادة التي سبقت له إلى التوبة والتواضع والتضرع والإنابة، فأورثه التوبة والهداية والاجتباء [5].

---

(١) البقرة الآية : ٣٤ والأعراف الآية : ١١ والكهف الآية : ٥٠ وطه الآية : ١١٦

(٢) انظر : استخراج الجدال من القرآن الكريم (ص : ٦٠)؛ ومجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٥/١٥)؛ والصـــواعق المترلة على الطائفة الجهمية والمعطلة (٦٦٣/٢)؛ وإغاثة اللهفان من مصائد الشيطان (٢٠١/٢)؛ وتفسير القرآن العظيم (٢٠٣/٢)؛ ومذكرة في أصول الفقه (ص : ٣٤٢)؛ وأضواء البيان (٥٩/١) .

(٣) قال ابن عباس -رضي الله عنهما - : الشواظ : لهب النار. أخرجه الطبري في تفسيره (١٣٩/٢٧)، وإسناده حسن، كما في التفسير الصحيح (٤٢٥/٤) .

(٤) انظر : الصواعق المترلة ... (٦٦٤/٢-٦٦٥)؛ وبدائع الفوائد (١٨٨/٤-١٨٩) .

(٥) انظـــر :جـــامع البيان عن تأويل آي القرآن (١٣٠/٨-١٣١)؛ ومعالم التتريل (١٥٠/٢-١٥١)؛ والجامع لأحكام القرآن (١٧١/٧) .

٣- أن المـــادة الإبليسية هي المارج من النار، وهو ضعيف يتلاعب به الهوى، فيميل معـــه كيفمـــا مال. ولهذا غلب الهوى على المخلوق منه، فأسره وقهره. ولما كانت المادة الآدميـــة الترابَ وهو قوي لا يذهب مع الهوى، أينما ذهب قهر هواه وأسره ورجع إلى ربـــه، فاجتباه واصطفاه. وكان الهوى الذي مع المادة الآدمية عارضا سريع الزوال فزال. وكان الثبات و الرزان أصليا له فعاد. وكان إبليس بالعكس من ذلك، فعاد كل منهما إلى أصله وعنصره؛ آدم إلى أصله الطيب الشريف، واللعين إلى أصله الردي الخبيث [١].

٤- أن الله تعـــالى أودع في الأرض مـــن المنافع والمعادن والأنهار والعيون والثمرات والحبوب والأقوات وأصناف الحيوانات والجبال والجنان والرياض والمراكب البهية والصور البهيجة ... ما لا يعلمه إلا الله. فالتراب يتكون فيه ومنه أرزاق الحيوان وأقواتهم، ولباس العباد وزينتهم، وآلات معايشهم ومساكنهم. وأما النار فلم يودع فيها شيئا من ذلك، فلا توجد فيها روضة أو جنة أو معدن أو صورة أو عين فوارة أو نهر مطرد أو زهرة جميلة أو ثمرة لذيذة أو مركبة بهية أو زوجة حسنة أو لباس وسترة ...فأين النار من التراب ؟ [٢].

٥- أن الـــنار وإن حصل فيها بعض المنفعة والمتاع، فالشر كامن فيها، لا يصدها عنه إلا قســـرها و حبســـها، ولولا القاسر والحابس لها لأفسدت الحرث والنسل. وأما التراب فالخير والبركة كامن فيه، كلما أثير وقلب ظهرت بركته وخيره وثمرته. فأين أحدهما من الآخر ؟ [٣].

٦- أن الـــرحمة تنزل على الأرض فتقبلها، وتحيى بها، وتخرج زينتها وأقواتها، وتشكر ربها. وتنزل على النار فتأباها، وتطفئها، وتمحوها، وتذهب بها .

فبينها وبين الرحمة معاداة، وبين الأرض وبين الرحمة موالاة وإخاء [٤].

٧- أن التراب ضروري للحيوان، ولا يمكنه أن يعيش بدونه أو بما خلق منه البتة، وأما النار فيستغني عنها الحيوان البهيم مطلقا، وقد يستغني عنها الإنسان الأيام والشهور فيعيش بدونها [٥].

---

(١) انظر : بدائع الفوائد (٤/١٨٩)؛ وآكام المرجان في غرائب الأخبار و أحكام الجان (ص : ١٥٨) .

(٢) انظر : بدائع الفوائد (٤/١٩٠-١٩١)؛ و آكام المرجان (ص : ١٥٩) .

(٣) انظر : بدائع الفوائد (٤/١٨٩)؛ وآكام المرجان (ص : ١٥٨) .

(٤) انظر : الصواعق المنزلة (٢/٦٦٦) .

(٥) انظر : الصواعق المنزلة (٢/٦٦٥)؛ وبدائع الفوائد (٤/١٨٨-١٨٩)؛ وآكام المرجان (ص : ١٥٨) .

عـــن عـــروة [1]ﷺ عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت له : " ابن أختي، إن كنا لننظر إلى الهلال ثم الهلال، ثلاثة أهلة في شهرين، وما أوقدت في أبيات رسول الله ﷺ نار. قال : قلت: يا خالة ! ما كان يُعيّشُكم ؟ قالت : الأسودان التمر والماء ... الحديث [2].

٨- أن الأرض مهـــبط وحـــي الله، ومسكن رسله وأنبيائه وأوليائه، وكفاهم أحياء وأمواتا. والنار مسكن أعدائه ومأواهم [3].

٩- أن الـــنار طبعها العلو والفساد، والله سبحانه لا يحب المستكبرين، ولا يحب المفســـدين . والأرض طبعها الخشوع والإخبات والنفع، والله تعالى يحب المخبتين، ويحب الخاشعين، ويحب المحسنين [4].

١٠- أن الله تعالى أكثر ذكر الأرض في كتابه، وأخبر عن منافعها، وأخبر أنه جعلها مهـــادا وفراشا وبساطا وقرارا، وكفاتا للأحياء والأموات، ودعا عباده إلى التفكر فيها، والنظر في آياتها وعجائب ما أودع فيها. ولم يذكر النار إلا في معرض العقوبة والتخويف والعذاب إلاموضعا أو موضعين ذكرها فيه بأنها تذكرة، ومتاع للمقوين [5]. تذكرة بنار الآخرة، ومتاع لبعض أفراد الناس. فأين هذا من أوصاف الأرض في القرآن ؟ [6].

١١- أن الله تعالى وصف الأرض بالبركة في غير موضع من كتابه خصوصا، وأخبر أنه بارك فيهـــا عموما، فقال تعالى : ﴿ قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أندادا ذلك رب العالمين * وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين ﴾ [7] فهذه بركة عامة .

---

(١) عـــروة بن الزبير بن العوام الأسدي، أبو عبد الله المدني، ثقة فقيه مشهور، من أعلم الناس بحديث أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها –، وتوفي سنة ٩٤هـــ على الصحيح من أقوال أهل العلم . انظر : تقريب التهذيب (ص : ٣٨٩ برقم : ٤٥٦١)؛ و تهذيب التهذيب (١١٧/٤ برقم : ٥٢٥٣) .

(٢) أخرجه خ (الهبة وفضلها والتحريض عليها ٩٠٧/٢ ح : ٢٤٢٨)؛ و م (الزهد والرقائق ٢٢٨٣/٤ ح : ٢٩٧٢) .

(٣) انظر : الصواعق المترلة (٦٦٥/٢) .

(٤) انظر : المصدر السابق (٢٦٥/٢-٢٦٦) .

(٥) وذلك في الآية (٨٠) من سورة يس ، و الآيات (٧٠-٧٣) من سورة الواقعة .

(٦) انظر : بدائع الفوائد (٤/ ١٩٠)؛ وآكام المرجان (ص : ١٥٨-١٥٩) .

(٧) فصلت الآيتان : ٩-١٠

وأما البركة الخاصة ببعضها فكقوله تعالى : ﴿ ونجيناه ولوطا إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين ﴾ [1]، وقولـــه تعالى : ﴿ ولسليمان الريح عاصفة تجري بأمره إلى الأرض التي باركنا فيها ﴾ [2]، وقوله تعـــالى : ﴿ وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة وقدرنا فيها السير سيروا فيها ليالي وأياما ءامنين ﴾ [3].

وأمـــا النار فلم يخبر أنه جعل فيها بركة أصلا بل المشهور أنها مذهبة للبركة ما حقه لها. فأين المبارك في نفسه، المبارك فيما وضع فيه ، إلى مزيل البركة وما حقها ؟ [4].

١٢- أن غاية النار أنها وضعت خادمة لما في الأرض. فالنار إنما محلها محل الخادم لهذه الأشياء المكمل لها، فهي تابعة لها خادمة فقط؛ إذا استغنت عنها طردتها وأبعدتها عن قربها، وإذا احتاجت إليهـــا استدعتها استدعاء المخـــدوم لخـــادمه ومن يقضي حوائجه [5].

١٣- أن الله تعالى جعل الأرض محل بيوته التي يذكر فيها اسمه، ويسبح له فيها بالغدو والآصال عموما، وبيته الحرام الذي جعله قياما للناس مباركا فيه وهدى للعالمين خصوصا، فجعل حجه محطا لأوزارهم، ومكفرا لسيئاتهم، وجالبا لهم مصالح معاشهم ومعادهم، ولو لم يكن في الأرض إلا بيته الحرام لكفاهـــا ذلك شرفـــا وفضـــلا على النار [6].

١٤- أن التراب يفسد صورة النار ويبطلها ويقهرها وإن علت عليه [7].

١٥- النار مضطربة سريعة النفاد والزوال، والطين ثابت طويل البقاء [8].

١٦- أن الـــلعين لقصـــور نظره وضعف بصيرته رأى صورة الطين ترابا ممتزجا بماء فاحتقره، و لم يعلم أن الطين مركب من أصلين : الماء الذي جعل الله تعالى منه كل شيء حي، والتراب الذي جعله خزانة المنافع والنعم .

---

(١) الأنبياء الآية : ٧١

(٢) الأنبياء الآية : ٨١

(٣) سبإ الآية : ١٨

(٤) انظر : بدائع الفوائد (١٩٠/٤)؛ وآكام المرجان (ص : ١٥٩) .

(٥) انظر : المصدرين السابقين أنفسهما .

(٦) انظر : بدائع الفوائد (١٩٠/٤)؛ والصواعق المنزلة (٦٦٥/٢)؛ وآكام المرجان (ص : ١٥٩) .

(٧) انظر : الصواعق المنزلة (٦٦٦/٢)؛ وفتح القدير (٤٤٥/٤) .

(٨) انظر : الصواعق المرسلة (٦٦٦/٢)؛ وفتح القدير (١٩٢/٢) .

هذا، وكم يجيء من الطين من المنافع وأنواع الأمتعة ، فلو تجاوز نظره صورة الطين إلى مادته ونهايته لرأى أن التراب خير من النار وأفضل [1].

يتبين مما سبق من الوجوه أن دعوى إبليس أن النار خير من الطين دعوى باطلة بل الطين أفضل من النار وخير منها، وبه ينهد بنيان قياسه الفاسد، ويبطل دعوى فضله على آدم عليه السلام .

الوجه الثالث : لو سلم بطريق الفرض الباطل أن النار خير من الطين لم يلزم من ذلك أن يكون المخلوق منها خيرا من المخلوق من الطين؛ فإن شرف الأصل لا يستلزم شرف الفرع [2].

فالله سبحانه وتعالى يخرج الحي من الميت، ويخرج الكافر من المؤمن، ويخرج الظلمات من النور، ويخرج الورد من الشوك، ويخرج من الطين ما هو خير منه من النباتات والمعادن وغيرها. وقد جعل العبيد والموالي الذين آمنوا بالله ورسوله خيرا وأفضل ممن ليس مثلهم من كبار قريش وبني هاشم. وخلق بني آدم من الماء المهين في أحسن تقويم، وجعلهم في كمال الصورة الإنسانية التامة المحاسن خلقا وخلقا. وخلق الملائكة من نور، وآدم عليه السلام من تراب، وجعل في ذرية آدم عليه السلام من هو خير من الملائكة، وإن كان النور أفضل من التراب .

فهذا وأمثاله من كمال قدرة الله سبحانه وتعالى بأنه يخلق من المادة المفضولة من هو خير ممن خلقه من المادة الفاضلة. فالتفضيل ليس بالمواد والأصول بإطلاق بل الاعتبار مع ذلك بكمال النهاية لا بنقص المادة، فاللعين لم يتجاوز نظره محل المادة، ولم يعبر منها إلى كمال الصورة ونهاية الخلقة [3].

ثم إن الشيء كما يشرف بمادته وعنصره يشرف بفاعله، وغايته، وصورته. وهذا الشرف اختص به أبو البشر آدم عليه السلام فقد خلقه الله تعالى بيديه، ونفخ فيه من روحه، وأسجد له ملائكته، وعلمه أسماء كل شيء، وجعله خليفة في الأرض، وليس لإبليس شيء من ذلك. فكفى به شرفا وفضلا وكرامة وسعادة لآدم عليه السلام [4].

---

(١) انظر : بدائع الفوائد (١٩١/٤)؛ وآكام المرجان (ص : ١٥٩) .

(٢) انظر : مذكرة في أصول الفقه (ص : ٣٤٢)؛ وأضواء البيان (٦٠/١) .

(٣) انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٥/١٥-٦)؛ والصواعق المرسلة (٦٦٣/٢-٦٦٤)؛ وبدائع الفوائد (١٩١/٤-١٩٢)؛ وآكام المرجان (ص : ١٥٩-١٦٠)؛ وروح المعاني (٨٩/٨) .

(٤) انظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن (١٣١/٨)؛ ومجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٦/١٥)؛ وتفسير القرآن العظيم (٢٠٤/٢)؛ وروح المعاني (٨٩/٨) .

الوجــه الرابع : أنه لو سلم بطريق الفرض الباطل أن قياسه صحيح، وأنه أفضل من آدم عليه السلام فيمكن أن يقال :إن إكرام الأفضل للمفضول ليس بمستنكر [1]بل يترجح امتثاله أمر ربه بسجوده لآدم عليه السلام على إبائه وعدم سجوده له من وجهين[2]:

١- أن مصلحة امتثال الأمر راجحة على الامتناع؛ لأن امتثال الأمر آمن من العقاب المترتب على المخالفة .

٢- أن امتنـاع إبـليس من السجود لآدم عليه السلام بما ذكره من التعليل يلزم منه تخطئة الآمـر، ونسبته إلى وضع الشيء في غير محله . وفي ذلك ذم لله وسوء أدب معه سبحانه وتعالى الذي لا يخلو فعل من أفعاله، ولا أمر من أوامره من حكمة .

يتبين مما سبق من الوجوه أن الشبهة التي تعلق بها إبليس شبهة داحضة باطلة تدل على فساد نظـره وبطلان حجته، وأن الحكمة كانت توجب عليه أن يسجد لآدم عليه السلام ولكنه عارض حكم الله وأمره برأيه الباطل ونظره الفاسد، فقياسه باطل نصا وعقلا، والله أعلم بالصواب .

---

(١) انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١٥/٦) .

(٢) انظر : استخراج الجدال من القرآن الكريم (ص : ٦١)؛ والقياس الفاسد وأثره في الانحراف في العقيدة (ص : ٤٠) .

المسألة الثانية : أثر هذا المنهج الذي سلكه إبليس في بني آدم .

إن إبـــليس لمـــا أمر بالسجود لآدم ﷺ عارض الأمر الإلهي والخطاب الرباني بعقله الفاسد، وادعى أن النار خير من الطين. وذلك يقتضي في زعمه أن المخلوق من النار خير مـــن المخلوق من الطين، فهو خير من آدم ﷺ، وصارت هذه المعارضة الإبليسية ميراثا في أتباعه من وجوه كثيرة، وفيما يلي ذكر بعضها :

١- تصحيح ما جاء به إبليس من القياس الفاسد، وتفضيل اللعين على آدم ﷺ :
لقـــد وجد في بني آدم من يقول بصحة ما جاء به إبليس من القياس الفاسد، ويفضله على أبي البشر آدم ﷺ؛ فقد قيل عن بشار بن برد [١] أنه كان يفضل النار على التراب وكان يوافـــق إبليس اللعين في تصحيح قياسه الفاسد وكان ينتصر لإبليس ويصوب رأيه الباطل، فقال في ذلك – كما حكي عنه – :

الأرض مظلمة والنار مشرقة   والنار معبودة مذ كانت النار [٢]

فهـــذا البيت صريح في تفضيله النار على الطين، وأنه يزعم أن النار معبودة لشرفها وعظمتها، وأما الطين فهو مظلم لا يسمو إلى درجتها في زعمه !.

وأصرح من ذلك قوله :

إبليس خير من أبيكم آدم   فتنبهوا يا معشـــر الفـــجـــار

إبليس من نار وآدم طينة   والأرض لا تسمو ســـمو النار [٣]

فهو يفضل إبليس على آدم ﷺ، ويزعم صحة قياسه الفاسد، ويقول بما قال به إبليس حرفا بحرف، ويتبعه شبرا بشبر، فهو من أتباع إبليس وحلفائه .

٢- الـــتفاخر بالأصـــول والعروق، والتعالي بالآباء والأجداد، وتقديم الأحساب والأنساب على الإيمان والتقوى : خلق الله تعالى الناس كلهم من ذكر وأنثى، وجميعهم

---

(١) بشار بن برد العقيلي بالولاء ، الضرير، شعره في أول طبقات المولدين، اتهم بالزندقة فقتله المهدي عليها سنة ١٦٧هـــ . انظر : تاريخ بغداد (١١٢/٧)؛ والبداية والنهاية (١٤٩/١٠-١٥٠)؛ والزندقة والزنادقة (ص : ١٧٧-١٧٩) .

(٢) ديوان بشار بن برد (ملحقات الديوان ٧٨/٤) .

(٣) المصدر السابق نفسه .

يرجعون في أصلهم ونسبهم إلى آدم وحواء عليهما السلام، فهم سواء في هذا الأصل، فلا ينبغي التفاخر بالأنساب، والتعاظم بالآباء ولكن مع ذلك كثير من بني آدم يدعون بدعوى الجاهلية، و يفتخرون بالأصول والعروق، ويتطاولون بالأحساب والأنساب، ويتعاظمون بالآبـاء والأجداد، ولا يلقون بالا للإيمان والتقوى، ويدعون أنهم المختصون بالفضيلة، والمنفردون بالكرامة، والمتوارثون للشرف والعزة أبا عن جد، مهما خبثت أفعالهم، وساءت أعمالهم، وشنعت جرائمهم، وزادت آثامهم، وكثرت معاصيهم.

والمتأمل في أحوال الناس اليوم يرى أن الحياة المعاصرة في أغلب أحوالها قائمة على التقسيم العرقي المذموم بل إن من الناس من غلا في هذا الباب، فقسم الناس على طبقات، وجعل ذلك من العقيدة والدين، ويزعم أنه وعشيرته أبناء الله وأحباؤه، وأن أرواحهم جزء من الله، وأن الجنة لا يدخلها غيرهم، وأنهم المختصون بالكرم والشرف والاستعلاء والتفوق، وأن أرواح غيرهم أرواح شيطانية، وشبيهة بأرواح الحيوانات، وأنهم مثل الكلاب والحمير، وإنما خلقوا لتوفير أسباب العيش والراحة لهم، وجعلوا على هيئة الإنسان حتى يكونوا لائقين بخدمتهم [١] .

فهذا كله من الدعاوي الباطلة التي يدعيها أصحابها، وهم في ذلك تابعون لما رسم لهم الشيطان من المعالم الإبليسية والأصول الشيطانية .

وكم خسر العالم من أجل التفاخر بالأحساب والأنساب، والتعالي بالآباء والأجداد، فسلت السيوف، وجردت الصوارم، وأججت نيران المعارك، ودارت دائرة الحروب، وسفكت الدماء، وهتكت الأعراض، وبذلت الأرواح والأموال، وقتلت النفوس والنفائس، وفقد الأحبة والأقارب من الآباء والأبناء والإخوان والأعمام والأخوال والأزواج ... وزادت صفوف اليتامى والأرامل والثكلى، وكثر الفقراء والمساكين، وفقد الأمن والاستقرار، وعم الخوف والفقر والبلاء [٢] .

---

(١) انظر : (ص : ٤٦-٤٧) .

(٢) الحروب التي وقعت بين الناس، قديما وحديثا، أفرادا وجماعات أغلبها وقعت لأجل التفاخر بالأحساب والأنساب، ولأجل التقاسيم العرقية والنزعات العنصرية، فحروب العرب في الجاهلية، ولا سيما منها الحروب التي كانت بين الأوس والخزرج، والحروب الصليبية، والحروب الاستعمارية، والحروب العالمية المعاصرة هذه كلها وقعت لأجل تفضيل جنس بشري على آخر منهم . انظر : أيام العرب في الجاهلية وحروبها، أسبابها ونتائجها في كتاب : الكامل في التاريخ (١/٢٩٩-٤٠٢)؛ وتاريخ شبة الجزيرة العربية قبل الإسلام (ص : ٣٥٩-٣٨٢)، وانظر عن الحروب الصليبية ←

وكم شقي الناس من أجل التعصب للأصول والعروق، فآثروا من أجله النقمة على النعمة، و الشر على الخير، وقدموا الكاذب على الصادق، والفاجر على البر، واختاروا الظلام على النور، والإيمان على الكفر، و الضلالة على الهداية، والعذاب على المغفرة، والنار على الجنة .

فعـــن المسيب بن حزن – رضي الله عنهما – قال : لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله ﷺ فوجد عنده أبا جهل وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة، فقال : أي عم قل : لا إلـــه إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله. فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية : أترغب عن مـــلة عبد المطلب ؟ فلم يزل رسول الله ﷺ يعرضها عليه ويعيدانه بتلك المقالة حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم : على ملة عبد المطلب، وأبى أن يقول : لا إله إلا الله . فقال رسول الله ﷺ : لأســـتغفرن لـــك ما لم أنه عنك . فأنزل الله عز وجل ﴿ ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ﴾ [1]، وأنزل الله تعالى في أبي طالب فقال لرسول الله ﷺ : ﴿ إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين ﴾ [2] [3] .

وهـــذا طلحة النمري لما سمع أن مسيلمة الكذاب ادعى النبوة جاء إليه وقال : (أشهد أنك كذاب، وأن محمدا صادق، ولكن كذاب ربيعة أحب إلينا من صادق مضر) فقاتل معه حتى قتل [4]، فيا لها من شقاوة ما بعدها شقاوة، و يا لها من خسارة ما بعدها خسارة .

ومـــا ذلـــك إلا لأجـــل التعصب بالحسب والنسب، والتعلق بالأصول والعروق، وتقديمها على الإيمان والتقوى الذي هو ميزان الشرف والكرامة عند الله تعالى [5].

الاســـتعمارية في كـــتاب : حاضر العالم الاسلامي للدكتور جميل المصري (١/٦١-٦٨)،وانظر عن العصبية الجنسية وآثارها السيئة في العالم كتاب : حاضر العالم الإسلامي لمؤلفه : لوثروب الأمريكي (٤/٧١-١٥٦)، ومقالا بعنوان " آنحضرت ﷺ كا منشور حقوق إنسانيت " أي : الحقوق الإنسانية التي نشرها وأعلنها محمد ﷺ . للدكتور / احتشام أحمد الندوي ، منشور في مجلة السراج، المجلد التاسع والعدد ١-٢ (ص : ٢٢-٢٤) .

(١) التوبة الآية : ١١٣

(٢) القصص الآية : ٥٦

(٣) أخرجه خ (التفسير، القصص ب :﴿ إنك لا تهدي من أحببت... ﴾ [الآية : ٥٦] ٤/١٧٨٨ ح : ٤٤٩٤)، واللفظ له؛ و م (الإيمان، ب : الدليل على صحة إسلام من حضره الموت ما لم يشرع في النزع ... ١/٥٤ ح : ٢٤) .

(٤) انظر : تاريخ الأمم والملوك للطبري (٢/٢٧٧) .

(٥) انظر : (ص : ٤٤-٤٦) .

بـــل إن الحجـــة الوحيدة التي كان يتعلق بها المشركون، وكانوا يواجهون بها أنبياء الله ورســـله في عدم إيمانهم بالله ورسله، وفي عدم إفرادهم الله سبحانه وتعالى بالعبادة كلها هي اتـــباعهم للآباء والأجداد، والتمسك بعاداتهم وتقاليدهم وعقائدهم وأديانهم بغير علم ولا هدى ولا بصيرة، كما حكى الله عنهم فقال تعالى : ﴿ وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون ﴾[1] وقال تعالى : ﴿ وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون ﴾[2] وقال تعـــالى: ﴿ وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا أولو كان الشيطان يدعوهم إلى عذاب السعير ﴾[3] وقال تعالى : ﴿ بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون * وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون ﴾[4].

٣- الاعـــتماد على العـــقل القاصر الضعيف ومعارضة الوحي الإلهي به وتقديمه عـــليه : إن إبـــليس قدس عقله، وعبد هواه، واستقل برأيه، فعارض الأمر الإلهي بعقله الفاسد، ورأى أن في سجوده لآدم ﷺ غضاضة له،وهضما لشأنه، وكسرا لمترلته، مع أن النظر الدقيق يخالف ذلك .

فكذلك وجد من البشر من يعارض الأحكام الإلهية والأخبار الربانية بعقله الفاسد، ويعرضها على عقله الضعيف المختل، فيقبل منها ما شاء، ويرفض منها ما شاء بدعوى أن العقل يأباها، ولا يسلم لها، وأن هذا خلاف العقل والحكمة ![5] .

ولا شـــك أن تقديـــس العقل، وتحكيمه على الوحي الإلهي، وتقديمه على نصوص

---

(١) البقرة الآية : ١٧٠

(٢) المائدة الآية : ١٠٤

(٣) لقمان الآية : ٢١

(٤) الزخرف الآيتان : ٢٢-٢٣

(٥) انظـــر : جملة من أقوال العقلانيين من القدامى والمحدثين في تقديسهم العقل وتقديمهم إياه على النص الإلهي في كتاب : العقلانيـــون أفـــراخ المعتزلة العصريون (ص : ٥١-٧٥)، وقد بين العلامة ابن القيم بطلان هذا الطاغوت من مائتين وواحد وأربعين وجها . انظر : الصواعق المرسلة (٣-٤/٧٩٦-١٥٦٠) بتحقيق : علي بن محمد الدخيل الله .

الكـــتاب والســـنة من الأصول الشيطانية التي رسم معالمها إبليس اللعين [1]، وعملا بهذه القـــاعدة الإبليســـية أنكر كثير من العقلانيين ما هو من مسلمات الإيمان وثوابت الدين بالضـــرورة، فمنهم من أنكر الأحاديث النبوية التي لم تستسغها عقولهم المريضة [2] بطرق شتى [3]، ومنهم من أنكر وجود الملائكة [4]، ومنهم من أنكر الجن والشياطين [5] ومنهم من أنكر المعجزات والكرامات التي يكرم الله بها من شاء من عباده من الأنبياء والصالحين [6]، ومـــنهم مـــن أنكر عذاب القبر ونعيمه [7]، ومنهم من أنكر علامات القيامة مثل طلوع الشمس من مغربها،وخروج دابة الأرض،ونزول المسيح ﷺ وغيرها من الأمور [8]، ومنهم من أنكر البعث والنشور والحساب والميزان وما في النار من أنواع العذاب الحسي، وما في الجـــــنة مـــــن أنـــــواع النعـــــيم الحســـــي [9]،

---

(١) انظر : جناية التأويل الفاسد على العقيدة الإسلامية (ص : ٤٤-٤٥) .

(٢) انظـــر : نمـــاذج للأحاديث التي رفضها العقلانيون بدعوى الاستحالة العقلية وعدم مسايرتها مع النواميس الظاهرة والعـــلوم الحديثة مع الجواب عن شبهاتهم حولها بالتفصيل في كتاب : السنة النبوية ومطاعن المبتدعين فيها (ص : ١٧٨-١٩٣و ٢٠٥-٢١٨)؛ وموقـــف الجماعة الإسلامية من الحديث النبوي (ص : ١١٣-١٢٧)؛ وزوابع في وجه السنة قديما وحديثا (ص : ٧٣-٧٤ و ١١٣-١٦٨) .

(٣) الذين أنكروا السنة النبوية لهم أساليب شتى في إنكارها فهم تارة ينكرون حجية السنة مطلقا، وتارة ينكرون الاحتجاج بخـــبر الآحاد منها دون المتواتر، وتارة ينكرون بعضها بدعوى عدم ثبوتها هي ثابتة، أو بدعوى معارضتها للعقل أو عدم مسايرتها للعلوم الحديثة، وتارة ينكرون بتأويلها بما يخالف روح الإسلام ولايدل عليه ألفاظ الحديث من قريب ولا بعيد. انظر للاطلاع على شبهاتهم مع الجواب عنها بالتفصيل : السنة النبوية ومطاعن المبتدعة فيها (ص : ١٢٤-٣٠٧) .

(٤) الذين أنكروا للملائكة هم بعض النصارى والفلاسفة وبعض عبدة الأوثان والمجوس والثنوية . انظر الرد عليهم عقلا ونقلا في كتاب : تفسير آيات القرآن عن علاقة الملائكة بالإنسان (ص : ١٩-٢٠)،وانظر أيضا : العقلانية هداية أم غواية (ص : ٦٣) .

(٥) الذين أنكروا الجن والشياطين هم بعض الأطباء وكثير من الفلاسفة وجماهير القدرية وكافة الزنادقة فهم أنكروا الجن و الشياطين رأسا . انظر : آكام المرجان في غرائب الأخبار وأحكام الجان (ص : ٣-٦)؛ والعقلانية هداية أم غواية (ص : ٦٣) .

(٦) أنكرها المعتزلة وأفراخهم . انظر : العقلانية هداية أم غواية (ص : ٢٦) .

(٧) أنكرها الملاحدة ومن تمذهب بمذهبهم من الإسلاميين . انظر شبهتهم وبيان بطلانها : التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة (١/١٦١-١٦٤)؛ والعقلانية هداية أم غواية (ص : ٦٣) .

(٨) أنكرها السيد أحمد خان . انظر : زوابع في وجه السنة (ص : ٧٤ ، في الهامش برقم : ٩٥) .

(٩) أنكـــر الفلاسفة بعث الأجساد ورد الأرواح إلى الأبدان، ووجود النار الجسمانية ووجود الجنة والحور العين وسائر ما وعد به الناس . انظر : تهافت الفلاسفة للغزالي (ص : ٢٧٢-٢٨٩) ومثلهم قال السيد أحمد خان من العقلانين المعاصرين في الهند . انظر : زوابع في وجه السنة قديما و حديثا (ص : ٧٣-٧٤، في الهامش) .

ومـــنهم من أنكر وجود الجنة والنار الآن [1]، ومنهم من أنكر أسماء الله وصفاته [2]، بل ومنهم من أنكر وجود الباري سبحانه وتعالى [3] .

ومــا ذلك إلا لأجل التخلي من الوحي الإلهي من الكتاب والسنة، واتباع الهوى وتقديس العقل، وتحكيمه، وإطلاق العنان له، وإعطائه فوق ما يستحق، و إدخاله فيما لا يقدر، وتحميله ما يتحمل، كما فعل إبليس من قبل. فهذا كله من اتباع عمل الشيطان من الشهوات والشبهات .

قال الإمام ابن القيم : (وكل من له مسكة من عقل يعلم أن فساد العالم وخرابه إنما نشــأ مــن تقديم الرأي على الوحي، والهوى على العقل. وما استحكم هذان الأصلان الفاسدان في قلب إلا استحكم هلاكه، وفي أمة إلا وفسد أمرها أتم فساد؛ فلا إله إلا الله. كــم نفي بهذه الآراء من حق، وأثبت بها من باطل، وأميت بها من هدى، وأحيى بها من ضلالة، وكم هدم بها من معقل الإيمان، وعمر بها من دين الشيطان) [4].

٤- الأخــذ بالقيــاس الفاســد والقول به في مقابلة النص الشرعي :قال الحسن البصري : (قاس إبليس وهو أول من قاس) [5]. وقال ابن سيرين [6] : (أول من قاس إبليس، وما عبدت الشمس والقمر إلا بالمقاييس) [7].

---

(١) وهم الجهمية ومن وافقهم . انظر : شرح العقيدة الطحاوية (ص : ٦١٥) .

(٢) المــنكرون لصفات الله تعالى على درجات، وقد سبق الكلام عنهم في (ص : ٧٩)، وكذلك المنكرون لأسماء الله أيضا على درجات ودركات فمنهم من أنكر أسماء الله كلها، وقال : إن الله لا يسمى بشيء، وهم الجهمية والغالية مــن الملاحــدة كالقرامطة والفلاسفة. ومنهم من قال : إن الله يسمى بالخالق القادر فقط وهذا القول منسوب إلى الجهــم بــن صفوان. ومنهم من قال بإثبات الأسماء مجردة عن الصفات، وهو قول المعتزلة. ومنهم من قال بإثبات الأسمــاء الحسنى مع إثبات معاني بعضها وتحريف معاني البعض الآخر، وهذا قول الكلابية والأشاعرة والماتردية ومن وافقهم . انظر تفصيل ذلك في كتاب : معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى (ص : ١١-٢٨) .

(٣) انظر : العقلانية هداية أم غواية (ص : ٦٩) وانظر : (ص : ٢٢٣-٢٢٤) من هذا البحث .

(٤) إعلام الموقعين عن رب العالمين (٧٢/١) .

(٥) أخــرجه ابن جرير في تفسيره (١٣١/٨) . قال الحافظ ابن كثير في تفسيره (٢٠٤/٢) : (إسناده صحيح). وقال الشوكاني في تفسيره (١٩٣/٢) : (إسناده صحيح إلى الحسن).

(٦) محمد بن سيرين الأنصاري البصري، ثقة ثبت عابد كبير القدر، توفي سنة ١١٠هـــ . انظر : تقريب التهذيب (ص : ٤٨٣ برقم : ٥٩٤٧) .

(٧) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٣١/٨) بإسناده إليه، وصححه الحافظ ابن كثير في تفسيره (٢٠٤/٢) .

وإبــليس كان قياسه مقابل النص، وذلك وضع للقياس في غير محله،لأن القياس إنما يكون إذا لم يكن نص، فلما استعمل إبليس قياسه مع وجود النص صار قياسه فاسدا .

وورث مــنه هذا المسلك أتباعه من أعداء الأنبياء، فعارضوا ما جاء به الأنبياء من الوحي الإلهي بالأقيسة الفاسدة، وأخذوا بقياسهم الفاسد وتمسكوا به، وتركوا النور الإلهي، و آثروا التخــبط في الضلال والظلام على هداية الوحي الرباني[1]، والأمثلة على هذا كثيرة ومتعددة الجوانب، وفيما يلي ذكر بعض الأمثلة للأقيسة الفاسدة المتعلقة بالمسائل العقدية باختصار :

١- من الناس من يتخذ الملائكة والأنبياء والأولياء والشيوخ والصالحين وسطاء بينهم وبــين الــرب جل وعلا، ويظنون أنهم يشفعون لهم عند الله تعالى، كما حكى الله تعالى عنهم فقال : ﴿ ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله ﴾ [2] وقال تعالى : ﴿ والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى ﴾ [3]، فهم قاسوا الله تعالى في ذلك على أحوال الناس عند ملوكهم وعظماءهم في الدنيا. فإنه إذا أراد أحد أن يتقرب إلى ملك من ملوك الدنيا، فلا يحسن أن يأتي إليه أولا بل ينبغي له أن يتقرب إليه بحاشيته، الذين يرفعون أمره إليه، ويقومون بقضاء حوائجه [4].

فهؤلاء تركوا النصوص الإلهية من الكتاب والسنة التي تبين عظمة الله وقدرته وتوجب الالتجاء إليه وحده في الشؤون كلها . قال تعالى : ﴿ وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون ﴾ [5] وقال تعالى : ﴿ وقال ربكم ادعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين ﴾ [6] وقال تعالى : ﴿ قل ادعوا

---

(١) انظر : التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع (ص : ٨٢) .

(٢) يونس الآية : ١٨

(٣) الزمر الآية : ٣

(٤) انظر : هذه الشبهة وبيان بطلانها في (الرد على المنطقيين ص : ٥٢٧-٥٣٠)؛ ومجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١/١٢٦-١٣٠و١١/٥٢٦-٥٢٩)؛ وتيسير العزيز الحميد (ص : ٢٢٩-٢٣٥ و ٢٧٣-٢٩١)؛ ومنهاج التأسيس والتقديس في كشف شبهات داود بن جرجيس (ص : ٣٤٨-٣٦٠) .

(٥) البقرة الآية : ١٨٦

(٦) غافر الآية : ٦٠

الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير * ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له ﴾ [1] .

وقال النبي ﷺ لابن عباس – رضي الله عنهما – : يا غلام ! إني أعلمك كلمات : احفظ الله يحفظــك. احفظ الله تجده تجاهك. إذا سألت فاسأل الله . وإذا استعنت فاستعن بالله. واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك. ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك. رفعت الأقلام وجفت الصحف [2].

والقــرآن والحديث مملوءان بمثل هذه التوجيهات الإلهية والإرشادات الربانية ولكن هؤلاء تــركوا هــذه النصــوص الإلهية من الكتاب والسنة، وقاسوا الخالق العظيم جبار السماوات والأرض، القــادر عــلى كل شيء، المالك لكل شيء، الرحيم بعباده، الغني عن كل ما سواه، الــذي وسع سمعه الأصوات كلها، الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، الذي لا يعزب عــنه مــثقال ذرة في الأرض، ولا في السماء ...، على مخلوق ضعيف حقير، قليل العلم، قليل الصلاحية، محدود الطاقة، محتاج إلى غيره، فقير إلى سواه، لا يستطيع أن يستغني عن غيره لحظة من حياته، ولا يستطيع أن يصلح أموره إلا بالاستعانة بغيره، فأنى هذا من ذلك ؟

٢- ومــن الــناس مــن قاس دعاء الأموات وطلب الحوائج منهم على جواز الطلب من الأحياء، وقاس زيارة الأموات والإستفادة منهم على زيارة الفقير للغني ونيله من بره [3]، وقاس التمسح بالقبور على استلام الحجر الأسود، وقاس إسراج المقابر على إسراج المساجد [4].

وهــذه الأقيســة التي جاءت بها القبورية كلها من الأقيسة الفاسدة، ولا عبرة بها في الشرع؛ فإنه لا شك أن قياس الأموات من الأنبياء والصالحين في الأمور التي لا يقدر عليها

---

(١) سبأ الآيتان : ٢٢-٢٣

(٢) أخرجه ت (أبواب صفة القيامة، الباب الأخير ٦٦٧/٤ ح : ٢٥١٦)؛ والطبراني في الكبير (١٧٨/١١ح : ١١٤١٦و ٢٣٨/١٢ ح: ١٢٩٨٨)؛ وهناد في الزهد (باب: التوكل ٣٠٤/١ ح : ٥٣٦) . قال الترمذي : (هذا حديث حسن صحيح)؛ وصححه الألباني في (صحيح سنن الترمذي ٦١٠/٢ ح : ٢٥١٦) .

(٣) انظر هذه الشبهة وبيان بطلانها في : تيسير العزيز الحميد (ص : ٧٢٩-٧٣٠)؛ ومنهاج التأسيس والتقديس في كشف شبهات داود بن جرجيس (ص : ٣٧١-٣٧٥) .

(٤) انظر : هذه الشبهات مع الجواب عنها بالتفصيل في : القياس الفاسد وأثره في الانحراف في العقيدة (ص : ٧٩-٩٥) .

إلا الله تعالى على الأحياء القادرين في الأسباب العادية المقدور عليها من أفسد القياس وأبطل الباطل لأن الله تعالى فرق بين الأحياء والأموات ولم يسوِّ بينهم . قال تعالى : ﴿ وما يستوي الأعمى والبصير * ولا الظلمات ولا النور * ولا الظل ولا الحرور * وما يستوي الأحياء ولا الأموات إن الله يسمع من يشاء وما أنت بمسمع من في القبور ﴾ [1] وقال تعالى : ﴿ والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئًا وهم يخلقون * أموات غير أحياء وما يشعرون أيان يبعثون ﴾[2] .

وكذلك قياس التمسح بالقبور على استلام الحجر الأسود، وقياس إسراج القبور على إسراج المساجد لا يصح لكونه معارضا لما جاء عن النبي ﷺ فعن جندب بن عبد الله البجلي ﷺ قال : سمعت النبي ﷺ قبل أن يموت بخمس وهو يقول : ((... وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، إني أنهاكم عن ذلك)) [3] .

وعن ابن عباس – رضي الله عنهما – قال : لعن رسول الله ﷺ زائرات القبور، والمتخذين عليها المساجد والسرج [4].

وعن أبي واقد الليثي ﷺ : أن رسول الله ﷺ لما خرج إلى حنين مر بشجرة للمشركين، يقال لها ذات أنواط، يعلقون عليها أسلحتهم، قالوا : يا رسول الله ! اجعل لنا

---

(١) فاطر الآيات : ١٩-٢٢

(٢) النحل الآيتان : ٢٠-٢١

(٣) أخرجه م (المساجد ....، ب : النهي عن بناء المساجد على القبور ... ٣٧٧/١ ح : ٥٣٢) .

(٤) أخرجه حم (٤٧١/٣ ح : ٢٠٣٠ و ٣٦٣/٤ ح : ٢٦٠٣ و ١٢٨/٥ ح : ٢٩٨٤ ، ٢٢٧/٥ ح : ٣١١٨)؛ و د (الجنائز، ب : زيارة النساء القبور ٢١٨/٣ ح : ٣٢٣٦)؛ و ت (الصلاة ، ب : ما جاء في كراهية أن يتخذ على القبر مسجدا ١٣٦/٢ ح : ٣٢٠)؛ و ن (الجنائز، ب : التغليظ في اتخاذ السرج على القبور ٩٤/٤ ح : ٢٠٤٣)؛ وحب كما في الإحسان (الجنائز، فصل في زيارة القبور، ب : ذكر ﷺ المتخذات المساجد والسرج على القبور ٤٥٢/٧ ح : ٣١٧٩ و ب : ذكر الزجر عن زيارة القبور واتخاذ السرج عليها ٤٥٣/٧ ح : ٣١٨٠)؛ و كم (الجنائز ، ٣٧٤/١)؛ والبيهقي في الكبرى (الجنائز، ب : ما ورد عن نهيهن عن زيارة القبور ٧٨/٤). قال الترمذي : (وفي الباب عن أبي هريرة وعائشة وحديث ابن عباس حديث حسن). وقال الحاكم : (حديث متداول فيما بين الأئمة ووجدت له متابعا من حديث سفيان الثوري في متن الحديث فخرجته). وقال أحمد محمد شاكر في تعليقه على سنن الترمذي (١٣٦/٢) : (هذا الحديث على أقل حالاته حسن ثم الشواهد التي ذكرناها في تأييده ترفعه إلى درجة الصحة لغيره إن لم يكن صحيحا بصحة إسناده هذا) . وقال في تعليقه على مسند الإمام أحمد (٣٢٣/٣ ح : ٢٠٣٠ و ٢٠٦/٤ ح : ٢٦٠٣ و٤٧/٥ ح : ٣١١٨) : (إسناده صحيح)، وصححته اللجنة الدائمة في فتاواها (٤٢٥/١) .

ذات أنـــواط كمـــا لهم ذات أنواط. فقال النبي ﷺ : سبحان الله ! هذا كما قال قوم موسى : اجعل لنا إلها كما لهم آلهة، والذي نفسي بيده لتركبن سنة من كان قبلكم [(1)].

فقيـــاس القبوريين القبور على المساجد من القياس الفاسد لأن النبي ﷺ نهى عن اتخاذ القـــبور مســـاجد ولعن من فعل ذلك، ثم إذا كان اتخاذ الشجرة للعكوف حولها، وتعليق الأســـلحة عليها للتبرك، اتخاذَ إله مع الله، مع أنهم لا يعبدونها ولا يسألونها، فكيف يصح العكوف حول القبور، والتسمح بها، وتقبيل جدرانها وأعتابها، وأخذ ترابها تبركا، وطلب الشفاء منها، ودفع الضرر والمرض بها ؟! [(2)] والنصوص في هذا المعنى كثيرة .

٣- ومـــن الناس من قاس صفات الخالق بصفات المخلوق، فشبه الله تعالى بخلقه في صفاته جـــل وعلا، ثم منهم من نفى هذه الصفات التي جاءت بإثباتها الكتاب والسنة عن الله تعالى - كـــلها أو بعضها - فرارا من التشبيه، وبذلك هم وصفوا الله تعالى بما لا يليق به، وشبهوه تعالى بالمخلوقين، ثم عطلوه سبحانه وتعالى عن صفاته العلياء، وعن كماله المقدس، وعطلوا النصوص الإلهية الدالة على اتصاف الله بها، ووصفوه تعالى بما لا يليق به من صفات الجمادات والحيوانات، فوقعوا في أشد ما فروا منه، وكان حالهم كمن فر من المطر، وقام تحت الميزاب .

ومنهم من لم يزل متمسكا بقياسه الفاسد في تشبيه صفات الخالق بصفات المخلوق؛ فـــزعم أن صـــفات الله مـــثل صفات المخلوقين، ومنهم من عكس الأمر فقاس المخلوق بالخـــالق، ووصف المخلوق الضعيف بصفات الخالق تعالى حتى صرفوا لهذا المخلوق شيئا كثيرا من العبادات التي لا يجوز صرفها لغير الله تعالى [(3)].

---

(١) أخرجه حم (٢٢٥/٣٦-٢٢٦ ح : ٢١٨٩٧)؛ و ت (الفتن، ب : ما جاء لتركبن سنن من كان قبلكم ٤٧٥/٤ ح : ٢١٨٠)، واللفظ له؛ وابن أبي عاصم في السنة (٣٧/١ ح : ٧٦)؛ والمروزي في السنة (ص : ١٦ ح : ٣٧-٣٨)؛ والنسائي في الكبرى (التفسير، الأعراف، الآية : ١٣٨ ، ٣٤٦/٦)؛ وحب كما في الإحسان (التاريخ، ب : إخباره ﷺ عما يكون في أمته من الفتن و الحوادث، ذكر الإخبار عن اتباع الأمة سنن من قبلهم من الأمم ٩٤/١٥ ح : ٦٧٠٢)؛ واللالكـــائي في شـــرح أصول اعتقاد أهل السنة (١٢٤/١ ح : ٢٠٥) وغيرهم . قال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح، وصححه الألباني في تحقيقه للسنة لابن أبي عاصم؛ و في صحيح سنن الترمذي (٤٦٥/٢ ح : ٢١٨٠) .

(٢) انظر : تيسير العزيز الحميد (ص : ١٨٢-١٨٥)؛ وفتح المجيد لشرح كتاب التوحيد (ص : ١٥٩-١٦١)؛ والقياس الفاسد وأثره في الانحراف في العقيدة (ص : ٩٠-٩١) .

(٣) انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٤٨/٣-٤٩)، وانظر على سبيل المثال أقوال المشبهة والمعطلة في صفة اليد لله تعالى في (ص : ٧٨-٧٩) من هذا البحث.

وهـــذا كلـــه لأجل تمسكهم بقياسهم الفاسد الذي ورثوه من إبليس اللعين، ولأجل بعدهم عن التمسك بنصوص الوحي والفهم الصحيح لها . قال تعالى : ﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴾ [(١)]، والنصوص من الكتاب والسنة في هذا المعنى كثيرة لا تحصى .

٤- ومن الناس من قاس قدرة الخالق على قدرة المخلوق، وبناء عليه استبعدوا البعث بعـــد الموت فأنكروه، كما حكي الله تعالى عنهم فقال : ﴿ وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم ﴾ [(٢)] وقـــال تعـــالى : ﴿ وقال الملأ من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة وأترفناهم في الحياة الدنيا ما هذا إلا بشر مثلكم يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون * ولئن أطعتم بشرا مثلكم إنكم إذا لخاسرون * أيعدكم أنكم إذا متم وكنتم ترابا وعظاما أنكم مخرجون * هيهات هيهات لما توعدون * إن هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما نحن بمبعوثين ﴾ [(٣)].

فهـــؤلاء المنكرون للبعث والنشور قاسوا قدرة الخالق القوي الجبار القادر على كل شيء بقدرة المخلوق الضعيف العاجز. ولما رأوا أن هذا ممتنع على الخلق، وأنهم لا يقدرون عليه جعلوا قدرة الله كذلك. ولم يعلموا أن الذي أنشأهم أول مرة قادر على إنشائهم مرة أخـــرى مـــن بـــاب أولى. فعارضوا بعقولهم السخيفة، وأنكروا ما أخبر الله به من تحقيق وقوعه. قال تعالى : ﴿ يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج * ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحيي الموتى وأنه على كل شيء قدير * وأن الساعة ءاتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور ﴾ [(٤)] .

---

(١) الشورى الآية : ١١

(٢) يس الآية : ٧٨

(٣) المؤمنون الآيات : ٣٣-٣٧

(٤) الحج الآيات : ٥-٧

٥- ومن الناس من قاس الله تعالى على الثلج والماء. واستدل به على مذهبه الفاسد، وهو القول بوحـــدة الوجـــود؛ أي : اتحاد الخالق بالمخلوق، وأن الله سبحانه وتعالى هو عين هذه المخلوقات والموجودات ، كما فعل عبد الكريم الجيلي [1] الملحد في قياسه الفاسد وزعمه الباطل فقال :

وما الخلق في التمثال إلا كثلجة   وأنت بها الماء الذي هو نابـــع

وما الثلج في تحقيقنا غير مائـــه   وغيران في حكم دعته الشرائع [2]

ولكن بذوب الثلج يرفع حكمه   ويوضع حكم الماء والأمر واقع

تجمعت الأضداد في واحد البها   وفيه تلاشت وهو عنهن ساطع[3]

فالجيلي ومن وافقه [4] يعتقدون بوحدة الوجود، ويزعمون كما أنه لا فرق بين الماء والثـــلج إلا في الاسم؛ إذ الماء ثلج ذائب، والثلج ماء متجمد، فكذلك لا فرق بين الخالق والمخلوق إلا في الاسم. فالخالق هو أصل المخلوق كالماء للثلج، والمخلوق هو مجلى الخالق ومظهره كالثلج للماء . فالخالق متحد بخلقه،وهو عينهم في زعمهم.

وهـــذا القياس الذي جاء به القائلون بوحدة الوجود من أفسد القياس وأبطل الباطل؛ لأنـــه يوصـــل صاحبه إلى أبشع أنواع الكفر والضلال والشرك بل يؤدي في الحقيقة إلى الزندقة، وإنكار وجود الله تعالى، فالعياذ بالله .

وأول ســـورة في المصحف الكريم، وهي سورة الفاتحة تدحض هذا المذهب الخبيث وتـــبين بطلانه، فقد اشتملت على أدلة كثيرة مبطلة لهذه المقالة الخبيثة، فقد أثبت الله فيها حـــامدا و محمـــودا، وربا ومربوبا، وراحما ومرحوما، ومالكا ومملوكا، وعابدا ومعبودا، ومســـتعينا ومســـتعانا به، وهاديا ومهديا، ومنعما ومنعما عليه، وغاضبا ومغضوبا عليه، بخلاف ما عليه القوم من أن الكل وحدة واحدة [5].

---

(١) عـــبد الكريم بن إبراهيم بن عبد الكريم الجيلي، القادري، الصوفي، من القائلين بالعقيدة الكفرية، وهي القول بوحدة الوجود، توفي سنة ٨٣٢هـــ. انظر : معجم المؤلفين (٣١٣/٥) .

(٢) تأمَّلْ سخريته بالشرائع الإلهية، وما ذلك إلا لأنها تحكم بالمغايرة بين الخالق والمخلوق، ولا تقول بالوحدة بين الخالق والمخلوق وحدة الماء والثلج التي يزعمها الجيلي وأمثاله من الملاحدة القائلين بوحدة الوجود .

(٣) الإنسان الكامل (٣٣/١) .

(٤) انظر : أقوال القائلين بوحدة الوجود مع بيان بطلانها في كتاب : هذه هي الصوفية (ص : ٢٢-٦٨) .

(٥) انظر : بدائع التفسير (١٦٢/١-١٦٣) .

ثم إن القـــول بوحدة الوجود قياسا على الثلج وما يأتون به من الأمثلة باطل إذ هو قيـــاس مـــع الفـــارق؛ فإن أجزاء هذه الأشياء لا ينفصل بعضها عن بعض بخلاف سائر الموجـــودات في هذا الكون؛ فإن كل موجود مستقل عن الآخر. فإذا كان الإنسان مثلا منفصلا عن الإنسان الآخر، فلا يقول عاقل يدري ما يقول أن بينهما اتحادا ذاتيا، وكذلك الإنسان منفصل عن سائر المخلوقات .

فـــإذا كان الاتحاد الذاتي ممتنعا بين المخلوق والمخلوق فهو بين الخالق والمخلوق ممتنع من باب أولى [1].

والله تعـــالى يقـــول : ﴿ قل هو الله أحد * الله الصمد * لم يلد ولم يولد * ولم يكن له كفوا أحد ﴾ [2]

ويقول تعالى : ﴿ فلا تضربوا لله الأمثال إن الله يعلم وأنتم لا تعلمون ﴾ [3] فهذا قياس في مقابلة النص فهو فاسد، وأيضا قد دل العقل على فساده فهو فاسد شرعا وعقلا . والله أعلم بالصواب .

٦- ومن الناس من قاس الرسل عليهم السلام على أنفسهم، فأنكروا أن يكون البشر رسولا، مبعوثا من الله تعالى إليهم، كما حكى الله تعالى عنهم فقال : ﴿ وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء ﴾ [4] و قـــال تعـــالى : ﴿ قالوا ما أنتم إلا بشر مثلنا وما أنزل الرحمن من شيء إن أنتم إلا تكذبون ﴾ [5] وقال تعالى : ﴿ وقالوا لولا أنزل عليه ملك ﴾ [6].

فهـــؤلاء المنكرون للنبوات والرسالات لم يكن إنكارهم لها إلا لأجل القياس الفاسد؛ إذ قاســـوا الرسل الكرام على أنفسهم بجامع البشرية في كل، فقالوا : أنتم بشر مثلنا وقد منعت البشرية من رسالتنا، فلتمنع من رسالتكم .

وأيضا من قياسهم الفاسد في إنكارهم النبوة أنهم قالوا : ليس الخلق أهلا أن يرسل الله

---

(١) انظر : القياس الفاسد وأثره في الانحراف في العقيدة (ص : ١٩٣) .

(٢) الإخلاص الآيات : ١-٤

(٣) النحل الآية : ٧٤

(٤) الأنعام الآية : ٩١

(٥) يس الآية : ١٥

(٦) الأنعام الآية : ٨

إليهم رسولا، كما أن أطراف الناس ليسوا أهلا أن يرسل السلطان إليهم رسولا [1].

فهؤلاء المنكرون لرسالة البشر من الله تعالى أتوا بقياسين فاسدين إذ قاسوا الرسل الكرام على أنفسهم، وقاسوا فعل الباري تعالى على فعل العبد، و لم يعلموا أن الله ليس له مثيل، ولا نظير في ذاته، ولا في أفعاله، ولا في صفاته؛ فلا يصح أن يقاس في شيء منها على أحد من خلقه، كما لم يعلموا أن الاصطفاء للرسالة الإلهية فضل من الله تعالى ورحمة منه، يكرم بها من شاء من عباده، وتركوا النصوص الإلهية في ذلك. قال تعالى : ﴿ قالت لهم رسلهم إن نحن إلا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده وما كان لنا أن نأتيكم بسلطان إلا بإذن الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون ﴾ [2] وقال تعالى : ﴿ الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس إن الله سميع بصير ﴾ [3] وقال تعالى : ﴿الله أعلم حيث يجعل رسالته﴾ [4] .

٧- ومن الناس من أنكر وجود الجنة والنار الآن، وهو قاس في ذلك أفعال الرب على أفعال العبد إذ قال : لو أن ملكا من الملوك بنى مدينة من المدن، وأعد لها كل ما يصلحها ويرغب فيها، ثم عطله عن الناس و لم يمكنهم من الانتفاع بها سنوات طويلة، فإن فعله هذا يعد عبثا، و لا يحسن منه هذا الفعل، قال : فكذلك الرب [5].

وهذا القياس الذي جاء به الجهمية من الأقيسة الفاسدة التي لا معنى لها في الشرع؛ فإنهم قاسوا فعل الرب على فعل المخلوق، والخالق سبحانه وتعالى لا يقاس في ذاته أو صفاته أو أفعاله على شيء من مخلوقاته إذ ليس كمثله شيء، ولأنه قياس في مقابلة النص، فقد قال تعالى عن الجنة : ﴿ وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين ﴾ [6] وقال تعالى : ﴿ والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم ﴾ [7].

---

(١) انظر : هذه الشبهة والجواب عنها في مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١٣١/٦) .

(٢) إبراهيم الآية : ١١

(٣) الحج الآية : ٧٥

(٤) الأنعام الآية : ١٢٤

(٥) انظر : هذه الشبهة وبيان بطلانها بالتفصيل في شرح العقيدة الطحاوية (ص : ٦١٤-٦٢٠) .

(٦) آل عمران الآية : ١٣٣

(٧) التوبة الآية : ١٠٠

وقال تعالى عن النار : ﴿ وأعد للكافرين عذابا أليما ﴾ [1] وقال تعالى : ﴿ إن الله لعن الكافرين وأعد لهم سعيرا * خالدين فيها أبدا لا يجدون وليا ولا نصيرا ﴾ [2].

عن أبي هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ قال : قال الله تبارك وتعالى : أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر . قال أبو هريرة ﷺ: اقرؤوا إن شئتم ﴿ فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين ﴾ [3] [4].

والنصوص في بيان أن الله تعالى أعد الدارين وهيأهما لأهلهما من أصناف النعيم وأنواع من العذاب كثيرة جدا .

٨- ومن الناس من أنكر خلود الجنة والنار، وزعم أنهما تفنيان وتبيدان، وقاس فناءهما على فناء الدنيا، مع أن الله تعالى أخبر بدوامهما وبقائهما، فقال تعالى عن خلود الجنة : ﴿ والذين ءامنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ﴾ [5] وقال تعالى : ﴿ والذين ءامنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا وعد الله حقا ومن أصدق من الله قيلا ﴾ [6].

عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال : ينادي مناد : إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبدا، وإن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبدا، وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبدا، وإن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبدا ، فذلك قوله عز وجل : ﴿ونودوا أن تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون﴾ [7] [8].

وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال : من يدخل الجنة ينعم لا يبأس، لا تبلى ثيابه، ولا يفنى شبابه [9].

---

(١) الأحزاب الآية : ٨

(٢) الأحزاب الآيتان : ٦٤-٦٥

(٣) السجدة الآية : ١٧

(٤) أخرجه خ (التفسير، السجدة ١٧٩٤/٤ ح : ٤٥٠١)؛ و م (الجنة وصفة نعيمها وأهلها ٢١٧٤/٤ ح : ٢٨٢٤).

(٥) النساء الآية : ٥٧

(٦) النساء الآية : ١٢٢

(٧) الأعراف الآية : ٤٣

(٨) أخرجه م (الجنة وصفة نعيمها ... ب : دوام نعيم أهل الجنة ... ٢١٨٢/٤ ح : ٢٨٣٧) .

(٩) أخرجه م (الجنة وصفة نعيمها ... ب : دوام نعيم أهل الجنة ... ٢١٨١/٤ ح : ٢٨٣٦) .

وقال تعالى عن خلود النار : ﴿ إن الذين كفروا وظلموا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقا * إلا طريق جهنم خالدين فيها أبدا ﴾ [1] وقال تعالى : ﴿ إن الله لعن الكافرين وأعد لهم سعيرا * خالدين فيها أبدا لا يجدون وليا ولا نصيرا ﴾ [2].

عـــن أبي سعيد الخدري ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : يؤتى بالموت كهيئة كبش أملح، فينادي مناد : يا أهل الجنة فيشرئبون وينظرون، فيقول : هل تعرفون هذا ؟ فيقولون : نعم، هذا الموت . وكلهم قد رآه . ثم ينادي : يا أهل النار فيشرئبون وينظرون، فيقول : هل تعرفون هذا ؟ فيقولون : نعم، هذا الموت . وكلهم قد رآه. فيذبح . ثم يقول : يا أهل الجنة خلود، فلا موت . ويا أهل النار خلود، فلا موت ... الحديث [3]، والنصوص في هذا المعنى كثيرة .

فقول الجهمية ومن وافقهم بفناء الجنة والنار قياسا على فناء الدنيا من القياس الفاسد؛ لأنه في مقابلة النص الإلهي من الكتاب والسنة. وهذه النصوص تبين بطلان ما ذهبوا إليه، وتدل دلالة واضحة على دوامهما، وأنهما لا تفنيان ولا تبيدان بإبقاء الله تعالى لهما، وهو الذي اتفق عليه سلف الأمة وأئمتها [4] .

وقد بين العلامة ابن القيم — رحمه الله – أثر القياس الفاسد وخطورته، وبين أصله ومنشأه و ذكـــر لها بعض الأمثلة فقال : وكل بدعة ومقالة فاسدة في أديان الرسل، فأصلها من القياس الفاســـد، فمـــا أنكرت الجهمية من صفات الرب، وأفعاله ، وعُلوِّه على خلقه، واستوائه على عرشه، وكلامه وتكليمه لعباده، ورؤيته في الدار الآخرة إلا من القياس الفاسد ... إلى أن قال : ومـــا فســـد مما فسد من أمر العالم وخرب منه إلا بالقياس الفاسد بل أول ذنب عصي الله به القيـــاس الفاسد ، وهو الذي جر على آدم وذريته من صاحب هذا القياس ما جر، فأصل شر

---

(١) النساء الآيتان : ١٦٨-١٦٩

(٢) الأحزاب الآيتان : ٦٤-٦٥

(٣) أخـــرجه خ (التفسير، مريم، ب :﴿وأنذرهم يوم الحسرة﴾ [الآية : ٣٩] ١٧٦٠/٤ ح : ٤٤٥٦)؛ وم (الجنة وصفة نعيمها وأهلها، ب : النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء ٢١٨٨/٤ ح : ٢٨٤٩) .

(٤) انظر : هذه الشبهة وبيان بطلانها في مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٣٠٧/١٨)؛ وشرح العقيدة الطحاوية (ص : ٦٢٠-٦٢٩)؛ وتوقيـــف الفـــريقين على خلود أهل الدارين (ص : ٦٢-٧٦)؛ وفرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام (١٠٠٧/٢-١٠١١)؛ ودعوة شيخ الإسلام ابن تيمية وأثرها في الحركات الإسلامية المعاصرة (ص : ٢٤٦-٢٦٧).

الدنيــا والآخــرة جميعــه من هذا القياس الفاسد. وهذه جملة لا يدريها إلا من له اطلاع على الواجب والواقع، وله فقه في الشرع والقدر . أهــ بتصرف واختصار [١].

فهــذه بعض النماذج للأقيسة الفاسدة المتعلقة بمسائل الاعتقاد [٢]، و هي كلها تدل على خطورة القياس الفاسد، وخطورة الاستقلال بالعقل البشري دون إخضاعه للوحي السماوي .

وقد بين الشهرستاني [٣] الآثار السيئة التي حصلت في بني آدم من هذا المنهج الفاسد الــذي جاء به إبليس، وبين أنه أصل كل بدعة وضلالة ...فقال : (إن أول شبهة وقعت في الخــليقة شــبهة إبليس لعنه الله، ومصدرها استبداده بالرأي في مقابلة النص، واختياره الهوى في معارضة الأمر، واستكباره بالمادة التي خلق منها، وهى النار على مادة آدم عليه السلام، وهى الطين، وانشعبت من هذه الشبهة شبهات [٤]، وسارت في الخليقة، وسرت في أذهان الــناس حتى صارت مذاهب بدعة وضلالة ...ومن المعلوم الذي لا مرية فيه أن كل شبهة وقعــت لبنى آدم فإنما وقعت من إضلال الشيطان الرجيم، ووساوسه، ونشأت من شبهاته ...ولا يجــوز أن تعدو شبهات فرق الزيغ والكفر والضلال هذه الشبهات، وإن اختلفت العبارات، وتباينت الطرق، فإنها بالنسبة إلى أنواع الضلالات كالبذور، وترجع جملتها إلى إنكار الأمر بعد الاعتراف بالحق ، وإلى الجنوح إلى الهوى في مقابلة النص .

ومــن جــادل نوحا وهودا وصالحا وإبراهيم ولوطا وشعيبا وموسى وعيسى ومحمدا – صــلوات الله عــليهم أجمعين – كلهم نسجوا على منوال اللعين الأول في إظهار شبهاته ...،

---

(١) انظر : إعلام الموقعين عن رب العالمين (١/٥٠٢-٥٠٣) .

(٢) وقد ذكر شيخنا الدكتور / أحمد بن شاكر الحذيفي – حفظه الله – في رسالته للدكتوراه بعنوان " القياس الفاسد وأثره في الانحراف في العقيدة " نماذج كثيرة للأقيسة الفاسدة التي لها أثر في الانحراف في العقيدة، وذكر شبهاتهم، ثم رد عليها بتفصيل يروي الغليل، ويشفي العليل بإذن الله تعالى . وكذلك هناك أمثلة كثيرة للأقيسة الفاسدة المتعلقة بالأحكام مثل : قياس الربا على البيع بجامع ما يشترك فيه كل من الطرفين من التراضي بالمعاوضة المالية، و قياس الميتة على المذكى في جواز أكلها بجامع ما يشتركان فيه من إزهاق روح، هذا بسبب الآدميين، وهذا بفعل الله تعالى . وقد ذكر العلامة ابن القيم جملة كبيرة من الأقيسة الفاسدة المتعلقة بالأحكام في كتابه : إعلام الموقعين (١/١٤٤ و٣٠٠– ٣٦٨) فليرجع إليهما للاستزادة والتفصيل .

(٣) محمــد بن عبد الكريم بن أحمد الشهرستاني، فقيه متكلم على مذهب الأشعري، توفي سنة ٥٤٨هــ . انظر : سير أعلام النبلاء (٢٠/٢٨٦)؛ ومعجم المؤلفين (١٠/١٨٧) .

(٤) انظــر : الشبهات السبع المحكية على لسان إبليس وموقف الطوائف منها والجواب عنها بتفصيل يروي الغليل ويشفي العليل في كتاب الصواعق المرسلة (٤/١٥٦٤-١٥٧٥) بتحقيق الدكتور/ علي بن محمد الدخيل الله ط. الثالثة .

إذ لا فــرق بين قولهم : ﴿ أبشر يهدوننا ﴾ [1] وبين قوله : ﴿ ءأسجد لمن خلقت طينا ﴾ [2] وعن هذا صار مفصل الخلاف ومحز الإشكال والافتراق كما هو في قوله تعالى : ﴿ وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلا أن قالوا أبعث الله بشرا رسولا ﴾ [3]. فبين أن المانع من الإيمان هو هذا المعنى كما قال المــتقدم في الأول : ﴿ ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين ﴾ [4]، وقال المتأخر من ذريته كما قال المتقدم : ﴿ أنا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين ﴾ [5] .

وكذلــك لو تعقبنا أقوال المتقدمين منهم وجدناها مطابقة لأقوال المتأخرين ﴿ كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم تشابهت قلوبهم ﴾ [6] ﴿ فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل ﴾ [7]. فاللعين الأول لمــا حكم العقل على من لا يحكم عليه العقل أجرى حكم الخالق في الخلق أو حكم الخلق في الخالق، والأول غلو، والثاني تقصير ...وبالجملة كلا طرفي قصد الأمور ذميم، فالمعتزلة غلو في التوحيد بزعمهم حتى وصلوا إلى التعطيل بنفي الصفات. والمشبهة قصروا حتى وصفوا الخالق بصــفات الأجســام. والروافض غلوا في النبوة والإمامة حتى وصلوا إلى الحلول. والخوارج قصــروا حــتى نفوا تحكيم الرجال. وأنت ترى إذا نظرت أن هذه الشبهات كلها ناشئة من شبهات اللعين الأول، وتلك في الأول مصدرها، وهذه في الآخرة مظهرها وإليه أشار التنزيل في قوله تعالى : ﴿ ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين ﴾ [8] [9] أهــ بتصرف واختصار .

---

(١) التغابن الآية : ٦

(٢) الإسراء الآية : ٦١

(٣) الإسراء الآية : ٩٤

(٤) الأعراف الآية : ١٢

(٥) الزخرف الآية : ٥٢

(٦) البقرة الآية : ١١٨

(٧) يونس الآية : ٧٤

(٨) انظر : الملل والنحل (١/١٦-٢٠) .

(٩) البقرة الآية : ١٦٨ و ٢٠٨ والأنعام الآية : ١٤٢

يتـبين مما سبق من الوجوه بعض الآثار السيئة لهذا المنهج الفاسد الذي جاء به إبليس في بني آدم من تفضيل بعضهم اللعين على أبي البشر آدم ﷺ، وتصحيحهم قياسه الفاسد، واستكبارهم بالمواد والأصول بغض النظر عن المعاني والصفات الحسنة من الإيمان والعمل الصالح، وتقديسهم العقل وتقديمهم إياه على أوامر الله، وأخذهم بالقياس الفاسد في مقابلة النص الشرعي، بل هذا المنهج الذي جاء به إبليس هو أصل كل شبهة وشهوة، وأصل كل بدعـة وضـلالة بني آدم، يخشى منها على المرء في دينه ودنياه، ولا عاصم منها إلا الله، فنسأله سبحانه وتعالى منها السلامة والعافية في الدين والدنيا إنه سميع مجيب .

المسألة الثالثة : موقف بعض الفرق الضالة من رفض إبليس السجود لآدم عليه السلام .

تمهيد : بيان موقف اليهود والنصارى من سجود الملائكة لآدم عليه السلام وامتناع إبليس عن السجود له وأثره في بعض الفرق المنتسبة إلى الإسلام .

إن اليهود والنصارى لم يذكروا قصة سجود الملائكة لآدم عليه السلام وامتناع إبليس عن السجود له . وبذلك هم أساءوا إلى أبيهم آدم عليه السلام؛ إذ ضيعوا ما رفع الله به شأنه وخصه به عن غيره من خلقه، ولم يحفظوا ما أكرم الله به أباهم من إسجاد الملائكة له ولكنهم بروا بمن أغواهم وعاداهم وأضلهم وأعماهم، فستروا على إبليس جرمه، وصانوه من ألسنة كثيرة تلهج باللعنة والدعاء عليه، فهم أحسنوا إليه بذلك [1].

فكذلك وجد من الفرق المنتسبة إلى الإسلام من تبعهم ذراعا بذراع، وشبرا بشبر، ولم يتخلفوا عنهم في شيء من مساويهم ومخازيهم بل سبقوهم إليها وأتوا بما لم يأتوا به، وفيما يلي ذكر بعض تلك المواقف الضالة لبعض الفرق المتنسبة إلى الإسلام فيما يخص امتناع إبليس عن السجود لأبي البشر آدم عليه السلام .

أولا : موقف الجبرية [2] من رفض إبليس السجود لآدم عليه السلام :

---

(١) وكذلك لم يذكر اليهود والنصارى في كتبهم المقدسة لديهم أن إبليس هو الذي زين لآدم وحواء الأكل من الشجرة المحرمة، وأنه هو الذي وسوس إليهما بذلك بل زعموا أن الحية هي التي تولت الوسوسة والإغراء على الأكل من الشجرة المحرمة فزينت لحواء أن تأكل منها ثم زينت حواء لآدم عليه السلام أن يأكل منها فأكل. فهم بعدم ذكر هذه الجرائم التي فعلها إبليس، وسترهم لمساويه وتغطيتهم لها أحسنوا إليه وبروا به . من إفادة المشرف على البحث – حفظه الله تعالى – وانظر : سفر التكوين (٣/١-١٩) .

(٢) القدرية الغلاة أنكروا القدر السابق والكتاب السابق، وزعموا أن الأمر أنف؛ أي : مستأنف من جديد، وأن الله لا يعلم الأشياء إلا بعد وقوعها. ولذلك صرح قدماء هذه الفرقة بأن الله سبحانه وتعالى لم يكن يعلم من إبليس حين خلقه أنه سيصدر منه ما صدر، ولو علم ذلك لم يخلقه، كما ذكر ذلك عنهم العلامة ابن القيم – رحمه الله – في كتابه الصواعق المرسلة بتحقيق : علي بن محمد الدخيل الله (٤/١٥٤٨) وقد قابل هذه البدعة أناس آخرون ببدعة الجبر، فأثبتوا القدر ولكن بالغوا في إثباته حتى زعموا أن العباد مجبورون على أفعالهم من غير إرادة منهم ولا اختيار، وأنها تصدر عنهم كما تتحرك أوراق الأشجار عند هبوب الرياح، وأنهم ليسوا فاعلين أفعالهم في الحقيقة، ولا قادرين عليها وإنما هم كالآلة المحضة. وكلتا الطائفتين بعيدة عن الحق ومجانبة للصواب . انظر : شفاء العليل (ص ٣-٥)؛ ومشاهد الخلق في المعصية (ص : ٣٧-٣٩)؛ ومدارج السالكين (١/٤٠٤-٤٠٥) .

الجبرية يزعمون أن إبليس معذور في امتناعه من السجود لآدم ﷺ، لأنه لم يمتنع عن السجود له باختياره بل كان مجبورا على عدم السجود له، والله سبحانه وتعالى هو الذي منعه وحال بينه وبين السجود لأنه هو الذي قدر ذلك عليه؛ فلا ذنب لإبليس في تركه السجود لآدم ﷺ، وكان عمله هذا موافقا لإرادة الله ومشيئته [1].

فهؤلاء الجبرية أثبتوا القدر، وآمنوا بأن الله خالق كل شيء وربه ومليكه، وأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وهذا حسن وصواب ولكنهم بالغوا في الإثبات حتى نكبوا عن الصراط المستقيم، وضلوا عن سواء السبيل، إذ نفوا عن العبد اختياره و قدرته على الفعل، وجعلوا كل أفعاله شرها وخيرها واقعة منه بغير اختياره وإرادته، وزعموا أنها موافقة لمشيئة الله وأن كل ما وافق مشيئته موافق لمرضاته، فلم يفرقوا بين المحظور والمأمور، وبين المحبوب والمبغوض، وبين المؤمن والكافر، وبين المطيع والعاصي حتى جعلهم هذا الاعتقاد الفاسد يشفقون على إبليس، ويبحثون له المعاذير، ويحتجون له بالمقادير، ويرونه معذورا مجبورا مكرها في امتناعه عن السجود، وأن الذي أمره بالسجود هو الذي منعه من السجود، ولا يستحيون من نسبة الظلم إلى أحكم الحاكمين وأعدل العادلين، تعالى الله عما يصف الظالمون .

ثانيا : موقف الصوفية الاتحادية من رفض إبليس السجود لآدم ﷺ :

إن الصوفية الاتحادية تزعم أنه ليس هناك وجود لأحد سوى الله تعالى، وأن كل موجود في الكون هو عين الله؛ فالخالق هو عين المخلوق، والمخلوق هو عين الخالق في زعمهم [2]، سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا .

وهم انطلاقا من هذه العقيدة الكفرية يزعمون أن إبليس كان مستحكما في توحيد الله عز وجل، وأنه حين امتنع عن السجود لآدم ﷺ لم يكن ذلك إلا لأنه رآه غير الله، فرفض السجود لغير الله، وأبى أن يسجد إلا لله تعالى بزعمهم [3].

---

(١) انظر : مشاهد الخلق في المعصية (ص : ٣٨)؛ ومدارج السالكين (١/٤٠٥) .

(٢) انظر : هذه هي الصوفية (ص : ٣٦ و٣٨ و١٦٧) .

(٣) انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٢/٣٢٨)؛ وروح المعاني (١٤/٥٥)؛ والفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة (ص : ٦٠)؛ وفضائح الصوفية (ص : ٤٧ و ٥١-٥٢)؛ وورود على أباطيل (ص : ٣٢٣ و ما بعده)؛ وأبي آدم قصة الخليقة بين الأسطورة والحقيقة (ص : ١٤٨) .

ولذلك نرى الصوفية حفية دائما بتقديس هذا اللعين عدو الله وعدو البشرية كلها، فمن هؤلاء من يعتذر عن إبليس، ويتوجع له، ويقول : ما ذنبه وقد صان وجهه عن السجود لغير خالقـه ؟ وهل كان في ترك سجوده لغيره تعالى إلا محسنا ؟ وإذا ناح نائح منهم على إبليس، رأيـت من حنينهم وأنينهم وبكائهم وعويلهم ورثائهم وثنائهم عليه أمرا عجيبا [1]، ومنهم مـن يفتخر بالانتساب إليه، ويجعله قدوته وشيخه، ويزعم أنه كان مؤمنا موحدا [2]، ومنهم من يزعم أنه لا فرق بينه وبين آدم عليه السلام عند الله تعالى يوم القيامة، فيقول : (فلا عذاب ولا عقـاب إلا نعيم وأمان، بمشاهدة العيان [3]، وترنم أطيار بألحان، على المقاصير والأفنان، ولثم الحور والولدان، وعدم مالك وبقي رضوان، وصارت جهنم تتنعم في حظائر الجنان، واتضح سـر إبليس فيهم، فإذا هو ومن سُجِدَ له سِيَّان) [4]، ومنهم من يزعم أن ما علل به إبليس امتـناعه عن السجود لآدم عليه السلام يدل على علمه وفضله وخلقه وأدبه مع الله تعالى، بل يزعم أنـه من أعلم الخلق بآداب الحضرة الإلهية، وأعرفهم بالسؤال، وما يقتضيه من الجواب، وأنه سيكون يوم الدين من عباد الله المقربين، وأنه قد بلغ من إنعام الله تعالى وإكرامه له ما لم يبلغه نـبي مرسل ولا ملك مقرب، فيقول هذا الزاعم الكاذب في قوله تعالى فيما حكاه عن إبليس في تعـليله امتناعه عن السجود : ﴿ أنا خير منه خلقتني من نار وخلقتني من طين ﴾ [5] : (وهذا الجواب يـدل على أن إبليس من أعلم الخلق بآداب الحضرة وأعرفهم بالسؤال، وما يقتضيه الجواب لأن الحـق لم يسـأله عن سبب المانع، ولو كان كذلك لكان صيغته ؟!: لم امتنعت أن تسجد لما

---

(١) انظر : مشاهد الخلق في المعصية (ص : ٣٨)؛ ومدارج السالكين (٤٠٥/١) .

(٢) هذا القول نسبه الشيخ عبد الرحمن عبد الخالق في كتابه : فضائح الصوفية (ص : ٥٢) إلى الحلاج، وأحال إلى كتابه : الطواسين (ص : ٥٢) .

(٣) الذين يرون ربهم يوم القيامة هم المؤمنون فقط، وأما إبليس وجنوده فهم كما قال الله تعالى عنهم : ﴿ كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون * ثم إنهم لصالوا الجحيم * ثم يقال هذا الذي كنتم به تكذبون ﴾ [المطففـين : ١٥-١٧] . انظر للتفصيل : كتاب صفات الله عز وجل للشيخ صالح المسند (ص : ١٣٦-١٤٠) .

(٤) هـذا ما زعمه ابن عربي في كتابه : الفتوحات المكية (٢٠٠/٢ برقم : ٢٨٦)؛ وانظر ما ذكره عنه الشيخ عبد الرحمن عبد الخالق في كتابه : فضائح الصوفية (ص : ٥٢) .

(٥) الأعراف الآية : ١٢ وص الآية : ٧٦

خـــلقت بيدي ؟ ولكن سأله عن ماهية المانع، فتكلم على سر الأمر[1]، فقال : لأني خير منه؛ يعــــني : لأن الحقيقة النارية، وهي الظلمة الطبيعية التي خلقتني منها خير من الحقيقة الطينية التي خلقـــته مـــنها، فلهذا السبب اقتضى الأمر أن لا أسجد لأن النار لا تقتضي بحقيقتها إلا العلو، والطـــين لا يقتضي بحقيقته إلا السفل [2]... و لم يزد على ذلك لعلمه أن الله مطلع على سره، ولعـــلمه أن المقـــام مقـــام قـــبض، لا مقام بسط. فلو كان المقام مقام بسط لقال بعد ذلك : واعـــتمدت عـــلى ما أمرتني أن لا أعبد غيرك ولكن لما رأى المحل محل عتاب تأدب، وعلم من ذلـــك العـــتاب أن الأمـــر قـــد التبس عليه في الأصل؛ لأن الحق دعاه بإبليس وهو مشتق من الالتـــباس، و لم يكن يدعى قبل ذلك بهذا الاسم، فتحقق أن الأمر مفروغ عنه، و لم يجزع، و لم يندم، و لم يتب، و لم يطلب المغفرة لعلمه أن الله لا يفعل إلا ما يريد، وأن ما يريده الله تعالى هو الـــذي تقتضيه الحقائق فلا سبيل إلى تغييرها، ولا إلى تبديلها ...وقوله : ﴿ إن عليك لعنتي إلى يوم الدين ﴾ [3] حصـــر، فإذا انقضى يوم الدين فلا لعنة عليه لارتفاع حكم الظلمة الطبيعية في يوم الديـــن ... فـــلا يـــلعن إبليس؛ أي : لا يطرد عن الحضرة الإلهية إلا قبل يوم الدين؛ لأجل ما يقتضـــيه أصله، وهي الموانع الطبيعية التي تمنع الروح عن التحقق بالحقائق الإلهية. وأما بعد ذلك فـــإن الطبائع تكون لها من جملة الكمالات؛ فلا لعنة بل قرب محض! فحينئذ يرجع إبليس إلى ما

---

(١) القول بأن الله تعالى سأل إبليس عن ماهية المانع ، و لم يسأله عن سبب المانع، فإنه تعالى قال له : ما منعك؟ و لم يقل له : لم امتنعت ؟ ولذلك أجاب إبليس بجواب صحيح يدل على ماهية المانع، لا على سبب المانع، فهذا كله من التكلف والتعسف والتنطع الذي لا طائل تحته، فإن قوله تعالى الله : ﴿ ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك ﴾ [الأعراف : ١٢] وقوله تعالى : ﴿ مالك ألا تكون مع الساجدين ﴾ [الحجر : ٣٢] وقوله تعالى : ﴿ ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي ﴾ [ص : ٧٥] فهذا كله يدل على عتاب الله تعالى لإبليس لأنه لم يسجد لآدم عليه السلام وقد أمره الله به، وحتى لو قال قائل : لم امتنعت عن السجود ...؟ بدلا عن أن يقول : ما منعك عن السجود ؟ فـــلا يختلف المقصود من الكلام، بل يؤدي نفس الغرض، ويفهم المخاطب من السؤال الأول ما فهمه من الثاني، فكلتا الصيغتين تـــدلان على نفس المعنى ونفس المفهوم، لأنه لا فرق هنا بين " ما " و "لم"؛ فإن " لم " أصله "لما "، وحذفت منها الإلف بعد دخول حرف الجر عليها – وهو اللام – تخفيفا، فـ" ما " الذي في قول القائل : ما منعك ؟ هو نفس " ما " الذي في قول القائل: لم امتنعت ؟ فلا يصح التفريق بينهما كما فرق صاحب هذا القول، والله تعالى أعلم بالصواب .

(٢) قد تقدم بيان بطلان دعوى خيرية النار من الطين من وجوه كثيرة في (ص : ٣٨١-٣٨٥) .

(٣) ص الآية : ٧٨

كان عليه عند الله من القرب الإلهي! وذلك بعد زوال جهنم، لأن كل شيء خلقه الله تعالى لا بـــد أن يـــرجع إلى ما كان عليه، وهذا أصل مقطوع به فافهم . قيل : إن إبليس لما لعن هاج وهام لشدة الفرح حتى ملأ العالم بنفسه، فقيل له : أتصنع هكذا، وقد طردت من الحضرة ؟ فقال : هي خلعة أفردني الحبيب بها لا يلبسها ملك مقرب، ولا نبي مرسل) أهـــ باختصار [1].

قال الشيخ عبد الرحمن عبد الخالق : (يعتقد عامة الصوفية[2] أن إبليس أكمل العباد، وأفضل الخلق توحيدا؛ لأنه لم يسجد إلا لله بزعمهم، وأن الله تعالى قد غفر له ذنوبه، وأدخله الجنة) [3].

ولا شك أن هذا الموقف من قبل الصوفية تجاه إبليس اللعين موقف ضال ليس له أدنى صـــلة من الإيمان بالله وكتبه ورسله. فهو مخالف تماما لما أخبر الله به في كتبه وعلى ألسنة رسله بل هو كفر بواح. وإن لم يكن هذا كفرا بالله تعالى فليس في الدنيا كفر ولا شرك، وقـــد ســـبق بيان بطلان هذا الاعتقاد الفاسد من وجوه كثيرة[4]، وهنا أضيف بإذن الله وتوفيقـــه وجوهـــا أخرى متعلقة بهذا القول، تبين بعدهم عن الحق والإيمان، وتدل على كفرهم وضلالهم وإلحادهم وزندقتهم، وهي كما يلي :

أولا : دعواهم أن إبليس ترك السجود لغير الله لأنه كان موحدا، فأبى أن يسجد إلا لله، وأنـــه أحسن بذلك، فهذه دعوى باطلة؛ لأن الله تعالى لما أمر الله الملائكة بالسجود لآدم عليه السلام استكبر إبليس عن السجود لآدم عليه السلام وعصى ربه، وخالف أمره. وأما الملائكة لم يستكبروا عن أمره تعالى بل خروا ساجدين لمن أمروا بالسجود له، امتثالا بأمر ربهم جل وعلا. فكيف يصح أن يقال عن إبليس الذي عصى واستكبر عن أمر ربه تعالى : أنه كان موحدا، وأنه لم يخلص من هذا الشرك المزعوم إلا إبليس الموحد الأكبر في زعمهم ؟ وهل الملائكـــة المعصـــومون من العصيان لربهم كانوا كفارا ومشركين حين سجدوا لآدم عليه السلام امتثالا لأمر ربهم سبحانه وتعالى ؟ وهل كان الله تعالى أمرهم بالشرك لما أمرهم بالسجود

---

(١) هـــذا ما زعمه عبد الكريم الجيلي الصوفي القائل بوحدة الوجود وقد ذكرت كلامه باختصار . واقرأ خطاياه بالتفصيل في كتابه : الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل (٢/٤١-٤٢) .

(٢) لو قال الشيخ عبد الرحمن : "غلاة الصوفية" بدل قوله : "عامة الصوفية" لكان أنسب إذ الصوفية على درجات وهذا قول غلاتهم، والله أعلم بالصواب .

(٣) الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة (ص : ٦٠)؛ وفضائح الصوفية (ص : ٤٧ و ٥١-٥٢) .

(٤) انظر : (ص : ٣٢٧-٣٢٩) .

لآدم عليه السلام؟ سبحانك هذا بهتان عظيم، لا يقول به من له أدنى مسكة من عقل ودين، فضلا أن يقول به شخص يعرف دينه وربه حق معرفته [1].

ثانيـــا : دعواهم أن إبليس رفض السجود لآدم عليه السلام لأنه رآه غير الله دعوى باطلة، وبيان ذلك بما يلي :

● أن إبليس لم يرفض السجود لآدم عليه السلام لكونه غير الله بل رفض السجود استكبارا واستعلاء عـــلى آدم عليه السلام، وحقـــدا وحسدا على ما أكرمه الله به . قال تعالى : ﴿ وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين ﴾ [2] و قال تعالى : ﴿ ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس لم يكن من الساجدين * قال ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين ﴾ [3]. فالله سبحانه و تعالى بين في هذه الآيات وغيرها أن الذي منعه من السجود هو إبـــاؤه واســـتكباره وادعاؤه الخيرية والأفضلية على أبي البشر آدم عليه السلام، وليس لأنه كان مستحكما ومتمكنا في التوحيد ، أو لأنه رآه مخلوقا أو رآه غير الله فقال : " لا أسجد إلا لك " [4] .

● أن الملائكـــة الذين أمروا بالسجود لآدم عليه السلام لم يكونوا أمروا بذلك لكون آدم ليس غير الله. وكذلـــك لم يكـــن سجودهم له لأنهم رأوه أنه ليس غير الله بل الملائكة وإبليس وآدم عليه السلام كـــلهم كانوا يعلمون أن الله تعالى مباين لخلقه وهم مغايرون له [5]. ولهذا أجابوه إجابة العبد ربه، فقالت الملائكة : ﴿ سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم ﴾ [6] وقال آدم عليه السلام : ﴿ ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين ﴾ [7] وقال إبليس : ﴿ رب فأنظرني إلى يوم يبعثون ﴾ [8] .

فمـــن زعم أن إبليس لم يسجد لآدم عليه السلام لأنه رآه غير الله فقد افترى على الله كما افترى على إبليس كذبا وزورا. وبرهن على نفسه بأنه أضل من إبليس لأن إبليس أقر بالمغايرة والمباينة

---

(١) انظر : ردود على أباطيل (ص : ٣٣٧) .
(٢) البقرة الآية : ٣٤
(٣) الأعراف الآيتان : ١١-١٢
(٤) انظر : القضاء والقدر في الإسلام للدكتور فاروق أحمد الدسوقي (١/ ٢٠) .
(٥) انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٣٢٨/٢-٣٢٩) .
(٦) البقرة الآية : ٣٢
(٧) الأعراف الآية : ٢٣
(٨) الحجر الآية : ٣٦

بين الخالق والمخلوق، و لم يفتر على ربه كما افترى هؤلاء على ربهم بالقول بوحدة الوجود .

ثالثا : دعوى أن إبليس رأى أن الأمر بالسجود لآدم يتعارض مع توحيد الله فالتبس عليه الأمر فلم يسجد باطلة لما يلي :

● أن إبليس لم يذكر أن الذي منعه من السجود هو التباس الأمر عليه، أو أنه رأى التعارض والتناقض بين الأمرين؛ أي : الأمر العام الذي أمر الله فيه إبليس بالتوحيد وإفراده بالعبادة مع سائر الملائكـــة، والأمر الخاص الذي أمرهم الله فيه بالسجود لآدم عليه السلام . فلو كان المانع من السجود هـــو معارضة الأمر بالسجود لآدم عليه السلام مع توحيد الرب جل وعلا لذكر إبليس ذلك، وقال : " إن هذا يتناقض مع توحيد الله وأنا أمرت أن لا أسجد إلا لله تعالى " ولكنه لم يفعل ذلك [1].

● أن هذا الأمر الإلهي للملائكة بالسجود لآدم عليه السلام لا يتعارض مع توحيد الله عز وجل لأن هـــذا الســـجود لم يكن منهم على سبيل التنسك والتعبد لآدم عليه السلام بالاتفاق. وإنما كانت ســـجدة تكـــريم وتعظيم لآدم عليه السلام. والله سبحانه وتعالى له أن يأمر عباده بما شاء، وأن يكرم منهم من شاء بما شاء. والعبد المخلوق يجب عليه الامتثال وعدم الاستكبار عن أمر الله سبحانه وتعالى، كما فعل الملائكة وهذا هو التوحيد وإخلاص العبودية لله تعالى .

رابعـــا : دعـــوى أن إبليس لم يكن يدعى بهذا الاسم قبل امتناعه عن السجود لآدم عليه السلام، وأنـــه سمي به بعد رفضه السجود لأبي الشر لالتباس الأمر عليه، فهذه دعوى باطلة وبيان ذلك بما يلي :

● هذا القول يحتاج إلى دليل من الكتاب والسنة الصحيحة، وليس في الكتاب والسنة ما يدل على ذلك، فهو قول بلا علم ولا دليل .

● جـــاء في حديث المصطفى ﷺ ما يدل على خلاف هذا القول، ويبين أن إبليس كان يســـمى بهذا الاسم ويعرف وينادى به قبل أن يؤمر بالسجود لأبي البشر آدم عليه السلام فعن أنس رضي الله عنه أن رســـول الله ﷺ قـــال : لما صور الله آدم في الجنة تركه ما شاء الله أن يتركه، فجعل إبليس يطيف به ينظر ما هو، فلما رآه أجوف عرف أنه خلق خلقا لا يتمالك [2] .

---

(١) انظر : القضاء والقدر في الإسلام للدسوقي (١/ ٢٠) .

(٢)حديث صحيح أخرجه مسلم، وقد تقدم تخريجه في (ص : ٩٩) .

● ثم إن دعوى اشتقاق كلمة إبليس من الالتباس غير صواب، وقد سبق الكلام عند بيان معنى كلمة إبليس في اللغة بأن كلمة إبليس مختلف فيها لدى أئمة اللغة العربية، فمنهم من يرى أنها كلمة أعجمية، وهو الراجح، ومنهم من يرى أنها كلمة عربية، وأنها مشتقة من الإبلاس؛ أي : الإبعاد عن الخير واليأس من رحمة الله، وهذا رأي ضعيف كما سبق ذكره بالتفصيل (١).

فكذلك دعوى اشتقاقها من الالتباس أيضا ضعيفة بل هي أكثر ضعفا منها، لأن العلل الـتي ضعفت القول باشتقاقها من الإلباس موجودة هنا، وبالإضافة إلى تلك العلل ينضم إليها القول بأنها لو لكانت مشتقة من الالتباس لكانت صيغته " إلبيس " بتقديم اللام على الباء لا " إبليس "، و لم يقل أحد من أئمة اللغة العربية أنها مشتقة من الالتباس، وأن أصلها " إلبيس" ثم حصل قلب فقيل : " إبليس" .

فالقول بأن إبليس مشتق من الالتباس، وأنه التبس عليه الأمر حين أمر بالسجود لآدم؛ أي : رأى الأمـــر بالسجود لآدم ﷺ متعارضا بتوحيد الرب جل وعلا، فأبى أن يسجد له، ومن ثم سمي إبليس قول ضعيف بعيد عن الصواب في ضوء ما أخبر به النبي ﷺ، وفي ضوء ما قرره أئمة اللغة العربية من قواعد وأصول . والله أعلم بالصواب .

خامســا : دعوى أن هذا التعليل الذي أتي به إبليس ليبرر امتناعه عن السجود لآدم ﷺ يدل على علمه بآداب الحضرة الإلهية باطلة؛ فإن هذا التعليل منه على عدم سجوده لآدم ﷺ مع أمر الله سبحانه وتعالى له بذلك لا يدل على علمه بآداب الحضرة الإلهية فضلا أن يدل على أنه من أعلم الخلق بها بل يدل على قلة أدبه وقلة حيائه من الله تعالى، وبيان ذلك بما يلي :

● ليـــس مـــن العلم والعقل والأدب أن يتمرد المخلوق الحقير الضعيف على الخالق العزيـــز الجـــبار، وهو يعلم أن ذلك يؤدي إلى غضب الجبار وسخط القهار، ومع ذلك يستمر في عناده واستكباره وتمرده ! (٢) .

● أنه عارض أمر ربه وأصر على معصيته واستكباره، وأتى بقياس فاسد وتمسك به في مقابل الأمر الإلهي وقد سبق ذكره وبيان بطلانه (٣).

---

(١) انظر : (ص : ٣٦٠-٣٦٢) .

(٢) انظر : أبي آدم قصة الخليقة بين الأسطورة والحقيقة (ص : ١٤٨) .

(٣) انظر : (ص : ٣٨٠-٣٨٦) .

● أنـــه تـــرك القيـــاس الأولى إذ لم يقس نفسه على الملائكة الذين سجدوا لآدم عليه السلام فيســـجد معهم. والملائكة خلقوا من نور. ولا شك أن النور خير من النار. فهو لما ترك هذا القيـــاس المؤدي إلى السعادة والفلاح بالامتثال بأمر الرب جل وعلا، وأتى بقياس فاسد عقلا ونقلا- استحق غضب الله ولعنته. فكان ذلك سببا لشقاوته وخسارته في الدنيا والآخرة [1] .

● أنـــه لم يدرك أن مصلحة امتثال أمر ربه بسجوده لآدم عليه السلام راجحة على امتناعه من السجود له؛ لأن امتثال الأمر آمن من العقاب المترتب على المخالفة [2].

فهذا كله دليل صارخ على جهالته وغباوته وقلة علمه وأدبه وفساد عقله ورأيه .

سادســـا : دعوى أن إبليس سيكون له قرب من الله تعالى يوم القيامة، وأنه لا لعنة عليه بعد يوم الدين، وأنه لا يكون فرق بينه وبين آدم عند الله يوم القيامة، وأنه يكون مع عباد الله الصالحين، المنعمين في الجنة، فهذه كلها دعاوى باطلة فاسدة وبيان ذلك بما يلي:

● أن الله سبحانه وتعالى لما أمر الملائكة بالسجود لآدم عليه السلام سجد الملائكة كلهم امتثالا لأمـــر ربهم جل وعلا. وأما إبليس فقد أنكر أمر ربه، وعصاه، واعترض عليه، وعاند واستكبر، وأصر على مخالفته ومعصيته. فكيف يعتبر موحدا لله تعالى ؟ وكيف يكون مقربا إليه سبحانه ؟ فإن القرب لا يحصل بالمعصية والاستكبار بل يحصل بالطاعة والامتثال والخضوع التام .

تعصي الإله و أنت تظهر حبه   هذا محال في القياس بديع
لـــو كان حبك صادقـــا لأطعته   إن المحب لمن يحب مطيع .

● أن إبليس عصى أمر الله تعالى بامتناعه عن السجود لآدم عليه السلام، وكان له أن ينيب إلى ربـــه، و يـــتوب إليه، ويظهر الندم على ما صدر، ويستغفر منه، ولكنه لم يجزع، و لم يـــندم، و لم يطلب العفو والمغفرة، بل عاند واستكبر، وألح وأصر على معصية الله، وسأل الـــنظرة ليستمر في غوايته، ويقوم بأنواع المعاصي والفساد وإضلال العباد وإبعادهم عن الصراط المستقيم، فوجد ما طلب من الله العزيز الحكيم العليم، فهو بهذا العناد والاستكبار

---

(١) انظر : القياس الفاسد وأثره في الانحراف في العقيدة (ص : ٣٣-٣٤)؛ وأبي آدم قصة الخليقة بين الأسطورة والحقيقة (ص : ١٤٩-١٥٠) .

(٢) انظر : استخراج الجدال من القرآن الكريم (ص : ٦١)؛ والقياس الفاسد ... (ص : ٤٠) .

والإصرار والاستمرار أغلق على نفسه باب الرحمة الإلهية، فهو مطرود عن رحمة الله تعالى، وملعون إلى يوم الدين، ثم يكون مصيره ومن تبعه إلى نار الجحيم .

قال تعالى : ﴿إذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرا من طين * فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين * فسجد الملائكة كلهم أجمعون * إلا إبليس استكبر وكان من الكافرين * قال يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي أستكبرت أم كنت من العالين * قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين * قال فاخرج منها فإنك رجيم * وإن عليك لعنتي إلى يوم الدين * قال رب فأنظرني إلى يوم يبعثون * قال فإنك من المنظرين * إلى يوم الوقت المعلوم * قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين * إلا عبادك منهم المخلصين * قال فالحق والحق أقول * لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين﴾ [1] وقال تعالى : ﴿وقال الشيطان لما قضي الأمر إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخي إني كفرت بما أشركتمون من قبل إن الظالمين لهم عذاب أليم﴾ [2] وغيرها من الآيات .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي يقول : يا ويلي، أمر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة، وأمرت بالسجود فأبيت فلي النار [3].

فهذه النصوص الجليلة من الكتاب والسنة الصحيحة تبين أن إبليس يكون في النار، وإنما أنظره الله تعالى وأمهله إلى وقت محدود ويوم معلوم، ثم بعد ذلك يسحبه ومن تبعه إلى عذاب أليم مقيم، فيكون هو وجنوده في نار الجحيم .

● قال أبو السعود [4] في تفسير قوله تعالى : ﴿ وإن عليك اللعنة إلى يوم الدين ﴾ [5] : (وفيه إشعار بتأخير عقابه وجزائه إليه، وأن اللعنة مع كمال فظاعتها ليست جزاء لفعله، وإنما يتحقق

---

(١) ص الآيات : ٧١-٨٥

(٢) إبراهيم الآية : ٢٢

(٣) حديث صحيح، أخرجه مسلم، وقد سبق تخريجه في (ص :٣٣٧) .

(٤) أبو السعود هو محمد بن محمد بن مصطفى العمادي، الحنفي، فقيه أصولي مفسر شاعر، عارف باللغات العربية والفارسية والتركية، توفي سنة ٩٨٢هـ . انظر : معجم المؤلفين (١١/٣٠١-٣٠٢) .

(٥) الحجر الآية : ٣٥

ذلــك يومــئذ، وفيه من التهويل مالا يوصف. وجعل ذلك أقصى أمد اللعنة ليس لأنها تنقطع هنالك بل لأنه عند ذلك يعذب بما ينسى به اللعنة من أفانين العذاب فتصير هي كالزائل) [1].

● إن الله تعــالى كريم عدل فهو سبحانه وتعالى لا يجعل المصلحين كالمفسدين، ولا يجعل المطيعين كالعاصين، ولا يجعل المقسطين كالقاسطين، ولا يجعل التوابين كالمستكبرين، ولا يجعل المسلمين كالكافرين، ولا يجعل الموحدين كالمشركين . قال تعالى : ﴿ وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار * أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجار ﴾ [2] وقال تعالى : ﴿ أفنجعل المسلمين كالمجرمين * ما لكم كيف تحكمون ﴾ [3] وقال تعالى : ﴿ ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون ﴾ [4] فهو سبحانه وتعالى لا يظلم أحدا من عــباده بــل يعــامل كل واحد منهم بما يليق به رحمة منه وعدلا. فالذين آمنوا وأصلحوا و لم يفسدوا و لم يشركوا وخافوه واتقوه يكرمهم في دار كرامته بأنواع كثيرة من النعيم المقيم رحمة مــنه وفضلا . وأما الكفار والفجار والمنافقون والمشركون فيعذبهم الله بأنواع كثيرة من العذاب الأليم جزاء منه وعدلا. وإبليس هو أول من كفر بالله تعالى وهو أكبر داعية إلى الكفر والفسق والفجــور والفســاد والإلحاد والزندقة ... فكيف يكون هذا اللعين عند الله كعبد من عباده الصالحين فضلا أن يكون مثل آدم ﷺ عبد الله وحبيبه وكليمه وصفيه ونبيه ؟.

● أن الله تعــالى يكــرم الصالحين من عباده في دار كرامته بأنواع كثيرة من النعيم المقيم رحمة منه وفضلا، ويعذب الكافرين منهم بأنواع كثيرة من العذاب الأليم جزاء منه وعدلا، وقد ذكــر الله تعــالى بعــض تلك النعم التي أعدها لعباده الصالحين، وبعض تلك النقم التي أعدها لــلكافرين، فقال تعالى مخبرا عما أعده لعباده الصالحين : ﴿ والسابقون السابقون * أولئك المقربون * في جنات النعيم * ثلة من الأولين * وقليل من الآخرين * على سرر موضونة * متكئين عليها متقابلين * يطوف عليهم ولدان مخلدون * بأكواب وأباريق وكأس من معين * لا يصدعون عنها ولا ينزفون * وفاكهة مما يتخيرون * ولحم طير مما

---

(١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (٧٦/٥) .

(٢) ص الآيتان : ٢٧-٢٨

(٣) القلم الآيتان : ٣٥-٣٦

(٤) البقرة الآية : ٢٨١

يشتهون * وحور عين * كأمثال اللؤلؤ المكنون * جزاء بما كانوا يعملون * لا يسمعون فيها لغوا ولا تأثيما * إلا قيلا سلاما سلاما * وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين * في سدر مخضود * وطلح منضود * وظل ممدود * وماء مسكوب * وفاكهة كثيرة * لا مقطوعة ولا ممنوعة * وفرش مرفوعة * إنا أنشأناهن إنشاء * فجعلناهن أبكارا * عربا أترابا * لأصحاب اليمين * ثلة من الأولين * وثلة من الآخرين ﴾ [1] وغيرها من الآيات .

فهذه بعض تلك النعم التي يكرم الله بها عباده الصالحين في دار كرامته وبينها لهم في الدنيا ليسعوا إلى الفوز بها. وما أخفى عنهم فهي أكثر وأكثر بل فيها ((ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر)) كما روى الصادق المصدوق ﷺ عن ربه عز وجل [2].

وأما دار البوار التي هي مستقر إبليس وجنوده قد أخبر الله تعالى عما فيها من أنواع النكال والعذاب فقال عز من قائل : ﴿ وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال * في سموم وحميم * وظل من يحموم * لا بارد ولا كريم * إنهم كانوا قبل ذلك مترفين * وكانوا يصرون على الحنث العظيم * وكانوا يقولون أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون * أوءاباؤنا الأولون * قل إن الأولين والآخرين * لمجموعون إلى ميقات يوم معلوم * ثم إنكم أيها الضالون المكذبون * لآكلون من شجر من زقوم * فمالئون منها البطون * فشاربون عليه من الحميم * فشاربون شرب الهيم * هذا نزلهم يوم الدين ﴾ [3] وغيرها من الآيات .

فهذه بعض النقم التي يعذب الله بها من استحقها منهم من الكفار والفجار والمنافقين، وذلك بعدله جزاء بما كانوا يعلمون، وتلك بعض النعم التي يكرم الله بها من شاء من عباده من الأنبياء والصالحين في دار كرامته برحمته وفضله .

ولا شك أن آدم عليه السلام سيكرمه الله بإدخاله في الجنة، وأن إبليس سيعذبه الله بإدخاله في النار. فكيف يكون إبليس ومن سُجِدَ له سيان ؟ لا يقول عاقل يدرك ما يقول أن المعذب في النار بأنواع العذاب كالمنعم في الجنة بأنواع النعيم، والله المستعان على هذا الضلال

---

(١) الواقعة الآيات : ١٠-٤٠

(٢) جزء من حديث صحيح رواه أبوهريرة رضي الله عنه، أخرجه الشيخان، وقد سبق تخريجه في (ص : ٤٠١) .

(٣) الواقعة الآيات : ٤١-٥٦

والخذلان، ﴿ ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور ﴾ [1] .

● أن النار التي سيدخل فيها إبليس وجنوده هي نار حامية ليس لها انطفاء ولا خمود، وليس لها فناء ولا زوال بل هي دائمة باقية بإبقاء الله تعالى لها. وقد تقدمت الأدلة على ذلك من الكتاب والسنة الصحيحة [2]، فإبليس وجنوده من أولئك الذين سيبقون خالدين مخلدين في النار، وليس لهم خروج منها أبدا. قال تعالى : ﴿ كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال إني بريء منك إني أخاف الله رب العالمين * فكان عاقبتهما أنهما في النار خالدين فيها وذلك جزاء الظالمين ﴾ [3] ولذلك يتبرأ اللعين من أصحابه في النار و يقول لهم كما حكى الله تعالى عنهم فقال : ﴿ وقال الشيطان لما قضي الأمر إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخي إني كفرت بما أشركتمون من قبل إن الظالمين لهم عذاب أليم ﴾ [4] فإبليس يكون في النار خالدا مخلدا فيها، ويقول فيها لأصحابه بأنه لا يستطيع أن يخلصهم من هذا العذاب كما أنهم لا يستطيعون أن يخلصوه منه، فلا يستطيع أن يخلص بعضهم بعضا، فيبقون فيها معذبين، ولا يكون لهم نجاة منها [5].

فلا تصح دعوى من زعم أن إبليس قد غفر الله له ذنوبه، وأنه لا لعنة عليه بعد يوم الدين، وأنه سيكون يوم القيامة في عداد عباد الله الصالحين المقربين المنعمين في الجنة. تعالى الله عما يقول الظالمون .

يتبين مما سبق أن القول بأن إبليس كان مجبورا في امتناعه عن السجود لآدم عليه السلام، وأن الله تعالى هو الذي منعه من ذلك وحال بينه وبين السجود أو أن إبليس رأى آدم عليه السلام غير الله، فأبى أن يسجد إلا لله، وأنه أحسن بذلك إذ لم يسجد لغير خالقه، وأنه مؤمن وموحد عند الله تعالى، وأنه سيكون يوم القيامة من عباد الله المقربين الذين يكرمهم الله تعالى

---

(١) النور الآية : ٤٠

(٢) انظر (ص : ٤٠٢) .

(٣) الحشر الآيتان : ١٦-١٧

(٤) إبراهيم الآية : ٢٢

(٥) انظر : تفسير القرآن العظيم (٥٢٩/٢)؛ وفضائح الصوفية (ص : ٥١) .

بإدخـــالهم في دار كرامته، وينعم عليهم بإحلال رحمته ورضوانه، وأنه لا فرق بينه وبين آدم عليه السلام عـــند الله تعـــالى ، فهذه كلها عقائد فاسدة وآراء ضالة وأقوال باطلة وهي في غاية الـــبطلان والفساد والضلال بل هي أبعد وأبعد عن الحق والصواب وعن الإيمان بالله وكتبه ورسله، وأقرب وأقرب إلى الكفر والشرك والضلال والإباحية والزندقة والإلحاد، نسأل الله سبحانه وتعالى السلامة منها، فهو أعلم بالصواب، والهادي إلى سبيل الحق والرشاد .

الباب الثالث : دخول آدم وزوجه عليهما السلام الجنة وخروجهما منها وهبوطهما إلى الأرض.

وفيه فصلان .

الفصل الأول : آدم وزوجه عليهما السلام في الجنة .

الفصل الثاني : هبوط آدم وزوجه عليهما السلام من الجنة إلى الأرض .

....

الفصل الأول : آدم وزوجه عليهما السلام في الجنة، وفيه ثلاثة مباحث .

المبحث الأول : دخول آدم وزوجه عليهما السلام في الجنة .

المبحث الثاني : خطيئة آدم وزوجه عليهما السلام في الجنة .

المبحث الثالث : توبة آدم وزوجه عليهما السلام .

المبحث الأول : دخول آدم وزوجه عليهما السلام الجنة.وفيه مطلبان .

المطلب الأول : وقت دخول آدم وزوجه عليهما السلام الجنة .

إن الله سبحانه وتعالى أكرم أبا البشر آدم ﷺ بأن أسكنه وزوجه في الجنة . قال تعالى : ﴿ وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين ﴾ [1]، وقال تعالى : ﴿ ويا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين ﴾ [2]، وقال تعالى : ﴿ وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى * فقلنا يا آدم إن هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى * إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى * وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى ﴾ [3] .

وقد جاءت عدة أحاديث عن النبي ﷺ موافقة لكتاب الله تعالى فبينت ثبوت هذا التكريم من الله جل وعلا لأبي البشر آدم ﷺ ، وزادت في البيان والإيضاح بأن اليوم الذي أكرم الله عز وجل آدم ﷺ بإسكانه الجنة كان ذلك يوم الجمعة، فمن تلك الأحاديث الدالة على دخول آدم ﷺ الجنة يوم الجمعة ما يلي :

عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة؛ فيه خلق آدم، وفيه أدخل الجنة، وفيه أخرج منها [4].

---

(١) البقرة الآية : ٣٥

(٢) الأعراف الآية : ١٩

(٣) طه الآيات : ١١٦-١١٩

(٤) حديث صحيح، أخرجه مسلم، وقد سبق تخريجه (ص : ٨٦).

وعـــن أبي هريـــرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعـــة، فيـــه خلق آدم، وفيه أدخل الجنة، وفيه أهبط منها، وفيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم يصلي، فيسأل الله فيها شيئا إلا أعطاه إياه ... الحديث [1].

وعـــن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : سيد الأيام يوم الجمعة، فيه خلق آدم وفيه أدخل الجنة، وفيه أخرج منها، ولا تقوم الساعة إلا يوم الجمعة [2].

فيتبين من هذه الأحاديث النبوية أن آدم ﷺ أدخل[3] الجنة يوم الجمعة، والله أعلم بالصواب .

---

(١) أخرجه ت (الجمعة، ب : ما جاء في الساعة التي ترجى في يوم الجمعة ٢/٣٦٢ ح : ٤٩١)، وهو حديث صحيح، وقد سبق تخريجه من غير هذا اللفظ في (ص : ٨٧).

(٢) حديث صحيح، وقد سبق تخريجه في (ص : ٨٧).

(٣) المراد بالدخول هنا يحتمل أن طينة آدم ﷺ أدخلت الجنة يوم الجمعة وصور فيها ثم نفخ فيه الروح ويحتمل أنه أدخل الجنة بعد نفخ الروح، فإن كان الصحيح هو الأول فلا علم لنا متى أدخلت حواء الجنة وإن كان الثاني فهـــي أيضـــا أدخلت مع آدم ﷺ الجنة يوم الجمعة لقوله تعالى : ﴿ يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة ﴾ والله أعلم بالصواب . انظر : (ص : ١٠٠-١٠١ و ٢٠٥-٢٠٦) .

المطلب الثاني : الجنة التي سكنها آدم وزوجه عليهما السلام .

الجـــنة التي سكنها آدم و زوجه حواء عليهما السلام قبل الهبوط إلى الأرض اختلفت فيها أقوال أهل العلم، فمنهم من يرى أنها كانت جنة معنوية و لم تكن جنة حقيقية، ومنهم من يرى التوقف في المسألة وعدم القطع بشيء فيها، ومنهم من يرى أنها كانت في مكان مرتفع من الأرض، ومنهم من يرى أنها جنة كانت في السماء دون جنة الخلد ، ومنهم من يـــرى أنها جنة الخلد التي يدخلها المؤمنون يوم القيامة، وفيما يلي ذكر تلك الأقوال، وما احتج به أصحابها، وبيان الراجح منها، والله الموفق للصواب .

القـــول الأول : الجنة التي كان فيها آدم وحواء عليهما السلام لم تكن جنة حقيقية، وإنما كانت جنة معنوية، وهي جنة العلم . قالت به الباطنية [1] .

ومن هذا الجنس ما قاله مصطفى محمود بأنها (جنة الطاعة والإسلام للناموس الإلهي) [2].

وهذا القول في غاية البطلان والفساد، فإنه تحريف لكتاب الله تعالى، وصرف لألفاظه مـــن ظواهـــرها إلى غيرها من غير دليل ولا حاجة بل فيه حمل لألفاظ القرآن إلى ما هو مخالف لصريح دلالة القرآن مخالفة واضحة؛ لأن الله سبحانه وتعالى وصف لنا جنة آدم ﷺ في كـــتابه فقال تعالى : ﴿ وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين ﴾ [3] وقال تعـــالى : ﴿ فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة ﴾ [4] وقال تعالى : ﴿ يابني ءادم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما ﴾ [5] وقال تعالى : ﴿ فقلنا يا آدم إن هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى * إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى *

---

(١) ذكره عنهم شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى (١٤/١٦١-١٦٢) .

(٢) القرآن محاولة لفهم عصري (ص : ٦٢) .

(٣) البقرة الآية : ٣٥

(٤) الأعراف الآية : ٢٢

(٥) الأعراف الآية : ٢٧

وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى * فوسوس إليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى * فأكلا منها فبدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة ﴾ [1].

فمن أوصاف هذه الجنة التي سكنها آدم وحواء عليهما السلام أنه كان فيها أشجار، وفي تـــلك الأشجار أوراق وثمار، وأنه كان فيها ما يأكلان و يشربان حتى لا يصيبهما جوع ولا عطـــش، وأنـــه كـــان فيها لباس لهما يستر عورهما، وأنه كان فيها ما يحفظهما من حرارة الشمس، وأنها كانت واسعة يمشي فيها الأبوان ويأكلان منها ما شاءا ويشربان ...فهذه كلها من أوصاف الجنة الحقيقية، ولا يصح أن يوصف بهذه الصفات شيء معنوي الذي لا يقوم إلا بغـــيره كالعلم والطاعة، وبه يتبين خطأ من حمل الجنة التي سكنها آدم وحواء عليهما السلام على جنة معنوية كالعلم أو الطاعة والاستسلام لله تعالى، والله أعلم بالصواب .

القـــول الـــثاني : التوقف عن تعيين تلك الجنة التي سكنها الأبوان قبل أن يهبطا إلى الأرض، وعدم الخوض في بحثها والكف عنه، وأنه هو الأسلم .

فقد ذهب جماعة من أهل العلم إلى أنه يمكن أن تكون الجنة التي سكنها الأبوان هي جنة الخـــلد، ويمكـــن أن تكون غيرها في السماء أو في بقعة من بقاع الأرض، فالأحوط والأسلم الكـــف عـــن تعيينها وعن القطع بها، وهذا القول عزاه غير واحد من المفسرين إلى الإمام أبي حـــنيفة [2]، وإليه ذهب أبو منصور الماتريدي [3]، وبه قالت جماعة من المتأخرين والمعاصرين مـــنهم محمد سيد طنطاوي وعبد الحميد كشك وحسنين محمد مخلوف وعبد الجليل عيسى ومصطفى خرم دل وأحمد بهجت والشيخ محمد متولي الشعراوي وعبد الوهاب النجار إلا أنه مال في الأخير إلى القول بأنها كانت في الأرض [4] .

---

(١) طه الآيات : ١١٧-١٢١

(٢) انظر : التفسير الوسيط للقرآن الكريم (١/١٠٠)؛ وصفوة البيان لمعاني القرآن (ص : ١٣)؛ والتفسير المقتطف (ص : ١٨) .

(٣) انظـــر : تأويلات أهل السنة (١/١٠٦)، والماتريدي هو محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي الحنفي، إليه تنسب الطائفة الماتريدية الكلامية، توفي سنة ٣٣٣هـ . انظر : الأعلام (٧/١٩)؛ ومعجم المؤلفين (١١/٣٠٠) .

(٤) انظـــر بالترتيب : التفسير الوسيط للقرآن الكريم (١/١٠٠)؛ وفي رحاب التفسير (١/١٤٦)؛ وصفوة البيان لمعاني القرآن لحسنين محمـــد (ص : ١٣)؛ وتيسير القرآن الكريم للقراءة والفهم للسقيم لعبد الجليل (ص : ٨)؛ والتفسير المقتطف لمحمد خرم دل (ص : ١٨)؛ وأنبياء الله لـــ أحمد بهجت (ص : ٤٠)؛ وأنبياء الله للشعراوي (ص : ٢١-٢٣)؛ وقصص الأنبياء للنجار (ص : ٩) .

القول الثالث : الجنة التي سكنها آدم ﷺ مع زوجه حواء عليها السلام هي غير جنة الخلد التي يدخلها المؤمنون يوم القيامة .

وهذا القول يتضمن قولين :

أ – إن هـــذه الجنة كانت في السماء، وهي غير جنة الخلد . هذا القول عزاه الفخر الرازي إلى أبي علي الجبائي [١]، وعزاه بعض المفسرين إلى الحسن البصري [٢].

ولكن تعقب هذا القول بأنه هل توجد بساتين في السماء غير بساتين الجنة المعروفة، فوجـــود هذه البساتين في السماء أولا يحتاج إلى الإثبات بالأدلة اليقينية، ولا يعلم أن في الســـماء بساتين غير بساتين الجنة المعروفة. وأما احتمال أنها خلقت إذ ذاك ثم اضمحلت فمما لا يقدم عليه منصف إلا بدليل صحيح يعتمد عليه ولا دليل على ذلك [٣].

ب – إن هذه الجنة كانت في الأرض، وذكر ابن كثير أن هذا القول محكي عن أبي بن كعب وعبد الله بن عباس ووهب بن منبه وسفيان بن عيينة [٤]، وأنه اختاره ابن قتيبة، وأن القاضي منذر بن سعيد البلوطي[٥] أفرد مصنفا خاصا بهذه المسألة واختاره وحكاه عن الإمام أبي حنيفة وأصحابه [٦]. وذكر الرازي في تفسيره [٧] أن هذا القول ذهب إليه أبو القاسم البلخي[٨] وأبو مسلم الأصفهاني [٩] .

---

(١) انظـــر : التفسير الكبير (٤٠٣/٣)، والجبائي هو محمد بن عبد الوهاب، من أئمة المعتزلة بالبصرة، توفي سنة ٣٠٣هـــ . انظر : فرق وطبقات المعتزلة للقاضي عبد الجبار(٨٥/١-٩٠)؛سير أعلام النبلاء (١٨٣/١٤).

(٢) انظر : حادي الأرواح (ص : ١٩)؛ والبداية والنهاية (٧٥/١) .

(٣) انظر : تفسير البحر المحيط (٣٠٨/١)؛ وروح المعاني (٢٣٣/١) .

(٤) ســـفيان بن عيينة بن ميمون الهلالي، ثقة حافظ فقيه إمام حجة، من أثبت الناس في عمرو بن دينار، قال الشافعي : لولا مالك وسفيان لذهب علم الحجاز، توفي في رجب سنة ١٩٨هـــ . انظر : تهذيب التهذيب (٣٥٧/٢-٣٦٠ برقم : ٢٨٦٩) .

(٥) هـــو القاضي منذر بن سعيد البلوطي الأندلسي، فقيه محقق، عالم باختلاف العلماء، شاعر أديب، وكان على مذهب داود بن علي الظاهري، توفي سنة ٣٥٥هـــ. انظر : سير أعلام النبلاء (١٧٣/١٦-١٧٨).

(٦) انظر : البداية والنهاية (٧٥/١) ولكن سيأتي عن أبي بن كعب وابن عباس وابن منبه ما يدل على أن الجنة التي أخرج منها الأبوان هي جنة الخلد .

(٧) انظر : التفسير الكبير (٣/٣) .

(٨) لعله هو نصر بن الصباح البلخي، أبو القاسم، من أعلام الشيعة، من أهل القرن الرابع الهجري. انظر : معجم المؤلفين (٨٩/١٣) .

(٩) هـــو محمد بن بحر الأصفهاني، أبو مسلم، كاتب متكلم مفسر نحوي شاعر، وله تفسير على مذهب المعتزلة، توفي سنة ٣٢٢هـــ . انظر : لسان الميزان (٨٩/٥)؛ ومعجم المؤلفين (٩٧/٩) .

وحكى الراغب هذا القول عن بعض المتكلمين [1] . وذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أن هـــذا من قول المتفلسفة والملحدين أو إخوانهم من المتكلمين المبتدعين من المعتزلة وغيرهم [2] مـــع أنه صحح مرة أخرى القول بأن الأبوين كانا في غير جنة الخلد، وذكر أيضا أنه قـــول بعض السلف، وأنه أصح القولين [3]، وعزاه الآلوسي إلى الصوفية [4] . ونسبه غير واحـــد من المفسرين إلى المعتزلة والقدرية [5]، وذكر الشيخ عبد القادر بن شيبة الحمد أن هذا القول ذهب إليه بعض السلف [6] . وبه قالت جماعة من المتأخرين والمعاصرين منهم الشيخ ابن بدران [7] وعبد الرحمن بن محمد الدوسري وعبد الكريم الخطيب ومحمد رشيد رضـــا وعفيف عبد الفتاح طبارة وعبد الصبور شاهين وعبد الجليل عيسى وغيرهم [8].

فالظاهر أن هذا القول ذهب إليه كثير من المعتزلة، وهو أيضا محكي عن بعض السلف .

وإذا كـــانت الجنة التي سكنها الأبوان في بقعة من بقاع الأرض، فهل هي موجودة إلى الآن ؟ وأين مكانها في الأرض ؟ في ذلك عدة أقوال، وهي كما يلي :

قيل : إن ا لجنة التي سكنها الأبوان قبل الهبوط إلى الأرض كانت بستانا من بساتين

---

(١) انظر : ذكر ذلك عنه ابن القيم في حادي الأرواح (ص : ١٩) .

(٢) انظـــر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٣٤٧/٤) لا شك أن هذا القول ذهب إليه بعض أهل السنة من السلف والخلف، فإطلاق شيخ الإسلام ابن تيمية بأنه من قول المتفلسفة والملحدين ... فيه نظر، وأيضا مثل هذا الأسلوب في المسائل التي حصل فيها خلاف بين أهل العلم من السلف والخلف لم يعهد في كتب شيخ الإسلام ابن تيمية، فالله أعلم بالصواب .

(٣) انظر : النبوات (٧٠٥/٢-٧٠٧) .

(٤) انظر : روح المعاني (٢٣٣/١) .

(٥) انظر : الغنية في أصول الدين (ص : ١٦٧)؛ والجامع لأحكام القرآن (٣٠٢/١)؛ وشرح النووي لصحيح مسلم (٣١/١٣)؛ ومدارك التتريل (٨١/١)؛ وروح المعاني (٢٣٣/١)؛ ونهر الخير على أيسر التفاسير (٤٧/١)؛ وتفسير سورة البقرة للدكتور / أمير عبد العزيز (ص : ٧٢) .

(٦) انظر : تهذيب التفسير وتجريد التأويل (١٠٤/١)؛ وقصص الأنبياء (ص : ٣٨) .

(٧) هو عبد القادر بن أحمد بن مصطفى السعدي الدمشقي، المشهور بابن بدران، من دعاة السلفية في مطلع القرن الـــرابع عشـــر الهجري، له رسائل ومؤلفات في أنواع من العلوم، توفي سنة ١٣٤٦هـــ . انظر : ترجمته في مقدمة الكتاب المذكور من أحد معاصريه ومن قبل المحقق (ص : ١٤-٢٤) .

(٨) انظـــر بالترتيب : جواهر الأفكار ومعدن الأسرار المستخرجة من كلام العزيز الجبار (ص : ١٧٧)؛ وصفوة الآثار والمفاهـــيم مـــن تفسير القرآن العظيم للدوسري (٩٢/١)؛ وقصتا آدم ويوسف للخطيب (ص : ٤١-٤٥)؛ وتفسير القـــرآن الحكيم (٢٧٧/١)؛ ومع الأنبياء في القرآن الكريم (ص : ٣٩-٤٠)؛ وأبي آدم قصة الخليقة بين الأسطورة والحقيقة (ص : ١٥٩-١٦١)؛ والمصحف الميسر (ص : ٨) .

اليمن، وقيل : إنها كانت بأرض عدن [1]. وقيل : إنها كانت بأرض فلسطين. وقيل : إنها كانت بين فارس وكرمان [2].

وهذه الأقوال حكاها غير واحد من المفسرين [3] .

وقيـــل : إن الجنة التي كان فيها آدم ﷺ كانت في قارة غير هذه القارات المعروفة الآن، بـــل هـــي قارة في جوف المحيط الآن، ويسمونها قارة " مو "، وإنها غرقت بحوادث زلزالية، واستقرت بسهولها وجبالها وما كان عليها من حيوان وشجر وزرع في أعماق المحيط الهندي، وكـــان قد مات بسبب غرقها نحو ستين مليونا من الناس . هذا القول حكاه عبد الوهـــاب النجار عن بعض الباحثين في شأن البحار وأعماقها وما فيها من وهاد وجبال [4].

وقيـــل : إن هذه الجنة موجودة في الأرض إلى الآن، واسمها جنة البرزخ، وهي عند جـــبل اليـــاقوت تحت خط الاستواء، ويدخلها العارفون اليوم بأرواحهم لا بأجسامهم. وهذا القول ذكره الآلوسي عن الصوفية [5].

ولعل أغلب هذه الأقوال في تعيين مكان جنة الأبوين في الأرض جاءت متأثرة من الإسرائيليات بما جاء في التوراة المحرفة من أن تلك الجنة اسمها عدن ففيها : (وأخذ الرب الإله آدم ووضعه في جنة عـــدن ليعمـــلها و يحفظها ... فأخرجه الرب الإله من جنة عدن ليعمل الأرض التي أخذ منها) [6] فجاءت هذه الأقوال بحثا عن المكان المذكور في التوراة المحرفة باسم عدن، فقالوا بهذه الأقوال، مع أن جـــنة عـــدن اسم من أسماء جنة الخلد التي يدخلها المؤمنون يوم القيامة، وأيضا العبارة المذكورة من التوراة المحرفة لا تدل على أن تلك الجنة كانت في الأرض [7]، وعلى احتمال دلالة ما فيها على أنها

---

(١) مدينة في اليمن على خليج عدن قرب باب المندب، كانت عاصمة جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية منذ عام ١٩٧٠م حتى ١٩٩٠م . انظر : المنجد (الأعلام، ص : ٣٧٢) .

(٢) فارس : إقليم في إيران على الخليج، وكرمان أيضا مدينة من مدن إيران . المنجد (ص : ٤٠٢و٤٦١) .

(٣) انظر : أنوار التتريل وأسرار التأويل (١/١٤٢)؛ ومجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٤/٣٤٧)؛ وروح المعاني (١/٢٣٣ و ٨/٩٠) .

(٤) انظر : قصص الأنبياء (ص : ١٠) .

(٥) انظر : روح المعاني (١/٢٣٣) .

(٦) سفر التكوين (٢/١٥، ٣/٢٣) .

(٧) انظر : التحرير والتنوير من التفسير (١/٤٣٠) .

كـــانت في الأرض لا يعتـــبر بها، لأنها لم تنقل إلينا نقلا صحيحا، فقد دخلها شيء كثير من الغش والتحريف والتبديل، وما لم يستند إلى نقل صحيح ونص صريح لا تقوم به حجة (١).

وأمـــا مـــا ذهبت إليه الصوفية من أن تلك الجنة اسمها جنة البرزخ، وأنها عند جبل الياقوت تحت خط الاستواء، وأنهم لا زالوا يدخلونها إلى الآن بأرواحهم، فهذا لا يعدو أن يكون هراء صوفيا قائما على التخيلات الفاسدة والأوهام الكاذبة الباطلة .

وكذلـــك مـــا ذهب إليه بعض الباحثين في أعماق البحار من أن تلك الجنة كانت في غير هذه القارات المعروفة في الأرض، وأنها غرقت بسبب حوادث زلزالية، وأنها في جوف المحيط في قارة اسمها " مو " فهذا القول كالذي قبله، ولا يعدو أن يكون رأيا قائما على الظنون والأوهام والهوى، فهو قول ساقط مجرد عن الدليل والبرهان بل هو زعم بحت وليس له أي دليل .

أدلة القائلين بأن الأبوين كانا في غير جنة الخلد : وقد استدل أصحاب هذا القول لما ذهبوا إليه بما يلي :

دليلهم الأول : قالوا : من المعلوم الذي لا ينازع فيه مسلم أن الله سبحانه وتعالى خلق آدم ﷺ مـــن الأرض في الأرض لـــلأرض، وبيان ذلك أن الله سبحانه وتعالى خلق آدم ﷺ في هذه الأرض من تربتها، وجعله خليفة فيها، ولم يذكر عن الله تعالى ولا عن رسوله ﷺ : أن آدم ﷺ نقل من الأرض إلي السماء، لا قبل الخلق ولا بعده، ولو كان تعالى قد نقله إلى السماء لكان ذلك أولى بالذكر، لأن نقله من الأرض إلى السماء من أعظم النعم عليه، فدل ذلك على أنه لم يحصل، فعلم من ذلك أنه خلق في الأرض، وأن الجنة التي أسكن فيها كانت في الأرض ولم تكن في السماء (٢).

ولكـــن الأساس الذي بنوا عليه هذا الاستدلال غير ثابت إذ مداره على صحة القول بـــأن آدم ﷺخلق في الأرض، وقد ادعوا على ذلك الإجماع، وحكوا عدم الخلاف فيه، وهو لا يسلم لهم، فإن المكان الذي خلق فيه آدم ﷺ مختلف فيه عند أهل العلم، وفيه عدة أقـــوال، وقد ذهب جماعة كبيرة من السلف والخلف إلى أن آدم ﷺ لم يخلق في الأرض، وإنمـــا خلق في السماء أو في الجنة، وقد سبق الكلام عن ذلك بالتفصيل مع بيان أن القول

---

(١) انظر : جواهر الأفكار ومعادن الأسرار ... (ص : ١٧٦) .

(٢) انظر : التفسير الكبير (٣/٣)؛ وحادي الأرواح (ص : ٢٦)؛ ومفتاح دار السعادة (١/٢٦-٢٧) .

الراجح في المسألة هو القول بأن الله تعالى خلق آدم ﷺ في الجنة [1].

وأما كونه خلق من مادة الأرض وترابها فهذا لا يدل على أنه خلق في الأرض، وأنه أسكن في جنة كانت في الأرض ، وكذلك كونه جُعِل خليفة في الأرض أيضا لا يدل على أنه خلق في الأرض، وأنه أسكن في جنة كانت في الأرض، فإن قوله تعالى : ﴿ إني جاعل في الأرض خليفة ﴾ إنما هو بمعنى إني سأجعله في الأرض خليفة ؛ لأن " جاعل " اسم فاعل، وهو هنا بمعنى الاستقبال، ولهذا انتصب عنه المفعول، قد سبق بيان أن اسم الفاعل إذ كان عاملا فيما بعده بالنصب تعين كونه بمعنى الاستقبال [2]، فالآية تدل على أن الأرض هي محل خلافته، وهذا لا ينافي أن يكون الله تعالى قد خلقه في غير الأرض وأسكنه في جنة الخلد فوق السماوات أولا ثم أنزله إلى الأرض التي جعله فيها خليفة [3].

وأما القول بأنه لم يرد نص صحيح برفعه إلى السماء، فهذا لا يدل على أنه خلق في الأرض أو أنه أسكن في جنة كانت في بقعة من بقاع الأرض، فإن عدم الدليل المعين لا يلزم منه عدم المدلول المعين، وكما أنه يجب على من يقول بأن آدم ﷺ لم يخلق في الأرض أن يثبت ذلك بالدليل، فكذلك يجب على من يقول بأنه خلق في الأرض أن يثبت ذلك بالدليل، وقد تقدم بيان ذلك بالتفصيل عند الكلام عن مكان خلق آدم ﷺ في الباب الأول [4].

دليلهم الثاني : قالوا : إنه لا يجوز في حكمة الله تعالى أن يبتدئ الخلق في جنة يخلدهم فيها و لا تكليف؛ لأنه تعالى لا يعطي جزاء العاملين من ليس بعامل، ولأنه لا يهمل عباده بل لا بد من ترغيب وترهيب، ووعد ووعيد [5].

ولكن هذا الكلام غير صحيح فضلا أن يدل على صحة ما زعموا؛ فإن نعم الله وأياديه على عباده ليست بسبب منهم بل كلها فضل وكرم وعطاء وإحسان منه سبحانه وتعالى، فهو سبحانه تعالى له المشيئة المطلقة، يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، لا معقب لحكمه، ولا راد

---

(١) انظر : (ص : ٩١-١٠٢) .

(٢) انظر : (ص : ٢٨٠-٢٨٢) .

(٣) انظر : مفتاح دار السعادة (١/٢٦-٢٧) .

(٤) انظر : (ص : ٩٢) .

(٥) انظر : التفسير الكبير (٣/٣)؛ وأنبياء الله للشعراوي (ص : ٢١) .

لقضـــائه، ولا يخـــلو فعل من أفعاله ولا أمر من أوامره عن حكمه وغاية حميدة، وقد ندرك بعضـــها وقد تخفى علينا فلا ندركها، ولعل الحكمة في إسكان الأبوين في الجنة قبل أن يعملا شـــيئا هـــو الابتلاء والاختبار والامتحان، لتكون هذه الصورة ماثلة أمام أعين ذريته دائما في الدنيا، ليكونوا دائما حريصين على فعل ما يقربهم من رضوان الله ورحمته حتى يفوزا بالعودة إلى جنـــته، والدخول في دار كرامته، والتنعم بما أعد الله لهم فيها رحمة منه وفضلا، وليكونوا دائمـــا على حذر من الشيطان الذي أخرج أبويهم من الجنة، فإن أجابوا نداءه وقبلوا دعوته واتـــبعوا ســـبيله يكون مصيرهم مصيره وهو النار جزاء منه سبحانه وعدلا، وفي ذلك أعظم ترغيب وترهيب، وأكبر وعد ووعيد، لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد [(١)].

دليـــلهم الـــثالث : قد أخبر الله سبحانه على لسان جميع رسله أن جنة الخلد إنما يكون الدخول فيها يوم القيامة و لم يأت زمن دخولها بعد، وأن من دخلها يكون من الخالدين فيها ولا يخرج منها، فلو كانت الجنة التي دخلها آدم ﷺ جنة الخلد لأقام فيها و لم يخرج منها [(٢)].

ولكن تعقب هذا الاستدلال بأن القول : إن جنة الخلد إنما يقع الدخول فيها يوم القيامة و لم يأت زمن دخولها بعد، فهذا حق في الدخول المطلق الذي هو دخول استقرار وخلود ودوام، وأما الدخول العارض فلا مانع من وقوعه قبل يوم القيامة بإذن الله تعالى ومشيئته، وقد أجمع أهل التأويل أن الملائكة يدخلون الجنة ويخرجون منها ، وثبت أن إبليس كان يدخل الجنة قبل معصيته ثم أخرج منها [(٣)]، وأن النبي ﷺ دخلها ليلة المعراج ثم خرج منها و أخبر بما رأى فيها، وأرواح الشهداء في البرزخ في الجنة، وهذا كله دخول عارض من غير خلود فيها قبل يوم القيامة، فكذلك ليس هناك ما يمنع من دخول آدم وزوجه عليهما السلام فيها دخولا غير خالد فيها قبل يوم القيامة [(٤)].

دليلهم الرابع : قالوا : إن جنة الخلد هي دار القدس؛ قدست عن الخطايا والمعاصي كـــلها، وأنها مقعد صدق، فليس فيها كذب ولا لغو ولا تأثيم، وأهلها منعمون فيها، فلا يمســـهم فيهـــا نصب، ولا يصيبهم فيها خوف ولا حزن، لأنها ليست دار حزن وخوف

---

(١) انظر : مفتاح دار السعادة (٩/١)؛ وتهذيب التفسير ...(١٠٥/١)؛ وقصص الأنبياء للشيخ عبد القادر الحمد (ص : ٣٨) .

(٢) انظر : حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح (ص : ٢٥)؛ ومفتاح دار السعادة (١١/١) .

(٣) انظر : حديث أنس ﷺ عند مسلم في صحيحه، وقد سبق ذكره وتخريجه في (ص : ٩٩) .

(٤) انظر : شرح صحيح البخاري لابن بطال (٣٢٠/١٠) .

ونصـــب، وليست دار تكليف وتحذير بل هي دار أمن وراحة و سلام، ودار جزاء وإنعام وإكرام ، ويكون من دخلها منعما فيها دائما، ولا يخرج منها أبدا ... وهذه الصفات لا تصدق على الجنة التي سكنها آدم وزوجه حواء عليهما السلام؛ فقد لغا فيها إبليس حين كذب على آدم ﷺ وأثم في كذبه، ولم يسلم فيها الأبوان من الفتنة والابتلاء، فأكلا من الشجرة المحرمة، فأصابهما فيها حزن وخوف ونصب، وفي الأخير أخرجا منها، وهذا كله يدل على أن آدم ﷺ لم يكن في جنة الخلد التي يدخلها المؤمنون يوم القيامة [1].

و لكن تعقب هذا الاستدلال من وجهين : أحدهما إجمالي، والآخر تفصيلي .

أمـــا التعقب الإجمالي فذلك أنه لا شك أن الله تعالى خلق الجنة لا لغو فيها ولا تأثيم، ولا كذب، ولا يخرج منها من دخلها ... ولكن إنما يكون ذلك كله يوم القيامة إذا دخلها أهلها جزاء عمـــلهم بعـــد ما قضوا عمرهم في الدنيا في طاعة الله تعالى، وماتوا على دين الأنبياء والمرسلين، وتفضل الله عليهم بدخول الجنة، فهؤلاء هم الذين لا يخرجون منها، ولا يتحولون عنها، ويكونون فيها منعمين بجميع أنواع النعم التي لا يمكن أن نتصورها ونحن في دار الدنيا الفانية .

قـــال تعالى : ﴿ وقيل للذين اتقوا ماذا أنزل ربكم قالوا خيرا للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة ولدار الآخرة خير ولنعم دار المتقين * جنات عدن يدخلونها تجري من تحتها الأنهار لهم فيها ما يشاءون كذلك يجزي الله المتقين * الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون ﴾ [2] .

فطاعـــة الله وتقواه والإحسان في عبادته والإحسان إلى عباده في هذه الدنيا هو الذي يوصـــل إلى جـــنة النعيم المقيم التي يدخلها المتقون يوم القيامة، فيحصل لهم الأمن العام والسلام التام ويتحقق لهم فيها كل ما يشاءون .

فسائر الوجوه التي ذكرت في الجنة وأنها منتفية في الجنة التي سكنها آدم ﷺ من اللغو والكذب والنصب والعري وغير ذلك فهذا كله حق لا ينكره أحد من المسلين ولكن إنما يكـــون ذلك إذا دخلها المؤمنون يوم القيامة، فلا مانع أن يحصل فيها ما حكاه الله تعالى عن آدمﷺ وإبليس ابتلاء واختبارا، ثم يصير الأمر عند دخول المؤمنين فيها إلى ما أخبر الله

---

(١) انظر : شرح صحيح البخاري (٣١٩/١٠)؛ وحادي الأرواح (ص : ٢٥-٢٦)؛ ومفتاح دار السعادة (١١/١-١٢) .
(٢) النحل الآيات : ٣٠-٣٢

عز وجل، فلا تنافي بين الأمر ين [1].

أما التعقب المفصل فذلك بما يلي :

أولا : قولهم : إن الجنة دار جزاء وثواب، وليست دار تكليف وتحذير ، وقد كلف الله فيهـا آدم ﷺ بالـنهي عن الشجرة فيمكن أن يقال في جوابه : إن ذلك إنما يمتنع أن تكـون دار تكـليف إذا دخلها المؤمنون يوم القيامة فحينئذ ينقطع التكليف، وأما امتناع وقوع التكليف فيها في دار الدنيا فلا دليل عليه البتة، كيف وقد جاء عن النبي ﷺ أنه قال: ((بينا أنا نائم رأيتني في الجنة، فإذا امرأة تتوضأ إلى جانب قصر، فقلت : لمن هذا القصر؟ فقالوا : لعمر بن الخطاب ...)) الحديث [2].

فيـدل هذا الحديث على أنه لا يمتنع أن يكون في الجنة من يعمل بأمر الله، ويعبد الله تعالى قبل يوم القيامة بل هذا هو الواقع، فإن من فيها الآن مؤتمرون بأوامر من قبل ربهم، وسواء سمي ذلك تكليفا أو لم يسم [3] .

ثم إن التكـليف فيها لم يكن بالأعمال التي يكلف بها الناس في الدنيا من الصلاة والزكاة والصـيام والحج والجهاد ونحوها، وإنما كان حجرا عليه في شجرة من جملة أشجارها، وهذا لا يمتنع وقوعه في جنة الخلد؛ كما أن كل أحد منهم محجور عليه أن يقرب أهل غيره فيها [4].

وأما القول بأن الجنة دار القدس، وقد طهرها الله من الخطايا...، فيمكن أن يقال في جوابه : إنه لا شك أن الله تعالى أمر بني إسرائيل أن يدخلوا الأرض المقدسة، وهي بالشام، وقد أجمع أهل الشرائع السماوية على أن الله تعالى قدسها، وقد شاهدوا فيها المعاصي والكفر والكذب، ولم يكن تقديسها مما يمنع فيها المعاصي، ولا يقال : إنها غير مقدسة لما وقعت فيها من المعاصي، ولا يسلب لأجلها هذا الاسم المقدس المبارك منها، فكذلك ما حصل في الجنة من كذب إبليس اللعين، ومن

---

(١) انظر : شرح صحيح البخاري (٣٢٠/١٠)؛ وحادي الأرواح (ص : ٣٢-٣٣)؛ ومفتاح دار السعـادة (١٨/١-١٩)؛ وتهذيـب التفسـير وتجـريد التأويل (١٠٤/١-١٠٥)؛ وقصص الأنبياء (ص : ٣٨)، المصدران الأخيران للشيخ عبد القادر بن شيبة الحمد – حفظه الله – .

(٢) أخرجه خ (بدء الخلق، ب : ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة ١١٨٥/٣ ح : ٣٠٧٠) .

(٣) انظر : حادي الأرواح (ص : ٣٣)؛ ومفتاح دار السعادة (١٩/١) .

(٤) انظر : المصدرين السابقين أنفسهما .

أكل آدم وحواء عليهما السلام من الشجرة المحرمة لا يجعل أن تلك الجنة غير مقدسة، ولا يمنع أن تكون هي جنة الخلد، وحصل فيها ما حصل بتقدير الله سبحانه وتعالى ابتلاء منه . ثم هي تكون مقدسة عن اللغو والمعاصي كلها إذا دخلها المؤمنون يوم القيامة [1].

وأما القول بأن من دخلها لا يخرج منها فقد سبق الجواب عن ذلك بأن النبي ﷺ دخلها ثم خرج منها، وأن الملائكة يدخلون فيها ويخرجون منها، وأن إبليس كان يدخل فيها ثم أخرج منها، فكذلك دخلها آدم عليه السلام وخرج منها، وأما الذي لا يخرج منها فهو من تفضل الله عليه بالدخول يوم القيامة .

دليلهم الخامس : ما جاء في حديث أبي بن كعب رضي الله عنه أنه قال : إن آدم عليه السلام لما حضره الموت قال لبنيه : أي بني إني أشتهي من ثمار الجنة، فذهبوا يطلبون له، فاستقبلتهم الملائكة، ومعهم أكفانه وحنوطه، ومعهم الفؤوس والمساحي والمكاتل، فقالوا لهم : يا بني آدم ما تريدون وما تطلبون ؟ أو ما تريدون وأين تذهبون ؟ قالوا : أبونا مريض، فاشتهى من ثمار الجنة . فقالوا لهم : ارجعوا فقد قضي قضاء أبيكم ... الحديث [2] .

قالوا : فلولا أنه كان الوصول إلى الجنة التي كان فيها آدم التي اشتهى منها القطف ممكنا لما ذهبوا يطلبون ذلك ، فدل على أنها في الأرض لا في السماء [3].

---

(١) انظر : شرح صحيح البخاري (١٠/٣٢٠-٣٢١) .

(٢) أخرجه ابن سعد في الطبقات (١/٣٣) موقوفا؛ وابن أبي شيبة في المصنف (الجنائز ، ما أول ما يبدؤ به غسل الميت ٣/٢٤٣) موقوفا بالاختصار؛ وعبد الله بن الإمام أحمد في زوائد المسند (٣٥/١٦٢-١٦٣ ح : ٢١٢٤٠) موقوفا، واللفظ له؛ والبيهقي في الكبرى (الجنائز، ب : الحنوط للميت ٣/٤٠٤) مرفوعا وموقوفا؛ والدارقطني في السنن مرفوعا وموقوفا وبالاختصار (الجنائز، ب : مكان قبرآدم و التكبير عليه أربعا ٢/٧١)؛ و كم (الجنائز، قصة وفاة آدم ١/٣٤٤-٣٤٥) مرفوعا، وقال : (هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه، وهو من النوع الذي لا يوجد للتابعي إلا الراوي الواحد، فإن عتي بن ضمرة السعدي ليس له راو غير الحسن، وعندي أن الشيخين علاه بعلة أخرى، وهو أنه روي عن الحسن عن أبي دون ذكر عتي)، وتعقبه الذهبي فقال : (لم يخرجاه لأن عتي بن ضمرة لم يرو عنه غير الحسن وله علة)، قال ابن كثير في البداية والنهاية (١/٩٨) عن رواية عبد الله بن الإمام أحمد : (إسناد صحيح إليه)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/١٩٩) : (رواه عبد الله بن الإمام أحمد ورجاله رجال الصحيح غير عتي بن ضمرة و هو ثقة)، وقال الشيخ عمر سليمان الأشقر في (صحيح القصص النبوي ص : ٢٦) : (هذا الحديث وإن كان موقوفا على أبي بن كعب، فإن له حكم الرفع، فإنه مما لا يقال بالرأي) . وقال الشيخ الألباني في (سلسلة الأحاديث الضعيفة ٦/٤٠٦ ضمن كلامه على حديث : ٢٨٧٢) : (جملة القول إن الحديث عن أبي صحيح مرفوعا وموقوفا) .

(٣) انظر : البداية والنهاية (١/٧٦) .

قال الحافظ ابن حجر : (والجواب إن الحديث في الأصل فيه ضعف، وإن صح فيحتمل أن يكونوا ذهبوا يحضرون القطف من شجرة أخرج أصلها معه من الجنة لما أهبط فغرسها في الأرض)[1].

وهـذا التوجيه أقـرب إلى الصواب، ويتأكد ذلك بما جاء في حديث أبي موسى الأشعري ﷺ قال : إن الله لما أخرج آدم من الجنة زوده من ثمار الجنة، وعلمه صنعة كل شيء، فثماركم هذه من ثمار الجنة غير أن هذه تغير، وتلك لا تغير[2].

وكذلـك قول الملائكة لبني آدم : ((ارجعوا فقد قضى قضاء أبيكم)) يدل على أن الجنة التي كان فيها آدم هي جنة الخلد إذ فيها دلالة على أن آدم عليه السلام قد حان وقت موته فهـو الآن سينتقل من دار الدنيا إلى دار الآخرة فيكرم فيها بما يشتهى من ثمار الجنة، ولا شك أن تلك الجنة ليست في الأرض، والله أعلم بالصواب .

دليلهم السابع : قالوا : لا شك أن إبليس لما امتنع من السجود لآدم عليه السلام طرد من الحضرة الإلهيـة، وأمـر بالخروج عنها والهبوط منها، وهذا الأمر ليس من الأوامر الشرعية بحيث يمكن مخالفـته، وإنمـا هو أمر قدري لا يخالف ولا يمانع، وسياق الآيات القرآنية يدل على أن إبليس خـاطب آدم وحواء عليهما السلام في الجنة شفاها، فلو كانت الجنة التي أسكنا فيها هي جنة الخلد التي فوق السماوات ما كان لإبليس أن يصل إليها بعد هذا الطرد والرجم والإبعاد[3].

وهذا الاستدلال لا شك أنه قوي ولكن يمكن أن يقال في جوابه ما ذهب إليه جماعة مـن المفسـرين[4] من أن هبوط إبليس من السماء لم يكن فور امتناعه من السجود بل أخرج إبليس من الجنة بعد الاستكبار، وأسكن فيها الأبوان فأكلا من الشجرة، ثم أهبطوا جميعا، وقد استأنس هؤلاء لما ذهبوا إليه بقوله تعالى : ﴿ وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين * وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث

---

(١) تحفة النبلاء من قصص الأنبياء (ص : ١١٣) .

(٢) حديث ورد مرفوعا وموقوفا، وإسناده صحيح، ورجاله ثقات، وقد سبق تخريجه في (ص : ٢٩٩) .

(٣) انظر : البداية والنهاية (٧٦/١)؛ وحادي الأرواح (ص : ٢٦-٢٨)؛ ومفتاح دار السعادة (١٢/١و٢٣) .

(٤) وهـم ابن عباس وابن مسعود وأناس من أصحاب النبي ﷺ كما ذكر ذلك الطبري في تفسيره (٢٢٩/١) بإسناده من طريق السدي إليهم ولكن هذا الإسناد فيه كلام كما تقدم بيان ذلك في (ص : ٩٧-٩٨و٣٦٨)، وبه قال الثعالبي أيضا في (الجواهر الحسان في تفسير القرآن ١٢/٣) .

شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين * فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين ﴾ [1] .

قال أبو جعفر الطبري : (وفي هذه الآية دلالة واضحة على صحة قول من قال : إن إبليس أخرج من الجنة بعد الاستكبار عن السجود لآدم عليه السلام، وأسكنها آدم عليه السلام قبل أن يهبط إبليس إلى الأرض، ألا تسمعون الله جل ثناؤه يقول : ﴿ وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين * فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه ﴾ فقد تبين أن إبليس إنما أزلهما عن طاعة الله بعد أن لعن وأظهر التكبر؛ لأن سجود الملائكة لآدم عليه السلام كان بعد أن نفخ فيه الروح وحينئذ كان امتناع إبليس من السجود له، وعند الامتناع من ذلك حلت عليه اللعنة) [2] .

فإن صح هذا التفسير يكون إبليس قد أغوى الأبوين في الجنة قبل أن يهبط من السماء إلى الأرض، ثم أهبط الأبوان وإبليس كلهم إلى الأرض، وهذا توجيه قريب من النظم القرآني، والله أعلم بالصواب .

وعلى تقدير أن إبليس أهبط من السماء إلى الأرض بعد امتناعه من السجود لآدم عليه السلام، وبقي الأبوان في الجنة فلا يمتنع أن يصعد إبليس إلى هنالك صعودا عارضا لتمام الابتلاء والامتحان الذي قدره الله تعالى وقدر أسبابه، وإن لم يكن ذلك المكان مقعدا له ومستقرا كما كان من قبل .

وقد أخبر الله سبحانه في كتابه وعلى لسان رسوله عن الشياطين أنهم كانوا قبل مبعث رسول الله ﷺ يقعدون من السماء مقاعد للسمع فيستمعون الشيء من الوحي قال تعالى : ﴿ وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا ﴾ [3] .

وعن ابن عباس – رضي الله عنهما – قال : انطلق رسول الله ﷺ في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ، وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء، وأرسلت عليهم الشهب،

---

(١) البقرة الآيات : ٣٤-٣٦

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن (١/٢٢٩) .

(٣) الجن الآية : ٩

فرجعت الشياطين، فقالوا : ما لكم ؟ فقالوا : حيل بيننا وبين خبر السماء، وأرسلت علينا الشهب . قال : ما حال بينكم وبين خبر السماء إلا ما حدث، فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها، فانظروا ما هذا الأمر الذي حدث ؟ فانطلقوا، فضربوا مشارق الأرض ومغاربها، ينظرون ما هذا الأمر الذي حـــال بينهم وبين خبر السماء ؟ قال : فانطلق الذين توجهوا نحو تهامة إلى رسول الله ﷺ بنخلة، وهـــو عـــامد إلى سوق عكاظ وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر، فلما سمعوا القرآن تسمعوا له، فقـــالوا : هذا الذي حال بينكم وبين خبر السماء . فهنالك رجعوا إلى قومهم فقالوا : يا قومنا إنا سمعـــنا قرآنا عجبا يهدي إلى الرشد فآمنا به، ولن نشرك بربنا أحدا . وأنزل الله عز وجل على نبيه ﷺ ﴿ قل أوحي إلي أنه استمع نفر من الجن ﴾[1]، وإنما أوحي إليه قول الجن [2].

وقـــال ابـــن عـــباس – رضي الله عنهما – : كان الجن يصعدون إلى السماء يسمعون الوحي،فـــإذا سمعوا الكلمة زادوا فيها تسعا، فأما الكلمة فتكون حقا، وأما ما زاد فيكون باطلا، فـــلما بعث رسول الله ﷺ منعوا فذكروا ذلك لإبليس و لم تكن النجوم يرمى بها قبل ذلك فقال لهم إبليس : ما هذا إلا من أمر قد حدث في أرض،فبعث جنوده، فوجدوا رسول الله ﷺ قائما يصلي بين جبلين أراه قال بمكة ، فأتوه فأخبروه، فقال : هذا الذي حدث في الأرض [3] .

وهذا صعود إلى هناك ولكنه صعود عارض، لا يستقرون في المكان الذي يصعدون إليه، وقد قال الله تعالى : ﴿ اهبطوا بعضكم لبعض عدو ﴾ [4] فلا تنافي بين هذا الصعود وبين الأمر بالهبوط، فكذلك يحتمل أن يكون إبليس قد صعد إلى السماء صعودا عارضا لإغواء الأبوين بتقدير الله سبحانه وتعالى للامتحان والاختبار لهما، والله أعلم بالصواب [5].

---

(١) الجن الآية : ١

(٢) أخـــرجه خ (التفسير، سورة الجن ٤/١٨٧٣ ح : ٤٦٣٧)، واللفظ له؛ و م (الأذان، ب : الجهر بالقراءة في الصبح والقراءة على الجن ١/٣٣١ ح : ٤٤٩) .

(٣) أخرجه حم (٤/٢٨٣-٢٨٤ح : ٢٤٨٢)؛ و ت (التفسير، ب : ومن سورة الجن ٥/٤٢٧ح : ٣٣٢٤)، والـــلفظ له؛ وابن جرير الطبري في تفسيره (٢٣/٣٦-٣٧)، قال الترمذي : (هذا حديث حسن صحيح)، وكذلك صححه الألباني في (صحيح سنن الترمذي ٣/٣٦١ ح : ٣٣٢٤) .

(٤) البقرة الآية : ٣٦ و الأعراف الآية : ٢٤

(٥) انظر : حادي الأرواح (ص : ٣٣) .

وهـــناك توجيه آخر وهو محكي عن وهب بن منبه إذ قال : (...كان إبليس لا يحجب بشيء من السماوات، وكان يقف فيهنّ حيث شاء ما أرادوا (؟)، ومن هنالك وصل إلى آدم حين أخرجه من الجنة، فلم يزل على ذلك يصعد في السماوات حتى رفع الله عيسى ابن مريم فحجب من أربع، وكان يصعد في ثلاث، فلما بعث الله محمدا ﷺ حجب من الثلاث الباقية، فهـــو محجـــوب هو وجميع جنوده من جميع السماوات إلى يوم القيامة إلا من استرق السمع فأتـــبعه شهاب ثاقب، ولذلك أنكرت الجن ما كانت تعرف حين قالت : ﴿ وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا ﴾ إلى قوله : ﴿ شهابا رصدا [1]﴾ ...) [2] .

دليـــلهم الثامن : قالوا : قد أخبر الله تعالى عن إبليس أنه قال لآدم عليه السلام : ﴿ هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى ﴾[3] فإن كان الله سبحانه وتعالى قد أسكن آدم عليه السلام جنة الخلد والمـــلك الذي لا يبلى، فكيف غره إبليس بالطمع في الخلود ؟ ولماذا لم يرد عليه آدم عليه السلام وقـــال له : كيف تدلني على شيء أنا فيه، وقد أعطيته ؟ فلو كانت الجنة التي سكنها آدم عليه السلام هـــي جنة الخلد لما ركن إلى قول إبليس، ولا مال إلى نصيحته، ولكنه لما كان في غير دار خلود غره اللعين بما أطعمه فيه من الخلد [4].

ولكن تعقب هذا الاستدلال بأن أكل آدم من الشجرة المحرمة رجاء الخلد في الجنة لا يصح به الاستدلال على أنهما كان في بستان من بساتين الدنيا؛ لأن الله سبحانه وتعالى لما أسكنهما في الجنة لم يخبرهما بأنهما سيكونان فيها من الخالدين بل كان في علم الله سبحانه وتعـــالى أنهما سيخرجان منها، وأكلهما من الشجرة المحرمة رجاء الخلد كان ظنا منهما وغرورا بمقالة اللعين، ولذلك لم يحصل لهما ما أرادا، فلم يكن أكلهما من الشجرة صوابا،

---

(١) الجن الآيتان : ٨-٩

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٥٧/١٧)، بإسناده إليه، وهو لا يقل عن درجة الحسن؛ فإن رجاله ما بين ثقة وصدوق ولكن هذا الأثر المحكي عنه طويل، وفيه قسط كبير من الإسرائيليات التي لا يمكن الاعتماد عليها، إلا أن محل الشاهد منه لا بأس به؛ لما ثبت عندنا من أن الشياطين كانوا يصعدون إلى السماء لاستماع الأخبار قبل بعثة النبي ﷺ ثم حجبوا عنها، والله أعلم بالصواب .

(٣) طه الآية : ١٢٠

(٤) انظر : الفصل في الملل والأهواء والنحل (٦٩/٤)؛ والجامع لأحكام القرآن (٣٠٢/١)؛ وحادي الأرواح (ص : ٢٦)؛ ومفتاح دار السعادة (١٢/١) .

كما لم يكن ظنهما في الأكل منها بأنه يسبب لهما الخلود في جنة الخلد صوابا، وإنما كان ذلك ظنا منهما، وما كان هذه صفته لا يصح الاحتجاج به [1].

ولـــو كان الأبوان في غير جنة الخلد وقال لهما إبليس : هل أدلك على شجرة الخلد لقـــالا له : لا يمكن أن تكون شجرة الخلد في دار الفناء والزوال، فكيف تكذب علينا يا لعين ؟ ولكنه لما كانا في جنة الخلد غرهما إبليس بكلامه الكاذب المعسول المسموم [2].

دليلهم التاسع : قالوا : ومما يدل على أن جنة آدم ﷺ لم تكن جنة الخلد التي وعد المتقون أن الله ســبحانه لما خلقه أعلمه أن لعمره أجلا ينتهي إليه، وأنه لم يخلقه للبقاء كما جاء في حديث أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : لما خلق الله آدم ﷺ ونفخ فيه الروح عطس فقال : الحمد لله، فحمـــد الله بأذنه فقال ربه : يرحمك الله يا آدم اذهب إلى أولئك الملائكة إلى ملأ منهم جلوس فقل: السلام عليكم . قالوا : وعليك السلام ، ثم رجع إلى ربه فقال : إن هذه تحيتك وتحية بنيك بينهم. فقـــال الله له – ويداه مقبوضتان – : اختر أيهما شئت . فقال : اخترت يمين ربي وكلتا يديه يمين مـــباركة . ثم بسطها فإذا فيها آدم وذريته، فقال : يا رب ما هؤلاء ؟ قال : هؤلاء ذريتك. فإذا كل إنســـان مكتوب بين عينيه عمره فإذا فيهم رجل أضوؤهم قال : يا رب من هذا ؟ قال : هذا ابنك داود قد كتبت له عمرا أربعين سنة . قال : يا رب زده في عمره . قال : ذلك الذي كتبت له . قال : أي رب، فإني قد جعلت له من عمري ستين سنة . قال أنت وذلك . قال : ثم اسكن الجنة ما شاء الله ثم اهبط منها ، فكان آدم عليه السلام يعد لنفسه . قال : فأتاه ملك الموت . فقال له آدم : قد عجـــلت قـــد كتـــبت لي ألف سنة . قال : بلى ولكنك جعلت لأبنك داود ستين سنة . فجحد فجحدت ذريته، ونسي فنسيت ذريته . قال : فمن يومئذ أمر بالكتاب والشهود [3].

قالوا : فهذا صريح في أن آدم ﷺ لم يخلق في دار البقاء التي لا يموت من دخلها، وإنما خلق في دار الفناء التي جعل الله تعالى لها ولسكانها أجلا معلوما، فذلك يشعر أن آدم ﷺ كان أسكن في دار الفناء التي خلق فيها [4].

ولكن تعقب هذا الاستدلال بأن هذا الحديث ليس فيه دلالة على أن آدم ﷺ خلق في

---

(١) انظر : الفصل في الملل والأهواء والنحل (٤/٦٩) .
(٢) انظر : الجامع لأحكام القرآن (١/٣٠٣) .
(٣) حديث صحيح لغيره، وقد سبق تخريجه في (ص : ٧٤) .
(٤) انظر : حادي الأرواح (ص : ٢٨)؛ ومفتاح دار السعادة (١/٢٥-٢٦) .

بقعة من بقاع الأرض في هذه الدنيا، كما أنه ليس فيه دلالة على أنه أسكن في بستان من بســـاتين الدنيا بل غاية ما فيه أن الله أخبر أبا البشر بأنه تعالى جعل له أجلا محدودا ينتهي إليه، وهذا لا ينافي إدخاله جنة الخلد وإسكانه فيها لمدة معينة ووقت محدود[1] .

القـــول الرابع : إن هذه الجنة التي سكنها آدم وزوجه حواء عليهما السلام هي جنة الخلد التي سيدخلها المؤمنون يوم القيامة . وهذا القول ذهب إليه أبو العالية [2] وعبد الله بن وهب بن مسلم [3] وأبو نصر فتح الموصلي [4] وأبو عيسى الرماني [5] وابن أبي زيد القيرواني [6] وأبو الفـــتح ســـليم الـــرازي [7] وابـــن بطال[8] وابن حزم [9] والبزدوي [10] والكرماني [11]

---

(١) انظر : حادي الأرواح (ص : ٣٣) .

(٢) أخـــرجه عـــنه ابن أبي حاتم في تفسيره (١/١٢٤-١٢٥ برقم : ٣٧٥) بإسناده إليه أنه قال :(خلق الله آدم يوم الجمعـــة، وأدخلـــه الجنة يوم الجمعة، فجعله في جنات الفردوس) وهذا الإسناد فيه كلام، وقد سبق تفصيله في (ص : ٣٤١-٣٤٢) إلا أن قوله هذا موافق لما دلت عليه الأدلة من الكتاب والسنة ولأقوال الأئمة الآخرين، وسيأتي ذكرها .

(٣) انظر : سبق توثيق قوله في (ص : ٩٥-٩٦) .

(٤) ذكر الرازي في تفسيره (٣/١٨) عنه أنه قال : (كنا قوما من أهل الجنة فسبانا إبليس إلى الدنيا، فليس لنا إلا الهم والحزن حتى نرد إلى الدار التي أخرجنا منها)، والموصلي هو أبو نصر فتح بن سعيد الموصلي، كان من الزهاد الأشراف، توفي سنة ٢٢٠هـــ . انظر : سير أعلام النبلاء (١٠/٤٨٣-٤٨٤) .

(٥) ذكر عنه ابن القيم في حادي الأرواح (ص : ١٩)، والرماني لعله أبو الحسن علي بن عيسى الرماني النحوي المعـــتزلي، صنف في التفسير واللغة والنحو والكلام، وكان من أوعية العلم على بدعته، توفي سنة ٣٨٤هـــ . انظر : سير أعلام النبلاء (١٦/٥٣٣-٥٣٤) .

(٦) انظر : الرسالة (ص : ٩)، والقيرواني هو عبد الله بن أبي زيد القيرواني، شيخ المالكية بالمغرب، يقال له مالك الصغير، له مواقف مشهورة ضد أهل البدع، توفي سنة ٣٨٦هـــ. انظر : سير أعلام النبلاء (١٧/١٠) .

(٧) انظر : تفسير ضياء القلوب (ص : ١٢٤)، وأبو الفتح هو سُليم بن أيوب بن سُليم الرازي، الشافعي، فقيه أصولي مفسر محدث، وعالم بالنحو واللغة والمعاني، توفي سنة ٤٤٧هـــ . انظر : معجم المؤلفين (٤/٢٤٣) .

(٨) انظـــر : شـــرح صحيح البخاري (١٠/٣١٩-٣٢١)، وابن بطال هو علي بن خلف بن عبد الملك البكري، من كبار المالكية، كان من أهل العلم والمعرفة، وعني بالحديث عناية خاصة، توفي سنة ٤٤٩هـــ. انظر :سير أعلام النبلاء (١٨/٤٧) .

(٩) انظر : الفصل في الملل والأهواء والنحل (٤/٦٩) .

(١٠) انظر : أصول الدين (ص : ١٦٥-١٦٦) ، و البزدوي هو محمد بن محمد بن الحسين البزدوي، من كبار الحنفية، فقيه أصولي، توفي سنة ٤٩٣هـــ. انظر : سير أعلام النبلاء (١٩/٤٩)؛ ومعجم المؤلفين (١١/٢١٠) .

(١١) انظر : غرائب التفسير وعجائب التأويل (١/١٣٤)؛ وأسرار التكرار في القرآن (ص : ٢٦)، والكرماني هـــو محمـــود بن حمزة بن نصر الكرماني، المعروف بتاج القراء، مفسر مقرئ فقيه نحوي، توفي في حدود سنة ٥٣٥هـــ . انظر : معجم المؤلفين (١٢/١٦١)،وله ترجمة واسعة من قبل المحقق في بداية تفسيره المذكور .

والقاضي عياض [1] وابن عطية [2] ومحمود بن أبي الحسن الغزنوي [3] وصالح بن الحسين الهاشمي [4] والقرطبي [5] والنووي [6] والبيضاوي [7] والنسفي [8] والخازن [9] وشيخ الإسلام ابن تيمية في أحد قوليه [10]، وعمر الفاكهاني [11] وابن جزي الكلبي [12] وابن القيم [13]

---

(١) انظر : إكمال المعلم بفوائد مسلم (١٣٨/٨)، ونقله ابن حجر في فتح الباري (٥١٢/١١)، والقاضي هو عياض بن موسى بن عياض اليحصبي، من كبار المالكية، إمام الحديث في وقته وأعرف الناس بعلومه، كان شديدا في الحق، توفي سنة ٥٤٤هـ . انظر : سير أعلام النبلاء (٢١٢/٢٠) .

(٢) انظر : المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (١٨٢/١)، وابن عطية هو عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، من كبار المالكية، كان عارفا بالأحكام والحديث والتفسير واللغة العربية، توفي سنة ٥٤٦هـ. انظر : التفسير والمفسرون (٢٣٨/١-٢٣٩) .

(٣) انظر : باهر البرهان في مشكلات القرآن (الجزء الأول من التحقيق ص : ٦٦)؛ والغزنوي هو محمود بن أبي الحسن بن الحسين النيسابوري الغزنوي، مفسر فقيه أديب لغوي شاعر، توفي بعد سنة ٥٥٣هـ . انظر : معجم المؤلفين (١٥٧/١٢)، وله ترجمة واسعة من قبل المحقق للكتاب المذكور .

(٤) انظر : تخجيل من حرف التوراة والإنجيل (/٢١٦-٢١٧)، والهاشمي هو صالح بن الحسين بن طلحة الهاشمي الجعفري، أديب لغوي، فقيه أصولي، متأثر بالأشعرية، توفي سنة ٦٦٨هـ . انظر : معجم المؤلفين (٦/٥)؛ ومقدمة محقق الكتاب .

(٥) انظر : الجامع لأحكام القرآن (٣٠٢/١-٣٠٣) .

(٦) انظر : شرح صحيح مسلم (٣١/١٣)، والنووي هو يحيى بن شرف بن مري النووي الدمشقي، فقيه محدث حافظ لغوي، توفي سنة ٦٧٧هـ . انظر : معجم المؤلفين (٢٠٢/١٣) .

(٧) انظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل (١٤٢/١)، والبيضاوي هو القاضي عبد الله بن عمر بن محمد البيضاوي الشيرازي، عالم بالفقه والتفسير والعربية، من المتكلمين، توفي سنة ٦٨٥هـ، قيل : سنة ٦٩١هـ . انظر : معجم المؤلفين (٩٧/٦-٩٨)؛ والتفسير والمفسرون (٢٩٦/١-٢٩٧) .

(٨) انظر : مدارك التنزيل وحقائق التأويل (٨١/١)، والنسفي هو عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، الحنفي، أحد الزهاد وصاحب التصانيف، توفي سنة ٧٠١هـ. انظر : التفسير والمفسرون (٣٠٤/١).

(٩) انظر : لباب التأويل في معاني التنزيل (٦٥/١)، والخازن هو علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر، البغدادي الشافعي الصوفي، المعروف بالخازن، كان من أهل العلم، توفي سنة ٧٤١هـ . انظر : التفسير والمفسرون (٣١٠/١) .

(١٠) انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٣٤٧/٤-٣٤٩) .

(١١) انظر : التحرير والتحبير (لوحة : ٥٥ ب)، والفاكهاني هو عمر بن علي بن سالم اللخمي الفاكهاني، عالم بالفقه والحديث والأصول والعربية، توفي سنة ٧٣١هـ وقيل بعدها بسنة . انظر : معجم المؤلفين (٢٩٩/٧) .

(١٢) انظر : التسهيل لعلوم التنزيل (٦٢/١)، والكلبي هو محمد بن أحمد بن محمد الكلبي، المعروف بابن جزي، عالم بالتفسير والحديث والقراءات والفقه والأصول، توفي سنة ٧٤١هـ . انظر : معجم المؤلفين (٢٨٥/٨) .

(١٣) العلامة ابن القيم – رحمه الله – هو أكثر من توسع في هذه المسألة، وذلك في كتابيه : (حادي الأرواح ص : ١٩-٣٤)؛ و(مفتاح دار السعادة ١١/١-٣٢)، فذكر أقوال أهل العلم في هذه المسألة، وبما احتج به كل واحد منهم من ←

ويوسف بن عمر الأنفاسي [١] وابن رجب[٢] والأبي [٣] وقاسم بن ناجي [٤] والحافظ ابن حجر [٥]

الأدلة، ومالها وما عليها، ولكنه لم يرجح هنا قولا على قول، وتبعه في ذلك كثيرون ممن جاء بعده إلا أن ابن القيم جاء عنه في كتابيه المذكورين وغيرهما من كتبه ما يدل على أنه يرى أن الجنة التي سكنها آدم وزوجه حواء عليهما السلام هي جنة الخلد التي يدخلها المؤمنون يوم القيامة، فقال في قصيدته النونية : (فصل في صفة عرائس الجنة وحسنهن وجمالهن ولذة وصالهن ومهورهن ص : ٣٧١-٣٧٢ برقم : ٥٢٣٧-٥٢٣٩) ثم قال : (فيظل بالجمرات يسعى قلبه :: هذي مناسكه وكل زمان . والناس قد قضوا مناسكهم وقد :: حثوا ركائبهم إلى الأوطان . وحدت بهم همم لهم وعزائم :: نحو المنازل أول الأزمان) .قال ابن عيسى في شرح هذه الأبيات (٥٤٣/٢) : (يعني : إلى الجنة التي أسكنها آدم وحواء عليهما السلام)، وقال ابن القيم في (حادي الأرواح ص : ٧) : (فحيَّ على جنات عدن فإنها :: منازلك الأولى وفيها المخيم . ولكننا سبي العدو فهل ترى :: نعود على أوطاننا ونسلم)، وهذه الأبيات أيضا موجودة في القصيدة الميمية كما في شرحها (ص : ٨٦-٨٧ برقم : ١٩٥-١٩٦) . وقال في مفتاح دار السعادة (١٥٠/١-١٥١) : (وإذا كانت الروح تحن أبدا إلى وطنها من الأرض، مع قيام غيره مقامه في السكنى، وكثيرا ما يكون غير وطنها أحسن وأطيب منه، وهي دائما تحن إليه مع أنه لا ضرر عليها ولا عذاب في مفارقته إلى مثله، فكيف بحنينها إلى الوطن الذي في فراقها له عذابها وآلامها وحسرتها التي لا تنقضي، فالعبد المؤمن في هذه الدار سبي من الجنة إلى دار التعب والعناء ثم ضرب عليه الرق فيها، فكيف يلام على حنينه إلى داره التي سبي منها، وفرق بينه وبين من يحب، وجمع بينه وبين عدوه ؟ فروحه دائما معلقة بذلك الوطن وبدنه في الدنيا، ولي من أبيات في ذلك)، وذكر البيتين المذكورين من الميمية، وذكر ابن رجب في كتابه الذيل على طبقات الحنابلة (٤٤٨/٢-٤٥٢) في ترجمة ابن القيم : أنه لازم مجالسه قبل موته أزيد من سنة، وأنه سمع عليه القصيدة النونية الطويلة، وكذلك القصيدة الميمية، وذكر الأبيات المذكورة من القصيدة الميمية فيما سمعه من شيخه ابن القيم . فيظهر من هذه العبارات المنقولة من كتب ابن القيم أنه يرى أن الجنة التي أسكن فيها الأبوان قبل الهبوط إلى الأرض هي جنة الخلد التي يدخلها المتقون من عباد الله يوم القيامة، ولا سيما القصيدتان الميمية والنونية كلتاهما مما قرئت عليه في السنة الأخيرة من عمره أو قبلها بقليل، فالظاهر أن هذا هو القول الراجح في المسألة عنده، وأنه هو المختار لديه، وأنه هو الذي كان عليه إلى آخر حياته – رحمه الله رحمة واسعة –، والله أعلم بالصواب .

(١) انظر : تقييد على رسالة ابن أبي زيد القيرواني (لوحة : ٢٠ ب)؛ والأنفاسي هو يوسف بن عمر الأنفاسي، كان صالحا متفقها بالمالكية، توفي سنة ٧٦١هـ . انظر : الأعلام (٢٤٤/٨)؛ ومعجم المؤلفين (٣٢٠/١٣) .

(٢) انظر : لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف (ص : ٦٧-٧٢)، وابن رجب هو عبد الرحمن بن أحمد بن رجب البغدادي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن رجب، من تلامذة الإمام ابن القيم، علامة محدث فقيه أصولي مؤرخ، عالم بعلل الحديث، توفي سنة ٧٩٥هـ . انظر : معجم المؤلفين (١١٨/٥) .

(٣) انظر : إكمال إكمال المعلم (٨٥/٧) .

(٤) انظر : شرح العلامة قاسم على متن الرسالة لابن أبي زيد (٥٣/١)، وابن ناجي هو قاسم بن عيسى بن ناجي التنوخي، فقيه حافظ، ولي القضاء في عدة أماكن، توفي سنة ٨٣٧هـ . انظر : معجم المؤلفين (١١٠/٨).

(٥) انظر : فتح الباري (٤٣٣/١١ ، ٥١٢) .

والعيـــني [1] وأبـــو العباس القلشاني[2] وأحمد زروق الفاسي [3] والقسطلاني [4] وابن كمال باشا [5] وعلي المنوفي [6] ومحمد التتائي [7] وملا علي القاري [8] والخفاجي [9] والـــزرقاني [10] وأحمد النفراوي [11] وعلي الصعيدي العدوي [12] وابن عاشور[13]، وجماعـــة من المتأخرين والمعاصرين منهم الشيخ محمد بن أحمد المورتاني [14] ومصطفى الحصـــن المنصـــوري [15] وأبـــو الحســـن عـــبيد الله المـــباركفوري[16]

---

(١) انظـــر : عمدة القاري (٦٠/١٩)، والعيني هو محمود بن أحمد بن موسى العيني الحنفي، فقيه أصولي مفسر محدث مؤرخ لغوي، توفي بالقاهرة سنة ٨٥٥هـ . انظر : معجم المؤلفين (١٥٠/١٢) .

(٢) انظر : شرح القلشاني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني (٢٨٢/١-٢٨٣) بتحقيق : عبد الوهاب بن محمد جامع إيلشن، ووافقه المحقق، والقلشاني هو أحمد بن محمد بن عبد الله القلشاني التونسي، فقيه خطيب مشارك في أنواع من العلوم، توفي سنة ٨٦٣هـــ انظر : معجم المؤلفين (١٢٣/٢) .

(٣) انظـــر : شرح العلامة أحمد زروق على متن الرسالة لابن أبي زيد (٥٢/١)، والفاسي هو أحمد بن أحمد بن محمد الفاسي المالكي، الشهير بزروق، فقيه محدث، توفي سنة ٨٩٩هـــ. انظر : معجم المؤلفين (١٥٥/١) .

(٤) انظر : إرشاد الساري (٢٧/١٤) .

(٥) انظر : تفسير ابن كمال باشا (ص : ١٢٤)، وابن كمال هو أحمد بن سليمان بن كمال باشا الرومي الشهير بابن كمال باشا، عالم مشارك في كثير من العلوم، توفي سنة ٩٤٠هـــ . انظر : معجم المؤلفين (٢٣٨/١) .

(٦) انظر : كفاية الطالب الرباني لرسالة ابن أبي زيد القيرواني (٣٤/١-٣٥) .

(٧) انظر : تنوير المقالة في حل ألفاظ الرسالة (٢٨٩/١) .

(٨) انظر : مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (١٢٣/١) .

(٩) انظـــر : عناية القاضي وكفاية الراضي (٢١٠/٢-٢١١)، والخفاجي هو أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي المصري الحنفي، لغوي أديب مفسر، توفي سنة ١٠٦٩هـــ . انظر : معجم المؤلفين (١٣٨/٢) .

(١٠) انظر : شرح الزرقاني لموطأ الإمام مالك (٢٤٣/٤) .

(١١) انظر : الفواكة الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني (٨٢/١-٨٣) .

(١٢) انظر : حاشية العدوي على شرح أبي الحسن لرسالة ابن أبي زيد (٧٤/١)، والعدوي هو علي بن أحمد بن مكـــرم الله الصـــعيدي العدوي المالكي الأزهري الشهير بالصعيدي، فقيه محدث أصولي متكلم منطقي، توفي بالقاهرة سنة ١١٨٩هـــ . انظر : معجم المؤلفين (٢٩/٧-٣٠) .

(١٣) انظر : التحرير والتنوير من التفسير (٤٣٠/١-٤٣١) .

(١٤) انظـــر : الفتح الرباني شرح على نظم رسالة ابن أبي زيد القيرواني (٢٧/١-٢٩)، والمورتاني هو محمد بن أحمد الشنقيطي المورتاني الملقب بالداه، كان حيا عام ١٣٧٩هـــ . عندما طبع كتابه هذا لأول مرة .

(١٥) انظـــر : المقـــتطف من عيون التفاسير (٦٨/١)، والمنصوري هو مصطفى بن ميمش بن الحسين الخيري الحصني المنصوري، كان عالما فاضلا، شارك في أنواع من العلوم، توفي سنة ١٣٩٠هـــ . انظر : ترجمته بقلم أحد معاصريه الأستاذ إبراهيم طانير في مقدمة كتابه المذكور (٧/١-٨) .

(١٦) انظر : مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (١٦١/١)، المباركفوري هو أبو الحسن عبيد الله بن العلامة ←

ومحمد بن صالح العثيمين [١] وعبد المحسن بن حماد العباد البدر[٢] وعبد القادر شيبة الحمد[٣] وأبو بكر جابر الجزائري [٤] ومحمد الطيب النجار [٥] ومحمد علي الصابوني [٦] وأمير عبد العزيز [٧] والأمين الحاج محمد أحمد [٨] وغيرهم ، وهذا هو القول المشهور، وعليه عامة أهل السنة والجماعة [٩].

وكذلك هناك جماعة من أهل العلم لم ينصوا على أن الجنة التي كان فيها الأبوان هي جنة الخلد ولكن يفهم من كلامهم أنها هي عندهم؛ لأنهم استدلوا بإسكان الله تعالى آدم وحواء عليهما السلام في الجنة على أن الجنة مخلوقة موجودة الآن، في ردهم على من زعم من الجهمية ومن وافقهم على أنها غير مخلوقة وغير موجودة الآن، وأن الله تعالى سيخلقها يوم القيامة .

وممن استدل من أهل العلم بقصة الأبوين على كون الجنة مخلوقة وموجودة الآن الآجري [١٠] وابن أبي زمنين [١١] والبيهقي [١٢] والجويني [١٣]

محمد عبد السلام بن خان محمد الرحماني، من أخص تلاميذ أبي العلاء محمد عبد الرحمن المباركفوري، توفي أبو الحسن سنة ١٤١٤هـ . انظر ترجمته في مقدمة كتابه المذكور من قبل أحد المعاصرين له (ص : ٩-١٠) .

(١) انظر : أحكام من القرآن الكريم [الفاتحة والبقرة] (ص : ١٦٨) .

(٢) انظر : قطف الجنى الداني شرح مقدمة رسالة ابن أبي زيد القيرواني (ص : ١٢٩) .

(٣) انظر : تهذيب التفسير و تجريد التأويل (١/١٠٤-١٠٥)؛ وقصص الأنبياء له (ص : ٣٧-٣٨) .

(٤) انظر : نهر الخير على أيسر التفاسير [مطبوع مع أيسر التفاسير] (٤٧/١) .

(٥) انظر : تاريخ الأنبياء في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية (ص : ٥٨-٦١) .

(٦) انظر : النبوة والأنبياء (ص : ١٢٩-١٣٠)؛ وصفوة التفاسير (٣٧/١)؛ وفي تحقيقه لكتاب (المقتطف من عيون التفاسير ٦٨/١) لمؤلفه : مصطفى الحصن المنصوري المتوفى ١٣٩٠هـ (١/٦٨-٦٩).

(٧) انظر : تفسير سورة البقرة (ص : ٧٢) .

(٨) انظر : شرح مقدمة ابن أبي زيد القيرواني في العقيدة (ص : ٣٥٧-٣٥٨) .

(٩) انظر : شرح صحيح البخاري لابن بطال (٣٢١/١٠)؛ وغرائب التفسير و عجائب التأويل (١٣٤/١)؛ والتسهيل لعلوم التتريل (٦٢/١)؛ وعمدة القاري (٦٠/١٩)؛ والجواهر الحسان في تفسير القرآن (٢١٨/١)؛ والتحرير والتنوير من التفسير (٤٣٠/١) .

(١٠) انظر : الشريعة (١٣٤٣/٣-١٣٤٦) .

(١١) انظر : أصول السنة (ص : ١٣٤) .

(١٢) انظر : البعث والنشور (ص : ١٣٩-١٤١) .

(١٣) انظر : الإرشاد إلى قواطع الأدلة في الاعتقاد (ص : ٣١٩)، والجويني هو أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني، شيخ الشافعية، صاحب التصانيف، كانت عنده هفوة الاعتزال والاشتغال بعلم الكلام، ثم رجع عنها، توفي سنة ٤٧٨هـ . انظر : سير أعلام النبلاء (٤٦٨/١٨-٤٧٧) .

وابـــن الجـــوزي [1] وعبد الرحمن الإيجي [2] والبابرتي [3] وسعد الدين التفتازاني [4] وعبد الوهاب الشعراني [5] والكافي البوسنوي [6] وحافظ الحكمي [7].

ولا شـــك أن الخلاف بين الجهمية ومن وافقهم وبين أهل السنة دائر عن جنة الخلد الـــتي يدخلها المؤمنون يوم القيامة ؛ أعني في كونها مخلوقة أو غير مخلوقة الآن، وليس عن جـــنة مـــن جـــنان الدنيا وحديقة من حدائقها .فيمكن أن يقال أن هؤلاء العلماء الذين اســـتدلوا بقصة الأبوين على كون الجنة مخلوقة موجودة هم أيضا يرون أن الجنة التي كان فيها الأبوان هي جنة الخلد؛ إذ لو كانت غيرها عندهم لم يستدلوا بهذه القصة والله أعلم.

أدلة القائلين بأن الأبوين كانا في جنة الخلد :

استدل أصحاب هذا القول بما يلي :

الدليـــل الأول : قولـــــه تعالى : ﴿ يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة ﴾ [8] قالوا : الجنة جاءت معرفة بلام التعريف، ولا جنة يعهدها المخاطبون ويعرفونها إلا جنة الخلد التي وعد

---

(١) انظر : المنتظم في تاريخ الأمم والملوك (١/١٩٦) .

(٢) انظـــر : المواقف في علم الكلام (٣/٤٨٥)، والإيجي هو عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الغفار الشافعي، عالم مشارك في أنواع من العلوم، توفي سنة ٧٥٦هـ . انظر : معجم المؤلفين (٥/١١٩) .

(٣) انظـــر : شـــرح عقيدة أهل السنة والجماعة (ص : ١٣٣)، والبابرتي هو محمد بن محمد بن محمود البابرتي، الـــرومي الحنفي، فقيه أصولي فرضي مفسر محدث نحوي بياني، توفي سنة ٧٨٦هـــ . انظر : الفوائد البهية في تراجم الحنفية (ص : ١٩٥-١٩٩)؛ ومعجم المؤلفين (١١/٢٩٨-٢٩٩) .

(٤) انظـــر : شـــرح العقائد النسفية (ص : ١٦٩)، والتفتازاني هو مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني، عالم مشارك في أنواع من العلوم، توفي سنة ٧٩١هـــ وقيل بعدها بسنة . انظر : معجم المؤلفين (١٢/٢٢٨) .

(٥) انظـــر : اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر (٢/١٧٢)، والشعراني هو عبد الوهاب بن أحمد بن علي الشعراني المصري، فقيه أصولي صوفي، توفي بالقاهرة سنة ٩٧٣هـــ . انظر : معجم المؤلفين (٦/٢١٨) .

(٦) انظـــر : نور اليقين في أصول الدين (ص : ٢٢٠)، والكافي هو حسن بن طور خان بن داود الأقحصاري، المشهور بالكافي البوسنوي، من كبار علماء العلوم الإسلامية والعربية في الأجزاء الأوربية من الدولة العثمانية في ذلك العصر، توفي سنة ١٠٢٤هـــ . انظر ترجمته في مقدمة الكتاب المذكور من قبل محققه .

(٧) انظـــر : أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة (ص : ٧٠-٧١)، والحكمي هو حافظ بن أحمـــد بن علي الحكمي، فقيه أديب عالم بالحديث، من كبار علماء جيزان، ألف عدة كتب نافعة، توفي بمكة سنة ١٣٧٧هـــ . انظر : الأعلام (٢/١٥٩) .

(٨) البقرة الآية : ٣٥ والأعراف الآية : ١٩

الـــرحمن عباده بالغيب، فقد صارهذا الاسم علما عليها بالغلبة كالمدينة والبيت والكتاب ونظائرها، فحيث ورد لفظها معرفا انصرف إلى الجنة المعهودة في قلوب المؤمنين.

الدليل الثاني : قوله تعالى : ﴿ وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين ﴾ (1).

فهذا يدل على أن هبوطهم كان من الجنة إلى الأرض لأن لفظ ﴿اهبطوا﴾ يدل على النزول من علو إلى أسفل، و لا يصح أن يقال : إن هذا هبوط من مكان في الأرض إلى مكان أخرى منها كما في قوله تعالى لبني إسرائيل : ﴿ اهبطوا مصرا ﴾ (2) لأن قوله تعالى : ﴿ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين﴾ عقب قوله : ﴿اهبطوا﴾ يدل على أنهم لم يكونوا قبل ذلك في الأرض، وإنما نزلوا إليها من غيرها، وقد أكد ذلك بقوله تعالى : ﴿ قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون ﴾ (3) .

فهذا يؤكد على أنهم لم يكونوا قبل الهبوط بمكان فيه يحيون ويموتون ومنه يخرجون، وإنمـــا صاروا إليه لما أهبطوا من الجنة، فلو كانت الجنة التي سكنها آدم و زوجه عليهما السلام في الأرض، وانتقلوا منها إلى أرض أخرى كانتقال قوم موسى من أرض إلى أرض لكان مستقرهم ومتاعهم إلى حين في الأرض قبل الهبوط وبعده، وكذلك لكانت حياتهم ومماتهم وإخراجهم من الأرض في الأرض قبل الهبوط وبعده (4).

الدليل الثالث : قوله تعالى : ﴿ فقلنا يا آدم إن هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى * إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى * وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى ﴾ (5) فهذه الجنة وصفها الله تعالى بأنه ليس فيها جوع، ولا عطش، ولا عري، ولا حَر، ولا نصب. وهذه الصفات لا تصدق إلا على جنة الخلد، فإن الإنسان مهما كان منعما في الدنيا لا بد أن يصيبه التعب من الجوع والعطش والعري والحرارة وغيرها من المشاق (6).

---

(1) البقرة الآية : ٣٦

(2) البقرة الآية : ٦١

(3) الأعراف الآية : ٢٥

(4) انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٤/٣٤٧-٣٤٨) .

(5) طه الآيات : ١١٧-١١٩

(6) انظر : الفصل في الملل والأهواء والنحل (٤/٦٩) .

الدليـــل الرابع : عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال : احتج آدم وموسى، فقال له موســى : يا آدم أنت أبونا، خيبتنا وأخرجتنا من الجنة . قال له آدم : يا موسى اصطفاك الله بكلامه، وخط لك بيده، أتلومني على أمر قدره الله علي قبل أن يخلقني بأربعين سنة ؟ فحج آدم موسى، فحج آدم موسى، ثلاثا [(١)] .

فهـــذا موسى ﷺ قال لآدم ﷺ : أنت الذي أشقيت ذريتك و أخرجتهم من الجنة، فأدخل الألـــف واللام ليدل على أنها الجنة المعروفة؛ جنة الخلد التي وعد الله المؤمنين بها، التي لا عوض لها في الدنيا، فلم ينكر ذلك آدم ﷺ، ولو كانت غير جنة الخلد لرد آدم على موسى، وقال : إني أخرجتهم من دار فناء وشقاء وزوال وعري إلى مثلها و لم أخرجهم من دار النعيم المقيم ، فلما سكت آدم ﷺ عـــلى ما قرره موسى ﷺ، صح أن الدار التي أخرجه الله منها بخلاف الدار التي أخرجوا إليها، ولو كان بستانا في الأرض لكان غيره من بساتين الأرض الكثيرة يعوض عنه [(٢)].

الدليل الخامس : عن أبي هريرة وحذيفة بن اليمان – رضي الله عنهما – قالا : قال رسول الله ﷺ : يجمع الله تبارك وتعالى الناس فيقوم المؤمنون حتى تزلف لهم الجنة، فيأتون آدم فيقولون : يا أبانا استفتح لنا الجنة، فيقول : وهل أخرجكم من الجنة إلا خطيئة أبيكم آدم لست بصاحب ذلك ...الحديث [(٣)]

فهـــذا الحديـــث يدل على أن الجنة التي أخرج منها آدم ﷺ هي بعينها التي يطلب منه المؤمـــنون أن يســـتفتحها لهـــم من ربهم تبارك وتعالى، ولا شك أنها جنة الخلد التي يدخلها المؤمـــنون يوم القيامة، ولو كانت الجنة التي سكنها آدم ﷺ في الأرض لكان هذا الجواب من أبي البشر في غير محله إذ خطيئته لم تخرجهم من جنة الدنيا ، فتعين أنه كان في جنة الخلد [(٤)].

وهـــذا هو القول الراجح في المسألة، ولا يعترض بأن الجنة هي البستان، وأن آدم ﷺ كان

---

(١) أخـــرجه خ (القـــدر، ب : تحاج آدم وموسى عند الله ٢٤٣٩/٦ ح : ٦٢٤٠)، واللـــفظ له؛ و م (القدر، ب : حجاج آدم و موسى عليهما السلام ٢٠٤٢/٤ ح : ٢٦٥٢)، وقد سبق تخريجه في (ص : ٧٠) من غير هذا اللفظ .

(٢) انظر : شرح صحيح البخاري لابن بطال (١٠/ ٣٢٠)؛ ومجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٣٤٩/٤).

(٣) أخرجه م (الإيمان، ب : أدنى أهل الجنة منزلة فيها ١٨٦/١-١٨٧ ح : ١٩٥) .

(٤) انظر : انظر : حادي الأرواح (ص : ٢١)؛ ومفتاح دار السعادة (١٤/١-١٥)؛ والبداية والنهاية (٧٥/١)؛ وتحفة النبلاء من قصص الأنبياء (ص : ١١١) .

في بستان من بساتين الأرض في هذه الدنيا ولكن لما وردت الجنة في النصوص المذكورة مطلقة ووافقت اسم الجنة التي أعدها الله لعباده في إطلاقها ظن بعض الناس أن الجنة التي سكنها الأبوان هي جنة الخلد بعينها ؛ فإنها شبهة واهية، وبيان ذلك من وجوه، وهي كما يلي :

١- الأصل أنه إذا كان للفظ معنى و مفهوم عند الإطلاق فإنه يحمل عليه إلا بدليل يوجب المصير إلى خلاف ذلك [(١)] .

٢ -الجنة إذا أطلقت وكان المراد بها غير جنة الخلد فإنها تجيء إما منكرة مثل قوله تعالى : ﴿ أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب ﴾ [(٢)] وقوله تعالى : ﴿ واضرب لهم مثلا رجلين جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب ﴾ [(٣)] أو مقيدة بالإضافة مثل قوله تعالى : ﴿ ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله ﴾ [(٤)] أو مقيدة بالسياق مثل قوله تعالى : ﴿ إنا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة ﴾ [(٥)] أي : تجيء ومعها قرينة تدل على أن المراد بها غير جنة الخلد ولكن ورودها معرفة في جميع المواضع من الكتاب والسنة كلما ذكرت في قصة آدم ﷺ يشعر إشعارا قويا بأن جنة الخلد هي التي سكن فيها آدم ﷺ، واحتمال كون المراد بها جنة الخلد أقوى وأقرب من احتمال كون المراد بها بستان من بساتين الأرض [(٦)].

٣ - قال ابن عباس - رضي الله عنهما - في قوله تعالى : ﴿ فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه ﴾ [(٧)]: قال : أي رب ألم تخلقني بيدك ؟ قال : بلى . قال : أي رب ألم تنفخ في من روحك ؟ قال : بلى . قال : أي رب ألم تسكني جنتك ؟ قال :بلى . قال : أي رب ألم تسبق رحمتك غضبك ؟ قال : بلى . قال : أرأيت إن تبت وأصلحت أراجعي

---

(١) انظر : أحكام من القرآن الكريم (ص : ١٦٨) .
(٢) البقرة الآية : ٢٦٦
(٣) الكهف الآية : ٣٢
(٤) الكهف الآية : ٣٩
(٥) القلم الآية : ١٧
(٦) انظر : حادي الأرواح (ص : ٢٤) .
(٧) البقرة الآية : ٣٧

أنت إلى الجنة ؟ قال : بلى . قال : فهو قوله : ﴿ فتلقى آدم من ربه كلمات ﴾ [1] .

وهـــذا الأثـــر وإن كان موقوفا على ابن عباس — رضي الله عنهما – لكنه في حكم المرفوع إلى النبي ﷺ [2]، وهو يدل على أن الله تعالى وعد أبا البشر آدم ﷺ بأنه سيدخله الجـــنة مرة أخرى، ويرجعه إليها إذا تاب وأناب، ولا شك أن آدم ﷺ قد اعترف بذنبه وأناب إلى ربه، فتاب الله عليه، فهو سبحانه سيدخله جنته التي أخرجه منها، ولا شك أن العـــودة لا تكون إلى بستان من بساتين الدنيا بل الجنة التي سيعود إليها آدم ﷺ وكل من ســـلك سبيله هي جنة الخلد التي أعدها الله تعالى للمتقين من عباده، ونسأل الله سبحانه وتعالى أن يدخلنا برحمته في عباده الصالحين المتقين الفائزين بجنة النعيم، وبرضوانه الكريم .

٤– وقال عبد الله بن عباس – رضي الله عنهما – : لقد أخرج الله آدم من الجنة قبل أن يدخلها أحد . قال الله تعالى : ﴿ إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ﴾[3]... الحديث [4].

وهذا الأثر عن ابن عباس — رضي الله عنه– كالذي قبله، ويدل على أن الجنة التي أخرج مـــنها الأبوان ليست جنة من جنان الدنيا أو بستانا من بساتينها بل هي جنة الخلد التي يرغب المؤمنون في دخولها ويسعون لها، والتي سيدخلونها يوم القيامة بفضل الله وعفوه ورحمته .

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٤٣/١) بإسناده إليه من ثلاثة طرق؛ وابن أبي حاتم في تفسيره (١٣٥/١ برقم : ٤١١) بإسناده؛ والآجري في (الشريعة ١١٨١/٣–١١٨٢ برقم : ٧٥٥)، هو يلتقي في الطريق بالطريق الأول عند الطبري؛ وأخـــرجه كم (التاريخ، ذكر كلمات تلقي آدم من ربه فتاب عليه ٥٤٥/٢) بإسناده، وقال : (هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه)، ووافقه الذهبي، ووافقهما الألباني في (التوسل وأنواعه ص : ١٢٦)، واللفظ للحاكم، والأسانيد المذكورة كلها لا تخلو من كلام في رجالها أو في اتصال سندها ما عدا إسناد الحاكم فإنه متصل وليس فيهم راو ضعيف بـــل هم ما بين ثقة وصدوق فهو إسناد حسن لذاته ولكن الطرق الأخرى ترفعه إلى مرتبة الصحيح لغيره، ولعله لأجل هـــذا حكـــم عليه الحاكم والذهبي والألباني بالصحة، والله أعلم بالصواب . وأيضا قد ورد حديث مرفوع عن أبي بن كعب بهذا المعنى ولكن إسناده ضعيف، وسيأتي الكلام عنه في (ص : ٥٠٣) .

(٢) قـــال الإمـــام الحاكم في (المستدرك ٢٥٨/٢) : (ليعلم طالب هذا العلم أن تفسير الصحابي الذي شهد الوحي والتتريل عند الشيخين حديث مسند) . وقال الألباني — رحمه الله تعالى – : (قول ابن عباس هذا في حكم المرفوع من وجهين : الأول : أنه أمر غيبي لا يقال من مجرد الرأي . الثاني : أنه ورد في تفسير الآية، وما كان كذلك فهو في حكم المرفوع كما تقرر في محله) . [التوسل أنواعه وأحكامه ص : ١٢٦) .

(٣) البقرة الآية : ٣٠

(٤) صحيح إلى ابن عباس — رضي الله عنهما– وقد سبق تخريجه في (ص : ٩٠) .

٥- عن أبي موسى الأشعري ﷺ قال : إن الله لما أخرج آدم من الجنة زوده من ثمار الجنة، وعلـــمه صنعة كل شيء، فثماركم هذه من ثمار الجنة غير أن هذه تغير، وتلك لا تغير [(١)].

فهذا الحديث يدل على أن آدم عليه السلام لم يكن في بستان من بساتين الأرض لأن ثمار بساتين الأرض تفسد وتتغير، وإنما كان الأبوان في جنة الخلد التي لا تفسد ثمارها ولا يتسنه طعمها .

٦- ذكـــر الحافظ ابن حجر [(٢)] والعيني [(٣)] أن من الروايات الكثيرة التي وردت بها حديـــث الشـــفاعة مـــا جـــاء فيـــه بـــلفظ الفردوس . قالا : (وفي رواية ثابت [(٤)] عند سعيد بن منصور[(٥)]: إني أخطأت وأنا في الفردوس، فإن يغفر لي اليوم حسبي) [(٦)].

فهـــذه الـــرواية صريحة في دلالتها بأن الجنة التي سكنها آدم وزوجه حواء عليهما الســـلام هي جنة الخلد بل هي بينت المكان الذي كان فيه من الجنة وهي جنة الفردوس التي هي أعلى الجنة، لذلك قد صرح غير واحد من أئمة العلم بأن تلك الجنة التي سكنها الأبـــوان هـــي جنة الفردوس [(٧)]، ولا يمكن تأويل هذه الرواية وحملها على بستان من بســـاتين الأرض في الدنيا، فهذه الرواية لا تدع لتلك الشبهة مجالا وترفع جميع الشكوك المتعلقة به بل هي نص قاطع في محل النزاع، فيجب المصير إليها .

٧- عـــدم وجود بستان من بساتين الدنيا الذي ينطبق عليه تلك الصفات التي وصفت بها الجنة التي سكنها آدم عليه السلام بل تلك الصفات ألصق بجنة الخلد، ولا شك في ذلك، وقد تقدم .

٨- تنصـــيص بعض أهل العلم على إجماع أهل السنة على أن الجنة التي سكنها آدم وزوجه

---

(١) ورد مرفوعا وموقوفا، وإسناده صحيح، وقد سبق تخريجه والكلام عليه في (ص : ٢٩٩) .

(٢) انظر : فتح الباري (٤٣٣/١١) .

(٣) انظر : عمدة القاري شرح صحيح البخاري (١٢٧/٢٣) .

(٤) هـــو ثابت بن أسلم البناني، أثبت أصحاب أنس بعد الزهري، توفي سنة بضع وعشرين بعد المائة من الهجرة النبوية . انظر : تهذيب التهذيب (٣٢٧/١ برقم : ٩٦٣) .

(٥) هـــو ســـعيد بن منصور بن شعبة الخراساني، أبو عثمان المروزي، ممن جمع و صنف وهو أحد أئمة الحديث، توفي سنة ٢٢٧هـــ و قيل بعدها . انظر : تهذيب التهذيب (٣٣٨/٢-٣٣٩ برقم : ٢٨١١) .

(٦) طبع جزء من سنن سعيد بن منصور، وأكثره مفقود، وقد بحثت عن الرواية المذكورة في المطبوع الموجود منه، كما بذلت قصارى جهدي في البحث عنها في غيرها من المظان ولكنني لم أجدها إلا عند الحافظ ابن حجر والعيني . ومن شرط الحافظ ابن حجر في فتح الباري أنه لا يذكر الروايات الأخرى لألفاظ الحديث إلا إذا كانت على شرط الصحة أو الحسن، كما نص على ذلك الحافظ في مقدمته (هدي الساري ص : ٤)، فهي لا تقل عن درجة الحسن عنده، والله أعلم بالصواب .

(٧) وممـــن صرح بذلك أبوالعالية، وابن وهب، والقاضي عياض، وابن حجر، والعيني — رحمة الله عليهم جميعا — وقد سبق توثيق أقوالهم في (ص : ٤٣٩-٤٤٣) .

حـــواء عـــليهما الســـلام هي جنة الخلد . فقد حكى غير واحد من أهل العلم إجماع أهل السنة والجماعة على أن الجنة التي كان فيها الأبوان ثم أخرج منها بعد الأكل من الشجرة هي جنة الخلد، وهو لا يسلم لهم لوجود الخلاف بينهم في المسألة إلا أن هذه الحكايات للإجماع تعطي القول قوة، وتـــزيد في ثقله ووزنه، فممن حكى الإجماع على ذلك ابن بطال إذ قال : (أهل السنة مجمعون على أن جنة الخلد هي التي أهبط منها آدم، فلا معنى لقول من خالفهم، قاله بعض شيوخنا) [1] .

وقـــال النووي في شرح حديث الشهداء بأن ((أرواحهم في جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش تسرح من الجنة حيث شاءت ...)) [2]: (فيه بيان أن الجنة مخلوقة موجودة، وهو مذهب أهل السنة، وهي التي أهبط منها آدم، وهي التي ينعم فيها المؤمنون في الآخرة، هذا إجماع أهل السنة. وقالت المعتزلة وطائفة من المبتدعة أيضا وغيرهم : إنها ليست موجودة، وإنما توجد بعد البعث في القيامة. قالوا : والجنة التي أخرج منها آدم غيرها. وظواهر القرآن والسنة تدل لمذهب أهل الحق) [3].

وقـــال شيخ الإسلام ابن تيمية : (والجنة التي أسكنها آدم وزوجته عند سلف الأمة وأهـــل الســـنة والجماعة هي جنة الخلد، ومن قال : إنها جنة في الأرض بأرض الهند، أو بـــأرض جـــدة، أو غـــير ذلـــك، فهو من المتفلسفة والملحدين، أومن إخوانهم المتكلمين المبـــتدعين، فـــإن هذا يقوله من يقوله من المتفلسفة والمعتزلة، والكتاب والسنة يرد هذا القول، وسلف الأمة وأئمتها متفقون على بطلان هذا القول) [4] .

وكذلك ممن حكى الإجماع على ذلك قاسم بن عيسى بن ناجي التنوخي [5] وأحمد بن أحمد الفاسي الشهير بزروق المالكي [6].

الحاصل : إن الجنة التي أسكن فيها الأبوان قبل الهبوط على الأرض من الأمور الخبرية وهـــي ليست من المسائل التي يتوقف عليها أمر تعبدي؛ فالخلاف فيها يسير ولكن الذي يتبين لي أن الراجح من هذه الأقوال هو القول الرابع، وأن الأبوين كانا في جنة الخلد قبل هبوطهما إلى الأرض، والله أعلم بالصواب .

---

(١) شرح صحيح البخاري (١٠/٣٢١)، ونقل ذلك عنه القرطبي في تفسيره (١/٣٠٣) .

(٢) جزء من حديث ابن مسعود ﷺ وهو حديث صحيح، أخرجه مسلم، وقد سبق تخريجه في (ص : ١١٨) .

(٣) شرح النووي لصحيح مسلم (١٣/٣١) .

(٤) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٤/٣٤٧) .

(٥) انظر : شرح العلامة قاسم على متن الرسالة لابن أبي زيد القيرواني (١/٥٣) .

(٦) انظر : شرح العلامة أحمد زروق على متن الرسالة لابن أبي زيد القيرواني (١/٥٢) .

المبحث الثاني : خطيئة آدم وزوجه عليهما السلام في الجنة . وفيه ثلاثة مطالب .

المطلب الأول : وسوسة إبليس لآدم وزوجه عليهما السلام في الجنة .

لا شــك أن إبليس هو الذي تولى إغواء الأبوين، وسبَّب لهما الخروج من جنة النعيم إلى أرض الشقاء، من غير خلاف بين العلماء في ذلك [1] ولكن اختلفت أقوالهم وآراؤهم في بيــان كيفية إغواء إبليس لآدم وزوجه- عليهما السلام-، وهل كان ذلك مشافهة، أو وسوســة، أو عن طريق بعض أتباعه، أو أن ذلك كان بكيفية مخفية عن العباد، وأنها مما استأثر الله بعلمها، وفيما يلي ذكر تلك الأقوال، وبيان الراجح منها، وبالله التوفيق .

القول الأول : الذي يعلم من نصوص القرآن المجيد هو أن الله عز وجل قد مكن إبليس من وســائل دعوة آدم وزوجه لمعصية ربهما حتى أكلا من الشجرة المحرمة؛ أما كيف وسوس إبليس للأبوين في الجنة فهذه قضية من القضايا الغيبية و لم يرد في النصوص الإسلامية الصحيحة بيانها . هذا القــول نسبه الآلوسي إلى أبي منصور الماتريدي، واستحسنه [2]، وإليه ذهب جماعة من المتأخرين المعاصرين منهم سيد قطب، وعبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، وأحمد فائز الحمصي [3].

نعــم ! لم يرد في القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة بيان كيفية إغواء الشيطان للأبويــن في الجنة بكل تفصيل بالتعيين والتحديد ولكن قد حاول العلماء استنباط كيفية ذلك من خلال آيات القرآن الكريم، ويدل على ذلك الأقوال الأخرى في المسألة .

---

(١) انظــر : المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (١٨٧/١)؛ والجامع لأحكام القرآن (٣١٢/١)؛ والجواهر الحسان في تفسير القرآن (٢١٨/١-٢١٩)؛ والإجماع في التفسير (ص : ١٦٤-١٦٥) .

(٢) انظر : روح المعاني (٢٣٥/١) .

(٣) انظر بالترتيب : في ظلال القرآن (١٢٦٨/٨)؛ ومعارج التفكر ودقائق التدبر (١٣٣/٤) وقصص الرحمن في ظلال القرآن (٤٠١/١-٤٠٢) .

القـــول الـــثاني : إن إبليس لم يذهب إلى آدم وحواء عليها السلام لإغوائهما، وإنما وســـوس لهمـــا من غير مشاهدة ولا مخاطبة منه لأنهما كان يعرفانه ويعرفان ما عنده من الحســـد والعـــداوة والبغضاء لهما؛ فيستحيل في العادة أن يقبلا قوله، وأن يلتفتا إليه إذا خاطبهما بنفسه [١]، وإنما أغواهما بأحد وجهين :

أ- إنه أرسل بعض أتباعه إليهما؛ فحثهما على الأكل من الشجرة المحرمة، وزينها لهما حتى غرهما فأكلا منها . هذا الوجه ذكره غير واحد من المفسرين [٢].

ب - إنـــه أغوى الأبوين من خارج الجنة، ولم يدخل عليهما في جنتهما هو ولا أحد من أتباعه، بل هو الذي وسوس لهما، ورغبهما في الأكل من الشجرة المنهية ولكن من غير مشاهدة ولا مخاطـــبة، وذلك بما مكنه الله تعالى من القدرة على إيصال وسوسته إلى من يريد إغواءه وإن كان بعيدا عنه بعد السماء من الأرض، فهو فتن الأبوين بوسوسته كما يفتن بها ذريتهما من غير أن يـــرونه ويشاهدونه . هذا الوجه محكي عن ابن إسحاق [٣]، وهو الذي اختاره الآلوسي [٤]، وإليه ذهب محمد بن محمد أبو شهبة [٥] و الشيخ أبو بكر جابر الجزائري – حفظه الله – [٦].

ولكن القول بأن إبليس أغوى الأبوين عن طريق الوسوسة من غير مشافهة ولا مخاطبة فيـــه نظر؛ فإن الوسوسة هي الكلام الخفي . يقال لهمس الصائد والكلاب وصوت الحلي وسواس [٧]، والكلام الخفي أو الصوت الخفي لا يمكن إيصاله من الأرض إلى السماء [٨]،

---

(١) انظر : التفسير الكبير (٣/١٥) .

(٢) انظـــر : التفسير الكبير (٣/١٥)؛ وتفسير ابن كمال باشا (ص : ٢٧٠)؛ وإرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (١/٩١)؛ وروح المعاني (١/٢٣٥) .

(٣) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (١/٢٣٨-٢٣٩) بإسناده فقال : حدثنا ابن حميد، ثنا سلمة، قال : قال ابن إسحاق : إنه خلص إلى آدم و زوجـــته بسلطانه الذي جعل الله له ليبتلي به آدم و ذريته ... ولكن إسناده إليه ضعيف، فإن شيخ الطبري ضعيف متهم بالكذب وسرقة الحديث، وشيخ شيخه صدوق كثير الخطأ، سيأتي الكلام عنهما في (ص : ٤٥٩)؛ وكذلك عزى إليه هذا القول الماوردي في (النكت والعيون في تفسير القرآن الكريم ١/١٠٧)؛ وابن الجوزي في (زاد المسير ١/٦٧-٦٨) .

(٤) انظر : روح المعاني (١/٢٣٥) .

(٥) انظر : الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير (ص : ٢٥٢) .

(٦) انظر : نهر الخير على أيسر التفاسير (٢/١٥٨)؛ وكشف الستار عما يظن أنه عار (ص : ٢) .

(٧)انظر : تهذيب اللغة (١٣/١٣٦)؛ ومفردات ألفاظ القرآن (ص : ٨٦٩)؛ ولسان العرب (١٥/٢٩٣) .

(٨) انظر : التفسير الكبير (٣/١٥) .

ثم إن ما وسوس به إبليس للأبوين كان كلاما واضحا مسموعا ومفهوما، ولم يكن مجرد همس، وسيأتي بيان ذلك في الاستدلال للقول الآتي .

القول الثالث : إن إبليس خاطب الأبوين مشافهة، وحثهما على الأكل من الشجرة المنهي عنها بنفسه، وغرهما بكلامه المعسول المسموم حتى أكلا منها . هذا القول ذهب إليه جمهور المفسرين [(١)]، وهو الذي رجحه ابن جرير الطبري والزجاج والماوردي [(٢)] وابن الجوزي ومحمد الأمين الشنقيطي [(٣)].

وقد استدل أصحاب هذا القول لما ذهبوا إليه بقوله تعالى : ﴿ فوسوس لهما الشيطان ليبدي لهما ما ووري عنهما من سوآتهما وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين * وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين * فدلاهما بغرور ﴾ [(٤)] وقوله تعالى : ﴿ فوسوس إليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى ﴾ [(٥)].

فالوسوسة التي نال بها إبليس من الأبوين وغرهما بها هي قوله لهما : هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى، وأنه ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين[(٦)] أو تكونا من الخالدين . وهذا يدل على أن وسوسة إبليس للأبوين كان عن

---

(١) انظر : النكت والعيون في تفسير القرآن الكريم (١/١٠٧)؛ والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (١/١٨٧)؛ الجامع لأحكام القرآن (١/٣١٢)؛ وتفسير البحر المحيط (١/٣١٣)؛ والجواهر الحسان في تفسير القرآن (١/٢١٩)؛ وفتح القدير (١/٦٨)؛ وفتح البيان (١/١٣٦) .

(٢) علي بن محمد بن حبيب البصري، المعروف بالماوردي، فقيه أصولي مفسر، توفي سنة ٤٥٠هـ .انظر : معجم المؤلفين (٧/١٨٩) .

(٣) انظر بالترتيب : جامع البيان عن تأويل آي القرآن (١/٢٣٨-٢٣٩)؛ ومعاني القرآن للزجاج(٢/٣٢٦-٣٢٧)؛ والنكت والعيون في تفسير القرآن الكريم (١/١٠٧)؛ وزاد المسير (١/٦٨)؛ وأضواء البيان (٤/٣٩٩) .

(٤) الأعراف الآيات : ٢٠-٢٢

(٥) طه الآية : ١٢٠

(٦) وقد يقال هنا : كيف أطمع عدو الله آدم عليه السلام أن يكون بأكله من الشجرة من الملائكة، وهو يرى الملائكة لا تأكل ولا تشرب، وكان آدم عليه السلام أعلم بالله وبنفسه وبالملائكة من أن يطمع أن يكون منهم بأكله، ولا سيما مما نهاه الله عز وجل عنه ؟

فالجواب : أن آدم وحواء عليهما السلام لم يطمعا في ذلك أصلا، وإنما كذبهما عدو الله وغرهما وخدعهما بأن سمى تلك الشجرة شجرة الخلد، فهذا أول المكر والكيد، فلما سماها شجرة الخلد قال : ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا كراهة أن تأكلا منها فتخلدا في الجنة، ولا تموتا فتكونان مثل الملائكة الذين لا يموتون، ولم يكن آدم عليه السلام قد
←

طـــريق كـــلام خفي مسموع ومفهوم؛ لأن الله سبحانه وتعالى فسرها بالقول، وذلك لا يكون إلا عن طريق المخاطبة والمشافهة [1].

وكذلك في مقاسمته لهما دليل آخر على مخاطبته إياهما ومثوله بنفسه أمامهما؛ فإنه لا يتصور في أداء القسم النيابة عن الغير [2].

قال ابن جرير الطبري : وقد أخبر الله تعالى ذكره عن إبليس أنه وسوس لآدم وزوجته ليبدي لهما ما ووري عنهما من سو آهما، وأنه قال لهما : ﴿ ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين ﴾، وأنه قاسمهما إني لكما لمن الناصحين، مدليا لهما بغرور، ففي إخباره جل ثناؤه عن عدو الله أنه قاسم آدم وزوجته بقيله لهما :﴿ إني لكما لمن الناصحين ﴾ الدليل الواضح على أنه قد باشر خطابهما بنفسه .

وذلك أنه غير معقول في كلام العرب أن يقال : قاسم فلان فلانا في كذا وكذا إذا سبب له سببا وصل به إليه دون أن يحلف له، والحلف لا يكون بتسبب السبب، فكذلك قولـــــه : ﴿ فوسوس إليه الشيطان ﴾ لو كان ذلك كان منه إلى آدم على نحو الذي منه إلى ذريـــته مـــن تزيين أكل ما نهى الله آدم عن أكله من الشجرة بغير مباشرة خطابه إياه بما استزله به من القول والحيل لما قال جل ثناؤه : ﴿ وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين ﴾ .

عـــلم أنه يموت بعد، واشتهى الخلود في الجنة، وحصلت الشبهة من قول العدو وإقسامه بالله جهد أيمانه أنه ناصح لهما، فاجتمعت الشبهة والشهوة، وساعد القدر، فأخذتهما سنة الغفلة، واستيقظ لهما العدو، كما قيل :

واستيقظوا وأراد الله غفلتهم :: لينفذ القدر المحتوم في الأزل

إلا أن هذا الجواب يعترض عليه قوله : ﴿ أو تكونا من الخالدين ﴾ [الأعراف : ٢٠] فيقال : الماكر المخادع لا بد أن يكـــون فيما يمكر به، ويكيد من التناقض والباطل ما يدل على مكره وكيده، فهو لم يجزم لهما بأنهما إن أكلا منها صارا ملكين، وإنما ردد الأمر بين أمرين : أحدهما ممتنع، والآخر ممكن. وهذا من أبلغ أنواع الكيد والمكر، ولهذا لما أطمعـــه في الأمر الممكن جزم له به ولم يردده. فقال : ﴿ يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى ﴾ [طه : ١٢٠] فلم يدخل أداة الشك ههنا كما أدخلها في قوله : ﴿ إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين ﴾ [الأعراف: ٢٠] أهـــ مختصرا من كلام ابن القيم . انظر : إغاثة اللهفان (١/١١٢-١١٣) .

(١) انظر : أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٣٩٩/٤ ، طه : ١٢٠) .

(٢) انظر : الابتلاء وأثره في حياة المؤمنين كما جاء في القرآن الكريم (ص : ١٠٤) .

كمـــا لا يجوز أن يقول اليوم قائل ممن أتى معصية : قاسمني إبليس أنه لي ناصح فيما زيـــن لي من المعصية التي أتيتها، فكذلك الذي كان من آدم وزوجته لو كان على النحو الـــذي يكـــون فيما بين إبليس اليوم وذرية آدم لما قال جل ثناؤه : ﴿ وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين ﴾ أهـــ بتصرف [1].

فيتبين مما سبق أن إبليس خاطب الأبوين مشافهة، أنه حثهما على الأكل من الشجرة المنهي عنها بنفسه، بكلامه المسموم المعسول حتى أغواهما وهذا هو الراجح فيما يظهر لي لكونه أقرب إلى ظاهر الكتاب، وألصق بآياتها، وأبعد عن التكلف والتصنع في تفسيرها.

مســألة : كيــف تمكــن إبليس من الوصول إلى آدم وزوجه عليهما السلام في الجنة : يشكل على القول بأن إبليس أغوى الأبوين بخطابه إياهما مشافهة – أن الـــلعين بعـــد امتناعه من السجود لآدم ﷺ كان قد طرد من الجنة، فكيف تمكن من الوصول إليهما وهما في الجنة ؟

لقد أجاب أهل العلم عن هذا الإشكال، ففي كيفية وصوله إلى الأبوين في الجنة لهم أقوال، وفيما يلي ذكرها وبيانها والله الموفق للصواب .

١- إنـــه لما أراد إبليس أن يدخل الجنة منعته الخزنة، فأتى الحية – وهي دابة لها أربع قوائـــم كأحسن الدواب – بعد ما عرض نفسه على سائر الحيوانات فما قبله واحد منها، فابتلعـــته الحيـــة، وأدخلته الجنة خفية من الخزنة. فلما دخلت الحية الجنة خرج إبليس من فمهـــا، واشتغل بالوسوسة؛ فلعنت الحية، وسقطت قوائمها، وصارت تمشي على بطنها، وجعل رزقها في التراب، وصارت عدوا لبني آدم . هذا ما ذكره القصاص عن ابن عباس وابن مسعود ووهب بن منبه وغيرهم [2].

---

(١) انظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن (٢٣٨/١) .

(٢) انظر : جملة من هذه الآثار في جامع البيان عن تأويل آي القرآن (٢٣٥/١-٢٣٦ ، البقرة : ٣٦)؛ وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (١٤٥٠/٥ ، الأعراف : ٢٠)؛ والعظمة (١٥٦٧/٥-١٥٧٢ برقم : ١٠٣٦) وهذه الآثار أغلـــبها في أسانيدها إلى أصحابها نظر؛ فإن في إسناد أبي الشيخ راويا اسمه نهشل بن سعيد وهو متروك، كما يوجد انقطاع بين الضحاك وابن عباس ، وقد نبه على ذلك المحقق، وأيضا سبق الكلام عن الانقطاع بين الضحاك وبين ابن ←

ولكن هذا القول لا يمكن الاعتماد عليه لأسباب، منها :

أ – هذه الآثار لا تصح أسانيدها إلى من حكيت عنه غالبا، ولا سيما لم يصح منها شيء عن أحد من الصحابة كما تبين لي بعد النظر في الآثار المحكية عنهم .

ب ــ وإن صح شيء من أسانيدها إلى من حكيت عنه ، فلا يخلو متنها من نكارة شديدة . وهذا الوجهان قد سبق تقريرهما في الهامش السابق .

ج – إن إبليس لو قدر على الدخول في فم الحية فلم لم يقدر على أن يجعل نفسه حية ثم يدخل الجنة [1].

د – لما فعل ذلك إبليس بالحية لم عوقبت الحية مع أنها ليست بعاقلة، ولا مكلفة ؟[2].

هـ – إنها من خرافات أهل الكتاب وأكاذيبهم، وقد نص على ذلك جماعة من أهل العلم منهم ابن كثير – رحمه الله – إذ قال : (وقد ذكر المفسرون من السلف كالسدي بأسانيده، وأبي العالية ووهب بن منبه، وغيرهم، ههنا أخبارا إسرائيلية عن قصة الحية، وإبليس، وكيف جرى من دخول إبليس إلى الجنة ووسوسته ...) [3]

وقال الشيخ عبد القادر بن أحمد بدران : (ولأكثر المفسرين في هذا المقام مقالات اقتبسوها عن أهل الكتاب، وأكثرها من كلام وهب بن منبه اليماني والسدي وأضرابهما، والغالب أنها تأتي مرفوعة إلى ابن عباس ﷺ على أن روايتها لا تصح أصلا، ولا تنطبق على معاني كتاب الله تعالى؛ فيجب إطراحها

عباس في (ص : ٣٤٠-٣٤١)، وفي إسناد ابن أبي حاتم راو مجهول، وهو الذي بين السدي وبين ابن عباس، وراو آخر شيعي محترق لا يقبل من حديثه ما تفرد، وهو عبيد الله بن موسى وقد نبه على ذلك المحقق، وعند ابن جرير ثلاثة أسانيد : الأول منها إلى وهب بن منبه وسنده إليه حسن، والثاني : من طريق السدي إلى ابن عباس وابن مسعود وأناس من أصحاب رسول ﷺ، وهو ضعيف وقد سبق الكلام على ذلك بالتفصيل في (ص : ٩٧-٩٨ و٣٦٨)، والثالث : فيه رجلان مبهمان : أحدهما : شيخ الطبري إذ قال : حُدثت. والآخر : شيخ الربيع إذ قال : حدثني محدث. فهذه الآثار لم تصح أسانيدها إلى من حكيت عنه إلا ما حكي عن وهب بن منبه إذ إسناد ابن جرير إليه حسن، ولكن في هذا الأثر أشياء غريبة و منكرة من أهمها أنه ذكر أن لهذه الشجرة ثمرا تأكله الملائكة، مع أنه ليس من طبيعة الملائكة الأكل والشرب كما هو معلوم من نصوص الشريعة ...انظر : النقد المفصل لذلك في كتاب : الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير (ص : ٢٥٠-٢٥٢)؛ والروايات الإسرائيلية في تفسير الطبري (ص : ١٥١- ١٥٤) .

(١) انظر : التفسير الكبير (٣/١٥) .

(٢) انظر : المصدر السابق نفسه .

(٣) تفسير القرآن العظيم (٨٠/١) .

وعـــدم اعتــــبارها. ولنذكر نموذجا منها ليعلم الباقي، وهو أن القصاص يروون عن وهب بن منبه والسدي عن ابن عباس و غيره : أنه لما أراد إبليس أن يدخل الجنة منعته الخزنة فأتي الحية ....) [1].

وكذلـــك ممـــن أنكـــر هذه الروايات وعدها من الإسرائيليات الشيخ محمد الأمين الشنقيطي [2] والشيخ أبو بكر جابر الجزائري [3] وغيرهم .

الحاصـــل : القول بأن إبليس توسط بالحية لدخول الجنة لإغواء الأبوين من أحاديث الخرافة وأكاذيب أهل الكتاب[4]، فهو قول ساقط لا يصح الاعتماد عليه في تفسير آيات القرآن الكريم .

٢- إن إبليس أخرج من الجنة بعد الاستكبار عن السجود لآدم ﷺ، وأسكنها آدم ﷺ قـــبل أن يهـــبط إبليس إلى الأرض، وإبليس كان قد أغوى الأبوين في الجنة قبل أن يهبط من السماء إلى الأرض، ثم أهبط الأبوان وإبليس كلهم إلى الأرض، وهذا القول حكاه ابن جرير الطبري بإسناده عن طريق السدي إلى ابن عباس وابن مسعود وأناس من أصحاب رسول الله ﷺ وأيد قولهم هذا، وبين أن النظم القرآني يدل على ذلك [5]، وبه قال الثعالبي أيضا [6].

٣ - كـــان إبليس لا يحجب بشيء من السماوات، وكان يقف فيهن حيث شاء ما أراد، ومن هنالك وصل إلى آدم حين أخرجه من الجنة . قاله ابن وهب [7].

٤ - إنه وسوس لهما وخاطبهما، وهو على باب الجنة، فاستجابا له. وهو لم يدخل عليهما في الجنة بعد ما أخرج منها . هذا الوجه ذكره غير واحد من المفسرين[8]، وارتضاه الشيخ محمد الأمين الشنقيطي [9].

---

(١) جواهر الأفكار ومعادن الأسرار المستخرجة من كلام العزيز الجبار (ص : ١٧٩) .

(٢) انظر : أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٣٩٩/٤ ، طه : ١٢٠) .

(٣) انظر : كشف الستار عما يظن أنه عار (ص : ٢) .

(٤) انظر: قصة الحية التي ذكروها بالتفصيل في (سفر التكوين٣/١-١٩) .

(٥) قد سبق ذكر نص كلامه والإشارة إلى الكلام في السند . انظر : (ص : ٤٣٤-٤٣٥) .

(٦) انظـــر : الجواهر الحسان في تفسير القرآن (١٢/٣)، والثعالبي هو عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي المالكي، مفسر فقيه صوفي متكلم، توفي سنة ٨٧٥هـــ . انظر : معجم المؤلفين (١٩٢/٥) .

(٧) قد سبق ذكر قوله والكلام حوله في (ص : ٤٣٧) .

(٨) انظر : الكشاف (٢٥٥/١)؛ وزاد المسير (٦٧/١)؛ وتفسير البحر المحيط (٣١٣/١)؛ والجواهر الحسان في تفسير القرآن (١٢/٣)؛ وإرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (٩١/١)؛ وروح المعاني (٢٣٥/١) .

(٩) انظر : أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٣٩٩/٤ ، طه : ١٢٠) .

٥ – إن إبليس أهبط من السماء إلى الأرض بعد امتناعه من السجود لآدم ﷺ، وبقي الأبوان في الجـــنة ولكنه صعد إليهما صعودا عارضا، فكان دخوله عليهما في الجنة على سبيل المرور كما يدخل اللص، ولم يكن دخوله فيها على سبيل الاستقرار بها، وذلك لتمام الابتلاء والاختبار الذي قدره الله وقدر أسبابه، وهذا الوجه كذلك ذكره غير واحد من المفسرين [(١)]، وهذا أيضا مما ارتضاه الشيخ محمد الأمين الشنقيطي [(٢)] وإليه مال عبد الوهاب النجار [(٣)] ومحمد الطيب النجار [(٤)].

مسألة : كيف أصغى آدم وزوجه عليهما السلام إلى مقالة إبليس اللعين مع تحذير الله الشديد لهما منه ؟

القـــول بأن إبليس خاطب الأبوين بنفسه، وأنه كلمهما مشافهة حتى أغواهما يظهر عليه ســـؤال يحـــتاج إلى جواب، وهو أن الله سبحانه وتعالى لما أمر الأبوين بالسكن في الجنة كان حذرهما من عدوهما إبليس تحذيرا شديدا إذ قال لهما : ﴿ إن هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى ﴾ [(٥)] فكيـــف أقبل آدم على الأكل من الشجرة المحرمة ؟ وكيف أصغى إلى مقالة إبليس اللعين ؟ وكيف قبل منه ذلك مع هذا التحذير الشديد والنهي الأكيد ؟. وللإجابة عن هذا السؤال عدة أقوال وتوجيهات، وفيما يلي ذكرها وبيان الراجح منها، والله الموفق للصواب .

القول الأول : إن آدم ﷺ لما أكل من الشجرة المحرمة لم يكن في كامل عقله، وذلك لأن حـــواء عليها السلام سقته الخمر حتى إذا سكر قادته إليها فأكلا منها . وهذا القول منسوب إلى سعيد بن المسيب [(٦)].

---

(١) انظر : الكشاف (١/٢٥٥)؛ ومدارك التنزيل (١/٨١-٨٢)؛ وتفسير البحر المحيط (١/٣١٣)؛ وإرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (١/٩١)؛ وروح المعاني (١/٢٣٥)؛ وتاريخ الأنبياء في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية (ص : ٥٥) .

(٢) انظر : أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٤/٣٩٩) .

(٣) انظر : قصص الأنبياء له (ص : ٨) .

(٤) انظر : تاريخ الأنبياء في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية (ص : ٥٥) .

(٥) طه الآية : ١١٧

(٦) أخرج ابن جرير الطبري في تاريخه (١/٧٤) فقال : حدثنا ابن حميد، ثنا سلمة عن محمد بن إسحاق عن يزيد

←

ولكن هذا القول فيه نظر من حيث السند والمتن .

أما السند فالكلام فيه من وجوه وهي كما يلي :

أولا : ابن حميد هو محمد بن حميد بن حيان الرازي، كان ابن معين حسن الرأي فيه ولكن أكثر الأئمة على تضعيفه، حتى اتهمه غير واحد من الأئمة بالكذب وسرقة الأحاديث [(١)].

ثانيا : سلمة هو سلمة بن الفضل الأبرش، وهو صدوق كثير الخطأ [(٢)].

ثالثا : محمد بن إسحاق من كبار المدلسين فهو من أهل الطبقة الرابعة [(٣)] من المدلسين الذين قد اتفق الأئمة على أنه لا يحتج بشيء من حديثهم إلا بما صرحوا فيه بالسماع لغلبة تدليسهم، وكثرته عن الضعفاء والمجهولين [(٤)] وقد عنعن ابن إسحاق في هذه الرواية، ولم يصرح فيها بالتحديث، فلا تقبل منه هذه الرواية .

فهـذا الإسناد إلى سعيد بن المسيب ضعيف جدا، ولا عبرة بقول لم يصح إسناده إلى قائله، ولم يثبت عن المحكي عنه، والله أعلم بالصواب .

وأمـا المـتن فـبطلانه ظاهر لأن آدم ﷺ كان كامل العقل سليم الفطرة فيمتنع منه السـكر؛ ثم إن نعـم الجنة الموجود جنسها في الدنيا تكون في الجنة خالية من الآفات التي

بن عبد الله بن قسيط عن سعيد بن المسيب من قوله .

(١) انظر : ميزان الاعتدال (٣/٥٣٠-٥٣١ برقم : ٧٤٥٣)؛ وتهذيب التهذيب (٥/٨٤-٨٦ برقم : ٦٧٧٢)؛ وتقريب التهذيب (ص : ٤٧٥ برقم : ٥٨٣٤)؛ وسيأتي مزيد تفصيل عنه في (ص : ٥١٨-٥٢٠) .

(٢) انظر : تقريب التهذيب (ص : ٢٤٨ برقم : ٢٥٠٥) .

(٣) انظـر : جـامع التحصـيل في أحكام المراسيل (ص : ١١٣)؛ وطبقات المدلسين (ص : ٥١ برقم : ١٢٥)، وقد اختـلف اجـتهاد الحافظ ابن حجر في بيان الطبقة التي يكون فيها ابن إسحاق، فذكره في طبقات المدلسين في الطبقة الـرابعة في حـين ذكره في (النكت على كتاب ابن الصلاح ٢/٦٤٢ برقم : ٥٤) في الطبقة الثالثة، وكتابه النكت مـتأخر في التأليف من كتابه طبقات المدلسين، كما أشار إلى ذلك في النكت (٢/٦٥٠)، والاعتبار في الغالب بآخر الأقـوال عند الاختلاف عن أحد ولكن يبدو لي أن كون ابن إسحاق في الطبقة الرابعة أرجح لموافقة الحافظ العلائي له عـلى ذلك، والله أعلم بالصواب . وسواء عد ابن إسحاق من الطبقة الثالثة أو الرابعة الحكم هنا لا يختلف؛ لأنه إذا عد مـن الطبقة الثالثة فالراجح من أقوال العلماء أنه لا تقبل رواية أهل هذه الطبقة إلا إذا صرحوا بالسماع، وأما إذا عد من الطـبقة الرابعة فلا تقبل رواية أهلها بالاتفاق إلا بالتصريح، فالنتيجة لا تختلف في كلتا الحالتين إذ لا تقبل الرواية إلا بعد التصـريح . [من إفادات شيخنا عبد العزيز بن محمد العبد اللطيف — غفر الله ورحمه رحمة واسعة –]، وابن إسحاق هنا قد عنعن، ولم يصرح بالسماع أو التحديث فهي غير مقبولة منه، والله أعلم بالصواب .

(٤) انظر : جامع التحصيل في أحكام المراسيل (ص : ١١٣)؛ وطبقات المدلسين (ص : ١٤) .

كانت فيها في الدنيا . قال تعالى : ﴿ مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى ﴾[1] فكذلك الخمر التي في الدنيا مليئة بالآفات والمضرات ولكن الخمر التي في الجنة تكون خالية من جميع تلك المفاسد والمضرات. قال تعالى في وصفها : ﴿ يطاف عليهم بكأس من معين * بيضاء لذة للشاربين * لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون ﴾[2] وقال تعالى : ﴿ يطوف عليهم ولدان مخلدون * بأكواب وأباريق وكأس من معين * لا يصدعون عنها ولا ينزفون ﴾[3] فالخمر التي في الجنة لا تصدع الرؤوس، ولا تترف العقول، ولا تفسد الأذهان، ولا تُذْهِب الأحلام بل كل آفة في خمر الدنيا منتفية عن خمر الآخرة[4].

فلا يصح القول أن آدم ﷺ شرب من خمر الجنة فسكر، وغاب عقله ووعيه حتى أكل من الشجرة المحرمة، فإنه مخالف لما وصف الله به خمر الجنة، ومخالف لكمال عقل آدم وسلامة فطرته، والله أعلم بالصواب .

القول الثاني : إن آدم ﷺ كان ممنوعا عن الأكل من الشجرة في الظاهر، ولم يكن ممنوعا عن الأكل منها في الباطن بل كان في الباطن مأمورا بالأكل منها، لأن توحيده كان ظاهرا و باطنا ، فكان قوله تعالى له : ﴿ لا تقرب ﴾ ظاهرا، وكان أمره بـ (كل) باطنا، ولذلك أكل منها آدم ﷺ . هذا ما ذهب إليه علي الحريري[5]

---

(١) محمد الآية : ١٥

(٢) الصافات الآيات : ٤٥-٤٧

(٣) الواقعة الآيات : ١٧-١٩

(٤) انظر : أحكام القرآن لابن عربي (١/١٩)؛ والمنتظم في تاريخ الأمم والملوك (١/٢٠٦)؛ والكامل في التاريخ (١/٢١)؛ وتفسير البحر المحيط (١/٣١٣) .

(٥) نقل ذلك عنه تلميذه ابن اسرائيل كما هو مذكور في (مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٢/٢٨٩)، والحريري هو علي بن أبي الحسن بن منصور الحريري الحوراني، كان يتردد إلى طائفة من الفقراء ، وهم المعروفون بأصحاب الحريري، أصحاب المنافي للشريعة، وباطنهم شر من ظاهرهم إلا من رجع إلى الله منهم، وكان الحريري هذا من أفتن شيء و أضره على الإسلام، وكان عنده من الاستهزاء بأمور الشريعة والتهاون فيها شيء كثير، شهد عليه خلق كثير بما يوجب قتله، انفسد بسببه جماعة كبيرة من أولاد كبراء دمشق ، توفي سنة ٦٤٥هـ . انظر : العبر في خبر من غبر (٥/١٨٥-١٨٦)؛ وسير أعلام النبلاء (٢٣/٢٢٤-٢٢٧)؛ والبداية والنهاية (١٣/١٧٣-١٧٤) .

وعبد الوهاب الشعراني [1] وأمثالهما من الصوفية الإباحية [2].

وهذا القول في غاية البطلان والفساد فمن المحال أن ينهاه الله عن الأكل من الشجرة ظاهــرا، ويأمره بالأكل منها باطنا في نفس الوقت؛ لأن الأمر والنهي لا يردان جميعا في وقت واحد على شيء بعينه، ثم إن الأبوين قد اعترفا بالخطيئة، وطلبا من الله الإقالة منها بالمغفرة لهما والرحمة عليهما، والله سبحانه وتعالى قبل توبتهما، فلو كان آدم ﷺ مأمورا بالأكل من الشجرة لما خاف هو وزوجه على أنفسهما الخسارة والشقاوة، ولم يكن هناك ما يدعوهما للاعتراف بظلم النفس ثم الاستغفار والاسترحام؛ لأنه لم يحصل منهما معصية بـــل فعلا ما أمرا بفعله، وأتيا بما طلب منهما، وعلى أي شيء تاب الله عليهما إن لم يكن هناك مخالفة للأمر ؟ وكيف تعد مخالفة ومعصية مادام أنه كان مأمورا بالأكل في الباطن ؟ وهل أخبر الله سبحانه وتعالى عنه بأنه عصى خبر كذب وزور؟ فهذا القول إلى يؤدي إلى وقوع الكذب والغلط والتعارض والاختلاف في كلام الله وأوامره، وما كان كذلك فهو باطل بلا شك [3]، تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا .

ومثل هذه الأقوال تفتح بابا عظيما من الشر والفساد؛ إذ يلزم منها أن النصوص الشرعية ليـــس المقصـــود مـــنها ما يتبادر إلى الذهن من المعاني والمفاهيم بالنظر إلى ألفاظها وعباراتها وتراكيبها وما تقتضي اللغة العربية وأصولها وقواعدها بل هذه النصوص مصروفة عن مدلولاتها الظاهرة ومعانيها الواضحة إلى معان أخرى باطنية خفية، وفي ذلك دعوة خفية قوية إلى إبطال التكاليف الشرعية والابتعاد عن دين الله والانفلات من أوامره والتحلل من حدوده وقيوده بل دعوة إلى الكفر والفسوق والعصيان والإلحاد والزندقة ، لو كانوا يعلمون .

القـــول الثالث : إن آدم ﷺ لم يقصد بالأكل معصية ربه، ولكنه أكل من الشجرة المحرمة متأولا، وفي وجه تأويله أقوال وهي كما يلي :

قـــالت طائفة : إنه تأول بحمله النهي المطلق على شجرة معينة فتركها، وتناول من

---

(١) انظر : اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر (٢/٩-١٠) .

(٢) انظر : المصدر السابق نفسه؛ وما ذكره عنهم شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٢/٢٨٩)؛ والشيخ محمد الحامد في (ردود على أباطيل ص : ٣٢١-٣٢٢) .

(٣) انظر : ردود على أباطيل (ص : ٣١٠-٣١٨) .

شجرة أخرى من نوعها [1]، وقال ابن العربي عن هذا التوجيه بأنه أظهر الأقوال [2].

ولكـــن في هذا القول نظر؛ فإن الله سبحانه أخبر أن إبليس قال له : ﴿ ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين ﴾ [3] فإبليس ذكر لهما الشجرة التي نهيا عـــنها إما بعينها وإما بجنسها، وصرح لهما بأنها هي التي نهيا عنها، ولو كان عند آدم ﷺ أن المـــنهي عنه تلك الشجرة المعينة دون سائر النوع لم يكن عاصيا بأكله من غيرها، ولا أخرجه الله من الجنة ونزع عنه لباسه [4].

وقـــالت طائفة أخرى : إن آدم ﷺ أقدم على الأكل من الشجرة المحرمة لأنه تأول النهي بأنه نهي تنزيه، لا نهي تحريم [5].

وهذا أيضا باطل من وجوه منها :

١- قال تعالى : ﴿ ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين ﴾ [6] فهذا يدل على أن النهي لم يكـــن للـــتنزيه، وإنما كان للتحريم؛ لأنه قرن هذا النهي بالوعيد، ولذلك لما تابا قالا : ﴿ ربنا ظلمنا أنفسنا ﴾ [7] [8].

٢- إن هـــذا النهي لو كان للتنزيه لما استحق آدم ﷺ بفعله الإخراج من الجنة، ولما وجبت التوبة عليه، وما قيل : إنه عصى ربه [9].

٣- إن الله سبحانه لما نهاهما عن الأكل من الشجرة بالغ في النهي حتى نهاهما عن قربها، فقال تعالى : ﴿ ولا تقربا هذه الشجرة ﴾ فهو سبحانه وتعالى علق النهي بالقرب منها؛ مبالغة في تحريم الأكل،

---

(١) انظر : التفسير الكبير (٣/١٣)؛ والصواعق المنزلة (١/٢١٢) .

(٢) انظر : أحكام القرآن (١/١٨-١٩) .

(٣) الأعراف الآية : ٢٠

(٤) انظر : الصواعق المنزلة (١/٢١٢) .

(٥) انظر : التفسير الكبير (٤-٥ ، ١٣)؛ والصواعق المنزلة (١/٢١٣) .

(٦) البقرة الآية : ٣٥ و الأعراف الآية : ١٩

(٧) الأعراف الآية : ٢٣

(٨) انظر : التفسير الكبير (٣/٥)؛ والصواعق المنزلة (١/٢١٣) .

(٩) انظر : المصدرين السابقين أنفسهما .

ووجوب الاجتناب بالكلية . وهذا يدل على أن النهي لم يكن نهي تتريه بل كان للتحريم [1].

٤- قوله تعالى : ﴿ ولا تقربا هذه الشجرة ﴾ مثل قوله تعالى : ﴿ ولا تقربوا الزنى ﴾ [2] وقوله تعـــالى : ﴿ ولا تقربوا الفواحش ﴾ [3] وقوله تعالى : ﴿ ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن ﴾ [4]. فالله سبحانه و تعالى حرم هذه الأشياء، ونهى عن ملابستها، وبالغ في النهي والتحريم حتى نهى عن قربانها، فكما أن هذا للتحريم فكذلك الأول للتحريم [5].

وقالت طائفة : إنهما تأولا النهي عن قربانهما وأكلهما معا، لا عن أكل كل منهما عـــلى انفـــراده؛ لأن قوله تعالى : ﴿ ولا تقربا ﴾ نهي لهما على الجمع، ولا يلزم من حصول النهي حال الاجتماع حصوله حال الانفراد [6].

وهـــذا التأويل في غاية البطلان والفساد، بل يمكن أن يقال أن هذا التأويل لم يخطر بقلب آدم وحواء - عليهما السلام — قطعا؛ فهما كانا أعلم بالله من ذلك، وأكثر معرفة وفهما لأوامر الله سبحانه وتعالى .

وهل يصح أن يقال في قوله تعالى : ﴿ ولا تقربوا الزنى ﴾ وقوله تعالى : ﴿ ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن ﴾ ونظائره من الآيات أن المقصود بها إنما هو النهي عن الاجتماع على ذلك دون النهي عن فعلها على الانفراد ؟ [7].

وقالت طائفة : إن آدم ﷺ لما قاسمه عدو الله أنه ناصح، وأخرج الكلام على أنواع متعددة من التأكيد، كما أخبر الله تعالى عنه فقال : ﴿ وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين ﴾ [8]

---

(١) انظر : المقتطف من عيون التفاسير (٦٩/١) .

(٢) الإسراء الآية : ٣٢

(٣) الأنعام الآية : ١٥١

(٤) الأنعام الآية : ١٥٢ و الإسراء الآية : ٣٤

(٥) انظر : التفسير الكبير (٥/٣)؛ والصواعق المرسلة (٢١٣/١) .

(٦) انظر : التفسير الكبير (١٥/٣)؛ والصواعق المترلة (٢١٣/١) .

(٧) انظر : الصواعق المترلة (٢١٣/١-٢١٤) .

(٨) الأعراف الآية : ٢١

فهـذا الخبر منه سبحانه وتعالى متضمن أنواعا من التأكيد [1]، ولم يكن آدم ﷺ يظن أن أحـدا يقسـم بالله كاذبا يمين غموس يتجرأ فيها على الله هذه الجرأة، فغره عدو الله بهذا الـتأكيد والمبالغة فظن آدم صدقه، وأنه إن أكل منها لم يخرج من الجنة، ورأى أن الأكل وإن كان فيه مفسدة فمصلحة الخلود أرجح، ولعله يتأتى له استدراك مفسدة النهي أثناء ذلـك إما باعتذار وإما بتوبة وإما بغير ذلك، كما تجد هذا التأويل قائما في نفس كل من يؤمن بالله واليوم الآخر إيمانا لا شك فيه إذا أقدم على المعصية [2].

القول الرابع : أنه أكل منها وهو ناس للنهي، ويدل على ذلك قوله تعالى : ﴿ ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزما ﴾ [3] وهذا القول ذكره غير واحد من المفسرين منهم أبـو الحسن الماوردي والفخر الرازي أبوحيان وعبد القادر بن أحمد بدران وعبد الوهاب النجار ومحمد الطيب النجار [4]، ورجحه القرطبي [5] ووهبة الزحيلي [6] .

و إذا كـان حصـل ما حصل من آدم ﷺ على وجه النسيان ، فلماذا عد أكله من الشجرة معصية منه لربه، ولماذا أخرج من الجنة، وأهبط إلى الأرض ؟

فذكـر بعض أهل العلم توجيه ذلك أن آدم ﷺ كان من عباد الله المخلصين النبيين المقـربين، ويلزمهم من التحفظ والتيقظ لكثرة معارفهم وعلو منازلهم ما لا يلزم غيرهم،

---

(١) وهـي كمـا يلي : ١- القسم . ٢- تصديرها بأداة التأكيد . ٣- الإتيان بلام التأكيد في الخبر . ٤- تصديره بالجملة الاسمية وإتيانه باسم الفاعل الدال على الثبوت والدوام، دون الفعل الدال على التجدد؛ أي : النصح صفتي وسـجيتي، ليس أمرا عارضا لي . ٥- تقديم المعمول على العامل فيه، إيذانا بالاختصاص؛ أي : نصيحتي مختصة بكمـا، وفائدتهـا عائدة إليكما، لا إلي . ٦- أنه صور نفسه لهما ناصحا من جملة الناصحين، فكأنه قال لهما : الناصحون لكما في ذلك كثير، وأنا واحد منهم ، كما تقول لمن تأمره بشيء : كل أحد معي على هذا وأنا من جملة من يشير عليك به . انظر : إغاثة اللهفان (١/١١٣-١١٤)؛ والصواعق المنزلة (١/٢١٤) .

(٢) انظر : إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (١/١١٣-١١٤)؛ والصواعق المنزلة (١/٢١٤) .

(٣) طه الآية : ١١٥

(٤) انظر : النكت والعيون في تفسير القرآن الكريم للماوردي (١/١٠٦)؛ والتفسير الكبير للرازي (٣/١٥)؛ وتفسير البحر المحيط لأبي حيان (١/٣١٣)؛ وجواهر الأفكار ومعادن الأسرار لابن بدران (ص : ١٧٨)؛ وقصص الأنبياء لعبد الوهاب النجار (ص : ١١)؛ وتاريخ الأنبياء لمحمد الطيب النجار(ص : ٥٦) .

(٥) انظر : الجامع لأحكام القرآن (١/٣٠٦) .

(٦) انظر : التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج (١/١٤٢) .

ولذلك عد تشاغله عن تذكر النهي تضييعا، وبه صار عاصيا، والله أعلم بالصواب [1].

وأما إخراجه من الجنة، وإهباطه إلى الأرض ففيها فوائد كثيرة وحكم جليلة ومصالح عظيمة، وسيأتي ذكر بعضها قريبا إن شاء الله تعالى .

وخلاصـــة القـــول فيما يظهر لي : أن إبليس أغوى الأبوين في الجنة مشافهة، وأن دخوله فيها كان دخولا عارضا من غير استقرار ولا كرامة؛ ابتلاء من الله سبحانه وتعالى، أو أنه وقف خارج الجنة قريبا من طرفها بحيث سمع آدم وزوجه كلامه وهما في الجنة، وأن معصـــيتهما لله عز وجل كانت بسبب أنهما سمعا كلام إبليس المسموم المعسول، المؤكد بـــأنواع مـــن التأكيدات، المتصل بالحلف بالله تعالى، على نصحه لهما فاغترا به ورغبا في الخـــلود في الجـــنة، ونسيا أمر الله وتحذيره لهما وما كان بين إبليس و بينهما من العداوة والحسد، وساعد على ذلك القدر السابق من الله تعالى، فأكلا من الشجرة المنهي عنها، وحصل ما حصل، والله أعلم بالصواب .

---

(١) انظر : النكت والعيون في تفسير القرآن الكريم (١٠٥/١)؛ والجامع لأحكام القرآن (٣٠٦/١)؛ وتاريخ الأنبياء في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية (ص : ٥٦)؛ وقصص الأنبياء للنجار (ص : ١١) .

المطلب الثاني : الشجرة المحرمة التي أكلا منها في الجنة.

إن الله سبحانه وتعالى لما أسكن آدم وزوجه عليهما السلام الجنة أباح لهما أن يأكلا منها رغدا حيث شاءا إلا شجرة حرمها عليهما ونهاهما عن الاقتراب منها . قال تعالى : ﴿ وقلنا ياآدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين * فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه ﴾ [1]. وقد اختلف الناس في بيان المراد بالشجرة التي نهي عنها آدم وزوجه حواء عليهما السلام على أقوال كثيرة، وفيما يلي ذكرها، من خلال تقسيمها في أربع مجموعات، مع بيان ما لها وما عليها .

المجموعة الأولى : أقوال السلف الصالح في بيان الشجرة المحرمة الـتي أكل منها آدم وزوجه عليهما السلام في الجنة : الشجرة التي نهى الله سبحانه وتعالى آدم و زوجه حواء عليهما السلام عن الأكل منها في الجنة اختلفت أقوال السلف في بيانها وتحديد المراد منها، وفيما يلي ذكر تلك الأقوال :

القــول الأول : الشجرة التي نهي عن الأكل منها الأبوان هي السنبلة. وهذا القول منســوب إلى ابــن عباس – رضي الله عنهما – [2] وأبي الجلد [3] وأبي مالك [4] وعطية

---

(1) البقرة الآيتان : ٣٥-٣٦

(٢) هذا القول منسوب إلى ابن عباس – رضي لله عنهما – من طريقين ضعيفين جدا : أحدهما : أخرجه الطبري في تفســيره (٢٣١/١)؛ وابن أبي حاتم في تفسيره (١٢٦/١ برقم : ٣٨١)، وفيه النضر بن عبد الرحمن، أبو عمر الخزاز : متروك. والآخر أخرجه الطبري في تفسيره (٢٣١/١)، وفيه الحسن بن عمارة الكوفي وهو أيضا متروك . انظر : تقريب التهذيب (ص : ٥٦٢ برقم : ٧١٤٤ و ١٦٢ برقم : ١٢٦٤) .

(٣) أخــرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٣١/١) بإسناد ضعيف لوجود رجل مبهم فيه، وأبو الجلد هو جيلان بن فروة الأسدي البصري، صاحب كتاب التوراة ونحوها، وثقه الإمام أحمد، وذكره ابن حبان في الثقات . انظر : الجرح والتعديل (٥٤٧/٢)؛ والثقات (١١٩/٤) .

(٤) أخــرجه عــنه الطبري في تفسيره (٢٣١/١) من أربعة طرق : إحداها ضعيفة لأجل سفيان بن وكيع بن الجراح؛ فإنه كان ابتلي بوراقه إذ أدخل عليه ما ليس من حديثه فنصح فلم يقبل فسقط حديثه. انظر : تقريب التهذيب (ص : ٢٤٥ برقم : ٢٤٥٦). وأما الطرق الأخرى فهي صحيحة الأسانيد. وأبو مالك هو غزوان الغفاري الكوفي، مشهور بكنيته، من ثقات التابعين . انظر : تهذيب الكمال (١٠٠/٢٣ برقم : ٤٦٨٦) .

العوفي [1] وقتادة [2] ومحارب بن دثار [3] والحسن البصري [4].

القــول الثاني : الشجرة التي نُهي عنها الأبوان هي البر. وهذا القول منسوب إلى ابن عباس – رضي الله عنهما – في رواية عنه [5] ووهب بن منبه اليماني، وزاد ابن منبه : أن الحبة منها في الجنة كانت ككلى البقر، ألين من الزبد، وأحلى من العسل، وأن أهل التوراة كذلك يقولون بأنها البر [6].

القول الثالث : الشجرة التي نُهي عنها الأبوان هي الكرمة. وهذا القول منسوب إلى ابــن عــباس في رواية عنه [7] وابن مسعود وناس من أصحاب النبي ﷺ [8] والسدي [9]

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٣١/١) من طريقين، في أحدهما ابن وكيع وهو ضعيف، والآخر رجاله ثقات. والعوفي هو عطية بن سعد بن جنادة العوفي؛ صدوق يخطئ كثيرا، وكان شيعيا مدلسا، مات سنة ١١١هـ . انظر : تقريب التهذيب (ص : ٣٩٣ برقم : ٤٦١٦) .

(٢) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (٢٣١/١) وإسناده حسن .

(٣) أخــرجه الطبري في تفسيره (٢٣٢/١)، وإسناده ضعيف لأن فيه سفيان بن وكيع . ومُحارِب بن دِثَار هو السدوسي الكوفي، ثقة إمام زاهد، توفي سنة ١١٦هـ. انظر : تقريب التهذيب (ص :٥٢١ برقم : ٦٤٩٢) .

(٤) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (٢٣٢/١) بإسناد ضعيف لأن فيه ابن وكيع .

(٥) أخــرجه الطبري في تفسيره (٢٣١/١)، وفي الإسناد عدة علل : ١- فيه ابن وكيع وهو ضعيف. ٢- ابن إسحاق وهو مدلس من الطبقة الرابعة وقد عنعن . ٣- شيخ ابن إسحاق مبهم . وبالإضافة إلى ذلك فيه سلمة بن الفضل الأبرش، وهو صدوق كثير الخطأ . انظر : (ص : ٤٥٩) .

(٦) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٣١/١)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٢٧/١ برقم : ٣٨٢) وكلاهما يجتمعان في الرواية عن سلمة بن الفضل الأبرش ...إلى آخر الإسناد، ففي إسناد ابن جرير العلل المتقدمة من قبل كلها، وفي إسناد ابن أبي حاتم توجد العلل الثلاث الأخيرة .

(٧) أخــرجه الطبري في تفسيره (٢٣٢/١) من طريقين ضعيفين؛ ففي الأول منهما ابن وكيع شيخ الطبري وهو ضعيف، وكذلك الراوي عن ابن عباس مبهم. والثاني عن طريق السدي إلى جماعة من الصحابة بالجملة وهو أيضا إسناد غير جيد، وقد سبق الكلام عنه في (ص : ٩٧-٩٨و٣٦٨) .

(٨) سبقت الإشارة إلى ذلك في الهامش السابق .

(٩) أخــرجه الطبري في تفسيره (٢٣٢/١) من طريقين : أحدهما ضعيف لأجل سفيان بن وكيع . والثاني رجاله ما بين ثقة وصدوق إلا أنه يخشى فيه من قبل أبي أحمد الزبيري محمد بن عبد الله بن الزبير فهو وإن كان ثقة ولكنه كان يخطئ في حديــثه عن الثوري كما حكى الحافظ ابن حجر في تهذيب التهذيب (١٦٦/٥) عن الإمام أحمد، ورواية الزبيري هذه من طريق الثوري، وقد تصل بمجموع الطريقين إلى درجة الحسن لغيره، والله أعلم بالصواب .

وجعدة بن هبيرة [1] وسعيد بن جبير [2] و محمد بن قيس [3].

القـــول الرابع : الشجرة التي نهي عن الأكل منها هي التينة وهذا القول منسوب إلى بعض أصحاب النبي ﷺ [4] ومجاهد [5].

القول الخامس : الشجرة التي نهي من الأكل منها هي النخلة. وهذا القول منسوب إلى أبي مالك في رواية عنه [6].

القول السادس : الشجرة التي نهي عن الأكل منها هي شجرة الكافور. وهذا القول منسوب إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه [7].

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٣٢/١) من أربعة طرق، وفي الأول منها هشيم بن بشير السلمي وشيخه مغيرة بن مقسم الضبي، وكلاهما من الطبقة الثالثة من أهل التدليس، الذين لا يقبل منهم إلا إذا صرحوا بالسماع، وقد عنعنا في هذه الرواية. وفي الثاني ابن وكيع شيخ الطبري ضعيف. والطريق الثالث رجاله كلهم ثقات . وفي الرابع شيخان للطبري أحدهما : ابن حميد وهو ضعيف متهم بالكذب وسرقة الأحاديث، والآخر : ابن وكيع و هو ضعيف، وأيضا فيه عنعنة مغيرة بن مقسم، المدلـــس من الطبقة الثالثة . الحاصل : الطريق الثالث إسناده إليه صحيح، و بقية الطرق لا تخلو من النظر والكلام فيها، وجعدة بن هبيرة بن أبي وهب المخزومي، صحابي صغير له رؤية، وهو ابن أم هانئ بنت أبي طالب، وقال العجلي : تابعي ثقة . انظر : تهذيب الكمال (٥٦٣/٤-٥٦٦)؛ وتقريب التهذيب (ص : ١٣٩ برقم : ٩٢٧) .

(٢) أخرجه عنه ابن جرير في تفسيره (٢٣٢/١)، وإسناده حسن .

(٣) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٣٢/١)، وإسناده ضعيف لأن فيه الحسين بن داود المِصِّيصي، وقد ضعف مع إمامته ومعرفته لكونه كان يلقن شيخه حجاج بن محمد . ولذلك قال أبو بكر الخلال كما في تهذيب الكمال (١٦٣/١٢) : (نـــرى أن أحاديث الناس عن حجاج صحاح صالحة إلا ما روى سنيد من هذه الأحاديث)، وهذه الرواية قد رواها سنيد من شيخه الحجاج الذي كان يلقنه . انظر : تقريب التهذيب (ص : ٢٥٧ برقم : ٢٦٤٦) ومحمد بن قيس هو المدني القاص، ثقة وحديثه عن الصحابة مرسل .انظر : تقريب التهذيب (ص : ٥٠٣ برقم : ٦٢٤٥) .

(٤) هكذا أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (٢٣٢/١) بإسناده إليهم، وفيه عدة علل : ١- العلة المذكورة في الهـــامش قبل هذا . ٢- فيه ابن جريج وهو من الطبقة الثالثة من الموصوفين بالتدليس، كما ذكره الحافظ ابن حجر في طبقات التدليس (ص : ٤١ برقم : ٨٣)، وقد عنعن . ٣- فيه انقطاع بعد ابن جريج فإنه قال : عن بعض أصحاب النبي ﷺ، وهو لم يدرك أحدا من الصحابة، فالإسناد ضعيف جدا .

(٥) أخرجه عنه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٢٧/١ برقم : ٣٨٣) ، قال محققه : (إسناده صحيح إليه إلا أن فيه ابن جريج متهم بالتدليس القبيح ولكنه سمع من مجاهد فزال التدليس) قلت : ثبوت السماع وحده لا يكفى بل لا بد من التصريح بالسماع عند تحديث الرواية على الراجح من أقوال أهل العلم عن الموصوفين بالتدليس من الطبقة الثالثة و هو منهم .

(٦) أخـــرجه عنه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٢٧/١ برقم : ٣٨٤) بإسناده إليه . قال المحقق : (رجال إسناده ثقات لكن حدث لبعضهم تغير في آخر حياته ولبعضهم أوهام) .

(٧) نسبه إليه البغوي في (معالم التنزيل ٦٣/١)؛ وابن الجوزي في (زاد المسير ٦٦/١)؛ والآلوسي في (روح المعاني ٢٣٤/١) .

القـــول السـابع : كانت الشجرة التي نُهي منها الأبوان من أكل منها أحدث، ولا ينبغي أن يكون في الجنة حدث . وهذا القول منسوب إلى أبي العالية في رواية عنه [(1)].

القـــول الثامن : الشجرة التي نُهي عن الأكل منها هي اللوز . وهذا القول منسوب إلى ابن مسعود وابن عباس – رضي الله عنهم – [(2)].

القول التاسع : الشجرة التي نُهي عن الأكل منها هي الأترج . وهذا القول منسوب إلى يزيد بن عبد الله بن قسيط [(3)].

القـــول العاشـــر : الشجرة التي نُهي عن الأكل منها هي شجرة العلم وفيها من كل شيء . وهذا القول منسوب إلى قتادة [(4)]، وإليه ذهب إليه ابن قتيبة [(5)]، وهو مأخوذ من أهل الكتاب، وسيأتي الكلام عنه وبيان بطلانه .

القول الحادي عشر : الشجرة التي نُهي عنها الأبوان في الجنة كانت شجرة غصونها متشـعب بعضها في بعض، وكان لها ثمر تأكله الملائكة لخلدهم، وهي الثمرة التي نهى الله آدم وزوجته فأكلا منها. هذا القول ذهب إليه وهب بن منبه في رواية عنه [(6)] .

وقـريب من هذا القول ما حكي منسوبا إلى يعقوب بن عتبة بأنه قال : هي الشجرة التي تحتك بها الملائكة للخلد [(7)].

---

(١) أخرجه عنه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٢٨/١ برقم : ٣٨٥) بإسناد ضعيف . انظر : (ص : ٣٤١-٣٤٢) .

(٢) نسبه الشوكاني في فتح القدير (٧٠/١) إلى ابن مسعود ﷺ، وأحال إلى أبي الشيخ، ونسبه السيوطي في الدر المنـثور (١٢٩/١) إلى ابن عباس – رضي الله عنهما – وأحال إلى ابن جرير الطبري، وقد بحثت في كتاب "العظمة" لأبي الشيخ، وفي تفسير الطبري ولكن لم أقف عليه .

(٣) نسبه إليه السيوطي في الدر المنثور (١٣٠/١)؛ والشوكاني في فتح القدير (٧٠/١)، وكلاهما أحال إلى أبي الشـيخ، وبحثت في كتابه "العظمة " ولكن لم أقف عليه . ويزيد بن عبد الله بن قُسَيْط هو ابن أسامة الليثي، الأعرج، ثقة، توفي سنة ١٢٢هـ . انظر : تقريب التهذيب (ص : ٦٠٢ برقم : ٧٤٤١).

(٤) نسبه إليه البغوي في معالم التتريل (٦٣/١) .

(٥) انظر : التفسير الواضح (٢٩/١) .

(٦) أخـرجه عنه ابن جرير في تفسيره (٢٣٥/١) في حديث طويل؛ وابن أبي حاتم في تفسيره (١٢٨/١ برقم : ٣٨٥) مختصرا، وكلاهما يجتمعان في الرواية عن عبد الرزاق ... إلى آخر السند، وهو إسناد حسن، كما نبه على ذلك محقق تفسير ابن أبي حاتم وصاحب كتاب : الروايات الإسرائيلية في تفسير الطبري (ص : ١٥٢ برقم : ٨٠) .

(٧) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٣١/١) بإسناد ضعيف جدا؛ وقد سبق الكلام عنه في (ص : ٤٥٩)، ويعقوب بن عتبة هو يعقوب بن عتبة بن المغيرة الثقفي، ثقة، توفي سنة ١٢٨هـ . انظر : تقريب التهذيب (ص : ٦٠٨ برقم :٧٨٢٥) .

ولكـــن هـــذا القـــول معلوم بطلانه بالضرورة لأنه يلزم منه أن الملائكة يأكلون، وهذا خلاف لما دل عليه كتاب الله تعالى . قال تعالى : ﴿ ولقد جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى قالوا سلاما قال سلام فما لبث أن جاء بعجل حنيذ * فلما رأى أيديهم لا تصل إليه نكرهم وأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف إنا أرسلنا إلى قوم لوط ﴾[1]. فالذي عليه عقيدة المسلمين أن الملائكة لا يأكلون ولا يشربون. فهذا القول غير صحيح يقينا لكونه مخالفا لما دل عليه كتاب الله تعالى ولما عليه عقيدة المسلمين[2].

القـــول الثاني عشر : التوقف عن تعيين تلك الشجرة . إن الله سبحانه وتعالى أبهم ذكر هذه الشجرة و لم يعينها . ولو كان في ذكرها مصلحة وفائدة تعود على العباد لعينها الله تعالى لنا، كما هو الحال في غيرها من المواضع التي أبهمت أولا ثم بينه الله في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ، فالأولى التوقف عن تعيينها.

قـــال ابن جرير الطبري : (والقول في ذلك عندنا أن الله جل ثناؤه أخبر عباده أن آدم وزوجـــه أكلا من الشجرة التي نهاهما ربهما عن الأكل منها، فأتيا الخطيئة التي نهاهما عن إتيانها بأكلهما ما أكلا منها بعد أن بين الله جل ثناؤه لهما عين الشجرة التي نهاهما عن الأكل منها، وأشـــار لهما إليها بقوله : ﴿ ولا تقربا هذه الشجرة ﴾، و لم يضع الله جل ثناؤه لعباده المخاطبين بالقـــرآن دلالـــة على أي أشجار الجنة كان نهيه آدم أن يقربها بنص عليها باسمها، ولا بدلالة عـــليها. ولو كان لله في العلم بأي ذلك من أي رضا لم يخل عباده من نصب دلالة لهم عليها يصلون بها إلى معرفة عينها، ليطيعوه بعلمهم بها، كما فعل ذلك في كل ما بالعلم به له رضا. فالصـــواب في ذلك أن يقال : إن الله جل ثناؤه نهى آدم وزوجته عن أكل شجرة بعينها من أشجار الجنة دون سائر أشجارها، فخالفا إلى ما نهاهما الله عنه، فأكلا منها كما وصفهما الله جل ثناؤه به، ولا علم عندنا أي شجرة كانت على التعيين؛ لأن الله لم يضع لعباده دليلا على ذلك في القرآن، ولا في السنة الصحيحة، فأنى يأتي ذلك من أتى ؟! وقد قيل : كانت شجرة الـــبر. وقيـــل : كانت شجرة العنب . وقيل: كانت شجرة التين . وجائز أن تكون واحدة

---

(١) هود الآيتان : ٦٩-٧٠

(٢) انظر : (ص : ٣١٠) .

منها. وذلك إن علمه عالم لم ينفع العالم به علمه، وإن جهله جاهل لم يضره جهله به) [1].

وقـــد رجـــح القول بإبهام هذه الشجرة وعدم تعيينها جماعة كبيرة من المفسرين من السـلف والخلف [2]، وبه أقول لعدم وجود دليل من الكتاب والسنة يدل ويعين ويحدد تلك الشجرة التي أكل منها آدم ﷺ، والله أعلم بالصواب .

المجموعــة الثانية : أقوال أهل الكتاب في بيان الشجرة المحرمة التي أكــل مــنها آدم وزوجه عليهما السلام في الجنة : الروايات المنقولة عن أهل الكـتاب في بيـــان الشجرة التي نهي عن الأكل منها آدم وزوجه عليهما السلام في الجنة مختلفة، وفيما يلي ذكر تلك الأقوال المنسوبة إليهم .

١ - إنهـا شــجرة الحــنظل . ذكره الآلوسي [3]، وعزاه أبو حيان إلى بعض أهل الكتاب [4].

٢- إنها الحنطة . حكاه عنهم وهب بن منبه [5] والسدي [6].

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن (١/٢٣٣) .

(٢) ممن رجح القول بعدم تعيين هذه الشجرة من المفسرين ابن عطية في (المحرر الوجيز ١/١٨٥)؛ والفخر الرازي في (التفسير الكبير ٣/٥)؛ وأبو حيان في (البحر المحيط ١/٣١٠)؛ وابن كثير في (تفسير القرآن العظيم ١/٧٩-٨٠)، وفي (البداية والنهاية ١/٧٥)؛ وحسن الأعرج النيسابوري في (غرائب القرآن ١/٢٧٧)؛ وأبو السعود في (إرشاد العقل السليم ١/٩١)؛ والآلوســي في (روح المعاني ١/٢٣٤-٢٣٥)؛ وصديق حسن خان في (فتح البيان ١/١٣٥)؛ والقاسمي في (محاسن التأويل ٢/١٠٨)؛ وابن بدران في (جواهر الأفكار ص : ١٧٣)؛ ومصطفى الحصن المنصوري في (المقتطف من عيون التفاسـير ١/٦٩)؛ ومحمد بن صالح العثيمين في (أحكام من القرآن الكريم ص : ١٦٨-١٦٩)؛ وعبد الحميد كشك في (في رحاب التفسير ١/١٤٦)؛ ومحمد رشيد رضا في (تفسير القرآن الحكيم ١/٢٧٨)؛ ومحمد سيد طنطاوي في (التفسير الوسيط ١/١٠٠-١٠١)؛ وطنطاوي جوهري في (الجواهر في تفسير القرآن الكريم ١/٥٣)؛ وعبد القادر بن شيبة الحمد في (تهذيب التفسير١/١٠٣-١٠٤)؛ وفي (قصص الأنبياء ص :٣٥)؛ وأبو بكر جابر الجزائري في (أيسر التفاسير١/٤٥)؛ ووهبة الزحيلي في (التفسير المنير ١/١٤١)؛ وأمير عبد العزيز في (تفسير سورة البقرة ص : ١٧٣)؛ وعبد الجليل عيسى في (المصــحف الميسر ص : ٨)؛ ومصطفى خرم دل في (التفسير المقتطف ص : ١٨)؛ ومصطفى محمود في آخر أقواله في (القرآن محاولة لفهم عصري ص : ٦٧) .

(٣) انظر : روح المعاني (١/٢٣٤) .

(٤) انظر : البحر المحيط (١/٣١٠) .

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره (١/٢٣١)، وإسناده ضعيف . انظر : (ص : ٤٦٩) .

(٦) أخرجه الطبري في تفسيره (١/٢٣٢) وإسناده ضعيف وقد سبق الكلام عنه في (ص : ٩٧-٩٨ و٣٦٨) .

٣- إنها التين . قال ابن حزم : (وقال بعض من يعظمونه من أسلافهم، وهو يوحنا فم الذهب بطريارك القسطنطينية [1] في كتاب له معروف عندهم : أن الشجرة التي أكل منها آدم وبسببها أخرج من الجنة كانت شجرة تين، وأن الله تعالى أنزل تلك الشجرة بعينها إلى الأرض، وهي التي دعا المسيح عليها فيبست إذ طلب فيها تينا يأكله فلم يجده، وهي نفسها الخشبة التي صلب عليها . قال : وبرهان ذلك أنك لا تجد غارا إلا وعلى فمه شجرة تين نابتة. فاعجبوا لهذا الهزل والعيارة والمجون والبرهان البديع !) [2].

٤ — إنها شجرة معرفة الخير والشر . جاء في التوراة المحرفة الموجودة بين يدي اليهود الآن عن الشجرة التي نهي الأبوان عن الأكل منها في الجنة ما نصه : (وأوصى الرب الإله آدم قائلا من جميع شجر الجنة تأكل أكلا، وأما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها؛ لأنك يوم تأكل منها موتا تموت) [3]. وفيه أيضا : (وقال الرب الإله هو ذا الإنسان قد صار كواحد منا عارفا الخير والشر، والآن لعله يمد يده، ويأخذ من شجرة الحياة أيضا، ويأكل ويحيا إلى الأبد، فأخرجه الرب الإله من جنة عدن ليعمل الأرض التي أخذ منها) [4].

ولاشك أن هذا القول في بيان الشجرة التي منع من الأكل منها الأبوان في الجنة قول باطل، ونسبته إلى الله سبحانه وتعالى محض افتراء واختلاق، وبيان ذلك من وجوه، وهي كما يلي :

١ – إن آدم عليه السلام كان يعرف كل شيء، على الأقل ما له علاقة بوجوده آنذاك، وما كان يقع منها تحت حسه ويده من الأشياء بدليل قوله تعالى : ﴿ وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين * قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم * قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون ﴾ [5].

وكان هذا بعد سجود الملائكة له وقبل أن يأكل من الشجرة فلا يمكن أن تكون الشجرة التي نهي

---

(١) هو من آباء الكنيسة ومعلميها ولد في أنطاكيا، بطريرك القسطنطينية ما بين ٣٩٨ — ٤٠٨م، لقب بالذهبي الفم لبلاغته، وإليه تنتسب الكنيسة اليونانية . توفي سنة ٤٠٧م . انظر : المنجد (الأعلام ص : ٦٢٣) .

(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل (٢/٦١) .

(٣) سفر التكوين ٢/١٦-١٧) .

(٤) سفر التكوين٣/٢٢-٢٣) .

(٥) البقرة الآيات : ٣١-٣٣

عن الأكل منها الأبوان هي شجرة المعرفة أو العلم لأن المعرفة كانت حاصلة له قبل الأكل منها [1].

٢ – إن الله سبحانه وتعالى لم ينه الإنسان عن طلب العلم والمعرفة بل إنه سبحانه وتعالى حض العباد على طلب العلم في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ؛ فمع حث الله عباده على طلب العلم وحصول المعرفة، وترغيبهم فيه، ورفع درجات أهلها يبعد أن تكون شجرة العلم و المعرفة هي التي نُهي عن الأكل منها الأبوان في الجنة [2].

٣ – إن الله سبحانه وتعالى وهب الإنسان ملكة معرفة الخير والشر فقال تعالى : ﴿ إنا هديناه السبيل إما شاكرا وإما كفورا ﴾ [3] وقال تعالى : ﴿ وهديناه النجدين ﴾ [4] فمعرفة الخير والشر هبة إلهية للإنسان، وذلك فضل ورحمة منه سبحانه وتعالى على عباده .

ومع كون معرفة الخير والشر هبة إلهية فطرية للإنسان أسبغ الله عليهم نعمه المتزايدة فأرسل إليهم أنبياءه ورسله، وكل واحد منهم دعا من أرسل إليهم إلى كل خير يعلمه، وحذرهم من كل شر يعلمه .

عن عبد الله بن عمرو بن العاص – رضي الله عنهما – قال : كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فنزلنا منزلا، فمنا من يصلح خباءه، ومنا من ينتضل، ومنا من هو في جَشَرِه إذ نادى منادي رسول الله ﷺ : الصلاة جامعة . فاجتمعنا إلى رسول الله ﷺ . فقال : إنه لم يكن نبي قبلي إلا كان حقا عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم، وينذرهم شر ما يعلمه لهم ... الحديث [5].

وكذلك كان النبي ﷺ يعلم الناس الخير ويدعوهم إليه، وكان يبين لهم الشر ويحذرهم منه، وكان الصحابة رضوان الله عليهم يسألونه عن الخير ليزدادوا به خيرا على خير، كما كانوا يسألونه عن الشر حتى لا يقعوا فيه .

قال حذيفة بن اليمان ﷺ : كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله

---

(١) انظر : ظاهرة التفسير العلمي للقرآن الكريم (ص : ٢١٦) .

(٢) انظر : المصدر السابق (ص : ٢١٥)؛ والقرآن محاولة لفهم عصري (ص : ٦٦) .

(٣) الإنسان الآية : ٣

(٤) البلد الآية : ١٠

(٥) أخرجه م (الإمارة، ب : وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء الأول فالأول ١٤٧٢/٣ ح : ١٨٤٤) .

عن الشر مخافة أن يدركني [1] .

فمعـــرفة الخـــير والشر أمر مطلوب ومحمود فيبعد أن تكون معرفة الخير والشر هي الشجرة التي نهي عن الأكل منها الأبوان في الجنة .

٤- العلم هبة إلهية، وملكة تحصيلية تحصل بالجد والطلب والاكتساب، وليس شيء يؤكـــل ويشـــرب كالفاكهة والطعام والشراب . قال تعالى : ﴿الرحمن * علم القرآن * خلق الإنسان * علمه البيان﴾ [2].

٥ - إن مـــا علـــلوا بـــه النهي عن الأكل من الشجرة المحرمة بأنه يوم يأكل منها يموت، ونســـبوا ذلك إلى الله سبحانه وتعالى فهذا باطل قطعا لأنهما أكلا من تلك الشجرة المحرمة، ولم يصبهما الموت في ذلك اليوم الذي أكلا فيه لأجل أكلهما من تلك الشجرة بل عاش بعد ذلك أكـــثر مـــن تسعمائة سنة، ولا يمكن أن يقع شيء على خلاف ما أخبر الله به. فهذا دليل على اضطراب هذا القول وبطلانه وفساده، ولا يصح أن ينسب ذلك إلى الله سبحانه وتعالى [3].

٦ - وأما حكايتهم عن الله تعالى بأنه قال عن آدم ﷺ : (وقال الرب الإله هو ذا الإنسان قد صار كواحد منا عارفا الخير والشر، والآن لعله يمد يده، ويأخذ من شجرة الحياة أيضا، ويأكل ويحيا إلى الأبد؛ ...) فهذا واضح بطلانه، وأنه مكذوب على الله سبحانه، ولا يمكن أن يكون كلامه لأنه يوجب وجود آلهة كثيرة قبل آدم ﷺ أكلوا من شجرة المعرفة، فعرفوا الخير والشر، ثم أكـــلوا من شجرة الحياة، فأصبحوا من جملة الآلهة الذين يعرفون كل شيء، ولا يطرأ عليهم الموت أبدا، ويبقون خالدين إلى أبد الآباد [4]. وقد سبق بيان بطلان القول بتعدد الآلهة وفساده من وجوه كثيرة فهي كلها تدل على بطلان هذا القول أيضا [5].

٦- إن هـــذا القول يلزم منه أن آدم ﷺ بأكله من شجرة معرفة الخير والشر كان قد

---

(١) أخـــرجه خ (المـــناقب، ب : علامات النبوة في الإسلام ٣/١٣١٩ ح : ٣٤١١)؛ و م (الإمارة، ب : وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن ... ٣/١٤٧٥ ح : ١٨٤٧) .

(٢) الرحمن الآيات : ١-٤

(٣) انظر : إظهار الحق (ص : ١٤٠) .

(٤) انظر : الفصل في الملل والأهواء والنحل (١/٩٧) .

(٥) انظر : (ص : ٢١٨-٢٢٢) .

وصل إلى درجة الإله في معرفة الخير والشر، وأن علمه كان مثل علم الله تعالى. ولا شك أن هــذا باطل لأن آدم عليه السلام لم يكن إلا إنسانا مخلوقا وعبدا مربوبا ولا يمكن أن يصل إلى درجة الإله في شيء من علمه ومعرفته ... أو في أي صفة من صفاته وفعل من أفعاله .

المجموعة الثالثة : تفسير الرافضة للشجرة المحرمة التي أكل منها آدم وزوجــه عــليهما السلام في الجنة . جاء في التفسير المنسوب إلى أبي محمد الحسن العســكري [1] أنــه قال في تفسير قوله تعالى : ﴿ ولاتقربا هذهالشجرة ﴾ : (... لا تقربا هذه الشــجرة : شجرة العلم، شجرة علم محمد وآل محمد، الذين آثرهم الله عز وجل به دون سائر خلقه فقال الله تعالى : ﴿ لاتقربا هذهالشجرة ﴾،شجرة العلم، فإنها لمحمد وآله خاصة دون غيرهم. ولا يتــناول مــنها بأمــر الله إلا هــم ... ومنها ما كان يتناوله النبي وعلي وفاطمة والحسن والحسين، بعد إطعامهم المسكين واليتيم والأسير حتى لم يحسوا بعد بجوع ولا عطش ولا تعب ولا نصب. وهي شجرة تميزت من بين أشجار الجنة. إن سائر أشجار الجنة كان كل نوع منها يحمــل نوعــا مــن الثمار والمأكول، وكانت هذه الشجرة وجنسها تحمل البر والعنب والتين والعــناب وسائر أنواع الثمار والفواكه والأطعمة. فلذلك اختلف الحاكون لتلك الشجرة، فقال بعضهم : هي برة. وقال آخرون : هي عنبة. وقال آخرون : هي عنابة . قال الله تعالى : ﴿ ولا تقربا هذهالشجرة ﴾ تلتمسان بذلك دوحة محمد وآل محمد في فضلهم؛ فإن الله تعالى خصهم بهذه دون غيرهــم، وهي الشجرة التي من يتناول منها بإذن الله عز وجل ألهم علم الأولين والآخرين مــن غير تعلم! ومن تناول منها بغير إذن الله خاب من مراده وعصى ربه. ﴿ فتكونا من الظالمين ﴾ بمعصيتكما والتماسكما درجة قد أوثر بها غيركما، كما إذا أردتما بغير حكم الله) [2] .

وهــذا القول كله مبني على تأويل باطني، لا تدل عليه النصوص من قريب ولا بعيد، وإنمــا هو قول في كتاب الله بلا علم ولا حجة ولا برهان بل هو كذب وافتراء واختلاق

---

(١) هو أبو محمد الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر الصادق، الإمام الحادي عشر ووالد الإمام الثاني عشر المنتظر – صاحب السرداب– عند الشيعة الإمامية الاثني عشرية، معروف بالحسن العسكري، توفي سنة ٢٦٠هــ . انظر : وفيات الأعيان (٢/٩٤-٩٥)؛ والتفسير والمفسرون (٢/٧٩) .

(٢) تفسير الحسن العسكري (ص : ٨٩) نقلا من كتاب : التفسير والمفسرون لمحمد الذهبي (٢/٩٢-٩٣).

محض على الله وعلى رسوله وعلى آل بيت النبي ﷺ، وأصله مأخوذ من اليهود والنصارى في دعواهم أن الشجرة التي أكل منها الأبوان هي شجرة معرفة الخير والشر، ثم زيد عليها بأن ذلك العلم كان مختصا بمحمد وآل محمد ﷺ، ثم حاولوا أن يجروا إلى ذلك أقوال السلف فأتوا بهذا القول الملفق الباطل الفاسد المشتمل على ضلالات كثيرة ومتنوعة، وقد سبق أن ذكرت بعض الوجوه الدالة على خطأ من زعم أن تلك الشجرة كانت شجرة معرفة الخير والشر، وهي تدل كذلك على بطلان هذا القول، والله أعلم بالصواب.

المجموعة الرابعة : أقوال أخرى باطلة لبعض العصريين وغيرهم :

وكذلك من الأقوال الباطلة عن الشجرة المحرمة التي أكل منها آدم وزوجه حواء عليهما السلام ما قيل من أن تلك الشجرة كان فيها شوك يمزق ثيابهما، ويخدش أيديهما عند تناولها من ثمرها. ولذلك منعهما من القرب إليها وهو شجرة العليق " علكة " [1] أو أن تلك الشجرة لم تكن على حقيقتها، وإنما كانت رمزا للجنس، وأن الأكل منها يعني الالتقاء الذي يتم بين الرجل وزوجته [2] أو أن الشجرة قد تكون علي حقيقتها، وإنها كانت تؤكل بالفعل إلا أنها كانت تؤدي إلى إطلاق الهرمونات، وكانت مثيرة للرغبة الجنسية، حتى ألقت بآدم ﷺ إلى المخالطة الجنسية [3] أو كان ما تم بينهما من الالتقاء والمخالطة الجسدية كان تحتها و في ظلها [4] أو أن تلك الشجرة هي شجرة المحبة أو هي شجرة الطبيعة والهوى ، [5] أو أن الشجرة هي محمد، وأكل آدم منها إعلان سر كان استكتم آدم فعصى وباح بالسر و لم يستطع كتمانه [6] .

---

(١) هذا القول ذهب إليه محمد علي حسن الحلي في (المتشابه من القرآن ص : ٣٣) .

(٢) قال به مصطفى محمود في (القرآن محاولة لفهم عصري ص : ٦٦) . وانظر الرد المفصل عليه في (شطحات مصطفى محمود في تفسيراته العصرية للقرآن الكريم ص : ١٢١-١٢٦)؛ وكذلك ذكر هذا القول عبد الحميد كشك في (في رحاب التفسير (١٤٦/١) ورد عليه ردا مختصرا جميلا .

(٣) هذا أيضا قاله مصطفى محمود بعد القول المذكور في (القرآن محاولة لفهم عصري ص : ٦٧) . انظر الرد عليه في (شطحات مصطفى محمود في تفسيراته العصرية للقرآن الكريم ص : ١٣١) .

(٤) ذكره محمد بن محمد بن عبد اللطيف عن بعض من لقيه من المتكلمين واستنكره . انظر : أوضح التفاسير (ص : ١٨٠).

(٥) ذكره الآلوسي في (روح المعاني ٢٣٤/١) .

(٦) ذكره الكرماني عن بعض الأغبياء . انظر : غرائب التفسير وعجائب التأويل (١٣٥/١) .

فهذه كلها من الأقوال الباطلة التي لا يدل عليها دليل من الكتاب أو السنة، و لم يقل بها أحـــد من السلف الصالح، ولا يدل عليها اللفظ العربي والنظم القرآني؛ فهي ليست من تفسير القـــرآن الكريم في شيء بل إنها من القول في كتاب الله بلا علم، وإنها لتلاعب بالدين، وتمويه للحق، وترويج للباطل، وتشكيك للناس في دينهم، وتلبيس عليهم، والله المستعان [1].

الحاصـــل : إن الأقـــوال في بيـــان الشجرة المحرمة التي أكل منها الأبوان في الجنة كثيرة ومختـــلفة وبعضها محتملة وبعضها واضحة البطلان فالأقوال التي حددت نوع الشجرة إنما هي أقـــوال مجردة عن دليل صالح موثوق من نص من كتاب الله أو خبر صادق عن رسول الله ﷺ فلا يمكن الجزم بصحة واحد منها. وأما الأقوال التي فسرت الشجرة بتفسير لا يتفق مع معنى الشجرة في اللغة العربية فإنها باطلة مستقاة من كلام اليهود والنصارى، وليس عليها دليل من شرع ولا من لغة . فالأجدر بنا أن لا نخوض في مثل هذه المسألة الغيبية خوض المتكلف فيها حـــتى لا نقع في موارد الزلل بل نقف في ذلك عند مفهوم العبارة المأخوذة من الآيات القرآنية وهـــو أن آدمَ وزوجـــه عليهما السلام كانا قد نهيا عن الأكل من شجرة معينة في الجنة، ولا نعلم عن حقيقتها وتحديدها شيئا، وكل الذي نعرفه أنها شجرة يؤكل ثمرها، والله أعلم بها .

(١) انظر : المصدر السابق نفسه .

المطلب الثالث : الرد على النصارى في دعوى انتقال الخطيئة إلى الأبناء وموت المسيح مصلوبا فداء للخليقة ليخلصهم من خطيئة أبيهم آدم عليه السلام.

تـــزعم النصارى أن آدم عليه السلام لما أكل من الشجرة المحرمة وقع جميع نسله في عثرة العصيان والفســـاد؛ إذ انتقلت تلك الخطيئة من بعده إلى الأبناء . فلما سقط الإنسان في المعصية والفساد اقتضـــى العـــدل الإلهي أنه لا بد من العقاب وتنفيذ الحكم عليه في حين اقتضت الرحمة الإلهية الصـــفح عنه من غير حساب ولا عقاب، فنشأت من هذا الموقف مشكلة اقتضت حلا بتقديم فديـــة ينال بها الإنسان الصفح والغفران، ويستوفي بها العدل الإلهي حقوقه كاملة . ولما لم تكن فديـــة ما تتم مطلب العدل والرحمة إلا الفدية من جانب الله نفسه؛ لأن الفدية يجب أن تكون طاهرة مقدسة من كل عيب ولوم ودنس، وليس في كائنات العالم بأسرها من هو طاهر قدوس وبـــلا عيب سوى الله جل جلاله؛ فنشأت مشكلة أخرى، وهي أن الله لا جسد له يقدمه فدية عن العالم، فلم يكن بد من أن يتخذ الله جسدا يتحد فيه اللاهوت والناسوت. فاختار لنفسه أن يولـــد بشكل المسيح من بطن مريم، و لم يشأ أن يولد بالنطفة حتى لا يكون عليه الخطأ المتوارث القـــديم فولـــد بـــدون اتصال الرجل بالمرأة، فصار معصوما ثم اختار الموت على الصليب فداء للبشـــر[1] . فلما مات ودفن نزل إلى الجحيم فأخرج منها أرواح آدم وذريته التي كانت تتعذب في نار جهنم[2]، وبذلك رضي الله عن بني آدم، وارتفعت عنهم تلك الخطيئة الأولى .

---

(١) انظر : رسالة بولس الرسول إلى أهل أفسس (٢/١-٢٢)؛ وتخجيل من حرف التوراة والإنجيل (٣٧١/١-٣٧٢)؛ والإعـــلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام (ص : ٤١٠/٤ و ٤٥٣-٤٥٤)؛ والجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (١٠٧/٢)؛ والمسيح والمسيحية والإسلام (ص : ١٠٣-١٠٥)؛ ومحاضرات في النصرانية (ص : ٢٧ و ١١٧)؛ واليهوديـــة والمســـيحية للأعظمي (ص : ٤٣١-٤٣٢)؛ ودراسات في الأديان : اليهودية والنصرانية لشيخنا سعود الخلف (ص : ٢٢٥-٢٢٦)؛ والأديان والفرق والمذاهب المعاصرة للشيخ عبد القادر الحمد (ص : ٥٣-٥٤)؛ ومقال بعنوان : العلمانية وموقف الإسلام منها للدكتور حمود بن أحمد الرحيلي، منشور في مجلة الجامعة الإسلامية العدد : ١١٥ ، السنة ٣٤-١٤٢٢هـــ (ص : ٣٤٢-٣٤٣) .

(٢) انظر : تخجيل من حرف التوراة والإنجيل (٣٧٥/١)؛ والإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام (٤١٧/٤)؛ والجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (١٠٧/٢) .

إن النصارى بقولهم هذا ما قدروا الله حق قدره، كما لم يقدروا رسوله عيسى ﷺ حق قدره؛ فإن في هذا القول من سوء الأدب مع الله و مع رسوله عيسى ﷺ ما لا يتفوه به من له أدنى مسكة من عقل فضلا أن يجعل ذلك دينا له يبتغي به نجاته وفلاحه وسعادته في الدنيا والآخرة، فاعتقادهم هذا دليل على قلة علمهم وفساد عقلهم وذهاب بصيرتهم وعمى قلوبهم فهي عقيدة كفرية جنونية، وباطلة من وجوه كثيرة، وفيما يلي ذكر بعضها :

١ - إن هذه العقيدة مستحيل قبولها عقلا لأنها تعني أن الله جل جلاله وتقدست أسماؤه قد تقمص في هيئة النطفة أو هيئة الجنين، ودخل في بطن مريم، وعاش تلك الأوحال والأقذار فترة من الزمن، يتغذى بالدم ثم باللبن، وتمر عليه أطوار الجنين ثم تأتي مرحلة الولادة والطفولة ومستلزماتها ...ثم يصلب فيموت وبعد ذلك يُكَفَّن، ويحمل نعشه ويلحد في قبره، ويحثى عليه التراب ...فعجبا من هذا الإله ! ومن الذي كان يدير العالم ويدبر شؤونه في هذه الفترة التي كان فيها رب العالم وسيده ومدبره – كما تزعم النصارى – في بطن امرأة يتقلب بين الفرث والدم ؟ وكيف ثبت العالم على نظام وربه مصلوب ميت مدفون في القبر؟ فهل هناك قول أشد بطلانا وأقبح تصورا من هذه العقيدة ومن هذه المقولة بل هذا القول وهذا الاعتقاد فيه من الفساد والبطلان ما يعجز الإنسان عن بيان قباحته وفساده، فلا يمكنه التعبير والبيان عما يلزم من المفاسد والقبائح بهذا القول والاعتقاد الذي جاء به النصارى (١).

٢ - إن جميع النصوص (٢) التي يذكرونها في الدلالة على أن الصلب وقع فداء للبشر

---

(١) انظر : تخجيل من حرف التوراة والإنجيل (١/٣٤٨-٣٤٩)؛ ودراسات في الأديان : اليهودية والنصرانية (ص : ٢١٩) .

(٢) مثل ما حكي عن المسيح من قوله : (أنا هو الراعي الصالح والراعي الصالح يبذل نفسه عن الخراف) [يوحنا : ١٠/١١)، وقوله : (لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية) [يوحنا ٣/١٦]، وقوله : (و من أراد أن يصير فيكم أولا يكون للجميع عبدا لأن ابن الإنسان أيضا لم يأت ليخدم بل ليخدم وليبذل نفسه فدية عن كثيرين) [مرقس ١٠/٤٤-٤٥]. وقال بولس في رسالته الأولى إلى أهل كورنثورس [١٥/٣] : (أن المسيح مات من أجل خطايانا حسب الكتب)، وقال أيضا في رسالته إلى أهل غلاطية [١/٤] : (ربنا يسوع المسيح الذي بذل نفسه لأجل خطايانا لينقذنا من العالم الحاضر الشرير حسب إرادة الله وأبينا)، وقال في رسالته إلى أهل رومية [٣/٢٣-٢٦] : (إذ الجميع أخطأوا وأعوزهم مجد الله متبررين مجانا بنعمته بالفداء الذي بيسوع المسيح الذي قدمه الله كفارة بالإيمان بدمه لإظهار بره من أجل الصفح عن الخطايا السالفة بإمهال الله) و غيرها من الأقوال . وهي كما ترى غير صريحة في تعيين الخطيئة التي كان الفداء من أجلها بأنها هي خطيئة آدم عليه السلام التي انتقلت إلى أبنائه كما تزعم النصارى .

ليس فيه نص واحد يعين الخطيئة التي يزعم النصارى أن الفداء كان لأجلها، وهي خطيئة أبينا آدم ﷺ التي انتقلت في زعمهم إلى أبنائه بالوراثة؛ فجميع النصوص لا تعين هذا الأمر ولا تحـــدده. وهذا يدل على أنها من مخترعات النصارى المتأخرين الذين حاولوا أن يرقعوا بها فساد القول بالفداء كفارة عن الخطايا (١).

٣ – إن كلام النصارى في الخطيئة التي رفعها المسيح ﷺ بموته المزعوم على الصليب كـــلام مضطرب جدا. ولذلك لا ينصون في كلامهم على الخطيئة التي كفرها المسيح في زعمهـــم، وإنما يعممون مثل قولهم : لأجل خطايانا ، لأجل الصفح عن الخطايا السالفة، لينقذنا من العالم الحاضر الشرير، بذل نفسه عن الخراف، فدية عن كثيرين، لكي لا يهلك كل من يؤمن به، لنصير نحن بر الله فيه، وغيرها من الألفاظ المجملة المبهمة (٢).

٤ – إن المراد من كون المسيح كفارة للخطايا أحد أمرين :

أولهمـــا : تكفير خطايا الناس التي اقترفوها في الماضي أو التي سيقترفونها في المستقبل ولا يمكـــن للنصارى أن يدعوا أن صلب المسيح مكفر لجميع خطايا الناس الماضية والآتية لأن ذلـــك يعني إباحتها وعدم ترتب العقوبة على ذنب من الذنوب مهما عظم. وفي هذا إبطـــال لدعوة المسيح ودعوة الحواريين إلى تنقية النفس من الآثام والخطايا، وفتح لباب الإباحية والفجور والكفر والزندقة .

مـــع العلم أن تكفير الخطايا إذا أطلق لا يراد به سوى ما وقع فيه الإنسان من الآثام وهي الخطايا الماضية إذ التكفير من كفر؛ أي : ستر وغطى ولا يكون ذلك إلا فيما وقع وحدث (٣).

والثاني : ما يذكره عامة النصارى وهو تكفير خطيئة آدم ﷺ التي انتقلت إلى أبنائه . وهـــو ادعاء باطل، وإنما اخترعوا هذه الفرية وادعوها بدون دليل من عقل أو شرع حتى يبرروا قضية الصلب التي اعتقدوها وآمنوا بها، ويرفعوا عن المسيح تلك السبة الشنيعة التي تلحقه على القول بالصلب وبيان بطلانه من وجوه وهي كما يلي :

١– إن إبراهيم ﷺ كان أبوه كافرا مشركا بالله تعالى، وكان ينحت الأصنام ويبيعها ويعبدها،

---

(١) انظر : دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية (ص : ٢٣٥) .

(٢) انظر : المصدر السابق (ص : ٢٣٥– ٢٣٦) .

(٣) انظر : دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية (ص : ٢٣٦) .

وليس هناك ذنب أكبر من الكفر والشرك بالله تعالى، والله سبحانه وتعالى لم يؤاخذ إبراهيم عليه السلام ولم يعاتبه على كفر أبيه وشركه بالله تعالى . فهل يؤاخذه الله سبحانه وتعالى بذنب آدم عليه السلام وهو أبوه الأبعد ولا يؤاخذه بذنب أبيه الأقرب الذي كان مشركا بالله وعابدا لغير الله تعالى ؟ (1) .

٢- هذا إذا قدر أن آدم عليه السلام لم يتضرع إلى الله تعالى، ولم يطلب منه المغفرة والرحمة، وأن الله تعالى لم يسمع دعاءه، ولم يقبل توبته، ولم يغفر له خطيئته، فكيف وقد أخبر الله أن آدم عليه السلام أناب إلى ربه وتاب إليه، وأن الله تعالى غفر له وتاب عليه. قال تعالى : ﴿ فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم ﴾ (2) وقال تعالى : ﴿ ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى ﴾ (3) وإذا تبين أن آدم عليه السلام تاب إلى الله، وأن الله تعالى تاب عليه،فليس من المعقول أن يقال أن الناس كلهم كانوا مثقلين بحمل تلك الخطيئة التي حصلت من آدم عليه السلام حتى جاء المسيح عليه السلام وتحمل عنهم بموته مصلوبا وخلصهم من تلك الخطيئة (4).

٣- إن خطيئة آدم عليه السلام كانت خطيئة فردية شخصية والخلاص منها كان بالتوبة المباشرة، وكذلك خطيئة كل ولد من أولاده خطيئة فردية شخصية والطريق للخلاص منها مفتوح لكل أحد منهم بالتوبة إلى الله تعالى، فمن أخطأ هو الذي يتحمل وزره، ولا يؤاخذ عنه غيره، وهذا هو مقتضى العدل (5) وقد نص الله سبحانه وتعالى في كتابه فقال تعالى : ﴿ ألا تزر وازرة وزر أخرى ﴾ (6) وقال تعالى : ﴿ كل نفس بما كسبت رهينة ﴾ (7) .

٤- تزعم النصارى أن صلب المسيح كان لتحقيق العدل والرحمة، فأي عدل وأي رحمة في تعذيب غير المذنب وصلبه ؟ (8) .

---

(١) انظر : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٢/١٠٧-١٠٨) .

(٢) البقرة الآية : ٣٧

(٣) طه الآية : ١٢٢

(٤) انظر : تخجيل من حرف التوراة والإنجيل (١/٣٦٩-٣٧٠ و ٣٧٢)؛ والجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٢/١٠٧-١٠٨) .

(٥) انظر : مناظرة بين الإسلام والنصرانية (ص : ١٢١)؛ ودراسات في الأديان اليهودية والنصرانية (ص : ٢٤١-٢٤٢) .

(٦) النجم الآية : ٣٨

(٧) المدثر الآية : ٣٨

(٨) انظر : مناظرة بين الإسلام والنصرانية (ص : ١٢٠) .

٥ - تزعم النصارى أن المسيح ابن الله فهو ليس من جنس بني آدم عندهم . فكيف يعاقب بدلا عن آدم وذريته وهو ليس من جنسهم في زعم النصارى مع أن العدل يقتضي أن لا يعاقب غير المذنب ولو كان من بني جنسه (١).

٦- إن جميع الشرائع السماوية قررت أن تكون العقوبة مناسبة مع الذنب، وبه تشهد العقول السليمة والفطر المستقيمة، ولكن لا توازن بين صلب المسيح ﷺ على النحو الذي زعمت النصارى صلبه وبين الخطيئة التي وقعت من آدم ﷺ بالأكل من الشجرة المحرمة . فـــالقول أن المســـيح مـــات مصلوبا فداء للبشر من خطيئة آدم ﷺ قول مخالف لما قررته الشرائع السماوية، ولما شهدت به العقول السليمة والفطر المستقيمة (٢) .

٧- إن مــــا وقع من آدم ﷺ هو أكله من الشجرة المحرمة بإغواء الشيطان له، وهذا ذنب منه في حـــق الله عز وجل الذي نهاه عن الأكل منها، فالذنب بهذا لم يكن يلزم للتكفير عنه أن يترل الرب جل وعلا ليصلب على الصليب بعد أن يهان ويذل من أجل أن يرضي نفسه بل الأمر يكفي فيه قبول التوبة ومغفرة الذنب فقط (٣). وهذا الذي وقع كما نص على ذلك القرآن الكريم .

٨ - المسيح في زعم النصارى ابن الله، فأين الرحمة التي جعلته في زعمهم يشفق على عـــبيده وخـــلقه، ويترك ابنه الوحيد يلاقي من غير ذنب منه - ألوانا من العذاب والبلاء والإهانة والسخرية، وينتهي بالموت على الصليب مع دق المسامير في يديه ؟ ولن يرضى عاقل أو جاهل أن يفعل ذلك بولده لينجو بعض خدامه من عذاب استحقه لذنب فعله ؟ فكيف يصح أن تنسب مثل هذه الخرافات إلى الله سبحانه وتعالى ؟ (٤).

٩ - إن المسيح في زعم النصارى هو ابن الله وهو الله وأن المصلوب المهان — تعالى الله عن قولهم وتقدس — هو الله جل جلاله وتقدست أسماؤه (٥)، فهل يوجد كفر أعظم مـــن هـــذا الكفـــر؟ وهل يوجد افتراء على الله أكبر من هذا الافتراء الذي جاءت به

---

(١) انظر : دراسات في الأديان : اليهودية والنصرانية (ص : ٢٤٢) .

(٢) انظر : مناظرة بين الإسلام والنصرانية (ص : ١٢٣) .

(٣) انظر : مناظرة بين الإسلام والنصرانية (ص : ١٢١)؛ ودراسات في الأديان اليهودية والنصرانية (ص : ٢٤٠).

(٤) انظـــر : تخجيل من حرف التوراة والإنجيل (٣٧٤/١)؛ ومناظرة بين الإسلام والنصرانية (ص : ١٢٠)؛ والفارق بين المخلوق والخالق (ص : ٤٥٤)، ودراسات في الأديان اليهودية والنصرانية (ص : ٢٤٢) .

(٥) انظر : تخجيل من حرف التوراة والإنجيل (٣٦٥/١) .

النصارى ؟ [1] ﴿ سيجزيهم وصفهم إنه حكيم عليم ﴾ [2].

١٠ – إن إبراهيم ﷺ لما رأى في المنام أنه أمر بذبح ابنه وأراد أن يذبحه تحقيقا وامتثالا لأمر الله سبحانه وتعالى فداه الله سبحانه وتعالى بذبح عظيم قال تعالى : ﴿ وفديناه بذبح عظيم ﴾ [3] .

فإبراهيم الخليل ﷺ ليس إلا عبدا من عباد الله تعالى، وقد فدى الله سبحانه وتعالى ابنه إسماعيل بذبح عظيم . والنصارى تزعم أن عيسى ﷺ ابن الله . فهل كان ولد عبده إبراهيم ؛ أي : إسماعيل ﷺ أزكى لديه وأعز عليه وأحب إليه من ولده عيسى ﷺ إذ فدى عن ولد عبده ونجاه من الذبح و لم يفد عن ولده فتركه يهان ويصلب ؟ والنصارى تزعم أيضا أن المسيح هو الله فهل فدى الله سبحانه عن ولد عبد من عباده، و لم يستطع أن يفدي عن نفسه ؟ [4] .

١١- إن ما وقع من آدم ﷺ يعتبر يسيرا بالنسبة لما فعله ولما يفعله كثير من أبنائه من سب الله عز وجل والاستهزاء به، وعبادة غيره جل وعلا، وقتل الأبرياء، وانتهاك الأعراض، وأكل أموال الناس بالباطل، ونشر الفساد والفتن في الأرض، ومحاربة أولياء الله وقتل أنبيائه إلى غير ذلك من أنواع المحرمات والجرائم التي هي أشنع وأعظم بكثير من تلك الخطيئة التي وقعت من آدم ﷺ؛ فعلى كلام هؤلاء النصارى يجب أن يترل الله تعالى كل وقت ليصلب حتى يجمع بين عدله ورحمته في زعمهم [5].

١٢- الخطيئة التي وقعت من آدم ﷺ لا تهم بنيه؛ فهي لا تقلقهم، ولا تشغل بالهم، ولا تقض مضاجعهم لأنها خطيئة حصلت ومحيت بالتوبة وانتهى أمرها . وإنما الذي يقلقهم ويخيفهم هو ما اقترفوه من المعاصي والذنوب ولكن هذه الذنوب والمعاصي لا تدخل في كفارة المسيح في زعم النصارى . ومعنى هذا أن هناك ملايين الخطايا باقية في أعناق الناس التي سيحاسبون عليها يوم القيامة ويجازون بها، وأن خطيئة واحدة – والتي في الحقيقة كانت مغفورة من قبل هي التي

---

(١) انظر : دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية (ص : ٢٤٢) .

(٢) الأنعام الآية : ١٣٩

(٣) الصافات الآية : ١٠٧

(٤) انظر : تخجيل من حرف التوراة والإنجيل (١/٣٧٦) .

(٥) انظر : دراسات في الأديان : اليهودية والنصرانية (ص : ٢٤٠-٢٤١) .

محيت بصلب المسيح في زعمهم، وعلى هذا يكون قد تم صلب المسيح بدون فائدة تذكر [1] .

١٣- ليس في الأنبياء السابقين من ذكر خطيئة آدم عليه السلام وطلب من الله تعالى المغفرة من أجلها. فلو كانت هذه الخطيئة انتقلت إليهم لطلبوا من الله تعالى أن يغفرها لهم، بل لبينوا لمن أرسلوا إليهم أن خطيئة آدم عليه السلام انتقلت إليهم أيضا بالوراثة، ولأمروهم أن يستغفروا الله تعالى منها . فهل خطيئة آدم عليه السلام وغضب الله على الناس كلهم بقي مكتوما عن جميع الأنبياء السابقين و لم تكتشفه إلا الكنيسة بعد حادثة الصلب ؟

بل هذا يدل على أن القول بانتقال خطيئة آدم عليه السلام إلى الأبناء وتحمل المسيح عليه السلام لها عن الناس كلهم بموته على الصليب من مخترعات النصارى وأوهامهم [2].

١٤- وبناء على كلام النصارى هذا يلزم أن الأنبياء والمرسلين والدعاة الصالحين قبل المسيح كلهم كانوا تائهين في ضلالة متخبطين فيها؛ لأنهم أخطئوا الطريق، و لم يرشدوا الناس إلى طريق الرشد وحقيقة تلك الخطيئة، و لم ينبهوهم على خطورتها كما فهمها النصارى [3].

١٥- ويلزم من قولهم أن كل من مات قبل موت المسيح على الصليب له فهو هالك ولو كان من الأنبياء والصالحين إذ لم تكفر عنهم تلك الخطيئة ولا يتم تكفيرها إلا عن طريق المسيح المصلوب في زعم النصارى [4].

١٦- إن آدم عليه السلام لما أكل من الشجرة المحرمة أخرج من الجنة وأنزل على أرض الكد والتعب والمشقة. والخروج إلى الكدح والنصب والعناء والتعب بعد أن كان منعما في الجنة يتمتع فيها بجميع أنواع النعيم والسرور - ليس بالأمر الهين، و لم يكن هناك ما يمنع من أن يفعل الله سبحانه وتعالى بآدم عليه السلام أكثر من ذلك ولكنه سبحانه وتعالى اكتفى بذلك واختاره برضاه سبحانه . وأما على ما زعمت النصارى فيلزم منه أن الله سبحانه وتعالى ظل غاضبا في نفسه ألوف السنين على الناس كلهم لأجل خطيئة آدم عليه السلام حتى وقت صلب

---

(١) انظر : مناظرة بين الإسلام والنصرانية (ص : ٢٢)؛ ودراسات في الأديان : اليهودية والنصرانية (ص : ٢٤١)؛ ومباحث بريئة في الإنجيل (ص : ١٠٣-١٠٤) .

(٢) انظر : مناظرة بين الإسلام والنصرانية (ص : ١٢٣)؛ ودراسات في الأديان: اليهودية والنصرانية (ص : ٢٤١).

(٣) انظر : دراسات في الأديان : اليهودية والنصرانية (ص : ٢٤١) .

(٤) انظر : المصدر السابق نفسه .

المسيح ﷺ، فأي عقل يستسيغ أن ينسب ذلك إلى الله سبحانه وتعالى ؟ (١).

١٧- إن بين آدم وعيسى عليهما السلام زمنا طويلا، فمعنى ذلك أن الله بقي متحيرا بين العدل والرحمة كل هذه المدة الطويلة إلى أن اهتدى قبل ألفي عام وعامين إلى هذه الوسيلة : وسيلة الفداء عن طريق التجسد والموت على الصليب — وبها توافقت رحمته مع عدله ! وتمت المصالحة بينه وبين الناس !(٢).

١٨- إذا كان صلب المسيح عملا مقصودا من الله تعالى فيكون اليهود والرومان والواشي بالمسيح أكثر الناس عبادة لله، وأعظم الناس برا وفضلا على النصارى خصوصا وعلى البشرية عموما؛ لأنهم بذلك نفذوا إرادة الله التي قضت بصلب ابنه، فقاموا هم بتنفيذ ذلك العمل، وبموته على الصليب تحقق الهدف الأسمى الذي جاء المسيح من أجله كما تزعم النصارى (٣).

١٩ - تزعم النصارى أن المسيح فدى البشر بدمه، فمعنى ذلك أنه لا حاجة إلى الإيمان به واعتقاد صلبه وألوهيته وما إلى ذلك؛ لأن الخطيئة قد ارتفعت عن جميع البشر ببذله نفسه، مثل من كان عليه دين فجاء شخص وقضى ذلك الدين عنه، فالمطالبة تسقط عنه بمجرد القضاء . وهذا ما لا يقول به النصارى مخالفين في ذلك دليل العقل (٤).

٢٠ - قد مرت بالبشر منذ عهد آدم ﷺ إلى عهد عيسى ﷺ أحداث ونكبات هلك فيها كثير من الطغاة، وخاصة في عهد نوح ﷺ إذ لم ينج من الغرق إلا الذين آمنوا به وصدقوه واتبعوه، فكانوا معه في السفينة . فهؤلاء هم الذين رضي الله عنهم ونجاهم، وأهلك من عداهم . فكيف يصح أن يقال بأن الناس كلهم ما زالوا في غضب الله سبحانه وتعالى وسخطه وكراهيته منذ خطيئة آدم ﷺ حتى جاء المسيح وضحى بنفسه فداء للبشرية مع أنه لم يكن في الأرض بعد الطوفان إلا من رضي الله عنهم وأحبهم (٥) إلى أن حدث فيهم الشرك .

٢١ - تزعم النصارى أن الشفيع لا بد أن يكون مطهرا من خطيئة آدم ﷺ؛ ولذلك ولد

---

(١) انظر : مناظرة بين الإسلام والنصرانية (ص : ١٢٣) .

(٢) انظر : مناظرة بين الإسلام والنصرانية (ص : ١٢٣)؛ ودراسات في الأديان : اليهودية والنصرانية (ص : ٢٤١) .

(٣) انظر : مناظرة بين الإسلام والنصرانية (ص : ١٢١)؛ ودراسات في الأديان : اليهودية والمسيحية (ص : ٢٤٢-٢٤٣) .

(٤) انظر : دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية (ص : ٢٤٣) .

(٥) انظر : المناظرة بين الإسلام والنصرانية (ص : ١٢٣) .

عيسى ﷺ من أم بغير أب لينجو من انحدار الخطيئة إليه من أبيه حتى يكون صالحا للشفاعة . ولكن السؤال : ألم يأخذ عيسى ﷺ نصيبا من الخطيئة عن طريق أمه ؟ فإن آدم ﷺ لم يأكل وحده من الشجرة الممنوعة بل حواء أيضا أكلت من تلك الشجرة . وإن زعمت النصارى أن الله تعالى كان قد طهر مريم من الخطيئة قبل أن يدخل الابن رحمها . فيقال : إذا كان الله طهر مريم بهذه السهولة فلماذا لم يطهر خلقه من الخطيئة بدون إنزال ابنه وبدون تمثيلية الولادة والصلب ؟ [١].

٢٢- وأما زعمهم أن أرواح آدم ﷺ وذريته كانت في حبس إبليس، وكان من مات منهم روحه تعذب في الجحيم، وأن عيسى ﷺ نزل بعد موته على الصليب ودفنه في القبر فأخـــرجهم من نار جهنم فهذا الجزء وحده يكفي للدلالة على بطلان قولهم : إن المسيح ﷺ اخـــتار المـــوت عـــلى الصليب ليكون كفارة عن خطيئة الناس التي اقترفوها أو التي توارثوها من خطيئة آدم ﷺ . وفيما يلي ذكر بعض الوجوه التي تبين بطلان هذا الجزء من قولهم عن الصلب والكفارة والفداء [٢]:

أ – يقال لهم : إبليس إن كان أخذ الذرية بذنب أبيهم فلا فرق بين ناسوت المسيح وغيره. وإن كان بخطاياهم فلم يأخذهم بذنب أبيهم وهم قالوا إنما أخذهم بذنب أبيهم .

ب – من خلق بعد المسيح من الذرية كمن خلق قبله . فكيف جاز أن يمكن إبليس من الذرية المتقدمين دون المتأخرين وكلهم بالنسبة آدم ﷺ سواء ؟.

ج – المتأخرون من ذرية آدم ﷺ يخطئون أعظم من خطايا الأنبياء المتقدمين. فكيف جاز تمكين إبليس من عقوبة الأنبياء المتقدمين ولم يمكن من عقوبة الكفار والجبابرة الذين كانوا بعد المسيح ﷺ ؟.

د- هـــب أن آدم ﷺ أذنب وكذلك أذنب بنوه بتزيين الشيطان له، فعقوبة بني آدم عـــلى ذنوبهم هي إلى الله أو إلى إبليس ؟ فهل يقول عاقل أن إبليس له أن يغوي بني آدم بتزيينه لهم ثم له أن يعاقبهم جميعا بغير إذن من الله تعالى ؟ .

---

(١) انظر : المناظرة بين الإسلام والنصرانية (ص : ١٢٤)؛ واليهودية والمسيحية للأعظمي (ص : ٤٣٣) .

(٢) هـــذه بعض الوجوه في الرد على هذا الجزء من قول النصارى . وقد أبطلها شيخ الإسلام ابن تيمية من اثني عشـــر وجها. وذلك في كتابه : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٢/١٠٨-١١٦) والوجوه المذكورة هنا أغلبها مستفادة من كتابه المذكور آنفا .

هـ - هذا القول مأخوذ من قول الثنوية المجوس الذين يقولون : إن كل ما في العالم من الشر من الذنوب والعقاب وغير ذلك هو من فعل إبليس، وأن الله سبحانه وتعالى لم يفعل شيئا من ذلك ولا عاقب أحدا على ذنب .

فلا ريب أن هذا القول انتقل إلى النصارى من المجوس؛ ولذلك لا ينقلون هذا القول في كتاب مترل، ولا عن أحد من الحواريين. والنسب بين النصارى والمجوس وسائر المشركين نسب معروف .

و - لا شك أن القول بترول المسيح ﷺ إلى جهنم وتخليص أرواح الناس والأنبياء والرسل السابقين منها إنما هو زيغ وضلال وكفر؛ فإنه لا يعقل أن يكون الأنبياء والصالحون في نار جهنم وإلا فما الفائدة أن يسعى الناس ليكونوا صالحين إذا كانت نهايتهم سواء مع الظالمين والفاسدين في نار جهنم ؟! قال تعالى : ﴿ أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون ﴾ [1] وقال تعالى : ﴿ أفنجعل المسلمين كالمجرمين * ما لكم كيف تحكمون ﴾ [2] وقال تعالى : ﴿ قل لا يستوي الخبيث والطيب ﴾ [3] .

ز- ذكر لوقا في إنجيله أن المسيح ﷺ قال : (كان إنسان غني ... وهو يتنعم كل يوم مترفها، وكان مسكين اسمه لِعَاذَرُ الذي طرح عند بابه مضروبا بالقروح، ويشتهي أن يشبع من الفتات الساقط من مائدة الغني بل كانت الكلاب تأتي وتلحس قروحه، فمات المسكين، وحملته الملائكة إلى حضن إبراهيم . ومات الغني أيضا ودفن فرفع عينيه في الجحيم وهو في العذاب ورأى إبراهيم من بعيد ولعاذر في حضنه فنادى وقال : يا أبي إبراهيم ارحمني، وأرسل لعازر ليبل طرف إصبعه بماء، ويبرد لساني لأني معذب في هذا اللهب) [4].

فهذا الحكاية التي ذكرها لوقا على لسان المسيح ﷺ تدل على أن الموتى من الصالحين ينتقلون فورا إلى النعيم بينما يتلظى الأشقياء في نار الجحيم . فكيف يصح أن يقال أن كل من مات قبل صلب المسيح ﷺ كان معذبا في نار الجحيم فلما صلب المسيح ﷺ ودفن أخرجهم منها ؟!

---

(١) السجدة الآية : ١٨

(٢) القلم الآيتان : ٣٥-٣٦

(٣) المائدة الآية : ١٠٠

(٤) إنجيل لوقا (١٦/١٩-٢٥) .

الـرد على النصارى من خلال كتابهم المقدس في دعواهم أن خطيئة آدم عليه السلام انتقلت إلى أبنائه، وأن عيسى عليه السلام مات مصلوبا فدية عنهم كفارة لخطاياهم :

إن عيسى عليه السلام رسول من الرسل . وكان أرسل إلى بني إسرائيل. وكان يدعوهم كما دعا غيره من الأنبياء والمرسلين أقوامهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له . هذه هي غاية نبوة الأنبياء و رسالاتهم. وعيسى عليه السلام لم يكن بدعا من الرسل؛ فهو أيضا جاء ليدعو بني إسرائيل [1] إلى عبادة الله وحده [2]، ولم يأت ليكون فدية عن خطيئة آدم عليه السلام أو خطايا البشر . ولذلك كان ينكر على من أراد قتله واغتياله، وكان يأخذ كل الحذر وكل التدابير لإحباط المحاولات التي كانت تبذل من قبل اليهود لقتله . وفيما يلي نماذج من ذلك .

١ – **المسيح يرفض فكرة قتله ويستنكرها تماما** : في إنجيل يوحنا : (أجابهم يسوع وقال: تعليمي ليس لي، بل للذي أرسلني ... لماذا تطلبون أن تقتلوني ؟) [3].

وفيه أيضا أن المسيح قال لليهود : (أنا عالم أنكم ذرية إبراهيم، لكنكم تطلبون أن تقتلوني؛ لأن كلامي لا موضع له فيكم . أنا أتكلم بما رأيت عند أبي، وأنتم تعملون ما رأيتم عند أبيكم . أجابوا وقالوا له : أبونا هو إبراهيم . قال لهم يسوع : لو كنتم أولاد إبراهيم لكنتم تعملون أعمال إبراهيم ولكنكم الآن تطلبون أن تقتلوني . وأنا إنسان قد كلمكم بالحق الذي سمعه من الله . هذا لم يعمله إبراهيم) [4].

فلو أن عيسى عليه السلام كان قد جاء ليضحي نفسه فداء للبشر عن الخطيئة لما أنكر على اليهود الذين كانوا يحاولون قتله بل لشجعهم على ذلك حتى يصل إلى الهدف المنشود الذي جاء من أجله كما زعمت النصارى .

٢ – **المسيح يأخذ حذره حتى لا يقع في براثن أعدائه من اليهود** : جاء في إنجيل يوحنا : (فمن ذلك اليوم تشاوروا ليقتلوه، فلم يكن يسوع أيضا يمشي بين اليهود علانية بل يمضي من هناك إلى الكورة القريبة من البرية إلى مدينة يقال لها أفرايم ومكث هناك مع تلاميذه) [5].

---

(١) انظر أقواله الدالة على أنه كان أرسل إلى بني إسرائيل في (إنجيل متى ١٥/٢٤-٢٦). وقد بين الله تعالى أنه كان مرسلا إلى بني إسرائيل فقال تعالى : ﴿وإذ قال عيسى ابن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم﴾ [الصف : ٦] وغيرها من الآيات .

(٢) انظر أقوال عيسى عليه السلام الدالة على وجوب عبادة الله وحده لا شريك له في (سفر التثنية ٤/٣٥ و٦/٤) و(إنجيل متى ٤/١٠) و (إنجيل مرقس ١٢/٢٩) و (إنجيل لوقا ٤/٨) و (إنجيل يوحنا ١٧/٣)؛ وانظر : مناظرة بين الإسلام والنصرانية (ص : ١٦٤-١٦٦) .

(٣) إنجيل يوحنا (٧/١٦-١٩) .

(٤) إنجيل يوحنا (٨/٣٧-٤٠) .

(٥) إنجيل يوحنا (١١/٥٣-٥٤) .

وفيه أيضا : (كان يسوع يتردد بعد هذا في الجليل لأنه لم يرد أن يتردد في اليهودية لأن اليهود كانوا يطلبون أن يقتلوه) [1] .

ولذلك لما طلب منه تلاميذه أن يذهب إلى اليهودية في عيد اليهود : عيد المظال؛ لكي يرى تلاميذه أعماله التي يعملها لم يقبل ذلك منهم . وأمرهم بالذهاب إلى العيد، وهو مكث بنفسه في الجليل. وأخيرا لما صعد أولئك إلى العيد صعد هو أيضا و لكنه لم يكن لم يظهر ذلك بل كان متخفيا عنهم [2] .

فلو أن عيسى عليه السلام كان قد جاء ليموت عن الناس تخليصا لهم من الخطيئة لما أخذ هذه التدابير، و لم يخف من اليهود الذين كانوا يريدون قتله، و لم يختف عنهم، و لم يحجم من الذهاب إليهم علنا، و لم يذهب إليهم خفية كما تذكر كتبهم .

٣- عيسى عليه السلام يدعو ربه أن ينجيه من مكيدة اليهود له : جاء في إنجيل مرقس : (وجاءوا إلى ضيعة اسمها جَثْسَيْمَاني، فقال لتلاميذه : " اجلسوا ههنا حتى أصلي " . ثم أخذ معه بطرس ويعقوب ويوحنا وابتدأ يدهش ويكتئب . فقال لهم : " نفسي حزينة جدا حتى الموت . امكثوا هنا واسهروا " . ثم تقدم قليلا، وخر على الأرض، وكان يصلي لكي تعبر عنه الساعة إن أمكن، وقال : " يا أبا الآب كل شيء مستطاع لك . فأجز عني هذه الكأس ولكن ليكن لا ما أريد أنا بل ما تريد أنت ". ثم جاء ووجدهم نياما فقال لبطرس : " يا سمعان أنت نائم. أما قدرت أن تسهر ساعة واحدة ؟ اسهروا وصلوا لئلا تدخلوا في تجربة . أما الروح فنشيط؛ وأما الجسد فضعيف ". ومضى أيضا وصلى قائلا ذلك الكلام بعينه، ثم رجع ووجدهم أيضا نياما إذ كانت أعينهم ثقيلة فلم يعلموا بماذا يجيبونه، ثم جاء ثالثة وقال لهم : " ناموا الآن واستريحوا، يكفي قد أتت الساعة . هو ذا ابن الإنسان يسلم إلى أيدي الخطاة . قوموا لنذهب. هو ذا الذي يسلمني قد اقترب) [3].

فهذه العبارة تدل على إن عيسى عليه السلام كان يدهش ويكتئب ويحزن ويخاف مما كان يدبر له اليهود. ولذلك كان يصلي كثيرا، ويدعو ربه و يتضرع إليه؛ لتعبر عنه هذه الساعة. فهذا يدل على أنه لم يأت ليبذل نفسه فدية عن خطية آدم عليه السلام أو خطايا البشر كما تدعي النصارى وإلا فما معنى أخذ هذه التدابير والاحتياطات، والالتجاء إلى الله والدعاء للنجاة من أيدي الأعداء الذين كانوا يريدون قتله ؟ .

٤و٥ - كان المسيح عليه السلام على يقين كامل أن الله معه دائما وأنه لا يخذله، ولذلك كان تنبأ بنجاته من القتل : كان عيسى عليه السلام على يقين كامل من الله سبحانه وتعالى بأنه ينصره على أعدائه، ولا يخذله لهم ولا يشمتهم به. ولذلك قال لتلاميذه في آخر تلك اللحظات التي سبقت عملية القبض : (هو ذا تأتي ساعة، وقد أتت الآن، تتفرقون فيها، كل واحد إلى خاصته، وتتركونني وحدي، وأنا لست وحدي، لأن الآب معي،

---

(١) إنجيل يوحنا (٧/١) .
(٢) انظر : انجيل يوحنا (٧/٣-١٠) .
(٣) إنجيل مرقس (١٤/٣٢-٤٢) .

قد كلمتكم بهذا ليكون لكم فيَّ سلام، في العالم سيكون لكم ضيق، ولكن ثقوا أنا قد غلبت العالم) [1].

وعيسى عليه السلام لم يكتف بإخبارهم عن نصرة الله وتأييد الرب إياه بل تنبأ بنجاته من القتل الذي كان يدبر له اليهود مكائدهم فقد جاء في إنجيل يوحنا : (فقال لهم يسوع : أنا معكم زمانا يسيرا بعد، ثم أمضي إلى الذي أرسلني، ستطلبونني، ولا تجدونني، وحيث أكون أنا لا تقدرون أنتم أن تأتوا . فقال اليهود فيما بينهم : إلى أين هذا مزمع أن يذهب حتى لا نجده نحن ؟ ألعله مزمع أن يذهب إلى شتات اليونانيين ويعلم اليونانيين . ما هذا القول الذي قال : ستطلبونني، ولا تجدونني، وحيث أكون أنا لا تقدرون أنتم أن تأتوا ؟) [2].

وفيه أيضا : (قال لهم يسوع أيضا : أنا أمضي وستطلبونني وتموتون في خطيئتكم . حيث أمضي أنا لا تقدرون أنتم أن تأتوا . فقال اليهود : ألعله يقتل نفسه حتى يقول : حيث أمضي أنا لا تقدرون أنتم أن تأتوا . فقال لهم : أنتم من أسفل و أنا من فوق ... فقال لهم يسوع : متى رفعتم ابن الإنسان فحينئذ تفهمون أني أنا هو، و لست أفعل شيئا من نفسي بل أتكلم بهذا كما علمني أبي، والذي أرسلني هو معي، ولم يتركني الآب وحدي لأني في كل حين أفعل ما يرضيه) [3] .

وفي إنجيل برنابا أن عيسى عليه السلام قال : (ولكن الأكثر من هذا : أنني سوف يبيعني ويغدر بي واحد من حواري كما بيع يوسف في مصر، لكن الله العادل سيدفعه إلى الهاوية كما يقول النبي داود : إنه سوف يدفع للسقوط في الهاوية من نصب شَرَكا لجاره إذ أن الله سوف ينقذني من أيديهم، وسوف يأخذني خارجا من الدنيا) [4].

فلو كان عيسى عليه السلام جاء ليبذل نفسه بموته على الصليب وليكون فدية عن الناس من خطاياهم لم يقل بأنه سيغلبهم جميعا، وأن أعداءه لا يستطيعون أن يصلوا إليه، وأنه ينجو منهم، وأن الله سوف يأخذه خارجا من الدنيا. لأنه مخالف للهدف الذي من أجله جاء المسيح كما تزعم النصارى . وإذ كان قد مات مصلوبا فدية عن الناس وكفارة لهم عن خطاياهم؛ فيكون إخباره بنجاته وبنصر الله له إخبارا باطلا وقولا كذبا. وما أدى إلى تكذيب المسيح وإخباره بخلاف الحق والواقع فهو باطل بلا ريب .

٦ – إن الله قبل دعاء عيسى عليه السلام ونجاه من أيدي اليهود : إن عيسى عليه السلام لما علم بمؤامرات اليهود وما كانوا يكيدون له ليتمكنوا من سفك دمه وقتله أخذ كل الأسباب اللازمة التي قد تكون سببا لحفظه ونجاته من أعدائه . ومن أهم تلك الأسباب وأكبرها أنه التجأ إلى من أرسله، وتضرع إليه، وطلب منه أن يحفظه من عبث اليهود ودسائسهم ومكرهم . فاستجاب له ربه، وقبل دعاءه، و نجاه من كيد

---

(١) إنجيل يوحنا (١٦/٣٢-٣٣) .
(٢) إنجيل يوحنا (٧/٣٣-٣٦) .
(٣) إنجيل يوحنا (٨/٢١-٢٩) .
(٤) إنجيل برنابا (الفصل التاسع و الثلاثون بعد المائة ص : ٣١٤) .

أعدائـــه. وقد نصت على ذلك كتبهم المقدسة لديهم ففي المزمور الحادي والتسعين يقول : (لأنك قلت : أنـــت يـــا رب ملجـــئي : جعلت العليّ مسكنك . لا يلاقيك شر ولا تدنو ضربة من خيمتك لأنه يوصي ملائكـــته بـــك لكي يحفظوك في كل طرقك، على الأيدي يحملونك لئلا تصدم بحجر رجلك، على الأسد والصـــل تطأ، الشبل والثعبان تدوس، لأنه تعلق بي أنجيه . أرفعه لأنه عرف اسمي، يدعوني فأستجيب له، معه أنا في الضيق، أنقذه وأمجده، من طول الأيام أشبعه وأريه خلاصي) [1] .

وجـــاء في الرسالة إلى العبرانيين المنسوبة إلى بوليس أنه قال فيها عن عيسى عليه السلام : (قدم بصراخ شديد ودموع طلبات وتضرعات للقادر أن يخلصه من الموت وسمع له من أجل تقواه) [2].

٧ – الذي صلب هو شبيه بالمسيح وليس هو المسيح : جاء في كيفية نجاته من كيد الأعداء أن الله ســـبحانه وتعـــالى رفـــع عيسى عليه السلام إليه، وألقي شبه عيسى عليه السلام على غيره، فأمسك ذلك الغير وصلب، وظن الظانون أنهم تمكنوا من إلقاء القبض على عيسى عليه السلام وتعليقه على الصليب حتى مات.

فقـــد جاء في إنجيل يوحنا على لسان المسيح عليه السلام أنه قال : (وكما رفع موسى الحية في البرية هكـــذا ينبغي أن يرفع ابن الإنسان) [3] ولا شك أن الحية التي كان رفعها موسى عليه السلام لم تكن حية حقيقيـــة، وإنما كانت عصا ولكنها كانت جعلت شبيهة بالحية الحقيقية. ولذلك قال الله تعالى عنها : ﴿ وألق عصاك فلما رآها تهتز كأنها جان ﴾ [4]. فالذي صلب ليس هو المسيح نفسه بل ألقي على غيره شبهه فصلب فظنوا أنهم قتلوا المسيح عليه السلام وصلبوه .

وجـــاء في إنجيل برنابا أن عيسى عليه السلام قال : (وبالرغم من أنني قد كنت بريئا في الدنيا، لكن بما أن أناسا قد دعوني إلها وابن إله؛ فإن الله – لكيلا تسخر مني الشياطين في يوم الحساب – قد شاء أن يسخر الـــناس مـــني في هذه الدنيا بموت" يهوذا " جاعلا سائر الناس يعتقدون أنني مت على الصليب، ولسوف تســـتمر هـــذه السخرية إلى أن يجيء محمد رسول الله الذي سوف يكشف – عندما يأتي – هذا الخداع للذين يؤمنون بشريعة الله) [5].

وفيه أيضا أن عيسى عليه السلام قال : (فإنني على يقين أن الذي سيبيعني سوف يقتل باسمي، لأن الله سوف يـــرفعني مـــن الدنيا، وسوف يغير مظهر الخائن حتى إن كل واحد سوف يعتقد أنه هو أنا، وبرغم ذلك فإنه عندما يموت ميتة شنعاء، سوف ألبث في ذلك العار إلى زمن طويل في الدنيا، لكن عندما سيأتي محمد الرسول

---

(١) سفر المزامير (٩١/٩-١٦) .
(٢) الرسالة إلى العبرانيين (٥/٧) .
(٣) إنجيل يوحنا (٣/١٤) .
(٤) النمل الآية : ١٠
(٥) إنجيل برنابا (الفصل العشرون بعد المائتين ، ص : ٤٦٥) .

المطهر من الله فإن هذا العار سوف يزال بعيدا، ولسوف يفعل الله هذا لأنني اعترفت بحقيقة (المسيا)، الذي سوف يعطيني هذا الجزاء، وهو : أنني سوف يُعْرَفُ عني أنني لست في شيء من هذه الميتة الشنعاء)[1].

وهذه السخرية وهذا العار الذي جاء ذكره في إنجيل برنابا والذي سيرفعه محمد رسول الله ﷺ ، فقد بين الله تعالى في القرآن الكريم الذي أنزله على عبده ورسوله محمد ﷺ بأن عيسى ﷺ لم يقتل، ولم يصلب، وإنما رفعه الله إليه . وأما الذين يزعمون أنه قتل وصلب ليس لديهم علم مؤكد وخبر يقيني عن ذلك، وإنهم لفي شك منه، وإنما يتبعون الظن فيما يقولون ويزعمون . فانظروا واستمعوا إلى دقة كلام الله تعالى في تعبيره عن الواقعة ورواتها وناقليها ومدعيها حيث قال الله عز وجل :

﴿ وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقينا * بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزا حكيما ﴾[2] .

فتبين مما سبق من النصوص أن المسيح طلب النجاة من الأعداء حتى لا يقتلوه، وأن الله سمع دعاءه فنجاه . فلو كان المسيح عليه السلام قد جاء ليكون فدية عن الناس ويتحمل خطاياهم ببذل نفسه كما تزعم النصارى لم يكن ليدعو ربه أن ينجيه من قتل اليهود له لأنه يتعارض مع الغاية التي جاء من أجلها .

٨ – عيسى عليه السلام كان يدعو إلى الأعمال الصالحة التي تؤدي إلى النجاة والفوز يوم القيامة، ويحذر من الأعمال السيئة التي تؤدي إلى العذاب والشقاء، ويحذر الناس من عذاب جهنم : إن موت المسيح على الصليب لا يكون كفارة لخطايا الناس ونجاة لهم يوم القيامة كما تزعم النصارى بل يكون الحساب والجزاء في ذلك اليوم حسب أعمال الناس، بعيدا كل البعد عن خرافات صلب المسيح عليه السلام . فمن كانت أعماله حسنة فله النعم، ومن كانت أعماله سيئة فله النقم . فالنجاة الحقيقية يوم القيامة لا علاقة لها بصلب المسيح عليه السلام وسفك دمه . فقد جاء في إنجيل متى : (يقول الملك للذين عن يمينه تعالوا ... رثوا الملكوت المعد لكم منذ تأسيس العالم لأني جعت فأطعمتموني، عطشت فسقيتموني، كنت غريبا فآويتموني، عريانا فكسوتموني، مريضا فزرتموني، محبوسا فأتيتم إلي .

فيجيبه الأبرار حينئذ قائلين : يارب متى رأيناك جائعا فأطعمناك أو عطشانا فسقيناك ؟ ومتى رأيناك غريبا فآويناك أو عريانا فكسوناك ؟ و متى رأيناك مريضا أو محبوسا فأتينا إليك ؟ .

فيجيب الملك ويقول لهم الحق : أقول لكم بما أنكم فعلتموه بأحد إخوتي الأصاغر فيَّ فعلتم .

ثم يقول أيضا للذين عن اليسار : اذهبوا عني يا ملاعين إلى النار الأبدية المعدة لإبليس وملائكته لأني جعت فلم تطعموني، عطشت فلم تسقوني، كنت غريبا فلم تأووني، عريانا فلم تكسوني، مريضا

---

(١) إنجيل برنابا (الفصل الثاني عشر بعد المائة ص : ٢٥٣-٢٥٤) .
(٢) النساء الآيتان : ١٥٧-١٥٨

ومحبوسا فلم تزوروني .

حينـــئذ يجيـــبونه هم أيضا قائلين : يا رب متى رأيناك جائعا أو عطشانا أو غريبا أو عريانا أو مريضا أو محبوسا ولم نخدمك ؟ فيجيبهم قائلا : الحق أقول لكم بما أنكم لم تفعلوه بأحد هؤلاء الأصاغر فبي لم تفعلوا. فيمضي هؤلاء إلى عذاب أبدي والأبرار إلى حياة أبدية) [(١)].

فالخلاص والنجاة يوم القيامة لا علاقة له بصلب المسيح بل يكون الحساب والجزاء حسب أعمال الناس. ولذلك لما سئل عيسى عليه السلام عن الأعمال التي تكون سببا للنجاة والحياة الأبدية أرشده إلى الأعمال الصالحة، وحـــذره من الأعمال السيئة فقد جاء في إنجيل متى أن المسيح عليه السلام بينما كان يسير خارجا : (وإذا واحد تقدم، وقال له : أيها المعلم الصالح ! أي صلاح أعمل لتكون لي الحياة الأبدية ؟ فقال له : لماذا تدعوني صالحا ليس أحد صالحا إلا واحد وهو الله ولكن إن أردت أن تدخل الحياة فاحفظ الوصايا . قال له : أية الوصايا ؟ فقال يسوع : لا تقتل، لا تزن، لا تسرق، لا تشهد بالزور، أكرم أباك وأمك، و أحب قريبك كنفسك . قال لـــه الشاب : هذه كلهما حفظتها منذ حداثتي فماذا يعوزني بعد ؟ قال له يسوع : إن أردت أن تكون كاملا فاذهب وبع أملاكك، وأعط الفقراء، فيكون لك كتر في السماء وتعال اتبعني) [(٢)].

وأيضـــا جاء في إنجيل متى أن عيسى عليه السلام خاطب تلاميذه وجماعة من الناس فقال لهم : (... ويل لكم أيها الكتـــبة والفرِّيسيُّون المراءون لأنكم تبنون قبور الأنبياء، وتزينون مدافن الصديقين . وتقولون لو كنا في أيام آبائنا لما شـــاركناهم في دم الأنبياء . فأنتم تشهدون على أنفسكم أنكم أبناء قتلة الأنبياء . فاملئوا أنتم مكيال آبائكم . أيها الحيات أولاد الأفاعي كيف تهربون من دينونة جهنم ؟) [(٣)].

فهذا عيسى ابن مريم يؤدي رسالته، ويمنع قومه عن البناء على قبور الأنبياء والصالحين، ويعرفهم بمـــا فعله آباؤهم من الجرائم الشنيعة كقتل الأنبياء، ويحذرهم عن فعل ما اقترفه آباؤهم، ويخوفهم من عـــذاب جهنم . وفي ذلك دلالة على بطلان ما تزعمه النصارى من أن المسيح عليه السلام كان جاء ليبذل نفســـه فدية عن الناس وكفارة لهم من خطاياهم التي اقترفوها أو ورثوها من خطيئة آدم عليه السلام؛ إذ لو كان جاء ليتحمل عن الناس خطاياهم بموته على الصليب لما خوفهم من عذاب جهنم، و لم يمنعهم من البناء على قبور الأنبياء والصالحين وقتلهم وغيرها من الأعمال التي تؤدي إلى عذاب جهنم [(٤)].

وفي رســـالة يعقوب : (الإيمان إن لم يكن له أعمال ميت في ذاته ... أنت تؤمن أن الله واحد . حســـنا تفعل . والشياطين يؤمنون ويقشعرون ولكن هل تريد أن تعلم أيها الإنسان الباطل أن الإيمان بـــدون أعمـــال ميت . ألم يتبرر إبراهيم أبونا بالأعمال إذ قدم ...ابنه على المذبح . فترى أن الإيمان

---

(١) إنجيل متى (٢٥/٣٣-٤٦) .
(٢) إنجيل متى (١٩/١٦-٢١) .
(٣) إنجيل متى (٢٣/٢٩-٣٣) .
(٤) انظر : الفارق بين المخلوق والخالق (ص : ٢٩٥) .

عمـــل مع أعماله وبالأعمال أكمل الإيمان ...ترون إذا أنه بالأعمال يتبرر الإنسان لا بالإيمان وحده ... لأنه كما أن الجسد بدون روح ميت هكذا الإيمان أيضا بدون أعمال ميت) [1].

فهـــذه النصوص المنقولة من الكتب المقدسة لدي النصارى تبين أن النجاة يوم القيامة يكون حسب أعمال الناس وإيمانهم . وفي ذلك دلالة على بطلان ما تزعمه النصارى من أن المسيح عليه السلام كان جاء ليتحمل عن الناس خطاياهم؛ إذ لو كان المسيح عليه السلام جاء لتكفير خطايا الناس التي هم اقترفوها أو وجدوها وراثة من خطيئة أبيهم آدم عليه السلام كما تزعم النصارى لما أحالهم إلى الإيمان والعمل الصالح و لم يخوفهم من عذاب جهنم بل لذكر لهم أنه لا داعي للاضطراب والقلق، ولا حاجة إلى العمل والإيمان، كونوا في راحة وطمانينة، أنا أكفيكم المئونة، وأتحمل عنكم خطاياكم؛ لأني ما جئت إلا لكفارة خطايا الناس . فهل المسيح عليه السلام لم يصدق الناس و لم ينصح لهم ؟ .

٩- زعمـــت النصـــارى أن الناس كلهم كانوا في غضب الله وعذابه منذ أن أكل آدم عليه السلام من الشجرة المحرمة إلى أن جاء المسيح عليه السلام وقدم نفسه فدية عن الناس جميعا يناقض ذلك ما جاء في أناجيلهم من وجود أناس قبل عيسى عليه السلام مشهود لهم بالخير والبر، والعصمة من الخطيئة والمعصية، والعظمة والقرب لدى الرب جل وعلا، فقد جاء في رسالة يعقوب : (فآمن إبراهيم بالله فحسب له برا ودعي خليل الله) [2].

فهذا يدل على أن إبراهيم عليه السلام كان محبوبا عند الله بل كان في أعلى درجات المحبة عند الله فقد اتخذه الله سبحانه وتعالى خليلا .

وجاء في إنجيل لوقا عن زكريا وزوجه عليهما السلام : (وكانا كلاهما بارين أمام الله سالكين في جميع وصايا الرب وأحكامه بلا لوم) [3].

وهذه شهادة من الإنجيل برضا الله عن زكريا عليه السلام وزوجه، وأنهما كانا بعيدين عن غضب الله وعقابه لكونهما يطبقان جميع وصايا الرب وأحكامه فلا لوم عليهما بأي وجه من الوجوه .

وجاء في إنجيل لوقا عن يحيى عليه السلام : (إنه يكون عظيما أمام الرب وخمرا ومسكرا لا يشرب، ومن بطن أمه يمتلئ من الروح القدس . ويرد كثيرين من بني إسرائيل إلى الرب إلاههم . ويتقدم أمامه بروح إيليا وقوته ليرد قلوب الآباء إلى الأبناء والعصاة إلى فكر الأبرار لكي يهيئ للرب شعبا مستعدا) [4].

وجـــاء في إنجيل متى أن عيسى عليه السلام قال عن يحيى عليه السلام : (نعم أقول لكم وأفضل من نبي . فإن هذا هو الذي كتب عنه ها أنا أرسل أمام وجهك ملاكي الذي يهيئ طريقك أمامك. الحق أقول لكم لم يقم بين المولودين من النساء أعظم من يوحنا المعمدان) [5] .

---

(١) رسالة يعقوب (٢/١٧-٢٦) .
(٢) رسالة يعقوب (٢/٢٣) .
(٣) إنجيل لوقا (١/٦) .
(٤) إنجيل لوقا عن يحيى عليه السلام (١/١٥-١٧) .
(٥) إنجيل متى (١١/٩-١١) .

فهذه نصوص من أناجيلهم تدل على أن إبراهيم عليه السلام وزكريا عليه السلام وزوجه وابنهما يحيى عليه السلام لم يكونـــوا في غضـــب الله وعقابه بل كانوا بعيدين عن كل ما يغضب الله جل وعلا، لأنهم كانوا يطبقون جميع وصايا الرب وأحكامه فكانت لهم منزلة وقربة عند الله تعالى فلا تصح دعوى النصارى أن الـــناس كـــلهم كانوا في غضب الله وعذابه وبالتالي لا يصح ما بنوا عليه من أن عيسى عليه السلام قدم نفسه فدية عن الناس حتى أخرج الناس كلهم من غضب الله وعذابه.

١٠ – لا تـــزر وازرة وزرة أخرى : الذي يفعل الخير يسعد به؛ والذي يفعل الشر يشقى به . وليس من العـــدل أن يخـــطئ شخص ويعاقب غيره . فقد جاء في كتاب حزقيل : (النفس التي تخطئ هي تموت . الابن لا يحمل من إثم الأب، والأب لا يحمل من إثم الابن . بر البار عليه يكون، وشر الشرير عليه يكون . فإذا رجع الشرير عن جميع خطاياه التي فعلها وحفظ كل فرائضي، وفعل حقا وعدلا فحياة يحيى . هل مسرة أسر بموت الشرير يقول السيد الرب . ألا برجوعه عن طرقه فيحيا . وإذا رجع البار عن بره وعمل إثما وفعل مثل كل الرجاسات التي يفعلها الشرير أفيحيا . كل بره الذي عمله لا يذكر . في خيانته التي خانها وفي خطيئته التي أخطأ بها يموت) [١].

وفي سفر التثنية : (لا يقتل الآباء عن الأولاد، ولا يقتل الأولاد عن الآباء . كل إنسان بخطيئته يقتل) [٢].

وإذا كانت تعليمات الكتاب المقدس لدى النصارى تمنع أن يحمل شخص إثم غيره، وتمنع أن يقتل أحد عن أحد. فكيف يصح لهم أن يعتقدوا بأن عيسى عليه السلام بذل نفسه عن الناس، وتحمل عنهم آثامهم، ومات مصلوبا ليكـــون كفارة لخطاياهم التي ورثوها من خطيئة أبيهم آدم عليه السلام ؟ وكيف يمكن أن يتوارث الناس تلك الخطيئة من عهد آدم عليه السلام إلى وقت صلب المسيح عليه السلام وكتابهم المقدس ينص على أن : " النفس التي تخطئ هي تموت. الابن لا يحمل من إثم الأب، والأب لا يحمل من إثم الابن. بر البار عليه يكون، وشر الشرير عليه يكون " ؟ .

١١ – يـــلزم مـــن قولهم هذا عدم تسليم نبوات الأنبياء الذين جاءوا قبل المسيح عليه السلام لأنه لم تكفر عـــنهم تـــلك الخطيئة، وجميع الناس كانوا متلبسين بها إلى وقت الصلب كما تزعم النصارى . فكيف اتخذ الله ســـبحانه وتعالى منهم الأنبياء والمرسلين وقد ورد في التوراة المحرفة في سفر المزامير منها : (لا تقوم الأشرار في الديـــن، ولا الخطاة في جماعة الأبرار) [٣] فإذا كان إبراهيم وموسى وغيرهم من الأنبياء من أهل الخطيئة، على زعم النصرانية، فكيف دخلوا في جماعة الرب ؟ [٤].

١٢ – ويـــلزم مـــن القول بصلب المسيح فدية عن البشر أن عيسى عليه السلام كان من الأشرار لأنه جـــاء في سفر أمثال : (الشرير فدية الصديق، ومكان المستقيمين الغادر) [٥]. ومن تأمل في هذا النص من

---

(١) سفر حزقيال (١٨/٢٠-٢٤) .
(٢) سفر التثنية (٢٤/١٦) .
(٣) سفر المزامير (١/٥) .
(٤) الفارق بين المخلوق والخالق (ص : ٤٧٨)؛ ومناظرة بين الإسلام والنصرانية (ص : ١٢٥) .
(٥) سفر الأمثال (٢١/١٨) .

التوراة جزم قطعا بأن المصلوب غير المسيح وإلا لزم كون المسيح من الأشرار – وحاشاه – لأنهم قالوا عنه : إنه فدية عن الناس، وهذا لا يستسيغه عقل ولا يقره شرع حتى النصارى لا يرضون به [1].

١٣– زعمت النصارى أن الفدية لا بد أن تكون طاهرة خالية من كل عيب ولوم ودنس حتى تكون مقبولة ولكنهم وصفوا فديتهم المزعومة بما يسلب منها الطهارة والقداسة، وبيان ذلك من وجوه وهي كما يلي :

أ– جاء في إنجيل متى : (جاء يوحنا لا يأكل ولا يشرب فيقولون فيه شيطان . جاء ابن الإنسان يأكل ويشرب فيقولون هو ذا إنسان أكول وشريب خمر. محب للعشارين والخطاة) [2]. فهم وصفوا عيسى عليه السلام بأنه كان يكثر من الإدمان وشرب الخمر .

ب– جاء في إنجيل يوحنا أنه قال لأمه في وسط جمع من الناس : (ما لي ولك يا امرأة، لم تأت ساعتي بعد) [3].

وجاء في إنجيل لوقا : (وجاء إليه أمه وإخوته . ولم يقدروا أن يصلوا إليه لسبب الجمع . فأخبروه قائلين أمك وإخوتك واقفون خارجا يريدون أن يروك . فأجاب وقال لهم : أمي وإخوتي هم الذين يسمعون كلمة الله ويعملون بها) [4].

فهم وصفوا عيسى عليه السلام بأنه لم يكن بارا بأمه وأنه لم يكن يحترمها بل كان يزجرها وينهرها ويقسو في الكلام معها أمام الناس بل كان يخاطبها بكلام شديد كأنها غير مؤمنة، ولو سلم أن الذين جاءوا مع أمه لم يكونوا مؤمنين ولكن هل كانت أمه كذلك ؟ وهل كانت تستحق أم المسيح التي اصطفاها الله وطهرها وفضلها على نساء العالمين – من ابنها البار هذا الجزاء؟ لا شك أن الغلظة والقسوة مع الأم وإهانتها ذنب عظيم في جميع الشرائع والآداب والأعراف البشرية .

ج– جاء في إنجيل متى : (ثم أصعد يسوع إلى البرية من الروح ليجرب من إبليس فبعد ما صام أربعين نهارا وأربعين ليلة جاع أخيرا فتقدم إليه المجرب وقال له إن كنت ابن الله فقل أن تصير هذه الحجارة خبزا ... ثم أخذه إبليس إلى المدينة الفاضلة وأوقفه على جناح الهيكل وقال له إن كنت ابن الله فاطرح نفسك إلى أسفل ...ثم أخذه أيضا إبليس إلى جبل عال جدا وأراه جميع ممالك العالم ومجدها وقال له أعطيك هذه جميعها إن خررت وسجدت لي ...)[5] .

فهم زعموا أن عيسى عليه السلام بقي أكثر من أربعين ليلة تحت تجربة إبليس، وأنه كان يأخذ به إلى

---

(١) انظر : الفارق بين المخلوق والخالق (ص : ٤٧٨) .
(٢) إنجيل متى (١١/١٨-١٩) .
(٣) إنجيل يوحنا (٢/٤) .
(٤) إنجيل لوقا (٨/١٩-٢١) .
(٥) إنجيل متى (٤/١- ٩) .

حيث شاء، ويجربه ويفتنه، ويدعوه إلى عبادته والسجود له .

فقـد وصفت النصارى عيسى عليه السلام بأنه كان يكثر من الإدمان وشرب الخمر ، وأنه لم يكن بارا بأمـه بـل كـان يزجرها وينهرها ويقسو في الكلام معها أمام الناس بل قال لها كلاما شديدا كأنها لا تؤمن بنبوته ورسـالته، وأنه بقي أكثر من أربعين ليلة تحت تجربة إبليس، فكان يأخذه إلى حيث شاء، ويجربه ويفتنه ويدعوه إلى عبادته والسجود له.

فإذا كان هذا هو عيسى عليه السلام كما زعمت النصارى فهو غير صالح لأن يكون فدية عن الناس لأن الفدية يجب أن تكون طاهرة مقدسة من كل عيب ولوم ودنس . وأما نحن معشر المسلمين فنبرئه من كل ذلك .

١٤- طوائـف مـن النصارى تنكر القول بصلب المسيح عليه السلام : ولما كان القول بصلب المسيح عليه السلام عـلى الـنحو الـذي تـزعمه النصارى بعيدا عن الحق والصواب، ومخالفا للعقل السليم والفطرة المسـتقيمة، وبعيـدا لما دل عليه أقوال المسيح عليه السلام - رفض كثير من طوائف النصارى الاعتقاد به [١]، فمـنهم مـن رفضـه استنادا إلى الأدلة التاريخية [٢] ومنهم من أنكرها لأن في ذلك إهانة ونقضا لشرف المسيح، وهذه الإهانة لا يصح أن تنسب إلى المسيح عليه السلام إذا قلنا أنه نبي فكيف يصح أن تنتسب إليه على ما تعتقد فيه النصارى من أنه ابن الله وأنه هو الله ؟! .

الحاصل : إن ما تزعم النصارى من أن خطيئة آدم عليه السلام كانت قد انتقلت إلى أبنائه فهم كانوا مدنسـين مثقلين بتلك الخطيئة، بعيدين عن الله سبحانه وتعالى بسببها، حتى جاء المسيح عليه السلام فقدم نفسـه فدية عنهم، واختار موته على الصليب لأجلهم، وبذلك فك عن الناس أغلالهم ووضع عنهم إصـرهم وتحمل عنهم خطاياهم وأرضى عنهم ربهم، فتمت المصالحة بينه وبين عباده عن طريق موته على الصليب فهذا قول باطل وزعم فاسد بعيد عن الصواب كل البعد، عار عن الأدلة والبراهين، لا تستسـيغه العقـول السليمة، وتأباه الفطر المستقيمة، ويتعارض مع الأقوال المحكية عن عيسى عليه السلام، ويتعارض مع ما أنزله الله تعالى في القرآن الكريم من الحق الواضح . فعقيدة النصارى بأن عيسى عليه السلام مات لأجل خطايا الناس عقيدة مرفوضة قطعا، والله أعلم بالصواب .

---

(١) انظر أسماء هذه الطوائف النصرانية التي أنكرت القول بصلب عيسى عليه السلام وشهادات من كبار علماء النصارى على ذلك في كتاب " الفارق بين المخلوق والخالق " (ص : ٤٦٤-٤٦٦)، وانظر ما ذكره الشيخ محمود قدح مـن أسماء هذه الفرق في تحقيقه لكتاب : تحجيل من حرف التوراة والإنجيل (ص : ٣٣٨) وقد ذكر اثني عشرة فـرقة التي أنكرت قصة صلب المسيح كحادثة وقعت أو كعقيدة تكفيرا عن الخطيئة. وهذه الفرق تعتبر عند معظم النصارى من الفرق المارقة من دينهم والفرق الثلاث الكبار : الكاثوليك، الأرثوذكس، البروتستانت كلها متفقة في هذا القول . انظر : الأديان والفرق والمذاهب المعاصرة (ص : ٥٣-٥٤) .

(٢) انظر لذلك ما ذكره عبد الرحمن باجه جي زاده في كتابه : الفارق بين المخلوق والخالق (ص : ٤٦٣-٤٧٠) من الأدلة التاريخية في رد دعوى صلب ذات المسيح عليه السلام .

المبحث الثالث : توبة آدم وزوجه عليهما السلام، وفيه أربعة مطالب .

المطلب الأول : معنى التوبة .

أولا : معنى التوبة في اللغة .

(تــوب) التاء والواو والباء كلمة واحدة تدل على الرجوع [1]. يقال : تاب فلان إلى الله يــتوب توبــا وتوبة ومتابا وتابة وتتوبة [2]؛ أي : رجع عن معصية الله تعالى إلى طاعته، وأناب إليه سبحانه .

ويقال : تاب الله عليه؛ أي : عاد عليه بالمغفرة ووفقه للتوبة وقبلها منه أو رجع به من التشديد إلى التخفيف أو رجع عليه بفضله وكرمه وقبوله [3]. وهذه كلها معان صحيحة واردة [4].

قال ابن جرير الطبري : (إن معنى التوبة من العبد إلى ربه إنابته إلى طاعته وأوبته إلى ما يرضيه، بتركه ما يسخطه من الأمور التي كان عليها مقيما مما يكرهه ربه؛ فكذلك توبة الله على عبده هو أن يرزقه ذلك ويؤوب من غضبه عليه إلى الرضا عنه ومن العقوبة إلى العفو والصفح عنه) [5].

فالتوبة لفظ يشترك فيها العبد والرب سبحانه وتعالى .

فيقــال للعبد تاب يتوب تائب وتواب قال تعالى : ﴿ ومن تاب وعمل صالحا فإنه يتوب إلى الله متابا ﴾ [6] وقال تعالى : ﴿ إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين ﴾ [7] .

---

(١) انظر : تهذيب اللغة (١٤/٣٣٢)؛ ومعجم مقاييس اللغة (١/٣٥٧)؛ وتاج العروس من جواهر القاموس (٢/٧٨)؛ وروح المعاني (١/٢٣٧) .

(٢) تتوبة على وزن تفعلة شاذ قليل الاستعمال . انظر : تاج العروس من جواهر القاموس (٢/٧٧) .

(٣) انظر : تهذيب اللغة (١٤/٣٣٢)؛ والصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (١/٩١-٩٢)؛ وتاج العروس من جواهر القاموس (٢/٧٧- ٧٨)؛ ومعجم متن اللغة (١/٤١٢) .

(٤) انظر : تاج العروس من جواهر القاموس (٢/٧٨) .

(٥) جامع البيان عن تأويل آي القرآن (١/٢٤٦) .

(٦) الفرقان الآية : ٧١

(٧) البقرة الآية : ٢٢٢

ويقال للرب تاب يتوب تواب قال تعالى : ﴿ ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى ﴾ [1] وقال تعالى : ﴿ فتلقى ءادم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم ﴾ [2] .

فالتوبة إذا أضيفت إلى العبد فمعناه أنه أناب إلى الله سبحانه وتعالى، ورجع عن معصيته إلى طاعته . وإذا أضيفت إلى الله سبحانه وتعالى فيكون معناه أن الله سبحانه وتعالى وفقه للتوبة، وهداه إليها، وقبلها منه، وعاد إليه بالمغفرة والرحمة . فمعنى العبد التواب : كثير الرجوع و التوبة والإنابة إلى الله تعالى. ومعنى الرب التواب سبحانه وتعالى : الذي يقبل توبة عباده كثيرا، ويوفقهم لها كلما تابوا وأنابوا إليه سبحانه وتعالى رحمة منه وفضلا [3].

ثانيا : معنى التوبة في الشرع .

وأما التوبة في الشرع فقد عرفها أهل العلم بتعريفات كثيرة وهي متقاربة في المعنى متحدة في الدلالة [4] ولذا أكتفي بذكر تعريف واحد منها.

قال الحافظ ابن كثير في تعريف التوبة الشرعية : (قال العلماء : التوبة النصوح هو أن يقلع عن الذنب في الحاضر، ويندم على ما سلف منه في الماضي، ويعزم على أن لا يفعل في المستقبل ، ثم إن كان الحق لآدمي رده إليه بطريقه) [5] .

فالتوبة الشرعية الصحيحة لها أربعة شروط، وهي التي ورد ذكرها في كلام الحافظ ابن كثير، ويمكن أن يضاف إليها شرط خامس، وهو أن تكون التوبة في وقتها؛ أي : قبل إغلاق باب التوبة [6]، وهو نوعان :

---

(١) طه الآية : ١٢٢

(٢) البقرة الآية : ٣٧

(٣) انظر : تهذيب اللغة (٣٣٣/١٤)؛ ومفردات ألفاظ القرآن (ص : ١٩٦)؛ والتحرير والتنوير من التفسير (٤٣٩/١)؛ والتوبة في ضوء القرآن الكريم (ص : ١٨) .

(٤) انظر : تعريفات التوبة الشرعية في الكتب التالية : جامع البيان عن تأويل آي القرآن (٢٤٦/١)؛ ومفردات ألفاظ القرآن (ص : ١٦٩)؛ والجامع لأحكام القرآن (٩١/٥)؛ ومدارج السالكين (٣٠٥/١-٣٠٦)؛ وفتح الباري (١٠٣/١١)؛ وروح المعاني (٢٣٧/١)؛ وأضواء البيان (١٣٨/٦)؛ والتوبة في ضوء القرآن الكريم (ص : ٢١) .

(٥) تفسير القرآن العظيم (٣٩٢/٤) .

(٦) انظر : أحكام من القرآن الكريم للشيخ محمد بن صالح العثمين (ص : ١٧٩-١٨٠) .

أحدهمـــا خاص بكل شخص، وهو أن تكون توبته قبل الغرغرة واحتضار الموت .

قـــال تعالى : ﴿ وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار أولئك أعتدنا لهم عذابا أليما ﴾ [١] .

وعن ابن عمر — رضي الله عنهما — قال : إن الله تبارك وتعالى يقبل توبة العبد ما لم يغرغر [٢].

والآخـــر عـــام، وهو أن تكون التوبة قبل ظهور أمارات الساعة الكبرى. فعن أبي موســى الأشعري ﷺ عن النبي ﷺ قال : إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار . ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها [٣].

عـــن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغـــربها. فإذا طلعت من مغربها آمن الناس كلهم أجمعون، فيومئذ ﴿ لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا ﴾ [٤] [٥].

وعن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : ثلاث إذا خرجن، لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا : طلوع الشمس من مغربها، والدجال ودابة الأرض [٦].

فالتوبة لا بد أن تكون قبل فوات الأوان؛ أي :قبل غرغرة التائب، وقبل ظهور علامة من علامات الساعة الكبرى. وأدعو الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا للتوبة ويقبلها منا بفضله ورحمته؛ فإنه هو التواب الرحيم .

---

(١) النساء الآية : ١٨

(٢) أخـــرجه حـــم (٤٦١/١٠ ح : ٦٤٠٨)؛ و ت (أبواب الدعوات، ب: في فضل التوبة والاستغفار ٥٤٧/٥ ح : ٣٥٣٧)؛ وقـــال : هذا حديث حسن غريب؛ وحب كما في الإحسان (٣٩٥/٢ ح : ٦٢٨) وكم (٢٥٧/٤)، وقال : (هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه)ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٤٥٣/٣ ح : ٣٥٣٧) .

(٣) أخرجه م (التوبة، ب : قبول التوبة من الذنوب .... ٢١١٣/٤ ح ٢٧٥٩) .

(٤) الأنعام الآية : ١٥٨

(٥) أخرجه م (الإيمان، ب : بيان الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان ١٣٧/١ ح : ١٥٧) .

(٦) أخرجه م (الإيمان، ب : بيان الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان ١٣٨/١ ح : ١٥٨) .

المطلب الثاني : الكلمات التي تلقاها آدم عليه السلام من ربه .

إن آدم عليه السلام لـما أكل من الشجرة المحرمة في الجنة ندم على أكله منها، فأناب إلى ربه وتاب إليه. قال تعالى : ﴿فأكلا منها فبدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وعصى آدم ربه فغوى * ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى﴾ (1) وقال تعالى : ﴿ فتلقى ءادم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم ﴾ (2) ولذلك يعتقد جميع المسلمين (3) أن آدم عليه السلام تاب إلى الله تعالى من تلك المعصية، وأن الله تعالى لقنه تعالى كلمات التوبة وتاب عليه، ولكن اختلفت أقوال أهل العلم في بيان تلك الكلمات التي تلقاها آدم عليه السلام من ربه فتاب الله عليه، وفيما يلي ذكرها :

القول الأول : الكلمات التي تقلاها آدم عليه السلام من ربه هي الوارد ذكرها في قوله تعـالى : ﴿ قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين ﴾ (4). قال به أبـو العاليـة (5) وسـعيد بـن جـبير (6)

---

(1) طه الآيتان : 121-122

(2) البقرة الآية : ٣٧

(٣) إن اليهود والنصارى ذكروا خطيئة آدم عليه السلام بأنه أكل من الشجرة المحرمة ولكنهم لم يذكروا في كتبهم شيئا عن توبة آدم عليه السلام واستغفاره ربه من مخالفته ومغفرة الله له، مع أن الله سبحانه وتعالى أخبر في كتابه عن توبة آدم عليه السلام إلى الله وتوبـته سبحانه عليه. وعدم اعتقاد النصارى توبة آدم عليه السلام إلى الله وتوبة الله سبحانه عليه جعلهم يعتقدون انتقال خطيئة آدم إلى أبنائه وجعلهم يفترون عقيدة الصلب والفداء والخلاص، وقد سبق الرد عليها مفصلا في (ص : ٤٧٨-٤٩٧).

(٤) الأعراف الآية : ٢٣

(٥) ذكره البخاري (الأنبياء، ب : خلق آدم صلوات الله عليه و ذريته ١٢٠٩/٣) تعليقا بصيغة الجزم، ووصله الحـافظ ابن حجر في (تغليق التعليق ٥/٤)، وقال : في (فتح الباري ٣٦٦/٦) : (وصله الطبري بإسناد حسن) وأخرجه الطبري في تفسيره (٢٤٣/١-٢٤٤) بإسناد آخر غير الإسناد الذي ذكره الحافظ في تغليق التعليق، وكلا الإسنادين فيهما ضعف ولكن يتقوي أحدهما بالآخر فيكون حسنا والله أعلم بالصواب .

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٣٦/١ برقم : ٤١٤) وفي الإسناد خصيف بن عبد الرحمن الجزري، وهو صدوق سيء الحفظ خلط بآخره، إلا أن الراوي عنه هنا أحد السفيانين، وقد قال ابن عدي (إذا حدث عن خصـيف ثقـة فلا بأس بحديثه ورواياته) فالظاهر أن هذا الأثر ثابت عن سعيد بن جبير والله أعلم . انظر : تقريب التهذيب (ص : ١٩٣ برقم : ١٧١٨)؛ وتهذيب التهذيب (٨٧/٢) .

ومجاهد [1] وقتادة [2] والحسن [3] وابن زيد [4]، وهو محكي عن الضحاك [5]. وذكر ابن أبي حـاتم [6] وابـن كثير [7] أنه قد روي نحو هذا القول عن محمد بن كعب القرظي [8] وخـالد بـن معدان [9] وعطاء الخراساني [10] والربيع بن أنس . وهو الذي رجحه ابن جريرالطبري [11]، وابن الجوزي [12] وشيخ الإسلام ابن تيمية [13] لموافقة ظاهر القرآن له.

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١/٢٤٤)؛ و ابن أبي حاتم في تفسيره (١/١٣٦ برقم : ٤١٤) بإسنادهما إليه، وفيه خصيف بن عبد الرحمن الجزري وقد سبق الكلام عنه في الهامش السابق ولكن تابعه هنا النضر بن عربي الباهلي وهو صدوق لا بأس به، كما ذكر الحافظ في التقريب (ص : ٥٦٢ برقم : ٧١٤٥) وروايته عند ابن جرير الطبري في تفسيره (١/٢٤٥) إلا أن ابن وكيع وهو شيخ الطـبري في هذا الإسناد ضعيف، ثم إن هذا الأثر رواه عن خصيف ثلاث ثقات : أولهما : أحد السفيانين وروايته عند الطبري في تفسـيره (١/٢٤٤). والـثاني : قيس بن سليم العنبري وهو أيضا ثقة، وروايته عند الطبري في تفسيره (١/٢٤٤)؛ وفي تاريخه (١/٨٥) . والـثالث : زهير بن معاوية الجعفي وهو أيضا ثقة ثبت، وروايته عند ابن الجوزي في (المنتظم ١/٢١٣-٢١٤)، وقد سبق ذكر قول ابن عدي في الهامش السابق أنه إذا حدث عن خصيف ثقة فلا بأس بحديثه ورواياته، فنظرا إلى رواية ثلاثة من الثقات عنه و متابعة الصدوق له يتبين أن هذا الأثر صحيح ثابت إلى مجاهد والله أعلم بالصواب .

(٢) أخـرجه عـبد الرزاق الصنعاني في تفسيره (١/٤٤)، ومن طريقه أخرجه الطبري في تفسيره (١/٢٤٥)، وإسناده صحيح، كما في التفسير الصحيح (١/١٤٣) .

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١/٢٤٥)، وإسناده صحيح، كما في التفسير الصحيح (١/١٤٣) .

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (١/٢٤٥)، ورجال إسناده كلهم ثقات .

(٥) أخـرجه الطبري في تفسيره (٨/١٤٦)، وإسناده ضعيف؛ لأن فيه هشيم بن بشير الواسطي، من مدلسي الطـبقة الثالثة، كما في (طبقات المدلسين ص : ٤٧ برقم : ١١١)، وقد عنعن في هذه الرواية، وكذلك شيخه جويبر بن سعيد الأزدي ضعيف جدا . انظر : تقريب التهذيب (ص : ٤٣ برقم : ٩٨٧) .

(٦) انظر : تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (١/١٣٦-١٣٧) .

(٧) انظر : تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/٨١)؛ والبداية والنهاية (١/٨٠-٨١) .

(٨) محمـد بـن كعـب بن سليم، القرظي، المدني، ثقة عالم، مات سنة ١٢٠هـ على الصحيح . انظر : تقريب التهذيب (ص : ٥٠٤ برقم : ٦٢٥٧) .

(٩) خالد بن معدان الكلاعي الحمصي، ثقة عابد يرسل كثيرا، توفي سنة ١٠٣هـ وقيل غير ذلك. انظر : تقريب التهذيب (ص : ١٩٠ برقم : ١٦٧٨) .

(١٠) عطـاء بـن أبي مسلم، أبو عثمان الخراساني، صدوق يهم كثيرا ويرسل ويدلس، توفي ١٣٥هـ . انظر : تقريب التهذيب (ص : ٣٩٢ برقم : ٤٦٠٠) .

(١١) انظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن (١/٢٤٥) .

(١٢) انظر : المنتظم في تاريخ الأمم والملوك (١/٢١٣-٢١٤) .

(١٣) انظر : تلخيص كتاب الاستغاثة (١/٦٨) .

القول الثاني : ما رُوِيَ عن أبي بن كعب ﷺ أنه قال : قال رسول الله ﷺ : قال آدم ﷺ : أرأيت يا رب إن تبت ورجعت أعائدي إلى الجنة ؟ قال نعم . قال : فذلك قوله : ﴿ فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه ﴾ [1] ، ونحوه قال الحسن [2] وقتادة [3] .

القـــول الثالث : إن آدم ﷺ قال : أي رب ألم تخلقني بيدك ؟ قال : بلى . قال : أي رب ألم تـــنفخ في من روحك ؟ قال : بلى . قال : أي رب ألم تسكني جنتك ؟ قال :بلى . قـــال : أي رب ألم تســـبق رحمتك غضبك ؟ قال : بلى . قال : أرأيت إن تبت وأصلحت أراجعـــي أنت إلى الجنة ؟ قال : بلى . قال : فهو قوله : ﴿ فتلقى آدم من ربه كلمات ﴾ . قاله ابن عباس – رضي الله عنهما – [4] ، و نحوه حُكِي عن السدي [5].

القول الرابع : إن آدم ﷺ قال : أي رب أرأيت ما أتيت أشيء ابتدعته من تلقاء نفسي أم شيء قدرته علي قبل أن تخلقني ؟ قال : لا بل شيء قدرته عليك قبل أن أخلقك . قال : يا رب فكما قدرته علي فاغفره لي . فذلك قوله تعالى :﴿ فتلقى ءادم من ربه كلمات فتاب عليه ﴾ . قاله عبيد بن عمير ﷺ [6] .

---

(١) أخـــرجه ابـــن أبي حـــاتم في تفســـيره (١/١٣٥ برقم : ٤١٠)، وإسناده ضعيف. قال الحافظ ابن كثير في تفسيره (١/٨١)؛ وفي البداية والنهاية (١/٨١) : (هذا حديث غريب من هذا الوجه وفيه انقطاع)، وقد ذكر محقق تفسير ابن أبي حاتم أن في هذا الإسناد أربع علل .

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١/٢٤٣) وإسناده صحيح .

(٣) أخرجه الطبري في المصدر السابق، وإسناده صحيح .

(٤) إسناده صحيح إلى ابن عباس – رضي الله عنهما – وقد سبق تخريجه والحكم عليه في (ص : ٤٤٨).

(٥) أخرجه عنه ابن جرير الطبري في تفسيره (١/٢٤٤) بإسناد ضعيف. انظر : (ص : ٩٧-٩٨و٣٦٨).

(٦) أخرجه الدارمي في (الرد على الجهمية ص : ١٢٣-١٣٣ برقم : ٢٧٧-٢٧٨) بإسناده، وابن جرير الطبري في تفسيره (١/٢٤٤) من أربعة طرق ، و ابن أبي حاتم في تفسيره (١/١٣٦ برقم : ٤١٣)؛ وأبو الشيخ في (العظمة ٥/١٥٤٩ برقم : ١٠١١)؛ وأبو نعيم في (حلية الأولياء ٣/٢٧٣)؛ والآجري في (الشريعة ٢/٧٣٥-٧٣٦ برقم : ٣٢٢) بأسانيدهم وكلهم يجتمعون في الرواية عن عبد العزيز بن رفيع عمن سمع عبيد بن عمير . وهذا الإسناد ظاهره يدل على أن الذي روى عنه عبد العزيز مبهم. ولعل هذا الراوي المبهم هو مجاهد فقد ذكر ابن كثير في تفسيره (١/٨١) أنه قال في رواية : أخبرني مجاهد عن عبيد بن عمير . أخرجه الطبري في تفسيره (١/٢٤٤)؛ والآجري في (الشريعة ٢/٧٣٦-٧٣٧ برقم : ٣٢٣) من طريق عبد الرزاق ثنا الثوري عن عبد العزيز بن رفيع عن عبيد بن عمير. وعبد العزيز يروي عن عبيد بن عمير. فيمكن أن يكون عبد العزيز سمعه بواسطة مجاهد وبدون واسطة . الحاصل أن هذا الأثر إسناده متصل صحيح إلى عبيد بن عمير . وألفاظ الروايات متقاربة إلا أن الجملة الأخيرة من قوله : أي رب فكما قدرته علي فاغفره لي " لم يذكرها أبو نعيم والآجري في روايته الأولى، وأمـــا عبيد بن عمير فهو الليثي، ولد في عهد النبي ﷺ كما قال مسلم وعده غيره من كبار التابعين، مجمع على ثقته. انظر : تقريب التهذيب (ص : ٣٧٧ برقم : ٤٣٨٥) .

القـــول الخامس : إن آدم ﷺ لما أصاب الخطيئة فزع إلى كلمة الإخلاص فقال : لا إلـــه إلا أنـــت سبحانك وبحمدك رب عملت سوءا وظلمت نفسي فاغفر لي أنت خير الغافرين. لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك رب عملت سوءا وظلمت نفسي فارحمني إنك أرحم الراحمين . لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك رب عملت سوءا وظلمت نفسي فتب عـــلي إنك أنت التواب الرحيم . هذا القول محكي عن ابن عباس [١] سعيد بن جبير [٢] ومجاهد [٣] وعن عبد الرحمن يزيد بن معاوية مختصرا [٤].

القـــول الســـادس : الكلمات التي تلقاها آدم ﷺ من ربه أنه سبحانه علمه شأن الحج. هذا القول منسوب إلى ابن عباس – رضي الله عنهما – [٥].

القول السابع : هي الحياء و الدعاء و البكاء . ذكره البغوي والقرطبي [٦].

القول الثامن : هي الندم و الاستغفار و الحزن . ذكره القرطبي [٧].

---

(١) أخـــرجه أبو الشيخ في (العظمة ١٥٤٩/٥ برقم : ١٠١٠) وإسناده ضعيف جدا لأن فيه أبان بن أبي عياش العبدي وهو متروك . انظر : تقريب التهذيب (ص : ٨٧ برقم : ١٤٢) .

(٢) أخرجه هناد في (الزهد ٤٦١/٢ برقم : ٩١٨) وهو كالإسناد السابق للعلة نفسها .

(٣) أخـــرجه الطـــبري في تفسيره (٢٤٤/١-٢٤٥)، وفي الإسناد أبو حذيفة موسى بن مسعود النَّهدي، وهو صدوق سيء الحفظ وكان يصحف . (تقريب التهذيب ص :٥٥٤) . وكذلك فيه عبد الله ابن أبي نجيح وهو مع ثقته موصوف بالتدليس عن مجاهد، ذكره الحافظ في (طبقات المدلسين ص : ٣٩ برقم : ٧٧) في المرتبة الثالـــثة، وهذه الرواية عن مجاهد وقد عنعن فيها ولكن تابعه هنا عبد الله بن كثير الداري وهو ثقة . (تهذيب الكمال ٤٦٨/١٥)، وروايته عند ابن أبي حاتم في تفسيره (١٣٧/١ برقم : ٤١٥) باختصار، إلا أن إسناد ابن أبي حاتم أيضا معلول بالعلة الأولى التي في إسناد الطبري فالإسناد لا يخلو من الضعف، والله أعلم.

(٤) أخـــرجه الطـــبري في تفسيره (٢٤٤/١)، ورجال الإسناد كلهم ما بين ثقة وصدوق ماعدا رجل واحد، لم أتمكـــن من معرفته وهو حميد بن نبهان الراوي عن عبد الرحمن بن يزيد وقد بحثت عنه كثيرا فلم أظفر به، وكذلك لم يعرفه الشيخ أحمد محمد شاكر إذ قال في تعليقه على تفسير الطبري (٥٤٥/١، الهامش رقم : ١) : (حميـــد بن نبهان لم أجد له ترجمة ولا ذكرا وأخشى أن يكون محرفا عن شيء لا أعرفه). وعبد الرحمن بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان، صدوق، مات على رأس المائة. انظر : تقريب التهذيب (ص : ٣٥٣) .

(٥) أخـــرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٣٥/١-١٣٦ برقم : ٤١٢)، وذكر المحقق أن الإسناد ضعيف لإبهام شيخ أبي إسحاق عمرو بن عبد الله السبيعي، ولأن زهير بن معاوية الجعفي أخذ من شيخه أبي إسحاق بعد اختلاطه. و الأمر كما قال .

(٦) انظر بالترتيب : معالم التنزيل (٦٥/١)؛ و الجامع لأحكام القرآن (٣٢٤/١) .

(٧) انظر : الجامع لأحكام القرآن (٣٢٤/١) .

هذه الأقوال وإن كانت مختلفة في ألفاظها وعباراتها لكنها مجتمعة في معناها ومفهومها ومتفقة في الدلالة على أن آدم ﷺ ندم على فعله واعترف بذنبه وأناب إلى ربه، وأنه طلب المغفـــرة والرحمة من ربه سبحانه وتعالى ، فلقاه الله كلمات من عنده سبحانه فقبلها آدم ﷺ وعمل بها وتاب بقوله إياها وعمله بها إلى الله من خطيئته، فتاب الله عليه وغفر له ما صـــدر مـــنه [1] ومع ذلك يمكن أن يقال أولى هذه الأقوال هو القول الأول لموافقة ظاهر القرآن الكريم له، والله أعلم بالصواب .

(١) انظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن (١/٢٤٥)؛ والتوسل وأنواعه وأحكامه (ص : ١٢٦) .

المطلب الثالث : دعوى أن آدم عليه السلام توسل بحق النبي ﷺ أو أنه توسل بحق محمد ﷺ وعلي وفاطمة والحسن والحسين – رضي الله عنهم – والرد عليها، وبيان حكم التوسل بذوات المخلوقين الفاضلة .

أولا : دعوى أن آدم عليه السلام توسل بحق النبي ﷺ وجاهه وبيان بطلانها .

هناك من يزعم أن آدم عليه السلام لما أخطأ في الجنة بأكله من الشجرة المحرمة توسل بحق النبي ﷺ، فلما توسل بحق النبي ﷺ وجاهه قبل الله توبته وغفر له .

وقد استدل هؤلاء بما روي من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : لما اقترف آدم الخطيئة، قال : يا رب أسألك بحق محمد لما غفرت لي، فقال الله : يا آدم! وكيف عرفت محمدا، ولم أخلقه ؟ قال : يا رب لأنك لما خلقتني بيدك، ونفخت في من روحك رفعت رأسي؛ فرأيت على قوائم العرش مكتوبا : لا إله إلا الله محمد رسول الله؛ فعلمت أنك لم تضف إلى اسمك إلا أحب الخلق إليك . فقال الله : صدقت يا آدم! إنه لأحب الخلق إليّ، ادعني بحقه، فقد غفرت لك، ولولا محمد ما خلقتك [1].

فهم يزعمون أن آدم عليه السلام توسل بالنبي ﷺ قبل وجوده، لا يمكن أن يكون قد توسل بدعائه، وإنما ذلك توسل منه بحق النبي ﷺ وجاهه عند الله تعالى [2].

---

(١) أخرجه كم (التاريخ، ب : استغفار آدم عليه السلام بحق محمد ﷺ ٢/٦١٥) فقال : ثنا أبو سعيد عمرو بن محمد بن منصور العدل، ثنا أبو الحسن محمد بن إسحاق بن إبراهيم الحنظلي، ثنا أبو الحارث عبد الله بن مسلم الفهري، ثنا إسماعيل بن مسلمة، نبأ عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن جده عن عمر بن الخطاب مرفوعا؛ و البيهقي في (دلائل النبوة ٥/٤٨٨-٤٨٩)، وهو يلتقي في إسناده مع شيخ الحاكم ؛ والطبراني في (المعجم الأوسط ٦/٣١٣-٣١٤ ح : ٦٥٠٢)؛ وفي (المعجم الصغير ٢/١٨٢ ح : ٩٩٢)، وهو يلتقي في إسناده عند عبد الرحمن بن زيد بن أسلم به، واللفظ للحاكم، وسيأتي بيان درجة الحديث والحكم عليه إن شاء الله .

(٢) ممن قال بذلك استدلالا بهذا الحديث : البكري كما في (تلخيص كتاب الاستغاثة ١/٥٢-٥٣)؛ والسبكي في (شفاء السقام في زيارة خير الأنام ص : ١٦١-١٦٢)؛ ونور الدين السمهودي في (وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى ٤/١٣٧١)؛ وفي (خلاصة الوفاء ص : ٧٣)؛ وأحمد بن زيني دحلان في (خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام ص : ٢٤٢)؛ وإبراهيم السمنودي في (سعادة الدارين في الرد على الفرقتين الوهابية ومقلدة الظاهرية ص : ١٥٦-١٥٧)؛ ويوسف بن إسماعيل النبهاني في (شواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق ص : ١٥٦)؛ وفي ←

ولكن هذه الدعوى باطلة من وجوه كثيرة، ويمكن تلخيصها في وجهين :

الوجه الأول : بيان بطلان دعوى توسل آدم عليه السلام بحق النبي ﷺ رواية .

هذا الحديث الذي استدل به من زعم أن آدم عليه السلام كان توسل بحق النبي ﷺ لما أخطأ في الجنة لا يصح الاستدلال به لكونه لم يثبت عن النبي ﷺ، وفي إسناده إليه علل وآفات، وهي كما يلي :

العلة الأولى : إن في إسناد هذا الحديث راويا اسمه عبد الله بن مسلم الفهري، وهو إما مجهـــول الحال، وإما متهم بالكذب والوضع عن الثقات . قال عنه الذهبي : (رواه عبد الله بـــن مسلم الفهري، ولا أدري من ذا عن إسماعيل بن مسلمة عنه) [1] . وقال الحافظ ابن حجر : لا أستبعد أن يكون هو عبد الله بن مسلم بن رشيد فإنه من طبقته [2]. وعبد الله بن مسلم بن رشيد قال عنه ابن حبان : (يروي عن الليث بن سعد [3] وابن لهيعة [4] ومالك، ويضـــع عليهم الحديث . أخبرنا عنه جماعة بنيسابور، لا يحل كتابة حديثه ولا ذكره، وهذا شـــيخ أصـــحابنا، وإنما ذكرته لئلا يحتج به واحد من أصحاب الرأي على من لم يتبحر في

(الأنوار المحمدية من المواهب اللدنية ص : ١٤)؛ ومحمد زاهد الكوثري في (محق التقول في مسألة التوسل [ضمن مقالاته] ص : ٤٨٣)؛ وسلامة القضاعي العزامي الشافعي في (البراهين الساطعة في رد بعض البدع الشائعة ص : ٣٩٤-٣٩٥)؛ و ابن جرجيس كما في (منهاج التاسيس والتقديس ص : ٣٩١)؛ والغماري في (إتحاف الأذكياء بمـــا ورد في التوسل بسيد الأنبياء وغيره من الصالحين والأولياء ص : ٥-٧)؛ وحسين حلمي إيشيق إستانبولي في (عـــلماء المسلمين والوهابيون ص : ١٣٧و١٥٦)؛ ومحمد بن علوي المالكي في (مفاهيم يجب أن تصحح ص : ١١٩-١٢٨)؛ ومحمد زكريا الكاندهلوي الديوبندي التبليغي في (فضائل أعمال، فضائل ذكر ص : ٣٩٨-٤٠٠ ح : ٢٨)؛ ومحمـــد نعـــيم مراد آبادي الهندي البريلوي في تفسيره للقرآن بالأردية (ص : ١٢) ؛ وغلام نبي بن عنايت الله كمرئي في (خلاصة الأنبياء ص : ٣و٢٠) وغيرهم .

(١) تلخيص المستدرك (٢/٦١٥) .

(٢) انظر : لسان الميزان (٣/٣٥٩-٣٦٠ برقم : ١٤٥١) بتصرف واختصار .

(٣) الليث بن سعد بن عبد الرحمن الفهمي المصري، ثقة ثبت فقيه إمام مشهور، توفي في شعبان سنة ١٧٥هـــ . انظر : تقريب التهذيب (ص : ٤٦٤ برقم : ٥٦٨٤) .

(٤) عـــبد الله بن لَهيعة بن عقبة الحضرمي المصري، القاضي، صدوق، اختلط بعد احتراق كتبه، ورواية ابن المبارك وابن وهب عنه أعدل من غيرهما ، توفي سنة ١٧٤هـــ . انظر : تقريب التهذيب (ص : ٣١٩ برقم : ٣٥٦٣) .

العـــلم مـــن أصحابنا فيوهمه أنه كان ثقة، وهو الذي روى عن أبي هدبة [1] نسخة كلها معمولـــة) [2]. قال ابن الجوزي : (قال ابن حبان : يضع الحديث على الثقات، لا يحل ذكره) [3]. وقال الذهبي : (متهم بوضع الحديث) [4] ووافقه الحافظ ابن حجر [5].

العلة الثانية : هذا الحديث لا يعرف إلا من طريق عبد الرحمن بن زيد بن أسلم . قال الطبراني : (لم يرو هذا الحديث عن زيد بن أ سلم إلا ابنه عبد الرحمن ... لا يروى عن عمر إلا بهذا الإسناد) [6]. وقـــال البيهقي : (تفرد به عبد الرحمن بن زيد بن أسلم من هذا الوجه، وهو ضعيف) [7]. وذكر الحافظان ابن كثير وابن حجر كلام البيهقي السابق فأقراه، و لم يعقبا عليه بشيء [8].

وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم الذي تفرد برواية هذا الحديث عن أبيه، وعليه مدار الإسناد قد تكلم فيه النقاد، فقال فيه الإمام أحمد وأبو زرعة وأبو داود [9] والنسائي والبيهقي والحافظ ابن حجر : (ضعيف) [10]. وقال الساجي: (منكر الحديث) [11] . وكذلك ضعفه العقيلي والدارقطني وابن الجوزي فذكروه في كتبهم الخاصة بالضعفاء والمتروكين [12]. فهو ضعيف عند هؤلاء الأئمة .

---

(١) إبراهـــيم بن هدبة الفارسي ثم البصري، كذاب، كان رقاصا بالبصرة، ولما شاخ كان يروي عن أنس ﷺ عجائب، وأحاديثه كلها بواطيل وأكاذيب . انظر : المجروحين (١١٤/١-١١٥ برقم : ٢٩)؛ ولسان الميزان (١١٩/١-١٢١ برقم : ٣٧٠) .

(٢) المجروحين (٤٤/٢ برقم : ٥٧٥) .

(٣) الضعفاء والمتروكين (١٤١/٢ برقم : ٢١٢١) .

(٤) المغني في الضعفاء (ص : ٣٥٨ برقم : ٣٣٦٩)؛ وميزان الاعتدال (٥٠٣/٢ برقم : ٤٦٠٤) .

(٥) انظر : لسان الميزان (٣٥٩/٣) .

(٦) المعجم الأوسط (٣١٤/٦)، وانظر : المعجم الصغير (١٨٢/٢)، والطبراني هو سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني، صاحب المعاجم الثلاثة، الإمام الحافظ الثقة محدث الإسلام، توفي سنة ٣٦٠هـــ . انظر : سير أعلام النبلاء (١١٩/١٦-١٢٨).

(٧) دلائل النبوة (٤٨٩/٥) .

(٨) انظر بالترتيب : البداية والنهاية (٨١/١ و٣٢٢/٢)؛ وتحفة النبلاء من قصص الأنبياء (ص : ١٢١) .

(٩) سليمان بن الأشعث السجستاني، صاحب السنن، الإمام شيخ السنة، توفي سنة ٢٧٥هــ. انظر : سير أعلام النبلاء (٢٠٣/١٣-٢٢١) .

(١٠) انظر أقوال هؤلاء الأئمة بالترتيب في : بحر الدم (ص : ٢٦٠ برقم : ٥٩٨)؛ وتهذيب الكمال (١١٦/١٧-١١٨)؛ والضعفاء والمتروكون للنسائي (ص : ١٤٩ برقم : ٣٦٠)؛ ودلائل النبوة (٤٨٩/٥)؛ وتقريب التهذيب (ص : ٣٤٠ برقم : ٣٨٦٥) .

(١١) ذكره عنه الحافظ ابن حجر في (تهذيب التهذيب ٣٦٤/٣ برقم : ٤٤٠٨) .

(١٢) انظـــر بالـــترتيب : كـــتاب الضعفاء الكبير للعقيلي (٣٣١/٢ برقم : ٩٢٦)؛ و"الضعفاء والمتروكون" للدارقطني (ص : ٣٣٦ برقم : ٣٣١)؛ والضعفاء والمتروكين لابن الجوزي (٩٥/٢ برقم : ١٨٧١) .

وقال خالد بن خداش [١] : (قال لي الدراوردي [٢] ومعن[٣] وعامة أهل المدينة : لا نريد عبد الرحمن بن زيد بن أسلم إنه كان لا يدري ما يقول) [٤].وقال الطحاوي : (حديثه عند أهل العلم بالحديث في النهاية من الضعف) [٥] . وقال ابن سعد : (كان كثير الحديث ضعيفا جدا) [٦] . وقال ابن معين : (ليس حديثه بشيء) [٧] . وقال البخاري [٨] : (ضعفه علي [٩]جدا) [١٠]. وقال أبو حاتم: (ليس بقوي الحديث، كان في نفسه صالحا، وفي الحديث واهيا، ضعفه علي بن المديني جدا) [١١] . وقال الترمذي : (ضعيف في الحديث ضعفه أحمد بن حنبل وعلي بن المديني وغيرهما من أهل الحديث، وهو كثير الغلط) [١٢] .

---

(١) خالد بن خداش بن عجلان الأزدي المهلبي مولاهم، من تلامذة الإمام مالك، ومن شيوخ الإمام مسلم والإمام أحمد وأبي زرعة وأبي حاتم وغيرهم ، وهو ثقة صدوق، وتوفي سنة ٢٢٣هـ . انظر : تهذيب الكمال (٨/٤٥-٥٠ برقم : ١٦٠٢) .

(٢) عبد العزيز بن محمد بن عبيد الدراوردي، المدني، صدوق، كان يحدث من كتب غيره فيخطئ، توفي سنة ست أو سبع وثمانين بعد المائة الهجرية . انظر : تقريب التهذيب (ص : ٣٥٨ برقم : ٤١٠٨) .

(٣) معن بن عيسى بن يحيى الأشجعي، الحافظ الثبت الثقة، أثبت أصحاب مالك وأوثقهم، توفي سنة ١٩٨هـ . انظر : سير أعلام النبلاء (٩/٣٠٤-٣٠٦) .

(٤) ذكره عنه المزي في (تهذيب الكمال ١٧/١١٨) .

(٥) ذكره عنه الحافظ ابن حجر في (تهذيب التهذيب ٣/٣٦٤)، والطحاوي هو أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي المصري، الإمام الحافظ الكبير محدث الديار المصرية وفقيهها، توفي سنة ٣٢١هـ . انظر : سير أعلام النبلاء (١٥/٢٧-٣٣) .

(٦) ذكره عنه الحافظ ابن حجر في (تهذيب التهذيب ٣/٣٦٤)، وابن سعد هو محمد بن سعد بن منيع الهاشمي مولاهم، البصري، كاتب الواقدي، صدوق فاضل، توفي سنة ٢٣٠هـ .انظر : تقريب التهذيب (ص : ٤٨٠ برقم : ٥٩٠٣) .

(٧) ذكره عنه المزي في (تهذيب الكمال ١٧/١١٧)، وابن معين هو يحيى بن معين بن عون الغطفاني مولاهم، إمام الجرح والتعديل، ثقة حافظ، توفي بالمدينة النبوية سنة ٢٤٣هـ . انظر : تقريب التهذيب (ص : ٥٩٧ برقم : ٧٦٥١) .

(٨) محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري الجعفي مولاهم، شيخ الإسلام وإمام الحفاظ، أمير المؤمنين في الحديث، صاحب الجامع الصحيح وغيره من المصنفات الكثيرة، توفي سنة ٢٥٦هـ . انظر : سير أعلام النبلاء (١٢/٣٩١ وما بعدها).

(٩) علي بن عبد الله بن جعفر السعدي مولاهم، أبو الحسن بن المديني ، ثقة ثبت إمام أعلم أهل عصره بالحديث وعلله، عيب عليه إجابته في المحنة، لكنه تنصل وتاب، واعتذر بأنه خاف على نفسه، توفي سنة ٢٣٤هـ على الصحيح. انظر : تقريب التهذيب (ص : ٤٠٣ برقم : ٤٧٦٠) .

(١٠) التاريخ الكبير (٥/٢٨٤ برقم : ٩٢٢)؛ والضعفاء الصغير (ص : ٤٥٦ برقم : ٢٠٨) .

(١١) الجرح والتعديل (٥/٢٣٣ برقم : ١١٠٧) .

(١٢) سنن الترمذي (٣/٢٦)، والترمذي هو محمد بن عيسى بن سورة السلمي الترمذي أبو عيسى، صاحب الجامع، أحد الأئمة الحفاظ النقاد، توفي سنة ٢٧٩هـ . انظر : تقريب التهذيب (ص : ٥٠٠ برقم : ٦٢٠٦) .

وقال البزار [١]: (عبد الرحمن منكر الحديث جدا) [٢]، وقال أيضا : (عبد الرحمن بن زيد قد أجمـــع أهـــل العلم بالنقل على تضعيف أخباره، وليس هو بحجة فيما ينفرد به) [٣]. وقال ابن خـــزيمة : (ليـــس هـــو ممـــن يحتج أهل العلم بحديثه لسوء حفظه، هو رجل صناعته العبادة والتقشف، ليس من أحلاس الحديث) [٤]. وقال ابن حبان : (كان ممن يقلب الأخبار وهو لا يعلم حتى كثر ذلك في روايته من رفع المراسيل، وإسناد الموقوف فاستحق الترك) [٥]. وقال ابن الجـــوزي : (أجمعوا على ضعفه) [٦]. وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : (ضعيف باتفاقهم يغلط كـــثيرا) [٧] . وقال الذهبي : (واه) [٨] ، وقال أيضا :(ضعفوه) [٩] . فهو ضعيف جدا عند هؤلاء الأئمة بل هناك من اقمه بوضع الأحاديث وروايتها عن أبيه كما سيأتي .

العـــلة الثالـــثة : مرويات عبد الرحمن بن زيد ضعيفة جدا، ولاسيما رواياته عن أبيه في غاية الضعف وأشدها بل هو متهم بوضع الأحاديث وروايتها عن أبيه . قال أبو نعيم [١٠] : (حدث عن أبيه، لا شيء) [١١] . وقال الإمام الشافعي : (ذكر رجل لمالك حديثا فقال : من حدثك ؟ فذكر إسنادا له مـــنقطعا. فقـــال : اذهب إلى عبد الرحمن بن زيد يحدثك عن أبيه عن نوح) [١٢]. وقال الحاكم [١٣]:

---

(١) أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق، البصري البزار، الإمام الحافظ الكبير، صاحب المسند، توفي سنة ٢٩٢ هـــ . انظر : سير أعلام النبلاء (١٣/٥٥٤-٥٥٧) .

(٢) كشف الأستار عن زوائد البزار على الكتب الستة (٢/٤٤٥ ح : ٢٠٧١) .

(٣) المصدر السابق (١/١٠٩ ح : ١٩٤) .

(٤) ذكره عنه الحافظ ابن حجر في (تهذيب التهذيب ٣/٣٦٤ برقم : ٤٤٠٨) .

(٥) المجروحين (٢/٥٧ برقم : ٥٩٨) .

(٦) ذكره عنه الحافظ ابن حجر في (تهذيب التهذيب ٣/٣٦٤ برقم : ٤٤٠٨) .

(٧) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (ص : ١٣٧) .

(٨) تلخيص المستدرك (٢/٦١٥) .

(٩) الكاشف (١/٦٢٨ برقم : ٣١٩٤) .

(١٠) أحمد بن عبد الله بن أحمد، الأصبهاني، الصوفي، الإمام العلامة الحافظ الثقة، صاحب التصانيف الكثيرة، توفي سنة ٤٣٠هـــ . انظر : سير أعلام النبلاء (١٧/٤٥٣-٤٦٣) .

(١١) كتاب الضعفاء (ص : ١٠٢برقم : ١٢٢) .

(١٢) ذكره عنه المزي في (تهذيب الكمال ١٧/١١٨) .

(١٣) محمـــد بن عبد الله بن محمد، المعروف بابن البيع الحاكم، النيسابوري الشافعي، الإمام الحافظ الناقد العلامة شيخ المحدثين، صاحب المستدرك على الصحيحين، توفي سنة ٤٠٥هـــ. انظر : سير أعلام النبلاء (١٧/١٦٢-١٧٧) .

(روى عن أبيه أحاديث موضوعة لا يخفى على من تأملها من أهل الصنعة أن الحمل فيها عليه) [1].

وقال الحافظ ابن حجر : (قال الحاكم وأبو نعيم : روى عن أبيه أحاديث موضوعة) [2] .

فهـــذه أقـــوال أئمة الجرح والتعديل في عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، وكلها دالة على توهينه وتضعيفه وأخف الأقوال في تضعيفه – فيما وقفت عليه – ما جاء عن ابن عدي حيث قال : (له أحاديث حسان، وهو ممن احتمله الناس وصدقه بعضهم، وهو ممن يكتب حديثه) [3] ولكن هذا لا يعني أنه صدوق، وأن ما رواه يكون في درجة الحسن عنده بل هو أشار بقوله : (هو ممن يكتب حديثه) إلى أنه من جملة الضعفاء الذين يكتب حديثهم ليعتبر به وينظر فيه. وهـــذه الكـــلمة من أدنى مراتب التوثيق وأنزلها عند أئمة الجرح والتعديل [4] فلا تأثير لها في مقـــابل ما تقدم ذكره من كونه ضعيفا بالإجماع، وكونه ضعيفا جدا عند أكثرهم، ولا سيما فيما رواه عن أبيه لكونه متهما بوضع الأحاديث وروايتها عنه أبيه .

العلة الرابعة : وللحديث علة غير ما سبق نبه عليها العلامة الألباني [5]، وهي اضطراب عبد الرحمن أو من دونه في إسناده، فتارة كان يرفعه كما مضى، وتارة كان يرويه موقوفا على عمر ﷺ، من غير أن يرفعه إلى النبي ﷺ كما رواه الآجري [6] من طريق عبد الله بن إسماعيل بن بنت أبي مريم عن عبد الرحمن بن زيد به نحوه، مع أن هذا الأثر الموقوف أيضا غير صحيح إلى عمر ﷺ .

قال الشيخ الألباني : (وعبد الله هذا لم أعرفه أيضا؛ فلا يصح عن عمر لا مرفوعا ولا موقوفا) [7].

أقوال أئمة الحديث في الحكم على هذا الحديث :

هـــذا الحديث قد تكلم فيه أهل العلم بالحديث واختلفت أقوالهم في بيان درجته فقال الحـــاكم : (هذا حديث صحيح الإسناد، وهو أول حديث ذكرته لعبد الرحمن بن زيد بن

---

(١) المدخل إلى الصحيح (ص : ١٥٤) .

(٢) تهذيب التهذيب (٣٦٤/٣ برقم : ٤٤٠٨) .

(٣) الكامل في ضعفاء الرجال (٢٧٣/٤ برقم : ١١٠٥) .

(٤) انظر : الشرح والتعليل لألفاظ الجرح والتعديل (ص : ١٥٨)؛ وضوابط الجرح والتعديل (ص : ١٧١) .

(٥) انظر : التوسل أنواعه وأحكامه (ص : ١٢٤) .

(٦) انظر : الشريعة (١٤١٥/٣ برقم : ٩٥٦) .

(٧) التوسل أنواعه وأحكامه (ص : ١٢٤) .

أسلم في هذا الكتاب) [١]، وصححه السبكي اعتمادا على تصحيح الحاكم إذ قال : (قد اعتمدنا في تصحيحه على الحاكم) [٢].

وقال البيهقي : (تفرد به عبد الرحمن بن زيد بن أسلم من هذا الوجه، وهو ضعيف، والله أعلم) [٣]، وأقره الحافظان ابن كثير وابن حجر [٤]، وكذلك ضعفه الشهاب الخفاجي وملا علي القاري [٥].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : ليس له أصل؛ وهو من جنس ما يرويه بعض العامة من الموضوعات، ولا يوجد في أئمة الإسلام من احتج بها، ولا اعتمد عليها [٦].

وقال ابن عبد الهادي [٧]: (إنه حديث غير صحيح ولا ثابت بل هو حديث ضعيف الإسناد جدا، وقد حكم عليه بعض الأئمة بالوضع، وليس إسناده من الحاكم إلى عبد الرحمن بن زيد بصحيح بل هو مفتعل على عبد الرحمن ...ولو كان صحيحا إلى عبد الرحمن لكان ضعيفا غير محتج به لأن عبد الرحمن في طريقه ... حديث غير صحيح ولا ثابت بل هو حديث موضوع) [٨].

وقال الذهبي : (موضوع، وعبد الرحمن واه) [٩]. وقال أيضا في ترجمة عبد الله بن مسلم أبي الحارث الفهري : (روى عن إسماعيل بن مسلمة بن قعنب عن عبد الرحمن بن

---

(١) المستدرك على الصحيحين (التاريخ، ب : استغفار آدم عليه السلام بحق محمد ﷺ ٢/٦١٥) .

(٢) شفاء السقام في زيارة خير الأنام (ص : ١٦٣) ، والسبكي هو علي بن عبد الكافي بن علي السبكي، الأشعري الصوفي، عالم مشارك في أنواع من العلوم، وفي بعضها ما يمس جانب العقيدة يجب الحذر منها مثل كتابه المذكور آنفا، توفي سنة ٧٥٦هـ . انظر : طبقات الشافعية الكبرى (١٠/١٣٩-٣٣٨)؛ ومعجم المؤلفين (٧/١٢٧) .

(٣) دلائل النبوة (٤٨٩) .

(٤) انظر بالترتيب : البداية والنهاية (١/٨١ و٢/٣٢٢)؛ وتحفة النبلاء من قصص الأنبياء (ص : ١٢١) .

(٥) انظر بالترتيب : نسيم الرياض في شرح شفاء القاضي عياض (٢/٢٢٤)؛ وشرح الشفاء (٢/٢٢٤) .

(٦) انظر : تلخيص كتاب الاستغاثة (١/٦٧- ٧٠)؛ وقاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (ص : ١٣٦-١٤٢)، وفي كلام شيخ الإسلام إشارة واضحة بأن الاستدلال بهذا الحديث على جواز التوسل بحق النبي ﷺ متأخر جدا وإنما هو من إحداث أهل البدع كالبكري والسبكي وأمثالهما ثم من تبعهم في بدعتهم .

(٧) محمد بن أحمد بن عبد الهادي المقدسي الحنبلي، فقيه أصولي نحوي محدث حافظ مفسر لغوي عارف بالرجال، تفقه بشيخ الإسلام ابن تيمية، توفي سنة ٧٤٤هـ. انظر : معجم المؤلفين (٨/٢٨٧) .

(٨) الصارم المنكي في الرد على السبكي (ص : ٦٠- ٦٣) .

(٩) تلخيص المستدرك (٢/٦١٥) .

زيـــد بـــن أسلم خبرا باطلا، فيه : يا آدم لولا محمد ما خلقتك)[1] ؛ ووافقه على ذلك الحافظ ابن حجر[2] ، ووافقهما ابن عراق الكناني[3] في كون الخبر باطلا[4].

وقال الشيخ سليمان النجدي[5] : (حديث ضعيف بل موضوع؛ لأنه مخالف للقرآن)[6]، وسيأتي بيان وجه مخالفته للقرآن الكريم عند الكلام على الحديث من ناحية متنه .

وقال الشيخ حماد بن محمد الأنصاري : (عبد الرحمن بن زيد يروي عن أبيه أحاديث موضوعة، وهذا الحديث من جملتها)[7].

قـــال العلامة الألباني : (لا يصح عن عمر لا مرفوعا ولا موقوفا)[8] وقال أيضا : (جملة القول؛ أن الحديث لا أصل له عنه – صلى الله عليه و سلم – فلا جرم أن حكم عليه بالبطلان الحافظان الجليلان الذهبي والعسقلاني)[9].

وذكر الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ – حفظه الله – أقوال أهل العلم في بيان الحكم على الحديث، وبين اعتذار أهل العلم للحاكم على تصحيحه لمثل هذا الحديث[10]، واختار أنه حديث موضوع[11].

وبالـــنظر في العلل والآفات الموجودة في إسناد الحديث ورجالها، وبالنظر في أقوال الأئمة في الحكم على الحديث وبيانهم لدرجته يترجح لدي كون الحديث موضوعا لكون مدار الحديث على عبد الرحمن بن زيد وهو ضعيف كثير الغلط بالإجماع، ومتهم بوضع الأحاديث وروايتها عن أبيه

---

(١) ميزان الاعتدال (٥٠٤/٢ ترجمة رقم : ٤٦٠٤) .

(٢) انظر : لسان الميزان (٣٥٩/٣-٣٦٠ ترجمة رقم : ١٤٥١) .

(٣) علي بن محمد بن علي بن عبد الرحمن بن عراق الكناني الشافعي، فقيه مقرئ محدث مؤرخ، توفي بالمدينة سنة ٩٦٣هـــ . انظر : معجم المؤلفين (٢١٨/٧) .

(٤) انظر : تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة (٧٦/١) .

(٥) ســليمان بـــن الشيخ عبد الله بن شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب النجدي، فقيه مفسر محدث، توفي سنة ١٢٣٣هـــ . انظر : معجم المؤلفين (٢٦٨/٤) .

(٦) تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد (ص : ٢٤٦) .

(٧) تحفة القاري في الرد على الغماري (ص : ٤٤) [مطبوع ضمن سلسلة الأنصارية الأولى) .

(٨) التوسل أنواعه وأحكامه (ص : ١٢٤) .

(٩) سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة (٩١/١ ح : ٢٥)؛ وانظر أيضا : التوسل أنواعه وأحكامه (ص : ١١٥-١٢٨) .

(١٠) انظر : هذه مفاهيمنا (ص : ٢٥-٢٨) .

(١١) انظر : المصدر السابق (ص : ٣١) .

وهذا مما رواه عن أبيه، ولكون هذه الرواية مخالفة للقرآن الكريم من وجهين كما سيأتي بيانه :

انتقاد الأئمة تصحيح الإمام الحاكم لهذا الحديث .

أمـــا إخـــراج الإمام الحاكم هذا الحديث في المستدرك على الصحيحين وقوله عقب إخراجه : (هذا حديث صحيح الإسناد) [1] فهذا مما انتقد عليه .

قـــال شيخ الإسلام ابن تيمية : (وأما تصحيح الحاكم لمثل هذا الحديث وأمثاله فهذا مما أنكـــره عليه أئمة العلم بالحديث وقالوا : إن الحاكم يصحح أحاديث وهي موضوعة مكذوبة عـــند أهل المعرفة بالحديث ... ولهذا كان أهل العلم بالحديث لا يعتمدون على مجرد تصحيح الحاكم وإن كان غالب ما يصححه فهو صحيح لكن هو في المصححين بمنزلة الثقة الذي يكثر غلطه وإن كان الصواب أغلب عليه وليس فيمن يصحح الحديث أضعف من تصحيحه) [2].

فتصـــحيح الإمـــام الحاكم لهذا الحديث مخالف لما ذهب إليه أهل العلم بالحديث وعلله بل هو مناقض ومخالف لما قرره هو إذ قال : (أنا مبين بعون الله وتوفيقه أسامي قوم من المجروحين ممن ظهر لي جـــرحهم، اجـــتهادا ومعرفة بجرحهم، لا تقليدا فيه لأحد من الأئمة، وأَتوَهَّمُ أن رواية أحاديث هـــؤلاء لا تحـــل إلا بعد بيان حالهم لقول المصطفى صلى الله عليه وسلم في حديثه : ((من حدث بحديـــث وهو يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين [3])) فمنهم [4] .... عبد الرحمن بن زيد بن أسلم روى عن أبيه أحاديث موضوعة لا يخفى على من تأملها من أهل الصنعة أن الحمل فيها عليه) [5].

فالإمـــام الحاكم يتهم عبد الرحمن بن زيد بالوضع، ومن تأمل كلامه السابق يتبين له بوضـــوح أن حديث عبد الرحمن بن زيد هذا موضوع عند الحاكم نفسه، وأن من يرويه بعد العلم بحاله فهو أحد الكاذبين .

ولذلك لما حكم الإمام الحاكم على حديث عبد الرحمن بن زيد بصحة الإسناد عد ذلك من

---

(١) المستدرك على الصحيحين (التاريخ ، ب : استغفار آدم عليه السلام بحق محمد ﷺ ٢/٦١٥) .

(٢) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (ص : ١٣٨-١٣٩) .

(٣) أخـــرجه م من حديث سمرة بن جندب والمغيرة بن شعبة في (المقدمة، ب : وجوب الرواية عن الثقات وترك الكذابين ... ١/٨)، وقال عنه : (الأثر المشهور عن رسول الله ﷺ)؛ وأخرجه حب كما في الإحسان من حديث سمرة بن جندب في (١/٢١١ ح : ٢٩) باختلاف يسير في لفظهما عن اللفظ المذكور .

(٤) المدخل إلى الصحيح (ص : ١١٤) .

(٥) المصدر السابق (ص : ١٥٤) .

تساهله وغفلته حتى تعجب من صنيعه الحافظ ابن حجر فقال : (و من عجيب ما وقع للحاكم أنه أخرج لعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وقال – بعد روايته : هذا صحيح الإسناد ... مع أنه قال – في كتابه الذي جمعه في الضعفاء : عبد الرحمن بن زيد بن أسلم روى عن أبيه أحاديث موضوعة لا يخفى على من تأملها من أهل الصنعة أن الحمل فيها عليه ... فكان هذا من عجائب ما وقع له من التساهل والغفلة)[1]. وقال معتذرا عنه : (لكن قيل في الاعتذار عنه أنه عند تصنيفه للمستدرك كان في أواخر عمره، وذكر بعضهم أنه حصل له تغير وغفلة في آخر عمره . ويدل على ذلك أنه ذكر جماعة في كتاب الضعفاء له، وقطع بترك الرواية عنهم، ومنع من الاحتجاج بهم ثم أخرج أحاديث بعضهم في مستدركه وصححها. من ذلك أنه أخرج حديثا لعبد الرحمن بن زيد بن أسلم، وكان قد ذكره في الضعفاء)[2] وذكر مثل كلامه السابق .

يتبين مما سبق أن الإمام الحاكم حصل منه تساهل وغفلة في حكمه على الحديث بصحة إسناده، وهو قول مخالف لأقوال الأئمة النقاد الآخرين بل هو مخالف ومتناقض مع قوله هو كما سبق بيانه، فلا يصح الاستدلال بهذا الحديث والتمسك به اعتمادا على تصحيحه. وإذا تبين وهن تصحيح الحاكم للحديث تبين خطأ من صححه تقليدا له واعتمادا عليه .

محاولات فاشلة لتقوية حديث توسل آدم عليه السلام بحق محمد ﷺ.

● دعوى أن الحديث له طريق آخر عند الطبراني ومحاولة تقوية الحديث به .

هناك من زعم[3] أن حديث عمر بن الخطاب في توسل آدم عليه السلام بحق محمد ﷺ له طريق آخر، لم يقف عليه الذهبي وإلا لم يحكم عليه بالوضع؛ فقد أخرجه الطبراني في الأوسط والصغير فقال : حدثنا محمد بن داود بن أسلم الصدفي المصري حدثنا أحمد بن سعيد المدني الفهري حدثنا عبد الله بن إسماعيل المدني عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم به نحوه، فهذه متابعة قاصرة لرواية أبي الحارث عبد الله بن مسلم الفهري عند الحاكم.

ولكن هذه الدعوى مبنية على المغالطة أو الجهل بقواعد علم الحديث وأصوله؛ إذ هذا الإسناد

---

(١) النكت على كتاب ابن الصلاح (٣١٨/١-٣١٩) .

(٢) لسان الميزان (٢٣٣/٥ في ترجمة الحاكم) .

(٣) ذكر ذلك العلامة الألباني عن بعض المعاصرين . انظر : التوسل أنواعه وأحكامه (ص : ١٢٣-١٢٤) .

أيضا مداره على عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، ولا يعرف الحديث من غير طريقه كما سبق بيانه مـــن خـــلال أقوال الأئمة منهم الطبراني والبيهقي وابن كثير وابن حجر. وأما متابعة عبد الله بن إسمـــاعيل المـــدني لـــرواية عبد الله بن مسلم الفهري فإنها متابعة لا يفرح بها إذ جميع رواتها قبل عبد الرحمن بن زيد مجاهيل . أشار إلى جهالتهم الحافظ الهيثمي[1] إشارة مجملة فقال : (رواه الطبراني في الأوسط والصغير، وفيه من لم أعرفهم) [2] وفصَّل ذلك العلامة الألباني فقال : (هذا سند مظلم فـــإن كـــل مـــن دون عبد الرحمن لا يعرفون) [3] وقال أيضا : (طريق الطبراني فيه علاوة على عـــبد الرحمن هذا ثلاثة رجال آخرون لا يعرفون) [4]. فهذا الإسناد أشد ظلمة وأكثر آفة من إسناد الحـــاكم؛ ولا يمكـــن تقوية الضعيف جدا على أقل تقدير بما هو أشد ضعفا منه. و به يعلم بطلان دعوى أن الحديث له طريق آخر، وأنه لو اطلع عليه الذهبي لم يحكم عليه بالبطلان والوضع [5].

● **محاولة تقوية عبد الرحمن بن زيد وتقوية روايته عن أبيه .**

وهناك من حاول تقوية عبد الرحمن بن زيد بدعوى أنه لم يتهمه أحد من الأئمة بالكذب [6]، وكذلـــك بدعوى أنه روى هذا الحديث عن أبيه، والابن يكون من أقرب الأشخاص إلى والده فيكون أعرف الناس بحديثه فتكون روايته عن أبيه أدعى للحفظ والقبول[7].

ولكـــن هـــذه دعوى باطلة ومحاولة فاشلة لأن دعوى أنه لم يتهمه أحد من الأئمة بـــالكذب يردها كلام الأئمة مثل الإمام مالك والحاكم وأبي نعيم من أنه كان يروي عن أبيه أحاديث موضوعة، وأنه هو المتهم بوضعها وروايتها عن أبيه .

وأمـــا دعوى أنه روى هذه الرواية عن أبيه، وهذا أدعى لقبول روايته فهذه دعوى بعيـــدة عـــن المـــنهج العلمي، ولا وزن لها في ميزان العلم؛ فإن العبرة بعدالة الناقل وثقته

---

(١) هو علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي الشافعي، محدث حافظ، توفي سنة ٨٠٧هـــ . انظر : معجم المؤلفين (٤٥/٧).

(٢) مجمع الزوائد (٢٥٣/٨) .

(٣) التوسل أنواعه وأحكامه (ص : ١١٦) .

(٤) المصدر السابق (ص : ١٢٤) .

(٥) انظر : التوسل أنواعه وأحكامه (ص : ١٢٤) .

(٦) انظر : هذه المحاولة عند الكوثري في (محق التقول في مسألة التوسل [ضمن مقالاته] ص : ٤٨٣)؛ وسلامة العزامي في (البراهين الساطعة ص : ٣٩٤-٣٩٥) .

(٧) انظر : هذه المحاولة عند سلامة العزامي في (البراهين الساطعة ص : ٣٩٤-٣٩٥) .

وحفظـــه وضبطه وإتقانه . وليس ضروريا أن يكون الابن حافظا لعلم أبيه ضابطا له، ولا ســـيما عـــبد الرحمن بن زيد قد نص الأئمة على ضعفه وسوء حفظه وكثرة غلطه، كما نصوا على أنه متهم بوضع الأحاديث وروايتها عن أبيه .

● **محاولة تقوية الحديث بالحكاية المنسوبة إلى الإمام مالك مع أبي جعفر المنصور :**

هناك من يزعم أن الإمام مالك أيضا ممن يرى أن آدم عليه السلام كان توسل بنبينا محمد ﷺ، وأن قصـــة توسل آدم عليه السلام بنبينا محمد ﷺ ثابت عنده. وهم يستندون في ذلك إلى حكاية مكذوبة نسبت إليه، وهي التي رويت من طريق يعقوب بن إسحاق بن أبي إسرائيل، حدثنا ابن حميد قال: ناظر أبو جعفر[1] أمير المؤمنين مالكا في مسجد رسول الله ﷺ، فقال له مالك : يا أمير المؤمنين، لا ترفع صوتك في هذا المسجد؛ فإن الله تعالى أدَّب قوما فقال : ﴿ لاترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولاتجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لاتشعرون ﴾[2]. ومدح قوما فقال : ﴿ إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم ﴾[3]. وذم قوما فقال : ﴿ إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون ﴾[4] . وإن حرمته ميتا كحرمته حيا .

فاســـتكان لها أبو جعفر، وقال : يا أبا عبد الله، أ أستقبل القبلة وأدعو أم أستقبل رسول الله ﷺ ؟ فقـــال : ولم تصـــرف وجهك عنه، وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم عليه السلام إلى الله تعـــالى يوم القيامة ؟ بل استقبله واستشفع به، فيشفعك الله . قال الله تعالى : ﴿ ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما ﴾ [5] [6].

فـــبهذه الحكاية المنسوبة إلى الإمام مالك يحاولون بها الرفع من شأن حديث الرحمن بن

---

(١) عبد الله بن محمد بن علي القرشي الهاشمي العباسي، أبو جعفر المنصور، من خلفاء بني عباس، تولى الخلافة في بداية عام ١٣٧هـــ وتوفي سنة ١٥٨هـــ بمكة . انظر : موسوعة خلفاء المسلمين (٢/١٠-١٦) .

(٢) الحجرات الآية : ٢

(٣) الحجرات الآية : ٣

(٤) الحجرات الآية : ٤

(٥) النساء الآية : ٦٤

(٦) أخرجه بإسناده القاضي عياض في (الشفا بتعريف حقوق المصطفى ﷺ ٢/٥٩٥-٥٩٦) .

زيد بن أسلم الذي سبق ذكره، ويزعمون أن تلك القصة ثابتة عند الإمام مالك ثم يستدلون بمثل هذه الأحاديث والحكايات على جواز التوسل بالذوات الفاضلة عند الله تعالى [١] .

ولكـــن هـــذه الحكاية لم تثبت عن الإمام مالك بل هي مكذوبة عليه ومنسوبة إليه كذبا وزورا، وبيان ذلك من وجهين :

الوجه الأول : الكلام فيها من ناحية سندها .

هذه الحكاية المنسوبة إلى الإمام مالك في سندها إليه عدة علل، وهي كما يلي :

العـــلة الأولي : في إسناده محمد بن حميد الرازي : رواي الحكاية عن الإمام مالك. وقد تكلم فيه الأئمة النقاد فقال البخاري : (فيه نظر) . وقال النسائي : (ليس بثقة). وقال الجُوزَجَاني [٢]: (كان رديء المذهب، غير ثقة). وقال يعقوب بن شيبة السدوسي [٣]: (كثير المناكير). وقال الكوسج [٤]: (أشـــهد عـــلى محمد بن حميد وعبيد بن إسحاق العطار بين يدي الله أنهما كذابان). وقال صالح الجزرة [٥]: (كل شيء يحدثنا ابن حميد كنا نتهمه فيه). وقال أبو زرعة وابن واره [٦] : (صح عندنا أنـــه يكـــذب). وقال أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد الكريم الرازي بن أخي أبي زرعة : سألت

---

(١) من الذين زعموا ذلك البكري كما في (كتاب تلخيص الاستغاثة ٨٥/١)؛ والسبكي في (شفاء السقام ص : ٦٩-٧٠ و ١٥٤-١٥٥)؛ والســـمهودي في (وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى ١٣٧٦/٤)، وفي (خلاصة الوفاء ص : ٧٥-٧٦)؛ وأحمد بن زيني دحلان في (خلاصة الكلام ص : ٢٤٢-٢٤٣)؛ والسمنودي في (سعادة الدارين ص : ١٥٩)؛ ويوسف النبهاني في (شواهد الحق ص : ١٠٦و١٥٦)؛ وفي (الأنوار المحمدية ص : ٥٩٨)؛ والكوثري في (محـــق التقول في مسألة التوسل [ضمن مقالاته] ص : ٤٨٣-٤٨٥)؛ والغماري في (إتحاف الأذكياء ص : ١١-١٢)؛ وحســـين حـــلمي إيشيق إستانبولي في (علماء المسلمين والوهابيون ص : ١٥٦و ١٨٥ و ١٨٧)؛ ومحمد بن علوي المالكي في (إمام دار الهجرة مالك بن أنس ص : ٣٦٢) .

(٢) إبراهـــيم بن يعقوب بن إسحاق الجُوزَجَاني، ثقة حافظ، رمي بالنصب، توفي سنة ٢٥٩هـــ . انظر : تقريب التهذيب (ص : ٩٥ برقم : ٢٧٣) .

(٣) يعقوب بن شيبة بن الصلت السدوسي، الحافظ الكبير العلامة الثقة، توفي سنة ٢٦٢هـــ . انظر : سير أعلام النبلاء (٤٧٦/١٢-٤٧٩) .

(٤) إسحاق بن منصور بن بهرام الكوسج، ثقة ثبت، توفي سنة ٢٥١هـــ. انظر : تقريب التهذيب (ص : ١٠٣ برقم:٣٨٤) .

(٥) صـــالح بـــن محمد بن عمرو البغدادي الأسدي مولاهم، الملقب بالجزرة، الإمام الحافظ الكبير الحجة محدث المشرق، توفي سنة ٢٩٣هـــ . انظر : سير أعلام النبلاء (٢٣/١٤-٣٣) .

(٦) محمـــد بن مسلم بن عثمان، الحافظ الإمام المجود أبو عبد الله بن واره الرازي، ثقة صاحب حديث، توفي سنة ٢٧٠هـــ على الصحيح . انظر : سير أعلام النبلاء (٢٨/١٣-٣٢) .

أبـــا زرعـــة عن محمد بن حميد، فأومأ بأصبعه إلى فمه، فقلت له : كان يكذب ؟ فقال برأسه : نعم . فقلت له : كان قد شاخ لعله كان يعمل عليه ويدلس عليه . فقال : لا يا بني كان يتعمد. وقال أبو علي النيسابوري [1]: قلت لابن خزيمة : لو حدث الأستاذ عن محمد بن حميد؛ فإن أحمد بن حنبل قد أحسن الثناء عليه ؟ قال : إنه لم يعرفه ولو عرفه كما عرفناه لما أثنى عليه أصلا . وقال ابن حبان : (كان ممن ينفرد عن الثقات بالأشياء المقلوبات ولا سيما إذا حدث عن شيوخ بلده) [2] .

وقد سئل يحيى بن معين عن محمد بن حميد الرازي فقال : (ثقة ليس به بأس رازي كيس) [3] .

فابن حميد وإن كان أثنى عليه ابن معين والإمام أحمد بن حنبل ووثقاه في رواية عنهما لكن جرح الأئمة الآخرين له مقدم على توثيقهما، وذلك للأمور التالية :

١- إن الذين جرحوه أتوا بجرح مفسر والجرح المفسر يقدم على التعديل غالبا عند تعارضهما [4].

٢- إن الذيـــن جرحوه بعضهم من أهل بلده، وبلدي الرجل يكون أعرف بالرجل وأخبر بحاله و هذه قرينة قوية تؤيد جانب الجرح على تعديله .

٣- إن الذيـــن وثقـــوه عذرهم أنهم لم يعرفوه عن حقيقة حاله كما قال ابن خزيمة، ولذلك عندما أخبروا عن حقيقة حاله رجعوا عن توثيقه .

قـــال أبو حاتم الرازي : سألني يحيى بن معين عن ابن حميد من قبل أن يظهر منه ما ظهـــر، فقال : أي شيء تنقمون عليه ؟ فقلت : يكون في كتابه الشيء، فنقول ليس هذا هكذا إنما هو كذا وكذا فيأخذ القلم فيغيره على ما نقول . قال : بئس هذه الخصلة [5].

وقال صالح بن الإمام أحمد [6] : قال محمد بن مسلم بن واره لأبي : يا أبا عبد الله رأيت محمد

---

(١) الحسين بن علي بن يزيد النيسابوري، الحافظ الإمام الناقد العلامة الثبت، من أخص شيوخ الحاكم ، توفي سنة ٣٤٩هـ . انظر : سير أعلام النبلاء (٥١/١٦-٥٩) .

(٢) انظر أقوال هؤلاء الأئمة في : التاريخ الكبير (٦٩/١ برقم : ١٦٧)؛ والتاريخ الصغير (٣٨٦/٢ برقم : ٢٩٧١)؛ وأحـــوال الرجال للجوزجاني (ص : ٢٠٧ برقم : ٣٨٢)؛ والمجروحين (٣٠٣/٢ -٣٠٤)؛ وتهذيب الكمال (٢٥/ ١٠٢-١٠٤)؛ وسير أعلام النبلاء (٥٠٤/١١) .

(٣) ذكره عنه ابن أبي حاتم في (الجرح والتعديل ٢٣٢/٧) .

(٤) انظر : ضوابط الجرح والتعديل (ص : ٤٤ - ٤٧) .

(٥) ذكره عنه ابنه في (الجرح والتعديل ٢٣٢/٧)؛ والمزي في (تهذيب الكمال ١٠١/٢٥) .

(٦) صالح بن الإمام أحمد بن محمد بن حنبل، محدث فقيه، توفي سنة ٢٦٥هـ . انظر : سير أعلام النبلاء (٥٢٩/١٢-٥٣٠) .

ابـــن حميـــد ؟ قال : نعم. قال: كيف رأيت حديثه ؟ قال :إذا حدث عن العراقيين يأتي بأشياء مستقيمة، وإذا حدث عن أهل بلده أتى بأشياء لا تعرف، لا تدري ما هي ؟ قال : فقال أبو زرعة وابن وارة : صح عندنا أنه يكذب . قال: فرأيت أبي بعد ذلك إذا ذكر بن حميد نفض يده [(١)].

فيتبين مما سبق ويترجح أن محمد بن حميد الرازي كان يكذب في الأحاديث فلا تقبل روايته أبدا، والله أعلم بالصواب .

العـــلة الثانية : الانقطاع بين ابن حميد هذا وبين الإمام مالك بن أنس فإنه لم يسمع من مالك ولم يلقه، ولا سيما في زمن أبي جعفر المنصور [(٢)] ويدل على ذلك أمور، وهي كما يلي :

١- ذكر الذهبي أن ابن حميد كانت ولادته في حدود الستين ومئة [(٣)]، والإمام مالك توفي سنة ١٧٩هـــ [(٤)] .

٢ - وذكـــر شـــيخ الإسلام ابن تيمية أن ابن حميد لم يخرج من بلده حين رحل في طلب العلم إلا وهو كبير مع أبيه [(٥)].

٣ - أبو جعفر المنصور حج عدة مرات : في عام ١٤٠هـــ و ١٤٤هـــ و ١٤٧هـــ و ١٥٢هـــ وهـــذه الأعوام هي التي يمكن أن يجتمع بالإمام مالك في المدينة. وأما حجته الأخيرة التي كانت سنة ١٥٨هـــ فهو لم يصل فيها إلى المدينة بل كان قد توفي في الحج قبل أن يأتي إلى المدينة [(٦)].

فآخـــر قدمة قدمها أبو جعفر المنصور المدينة كانت سنة ١٥٢هـــ . ولا يمكن لابن حميد أن يحضـــر المناظرة في هذا السنة الأخيرة؛ لأنه لم يولد إلا في حدود الستين ومئة كما قال الذهبي، فهي عـــلى ذلك تكون قبل ولادته، ولو فرضنا أن ولادته كانت قبل ذلك الوقت فإنه لا يمكنه حضور تلك المناظرة لأنه لم يرحل من بلده إلا وهو كبير، وكان في خراسان والقصة كانت في المدينة النبوية.

فيتبين من ذلك أن ابن حميد هو الذي اختلق هذه الحكاية ونسبها إلى الإمام مالك أو أنه أخذها من غيره ولكنه لم يبينه ورواها منقطعة، فبينه وبين الإمام مالك مجهول لا يعرف .

---

(١) ذكره عنه ابن حبان في (المجروحين ٣٠٤/٢) .

(٢) انظر : قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (ص : ١١٢)؛ والصارم المنكي (ص : ٣٤٥) .

(٣) انظر : سير أعلام النبلاء (٥٠٣/١١) .

(٤) انظر : قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (ص : ١١٢)؛ وسير أعلام النبلاء (١٣٠/٨) .

(٥) انظر : قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (ص : ١١٢) .

(٦) انظر : البداية والنهاية (١٢٧/١٠-١٢٨) .

العلة الثالثة : إن في الطريق إلى ابن حميد من يجهل حاله . قال شيخ الإسلام ابن تيمية : (وفي الإسـناد أيضا من لا يعرف حاله) [1]. وقال ابن عبد الهادي : (إسناد ليس بجيد بل هو إسناد مظلم منقطع وهو مشتمل على من يتهم بالكذب، وعلى من يجهل حاله) [2].

العلة الرابعة : إن الإمام مالك لم يسندها إلى النبي ﷺ، فهي حكاية مقطوعة على الإمام مالك على فرض ثبوتها عنه، وليس فيها حجة بل الحجة فيما ثبت عن الله تعالى وعن رسوله ﷺ [3].

العلة الخامسة : إن محمد بن حميد تفرد برواية هذه الحكاية عن الإمام مالك، ولم يذكرها أحد من أصحابه المعروفين بالأخذ عنه وهو ضعيف متهم بالكذب عند أهل العلم بالحديث إذا أسند فكيف إذا أرسل حكاية لا تعرف إلا من جهته ؟

وأصحاب مالك متفقون على أنه بمثل هذا النقل لا يثبت عن مالك قول له في مسألة في الفقـه، بل إذا روى عنه الشاميون ضعفوا روايتهم، وإنما يعتمدون على رواية المدنيين والمصـريين فكيف بحكاية تناقض مذهبه المعروف عنه من وجوه كثيرة رواها واحد من الخراسانيين لم يدركه وهو ضعيف عند أهل الحديث ؟ [4] .

هـذا ما يتعلق بإسناد هذه الحكاية، وبه يتبين أنها حكاية مكذوبة على الإمام مالك، ويتأكد ذلك بالنظر في متنه؛ فإنه يخالف منهج الإمام مالك، وفيما يلي الإشارة إلى ذلك .

الوجه الثاني : الكلام عن متن هذه الحكاية .

و أما متن هذه الحكاية ففيه نظر من وجوه وهي كما يلي :

١ - ثـبت عـن الإمام مالك رحمه الله أنه كره الوقوف عند قبر النبي ﷺ للدعاء له أو الدعـاء عنده [5] بل كان يرى أنه يسلم عليه ويمضي ولا يطيل الوقوف عند القبر، فكيف يأمر أحدا باستقبال قبر النبي ﷺ وطلب الشفاعة منه وهو لا يرى الوقوف عند قبره وينهى عنه .

---

(١) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (ص : ١١٢) .

(٢) الصارم المنكي (ص : ٣٤٥) .

(٣) انظر : الدعاء ومترلته في العقيدة (٨٣٢/٢) .

(٤) انظر : قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (ص : ١١٢-١١٣) .

(٥) انظر : الشفا (٦٧١/٢)، والمنتقى شرح موطأ الإمام مالك للباجي (٢٩٦/١)؛ والرد على الأخنائي (ص : ٤٦، ١٠٤)؛ والجواب الباهر (ص : ٥٥)؛ والصارم المنكي (ص : ٣٤٩-٣٥٠) .

٢ – إن الإمام مالكا رحمه الله كان من أبعد الناس عن البدع، وقد كره قول الرجل : زرت قبر النبي ﷺ [١]، وكره تتبع الآثار التي بالمدينة حتى كره مجيء قبور الشهداء ومسجد قباء مع وروده. وكل ذلك خوفا من أن يتخذها الناس عادة لهم [٢] فإذا كان الأمر كذلك فلا يمكن أن يأمر بما لم يثبت بالسنة من الدعاء عند القبر .

٣ – إن هذه الرواية تخالف ما ثبت عن السلف، فالآثار الواردة عنهم تدل على أن هذا ليس من عملهم ولا عاداتهم فقد سئل الإمام مالك عن أقوام يطيلون القيام مستقبلي الحجرة يدعون لأنفسهم، فأنكر ذلك عليهم وبين أنه من البدع التي لم يفعلها الصحابة والتابعون لهم بإحسان، وقال : لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها . فلو كان استقبال الحجرة عند الدعاء مشروعا لكان الصحابة والتابعون أعلم الناس بذلك، وأسبقهم إليه لشدة حرصهم على الخير والمسابقة إليه [٣].

٤ – إن لفظ الحكاية فيها ركاكة من الناحية اللغوية إذ جاء فيها : " استشفع به فيشفعك الله " والاستشفاع به معناه في اللغة : أن يطلب منه الشفاعة كما يستشفع الناس به يوم القيامة، وإذا كان المراد به الاستشفاع منه؛ أي : طلب شفاعته فإنما يقال في ذلك : " استشفع به فيشفِّعْه الله فيك " ولا يقال فيشفعك الله فيه .

وهذا اللفظ الذي في الحكاية يشبه لفظ كثير من العامة الذين يستعملون لفظ الشفاعة في معنى التوسل، فيقول أحدهم : اللهم أنا نستشفع إليك بفلان؛ أي : نتوسل به، وهذا ليس لغة السلف ولا لغة العرب، وهذا مما يبين أن هذه الحكاية وضعها جاهل بالشرع واللغة، ولا يمكن أن يقول به الإمام مالك [٤].

٥ – وهذه ليست مناظرة وإنما هي إنكار لمنكر من الإمام مالك أو استفتاء من أبي جعفر المنصور من الإمام مالك، ثم إن عقد المناظرة بين العلماء والخلفاء غير معروف في التاريخ غالبا؛ لأن المناظرة إنما تعقد بين العلماء، وقد تكون في بعض الأحيان القليلة بحضور بعض الخلفاء وإشرافهم [٥].

---

(١) انظر : الشفا (٢/٦٦٧)؛ والجواب الباهر (ص : ٥٥)؛ والصارم المنكي (ص : ٢٠٤) .

(٢) ذكره ابن وضاح في (ما جاء في البدع ص : ٩٤-٩٥ برقم : ١١٤و١١٦) .

(٣) انظر : قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (ص : ١١٣-١١٥ و ٢٢٨-٢٢٩) .

(٤) انظر : المصدر السابق (ص : ١٢٤-١٢٦) .

(٥) انظر : الدعاء ومترلته من العقيدة الإسلامية (٢/٨٣٥) .

٦ – قد يكون أصل هذه الحكاية صحيحا، و يكون الإمام مالك قد نهى عن رفع الصوت في مسجد الرسول ﷺ اتباعا للسنة ، فهو أمر بما أمر الله به من تعزيره وتوقيره مما يليق بمالك أن يأمر به ولكن وقع تحريف في ألفاظ الحكاية ؛ فإن من نشأ على اصطلاح قوم وعادتهم في الألفاظ إذا وجد تلك الألفاظ في كلام الله ورسوله أو الصحابة يظن أن مراد الله ورسوله أو الصحابة بتلك الألفاظ ما يريده بذلك أهل عادته واصطلاحه، ويكون مراد الله ورسوله والصحابة خلاف ذلك [١].

٧ – وعلى فرض صحتها ليس فيها دليل على أن آدم عليه السلام توسل بحق النبي ﷺ لما أخطأ في الجنة بأكله من الشجرة المحرمة؛ فإن قوله : (وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم عليه السلام إلى الله يوم القيامة) يدل على توسل آدم وذريته بشفاعته يوم القيامة، وذلك حين يأتي الناس يوم القيامة آدم عليه السلام ليشفع لهم، فيردهم إلى نوح عليه السلام، ثم يردهم نوح عليه السلام إلى إبراهيم عليه السلام ... إلى أن يردهم عيسى عليه السلام إلى محمد ﷺ، وهذا حق وثابت بالأحاديث الصحيحة ولكنه لا يدل على أن آدم عليه السلام توسل بحق النبي ﷺ لما أخطأ في الجنة، وكذلك ليس فيها دليل على جواز التوسل منه بعد وفاته في الدنيا [٢].

الحاصل : إن هذه الحكاية على هذا الوجه إما أنها مكذوبة على الإمام مالك ومنحولة عليه، وإما أنها صارت عرضة للتغيير والتحريف والتبديل من قبل الناقلين والحاكين، وإما أن تفسر على وجه يوافق مذهب الإمام مالك [٣]، وعلى كل حال ليس فيها دليل على أن آدم عليه السلام توسل بحق النبي ﷺ وكذلك ليس فيها حجة لما زعموا من القول بجواز التوسل بذات النبي ﷺ أو حقه وكرامته وجاهه عند الله تعالى والله أعلم بالصواب .

● محاولة تقوية الحديث المذكور بما حكي عن محمد بن علي وعبد الله بن ذكوان في توسل آدم عليه السلام بحق النبي ﷺ ودعوى أنهما يشهدان لمعنى الحديث .

وهناك من حاول [٤] تقوية الحديث المذكور بما حكي عن محمد بن علي [٥] أنه قال :

---

(١) انظر : قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (ص : ١٢٦) .

(٢) انظر : المصدر السابق (ص : ١١٠و١١٣)؛ والصارم المنكي (ص : ٣٥١) .

(٣) انظر : الصارم المنكي (ص : ٣٥٠) .

(٤) انظر : هذه المحاولة عند محمد بن علوي المالكي في (مفاهيم يجب أن تصحح ص : ١٢٤-١٢٥) .

(٥) محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، أبو جعفر الباقر، ثقة فاضل، توفي سنة بضع عشر بعد المائة من الهجرة النبوية . انظر : تقريب التهذيب (ص : ٤٧٩ برقم : ٦١٥١) .

إن آدم ﷺ قـال : (اللهم إني أسألك بجاه محمد عبدك وكرامته عليك أن تغفر لي خطيئتي)، وكذلك بما حكي عن أبي الزناد عبد الله بن ذكوان [1] أنه قال : (من الكلمات التي تاب الله بها على آدم قال : اللهم إني أسألك بحق محمد عليك ...) [2].

ولكن هذه أيضا محاولة فاشلة؛ بل هي أشد فسادا مما قبلها لأن قول محمد بن علي لا يعرف له خطام ولا زمام، ولم يذكر صاحب هذه المحاولة الفاشلة له إسنادا ، ولا أحال إلى من ذكره بالإسناد، وإنما أحال إلى " الدر المنثور" للسيوطي، وهو أحال إلى ابن المنذر [3] في تفسيره، وهو تفسير غير موجود بين أيدينا حتى ننظر في إسناده .

وأما قول أبي الزناد فإنه مع كونه مرسلا وموقوفا، إسناده إليه ضعيف جدا [4] لأن فيه عثمان بن خالد بن عمر بن عبد الله الأموي، والد أبي مروان وهو متروك الحديث [5].

وعلى فرض ثبوت القولين عمن حكيا عنه فلا حجة في قولهما بل الحجة فيما جاء في الكتاب والسنة الثابتة عن النبي ﷺ .

ثم إن الضعيف الذي تتقوى روايته لها شروط منها [6]:

- أن لا يكون ضعفه شديدا وعبد الرحمن بن زيد ضعيف جدا بل متهم بوضع الأحاديث وروايتها عن أبيه كما تقدم .
- وأن يكون ضعف الراوي في ضبطه دون عدالته وعبد الرحمن هذا متهم بوضع الأحاديث وروايتها عن أبيه، وهذا جرح شديد له في عدالته .
- وأن يكون له متابع مثله أو أقوى منه، وقد سبق أن الحديث مداره على عبد الرحمن،

---

(١) عبد الله بن ذكوان القرشي، أبو عبد الرحمن، المعروف بأبي الزناد، ثقة فقيه، توفي سنة ١٣٠هـ وقيل بعدها . انظر : تقريب التهذيب (ص : ٣٠٢ برقم :٣٣٠٢) .

(٢) أخرجه الآجري في (الشريعة ٣/١٤١٠ برقم : ٩٥٠) .

(٣) محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري، الإمام الحافظ العلامة الفقيه المفسر، توفي سنة ٣٠٩هـ وقيل بعدها . انظر : سير أعلام النبلاء (١٤/٠٠٠-٤٩٢) .

(٤) انظر : التوسل أنواعه وأحكامه (ص : ١٢٤-١٢٥) .

(٥) انظر : تقريب التهذيب (ص : ٣٨٣ برقم : ٤٤٦٤) .

(٦) انظر : ضوابط الجرح والتعديل (ص : ١٣٠) .

وأنه المتفرد بهذه الرواية عن أبيه؛ فهذه الرواية ليس لها متابعة من طريق آخر .

● أو أن يكون لروايته شاهد مثلها أو أقوى منها، وما ذكرت لها كالشواهد فإنها إما لا يعلم لها إسناد و إما أنها ضعيفة جدا أو أنها جاءت من نفس الإسناد فلا تصلح أن تكون شاهدة له .

فالشروط التي لا بد منها لتقوية حديث ضعيف وترقيته من الضعف إلى الحسن لغيره معدومة في هذا الحديث فلا يمكن تقويته بأي وجه من الوجوه، هذا إذا قيل على سبيل الفرض أنه ضعيف فقط فكيف وفيه عبد الرحمن بن زيد، وهو متهم بوضع الأحاديث وروايتها عن أبيه ؟ ولا شك أن هذا يجعله قريبا من الموضوع وتناقضه مع القرآن الكريم يؤكد أنه موضوع، والله أعلم بالصواب .

الوجـــه الثاني : بيان بطلان دعوى أن آدم عليه السلام توسل بحق النبي محمد ﷺ

دراية : إن دعوى توسل آدم عليه السلام بحق النبي ﷺ وجاهه عند الله تعالى منقوضة من وجوه كثيرة، وفيما يلي ذكر بعضها :

١ - إن الكلمات التي تلقاها آدم عليه السلام من ربه فتاب الله عليه قد سبق أقوال السلف في بيـــان المـــراد منها [1]، و لم يثبت عن أحد منهم أنه قال أن آدم عليه السلام توسل بالنبي ﷺ فتاب الله عليه، فلو كان هذا الحديث ثابتا إلى النبي ﷺ لذكره عامة السلف في تفسيراتهم و لم يعدلوا إلى غيره .

٢ – إن أولى ما يمكن أن يقال في بيان تلك الكلمات التي تلقاها آدم عليه السلام من ربه مـــا ورد ذكـــره في آية أخرى، وهو قوله تعالى : ﴿ قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين ﴾[2]. وهذا الذي ذهب إليه أكثر السلف ومنهم عبد الرحمن بن زيد بن أســـلم الذي عليه مدار هذا الحديث الذي استدلوا به، فلو كان عبد الرحمن بن زيد عنده حديث مرفوع في تفسير الآية لما عدل عنه إلى غيره [3].

٣ - إن التوبة تكون بالاعتراف بالذنب والإقرار له والاستغفار منه، ويتضمن ذلك

---

(١) انظر : (ص :٥٠١-٥٠٥) .

(٢) الأعراف الآية : ٢٣

(٣) انظر : (ص : ٥٠١-٥٠٢) .

قولـه تعالى : ﴿ قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين ﴾ [1] وإذا حصلت المغفرة بالتوبة حصل المقصود بها، ولا حاجة إلى غيره [2].

٤ - لو كان آدم عليه السلام قد قال هذا وبه حصلت له التوبة لكانت أمة محمد ﷺ أحق بــه منه، ولأمرهم النبي ﷺ أن يدعوا بهذا الدعاء وشرعه لهم ولكنه لم يأمر أمته به، ولم يشــرعه لهــم، ولم ينقل ذلك عن أحد من الصحابة الأخيار، ولم ينقله أحد من العلماء الأبرار، فهذا كله يدل على فساد هذا القول وبطلانه [3].

٥ - إنــه من المعلوم بالاضطرار أن من هو دون آدم عليه السلام من الكفار والفساق إذا تــاب أحدهم إلى الله تاب الله عليه وإن لم يقسم عليه بأحد . فكيف يحتاج آدم عليه السلام في توبته إلى ما لا يحتاج إليه أحد من المذنبين لا مؤمن ولا كافر ؟ [4]

٦ - عــن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك [5].

فالحــلف بمخلوق على مخلوق حرام وكفر وشرك، والنبي ﷺ مخلوق بل هو أشرف المخلوقين فلا يجوز الحلف به على الله تعالى لأنه حلف بغير الله تعالى .

وآدم عليه السلام نبي من الأنبياء، والنبي يكون معصوما من الشرك قبل نبوته وبعدها ؟ [6] وهــل مــن المعقول أن يتقرب آدم عليه السلام إلى الله تعالى بخطيئة أعظم من الخطيئة التي يود غفــرانها ؟ وهل يمكن التخلص من خطيئة بخطيئة أخرى أعظم منها ؟ وهل يصح أن ينسب إلى الله تعــالى أنه أقر آدم عليه السلام على هذه الوسيلة المحرمة وقبلها منه وهو القائل سبحانه : ﴿ لا يرضى

---

(١) الأعراف الآية : ٢٣

(٢) انظر : تلخيص كتاب الاستغاثة (١/٦٩-٧٠) .

(٣) انظر : المصدر السابق (١/٧٠) ؛ و منهاج السنة النبوية (٧/١٣٢) .

(٤) انظر : منهاج السنة النبوية (٧/١٣١) .

(٥) أخــرجه د (الأيمان والنذور، ب : كراهية الحلف بالآباء ٣/٢٢٣ح : ٣٢٥١)؛ وت (النذور والأيمان عن رســول ﷺ، ب : مــا جاء في كراهية الحلف بغير الله ٤/١١٠ ح : ١٥٣٥)، وقال : (هذا حديث حسن) واللفظ له؛ و كم (الإيمان ١/١٨) ، وصحح الحديث على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي ، وصححه الإلباني في (إرواء الغليل ٨/١٨٩-١٩١ ح : ٢٥٦١) .

(٦) انظر : (ص : ٧٣٢-٧٤٨) .

لعباده الكفر ﴾[1]. فهذا القول باطل لا يمكن أن يصدر عن آدم عليه السلام لأنه معصوم منه، ولأن الله سبحانه وتعالى لا يرضى لعباده الذنوب والمعاصي والكفر والشرك [2] .

٨ - لعل هذا القول مستمد من أهل الكتاب؛ لأن النصارى تزعم أن من فضائل عيسى عليه السلام أنه بواسطته غفرت خطيئة آدم عليه السلام [3]، فنافسهم بعض جهلة المسلمين على ذلك، فادعوا للنبي ﷺ ما ادعته النصارى لعيسى عليه السلام، فزعموا أن الله غفر خطيئة آدم عليه السلام بتوسله بالنبي ﷺ، وأضافت الرافضة إلى ذلك أسماء أخرى من آل بيت النبي ﷺ فزعمت أن آدم عليه السلام لم يحصل له التوبة، ولم تغفر له خطيئته إلا بعدما توسل بحق محمد ﷺ وعلي وفاطمة والحسن والحسين - رضي الله عنهم- كما هو دأب القوم في نسبة كل ما يظنونه فضيلة إليهم وسيأتي بيانه، فالظاهر أن هذا من اعتقاد النصارى الذي تبعهم فيه من تبعهم جهلا وسفها بغير علم ولا هدى [4] .

٩- إن هذه الرواية تخالف القرآن الكريم من وجهين :

أ - هذه الرواية تدل على أن آدم عليه السلام هو الذي اطلع بنفسه على اسم النبي ﷺ ولكن قوله تعالى : ﴿ فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم ﴾ [5] يدل على أن آدم عليه السلام تلقى هذه الكلمات من ربه تبارك وتعالى، فهذه الرواية فيها مخالفة واضحة للقرآن الكريم [6].

ب - جاء في هذه الرواية ((لولا محمد لما خلقتك))؛ أي : أن الله سبحانه وتعالى خلق آدم عليه السلام وبنيه لأجل محمد ﷺ؛ فلولاه لما خلقهم الله تعالى. وهذا يخالف الغاية والحكمة التي ذكرها الله عز وجل في القرآن الكريم . قال تعالى : ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾ [7] وقد سبق ذكر أقوال أهل العلم في تفسير الآية [8]، ولم أقف بحد علمي على

---

(١) الزمر الآية : ٧

(٢) انظر : التوصل إلى حقيقة التوسل (ص : ٢١٧-٢١٨) .

(٣) انظر : (ص : ٤٧٨).

(٤) انظر : التوسل أنواعه وأحكامه (ص : ١٢٥)؛ وهذه مفاهيمنا (ص : ٢٩-٣٠) .

(٥) البقرة الآية : ٣٧

(٦) انظر : تيسير العزيز الحميد (ص : ٢٤٦)؛ والتوسل أنواعه وأحكامه (ص : ١٢٥-١٢٦) .

(٧) الذاريات الآية : ٥٦

(٨) انظر : (ص : ٢٧-٤٠) .

مـــن فســـرها بحديث : ((لولا محمد ما خلقتك)) ، ولو بقول مرجوح، فلو كان هذا الحديث معتمدا لديهم لفسروها به، فإن الحديث النبوي أولى ما يفسر به القرآن الكريم .

ثم إن هـــذا الحديث مع كونه مخالفا لنص الآية معناه مستنكر من وجه آخر وهو أنه ينص على أن آدم وبنيه خلقوا من أجل النبي ﷺ، ومن المعلوم بالضرورة والتواتر القطعي أن الـــنبي ﷺ بعث في آخر الزمان، وقد سبقه أنبياء وأمم لا يعلم عددهم إلا الله، فكيف يمكن أن يقال أنهم خلقوا لأجل محمد ﷺ ؟.

فهذا الحديث ليس من كلام النبي ﷺ ولم يصدر من مشكاة النبوة لأنه يخالف ما جاء في كتاب الله تعـــالى، ولا يمكـــن أن يكون حديث رسول الله ﷺ مخالفا لكتاب الله تعالى لأن الكتاب والسنة كلاهمـــا من الله تعالى ، فمن البديهي أن يكونا متطابقين غير متناقضين لصدورهما من مصدر واحد . والتـــناقض يوجـــب اختلاف المصادر وتعددها [١]، ولذلك عد جهابذة نقاد الحديث كون الحديث مخالفـــا للقرآن من أمارات الوضع وعلاماته [٢] فإذا علم أنه مكذوب على رسول الله ﷺ ومختلق عليه ومنسوب إليه كذبا وزورا تبين أنه لا يصح الاستدلال به والاعتماد عليه لتقرير مثل هذه المسائل المتعلقة بالعقائد والعبادات التي لا تثبت إلا بنص صحيح على الراجح، وبنص متواتر قطعي بالإجماع[٣] .

ثانيا : دعوى أن آدم عليه السلام توسل بحق محمد ﷺ وعلي وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم وبيان بطلانها .

وهناك من يزعم أن آدم عليه السلام لما أكل من الشجرة المحرمة في الجنة لم يكن توسل بحق محمد ﷺ وحده بل كان قد توسل في زعمهم بحق النبي ﷺ وعلي وفاطمة والحسن والحسين – رضي الله عنهم – فلما توسل أبو البشر بهؤلاء الخمسة من آل البيت عفا الله تعالى عنه وغفر له .

وقـــد استدل أصحاب هذا القول بما روي من حديث ابن عباس – رضي الله عنه – قـــال : سألت النبي ﷺ عن الكلمات التي تلقاها آدم من ربه فتاب عنه فقال : قال بحق

---

(١) انظر : الوضع في الحديث (٣٠٠/١) .

(٢) انظر : المصدر السابق نفسه؛ والنكت على مقدمة ابن الصلاح للزركشي (٦٨/٢)؛ والنكت على كتاب ابن الصلاح لابن حجر (٨٤٦/٢)؛ وتدريب الراوي (٢٧٧/١)؛ وألفية السيوطي (ص : ٨٤) .

(٣) انظر : التوسل أنواعه وأحكامه (ص : ١٢٦-١٢٨) .

محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين إلا تبت عليَّ فتاب عليه [1].

هذا الحديث المكذوب أخذت به الرافضة، وادعت على أن آدم عليه السلام كان قد توسل بحق محمد ﷺ و علي و فاطمة والحسن و الحسين لما ارتكب الخطيئة في الجنة [2].

ولكن هذه دعوى باطلة وبيان بطلانها من وجهين :

الوجه الأول : علم ثبوت الحديث عن النبي ﷺ بل هو حديث موضوع باتفاق أهل العلم.

هــــذا الحديث المنسوب إلى ابن عباس – رضي الله عنهما – الذي استدل به من زعم أن آدم عليه السلام بعد خطيئته في الجنة بالأكل من الشجرة المحرمة كان قد توسل بحق محمد ﷺ وعلي وفاطمة والحسن والحسين حديث مكذوب مختلق على رسول الله ﷺ من غير خلاف بين أهل العلم فيما وقفت عليه من أقوالهم ، فقد حكم عليه بالوضع ابن الجوزي والذهبي والسيوطي وابن عــــراق الكناني ومحمد طاهر الفتني [3] والشوكاني والشيخ حماد الأنصاري [4] وغيرهم . وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : (إن هذا الحديث كذب موضوع باتفاق أهل العلم) [5].

ومـــا يؤكد كون هذا الحديث موضوعا أن في إسناده راويا اسمه عمرو بن ثابت وقد تفرد

---

(١) أخــــرجه ابن الجوزي في (الموضوعات ٢/٣) بإسناده إلى الدارقطني قال : قال :ثنا أبو ذر أحمد بن محمد بن أبي بكر الواسطي، ثنا محمد بن علي بن خلف العطار ثنا حسين الأشقر، ثنا عمرو بن ثابت عن أبيه عن سعيد بن جبير عن ابن عباس مرفوعا، وذكره السيوطي في (اللآلي المصنوعة في الأحاديث الموضوعة ٤٠٤/١) وابن عراق في (تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة ٣٩٥/١ ، ٤١٣) .

(٢) انظر : ومجمع البيان في تفسير القرآن للطبرسي (٨٩/١)؛ وتفسير الحسن العسكري (ص : ٩٠-٩١) نقلا بواســطة كــتاب التفسير والمفسرون لمحمد حسين الذهبي (٩٣/٢-٩٤)، وانظر أيضا ما ذكره عنهم شيخ الإسلام ابن تيمية ردا عليهم في (منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية ١٣٠/٧) .

(٣) محمـــد طاهر بن علي الفتني الكجراتي الهندي الصديقي، محدث مفسر لغوي عارف بالرجال، كان شديدا في الرد على بدع البواهير فقتلوه عام ٩٨٦هـــ . انظر : معجم المؤلفين (١٠٠/١٠) .

(٤) انظر بالترتيب : الموضوعات لابن الجوزي (٢/٣)؛ وتلخيصه للذهبي (ص : ١٥٢ ح : ٣٣١)؛ واللآلي المصنوعة في الأحـــاديث الموضـــوعة للسيوطي (٤٠٤/١)؛ وتنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة لابن عراق (٣٩٥/١ ، ٤١٣)؛ وتذكرة الموضوعات للفتني (ص : ٩٨)؛ والفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة للشوكاني (ص : ٣٩٤ ح : ١١٦٣)؛ وتحفة القاري في الرد على الغماري للأنصاري (ص : ٣٩-٤٠) .

(٥) منهاج السنة النبوية (١٣١/٧) .

برواية هذا الحديث، وهو رافضي خبيث متروك يروي الموضوعات وكان يسب السلف[1]. وهذا الحديـــث يوافق ويؤيد مذهبه في الغلو بآل بيت النبي ﷺ ورفعهم فوق مترلتهم التي أنزلهم الله تعالى عليها . فقد يكون هوى الرفض والغلو هو الذي حمله على وضع هذا الحديث و إلصاقه بهم .

ويؤيد ذلك أنه جاء في رواية أخرى - وهي أيضا موضوعة - : أن آدم ﷺ كان توسل بحرمة محمد ﷺ وأبي بكر وعمر وعثمان وعلي- رضي الله عنهم - وبجاههم وكرامتهم عند الله تعالى[2] .

فـــلعل نصـــرة المذهـــب واتباع الهوى هو الذي حمل من وضعهما على مقابلة الكذب بـــالكذب ووضعهما ومحاولة إلصاقهما بالنبي ﷺ، ومما لا شك أن نصرة المذاهب والأهواء من أهـــم العوامل التي حملت الوضاعين بالوضع والكذب على رسول الله ﷺ[3]. فهذا الحديث مما وضعه الوضاعون اتباعا لهواهم ونصرة لآرائهم الفاسدة الضالة، والله تعالى أعلم .

الوجـــه الثاني : بيان بطلان دعوى توسل آدم ﷺ بحق محمد ﷺ وعلي وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم دراية .

وجميع الوجوه التي تقدم ذكرها عند الكلام عن متن الحديث المنسوب إلى عمر بن الخطاب مرفوعا كلها تدل على بطلان هذه الدعوى وهذا الحديث . وبالإضافة إلى ذلك يمكن أن يقال في بيان بطلانه أنه لا ريب أن محمدا ﷺ أفضل من آدم ﷺ ولكن علي وفاطمة والحسن والحسين - رضي الله عنهم - ليسوا بأفضل من آدم ﷺ لأنه نبي، هؤلاء ليسوا بأنبياء. ولا شك أن النبي يكون أفضل ممن هو ليس بنبي، فلا يستساغ عقلا أن يقسم آدم ﷺ على الله تعالى بمن هو أكرم عليه منهم، ولا يمكن أن يصدر ذلك من آدم ﷺ فإنه نبي كريم أعز عند الله تعالى منهم[4] .

ثالثا : بيان حكم التوسل بذوات المخلوقين الفاضلة أو حقهم وجاههم عند الله تعالى .

لا شـــك أن التوسل بذوات المخلوقين الفاضلة أو حقهم وجاههم عند الله تعالى أمر محدث مبتدع في الدين ومما يدل على ذلك ما يلي :

---

(١) انظر : أقوال أئمة الجرح والتعديل عنه في : الموضوعات (٣/٢)؛ وتهذيب الكمال (٢١/٥٥٣-٥٥٨ برقم : ٤٣٣٣)؛ وميزان الاعتدال (٣/٢٤٩-٢٥٠ برقم : ٦٣٤٠)؛ وتهذيب التهذيب (٤/٣٢٣-٣٢٤ برقم : ٥٧٦٥) .

(٢) انظر : الرياض النضرة في مناقب العشرة (١/٤٤ ح : ٨٨) .

(٣) انظر للتفصيل : الوضع في الحديث (١/٢٢٣-٢٦٠) .

(٤) انظر : منهاج السنة النبوية (٧/١٣٢) .

١ - ديـــن الإســـلام بـــناؤه على أصلين عظيمين وهما : إخلاص العبادة لله تعالى، وإخـــلاص المـــتابعة لرسوله محمد ﷺ. ولا شك أن الدعاء من أهم العبادات، والعبادات مبناها على التوقيف، والتوسل بالذوات لم يرد تشريعه في كتاب الله، ولا في سنة صحيحة صـــريحة عـــن رسول الله ﷺ ؛ فهو بدعة لا يجوز التعبد به في الدعاء الذي هو من أهم العبادات [١] وقد قال النبي ﷺ : ((من أحدث في أمرنا هذا ما ليس فيه فهو رد)) [٢].

٢ - المتوســـل بذات المخلوق يعتقد أن التوسل بها مشروع في الدعاء، وينوي به التعبد والـــتقرب والطاعة، وأنه مما يستجاب به دعاؤه. وما كان هذا شأنه فإنه إما أن يكون واجبا وإما أن يكون مستحبا؛ فإن العبادات لا تكون إلا واجبة أو مستحبة ، وما ليس بواجب ولا مستحب فليس بعبادة. ودعاء الله تعالى عبادة، والتوسل بالذوات ليس بواجب ولا مستحب، فثبت بهذا كون التوسل بالذوات المخلوقة غير عبادة، فهو إذن بدعة [٣].

٣ - إن الله سبحانه وتعالى قد ذكر في كتابه الكريم جملة كبيرة من أدعية الأنبياء مثل دعـــاء آدم [٤] ودعـــاء إبراهيم وإسماعيل [٥] ودعاء يوسف [٦] وسليمان [٧] وأيوب [٨] وموســـى [٩] عـــليهم السلام ولكن لم يذكر الله تعالى عن أحد منهم أنه توسل في دعائه بذات فاضلة عند الله ، ولو كان ذلك صحيحا ومشروعا لكانوا أسبق إليه .

وكذلك ذكر الله تعالى في القرآن الكريم جملة كبيرة من أدعية أتباع الأنبياء مثل ما ذكره الله تعالى مـــن دعاء قوم موسى عليه السلام [١٠] ، ومن دعاء الحواريين الذين كانوا مع عيسى عليه السلام [١١]، ومن دعاء

---

(١) انظر : الدعاء ومترلته من العقيدة (٦٣٦/٢) .

(٢) أخرجه خ من حديث عائشة رضي الله عنها (الصلح، ب : إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود ٩٥٩/٢ ح : ٢٥٥٠)، واللفظ له؛ وم (الأقضية، ب : نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور ١٣٤٣/٣ ح : ١٧١٨) .

(٣) انظر : قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (ص : ٨٣) .

(٤) ذكره الله تعالى في سورة الأعراف الآية : ٢٣

(٥) ذكره الله تعالى في سورة البقرة الآيات : ١٢٧-١٢٩

(٦) ذكره الله تعالى في سورة يوسف الآية : ١٠١

(٧) ذكره الله تعالى في سورة النمل الآية : ١٩

(٨) ذكره الله تعالى في سورة الأنبياء الآية : ٨٣

(٩) ذكره الله تعالى في سورة القصص الآية : ٢٤

(١٠) ذكره الله تعالى في سورة يونس الآيات : ٨٤-٨٦

(١١) ذكره الله في سورة آل عمران الآيتان : ٥٢-٥٣

الذين كانوا يقاتلون مع نبي من أنبياء بني إسرائيل [١] ، وما ذكره الله تعالى من أدعية صحابة رسول الله ﷺ مثل دعاء المستضعفين [٢] ودعاء النصارى الذين آمنوا بالنبي ﷺ ففاضت أعينهم من الدمع [٣] إلى غير ذلك من أدعية الأنبياء وأتباعهم ولكنه سبحانه وتعالى لم يذكر عن واحد منهم من نبي أو تابع له أنـه توسـل في دعائه بذات فاضلة عند الله تعالى، فلو كان ذلك مشروعا لذكره الله تعالى في كتابه ولتمسك به أنبياؤه ولعلّموا أتباعهم أن يتوسلوا في دعائهم بذوات فاضلة عند الله تعالى [٤].

٤-كـان رسول الله ﷺ أتقى الناس لربه وأكثرهم عبادة وطاعة له سبحانه، وأحرصهم تقربا إليه جل جلاله، وكان يدعوه سبحانه وتعالى آناء الليل وأطراف النهار، ولكنه لم تثبت كـلمة واحـدة عن النبي ﷺ تدل على أنه توسل في دعائه إلى الله سبحانه وتعالى بأحد من الأنبياء السابقين، ولو كان التوسل بالذات مشروعا لكان النبي ﷺ أسبق إليه [٥].

٥ – لا شك أن الرسول ﷺ كان أفصح الناس كلاما وبيانا، كما كان أنصح الخلق لأمته، وأحرصهم لهدايتهم وفلاحهم وسعادتهم في الدنيا والآخرة؛ فقد علمهم أدعية كثيرة مباركة نافعة ولكنه لم يثبت عنه ﷺ بطريق صحيح صريح أنه علم أحدا من أصحابه أن يتوسلوا إلى الله سبحانه وتعالى بذوات المخلوقين وجاههم عند الله تعالى، فلو كان التوسل بالذات مشروعا لعلمه النبي ﷺ أمته ودلهم عليه [٦].

٦ – الصحابة رضوان الله تعالى عليهم كانوا أكثر الناس حبا وتعظيما للنبي والتزاما بسنته ﷺ، كما كـانوا مـن أعبد الناس لربهم وتقربا إليه سبحانه وتعالى، وكانوا يتوسلون بدعاء النبي ﷺ لما كان بين أظهرهم و لكنه لما انتقل إلى الرفيق الأعلى لم يتوسلوا بذاته ﷺ أو بحقه وجاهه وكرامته عند الله تعالى بل توسلوا بدعاء بعضهم فكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذا قحطوا توسل بدعاء العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه [٧]، و قـد توسل معاوية بن أبي سفيان – رضي الله عنهما – وأهل دمشق لما قحطوا بدعاء يزيد بن الأسود

---

(١) ذكره الله تعالى في سورة البقرة الآية : ٢٥٠

(٢) ذكره الله تعالى في سورة النساء الآية : ٧٥

(٣) ذكره الله تعالى في سورة المائدة الآية : ٨٣

(٤) انظر : قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة(ص: ٤٣-٤٤)؛ والدعاء ومترلته من العقيدة (٢/٦٣٧-٦٣٩).

(٥) انظر : الدعاء ومترلته من العقيدة (٦٣٩/٢) .

(٦) انظر : المصدر السابق نفسه .

(٧) أخرجه خ (الاستسقاء ، ب : سؤال الناس الإمام الاستسقاء إذا قحطوا ٣٤٢/١ ح : ٩٦٤) .

الجرشي [1] كما توسل أيضا بدعائه الضحاك بن قيس ﷺ [2] ومن معه لما حبس عنهم المطر [3].

فلو كان التوسل بذوات المخلوقين أو جاههم مشروعا لتوسل هؤلاء الصحابة الكرام بذات أشرف المخلوقات نبينا محمد ﷺ وجاهه عند الله تعالى و لم يعدلوا جميعا عنه إلى غيره، من غير إنكار عن أحد منهم . فمن هنا نتيقن أنهم ما عدلوا عن التوسل بالنبي بعد وفاته إلى التوسل بغيره إلا لعدم مشروعيته، ولاسيما هم كانوا في وقت الحاجة والشدة، وفي مثل هذه الحالات الحرجة والظروف الصعبة الناس يأخذون بأقوى ما عندهم من الأسباب والإمكانيات. ولا أحد أعظم عند الله من سيد ولد آدم محمد بن عبد الله خاتم النبيين وأشرف المرسلين ﷺ [4] .

٧ - كذلك إذا نظرنا في أدعية أصحاب رسول الله ﷺ ومناجاتهم لربهم لا نجد فيها ما يدل على أنهم توسلوا بذات النبي ﷺ أو بذات أحد من كبار الصحابة كأبي بكر وعمر وعثمان - رضي الله عنهم - مع أنهم قد تعرضوا في حياتهم لأنواع من المشاكل والمصائب كالخوف من الأعداء ونقص الثمرات وشدة الجوع وانتشار الطاعون وغيرها من الآلام والمصائب، فلو كان التوسل بذات أحد من المخلوقين أو جاهه مشروعا لتوسلوا بذات النبي ﷺ وجاهه أو بذات أحد من الصحابة وجاهه، ولكانوا أسبق إليه منا لشدة محبتهم وتعظيمهم للنبي ﷺ، ولتراحمهم وتوادهم وتعاضدهم فيما بينهم، ولشدة حرصهم على كل خير، ولشدة حاجتهم إلى كشف ما بهم من الآلام ورفعها عنهم [5].

وما يروى في ذلك من الحكايات فإنها لا تصح عن أحد منهم وإن صحت فهي لا تدل على ما زعموا . قال الشيخ علي محفوظ وهو من كبار علماء الأحناف المتأخرين : (التوسل به ﷺ بمعنى الإقسام على الله بذاته فهذا لم يقع من الصحابة رضي الله عنهم في الاستسقاء ونحوه لا في

---

(١) أخرجه ابن عساكر في تاريخه (٦٥/١١١-١١٢)، وصححه الحافظ ابن حجر في (الإصابة ٦٧٣/٣، ترجمة : يزيد الجرشي)؛ والألباني في (التوسل ص : ٤٥)، والجرشي هو يزيد بن الأسود، ذكره بعضهم من الصحابة إلا أن الصحبة لم تثبت له وكان من سادات التابعين بالشام . انظر : سير أعلام النبلاء (٤/١٣٦-١٣٧)؛ والإصابة (٦٧٣/٣) .

(٢) هو الضحاك بن قيس بن خالد الفهري، الأمير المشهور، صحابي صغير، توفي سنة ٦٤هـ . انظر : تقريب التهذيب (ص : ٢٧٩ برقم : ٢٩٧٦) .

(٣) أخرجه ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق (٦٥/١١١-١١٣)، وصححه الألباني في (التوسل ص : ٤٥) .

(٤) انظر : جلاء العينين (ص: ٥٥٣-٥٥٤)؛ وأنواع وأحكام التوسل (ص :٨٩- ٩٠) .

(٥) انظر : الدعاء ومنزلته في العقيدة (٢/٦٤٠) .

حياتـــه ولا بعد موته، لا عند القبر الشريف، ولا غير القبر، ولا يعرف هذا في شيء من الأدعية المشهورة المأثورة عنهم، وما يروى في ذلك فضعيف لا يصلح حجة في باب العقائد)[1] .

٨ - إن السؤال بالذوات سؤال بسبب لا يقتضي المطلوب، لأن الله سبحانه وتعالى لم يجعل السؤال بالذوات سببا لحصول المطلوب لأنه سؤال بذات لا رابط بينها وبين ذات السائل، لأن السائل إذا توسل بإيمانه وأعماله الصالحة فقد توسل بسبب له علاقة به لأن ثواب أعماله وأجرها له ومن ذلك إجابة الدعاء، وأما ذات مخلوق آخر فأي وسيلة بينهما وأي علاقة تربطهما [2].

٩ - إن التوسل بالذوات مثل الإقسام بالذوات وقد ورد النهي عن القسم بمخلوق إذ قال النبي ﷺ : من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك [3].

فكمـــا أنه لا يجوز أن يحلف بمخلوق فكذلك لا يجوز أن يقسم على الله بمخلوق ولا يسأل بنفس مخلوق فالسؤال بالمخلوق والإقسام به كلاهما من باب واحد [4].

١٠ - إن كـــثيرا من العلماء السابقين واللاحقين ذهبوا إلى منع التوسل بالذوات، ونص غير واحد منهم على أنه حرام لا يجوز .

جـــاء عـــن أبي يوسف[5] عن الإمام أبي حنيفة أنه قال : (لا ينبغي لأحد أن يدعو الله إلا به، والدعاء المأذون فيه المأمور به ما استفيد من قوله تعالى : ﴿ ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها ﴾[6])[7].

وقـــال ابـــن أبي العز الحنفي : (قال أبو حنيفة وصاحباه رضي الله عنهم : يكره أن يقـــول الداعي : أسألك بحق فلان، أو بحق أنبيائك ورسلك، وبحق البيت الحرام، والمشعر

---

(١) الإبداع في مضار الابتداع (ص : ١٩٤-١٩٥) .

(٢) انظر:قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (ص : ٩٥-٩٦)؛ وتلخيص كتاب الاستغاثة (١/١١٩-١٢٠) .

(٣) حديث صحيح، وقد سبق تخريجه في (ص : ٥٢٦) .

(٤) انظر : الدعاء ومترلته من العقيدة (٦٤٥/٢) .

(٥) يعقوب بن إبراهيم بن حبيب الأنصاري الكوفي، فقيه أصولي مجتهد محدث حافظ عالم بالتفسير والمغازي وأيام العرب، تفقه على أبي حنيفة، وولي القضاء مدة طويلة في عهد الخلفاء العباسيين، توفي في بغداد سنة ١٨٢هـــ. انظر : الفوائد البهية في تراجم الحنفية (ص : ٢٥)؛ ومعجم المؤلفين (٢٤٠/١٣) .

(٦) الأعراف الآية : ١٨٠

(٧) ذكره صاحب الدر المختار [مع شرحه رد المحتار] (٣٩٦/٦) ؛ وكذلك ذكر الشطر الأول شيخ الإسلام ابن تيمية في (قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة ص : ٨٦ و ٢٢٠)؛ وابن الآلوسي في (جلاء العينين ص : ٥١٦ و ٥٥١) .

الحرام ونحو ذلك)[1]. ومثله حكى عنهم ملا علي القاري[2] ومرتضى الزبيدي [3] من الأحناف، وكذلك حكى عنهم شيخ الإسلام ابن تيمية [4].

وهذا القول المحكي عن الإمام أبي حنيفة وصاحبيه هو الذي قرره وقال به كبار علماء الأحناف منهم أبو الحسن المرغيناني [5] إذ قال : (يكره أن يقول الرجل في دعائه : بحق فلان أو بحق أنبيائك ورسلك) [6] ومثله قال ابن مودود الموصلي [7] والزيلعي [8] والعيني [9] وملا خسرو [10] وملا مسكين [11] وأحمد الشلبي [12] وجلال الدين الخوارزمي [13]

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية (ص : ٢٩٧) .

(٢) انظر : شرح الفقه الأكبر (ص : ١٩٨) .

(٣) انظر : إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين (٢/٢٨٥)، والزبيدي هو محمد بن محمد بن محمد الحسيني الزبيدي، الملقب بمرتضى، لغوي نحوي محدث أصولي أديب مؤرخ نسابة، توفي سنة ١٢٠٥هـ . انظر : معجم المؤلفين (١١/٢٨٢) .

(٤) انظر : قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (ص : ٨٦ و ٢٢٠) .

(٥) أبو الحسن علي بن أبي بكر بن عبد الجليل المرغيناني الحنفي، فقيه فرضي محدث مفسر، توفي سنة ٥٩٣هـ . انظر : الفوائد البهية في تراجم الحنفية (ص : ١٤١-١٤٤)؛ ومعجم المؤلفين (٧/٤٥) .

(٦) الهداية شرح بداية المبتدي (كتاب الكراهية ٤/٩٦) .

(٧) انظر : المختار للفتوى وشرحه " الاختيار لتعليل المختار " (٤/١٦٤)، والموصلي هو عبد الله بن محمود بن مودود الموصلي الحنفي، كتابه المختار من الكتب التي كثر عليها اعتماد المتأخرين من الأحناف، توفي سنة ٦٨٣هـ . انظر : الفوائد البهية في تراجم الحنفية (ص : ١٠٦-١٠٧)؛ ومعجم المؤلفين (٦/١٤٧) .

(٨) انظر : تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق (٦/٣١)، والزيلعي هو عثمان بن علي بن محجن الزيلعي الحنفي، فقيه فرضي نحوي صوفي، توفي سنة ٧٤٣هـ انظر : الفوائد البهية (ص : ١١٥-١١٦)؛ ومعجم المؤلفين (٨/١٣) .

(٩) انظر : البناية في شرح الهداية (٩/٣٨٤) .

(١٠) انظر : درر الحكام في شرح غرر الأحكام (١/٣٢١)، وملا خسرو هو محمد بن فراموز بن علي الرومي الأصل المعروف بملا خسرو، وقيل منلا، وقيل مولى، الحنفي، فقيه أصولي مفسر، توفي سنة ٨٨٥هـ .انظر : الفوائد البهية (ص : ١٨٤)؛ ومعجم المؤلفين (١١/١٢٢-١٢٣) .

(١١) انظر : شرح كنز الدقائق في فروع الحنفية (ص : ٢٨٢)، وملا مسكين هو محمد الفراهي الهروي الحنفي، المعروف بملا مسكين، مفسر واعظ فقيه، توفي سنة ٩٥٤هـ . انظر : معجم المؤلفين (١١/١٢٣) .

(١٢) انظر : تجريد الفوائد الرقائق في شرح كنز الدقائق في فروع الحنفية (مطبوع في هامش تبيين الحقائق للزيلعي) (٦/٣١)، والشلبي هو أحمد بن محمد بن أحمد بن يونس المصري المعروف بالشلبي، فقيه نحوي، توفي سنة ١٠٢١هـ وقيل قبلها . انظر : معجم المؤلفين (٢/٧٨) .

(١٣) انظر : الكفاية في شرح الهداية (٤/٤٦)، والخوارزمي هو جلال الدين بن شمس الدين الخوارزمي الكرلاني، هذا ما ذكر عنه في (معجم المطبوعات العربية والمعربة ١/٨٣٩-٨٤٠)، و لم أستطع معرفته أكثر من هذا وقد قال عنه صاحب كتاب " أسماء الكتب، المتمم لكشف الظنون " في (ص : ٢٨٣) نقلا عن صاحب المفتاح : (و لم أقف له على ترجمة).

وابن عابدين [1] وعبد الحكيم الأفغاني [2] ونحوه جاء في الفتاوى الهندية التي جمعها مجموعة من علماء الأحناف الكبار بأمر الملك العادل أورنك زيب عالمكير [3] .

والمقصود بالكراهة هنا التحريم . قال قاضي خان : (اختلف المشايخ في تفسير الكراهية في قــول أبي حــنيفة رحمــه الله تعالى، الصحيح أنه أراد به التحريم) [4] . وقال أبو الحسن المرغيناني الحنفي : (تكلموا في معنى المكروه، والمروي عن محمد [5] - رحمه الله - نصا : أن كــل مكروه حرام إلا أنه لما لم يجد نصا قاطعا لم يطلق عليه لفظ الحرام، وعن أبي حنيفة وأبي يوســف رحمهما الله أنه إلى الحرام أقرب) [6] . وقال ابن عابدبن الحنفي : (وتحمل الكراهة المذكورة على التحريم) [7]. فينبغي حمل كلامهم على التحريم [8].

وهــذا الذي ذكروه عن معنى الكراهة عندهم هو الذي فهمه علماء الحنفية، ولذلك عبروا عنها بالــتحريم وعــدم الجواز . قال الطوري الحنفي[9] (لا يجوز أن يقول : بحق فلان عليك، وكذا بحق

---

(١) انظر : رد المحتار على الدر المختار (٣٩٧/٦)، وابن عابدين هو محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز الدمشقي، المعروف بابن عابدين، فقيه الديار الشامية وإمام الحنفية في عصره، توفي سنة ١٢٥٢هـــ .انظر : الأعلام (٦/ ٢٦٧-٢٦٨)؛ ومعجم المؤلفين (٧٧/٩) .

(٢) انظــر : كشف الحقائق شرح كتر الدقائق (٢٤٠/٢)، والأفغاني هو عبد الحكيم الأفغاني القندهاري، فقيه مقرئ مفسر، سكن دمشق وتوفي بها سنة ١٣٢٦هـــ . انظر : معجم المؤلفين (٩٤/٥) .

(٣) انظر : الفتاوى الهندية المعروف بالفتاوى العالمكيرية (٣١٨/٥)، وعالمكير هو أبو المظفر محي الدين محمد أورنك زيب عــالمكير بــن خــرم شاه جهان بن جهان كير بن شاه أكبر، من كبار سلاطين الهند، كان ذا معرفة بالعلوم الشرعية والطرق الصوفية، توفي سنة ١١١٨هـــ . انظر : سلك الدر في أعيان القرن الثاني عشر (١١٣/٤-١١٤) .

(٤) فتاوى قاضي خان (٣٥٨/٣) [مطبوع مع الفتاوى الهندية]، وقاضي خان هو الحسن بن منصور بن محمود الأوزجندي الفرغاني الحنفي، المعروف بقاضي خان، فقيه مجتهد في المسائل، توفي سنة ٥٩٢هـــ . انظر : معجم المؤلفين (٢٩٧/٣) .

(٥) محمد بن الحسن الشيباني مولاهم، أبو عبد الله، الحنفي، فقيه مجتهد محدث، جالس الإمام أبا حنيفة سنين، ثم تفقه على أبي يوسف، توفي سنة ١٨٩هـــ . انظر : الفوائد البهية (ص : ١٦٣)؛ ومعجم المؤلفين (٢٠٧/٦-٢٠٨) .

(٦) الهداية شرح بداية المبتدي (٧٨/٤) .

(٧) رد المحتار على الدر المختار (٣٩٦/٦) .

(٨) انظــر : مــا ذكره ابن القيم في (إعلام الموقعين ٤١/١-٤٥) عن غلط المتأخرين على الأئمة بسبب عدم مراعاتهم لمراد الأئمة من إطلاق لفظ الكراهة على المحرم ونحوه من العبارات .

(٩) عبد القادر بن عثمان القاهري الحنفي، الشهير بالطوري، فقيه أديب، ولي إفتاء الحنفية بمصر، توفي سنة ١٠٢٦ هـــ . انظر : معجم المؤلفين (٢٩٣/٥) .

أنبيائك وأوليائك ورسلك والبيت والمشعر الحرام) [1]. وقال القدوري : (المسألة بخلقه لا تجوز) [2]. وقال خير الدين الآلوسي الحنفي : (في جميع متونهم : أن قول الداعي المتوسل بحق الأنبياء والأولياء، وبحـــق البيت والمشعر الحرام — مكروه كراهة تحريم، وهي كالحرام في العقوبة بالنار عند محمد) [3] فهذه حكاية إجماع عن الأحناف على أن التوسل بذات المخلوق أو بحقه حرام لا يجوز .

وكذلك الحنابلة في أصح القولين عنهم أن التوسل بالذوات المخلوقة المنيفة والأماكن والأوقات الشريفة مكروه كراهة تحريم [4]. وجاء في فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء أن التوسل بجاه الأنبياء والأولياء حرام لا يجوز [5] .

وهـــذا إذا كان الداعي متوجها إلى ربه متوسلا إليه بغيره مثل أن يقول : أسألك بجاه فلان عـــبدك أو بحرمته أو بحقه. وإما إذا توجه إلى ذلك الغير ودعاه وطلب منه واستغاث به في قضاء حاجته كقول أحدهم : يا رسول الله ! فرج كربتي أو اشفني أو يقول : مدد مدد يا رسول الله أو يا حسين... فهذا ونحوه شرك أكبر يخرج قائله من الإسلام، والعياذ بالله تعالى [6].

١١ – إن الله سبحانه وتعالى قد أغنانا عما حرم علينا من التوسلات الشركية والبدعية بما شرع لنا من التوسل المشروع الذي تدل عليه نصوص كثيرة من الكتاب والسنة وهو الذي عليه أجمع السلف من الصحابة والتابعين فمن بعدهم، وعند التأمل يظهر أنه على ثلاثة أنواع وفيما يلي ذكرها مع ذكر دليل واحد من الكتاب والسنة لكل نوع منها :

الـــنوع الأول : التوسل باسم من أسماء الله الحسنى أو صفة من صفاته العليا : كأن يقـــول المســـلم في دعائه : اللهم إني أسألك بأنك أنت الرحمن الرحيم اللطيف الخبير أن

---

(١) البحر الرائق شرح كنز الدقائق [التكملة] (٣٧٩/٨) .

(٢) ذكره عنه شيخ الإسلام ابن تيمية في (القاعدة الجليلة في التوسل والوسيلة (ص : ٨٦ و ٢٢٠)، والقدوري هو أحمد ابن محمد بن أحمد البغدادي، شيخ الحنفية بالعراق، توفي سنة ٤٢٨هـــ . انظر : سير أعلام النبلاء (٥٧٤/١٧-٥٧٥) .

(٣) جلاء العينين في محاكمة الأحمدين (ص : ٥١٦-٥١٧) .

(٤) انظر : جلاء العينين (ص : ٥١٦ و ٥٢١) .

(٥) انظـــر : فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء (٤٩٩-٥٣٠) وانظر : مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمـــد العثيمين (٣٤٠/٢ و٣٤٣-٣٤٨ و٣٥٥)؛ والمنتقى من فتاوى فضيلة الشيخ صالح الفوزان (٤٩/١-٥٠)؛ ونظرات وتعقيبات على ما في كتاب السلفية لمحمد سعيد رمضان ... من الهفوات (ص : ٥٢) له أيضا .

(٦) انظر : جلاء العينين (ص : ٥١٦)؛ وفتاوى اللجنة الدائمة (٥٠٦/١-٥٠٧) .

تعافيني . أو يقول : أسألك برحمتك التي وسعت كل شيء أن ترحمني و تغفر لي .

مما يدل على مشروعية هذا النوع من التوسل قوله تعالى : ﴿ ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها ﴾[1] فالله سبحانه وتعالى أمرنا في هذه الآية الكريمة أن ندعوه سبحانه وتعالى متوسلين إليه بأسمائه الحسنى، ولا شك أن صفاته العليا داخلة في هذا الأمر لأن أسماءه تعالى دالة على صفاته الخاصة به ومتضمنة لها [2].

وذكر الله تعالى لنا ما دعا به سليمان ﷺ فقال : ﴿ رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحا ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين ﴾ [3] .

وحديث أنس بن مالك ﷺ قال : كان النبي ﷺ إذا كربه أمر قال : يا حي يا قيوم؛ برحمتك أستغيث [4] .

النوع الثاني : التوسل بعمل صالح قام به الداعي : مثل التوسل بالإيمان بالله تعالى وعبادته ومحبته وتقواه، والإيمان بالنبي ﷺ ومحبته وتعظيمه والصلاة والسلام عليه .

ومما يدل على مشروعية هذا النوع من التوسل قوله تعالى : ﴿ ربنا ءامنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين ﴾ [5] وقوله تعالى : ﴿ ربنا إننا سمعنا مناديا ينادي للإيمان أن ءامنوا بربكم فآمنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار ﴾ [6] .

وكذلك يدل على ذلك حديث أصحاب الغار المشهور [7] حيث توسل أحدهم ببره لوالديه، والثاني بعفته عن الزنا بامرأة كان يهواها منذ مدة طويلة، والثالث بأدائه للحقوق كاملة .

النوع الثالث : التوسل بدعاء الرجل الصالح الحي. كأن يقع المسلم في ضيق شديد،

---

(١) الأعراف الآية : ١٨٠

(٢) انظر : معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى (ص : ٤١٩)؛ والتوسل أنواعه وأحكامه (ص : ٣٢-٣٣) .

(٣) النمل الآية : ١٩

(٤) أخرجه ت (الدعوات، في الباب الثالث قبل باب : ما جاء في فضل التوبة ٥٣٩/٥ ح : ٣٥٢٤)؛ وكم (الدعاء، ب : دعاء رفع الهم و الغم ٥٠٩/١) وقال : هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه، وحسنه الألباني في (التوسل ص : ٣٤) .

(٥) المؤمنون الآية : ١٠٩

(٦) آل عمران الآية : ١٩٣

(٧) أخرجه خ (البيوع، ب :إذا اشترى شيئا لغيره بغير إذنه فرضي ٧٧١/٢ ح : ٢١٠٢)؛ و م (الذكر والدعاء ...، ب : قصة أصحاب الغار الثلاثة والتوسل بصالح الأعمال ٢٠٩٩/٤ ح : ٢٧٤٣) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعا .

ويعـــلم من نفسه التفريط في جنب الله تعالى، فيحب أن يأخذ بسبب قوي إلى الله تعالى فيذهـــب إلى رجل يعتقد فيه الصلاح والتقوى أو الفضل والعلم بالكتاب والسنة فيطلب منه أن يدعو له ربه، ليفرج عنه كربه.

ومـــا يـــدل على مشروعية هذا النوع من التوسل قوله تعالى حكاية عن عباده المؤمنين أنهم يقولون : ﴿ ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين ءامنوا ربنا إنك رءوف رحيم ﴾ [1] .

قـــال صفوان بن عبد الله القرشي [2] : قدمت الشام، فأتيت أبا الدرداء ﷺ في منزله فلم أجده، ووجدت أم الدرداء – رضي الله عنها –. فقالت : أتريد الحج العام ؟ فقلت : نعم . قالت : فادع الله لنا بخير؛ فإن النبي ﷺ كان يقول : دعوة المرء المسلم لأخيه، بظهر الغيـــب مســـتجابة، عند رأسه ملك موكل،كلما دعا لأخيه بخير، قال الملك الموكل به : آمين ولك بمثلٍ . قال : فخرجت إلى السوق، فلقيت أبا الدرداء ﷺ، فقال لي مثل ذلك يرويه عن النبي ﷺ [3] .

فهـــذه النصـــوص مـــن الكتاب والسنة النبوية وغيرها كيثرة، وهي كلها تدل على مشروعية التوسل إلى الله تعالى باسم من أسمائه أو صفة من صفاته، أو بعمل صالح قام به الداعي، أو بدعاء الرجل الصالح الحي الذي ترجى إجابة دعائه عند الله تعالى، وأن ذلك مما يحبه الله ويرضاه. ولذلك كان يستعمله رسول الله ﷺ فهذه هي الوسيلة التي تقرب إلى الله سبحانه وتعالى وتجعل المتوسل به من المحبوبين عند الله سبحانه وتعالى باتفاق الأمة .

وأما التوسل بالذوات المخلوقة فلو قلنا بجوازه على سبيل الفرض لا يخلو إما أن يكون التوسل المشروع أفضل منه أو هو أفضل ولا يمكن لأحد أن يدعي أنه هو الأفضل، فإذا كان الأمر كذلك فلماذا نترك الأفضل ونبحث عن المفضول؟ وهل هذا إلا استبدال الذي هو أدنى بالذي هو خير؟

ثم إن التوســـل بذوات الصالحين قد اختلف فيه أهل العلم ما بين مجيز ومحرم [4]، أفلا يكون

---

(١) الحشر الآية : ١٠

(٢) صفوان بن عبد الله بن صفوان القرشي، زوج الدرداء بنت أبي الدرداء الصحابي الجليل ﷺ، وصفوان ثقة . انظر : صحيح مسلم (٢٠٩٤/٤)؛ وتقريب التهذيب (ص : ٢٧٧ برقم : ٢٩٣٦) .

(٣) أخرجه م (الذكر والدعاء ... ، ب : فضل الدعاء للمسلمين بظهر الغيب ٢٠٩٤/٤ ح : ٢٧٣٣) .

(٤) انظر : جلاء العينين (ص : ٥٤٦) .

مـــنعه من باب اجتناب الشبهات التي أمرنا بالاجتناب عنها في مثل قوله ﷺ : ((دع ما يريبك إلى ما لا يريبك)) [1].فإذا كان الفقهاء يراعون الخلاف حتى في المسائل التي أدلتها ضعيفة فلماذا لا نراعي هنا الخلاف مع قوة الأدلة المانعة ؟ بل مقتضى الإنصاف أن تكون المـــراعاة هـــنا أكـــثر وأكثر لعلاقة المسألة بإخلاص العبادة لله تعالى، الذي ضده الشرك والكفر، والعياذ بالله تعالى [2].

اللهم إنا نسألك بأسمائك الحسنى وصفاتك العليا، وبإيماننا بك واتباعنا لنبيك أن ترينا وجميـــع إخوانـــنا المســـلمين - الحق حقا وارزقنا اتباعه، وأن ترينا الباطل باطلا وارزقنا اجتنابه، وأن تدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين يا أرحم الراحمين وأكرم الأكرمين .

---

(١) جزء من حديث الحسن بن علي رضي الله عنهما، أخرجه حم (٣/٢٤٨-٢٤٩ ح : ١٧٢٣)؛ و ت (صفة القيامة، الباب الأخير ٤/٦٦٨ ح : ٢٥١٨) وقال : (هذا حديث حسن صحيح)؛ ون (الأشربة، ب : الحث على ترك الشبهات ٨/ ٣٢٧ ح : ٥٧١٠)؛ وخز (الزكاة، جماع أبواب قسم المصدقات، ب : ذكر تحريم الصدقة المفروضة على النبي المصطفى ٤/٥٩ ح : ٢٣٤٧)؛ وحب كما في الإحسان (الرقاق، الورع والتوكل، ب : ذكر الزجر عما يريب المرء من أسباب هذه الدنيا الفانية الزائلة ٢/٤٩٨ ح : ٧٢٢)؛ و كم (البيوع، ب : دع ما يريبك ... ٢/١٣ والأحكام، ب : الصدق طمانينة ٤/٩٩) وقـــال : (هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه) ووافقه الذهبي وقال مرة أخرى : (سنده قوي)، وكذلك صححه الألباني في (إرواء الغليل ١/٤٤ ح : ١٢)، وبين أنه مروي أيضا عن أنس بن مالك وابن عمر رضي الله عنهم .

(٢) انظر : الدعاء ومترلته من العقيدة (٢/٦٤٦-٦٤٧) .

المطلب الرابع : الحكمة في ابتلاء الأنبياء بالذنوب .

الأنبياء عليهم السلام هم صفوة الخلق وخيرتهم عند الله تعالى، ومع ذلك وقعت منهم بعض المعاصي والذنوب، وقعوا فيها ابتلاء من الله سبحانه وتعالى. وهذا من حكمته سبحانه وتعالى أنه قد يبتلي عبده المؤمن بما يتوب منه فيحصل له فوائد عظيمة ومنافع جليلة، وفيما يلي ذكر بعضها .

١- الإحساس بالذنب والشعور بالتقصير والندم عليه ثم المبادرة إلى التوبة والاستغفار من أعظم نعم الله تعالى على العبد. والأنبياء عليهم السلام عندما صدر عن أحد منهم شيء من المعصية بادر بالتوبة والاستغفار. والله سبحانه وتعالى لم يذكر في القرآن الكريم ذنبا عن نبي إلا ذكر معه توبته منه وأوبته إلى ربه. قال تعالى عن آدم ﷺ : ﴿فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين * قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين ﴾ [1]، وقال تعالى : ﴿ وعصى آدم ربه فغوى * ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى ﴾ [2]. وقال تعالى عن نوح ﷺ : ﴿ وأوحي إلى نوح أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد ءامن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون * واصنع الفلك بأعيننا ووحينا ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون ﴾ [3] الآيات إلى أن قال : ﴿ ونادى نوح ربه فقال رب إن ابني من أهلي وإن وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين * قال يا نوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح فلا تسألن ما ليس لك به علم إني أعظك أن تكون من الجاهلين * قال رب إني أعوذ بك أن أسألك ما ليس لي به علم وإلا تغفر لي وترحمني أكن من الخاسرين ﴾ [4].

وقال تعالى عن موسى ﷺ : ﴿ ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه فوكزه موسى فقضى عليه قال هذا من عمل

---

(١) الأعراف الآيتان : ٢٢-٢٣

(٢) طه الآيتان ١٢١-١٢٢

(٣) هود الآيتان : ٣٦-٣٧

(٤) هود الآيات : ٤٥-٤٧

الشيطان إنه عدو مضل مبين * قال رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له إنه هو الغفور الرحيم ﴾ [1].

فهؤلاء الأنبياء حين صدر عن أحد منهم شيء من المعصية بادر بالتوبة والاستغفار. والذنب الذي يضر صاحبه هو ما لم يحصل منه توبة. وأما ما حصل منه توبة فهو لا يضر صاحبه[2]. والله سبحانه وتعالى قد أخبر عنهم أنهم تابوا إليه وطلبوا المغفرة منه، وأيضا أخبر أنه تاب عليهم وغفر لهم . ولاشك أن حصول مغفرة الله تعالى ورحمته ورضوانه من أكبر نعم الله على عبده .

٢ - الأنبياء عليهم السلام إن وقع منهم شيء من معصية الله تعالى فهم غسلوها وتخلصوا من أدرانها بالتوبة والاستغفار، وأصبحوا على حذر تام في المستقبل من العودة عما تابوا عنه، وباتوا أكثر حرصا واجتهادا في عبادة الله تعالى والمداومة عليها، فازدادوا بتوبتهم واستغفارهم وإنابتهم إلى الله وتضرعهم إليه وخشيتهم له قربة ومنزلة عند الله تعالى، وحصل لهم بذلك من كمال الافتقار والعبودية لله تعالى ما لم يكن ليحصل من غير توبة، كمن ذاق الجوع والعطش والمرض والفقر والخوف ثم ذاق الشبع والري والعافية والغنى والأمن فإنه يحصل له من المحبة لذلك وحلاوته ولذته والرغبة فيه وشكر نعمة الله عليه والحذر أن يقع فيما حصل أولا ما لم يحصل بدون ذلك [3] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : (إنما ابتلى الله الأنبياء بالذنوب رفعا لدرجاتهم بالتوبة وتبليغا لهم إلى محبته وفرحه بهم؛ فان الله يحب التوابين، ويحب المتطهرين، ويفرح بتوبة التائب أشد فرح فالمقصود كمال الغاية لا نقص البداية فإن العبد تكون له الدرجة لا ينالها إلا بما قدره الله له من العمل أو البلاء) [4].

وقال العلامة ابن القيم : وإذا تأملت حكمته سبحانه فيما ابتلى به عباده وصفوته بما ساقهم به إلى أجل الغايات وأكمل النهايات التي لم يكونوا يعبرون إليها إلا على جسر من الابتلاء والامتحان، وكان ذلك الجسر لكماله كالجسر الذي لا سبيل إلى عبورهم إلى الجنة إلا عليه، وكان ذلك الابتلاء ولامتحان عين الشرف والكرامة في حقهم، فصورته صورة

---

(1) القصص الآيتان : ١٥-١٦

(2) انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١٥/٥٤) .

(3) انظر : المصدر السابق (١٥/٥٥) .

(4) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٢٠/٨٩) .

ابـتلاء وامتحان وباطنه فيه الرحمة والنعمة . فكم لله من نعمة جسيمة ومنة عظيمة تجنى من قطـوف الابـتلاء والامـتحان فتأمل حال أبينا آدم عليه السلام وما آلت إليه محنته من الاصطفاء والاجتباء والتوبة والهداية ورفعة المترلة ولولا تلك المحنة التي جرت عليه لما وصل إلى ما وصل إليه فكم بين حالته الأولى وحالته الثانية في نهايته [1]. انتهى المقصود من كلامه بتصرف يسير.

٣- الأنبياء عليهم السلام أسوة حسنة لمن أرسلوا إليهم وفي توبتهم واستغفارهم وإنابتهم إلى الله تعالى وتضرعهم إليه وخشيتهم منه وعبوديتهم له دعوة لأتباعهم إلى عدم القنوط من رحمة الله ومغفرته، ودعوة إلى المبادرة للتوبة والإنابة إليه سبحانه وطلب المغفرة منه وإفراد العبودية له كلها .

٤ – فيـه ظهـور لمقتضى أسماء الله تعالى وصفاته من عظيم فضله وكرمه وإحسانه وعفوه ورحمته بعباده، وفرحه بتوبة التائب إليه، وقبول توبته، وبيان ذلك من وجوه :

أ- إن الله سبحانه وتعالى يحب التوبة والاستغفار و يحب أهلها : قال تعالى : ﴿ إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين ﴾ [2] .

وعـن أبي هريـرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : والذي نفسي بيده ! لو لم تذنبوا لذهب الله بكم، ولجاء بقوم يذنبون، فيستغفرون الله، فيغفر لهم [3].

ب – إن الله رحيم بعباده فهو سبحانه وتعالى يغفر من تاب إليه رحمة منه وفضلا قال تعالى : ﴿ كتب ربكم على نفسه الرحمة أنه من عمل منكم سوءا بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فأنه غفور رحيم ﴾ [4] وقال تعالى : ﴿ ثم إن ربك للذين عملوا السوء بجهالة ثم تابوا من بعد ذلك وأصلحوا إن ربك من بعدها لغفور رحيم ﴾ [5].

ج – إن الله سبحانه وتعالى يقبل التوبة عن عباده ويعفو عنهم ويفرح بتوبتهم إليه . قال تعالى : ﴿ وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ﴾ [6] .

وعـن البراء بن عازب رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : كيف تقولون بفرح رجل انفلتت

---

(1) انظر : مفتاح دار السعادة (٢٩٩/١) وانظر بعد ذلك كلاما نفيسا له عن غيره من الأنبياء عليهم السلام في هذا الصدد.

(2) البقرة الآية : ٢٢٢

(3) أخرجه م (التوبة، ب : سقوط الذنب بالاستغفار ١٢٠٦/٤ ح : ٢٧٤٩) .

(4) الأنعام الآية : ٥٤

(5) النحل الآية : ١١٩

(6) الشورى الآية : ٢٥

مـــنه راحلته، تجر زمامها بأرض قفر ليس بها طعام ولا شراب، وعليها له طعام وشراب، فطلبها حــتى شق عليه ثم مرت بجذل شجرة فتعلق زمامها فوجدها متعلقة به ؟ قلنا : شديدا يا رسول الله ! فقال رسول الله ﷺ : أما والله ! لله أشد فرحا بتوبة عبده من الرجل براحلته [1].

وعن أنس بن مالك قال : قال رسول الله : لله أشد فرحا بتوبة عبده، حين يتوب إليه، من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة . فانفلتت منه، وعليها طعامه وشرابه، فأيس منها، فأتى شـــجرة، فاضطجع في ظلها قد أيس من راحلته، فبينا هو كذلك إذا هو بها قائمة عنده، فأخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح : اللهم! أنت عبدي وأنا ربك. أخطأ من شدة الفرح [2].

د – إن الله ســبحانه وتعــالى يبدل سيئات التائبين إليه حسنات فضلا وكرما منه ســبحانه وتعــالى وإحسانا إلى عباده ورحمة بهم . قال الله تعالى : ﴿ إلا من تاب وآمن وعمل صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما ﴾ [3] .

عن أبي ذر ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : إني لأعلم آخر أهل الجنة دخولا الجنة. وآخر أهل الــنار خروجا منها. رجل يؤتى به يوم القيامة. فيقال : اعرضوا عليه صغار ذنوبه وارفعوا عنه كــبارها فــتعرض عليه صغار ذنوبه. فيقال : عملت يوم كذا وكذا، كذا وكذا. وعملت يوم كــذا وكــذا، كذا وكذا. فيقول : نعم. لا يستطيع أن ينكر. وهو مشفق من كبار ذنوبه أن تعــرض عــليه فيقال له : فإن لك مكان كل سيئة حسنة. فيقول : رب ! قد عملت أشياء لا أراها ههنا، فلقد رأيت رسول الله ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه [4].

فالعبد إذا أذنب ثم ندم على فعله وأناب إلى ربه وطلب منه الإقالة والمغفرة يفرح الله به ويتوب عليه ويقبل توبته ويعفو عنه ويبدل سيئاته حسنات وهذا كله مظهر من مظاهر مقتضى أسماء الله وصفاته من رحمته وفضله وإحسانه وكرمه ومغفرته وعفوه ورضاه بتوبة التائبين إليه وفرحه بهم ومحبته لهم سبحانه وتعالى .

---

(1) أخرجه م (التوبة، ب : في الحث على التوبة والفرح بها ٤/٢١٠٤ ح : ٢٧٤٦) .

(2) أخرجه خ (الدعوات، ب : التوبة ٥/٢٣٢٥ ح : ٥٩٥٠)؛ وم (التوبة، ب : في الحث على التوبة والفرح بها ٤/٢١٠٤ ح : ٢٧٤٧)، واللفظ له .

(3) الفرقان الآية : ٧٠

(4) أخرجه م (الإيمان، ب : أدنى أهل الجنة منزلة ١/١٧٧ ح : ١٩٠) .

الفصل الثاني : هبوط آدم وزوجه عليهما السلام من الجنة إلى الأرض .وفيه خمسة مباحث .

المبحث الأول : خروج آدم وزوجه عليهما السلام من الجنة وهبوطهما إلى الأرض.

المبحث الثاني : تحذير الله تعالى آدم عليه السلام وذريته من إبليس ومكائده .

المبحث الثالث : استخراج ذرية آدم عليه السلام وأخذ الميثاق منهم .

المبحث الرابع : مناظرة آدم وموسى عليهما السلام .

المبحث الخامس : خلافة آدم عليه السلام في الأرض .

المبحث الأول : خروج آدم وزوجه عليهما السلام من الجنة وهبوطهما إلى الأرض.

وفيه ثلاثة مطالب.

المطلب الأول : وقت خروج آدم وزوجه عليهما السلام من الجنة ومدة بقائهما فيها.

أولا : وقت خروج آدم ﷺ من الجنة .

إن آدم ﷺ لما أسكن الجنة مع زوجه حواء عليها السلام كان من نعم الله تعالى عليهما أن أباح لهما أن يأكلا منها حيث شاءا رغدا إلا شجرة حرمها عليهما، ونهاهما عن الاقتراب منها، وحذرهما من كيد الشيطان لهما ولكن سبق القضاء عليهما، فوقعا في كيد الشيطان عدوهما، وأكلا من الشجرة الممنوعة، فلما أكلا منها أمرا بالخروج من الجنة. وقد جاء بيان ذلك في كتاب الله تعالى تحذيرا لبني آدم عن إغوائه لهم كما أغوى أبويهم من قبل فأخرجهما من الجنة . قال تعالى : ﴿ وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين * فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين ﴾ (١) وقال تعالى : ﴿ يابني ءادم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما ﴾ (٢).

وقد جاءت عدة أحاديث عن النبي ﷺ موافقة لكتاب الله تعالى فبينت خروج آدم وزوجه عليهما السلام من الجنة بعد الأكل من الشجرة المحرمة، وزادت في البيان والإيضاح بأن ذلك اليوم الذي أخرج فيه الأبوان من الجنة كان ذلك يوم الجمعة. فمن الأحاديث النبوية التي جاء فيها بيان خروج آدم ﷺ من الجنة يوم الجمعة ما يلي :

عن أبي هريرة ﷺ عنه قال : قال رسول الله ﷺ : خير يوم طلعت عليه الشمس يوم

---

(١) البقرة الآيتان : ٣٥-٣٦ وانظر : الأعراف الآيات : ١٩-٢٤ و طه الآيات : ١١٧-١٢٣

(٢) الأعراف الآية : ٢٧

الجمعة؛ فيه خلق آدم، وفيه أدخل الجنة، وفيه أخرج منها [1].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: سيد الأيام يوم الجمعة، فيه خلق آدم، وفيه أدخل الجنة، وفيه أخرج منها، ولا تقوم الساعة إلا يوم الجمعة [2].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة؛ فيه خلق آدم، وفيه أهبط من الجنة، وفيه تيب عليه، وفيه مات، وفيه تقوم الساعة، وما من دابة إلا وهي مُصِيْخَةٌ يوم الجمعة من حين تصبح حتى تطلع الشمس شفقا من الساعة إلا الجن والإنس، وفيه ساعة لا يصادفها عبد مسلم وهو يصلي يسأل الله شيئا إلا أعطاه إياه ...الحديث [3].

وعن أبي لبابة بن عبد المنذر ﷺ قال: قال النبي ﷺ: إن يوم الجمعة سيد الأيام وأعظمها عند الله، وهو أعظم عند الله من يوم الأضحى ويوم الفطر؛ فيه خمس خلال: خلق الله فيه آدم، وأهبط الله فيه آدم إلى الأرض، وفيه توفى الله آدم، وفيه ساعة لا يسأل الله فيها العبد شيئا إلا أعطاه ما لم يسأل حراما، وفيه تقوم الساعة؛ ما من ملك مقرب، ولا سماء ولا أرض ولا رياح ولا جبال ولا بحر، إلا وهن يشفقن من يوم الجمعة [4].

وعن سعد بن عبادة ﷺ أن رجلا من الأنصار أتى النبي ﷺ فقال: أخبرنا عن يوم الجمعة: ماذا فيه من الخير؟ قال: " فيه خمس خلال: فيه خلق آدم، وفيه أهبط آدم، وفيه توفي آدم، وفيه ساعة لا يسأل الله عبد فيها شيئا إلا آتاه الله إياه، ما لم يسأل مأثما أو قطيعة رحم، وفيه تقوم الساعة، ما من ملك مقرب ولا سماء ولا أرض ولا جبال ولا حجر إلا وهو يشفق من يوم الجمعة [5].

يتبين مما سبق من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية أن الأبوين أخرجا من الجنة بعد الأكل من الشجرة المحرمة، وأن ذلك كان يوم الجمعة، والله أعلم بالصواب.

---

(١) حديث صحيح، وهو عند مسلم وقد سبق تخريجه في (ص: ٨٦).

(٢) حديث صحيح، وقد سبق تخريجه في (ص: ٨٧).

(٣) حديث صحيح، وقد سبق تخريجه في (ص: ٨٧).

(٤) إسناده حسن، والحديث صحيح لغيره، وقد سبق تخريجه والكلام عليه في (ص: ٨٨).

(٥) إسناده أقرب إلى الحسن، والحديث صحيح لغيره، وقد سبق تخريجه والكلام عليه في (ص: ٨٧).

ثانيا : مدة بقاء آدم وزوجه عليهما السلام في الجنة :

لقـــد تبين من النصوص المتقدمة أن الأبوين كانا أمرا بدخول الجنة والسكن فيها يوم الجمعـــة، وأن خـــروجهما منها كذلك كان يوم الجمعة. فكم بقي فيها الأبوان، في هذه المسألة لم أجد من نصوص الكتاب والسنة الثابتة عن النبي ﷺ ما يبين ذلك بالتحديد إلا أن لأهل العلم في بيان المدة التي بقي فيها الأبوان في الجنة أقوالا، وهي كما يلي :

القول الأول : ما سكن آدم الجنة إلا ما بين صلاة العصر إلى غروب الشمس .قاله عبدالله بن عباس – رضي الله عنهما – [١].

القـــول الثاني : خرج آدم من الجنة بين الصلاتين صلاة الظهر وصلاة العصر، فأنزل إلى الأرض، وكـــان مكـــثه في الجنة نصف يوم من أيام الآخرة، وهو خمسمائة سنة من يوم كان مقداره اثنتي عشرة ساعة، واليوم ألف سنة مما يعد أهل الدنيا . هذا القول محكي عن ابن عباس – رضي الله عنهما – في رواية أخرى عنه [٢] وبه قال الكلبي [٣]، ومثله ما حكي عن وهب بن منبه بأن آدم عليه السلام مكث في الجنة ست ساعات [٤]، وإليه مال الزرقاني [٥].

القـــول الثالث : ما مكث آدم عليه السلام إلا مقدار ما بين الأولى إلى العصر حتى أخرجه

---

(١) أخـــرجه كـــم (التاريخ، ذكر آدم عليه السلام ٥٤٢/٢) وقال : (هذا حديث صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه)، ووافقه الذهبي ، وكذلك وافقه على تصحيحه الحافظ ابن حجر في (تحفة النبلاء من قصص الأنبياء ص : ١١٨) .

(٢) أخرجه ابن سعد في طبقاته (٣٤/١-٣٥)؛ ومن طريقه ابن جرير في تاريخه (٧٨/١)، والإسناد مظلم جدا، وذلك لما يلي:
١- فيـــه هشام بن محمد وهو ضعيف متروك الحديث .انظر أقوال الأئمة عنه في سير أعلام النبلاء (١٠١/١٠-١٠٣)؛ ولسان الميزان (١٩٦/٦-١٩٧) . ٢- وأبوه محمد بن السائب بن بشر الكلبي وهو أيضا متروك متهم بالكذب . انظر : سير أعلام النبلاء (٢٤٨/٦-٢٤٩)، وتهذيب التهذيب (١١٦/٥-١١٨) . ٣- وفيه أبو صالح و هو باذام مولى أم هاني، وقد ذكر ابن حبان في المجروحين (٢٥٥/٢) : (أن أبا صالح لم ير ابن عباس ولا سمع منه) فتكون روايته عن ابن عباس منقطعة، وذكـــر ابـــن معين كما في تهذيب الكمال (٧/٤) : أنه إذا روي عنه الكلبي فليس بشيء، والراوي عنه هنا هو الكلبي، وبالإضـــافة إلى مـــا ســـبق أبو صالح هذا ضعيف يرسل، وقد اتهمه أيضا بعض الأئمة بالكذب . انظر : تهذيب التهذيب (٢٦٣/١-٢٦٤) ؛ و تقريب التهذيب (ص : ١٢٠ برقم : ٦٣٤) .

(٣) ذكر ذلك عنه الزرقاني في (الأجوبة المصرية على الأسئلة المغربية ص : ١٣)؛ والكاندهلوي في (أوجز المسالك ٢٥٥/٢).

(٤) ذكر عنه الكاندهلوي في أوجز المسالك (٢٥٥/٢) .

(٥) انظر : الأجوبة المصرية على الأسئلة المغربية (ص : ١٣و٩١) .

إبـــليس لعنه الله من الجنة . هذا القول ذهب إليه سعيد بن المسيب [1] وسعيد بن جبير[2] ومجاهد [3] وكذلك حُكِيَ القول به عن الضحاك[4].

القول الرابع : مكث في الجنة خمس ساعات . هذا القول محكي عن أبي العالية [5].

القـــول الخامس : لبث آدم ﷺ في الجنة ساعة من نهار، وتلك الساعة ثلاثون ومائة سنة من أيام الدنيا . هذا القول ذهب إليه الحسن البصري [6].

القولان السادس والسابع : مكث آدم في الجنة مائة عام، وفي رواية : ستين عاما . حكاهما الأوزاعي [7] عن شيخه حسان بن عطية [8] .

القول الثامن : مكث آدم في الجنة ربع النهار، وذلك ساعتان ونصف، وذلك مائتا سنة وخمسون سنة . هذا القول محكي عن موسى بن عقبة [9] .

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في الزهد (ص : ٨١ برقم : ٢٦١)، وإسناده لا يقل عن درجة الحسن .

(٢) ذكره البوصيري في (إتحاف الخيرة المهرة ١٠/٥١٥-٥١٦)، وقال : "رواه مسدد مقطوعا ورواته ثقات".

(٣) أخـــرجه محمـــد بن نصر المروزي في (تعظيم قدر الصلاة ١/٤٧٧-٤٧٨ برقم : ٥٠٣ و ٥٠٥) بإسنادين وكلاهما حسن، كما بين ذلك محقق الكتاب الدكتور عبد الرحمن بن عبد الجبار الفريوائي .

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٢/٥٤-٥٥)، وإسناده ضعيف لكون شيخ الطبري مبهما إذ قال : " حدثت عن الحســـين " ولأن شيخ شيخه الحسين هو الحسين بن الفرج الخياط البغدادي تكلم فيه الأئمة بجرح شديد حتى وصـــمه بعضهم بالكذب وسرقة الحديث فهو على أقل أحواله ضعيف لا يحتج به ولا سيما إذا تفرد . انظر : الجرح والتعديل (٣/٦٢)؛ وتاريخ بغداد (٨/٨٤)؛ وميزان الاعتدال (١/٥٤٥)؛ ولسان الميزان (٢/٣٠٧).

(٥) أخرجه الطبري في تاريخه (١/٧٨)، وفي الإسناد نظر، وقد تقدم الكلام على ذلك في (ص : ٣٤١-٣٤٢).

(٦) أخـــرجه الأمام أحمد في (الزهد ص : ٨١ برقم : ٢٥٩)؛ ومحمد بن نصر المروزي في (تعظيم قدر الصلاة ١/٤٧٨ برقم : ٥٠٦)؛ وأبو نعيم في (حلية الأولياء ٦/٢٧٢)؛ وابن كثير في تفسيره (١/٨٠) بإسناد عبد بن حميد نقلا من تفسيره، وكلهم عن طريق هشام بن حسان الأزدي ، و رجال الإسناد ثقات إلا أن هشام بن حسان الأزدي القُردُوسي وهو ثقة ولكن في روايته عن الحسن وعطاء مقال لأنه قيل كان يرسل عنهما . انظر : تقريب التهذيب (ص : ٥٧٢ برقم : ٧٢٨٩) .

(٧) الأوزاعـــي هو أبو عمرو عبد الرحمن بن عمرو بن أبي عمرو، ثقة جليل فقيه صاحب سنة واتباع، توفي سنة ١٥٨هـــ وقيل غير ذلك . انظر : تهذيب التهذيب (٣/٤٠٠-٤٠٢ برقم : ٤٥٣٤) .

(٨) ذكره ابن كثير في البداية والنهاية (١/٧٩-٨٠)، وحسان بن عطية هو أبو بكر الدمشقي، المحاربي مولاهم، ثقة فقيه عابد، توفي بعد ١٢٠هـــ . انظر : تقريب التهذيب (ص : ١٥٨ برقم : ١٢٠٤) .

(٩) ذكره السيوطي في الدر المنثور (١/١٢٧) وأحال إلى عبد الله بن الإمام أحمد في زوائده و لم أجده، وموسى بن عقبة ابن أبي عياش الأسدي، مولى آل الزبير، ثقة فقيه إمام في المغازي، توفي سنة ١٤١هـــ و قيل بعدها . انظر : تقريب التهذيب (ص : ٥٥٢ برقم : ٦٩٩٢) .

القول التاسع : مكث آدم ﷺ في الجنة جزءا من الساعة الثانية عشرة من يوم الجمعة مـــن أيام الآخرة، مقداره ثلاثة وأربعون عاما وأربعة أشهر من أعوام الدنيا . هذا القول ذهب إليه ابن جرير الطبري وتبعه ابن الجوزي والأدكاوي المؤذن [(١)].

القـــول العاشـــر : سكن آدم في الجنة ثلاث ساعات . هذا القول ذكره ابن جرير الطبري وابن الأثير [(٢)] والكاندهلوي [(٣)].

القـــول الحادي عشر : سكن آدم عليه السلام في الجنة بعض يوم من أيام الدنيا ، لأنه جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه : ((وخلق آدم عليه السلام بعد العصر من يوم الجمعة في آخر الخلق في آخر ساعة من ساعات الجمعة فيما بين العصر إلى الليل [(٤)]))، وهذا القول ذكره الزرقاني [(٥)].

القول الثاني عشر : إن آدم ﷺ لبث في الجنة مدة طويلة من غير تحديد. قال الحافظ ابن كثير : واختلفوا في مقدار مقامه في الجنة فقيل بعض يوم من أيام الدنيا، فإن كان اليوم الـــذي خلق فيه فيه أخرج – وقلنا إن الأيام الستة كهذه الأيام – فقد لبث بعض يوم من هذه الأيام؛ وفي هذا نظر. وإن كان إخراجه في غير اليوم الذي خلق فيه أو قلنا بأن تلك الأيام مقدارها ستة آلاف سنة، فقد لبث هناك مدة طويلة[(٦)]. أهـــ بتصرف.

القـــول الثالث عشر : التوقف المطلق عن الكلام في مقدار لبث آدم ﷺ في الجنة . قـــال الشيخ عبد القادر بن شيبة الحمد – حفظه الله تعالى – : (أما مقدار لبث آدم في الجنة : فلم يعينه الله، و لم يعينه رسول الله ﷺ، والقول فيه قول على الله بلا علم. وقد بين الله تعالى أنه أهبط آدم من الجنة) [(٧)].

وبالـــنظر في هـــذه الأقوال يظهر أن القائلين بأن مدة بقاء آدم ﷺ في الجنة جزء من نهار

---

(١) انظر بالترتيب : تاريخ الأمم والملوك (٧٨/١)؛ والمنتظم في تاريخ الملوك والأمم (٢٠٧/١)؛ وموسوعة الأسماء والأعلام المبهمة في القرآن الكريم (٦١/١) .

(٢) عـــلي بـــن محمد بن محمد الشيباني، الإمام العلامة الأديب المحدث النسابة، توفي سنة ٦٣٠هـــ . انظر : سير أعلام النبلاء (٣٥٣/٢٢) .

(٣) انظر بالترتيب : تاريخ الأمم والملوك (٧٨/١)؛ والكامل في التاريخ (٢٢/١)؛ وأوجز المسالك (٢٥٥/٢) .

(٤) جزء من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أخرجه مسلم، وتكلم فيه بعض النقاد، وقد سبق الكلام عنه في (ص : ٨٨-٩٠) .

(٥) انظر : الأجوبة المصرية على الأسئلة المغربية (ص : ١٤) .

(٦) انظر : البداية والنهاية (٩١/١) .

(٧) قصص الأنبياء (ص : ٣٨) له .

لاحظوا قول النبي ﷺ عن آدم عليه السلام أنه خلق في آخر ساعة من يوم الجمعة مع الرواية الأخرى التي تنص على أنه أخرج من الجنة يوم الجمعة، فجعلوا ذلك كله في يوم واحد، واعتبروا ذلك اليوم مـــن الأيام التي قال الله فيها : ﴿وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون﴾ [1]، فعلى قول هؤلاء العلماء تكون مدة لبث آدم عليه السلام في الجنة مدة طويلة بالنسبة لحساب أهل الدنيا للزمان ولكن لا يمكن القطع بمدة محددة لعدم ورود الدليل الصحيح في ذلك، وإن كان الأظهر أن مدة بقاء آدم عليه السلام في الجـــنة كـــانت طويلة، أمكن من خلالها أن ينسى آدم عليه السلام ما عهد به إليه ربه، وأن يوسوس له الشيطان، ويحاول المحاولة تلو الأخرى حتى وقع منه عليه السلام ما وقع، والله أعلم بالصواب .

(١) الحج الآية : ٤٧

المطلب الثاني : مكان هبوط آدم وزوجه عليهما السلام.

إن آدم وزوجه عليهما السلام لما أكلا من الشجرة المحرمة أخرجا من الجنة، وأمرا بالهبوط إلى الأرض. وقد اختلفت أقوال أهل العلم في تعيين مكان هبوطهما في الأرض، وفيما يلي ذكرها باختصار:

القول الأول : كان هبوط آدم عليه السلام في مكة المكرمة وما جاورها .

وهذا القول يتضمن أقوالا، وهي كما يلي :

أ - أهبط آدم عليه السلام إلى موضع البيت الحرام بين الركن والمقام . وهذا القول منسوب إلى ابن عباس [(١)]- رضي الله عنهما - .

ب - أهبط آدم عليه السلام بالصفا وحواء - عليها السلام - بالمروة . هذا القول محكي عن ابن عمر [(٢)] - رضي الله عنهما -.

ج - أهبط آدم عليه السلام إلى أرض يقال لها دحنا [(٣)]بين مكة والطائف . هذا القول أيضا محكي عن ابن عباس [(٤)] - رضي الله عنهما - .

القول الثاني : أهبط آدم عليه السلام في الهند. وهو قول عامة المفسرين والمؤرخين .

هذا القول أثِرَ عن علي بن أبي طالب [(٥)]

---

(١) أخرجه عنه الأزرقي في (أخبار مكة ٣٩/١) بإسناده إليه، وهو إسناد ضعيف جدا لأن فيه عبد الله بن أبي لبيد وهو ثقة لكنه من الطبقة السادسة الذين لم يثبت لهم لقاء أحد من الصحابة وهو يقول في هذه الرواية : " بلغني أن ابن عباس قال " ، فالإسناد منقطع من غير شك ثم إن الراوي عنه هو إبراهيم بن محمد بن أبي يحيى الأسلمي، وهو متروك . انظر أقوال الأئمة عن ابن أبي لبيد في : (تهذيب الكمال ٤٨٣/١٥-٤٨٤ برقم : ٣٥١٠)، وعن إبراهيم بن محمد الأسلمي في المصدر السابق (١٨٤/٢-١٨٩ برقم : ٢٣٦)، وفي (تقريب التهذيب ص : ٩٣ برقم : ٢٤١) .

(٢) أخرجه عنه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٣١/١ برقم : ٣٩٦)، ورجال إسناده ثقات إلا أن فيه انقطاعا؛ لأن الزبير بن عدي لا يعلم له رواية عن ابن عمر، وقد نبه على ذلك المحقق، وهو كما قال .

(٣) انظر تعليقا نفيسا للشيخ أحمد شاكر حول هذه الكلمة ومكان وقوعها في تفسير الطبري بتحقيقه (٢٢٥/١٣-٢٢٦).

(٤) أخرجه عنه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٣٢/١ برقم : ٣٩٨)، وإسناده ضعيف لأن فيه عطاء بن السائب وكان قد اختلط، و لم يسمع منه جرير بن عبد الحميد الضبي إلا بعد الاختلاط، وقد نبه على ذلك المحقق وهو كما قال .انظر أقوال الأئمة عن عطاء بن السائب في (تهذيب الكمال ٨٦/٢٠-٩٣) .

(٥) هذا القول مروي عنه بإسنادين : أحدهما : من طريق فرات القزاز عن أبي الطفيل عن علي رضي الله عنه وهو عند عبدالرزاق في المصنف (المناسك، ب : زمزم وذكرها ١١٦/٥ برقم : ٩١١٨)؛ والأزرقي في (أخبار مكة ٥٠/٢ ب : ذكر فضل

وابـــن عباس [1] وابن عمر [2] وجابر بن عبد الله [3] وأبي سعيد الخدري [4] – رضي الله عـــنهم –، وكذلـــك هـــو محكـــي عن أبي العالية [5] وخالد بن معدان [6] والحسن [7]

زمزم وما جاء في ذلك) وهذا الإسناد رجاله كلهم ثقات . والثاني : من طريق حميد الطويل عن يوسف بن مهران عن ابن عباس قال : قال علي : ... الخ ، وهو عند كم في المستدرك (التاريخ، ب : أطيب ريح في الأرض الهند ٢/٥٤٢)؛ ومـــن طريقه عند البيهقي في (البعث والنشور ص : ١٤١ برقم : ١٧٩). وقال الحاكم : (هذا حديث صحيح على شرط مسلم و لم يخرجاه) وسكت عليه الذهبي . ولعل له طريقا ثالثا ، وهو ما جاء من طريق علي بن زيد بن جدعان عن يوسف بن مهران عن ابن عباس قال : قال علي : ... الخ عند الطبري في تاريخه (١/٧٩) ، وهذا الإسناد ضعيف لأن يوسف بن مهران تكلم فيه وفي حديثه لين ، وأيضا قيل : إنه لم يرو عنه غير علي بن زيد بن جدعان وهو ضعيف كما ســـبق الكلام عنه في (ص : ١٦١) ولكن تابعه حميد الطويل في الرواية عن يوسف بن مهران كما في رواية الحاكم السابق ذكرها، ولاشك أنها متابعة تامة قوية، وكذلك الطريق الأول : طريق فرات القزاز يعتبر متابعة قاصرة له .

(١) هذا القول مروي عنه من ثلاثة طرق : إحداها : من أبي يحيى القتات عن مجاهد ثنا ابن عباس ، وهو عند الطبري في تاريخه (١/٧٩)، وهـــذا الإســـناد فيه أبو يحيى القتات وفيه ضعف يسير وهو أقرب إلى درجة الصدوق وما عداه من رجال الإســـناد أحسن منه فهم ما بين ثقة وصدوق . والثاني : من طريق عمران بن عيينة، أبنا عطاء بن السائب عن سعيد بن جـــبير عن ابن عباس وهو عند الطبري في تفسيره (٩/١١١) في حديث طويل، وهو باختصار عند الطبري في تاريخه (١/٧٩)؛ وابـــن أبي حاتم في تفسيره (١/١٣١ برقم : ٣٩٧)؛ و كم (التاريخ ، ٢/٥٤٢) وقال : (هذا حديث صـــحيح الإسناد و لم يخرجاه) ووافقه الذهبي ولكن في هذا الحكم نظر لأن عطاء بن السائب كان قد اختلط في آخره، والراوي عنه عمران لا يعلم متى أخذ عنه قبل الاختلاط أو بعده ، مع كلام لأهل العلم في عمران . والثالث : من طريق هشام بن محمد عن أبيه عن أبي صالح عن ابن عباس وهو عند ابن سعد في (الطبقات ١/٣٤-٣٥) ومن طريقه عند ابن جرير في تاريخه (١/٧٩)، وهو إسناد مظلم جدا، وقد سبق الكلام عنه في (ص : ٥٤٨) .

(٢) ذكره السيوطي في (الدر المنثور ١/١٣٦) في حديث طويل وأحال إلى الطبراني، وبحثت عنه فلم أجده، وفي المتن نكارة شديدة مثل : كان رأسه في السماء ورجلاه في الأرض ... وما إلى ذلك .

(٣) أخرجه عنه ابن عساكر في تاريخه (٧/٨٣٤ في ترجمة آدم أبي البشر عليه السلام برقم : ٥٧٨)، في حديث طويل ورجال الإسناد ما بين ثقة وصدوق، ما عدا محمد بن عبيد الله بن أبي رجاء فإني لم أتمكن من معرفته. وذكره ابـــن أبي الدنيـــا في (مكائد الشيطان ص : ٩٥ برقم : ٧٣) من غير إسناد، بنفس اللفظ، وفي المتن نكارة شديدة مثل : أن رأسه كان ينال السماء، وأن الأرض شكت ثقل آدم إلى ربها ... وما إلى ذلك .

(٤) ذكر الديلمي في (الفردوس بمأثور الخطاب ١/١٣٧ ح : ٤٨٢) من غير إسناد .

(٥) أخرجه الطبري في تاريخه (١/٧٩)، وفي الإسناد نظر، وقد سبق الكلام عنه في (ص : ٣٤١-٣٤٢) .

(٦) أخرجه أبو الشيخ في (العظمة ٥/١٥٥٢ برقم : ١٠١٣) في حديث طويل، وفي الإسناد أكثر من راو لم أتمكن من معرفته، وكذلك في متنه نكارة شديدة مثل أن طوله كان ثلاثون ميلا، وأنه حمله بعد وفاته مائة وخمسون رجلا ... وما إلى ذلك .

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١/١٣٢ برقم : ٣٩٩) بإسناده إليه في حديث طويل، وذكره ابن عساكر في (تـــاريخ دمشـــق الكبير ٦٧/١١٧-١١٨ برقم : ٨٣٠٨ تحقيق : علي الجنوبي ط. دار إحياء التراث العربي) والحـــافظ ابن كثير تفسيره (٣/٧٦)، وهذا الأثر ضعيف لأن عباد بن ميسرة لين الحديث، وتلميذه صدقة بن عمـــرو الغســـاني مجهـــول. وقد نبه على ذلك محقق تفسير ابن أبي حاتم، وهو كما قال . انظر ترجمة صدقة في (تقريب التهذيب ص : ٢٧٥ برقم : ٢٩١٤)، وترجمة عباد في المصدر السابق (ص : ٢٩١ برقم : ٣١٤٩) .

وقتادة [١] وعطاء بن أبي رباح [٢] والسدي [٣] والضحاك [٤]، وكذلك ذكره غير واحد من أهل العلم [٥].

قال ابن جريرالطبري : (وأنزل آدم – فيما قال علماء سلف أمة نبينا صلى الله عليه وسلم – بالهند) [٦] ، وقال أيضا : (وهذا مما لا يوصل إلى علم صحته إلا بخبر يجيء مجيء الحجة، ولا يعلم خبر في ذلك ورد كذلك؛ غير ما ورد من خبر هبوط آدم بأرض الهند؛ فإن ذلك مما لا يدفع صحته علماء الإسلام وأهل التوراة والإنجيل، والحجة قد ثبتت بأخبار بعض هؤلاء) [٧]. وقال الشوكاني : (وقد روي عن جماعة من الصحابة أن آدم أهبط إلى أرض الهند) [٨] . وقال صديق حسن خان القنوجي : (الروايات تعاضدت في أن آدم نزل بالهند من السماء، وتوطن بعد ذلك بهذه الغبراء) [٩] . وقال محمد زكريا الكاندهلوي : (روايات كثيرة متضافرة على أن هبوط آدم كان في أرض الهند) [١٠].

---

(١) أخرجه عنه عبد الرزاق الصنعاني في تفسيره (٣٤/٣)؛ وفي المصنف (المناسك، ب : بنيان الكعبة ٩٣/٥-٩٤ برقم : ٩٠٩٦)، ومن طريقه أخرجه الطبري في تفسيره (٥٤٧/١) في حديث طويل؛ وفي تاريخه (٧٩/١) مختصرا، وكذلك أخرجه من غير طريقه في تفسيره (١٤٢/١٧) في حديث طويل أيضا ، والطريق الأول إسناده حسن والثاني صحيح ولكن في المتن نكارة شديدة مثلا : كان رأسه في السماء و رجلاه في الأرض ... وما إلى ذلك ، ما عدا ما ذكره الطبري مختصرا فإنه لم ترد فيه هذه الأشياء المنكرة .

(٢) ذكره السيوطي في (الدر المنثور ١٣٦/١)، وأحال إلى سعيد بن منصور، وبحثت في الجزء المطبوع منه، ولم أجده فيه، وعطاء بن أبي رباح هو القرشي مولاهم المكي، ثقة فقيه فاضل، توفي سنة ١١٤هـ على المشهور . انظر : تقريب التهذيب (ص : ٣٩١ برقم : ٤٥٩١) .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٣٣/١ برقم : ٤٠١ و ١٣٨/١-١٣٩ برقم : ٤٢٢) من طريق أسباط عن السدي، وفي هذا الإسناد مقال وقد سبقت الإشارة إلى ذلك في (ص :٩٧-٩٨و٣٦٨) .

(٤) ذكره البغوي في (معالم التنزيل ١٧٤/١) .

(٥) انظر : أعلام النبوة (ص : ٨٠)؛ الملل والنحل (٢٣٣/٢)؛ ومعجم ما استعجم (٢٧٧/١ و٦٣٠/٢ و٤/ ١٣٦٤)؛ ومعالم التنزيل (٦٤/١)؛ والمنتظم في تاريخ الملوك والأمم (٢٠٨/١)؛ ومعجم البلدان (٢١٦/٣ و ٣١٠/٥ ، ٣٥٣ ، ٣٦٧)؛ والكامل في التاريخ (٢٢/١)؛ والجامع لأحكام القرآن (٣١٩/١ و٤١٥/٢)؛ ولسان العرب (٣٤٩/٥-٣٥٠، مادة : رهن)؛ والروح (ص : ١٩٧-١٩٨) .

(٦) تاريخ الأمم والملوك (٧٩/١) .

(٧) المصدر السابق (٨٠/١) .

(٨) فتح القدير (٧١/١) .

(٩) أبجد العلوم (٣٤٣/١) .

(١٠) أوجز المسالك إلى موطأ الإمام مالك (٢٥٦/٢) .

وقد ورد في نزول آدم عليه السلام في الهند حديث ضعيف مرفوع إلى النبي ﷺ أخرجه ابن عساكر [١] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا قال : نزل آدم بالهند واستوحش ... الحديث [٢].

أما مكان نزول حواء عليها السلام فقيل أنها كانت نزلت في المكان الذي نزل فيه آدم عليه السلام في الهند . ذكره عبد الله البكري [٣] وياقوت الحموي [٤].

وقيل أنها لم تكن نزلت في مكان هبوط آدم عليه السلام في الهند بل هي نزلت بجدة . هذا القول منسوب إلى ابن عباس [٥] والحسن [٦] والضحاك [٧]، وكذلك ذكره غير واحد من أهل العلم [٨].

وقيل نزلت بالمروة . وهو محكي عن ابن عمر كما سبق ذكره قريبا .

قال الحافظ ابن كثير : (وقد ذكر المفسرون الأماكن التي هبط فيها كل منهم، ويرجع حاصل تلك الأخبار إلى الإسرائيليات، والله أعلم بصحتها، ولو كان في تعيين تلك البقاع فائدة تعود إلى المكلفين في أمر دينهم أو دنياهم لذكرها الله تعالى في كتابه أو رسوله صلى الله عليه وسلم) [٩]. وقال محمد رشيد رضا : (وكل ما ورد في هبوط آدم وحواء من تعيين الأمكنة فهو من الإسرائيليات الباطلة) [١٠].

---

(١) أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الدمشقي، المعروف بابن عساكر، الإمام العلامة الحافظ الكبير محدث الشام، توفي سنة ٥٧١هـ . انظر : سير أعلام النبلاء (٥٥٤/٢٠-٥٧١) .

(٢) أخرجه ابن عساكر في تاريخه (٤٣٧/٧ في ترجمة آدم أبي البشر برقم : ٥٧٨)، وضعفه العلامة الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة (٥٧٩/١-٥٨٠ ح : ٤٠٣) . وكذلك ورد حديث آخر وهو موضوع، ذكره ابن عراق في (تنزيه الشريعة ٢٤٦/١)؛ والفتني في (تذكرة الموضوعات ص : ١٦١) .

(٣) انظر : معجم ما استعجم (١٣٦٤/٤) والبكري هو أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي، لغوي مؤرخ نسابة جغرافي، توفي سنة ٤٨٧هـ .انظر : معجم المؤلفين (٧٥/٧) .

(٤) انظر : معجم البلدان (٣٥٣/٥) ، والحموي هو أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي ، مؤرخ أديب شاعر ناثر لغوي عالم بتقويم البلدان، توفي سنة ٦٢٢هـ .انظر : معجم المؤلفين (١٧٨/١٣-١٧٩) .

(٥) أخرجه ابن سعد في (الطبقات ٣٤/١-٣٥)، ومن طريقه ابن جرير الطبري في تاريخه (٧٩/١) وهو إسناد مظلم جدا وقد سبق الكلام عنه في (ص : ٥٤٨) .

(٦) انظر ما سبق ذكره في (ص : ٥٥٣، الهامش رقم : ٧) .

(٧) ذكره عنه البغوي في معالم التنزيل (١٧٤/١) .

(٨) انظر : أعلام النبوة (ص : ٨٠)؛ ومعالم التنزيل (٦٤/١)؛ والمنتظم في تاريخ الأمم والملوك (٢٠٨/١)؛ والكامل في التاريخ (٢٢/١)؛ والجامع لأحكام القرآن (٣٢٠/١ و ٤١٥/٢) .

(٩) تفسير القرآن العظيم (٢٠٦/٢-٢٠٧، الأعراف : ٢٢) .

(١٠) تفسير القرآن الحكيم (٢٧٩/١) .

خلاصـــة القـــول : إنه لا شك أن بيان مكان هبوط آدم وحواء عليهما السلام في الأرض وتحديـــده وتعييـــنه من الأمور الغيبية التي لا يمكن الخوض فيها على وجه الجزم واليقـــين والصـــواب إلا بدليل واضح صحيح : من كتاب الله تعالى أو من سنة ثابتة عن رســـول الله ﷺ . ولم يرد تعيين ذلك في شيء من آيات الكتاب العزيز، ولا في أحاديث الرسول الصحيحة، وإنما ورد ذكر ذلك في حديث ضعيف أو موضوع .

وكذلك أثرت في ذلك أقوال عن غير واحد من السلف من الصحابة والتابعين ومن بعدهـــم ولكـــن أغلب هذه الآثار غير صحيحة الأسانيد إلى من حكيت عنهم، مع نكارة شديدة في متونها ومخالفتها لما هو ثابت في الأحاديث الأخرى الصحيحة، وبعضها صحيحة الأســـانيد عـــنهم ولكنها منكرة المتن كالتي قبلها، والقليل منها صحيحة ومتونها سالمة من الـــنكارة . ومن المحتمل أن تكون هذه الأقوال مأخوذة من الإسرائيليات إلا أن تضافر هذه الـــروايات في نزول آدم عليه السلام في الهند يعطي القول بنزوله فيها قوة، فلا يبعد أن تكون الهند هي مهبط أبي البشر آدم عليه السلام ولكن لا يمكن الجزم به، والله أعلم بالصواب .

المطلب الثالث : الحكمة في إهباط آدم وزوجه عليهما السلام من الجنة .

إن الله سبحانه وتعالى أكرم الأبوين بإسكانهما في الجنة، وأباح لهما أن يأكلا منها رغدا حيث شاءا إلا شجرة واحدة عينها لهما، ونهاهما عنها ولكن أكلا منها، فكان ذلك سببا لإهباطهما وخروجهما – وخروج ذريتهما تبعا لهما- من الجنة إلى الأرض. ولم يكن إهباطهما إلى الأرض عبثا ولغوا بل فيها من الحكم الجليلة الكثيرة العظيمة التي تعجز العقول عن معرفتها والألسن عن صفتها، وفيما يلي الإشارة إلى بعضها [1].

١ – إنه سبحانه وتعالى إنما خلق الخلق لعبادته، وهي الغاية العظمي والحكمة الكبرى من خلقهم وإيجادهم . قال تعالى : ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون * ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون * إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين ﴾ [2]. ومعلوم أن كمال العبودية المطلوب من الخلق لا يحصل في دار النعيم والبقاء ، إنما يحصل في دار المحنة والابتلاء لأن دار البقاء إنما هي دار لذة ونعيم، لا دار ابتلاء وامتحان وتكليف .

٢- إنه سبحانه لا شيء أحب إليه من تذلل العبد بين يديه وخضوعه وافتقاره وانكساره وتضرعه إليه. وهذا إنما يتم بأسبابه التي تتوقف عليها، وحصول هذه الأسباب في دار النعيم المطلق والعافية الكاملة يمتنع إذ هو مستلزم للجمع بين الضدين .

٣- إنه سبحانه وتعالى أراد أمرهم ونهيهم وابتلاءهم واختبارهم بذلك، وليست الجنة دار تكليف، بل دار إنعام وإكرام؛ فأهبطهم منها إلى الأرض، ليبلوهم أيهم أحسن عملا، وبذلك عرضهم للثواب العظيم الجزيل الذي لا يوصل إليه إلا بعد عبور جسر الامتحان والابتلاء . ولا يمكن عبور هذا الجسر إلا بامتثال ما أمر الله به وترك ما نهى عنه .

٤- إنه سبحانه أراد أن يتخذ منهم أنبياء ورسلا وصديقين وشهداء وأولياء وعبيدا يحبهم ويحبونه، فخلى بينهم وبين أعدائه، وامتحنهم بهم .فلما آثروه وبذلوا نفوسهم

---

(١) هذه الحكم مستفادة من كتاب : مفتاح دار السعادة (١/٣-١١) ؛ ومن كتاب : شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل (ص : ٢٤٢-٢٤٣) .

(٢) الذاريات الآيات : ٥٦-٥٨

وأموالهـــم في مرضاته ومحابه نالوا من محبته ورضوانه والقرب منه ما لم يكن لينال بدون ذلك أصلا . فدرجة الخلة، والرسالة ، والنبوة، والصديقية، والشهادة، والولاية، والعبودية الخاصة، والحب فيه، والبغض فيه، وموالاة أوليائه، ومعاداة أعدائه عنده من أفضل درجات المخـــلوقين وأشرف مقاماتهم بل هي نهاية كمالهم. ولم تكن لتحصل لهم إلا على الوجه الـــذي قدره وقضاه من إهباط آدم عليه السلام إلى الأرض، وجعل معيشته ومعيشة أولاده فيها، فكان إنزالهم إلى الأرض من كمال الإحسان وتمام الإنعام عليهم .

٥ – إنه سبحانه أنزلهم إلى دار يكون إيمانهم فيها بالغيب. والإيمان بالغيب هو الإيمان الـــنافع . وأما الإيمان بالشهادة فكل أحد يؤمن يوم القيامة، يوم لا ينفع نفسا إلا إيمانها في الدنيـــا. فلو خلقوا في دار النعيم لكان لهم فيها لذة وكرامة ولكن لم يكونوا لينالوا اللذة والكرامة والمترلة الرفيعة التي تحصل لهم لإيمانهم بالغيب .

٦ – إنه تعالى له الأسماء الحسنى فهو الغفور الرحيم، العفو الحليم، الخافض الرافع، المعز المذل، المحيي المميت . ولا بد من ظهور آثار هذه الأسماء .فاقتضت حكمته سبحانه أن يسكن آدم وذريته دار الابـــتلاء، لـــتظهر آثار أسمائه الحسنى، فيغفر لمن يشاء، ويعذب من يشاء، ويخفض من يشاء، ويرفع من يشاء، ويعز من يشاء، ويذل من يشاء، ويعطي من يشاء، ويمنع من يشاء ويحيي من يشاء ويميت من يشاء إلى غير ذلك مما فيه ظهور آثار أسمائه الحسنى وصفاته العليا .

٧ – إنه سبحانه له الخلق والأمر . والأمر هو شرعه ودينه الذي بعث به رسله، وأنزل به كتـــبه. وليست الجنة دار تكليف تجرى عليهم فيها أحكام التكليف ولوازمها، وإنما هي دار نعـــيم ولـــذة وراحة، فاقتضت حكمته سبحانه إخراج آدم عليه السلام وذريته منها إلى دار تجرى عليهم فيها أحكام دينه وأمره ليظهر فيهم مقتضى الأمر ولوازمه . وكما أن أفعال الله وخلقه من لوازم كمال أسمائه الحسنى وصفاته العلى فكذلك أمره وشرعه وما يترتب عليه من الثواب والعقاب من لوازم كمال ربو بيته وحكمته وعزته وغيرها من أسمائه الحسنى وصفاته العلى .

٨ – إنه سبحانه جلت حكمته خلق أبا البشر آدم عليه السلام من قبضة من طين قبضها من جميـــع الأرض، طيـــبها وخبيثها، سهلها وحزنها، فعلم الله أن في ظهره من الذرية من لا يصـــلح للإقامة في دار كرامته فأنزله إلى الأرض التي هي ميدان للصراع بين الخير والشر، واستخرج ذريته من صلبه، وييسر كلا منهم لما خلق له .

ثم ميـــزهم بعد ذلك في دارين : دار الطيبين وهي الجنة التي لا تصلح مقرا إلا للطيبين ، ودار الخبيثين وهي النار التي لا تصلح مقرا إلا للخبيثين . كما بين ذلك في كتابه فقال عـــز من قائل : ﴿ ليميز الله الخبيث من الطيب ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا فيجعله في جهنم أولئك هم الخاسرون ﴾ (1).

٩ - إن الله ســبحانه يحــب الصـــابرين، ويحب المحسنين، ويحب التوابين، ويحب المــتطهرين، ويحب الشاكرين، ويحب المجاهدين الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص لتكون كلمة الله هي العليا . فاقتضت حكمته أن يسكن آدم وذريته دارا يأتون فيها بهذه الصفات فينالون بذلك أعلى الكرامات، وهي محبته لهم، فكان إسكانهم الأرض من أعظم النعم عليهم. ﴿ والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم ﴾ (2).

١٠ - أراد الله عـــز وجل أن يظهر لملائكته كمال علمه وحكمته، فإنه حين أخبر الملائكة بقوله : ﴿ إني جاعل في الأرض خليفة ﴾ يعني آدم وذريته، قال الملائكة : ﴿ أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ﴾ فأجابهم بقوله : ﴿ إني أعلم ما لا تعلمون ﴾ (3).

فأظهـــر لهم ذلك العلم بأن جعل في الأرض من خواص خلقه من أوليائه وأحبائه وأنبيائه ورســله الذيـــن يــباهي بهم الملائكة لتقربهم إليه بالعبادات، وبذل نفوسهم في محبته ورضاه، وتســبيحهم له آناء الليل وأطراف النهار، وذكرهم له قياما وقعودا وعلى جنوبهم، وشكرهم له في كــل أحوالهم : في السراء والضراء، والعافية والبلاء، والشدة والرخاء . مع معارضات الهوى والشـــهوة والشــيطان، بخلاف الملائكة فإنهم يعبدون الله من غير معارض ولا ممانع ولا شهوة تعتريهم . فأظهر الله بذلك لملائكته علمه وحكمته في جعل آدم وذريته خلفاء في الأرض .

١١ - لقـــد اقتضـــت حكمته سبحانه وتعالى خلق آدم وذريته من تركيب مستلزم لداعـــي الشـــهوة والفتنة، وداعي الإيمان والعقل والعلم، إذ كونه من تراب ونفخ فيه من روحه، فخلق فيه العقل والشهوة، وكل منهما داع إلى مقتضاه، ليتم بذلك مراده سبحانه، ويظهـــر لعباده عزته في جبروته، وحكمته في رحمته، ولطفه في سلطانه، فكان لا بد من

---

(١) الأنفال الآية : ٣٧

(٢) البقرة الآية : ١٠٥

(٣) البقرة الآية : ٣٠

إسكانهم في دار الابتلاء، ليبلوهم أيهم أحسن عملا .

ولو شاء سبحانه لخلقهم كالملائكة بلا شهوات، وأبقاهم في دار كرامته لكنهم حينئذ يكونــون خلقا آخر غير بني آدم، الذين جمع لهم بين العقل الذي تمتاز به الملائكة، وبين الشهوة التي هي طبيعة الأرض التي خلقوا منها .

١٢ - إنـه سـبحانه أراد أن يعرف عباده الذين أنعم عليهم تمام نعمته عليهم ليكونوا أعظم محبة وأكثر شكرا وأعظم التذاذا بما أعطاهم من النعيم . فأنزل الجميع الصالحين وغيرهم إلى الأرض ثم امتحـنهم واختـبرهم، ووفق من شاء منهم، وخصهم بأنواع النعيم واللذات والرحمات والكرامات رحمة منه وفضلا، وخذل من شاء منهم وأذاقهم أنواع الآلام والشدائد حكمـة وعدلا . ولا شك أن المؤمن إذا رأى عدو الله وعدوه في أنواع العذاب والآلام وهو يتقلب في أنواع النعيم واللذة ازداد بذلك سرورا وعظمت لذته وكملت نعمته .

١٣- عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال : من آمن بالله ورسوله، وأقام الصلاة، وصام رمضـان كـان حقا على الله أن يدخله الجنة هاجر في سبيل الله أو جلس في أرضه التي ولد فيهـا. قالوا: يا رسول الله ! أفلا ننبئ الناس بذلك؟ قال : إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيله. كل درجتين ما بينهما كما بين السماء والأرض. فإذا سألتم الله فسلوه الفردوس؛ فإنه أوسط الجنة، وأعلى الجنة، وفوقه عرش الرحمن، ومنه تفجَّرُ أنهار الجنة [1].

فـالله سـبحانه وتعالى خلق الجنة وجعل فيها مراتب ودرجات كما اقتضت حكمته، وأيضا حكمته سبحانه مقتضية عمارة هذه الدرجات كلها ، فأنزلهم إلى دار العمل والمجاهدة والمسابقة ليقسمها بين أهلها — بعد عفوه ورحمته – على قدر بذلهم وجهدهم وأعمالهم .

١٤- إنه سبحانه خلق آدم وذريته ليستخلفهم في الأرض كما أخبر سبحانه في كتابه بقولـه : ﴿ إني جاعل في الأرض خليفة ﴾ [2] وقوله : ﴿ وهو الذي جعلكم خلائف الأرض ﴾ [3] وقوله : ﴿ ويستخلفكم في الأرض فينظر كيف تعملون ﴾ [4] .فـأراد سبحانه أن ينقله وذريته من هذا الاستخلاف في الأرض إلى

---

(١) أخرجه خ (التوحيد، ب : ﴿ وكان عرشه على الماء ﴾ [هود : ٧]... ٦/٢٧٠٠ ح : ٦٩٨٧) .

(٢) البقرة الآية : ٣٠

(٣) الأنعام الآية : ١٦٥

(٤) الأعراف الآية : ١٢٩

توريـــثه جنة الخلد، فاقتضت حكمته أن أدخل الأبوين الجنة، وأسكنهما فيها مدة معينة فعرفا ما أعد الله فيها من النعيم لعباده الصالحين ثم قص قصتهما على بنيه كأنهم مشاهدون لها حاضرون فيها مع أبيهم ليكونوا إليها أشوق وعليها أحرص ويكون طلبهم لها أكثر وأشد .

١٥ - إنـــه ســبحانه وتعـــالى سبق في حكمه وحكمته أن الغايات المطلوبة لا تنال إلا بأســـبابها الـــتي جعلها الله أسبابا مفضية إليها، ومن تلك الغايات أعلى أنواع النعيم وأفضلها وأجـــلها، فلا تنال إلا بأسباب نصبها مفضية إليها، وإذا كانت الغايات التي هي دون ذلك لا تـــنال إلا بأسبابها مع ضعفها وانقطاعها كتحصيل المأكول والمشروب والملبوس والولد والمال والجاه في الدنيا فكيف يتوهم حصول أعلى الغايات وأشرف المقامات بلا سبب يفضي إليه، و لم يكن تحصيل تلك الأسباب إلا في دار المجاهدة والحرث فكان إسكان الله آدم وذريته هذه الدار التي ينالون فيها الأسباب الموصلة إلى أعلى المقامات من إتمام إنعامه عليهم .

المبحث الثاني: تحذير الله تعالى آدم عليه السلام وذريته من إبليس ومكائده. وفيه ثلاثة مطالب.

المطلب الأول: تحذير الله تعالى لآدم عليه السلام وذريته من إبليس.

إن الله سبحانه وتعالى لما أمر آدم وزوجه بالهبوط إلى الأرض: محل الشقاء والتعب، والكد والنصب، والسعي والنكد، والابتلاء والاختبار والامتحان، أخبرهما بأنهما سيقيمان في هذه الأرض هما وذريتهما، يعمرونها ويتمتعون فيها تمتعا موقوتا إلى حين انتهاء آجالهم، وحذرهما من الشيطان الرجيم، وبين لهما أن العداوة بينهما وبين إبليس شديدة، وأنها ستظل قائمة مستمرة بين ذريتهما وذرية إبليس، فعليهم أن يكونوا على حذر من فتنة إبليس وذريته وجنوده، وأن لا يصغوا إلى إغوائهم وإضلالهم.

قال تعالى: ﴿ وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين ﴾ [1] وقال تعالى: ﴿ قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو ﴾ [2] وقال تعالى: ﴿ قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين * قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون * يا بني ءادم قد أنزلنا عليكم لباسا يواري سوآتكم وريشا ولباس التقوى ذلك خير ذلك من ءايات الله لعلهم يذكرون * يا بني ءادم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون ﴾ [3].

فالله سبحانه وتعالى نهى بني آدم أن يفتتنوا بفتنة الشيطان بمعصية الله وطاعة الشيطان في خلاف أمر الله ونهيه وترك تقواه، وبين أنه كما فتن إبليس أبويهم من قبل ونزع عنهما لباسهما فكذلك قد ينزع عنهم لباسهم، وأنه يحاول أن يجعلهم عراة عن لباس التقوى

---

(١) البقرة الآية: ٣٦

(٢) طه الآية: ١٢٣

(٣) الأعراف الآيات: ٢٤-٢٧

ولباس البدن، وما ذلك إلا لشدة بغضه وحسده وعداوته لهم [1].

وقال تعالى : ﴿ يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالا طيبا ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين ﴾ [2] وقال تعالى : ﴿ يا أيها الذين ءامنوا ادخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين ﴾ [3] وقال تعالى: ﴿ كلوا مما رزقكم الله ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين ﴾ [4] وقال تعالى : ﴿ إن الشيطان للإنسان عدو مبين ﴾ [5] وقال تعالى : ﴿ قال هذا من عمل الشيطان إنه عدو مضل مبين ﴾ [6] وقال تعالى : ﴿ إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير ﴾ [7] وقال تعالى : ﴿ ألم أعهد إليكم يا بني ءادم أن لا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين * وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم * ولقد أضل منكم جبلا كثيرا أفلم تكونوا تعقلون * هذه جهنم التي كنتم توعدون * اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون ﴾ [8] وقال تعالى : ﴿ ولا يصدنكم الشيطان إنه لكم عدو مبين ﴾ [9] وقال تعالى : ﴿ إن الشيطان ينزغ بينهم إن الشيطان كان للإنسان عدوا مبينا ﴾ [10].

فالله سبحانه وتعالى بين في هذه الآيات لبني آدم أن الشيطان لهم عدو مضل مبين، وأنه يريد أن يضلهم ويغويهم وينزغ بينهم، فنهاهم أن اتباع خطواته واقتفاء آثاره حتى لا يجرهم شيئا فشيئا إلى النار، وأمرهم أن يتخذوه عدوا لهم ؛ لأنه وحزبه من دعاة جهنم وأصحاب السعير، يريدون أن يقع بنو آدم فيما وقعوا هم فيه من الغضب الإلهي والشقاء الأبدي .

وقال تعالى : ﴿ وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا ﴾ [11] .

---

(١) انظر : الاستقامة (٢/١٧٠) .
(٢) البقرة الآية : ١٦٨
(٣) البقرة الآية : ٢٠٨
(٤) الأنعام الآية : ١٤٢
(٥) يوسف الآية : ٥
(٦) القصص الآية : ١٥
(٧) فاطر الآية : ٦
(٨) يس الآيات : ٦٠-٦٤
(٩) الزخرف الآية : ٦٢
(١٠) الإسراء الآية : ٥٣
(١١) الكهف الآية : ٥٠

فالله سبحانه وتعالى يقول في هذه الآية الكريمة مخاطبا بني آدم إني أكرمت أباكم آدم عليه السلام، ورفعت قدره، وأسجدت له ملائكتي، تكريما له وتشريفا، ولكن عدوي وعدوه إبليس لم يسجد لأبيكم، وعصى أمري، وخرج عن طاعتي . فكيف يحسن بكم بعد هذا أن تتخذوه وذريته أولياء من دوني؛ فتطيعوه في معصيتي، وتوالوه في خلاف مرضاتي، مع أنهم من ألد أعدائكم، وأيضا قد أمرتكم بمعاداتهم (١).

والله تعالى مالك الملك والملوك. وقد بين لنا أن إبليس عدو له وعدو لنا، وأمرنا أن نعاديه، وأن نتخذه عدوا لنا، ونحن نرى في الدنيا – ولله المثل الأعلى – أن من والى أعداء ملك كان هو وأعداؤه عنده سواء، فإن المحبة والطاعة لا تتم إلا بمعاداة أعداء المطاع وموالاة أوليائه. وأما أن يوالي شخص أعداء الملك، ويدعي أنه موال له، وأنه يحبه ويطيعه. فذاك بعيد عن العقل الصحيح والمنطق السليم، ونوع من الخيال، وضرب من المحال .

هذا إذا لم يكن عدو الملك عدوا له فكيف إذا كان عدوا له وللملك، وكانت عداوته لهما على الحقيقة، عداوة شديدة من كل وجه، أشد من العداوة بين الشاة والذئب، فكيف يليق بالعاقل أن يوالي عدوه وعدو ربه ومليكه ومولاه الذي لا مولى له سواه ولا غنى له عنه طرفة عين ولا أقل من ذلك (٢).

الحاصل : إن إبليس اللعين عدو لله تعالى وعدو لنا . وإنه حسدنا على ما أكرم الله به أبانا آدم عليه السلام وعلى ما أنعم به علينا من نعمه الكثيرة الوفيرة من أهمها أنه وفقنا لهداه و لما فيه رضاه . فيجب علينا أن نعاديه ولا نواليه، وأن نبتعد ونحذر من المسالك التي يدعونا إليها حتى لا نقع في مكائده التي فيها هلاكنا، وسيأتي ذكر بعض تلك المكائد التي يكيدها إبليس لبني آدم وبيان الطريق التي بها النجاة من شره في المطلبين القادمين بإذن الله سبحانه وتعالى، وبه التوفيق .

---

(١) انظر : الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (ص : ٨٧-٨٨)؛ وطريق الهجرتين (ص : ٢٤٢) .

(٢) انظر : الجواب الكافي (ص : ٨٧-٨٨) .

المطلب الثاني: مكائد إبليس وأساليبه في الإفساد.

إن إبليس لما امتنع من السجود لآدم عليه السلام، وخالف أمر ربه وعصاه، ولم يستدرك ما صدر منه بالتوبة إلى الله تعالى وطلبِ المغفرةِ منه سبحانه بل أصر اللعين على فعله، مستكبرا عن أمر ربه- طرده الله سبحانه وتعالى من رحمته، وأخرجه من جنته، وباعده من قربه، وأمره أن ينزل إلى الأرض، ملوما مدحورا صاغرا ذليلا .

فلما رأى إبليس عاقبته الوخيمة ومصيره السيئ طلب من الله سبحانه وتعالى النظرة إلى يوم القيامة، ليقوم بإغواء بني آدم وإضلالهم؛ حتى يكونوا معه من أصحاب السعير، فأنظره الحكيم العليم إلى يوم الوقت المعلوم .

فمنذ ذلك الحين لم يزل إبليس اللعين يمارس كل أسباب الغواية وأساليب الإضلال لإغواء بني آدم، وصدهم عن الحق، وإبعادهم عن الله تعالى، وقطع صلتهم به سبحانه، وقد أبان عن شدة حرصه على إغوائهم وإهلاكهم، كما أخبر الله تعالى عنه في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ فقال تعالى : ﴿ قال فبما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم * ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين ﴾ [1] وقال تعالى : ﴿ قال رب بما أغويتني لأزينن لهم في الأرض ولأغوينهم أجمعين * إلا عبادك منهم المخلصين ﴾[2] وقال تعالى : ﴿ قال أرأيتك هذا الذي كرمت علي لئن أخرتن إلى يوم القيامة لأحتنكن ذريته إلا قليلا * قال اذهب فمن تبعك منهم فإن جهنم جزاؤكم جزاء موفورا * واستفزز من استطعت منهم بصوتك وأجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم في الأموال والأولاد وعدهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورا ﴾ [3] وقال تعالى : ﴿ وقال لأتخذن من عبادك نصيبا مفروضا * ولأضلنهم ولأمنينهم ولآمرنهم فليبتكن ءاذان الأنعام ولآمرنهم فليغيرن خلق الله ﴾ [4] .

عن سبرة بن أبي فاكه رضي الله عنه [5] قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : إن الشيطان قعد

---

(١) الأعراف الآيتان : ١٦-١٧

(٢) الحجر الآيتان : ٣٩-٤٠

(٣) الإسراء الآيات : ٦٢-٦٤

(٤) النساء الآيتان : ١١٧-١١٨

(٥) سبرة ابن أبي فاكهه، صحابي، له عن النبي ﷺ حديث واحد . انظر : معجم الصحابة لابن قانع (٣٠٣/١)؛ وتهذيب التهذيب (٢٦٦/٢ برقم : ٢٥٩٧) .

لابـــن آدم بأطـــرقه، فقعد له بطريق الإسلام، فقال له: أتسلم وتذر دينك، ودين آبائك، وآبـــاء أبيك؟ قال : فعصاه فأسلم، ثم قعد له بطريق الهجرة، فقال: أتهاجر وتذر أرضك وسماءك؟ وإنما مثل المهاجر كمَثَلِ الفَرَسِ في الطِّوَل[1]. قال : فعصاه فهاجر. قال : ثم قعد له بطريق الجهاد، فقال : هو جهد النفس والمال، فتقاتل فتقتل، فتنكح المرأة، ويقسم المال. قـــال: فعصاه فجاهد. فقال رسول الله ﷺ فمن فعل ذلك منهم، فمات، كان حقا على الله أن يدخله الجنة، أو قتل كان حقا على الله أن يدخله الجنة، وإن غرق كان حقا على الله أن يدخله الجنة، أو وقصته دابة كان حقا على الله أن يدخله الجنة [2].

فهـــو يحاول إضلال بني آدم كل المحاولة بجميع صورها وأشكالها، ويبذل كل جهده ليتنكـــبوا عن الصراط المستقيم الموصل إلى رضى الله ومحبته، وإلى جنة الله ودار كرامته. والوسائل والمكايد والحيل والأسباب والأساليب التي يستخدمها لإضلالهم وإغوائهم كثيرة جدا [3]، وفي هذه العجالة يلي ذكر بعضها والإشارة إليها .

١ - **تسمية الأشياء بغير اسمها** : إن إبليس دائما يحاول إغواء بني آدم وإبعادهم عن الحق بكل صوره، وتقريبهم من الباطل وترويجه عليهم بكل صوره وأشكاله، ومن صور تلك المحاولـــة الخبيـــثة تسميته الأشياء بغير اسمها تنفيرا من الحق وترويجا للباطل، وهي إحدى تلك الحيـــل الخبيـــثة التي كاد بها الأبوين في الجنة .قال تعالى حكاية عنه : ﴿ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ ﴾ [4] فهو سمى تلك الشجرة المحظورة شجرة الخلد، وهو غير اسمها.

---

(١) الطِّـــوَل والطِّيَل : الحبل الطويل الشديد يشد أحد طرفيه في وتد أو غيره، والطرف الآخر في يد الفرس ليدور فيه ويرعى ولا يذهب لوجهه . انظر : النهاية في غريب الحديث (١٤٥/٣ ، طول) .

(٢) أخرجه حم (٣١٥/٢٥-٣١٦ ح : ١٥٩٥٨)، واللفظ له؛ ون (الجهاد، ب : ما لمن أسلم وهاجر وجاهد ٢١/٦ ح : ٣١٣٤)؛ وحب كما في الإحسان (السير، ب : فضل الجهاد، ذكر إيجاب الجنة للمجاهد ..... ١٠/ ٤٥٣ ح : ٤٥٩٣) وغيرهم، والحديث حسنه الحافظ ابن حجر في (الإصابة ١٤/٢ برقم : ٣٠٨٦)، وصححه الألباني في (صحيح سنن النسائي ٣٨٠/٢-٣٨١ ح : ٣١٣٤) .

(٣) مكـــايد إبليس في إغواء بني آدم كثيرة جدا، يصعب حصرها، وقد أفردها بعض أهل العلم بتصنيفات مستقلة حـــتى لا يقع المسلم فريسة إغواء اللعين وإضلاله، ومن الكتب المصنفة في ذلك : مكايد الشيطان لابن أبي الدنيا، وتلبيس إبليس لابن الجوزي، ومختصره " المنتقى النفيس " لعلي حسن الأثري، وإغاثة اللهفان من مصايد الشيطان لابـــن القـــيم، ومصائب الإنسان من مكائد الشيطان لابن مفلح المقدسي، والبيان في مداخل الشيطان لحمد أحمد الراشـــد، ومقـــامع الشيطان في ضوء الكتاب والسنة الصحيحة لسليم الهلالي، ووقاية الإنسان من الجن والشيطان لوحيد عبد السلام بالي وغيرها من الكتب .

(٤) طه الآية : ١٢٠

ويمكن أن تقسم مكائده بتسميته الشيء بغير اسمه إلى قسمين .

أ - **تسمية الحق بأسماء منفرة** : ومن صور صده عن الحق أنه سمى ما هو حق وصلاح وطاعة بأسماء منفرة لأن الحق عليه مسحة من نور، وتعلوه إشراقة وضاءة، فلو ظل كما هو دون تشويه لتهافتت إليه النفوس، وصغت إليه الأسماع، وركنت إليه القلوب، ولذا كان تقبيح صورة الحق وتشويهها وتسميته بأسماء منفرة من أهم مكائده، فهو الذي أوحى إلى أوليائه من الكفار أن وسموا الأنبياء بالسحر، وعدوا أتباعهم من الصابئين والخاسرين، وجعلوا الإيمان بهم واتباعهم سفاهة وضلالة (1).

كما أوحى إلى من ينفي أسماء الله وصفاته أن سموا إثبات أسمائه الحسنى وصفاته العليا تشبيها وتجسيما وتمثيلا، فسموا إثبات الوجه واليدين له تركيبا، وسموا إثبات استوائه على عرشه وعلوه على خلقه فوق سماواته تحيزا وتجسيما، وسموا العرش حيزا وجهة، وسموا صفات الله تعالى أعراضا، وأفعاله حوادث، والحكم التي في أمره وشرعه أغراضا ... وما إلى ذلك (2).

وكذلك أوحى إلى الذين يشبهون صفات الله تعالى بصفات خلقه أن سموا تشبيه صفات الباري تعالى بصفات المخلوق إثباتا، وسموا عدم تشبيه صفاته تعالى بصفات مخلوقه نفيا وتعطيلا (3).

وهو مازال يسير بنفس الخطة وبتلك الوسائل حتى في زماننا هذا، فهو الذي أوحى إلى أوليائه بتسمية المتمسكين بهدي النبي ﷺ والمستنين بسنته ظاهرا وباطنا بالمتطرفين والمتعصبين، فهم يسمون البعد عن المعاصي ودور الفجور والفسق انغلاقا ، وقد يسمون ترك المعاصي والمنكرات والتخوف منها إساءة ظن برحمة الله وجرأة على سعة عفوه ومغفرته، ويسمون الحجاب الشرعي خيمة، ويسمون المرأة التي التزمت بأمر ربها وجلست في بيتها رجعية ومتخلفة، ويسمون التدين ثقالة، ويسمون عدم الانبساط إلى السفهاء والفساق والبطالين سوء خلق، ويسمون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والغضب لله والحمية لدينه فتنة وشرا وفضولا، وكل ذلك من وحي الشيطان إليهم (4).

ب - **تسمية الباطل بأسماء محببة** : إن الباطل له صورة قبيحة فيعمد الشيطان إلى

---

(1) انظر : وقاية الإنسان عن الجن والشيطان (ص : ١٧٨) .

(2) انظر : الصواعق المترلة على الطائفة الجهمية والمعطلة (١/٢٦٣-٢٦٦)

(3) انظر : المصدر السابق نفسه .

(4) انظر : الصواعق المترلة (١/٢٦٣)؛ وقاية الإنسان من الجن والشيطان (ص : ١٧٨-١٧٩) .

هذا الباطل فيغطيه بغطاء جميل ويلبسه رداء حسنا ثم يزينه ويحسنه ثم يبدأ في إغواء العبد به ويدل على ذلك قوله تعالى فيما حكاه عن اللعين أنه قال : ﴿ قال رب بما أغويتني لأزينن لهم في الأرض ولأغوينهم أجمعين * إلا عبادك منهم المخلصين ﴾ [1]. فالتزيين أولا ثم الإغواء .

ومن صور هذا التزيين تسمية الفواحش والمعاصي بأسماء محببة إلى النفوس لكي يخفي خبثها وفحشها، فهو الذي سمى الشجرة المحرمة شجرة الخلد ﴿ هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى ﴾ [2].

قال العلامة ابن القيم : ومنه ورث أتباعه تسمية الأمور المحرمة بالأسماء التي تحب النفوس مسمياتها فسموا الخمر أم الأفراح، وسموا اللقمة الكفرية التي هي الحشيشة بلقيمة الذكر والفكر، وسموا الربا بالمعاملة، وسموا المكوس بالحقوق السلطانية، وسموا أقبح الظلم وأفحشه شرع الديوان، وسموا أبلغ الكفر وهو جحد صفات الرب تنزيها، وسموا مجالس الفسوق مجالس الطيبة . أهـ بتصرف [3] .

وهذه المكيدة الخبيثة ما زالت سارية المفعول لدى أتباعه حتى الآن فهم يسمون الخمور بمشروبات روحية، ويسمون الربا بالفائدة، ويسمون السفور الفاتن والتبرج الفاضح بحرية المرأة، ويسمون الاختلاط المستهتر بالتقدم والتمدن ، ويسمون المغنية الفاسقة الفاجرة فنانة ، ويسمون الممثلة الخليعة بطلة، ويجمعون كل هذا الفسق والفجور والعصيان تحت اسم الفن، كل هذا ليجذبوا قلوب الناس إلى فحشهم وخبثهم [4].

٢ - **التدرج في الإضلال** : إن الشيطان لا يأتي إلى الإنسان ويقول له : افعل هذه المعصية، وإنما يقربه منها خطوة خطوة، فهو يأتي مثلا إلى من يريد أن يصيده ويفتنه بعبادة القبور، فيحاول أن يقرر عنده أن الإقسام على الله تعالى والدعاء به أبلغ في تعظيم المقبور واحترامه، وأن ذلك أنجح في قضاء حاجته . فإذا اقتنع به الشخص نقله إلى درجة أخرى، وهي دعاؤه من دون الله تعالى وسؤاله إياه . ثم ينقله بعد ذلك درجة فدرجة إلى أن يتخذ قبره وثنا يعكف عليه، ويوقد عليه القنديل، ويعلق عليه الستور، ويبني عليه المسجد، ويعبده بالسجود له،

---

(١) الحجر الآية : ٣٩-٤٠

(٢) طه الآية : ١٢٠

(٣) انظر : إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (١/١١٢-١١٣)؛ والصواعق المنزلة (١/٢٦٢) .

(٤) انظر : وقاية الإنسان (ص : ١٧٨) .

والطـــواف بـــه، وتقبيله، واستلامه، والحج إليه، والذبح عنده . ثم ينقله درجة أخرى إلى دعاء الناس إلى عبادته، واتخاذه عيدا ومنسكا، وأن ذلك أنفع لهم في دنياهم وآخرتهم [1].

٣ – **الإتيـــان في صورة الناصح** : إن الشيطان لا يأتي الإنسان ويقول له : افعل كـــذا مـــن المعاصي لكي تنال العذاب الأليم، وإنما يأتيه في صورة الناصح الأمين، وبهذه الحيلة تمكن من إغواء أبوينا وإخراجهما من الجنة ﴿ وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين ﴾ [2].

٤- **إيقاع الناس في الإفراط أو التفريط** : ومن كيده العجيب أنه يشام النفس حتى يعلم أي القوتين تغلب عليها : قوة الإقدام والشجاعة أم قوة الانكفاف والإحجام والمهانة؟ فإن رأى الغـــالب على النفس المهانة والإحجام أخذ في تثبيطه وإضعاف همته عن المأمور به، فيهون عـــليه تركه حتى يتركه جملة أو يقصر فيه ويتهاون به . وإن رأى الغالب عليه قوة الإقدام وعلو الهمة أخذ يقلل عنده المأمور به، ويوهمه أنه لا يكفيه، وأنه يحتاج معه إلى مبالغة وزيادة، فيقصر بالأول ويتجاوز الثاني. كما قال بعض السلف : ما أمر الله تعالى بأمر إلا وللشيطان فيه نزغتان : إما إلى تفريط وتقصير، وإما إلى مجاوزة وغلو، ولا يبالي بأيهما ظفر .

وهذه المكيدة الشيطانية : مكيدة الإفراط والتفريط من أعظم مكايده التي ما نجا منها إلا القليل . فقصر بقوم حتى نفوا حقائق أسماء الرب تعالى وصفاته، وعطلوه منها. وتجاوز بآخرين حتى شبهوه بخلقه ومثلوه بهم .

وقصـــر بقوم حتى قالوا :إن الله سبحانه لا يقدر على أفعال عباده، ولا شاءها منهم ولكـــنهم يعمـــلونها بدون مشيئة الله تعلى وقدرته، وتجاوز بآخرين حتى قالوا : إنهم لا يفعـــلون شـــيئا البته، وإنما الله سبحانه هو فاعل تلك الأفعال حقيقة، فهي نفس فعله لا أفعالهم والعبيد ليس لهم قدرة، ولا فعل ألبتة.

وقصـــر بقوم حتى قالوا : إن رب العالمين ليس داخلا في خلقه ولا بائنا عنهم، ولا هو فوقهـــم، ولا تحـــتهم، ولا خـــلفهم، ولا أمامهم، ولا عن أيمانهم، ولا عن شمائلهم. وتجاوز بآخرين حتى قالوا : هو في كـــل مكان بذاته كالهواء الذي هو داخل في كل مكان .

وقصـــر بقوم حتى قالوا : إن الله سبحانه لا يشفع أحدا في أحد البته ولا يرحم أحدا

---

(١) انظر : إغاثة اللهفان (٢١٧/١)؛ ووقاية الإنسان (ص : ١٨٠) .

(٢) الأعراف الآية : ٢١

بشفاعة أحد، وتجاوز بآخرين حتى زعموا أن المخلوق يشفع عنده بغير إذنه كما يشفع ذو الجاه عند الملوك ونحوهم .

وقصر بقوم في حق الأنبياء وورثتهم حتى قتلوهم، وتجاوز بآخرين حتى عبدوهم .

وقصـــر باليهود في المسيح حتى كذبوه، ورموه وأمه بما برأهما الله تعالى منه. وتجاوز بالنصارى حتى جعلوه ابن الله وجعلوه إلها يعبد مع الله .

وقصر بقوم حتى عادوا أهل بيت رسول الله وقاتلوهم، واستحلوا حرمتهم. وتجاوز بقوم حتى ادعوا فيهم خصائص النبوة من العصمة وغيرها، وربما ادعوا فيهم الإلهية.

وقصـــر بقـــوم حتى منعهم قبول أقوال أهل العلم والالتفات إليها بالكلية، وتجاوز بآخرين حتى جعلوا الحلال ما حللوه والحرام ما حرموه، وقدموا أقوالهم على سنة رسول الله الصحيحة الصريحة .

وقصـــر بقوم حتى قالوا : إيمان أفسق الناس وأظلمهم كإيمان جبريل وميكائيل فضلا عـــن أبي بكـــر وعمر – رضي الله عنهما – . وتجاوز بآخرين حتى أخرجوا المسلم من الإسلام بالكبيرة الواحدة .

وقصـــر بقوم عن إخراج الواجب من المال، وتجاوز بآخرين حتى أخرجوا جميع ما في أيديهم، وقعدوا كلا على الناس مستشرفين إلى ما بأيديهم .

وقصـــر بقوم عن الإنفاق في سبيل الله وما هو واجب عليهم . وتجاوز بآخرين حتى أسرفوا أموالهم وبذروها في أنواع المحرمات تبذيرا .

وقصر بقوم حتى زين لهم ترك سنة رسول الله من النكاح فرغبوا عنه بالكلية، وتجاوز بآخرين حتى ارتكبوا ما وصلوا إليه من الحرام .

وقوم قصر بهم عن تناول ما يحتاجون إليه من الطعام والشراب واللباس حتى أضروا بأبدانهم وقلوبهم، وقوم تجاوز بهم حتى أخذوا فوق الحاجة فأضروا بقلوبهم وأبدانهم .

وقصـــر بقـــوم حـــتى أطعمهم من العشب ونبات البرية دون غذاء بني آدم، وتجاوز بآخرين حتى أطعمهم الحرام الخالص [1].

٥- **الـــتحريش بين المسلمين** : لا شك أن في الجمع قوة وشوكة، وفي الخلاف

---

(١) انظر : إغاثة اللهفان (١/١١٥-١١٨) .

ضعفا ومهانة، والشيطان لا يريد أن يعيش الناس في وفاق ووحدة ؛ ولذلك دائما يحاول إثارة الخلاف والنزاعات بينهم . قال تعالى : ﴿ وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن إن الشيطان ينزغ بينهم إن الشيطان كان للإنسان عدوا مبينا ﴾ (١). وقال تعالى : ﴿ إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون ﴾ (٢) .

فالشيطان يتلمس السقطات من فم الإنسان والعثرات من لسانه، ويغري بها العداوة والبغضاء بين المرء وأخيه، فيتكدر جو الأخوة والمحبة والصفاء والصدق والوفاق، ويحل محله ظلمات الخلاف والنزاع والجفوة والبغض والشحناء والعداء وما إلى ذلك (٣).

كما أنه يوقع العداوة والبغضاء بين الناس في الخمر والميسر، فإن الخمر تفقد الوعي وتثير النزوات والشهوات . والميسر يوقد في نفس المقمور نار الحقد والثأر على القامر الذي استولى على ماله أمام عينيه . والشيطان لا يزال وراءهم يؤجج هذه النار ويثير تلك الشهوات حتى يجرهم إلى أماكن الردى ويوقعهم في المزالق والمهالك التي يصعب الخروج منها (٤).

ولذلك حذر النبي ﷺ من هذه المكيدة الشيطانية فقال : ((إن الشيطان قد أيس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب ولكن في التحريش بينهم)) (٥).

٦ - **تفكيك الأسرة** : الشيطان لا يروق له أن يكون المجتمع قائما على الوحدة والمحبة، ولاشك أن الأسرة المتماسكة هي اللبنة الأولى لبناء المجتمع على أساس الوحدة والوفاق، ولذلك دائما يحاول اللعين إثارة الخلاف في أفراد الأسرة، ولا سيما بين الزوجين لأنه يعلم يقينا أنه إذا تمكن من حطم هذه البناية الطيبة والخلية الناسلة المعمرة سوف يتحطم المجتمع كله تلقائيا، فيسهل عليه كيدهم وصيدهم، ويكون المجتمع كله فريسة لإغوائه وإضلاله . لذلك كان تفكيك الأسرة وإحداث الفرقة بين المرء وزوجه من أعظم مقاصد إبليس وأحب الأعمال عنده وأرغبها لديه (٦).

---

(١) الإسراء الآية : ٥٣

(٢) المائدة الآية : ٩١

(٣) انظر : مقامع الشيطان في ضوء الكتاب والسنة (ص : ٢٢-٢٣) .

(٤) انظر : المصدر السابق نفسه .

(٥) أخرجه م من حديث جابر ﷺ (صفة القيامة والجنة والنار، ب : تحريش الشيطان ... ٤/٢١٦٦ ح : ٢٨١٢) .

(٦) انظر : الصحيح الجامع لأخبار الجن والشياطين من القرآن والسنة وأقوال أهل العلم (ص : ٤٤)؛ والبيان في مداخل الشيطان (ص : ١٠١-١٠٢) .

وهذه المكيدة الشيطانية أخبر عنها يوسف عليه السلام بأن إبليس هو الذي كان ينزغ بينه وبين أخوته حتى جرى ما جرى بينه وبين إخوته [1]. قال تعالى حكاية عنه : ﴿ وقال ياأبت هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقا وقد أحسن بي إذ أخرجني من السجن وجاء بكم من البدو من بعد أن نزغ الشيطان بيني وبين إخوتي ﴾ [2].

وقـد أخبر النبي ﷺ أن التفرقة بين المرء وزوجه من أعظم الأعمال عند إبليس. عن جابـر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : إن إبليس يضع عرشه على الماء، ثم يبعث سراياه، فأدناهم مـنه منزلة أعظمهم فتنة، يجيء أحدهم فيقول : فعلت كذا وكذا. فيقول: ما صنعت شيئا . قال: ثم يجيء أحدهم، فيقول: ما تركته حتى فرقت بينه وبين امرأته. قال : فيدنيه منه، ويقول : نِعْمَ أنت . قال الأعمش [3]: أراه قال : فيلتزمه [4].

فالذين يدعون اليوم إلى تفكيك الأسرة باسم الحرية والتقدم والتمدن والتطور أو يسببون إحداث الخلاف وإثارة الفرقة بين أفراد الأسرة هم من أتباع إبليس وجنوده وسراياه، يقومون بتـنفيذ خطـته وتحقيق رغبته، يضمون صوتهم إلى صوته ويدعون بدعوته، كما يدل عليه [5] قوـله تعالى : ﴿ واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله ﴾ [6].

٧- **الغـناء وسماع الأصوات المحرمة** : قال تعالى: ﴿ واستفزز من استطعت منهم بصوتك وأجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم في الأموال والأولاد وعدهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورا ﴾ [7] .

---

(١) انظر : البيان في مداخل الشيطان (ص : ١٠١) .

(٢) يوسف الآية : ١٠٠

(٣) الأعمـش هو سليمان بن مهران الأسدي الكاهلي ثقة حافظ عارف بالقراءات ورع ولكنه يدلس، توفي سنة ١٤٧هـ أو بعدها بسنة . انظر : تقريب التهذيب (ص : ٢٥٤ برقم : ٢٦١٥) .

(٤) أخرجه م (صفة القيامة والجنة والنار، ب : تحريش الشيطان وبعثه سراياه ... ٢١٦٧/٤ ح : ٢٨١٣) .

(٥) انظر : الصحيح الجامع لأخبار الجن والشياطين (ص : ٤٤) .

(٦) البقرة الآية : ١٠٢

(٧) الإسراء الآية : ٦٤

إن صوت الشيطان هو الصوت المحرم ومنه الغناء، ومزامير الشيطان التي هي المعازف وآلات الموسيقي...، وقد احتال بها على خلق كثير[1] .

قـــال العلامة ابن القيم : (ومن مكايد عدو الله ومصايده التي كاد بها من قل نصيبه من العـــلم والعقل والدين، وصاد بها قلوب الجاهلين والمبطلين : سماع المكاء، والتصدية، والغناء بالآلات المحرمة، الذي يصد القلوب عن القرآن، ويجعلها عاكفة على الفسوق والعصيان، فهو قـــرآن الشـــيطان، والحجاب الكثيف عن الرحمن، وهو رقية اللواط والزنا، وبه ينال العاشق الفاسق من معشوقه غاية المنى، كاد به الشيطان النفوس المبطلة، وحسنه لها مكرا منه وغرورا، وأوحى إليها الشبه الباطلة على حسنه، فقبلت وحيه، واتخذت لأجله القرآن مهجورا.

فـــلو رأيـــتهم عـــند ذياك السماع، وقد خشعت منهم الأصوات، وهدأت منهم الحـــركات، وعكـــفت قلـــوبهم بكليتها عليه، وانصبت انصبابة واحدة إليه، فتمايلوا له كـــتمايل النشوان، وتكسروا في حركاتهم ورقصهم تكسر المخانيث والنسوان، ويحق لهم ذلـــك، وقد خالط خماره النفوس، ففعل فيها أعظم ما يفعله حُمَيًّا الكؤوس، فَلِغَيرِ اللهِ بل للشيطان قلوب هناك تمزق، وأثواب تشقق، وأموال في غير طاعة الله تنفق، حتى إذا عمل السُـــكْرُ فيهم عمله، وبلغ الشيطان منهم أمنيته وأمله، واستفزهم بصوته وحيله، وأجلب عـــليهم برجله وخيله، وخز في صدورهم وخزا، وأزهم إلى ضرب الأرض بالأقدام أزا، فطورا يجعلهم كالحمير حول المدار، وتارة كالدباب ترقص وسط الديار .

فيـــا رحمـــتا للسقوف والأرض من دك تلك الأقدام، ويا سوأتا من أشباه الحمير والأنعام، ويا شماتة أعداء الإسلام بالذين يزعمون أنهم خواص الإسلام، قضوا حياتهم لذة وطربا، واتخذوا ديـــنهم لهوا ولعبا، مزامير الشيطان أحب إليهم من استماع سور القرآن، لو سمع أحدهم القرآن مـــن أوله إلى آخره لما حرك له ساكنا، ولا أزعج له قاطنا، ولا أثار فيه وجدا،... حتى إذا تلي عـــليه قـــرآن الشيطان، وولج مزموره سمعه، تفجرت ينابيع الوجد من قلبه، على عينيه فجرت، وعـــلى أقدامـــه فرقصت، وعلى يديه فصفقت، وعلى سائر أعضائه فاهتزت وطربت، وعلى أنفاسه فتصاعدت، وعلى زفراته فتزايدت، وعلى نيران أشواقه فاشتعلت.

فيا أيها الفاتن المفتون، والبائع حظه من الله بنصيبه من الشيطان صفقة خاسر مغبون،

---

(١) انظر : مقامع الشيطان (ص : ٢٦) .

هـــلا كانت هذه الأشجان عند سماع القرآن ؟ وهذه الأذواق والمواجيد عند قراءة القرآن المجيد؟ وهذه الأحوال السنيات عند تلاوة السور والآيات؟

ولكن كل امرئ يصبو إلى ما يناسبه، ويميل إلى ما يشاكله، والجنسية علة الضم قدرا وشرعا، والمشاكلة سبب الميل عقلا وطبعا، فمن أين هذا الإخاء والنسب لولا التعلق من الشـــيطان بأقوى سبب؟ ومن أين هذه المصالحة التي أوقعت في عقد الإيمان وعهد الرحمن خللا ؟ ﴿ أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا ﴾ [1]) [2].

٨- **الاستعانة بشياطين الإنس، والإيحاء إليهم بالمجادلة** : إن إبليس ليس وحيدا في معركة إغواء بني آدم بل له أعوان وأنصار من جنسه، كما أن له أذنابا وأتباعا من غير جنســـه من بني آدم، الذين كاد بهم أولا فأحكم قيدهم حتى أصبحوا عونا له على باطله وشرِّه وفساده، فهو يوحي إليهم بمكايده وأباطيله وشبهاته، وهم يقومون بإكمال مهمته وتـــنفيذ خطته ونشره شبهاته وساوسه بين الناس . قال تعالى : ﴿ وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم وإن أطعتموهم إنكم لمشركون ﴾ [3].

فكم نرى لو أن شخصا هداه الله تعالى لدين الإسلام والالتزام به كاملا، والسير على نهج خير الأنـــام ﷺ جاءتـــه الفتن من كل جانب تكشر أنيابها، فإذا استعصم بحبل الله المتين، وتغلب على شياطين الجن جاءه شياطين الإنس من أصدقاء السوء وأتراب الفسوق يجادلونه عن الباطل، ويثبطون من عزيمته، ويوهنون من قوته في الحق ، وما ذلك إلا من إيحاء الشيطان إليهم وتزيينه لهم [4].

٩- **تثـــبيط المؤمنين بتخويفهم** تارة من الفقر والحاجة، وأخرى بضعفهم وقلتهم وقـــوة العدو وكثرتهم ونحو ذلك . قال تعالى : ﴿ الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم ﴾ [5] . وقال تعالى : ﴿ إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا

---

(١) الكهف الآية : ٥٠

(٢) إغاثة اللهفان (١/٢٢٤-٢٢٥) .

(٣) الأنعام الآية : ١٢١

(٤) انظر : وقاية الشيطان (ص : ١٨٨) .

(٥) البقرة الآية : ٢٦٨

تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين ﴾ [١] .

فهو يخوف الناس عموما والمؤمنين خصوصا من الفقر والفاقة، ويأمرهم بالبخل وعدم الإنفـــاق في سبيل الله تعالى، ويحثهم على جمع الأموال بغض النظر عن كونها من الحلال أوالحرام، ثم يزين لهم المعاصي والذنوب والمحرمات فينفقونها فيها ، فيكون شرا على شر .

كما يخوف المؤمنين من قوة العدو وكثرته، ويوهم إليهم أن أولياء الشيطان أولو بأس وشـــدة وعدة وعدد، ويخيل للمؤمنين أنهم في محل الضعف والقلة حتى لا يقوم أولياء الله بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والجهاد في سبيل الله تعالى، لإعلاء كلمة الله تعالى، وإرغام أنوف المشركين والكافرين، ودحض باطلهم وكسر شوكتهم .

١٠ - **المواعيـــد الكاذبـــة والأماني الباطلة** : أن الشيطان يعد أولياءه وعودا كاذبة، ويمـــنيهم أماني باطلة حتى يسهل عليهم قبول غوايته وإضلاله ، فإذا تمكن من صيدهم وكيدهم قـــادهم إلى المهالك وأماكن الردى وساقهم إلى المصادر التي فيها عطبهم وهلاكهم وعذابهم ثم يتخـــلى عـــنهم ويقف يتشمت بهم [٢]. قال تعالى : ﴿ ويوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا * يا ويلتى ليتني لم أتخذ فلانا خليلا * لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني وكان الشيطان للإنسان خذولا ﴾ [٣] . وقـــال تعالى : ﴿ وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال إني بريء منكم ﴾ [٤] وقال تعالى : ﴿ وقال الشيطان لما قضي الأمر إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخي إني كفرت بما أشركتمون من قبل ﴾ [٥] وقال تعالى : ﴿ يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورا ﴾[٦] وقال تعالى : ﴿ كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال إني

(١) آل عمران الآية : ١٧٥

(٢) إغاثة اللهفان (١٠٨/١)؛ والبيان في مداخل الشيطان (ص : ٩٠-٩١) .

(٣) الفرقان الآيات : ٢٧-٢٩

(٤) الأنفال الآية : ٤٨

(٥) إبراهيم الآية : ٢٢

(٦) النساء الآية : ١٢٠

بريء منك إني أخاف الله رب العالمين * فكان عاقبتهما أنهما في النار خالدين فيها وذلك جزاء الظالمين ﴾[1].

مراتب إضلال الشيطان للإنسان .

الوســائل والمكايد والحيل والأسباب والأساليب التي يستخدمها إبليس لإضلال بني آدم وإغوائهـــم كــثيرة جدا، لا يمكن حصر أجزائها وأفرادها؛ إذ ما من شر في العالم إلا وهو السبب فيه ولكن ذكر أهل العلم أن شره ينحصر في ستة أجناس، وأن إضلاله لبني آدم على ست درجات[2]. فلا يزال اللعين بابن آدم حتى ينال منه واحدا منها أو أكثر . وفيما يلي ذكر مراتب شره في إضلاله بني آدم .

المرتبة الأولى : شر الكفر والشرك، ومعاداة الله ورسوله .وهذا أول ما يريده اللعين من ابن آدم ، فلا يزال به حتى يناله منه، فإذا ظفر بذلك منه برد أنينه، واستراح من تعبه، وصيره من جنده وعسكره، واستنابه على أمثاله وأشكاله، فيصير من دعاة إبليس ونوابه .

المرتــبة الثانية : فإن يئس اللعين من إدخال ابن آدم في مرتبة الشرك والكفر نقله إلى المرتــبة الثانية، وهي البدعة، وهي أحب إليه من الفسوق والمعاصي؛ لأن ضررها في نفس الديـــن، وهو ضرر متعد، وهي ذنب لا يتاب منه، وهي مخالفة لدعوة الرسل، ودعاء إلى خلاف ما جاءوا به، فهي باب الكفر والشرك . فإذا نال منه بهذة المرتبة وتمكن من إدخاله فيها وجعله من أهلها بقي أيضا من نوابه وداعية من دعاته .

المرتــبة الثالثة : فإن لم يتمكن من إدخال ابن آدم في مرتبة البدعة، وكان العبد ممن سبقت له من الله تعالى موهبة السنة ومعاداة البدعة وأهلها نقله إلى المرتبة الثالثة من الشر، وهي الكبائر على اختلاف أنواعها، فهو أشد حرصا على أن يوقعه فيها، ولاسيما إن كان عالما متبوعا فهو حريص على إيقاعه فيها ، ليشيع عنه تلك المعاصي والذنوب بين الناس، وينفر الناس عنه، وعن الانتفاع بعلومه .

المرتــبة الرابعة : فإن عجز عن إدخاله في مرتبة الكبائر نقله إلى المرتبة الرابعة وهي :

---

(١) الحشر الآيتان : ١٦-١٧

(٢) ذكـــر ذلـــك ابن القيم في (تفسير المعوذتين ص : ٧٣-٧٦)، وهو في (بدائع الفوائد ٢/٨٤٣-٤٨٥)؛ وذكره القاضي بدر الدين الشبلي في (آكام المرجان في غرائب الأخبار وأحكام الجان (ص : ١٦٧)؛ وابن مفلح المقدسي في (مصائب الإنسان من مكائد الشيطان (ص : ٨٢) وغيرهـم نقلا عن العلامة ابن القيم .

الصغائر التي إذا اجتمعت فربما أهلكت صاحبها ، كما جاء في حديث سهل بن سعد ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : إياكم ومحقرات الذنوب؛ فإنما محقرات الذنوب كمثل قوم نزلوا بطن واد، فجاء ذا بعود، وجاء ذا بعود حتى جمعوا ما أنضجوا به خبزهم، وإن محقرات الذنوب متى يؤخذ بها صاحبها تهلكه [1] .

المرتبة الخامسة : فإن عجز عن إدخاله في مرتبة الصغائر نقله إلى المرتبة الخامسة :وهي إشغاله بالمباحات التي لا ثواب فيها ولا عقاب، بل عاقبتها حرمان الثواب الجزيل والأرباح العظيمة والمكاسب الجليلة والمنازل العالية لفواته كثيرا من القربات التي ضاعت عليه لاشتغاله بالمباحات .

المرتبة السادسة : فإن أعجزه العبد من هذه المرتبة، وكان حافظا لوقته شحيحا به، يعلم مقدار أنفاسه وانقطاعها، وما يقابلها من النعيم والعذاب نقله إلى المرتبة السادسة، وهي إشغاله بالعمل المفضول عما هو أفضل منه ليزيح عنه الفضيلة، ويحرمه ثواب العمل الفاضل .

فإذا أعجزه العبد من هذه المراتب الست سلط عليه حزبه من الإنس والجن بأنواع الأذى والتكفير والتضليل والتبديع والتحذير منه والتشويش عليه؛ ويبقى سعيه في تسليط المبطلين من شياطين الجن والإنس عليه . فحينئذ يلبس المؤمن لأمة الحرب،ولا يضعها عنه إلى الموت - ومتى وضعها أسر أو أصيب - فلا يزال في جهاد حتى يلقى الله سبحانه وتعالى [2].

أسأل الله تعالى أن يجيرنا جميعا من الفتن، ما ظهر منها وما بطن، وأن يعيذنا من كيد الشيطان وشره؛ فإنه عفو كريم قوي عزيز، لا يرد من لاذ إليه واستعاذ به؛ فهو المستعان وعليه التكلان .

---

(١) أخرجه حم (٣٧/٤٦٦-٤٦٧ ح : ٢٢٨٠٨)؛ والروياني في مسنده (٢/٢١٦ ح : ١٠٦٥)؛ والطبراني في (الكبير ٦/ ١٦٥ ح : ٥٨٧٢ والأوسط ٧/٢١٩-٢٢٠ ح : ٧٣٢٣ والصغير ٢/١٢٩ ح : ٩٠٤) والرامهرمزي في (أمثال الحديث ص : ١٠٥ ح : ٦٧) . قال الهيثمي في (مجمع الزوائد ١٠/١٩٠) : (رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح، ورواه الطبراني في الثلاثة من طريقين، ورجال إحداهما رجال الصحيح غير عبد الوهاب بن عبد الحكم، وهو ثقة)؛ وصححه الألباني في (صحيح الجامع الصغير ١/٥٢٢-٥٢٣ ح : ٢٦٨٦)؛ وفي السلسلة الصحيحة (١/٧٤٤-٧٤٥ ح : ٣٨٩).

(٢) انظر : تفسير المعوذتين (ص : ٧٣-٧٦)، وهو في (بدائع الفوائد ٢/٨٤٣-٨٤٥)، وفي (مدارج السالكين ١/٢٢٢-٢٢٧) .

المطلب الثالث: بيان الطريق التي بها النجاة من شره .

إن الله سبحانه وتعالى لما أخرج الأبوين من الجنة، وأنزلهما إلى الأرض، وعرَّضهما لأنواع من المحن والبلاء والامتحان والابتلاء حصل لهما خوف وحزن وشقاء، فأخبر الله سبحانه وتعالى أنه سيعطيهما وذريتهما عهدا من تمسك به واتبعه انتفى عنه الخوف والحزن والضلال والشقاء، وصار إلى رضوانه ودار كرامته، ومن لم يتمسك به هو الذي تتوالى عليه أنواع الخوف والحزن والضلال والشقاء في الدنيا والآخرة، ويكون مصيره الهلاك الأبدي والعذاب السرمدي . قال تعالى : ﴿ قلنا اهبطوا منها جميعا فإما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون * والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾ [1] وقال تعالى : ﴿ قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو فإما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى * ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى * قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا * قال كذلك أتتك ءاياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى * وكذلك نجزي من أسرف ولم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الآخرة أشد وأبقى ﴾ [2].

فالله سبحانه وتعالى تكفل لمن حفظ عهده، وتمسك بهداه أنه يكون في مأمن عن جميع أنواع الحزن والخوف والضلال والشقاء، وأنه سيحظى بجميع أنواع النعم والكرامات في الدنيا والآخرة، وأنه لا تصل إليه يد أحد من المضلين، ولا تنجح فيه مكيدة من مكايد الكائدين . فالتمسك بهدى الله المنزل هو الطريق الوحيد للنجاة من الشرور كلها أعلاها وأدناها ومنها مكايد الشيطان ومضلاته ولكن هناك تحصينات خاصة بينها الله تعالى في كتابه والنبي ﷺ في أحاديثه لطرد الشيطان الرجيم وإبعاده والتخلص من مكايده ومضلاته وفيما يلي ذكر بعضها .

١ - **الإخلاص** : قال سبحانه وتعالى حكاية عن إبليس : ﴿ قال رب بما أغويتني لأزينن

---

(١) البقرة الآيتان : ٣٨-٣٩

(٢) طه الآيات : ١٢٣-١٢٧

لهم في الأرض ولأغوينهم أجمعين * إلا عبادك منهم المخلصين ﴾ [1]. وقال تعالى : ﴿ قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين * إلا عبادك منهم المخلصين ﴾ [2].

فقـــد بين الله سبحانه وتعالى في هذه الآيات على لسان إبليس إطار عمله في الغواية والإضلال، وهو أنه يحاول أن يغوي جميع الناس إلا من ليس له سلطان عليهم، وهم عباد الله المخلصون، وليس ذلك تطوعا منه، وإنما عجزا وقصورا عن بلوغ غايته فيهم وإدراك حاجـــته منهم؛ لأنه يعلم أن من يخلص نفسه لله تعالى من عباده ويجردها له يستخلصه الله ســبحانه لنفســـه، فيرعاه، ويحميه. كما قال تعالى مخاطبا إياه : ﴿ إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين ﴾[3]. وهـــذا اســـتثناء منقطع؛ فالغاوون ليسوا من عباد الله المخلصـــين؛ فهـــم الذيـــن تنجح فيهم مكايد إبليس. وأما عباد الله المخلصون فلا نفوذ لسلطانه عليهم، ولا تأثير لمكايده فيهم . فإخلاص العبودية لله تعالى هو حبل الحياة وطوق النجاة للتخلص من شر إبليس ومكايده [4].

٢ - **اتباع السنة الصحيحة** : إن الله سبحانه وتعالى خلق الجن والإنس لعبادته، وأمرهم أن يخلصـــوا جميع عباداتهم له سبحانه ويفردوه بها . وأرسل رسله تترى يبينون للناس كيفية عبادة الله وطـــرقها، وما يحب الله منها وما يكره، حتى يقوموا بعبادة الله تعالى على ما يحبه ويرضاه منهم، وأرسل في الأخير أفضلهم وخاتمهم عبده ورسوله محمدا ﷺ ونسخ به الشرائع التي كانت قبلها .

فمـــن أراد أن تكون عبادته مقبولة عند الله، وأن يكون من عباده المخلصين، الذين ليس للشيطان عليهم سبيل، يجب عليه أن يعبد الله سبحانه على الوجه الذي بينه في كتابه الذي أنزله على رسوله محمد ﷺ ، وعلى الوجه الذي بينه رسوله محمد ﷺ في أحاديثه بقوله وفعله وتقريره - وهو شرح عملي تطبيقي لما أمره الله تعالى في كتابه -، ولا يمكن لأحد أن يعـــبد الله على وجه صحيح يرضى به ربه إلا باتباعه طريقة النبي ﷺ والتمسك بسنته الصحيحة. ومن يتمسك بها تمسكا صحيحا يجعله الله من عباده المخلصين؛ فيكون مأمونا

---

(١) الحجر الآيتان : ٣٩-٤٠

(٢) ص الآيتان : ٨٢-٨٣

(٣) الحجر الآية : ٤٢

(٤) انظر : مقامع الشيطان في ضوء الكتاب والسنة الصحيحة (ص : ٢٩-٣١) .

من الشيطان الرجيم ووساوسه وشبهاته ومكايده بحفظ الله وتأييده ونصرته له .

قال العلامة ابن القيم وهو يصف علاج الموسوسين الذين بلغ بهم الشيطان إلى حد العذاب في الدنيا قبل الآخرة بعد أن ذكر جملة كبيرة من مكائد الشيطان ووساوسه بهم- : (فمن أراد التخلص من هذه البلية فليستشعر أن الحق في اتباع رسول الله في قوله وفعله، وليعزم على سلوك طريقته، عزيمة من لا يشك أنه على الصراط المستقيم، وأن ما خالفه من تسويل إبليس ووسوسته، ويوقن أنه عدو له، لا يدعوه إلى خير، إنما يدعوا حزبه ليكونوا من أصحاب السعير، وليترك التعريج على كل ما خالف طريقة رسول الله كائنا ما كان، فإنه لا يشك أن رسول الله كان على الصراط المستقيم، ومن شك في هذا فليس بمسلم، ومن علمه فإلى أين العدول من سنته؟ وأي شيء يبتغي العبد غير طريقته؟ ... وما ذا بعد الحق إلا الضلال؟ وهل بعد طريق الجنة إلا طريق النار؟ وهل بعد سبيل الله وسبيل رسوله إلا سبيل الشيطان؟ فإن اتبعت سبيله كنت قرينه، وستقول : ﴿ يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين ﴾ [1]، ولينظر أحوال السلف في متابعتهم لرسول الله فليقتد بهم وليختر طريقهم ...وليعلم أن الصحابة ما كان فيهم موسوس، ولو كانت الوسوسة فضيلة لما ادخرها الله عن رسوله وصحابته، وهم خير الخلق وأفضلهم) [2].

فالشيطان لم يكن له سبيل على رسول الله ﷺ وكذلك الصحابة لم يكن للشيطان على أحد منهم سبيل لأنهم كانوا يهتدون بهديه ﷺ فمن يلزم طريقته، ويسلك سبيله، ويهتدي بهديه، ويتمسك بسنته، كذلك لا يكون للشيطان له عليه سبيل، ويكون مأمونا من الشيطان ووساوسه ومكايده بإذن الله وتوفيقه .

٣ - **الاستعاذة بالله** من الشيطان الرجيم : الاستعاذة هي الالتجاء إلى الله تعالى، والالتصاق بجنابه سبحانه من كل ذي شر . والشيطان عدو مضل مبين للإنسان، وهو شرير بالطبع، لا يقبل مصانعة، ولا يؤثر فيه معروف، بخلاف شياطين الإنس، فلا يكفه عن شره وإيذائه للإنسان إلا الله سبحانه وتعالى الذي خلقه [3] . ولهذا أرشد الله عباده في كتابه الكريم وعلى لسان رسوله الأمين

---

(١) الزخرف الآية : ٣٨

(٢) إغاثة اللهفان (١/١٣٥-١٣٦) .

(٣) انظر : تفسير القرآن العظيم (١/١٥)؛ ومقامع الشيطان (ص : ٣٥) .

إلى الاستعاذة به سبحانه من الشيطان الرجيم في مقامات كثيرة لشدة حاجتنا إلى ذلك .

قال تعالى : ﴿ وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه سميع عليم ﴾ (١) وقال تعالى : ﴿ فإذا قرأت القرءان فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم ﴾ (٢) وقال تعالى : ﴿ وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه هو السميع العليم ﴾ (٣) وقال تعالى : ﴿ وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين * وأعوذ بك رب أن يحضرون ﴾ (٤) وقال تعالى : ﴿ قل أعوذ برب الفلق * من شر ما خلق * ومن شر غاسق إذا وقب * ومن شر النفاثات في العقد * ومن شر حاسد إذا حسد ﴾ (٥) وقال تعالى : ﴿ قل أعوذ برب الناس * ملك الناس * إله الناس * من شر الوسواس الخناس * الذي يوسوس في صدور الناس * من الجنة والناس ﴾ (٦).

قال أبو سلمة (٧) : لقد كنت أرى الرؤيا، فتمرضني حتى سمعت أبا قتادة ﷺ يقول : وأنا كنت أرى الرؤيا تمرضني، حتى سمعت النبي ﷺ يقول: الرؤيا الحسنة من الله، فإذا رأى أحدكم ما يحب فلا يحدث به إلا من يحب، وإذا رأى ما يكره، فليتعوذ بالله من شرها، ومن شر الشيطان، وليتفل ثلاثا، ولا يحدث بها أحدا، فإنها لن تضره (٨).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان النبي ﷺ يعوذ الحسن والحسين، ويقول : إن أباكما كان يعوذ بها إسماعيل وإسحاق : أعوذ بكلمات الله التامة، من كل شيطان وهامة، ومن كل عين لامة (٩).

وعن سليمان بن صرد ﷺ قال : استب رجلان عند النبي ﷺ ونحن عنده جلوس،

---

(١) الأعراف الآية : ٢٠٠

(٢) النحل الآية : ٩٨

(٣) فصلت الآية : ٣٦

(٤) المؤمنون الآيتان : ٩٧-٩٨

(٥) الفلق الآيات : ١-٥

(٦) الناس الآيات : ١-٦

(٧) أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف الزهري، قيل اسمه عبد الله وقيل إسماعيل، ثقة مكثر، مات سنة ٩٤هـ وقيل سنة ١٠٤هـ . انظر : تقريب التهذيب (ص : ٦٤٥ برقم : ٨١٤٢).

(٨) أخرجه خ (التعبير، ب : إذا رأى ما يكره فلا يخبر بها ولا يذكرها ٢٥٨٢/٦ ح : ٦٦٣٧)، واللفظ له؛ وم (الرؤيا ١٧٧١/٤ ح : ٢٢٦١) .

(٩) أخرجه خ (أحاديث الأنبياء ١٢٣٣/٣ ح : ٣١٩١) .

وأحدهما يسب صاحبه مغضبا قد احمر وجهه، فقال النبي ﷺ : إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد، لو قال : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. فقالوا للرجل : ألا تسمع ما يقول النبي ﷺ؟ قال : إني لست بمجنون [1] .

وعن أبي العلاء [2] أن عثمان بن أبي العاص ﷺ أتى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله ! إن الشيطان قد حال بيني وبين صلاتي وقراءتي يلبسها عليَّ. فقال رسول الله ﷺ ذاك شيطان يقال له : "خنزب"، فإذا أحسسته فتعوذ بالله منه، واتفل على يسارك ثلاثا. قال: ففعلت ذلك، فأذهبه الله عني[3].

وعن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال : إذا سمعتم صياح الديكة فاسألوا الله من فضله؛ فإنها رأت ملكا، وإذا سمعتم نهيق الحمار فتعوذوا بالله من الشيطان؛ فإنه رأى شيطانا [4].

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي ﷺ أنه كان إذ دخل المسجد قال : " أعوذ بالله العظيم، وبوجهه الكريم، وسلطانه القديم، من الشيطان الرجيم " قال : فإذا قلت ذلك، قال الشيطان : حفظ مني سائر اليوم [5]. والأحاديث في هذا المعنى كثيرة .

والاستعاذة بالله سبحانه وتعالى صفة جليلة ومنقبة عظيمة للعبد؛ فإنه لا يتحلى بها إلا المتقون من عباد الله، وإن حصلت منهم غفلة ونسيان، وأصيبوا بشيء من هذه الوساوس الشيطانية يتنبهون بعد الغفلة والنسيان، فيذكرن الله سبحانه وتعالى، ويستعيذون به من الشيطان الرجيم، فيطير ذلك الغطاء الذي كان يغطي قلوبهم بسبب الغفلة والنسيان ومس الشيطان لهم، فإذا هم يرون الحق ويبصرون [6]. قال تعالى : ﴿ إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون ﴾ [7].

---

(١) أخرجه خ (الأدب، ب : الحذر من الغضب ٥/٢٢٦٧ ح : ٥٧٦٤)، واللفظ له؛ و م (البر والصلة والآداب، ب : فضل من يملك نفسه عند الغضب ... ٤/٢٠١٥ ح : ٢٦١٠) .

(٢) هو يزيد بن عبد الله بن الشِّخِّير العامري، ولد في خلافة عمر ﷺ وكان ثقة، توفي سنة ١١١هـ أو قبلها . انظر : تقريب التهذيب (ص : ٦٠٢ برقم : ٧٧٤٠).

(٣) أخرجه م (السلام ، ب : التعوذ من شيطان الوسوسة في الصلاة ٤/١٧٢٨ ح : ٢٢٠٣) .

(٤) أخرجه خ (بدء الخلق، ب : خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال ٣/١٢٠٢ ح : ٣١٢٧)؛ و م (الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، ب : استحباب الدعاء عند صياح الديك ٤/٢٠٩٢ ح : ٢٧٢٩) .

(٥) أخرجه د (الصلاة، ب : فيما يقوله الرجل عند دخول المسجد ١/١٢٧ ح : ٤٦٦)، وصححه الألباني في (صحيح سنن أبي داود ١/١٣٦-١٣٧ ح : ٤٦٦) .

(٦) انظر : البيان في مداخل الشيطان (ص : ١٤٧-١٤٨) .

(٧) الأعراف الآية : ٢٠١

فالاســـتعاذة بالله سبحانه وتعالى حصن حصين ودواء نافع لكل نزغات الشيطان؛ لأن الله ســـبحانه وتعـــالى قـــوي عزيز كريم رحيم، لا يرد من لجأ إليه، واستعاذ به. فمن يلتجأ إليه ويستجير منه ويستعيذ به من الشيطان الرجيم يكون في حمى الله وحفظه من الشيطان الرجيم .

٤ - **البســـملة** : البدء بـــ"بسم الله " هو الأدب الذي أوحى الله لنبيه ﷺ في أول ما نزل من القرآن الكريم باتفاق المسلمين، وهو قوله تعالى : ﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق ﴾[(١)].

فباسم الله سبحانه وتعالى يكون كل ابتداء، وباسمه يكون كل اتجاه وكل حركة.

وهذا الأدب الرفيع يتفق مع قاعدة الدين الحنيف، من التعلق بالله وحده، والتبرك باسمه عمن سواه، وحصر التعظيم والتبجيل لجنابه جل جلاله، دون التفات إلى ما سواه بشيء من ذلك[(٢)].

ولذلك من تعلق بالله وحده في أموره كلها، ولم يتجه إلى غيره سبحانه وتعالى في أمر من الأمـــور، وكانت جميع شؤونه وحركاته وأعماله مبدوءة باسمه تبارك وتعالى ، منبثقة بالتوكل عـــليه وحده سبحانه تنحى عنه الشيطان صاغرا ذليلا، ولم يكن له سبيل عليه؛ ومن هنا حث الشارع الحكيم على البسملة في عدة أمور لقهر الشيطان وإهانته[(٣)]، وفيما يلي ذكر بعضها :

• **عـــند الجماع** : عن ابن عباس — رضي الله عنهما - يبلغ به النبي ﷺ قال : لو أن أحدكـــم إذا أتـــى أهله قال: بسم الله، اللهم جنبنا الشيطان، وجنب الشيطان ما رزقتنا، فقضي بينهما ولد لم يضره[(٤)].

• **عند الخروج من البيت** : عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : من قال يعني إذا خرج من بيته : "بسم الله، توكلت على الله، لا حول ولا قوة إلا بالله " يقال له : " كفيـــت، ووقيـــت، وتنحى عنه الشيطان[(٥)] . وزاد ابن حبان في روايته أنه يقال له :

---

(١) العلق الآية : ١

(٢) انظر : مقامع الشيطان (ص : ٤٧-٤٨) .

(٣) انظر : المصدر السابق (ص : ٤٨) .

(٤) أخرجه خ (الوضوء ، ب : التسمية على كل حال، وعند الجماع ٦٥/١ ح : ١٤١) .

(٥) أخرجه د (الأدب، ب : ما يقول إذا خرج من بيته ٣٢٥/٤ ح : ٥٠٩٥)؛ و ت (الدعوات، ب : ما يقول الرجل إذا خـــرج من بيته ٤٩٠/٥ ح : ٣٤٢٦)، واللفظ له ؛ وحب كما في الإحسان (الرقائق، ب : الأذكار، ذكر الشيء الذي يهدي القائل به ويكفى ويوقى إذا قاله عند الخروج من مترله ١٠٤/٣ ح : ٨٢٢) . قال الترمذي : (هذا حديث حسن صحيح غريب لا نعرفه إلا من هذه الوجه)، و صححه الألباني في (صحيح سنن أبي داود ٢٥٢/٣ ح : ٥٠٩٥) .

حسـبك، قد كفيت، وهديت، ووقيت. فيلقى الشيطان شيطانا آخر، فيقول له : كيف لك برجل قد كفي وهدي ووقي؟ .

• **إذا عثرت الدابة** : عن أبي المليح [1] عن رجل قال : كنت رديف النبي ﷺ فعثرت دابـته، فقلت: تعس الشيطان. فقال: لا تقل تعس الشيطان؛ فإنك إذا قلت ذلك تعاظم حتى يكون مثل البيت، ويقول: بقوتي، ولكن قل: بسم الله، فإنك إذا قلت ذلك، تصاغر حتى يكون مثل الذباب [2].

فالبسـملة سـلاح قوي، زود الله تبارك وتعالى به أولياء المؤمنين ضد عدوه وعدوهم الشيطان الرجيم، فإن تسلح به المؤمن، وعمل بمقتضاه لا تنجح فيه مكايد الشيطان، و لم يكن بإمكانه أن يطغى عليه ويعلو بل يكون مقهورا عاجزا صاغرا ذليلا بإذن الله تبارك وتعالى .

٥ - **قـراءة القـرآن** : إن قـراءة كتاب الله تعالى آناء الليل وأطراف النهار يطرد الشيطان الرجيم .

عـن أبي قـتادة ﷺ أن النبي ﷺ خرج ليلة، فإذا هو بأبي بكر ﷺ يصلي، يخفض من صـوته. قال: ومر بعمر بن الخطاب ﷺ، وهو يصلي رافعا صوته. قال: فلما اجتمعا عند الـنبي ﷺ قـال النبي ﷺ : يا أبا بكر مررت بك وأنت تصلي، تخفض صوتك. قال: قد أسمعت من ناجيت يا رسول الله. قال: وقال لعمر: مررت بك وأنت تصلي رافعا صوتك. قال: فقال : يا رسول الله أوقظ الوسنان، وأطرد الشيطان. فقال النبي ﷺ يا أبا بكر ارفع من صوتك شيئا. وقال لعمر: اخفض من صوتك شيئا [3].

---

(١) أبو المليح بن أسامة بن عمير الهذلي، اختلف في اسمه فقيل عامر، وقيل زيد، وقيل زياد، ثقة، توفي سنة ٩٨هـ وقيل بعدها . انظر : تقريب التهذيب (ص : ٦٧٥ برقم : ٨٣٩٠).

(٢) أخـرجه د (الأدب، الباب الذي قبل : باب في صلاة العتمة ٢٩٦/٤ ح : ٤٩٨٢)؛ والنسائي في (عمل اليوم والليلة ص : ٣٧٣ ح : ٥٥٤)؛ وصححه الألباني في (صحيح سنن أبي داود ٢٢٤/٣ ح : ٤٩٨٢) .

(٣) أخـرجه د (الصلاة، ب : في رفع الصوت بالقراءة في صلاة الليل ٣٧/٢ ح : ١٣٢٧)، واللفظ له؛ ت (أبواب الصـلاة، ب : ما جاء في قراءة الليل ٣٠٩/٢ ح : ٤٤٧)؛ وخز (جماع أبواب صلاة التطوع بالليل، ب : ذكر صـفة الجهر بالقراءة في صلاة الليل .... ١٨٩/٢ ح : ١١٦١)؛ وحب كما في الإحسان (الرقائق، ب : قراءة القرآن، ذكر البيان بأن قراءة المرء بين القراءتين كان أحب إلى رسول الله ﷺ من الجهر والمخافتة جميعا بها ٦/٣-٧ ح : ٧٣٣)؛ و كم (صلاة التطوع ٣١٠/١)، وقال : (هذا حديث صحيح على شرط مسلم و لم يخرجاه) ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في (صحيح سنن أبي داود ٣٦٣/١-٣٦٤ ح : ١٣٢٩) .

فعمـــر بن الخطاب ﷺ قال للنبي ﷺ أنه يطرد الشيطان بقراءته القرآن بصوت مرتفع، والنبي ﷺ لم ينكر عليه، فدل ذلك أن قراءة القرآن مما يطرد الشيطان ويرغمه .

هـــذا، وقـــد خص الشارع الحكيم بعض السور والآيات في هذا الباب، فيفر منها الشيطان خاصة إذا تليت. منها :

• **قراءة سورة البقرة** : عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : لا تجعلوا بيوتكم مقابر. إن الشيطان ينفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة [١].

• **قـــراءة آيـــة الكرسي** : عن أبي هريرة ﷺ قال : وكلني رسول الله ﷺ بحفظ زكاة رمضـــان، فأتاني آت، فجعل يحثو من الطعام، فأخذته، فقلت : والله لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ . قال : إني محتاج، وعليَّ عيال، ولي حاجة شديدة. قال : فخليت عنه، فأصبحت، فقال الـــنبي ﷺ : يـــا أبـــا هريرة ما فعل أسيرك البارحة؟ قال : قلت : يا رسول الله شكا حاجة شديدة، وعيالا، فرحمته، فخليت سبيله. قال : أما إنه قد كذبك، وسيعود، فعرفت أنه سيعود لقـــول رســـول الله ﷺ : " إنـــه سيعود"، فرصدته، فجاء يحثو من الطعام، فأخذته، فقلت: لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ . قال: دعني؛ فإني محتاج، وعلي عيال، لا أعود. فرحمته، فخليت سبيله، فأصبحت، فقال لي رسول الله ﷺ : يا أبا هريرة ما فعل أسيرك؟ قلت : يا رسول الله شـــكا حاجـــة شـــديدة، وعيالا، فرحمته، فخليت سبيله. قال: " أما إنه كذبك، وسيعود"، فرصـــدته الثالثة، فجاء يحثو من الطعام، فأخذته، فقلت : لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ ، وهذا آخر ثلاث مرات أنك تزعم : لا تعود ثم تعود . قال : دعني أعلمك كلمات ينفعك الله بها. قـــلت: ما هو؟ قال : إذا أويت إلى فراشك، فاقرأ آية الكرسي : ﴿ اللهلاإلهإلاهوالحيالقيوم ﴾ [٢] حتى تختم الآية؛ فإنك لن يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربنك شيطان حتى تصبح. فخليت ســـبيله، فأصـــبحت، فقال لي رسول الله ﷺ : ما فعل أسيرك البارحة؟ قلت : يا رسول الله! زعـــم أنـــه يعلمني كلمات ينفعني الله بها، فخليت سبيله. قال : ما هي؟ قلت : قال لي : إذا أويـــت إلى فراشك، فاقرأ آية الكرسي من أولها حتى تختم: ﴿ اللهلاإلهإلاهوالحيالقيوم ﴾ ، وقال لي : لـــن يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح - وكانوا أحرص شيء

---

(١) أخرجه م (صلاة المسافرين وقصرها، ب : استحباب صلاة النافلة في بيته ... ٥٣٩/١ ح : ٧٨٠) .

(٢) البقرة الآية : ٢٥٥

عـــلى الخير- فقال النبي ﷺ : أما إنه قد صدقك وهو كذوب. تعلم من تخاطب منذ ثلاث ليال يا أبا هريرة ؟ قال : لا. قال : ذاك شيطان [1].

وعن أبي أيوب الأنصاري ﷺ أنه كانت له سهوة [2] فيها تمر، فكانت تجئ الغول[3]، فـــتأخذ مـــنه، فشكا ذلك إلى النبي ﷺ، فقال : فاذهب إذا رأيتها، فقل: بسم الله أجيبي رسول الله ﷺ . قال : فأخذها فحلفت أن لا تعود فأرسلها، فجاء إلى رسول الله ﷺ فقال : مـــا فعل أسيرك؟ قال: حلفت أن لا تعود . قال : كذبت وهي معاودة للكذب. قال : فأخذهـــا مرة أخرى، فحلفت أن لا تعود، فأرسلها، فجاء إلى النبي ﷺ ، فقال : ما فعل أســـيرك ؟ قال: حلفت أن لا تعود. فقال: كذبت، وهي معاودة للكذب. فأخذها،فقال: مـــا أنا بتاركك حتى أذهب بك إلى النبي ﷺ. فقالت: إني ذاكرة لك شيئا : آية الكرسي اقـــرأها في بيتك. فلا يقربك شيطان، ولا غيره. قال: فجاء إلى النبي ﷺ ،فقال : ما فعل أسيرك؟ قال: فأخبره بما قالت. قال : صدقت وهي كذوب [4].

• **قراءة آيتين من آخر سورة البقرة** : عن النعمان بن بشير ﷺ عن النبي ﷺ قال : إن الله كـــتب كتابا قبل أن يخلق السماوات والأرض بألفي عام، أنزل منه آيتين، ختم بهما سورة البقرة، لا يقرآن في دار ثلاث ليال فيقربها شيطان [5].

فقـــراءة القرآن ومنه سورة البقرة ولاسيما منها آية الكرسي والآيتان في آخرها هذه

---

(١) أخـــرجه خ تعـــليقا بصيغة الجزم (الوكالة، ب : إذا وكل رجلا فترك الوكيل شيئا فأجازه الموكل ... ٨١٢/٢ ح : ٢١٨٧) ؛ و وصله غيره من عدة طرق . أنظر لذلك فتح الباري (٤٨٨/٤) ؛ وتغليق التعليق (٢٩٥/٣-٢٩٧) .

(٢) السهوة هي الأرض اللينة التربة . انظر : النهاية في غريب الحديث (٤٣٠/٢ ، مادة : سهو) .

(٣) الغول أحد الغيلان، وهي جنس من الجن والشياطين، كانت العرب تزعم أن الغول في الفلاة تتراءى للناس، وتتلون في صور شتى، و تضلهم عن الطريق وتهلكهم . انظر : النهاية في غريب الحديث (٣٩٦/٣ ، مادة : غول) .

(٤) أخرجه ت (أبواب فضائل القرآن، ب : ما جاء في سورة البقرة وآية الكرسي ١٥٨/٥ح :٢٨٨٠) وقال: (هذا حديث حسن غريب)،وصححه الألباني في (صحيح سنن الترمذي١٥٢/٣-١٥٣ ح: ٢٨٨٠).

(٥) أخرجه ت (فضائل القرآن عن رسول الله ﷺ، ب : ما جاء في آخر سورة البقرة ١٥٩/٥ ح : ٢٨٨٢) وقال : (هذا حديـــث حسن غريب)، واللفظ له؛ والدارمي في مسنده (فضائل القرآن، ب : فضل أول سورة البقرة و آية الكرسي ٢١٣٢/٤ ح : ٣٤٣٠) ؛ وحب كما في الإحسان (الرقائق، ب : قراءة القرآن، ذكر البيان بأن آخر سورة البقرة إذا قري في دار ثلاث ليال أمن أهل الدار دخول الشيطان عليه ٦١/٣ ح: ٧٨٢)؛ وكم (فضائل القرآن، ٥٦٢/١)، وقال : (هذه حديث صحيح الإسناد)، ووافقه الذهبي، وأيضا (التفسير، ٢٦٠/٢)، وقال : (هذا حديث صحيح على شرط مسلم و لم يخرجاه)، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في (صحيح سنن الترمذي ١٥٣/٣-١٥٤ ح : ٢٨٨٢) .

كلها حصون منيعة للإنسان ضد عدوهم الشيطان .

٦ - **المحافظة على الأذكار الشرعية** : إن الشيطان يريد أن يصدنا عن ذكر الله فيجب علينا أن نداوم على ذكر الله، ولا نغفل عنه سبحانه، وبه نستطيع أن نصرع الشيطان كما يصرع هو أهل الغفلة والنسيان منا فيستحوذ عليهم، ولا شك أن قراءة القرآن من أعظم الذكر، وقد سبق الحديث عنه بأنه طارد للشيطان، وهناك أذكار نبوية بها يُحْفَظُ الإنسان من عدوه الشيطان الرجيم فمنها :

عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : من قال لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير. في يوم مائة مرة، كانت له عَدْلَ عشرِ رقاب، وكتبت له مائة حسنة، ومحيت عنه مائة سيئة، وكانت له حرزا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به، إلا أحد عمل أكثر من ذلك [١].

وعن أبي ذر ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : من قال في دبر صلاة الفجر وهو ثان رجليه قبل أن يتكلم : لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، يحيي، ويميت، وهو على كل شيء قدير. عشر مرات كتب له عشر حسنات، ومحيت عنه عشر سيئات، ورفع له عشر درجات، وكان يومه ذلك في حرز من كل مكروه، وحرس من الشيطان، ولم ينبغ لذنب أن يدركه في ذلك اليوم إلا الشرك بالله [٢].

فمن داوم على مثل هذه الأذكار النبوية كما وصفها النبي ﷺ يكون مأمونا من كل مكروه، ويكون محفوظا من الشيطان الرجيم، فلا يستطيع الشيطان أن ينال منه، فلله الحمد والمنة على ما أنعم به علينا بمثل هذه الأذكار النافعة العظيمة .

---

(١) أخرجه خ (بدء الخلق، ب : صفة إبليس وجنوده ١١٩٨/٣ ح : ٣١١٩)، واللفظ له؛ و م (الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ٢٠٧١/٤ ح : ٢٦٩١) وعنده زيادة يسيرة .

(٢) أخرجه ت (أبواب الدعوات، الباب الذي قبل : ما جاء في جامع الدعوات عن رسول الله ﷺ ٥١٥/٥ ح:٣٤٧٤)، وقال : (هذا حديث حسن غريب صحيح)، وحسنه الحافظ ابن حجر في (نتائج الأفكار ٣٠٤/١-٣٠٨) بشواهده، والحديث في سنده شهر بن حوشب الأشعري الشامي، وهو صدوق كثير الإرسال كما قال الحافظ ابن حجر في (تقريب التهذيب (ص : ٢٦٩ برقم : ٢٨٣٠) . ولعله من أجل هذا ضعفه الألباني في (ضعيف الجامع الصغير وزيادته (ص : ٨٢٧ ح : ٥٧٣٨) وفي (ضعيف سنن الترمذي ص : ٤٥١ ح : ٦٨٨) إلا أن الحديث له شواهد لجميع فقراته دون ثني الرجلين كما ذكر الحافظ ابن حجر فيكون حسنا، والله أعلم .

٧ - **صون الأذن والعين واللسان من الباطل** : نرى أن أهل الباطل يتمسكون بما هم عليه من الباطل، ويصرون عليه، وإذا عرض عليهم الحق يعرضون عنه أشد الإعراض، ويستكبرون عنه أشـد الاسـتكبار، فيجعلون أصابعهم في آذانهم و يستغشون ثيابهم ويرفعون الأصوات ويحدثون الغوغاء حتى لا يقرع الحق أسماعهم وأبصارهم فيصل إلى قلوبهم [1]. قال تعالى على لسان نوح ﷺ : ﴿ وإني كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكبارا ﴾ [2] وقال تعالى عن المشركين : ﴿ وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون ﴾ [3].

وإذا كـان هـذا حال أهل الباطل مع باطلهم وضلالهم وظلمتهم وجهالتهم فأولى وأحرى بأهل الحق أن يعرضوا عن الباطل إعراضا كليا، وأن يصونوا أسماعهم وأبصارهم وألسـنتهم عن الباطل بشتى أنواعه من غناء ولمز وغيبة ونميمة وسخرية واستهزاء وسب وشـتم وما إلى ذلك .فلا ينصتون للباطل، ولا ينظرون إليه، ولا يأتون به على ألسنتهم، ويصـونون أفواههـم من هذه الخرافات والنجاسات حتى لا تكون قلوبهم عشا للشيطان يبيض ويفرخ فيها فيهلكهم كما هلك [4].

ولاشـك أن الأذن والعين هما وسيلتا النقل إلى القلب، فإن كان ما يسمعه الشخص بأذنـه، ويـراه بعيـنه باطلا تأثر به القلب وتردد به اللسان، وإن استمر إصغاؤه للحرام وإنصاته للباطل أصبح مولعا به، متعودا له، فيستحوذ عليه الشيطان شيئا فشيئا حتى يجعله يصعب عليه مفارقته، فلا يستطيع أن يصبر عنه، ويضطرب اضطرابا شديدا إذا ما لم يجده، ثم يستدرجه إلى ما هو أشد وأنكى من أنواع المحرمات والمعاصي والمنكرات والموبقات .

ولذلـك حذرنا الله تعالى من اتباع خطوات الشيطان . قال تعالى : ﴿ يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالا طيبا ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين * إنما يأمركم بالسوء والفحشاء وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون ﴾ [5]. فهـذا نداء شفقة ورحمة من الرؤوف الرحيم إلى عباده

---

(١) انظر : البيان في مداخل الشيطان (ص : ١٥٨) .

(٢) نوح الآية : ٧

(٣) فصلت الآية : ٢٦

(٤) انظر : البيان في مداخل الشيطان (ص : ١٥٨) .

(٥) البقرة الآيتان : ١٦٨-١٦٩

محذرا لهم من اتباع طرق الشيطان ومسالكه، ومنبها على أنه يجب على العبد أن يغلق باب الطريق من أوله كي لا يتدرج معه في الغواية والضلال [1].

فمن أراد أن يصون نفسه من ذل المعصية واستحواذ الشيطان عليه يجب عليه أن يترك طـرق الشيطان كلها من أول السير ومن أول خطوة، ويجب عليه أن يتمسك بالصراط المستقيم من أول السير ويمضي عليه .

٨- **الكلام الحسن** : إن الكلام الحسن هو الدواء لما يلقيه الشيطان من نزغات في النفوس. قال تعالى : ﴿ وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن إن الشيطان ينزغ بينهم إن الشيطان كان للإنسان عدوا مبينا ﴾ [2].

فـالله سبحانه وتعالى أمر عباده بإحسان الكلام على الإطلاق، وأنه يجب عليهم أن يتبادلوا بالكلام الحسن والكلمة الطيبة فيما بينهم في جميع شؤونهم وجميع مجالاتهم ... بين المـرء وزوجه، وبين التلميذ وشيخه، وبين الولد ووالده، بين القريب وقريبه ... وبذلك يستطيعون أن يصونوا أنفسهم من نزغات الشيطان فلا يستطيع اللعين أن يفسد ما بينهم من مودة وتراحم وتعاضد وتعاون [3].

٩ – المبادرة إلى الله تعالى بالتوبة وعدم اليأس من رحمته سبحانه : الإنسان يحصل منه غفلة ونسـيان، فيقـع فيما لا ينبغي أن يقع فيه من المحذورات، والشيطان لا يزال وراءه يستدرجه من معصية إلى معصية، ومن سيئة إلى سيئة، ويسوف له التوبة، فتتراكم المعاصي، فيأتي إليه بوجه آخر، فيدخل في القلب الهيبة من هذه المعاصي، ويوهم أنها كبيرة وكثيرة، وأنه بأي وجه يتمثل بين يدي الله للتوبة وقد فعل هذه الذنوب الكثيرة العظيمة ؟ فيموت الشخص إما من غير توبة، وإما يذهب به الشيطان إلى الوسائل المحرمة والواسطات الشركية، فيكون الإنسان خاسرا في كلتا الحالتين .

فـيجب على الإنسان أن يبتعد عن المعاصي وأسبابها والطرق المؤدية إليها، وإن حصل منه شيء منها فليبادر بالتوبة الصادقة إلى الله سبحانه وتعالى، قبل فوات الأوان ، ولا ييئس من رحمة الله سـبحانه وتعالى مهما كثرت الذنوب . قال تعالى : ﴿ إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين ﴾ [4]

---

(١) انظر : وقاية الإنسان من الجن والشيطان (ص : ١٨٠) .

(٢) الإسراء الآية : ٥٣

(٣) انظر : البيان في مداخل الشيطان (ص : ١٦٣) .

(٤) البقرة الآية : ٢٢٢

وقال تعالى : ﴿ وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويعلم ما تفعلون ﴾ [1] وقال تعالى : ﴿ ومن يغفر الذنوب إلا الله ﴾ [2] وقال تعالى : ﴿ وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون ﴾ [3] وقال تعالى : ﴿ قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم * وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون ﴾ [4] .

فهـــذه نـــبذة يسيرة من التحصينات الإيمانية من المكايد الشيطانية، وهناك كثير من المقامع الشرعية للوساوس والحيل الشيطانية إلا أني أكتفي بذكر ما سبق طلبا للاختصار، ويـــرجع للتفصـــيل إلى الكتب التي ألفها علماؤنا في هذا الشأن، وقد سبقت الإشارة إلى بعضـــها في المطلب السابق. وأسأل الله سبحانه وتعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن يحفظـــنا من مكايد الشيطان ووساوسه وشبهاته وإغوائه وإضلاله، وأن ينصرنا على هذا العـــدو الخـــبيث وعلى غيره من الأعداء في الدين والدنيا، وأن لا يسلطهم علينا بذنوبنا وتقصيرنا، وأن يدخلنا في عباده المخلصين الذين ليس للشيطان عليهم سلطان ولا سبيل.

---

(١) الشورى الآية : ٢٥

(٢) آل عمران الآية : ١٣٥

(٣) البقرة الآية : ١٨٦

(٤) الزمر الآيتان : ٥٣-٥٤

المبحث الثالث : استخراج ذرية آدم عليه السلام وأخذ الميثاق منهم. وفيه ثلاثة مطالب .

المطلب الأول : الكلام عن الإشهاد وأخذ الميثاق.

قال الله تعالى : ﴿ وإذ أخذ ربك من بني ءادم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين * أو تقولوا إنما أشرك ءاباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون * وكذلك نفصل الآيات ولعلهم يرجعون ﴾ (١) . لقد اختلفت أقوال أهل العلم في تفسير هذه الآيات وبيان المراد منها. فمنهم من يرى أنها تشير إلى ما نصب الله تعالى لبني آدم من الآيات الكونية الدالة على وحدانية الله تعالى وربوبيته . ومنهم من يرى أن فيها بيانا للفطرة التي فطر الله الناس عليها، وهي هادية إلى معرفة الله وعبادته إن سلمت من المعوقات والآفات التي تغير الفطرة وتفسدها. ومنهم من يرى أن الله سبحانه وتعالى أخرج ذرية آدم عليه السلام في عالم الغيب قبل عالم الشهادة، وأعطاهم القدرة على الفهم والكلام، فأقروا بواحدانية الله وربوبيته، وبذلك أخذ الله عليهم العهد والميثاق، وأن عليهم أن يستمروا على ذلك إلى يوم القيامة. ومنهم يرى عدم الخوض والبحث في هذه المسألة، تفاديا من الوقوع في الخطأ والمحذور؛ فإن الأمر أمر غيبي، ولا مجال فيه للخوض والبحث بالعقل الإنساني القاصر.

وكل قائل له وجهته وأدلته التي ساقته إلى ما ذهب إليه، وفيما يلي ذكر تلك الأقوال وبيان الراجح منها والله الموفق .

القول الأول : إن هذا من المتشابه الذي استأثر الله بعلمه، وعلى هذا لا يبقى فيه إشكال، ولا للبحث عنه مجال . هذا القول ذكره القنوجي (٢).

لا شك أن هذا من أمور الغيب ولكنه من الغيب الذي بين الله سبحانه وتعالى لنا بعض جوانبه، في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ، كما سيأتي ذلك، فلا بأس في البحث عنها

---

(١) الأعراف الآيات : ١٧٢-١٧٤

(٢) انظر : فتح البيان (٥/٧٢) .

في ضوء ما أخبر الله تعالى عنه .

القول الثاني : إن معنى هذه الآيات القرآنية أن الله سبحانه وتعالى أخرج الأولاد من أصلاب الآباء، إلى أرحام الأمهات، وجعلهم نطفة، ثم علقة، ثم مضغة، ثم بشرا سويا وخلقا كاملا. ونصب لهم الأدلة في الكون على ربوبيته ووحدانيته، تشهد بها عقولهم، وبصائرهم التي ركبها فيهم، ومكنهم بها من معرفة ربهم والإقرار به والتسليم له، فهو سبحانه جعل تمكينه لهم من معرفة ربهم بمترلة الإقرار والإشهاد، فكأنه أشهدهم على أنفسهم، وقال لهم : ألست بربكم؟. وكأنهم قالوا : بلى، أنت ربنا، شهدنا على أنفسنا وأقررنا بوحدانيتك . فهذه الآيات من باب التمثيل والتخييل، وليس هناك إخراج في عالم الغيب، ولا إشهاد حقيقي، ولا إقرار قولي من بني آدم [1]. هذا القول ذهب إليه القاضي عبد الجبار[2] والزمخشري والبيضاوي والنسفي [3]، وذكر غير واحد من أهل العلم أن هذا قول الخلف من أهل الاعتزال والتأويل [4] .

وهذا القول باطل من وجوه كثيرة وفيما يلي الإشارة إلى بعضها :

١- لا يصح أن يقال عن هذه الآيات القرآنية أنها خرجت مخرج التمثيل والتخييل؛ فإنها من كلام الله سبحانه وتعالى، وكلامه سبحانه كله حقيقة، وكل كلمة منه بغاية الكمال، وأخباره كلها صدق، وأحكامه كلها عدل، والله سبحانه وتعالى أنزله للتعبد والإعجاز [5]، فهو كما قال سبحانه وتعالى : ﴿ إنه لقول فصل * وما هو بالهزل ﴾ [6]. فكل ما فيه حق وعدل وصدق وصواب، وليس فيه شيء خلاف الحقيقة والواقع . قال تعالى :

---

(١) انظر : الفتوحات الإلهية (٢/٢٠٧) .

(٢) عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار الهمذاني، كان من غلاة المعتزلةوالدعاة إليها، صنف عدة كتب على مذهبه في الذب عنه والدعوة إليه، توفي سنة ٤١٥هـ . انظر : لسان الميزان (٣/٣٨٦-٣٨٧) .

(٣) انظر بالترتيب : تتريه القرآن عن المطاعن للقاضي (ص : ١٥٣)؛ والكشاف (٢/٥٢٩-٥٣١)؛ أنوار التتريل للبيضاوي (٢/٢٤٩-٢٥٠)؛ ومدارك التتريل للنسفي (١/٦١٦-٦١٧) .

(٤) انظر : التفسير الكبير (١٥/٤٧)؛ واللباب في علوم الكتاب (٩/٣٧٩)؛ و مرقاة المفاتيح (١/١٤٠)؛ والفتوحات الإلهية (٢/٢٠٧)؛ والتعليق الصبيح على مشكاة المصابيح (١/٨٩)؛ وأوجز المسالك (١٤/٩٧)؛ ومرعاة المفاتيح (١/١٨٣) .

(٥) انظر : منع جواز المجاز في المترل للتعبد والإعجاز { مطبوع في آخر أضواء البيان } (١٠/ ٢٣٧) .

(٦) الطارق الآيتان : ١٣-١٤

﴿ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ﴾ [1].

٢ – هـذه الآيـات بين الله فيها لبني آدم ما أخذه عليهم من العهد والميثاق لوحدانيته وربوبيته، ليوفوا به، فيعبدوه سبحانه وتعالى، ولا يشركوا به شيئا، وليس في الآية تشبيه شيء بشـيء أو تمثيل صورة بصورة، لأن التشبيه له أربعة أركان وهي : المشبه، والمشبه به، وأداة التشبيه، ووجه الشبه [2] كقول القائل : أنت كالليث في الشجاعة . ويسوغ أن يحذف وجه الشـبه، وأداة التشبيه، أو أحدهما فيقال : أنت كالأسد، أو أنت أسد في الشجاعة، أو أنت أسد. وأما المشبه، والمشبه به، فلا بد من ذكرهما، ولا يجوز حذف أحدهما [3].

والآيـات المذكـورة ليس فيها شيء من هذه الأشياء الأربعة فلا يصح أن يقال إن فيها تشـبيها لشـيء بشـيء. وإذا علم أنه ليس فيها تشبيه تبين بطلان دعوى أنها خرجت مخرج التمـثيل؛ لأن التمـثيل أخص من التشبيه؛ فإنه يحتاج بالإضافة إلى ما سبق ذكره في التشبيه إلى شـرط آخـر، وهو أن يكون وجه الشبه مأخوذا من مركب لا مفرد؛ أي : يكون فيه تشبيه منظر بمنظر [4]، وهذه الآيات القرآنية ليس فيها تشبيه أصلا فضلا أن يكون فيها تشبيه تمثيل .

٣ – وأمـا دعوى التخييل في هذه الآيات القرآنية فهي جرأة عظيمة وجناية كبيرة عـلى كلام الله سبحانه وتعالى؛ فإن التخييل عند البلغاء نوع من أنواع الغلو في الكلام، ويكـون ذلك فيما يستبعد العقل وقوعه، ولا يرى له نظير في الخارج، وإنما هو خيال في الذهن تخيله القائل، ولا يمكن للقائل أو المخاطب تحقيقه وتطبيقه [5].

والله سـبحانه وتعـالى خالق كل شيء، وقادر على كل شيء، لا يعجزه شيء في

---

(١) فصلت الآية : ٤٢

(٢) انظـر : بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة (١٤/٣)؛ والبلاغة الواضحة (ص : ٢٠)؛ وعلوم البلاغة (ص : ٢١٨)؛ والبلاغة العربية في ثوبها الجديد (١٧/٢ وما بعدها) .

(٣) انظر : البلاغة الواضحة (ص : ٢٥)؛ وعلوم البلاغة (ص : ٢٤٠-٢٤١) .

(٤) مثلا قول المتنبي (ديوانه ٧٦/١)، وهو يصف سيف الدولة : يهز الجيش حولك جانبيه :: كما نفضت جناحيها العقاب . فوجـه الشبه هنا ليس مفردا كما كان في المثال المذكور بل هو منتزع من متعدد وهو وجود جانبين لشيء في حال حركة وتموج لأنه شبه جانبي الجيش : الميمنة والميسرة، وسيف الدولة بينهما، وما فيهما من حركة واضطراب بصورة عقاب تنفض جناحيها وتحركهما . انظر : شرح ديوانه (٧٦/١)؛ والبلاغة الواضحة (ص : ٣٥)؛ وعلوم البلاغة (ص : ٢٣٣) .

(٥) انظر : بغية الإيضاح (٤١/٤-٤٢)؛ وعلوم البلاغة (ص : ٣٤٩-٣٥٠)؛ ومعجم البلاغة العربية (ص : ٢١٦-٢١٧).

الأرض ولا في السماء، فلا ينبغي أن يقال لكلامه جل جلاله وعز سلطانه أنه خرج مخرج التخييل بل كل ما أخبرنا عنه يجب علينا الإيمان به، وليس لنا أن نستبعد وقوعه تبعا لما عهدناه وألفناه، وما لم تصل أفهامنا إليه نكله إليه سبحانه وتعالى [1].

٤ - إن علماء اللغة لا يقبلون هذا النوع من الغلو في الكلام إلا إذا كان مقترنا بما يدل أنه خرج مخرج التخييل مثل : كاد، ولولا ، ولو، ونحو ذلك . وهذه الآيات القرآنية ليس فيها شيء من ذلك [2].

٥ - إن هذا القول يلزم منه إنكار النصوص الشرعية من الكتاب والسنة الدالة على إخراج ذرية آدم ﷺ من ظهره وإشهادهم على أنفسهم واستنطاقهم وأخذ العهد والميثاق منهم على وحدانية الله وربوبيته وعبادته سبحانه وتعالى، وسيأتي ذكرها .

وسيأتي ذكر ما تعلقوا به لما ذهبوا إليه، وبيان بطلانها، مع القول الثالث .

القول الثالث : إن الله سبحانه وتعالى أخرج ذرية آدم من ظهره في عالم الغيب وميز بين أهل السعادة والشقاوة، والآثار بذلك متظاهرة مرفوعة وموقوفة ، وفيها دلالة على إثبات القدر السابق لهم ، وأما مخاطبة الله لهم واستنطاقه إياهم وإقرارهم له بالربوبية وشهادتهم على أنفسهم بالعبودية فلم يقع ذلك في عالم الذر، ولا تدل عليه الآية، ولم يصح فيها حديث عن النبي ﷺ، وإنما المراد بهذا الإشهاد وأخذ الميثاق هي الفطرة التي فطر الله الناس عليها . وهذا القول ذهب إليه بعض كبار أهل السنة والجماعة منهم شيخ الإسلام ابن تيمية [3]وابن القيم [4] وابن كثير[5] وابن أبي العز الحنفي[6] والقاسمي [7] وعبد الرحمن بن ناصر السعدي [8].

---

(١) انظر : فتح البيان في مقاصد القرآن (٥/٧٢) .

(٢) انظر : المصدر السابق نفسه؛ وبغية الإيضاح ٤/٤١-٤٢)؛ وعلوم البلاغة (ص : ٣٤٩-٣٥٠) .

(٣) انظر : رسالة في قنوت الأشياء (ص : ١١-١٢)؛ ودرء تعارض العقل والنقل (٨-٤٨٣وما بعده) .

(٤) انظر : الروح (ص : ٣٠٢-٣٠٥)؛ وأحكام أهل الذمة (٢/٩٤٨-٩٥٠) .

(٥) انظر : تفسير القرآن العظيم (٢/٢٦١ و٢٦٤) .

(٦) انظر : شرح العقيدة الطحاوية (ص : ٣٠٨-٣١٤) .

(٧) انظر : محاسن التأويل (٧/٢٩٣-٢٩٥) .

(٨) انظر : تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص : ٣٩٨) .

الفرق بين القولين الثاني والثالث :

ينفرد القول الثاني عن القول الثالث بدعوى أنه ليس هناك إخراج للذرية من ظهر آدم ﷺ في عالم الغيب، ويستبعدون وقوع ذلك، ويرونه من المحال، فينكرون الأحاديث الواردة في ذلك، اعتمادا على عقلهم القاصر. وينفرد القول الثالث عن القول الثاني بإقرار وتسليم أن الله سبحانه وتعالى أخرج ذرية آدم من ظهره لدلالة الأحاديث النبوية على ذلك .

ويجتمع القولان في دعوى أنه ليس هناك إشهاد حقيقي، ولا إقرار قولي من بني آدم في عالم الذر بأن الله ربهم، وأنهم عرفوه سبحانه وتعالى، وأن عليهم أن يعيشوا على مقتضى هذه المعرفة وهذا العهد والميثاق فيعبدون الله وحده ولا يشركون به شيئا. وإنما هو ميثاق حالي في صورة الأدلة المنصوبة لهم في الكون، الدالة على وحدانية الله واستحقاق عبادته عند أصحاب القول الثاني، وفي صورة الفطرة الهادية إلى معرفة الله وعبادته، التي يخلق عليها كل إنسان، عند أصحاب القول الثالث .

وقد استدل أصحاب القولين الثاني والثالث الذين يرون أن الإشهاد وأخذ الميثاق من بني آدم لم يكن بالقول والمخاطبة والسؤال والجواب بوجوه كثيرة ، ومنها ما يلي :

أولا : الاستدلال من لفظ الآية : وذلك لأن الله سبحانه وتعالى قال : ﴿ وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم ﴾ فهو سبحانه وتعالى قال : ﴿ من بني آدم ﴾، ولم يقل : {من آدم}. وقال : ﴿ من ظهورهم ﴾ ، ولم يقل : { من ظهره}. وقال : ﴿ ذريتهم ﴾، ولم يقل : {ذريته }. فلو كان المراد أن الله سبحانه وتعالى أخرج ذرية آدم من ظهره لقال : {من ظهر آدم ذريته }، ولم يقل : ﴿ من بني آدم من ظهورهم ذريتهم ﴾ [1].

وأجيب عن هذا الاستدلال بأن الله تبارك وتعالى أخرج بني آدم لصلبه من ظهره، وأخرج بني بنيه من أصلاب آبائهم، على نحو ما يتوالد الأبناء من الآباء، ولذلك جاء في الأحاديث النبوية أنه سبحانه وتعالى أخرج ذرية آدم من ظهره، واستغنى في الآية عن ذكر

---

(١) انظر هذه الاستدلالات في المصادر الآتية : تنزيه القرآن عن المطاعن (ص : ١٥٣)؛ والتفسير الكبير (٤٧/١٥)؛ ومدارك التنزيل (٦١٧/١)؛ ودرء تعارض العقل والنقل (٤٨٤/٨)؛ والروح (ص : ٣٠٢)؛ وأحكام أهل الذمة (٩٤٩/٢)؛ والكلام على مسألة السماع (ص : ٣٨٤)؛ وتفسير القرآن العظيم (٢٦٤/٢)؛ وشرح العقيدة الطحاوية (ص : ٣١٢).

ظهر آدم، فاكتفى بذكر ظهور بنيه لما علم من أنه أبوهم جميعا، وأنه أصلهم الذي خرجوا عنه وتفرعوا منه، فلا منافاة بين الآية القرآنية والأحاديث النبوية [١].

ومـــثال ذلك : كمن أودع جوهرة في صَدَفة، ثم أودع الصَدَفة في خرقة، ثم أودع الخرقة في حقة، ثم أودع الحقة في درج، ثم أودع الدرج في صندوق ...، فأخرج منه تلك الأشـــياء بعضها من بعض، ثم أخرج الجميع من الصندوق، فهذا لا تناقض فيه ومن أخبر بجزء من هذه السلسلة لم يكن متناقضا مع من أخبر بجزء آخر منها إذ يصدق خروج تلك الأشياء كلها من الصندوق الذي وضعت فيه بعضها تلو البعض [٢].

وقد تكون في التعبير بصيغة الجمع في المواضع الثلاثة المذكورة إشارة لطيفة إلى أن الله سبحانه وتعالى كما أخرجهم جميعا من ظهر آدم بالتدريج؛ أي : أبناء آدم ثم أبناؤهم ثم أبناؤهم..، فكذلك أعـــادهم إلى ظهـــر آدم بالـــتدريج، فأعاد الذرية الأخيرة إلى أصولها، وأعاد أصولها إلى من قبلهم..، حتى انحصر الأمر في ذرية آدم لصلبه،فأعادها إلى ظهره، والله أعلم بالصواب[٣] .

ثانيـــا : اســـتحالة إمكان الإشهاد والاستنطاق في زعمهم ممن حاله كحال الذر[٤]، وتأكدها عندهم من عدم تذكر الناس له [٥]: زعموا أن أخذ الميثاق لا يمكن إلا من العاقل، فلو أخذ الله الميثاق من أولئك الذر– الذين لا حياة لهم ولا عقل – لكانوا عقلاء، ولو كانوا عقـــلاء، وأعطوا ذلك الميثاق حال عقلهم لكانوا ذاكرين أنهم أعطوا الميثاق قبل دخولهم في هذا العالم؛ لأن الإنسان إذا وقعت له واقعة عظيمة، وهو عاقل لا ينساها نسيانا كليا ، وهو لا يذكر شهادة قبل خروجه إلى هذه الدار، وإنما يذكر شهادته في هذه الدار .

وأجيب عن هذا الاستدلال بأن هذه الذرية التي أخرجها الله تعالى كالذر، لا يبعد أن

---

(١) انظـــر : عارضة الأحوذي (١٩٦/١١)؛ وزاد المسير (٢٨٤/٣)؛ و الجامع لأحكام القرآن (٣١٧/٧)؛ والكاشف عن حقائق السنن (٢٤٥/١)؛ والاعتصام (٣١٤/٢)؛ والفتوحات الإلهية (٢٠٨/١-٢٠٩)؛ وبذل المجهود في حل أبي داود (٢٣٣/١٨)؛ والكوكب الدري على جامع الترمذي (١٤٢/١)؛ ومرعاة المفاتيح (١/ ١٨٣)؛ وسلسلة الأحاديث الصحيحة (١٦١/٤)؛ ونهر الخير على أيسر التفاسير (٢٦٠/٢) .

(٢) انظر : الفتوحات الإلهية (٢٠٩/٢) .

(٣) انظر : المصدر السابق (٢٠٨/٢)؛ وأخذ الميثاق (ص : ٥٥) .

(٤) انظر هذا الاستدلال في : تتريه القرآن عن المطاعن (ص : ١٥٣)؛ والتفسير الكبير (٤٧/١٥) .

(٥) انظر هذا الاستدلال بالإضافة إلى المصدرين السابقين في : مدارك التتريل (٦١٧/١)؛ والروح (ص : ٣٠٣)؛ والكلام على مسألة السماع (ص : ٣٨٤-٣٨٥)؛ وشرح العقيدة الطحاوية (ص : ٣١٢) .

يكـــون الله سبحانه وتعالى قد منحهم حياة وعقلا وجسما يليق بهم، ويناسب أحوالهم، يعقـــلون ما يعرض عليهم، يفهمون الخطاب، ويردون الجواب، والله سبحانه وتعالى الذي خلقهم في عالم الذر، وخلق كل شيء في عالم الغيب والشهادة، وأخبرنا عنهم بذلك قادر على كل شيء ولا يعجزه شيء عن شيء في الأرض ولا في السماء.

قال تعالى عن نملة، وهي من أصغر مخلوقاته، وأضعفها جسما، وأقلها حجما: ﴿ قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون ﴾ (1) فهو سبحانه أعطى النملة مـــع صغرها قوة في التعبير والمنطق والعقل والفهم، حتى إنها أدركت الخطر المقبل على قومها قـــبل وقوعـــه، ونصحت لهم، وحذرتهم منه، وبينت لهم التدبير السليم للوقاية من هذا الخطر المحدق، ورسمت لهم طريق السلامة والنجاة منه بكل دقة، واعتذرت لنبي الله سليمان وجنوده بأنه إن حصل ذلك منهم، فإنما يكون ذلك من غير قصد منهم ولا عمد (2).

وهـــذا مثال واحد مما أودع الله تعالى في مخلوقاته الكثيرة بل كل ما في الكون يسبح بحمد الله تعالى، ويقوم بعبادته وصلاته لربه سبحانه. قال تعالى: ﴿ ألم تر أن الله يسبح له من في السماوات والأرض والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه والله عليم بما يفعلون ﴾ (3) فكل ما في الكون من حيوان وجماد، صغير أو كبير، دقيق أو جلي عليه صلاة وعبادة وتسبيح لربه سبحانه، بحسب حاله اللائقة به، ولكن نحن معشر الإنسان لا نفقه صلاتهم وتسبيحهم، كما قال تعالى: ﴿ وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم ﴾ (4).

فيجب علينا الإيمان والتسليم بما أخبر الله تعالى به، وبما ثبت مجيئه عن النبي ﷺ، ولا يجوز رده أو اســـتبعاد وقوعه تبعا لما ألفناه وعهدناه؛ فقد استطاع الإنسان بما أوتي من عقل وحكمة وفهم وعلم أن يخترع أشياء كانت في حكم المستحيل سابقا، وهي لو حكيت لأحد الأقدمين رمى من يحكيها بالجنون، فكيف بقدرة الله تعالى الذي لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء؟ (5).

---

(1) النمل الآية: 18

(2) انظر: معاني القرآن... للزجاج (2/390)؛ وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص: 827).

(3) النور الآية: 41

(4) الإسراء الآية: 44

(5) انظر: السنة النبوية ومطاعن المبتدعة فيها (ص: 187-188).

وأما الاستدلال بعدم تذكر الناس ما شهدوا به يوم الميثاق وهم في عالم الذر فيمكن أن يقال في الجـواب عـنه بأن تلك البنية قد انقضت وتغيرت أحوالها، بمرور الزمان عليها، في أصلاب الآباء، وأرحام الأمهات، ثم استحال تصويرها في الأطوار الواردة عليها من النطفة والعلقة والمضغة واللحم والعظم، وهذا كله مما يوجب النسيان [1]، وفي ذلك حكمة إلهية بالغة .

فإنـه سبحانه أخرج الذرية من صلب آدم، وركب فيهم العقول، وأخذ عليهم الميثاق،ثم أعـادهم إلى صـلب آدم ﷺ ، فـلما أعيدوا إلى صلب أبيهم آدم بطل ما ركب فيهم من العقـول، فتوالدوا ناسين لذلك الميثاق، ثم ابتدأهم بالخطاب على ألسنة الرسل عليهم السلام، فقـام ذلك مقام الذكر؛ إذ الدار دار تكليف وامتحان، ولو لم ينسوه لانتفت المحنة والابتلاء والاختـبار والتكـليف[2]، فقامت الحجة عليهم أيضا يوم القيامة لإخبار الرسل إياهم بذلك الميـثاق في الدنيـا، فمـن أنكره كان معاندا ناقضا للعهد، ولزمتهم الحجة و لم تسقط عنهم بنسيانهم، وعدم حفظهم بعد إخبار الصادق صاحب الشرع والمعجزات الباهرات [3].

• والإنسان في الدنيا قد تصدر منه أفعال ثم ينساها ولكنه لا يعذر بالنسيان والغفلة وعـدم الـتذكر والحفـظ بل يتحمل ما يترتب على ما صدر منه إذا وجد شهود عدل يشـهدون عليه بأن ذلك صدر منه وأنه فعله. فمن طلق زوجته ثم نسي أنه طلقها ولكن وجـد شهود عدل يشهدون عليه بأنه طلقها يعد ذلك طلاقا منه لزوجته، وتترتب عليه الأحكام الأخرى من الرجعة أو العدة أو الفراق أو الميراث أو النكاح من أختها أو عمتها أو خالتها أو نكاح الخامسة وما إلى ذلك من الأحكام المترتبة على ذلك .

قال أبو بكر الطرطوشي : (إن هذا العهد يلزم البشر، وإن كانوا لا يذكرونه في هذه الحياة، كما يلزم الطلاق من شهد عليه به، وقد نسيه) [4].

فإذا كان الإنسان يتحمل ما صدر منه لشهادة الشاهدين له، ولا يعذر بنسيانه وعدم تذكره لها في مثل هذه الأمور الدنيوية فكيف يعذر بنسيانه في أمر من أمور الدين، وأصل من أصوله، وحق

---

(١) انظر : الفتوحات الإلهية (٢/٢٠٩)؛ و التعليق الصبيح (١/٩٠)؛ ومرعاة المفاتيح (١/١٨٣-١٨٤) .

(٢) انظر : أخذ الميثاق (ص : ٥٥) .

(٣) انظر : معالم التتريل (٢/٢١٣) .

(٤) ذكره عنه ابن عطية في (المحرر الوجيز ٦/١٣٨)؛ والقرطبي في تفسيره (٧/٣١٧)؛ والطرطوشي هو محمد بن الوليد بن خلف الفهري الأندلسي، الفقيه العلامة من كبار علماء المالكية، توفي سنة ٥٢٠هـ . انظر : سير أعلام النبلاء (١٩/٤٩٠- ٩٦).

مـــن أعظم حقوق الله تعالى عليه، مع شهادة الأنبياء والمرسلين على ذلك الذين هم صفوة الخلق وأشرف المخلوقات، وأفضل البرية وأزكى البشرية عند الله سبحانه وتعالى، والله أعلم بالصواب .

• لا شـــك أن بـــني آدم جميعـــا ولدوا من بطون أمهاتهم، وكل واحد منا مر بهذا الحـــادث العظيم، ومع ذلك لا يذكره أحد منا إلا أنه لما استفاض به الخبر، وتواترت به الأنـــباء، وتناقلته الألسن آمن كل واحد به، ولم يشك أحد منا في أمه أنها أمه،وأنه ابنها، فهو لا يعدل عنها أبدا ، ولا يبغي لها بديلا. ومن عق أمه، ولم يبر بها، واتخذ له أما أخرى كـــثرت القالة فيه، وأصبح شامة في الناس، فإن تعلل بأنه لا يذكر هذا الحادث، وأنه لا يعـــتمد عـــلى مجرد الإشاعة، اعتبره الناس قليل الحياء والأدب، وضعفوا عقله، وسفهوا حلمه،بل لعدوه من المجانين . فإذا كان الناس يعتمدون على حديث العامة، ويؤمنون به، ويســـلمون له، مع أنهم لا يتذكرونه، فما أخبرت به الأنبياء والمرسلون أحرى بالاعتماد، وأولى بالثقة، وأجدر بالاحتجاج، والإيمان، والعمل بمقتضاه، والله أعلم بالصواب [1].

• إن يـــوم الميـــثاق الـــذي أخرج الله فيه بني آدم من صلب أبيهم آدم ﷺ غيب من الغيـــوب الكـــثيرة الماضية التي أخبرنا الله بها، وقد انتهى ذلك اليوم، والناس الآن في عالم الشـــهادة، ولا يذكرون ذلك الميثاق الذي كان في عالم الغيب لاختلاف الأحوال في عالم الشـــهادة عـــن عالم الغيب، فإذا جاء يوم القيامة ينتهي عالم الشهادة الذي نحن فيه، و يأتي عـــالم الغيـــب مرة أخرى فليس بعيدا أن يتذكر الناس هذا الميثاق الذي أخذ منهم في عالم الغيـــب الماضي إذا عادوا إلى عالم الغيب مرة أخرى يوم القيامة، وقوله تعالى :﴿ شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين ﴾ فيه نوع من الإشارة إلى ذلك [2]، والله أعلم بالصواب.

ثالـــثا : كون هذا الميثاق ليس حجة على الناس، وإنما تقوم الحجة عليهم بالرسل، ولذلك أهـــلك الله الأقوام التي خالفت رسلها بعد قيام الحجة عليها [3]. قالوا : إن الله سبحانه وتعالى أخبر أن حكمة هذا الإشهاد إقامة الحجة عليهم لئلا يدعوا يوم القيامة الغفلة وعدم الشعور، أو

---

(١) انظر : رسالة التوحيد (ص : ٥١-٥٣) .

(٢) انظر : الفصل في الملل والأهواء والنحل (٥٩/٤)؛ والوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤٢١/١) .

(٣) انظـــر هـــذا الاســـتدلال في : التفسير الكبير (٤٨/١٥)؛ والروح (ص : ٣٠٢-٣٠٣)؛ وشرح العقيدة الطحاوية (ص : ٣١٢-٣١٣) .

تقـــليد الآبـــاء والأجداد، كما قال تعالى : ﴿ أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين * أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم ﴾ . ومعـــلوم أنهـــم جميعـــا غافلون عن الإخراج من صلب آدم وإشـــهادهم وأخذ الميثاق منهم في ذلك الوقت، فهذا لا يذكره أحد منهم، فكيف يكون حجة عـــليهم بل الحجة إنما قامت عليهم بالرسل والفطرة التي فطروا عليها، كما قال تعالى : ﴿ رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ﴾ [1].

والله سبحانه وتعالى لا يؤاخذ الناس إلا بعد إقامة الحجة عليهم بإرسال رسله إليهم، وقد توعدهـــم ســـبحانه بالهلاك إن جحدوا وأشركوا به بعد هذا الميثاق الذي أخذه منهم، فلو أخذهم بهذا الميثاق على جحودهم وإشراكهم من غير أن يرسل الرسل إليهم لكان قد أخذهم وهـــم في غفـــلة عنه، والله سبحانه وتعالى لم يكن ليهلك أهل القرى بظلم وأهلها غافلون، ولذلك لم يهلك الله الأقوام السابقة إلا لمخالفتهم رسلهم بعد قيام الحجة عليهم بهم .

وأجيـــب عـــن هذا الاستدلال بأن اعتراضكم هذا - وتفسيركم أخذ الميثاق من بني آدم وإشـــهادهم على أنفسهم بالأدلة المنصوبة لهم في الآفاق والأنفس الدالة على وحدانية الله تعالى وربوبيته أو بالفطرة التي فطر الله الناس عليها ومكنهم بها من معرفة ربهم و معبودهم - مقتضاه أن الأدلة المنصوبة في الآفاق والأنفس أو الفطرة الهادية إلى معرفة الله وعبادته سبحانه هي وحدها كافيـــة لإقامة الحجة على الناس حتى لو لم يأتهم نذير . وهذا خلاف ما صرحت به كثير من الآيات القرآنية بأن الله سبحانه وتعالى لا يعذب أحدا حتى يقيم الحجة بإنذار الرسل [2].

● قـــال تعالى : ﴿ وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ﴾ [3]. فالله سبحانه وتعالى قال : ﴿ حتى نبعث رسولا ﴾، و لم يقل : حتى نخلق عقولا، وننصب أدلة، ونركز فطرة [4].

● وقـــال تعالى : ﴿ رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ﴾ [5].

---

(١) النساء الآية : ١٦٥

(٢) انظر : أضواء البيان (٢/٢٥١-٢٥٢) .

(٣) الإسراء الآية : ١٥

(٤) انظر : أضواء البيان (٢/٢٥١) .

(٥) النساء الآية : ١٦٥

فالله سبحانه وتعالى صرح بأن الذي تقوم به الحجة على الناس، وينقطع به عذرهم : هو إنذار الرسل، لا نصب الأدلة أو الخلق على الفطرة [1].

• وقـــال تعـــالى : ﴿ كلما ألقي فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير * قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء إن أنتم إلا في ضلال كبير ﴾ [2] وقال تعالى : ﴿ وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمرا حتى إذا جاءوها فتحت أبوابها وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين ﴾ [3] .

فالله سبحانه وتعالى صرح في هذه الآيات وغيرها كثيرة بأنه سبحانه قطع عذرهم في الدنيا بإنذار الرسل، ولم يكتف في ذلك بنصب الأدلة في الآفاق والأنفس، أو بخلقهم على الفطـــرة. فهذا كله دليل على عدم الاكتفاء بما نصب لهم من الأدلة، وما ركز فيهم من الفطـــرة، وأنهـــا لا تكفي لإقامة الحجة على الناس، وأنه لا بد من إرسال الرسل للتذكير والتنـــبيه، لتقوم عليهم الحجة، وينقطع عذرهم، فلا يقولوا يوم القيامة : ﴿ ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين ﴾ [4].

• إن الحجة لم تقم بذلك الميثاق وحده كما قلتم، فكذلك لم تقم الحجة على الناس بالآيات الكونية وحدها أو الفطرة وحدها بل لا بد من إرسال الرسل في جميع الأحوال، لتقوم الحجة على الناس، فإذا كان الأمر كذلك فلماذا العدول عن القول بأن المراد بذلك هو أخذ الميثاق والإشهاد القولي الذي دلت عليه نصوص الكتاب والسنة إلى ما سواه من غير دليل موجب لذلك، سوى الاستناد إلى العقل الذي لا مجال له مع النصوص ؟

وأمـــا كونهم غافلين عن هذا الميثاق ، مع أن الله سبحانه وتعالى أخذه منهم لتقوم عـــليهم الحجـــة حتى لا يدعوا الغفلة، فذلك لحكمة إلهية اقتضت نسيانهم وغفلتهم، فإن إخــــراج الذرية من الظهور في عالم الغيب قبل خلقهم وإيجادهم في عالم الشهادة، وأخذ

---

(١) أضواء البيان (٢/٢٥١) .

(٢) الملك الآيتان : ٨-٩

(٣) الزمر الآية : ٧١

(٤) القصص الآية : ٤٧

المواثيق والعهود مما يقتضي الترغيب والترهيب [1] ، ثم إن الله سبحانه وتعالى ذكرهم به على ألسنة رسله فقامت عليهم الحجة، كما سبق ذكره .

رابعا : إشهاد الله الناس جميعا في هذه الدنيا على أنه ربهم، واحتجاجه سبحانه به عليهم [2].

قالوا : إن الله سبحانه أشهد كل واحد على نفسه أنه ربه وخالقه، واحتج عليهم بهذا الإشهاد في غير موضع من كتابه كقوله تعالى : ﴿ ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله فأنى يؤفكون ﴾[3]، فهذه هي الحجة التي أشهدهم على أنفسهم بمضمونها، وذكرتهم بها رسله كما قال تعالى : ﴿ قالت رسلهم أفي الله شك فاطر السموات والأرض ﴾ [4]. فإذا كان الله سبحانه وتعالى أشهد الناس في هذه الدنيا على معرفته، واحتج به عليهم فلا يبقى اختصاص لتلك المعرفة التي حصلت لهم يوم الميثاق يوم أقروا بمعرفة الله تعالى ووحدانيته وربوبيته على أنفسهم وأشهدوا به .

وأجيب عن هذا الاستدلال بأن معرفة العباد لربهم وخالقهم التي احتج الله بها عليهم هي امتداد للمعرفة الحاصلة لهم من يوم الميثاق لما أخرجوا من ظهر آدم ﷺ ، وأخذ عليهم العهد والميثاق، ويدل على ذلك قوله تعالى : ﴿ ألست بربكم قالوا بلى ﴾ فهم يعرفون ربهم وخالقهم منذ أُخِذَ عليهم الميثاق، والفطرة مذكرة لذلك الميثاق وأدلة الكون مؤكدة لما دلت عليه الفطرة [5]، وهذا التوجيه أحسن من توجيه من يرى أن الناس عرفوا ربهم بالأدلة المنصوبة لهم في الآفاق والأنفس أو بالفطرة الهادية إلى معرفة الله تعالى، زاعما أنه ليس هناك عهد قولي ولا ميثاق قولي ولا إشهاد حقيقي، وسيأتي بيان ذلك .

خامسا : قالوا : إن الله سبحانه وتعالى جعل هذا الإشهاد آية، وهي الدلالة الواضحة البينة المستلزمة لمدلولها، وهذا شأن آيات الرب تعالى . قال تعالى : ﴿ وكذلك نفصل الآيات ولعلهم يرجعون ﴾، وإنما ذلك بالفطرة التي فطر الناس عليها، لا تبديل لخلق الله [6].

---

(١) انظر : فتح البيان (٧١/٥) .

(٢) انظر هذا الاستدلال في : الروح (ص : ٣٠٣-٣٠٤)؛ وشرح العقيدة الطحاوية (ص : ٣١٣) .

(٣) الزخرف الآية : ٨٧

(٤) إبراهيم الآية : ١٠

(٥) انظر : الفقه الأكبر مع الشرح الميسر (٤٨-٥٠)؛ وأخذ الميثاق (ص : ٥٨)؛ والسلسلة الصحيحة (١٦٣/٤) .

(٦) انظر : الروح (ص : ٣٠٤)؛ وشرح العقيدة الطحاوية (ص : ٣١٤) .

وأجيب عن هذا الاستدلال بأن ما وقع لبني آدم يوم الميثاق آية؛ لأن الله تعالى عقب ذلك بقوله : ﴿ وكذلك نفصل الآيات ﴾ ولكن المطلوب معرفته هل هو آية دالة على الفطرة أم آية دالة على الميثاق ؟ والذي يظهر من سياق الآية أن ذلك منصب على الميثاق الأول؛ لأن أخذ الميثاق من ذرية آدم ﷺ كان في عالم الغيب، وكانوا حينئذ في صورة الذر، ومع ذلك شهدوا بوحدانية الله وربوبيته سبحانه، وأعطوا العهد والميثاق، وأنهم سيستمرون على ذلك إلى يوم القيامة، وما كان هذا شأنه فلا شك أنه أمر عجيب وغريب يحتاج إلى بيان وتفصيل، والله سبحانه وتعالى فصله وبينه في كتابه وعلى لسان رسوله محمد ﷺ [1].

وأما الفطرة التي فطر الله الناس عليها فهي معلومة مفهومة حتى إن لفظها يدل على معناها بأن الإنسان مخلوق مربوب، وأنه يجب عليه أن يعبد من خلقه ورباه . وعلى كل حال الفطرة لا تحتاج إلى التفصيل كما يحتاج إليه الميثاق الأول فحمل الآية في قوله تعالى : ﴿ وكذلك نفصل الآيات ﴾ على أنها آية دالة على الميثاق الأول أليق وألصق، والله أعلم بالصواب [2].

القول الرابع : إن الله سبحانه وتعالى أخرج ذرية آدم من صلبه وأصلاب أولاده وهم صور كالذر، وأخذ عليهم العهد والميثاق بأنه ربهم، وأنهم عبيده، فأقروا بذلك، وشهدوا به على أنفسهم . أثر هذا القول عن أبي بن كعب وعبد الله بن عباس وعبد الله بن عمرو وعبد الله بن مسعود[3] وسعيد بن جبير [4] وعطاء بن أبي رباح [5] ونضر بن عربي الباهلي [6] والسدي [7]

---

(١) انظر : أخذ الميثاق (ص : ٥٨) .

(٢) انظر : المصدر السابق نفسه .

(٣) سيأتي ذكر أقوالهم قريبا إن شاء الله .

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (٩/١١٥-١١٦) من ثلاثة طرق، وأصحها الأولى فإن جميع رجالها ثقات وأما الثانية ففيها محمد بن حميد الرازي وهو متهم بالكذب، والثالثة فيها سفيان بن وكيع هو ضعيف، وقد سبق الكلام عن ابن حميد في (ص : ٥١٨-٥٢٠) وعن ابن وكيع في (ص : ٤٦٦).

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره (١١٦/٩) بإسناده حسن .

(٦) أخرجه الطبري في تفسيره (١١٦/٩)، وفي الإسناد شيخ الطبري سفيان بن وكيع بن الجراح ضعيف، وبقية رجاله ثقات، والباهلي هو نضر بن عربي الباهلي مولاهم الحراني، لا بأس به، توفي سنة ١٦٨هـ . انظر : تقريب التهذيب (ص : ٥٦٢ برقم : ٧١٤٥) .

(٧) أخرجه الطبري في تفسيره (١١٦/٩-١١٧)، ورجال إسناده صدوقون ما عدا سفيان بن وكيع فإنه ضعيف .

والكـــلبي [١] ومحمد بن كعب [٢] والضحاك بن مزاحم [٣] ومقاتل بن حيان [٤] ، ومجاهد [٥] وعكـــرمة [٦] وقتادة [٧] وفاطمة بنت الحسين [٨] وأبي جعفر الباقر[٩] والإمام أبي حنيفة [١٠] وغيرهم، وإليه ذهب عامة المفسرين [١١] وشراح الأحاديث النبوية[١٢]، وهو مذهب أهل السنة والجماعة [١٣].

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١١٧/٩)، ورجال إسناده كلهم ثقات ما عدا قائله؛ فإنه متهم بالكذب .

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١١٧/٩)، وإسناده ضعيف لأن فيه محمد بن حميد الرازي وهو متكلم فيه كلاما شـــديدا من قبل الأئمة، كما سبق ذكره في (ص : ٥١٨-٥٢٠)، وكذلك فيه موسى بن عبيدة بن نشيط وهو أيضا ضعيف كما قال الحافظ ابن حجر في (تقريب التهذيب (ص : ٥٥٢ برقم : ٦٩٨٩) .

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١١٦/٩)، بإسناد ضعيف للانقطاع بين الطبري وشيخه لأن الطبري ولد سنة ٢٢٤هـــ كما ذكره الذهبي في (سير أعلام النبلاء ٢٦٧/١٤) وشيخه في هذه الرواية محمد بن عبيد إن كان هو الطنافسي كما رجح الشيخ أحمد محمد شاكر في تعليقه على تفسير الطبري (٢٤١/١٣) فهو توفي سنة ٢٠٤هـــ فلا يمكن له السماع منه وإن كان غيره فتكون فيه علة أخرى وهي عدم معرفة شيخ الطبري . ولكن أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٦١٥/٥ برقم : ٨٥٣٨) بإسناده إليه وهو أصح من إسناد الطبري فإن رجال إسناده كلهم ثقات والله أعلم .

(٤) ذكره عنه البغوي في (معالم التنزيل ١٨/٢) من غير إسناد .

(٥) ذكره عنه البغوي في (معالم التنزيل ١٨/٢)؛ وابن كثير في تفسيره (٢٦٤/٢) من غير إسناد .

(٦) ذكره ابن كثير في تفسيره (٢٦٤/٢) من غير إسناد .

(٧) ذكره ابن كثير في تفسيره (٢٦٤/٢)؛ والألباني في السلسلة الصحيحة (١٥٩/٤) من غير إسناد .

(٨) ذكـــره عنها السيوطي في (الدر المنثور ٦٠٥/٣)، وأحال إلى عبد الرزاق في المصنف وأبي الشيخ في العظمة وهـــي فاطمة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمية المدنية، زوج الحسن بن الحسن بن علي، ثقة، ماتت بعد المائة وقد أسنت . انظر : تقريب التهذيب (ص : ٧٥١ برقم : ٨٦٥٢) .

(٩) ذكره عنه السيوطي في الدر المنثور (٦٠٥/٣)، وأحال إلى أبي الشيخ و لم أجده في كتابه : " العظمة " .

(١٠) انظر : الفقه الأكبر [مع الشرح الميسر] (ص : ٤٨) .

(١١) لم يذكـــر ابن جرير الطبري والبغوي والثعالبي في تفاسيرهم غير هذا القول، وهو الذي اختاره ابن الجوزي في (زاد المســـير ٢٨٦/٣)، وفي (تذكرة الأريب في تفسير الغريب ١٩٢/١)؛ والرازي في تفسيره (٥٠/١٥-٥٢)؛ وابن جزي الكلبي في (التسهيل لعلوم التنزيل ٣٢٨/١)؛ والشوكاني في (فتح القدير ٢٦٣/٢)؛ والقنوجي في (فتح البيان ٧٠/٥)؛ و الشنقيطي في (أضواء البيان ٢٥١/٢-٢٥٢) وغيرهم .

(١٢) انظر : المعلم بفوائد مسلم (٣٥٠/٣)؛ وإكمال المعلم بفوائد مسلم (٣٣٧/٨-٣٣٨)؛ وعارضة الأحوذي (١٩٦/١١)؛ والكاشف عن حقائق السنن (٢٤٤/١-٢٤٧)؛ ومرقاة المفاتيح (١٤٠/١-١٤١)؛ وبلوغ الأماني من أســـرار الفتح الرباني (١٤٥/١٨-١٤٧)؛ وإرشاد الساري (٢٤٣/٧ و ٥٥٦/١٣)؛ والتبيان بشرح ما اتفق عليه الشـــيخان البخاري ومسلم (٦٩٥/٣)؛ وبذل المجهود في حل أبي داود (٢٣٢/١٨-٢٣٣)؛ شرح الزرقاني على موطـــأ مـــالك (٢٤٤/٤-٢٤٦)؛ والكوكب الدري على جامع الترمذي (١٤٢/٤)؛ وأوجز المسالك إلى موطأ مالك (٩٦/١٤-٩٨)؛ ومرعاة المفاتيح (١٨٢/١-١٨٤)؛ و السنة النبوية ومطاعن المبتدعة فيها (ص : ١٨٦-١٨٨).

(١٣) انظر : التفسير الكبير (٤٧/١٥)؛ والفتوحات الإلهية (٢٠٧/٢)؛ وأوجز المسالك إلى موطأ مالك (٩٧/١٤)؛ وشرح العقيدة الطحاوية (ص : ٣٠٩)؛ وفتح البيان (٥/ ٧٤) .

قال ابن الأنباري [1]: (مذهب أهل الحديث وكبراء أهل العلم في هذه الآية أن الله أخرج ذرية آدم من صلبه وأصلاب أولاده، وهم في صور الذر، فأخذ عليهم الميثاق: أنه خالقهم، وأنهم مصنوعون. فاعترفوا بذلك وقبلوا. وذلك بعد أن ركب فيهم عقولا عرفوا بها ما عرض عليهم كما جعل للجبل عقلا حين خوطب، وكما فعل ذلك للبعير لما سجد، والنحلة حتى سمعت وانقادت حين دعيت) [2].

وقال إسحاق بن راهويه : وأجمع أهل العلم أن الله خلق الأرواح قبل الأجساد، وأنه استنطقهم وأشهدهم على أنفسهم [3].

وقد استدل أصحاب هذا القول لما ذهبوا إليه بالأحاديث النبوية والآثار السنية السلفية المأثورة عن أصحاب القرون المفضلة من الصحابة و التابعين فمن بعدهم ، ومن الأحاديث الدالة على ما ذهبوا إليه ما يلي [4]:

وعن أنس بن مالك ﷺ عن النبي ﷺ قال : إن الله يقول لأهون أهل النار عذابا : لو أن لك ما في الأرض من شيء كنت تفتدي به؟ قال : نعم. قال : فقد سألتك ما هو أهون من هذا وأنت في صلب آدم : أن لا تشرك بي، فأبيت إلا الشرك [5].

فهذا الحديث النبوي يدل على أن الله تعالى أخذ العهد والميثاق من بني آدم على ربوبيته ووحدانيته قبل أن يخرجهم إلى هذا العالم، وأن ذلك الميثاق كان بالقول والسؤال والجواب إذ قوله : ((فقد سألتك ما هو أهون من هذا ...)) لا يفهم منه غير ذلك .

قال القاضي عياض : (هذا تنبيه على ما جاء في قوله : ﴿ وإذ أخذ ربك من بني ءادم من

---

(١) لعله أبو بكر محمد بن القاسم بن محمد بن بشار بن الحسن الأنباري، أديب نحوي لغوي مفسر محدث، روى عنه الدارقطني وغيره، من تصانيفه : المشكل في معاني القرآن ، وغريب الحديث، والهاءات في كتاب الله عز وجل ، وغيرها ، توفي سنة ٣٢٨هـ . انظر : معجم المؤلفين (١١/١٤٣) .

(٢) ذكره ابن القيم في (الروح ص : ٢٩٥)؛ والقنوجي في (فتح البيان ٥/٧٤)؛ وبواسطة ابن القيم ذكره الألباني في (سلسلة الأحاديث الصحيحة ٤/١٦١) .

(٣) ذكره ابن عبد البر في (التمهيد ١٨/٨٤)؛ وفي (الاستذكار ٨/٣٨٨ برقم : ١٢٠٤٠)؛ وشيخ الإسلام ابن تيمية في (درء تعارض العقل والنقل ٨/٤١٤)، وابن القيم في (الروح ص : ٢٩٦)، وبواسطته ذكر الألباني في السلسلة الصحيحة (٤/١٦١).

(٤) هذه الأدلة على نوعين : ١- بعضها فيه تصريح بإخراج الذرية فقط وهي أدلة أيضا لأصحاب القول الثالث، القائلين بالأخراج دون الإشهاد. ٢- بعضها فيه تصريح بالإخراج والإشهاد وهي أدلة لأصحاب القول الرابع فقط ورد على أصحاب القول الثالث.

(٥) حديث صحيح أخرجه البخاري ومسلم، وهذا لفظ البخاري، وقد سبق تخريجه في (ص : ١٥٠) .

ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى ﴾ فهذا الميثاق الذي أخذ عليهم في صلب آدم، فمن وفى به بعد وجوده في الدنيا فهو مؤمن، ومن لم يف به فهو الكافر. ومراد الحديث – والله أعلم ونبيه – : قد أردت منك هذا وأنت في صلب آدم ألا تشرك بي حين أخذت ذلك الميثاق عليك، فأبيت إذ أخرجتك إلى الدنيا إلا الشرك) [١].

وقال الحافظ ابن حجر : (قوله : " وأنت في صلب آدم " إن فيه إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ﴾ الآية) [٢].

وعن مسلم بن يسار الجهني أن عمر بن الخطاب ﷺ سئل عن هذه الآية : ﴿ وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين ﴾ [٣]. فقال عمر بن الخطاب : سمعت رسول الله ﷺ يسأل عنها فقال رسول الله ﷺ : إن الله تبارك وتعالى خلق آدم ثم مسح ظهره بيمينه، فاستخرج منه ذرية، فقال: خلقت هؤلاء للجنة، وبعمل أهل الجنة يعملون. ثم مسح ظهره، فاستخرج منه ذرية، فقال : خلقت هؤلاء للنار، وبعمل أهل النار يعملون. فقال رجل : يا رسول الله! ففيم العمل؟ قال : فقال رسول الله ﷺ : إن الله إذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل أهل الجنة، حتى يموت على عمل من أعمال أهل الجنة، فيدخله به الجنة. وإذا خلق العبد للنار استعمله بعمل أهل النار، حتى يموت على عمل من أعمال أهل النار، فيدخله به النار [٤].

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم (٣٣٧/٨) .

(٢) فتح الباري (٣٦٩/٦) .

(٣) الأعراف الآية : ١٧٢

(٤) أخرجه ط (القدر، ب : النهي عن القول بالقدر ٨٩٨/٢ ح : ١٥٩٣)؛ بإسناده إلى مسلم بن يسار عن عمر بن الخطاب مرفوعا . و من طريقه أخرجه حم (٣٩٩/١ ح : ٣١١)؛ و د (السنة ، ب : في القدر ٢٢٦/٤ ح : ٤٧٠٣)؛ و ت (أبواب التفسير، الأعراف ٢٦٦/٥ ح : ٣٠٧٥)، وحب كما في الإحسان (التاريخ، ب : بدء الخلق، ذكر إخراج الله جل وعلا من ظهر آدم ذريته ... ٣٧/١٤-٣٨ ح : ٦١٦٦)؛ و كم (الإيمان، ب : تفسير ﴿ وإذ أخذ ربك ... ﴾ ٢٧/١ والتفسير، ب : ذكر الميثاق من الناس جميعا ... ٣٢٤/٢-٣٢٥ والتاريخ، ب : إذا خلق الله العبد للجنة استعمله بعمل أهل الجنة ٥٤٤/٢-٥٤٥)؛ والبيهقي في (الأسماء والصفات ١٤٣/٢-١٤٥ ح : ٧١٠)وغيرهم. وهذا الحديث أعل بعلتين : ١- في إسناده مسلم بن يسار قال عنه الحافظ ابن حجر في (تقريب التهذيب ص :٥٣١ برقم : ٦٦٥٤) : " مقبول " وقال عنه أبو زرعة بأنه مجهول لا يعرف كما في التمهيد (٤/٦) وبه قال ابن عبد البر إلا أن هناك من الأئمة منَ وثقه، منهم ابن حبان فقد ذكره في الثقات (٣٩٠/٥-٣٩١ برقم : ٥٣٤٩) وقال العجلي في (معرفة الثقات ٢٧٩/٢ برقم : ١٧٢٤) : "تابعي ثقة " وقال الذهبي في (الكاشف ٢٦١/٢ برقم :
←

وعـــن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : لما خلق الله آدم مسح ظهره، فسقط مـــن ظهـــره كل نسمة هو خالقها من ذريته إلى يوم القيامة، وجعل بين عيني كل إنسان مـــنهم وبيصا من نور، ثم عرضهم على آدم ، فقال : أي رب من هؤلاء ؟ قال : هؤلاء ذريتك، فرأى رجلا منهم، فأعجبه وبيص ما بين عينيه، فقال : أي رب! من هذا ؟ فقال: هذا رجل من آخر الأمم من ذريتك يقال له داود، فقال : رب كم جعلت عمره؟ قال : ستين سنة، قال : أي رب ! زده من عمري أربعين سنة، فلما قضي عمر آدم جاءه ملك الموت، فقال : أو لم يبق من عمري أربعون سنة ؟ قال : أو لم تعطها ابنك داود ؟ قال : فجحد آدم فجحدت ذريته، ونسي آدم فنسيت ذريته، وخطئ آدم فخطئت ذريته [1] .

وعـــن أبي الدرداء عن النبي ﷺ قال : خلق الله تعالى آدم حين خلقه، فضرب كتفه اليمنى، فأخـــرج ذرية بيضاء، كأنهم الذر، وضرب كتفه اليسرى، فأخرج ذرية سوداء، كأنهم الحمم،

٥٤٣٦) : " وثـــق " وكذلـــك تحسين الترمذي، وتصحيح ابن حبان والحاكم لحديثه مع موافقة الذهبي عليه يعطي جـــانب الـــتوثيق نوعـــا من القوة . ٢- الانقطاع بين مسلم بن يسار وعمر بن الخطاب فقد ذكر الترمذي في سننه (٢٦٦/٥) ؛والـــبيهقي (في الأسمـــاء والصفات ١٤٥/٢)؛ والذهبي في (تلخيص المستدرك ٢٧/١) وغيرهم : أن مسلم بن يسار لم يسمع من عمر بن الخطاب وأن بين مسلم وبين عمر رجلا . وتندفع هذه العلة بمعرفة الواسطة بينهما وهو نعيم بن ربيعة كما ذكره كثير من الأئمة منهم أبو حاتم كما ذكره ابن كثير عنه في تفسيره (٢٦٣/٢، الأعراف : ١٧٢)، و ابن عبد البر في (التمهيد ٤/٦)، والمزي في (تهذيب الكمال ٤٨٤/٢٩ برقم : ٦٤٥٤)، وابن حجر في (تهذيب التهذيب ٦٣٨/٥ برقم : ٨٣١٣) وغيرهم، وروايته في (سنن أبي داود ٢٢٧/٤ ح : ٤٧٠٤) وتفسير الطـــبري (١١٣/٩) وغيرهما . ونعيم بن ربيعة الأزدي ذكره ابن حبان في (الثقات ٤٧٧/٥ برقم : ٥٨٠٨) وقال عـــنه الذهـــبي في (ميـــزان الاعتدال ٢٧٠/٤ برقم : ٩١٠٤) : " لا يعرف " . وقال الحافظ ابن حجر في (تقريب التهذيب ص : ٥٦٥ برقم : ٧١٦٩) : " مقبول " وعلى هذا يكون الحديث كما قال عنه شيخ الإسلام ابن تيمية في (رســـالة في قـــنوت الأشياء ص : ١٢) " هو يصلح للاعتضاد "، فهو يحتاج إلى نوع من التقوية، إلا أن مجيئه من وجهـــين؛ أي : مـــنقطعا ثم موصولا، ووجود شواهد كثيرة له كما أشار إلى ذلك ابن عبد البر في (التمهيد ٦/٦) بقولـــه: " ولكـــن معـــنى هذا الحديث قد صح عن النبي ﷺ من وجوه كثيرة ثابتة " ، وكما سيأتي ذكرها يشفع له ويقويـــه، ولعلـــه مـــن أجـــل هذا حسنه الترمذي، وصححه ابن حبان، وكذلك صححه الحاكم في المواضع الثلاثة المذكـــورة، في الأول والثالث على شرط الشيخين، وفي الثاني على شرط مسلم، ووافقه الذهبي ما عدا الموضع الأول إذ تعقبه بالإرسال ؛ أي : الانقطاع، وصححه الألباني في (صحيح سنن أبي داود ١٥٠/٣ ح : ٤٧٠٣) وحسنه الشيخ عبد العزيز العثيم بعد دراسة تفصيلية في (أخذ الميثاق ص : ٧-١٤ ح : ١) .

(١) حديث صحيح، وقد سبق تخريجه (في ص : ١٤٤-١٤٥).

فقال للذي في يمينه : إلى الجنة ولا أبالي. وقال للذي في كفه اليسرى : إلى النار ولا أبالي [(١)].

وعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ يسأل عن العزل، فقال : لا عليكم أن لا تفعلوا، إن تكن مما أخذ الله منها الميثاق، فكانت على صخرة لنفخ فيها الروح [(٢)].

وعن عبد الرحمن بن قتادة السلمي، وكان من أصحاب النبي ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : خلق الله آدم ثم أخذ الخلق من ظهره، فقال :هؤلاء في الجنة، ولا أبالي، وهؤلاء في النار، ولا أبالي. قال قائل : يا رسول الله! فعلى ماذا نعمل؟ قال : على مواقع القدر [(٣)] .

وعن هشام بن حكيم ﷺ أن رجلا أتى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله ! أنبتديء الأعمال أو قـــد قضى القضاء ؟ فقال رسول الله ﷺ : إن الله أخذ ذرية آدم من ظهره ثم أشهدهم على أنفســـهم : ألســـت بربكم؟ قالوا: بلى . ثم أفاض في كفيه، فقال : هؤلاء في الجنة وهؤلاء في النار. أما أهل الجنة فميسرون لعمل أهل الجنة. وأما أهل النار فميسرون لعمل أهل النار [(٤)].

---

(١) حديث صحيح، وقد سبق تخريجه في (ص : ٧٥) .

(٢) أخرجه ط (الطلاق، ب : ما جاء في العزل ٢/٥٩٤ ح : ١٢٣٩)؛ وسعيد بن منصور في سننه (الأعراف الآية : ١٧٢، ٥/١٦٧ ح : ٩٦٩)، واللفظ له؛ وحم (١٨/١٨٨ ح : ١١٦٤٥)؛ النسائي في السنن الكبرى (العتق، ب : ذكر ما يستدل به على منع بيع أمهات الأولاد ٣/٢٠٠-٢٠١ ح : ٥٠٤٥)؛ وحب كما في الإحسان (الـــنكاح، ب: العزل ٩/٥٠٤-٥٠٥ ح : ٤١٩٣)وغيرهم من طرق كثيرة بألفاظ مختلفة . انظر : التخريج المفصل للحديث من قبل الدكتور سعد آل حميد في تحقيقه لكتاب سنن سعيد بن منصور (٥/١٦٧-١٧٠) وقد حكم على الحديث المذكور بقوله : (سنده حسن لذاته والحديث صحيح لغيره)، وهو كما قال .

(٣) أخـــرجه حـــم (٢٩/٢٠٦ ح : ١٧٦٦٠)؛ وحب كما في الإحسان (البر والإحسان ، ب : ما جاء في الطاعات وثوابهـــا، ذكر البيان بأن قوله ﷺ : " فكل ميسر " أراد به ميسر لما قدر له ... ٢/٥٠ ح : ٣٣٨)، واللفظ له؛ و كم (الإيمان ١/٣١)، وقال : (هذا حديث صحيح ...) ووافقه الذهبي على شرطهما إلى الصحابي . قال الهيثمي في مجمع الزائد (٧/١٨٦) : (رواه أحمد ورجاله ثقات) وقال محققوا المسند : (صحيح لغيره وإسناده مضطرب) وهو لعله الحديـــث الآتي وهو حديث هشام بن حكيم ، وقد فصل الكلام عن اضطرابه الشيخ أحمد شاكر في تعليقه على تفسير الطبري (١٣/٢٤٤-٢٤٨ ح : ١٥٣٧٧)؛ والشيخ عبد العزيز العثيم في (أخذ الميثاق ص : ٢١-٢٤ ح : ٣) .

(٤) أخـــرجه ابـــن أبي عاصم في السنة (١/٧٣-٧٤ ح : ١٦٨-١٦٩)؛ والبزار كما في (كشف الأستار ٣/٢٠ ح : ٢١٤٠)؛ والطبري في تفسيره (٩/١١٧)؛ والطبراني في (الكبير ٢٢/١٦٨-١٦٩ ح : ٤٣٤- ٤٣٥)، واللفظ له؛ والآجري في (الشريعة ٢/٧٤٨-٧٥٠ ح : ٣٣٠) ؛ والبيهقي في الأسماء والصفات (٢/١٤٥-١٤٨ ح : ٧١١-٧١٢) وغيرهـــم . قال البوصيري في (إتحاف المهرة ١/٢١٣ ح : ٣١٣) : (هذا إسناد ضعيف غريب)، وقال الهيثمي في (مجمع الزوائد ٧/١٨٧) : (رواه البزار والطبراني، وفيه بقية بن الوليد، وهو ضعيف، ويحسن حديثه بكثرة

←

وعن ابن عباس – رضي الله عنهما – عن النبي ﷺ قال : أخذ الله الميثاق من ظهر آدم بـنعمان – يعـني عرفة – فأخرج من صلبه كل ذرية ذرأها، فنثرهم بين يديه كالذر، ثم كلمهم قبلا . قال : ﴿ ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون ﴾[1] .

الشواهد، وإسناد الطبراني حسن). وتعقب بأن بقية بن الوليد ليس ضعيفا على الإطلاق بل هو صدوق كثير التدليس عن الضعفاء ، من أهل الطبقة الرابعة الذين لا يقبل حديثهم باتفاق الأئمة إلا إذا صرحوا بالسماع كما سبق ذكره في (ص : ٤٦١) إلا أنه قد صرح هنا بالسماع عن الزبيدي. وذكر الحافظ ابن حجر في (تهذيب التهذيب ١/٢٩٨-٢٩٩ برقم : ٨٧٨) عـن أبي زرعة وابن معين و ابن سعد والعجلي والجوزجاني وأبي أحمد الحاكم أنهم قالوا : إن بقية إذا روى عن المعروفين الثقات فهو ثقة لا بأس به . وذكر عن ابن المديني أنه قال عنه : إذا روى عن أهل الشام فهو صالح ، وإذا روى عن أهل الحجاز والعراق فهو ضعيف جدا . وقد روى بقية هذا الحديث عن الزبيدي وهو ثقة ثبت و أيضا هو من أهل الشام فبالنظر فيما تقدم يتبين أن الأمر ليس كما قال البوصيري والهيثمي . والحديث حسنه لذاته عبد العزيز العثيم في (أخذ الميثاق ... ص : ٢٦-٢٨ ح : ٥) ؛وصححه الألباني في (ظلال الجنة في تخريج السنة ١/٧٣-٧٤ ح : ١٦٨-١٦٩)، وقال أيضا في المصدر المذكور : (إسناده صحيح، رجاله كلهم ثقات ، وقد صرح فيه بقية بالتحديث) .

(١) هذا الحديث روي مرفوعا وموقوفا فقد أخرجه مرفوعا حم (٤/٢٦٧ ح : ٢٤٥٥)، واللفظ له ؛ وابن أبي عاصم في (السنة ١/٨٩ ح : ٢٠٢)؛والنسائي في الكبرى (التفسير ، الأعراف ٦/٣٤٧ ح : ١١١٩١) ؛ وابن جرير في تفسيره (٩/١١٠-١١١)؛ وتاريخه (١/٨٦)؛ وابن مندة في (الرد على الجهمية (ص : ٥٧-٥٨ ح : ٢٩)؛ و كـم (الإيمان، ب : تفسير آية ﴿ وإذ أخذ ربك ... ١/٢٧-٢٨ والتاريخ، ب : أخذ الميثاق من ظهر آدم بعرفة ٢/٥٤٤)؛ و البيهقي في (الأسماء والصفات ١/٥١٨ ح : ٤٤١ و ٢/١٤٩ ح : ٧١٤) وغيرهم من طريق جرير بن حازم الأزدي عن كلثوم بن جبر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس مرفوعا . والحديث صحح إسناده الحاكم في الموضـعين وكذلك وافقه الذهبي . وقال الهيثمي في (مجمع الزوائد ٧/٢٥ ، ١٨٨ ، ١٨٩) : (رواه أحمد ورجاله رجـال الصـحيح) . وقال الشوكاني في (فتح القدير ٢/٢٦٣) والقنوجي في (فتح البيان ٥/٧٣) : (إسناده لا مطعـن فيـه) . وقال الألباني في (سلسلة الأحاديث الصحيحة ٤/١٥٨ ح : ١٦٢٣) بعد أن ذكر قول الحاكم والذهبي : (وحقهما أن يقيداه بأنه على شرط مسلم، فإن كلثوم بن جبر من رجاله، وسائرهم من رجال الشيخين) وقال في (ظلال الجنة في تخريج السنة ١/٨٩ ح : ٢٠٢) : (إسناده حسن) .

قال ابن مندة في (الرد على الجهمية ص : ٥٨) : (هذا حديث تفرد به حسين المروزي عن جرير بن حازم، وهو أحد الثقات، ورواه حماد بن زيد وعبد الوارث وابن علية،وربيعة بن كلثوم كلهم عن كلثوم بن جبر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس موقوفا، وكذلك رواه حبيب بن أبي ثابت وعلى بن بذيمة وعطاء بن السائب كلهم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس مثله) وزاد عليه ابن كثير فقال في تفسيره (٢/٢٦٢) : (وكذا رواه العوفي وعلي بن أبي طلحة عن ابن عباس فهذا أكثر وأثبت) وقال في (الـبداية والنهاية ١/٩٠) : (إسناد جيد قوي على شرط مسلم ... إلا أنه اختلف فيه على كلثوم بن جبر فروي عنه مرفوعا وموقوفـا ... وهذا [أي : الموقوف] أكثر وأثبت والله أعلم) . قال الشيخ أحمد شاكر في تعليقه على مسند الإمام أحمد بعد

وعن عبد الله بن عمرو – رضي الله عنهما – قال : قال رسول الله ﷺ : ﴿ وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم . . . ﴾ قال : أخذوا من ظهره كما يؤخذ بالمشط من الرأس، فقال لهم : ألست بربكم ؟ قالوا : بلى . قالت الملائكة : شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين [(١)].

وعن علقمة [(٢)] قال : سئل عبد الله بن مسعود عن العزل، فقال : لو أخذ الله ميثاق نسمة من صلب آدم، ثم أفرغه على صفا لأخرجه من ذلك الصفا. فاعزل، وإن شئت فلا تعزل [(٣)].

تصحيحه له (١٥١/٤ ح : ٢٤٥٥) : (وكأن ابن كثير يريد تعليل المرفوع بالموقوف، وما هذه بعلة، والرفع زيادة من ثقة فهي مقبولة صحيحة) وتعقب بأن الأمر ليس على إطلاقه بل الأمر مختلف فيه عند أهل العلم بالحديث فمنهم من يرجح زيادة الثقة كما ذكر و منهم من يرجح الأكثر كما ذهب إليه ابن كثير والصواب أن الحكم في ذلك يدور مع القرائن حيث دارت . ولو سلم أن الحديث لم يثبت عن ابن عباس إلا موقوفا كان له حكم الرفع إلى النبي ﷺ لما يلي : ١- إن هذا من الأمور الغيبية التي لا مجال فيه للرأي والاجتهاد ولا يعرف إلا عن طريق الوحي . ٢- هذا تفسير صحابي و تفسير الصحابي له حكم الرفع، وقد سبق بيانه في (ص : ٤٤٨) من هذا البحث . ٣- روي مرفوعا من طريقين : أحدهما : طريق جرير بن حازم ، وقد سبق الكلام عنه . والثاني : طريق علي بن زيد وهو عند حم (١٢٧/٤-١٢٨ ح : ٢٢٧٠) وغيره ، باختلاف في اللفظ مع الاتفاق في مسح الظهر وإخراج الذرية، وقد حسن هذه الرواية محقق المسند لغيره، وهي أيضا يستأنس بها في كون حديث ابن عباس المذكور مرفوعا . ٤- ورود أحاديث أخرى عن جمع من الصحابة تشهد لبعض هذا الحديث بالرفع ، وهي الأحاديث التي سبق ذكرها والتي تأتي بعده . انظر : أخذ الميثاق (ص : ٣٣) .

(١) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١١٣/٩) مرفوعا وهذا لفظه، وأخرجه موقوفا ابن أبي حاتم في تفسيره (١٦١٣/٥ برقم : ٨٥٣٢) وابن جرير في تفسيره (١١٣/٩) وغيرهما . قال الطبري في تفسيره (١١٨/٩) : (إن الثقات الذين يعتمد على حفظهم وإتقانهم حدثوا بهذا الحديث عن الثوري فوقفوه على عبد الله بن عمرو و لم يرفعوه ، و لم يذكروا في الحديث هذا الحرف الذي ذكره أحمد بن أبي طيبة عنه) وكذلك رجح ابن كثير في تفسيره (٢٦٢/٢) وقفه على عبد الله بن عمرو وقال : " هذا أصح " ، والأثر الموقوف صححه الشيخ أحمد محمد شاكر في تعليقه على تفسير الطبري (٢٣٣/١٣ برقم : ١٥٣٥٥-١٥٣٥٦) وهذا الحديث وإن كان موقوفا لكن له حكم المرفوع إلى النبي ﷺ كما تقدم بيان ذلك .

(٢) علقمة بن قيس بن عبد الله النخعي، الكوفي ثقة ثبت فقيه عابد، من أخص أصحاب ابن مسعود وأعلم الناس به، توفي بعد سنة ٦٠هـ وقيل بعد ٧٠هـ. انظر : تهذيب التهذيب (١٧٤/٤-١٧٦برقم : ٥٣٨٦) .

(٣) أخرجه عبد الرزاق في المصنف (١٤٤/٧ برقم : ١٢٥٦٩)، واللفظ له ؛ وأبو يوسف في (الآثار ص : ١٥٤ برقم : ٧١٠)؛ ومحمد بن الحسن الشيباني في (الآثار، ب : العزل وما نهي عنه من إتيان النساء ص : ٩٦ ح : ٤٤٩)؛ ومن طريق عبد الرزاق أخرجه الطبراني في الكبير (٣٣٥/٩ برقم : ٩٦٦٤)؛ كلهم من طريق أبي حنيفة عن حماد عن إبراهيم عن ابن مسعود إلا أن عبد الرزاق والطبراني قالا : (عن إبراهيم عن علقمة قال سئل ابن مسعود) فذكرا علقمة بين إبراهيم وابن

وعن أبي بن كعب ﷺ في قول الله تعالى : ﴿ وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون ﴾ قال جمعه له يومئذ جميعا ما هو كـائن مـنه إلى يوم القيامة، فجعلهم أرواحا ثم صورهم، ثم استنطقهم وتكلموا وأخذ عـليهم العهد والميثاق ﴿ وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون ﴾ قال : فإني أشهد عليكم السماوات السبع، والأرضين السبع، وأشهد عليكم أباكم آدم أن تقولوا يوم القيامة لم نعلم بهذا، اعلموا أنه لا إله غيري، ولا رب غيري، فلا تشركوا بي شـيئا،و إني سأرسل إليكم رسلا ينذرونكم عهدي وميثاقي، وأنزل عليكم كتبي. قـالوا : نشهد أنك ربنا وإلهنا، لا رب لنا غيرك ، ولا إله لنا غيرك ، فأقروا له يومئذ بالطاعة ، ورفع أباهم آدم إليهم فرأى فيهم الغني والفقير وحسن الصورة ودون ذلك ، فقال : يا رب لو سويت بين عبادك . قال : إني أحببت أن أشكر. وأري فيهم الأنبياء

مسعود، وهذا أصح؛ لأن الأئمة ذكروا أن إبراهيم النخعي لم يسمع عن أحد من الصحابة كما في تهذيب التهذيب (١/١١٥-١١٦ بـرقم :٣٢٥) ولأن النخعي نفسه قال : " إذا حدثتكم عن رجل عن عبد الله فهو الذي سمعت، وإذا قلت : قال عبد الله فهو عن غير واحد عن عبد الله " كما ذكر ذلك عنه المزي في تهذيب الكمال (٢/٢٣٩) . قال الهيثمي في (مجمع الزائد ٤/٢٩٧) : (رواه الطبراني وفيه رجل ضعيف لم أسمه وبقية رجاله رجال الصحيح) ولعله يقصد به الإمام أبا حنيفة – رحمه الله – فقد تكلم فيه من قبل حفظه جماعة من الأئمة منهم الإمام البخاري ومسلم والنسائي وابن عدي وابن سعد وابن أبي حاتم وابن شاهين وابن حبان والدارقطني والحاكم وعبد الحق الإشبيلي وابن الجوزي والذهبي . نقل أقوالهم نصا العلامة الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة (١/٦٦١-٦٦٧ ضمن كلامه على حديث رقم : ٤٥٨) وكذلك نقل عن شعبة وابن معين وابن المديني توثيقه. ذكر أقوالهم محمد عوامة في تحقيقه لتقريب التهذيب (ص : ٥٦٣ في ترجمة النعمان بن ثابت ، أبي حنيفة برقم : ٧١٥٣) إلا أن الحديث له إسناد آخر فقد أخرجه سعيد بن منصور في سننه [بتحقيق حبيب الرحمن الأعظمي] (الطلاق، ب : جامع الطلاق ٢/١٢٧ ح : ٢٢٢١) فقال : نا هشيم نا منصور عن الحارث العكلي عن إبراهيم قال سئل ابن مسعود فذكر الحديث مثله . وهشيم هو ابن بشير الواسطي ، ومنصور هو ابن زاذان الواسطي و الحارث هو ابن يزيد العكلي وكلهم ثقات أثبات، بدور وأقمار إلا ما يخشى من تدليس هشيم بن بشير ولكنه صرح بالتحديث هنا، فزال احتمال تدليسه ، الحاصل أن الحديث بمجموع الطرق الثلاثة لا يقل عن درجة الحسن والله أعلم بالصواب .

مـــثل الســـــرج عليهم النور، وخصوا بميثاق آخر من الرسالة والنبوة، فهو الذي يقول تعالى : ﴿ وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم وأخذنا منهم ميثاقا غليظا ﴾ [1] وهـــو الذي يقول : ﴿ فأقم وجهك للدين حنيفا فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ﴾ [2] وفي ذلـــك قـــال : ﴿ هـذا نذير من النذر الأولى ﴾ [3] وفي ذلك قال : ﴿ وما وجدنا لأكثرهم من عهد وإن وجدنا أكثرهم لفاسقين ﴾[4] [5].

وقـــد نص جماعة من أهل العلم منهم أبو جعفر النحاس [6] وابن عطية [7] وابن جزي الكلبي [8] والثعالبي [9] وصالح المقبلي [10] كما حكاه عنه صديق حسن خان [11] :على أن الأحاديث الواردة في إخراج الذرية من ظهر آدم ﷺ وأخذ الميثاق منهم متواترة؛ أي : تواترا معنويا.

---

(١) الأحزاب الآية : ٧

(٢) الروم الآية : ٣٠

(٣) النجم الآية : ٥٦

(٤) الأعراف الآية : ١٠٢

(٥) أخـــرجه عبد الله بن الإمام أحمد في زوائده على مسند أبيه (١٥٥/٣٥-١٥٦ ح : ٢١٢٣٢)؛ وابن أبي حاتم في تفسيره (١٦١٣/٥ بـــرقم : ٨٥٣٣) مختصـــرا ، و في (١٦١٥/٥برقم : ٨٥٣٧) مطولا، وهذا لفظه؛ والطبري في تفسيره (١١٥/٩)؛ وكـــم (التفسير ، ب : ذكر الميثاق من الناس جميعا ومن الأنبياء خصوصا ٣٢٣/٢) كلهم من طريق أبي جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي بن كعب من قوله ما عدا عبد الله بن الإمام أحمد فإنه رواه من طريق عيســـى بن عبيد بن مالك الكندي عن الربيع بن أنس به، وقد سبق الكلام في (ص : ٣٤١-٣٤٢)عن هذا الإسناد بأن ربيع بن أنس صدوق له أوهام ، وخاصة فيما رواه عنه أبو جعفر الرازي وهذا منه، وأن أبا جعفر الرازي صدوق سيء الحفظ إلا أنـــه توبع هنا متابعة تامة إذ رواه عيسى بن عبيد بن مالك الكندي وهو صدوق كما في (تقريب التهذيب ص : ٤٣٩ برقم :٥٣٠٩). قال الحاكم : (هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه ووافقه الذهبي، وكذلك صحح إسناده الشيخ أحمد شاكر في تعليقه على تفسير الطبري (٢٣٨/١٣-٢٣٩ ح : ١٥٣٦٣)، والأقرب أنه حسن والله أعلم بالصواب .

(٦) انظر : معاني القرآن (١٠١/٣) .

(٧) انظر : المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (١٣٤/٦) .

(٨) انظر : التسهيل لعلوم التتريل (٣٢٨/١) .

(٩) انظر : الجواهر الحسان في تفسير القرآن (٩٢/٣) .

(١٠) صالح بن مهدي بن علي بن عبد الله المقبلي اليمني الزيدي، عالم مشارك في التفسير وعلوم القرآن والحديث وعلوم اللغة العربية وغيرها، توفي بمكة عام ١١٠٨هـــ . انظر : معجم المؤلفين (١٤/٥) .

(١١) انظر : فتح البيان (٧١/٥)، وعنه ذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (١٥٩/٤) .

وقـال ابن عبد البر بعد أن ذكر حديث عمر بن الخطاب السابق : (معنى هذا الحديث قد صـح عـن الـنبي ﷺ من وجوه كثيرة ثابتة)[1] وقال بعد أن أشار إلى روايات أخرى في الأخذ والإشهاد : (قد أكثر الناس من تخريج الآثار في هذا الباب، وأكثرَ المتكلمون من الكلام فيه، وأهل السنة مجتمعون على الإيمان بهذه الآثار واعتقادها، وترك المجادلة فيها، وبالله العصمة والتوفيق)[2] .

وقال الألباني بعد ما ذكر حديث ابن عباس — رضي الله عنهما – : (إن له شواهد مرفوعة عن النبي ﷺ عن جمع من الصحابة، وهم عمر بن الخطاب وعبد الله بن عمرو وأبو هريرة وأبو أمامة[3] وهشام بن حكيم أوعبد الرحمن بن قتادة السلمي على خلاف عنهما- ومعاوية بن أبي سفيان وأبو الدرداء وأبو موسى الأشعري[4]، وهي وإن كان غالبها لا تخلو أسانيدها من مقال، فإن بعضها يقوي بعضا ... وجملة القول أن الحديث صحيح بل هو متواتر المعنى، وأنه لا تعارض بينه وبين آية أخذ الميثاق، فالواجب ضمه إليها وأخذ الحقيقة من مجموعهما)[5].

فهـذه الأحـاديث المذكورة فيها دلالة واضحة على أن الله تعالى أخرج ذرية آدم من ظهره، وأشهدهم على أنفسهم، وأخذ منهم العهد والميثاق، وأنهم اعترفوا بوحدانية الله تعالى وربوبيته، وأقروا بذلك بقولهم : بلى . وبه يتبين بطلان دعوى من زعم أنه ليس هناك إخراج للذرية من ظهر آدم عليه السلام في عالم الغيب أو أن هذا الإشهاد والميثاق كان من باب التمثيل ولم يكن من باب الواقع والحقيقة، وأنه إقرار حالي دون القالي حسب زعمهم، أو أنه لم يثبت عن النبي ﷺ حديث يدل على أخذ الميثاق من بني آدم في عالم الذر بالإشهاد والاستنطاق[6].

---

(١) التمهيد (٦/٦) .

(٢) المصدر السابق (١٢/٦) .

(٣) حديثه عند الطبراني في (الكبير ٢٤١/٨ ح : ٧٩٤٠)؛ وفي (٣٢٥/٧ ح : ٧٦٣١)، وفيه ذكر الإخراج والإشهاد والاستنطاق، و الحديث إسناده ضعيف جدا . انظر للتفصيل : أخذ الميثاق (ص : ٣٤-٣٥ ح : ٨) .

(٤) حديثه عند ابن أبي عاصم في (السنة ٨٩/١-٩٠ ح : ٢٠٣) وغيره، وإسناده ضعيف جدا . انظر للاطلاع على تخريجه والحكم عليه بالتفصيل : ظلال الجنة في تخريج السنة (٩٠/١ ح : ٢٠٣) .

(٥) سلسلة الأحاديث الصحيحة (١٥٩/٤-١٦٢) .

(٦) انظر هذه الدعوى عند شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه (رسالة في قنوت الأشياء ص : ١١-١٢)؛ وفي (درء تعارض العقل والنقل ٤٨٤/٨)، وابن القيم في (الروح ص : ٢٩١)؛ وفي (أحكام أهل الذمة ١٠٠٤/٢-١٠٠٦)؛ وابن كثير في تفسيره (٢٦٤/٢) ؛ وفي (البداية والنهاية ٩٠/١) ؛ وابن أبي العز في (شرح العقيدة الطحاوية ص : ٣٠٨) .

والذي يظهر لي أن الراجح هو ما ذهب إليه أصحاب القول الرابع وذلك لما يلي :

١- إن ما ذهبوا إليه موافق لما جاء عن النبي ﷺ في تفسير الآية وبيان المراد منها، ولا شك أن خير ما يفسر به القرآن هو الحديث النبوي .

٢ - إن ما ذهبوا إليه موافق لما فهمه أصحاب القرون المفضلة من الصحابة والتابعين ومن بعدهم، ولا شك أن فهمهم لنصوص الكتاب والسنة أحسن وأولى من فهم من جاء بعدهم لكونهم راءوا الأحداث وشاهدوا التتريل وعاصروا الرسول ﷺ ، ولفصاحة لغتهم وسلامة فطرهم أكثر من غيرهم.

٣ - إن هذا القول لا يلزم منه إنكار أحاديث رسول الله ﷺ كما هو الحال عند أصحاب القول الثاني الذين أنكروا أحاديث إخراج الذرية اعتمادا على عقلهم، وزعموا أن الرواة أخطؤوا في رواية هذه الأحاديث وفهمها، وأن العقل يستبعد وقوع ذلك ويستحيله [1].

٤- إن هذا القول لا يلزم منه تأويل النصوص الشرعية من الكتاب والسنة الواردة في هذه المسألة تأويلا يصرفها عن ظاهرها وحقيقتها إلى ما يبعد المقصود منها بل يبطل مرادها ومعناها، كما هو الحال عند كل من زعم أن الميثاق لم يكن بالمقال في عالم الغيب بل هو ميثاق بالحال في عالم الشهادة، أي : بعد ولادة الناس في هذه الدنيا عن طريق الآباء والأمهات بالأدلة الكونية أو بالفطرة .

٥- إن الأدلة الكونية الدالة على وحدانية الله تعالى وربوبيته كانت موجودة قبل أن يترل الله سبحانه وتعالى هذه الآيات القرآنية على نبينا محمد ﷺ ، وهي باقية إلى الآن، وستكون باقية إلى يوم القيامة، ولذلك نبه الله عن دلالة هذه الآيات الكونية على وحدانية الله تعالى، تارة بصيغة الماضي، وتارة بصيغة دالة على الاستمرار في الحال والاستقبال. مثلا الليل والنهار آيتان من آيات الله الكونية، وقال تعالى عنهما : ﴿ هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون ﴾[2] وقال أيضا : ﴿ ألم تر أن الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري إلى أجل مسمى وأن الله بما تعملون خبير ﴾ [3] وقال أيضا : ﴿ قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمدا

---

(١) انظر هذا الوجه والذي بعده في (سلسلة الأحاديث الصحيحة ٤/١٦٢) .

(٢) يونس الآية : ٦٧

(٣) لقمان الآية : ٢٩

إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون * قل أرأيتم إن جعل الله عليكم النهار سرمدا إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون * ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون ﴾ [1]. فالتعبير عن هاتين الآيتين العظيمتين جاء بصيغة الماضي الدالة على وقوعهما بإذنه وقدرته فيما مضى من الزمان، وبصيغة المضارع الدالة على وقوع ذلك في الحاضر والمستقبل، وبصيغة الاستفهام والتقرير والتعجيز الدالة على أن ذلك لا يكون أبدا إلا بإذن الله وقدرته، وأنه إن أمسكه لا يستطيع أحد غيره أن يأتي به في أي حال من الأحوال .

وكذلك خلق الله تعالى الناس على الفطرة التي تسوقهم إلى معرفة الله سبحانه وعبادته مستمر من خلق أول الناس إلى آخرهم؛ ولذلك جاء عنه التعبير في كلام الله وكلام رسوله ﷺ بما يدل على حدوث ذلك في الماضي، وبما يدل على استمراره في الحال والاستقبال . قال الله تعالى : ﴿ فطرت الله التي فطر الناس عليها ﴾ [2] وقال النبي ﷺ : ((**ما من مولود إلا يولد على الفطرة**)) [3].

وأما أخذ الميثاق والإشهاد الذي كان في عالم الذر فهو حدث حصل في الزمن الماضي وانتهى، وهو لم يتكرر منذ ذلك اليوم إلى الآن، ولا يتكرر إلى يوم القيامة، هذا الذي يتفق مع نصوص الكتاب والسنة الواردة في ذلك وبيان ذلك بما يلي [4] :

أ - قال تعالى عن هذا الأمر العظيم والحدث الجليل : ﴿ وإذ أخذ ربك ﴾ و كلمة " إذ" تدل على الزمن الماضي المبهم، وهذا هو المشهور والغالب عند جمهور النحاة، وقد ترد للمستقبل إذا كانت هناك قرينة تدل على ذلك [5].

---

(١) القصص الآيات : ٧١-٧٣

(٢) الروم الآية : ٣٠

(٣) أخرجه خ (الجنائز، ب : إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه... ٤٥٦/١ : ١٢٩٣)؛ و م (القدر، ب : معنى كل مولود يولد على الفطرة ...٢٠٤٧/٤ ح : ٢٦٥٨) .

(٤) انظر الإشارة إلى بعض الوجوه التالية في (أخذ الميثاق ص : ٥٩) .

(٥) انظر : رصف المباني في شرح حروف المعاني (ص : ٥٩)؛ ومغني اللبيب عن كتب الأعاريب (٨٠/١-٨٤)؛ والمساعد على تسهيل الفوائد (١٦/١، ٤٩٩-٥٠٠)؛ ومصابيح المغاني في حروف المعاني (ص : ٧٩-٨٣)؛ وضياء السالك إلى أوضح المسالك (٣١٢/٢) .

ب ــ إن كلمة " إذ " لا تستعمل إلا مضافة إلى جملة. فإن أضيفت إلى جملة فعلية لا بــد أن يكون فعلها ماض لفظا ومعنى نحو قوله تعالى : ﴿ وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة ﴾ [1] وقولــه تعــالى : ﴿ وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس ﴾ [2] وقوله تعالى : ﴿ إذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرا من طين ﴾ [3] .

أو يكــون فعــلها ما ض معنى لا لفظا[4] نحو قوله تعالى : ﴿ وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ﴾ [5] ؛ أي : وإذ رفــع . وقوله تعالى : ﴿ وإذ يمكر بك الذين كفروا ﴾ [6] ؛أي : إذ مكر . وقولــه تعــالى : ﴿ وإذ تقول للذي أنعم الله عليه ﴾ [7] ؛ أي : إذ قلت ؛ لأنها أخبار كانت في الماضي حدثت قبل زمن التكلم والإعلام بها، مع أن صيغتها صيغة المضارع الدال على الحال والاستقبال .

فكلمة " إذ " إذا دخلت على الفعل لا بد أن يكون فعله متعلقا بالماضي ولو لم يكن صيغته صيغة الماضي، فكيف وقد دخلت في قوله تعالى : ﴿ وإذ أخذ ربك . . . ﴾ على الفعل الماضي بصيغة الماضي ؟

فيتبين من استعمال كلمة " إذ " أن هذا الإخراج والإشهاد كان في الماضي، وأنه لا يصــح تفســير أخذ الميثاق والإشهاد بالأدلة الكونية أو الفطرة لعدم اختصاصها بالزمن الماضي بل هي مستمرة موجودة، وستبقى إلى يوم القيامة ، والله أعلم بالصواب .

ج ــ جاء في حديث أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال : ((لما خلق الله آدم مسح ظهره ...)) ولَمَّا في كلام العرب على ثلاثة أنواع [8] :

---

(١) البقرة الآية : ٣٠

(٢) البقرة الآية : ٣٤

(٣) ص الآية : ٧١

(٤) انظر : مغني اللبيب (١/٨٤) .

(٥) البقرة الآية : ١٢٧

(٦) الأنفال الآية : ٣٠

(٧) الأحزاب الآية : ٣٧

(٨) انظــر : رصــف المباني في شرح حروف المعاني (ص : ٢٨١/٢٨٤)؛ ومغني اللبيب عن كتب الأعاريب (١/٢٧٨-٢٨١)؛ ومصــابيح المغاني في حروف المعاني (ص : ٣٩٨-٤٠١)؛ وضياء السالك إلى أوضح المسالك (٢/٣١٤)؛ ومعجم القواعد العربية في النحو والصرف (ص : ٣٨٩-٣٩٠) .

١- لما الجازمة : وهي تختص بالمضارع فتجزمه و تصرف دلالته إلى الماضي المنفي . نحو قوله تعالى : ﴿ولما يدخل الإيمان في قلوبكم ﴾ [(١)] ؛ أي : ما دخل الإيمان في قلوبكم إلى الآن .

٢- لما الاستثنائية : تكون بمعنى إلا نحو قوله تعالى : ﴿ إن كل نفس لما عليها حافظ ﴾ [(٢)]؛ أي : إلا عليها حافظ .

٣- لمـــا الظــرفية وتسمى أيضا لما الحينية : وهي مختصة بالماضي ولا تدخل على المضارع أصلا نحو قول تعالى : ﴿ ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه ﴾ [(٣)].

و" لما" الوارد في قول النبي ﷺ : ((لما خلق الله آدم ...)) لا يمكن أن تكون جازمة نافيـــة، كما لا يمكن أن تكون استثنائية، وإنما هي ظرفية فتكون خاصة بالماضي، ويؤكد كونها حينية ما ودر في حديث أبي الدردا ﷺ مرفوعا إلى النبي ﷺ بلفظ : ((خلق الله آدم حين خلقه ...)) فهذا يدل على أن أخذ الميثاق من بني آدم وإشهادهم على أنفسهم كان في الماضـــي، فلا يصح تفسيره بما هو مستمر إلى الآن، وبما سيستمر إلى يوم القيامة مثل الأدلة الكونية أو الفطرة التي تكون مستمرة إلى يوم القيامة، والله أعلم بالصواب .

د - قال الله تعالى : ﴿ أخذ ربك﴾ . . . ﴿وأشهدهم﴾ . . . ﴿ ألست بربكم ﴾ . . . ﴿ قالوا بلى شهدنا ﴾، وهذه كلها من صيغ الفعل الماضي الدالة على وقوع هذا الحدث العظيم قبل زمان التكلم والإعلام به والإخبار عنه .

هـــــ - وجاء الإخبار عن الأمر العظيم على لسان المصطفى ﷺ بقوله : ((فقد سألتك ما هو أهون من هذا وأنت في صلب آدم : أن لا تشرك بي فأبيت إلا الشرك)) وبقوله : ((إن الله تبارك وتعالى خلق آدم ثم مسح ظهره بيمينه، فاستخرج منه ذرية ...)) وبقوله : ((لما خلق الله آدم مسح ظهره، فسقط من ظهره كل نسمة هو خالقها من ذريته إلى يوم القيامة ، وجعل بين عيني كل إنسان منهم وبيصا من نور ، ثم عرضهم على آدم ...)) وبقوله : ((خلق الله تعالى آدم حين خلقه، فضرب كـــتفه اليمنى، فأخرج ذرية بيضاء، كأنهم الذر، وضرب كتفه اليسرى، فأخرج ذرية سوداء، كأنهم

---

(١) الحجرات الآية : ١٤

(٢) الطارق الآية : ٤

(٣) الأعراف الآية : ١٤٣

الحمـــم ...)) وبقوله : ((إن الله أخذ ذرية آدم من ظهره ثم أشهدهم على أنفسهم : ألست بـــربكم؟ قالوا: بلى . ثم أفاض في كفيه، فقال : هؤلاء في الجنة وهؤلاء في النار...)) وبقوله : ((أخـــذ الله الميـــثاق من ظهر آدم بنعمان – يعني عرفة – فأخرج من صلبه كل ذرية ذرأها، فنـــثرهم بين يديه كالذر، ثم كلمهم قبلا . قال : ﴿ ألست بربكم قالوا بلى ...﴾)) وبقوله : ((أخذوا من ظهره كما يؤخذ بالمشط من الرأس، فقال لهم : ألست بربكم ؟ قالوا : بلى ...)).

فهذه كلها من صيغ الفعل الماضي الدالة على حدوث هذا الأمر العظيم في زمن مضى وانتهى قبل زمان التكلم والإخبار به بخلاف خلق الله الناس على الفطرة أو الأدلة الكونية فهـــي موجـــودة قـــبل زمن الإخبار وبعده، وستكون مستمرة إلى يوم القيامة. فلو كان المقصـــود بها الأدلة الكونية أو الفطرة لم يرد دائما في كلام الله وكلام رسوله ﷺ بصيغة الماضـــي، الدالـــة على وقوعه قبل زمان التكلم بل لأتى به على وجوه مختلفة ليفهم منه الدلالة على الماضي والحال والاستقبال كما هو الحال عند ذكر الأدلة الكونية أو الفطرة، كمـــا قـــد سبق بيانه وتقريره، وبذلك يتبين أن حمل هذه الآيات بالميثاق الأول في عالم الغيب أولى وألصق بدلالة نصوص الكتاب والسنة وألفاظها، والله أعلم بالصواب .

٦ – إن الله ســـبحانه وتعالى أخذ الميثاق من بنى آدم في ذلك الوقت وخاطبهم قائلا : ﴿ألست بربكم ﴾. فلو كان المراد به الفطرة أو الأدلة الكونية دون أخذ الله عنهم الميثاق القولي لكانت الفطرة أو الأدلة الكونية هي القائلة : ﴿ألست بربكم﴾ وهذا باطل إذ لا يليق ذلك إلا بالله سبحانه وتعالى .

٧– لو كان المراد بهذه الآيات التعريف والإخبار عن وحدانية الله تعالى وربوبيته عن طريق الفطـــرة أو الأدلة الكونية دون أخذ الله عنهم الميثاق القولي لجاء الخطاب على لسان الفطرة أو الأدلة الكونية { أليس الله هو ربكم } بدل أن يقول الباري جل وعلا : ﴿ ألست بربكم ﴾ .

٨– قـــد نص جماعة من أهل العلم على أن الأحاديث الواردة في إخراج الذرية من ظهـــر آدم ﷺ وأخذ الميثاق منهم متواتر؛ أي : تواترا معنويا ، ولا شك أن ذلك يعطي القول قوة وثقلا على الأقوال الأخرى .

٩– وكذلك حكى إسحاق بن راهويه إجماع أهل العلم على الإشهاد والاستنطاق، وهذا أيضا يرجح جانب الإشهاد والاستنطاق وأخذ الميثاق القالي .

يتبين مما سبق أن الراجح من هذه الأقوال هو القول الرابع وهو أن الله سبحانه وتعالى أخرج ذرية آدم عليه السلام من ظهره في عالم الغيب قبل عالم الشهادة الذي نحن فيه، وأنه سبحانه وتعـــالى أخذ من جميعهم العهد والميثاق على وحدانيته وربوبيته، وأنهم جميعا اعترفوا بذلك وأقـــروا به قولا، وقد يمكن الجمع بين هذه الأقوال بأن يقال بالإشهاد، والاستنطاق، وأخذ الميثاق في عالم الذر، كما جاء ذلك في الأحاديث النبوية بالتفصيل، وأن الفطرة التي فطر الله الـــناس عـــليها، والتي تشهد بأن الله هو الرب وحده ، لا شريك له، فهي من آثار ذلك الميثاق[1]، وأن الأدلة التي نصبها الله تعالى في الكون من سماء وأرض وجبال وبحار ... وما إلى ذلـــك مـــن المخـــلوقات الكثيرة العجيبة الدالة على كونها مخلوقة مربوبة، والدالة على وحدانيـــة الله وربوبيته واستحقاقه وحده العبادة كلها، فهذا مما يؤكد ما دلت عليه الفطرة، وبهـــذا تنســـجم الأقوال[2] إلا أنه لا يصح أن يقال أن المقصود بها الأدلة الكونية فقط أو الفطرة فقط أوهما معا دون القول بأخذ الميثاق والإقرار والاستنطاق، والله أعلم بالصواب .

---

(١) انظر : سلسلة الأحاديث الصحيحة (١٦٣/٤) .

(٢) انظر : معارج القبول (٩٢/١-٩٤) .

دعــوى الرافضة أن الله أخذ الميثاق من بني آدم في عالم الذر لإمامة علي بن أبي طالب ﷺ وإمارته وبيان بطلانها :

تــزعم الرافضة أن الله سبحانه وتعالى أخذ العهد والميثاق من بني آدم على إمامة علي بن أبي طالب ﷺ، وسماه أمير المؤمنين لما أخذ الميثاق منهم على وحدانيته وربوبيته في عالم الـذر، وأن ذلـك دليـل على كونه أولى بالخلافة دون غيره [(١)]، وقد يضيفون أئمتهم الآخرين مع علي ﷺ فيزعمون أن الميثاق أخذ من بني آدم لجميع أئمتهم [(٢)].

وقـد اسـتدلوا على زعمهم في دعوى [(٣)] أن علي بن أبي طالب ﷺ سمي أمير المؤمنين يوم الميثاق بما نسب إلى حذيفة بن اليمان – رضي الله عنهما – أنه قال : قال رسول الله ﷺ : لو علم الناس متى سمي علي أمير المؤمنين ما أنكروا فضله، سمي أمير المؤمنين وآدم بين الروح والجسد. قال الله عــز وجــل : ﴿ وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم﴾ قالت الملائكة: بلى . قال تبارك وتعالى : أنا ربكم، ومحمد نبيكم، وعلي أميركم [(٤)].

ولا شـك أن ما ادعت به الرافضة دعوى باطلة، وبيان بطلانها وفسادها من وجوه، وهي كما يلي [(٥)]:

أولا : يطـالب منهم أن يبينوا صحة هذا الحديث المنسوب إلى النبي ﷺ؛ فإن مجرد

---

(١) انظـر : تفسـير القمي (٢٤٧/١ ، الأعراف : ١٧٢)؛ وانظر : منهاج السنة النبوية (٢٨٨/٧-٢٨٩)؛ والشيعة والقرآن (ص : ٢٢٣-٢٢٦) وقد ذكر بضعة عشر رواية من مختلف كتب الشيعة على ذلك منسوبة إلى أبي عبد الله الصادق وأبي جعفر الباقر وهما بريئان منها . وكسر الصنم للبرقعي – وكان منهم ثم وفقه الله للهداية إلى السنة – (ص : ٢٨٤)، وبين بطلانها باختصار .

(٢) انظر : تفسير القمي (٢٤٧/١) .

(٣) لم يذكـروا دليلا على دعواهم أن الميثاق كان أخذ من بني آدم في عالم الذر للإيمان بإمامة أئمتهم، والطاعة لهم، وإنما ذكـروا دليلا واهيا على دعواهم أن عليا ﷺ سمي أمير المؤمنين يوم الميثاق، وأن ذلك دليل على كونه أولى بالخلافة من غيره، ولذلك أركز في الرد عليهم على دعواهم أن عليا ﷺ سمي أمير المؤمنين يوم الميثاق لأنه إذا علم بطلان دعوى أخذ الميثاق لإمامة علي أو تسميته أمير المؤمنين يوم الميثاق علم بطلان دعوى أخذ الميثاق لغيرة من أئمة الشيعة من باب أولى .

(٤) ذكره الديلمي في (الفردوس بمأثور الخطاب ٣٥٤/٣ ح : ٥٠٦٦) من غير إسناد .

(٥) هذه الوجوه كلها مستفادة مما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية في (منهاج السنة ٢٨٩/٧-٢٩٢) .

ذكر الديلمي [1] لهذا الحديث في كتابه لا يدل على أن الحديث صحيح، وإن كان هو من أهل العلم والدين ولم يكن يكذب ولكنه لما نقل ما في كتب الناس والكتب فيها الصدق والكذب وقع في كتابه شيء كثير من الأحاديث الضعيفة والموضوعة .

ثانيا : إن هذا الحديث كذب موضوع باتفاق أهل العلم بالحديث .

ثالثا: إن الله سبحانه وتعالى أخبر عن الميثاق في كتابه الكريم بقوله : ﴿ ألست بربكم قالوا بلى ﴾ . فالقرآن الكريم ليس فيه ذكر النبي، ولا الأمير، بل هو ميثاق على التوحيد خاصة، ويؤيد ذلك ما يأتي ذكره في الوجه التالي .

رابعا : قال تعالى : ﴿ أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم ﴾ فهذا يدل على أنه ميثاق التوحيد خاصة وليس فيه ميثاق النبوة، فكيف يصح دعوى أخذ الميثاق لما هو دون النبوة من الإمارة والإمامة.

خامسا : لم يرد في شيء من الأحاديث الواردة في تفسير آية أخذ الميثاق من بني آدم التي ذكرها أصحاب الكتب المعتمدة المسندة المشهورة من التفسير والحديث وغيرها ما يدل على أن علي بن أبي طالب ﷺ كان سمي أمير المؤمنين يوم الميثاق، أو أنه أخذ الميثاق من بني آدم في ذلك اليوم على إمارة علي ﷺ أو إمامة أحد غيره من أئمة الشيعة الرافضة . فلو كان هناك أصل لهذا القول من الحديث لذكره أصحاب الكتب المشهورة المسندة المعتمدة ولم يهمله كلهم ، فهذا يدل أن هذه دعوى كاذبة ليس لها أصل من الشريعة [2].

سادسا : لا شك أن الميثاق أخذ على جميع ذرية آدم فيلزم من دعوى الرافضة الباطلة أن يكون علي بن أبي طالب ﷺ أميرا على جميع بني آدم، ولا شك أن هذا باطل، وبيان ذلك بما يلي:

أ - إنه يلزم منه أن بني آدم الذين كانوا قبل علي ﷺ أنهم كانوا داخلين في إمامته وإمارته، وهذا كلام غير معقول إذ كيف يكون علي ﷺ - وقد وُلِدَ بعد آلاف كثيرة من السنين- إماما على من مات قبله من ملايين البشر منذ عهد آدم عليه السلام ؟

---

(١) هو شيرويه بن شهر دار بن شيرويه الديلمي الهمذاني، محدث عالم حافظ مؤرخ، توفي سنة ٥٠٩هـ. انظر : سير أعلام النبلاء (١٩/٢٩٤-٢٩٥) .

(٢) قد سبق ذكر مجموعة من الأحاديث النبوية التي وردت في تفسير آية الميثاق في (ص : ٦٠٥-٦١٢) .

ب - إنه يلزم منه أن الأنبياء والمرسلين من عهد آدم عليه السلام إلى محمد ﷺ كلهم كانوا داخلين في إمامته وإمارته وهذا غير معقول – كالوجه السابق - لأنهم متقدمون عليه في الزمن والمرتبة ، فهذا ممتنع شرعا وعقلا .

وغاية ما يمكن أن يكون علي رضي الله عنه إماما لأهل زمانه، أميرا عليهم وأما إمامته على من خلق قبله ومن يخلق بعده فهذه دعوى من لا يعقل ما يقول، ولا يستحي فيما يقول .

هذه الوجوه المتقدمة تدل على بطلان دعوى الرافضة أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه سمي أمير المؤمنين يوم أخذ الله تعالى الميثاق من بني آدم على وحدانيته وربوبيته ،كما أنها تدل على بطلان دعواهم أن الميثاق أيضا كان أخذ من بني آدم لإمامة أئمتهم ، فهذه كلها دعوى باطلة كاذبة، لا يقرها الدين، ولا العقل السليم، وإنما يقول بها من لا يدري ما يقول، ولا يستحي مما يقول .

اللهم أرنا الحق حقا وارزقنا اتباعه وأرنا الباطل باطلا وارزقنا اجتنابه ﴿ ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب ﴾ (1) .

---

(1) آل عمران الآية : ٨

المطلب الثاني : مكان أخذ الميثاق .

المكان الذي أخرج الله تعالى ذرية آدم من ظهره وأخذ منهم الميثاق على وحدانيته وربوبيته اختلفت أقوال أهل العلم في بيانه، وفيما يلي ذكر تلك الأقوال، مع بيان الراجح منها والله الموفق.

القول الأول : أخرج الله ذرية آدم من ظهره عليه السلام في الجنة . هذا القول منسوب إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه [1].

القول الثاني : كان ذلك في السماء الدنيا بعد أن أخرج الله تعالى آدم عليه السلام من الجنة . هذا القول محكي عن السدي [2].

القول الثالث : كان إخراج الذرية وأخذ الميثاق منهم بالوادي الذي هبط فيه آدم من السماء إلى الأرض في الهند . وهذا القول محكي عن ابن عباس[3] .

القول الرابع : كان ذلك بين مكة والطائف . هذا القول محكي عن الكلبي [4].

القول الخامس : كان ذلك في بطن نعمان — واد بجنب عرفة – . وهذا القول ذهب إليه ابن عباس — رضي لله عنهما – [5].

---

(١) نسبه إليه الجمل في (الفتوحات الإلهية ٢/٢٠٨)؛ والكاندهلوي في (أوجز المسالك ١/٩٧)، وذكره ملا علي القاري في (مرقاة المفاتيح ١/١٤١) من غير تعيين قائله .

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٩/١١٦) بإسناد فيه انقطاع؛ ونسبه إليه البغوي في (معالم التنزيل ٢/٢١٢)؛ والقرطبي في تفسيره (٧/٣١٦) وحافظ بن أحمد حكمي في (معارج القبول ١/٩٠)، وعبد العزيز العثيم في (أخذ الميثاق ص : ٤٦).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (٩/١١١)وإسناده فيه نظر، وقد سبق الكلام عنه في (ص : ٥٥٣) من هذا البحث . وقد ذكر هذا القول منسوبا إلى ابن عباس البغوي في (معالم التنزيل ٢/٢١٢)؛ و القرطبي في (الجامع لأحكام القرآن ٧/٣١٦)؛ وابن عادل الدمشقي في (اللباب في علوم الكتاب ٩/٣٧٨)؛ وحافظ بن أحمد حكمي في (معارج القبول ١/٩٠)؛ وعبد العزيز العثيم في (أخذ الميثاق ص : ٤٥)، وذكره من غير تعيين قائله الجمل في (الفتوحات الإلهية ٢/٢٠٨)؛ والكاندهلوي في (أوجز المسالك ١/٩٧) .

(٤) ذكره منسوبا إليه البغوي في (معالم التنزيل ٢/٢١٢)؛ و ابن عادل الدمشقي في (اللباب في علوم الكتاب ٩/٣٧٨)؛ والجمل في (الفتوحات الإلهية ٢/٢٠٨)؛ وحافظ بن أحمد حكمي في (معارج القبول ١/٩٠)؛ والكاندهلوي في (أوجز المسالك ١/٩٧)؛ و ذكره مع إبهام قائله ملا علي القاري في (مرقاة المفاتيح ١/١٤١)؛ وعبد العزيز العثيم في (أخذ الميثاق ص : ٤٥) .

(٥) هذا القول مروي عنه من عدة طرق وقد سبقت الإشارة إلى ذلك في (ص : ٦٠٩-٦١٠)، وذكره عنه غير واحد من المفسرين وشراح الحديث منهم البغوي في (معالم التنزيل ٢/٢١٢)؛ والقرطبي في (الجامع في أحكام القرآن ٧/٣١٦)؛ وابن عادل الدمشقي في (اللباب في علوم الكتاب ٩/٣٧٨)؛ و الجمل في (الفتوحات الإلهية ٢/٢٠٨)؛ وحافظ الحكمي في (معارج القبول ١/٩٠)؛ و الكاندهلوي في (أوجز المسالك ١/٩٧)؛ وعبد العزيز العثيم في (أخذ الميثاق ص : ٤٥)؛ وذكره من غير تعيين قائله ملا علي القاري في (مرقاة المفاتيح ١/١٤١) .

وأرجـــح هذه الأقوال هو القول الخامس لأنه مأخوذ من الحديث النبوي، وإن كان الجهـــل بمكان إخراج الذرية، وإشهادهم، وأخذ الميثاق منهم، لا يضر بعد صحة الاعتقاد بإخراجهم وأخذ العهد منهم [1] والله أعلم بالصواب .

(١) انظر : الفتوحات الإلهية (٢/٢٠٨)؛ وأوجز المسالك (١/٩٧)؛ وأخذ الميثاق (ص : ٤٦) .

المطلب الثالث : رؤية النبي ﷺ نسم بني آدم في المعراج عن يمين آدم عليه السلام وشماله.

لما عرج برسول الله ﷺ إلى السماء التقى في السماء الدنيا بأبي البشر آدم عليه السلام، ورأى أسودة عن يمينه، وأسودة عن يساره، ورآه إذا نظر عن يمينه استبشر وضحك، وإذا نظر إلى شماله حزن وبكى، فسأل جبريل، فأخبره أن هذه الأسودة عن يمينه وشماله نسم بنيه، فأهل اليمين أهل الجنة، وأهل الشمال أهل النار.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : كان أبو ذر رضي الله عنه يحدث : أن رسول الله ﷺ قال : فرج عن سقف بيتي وأنا بمكة، فنزل جبريل، ففرج صدري، ثم غسله بماء زمزم، ثم جاء بطست من ذهب، ممتلئ حكمة وإيمانا، فأفرغه في صدري، ثم أطبقه، ثم أخذ بيدي، فعرج بي إلى السماء الدنيا، فلما جئت إلى السماء الدنيا، قال جبريل لخازن السماء : افتح. قال: من هذا؟ قال: هذا جبريل. قال : هل معك أحد؟ قال : نعم معي محمد ﷺ . فقال : أرسل إليه؟ قال : نعم. فلما فتح علونا السماء الدنيا، فإذا رجل قاعد، على يمينه أسودة، وعلى يساره أسودة، إذا نظر قبل يمينه ضحك، وإذا نظر قبل يساره بكى، فقال : مرحبا بالنبي الصالح، والابن الصالح. قلت لجبريل : من هذا؟ قال : هذا آدم، **وهذه الأسودة عن يمينه وشماله نسم بنيه**، فأهل اليمين منهم أهل الجنة، والأسودة التي عن شماله أهل النار، فإذا نظر عن يمينه ضحك، وإذا نظر قبل شماله بكى. حتى عرج بي إلى السماء الثانية ... الحديث [(١)].

وهذه الأسودة جاء بيانها في الحديث نفسه أنها نسم بني آدم، والنسم هي الأرواح، فظاهر الحديث يدل على أن أرواح بني آدم من أهل الجنة والنار في السماء الدنيا عن يمين آدم عليه السلام وشماله وهو مشكل . قال القاضي عياض : (قد جاء أن أرواح الكفار في سجين، ...وأن أرواح المؤمنين منعمة في الجنة) [(٢)]، يعني فكيف تكون مجتمعة عن يمين

---

(١) أخرجه خ (الصلاة، ب : كيف فرضت الصلوات في الإسراء ١/١٣٥ ح : ٣٤٢)، واللفظ له؛ وم (الإيمان ب : الإسراء برسول الله إلى السماوات وفرض الصلوات ١/١٤٨ ح : ١٦٣) .

(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم (١/٥٠٣) .

آدم وشماله في سماء الدنيا ؟

ثمَ أجـــاب عنه بأنه يحتمل أنها تعرضَ على آدم ﷺ في أوقات دون أوقات، فصادف وقـــت عرضـــها مرور النبي ﷺ، أو أنها تكون في الجنة أو النار في أوقات دون أوقات[1]، ويـــدل على ذلك قوله تعالى : ﴿ النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ﴾ [2]، وكذلك ما جاء في حديـــث ابـــن عمر – رضي الله عنهما – أن رسول الله ﷺ قال : إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي، إن كان من أهل الجنة، فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار، يقال : هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة [3].

ولكن اعترض على هذا القول بأن أرواح الكفار لا تفتح لها أبواب السماء، كما قال تعالى : ﴿ إن الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط وكذلك نجزي المجرمين ﴾ [4] . ومصداق هذا ما جاء في حديث البراء بن عازب ﷺ مـــرفوعا إلى النبي ﷺ أنه قال : ((... وإن العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقـــبال من الآخرة، نزل إليه من السماء ملائكة سود الوجوه... ثم يجئ ملك الموت حتى يجـــلس عند رأسه، فيقول : يا أيتها النفس الخبيثة اخرجي إلى سخط من الله وغضب " . قال : " فتفرَّقُ في جسده، فينتزعها كما ينتزع السفود من الصوف المبلول، فيأخذها فإذا أخذهـــا لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يجعلوها في تلك المسوح ... فيصعدون بها؛ فلا يمـــرون بهـــا على ملأ من الملائكة إلا قالوا : ما هذا الروح الخبيث ؟ فيقولون : فلان بن فلان، بأقبح أسمائه التي كان يسمى بها في الدنيا، حتى يُنْتَهَى به إلى السماء الدنيا، **فيستفتح لـــه، فلا يفتح له**، ثم قرأ رسول الله ﷺ : ﴿ لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط ﴾ فيقول الله عز وجل : اكتبوا كتابه في **سجين في الأرض السفلى**،

---

(١) انظر : المصدر السابق نفسه .

(٢) غافر الآية : ٤٦

(٣) أخرجه خ (الجنائز، ب : الميت يعرض عليه بالغداة والعشي ٤٦٤/١ ح : ١٣١٣)، واللفظ له؛ و م (الجنة وصفة نعيمها وأهلها، ب : عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه ... ٢١٩٩/٤ ح : ٢٨٦٦) .

(٤) الأعراف الآية : ٤٠

فتطرح روحه طرحا "، ثم قرأ ﴿ ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق ﴾ [1] ... الحديث [2] فهذا يدل على أن أرواح الكفار لا تفتح لها أبواب السماء فكيف تعرض على آدم ﷺ وهو في السماء [3] ؟

وأجيب عن هذا الاعتراض والإشكال بأنه يحتمل أن الجنة كانت في جهة يمين آدم، والنار في جهة شماله، فكانت أرواح السعداء عن يمينه في الجنة في جهة العلو، وكانت أرواح الأشقياء في النار في جهة السفل وكان يكشف له عنهما حتى ينظر إلى أهلهما، ولا يمتنع عرض تلك الأرواح على آدم ﷺ وإن كانت بعيدة عنه ،فقد عرض على النبي ﷺ الجنة والنار هو يصلي بالناس صلاة الكسوف في مسجده [4]. وهذا التوجيه ذكره جماعة كبيرة من شراح الأحاديث[5].

ويمكن أن تكون النسم المرئية هي التي لم تدخل الأجساد بعد، وهي مخلوقة قبل الأجساد، ومستقرها عن يمين آدم وشماله، وقد أعلم بما سيصيرون إليه؛ فلذلك كان يستبشر إذا نظر إلى من عن يمينه، ويحزن إذا نظر إلى من عن يساره. قاله الحافظ ابن حجر العسقلاني [6]، وذكره غير واحد من شراح الحديث [7].

ويمكن أن تكون هي الأرواح التي خرجت من الأجساد حين خروجها، قبل أن تكون مستقرة،ولا يلزم من رؤية آدم ﷺ لها، وهو في السماء الدنيا أن يفتح لها أبواب السماء،

---

(١) الحج الآية : ٣١

(٢) هذا حديث صحيح مشهور وقد سبق تخريجه في (ص : ١٣٥) .

(٣) انظر : شرح النووي على صحيح مسلم (٢١٩/٢)؛ وفتح الباري (٤٦١/١)؛وعمدة القاري (٤٣/٢-٤٤)؛ والتوشيح شرح الجامع الصحيح (٤٥٢/٢)؛ والديباج على صحيح مسلم بن الحجاج (٢٠٢/١)؛ وكوثر المعاني الدراري في كشف خبايا صحيح البخاري (٣٠٩/٦)؛ وفتح الملهم شرح صحيح مسلم (٢١٧/١) .

(٤) انظر الأحاديث المروية في ذلك عن عدد من الصحابة منهم : أم المؤمنين عائشة، وأسماء بنت أبي بكر، وجابر بن عبد الله، وابن عباس – رضي الله عنهم – عند الإمام مسلم في صحيحه (ك : الكسوف ٦١٨/٢-٦٢٧ ح : ٩٠١-٩٠٧) .

(٥) انظر : إكمال المعلم بفوائد مسلم (٥٠٣/١)؛ والكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري (٥/٤)؛ وإكمال إكمال المعلم (٣١٦/١-٣١٧)؛ ومكمل إكمال الإكمال (٣١٦/١)؛ وإرشاد الساري (٦/٢)؛ وروح المعاني (١٦٢/١٥)؛ والمصادر المذكورة في الهامش رقم : (٣) .

(٦) انظر : فتح الباري (٤٦١/١) .

(٧) انظر : عمدة القاري (٤٤/٢)؛ وفتح الملهم (٢١٧/١)؛ وكوثر المعاني الدراري (٣١٠/٦) .

وهذا آخر القولين للحافظ ابن حجر في المسألة [1]، وذكره غير واحد من شراح الحديث[2] .

وهذا القول يؤيده حديثان ضعيفان وهما :

١ - ما جاء في حديث أبي هريرة ﷺ مرفوعا : ((... فإذا هو بشيخ جالس تام الخلق لم ينقص من خلقه شيئا، كما ينقص من خلق البشر، عن يمينه باب يخرج منه ريح طيبة، وعن شماله باب يخرج منه ريح خبيثة، إذا نظر إلى الباب الذي عن يمينه ضحك، وإذا نظر إلى الباب الذي عن يساره بكى وحزن. فقال : يا جبريل من هذا الشيخ ؟ وما هذان البابان؟ فقال : هذا أبوك آدم، وهذا الباب الذي عن يمينه باب الجنة، وإذا رأى من يدخله من ذريته ضحك واستبشر، وإذا نظر إلى الباب الذي عن شماله باب جهنم، فإذا رأى من يدخله من ذريته بكى وحزن ... الحديث [3].

٢ - عن أبي سعيد الخدري ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال : ((... فإذا أنا بآدم كهيئة يوم خلقه الله على صورته، تعرض عليه أرواح ذريته المؤمنين فيقول : روح طيبة، ونفس طيبة، اجعلوها في عليين . ثم تعرض عليه أرواح ذريته الفجار، فيقول : روح خبيثة، ونفس خبيثة، اجعلوها في سجين ... الحديث [4].

وهذا التوجيه كان أحسن من جميع ما تقدم من الوجوه، وكان المصير إليه أولى وأوجب لو صح الحديث، والله أعلم بالصواب.

---

(١) انظر : فتح الباري (٢٠٩/٧-٢١٠) .

(٢) انظر : فتح الملهم (٢١٧/١)؛ وكوثر المعاني (٣٠٩/٦-٣١٠) .

(٣) أخرجه البزار كما في (كشف الأستار ٣٨/١-٤٥ ح : ٥٥) من طريق أبي جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية أو غيره عن أبي هريرة مرفوعا . قال البزار : (وهذا لا نعلمه يروى إلا بهذا الإسناد من هذا الوجه)، وقال الهيثمي في (مجمع الزوائد ٧٢/١) : (رواه البزار ورجاله موثقون إلا أن الربيع بن أنس قال عن أبي العالية أو غيره فتابعيه مجهول)، وبالإضافة إلى جهالة التابعي التي أشار إليه الهيثمي في هذا الإسناد كلام من وجه آخر؛ لأن فيه الربيع بن أنس البكري، وهو صدوق له أوهام، ولا سيما إذا روى عنه أبو جعفر الرازي، وهذا منه وأيضا أبو جعفر صدوق سيء الحفظ يهم كثيرا لا يحتج بما تفرد به، وأيضا في متن هذه الرواية في بعض ألفاظه غرابة ونكارة شديدة، كما أشار إليه الحافظ ابن كثير في تفسيره (٢١/٣)؛ وقد سبق الكلام عن هذا الإسناد في (ص : ٣٤١-٣٤٢).

(٤) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٣٩٠/٢-٣٩٦) وفي إسناده أبو هارون العبدي وهو عمارة بن جُوَيْن، شيعي متروك، وكذبه غير واحد من الأئمة كما ذكر الحافظ ابن حجر عنهم في (تهذيب التهذيب ٢٥٩/٤ برقم : ٥٥٧٢)، وضعف سنده في (فتح الباري ٤٦٢/١) .

المبحث الرابع : مناظرة آدم وموسى عليهما السلام .

فيه تمهيد وثلاثة مطالب .

التمهيد : بيان أهمية الإيمان بالقدر وذكر مراتبه .

أولا : **أهمية الإيمان بالقدر** : الإيمان بالقدر خيره وشره ركن من أركان الإيمان؛ فلا يكون الشخص مؤمنا إلا بالإيمان به . قال النبي ﷺ – حين سأله جبريل عن الإيمان – : ((أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره)) [1].

ثانيا : درجات القدر ومراتبه : القدر له أربع مراتب :

١ – العـــلم، فنؤمن بأن الله تعالى بكل شيء عليم أزلا وأبدا، فلا يتجدد له علم بعد جهـــل، ولا يلحقه نسيان بعد علم . قال تعالى : ﴿ إنما إلهكم الله الذي لا إله إلا هو وسع كل شي علما ﴾ [2].فهـــذه الآية تبين أن المستحق للعبادة هو الله سبحانه وحده لا شريك له الذي من صفاته أنه قد أحاط علمه بجميع الأشياء، فلا يخرج عن علمه شيء كائنا ما كان [3].

٢ – الكـــتابة، فنؤمن أن الله سبحانه كتب في اللوح المحفوظ كل ما هو كائن إلى يوم القيامة . قال تعالى : ﴿ ألم تعلم أن الله يعلم ما في السماء والأرض إن ذلك في كتاب إن ذلك على الله يسير ﴾[4]. فهذه الآية تدل دلالة واضحة على أن الله سبحانه وتعالى علمه محيط بكل ما في الســـماء والأرض، وأنه لا يخفى عليه منها خافية، من ظواهر الأمور وبواطنها، خفيها وجـــليها، مـــتقدمها ومتأخرها. وذلك العلم المحيط بما في السماء والأرض قد أثبته الله في كتاب، وهو اللوح المحفوظ، فالآية جمعت في الدلالة على المرتبتين : العلم والكتابة [5].

---

(١) جزء من حديث جبريل عليه السلام، أخرجه الشيخان، وقد سبق تخريجه في (ص : ٥٦) .

(٢) طه الآية : ٩٨

(٣) انظر : تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص : ٦٩٢، طه : ١٩٨) .

(٤) الحج الآية : ٧٠

(٥) انظر : تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص : ٧٤٢، الحج : ٧٠) .

٣- **المشيئة**، فنؤمن بأن الله قد شاء كل ما في السماوات والأرض، ولا يكون شيء إلا بمشيئته، ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن . قال تعالى : ﴿ ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم في ما آتاكم فاستبقوا الخيرات ﴾ (١) فلو شاء الله لجعلكم تبعا لشريعة واحدة، وكتاب واحد، ورسول واحد ولكنه سبحانه لم يشأ ذلك، ابتلاء واختبارا لكم، فكنتم على الحالة التي أنتم عليها، فمشيئة الله مطلقة، والنافذ هو ما يشاؤه- سبحانه- فهذا دليل على مرتبة المشيئة (٢).

٤ – **الخلق**، فنؤمن بأن الله خالق كل شيء . قال تعالى : ﴿ قال أتعبدون ما تنحتون * والله خلقكم وما تعملون ﴾ (٣) ؛ أي خلقكم وعملكم (٤).

المـــراتب الأربعة شاملة لما يكون من الله تعالى ولما يكون من العباد، فكل ما يقوم به العـــباد مـــن أقوال وأفعال أو تروك فهي معلومة لله تعالى ومكتوبة عنده، والله تعالى قد شاءها وخلقها والله أعلم بالصواب(٥) .

---

(١) المائدة الآية : ٤٨

(٢) انظر : فتح القدير (٤٨/٢ ، المائدة : ٤٨)؛ و تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص : ٢٨٥-٢٨٦) .

(٣) الصافات الآيتان : ٩٥-٩٦

(٤) انظر : زاد المسير (٧٠/٧، الصافات : ٩٥-٩٦)؛ وتفسير القرآن العظيم (١٣/٤) .

(٥) انظر : عقيدة أهل السنة والجماعة للعثيمين (ص : ٥٤)، [ضمن المجموعة العلمية في العلوم الشرعية، المجلد الأول من المجموعة الأولى]؛ والقول المفيد على كتاب التوحيد (٢٠٦/٣-٢٠٨) .

المطلب الأول : دلالة مناظرة موسى وآدم – عليهما السلام – على كتابة مقادير الخلائق قبل خلقهم .

الإيمان بالقدر خيره وشره ركن من أركان الإيمان، والقدر له مراتب ودرجات،كما سبق ذكره قريبا، ومن أهم تلك المراتب : الإيمان بكتابة الله مقادير الخلائق قبل خلقهم في اللوح المحفوظ، ومما يدل على أن الله سبحانه وتعالى كتب مقادير الخلائق قبل خلقهم المناظرة التي جرت بين آدم وموسى – عليهما السلام – كما أخبر بذلك النبي ﷺ .

فعن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : احتج آدم وموسى عليهما السلام عند ربهما، فحج آدم موسى قال موسى : أنت آدم الذي خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأسجد لك ملائكته، وأسكنك في جنته، ثم أهبطت الناس بخطيئتك إلى الأرض ؟ فقال آدم : أنت موسى الذي اصطفاك الله برسالته، وبكلامه، وأعطاك الألواح فيها تبيان كل شيء، وقربك نجيا، **فبكم وجدت الله كتب التوراة قبل أن أخلق ؟ قال موسى : بأربعين عاما . قال آدم : فهل وجدت فيها وعصى آدم ربه فغوى ؟ قال : نعم قال : أفتلومني على أن عملت عملا كتبه الله على أن أعمله قبل أن يخلقني بأربعين سنة ؟** قال رسول الله ﷺ : فحج آدم موسى [(1)].

٢ – وعن عمر بن الخطاب ﷺ مرفوعا إلى النبي ﷺ أن موسى قال : يا رب ! أرنا آدم الذي أخرجنا ونفسه من الجنة ، فأراه الله آدم ، فقال : أنت أبونا آدم ؟ فقال له آدم : نعم . قال : أنت الذي نفخ الله فيك من روحه، وعلمك الأسماء كلها، وأمر الملائكة فسجدوا لك قال نعم . قال : فما حملك على أن أخرجتنا ونفسك من الجنة ؟ فقال له آدم : ومن أنت ؟ قال : أنا موسى . قال : أنت نبي بني إسرائيل الذي كلمك الله من وراء الحجاب لم يجعل بينك وبينه رسولا من خلقه؟ قال : نعم . **قال : أ فما وجدت أن ذلك كان في كتاب الله قبل أن أخلق ؟ قال : نعم . قال : فبم تلومني في شيء سبق من الله تعالى فيه القضاء قبلي** . قال رسول الله ﷺ عند ذلك : فحج آدم موسى، فحج آدم موسى عليهما السلام [(2)] .

---

(١) حديث صحيح، أخرجه الشيخان، وقد سبق تخريجه في (ص : ٦٩).

(٢) إسناده حسن، وقد سبق تخريجه والحكم عليه في (ص :١٨٩).

٣-٥ : وكذلك هذا الحديث رواه عن النبي ﷺ أبو موسى الأشعري وجندب بن عبد الله البجلي وأبو سعيد الخدري وغيرهم من الصحابة – رضوان لله عليهم – بألفاظ متقاربة [١].

هذه الأحاديث النبوية الكريمة تدل على أن الله سبحانه وتعالى علم قبل أن يخلق آدم ﷺ أنه سيأكل من الشجرة المحرمة فكتب ذلك وقدره عليه ... ولذلك لما عاتبه كليم الله موسى ﷺ على إخراجه نفسه وذريته من الجنة بأكله من الشجرة المحرمة أجابه أبو البشر آدم ﷺ قائلا : أنت عبد من عباد الله المقربين، ونبي من أنبيائه، وقد أعطيت التوراة، وتعلم جيدا أن ذلك كان مقدورا علي، مكتوبا في كتاب الله، ومع ذلك تلومني على أن عملت عملا كتبه الله علي أن أعمله قبل أن يخلقني ؟ فقال النبي ﷺ : فحج آدم موسى؛ أي غلبه في إقامة الحجة عليه، والإجابة على معاتبته له .

والتقدير الذي أشار إليه آدم ﷺ بقوله لموسى ﷺ : ((أفتلومني على أن عملت عملا كتبه الله علي أن أعمله قبل أن يخلقني بأربعين سنة ؟)) فهذا تقدير بعد التقدير الأول العام [٢] السابق بخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة لقول النبي ﷺ : ((كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة)) [٣].

---

(١) **حديث أبي موسى الأشعري** ﷺ أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (٦٦/١ ح : ١٤٤)، والخطيب في تاريخه (ترجمة أحمد بن محمد بن مؤمل أبي بكر الصوري ، ١٠٣/٥ برقم : ٢٥٠٣). قال الألباني في تعليقه على السنة : (حديث صحيح، إسناده لا بأس به في الشواهد، رجاله ثقات غير أبي الحباب خالد بن الحباب البصري. قال ابن أبي حاتم الرازي عن أبيه " شيخ يكتب حديثه " وقال غيره : ليس بذاك) .

وحديث جندب بن عبد الله البجلي ﷺ أخرجه أبو يعلي في مسنده (٩٨/٣ ح : ١٥٢٨) و ابن أبي عاصم في السنة (٦٦/١ ح : ١٤) وغيرهما. قال الهيثمي في (مجمع الزوائد ٩١/٧) : (رواه أبو يعلى وأحمد بنحوه والطبراني، ورجالهم رجال الصحيح). وقال الألباني في تعليقه على السنة : (إسناده صحيح إن كان الحسن سمعه من جندب) وذكره مفصلا في السلسلة الأحاديث الصحيحة (٥٧٧/٢-٥٧٨ ح : ٩٠٩) .

وحديث أبي سيعد الخدري ﷺ، أخرجه أبو يعلي في مسنده (٤١٤/٢ ح : ١٢٠٤) موقوفا، وكذلك أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (٦٥/١ ح : ١٤٢) موقوفا ولكن قال الهيثمي في (مجمع الزوائد ٩١/٧) : (رواه أبو يعلى والبزار مرفوعا ورجالهما رجال الصحيح). وقال الألباني في تعليقه على السنة : (إسناده صحيح على شرط الشيخين، وهو موقوف في حكم المرفوع) .

(٢) انظر : شفاء العليل (ص : ١٣) .

(٣) جزء من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص – رضي الله عنهما –، أخرجه م (القدر، ب : حجاج آدم وموسى – عليهما السلام – ٢٠٤٤/٤ ح : ٢٦٥٣) .

المطلب الثاني : معنى قول النبي ﷺ : ((فحج آدم موسى)) عليهما السلام .

أخــبر النبي ﷺ أن المناظرة التي جرت بين آدم وموسى عليهما السلام حول أكل الأبوين مــن الشــجرة المحرمة في الجنة، وما ترتب على ذلك من خروجهما من الجنة، وحصول التعب والمشــقة لهما، ولذريتهما كانت الحجة فيها لآدم عليه السلام، وقد اختلفت آراء أهل العلم في توجيه حجة آدم على موسى على أقوال[1]، وفيما يلي ذكرها، وبيان الراجح منها، والله الموفق .

● قيــل : إنمــا حج آدم موسى عليهما السلام ؛لأنه أكبر منه وأقدم أو لأنه أبوه، فحجه كما يحج الرجل ابنه .

وهــذا التوجيه غير صحيح؛ لأن الحق يجب الأخذ به والمصير إليه والتعويل عليه سواء كان مع الكبير أو الصغير ، مع الأب أو الابن، مع العبد أو السيد ...وهو الذي به الفوز والفلاح والنجاة [2].

● وقيل : إن آدم حج موسى؛ لأن الذنب كان في شريعة، واللوم في شريعة أخرى.

وهذا التوجيه كالذي قبله؛ لأن أمة محمد ﷺ تلوم الأمم التي قبلها المخالفة لرسلها وإن كانت لم تجمعهم شريعة واحدة، ويقبل الله شهادة هذه الأمة على من قبلها من الأمم وإن كانوا من غير أهل شريعتهم [3].

فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : يجاء بنوح يوم القيامة،فيقال له: هــل بلغت ؟ فيقول : نعم يا رب . فتسأل أمته: هل بلغكم؟ فيقولون : ما جاءنا من نذير. فيقول : من شهودك ؟ فيقول : محمد وأمته. فيجاء بكم فتشهدون، ثم قرأ رسول الله ﷺ : ﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا ﴾ [4] [5].

---

(١) انظر الأقوال الآتية مع الإشارة إلى بطلانها ما عدا آخرها – في : مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٣٠٥/٨)؛ ومنهاج السنة (٧٩/٣-٨٠)؛ ودرء تعارض العقل والنقل (٤١٨/٨-٤١٩)؛ وتلخيص كتاب الاستغاثة (٧٥٦/٢-٧٥٧)؛ وشفاء العليل (ص : ١٤)؛ ودفع الشبهة والغرر عمن يحتج على فعل المعاصي بالقدر (ص : ٧٧-٧٩)؛ والبداية والنهاية (٨٤/١)؛ والقضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة (ص : ٤٢٠-٤٢٣) .

(٢) انظر : شفاء العليل (ص : ١٤) .

(٣) انظر : المصدر السابق نفسه .

(٤) البقرة الآية : ١٤٣

(٥) أخرجه خ (الاعتصام بالكتاب والسنة، ب : قوله تعالى : ﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطا ﴾ ٢٦٧٥/٦ ح : ٦٩١٧) .

● وقيـــل : إنما حج آدم موسى – عليهما السلام- لأنه لامه في غير دار التكليف، ولو لامه في دار التكليف لكانت الحجة لموسى عليه .

وهذا التوجيه فاسد لأمرين :

١ – أن آدم عليه السلام لم يقل له : إنك لمتني في غير دار التكليف، وإنما قال : ((أفتلومني على أن عملت عملا كتبه الله على أن أعمله قبل أن يخلقني بأربعين سنة؟)) .

٢– أن الله سبحانه وتعالى يلوم الملومين من عباده في غير دار التكليف، فيلومهم بعد الموت، ويلومهم يوم القيامة . قال تعالى : ﴿ ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا قالوا نعم فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين ﴾ [١] وقال تعالى عن أهل النار أنهم يقولون يوم القيامة : ﴿ ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون * قال اخسئوا فيها ولا تكلمون ﴾[٢] وقال تعالى عن فرعون وقومه : ﴿ يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار وبئس الورد المورود * وأتبعوا في هذه لعنة ويوم القيامة بئس الرفد المرفود ﴾[٣] والآيات الدالة على لوم الملومين في الآخرة وتنكيلهم كثيرة .

● وقيل : إنما حج آدم موسى لأنه كان قد تاب مما حصل منه، والتائب من الذنب كما لا ذنب له، فلا يجوز لومه .

وهذا التوجيه وإن كان أقرب مما قبله إلا أنه أيضا غير صحيح لما يلي [٤]:

١ – أن آدم عليه السلام لم يذكر ذلك في جوابه، ولا جعله حجة على موسى عليه السلام ، ولم يقل : أتلومني على ذنب قد تبت منه .

٢ – أن موســـى عليه السلام أعرف بالله سبحانه وبأمره ودينه من أن يلوم على ذنب قد أخـــبر الله سبحانه وتعالى أنه قد تاب على فاعله وهداه واجتباه؛ فإن هذا لا يجوز لآحاد المؤمنين أن يفعله فضلا عن كليم الله موسى عليه السلام .

٣ – أن هذا يستلزم منه إلغاء ما علق به النبي ﷺ وجه الحجة، واعتبار ما ألغاه، فلا يلتفت إليه .

---

(١) الأعراف الآية : ٤٤

(٢) المؤمنون الآيتان : ١٠٧-١٠٨

(٣) هود الآيتان : ٩٨-٩٩

(٤) انظر : شفاء العليل (ص : ١٤ و١٧) .

● وقيـــل : إنما حجه؛ لأن آدم شهد الحكم وجريانه على الخليقة، وتفرد الرب سبحانه وتعـــالى بربوبيـــته، وقالوا : إن مشاهدة العبد الحكم لا يدع له استقباح سيئة؛ لأنه شهد نفسه عدما محضا،قالوا : ومن شهد هذا المشهد سقط عنه اللوم، وهذا قول بعض الصوفية [1].

وهذا التوجيه من أفسد التوجيهات للحديث قال ابن القيم : (وهذا المسلك أبطل مسلك ســـلك في هذا الحديث ... فإن هذا المسلك لو صح لبطلت الديانات جملة، وكان القدر حجة لكـــل مشرك وكافر وظالم، ولم يبق للحدود معنى، ولا يلام جان على جنايته، ولا ظالم على ظلمه، ولا ينكر منكر أبدا...) [2] وسيأتي ذكر وجوه أخرى تدل على بطلان هذا المسلك .

● **والصـــواب** : إن موسى عليه السلام لام أبا البشر آدم عليه السلام من أجل المصيبة التي نالت الذرية بخـــروجهم مـــن الجنة ونزولهم إلى دار الابتلاء والمحنة بسبب خطيئة أبيهم آدم عليه السلام، ولهذا قال : ((أخرجتنا ونفسك من الجنة))، وآدم عليه السلام احتج بالقدر على المصيبة وقال: إن هذه المصيبة التي نالت الذرية بسبب خطيئتي كانت مكتوبة في القدر قبل خلقي، فكان احتجاجه بالقدر على المصيبة دون المعصـــية، **والعبد المؤمن** مأمور أن يرجع إلى القدر عند المصائب، لا عند الذنوب والمعاصي، ومـــأمور بالصبر على المصائب والاستغفار من المعاصي. قال تعالى : ﴿فاصبر إن وعد الله حق واستغفر لذنبك﴾ [3] وقال تعالى : ﴿ ما أصاب من مصيبة إلا بإذن الله ومن يؤمن بالله يهد قلبه والله بكل شيء عليم ﴾ [4] .

وآدم عليه السلام لما وقع في مخالفة الأمر الإلهي ندم وتاب إلى الله من ذنبه واستغفر، وعلم أن ذلك بقضـــاء الله وقدره، فصبر على ما أصابه ورضي بما قضي له؛ لذلك قال النبي ﷺ : ((فحج آدم موسى))؛ لأن الإيمان بالقدر والرضا بما قدر له غاية الإيمان وكماله، والله أعلم بالصواب [5] .

---

(١) انظر : المصدر السابق نفسه؛ ومنهاج السنة النبوية (٣/ ٢٤)؛ وتلخيص كتاب الاستغاثة (٢/ ٧٤٠) .

(٢) شفاء العليل (ص : ١٤) .

(٣) غافر الآية : ٥٥

(٤) التغابن الآية : ١١

(٥) انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٢/١٠٨-١٠٩ ، ٣٢٥-٣٢٦ و ٨/١٠٨ ، ١٧٨ و ١٧/٩٦-٩٧)؛ ومنهاج السنة (٣/٨٠ ، ٨٣)؛ ودرء تعارض العقل والنقل (٨/٤١٩)؛ وتلخيص كتاب الاستغاثة (٢/٧٥٨-٧٥٩)؛ واقتضاء الصراط المستقيم (٢/٣٨٩-٣٩٠)؛ وشفاء العليل (ص : ١٧-١٨)؛ والبداية والنهاية (١/٨٤-٨٥)؛ وشرح العقيدة الطحاوية (ص : ١٣٦)؛ ولطـــائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف (ص : ٦٨)؛ وإيثار الحق على الخلق (ص : ٢٨٠-٢٨١)؛ ودفع الشبهة والغرر عمن يحتج على فعل المعاصي بالقدر (ص : ٧٨-٨٠)؛ والتكليف في ضوء القضاء والقدر (ص : ١٨٧-١٨٨).

المطلب الثالث : موقف الطوائف من مناظرة آدم وموسى عليهما السلام .

إن المناظرة التي جرت بين آدم وموسى عليهما السلام حول أكل الأبوين من الشجرة المحرمة وخروجهما من الجنة اختلفت أقوال الناس فيها ووقفوا منها مواقف متباينة، وفيما يلي ذكر تلك المواقف والأقوال مع بيان الراجح منها والله الموفق .

أولا : موقف الصوفية الإباحية الجبرية [1] : فهم جعلوا هذه المناظرة عمدة في سقوط الملام عن المخالفين لأمر الله ورسوله، فيحتجون بالقدر على فعل المعاصي وترك الواجبات، ويزعمون أن آدم عليه السلام احتج بالقدر على ما وقع منه من مخالفة الأمر الإلهي بالأكل من الشجرة المحرمة في الجنة .

وهذا الموقف من أفسد مواقف الناس تجاه هذا الحديث النبوي العظيم؛ فإن هذه المناظرة تدل على إثبات القدر ولكنها لا تمنح العاصي حجة على فعل المعاصي وترك الواجبات، كما توهمه القوم؛ إذ لا شك أن الاحتجاج بالقدر على مقارفة المعاصي والمنكرات والاستمرار عليها من أبطل الباطل، وبيان ذلك بما يلي :

١ - إن آدم عليه السلام لم يحتج بالقدر على المعصية، وإنما احتج به على المصيبة التي أصابته وذريته، فهو أجل من أن يحتج بالقدر على المعاصي [2].

٢ - إن آدم عليه السلام لما وقع في مخالفة الأمر الإلهي بأكله من الشجرة المحرمة ندم على فعله، وتاب إلى ربه وطلب المغفرة والرحمة منه سبحانه وتعالى. فهذا يدل على أن القدر ليس بحجة على المعصية عند آدم عليه السلام؛ إذ لو كان الأمر كذلك لم يكن هناك حاجة تدعوه إلى الندم

---

(١) ذكره عنهم غير واحد من أهل العلم . انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١٧٩/٨)؛ ومنهاج السنة النبوية (٢٤/٣)؛ وتلخيص كتاب الاستغاثة (٧٤٠/٢)؛ وشفاء العليل (ص : ١٤)؛ والبداية والنهاية (٨٤/١)؛ ودفع الشبهة والغرر عمن يحتج على فعل المعاصي بالقدر (ص : ٧٦)؛ والتكليف في ضوء القضاء والقدر (ص : ١٨٧) .

(٢) انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١٠٨/٨، ٣٢١ ، ٤٥٤ و ١٦٠/١٠ و ٩٨/١٧)؛ ومنهاج السنة النبوية (٨٠/٣-٨١)، ودرء تعارض العقل والنقل (٤١٩/٨)؛ واقتضاء الصراط المستقيم (٣٩٠/٢) وتلخيص كتاب الاستغاثة (٧٥٧/٢-٧٥٨)؛ وشرح العقيدة الطحاوية (ص : ١٣٦) .

والبكاء[1] والتضرع والدعاء والتوبة والاسترحام والاستغفار بل كان يكفيه القدر حجة وعذرا[2].

٣ - إن موسى عليه السلام ما لام آدم عليه السلام على المعصية؛ وإنما لامه على المصيبة التي وقع فيها بنوه؛ لأن آدم عليه السلام كان قد تاب إلى الله سبحانه وتعالى مما صدر منه، والله سبحانه وتعالى كان قد غفر له. قال تعالى: ﴿ ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى ﴾[3].

وموسى عليه السلام أجل من أن يلوم أحدا على معصية تاب منها فاعلها، فضلا أن يلوم أبا البشر آدم عليه السلام، مع علمه أن الله تعالى قد تاب عليه، وغفر له، واختاره نبيا[4].

٤ - لو أن موسى عليه السلام لام آدم عليه السلام على المعصية لأجابه آدم عليه السلام: إنني أذنبت فتبت وتاب الله علي، وأنت أيضا يا موسى! قتلت رجلا لم تؤمر بقتله ولكن آدم عليه السلام لم يجب بذلك فدل على أن لوم موسى عليه السلام لم يكن لأجل المعصية، وإنما كان لأجل المصيبة[5].

٥ - إن موسى عليه السلام نفسه قتل رجلا غير مأمور بقتله، ثم تاب إلى الله سبحانه وتعالى وتاب الله عليه. قال تعالى مخبرا عن ذلك: ﴿ ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه فوكزه موسى فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان إنه عدو مضل مبين * قال رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له إنه هو الغفور الرحيم * قال رب بما أنعمت علي فلن أكون ظهيرا للمجرمين ﴾[6].

---

(١) أخرج الطبراني في (الأوسط ١/٥١ ح: ١٤٣) من حديث بريدة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: لو أن بكاء داود عليه السلام وبكاء جميع أهل الأرض يعدل ببكاء آدم ما عدله. قال الهيثمي في (مجمع الزوائد ٨/١٩٨): (رواه الطبراني في الأوسط ورجاله ثقات).

(٢) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٢/٣٢٥ و ٨/٣٢٢ و ١١/٢٥٩ و ١٧/٩٨)؛ وتلخيص كتاب الاستغاثة (٢/٧٥٧-٧٥٨)؛ ومجموعة الرسائل والمسائل (١/١٠٤)؛ وإيثار الحق على الخلق (ص: ٢٨٠-٢٨١).

(٣) طه الآية: ١٢٢

(٤) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٨/١٠٨، ٣٢١، ٤٥٤)؛ ومنهاج السنة النبوية (٣/٨١)؛ وتلخيص كتاب الاستغاثة (٢/٧٥٧-٧٥٨)؛ ومجموعة الرسائل والمسائل (١/١٠٤)؛ والبداية والنهاية (١/٨٥)؛ وشرح العقيدة الطحاوية (ص: ١٣٦).

(٥) انظر: منهاج السنة النبوية (٣/٨١).

(٦) القصص الآيات: ١٥-١٧

فمـــن المستبعد أن يلوم موسى عليه السلام أبا البشر آدم عليه السلام على معصية حصلت منه، وهو نفسه قد ذاق مرارة المعصية، وحلاوة التوبة إلى الله سبحانه، وعلم بسعة رحمة الله سبحانه وتعالى ومغفرته له [(١)].

٦ - إن الذيـــن حصلت منهم الذنوب والمعاصي من بني آدم في زمن موسى عليه السلام وقبله كثيرون جدا، بل منهم من هو جرمه أشد وأغلظ وأنكى بدرجات كثيرة مما حصل مـــن آدم عليه السلام من المعصية بالأكل من الشجرة، فتخصيص موسى عليه السلام آدم عليه السلام باللوم دون غيره من الناس يدل على أن اللوم لم يكن لذنبه، وإنما كان لأجل المصيبة التي حصلت لهم بذنبه، وإلا لا يبقى وجه لتخصيصه آدم عليه السلام باللوم دون الآخرين [(٢)].

٧ - جاء في الحديث أن موسى عليه السلام قال : ((يا رب ! أرنا آدم الذي أخرجنا ونفسه من الجنة ... وقال : فما حملك على أن أخرجتنا ونفسك من الجنة ؟)) فهذا يدل على أنه لم يكن لام أبا البشر آدم عليه السلام على أكله من الشجرة المحرمة؛ إذ لو كان الأمر كذلك لقال له : لماذا خالفت أمر الله ؟ ولماذا عصيت الله بالأكل من الشجرة، ولماذا أكلت من الشجرة وقد نهاك الله عنها؟ ونحو ذلك من الألفاظ، ولكنه لامه على المصيبة التي حصلت لبني آدم بعد خروجه من الجنة بسبب أكله من الشجرة؛ ولذلك قال :((ما حملك على أن أخرجتنا ونفسك من الجنة ؟)) [(٣)].

٨ - إن آدم عليه السلام لمـــا ذكر لموسى عليه السلام أن هذه المصيبة التي ابتلينا بها كانت مقدرة علينـــا، والله ســـبحانه وتعالى قضى بها علينا قبل أن يخلقنا، وأن ذلك حصل بقضاء من الله وقـــدره استسلم له موسى عليه السلام وسكت ولم يتكلم، فلو كان آدم عليه السلام احتج بالقدر على ذنبه لم يكن موسى عليه السلام ليسلم له هذا الباطل، ويقبل منه، ويقره عليه، ويسكت عنه [(٤)].

٩ - وكذلـــك النبي ﷺ قضي أن الحجة والغلبة في المناظرة كانت لآدم عليه السلام على

---

(١) انظـــر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٨/٣٢١ ، ٤٥٤ و ١٧/٩٨)؛ ومنهاج السنة (٣/٨١)؛ وتلخيص كتاب الاستغاثة (٢/٧٥٧)؛ والبداية والنهاية (١/٨٥) .

(٢) انظر : منهاج السنة النبوية (٣/٨١) .

(٣) انظـــر : مجمـــوع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٢/٣٢٥ و ٨/١٧٨، ٣١٩ و ١٠/١٦٠و ١١/٢٥٩)؛ ومنهاج السنة النبوية (٣/٨٠)؛ وتلخيص كتاب الاستغاثة (٢/٧٥٨)؛ وابن رجب الحنبلي وأثره في توضيح العقيدة (٢/٦٤٤)؛ والتكليف في ضوء القضاء والقدر (ص : ١٨٧-١٨٨) .

(٤) انظـــر : مجمـــوع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٨/١٠٨و ١٧/٩٨)؛ ومنهاج السنة النبوية (٣/٨١)؛ ومجموعة الرسائل والمسائل (١/١٠٤) .

موسى عليه السلام؛ فلو كان آدم عليه السلام احتج بالقدر على ذنبه، لم يكن النبي ﷺ ليقضي له بالحجة والغلبة في هذه المناظرة.

١٠ - إن هؤلاء نظروا إلى قصة آدم عليه السلام من طرف واحد بعين عوراء، فإنهم رأوا أن آدم عليه السلام قد وقع في المعصية، وأن ذلك كان بقضاء من الله وقدره عليه، وهذا حق وصواب، ولكنهم لم ينظروا إلى أن آدم عليه السلام تاب إلى الله تعالى بعد وقوعه في المعصية مباشرة، وطلب منه سبحانه وتعالى المغفرة والرحمة، وأن الله سبحانه وتعالى عفا عنه، واختاره نبيا، فهذا كله أيضا كان بقضاء من الله وقدره سبحانه وتعالى. فلماذا الاحتجاج بقصة آدم عليه السلام على المعصية مع الإصرار عليها؟ ولماذا لا يقلعون عنها ويتوبون منها كما فعل آدم عليه السلام ؟[1].

١١ - إن القدر سر مكتوم لا يعلمه أحد من الخلق إلا بعد وقوعه، فدعوى أن الله قدر عليه كذا وكذا باطل؛ لأنه ادعاء لعلم الغيب، والغيب لا يعلمه إلا الله؛ فإصراره على المعاصي واحتجاجه بالقدر إنما هو اتباع للهوى من غير علم ولا هدى [2].

١٢ - إن هذا القول يلزم منه لوازم باطلة شرعا وعقلا [3]، منها:

● إن هذا القول يلزم منه تعطيل الشريعة وإبطال أوامرها ونواهيها.

● إن هذا القول يلزم منه التسوية بين العصاة والمطيعين، وبين الكفار والمؤمنين، وبين الجبابرة والفراعنة وبين الأنبياء والمرسلين.

● إن هذا القول يلزم منه حصول الشر والفساد، ويلزم منه تعطيل مصالح الناس ومنافعهم لأنه لا يمكن على هذا القول منع ظالم من ظلمه أو سارق من سرقته، أو معتد من عدوانه، أو مسيء من إساءته؛ لأنه كلما أخذنا واحدا منهم، وأردنا تعزيره وإقامة الحد عليه؛ ليكون رادعا له، وعبرة لغيره، سيحتج بالقدر، فلو ترك لذلك حصل من الشر والفساد ما لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى.

---

(١) انظر: منهاج السنة النبوية (٣/٢٦-٢٧).

(٢) انظر: الإيمان بالقضاء والقدر (ص: ٨٢).

(٣) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٢/١٠٨، ٣٢٣-٣٢٥ و ٨/١٠٨، ١٧٩-١٨٠)؛ واقتضاء الصراط المستقيم (٢/٣٩٠-٣٩١)؛ ومنهاج السنة (٣/٢٣-٢٥)؛ وتلخيص كتاب الاستغاثة (٢/٧٥٨)؛ ومجموعة الرسائل والمسائل (١/١٠٤)؛ والبداية والنهاية (١/٨٥)؛ والتكليف في ضوء القضاء والقدر (ص: ١٨٠-١٨٢)؛ والإيمان بالقضاء والقدر (ص: ٨٢-٨٣).

١٣ – إن هـــذا القول باطل عقلا وشرعا وفطرة : وقد بين ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية فما أحسن بيانه! وذلك في معرض رده على الذين يحتجون بالقدر على هواهم فقال : (ليس في القدر حجة لابن آدم ولا عذر، بل القدر يؤمن به، ولا يحتج به، والمحتج بالقدر فاســد العقل والدين، متناقض؛ فإن القدر إن كان حجة وعذرا لزم أن لا يلام أحد؛ ولا يعــاقب، ولا يقتص منه، وحينئذ فهذا المحتج بالقدر يلزمه إذا ظلم في نفسه وماله وعرضه وحرمته – أن لا ينتصر من الظالم، ولا يغضب عليه، ولا يذمه؛ وهذا أمر ممتنع في الطبيعة، لا يمكن أحد أن يفعله، فهو ممتنع طبعا، محرم شرعا.

ولو كان القدر حجة وعذرا لم يكن إبليس ملوما، ولا معاقبا، ولا فرعون وقوم نوح وعاد وثمــود وغيرهــم مــن الكفار، ولا كان جهاد الكفار جائزا، ولا إقامة الحدود جائزا، ولا قطع السارق، ولا جلد الزاني، ولا رجمه، ولا قتل القاتل، ولا عقوبة معتد بوجه من الوجوه)[(١)] .

١٤ – ولو سلم على سبيل الفرض أن آدم عليه السلام احتج بالقدر على المعصية، فهذه حالة خاصــة، لا يمكن تعميمها لجميع الأحوال ؛ فإن هذه المناظرة وقعت بين آدم وموسى عليهما الســلام بعد أن تاب آدم عليه السلام إلى الله تعالى، وبعد أن تاب الله عليه ، فحسن منه أن يقول ذلك في هذه الحالة الخاصة. فلو وقع شخص في معصية ما، ثم تاب منها إلى الله توبة نصوحا، واســتغفر منها، وأقلع عنها، وأصلح ما أفسد، وعزم على عدم العودة إليها، وإن كانت تلك المعصــية ذات عقوبة عاجلة تحملها، وبعد ذلك كله إن عيره أحد بتلك المعصية فله في هذه الحالــة الخاصة أن يحتج بالقدر ويقول : كان ذلك بقضاء الله وقدره. وأما تعميم هذه الحالة الخاصــة مــع الإصــرار عــلى المخالفات الشرعية، وعدم التوبة منها،وعدم الإقلاع عنها، والاحتجاج عليها بالقدر فإنه باطل باطل ،ولا يفعله إلا جاهل أو معاند متبع لهواه[(٢)].

قــال العلامــة ابن القيم : (إذا أذنب الرجل ذنبا، ثم تاب منه توبة، وزال أمره حتى كأن لم يكن، فأنبه مؤنب عليه ولامه، حسن منه أن يحتج بالقدر بعد ذلك، ويقول : هذا أمر كان قد قُدِّر عــليَّ قــبل أن أخــلق. فإنه لم يدفع بالقدر حقا، ولا ذكره حجة له على باطل، ولا محذور في الاحتجاج به، وأما الموضع الذي يضر الاحتجاج به ففي الحال والمستقبل، بأن يرتكب فعلا محرما،

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٣٢٣/٢) .

(٢) انظر : التمهيد (١٢/١٨)؛ وفتح الباري (٥١٠/١١) .

أو يـــترك واجبا، فيلومه عليه لائم، فيحتج بالقدر على إقامته عليه وإصراره، فيبطل بالاحتجاج به حقا، ويرتكب باطلا، كما احتج به المصرون على شركهم وعبادهم غير الله) [1] .

يتـــبين مما سبق أن دعوى من زعم أن موسى عليه السلام لام آدم عليه السلام على معصيته أو أن آدم عليه السلام احـــتج على معصيته بالقدر باطلة، فمن احتج بهذه المناظرة أو غيرها من النصوص الشـــرعية الدالـــة على القدر، على مخالفة الأوامر الشرعية ونواهيها فهو إما جاهل وإما معاند متبع لهواه ، ودعواه باطلة، وحجته داحضة، لأنها تتناقض مع مقتضى الفطرة، وبداهة العقول، وتتعارض مع مقاصد الشريعة، ومصالح الناس في دينهم ودنياهم، والله أعلم بالصواب .

ثانيا : موقف المعتزلة القدرية [2]: ذهب أبو علي الجبائي وغيره من المعتزلة إلى إنكار هذا الحديث ورده، وزعموا أنه حديث باطل مكذوب مختلق على رسول الله ﷺ؛ لأن فيه دعوة إلى الإباحية المطلقة والتحلل العام عن طريق الاحتجاج بالقدر السابق؛ لأن القدر إذا كان عذرا وحجة لآدم يكون عذرا وحجة لكل كافر وفاسق وعاص من ذريته، ومن لامه وأنكـــر عـــليه يكون محجوجا بالقدر، كما حج آدم عليه السلام موسى عليه السلام، وهذا خلاف ما جاءت به الرسل، فيجب تتريه النبي ﷺ وتتريه جميع الأنبياء أن يجعلوا القدر حجة لمن عصى الله ورسوله، فمثل هذا الحديث لا يمكن أن يخرج من مشكاة النبوة، ولا يمكن أن يقول به النبي ﷺ الذي نهى عن كل باطل وشر وفساد، ودعا إلى كل هدى وخير ونور.

ولا شك أن الاستدلال بالقدر على المعاصي والذنوب باطل، وأنه يجب تتريه جميع الأنبياء مـــن أن يجعـــلوا القـــدر حجـــة للمعاصي ولكن هذا الحديث لا يدل على جعل القدر حجة للمعاصي، كما فهمه فريق الاعتزال فردوه، زاعمين عدم صحته إلى النبي ﷺ ، بل هو حديث صحيح ثابت عن النبي ﷺ، فما ذهب إليه هؤلاء باطل، وبيان ذلك بما يلي من الوجوه :

---

(١) شفاء العليل (ص : ١٨) .

(٢) انظر : فرق وطبقات المعتزلة للقاضي عبد الجبار (٨٧/١)؛ وانظر أيضا : مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٣٠٤/٨)؛ ومـــنهاج السنة النبوية (٧٩/٣)؛ ودرء تعارض العقل والنقل (٤١٨/٨)؛ وتلخيص كتاب الاستغاثة (٧٣٩/٢)؛ شفاء العليل (ص : ١٣)؛ والبداية والنهاية (٨٤/١)؛ وشرح العقيدة الطحاوية (ص : ١٣٦)؛ وفتح الـــباري (٥١٠/١١)؛ ودفـــع الشـــبهة والغرر عمن يحتج على فعل المعاصي بالقدر (ص : ٧٧)؛ وأوجز المسالك (٩٤/١٤-٩٥)؛ والمعتزلة (ص : ٩٨)؛ والتكليف في ضوء القضاء والقدر (ص : ١٨٦) .

١ – إن هذا الحديث لم ينتقده أحد من أئمة هذا الشأن بل اتفق كبار أئمة الحديث وجهابذة النقاد على قبولـه والتسليم له، منهم الشيخان : البخاري ومسلم، فقد أخرجاه في صـحيحيهما، وقـد أجمع علماء المسلمين على صحتهما؛ لجلالتهما في هذا الشأن، وتقدمهما في تمييز الصحيح على غيرهما، وتلقي العلماء لكتابيهما بالقبول [١].

٢ – إن هـذا الحديث ثابت عن النبي ﷺ من وجوه كثيرة؛ فقد رواه عن النبي ﷺ جماعـة من الصحابة، منهم أبو هريرة وعمر بن الخطاب وأبو سعيد الخدري وجندب بن عـبد الله وأبو موسى الأشعري – رضي الله عنهم – كما سبق ذكرها، وكذلك روي مثله عن ابن عمر مرفوعا[٢] وعن ابن عباس موقوفا [٣].

٣ – إن هـذا الحديث رواه عن الصحابة جماعة كبيرة من التابعين فمن بعدهم حتى قـال ابن كثير عن حديث أبي هريرة ﷺ : (إنه متواتر عن أبي هريرة ﷺ) [٤]فكيف به إذا ضمت إليه الطرق الأخرى المروية عن غيره من الصحابة، التي ذكرها المحدثون الكبار في كتبهم المصنفة في الحديث والتفسير وشروح الأحاديث وغيرها [٥].

٤ – إن الذيـن حاولوا الطعن في هذا الحديث النبوي العظيم ليسوا من أهله، والمختصين به بل هم من أجهل الناس بالسنة النبوية ومكانتها ومنزلتها، المعروفون بعداوتهم لها ولأهلها.

قال الإمام ابن القيم : (هذا من ضلال فريق الاعتزال وجهلهم بالله ورسوله وسنته، فـإن هذا حديث صحيح، متفق على صحته، لم تزل الأمة تتلقاه بالقبول من عهد نبيها، قرنا بعد قرن، وتقابله بالتصديق والتسليم، ورواه أهل الحديث في كتبهم، وشهدوا به على رسـول الله ﷺ أنه قاله، وحكموا بصحته، فما لأجهل الناس بالسنة ومن عرف بعداوتها وعداوة حملتها ... وهذا الشأن) [٦].

---

(١) انظر : تدريب الراوي (١/١٣١-١٣٣) .

(٢) ذكره عنه السيوطي في الدر المنثور (١/١٣٤) وأحال إلى ابن النجار .

(٣) أخرجه عنه ابن جرير الطبري في تفسيره (٩/٥٧) بإسناده إليه وهو إسناد ضعيف جدا، وسيأتي الكلام عليه بالتفصيل في (ص : ٧٩٤) .

(٤) البداية والنهاية (١/٨٥) .

(٥) انظر : شرح النووي على صحيح مسلم (١٦/٢٠١-٢٠٢) .

(٦) شفاء العليل (ص : ١٣) .

فمـــن كان هذا شأنه لا يقبل كلامه في الحديث النبوي، ولا سيما في مقابل كلام الأئمة النقاد وجهابذة الحديث المختصين به، وفي مقابل إجماع الأمة على قبوله منذ قرونها الأولى وعصورها الذهبية .

٥ – إن مـــا علـــلوا به لردهم هذا الحديث النبوي يدل على قصور عقلهم وسوء فهمهم له؛ إذ ليس فيه دلالة على الاحتجاج بالقدر على المعاصي والذنوب؛ فإن آدم عليه السلام لم يحـــتج بالقدر على ذنبه، وكذلك موسى عليه السلام ما لامه على أكله من الشجرة المحرمة، وإنمـــا احـــتج آدم عليه السلام بالقدر على المصيبة التي حصلت له ولذريته، وموسى عليه السلام أيضا كـــان لامه لأجل المصيبة التي لحقت بني آدم بسبب خروج أبيهم آدم عليه السلام من الجنة بعد أكله من الشجرة، وقد تقدم تقرير ذلك من عدة وجوه فيما مضى من السطور قريبا.

٦– هذا الحديث فيه إثبات للقدر، والمعتزلة لا يقولون به فإنكارهم لهذا الحديث من باب إنكار القدر، بناء على مذهبهم الفاسد .

وقـــد تبين مما سبق أن هذا الحديث النبوي الكريم صحيح ثابت عن النبي ﷺ، وأن الأمـــة قد اتفقت على قبوله والإيمان به والتسليم له منذ عصر الصحابة والقرون الفضيلة؛ وأنـــه لا يدل على الاحتجاج بالقدر على المعاصي والذنوب والاستمرار عليه؛ فلا يصح رده والطعن فيه بل يجب قبوله، والإيمان به، والعمل بمقتضاه، والله أعلم بالصواب .

ثالثا : موقف السلف الصالح : لقد سلك السلف الصالح تجاه هذا الحديث كما هو معـــلوم من منهجهم مع النصوص الشرعية الصحيحة من الإيمان والتصديق ... فهم آمنوا بهذا الحديث، وبما دل عليه من غير إفراط أو تفريط، وفيما يلي الإشارة إلى ذلك .

● **اتفـــاقهم على صحة هذا الحديث عن النبي ﷺ وإيمانهم به وتصديقهم له** : قال الإمام ابن القيم : (إن هذا حديث صحيح، متفق على صحته، لم تزل الأمة تتلقاه بالقبول من عهد نبيها، قرنا بعد قرن، وتقابله بالتصديق والتسليم، ورواه أهل الحديث في كتبهم، وشهدوا به على رسول الله ﷺ أنه قاله، وحكموا بصحته) [١].

● **إيمـــانهم بدلالة الحديث** : لقد اتفق السلف الصالح على إيمانهم وتصديقهم بما دل

---

(١) شفاء العليل (ص : ١٣) .

عـــليه هذا الحديث من أن الله سبحانه وتعالى قدر بعلمه وحكمته مقادير الخلائق قبل أن يخلقهم، ويَسَّرَهم جميعا لما خلقوا له، وجعلها مخفية عنهم .قال الإمام ابن عبد البر عن هذا الحديـــث : (وفيه الأصل الجسيم الذي أجمع عليه أهل الحق، وهو أن الله عز وجل قد فرغ من أعمال العباد فكل يجري فيما قدر له وسبق في علم الله تبارك اسمه) (١).

فهـــم يرون أن أكل آدم عليه السلام من الشجرة المحرمة، وخروجه من الجنة، ووقوعه وذريته في المشقة، وتوفيق الله له بالتوبة والاستغفار، وتوبته عليه، وهدايته له، واختياره نبيا كل ذلك كان بقضاء من الله وقدره، كما سبق به علمه سبحانه وتعالى، وكتبه في اللوح المحفوظ (٢).

● **التوســـط وعـــدم الإفراط والتفريط** : إنهم لا ينكرون هذا الحديث وغيره من النصوص الشرعية الدالة على القدر، كما فعلت القدرية النفاة، ولا يرون النصوص الدالة عـــلى القـــدر عذرا وحجة للاستمرار على فعل المعاصي وترك الواجبات، ولا ينفون عن العبد إرادته وقدرته واختياره للفعل،كما فعلت الإباحية الجبرية ولكنهم وقفوا موقفا وسطا مـــن هـــذه النصوص من غير إفراط ولا تفريط، فآمنوا بالقدر، وأثبتوا للعبد إرادة وقدرة واخـــتيارا عـــلى فعله، إلا أن قدرة العبد وإرادته واختياره لا يخرج عما قدره الله وأراده إرادة عامة فلا يقع في ملكه تعالى إلا ما يشاء سبحانه (٣).

● **وكذلك يرون الرجوع إلى القدر عند المصائب** لا على فعل المعاصي والذنوب، فهـــم يـــرون أن آدم عليه السلام كان احتج بالقدر على المصيبة، لا على المعصية، وكذلك لوم موسى عليه السلام كان من أجل المصيبة دون المعصية، وأن الحديث ليس فيه ما يدل على فعل المعاصي والمنكرات، وترك الفرائض والواجبات احتجاجا بالقدر، بل فيه حث على الصبر عند المصائب والرضا بالقدر، ودعوة إلى الإقلاع عن المعاصي، والاستغفار والتوبة إلى الله سبحانه، ودعوة إلى المحافظة على أداء الواجبات وفعل الطاعات(٤) .

نقـــل شـــيخ الإسلام ابن تيمية عن بعض السلف أنه قال : (اثنان أذنبا ذنبا؛ آدم

---

(١) التمهيد (١٨/١٥) .

(٢) انظر : الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية [المختار من الإبانة : القدر] (١/١٩٥) .

(٣) انظر : وسطية أهل السنة بين الفرق (ص : ٣٧٣-٣٧٦) .

(٤) انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٨/١٠٨-١٠٩ و ٨/١٠٧-١٠٨) .

وإبليس فآدم تاب فتاب الله عليه واجتباه، وإبليس أصر على معصيته واحتج بالقدر فلعن وطرد، فمن تاب من ذنبه أشبه أباه آدم، ومن أصر واحتج بالقدر أشبه إبليس) [(١)].

فالـــرجوع إلى القدر عند المصائب من سنن الأنبياء والمرسلين، وأما الاستمرار على المعاصي والاحتجاج لها بالقدر فمن سنة إبليس اللعين ومن هو على طريقته وشاكلته، والله أعلم بالصواب .

● **ردهم بالحديث على من جانب الصواب في المسألة** : قال ابن عبد البر : (هذا الحديـــث مـــن أوضح ما روي عن النبي ﷺ في إثبات القدر، ودفع قول القدرية، وبالله التوفيق والعصمة) [(٢)].

● **عـــدم الخوض في كيفية حصول هذه المناظرة** بين آدم وموسى عليهما السلام : لا شـــك أن هـــذه المـــناظرة التي أخبرنا عنها رسول الله ﷺ أمر من أمور الغيب لنا، ولا يمكن للعقول البشرية الخوض فيها على وجه الصواب، ولذلك وقف السلف من هذه المناظرة، كما هو دأبهم من جميع الأمور المغيبة الوارد ذكرها في كتاب الله أو سنة رسول الله ﷺ – موقف التسليم والتصديق والإيمان، فلم يخوضوا في بيان كيفية حصول المناظرة وتحديد صفاتها .

قال القاضي أبو يعلى الحنبلي : (والله إنا لعاجزون كالُّون حائرون باهتون في حد الروح التي فيـــنا... وكيف حياة الشهيد المرزوق عند ربه بعد قتله؟ وكيف حياة النبيين الآن؟ وكيف شاهد النبي ﷺ أخاه موسى يصلي في قبره قائما؟ ثم رآه في السماء السادسة وحاوره...؟ **وكيف ناظر موسى أباه آدم**، وحجه آدم بالقدر السابق وبأن اللوم بعد التوبة وقبولها لا فائدة فيه) [(٣)].

وقـــال ابـــن عبد البر عن هذه المناظرة : إن ذلك عندي لا يحتمل تكييفا، وإنما فيه التسليم، لأنا لم نؤت من جنس هذا العلم إلا قليلا [(٤)] . أهـــ بتصرف يسير .

وقال ابن الجوزي : (وهذا مما يجب الإيمان به لثبوته عن خبر الصادق، وإن لم يُطلع عـــلى كيفيـــة الحال، وليس هو بأول ما يجب الإيمان به، وإن لم نقف على حقيقة معناه،

---

(١) انظر : منهاج السنة النبوية (٢٧/٣) .

(٢) التمهيد (١٧/١٨) .

(٣) ذكره عنه الذهبي . انظر : مختصر العلو (ص : ٢٧٠-٢٧١)؛ والقاضي هو محمد بن الحسين بن محمد البغدادي ، الإمام العلامة شيخ الحنابلة ، وكان أبوه من أعيان الحنفية، توفي سنة ٤٥٨هـــ . انظر : سير أعلام النبلاء (٨٩/١٨-٩١) .

(٤) التمهيد (١٦/١٨) .

كعذاب القبر ونعيمه، ومتى ضاقت الحيل في كشف المشكلات لم يبق إلا التسليم) [1].

وقـــال الذهـــبي : (اجتماع آدم وموسى لما أحتج عليه موسى، وحجه آدم بالعلم السابق كان اجتماعهما حقا، وهما في عالم البرزخ...وهذا شيء سبيله التوقيف) [2] .

الحاصـــل : إن هذه المناظرة التي جرت بين آدم وموسى عليهما السلام أمر من أمور الغيـــب، وقد أخبر النبي ﷺ عنها، فيجب الإيمان بها، وهي تدل على ركن من أركان الإيمان وهو الإيمان بالقدر، فمن أنكره يكون كافرا، وأنه لا يصح الاحتجاج بهذه المناظرة على مخالفة الأوامر الشرعية ونواهيها؛ فإن آدم عليه السلام لما وقع في المعصية تاب إلى الله تعالى وطـــلب الرحمة والمغفرة منه سبحانه وتعالى، وصبر على المصيبة التي حصلت له ولذريته، وأرجـــع الأمـــر في ذلك إلى الله سبحانه وتعالى، فكذلك يجب على من وقع في شيء من معصـــية الله تعالى عليه أن يبادر بالتوبة إلى الله وطلب المغفرة منه سبحانه وعدم الاتكال على القدر والاحتجاج به فإنه حجة باطلة عقلا وشرعا والله أعلم بالصواب.

---

(١) ذكره عنه الحافظ ابن حجر العسقلاني في (فتح الباري ١١/٥٠٧) .

(٢) سير أعلام النبلاء (٩/١٦١-١٦٢، في ترجمة وكيع بن الجراح) .

المبحث الخامس : خلافة آدم عليه السلام في الأرض . وفيه ثلاثة مطالب .

المطلب الأول : معنى الخلافة في اللغة :

{الخلافة} أصلها (خ ل ف)، وهذه المادة ترجع دلالتها في الأصل إلى ثلاثة معان [1]:

أحدها : خَلَفَ يَخْلُفُ خَلَفاً وخَلْفاً وخِلْفةً وخلافة، وهو أن يجيء شيء بعد شيء يقوم مقامــه. ومنه يقال : خَلَفُ صِدْقٍ من أبيه، وخَلَفُ سوء من أبيه، فإذا لم يذكروا صدقا ولا سوءا قالوا للجيد : خَلَف، وللرديء خَلْف . قال تعالى : ﴿ فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات ﴾ [2] ومنه قوله تعالى : ﴿ وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة ﴾ [3]؛ أي : يذهب هذا ويجــيء هــذا وهكذا، ومنه قوله تعالى : ﴿رضوا بأن يكونوا مع الخوالف﴾[4]؛ أي : مع النساء لأن الرجال يغيبون في حروبهم ومغاوراتهم وتجاراتهم، وهن يخلفنهم في البيوت والمنازل[5].

وكذلك الخلافة سميت خلافة لأن الخليفة الثاني يجيء بعد الأول فيقوم مقامه [6].

والثاني : خلف يخلُف خُلوفا، وأخلف يخلف إخلافا إذا تغير ، يقال : أخلف فلان وعده إذا تغــير عن وعده، ولم يوف به، ويقال خلف اللبن وغيره خلوفا إذا تغير طعمه وريحه [7]ومنه قول النبي ﷺ :((والذي نفس محمد بيده ! **لخلوف** فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك)) [8].

والثالث : { خَلْفٌ } وهو خلاف قدام، يقال : هذا خلفي وهذا قدامي، وهذا مشهور [9].

---

(1) انظر : معجم مقاييس اللغة (٢/ ٢١٠ ، مادة : خلف) .

(2) مريم الآية : ٥٩

(3) الفرقان الآية : ٦٢

(4) التوبة الآية : ٨٧ والآية : ٩٣

(5) انظر : تهذيب اللغة (٣٩٨/٧-٤٠٠)؛ والصحاح (٤/١٣٥٤-١٣٥٦)؛ ومعجم مقاييس اللغة (٢/ ٢١٠-٢١١) .

(6) انظر : معجم مقاييس اللغة (٢/ ٢١١) .

(7) انظر : تهذيب اللغة (٧/ ٤٠١)؛ والصحاح (٤/ ١٣٥٦)؛ ومعجم مقاييس اللغة (٢/ ٢١٢) .

(8) جزء من حديث أبي هريرة ﷺ أخرجه خ (الصوم، ب : هل يقول إني صائم إذا شتم ٢/ ٦٧٣ ح : ١٨٠٥)، واللفظ له؛ و م (الصيام ، ب : فضل الصيام ٢/ ٨٠٧ ح : ١١٥١) .

(9) انظر : الصحاح (٤/ ١٣٥٤)؛ ومعجم مقاييس اللغة (٢/ ٢١٢)؛ ولسان العرب (٤/ ١٨١) .

ومن الشاذ عن الأصول الثلاثة : الخليف، وهو الطريق بين الجبلين [1].

معـــنى الخليفة : ذكر أهل اللغة أن كلمة " خليفة " لا تطلق إلا على مذكر، وأن أصلها " خَلِيْفٌ " على وزن فعيل[2].

وأمـــا التاء الملحقة في آخرها فذكر جماعة منهم أنها للدلالة على المبالغة في الوصف[3] مثل : علامة ونسابة وراوية وداعية وطاغية وغيرها .

ولكـــن لم يرض ابن القيم هذا التوجيه فهو يرى أنه لا معنى للمبالغة في خليفة حتى تـــلحقها تـــاء المبالغة، كما في نسابة وعلامة وداعية ، وإنما دخلت التاء فيها للعدل عن الوصـــف إلى الاسم؛ فإن الكلمة صفة في الأصل، ثم أجريت مجرى الأسماء، فألحقت التاء لذلك، كما قالوا : نطيحة بالتاء، فإذا أجروها صفة قالوا : شاة نطيح، والله أعلم [4].

ثم اختلفوا في بيان معناها في أنها بمعنى الفاعل أو بمعنى المفعول؛ أي هو يخلف غيره أو غيره يخلفه . فذهب أكثر أهل اللغة إلى أنه فعيل بمعنى فاعل؛ أي: خليفة بمعنى خالف [5]. وقيل : إنه فعيل بمعنى مفعول؛ أي: استخلفه غيره [6].

والخـــليفة جمعها خلفاء وخلائف. فمن جمعها على خلفاء على وزن فعلاء ، فذلك نظـــرا إلى أصـــلها؛ أي : خليف وخلفاء مثل حكيم وحكماء، وظريف وظرفاء، وكريم وكرماء، وحليف وحلفاء، وشريف وشرفاء؛ لأن فعيلة بالهاء لا تجمع على فعلاء [7].

---

(1) انظر : معجم مقاييس اللغة (٢١٣/٢ ، مادة : خلف) .

(2) انظـــر : تهذيب اللغة (٤٠٨/٧)؛ والصحاح (١٣٥٦/٤)؛ وتفسير غريب القرآن العظيم للرازي (ص : ٣٢٤)؛ ولسان العرب (٤/ ١٨٣)؛ والمصباح المنير (ص : ٦٨) .

(3) ذكره ابن الجوزي في (زاد المسير ٦٠/١) عن ابن الأنباري ، وقال به النسفي في تفسيره (٧٧/١)؛ والبيضاوي في تفسيره (١٣٥/١)؛ وذكر ابن القيم في (مفتاح دار السعادة ١٥٣/١)أنه قال به جماعة من النحاة .

(4) انظر : مفتاح دار السعادة (١٥٣/١) .

(5) انظـــر : إعـــراب القرآن للنحاس (٢٠٧/١)؛ وشمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم (١٨٩٢/٣)؛ وعمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ (٥٢٣/١) .

(6) انظر : المصادر السابقة نفسها .

(7) انظر : تهذيب اللغة (٤٠٨/٧)؛ والصحاح (١٣٥٦/٤)؛ والنهاية في غريب الحديث (٦٩/٢)؛ وتفسير غـــريب القرآن الكريم للرازي (ص : ٣٢٤)؛ ولسان العرب (١٨٣/٤)؛ وعمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ للسمين الحلبي (٥٢٣/١)؛ ومفتاح دار السعادة (١٥٣/١)؛ والمصباح المنير (ص : ٦٨) .

ومن راعى اللفظ بعد دخول التاء عليها جمعها على فعائل فقال : خليفة وخلائف، مثل : كريمة وكرائم، وظريفة وظرائف، و عقيلة وعقائل، وجريدة وجرائد، وصحيفة وصحائف [1].

وكلاهما ورد به القرآن الكريم . قال تعالى : ﴿ وهو الذي جعلكم خلائف الأرض ﴾ [2] وقال تعالى : ﴿ ويجعلكم خلفاء الأرض ﴾ [3].

---

(1) انظر : المصادر السابق ذكرها في الهامش الذي قبله .

(2) الأنعام الآية : ١٦٥

(3) النمل الآية : ٦٢

المطلب الثاني: معنى خلافة آدم عليه السلام عند السلف.

إن الله سبحانه وتعالى لما خلق أبا البشر آدم عليه السلام أسكنه الجنة، وكان إسكانه فيها لوقت محدود، وليس للأبد، لأن الله سبحانه وتعالى كان قد أخبر ملائكته قبل أن يخلقه بأنه سيجعله خليفة في الأرض . قال تعالى : ﴿ وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون ﴾ [1].

قال عبد الله بن عباس – رضي الله عنهما – : لقد أخرج الله آدم من الجنة قبل أن يدخلها أحد. قال الله تعالى : ﴿ إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ﴾ ... الحديث [2].

وقال خالد الحذاء [3]: خرجت أو غبت غيبة لي – والحسن لا يتكلم في القدر– فقدمت، وإذا هم يقولون : قال الحسن، وقال الحسن! فأتيته، ودخلت عليه مترله، فقلت: يا أبا سعيد! أخبرني عن آدم أللسماء خلق أو للأرض خلق ؟ قال : ما هذا يا أبا مَنَازِل ؟ فقلت : يا أبا سعيد! إني أحب أن أعلم . قال : بل للأرض خلق . قلت : أرائت لو اعتصم فلم يأكل من الشجرة ؟ قال : لم يكن له بد من أن يأكل منها؛ لأنه للأرض خلق [4].

فالله سبحانه وتعالى خلق آدم عليه السلام، وأسكنه الجنة، ثم أخرجه منها، وجعله خليفة في الأرض، وقد اختلف أهل العلم في بيان المراد من الخليفة وبيان معنى الخلافة وتفسيرها، ويمكن تلخيص كلامهم من خلال نقطتين :

---

(1) البقرة الآية : ٣٠

(2) صحيح إلى ابن عباس – رضي الله عنهما– وقد سبق تخريجه في (ص : ٩٠) .

(3)هو خالد بن مِهْران، أبو المَنَازِل البصري، المعروف بالحذاء إلا أنه لم يكن حذاء ولكنه كان يجلس عند الحذاءين، فقيل له ذلك، ثقة يرسل . انظر : تقريب التهذيب (ص : ١٩١ برقم : ١٦٨٠) .

(4) أخرجه د (السنة، ب : لزوم السنة ٢٠٤/٤ برقم : ٤٦١٤)؛ وعبد الله بن الإمام أحمد – مختصرا – في (السنة ٤٢٨/٢ برقم : ٩٤٥)؛ والآجري في الشريعة (٨٨٤/٢-٨٨٥ برقم : ٤٦٦-٤٦٧)، واللفظ له؛ واللالكائي في (شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ٥٦٦/٣-٥٦٧ برقم : ١٠٠٦) كلهم بأسانيدهم ويجتمعون في الطريق عند خالد الحذاء عن الحسن . قال الألباني في (صحيح سنن أبي داود ١٢٣/٣ برقم : ٤٦١٤) : (حسن الإسناد مقطوع).

النقطة الأولى : بيان المراد بالخليفة في الآية .

اختلف العلماء في بيان المراد بالخليفة في الآية على أقوال، هي كما يلي :

القول الأول : المراد بالخليفة آدم ﷺ . وهذا هو الظاهر المتبادر من سياق الآية لأن الله سبحانه وتعالى قال : ﴿ إني جاعل في الأرض خليفة ﴾ ولم يقل : { إني جاعل في الأرض خلائف }، وثم ذكر آدمَ ﷺ في الآيات التالية بقوله تعالى : ﴿ وعلم آدم الأسماء كلها . . . ﴾ فهذا السياق أيضا يقوي القول أن المراد بالخليفة هنا آدم ﷺ، وأن آدم اسم لذلك الخليفة [1].

وهذا القول ذهب إليه جماعة من المفسرين منهم الواحدي والسمعاني [2] والبغوي وابن جزي الكلبي والسيوطي وابن عاشور [3]، وعزاه القرطبي إلى جميع المفسرين فقال : (والمعني بالخليفة هنا في قول ابن مسعود وابن عباس وجميع أهل التأويل آدم ﷺ) [4].

القول الثاني : المراد بالخليفة أولاد آدم الذين يخلفون أباهم آدم، ويخلف كل قرن منهم القرن الذي سلف قبله . وهذا القول ذهب إليه الحسن البصري[5] وابن سابط [6].

---

(1) انظر : فتح القدير (٦٢/١)؛ وروح المعاني (٢٢٠/١)؛ وفتح البيان (١٢٥/١)؛ وأضواء البيان (٤٦/١) .

(2) أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار التميمي السمعاني الحنفي ثم الشافعي، قال عنه الذهبي : الإمام العلامة مفتي خراسان شيخ الشافعية تعصب لأهل الحديث والسنة والجماعة وكان شوكا في أعين المخالفين وحجة لأهل السنة، توفي سنة ٤٨٩هـ انظر : سير أعلام النبلاء (١١٤/١٩-١١٩) .

(3) انظر بالترتيب : الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٩٨/١)؛ والوسيط في تفسير القرآن المجيد (١١٣/١)، وكلاهما للواحدي؛ وتفسير القرآن للسمعاني (٦٣/١)؛ ومعالم التنزيل للبغوي (٦٠/١)؛ والتسهيل لعلوم التنزيل للكلبي (٦١/١)؛ وتفسير الجلالين (ص : ٦)؛ والتحرير و التنوير من التفسير (٣٩٩/١) .

(4) الجامع لأحكام القرآن (٢٦٣/١) .

(5) ذكره عنه ابن جرير الطبري في تفسيره (٢٠٠/١) بغير إسناد .

(6) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٠٠/١)؛ وابن أبي حاتم في تفسيره (١١١/١ برقم : ٣٢٧) وكلاهما يلتقيان في شيخ شيخهما أبي أحمد الزبيري، ثنا سفيان عن عطاء بن السائب عن ابن سابط . و رجال الإسناد كلهم ثقات إلا أن عطاء بن السائب الثقفي كان قد اختلط في آخره ولكنه لا يضر هنا لأن الحافظ ابن حجر ذكر في تهذيب التهذيب (١٣١/٤-١٣٣ برقم : ٥٢٨٧) عن جماعة من الأئمة أن مرويات الثوري عنه صحيحة لأنه سمع منه قبل الاختلاط، والراوي عنه هنا الثوري، إلا أنه يخشى فيه أمر آخر وهو أن الذي روى عن الثوري هذه الرواية هو أبو أحمد محمد بن عبد الله بن الزبير الزبيري وهو ثقة ثبت ولكنه قد يخطئ في حديث الثوري . انظر : تقريب التهذيب (ص : ٤٨٧ برقم : ٦٠١٧) وابن سابط هو عبد الرحمن بن عبد الله بن سابط الجمحي المكي، تابعي ثقة، توفي سنة ١١٨هـ. انظر : تقريب التهذيب (ص : ٣٤٠ برقم : ٣٨٦٧) .

ويدل على ذلك قوله تعالى : ﴿ قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ﴾ لأن آدم عليه السلام لم يكن ممن يفسد في الأرض ولا ممن يسفك فيها الدماء، وإنما حصل ذلك من بني آدم[1]، فدل على أن المراد بالخليفة أولاد آدم عليه السلام وليس هو .

وقوله تعالى : ﴿ وهو الذي جعلكم خلائف الأرض ﴾[2] وقوله تعالى : ﴿ ويجعلكم خلفاء الأرض ﴾ [3]. ففي هذه الآيات دلالة على أن الخليفة هم الخلائف من بني آدم .

القول الثالث : المراد بالخليفة آدم عليه السلام وبنوه، وليس آدم عليه السلام وحده، ولا بنوه دون أبيهم. ولكنه لم يذكر بني آدم هنا، واكتفي بذكر أبيهم استغناء بذكر الأب عن ذكر الأبناء، كما قد يستغنى بذكر أبي القبيلة عن ذكر أبنائها وأفرادها، فيقال مثلا : هاشم ومضر، ويكون المقصود بنو هاشم وبنو مضر كلهم [4].

وهذا القول ذكره غير واحد من المفسرين منهم النسفي وأبو السعود والشوكاني وصديق حسن خان [5]، وإليه ذهب الزمخشري [6]، وشيخ الإسلام ابن تيمية [7] والعلامة ابن القيم وقال : (لا خلاف أن المراد به آدم وذريته)[8] ، وعليه يدل كلام الحافظ ابن كثير إذ قال : (وليس المراد ههنا بالخليفة آدم عليه السلام فقط، كما يقوله طائفة من المفسرين...والظاهر أنه لم يرد آدم عينا إذ لو كان ذلك لما حسن قول الملائكة : ﴿ أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ﴾؛ فإنهم أرادوا أن من هذا الجنس من يفعل ذلك) [9].

وقال أيضا : (أخبر تعالى أنه خاطب الملائكة قائلا لهم : ﴿ إني جاعل في الأرض خليفة ﴾

---

(1) انظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن (١/٢٠٠-٢٠١)؛ وأضواء البيان (١/٤٧) .

(2) الأنعام الآية : ١٦٥

(3) النمل الآية : ٦٢

(4) انظر : مدارك التنزيل (١/٧٨)؛ وإرشاد العقل السليم (١/٨١)؛ وفتح القدير (١/٦٢)؛ وفتح البيان (١/١٢٥-١٢٦) .

(5) انظر : المصادر السابقة نفسها بالترتيب السابق .

(6) انظر : الكشاف (١/٢٥١) .

(7) انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٣٥/٤٢) .

(8) مفتاح دار السعادة (١/١٥٢)، وانظر أيضا (١/٩)؛ وشفاء العليل ص : ٢٤٢) .

(9) تفسير القرآن العظيم (١/٦٩) .

أعلم بما يريد أن يخلق من آدم وذريته الذين يخلف بعضهم بعضا كما قال تعالى : ﴿ وهو الذي جعلكم خلائف الأرض ﴾ وقال : ﴿ ويجعلكم خلفاء الأرض ﴾ فأخبر بذلك على سبيل التنويه بخلق آدم وذريته، كما يخبر الأمر العظيم قبل كونه) [1] .

والذي يظهر لي أن الآية الكريمة تحتمل الأقوال الثلاثة المذكورة إلا أنه يمكن أن يقال أن أرجح هذه الأقوال هو القول الثالث ؛أي : المراد بالخليفة جنس الخليفة وهم آدم ﷺ وبنوه، وذلك لما يلي :

١ - أن هذا القول أعم وأشمل؛ إذ القول الأول خاص بآدم ﷺ ، والثاني خاص ببني آدم، وأما القول الثالث فهو عام شامل لآدم وبنيه فحمله على ما هو أعم وأشمل أولى وأحسن [2].

٢ - أن الله تعالى خلق آدم ﷺ من الطين، ونفخ فيه من روحه، وتوارث ذلك منه بنوه، فلهم حظ عظيم من خلق أبيهم وتصويره، ومما أكرم به أبوهم؛ لأنه أصلهم الذي تفرعوا عنه [3] فلا يبعد أن يكون لهم شرف من الخلافة مع أبيهم [4]، والله أعلم بالصواب .

٣ - إن الحكمة من الخلق والغاية من الوجود، وعمارة الأرض والاستفادة مما فيها عام لآدم وبنيه، وليس خاصا بآدم ﷺ دون بنيه أو ببنيه دون آدم ﷺ [5]. قال تعالى : ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾ [6]، وقال تعالى : ﴿ الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علما ﴾ [7]، وقال تعالى : ﴿ هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها فاستغفروه ثم توبوا إليه ﴾ [8] وقال تعالى : ﴿ يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي

---

(1) البداية والنهاية (١/ ٧٠) .

(2) انظر : آدم ﷺ (ص : ١٢٢) .

(3) انظر : (ص : ٢٨٨) .

(4) انظر : آدم ﷺ (ص : ١٢٢-١٢٣)؛ والإنسان وجوده وخلافته في الأرض (ص : ٣٣٦) .

(5) انظر : الإنسان وجوده وخلافته في الأرض (ص : ٣٢٧)؛ وترجيحات الحافظ ابن كثير لمعاني الآيات في تفسيره (١/ ١٧٠).

(6) الذاريات الآية : ٥٦

(7) الطلاق الآية : ١٢

(8) هود الآية : ٦١

خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون * الذي جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون ﴾ [1].

فهذه الوجوه تؤيد القول بأن المراد بالخليفة في آية البقرة هو جنس الخليفة فهو بمعنى الخلائف، والمراد به آدم عليه السلام وبنوه.

وأما ورود لفظ الخليفة في قوله تعالى : ﴿ إني جاعل في الأرض خليفة ﴾ بالإفراد دون الجمع فهذا يمكن توجيهه بأن يقال : هذا مفرد ولكن أريد به الجمع، أي : خليفة بمعنى خلائف، يدل على ذلك قول الملائكة : ﴿ أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ﴾ فإن آدم عليه السلام لم يكن ممن يفسد في الأرض .

ثم إن إطلاق المفرد وإرادة الجمع وارد في اللغة العربية بكثرة [2]، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ واجعلنا للمتقين إماما ﴾ [3] ؛أي : أئمة. وقوله تعالى : ﴿ وآتوا النساء صدقاتهن نحلة فإن طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا ﴾ [4]؛ أي: أنفسا . وقوله تعالى : ﴿ إن المتقين في جنات ونهر ﴾ [5]؛ يعني : في جنات وأنهار، بدليل قوله تعالى : ﴿ مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير ءاسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى ﴾ [6].

فكذلك هنا أطلقت كلمة : ﴿ خليفة ﴾ ، وأريد بها خلائف؛ فلا يكون مقصورا على آدم عليه السلام بل يكون شاملا له ولبنيه، والله أعلم بالصواب .

النقطة الثانية : بيان المراد من الخلافة وتفسيرها .

إذا عُـلِمَ أن المراد بالخليفة عند أكثر أهل العلم هو جنس الخليفة، وأنه ليس مقصورا على آدم عليه السلام فقط بل أبناؤه وذريته داخلون فيها، فما معنى هذه الخلافة، وما تفسيرها ؟

---

(1) البقرة الآيتان : ٢١-٢٢

(2) انظر : أضواء البيان (٤٦/١) .

(3) الفرقان الآية : ٧٤

(4) النساء الآية : ٤

(5) القمر الآية : ٥٤

(6) محمد الآية : ١٥

وهـــل هي شاملة لجميع بني آدم أم لبعضهم دون بعض ؟ فقد اختلف أهل العلم في ذلك على أقوال، ويمكن تلخصيها في ثلاثة أقوال، وهي كما يلي :

القول الأول : إن هذه الأرض كانت معمورة قبل أن يترل عليها آدم عليه السلام وجاء آدم عليه السلام بعدهم فكان هو وبنوه خليفة لمن سبقهم من المخلوقات .

قـــال العلامة ابن القيم : (وجمهور أهل التفسير من السلف والخلف على أنه جعله خليفة عمن كان قبله في الأرض) [1].

وعـــلى هذا، فالخلافة هنا عبارة عن ذهاب مخلوق ومجيء آدم عليه السلام وبنيه بعدهم في مكانهم، وتكون عامة لجميع بني آدم من غير تفريق بين المسلمين منهم والكفار أو الصالحين منهم والفجار .

ويدل على هذا القول كلمة ﴿ خليفة ﴾؛ لأن الخلافة فيه معنى الدلالة على ذهاب قوم ومجيء آخرين، ولذلك سمي الخليفة خليفة؛ لأن الثاني يجيء بعد الأول فيقوم مقامه .

وهذا القول يندرج تحته أربعة أقوال :

أ- كانت هذه الأرض يسكن فيها قبل أن يخلق آدم عليه السلام الجن بنو الجان،ثم جاء آدم عليه السلام بعدهم، فكان هو وبنوه خليفة عنهم .

ويمكن الاستدلال لهذا القول بما يلي :

١- قـــال تعـــالى : ﴿ ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حمإ مسنون * والجان خلقناه من قبل من نار السموم ﴾ [2]. فهذه الآية تدل على أن خلق الجان متقدم على خلق الإنسان فهم سبقوا آدم عليه السلام وبنيه في الخلق، وجاء آدم عليه السلام وبنوه بعدهم فكان هو وذريته خليفة عنهم [3]والله أعلم بالصواب .

٢- عـــن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : لقد أخرج الله آدم من الجنة قبل أن يدخـــلها أحد . قال الله تعالى : ﴿ إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ﴾، وقـــد كـــان فيها قبل أن يخلق بألفي عام الجن بنو الجان، فأفسدوا في الأرض،

---

(1) مفتاح دار السعادة (١٥٢/١) .

(2) حجر الآيتان : ٢٦-٢٧

(3) انظر : أحكام من القرآن (ص : ١٥٢-١٥٣و١٥٥) .

وســـفكوا الدماء، فلما قال الله تعالى: ﴿ إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ﴾ ؛ يعنون : الجن بني الجان، فلما أفسدوا في الأرض بعث عليهم جنودا من الملائكـــة فضربوهم حتى ألحقوهم بجزائر البحور . قال : فقالت الملائكة : أتجعل فيها من يفسد فيها كما فعل أولئك الجن بنو الجان ؟ قال : فقال الله : ﴿إني أعلم ما لا تعلمون﴾ [1].

٣- وعـــن عبد الله بن عمرو- رضي الله عنهما - أنه قال : كان الجن بنو الجان في الأرض قبل أن يخلق آدم بألفي سنة، فأفسدوا في الأرض، وسفكوا الدماء، فبعث الله جندا من الملائكة . فضربوهم حتى ألحقوهم بجزائر البحور، فقال الله للملائكة : : ﴿ إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ﴾ ﴿إني أعلم ما لا تعلمون﴾ [2] .

ومثل قول ابن عباس وعبد الله بن عمرو روي عن الربيع بن أنس [3]، وهذا القول ذكره جماعة كبيرة من المفسرين منهم السمعاني والماوردي والبغوي وابن عطية والرازي وابن القيم والثعالبي وابن عادل الدمشقي ومحمد الأمين الشنقيطي، ولم يذكر الشيخ محمد بن صالح العثيمين غيره [4].

ب — إن هـــذه الأرض كان فيها الملائكة، وجاء آدم ﷺ وبنوه بعدهم فكانوا فيها خــليفة عنهم . وهذا القول ذهب إليه ابن زيد [5]، وذكره غير واحد من المفسرين منهم أبو جعفر النحاس والواحدي والكرماني وابن القيم والشوكاني وصديق حسن خان [6] .

---

(١) صحيح إلى ابن عباس — رضي الله عنهما- وقد سبق تخريجه في (ص : ٩٠) .

(٢) صحيح إلى عبد الله بن عمرو — رضي الله عنهما — وقد سبق تخريجه في (ص : ٩٠) .

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١/١٩٩-٢٠٠)، وإسناده فيه كلام وقد سبق تفصيله في (ص : ٣٤١-٣٤٢).

(٤) انظـــر بالترتيب : تفسير القرآن (١/٦٤)؛ والنكت والعيون (١/٩٥)؛ ومعالم التنزيل (١/٦٠)؛ والمحرر الوجيـــز (١/١٦٤)؛ والتفسير الكبير (١/١٦٥)؛ ومفتاح دار السعادة (١/١٥٢)؛ والجواهر الحسان في تفسير القرآن (١/٢٠٥)؛ واللباب في علوم الكتاب (١/٥٠٠-٥٠١)؛ أضواء البيان (١/٤٦)؛ وأحكام من القرآن (ص : ١٥٢-١٥٣ و ١٥٥) .

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره (١/١٩٩)، ورجال إسناده كلهم ثقات .

(٦) انظر بالترتيب : إعراب القرآن للنحاس (١/٢٠٧)؛ والوجيز في تفسير الكتاب العزيز (١/٩٨)؛ والوسيط في تفسير القرآن المجيد (١/١١٣)، كلاهما للواحدي؛ وغرائب التفسير للكرماني (١/١٣١)؛ ومفتاح دار السعادة (١/١٥٢)؛ فتح القدير (١/٦٢)؛ وفتح البيان (١/١٢٥) .

ج – أنه كان في الأرض مخلوق يقال لهم : "الحِن والبِن " – بحاء مهلمة مكسورة في الأول، وبموحدة مكسورة ونون في الثاني – أو يقال لهم : "الطِّم والرِّم " وجاء آدم عليه السلام بعدهم فكان خليفة عنهم . ذكره ابن عاشور و لم يرضه ولذلك تعقبه بقوله : كل هذا ينافيه سياق الآية، وأحسبه من المزاعم، ولعله من خرافات الفرس أو اليونان [1] .

د – كان قبل آدم عليه السلام أوادم كثيرون أو كان قبله أجناس بشرية فجاء أبو البشر آدم عليه السلام بعدهم، فكان هو وبنوه خليفة عنهم .

حكى الرازي في تفسيره عن الإمام محمد بن علي الباقر أنه قال : لقد انقضى قبل آدم الذي هو أبونا ألف ألف آدم أو أكثر " ثم عقب على هذا القول بما يشعر باستساغته له حيث قال : (أقول هذا أي وجود أنواع من الإنسان قبل أبينا آدم لا يقدح في حدوث العالم بل الأمر كيف كان فلا بد من الانتهاء إلى إنسان أول هو أول الإنسان، وأما أن ذلك الإنسان هو أبونا آدم فلا طريق إلى إثباته إلا من جهة السمع) [2].

وقال أبو العلاء المعري [3] :

وما آدم في مذهب العقل واحدا ولكنه عند القياس أوادم

جائز أن يكون آدم هاذا قبله آدم على أثر آدم [4]

وذكر الشيخ عبد الوهاب النجار في كتابه " قصص الأنبياء " : (أنه قد وجد من البشر في الأزمان الغابرة والحاضرة من يدعون أن عمران بلادهم أقدم من خلق آدم كأهل الهند – وقد كانوا في الزمان السابق يدعون أن آدم كان عبدا من عبيدهم هرب إلى الغرب وجاء بأولاده، وإلى ذلك أشار المعري بقوله :

تقول الهند آدم كان قنا لنا فسعى إليه مخببوه) [5] .

---

(1) انظر : التحرير والتنوير من التفسير (١/٣٩٩) .

(2) التفسير الكبير (١٩/١٧٩) .

(3) أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان التنوخي المعري، شاعر عقلاني ملحد زنديق، كان يهجو الأنبياء عليهم السلام، هلك سنة ٤٤٩هـ . انظر : في سبيل موسوعة فلسفية (أبوالعلاء المعري ، ص : ٤٩-٥٠ و ١٥٠)؛ وتراث الإنسانية (٢/٥٧-٦٠ و ٤٢١-٤٢٢) .

(4) في سبيل موسوعة فلسفية (أبو العلاء المعري ، ص : ١٥٢) .

(5) قصص الأنبياء لعبد الوهاب النجار (ص : ١١) .

وقال عفيف عبد الفتاح طبارة في كتابه " مع الأنبياء في القرآن الكريم " : (خلق الله بشرا قبل آدم فأفسدوا في الأرض) [1] وقال : (آدم ليس أول من سكن الأرض ... و القرآن يشير إلى أن هناك بشرا قبل آدم في قوله تعالى : ﴿ وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة ﴾) [2].

وزعـــم الدكتور عبد الصبور شاهين أن آدم عليه السلام كان قبله مخلوقات حيوانية السلوك اسمها البشر ، وكان آدم عليه السلام جاء بعدهم بعد التطور في الجنس البشري الذي بلغ أوجه في آدم عليه السلام من الرجال و في حواء من النساء وقد سبق ذكر ذلك مع الرد عليه [3].

فأصـــحاب هذه الأقوال يزعمون أن آدم عليه السلام قد سبقه آوادم كثيرون وأنواع من البشر ثم جاء آدم عليه السلام وبنوه فحلوا محلهم وكانوا خليفة عنهم .

ولكـــن كل هذه الدعاوى لا تعدو أن تكون مزاعم وخيالات، لأنه إذا كان القرآن الكريم و الأحاديث النبوية لم تذكر لنا سوى آدم الذي نعرفه بأبي البشر ، فالقول بوجود غيره مجازفة بلا برهان [4]، ومخالف لما جاء عن الله ورسوله، فقد سبق أن ذكرت في ضوء الكتاب والسنة الصحيحة أن تاريخ البشرية على هذه المعمورة بدأ منذ وجود أبينا آدم عليه السلام عـــليها؛ وأنه أبو البشر وأبو الناس كلهم أولهم وآخرهم، فالواجب أن نقف عند نصوص الكتاب والسنة، فهي صريحة واضحة، ثم نكل علم ما لم يبينه الله تعالى ولا رسوله ﷺ أو ما لا يتضح لنا إلى الله تعالى، والله أعلم بالصواب [5].

فهـــذه الوجوه الأربعة المذكورة ضمن القول الأول يظهر لي أن أقواها هو الوجه الأول؛ أي: كونهـــم خليفة عن الجن؛ لكونه أقرب من قوله تعالى : ﴿ ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حمإ مسنون * والجان خلقناه من قبل من نار السموم ﴾ [6] ؛ ولكونـــه مأثورا عن ابن عباس وابن عمرو – رضـــي الله عنهم – بسند صحيح، وأما ما عداه من الوجوه فليس معها ما يستأنس به بل منها ما هو مخالف لنصوص الكتاب والسنة، كما هو الحال في الوجه الرابع، والله أعلم بالصواب .

---

(1) مع الأنبياء في القرآن الكريم (ص : ٣١) .
(2) المصدر السابق (ص : ٤٥-٤٦)؛ وانظر : قصص الأنبياء لعبد الوهاب النجار (ص : ١٢) .
(3) انظر : أبي آدم (ص : ١٠١و١٣٣) وانظر : (ص : ٢٦٨-٢٩٣) من هذا البحث .
(4) انظر : كتاب آدم عليه السلام (ص : ١٢٤)؛ وقصص الأنبياء : لعبد الوهاب النجار (ص : ١١) .
(5) انظر : تاريخ الدعوة (١/٥٦) .
(6) حجر الآيتان : ٢٦-٢٧

القــول الثاني : إن هذا الخليفة يكون له نسل وذرية، فيخلف كل قرن وجيل منهم مـــن قـــبله، فقد خلف بنو آدم أباهم، وخلفهم بنوهم وهكذا، فالخلافة على هذا القول عـــبارة عن ذهاب أجيال من بني آدم ومجيء آخرين منهم مكانهم، فتكون عامة كالقول الذي قبله لجميع بني آدم من غير تفريق بين الكافرين والمؤمنين منهم .

وحكي عن ابن عباس وابن مسعود وغيره من الصحابة: أن الله جل ثناؤه قال للملائكة : إني جاعل في الأرض خليفة . قالوا : ربنا وما يكون ذلك الخليفة ؟ قال : يكون له ذرية يفسدون في الأرض، ويتحاســدون، ويقــتل بعضهم بعضا. حكاه عنهم السدي[١]، وإليه ذهب الحسن البصري[٢] وابن سابط [٣]، وذكره الماوردي والرازي[٤]، واختاره ابن كثير والقاسمي [٥].

القــول الثالث : المقصود بالخلافة هو الخلافة في إجراء أحكام الله، وتنفيذ قضاياه وإقامــة شرعه، ودلائل توحيده، والحكم بين عباده في الأرض بالحق . وهذا القول ذكره جماعة من المفسرين منهم الماوردي وابن الجوزي وابن عطية والرازي والنسفي، وابن عادل والــثعالبي وأبو السعود والقاسمي ومحمد الأمين الشنقيطي وغيرهم وأكثرهم عزاه إلى ابن مســعود وبعضهم عزاه إلى ابن عباس ومجاهد والسدي [٦]. وهو الذي اختاره أبو المظفر السمعاني والراغب الأصبهاني والبغوي والقرطبي والسمين الحلبي والسيوطي ومحمد التتائي وعــلي المنوفي وأحمد النفراوي وعلي الصعيدي العدوي والجمل [٧] وابن عاشور وصديق حسن خان القنوجي وعبد العزيز بن خلف بن عبد الله آل خلف [٨].

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٠٠/١) وهذا الإسناد فيه كلام وقد سبق تفصيله في (٩٧-٩٨و٣٦٨).

(٢) سبق توثيقه في (ص : ٦٥١).

(٣) سبق الكلام عنه في (ص : ٦٥١).

(٤) انظر بالترتيب : النكت والعيون (٩٥/١)؛ والتفسير الكبير (١٦٥/٢-١٦٦) .

(٥) انظر بالترتيب : تفسير القرآن العظيم (٧٠/١-٧١)؛ ومحاسن التأويل (٩٤/٢-٩٥) .

(٦) انظــر بالــترتيب : النكت والعيون (٩٥/١)؛ وزاد المسير (٦٠/١)؛ والمحرر الوجيز (١٦٤/١)؛ والتفسير الكبير (١٦٥/٢)؛ ومــدارك التنزيل (٧٨/١)؛ واللباب في علوم الكتاب (٥٠١/١)؛ والجواهر الحسان في تفسير القرآن (٢٠٥/١)؛ وإرشاد العقل السليم (٨١/١)؛ ومحاسن التأويل (٩٥/٢)؛ وأضواء البيان (٤٦/١-٤٧) .

(٧) سليمان بن عمر بن منصور العجيلي المصري الشافعي، المعروف بالجمل، مفسر فقيه مشارك في بعض العلوم، توفي سنة ١٢٠٤هـــ . انظر : معجم المؤلفين (٢٧١/٤) .

(٨) انظــر بالترتيب : تفسير القرآن (٦٤/١)؛ ومفردات ألفاظ القرآن (ص : ٢٩٤)؛ معالم التنزيل (٦٠/١)؛ والجــامع لأحكام القرآن (٢٦٣/١)؛ وعمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ (٥٢٣/١)؛ وتفسير الجلالين

←

وعلى هذا القول لا تكون الخلافة عامة لجميع بني آدم المسلمين منهم والمشركين كالقولين السابقين بل تكون خاصة لبعضهم دون بعض، وقد اختلف أهل العلم في بيان من تشملهم هذه الخلافة، ومن لا يكون داخلا فيها على أقوال وهي كما يلي :

أ- منهم من اقتصر على القول بأن آدم ﷺ خليفة الله في أرضه وسكت عن غيره .

قال السمعاني : (قيل إنما سمي خليفة لأنه خليفة الله في الأرض لإقامة أحكامه وتنفيذ قضاياه، وهذا هو الأصح)[1]. ونحوه قال البغوي، والقرطبي – وقد عزاه إلى ابن عباس وابن مسعود وجميع أهل التأويل – ،وابن عاشور، وصديق حسن خان القنوجي [2] .

ب – ومنهم من اقتصر على القول بأن آدم ﷺ جعله الله تعالى خليفة في أرضه، وكذلك داود ﷺ، فلا يقال لأحد غيرهما أنه خليفة الله . قال البغوي : (لا يسمى أحد خليفة الله بعد آدم وداود عليهما السلام، قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ إني جاعل في الأرض خليفة ﴾ وقال : ﴿ يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض ﴾ [3]) [4].

ج – ومنهم من ذهب إلى أن آدم ﷺ وداود ﷺ وجميع الأنبياء، وكذلك الصالحون من بني آدم الذين يقومون بإقامة شرع الله في أرضه هؤلاء جميعا استخلفهم الله، وجعلهم خلائف في أرضه؛ لأن الله سبحانه وتعالى يقول :﴿ وهو الذي جعلكم خلائف الأرض ﴾ [5]، وقال تعالى : ﴿ هو الذي جعلكم خلائف في الأرض ﴾ [6]، وقال تعالى :﴿ ويجعلكم خلفاء الأرض ﴾ [7].

(ص : ٦)؛ وتنوير المقالة في حل ألفاظ الرسالة (٢٩١/١)؛ وكفاية الطالب الرباني لرسالة ابن أبي زيد القيرواني (٣٥/١)؛ والفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني (٨٣/١)؛ وحاشية العدوي على شرح أبي الحسن لرسالة ابن أبي زيد (٧٤/١)؛ والفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية (٣٨/١)؛ والتحرير والتنوير من التفسير (٣٩٩/١)؛ وفتح البيان (١٢٦/١)؛ وآفاق الهداية (١٠٤/٦-١١٠ و١٢٦).

(١) انظر : تفسير القرآن (٦٤/١) .

(٢) انظر بالترتيب : معالم التتريل (٦٠/١)؛ والجامع لأحكام القرآن (٢٦٣/١)؛ التحرير والتنوير من التفسير (٣٩٩/١)؛ وفتح البيان (١٢٦/١).

(٣) ص الآية : ٢٦

(٤) شرح السنة (٧٥/١٤). وانظر : المصباح المنير (ص : ٦٨)؛ والفتوحات الربانية على الأذكار النواوية (٨٣/٧) .

(٥) الأنعام الآية : ١٦٥

(٦) فاطر الآية : ٣٩

(٧) النمل الآية : ٦٢

وذهب إلى هذا القول الراغب الأصبهاني والسمين الحلبي والبيضاوي ومحمد التتائي وعلي المنوفي وأحمد النفراوي وعلي الصعيدي العدوي وعبد العزيز بن خلف بن عبد الله آل خلف [١].

أقوى هذه الوجوه فيما يظهر لي هو الوجه الأخير لكونه أعم وأشمل، ولأنه أوفق لما ذهـــب إليه أكثر أهل العلم من حمل الخليفة في الآية على الجنس؛ أي: الخلائف، ولأنه إذا كان آدم وداود عليهما السلام خليفة في الأرض فغيرهما من الأنبياء والمرسلين، ولا سيما أولو العزم منهم وخاصة أفضلهم وسيدهم محمد ﷺ أولى بذلك .

ولكـــن هذا القول يرد عليه إشكال، وهو هل يصح أن يقال لأحد أنه خليفة الله في أرضه؛ فقد منعه جماعة من أهل العلم، لما يلي باختصار [٢]:

١ - أن الخـــليفة يكون كفؤا للمستخلف مشابها له لأنه يقوم مقامه، والله سبحانه وتعالى لا كفؤ له ولا مثيل له ولا نظير له سبحانه وتعالى، فلا يمكن أن يكون أحد خليفة الله تعالى .

٢ - الأصل أن الخلافة هي النيابة عن الغير لغيبته أو عجزه أو موته وهذه المعاني كلها منتفية عن الله سبحانه وتعالى .

٣ - أن الخــليفة يكون لحاجة المستخلف إلى الاستخلاف، والله سبحانه غني بذاته عمـــا سواه بل هو سبحانه يكون خليفة لغيره كما جاء في دعاء السفر فعن ابن عمر – رضـــي الله عنهما – أن رسول الله ﷺ كان إذا استوى على بعيره خارجا إلى سفر، كبر ثلاثا، ثم قال : ﴿ سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين * وإنا إلى ربنا لمنقلبون ﴾ [٣] اللهم! إنا نسألك في سفرنا هذا البر والتقوى، ومن العمل ما ترضى، اللهم! هوِّن علينا سفرنا هذا،

---

(١) انظـــر بالترتيب : مفردات ألفاظ القرآن (ص : ٢٩٤)؛ وعمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ (٥٢٣/١)؛ وأنوار التنزيل وأسرار التأويل (١٣٥/١)؛ وتنوير المقالة في حل ألفاظ الرسالة (٢٩١/١)؛ وكفاية الطالب الرباني لرســـالة ابن أبي زيد القيرواني (٣٥/١)؛ والفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني (٨٣/١)؛ وحاشية العدوي على شرح أبي الحسن لرسالة ابن أبي زيد (٧٤/١)؛ وآفاق الهداية (١٠٤/٦-١١٠ و١٢٦) .

(٢) انظـــر : الأحكام السلطانية (ص : ١٦)؛ ومجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٤٥/٣٥)؛ وتلخيص كتاب الاستغاثة (٣٢٦/١-٣٣٣)؛ ومـــنهاج الســـنة النبوية (٥٠٩/١ و ٥٢٥/٥)؛ وزاد المعاد (٤٧٤/٢-٤٧٥)؛ ومفتاح دار السعادة (١٥٢/١)؛ ومقدمـــة ابن خلدون (١٥٩/١-١٦٠)؛ والفتوحات الربانية على الأذكار النواوية (٨٢/٧-٨٣)؛ وسلسلة الأحاديث الضعيفة (١٩٧/١-١٩٨)؛ وسلسلة الأحاديث الصحيحة (٤٠٠/٤)؛ وتيسير العلي القدير (٣٩/١)؛ ومعجم المناهي اللفظية (ص : ٢٥٢-٢٥٥)؛ وألقاب الولاة الواردة في النصوص ودراسة دلالاتها الاعتقادية (ص : ١٥-٢٠) .

(٣) الزخرف الآيتان : ١٣-١٤

واطْوِ عنا بعده، اللهم! أنت الصاحب في السفر، والخليفة في الأهل... الحديث [1].

٤ - كراهة السلف هذا الإطلاق : فقد كره السلف أن يقال لأحد أنه خليفة الله .

فعن ابن أبي مليكة قال : قال رجل لأبي بكر : يا خليفة الله ! قال : لست بخليفة الله ولكنني خليفة رسول الله، أنا راض بذلك [2].

وقـــال البغوي : (قال رجل لعمر بن عبد العزيز : يا خليفة الله ! فقال : ويحك لقد تناولت متناولا بعيدا، إن أمي سمتني عمر، فلو دعوتني بهذا الاسم قبلت، ثم كبرت فتكنيت أبا حفص، فلو دعوتني به قبلت، ثم وليتموني أموركم فسميتموني أمير المؤمنين، فلو دعوتني بذلك كفاك) [3].

٥ - وكذلك عدل الصحابة عن تسمية أبي بكر خليفة الله، وإنما سموه خليفة رسول الله [4]، وأيضا لا يعلم أن الأمة الإسلامية سمت أحدا من العلماء أو الأمراء أو الحكام أنه خليفة الله في أرضه [5].

فهـــذه الوجوه المذكورة تدل على أنه لا يصح أن يقال لأحد أنه خليفة الله، وقد نسب المـــاوردي [6] و ابن خلدون [7] منع هذا الإطلاق إلى جمهور أهل العلم، وكذلك منعه شيخ الإسلام ابن تيمية [8] وتلميذه ابن القيم [9] وغيرهم .

ولا شـــك أن هـــذه الوجوه المذكورة في غاية القوة والحجة إلا أنها مبنية على حمل الخلافة، على الخلافة عن الله والنيابة عنه سبحانه وتعالى وهذا كفر وشرك من غير شك.

---

(1) أخرجه م (الحج ، ب : ما يقول إذا ركب إلى سفر الحج وغيره ٩٧٨/٢ ح : ١٣٤٢) .

(2) أخرجه ابن سعد في (الطبقات ١٨٣/٣)، واللفظ له؛ وحم (٢٢٥/١ ح : ٥٩ و ٢٢٧/١ ح : ٦٤)؛ والخلال في (السـنة ٢٧٤/١ ح : ٣٣٤)؛ وابن عبد البر في (الاستيعاب ٩٧١/٣-٩٧٢) وكلهم يلتقون في الإسناد عند نافع بـــن عمـــر الجمحي عن ابن أبي مليكة قال قال رجل لأبي بكر. قال الهيثمي في (مجمع الزوائد ١٨٤/٥ و ١٩٨) : (رواه أحمـــد ورجالـــه رجال الصحيح إلا أن ابن أبي مليكة لم يدرك أبا بكر الصديق) فالأثر إسناده إلى أبي بكر ﷺ ضعيف لكونه منقطعا إلا أن إجماع الصحابة تسميته خليفة رسول الله يقوي دلالة الأثر ويؤكدها .

(3) شرح السنة (٧٦/١٤) .

(4) انظر : المستدرك على الصحيحين (٧٩/٣)؛ وألقاب الولاة الواردة في النصوص ...(ص : ١٦ و ٢٤) .

(5) انظر : ألقاب الولاة الواردة في النصوص ...(ص : ٢٤) .

(6) انظر : الأحكام السلطانية (ص : ١٦) .

(7) انظر : مقدمة ابن خلدون (١٦٠/١) .

(8) انظـــر : مجمـــوع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٤٥/٣٥)؛ وتلخيص كتاب الاستغاثة (٣٢٦/١-٣٣٣)؛ ومنهاج السنة النبوية (٥٠٩/١ و ٥٢٥/٥)، وسيأتي عنه وجه آخر يدل على الجواز .

(9) انظر : زاد المعاد (٤٧٤/٢-٤٧٥)؛ ومفتاح دار السعادة (١٥٢/١)، وسيأتي عنه وجه آخر يدل على الجواز .

ولكن يمكن توجيهها بحيث لا محذور فيه، وهو أن يقال : إن الخلافة في إقامة شرع الله وتـنفيذ أحكامه والحكم بين عباده بالحق لا يعنى أنها خلافة عن الله تعالى؛ أي الخلافة التي تكون لموت المستخلف والمنوب عنه أو لغيابه أو لعجزه واحتياجه أو عزله أو اعتزاله، وإنما هي خلافة تشريف وتكريم، والله سبحانه وتعالى يكرم من شاء من عباده باختيارهم خليفة له وتوفيقهم لإقامة شرعه وتنفيذ أحكامه بين عباده في الأرض، فهم لا يحكمون إلا بما حكم الله به، ولا يكونون خليفة إلا باستخلاف الله تعالى إياهم، فهم خلفاء الله بمعنى أنهم خلفاء لله تشريفا وتكريما، وليسوا خلفاء عن الله أو نائبين عنه سبحانه وتعالى .

قـال الـراغب الأصفهاني : (الخلافة : النيابة عن الغير، إما لغيبة المنوب عنه، وإما لموته، وإما لعجزه، وإما لتشريف المستخلف، وعلى هذا الوجه الأخير استخلف الله أولياءه في الأرض. قال تعالى : ﴿ هو الذي جعلكم خلائف في الأرض ﴾ وقال تعالى : ﴿ وهو الذي جعلكم خلائف الأرض ﴾ وقال تعالى : ﴿ يستخلف ربي قوما غيركم ﴾ [1]) [2].

ونحوه قال السمين الحلبي [3].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : (ومن قال عن نفسه أو غيره إني نائب الله أو خليفة عـن الله ولم يكن آمرا بما أمر الله به على لسان رسله، فقد كذب على الله، واستكبر في الأرض بغـير الحـق، كما يذكر ذلك عن طائفة من الملوك الجاهلين الظالمين بل المنافقين المشركين. وإن كان إنما أمر بما أمر الله به فهو مصيب في إيجاب طاعته إذا أمر بما أمر الله به، ومصيب في مخالفة من عصى الله وإكرام من أطاعه .

وقولـه : نـائب إن كان بمعنى المبلغ والرسول والمنفذ فصحيح، وإن كان بمعنى أني أنوب عنه ما لا يفعله هو ولا يقدر عليه فهو كذب) [4].

وقـال العلامة ابن القيم : (إن أريد بالإضافة إلى الله أنه خليفة عنه فالصواب قول الطائفة المانعة منها . وإن أريد بالإضافة أن الله استخلفه عن غيره ممن كان قبله فهذا لا يمتنع فيه الإضافة؛ وحقيقتها خليفة الله الذي جعله الله خلفا عن غيره ... فالإضافة هنا للتشريف والتخصيص، كما

---

(١) هود الآية : ٥٧

(٢) مفردات ألفاظ القرآن (ص : ٢٩٤) .

(٣) انظر : عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ (٥٢٣/١) .

(٤) نقض التأسيس ... (٨٦/١/٣ ب)؛ و عقيدة أهل الإيمان في خلق آدم ... (ص : ١٢١) .

يضاف إليه عباده، كقوله تعالى : ﴿ إن عبادي ليس لك عليهم سلطان ﴾[1]، ﴿ وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا ﴾[2]، ونظائرها . ومعلوم أن كل الخلق عباد له، فخلفاء الأرض كالعباد في قوله : ﴿ والله بصير بالعباد ﴾ [3] ﴿ وما الله يريد ظلما للعباد ﴾ [4]، وخلفاء الله كعباد الله في قوله : ﴿ إن عبادي ليس لك عليهم سلطان ﴾ ونظائره)[5] .

وقال ابن علان : وعلى ثبوت مستند إطلاق خليفة الله على كل منهما؛ أي : آدم وداود عليهما السلام؛ فالإضافة للتعظيم، ويكون المراد بالخليفة أن الله جعله قائما في تنفيذ أحكامه في عباده [6].

وقال الدكتور عبد العليم بن عبد العظيم البستوي – حفظه الله – بعد ذكر حديث ثوبان ﷺ : (والإضافة في قوله : "خليفة الله " إضافة تشريف مثل بيت الله وناقة الله وأهل الله، وليست بمعنى النائب عن الله؛ لأن الله سبحانه وتعالى ليس له نائب) [7] وقال بعد ذكر حديث حذيفة ﷺ : (فاستخدمت كلمة الخليفة هنا لأمير المؤمنين، وأضيف إلى الله سبحانه وتعالى تشريفا وتكريما) [8].

وقال شيخنا محمد بن عبد الرحمن أبو سيف الشظيفي – حفظه الله – : (وعلى القول بصحة هذا الحديث [أي : حديث ثوبان ﷺ] وهو الأظهر فهو نص في جواز هذا الإطلاق، ويكون معنى قولنا : " خليفة الله " ؛ أي : خليفة لله استخلفه الله ومكن له، ويكون هذا الإطلاق نظير قوله ﷺ : ((من أهان سلطان الله في الأرض أهانه الله [9]))، والسلطان هو الخليفة . والمراد

---

(1) الحجر الآية : ٤٢ و الإسراء الآية : ٦٥

(2) الفرقان الآية : ٦٣

(3) آل عمران الآية : ١٥ و الآية : ٢٠

(4) غافر الآية : ٣١

(5) مفتاح دار السعادة (١٥٢/١-١٥٣) .

(6) انظر : الفتوحات الربانية على الأذكار النواوية (٨٣/٧)، وابن علان هو محمد علي بن محمد بن علان البكري الصديقي، مفسر محدث مشارك في عدة علوم، توفي بمكة سنة ١٠٥٧هـ. انظر : معجم المؤلفين (٥٤/١١) .

(7) المهدي المنتظر في ضوء الأحاديث والآثار الصحيحة ...(ص : ١٩٣) .

(8) المصدر السابق نفسه وسيأتي ذكر حديث ثوبان وحذيفة – رضي الله عنهما – في (ص : ٦٦٦).

(9) جزء من حديث أبي بكرة ﷺ، أخرجه حم (٧٩/٣٤ ح : ٢٠٤٣٣ و ١٧٥/٣٤ح : ٢٠٤٩٥)؛ وت (الفتن، قبل باب : ما جاء في الخلافة ٥٠٢/٤ ح : ٢٢٢٤)، واللفظ له؛ وابن أبي عاصم في السنة (٤٨٩/٢ ح : ١٠١٧-١٠١٨)؛ والبزار في مسنده (١٢١/٩-١٢٢ ح : ٣٦٧٠)؛ والبيهقي في الكبرى (قتال أهل البغي، ب : النصيحة لله ولكتابه ورسوله وأئمة المسلمين ١٦٣/٨) وغيرهم .قال الترمذي : (هذا حديث حسن غريب)، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢١٥/٥) : (رواه أحمد والطبراني باختصار ...ورجال أحمد ثقات)، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (٣٧٦/٥ ح : ٢٢٧٩) .

أن هذا الإطلاق جائز في أصل الشرع على المعنى المذكور للأدلة المذكورة، إلا أن استعماله وتداول إطلاقه يوقع في اعتقاد باطل مذموم، ولا يمنع جوازه في أصل الشرع من أن يفهم منه مع الاستعمال اعتقاد باطل، فيكره لذلك إطلاقه، ويترك استعماله كما تركه الصحابة رضي الله عنهم، وكما تركته الأمة من بعدهم إلى يومنا هذا إذ لا يعرف فيما أعلم استعمال هذا الإطلاق على أحد من ولاة الأمر في زمن من الأزمنة . وتتأكد هذه الكراهة، ويشتد المنع والنكير مع ما أحدثته المبتدعة من التصريح باعتقاد باطل محرم واصطلاح إطلاق هذا اللفظ عليه عندهم ورواج قلة الفهم وكثرة الشبه وفساد المقاصد في الناس اليوم ولا حول ولا قوة إلا بالله) [1].

ويمكن الاستدلال لهذا التوجيه من الكتاب والسنة وأقوال السلف وفيما يلي بيان ذلك :

أ- من الكتاب .

● قال تعالى : ﴿ وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة ﴾ وقال تعالى : ﴿ ياداود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى ﴾ وقال تعالى : ﴿ هو الذي جعلكم خلائف في الأرض ﴾ [2]. فالله سبحانه وتعالى نسب الاستخلاف إلى نفسه، وبين أنه هو الذي جعلهم خلائف في الأرض، وأن عليهم أن يحكموا بين عباده بالحق من غير اتباع الهوى، فالذي يستخلفه ويجعله خليفة، ويوفقه للقيام بتنفيذ أوامر الله وإقامة شرعه، ويمكنه من ذلك هو الله سبحانه وتعالى لا غيره [3].

● وقال تعالى : ﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ﴾ [4] وقال موسى ﷺ لقومه كما حكى الله تعالى عنه فقال : ﴿ قال عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض فينظر كيف تعملون ﴾ [5].

فالله سبحانه وتعالى وعد باستخلاف الذين آمنوا وعملوا الصالحات في الأرض كما

---

(1) ألقاب الولاة الواردة في النصوص ودراسة دلالاتها الاعتقادية (ص : ٢٤-٢٥) .

(2) فاطر الآية : ٣٩

(3) انظر : ألقاب الولاة الواردة في النصوص ... (ص : ٢١) .

(4) النور الآية : ٥٥

(5) الأعراف الآية : ١٢٩

اســتخلف الذين من قبلهم ونسب الاستخلاف إلى نفسه، وكذلك نبيه موسى عليه السلام قال لقومه راجيا هلاك عدوهم واستخلافهم في الأرض، ونسب الاستخلاف إلى ربه عز وجل فالأرض كلها لله وهو يجعل فيها خليفة من شاء من عباده [1].

ب – من السنة .

● عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال : إن الناس كانوا يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر، قلت : يا رسول الله ! أرأيت هذا الخير الذي أعطانا الله أيكون بعده شر كما كان قــبله؟ قال : نعم. قلت : فما العصمة من ذلك ؟ قال : السيف . قلت : يا رسول الله ثم ماذا يكون ؟ قال : إن كان لله **خليفة في الأرض** فضرب ظهرك وأخذ مالك فأطعه... الحديث [2].

● وهــو في رواية بلفظ : فإن رأيت يومئذ **خليفة الله في الأرض فالزمه** وإن نهك جسمك وأخذ مالك ... الحديث [3].

فقوله ﷺ في الحديث : ((إن كان لله خليفة في الأرض)) وقوله ﷺ : ((إن رأيت خليفة الله في الأرض)) بمعنى واحد، كما يقال : غلام زيد وغلام لزيد أو لزيد غلام فهذه كلها عبارات متقاربة المعنى، والله أعلم بالصواب .

● وعن ثوبان رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " يقتتل عند كنزكم ثلاثة، كلهم ابن خليفة، ثم لا يصــير إلى واحد منهم، ثم تطلع الرايات السود من قبل المشرق، فيقتلونكم قتلا لم يقتله قوم". ثم ذكر شيئا لا أحفظه، فقال : " فإذا رأيتموه فبايعوه ولو حبوا على الثلج؛ فإنه خليفة الله، المهدي" [4].

---

(1) انظر : ألقاب الولاة الواردة في النصوص ... (ص : ٢١) .

(2) أخــرجه حــم (٤٢٥-٤٢٤/٣٨ ح : ٢٣٤٢٤)؛ و د (الفــتن والملاحم، ب : ذكر الفتن ودلائلها ٩٥/٤ ح : ٤٢٤٤)، واللفظ له؛ وكم (الفتن والملاحم ٤٣٣-٤٣٢/٤) وقال : هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه ووافقه الذهــبي، وحســنه العلامة الألباني في صحيح سنن أبي داود (٦/٣ ح : ٤٢٤٤) وفي سلسلة الأحاديث الصحيحة (٤٠٠/٤ ، ضمن كلامه على حديث : ١٧٩١) وكذلك حسنه محقق المسند ما عدا جملة أخيرة في الحديث .

(3) أخرجه الإمام أحمد (٤٢٢-٤٢١/٣٨ ح : ٢٣٤٢٤)، والحديث حسنه محقق المسند كالرواية التي قبلها.

(4) أخرجه جه (الفتن، ب : خروج المهدي ١٣٦٧/٢ ح : ٤٠٨٤)، واللفظ له ؛ وأبو بكر الروياني في مسنده (٤١٧/١ ح : ٦٣٧)؛ وكــم (الفــتن والملاحم ٤٦٤-٤٦٣/٤ و ٥٠٢/٤)؛ والبيهقي في دلائل النبوة (٥١٥/٦) كلهم بأسانيدهم ويلتقون عند خالد الحذاء عن أبي قلابة عن أبي أسماء عن ثوبان مرفوعا . والحديث قد ضعف إسناده العلامة الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة (١٩٧-١٩٥/١ ح : ٨٥)، وقبله الذهبي في ميزان الاعتدال (١٢٨/٣ في ترجمة علي بن زيد بن جدعان) إذ قال : (أراه منكرا، وقد رواه الثوري وعبد العزيز بن المختار عن خالد الحذاء عن أبي قلابة ←

فقال عن أسماء [الصواب : أبي أسماء] عن ثوبان)، وكذلك انتقد إسناده ابن خلدون في مقدمة تاريخه (٢٦٨/١).

وتتخلص أسباب تضعيفهم للحديث فيما يلي : ١ــ في إسناده عبد الرزاق بن همام الصنعاني وكان عمي في آخره فخلط وحدث بأحاديث لم يوافق عليها . ٢- فيه سفيان الثوري وهو موصوف بالتدليس وقد عنعن . ٣- كذلك فيه أبو قلابة الجرمي وهو أيضا موصوف بالتدليس وقد عنعن . أعله بالوجوه الثلاثة ابن خلدون وبالأخير منها الألباني . و قد أجاب أهل العلم عنها بما يلي ملخصا : أولا : إن اختلاط عبد الرزاق بن همام الصنعاني لا يضر هنا لأن عبد الرزاق بن همام الصنعاني ثقة حافظ شهير وكان اختلاطه في آخره بعد المائتين، فمن سمع منه قبل اختلاطه فروايته صحيحة . والظاهر أن الذهلي وأحمد بن يوسف السلمي اللذان رويا عنه هذا الحديث قد سمعاه منه قبل الاختلاط لأن الإمام البخاري أخرج للذهــلي عن عبد الرزاق والإمام مسلم أخرج لأحمد بن يوسف عن عبد الرزاق . وقد قال الحافظ ابن حجر في هدي الساري (ص : ٤١٩) : (احتج به الشيخان في جملة من حديث من سمع منه قبل الاختلاط)؛ ولأن الذهلي قال عن شيخه عبد الرزاق كما ذكره ابن حجر في تهذيب التهذيب (٤٤٦/٣) : (كان عبد الرزاق أيقظهم في الحديث، وكان يحفظ) فهذا يدل على أن الذهلي سمع من عبد الرزاق قديما قبل اختلاطه وإلا لما وصفه بهذا الوصف من الحفظ واليقظة في الحديث . به أجاب البستوي . قلت : ويمكن أن يضاف إلى ذلك أن عبد الرزاق لم ينفرد برواية هذا الحديث عن الثوري فقد تابعه على ذلك متابعة تامة الحسين بن حفص بن الفضل الأصبهاني في رواية هذا الحديث عن الثوري، و الحسين هنا صـــدوق كما قال ابن حجر في تقريب التهذيب (ص : ١٦٦ برقم : ١٣١٩)، وروايته عند الحاكم (٤٦٤/٤)، وكذلك تابعه متابعة قاصرة يحيى بن أبي طالب ثنا عبد الوهاب بن عطاء الخفاف ثنا خالد الحذاء به ، ويحيى بن أبي طالب هو يحيى بن جعفر الزبرقان . تكلم فيه موسى بن هارون بأنه كان يكذب في كلامه، ودافع عنه الدارقطني فقال : لم يطعن فيه أحد بحجة ، لا بأس به عندي نقله الذهبي في ميزان الاعتدال (٣٦٧/٤) وزاد في (٣٨٦/٤-٣٨٧) : (محدث مشهور وثقه الدارقطني وغيره وهو من أخبر الناس به) ، وذكر الحافظ ابن حجر في لسان الميزان (٢٦٣/٦) عن مسلمة بـــن القاسم أنه قال : ليس به بأس تكلم الناس فيه فهو أيضا أقرب إلى درجة الصدوق . وأما شيخه عبد الوهاب فهو صـــدوق كما ذكر الحافظ ابن حجر في تقريب التهذيب (ص : ٣٦٨ برقم : ٤٢٦٢) . وروايته أيضا عند الحاكم (٥٤٧/٤) . وبهذا يتبين أن تعليل هذا الحديث باختلاط عبد الرزاق في غير محله والله أعلم .

ثانيــا : أما كون الثوري وأبي قلابة وصفا بالتدليس وقد عنعنا فلا يضر في صحة الإسناد لأن الثوري في المرتبة الثانية من المدلســين وأبو قلابة في المرتبة الأولى وقد احتمل الأئمة تدليس أهل هاتين المرتبتين بالاتفاق ولو عنعنوا عند الرواية وذلك لإمامــتهم وقلة تدليسهم بجانب ما رووا أو لأنهم لم يكونوا يدلسون إلا عن ثقة كابن عيينة وقد سبق بيان ذلك من قبل في (ص : ١٧٢). ولذلك أخرج الإمام مسلم عن خالد الحذاء عن أبي قلابة عن أبي أسماء عن ثوبان انظر : مثلا : (البر والصلة ب : فضل عيادة المريض ح : ٢٥٦٨) وهذا خلاصة ما أجاب به البستوي والشيخ أبو سيف . وثالثا : أما قول الذهبي : (أراه منكرا) فالظاهر من كلامه أنه يريد النكارة في الإسناد لا المتن نفسه لأن علي بن زيد رواه فقال : عن أبي قلابة عن ثوبان وأما الثوري وعبد العزيز وغيرهما خالفوه في ذلك فقالوا عن أبي قلابة عن أبي أسماء عن ثوبان ، فذكروا أبا أسماء بين أبي قلابة وثوبان وأمــا علي بن زيد مع ضعفه لم يذكر أبا أسماء بل حذفه مخالفا لجماعة من الثقات الثوري وغيره ، والضعيف إذا خالف لمن هو أوثــق مــنه أو لجماعة من الثقات يكون خبره منكرا . يدل على ذلك قول الذهبي بعده : (وقد رواه الثوري وعبد العزيز بن المختار عن خالد الحذاء عن أبي قلابة فقال : عن أسماء عن ثوبان) ،ونحوه قال البستوي، والله أعلم بالصواب .

وقد درس شيخنا أبو سيف محمد بن عبد الرحمن الشظيفي – حفظه الله – هذا الحديث في كتابه : ألقاب الولاة والواردة في النصوص (ص : ٢٢-٢٤) دراسة تفصيلية، وأجاب جوابا شافيا عما أعل العلامة الألباني به الحديث، وقال

وقـــال شـــيخنا محمـــد بن عبد الرحمن أبو سيف الشظيفي – حفظه الله – بعد أن ذكر هذا الحديث : (وعلى القول بصحة هذا الحديث، وهو الأظهر فهو نص في جواز هذا الإطلاق) [1].

● وعـــن أبي بكرة ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : من أهان سلطان الله في الأرض أهانه الله [2].

والسلطان هو الخليفة، يقول المباركفوري في شرح قوله ﷺ : (و" في الأرض " متعلق بـــــ " ســـلطان الله " تعلقها في قوله تعالى : ﴿ إنا جعلناك خليفة في الأرض ﴾ والإضافة في سلطان الله، إضافة تشريف، كبيت الله وناقة الله) [3].

ج – من أقوال السلف .

● روي عـــن ابن عباس وابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبي أن الله جل ثناؤه قال للملائكة : إني جاعل في الأرض خليفة . قالوا : ربنا وما يكون ذلك الخليفة ؟ قال : يكون له ذرية يفسدون في الأرض، ويتحاسدون، ويقتل بعضهم بعضا [4].

قال ابن جرير الطبري : (فكان تأويل الآية على هذه الرواية التي ذكرناها عن ابن مســعود وابن عباس إني جاعل في الأرض خليفة مني يخلفني في الحكم بين خلقي، وذلك

في الأخير : " تصحيح هذا الحديث أولى من تضعيفه "، وكذلك درسه دراسة موسعة الدكتور عبد العليم البستوي – حفظه الله – في كتابه : المهدي المنتظر في ضوء الأحاديث والآثار الصحيحة (ص : ١٨٤-١٩٢)، وأجاب عن جميع مـــا وجه إلى الحديث من النقد من قبل الناقدين فأجاد وأفاد، وقال : (النتيجة : إسناده صحيح). وقد صحح الحديث قبلهما جماعة من أهل العلم منهم الإمام الحاكم إذا قال : (هذا حديث صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه)،ووافقه الذهبي في الموضع الأول، وسكت عليه في الموضع الثاني . وقال ابن كثير في (النهاية في الفتن والملاحم ٤٤/١) : (هذا إســـناد قـــوي صحيح) وقال البوصيري في مصباح الزجاجة (٢٦٣/٣ ح : ١٤٤٢) : (هذا إسناد صحيح رجاله ثقات)، وقال الشيخ حمود التويجري في (إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة ١٩/٢) : (إسناد صحيح)، وبعد النظر في كلام أهل العلم في الحديث يترجح لدي صحة الحديث والله أعلم بالصواب .

(١) ألقاب الولاة الواردة في النصوص ... (ص : ٢٤) .

(٢) حديث حسن، وقد سبق تخريجه في (ص : ٦٦٤) .

(٣) تحفـــة الأحـــوذي (٣٩٤/٦)؛ والمـــباركفوري هـــو أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم بن بهادر المـــباركفوري، كـــان من كبار علماء الحديث بالهند في القرن الماضي، وهو أول من أظهر في منطقته العمل بالحديث ودعا الناس إليه، توفي سنة ١٣٥٣هـــ . انظر ترجمته في مقدمة كتابه المذكور (٥٣٠/٢-٥٥٠) .

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٠٠/١) وفي الإسناد كلام، وقد سبق تفصيله في (ص : ٩٨-٩٩و٣٦٩) .

الخليفة هو آدم ومن قام مقامه في طاعة الله، والحكم بالعدل بين خلقه) [١].

وقال الحافظ ابن حجر : (وذكر الطبري أن مقتضى ما نقله السدي عن مشايخه أنه خليفة الله في الأرض) [٢].

● وقال علي بن أبي طالب ﷺ عن العلماء الربانيين في حديث طويل : (... أولئك خلفاء الله في بلاده، ودعاته إلى دينه ...) [٣].

● وقال حذيفة ﷺ : قبض رسول الله ﷺ فاستخلف الله أبا بكر، ثم قبض أبو بكر فاستخلف الله عمر، ثم قبض عمر فاستخلف الله عثمان [٤].

● وقال عبد الله بن جعفر بن أبي طالب - رضي الله عنهما - : ولينا أبو بكر، فكان خير خليفة الله، أرحمه بنا، وأحناه علينا [٥].

● وقال معمر بن راشد القرشي : كان الحسن إذا تلا : ﴿ ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صلحا وقال إنني من المسلمين ﴾ [٦] قال : هذا حبيب الله، هذا ولي الله، هذا صفوة الله، هذا

---

(١) المصدر السابق نفسه .

(٢) فتح الباري (٣٦٤/٦) .

(٣) أخرجه ابن عبد ربه في (العقد الفريد ٢١١/٢-٢١٣)؛ والنهرواني في (الجليس الصالح ٣٣١/٣-٣٣٢)؛ وأبو نعيم في الحلية (٧٩/١-٨٠، ترجمة علي ﷺ)، واللفظ له؛ والخطيب في (الفقيه والمتفقه (٤٩/١)؛ والشجري في أماليه (٦٦/١)؛ والمزي في تهذيب الكمال (٢٢٠/٢٤، ترجمة كميل بن زياد)؛ والذهبي في تذكرة الحفاظ (١١/١-١٢، ترجمة علي ﷺ)؛ وذكره ابن القيم في مفتاح دار السعادة (١٢٣/١)؛ ومحمد الرضي في نهج البلاغة (ص : ٤٩٥-٤٩٧) وغيرهم . قال الخطيب في الفقيه والمتفقه (٥٠/١) : (هذا حديث حسن من أحسن الأحاديث معنى وأشرفها لفظا) . وقال ابن عبد البر في جامع بيان العلم (١١٢/٢) : (هو حديث مشهور عند أهل العلم، يستغني عن الإسناد، لشهرته عندهم). وقال ابن كثير في البداية والنهاية (٤٧/٩) : (قد رواه جماعة من الحفاظ الثقات) . قال الذهبي في تذكرة الحفاظ (١٢/١) : إسناده لين .

(٤) أخرجه الطبراني في الأوسط (٦٤/٦ ح : ٥٨٠٤) . قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٧٩/٥) : (رواه الطبراني في الأوسط ورجاله ثقات) .

(٥) أخرجه الشافعي في الأم (الصلاة، ب : صفة الأئمة ٢٩٠/١-٢٩١)؛ والإمام أحمد في فضائل الصحابة (٤٣٩/١ ح : ٦٩٩)؛ وكم (معرفة الصحابة ٧٩/٣) كلهم بأسانيدهم، ويجتمعون في الإسناد عند شيخ الشافعي يحيى بن سليم القرشي . ورجال إسناد الشافعي كلهم ما بين ثقة وصدوق وقال الحاكم : (هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه)،ووافقه الذهبي ، وقال الحافظ ابن حجر في (الإصابة ٣٤٤/٢) : (سند جيد) .

(٦) فصلت الآية : ٣٣

خيرة الله، هذا أحب أهل الأرض إلى الله، أجاب الله في دعوته، ودعا الناس إلى ما أجاب الله فيه من دعوته، وعمل صالحا في إجابته، وقال إنني من المسلمين لربه، هذا خليفة الله [1].

والـــذي يظهر لي أنه يمكن الجمع بين هذه الأقوال بأن يقال : إن هذه الأرض كانت معمـــورة قـــبل أن يـــترل عليها آدم عليه السلام فكان هو وذريته خليفة عمن كان قبلهم من المخلوقات ثم لما توفي آدم عليه السلام خلفه بنوه، واستمر ذلك جيلا بعد جيل وقرنا بعد قرن، فهذه خلافة عامة شاملة لجميع بني آدم .

وأن آدم عليه السلام كـــان أكرمه الله سبحانه وتعالى بالنبوة ، التي هي اصطفاء واختيار وفضل وإنعام من الله سبحانه وتعالى يكرم بها من شاء من عباده ، فآدم عليه السلام عبد من عباد الله المقربين ونبي من أنبيائه المكرمين المختارين، ولا شك أن النبي يكون مأمورا بإحقاق الحق وإبطال الباطل بتطبيق ما أوحى الله إليه من شرعه وأمره ونهيه والحكم بين عباده في ضوئه والدعوة إليه وتلقينه أتـــباعه وأمته، فآدم عليه السلام قام لما أمر به من الله سبحانه وتعالى ولقنه ذريته فتوارث ذلك أبناؤه وعنهم أبناؤهم... الصالحون فكان الصالحون منهم خلفاء عن أبيهم في تنفيذ أحكام الله وشرعه والدعوة إليه بإذن الله وتوفيقه لهم، فحصلت لهم بذلك الخلافة العامة والخاصة[2] .

خلاصـــة القول : المراد بالخلافة إما الخلافة ممن كان في الأرض قبل نزول آدم عليه السلام عـــليها ثم خـــلفه بنوه قرنا بعد قرن وجيلا بعد جيل فتعم حينئذ الجميع، إما الخلافة من جهته سبحانه في إجراء أحكامه وتنفيذ أوامره بين الناس وسياسة الخلق لكن لا لحاجة به تعالى إلى ذلك، فتختص بالخواص من بنيه، والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(1) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (١٨٧/٣)؛ وابن المبارك في الزهد (٨٤١/٢ برقم : ١١٢٠)، واللفظ له، كلاهما عن شيخهما معمر بن راشد عن الحسن من قوله، وأخرجه الطبري في تفسيره (١٢٨/٢٤) فقال : ثنا محمـــد بن عبد الأعلى، ثنا محمد بن ثور عن معمر به مثله، ومن طريق عبد الرزاق ذكره ابن كثير في تفسيره (١٠١/٣) ورجال الإسناد أئمة ثقات حفاظ فالإسناد إليه صحيح والله أعلم بالصواب .

(2) انظر : الإشارة إلى هذا التوجيه في : إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (٨١/١-٨٢)؛ والتحرير والتنوير من التفسير (٣٩٩/١)؛ وأضواء البيان (٦٧/١) وانظر بالتفصيل في : تاريخ الدعوة (٥٦/١-٦٠).

المطلب الثالث: معنى الخلافة عند أهل وحدة الوجود، وبيان بطلانه.

يرى القائلون بوحدة الوجود أن الله سبحانه وتعالى عين هذه الموجودات والمخلوقات، وأن الإنسان من بين هذه الموجودات والمخلوقات نسخة مختصرة جامعة وصورة مصغرة كاملة للذات الإلهية في الأرض؛ ويزعمون أن الله سبحانه وتعالى أراد أن يرى عينه في مرآة العالم، فخلق الإنسان على صورته، وجعل فيه من أسمائه وصفاته ما ضاهي به الحضرة الإلهية، فهو صورته الجامعة المصغرة في العالم، وبذلك استحق الإنسان أن يكون خليفة الله في أرضه، ونائبه عنه في زعمهم .

قال ابن عربي [1]:

يا صورة أنس سرها معنائي   ما خلقك للأمر ترى لولائي

شئناك فأنشأناك خلقا بشرا   لتشهدنا في أكمل الأشياء [2]

وفصل ذلك فقال : (شاء الحق سبحانه من حيث أسماؤه الحسنى التي لا يبلغها الإحصاء أن يرى أعيانها وإن شئت قلت أن يرى عينه في كون جامع يحصر الأمر كله ويظهر به سره إليه ... وقد كان الحق سبحانه أوجد العالم كله وجود شبح مسوى لا روح فيه، فكان كمرآة غير مجلوة... فاقتضى الأمر جلاء مرآة العالم فكان آدم عين جلاء تلك المرآة، وروح تلك الصورة ... فسمي هذا المذكور إنسانا وخليفة؛ فأما إنسانيته فلعموم نشأته وحصره الحقائق كلها، وهو للحق بمنزلة إنسان العين من العين الذي يكون به النظر، وهو المعبر عنه بالبصر؛ فلهذا سمي إنسانا؛ فإنه به ينظر الحق إلى خلقه فيرحمهم،...وقيام العالم بوجوده فهو من العالم كفص الخاتم من الخاتم، وهو محل النقش والعلامة التي يختم بها الملك على خزانته، وسماه خليفة من أجل هذا، لأنه تعالى الحافظ به خلقه، كما يحفظ الختم الخزائن ... فاستخلفه في حفظ الملك فلا يزال

---

(1) ابن عربي هو محمد بن علي بن محمد الحاتمي الطائي الأندلسي، الملقب بمحي الدين والشيخ الأكبر، وهو صوفي اتحادي شيعي باطني شيخ سوء كذاب، قدوة القائلين بوحدة الوجود، ومات سنة ٦٣٨هـ. قال الذهبي عن كتابه " فصوص الحكم " : (من أردإ تواليفه كتاب الفصوص، فإن كان لا كفر فيه فما في الدنيا كفر " . انظر : ميزان الاعتدال (٦٥٩/٣)؛ وسير أعلام النبلاء (٤٨/٢٣-٤٩) .

(2) ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية عنه في مجموع الفتاوى (٢٨٧/٢ و٣٠٧-٣٠٨) .

العـــالم محفوظـــا مـــا دام فيه هذا الإنسان الكامل ...فأنشأ صورته الظاهرة من حقائق العالم وصـــوره، وأنشـــأ صـــورته الباطنة على صورته تعالى... فقد علمت نشأة آدم أعني صورته الظاهـــرة، وقـــد علمت نشأة روح آدم أعني صورته الباطنة فهو الحق الخلق، وقد علمت نشأة رتبته وهي المجموع الذي به استحق الخلافة) أهـــ باختصار [1].

● وكذلك تزعم المتصوفة الاتحادية أن فيهم من يأخذ الخلافة عن الله تعالى، فيكون خليفة عنه سبحانه وتعالى، وقد يقال له في الظاهر أنه خليفة الرسول مع أنه في الحقيقة خليفة الله تعالى .

قال ابن عربي : (ولله في الأرض خلائف عن الله، وهم الرسل، وأما الخلافة اليوم فعن الرســـل، لا عن الله؛ فإنهم ما يحكمون إلا بما شرع لهم الرسول، لا يخرجون عن ذلك، غير أن هنا دقيقة لا يعلمها إلا أمثالنا، وذلك في أخذ ما يحكمون به مما هو شرع للرسول عليه السلام ، فالخليفة عن الرسول من يأخذ الحكم بالنقل عنه صلى الله عليه وسلم أو بالاجتهاد الـــذي أصله أيضا منقول عنه صلى الله عليه وسلم، فينا من يأخذ عن الله فيكون خليفة عن الله بعـــين ذلك الحكم، فتكون المادة له من حيث كانت المادة لرسوله صلى الله عليه وسلم ...فـــنقول فيـــه بلسان الكشف خليفة الله، وبلسان الظاهر خليفة رسول الله؛ ولهذا مات الرســـول صلى الله عليه وسلم، وما نص بخلافة عنه إلى أحد، ولا عينه لعلمه أن في أمته من يأخذ الخلافة عن ربه، فيكون خليفة عن الله مع الموافقة في الحكم المشروع) [2].

خلاصـــة قولهم [3]: إن الإنسان خليفة الله في أرضه لأنه في نشأته الظاهرة وصورته الجســـمية إنسان، وفي نشأته الباطنة الروحية إله،فهو الخلق الحق، بذلك استحق أن يكون خليفته ونائبه عنه سبحانه وتعالى في الأرض .

وعـــندهم وجـــه آخـــر للخلافة وهو أنه لا زال فيهم من يأخذ الخلافة عن الله تعالى

---

(1) انظـــر : فصوص الحكم (الفص الأول : فص حكمة إلهية في كلمة آدمية ، ص : ٤٨-٥٦) وانظر نحوه في شرح عبد الرزاق القاشاني على فصوص الحكم (ص : ١١، ١٥، ١٧، ١٩، ٢٧، ٢٩-٣١) .

(2) انظر : فصوص الحكم (الفص السابع عشر : فص حكمة وجودية في كلمة داودية ص : ١٦٢-١٦٣) .

(3) بالإضـــافة إلى مـــا ذكـــره عن القائلين بوحدة الوجود في بيان معنى الخليفة والخلافة انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٢/٢٨٨-٢٨٩ و ٣٥/٤٤)؛ ومجموعة الرسائل والمسائل (إبطال وحدة الوجود والرد على القائـــلين بها ١/٧٦-٧٧) ومنهاج السنة النبوية (١/٥٠٩)؛ ونقض التأسيس ...(٣/١/٨٢ أ-ب)؛ وعقيدة أهل الإيمان ... (ص : ١١٠-١١١)؛ وفيض القدير (٣/٧٣-٧٤)؛ وروح المعاني (١/٢٢٠-٢٢١) .

مباشرة، وأن الرسول ﷺ لم يعين الخليفة بعده بالنص لعلمه أن في أمته من يأخذ الخلافة عن الله سبحانه وتعالى، وهذه كلها دعاوى باطلة من أولها إلى آخرها .

أما قولهم بأن الإنسان استحق أن يكون خليفة الله لكونه إنسانا في نشأته الظاهرة وإلها في نشأته الباطنة فهذا من أبطل الباطل وبيان ذلك بما يلي :

قد سبق ذكر دعوى الاتحادية بأن الله سبحانه وتعالى هو عين هذه الموجودات والمخلوقات وبيـان بطلانها من وجوه كثيرة [1]، كما سبق ذكر دعواهم أن الله تعالى خلق آدم على صورة العالم، وأن العالم على صورة الله تعالى؛ فآدم على صورة الله، وأنهم حملوا حديث : ((خلق الله آدم علـى صورته)) على هذه الدعوى الباطلة ، مع بيان بطلان هذه الدعوى أيضا من وجوه كـثيرة [2]، وكـل تـلك الوجوه المتقدمة تدل على بطلان دعواهم هذه أن الإنسان استحق الخلافة لكونه صورة مصغرة ونسخة مختصرة عن الله سبحانه وتعالى في الأرض .

وهـنا أضـيف إلى ذلك وجوها أخر تدل على بطلان مذهبهم وفساد عقائدهم مما يتعلق بمقالتهم المذكورة هنا وبالله التوفيق :

١- لا شك أن الإنسان كما هو مخلوق بجسمه وظاهره، فكذلك هو مخلوق بروحه وباطنه، والله سـبحانه وتعالى كما خلق جسم الإنسان وصورته وظاهره، فكذلك هو الذي خلق روح الإنسان وباطنه، فليس في الإنسان شيء غير مخلوق، وقد سبق ذكر الأدلة الدالة على كون الإنسان مخلوقا بجسده وروحه في ضوء الكتاب والسنة وإجماع الأمة وأقوال السلف الصالح في ذلك [3].

٢ – يلزم من قولهم هذا أن الإنسان جزء من ذات الخالق، وهو سبحانه وتعالى متره أن تكـون ذاته مادة خلق لغيره بل هو سبحانه بائن بذاته عن مخلوقاته، فليس في ذاته شيء من مخلوقاته، ولا في مخلوقاته شيء من ذاته، وقد اتفق على ذلك سلف الأمة وأئمتها [4].

فـإذا علم أن الله سبحانه وتعالى بائن من خلقه، ليس في ذاته شيء من مخلوقاته، ولا في مخـلوقاته شـيء من ذاته علم بطلان دعوى من زعم أن الإنسان في صورته الظاهرة

---

(1) انظر : (ص : ٣٢٦-٣٣٩و٣٩٨-٣٩٩).

(2) انظر : (ص : ١٨١-١٨٣) .

(3) انظر : (ص : ١١٢-١١٧) .

(4) انظر : (ص : ١١٢) .

إنســـان وأنه في حقيقته وباطنه إله، وبالتالي يبطل ما بنوا عليه من أن الإنسان استحق أن يكون خليفة الله سبحانه وتعالى في الأرض لكونه إنسانا في الظاهر وإلها في الباطن.

٣- إن الله ســـبحانه وتعالى رد على النصارى دعواهم أن عيسى ﷺ ذو طبيعتين : لاهوتيــة وناسوتية وكفرهم لذلك [١]. فكيف يصح دعوى من يزعم أن الناس كلهم في باطـــنهم إلـــه وفي ظاهرهم إنسان وأنهم استحقوا الخلافة عن الله سبحانه وتعالى لكونهم جمعوا بين الطبيعة الظاهرة الإنسانية وبين الطبيعة الباطنة الإلهية ؟.

٤- إنهم يزعمون أن الإنسان خليفة الله لكونه عين الله في الحقيقة وهذا قول لا يقول بـــه عـــاقل لأنه إذا كان الإنسان هو عين الله لا يمكن أن يكون خليفة الله لأن الخليفة لا يمكن أن يكون خليفة عن نفسه .

٥- إنهـــم يقولـــون بوحدة الوجود ولكن قولهم هنا : الحق والخلق وآدم والإنسان والـــرائي والمـــرئي والمـــرآة والعـــالم والمعـــنى والصورة والختم والخزانة والفص والخاتم والخليفة...هذا كله يثبت التعدد ويناقض مذهبهم ويدل على بطلانه وفساده .

وأما دعواهم أن الرسول ﷺ لم ينص على خلافة أحد من الصحابة بعينه لعلمه أن في أمته من يأخذ الخلافة عن الله تعالى مباشرة فهذا باطل وذلك لما يلي :

١- هـــذا قول بلا علم إذ لم يرد في أحاديث رسول الله ﷺ ما يدل على أنه ترك تنصيص الخليفة بعده لعلمه أن في أمته من يأخذ الخلافة عن الله بالمعنى الذي زعمه هؤلاء الاتحادية .

٢- إن رسول الله ﷺ ترك التنصيص على خلافة أبي بكر لعلمه أن الأمة ستجتمع عليه بعده فعـــن عائشة ﵂ قالت : قال لي رسول الله ﷺ في مرضه : ادعي لي أبا بكر، وأخاك حتى أكتب كتابا فإني أخاف أن يتمنى متمن، ويقول قائل : أنا أولى ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر [٢].

فهذا الحديث يدل على أن رسول الله ترك تعيين أبي بكر خليفة بعده لعلمه أن الأمة ستختار أبا بكر خليفة بعده وتتفق عليه [٣]، وليس كما زعم هؤلاء .

---

(١) انظر : ص : ١١٢-١١٣) .

(٢) أخرجه خ (الأحكام، ب : الاستخلاف ٢٦٣٨/٦ ح : ٦٧٩١)؛ و م (فضائل الصحابة، ب : من فضائل أبي بكر الصديق ١٨٥٧/٤ ح : ٢٣٨٧)، واللفظ له .

(٣) انظر : نعمة الذريعة في نصرة الشريعة (ص : ١٣٧) .

٣- إن أبـــا بكر الصديق ﷺ، كان يتبع آثار رسول الله ﷺ في كل شؤونه، فإن خفي عليه شيء من ذلك استفسر من أصحاب رسول الله عن سنته في ذلك، وأخذ به وتمسك، فـــلو كان هو أخذ الخلافة عن الله بالمعنى الذي ذكره هؤلاء لم يكن بحاجة إلى تتبع سنن رسول الله ﷺ والاستفسار من الصحابة فيما يشكل ويخفى عليه.

٤- إن أبا بكر الصديق ﷺ لم يدع قط أنه أخذ الخلافة عن الله سبحانه وتعالى كما زعـــم هؤلاء[١] بل هو كان يحب أن يقال له خليفة رسول الله وذلك لما قال له رجل : يا خليفة الله لم يرضه منه وأنكر عليه [٢].

٥- الصـــحابة رضـــوان الله عليهم أجمعين هم أفضل الأمة المحمدية بالإجماع وهم سادات الأولياء والأتقياء ولكن لم يدع أحد منهم عن نفسه ولا عن غيره أنه أخذ الخلافة عن الله سبحانه وتعالى بالمعنى الذي ذكره هؤلاء [٣].

أمـــا زعمه أنه لا زال فيهم من يأخذ الخلافة عن الله تعالى مباشرة من غير واسطة الرسول فقد ادعى الخبيث بذلك أنه أفضل من الصحابة وأنه يوحى إليه ولكن أين الدليل على أن الذي يوحـــي إليـــه هو الله عز وجل بل الذي يوحي إليه بهذا الغرور والباطل هو الشيطان . قال الله تعالى : ﴿وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا﴾ [٤].

فيتبين مما سبق من الوجوه أن ما ذهب إليه القائلون بوحدة الوجود في بيان معنى الخلافة وتفسيرها قول باطل مشتمل على الكفر والشرك والزندقة والإلحاد [٥] والله أعلم بالصواب .

---

(١) انظر : نعمة الذريعة في نصرة الشريعة (ص : ١٣٧) .

(٢) انظر : (ص : ٦٦٢) .

(٣) انظر : نعمة الذريعة في نصرة الشريعة (ص : ١٣٧) .

(٤) الأنعام الآية : ١١٢

(٥) وهناك نقاط ووجوه أخرى غير ما ذكرت ناقشهم عليها شيخ الإسلام ابن تيمية وبين بها بطلان مذهبهم . انظر : مجموع الفتاوى (٢/١٢٢و١٢٧-١٢٨ و٣١٦-٣١٨) .

الباب الرابع : نبوة آدم عليه السلام ودعوته ووفاته .

وفيه ثلاثة فصول .

....

الفصل الأول : نبوة آدم عليه السلام . فيه مدخل ومبحثان .

المدخل : ضرورة العباد إلى الرسالة السماوية ووجوب الإيمان بها .

المبحث الأول : إثبات نبوة آدم عليه السلام .

المبحث الثاني : عصمة آدم عليه السلام .

المدخل : ضرورة العباد إلى الرسالة السماوية ووجوب الإيمان بها. وفيه مسألتان .

المسألة الأولى : ضرورة العباد إلى الرسالة السماوية .

إن الله سبحانه وتعالى لما أخرج الأبوين من الجنة، وأنزلهما إلى الأرض وعدهما بأن هدايته وإرشاده سيكون مستمرا لهما ولذريتهما في الأرض . قال تعالى : ﴿ قلنا اهبطوا منها جميعا فإما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ (1) وقال تعالى : ﴿ قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو فإما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى ﴾(2).

فأنزل سبحانه وتعالى هداه على عباده، واختار لتبليغه إليهم رجالا منهم، وأول من اختاره منهم، واصطفاه، واجتباه، وهداه، وجعله نبيا وواسطة بينه وبين بني آدم هو أبوهم آدم عليه السلام، ثم لم تزل رسالة الله سبحانه وتعالى وهدايته لعباده تنزل على رجال منهم إلى أن ختمت على سيد الأنبياء والمرسلين وأفضلهم محمد بن عبد الله الهاشمي ﷺ برسالة عامة شاملة كاملة، خالدة باقية إلى يوم القيامة، مهيمنة على الرسالات السابقة كلها، محفوظة بحفظ الله لها .

والله سبحانه وتعالى لم يترك أمة من الأمم إلا وقد بعث فيها رسله ونذره. قال تعالى : ﴿ ولكل أمة رسول ﴾ (3) وقال تعالى : ﴿ وإن من أمة إلا خلا فيها نذير ﴾(4) وقال تعالى: ﴿ ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ﴾(5) . والله سبحانه وتعالى من حكمته أنه يوفر لعباده ما يحتاجون إليه بحسب حاجتهم إليه وضرورتهم له، فإرساله الرسل بهذه الكثرة والمتابعة يدل على أهمية الرسالة السماوية ومكانتها ومنزلتها، ويبين شدة حاجة العباد وضرورتهم إليها.

---

(1) البقرة الآية : ٣٨

(2) طه الآية : ١٢٣

(3) يونس الآية : ٤٧

(4) فاطر الآية : ٢٤

(5) النحل الآية : ٣٦

والله سبحانه وتعالى أنزل هداه للعباد، وبين لهم طريق الفلاح والسعادة، عن طريق أنبيائه ورسله - وهم جم غفير- وكلهم قد بلغوا إلى الناس رسالة ربهم، وبينوا لهم ما يحبه الله ويرضاه، وما يكرهه ويأباه، ودعوهم إلى كل خير وبر وفضل يعلمونه، وحذروهم من كل شر وشين وفساد يعلمونه، ونصحوهم غاية النصح، وبينوا لهم أوضح بيان، ومع ذلك نرى كثيرا من بني آدم قد تنكبوا عن الصراط المستقيم، وحادوا عن جادة الصواب، وغاصوا في بحر الشقاوة والندامة والمساوي والمهالك والقاذورات. فأمعنوا النظر وقلبوا الفكر وتصوروا وتفكروا كيف تصير الحال وما ذا يكون المآل لو لم يكن الله سبحانه وتعالى قد أرسله رسله إليهم مبشرين ومنذرين ؟ [1].

فهذا كله يبين شدة حاجة البشرية إلى الرسالة السماوية، ولا يمكن توضيح تلك الحاجة، وبيان تلك الضرورة كما هي، فالقلم عن بيانها قاصر، واللسان عن وصفها عاجز ولكن فيما يلي إلقاء ضوء يسير على بعض تلك الجوانب التي تؤكد حاجة البشرية إلى الرسالة السماوية وضرورتها وافتقارها إليها وبالله التوفيق .

١- حاجة الناس إلى معرفة الغاية من وجودهم وكيفية تحقيقها [2]: إن الله سبحانه وتعالى لم يخلق الناس سدى، وإنما خلقهم لحكمة عظيمة وغاية حميدة، ألا وهي عبادة الله وحده لا شريك له. قال تعالى : ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون * ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون * إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين ﴾ [3]. والإنسان لا يستطيع أن يعرف حقيقة العبادة، وكيفتها، وتفاصيلها، وما يحبه الله منها ويرضى، وما يكرهه منها ويأبى، إلا عن طريق الأنبياء والمرسلين، فحاجة الناس إليهم ماسة، ليعلموا عن طريقهم حقيقة العبادة وطريقتها، ليأتوا بها على وجهها، ويتمكنوا من تحقيق الغاية التي خلقوا لها، وتكون عبادتهم مقبولة عند الله سبحانه وتعالى، ويكونوا من الفائزين بعبودية الله الخاصة، وبسعادة الدنيا والآخرة .

---

(١) انظر : النبوات (مقدمة المحقق ، ١/٢٢) .

(٢) انظر : النبوات (مقدمة المحقق ١/٢٣)؛ والنبوة والأنبياء في ضوء القرآن الكريم (ص : ٢٤-٢٥)؛ ودراسات في النبوة والرسالة (ص : ١٠٢)؛ ونبوة محمد ﷺ في القرآن (ص : ٢٩-٣٠)؛ وفتاوى اللجنة الدائمة (٣/٢٥٨) .

(٣) الذاريات الآيات : ٥٦-٥٨

٢- الحاجـــة إلى تصـــفية الفطرة وتجليتها وإعادتها إلى أصلها[١] : إن الله سبحانه وتعالى فطر الناس على معرفته، وجبلهم على التدين والعبودية له سبحانه وتعالى . قال تعالى : ﴿ فأقم وجهك للدين حنيفا فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون * منيبين إليه واتقوه وأقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين ﴾ [٢] .

عـــن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أوينصرانه أويمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء . هل تحسون فيها من جدعاء ؟ ثم يقول : ﴿ فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ﴾ [٣] .

وعن عياض بن حمار المجاشعي أن رسول الله ﷺ قال ذات يوم في خطبته : ألا إن ربي أمـــرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني، يومي هذا . كلُّ مالٍ نَحَلْتُه عبدا حلال ، وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا ... الحديث [٤].

فـــالله ســـبحانه وتعالى خلق الناس على الفطرة النقية السليمة المؤدية إلى معرفة الله والعـــبودية له ســـبحانه ولكن هذه الفطرة قد يعترض لها ما يغيرها ويفسدها مثل تربية الأولاد تـــربية غـــير إسلامية، وتقليدهم لآبائهم وأجدادهم المنحرفين، ومصاحبة الأشرار المفســـدين، وسوســـة الشياطين من الجن والإنس وغيرها من العوامل والأسباب التي تغير الفطـــرة وتفســـدها، فاقتضت حكمة الله سبحانه وتعالى أن يختار من عباده أنبياء ورسلا يذكرونهم بالله سبحانه وتعالى، ويأمرونهم بعبادته وحده لا شريك له، ويأخذون بأيديهم من الضلال والانحراف إلى سبيل الهدى والرشاد، ويعيدونهم إلى جادة الصواب .

٣ - الحاجـــة إلى معرفة المغيبات مع قصور العقل عن إداركها [٥]: الإيمان بالغيب من أهـــم خصائص الإيمان وميزاته؛ ولذلك مدح الله سبحانه وتعالى عباده الذين يؤمنون بالغيب،

---

(١) انظر : عصمة الأنبياء للدكتور محمد الحديدي (ص : ١٦-١٧)؛ ونبوة محمد ﷺ في القرآن (ص : ٣٢-٣٣) .

(٢) الروم الآيتان : ٣٠-٣١

(٣) حديث صحيح، أخرجه الشيخان واللفظ للبخاري، وقد سبق تخريجه في (ص : ٦١٥) .

(٤) أخرجه م (الجنة وصفة نعيمها ...، ب : الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار ٢١٩٧/٤ ح : ٢٨٦٥) .

(٥) انظر : النبوات (مقدمة المحقق ٢٤/١)؛ والوحي المحمدي (ص : ٤٨-٥٠) .

وبـــين أنهم هم المفلحون. فقال تعالى : ﴿ الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون * والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون * أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون ﴾[1].

وأمور الغيب لا يمكن إدراكها ومعرفتها على وجه صحيح إلا عن طريق الأنبياء والرسل، فمعـــرفة أسمـــاء الله وصفاته، ومعرفة الملائكة، ومعرفة أشراط الساعة، ومعرفة أحوال الآخرة، ومعرفة ما أعد الله لعباده المؤمنين في دار كرامته من النعيم المقيم، وما أعد للكافرين في النار من أنواع العذاب الأليم، هذه كلها من أمور الغيب، والإيمان بها من أصول الإيمان، والعقول البشرية قاصرة دونها، وعاجزة عن معرفتها معرفة صحيحة، فهنا تتأكد ضرورة العباد وتشتد حاجتهم إلى من يعلمهم هذه الحقائق، ويخبرهم عن هذه المغيبات على وجه صحيح حتى يصح إيمانهم ويكمل فيكونوا من أولئك الذين مدحهم الله سبحانه وتعالى، وعدهم من المتقين المفلحين .

ولو أن الله سبحانه وتعالى لم يكن قد بعث رسله لما عرف الناس هذه الأمور الغيبية، ولم يؤمـــنوا إلا بمـــا يدركونـــه بحواسهم، فكانت الخسارة والشقاوة حليفهم ونصيبهم في دنياهم وأخراهم، فسبحان الخالق العظيم الرؤوف الرحيم، الذي من على عباده ببعثة الأنبياء والمرسلين .

٤- الحاجـــة إلى القـــدوة الصالحة والأسوة الحسنة[2]: الناس يحتاجون إلى القدوة الصـــالحة، الأســـوة الحســـنة التي يعاينون فيها المثال الواقعي والأنموذج التطبيقي، فيرون الفضـــائل والمكارم مجسدة فيها، ويرون المعاصي والرذائل مهجورة منبوذة لديها، ولذلك اصـــطفى الله مـــن خلقه رسلا رجالا ، وكملهم بالأخلاق الفاضلة والخصائل الحميدة، وعصمهم من الشبهات والشهوات النازلة . فكانوا نبراس الهدى، ومصابيح الدجى، وأمر الله ســـبحانه وتعالى الخلق بالاقتداء بهم، والاهتداء عن طريقهم. قال تعالى : ﴿ أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده ﴾[3] وقال تعالى : ﴿ قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله ﴾[4]وقال تعالى : ﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة

---

(١) البقرة الآيات : ٣- ٥

(٢) انظر : النبوات (مقدمة المحقق ١/٢٤)؛ ونبوة محمد ﷺ في القرآن (ص : ٣٧-٣٨) .

(٣) الأنعام الآية : ٩٠

(٤) الممتحنة الآية : ٤٠

لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا ﴾ [1] . فالرسل قدوة الأتباع، والأسوة الحسنة لمن أطاع، فمن اقتدى بهم في زمانهم، ثم اقتدى بأفضلهم وسيدهم محمد بن عبد الله ﷺ - المبعوث إلى الناس كافة، المهيمن على الأديان كلها، والناسخ لها- واتخذ من سيرته وحياته قدوة، يسير على منواله، ويستن بسنته، وينتهج بمنهجه، ويتمسك بحبله، ويمشي على صراطه المستقيم، سيصل إلى دار السلام، ويحط رحله في ساحة رب الأنام، ويفوز برضا الرحمن، ويحظى بالنظر إلى وجهه الكريم .

ولا فلاح أعظم ولا سعادة أكبر من ذلك، ولا سبيل إليها إلا عن طريق الرسل والتمسك بما أوحي إليهم، فحاجة الناس إلى الرسل ورسالتهم شديدة، إذ عليها مدار فوزهم وفلاحهم ونجاتهم وسعادتهم في الدنيا والآخرة .

٥ - الحاجة إلى نظام عادل شامل، يحقق لهم المصالح، ويدرأ عنهم المفاسد [2] : إن الإنسان مدني بالطبع، لأن الله سبحانه وتعالى خلقه على جبلة وطبيعة لا يتمكن معها بسد حاجاته كلها، فهو يحتاج في حياته ومجتمعه إلى غذاء ولباس ومسكن وغير ذلك من سائر ما يحتاجه، ولا يمكنه القيام بتلك الأمور جميعها بمفرده، بحيث يستغني عن الناس كلهم، وإنما يكون بالمشاركة والمعاوضة والتعاون مع الآخرين .

ومصالح الناس تلتقي حينا، وتفترق أحيانا كثيرة، فيرغب الإنسان أن يستأثر بكل خير لنفسه دون الآخرين، فيحصل التصادم المؤدي إلى الجور والظلم، فيأكل القوي الضعيف، ويعم الفساد والفوضى، وتتعطل المصالح، ويختل الأمن، ويفسد النظام، ولا يندفع هذا إلا بالتزامهم قواعد وقوانين عادلة، تتناول شتى نواحي الحياة، وتكفل لكل ذي حق حقه، من غير ظلم ولا هضم .

والبشرية كلها عاجزة عن وضع مثل هذا النظام العادل الكامل الشامل الذي يخضع له الناس كلهم، ويفي بحقوقهم جميعا؛ لأن البشر مهما كانوا نابغين ناهين - لا يقفون على حقائق الأمور على وجهها الصحيح، مع مراعاة الأفراد والجماعات، في الأزمنة المختلفة والأمكنة المتعددة، ومع

---

(١) الأحزاب الآية : ٢١

(٢) انظر : الوحي المحمدي (ص : ٥٠)؛ وعصمة الأنبياء للحديدي (ص : ٢٢-٢٤)؛ ودراسات في النبوة والرسالة (ص : ١٠٢)؛ ونبوة محمد ﷺ في القرآن (ص : ٣٣-٣٤)؛ وقصص الأنبياء للشيخ عبد القادر بن شيبة الحمد (ص : ٢٨-٢٩).

اختلاف العادات والتقاليد وتعدد البيئات والثقافات والأحوال والظروف؛ ولذلك نراهم يختلفون ويتنازعون حتى في وضع القوانين اختلافا يؤدي إلى الفساد والاضطراب .

فـــلا عاصـــم من ذلك إلا أن تكون هذه القوانين من وضع الخالق العليم الحكيم اللطيف الخبير، فيوحي بها إلى المصطَفَيْنَ الأخيار من الأنبياء والمرسلين، فيحكمون بين الناس فيما اختلفوا فيه، في ضوء ما أنزل إليهم، فتندفع المظالم، وتحفظ الحقوق، ويحل الأمن والاستقرار محل الفساد والاضطراب . فالناس في أمس الحاجة إلى النبيين والمرسلين وما أوحي إليهم من ربهم جل وعلا .

٦ – الحاجة إلى تزكية النفوس، وإعلاء قوى الشر على قوى الخير فيها [١] : خلق الله تعـــالى الإنســـان، وزوده بقـــوى الخير والشر، ابتلاء وفتنة له منه سبحانه وتعالى. قال تعالى : ﴿ ونبلوكم بالشر والخير فتنة ﴾ [٢] . وقوى الشر لو استحكمت في الإنسان لأفسدت أمره، وجعلته يـــذل ويخزى، وينحط ويشقى في عاجل أمره وآجله، كما أن قوى الخير لو حكمت تصرفات الإنســـان، وتغلـــبت على قوى الشر فيه لحسن حاله، وصلح أمره، وهنأ عيشه، وطاب مآله، وكانت النجاة والسعادة والفلاح حليفه في الدنيا والآخرة . قال تعالى : ﴿ فأما من طغى * وآثر الحياة الدنيا * فإن الجحيم هي المأوى * وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى * فإن الجنة هي المأوى ﴾ [٣] .

وإعـــلاء قـــوة الخـــير على قوة الشر في الإنسان إنما يكون بما جاءت به الرسل . قال تعالى : ﴿ لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط ﴾ [٤] وقال تعالى : ﴿ هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين ﴾ [٥] .

فالرســـالات السماوية هي التي تسمو بها النفوس وتتزكى فتعلو وتغلب على قوى الشر فيها، فتقود الإنسان إلى كل خير وفضل، وتصده عن كل شر وفساد، فتكون حياته طيبة آمنة سعيدة في الدنيا والآخرة، فما أحوج الإنسان إلى تلك السعادة والحياة الطيبة ! .

---

(١) انظر : عصمة الأنبياء للحديدي (ص : ٢٠-٢١) .

(٢) الأنبياء الآية : ٣٥

(٣) النازعات الآيات : ٣٧-٤١

(٤) الحديد الآية : ٢٥

(٥) الجمعة الآية : ٢

٧ – **الحاجة إلى تغذية الروح وتقويتها** [(١)] : خلق الله تعالى آدم ﷺ من الطين، ونفخ فيه مـــن روحه سبحانه وتعالى. والطين يشير إلى مادية الإنسان، والنفخة الإلهية تشير إلى روحانيته. فالإنســـان ليس ماديا فقط، وليس روحانيا فقط بل هو جامع بين المادة والروح، ولكل منهما غـــذاؤه ومقوماتـــه التي لا يستغني عنها، ولا يصلح شأنه إلا بها، فالجسم لصلاحه ونموه وبقائه وسلامته يحتاج إلى ما يحفظه ويغذيه من الأطعمة والأشربة والأدوية والألبسة وما إلى ذلك .

وكذلك الروح أيضا تحتاج لبقائها وصفائها وحياتها إلى ما يجليها ويصفيها ويحفظها ويغذيهـــا مـــن معـــرفة الله سبحانه وتعالى، والإيمان به، والتوكل عليه، والاستعاذة به، والالتجاء إليه، وذكره، وشكره، وعبادته، ومحبته، واتباع وحيه ونوره وشرعه، وذلك لا يمكن الحصول عليه والفوز به إلا عن طريق أنبيائه ورسله.

ولذلـــك سمـــى الله سبحانه وتعالى رسالته روحا، وكذلك سمى رسوله الذي يترل بالوحي روحا . قال تعالى : ﴿ نزل به الروح الأمين * على قلبك لتكون من المنذرين ﴾[(٢)] وقال تعالى : ﴿ يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده لينذر يوم التلاق ﴾ [(٣)] وقال تعالى : ﴿ ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده أن أنذروا أنه لا إله إلا أنا فاتقون ﴾ [(٤)] وقال تعالى : ﴿ وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم ﴾ [(٥)] . فسمى الله سبحانه وتعالى جبريل ﷺ الذي يترل بالوحي روحا، كما سمى ما أوحى إلى رسله روحا؛ لأن به حياة القلوب والأرواح، كما أن في الطعام والشراب والدواء حياة الأجسام وسلامة الأبدان .

ولا شك أن سلامة القلوب والأرواح أولى من سلامة الأبدان والأجسام . وقد عقد شـــيخ الإســـلام ابن تيمية مقارنة بين حاجة العبد إلى غذاء البدن وبين حاجته إلى غذاء الروح فقال : حاجة العبد إلى الرسالة أعظم بكثير من حاجة المريض إلى الطب؛ فان آخر ما يقدر بعدم الطبيب موت الأبدان، وأما إذا لم يحصل للعبد نور الرسالة وحياتها مات قلبه

---

(١) انظر : عصمة الأنبياء للحديدي (ص : ١٦) .

(٢) الشعراء الآية : ١٩٣

(٣) غافر الآية : ١٥

(٤) النحل الآية : ٢

(٥) الشورى الآية : ٥٢

موتـــا لا ترجى الحياة معه أبدا، أو شقي شقاوة لا سعادة معها أبدا، فلا فلاح إلا باتباع الرســـول؛ فإن الله خص بالفلاح أتباعه المؤمنين وأنصاره كما خص المتقين الذين يؤمنون بالغيب، ويقيمون الصلاة، وينفقون مما رزقهم، ويؤمنون بما أنزل إلى رسوله، وما أنزل من قـــبله، ويوقنون بالآخرة وبالهدى والفلاح، فعلم بذلك أن الهدى والفلاح دائر حول ربع الرسالة وجودا وعدما. أهـــ باختصار [١].

وقال العلامة ابن القيم : (حاجة الناس إلى الشريعة ضرورية، فوق حاجتهم إلى كل شـــيء، ولا نســـبة لحاجـــتهم إلى علم الطب إليها، ألا ترى أن أكثر العالم يعيشون بغير طبيب، ولا يكون الطبيب إلا في بعض المدن الجامعة، وأما أهل البدو كلهم، وأهل الكفور كلهم، وعامة بني آدم - فلا يحتاجون إلى طبيب، وهم أصح أبدانا، وأقوى طبيعة ممن هو مـــتقيد بالطـــبيب، ولعل أعمارهم متقاربة، وقد فطر الله بني آدم على تناول ما ينفعهم، واجتـــناب مـــا يضرهم، وجعل لكل قوم عادة وعرفا في استخراج ما يهجُم عليهم من الأدواء، حتى أن كثيرا من أصول الطب إنما أخذت عن عوائد الناس وعرفهم وتجاربهم.

وأمـــا الشريعة فمبناها على تعريف مواقع رضا الله وسخطه في حركات العباد الاختيارية؛ فمبـــناها عـــلى الوحي المحض، والحاجة [إلى الشريعة أشد من الحاجة] إلى التنفس - فضلا عن الطعام والشراب -؛ لأن غايةَ ما يُقدَّر في عدم التنفس والطعام والشراب موت البدن وتعطل الروح عـــنه، وأما ما يقدر عند عدم الشريعة ففساد الروح والقلب جملة، وهلاك الأبد. وشتان بين هذا وهلاك البدن بالموت، فليس الناس قط إلى شيء أحوج منهم إلى معرفة ما جاء به الرسول، والقيام بـــه، والدعوة إليه، والصبر عليه، وجهاد من خرج عنه حتى يرجع إليه، وليس للعالم صلاح بدون ذلك البتة، ولا سبيل إلى الوصول إلى السعادة والفوز الأكبر إلا بالعبور على هذا الجسر) [٢].

٨ - **الحاجـــة إلى معرفة النافع من الضار ماديا ومعنويا** [٣]: الإنسان مخلوق عاجز ضعيف، وقوة سمعه وبصره وعقله وفكره محدودة بحد لا تجاوزه، وكذلك جسمه وعمره وحياته ووقته محدود بأمد ينتهي إليه، والأشياء التي سخرها الله تعالى له، وجعلها في وسعه

---

(١) انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١٩/٩٦-٩٧) .

(٢) مفتاح دار السعادة (٢/٢) .

(٣) انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١٩/٩٩-١٠٠)؛ وعصمة الأنبياء للحديدي (ص : ١٨-٢٠) .

ومتناول يده كثيرة جدا، لكن منها ما ينفعه، ومنها ما يضره .

فكان من فضل الله ورحمته أنه لم يترك الإنسان بغير هدى ولا إرشاد بل أرسل أنبياءه ورسله، وبين عن طريقهم كل شيء يضر الإنسان من المآكل والمشارب والملابس والأقوال والأفعال والأخلاق والعقائد فحرمها عليه، ولم يحرم عليه شيئا منها يقول عنه عاقل : لو مـــا حرمه علينا لكان أحسن لنا، كما بين كل ما ينفع الإنسان ويفيده في جسمه وروحه وديـــنه ودنياه فأباحه له، ولم يحل له شيئا يقول عنه عاقل : لو ما أحله لنا لكان أحسن، فهذه رحمة كبيرة ومنة عظيمة من الله سبحانه وتعالى على عباده .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : (ولولا الرسالة لم يهتد العقل إلى تفاصيل النافع والضار في المعـــاش والمعاد، فمن أعظم نعم الله على عباده وأشرف منة عليهم : أن أرسل إليهم رسله، وأنـــزل عليهم كتبه، وبين لهم الصراط المستقيم، ولولا ذلك لكانوا بمترلة الأنعام والبهائم بل أشر حالا منها، فمن قبل رسالة الله واستقام عليها فهو من خير البرية، ومن ردها وخرج عنها فهو من شر البرية، وأسوأ حالا من الكلب والختزير والحيوان البهيم) [١].

فـــبيان الله سبحانه وتعالى الحلال من الحرام، وتمييزه الطيب من الخبيث، والنافع من الضار عن طريق الأنبياء والمرسلين رحمة كبيرة ومنة عظيمة منه سبحانه وتعالى على عباده، لكونهم عاجزين عن معرفة ذلك على الوجه الصواب المطلوب مع شدة حاجتهم إلى بيانه وتوضيحه، فله الحمد والمنة على تفضله وإنعامه .

٩ – الحاجـــة إلى معرفة طريقة التغلب على الشهوات والشبهات [٢]: الإنسان بما أعطـــاه الله سبحانه وتعالى من العقل قد يميز به بين الحسن والقبيح، وبين النافع والضار، ولكـــنه كـــثيرا ما يتخلى عن الحسن الجميل النافع المفيد، مع إدراكه حسن ذلك الشيء وجماله ونفعه وفائدته، ويستبدله بالقبيح المشين الضار المهلك، مع إدراكه قبح ذلك الشيء وشـــينه وضـــرره، وفي مثل هذه المواقف والمهالك لا يصلح الإنسان ولا ينقذه منها إلا ركوبـــه ســـفينة الـــنجاة بالتمســـك بحبل الله المتين من الوحي السماوي والهداية الإلهية والتوجيهات الربانية والإرشادات الرحمانية، ولا يمكن الحصول عليها إلا عن طريق أنبيائه

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١٩/ ١٠٠) .

(٢) انظر : عصمة الأنبياء للحديدي (ص : ١٥) .

ورسله بما أنزل عليهم من وحيه وشرعه وأمره ونهيه .

١٠ – الحاجــة إلى معرفة يوم القيامة والحياة الآخرة [١]: الإنسان عمره في الدنيا قصـير، وحياتـه فيها محدودة، وأنفاسه فيها معدودة، وقد يقضيها أو بعضها في متاعب وآلام، وقـد يعيشها مهضوم الحق مظلوما، وآخر قد يعيشها في أمن وراحة، ومع ذلك يكـون ظالمـا مغتصبا لحقوق الآخرين، فمتى يرفع الظلم عن الأول، وينال حقه ؟ ومتى يؤخذ على يد الظالم، ويعاقب على ظلمه وإساءته ؟

والله سبحانه وتعالى حاكم عدل، يكافئ المطيع المحسن على طاعته وإحسانه، ويعاقب العاصي الظالم المسيء على معصيته وظلمه وإساءته؛ ولذلك جعل لحياة الإنسان في الدنيا مـدة معينة تنتهي بنهايتها، ثم يجمع الأولين والآخرين، في صعيد واحد، في يوم واحد، ويحاسـبهم عـلى نظـام واحد، فيجازي كلا منهم بما يستحقه، فيكرم المحسنين في دار كرامته، ويعذب المسيئين في دار عذابه وإهانته.

والـناس في أشـد الحاجة إلى من يعرفهم بذلك اليوم الموعود حتى يرتدع المسيء ويتشجع المحسن فيكثر الخير ويعم ويقل الشر وينكمش، فيعيش الفرد والمجتمع حياة سعيدة ولكن تفصيل تلك المحاسبة وبيان أنواع النعيم والعذاب، وكيفية تلك الحياة الخالدة الدائمة لا يمكن أن يصل إليها أحد إلا عن طريق الأنبياء والمرسلين .

الحاصـل : الرسالة الإلهية بعقيدتها وشريعتها ضرورية للبشر، فإنها سبب معرفة الله سبحانه وتعالى حق معرفته، وما يحبه ويرضاه، وما يكرهه ويأباه، وبذلك يتمكن البشر من سـلوك صـراط الله المسـتقيم، الذي يوصله إلى دار النعيم الأبدي، وينجيه من العذاب السـرمدي، كمـا أنها سبب رغد العيش الدنيوي وهنائه ورخائه وأمنه واستقراره، فهي شاملة لما ينفع العبد في بدنه وروحه، وترشده إلى ما هو خير لدينه ودنياه .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : (والرسالة ضرورية في إصلاح العبد في معاشه ومعاده، فكمـا أنه لا صلاح له في آخرته إلا باتباع الرسالة، فكذلك لا صلاح له في معاشه ودنياه إلا باتباع الرسالة؛ فإن الإنسان مضطر إلى الشرع، فإنه بين حركتين : حركة يجلب بها ما

---

(١) انظـر : الوحي المحمدي (ص: ٥٠)؛ وعصمة الأنبياء للحديدي (ص : ٢١-٢٢)؛ ودراسات في النبوة والرسالة (ص : ١٠٢و١٠٥-١٠٦)؛ ونبوة محمد ﷺ في القرآن (ص : ٣١-٣٢) .

ينفعه؛ وحركة يدفع بها ما يضره. والشرع هو النور الذي يبين ما ينفعه وما يضره، والشرع نور الله في أرضه، وعدله بين عباده، وحصنه الذي من دخله كان آمنا) [1].

وقـال العلامـة ابن القيم : (لا سبيل إلى السعادة والفلاح لا في الدنيا ولا في الآخرة إلا على أيدي الرسل، ولا سبيل إلى معرفة الطيب والخبيث على التفصيل إلا من جهتهم، ولا ينال رضـى الله البتة إلا على أيديهم. فالطيب من الأعمال والأقوال والأخلاق ليس إلا هديهم وما جـاءوا به؛ فهم الميزان الراجح الذي على أقوالهم وأعمالهم وأخلاقهم توزن الأقوال والأخلاق والأعمـال، وبمتابعـتهم يتميز أهل الهدى من أهل الضلال. فالضرورة إليهم أعظم من ضرورة الـبدن إلى روحه، والعين إلى نورها، والروح إلى حياتها. فأي ضرورة وحاجة فرضت فضرورة العـبد وحاجـته إلى الرسل فوقها بكثير. وما ظنك بمن إذا غاب عنك هديه وما جاء به طرفة عين، فسد قلبك، وصار كالحوت إذا فارق الماء ووضع في المقلاة. فحال العبد عند مفارقة قلبه لما جاء به الرسل كهذه الحال، بل أعظم، ولكن لا يحس بهذا إلا قلب حي) [2].

فحاجـة البشرية إلى الرسالة السماوية فوق كل ما يحتاجون إليه لأن سعادتهم تدور عـليها وجودا وعدما فكلما كان الشخص كثير الحظ منها كانت سعادته أكثر وأكبر في الدنيا والآخرة، وكلما كان قليل الحظ منها كانت سعادته أقل وشقاوته أكثر . أسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا لفهم رسالته إلى عباده فهما سليما، وأن يوفقنا للسير في ضوئها وتطبيقها في جميع نواحي حياتنا وكل شئوننا، وأن يبارك لنا فيها . آمين .

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١٩/٩٩) .

(٢) زاد المعاد (١/٦٩) .

المسألة الثانية : وجوب الإيمان بجميع أنبياء الله ورسله عليهم السلام .

إن من جليل فضل الله وعظيم رحمته تعالى على عباده أنه سبحانه وتعالى لم يتركهم وحدهم يسيرون ويتخبطون في بيداء الظلام والضلال بل اختار منهم رجالا، وحسنهم خلقا وخلقا، وكملهم حسبا ونسبا، وزينهم علما وأدبا، وعصمهم من الشبهات والشهوات، فأكرمهم بالنبوة والرسالة، وجعلهم سفراء بينه وبين الناس، يبلغون إليهم رسالات ربهم، ويدعونهم إليها، ويبينونها لهم بلسان حالهم وقالهم، فكانوا نبراس الهدي، ومصابيح الدجى .

وقد أوجب الله علينا الإيمان بجميع الأنبياء والمرسلين، من غير تفريق بين أحد منهم، وبين ذلك في كتابه الكريم في آيات كثيرة، ومواضع عديدة، بأساليب شتى، وفيما يلي ذكر بعضها :

١ - أمر الله سبحانه وتعالى بالإيمان بجميع الأنبياء دون تفريق بينهم وجعل ذلك من أصول الإيمان [١]. قال تعالى : ﴿ قل آمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى والنبيّون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون ﴾ [٢] وقال الله : ﴿ قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون ﴾ [٣] .

وعن أبي هريرة ﷺ قال : كان رسول الله ﷺ يوما بارزا للناس، إذ أتاه رجل يمشي فقال : يا رسول الله ما الإيمان ؟ قال : الإيمان أن تؤمن بالله، وملائكته، ورسله، ولقائه، وتؤمن بالبعث الآخر ... الحديث [٤].

٢- وعد الله سبحانه وتعالى بالأجر والمثوبة لمن لم يفرق بين رسله في الإيمان بهم[٥]. قال

---

(١) انظر : فتاوى اللجنة الدائمة (٣/٣١٨-٣١٩)؛ والرسل والرسالات (ص : ١٥-١٦) .

(٢) آل عمران الآية : ٨٤

(٣) البقرة الآية : ١٣٦

(٤) حديث صحيح، أخرجه البخاري ومسلم وقد سبق تخريجه في (ص : ٥٦).

(٥) انظر : الرسل والرسالات (ص : ٢٥) .

تعالى : ﴿ والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم أولئك سوف يؤتيهم أجورهم وكان الله غفورا رحيما ﴾ [1].

٣ – مدح الله سبحانه وتعالى من آمن بالرسل جميعا [2]: قال تعالى : ﴿ آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل ءامن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير ﴾ [3].

٤ – جعل الله سبحانه وتعالى المؤمنين بالرسل جميعا قدوة لغيرهم، وأمر غير المؤمنين أن يؤمنوا بالرسل جميعا كما آمن المؤمنون .

٥ – وصف الله سبحانه وتعالى من آمن بمثل ما آمن به المؤمنون بالهداية .

٦ – بين الله سبحانه وتعالى أن من لم يؤمن كما آمن المؤمنون بالرسل جميعا فهو في ضلال وشقاق .

يدل على الوجوه المذكورة [4]– من الرابع إلى السادس – قوله تعالى : ﴿ قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون * فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما هم في شقاق فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم ﴾ [5] .

٧ – ذكـــر الله سبحانه وتعالى أقواما كذبوا رسلهم ولكن جاء التعبير عنه في كتاب الله تعالى بصيغة الإفراد دون صيغة الجمع، وذلك يدل على وجوب الإيمان بجميع الرسل .

قال تعالى : ﴿ كذبت ثمود وعاد بالقارعة * فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية * وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية * سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية * فهل ترى لهم من باقية * وجاء فرعون ومن قبله والمؤتفكات بالخاطئة * فعصوا رسول ربهم فأخذهم أخذة رابية ﴾ [6].

---

(١) النساء الآية : ١٥٢

(٢) انظر : الرسل والرسالات (ص : ٢٥) .

(٣) البقرة الآية : ٢٨٥

(٤) انظر : الرسل والرسالات (ص : ٢٥) .

(٥) البقرة الآيتان : ١٣٦-١٣٧

(٦) الحاقة الآيات : ٤-١٠

فهـــذه جماعة من الأقوام الكافرة، وكان الله سبحانه وتعالى أرسل إليهم جماعة من المرسلين، وليس رسولا واحدا وهم عصوا جميع الرسل الذين أرسلوا إليهم و لم يؤمنوا بهم ولكن جاء التعبير عـــن ذلك في كتاب الله تعالى بصيغة الإفراد، أي : رسول ، دون صيغة الجمع ؛ أي : الرسل ، فجمع الله سبحانه وتعالى الرسل هنا في رسول، وفي ذلك دلالة على أن الإيمان بواحد منهم إيمان بجميعهم، وأن الكفر بواحد منهم كفر بجميعهم فيجب الإيمان بجميعهم، [1]والله أعلم بالصواب .

٨ – إن الله سبحانه وتعالى قرن الإيمان بالرسل بالإيمان به وحده سبحانه كما قرن الكفـــر بهم بالكفر به سبحانه وتعالى [2]. قال تعالى : ﴿ والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم أولئك سوف يؤتيهم أجورهم وكان الله غفورا رحيما ﴾ [3]. وقال تعالى : ﴿ إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا * أولئك هم الكافرون حقا وأعتدنا للكافرين عذابا مهينا ﴾ [4] .

فمعـــنى ذلك أنه لا يصح إيمان عبد يؤمن بالله ربا حتى يؤمن برسله أيضا دون تفريق بينهم ومن كفر بواحد من رسله فهو كافر برسله جميعا وكافر بمرسله أيضا .

٩ – ذم الله ســـبحانه وتعالى أهل الكتاب لعدم إيمانهم بجميع الرسل ووبخهم على ذلـــك [5]: قال تعالى : ﴿ وإذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله قالوا نؤمن بما أنزل علينا ويكفرون بما وراءه وهو الحق مصدقا لما معهم قل فلم تقتلون أنبياء الله من قبل إن كنتم مؤمنين ﴾ [6].

١٠ – إطـــلاق تكذيب المرسلين على من كذب رسولا واحدا [7]. قال تعالى :﴿ وقوم نوح لما كذبوا الرسل أغرقناهم وجعلناهم للناس ءاية وأعتدنا للظالمين عذابا أليما ﴾ [8] وقال تعالى : ﴿ كذبت

---

(١) انظر : تاريخ الدعوة (١/٣٩-٤٠) .
(٢) انظر : دراسات في النبوة والرسالة (ص : ١١٦-١١٧) .
(٣) النساء الآية : ١٥٢
(٤) النساء الآيتان : ١٥٠-١٥١
(٥) انظر : الرسل والرسالات (ص : ٢٥) .
(٦) البقرة الآية : ٩١
(٧) انظر : الرسل والرسالات (ص : ٢٥)؛ وتاريخ الدعوة (١/٣٨-٣٩) .
(٨) الفرقان الآية : ٣٧

قوم نوح المرسلين ﴾ [1] وقـال تعالى عن قوم هود ﷺ : ﴿ كذبت عاد المرسلين ﴾ [2] وقال تعـالى عن قوم صالح ﷺ : ﴿ كذبت ثمود المرسلين ﴾ [3] وقال تعالى : ﴿ ولقد كذب أصحاب الحجر المرسلين ﴾ [4] وقال تعالى عن قوم لوط ﷺ : ﴿ كذبت قوم لوط المرسلين ﴾ [5] وقال تعالى عن قوم شعيب ﷺ : ﴿ كذب أصحاب الأيكة المرسلين ﴾ [6].

فـنوح وهود وصالح ولوط وشعيب عليهم السلام كل واحد منهم أرسل إلى قومه خاصـة، و أقوامهم كذبوا رسولهم الذي أرسل إليهم، فقوم نوح كذبوا نوحا ﷺ، وعاد كذبـت هودا ﷺ، وثمود وهم أصحاب الحجر كذبوا صالحا ﷺ، وأصحاب الأيكة وهم قـوم شـعيب ﷺ كذبوا رسولهم شعيبا ﷺ، ولكن لما كان جميع الرسل مرسلين من الله سبحانه وتعالى وكلهم يدعون إلى كلمة واحدة وهي كلمة التوحيد وإخلاص العبادة لله وحده لا شريك عد تكذيبهم لرسول واحد تكذيبا لجميع المرسلين [7]. فهذا يدل على أنه يجب الإيمان بجميع الأنبياء دون تفريق بينهم في الإيمان بهم وتصديقهم وتكريمهم .

١٢ – بين الله سبحانه وتعالى أن من لم يؤمن بجميع الرسل فهو كافر[8]. قال تعالى : ﴿ إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا * أولئك هم الكافرون حقا وأعتدنا للكافرين عذابا مهينا ﴾ [9] .

١٣– هدد الله سبحانه وتعالى من لم يؤمن بجميع الرسل بعذابه وغضبه وعقابه ولعنته

---

(١) الشعراء الآية : ١٠٥

(٢) الشعراء الآية : ١٢٣

(٣) الشعراء الآية : ١٤١

(٤) الحجر الآية : ٨٠

(٥) الشعراء الآية : ١٦٠

(٦) الشعراء الآية : ١٧٦

(٧) انظـر : الـرد على المنطقيين (ص : ٣٦٩)؛ وتفسير القرآن العظيم (٥٥٦/٢)؛ ودفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب [مع الأضواء] (١٥٣/١٠)؛ والرسل والرسالات (ص : ٢٥)؛ وتاريخ الدعوة (٣٧/١) .

(٨) انظر : الرسل والرسالات (ص : ٢٤– ٢٥) .

(٩) النساء الآيتان : ١٥٠-١٥١

في الدنيا والآخرة . قال تعالى : ﴿ فإن آمنوا بمثل ما ءامنتم به فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما هم في شقاق فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم ﴾ [1] وقال تعالى : ﴿ إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا * أولئك هم الكافرون حقا وأعتدنا للكافرين عذابا مهينا ﴾ [2] وقال تعالى : ﴿ وتلك عاد جحدوا بآيات ربهم وعصوا رسله واتبعوا أمر كل جبار عنيد * وأتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة ألا إن عادا كفروا ربهم ألا بعدا لعاد قوم هود ﴾ [3] .

١٤ – اتفاق المسلمين على وجوب الإيمان بجميع الأنبياء، وعلى كفر من كفر بواحد منهم، وعلى وجوب قتل من سب واحدا منهم . قال شيخ الإسلام ابن تيمية : (مما اتفق عليه المسلمون أنه يجب الإيمان بكل نبي، ومن كفر بنبي واحد فهو كافر، ومن سبه وجب قتله باتفاق العلماء) [4].

يتبين مما سبق من الوجوه أن الإيمان بجميع الأنبياء والمرسلين من أصول الإيمان وأركانه، فيجب الإيمان بهم جميعا دون تفريق بينهم، ومن فرق بينهم، فآمن ببعضهم دون بعض، فهو كافر بجميع الأنبياء والمرسلين، وكافر بالله سبحانه وتعالى الذي أرسله إليهم، والله أعلم بالصواب .

---

(١) البقرة الآية : ١٣٧

(٢) النساء الآيتان : ١٥٠-١٥١

(٣) هود الآيتان : ٥٩-٦٠

(٤) منهاج السنة النبوية (١٨٨/٦) .

المبحث الأول : إثبات نبوة آدم عليه السلام، وفيه تمهيد وثلاثة مطالب.

تمهيد : معنى النبيّ والرسول والفرق بينهما.

أولا : معنى النبيّ والرسول في اللغة :

معنى النبيّ : ذهب أكثر أئمة اللغة العربية [1] إلى أنَّ النبيّ مأخوذ من (ن ب أ) والنبأ هو الخبر، ومنه قوله تعالى : ﴿ عم يتساءلون *عن النبأ العظيم ﴾ [2]، وعلى هذا يكون النبيّ أصله (نَ بِ يْ ءٌ) على وزن فعيل، ثم تركت الهمزة [3].

ويدل على هذا الأصل أن النبيّ يجمع على نُبآء، وهذا هو القياس؛ لأن ما جاء على فعيل صحيح اللام قياسه أن يأتي على فُعلاء [4]مثل : كريم وكُرماء، وعليم وعُلماء، ونبي ونُبآء، وعلى هذا قول الشاعر العباس بن مرداس [5] :

يا خاتم النُّبآء إنك مرسل :: بالحق كل هدى السبيل هداكا [6].

على هذا يكون النبيّ على وزن فعيل بمعنى فاعل؛ لأنه ينبئ عن الله عز وجل، أو هو فعيل بمعنى مفعول؛ أي : أن الله سبحانه وتعالى أنبأه وأخبره بوحيه إليه [7].

وذهب جماعة من أئمة اللغة [8] إلى أنَّ النبيَّ أصله (ن ب و)، مأخوذ من النَّبْوَة والنَّبَاوَة، وهي الارتفاع عن الأرض [9]، أو النبي بمعنى الطريق [10]، وعلى هذا يكون

---

(١) انظر : تداخل الأصول عند اللغويين (١/٣١٠) .

(٢) النبأ الآيتان : ١-٢

(٣) انظر : تهذيب اللغة (١٥/٤٨٦)؛ والمصباح المنير (ص : ٢٢٦)؛ وتداخل الأصول ... (١/٣١٠-٣١١) .

(٤) انظر : تهذيب اللغة (١٥/٤٨٦-٤٨٧)؛ وتداخل الأصول عند اللغويين (١/٣١١) .

(٥) العباس بن مرداس بن أبي عامر السلمي، صحابي مشهور، أسلم بعد يوم الأحزاب . انظر : تقريب التهذيب (ص : ٢٩٤ برقم : ٣١٣٩) .

(٦) ديوان العباس بن مرداس السلمي (ص : ١٢٢) .

(٧) انظر : الشفا بتعريف حقوق المصطفى (١/٣٤٦) .

(٨) انظر : تداخل الأصول عند اللغويين (١/٣١١) .

(٩) انظر : تهذيب اللغة (١٥/٤٨٥-٤٨٦)؛ ومشكلات موطأ مالك بن أنس (ص : ٧٩)؛ وشمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم (١٠/٦٤٦٨،٦٤٦٤)؛ ومعجم مقاييس اللغة (٥/٣٨٤-٣٨٥)؛ وتداخل الأصول عند اللغويين (١/٣١١) .

(١٠) انظر : نفس المصادر السابق ذكرها .

النبيّ أصله (نَ بِ يْ وٌ)، فاجتمعت الياء والواو، وسكنت الأولى، فقلبت الواو ياء، وأدغمت الياء في الياء [1].

ويـــدل عـــلى هذا الرأي أن النبي يجمع على أنبياء فهذا يدل على أن أصله معتل، لا مهموز؛ لأن تكسير ما كان على فعيل معتل اللام يأتي على أفعلاء [2]مثل : تقي وأتقياء، وصفي وأصفياء، فكذلك نبي وأنبياء .

وعلى هذا يكون النبي على وزن فعيل بمعنى فاعل ويكون معناه: شريف المكانة ورفيع المنزلة أو الدال على الطريق والهادي إليه [3].

الحاصل أن النبي يجوز أن يكون من أنبأ؛ أي : أخبر؛ ثم ترك همزه لكثرة الاستعمال، ويجـــوز أن يكـــون من نبا ينبو: إذا ارتفع فيكون فعيلا من الرفعة، أو من النبي بمعنى الطـــريق، وهـــذه الأقوال كلها محتملة وموافقة للمفهوم الشرعي للنبوة إذ النبي أخبره الله ســـبحانه وتعالى بوحيه إليه ما شاء سبحانه، وهو يخبر الناس بما أوحي إليه، ولا شك أنها درجة رفيعة ومكانة منيفة لصاحبها، وأيضا هي طريق موصل إلى الله سبحانه وتعالى .

معنى الرسول : اتفق أئمة اللغة أن الرسول أصله (رس ل)، وهو أصل واحد مطرد منقاس يـــدل عـــلى الانبعاث والامتداد والتوجيه والمتابعة ، مأخوذ من قولهم : جاء القوم أرسالا يتبع بعضهم بعضا ، ويقال : أرسلت فلانا برسالة ؛أي : بعثته برسالة فهو مرسل ورسول ، والرسول بمعنى المرسل، فهو فَعُوْل بمعنى مُفْعَل، وهذا قليل في اللغة العربية ، ويجمع على رسل [4].

وإنمـــا سمـــي الرسول رسولا، لأنه مبعوث من الله سبحانه وتعالى، وموجه منه سبحانه، ومأمور بتبليغ أوامره ووحيه إلى خلقه، ومتابعتهم في الدعوة، وكذلك الناس مأمورون بمتابعته .

---

(١) انظر : تداخل الأصول عند اللغويين (٣١١/١) .

(٢) انظر : تهذيب اللغة (٤٨٦/١٥-٤٨٧)؛ و تداخل الأصول عند اللغويين (٣١١/١-٣١٢) .

(٣) انظر : تهذيب اللغة (٤٨٧/١٥)؛ وشمس العلوم (٦٤٦٥/١٠)؛ ولوامع الأنوار البهية (٤٩/١) .

(٤) انظـــر : تهذيـــب اللغة (٣٩١/١٢-٣٩٤)؛ ومعجم مقاييس اللغة (٣٩٢/٥)؛ والمصباح المنير (ص : ٨)؛ والمعجم الوسيط (٣٤٤/١) .

ثانيا : معنى النبي والرسول في الشرع وبيان الفرق بينهما؟

اختـــلف أهـــل العلم في بيان معنى النبي والرسول في الشرع، وهل هما اسمان لمسمى واحد أو هما اسمان يختلف أحدهما عن الآخر ويمكن تلخيص أقوالهم في قولين :

القـــول الأول : الـــنبي والرسول هما اسمان لمسمى واحد، ولا فرق بينهما فالنبي هو الرسول، والرسول هو النبي؛ لأن النبي والرسول كلاهما مرسل من الله، ومأمور بتبليغ ما أوحـــي إليـــه . وهـــذا القول ذهب إليه القاضي عبد الجبار الهمذاني (١)، وعزاه الرازي والجـــرجاني (٢) وابـــن عـــادل الدمشقي إلى المعتزلة (٣)، وعزاه الدكتور محمد أبو النور الحديـــدي إلى المعـــتزلة وإلى بعض المتأخرين من الأشاعرة (٤)، وبه قال بعض المتأخرين المعاصـــرين منهم الشيخ عبد الله بن زيد آل محمود(٥) ومحمد الطيب النجار (٦) ومحمد بن إبراهيم التويجري(٧) والدكتور عبد الكريم عثمان (٨) .

ولكن هذا القول فيه نظر وبيان ذلك لما يلي :

١- قـــال تعالى : ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته ﴾(٩) .

فالـــنبي هنا معطوف على الرسول والعطف يقتضي المغايرة؛ فلا يصح أن يكون الرسول هو النبي والنبي هو الرسول بل بينهما فرق (١٠).

---

(١) انظر : شرح الأصول الخمسة (ص : ٥٦٧-٥٦٨) .

(٢) علي بن محمد بن علي الجرجاني، عالم مشارك في أنواع من العلوم، توفي سنة ٨١٦هـ. انظر : معجم المؤلفين (٢١٦/٧).

(٣) انظر بالترتيب : التفسير الكبير (٢٣١/٢١ و ٤٩/٢٣)؛ والتعريفات (ص : ١٤٨)؛ واللباب في علوم الكتاب (٨١/١٣).

(٤) انظر : عصمة الأنبياء (ص : ٢٦ ؛ في الهامش) .

(٥) انظر : الإيمان بالأنبياء بجملتهم وضعف حديث أبي ذر في عددهم (ص : ٣) .

(٦) انظر : تاريخ الأنبياء في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية (ص : ١٥-١٦) .

(٧) انظر : أصول الدين الإسلامي (ص : ٤٣) .

(٨) انظـــر : معالم الثقافة الإسلامية (ص : ٤٠) وانظر ما علق عليه الشيخ عبد العزيز العسكر في (دراسات في النبوة والرسالة ص : ٨٥) .

(٩) الحج الآية : ٥٢

(١٠) انظر : التفسير الكبير (٤٩/٢٣)؛ وفتح البيان (٦٦/٩)؛ والرسل والرسالات (ص : ١٤)؛ وتاريخ الدعوة (٥٢/١) .

٢- وقـــال الله تعالى عن موسى عليه السلام : ﴿ واذكر في الكتاب موسى إنه كان مخلصا وكان رسولا نبيا ﴾ [1]

وقال تعالى عن إسماعيل عليه السلام : ﴿ واذكر في الكتاب إسماعيل إنه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا ﴾ [2].

فـــالله سبحانه وتعالى وصف موسى عليه السلام في سياق واحد ومقام واحد بأنه كان رسولا نبيا، وكذلك وصف إسماعيل عليه السلام بأنه كان رسولا نبيا، فهذا يدل على الفرق بين الرسول والـــنبي، وأن بيـــنهما تغايرا؛ إذ لو كان الرسول هو النبي، والنبي هو الرسول لكان في قوله : ﴿ وكان رسولا ﴾ كفايـــة، ولم تكن هناك حاجة إلى ذكر ﴿ نبيا ﴾ بعده، فلو سلم قولهم بعدم الـــتفريق بـــين النبي والرسول لكان قوله : ﴿ نبيا ﴾ بعد قوله : ﴿ وكان رسولا ﴾ من لغو الكلام وحشوه الذي لا فائدة من ذكره، وكلام الله سبحانه وتعالى متره عن ذلك [3].

٣- جاء في الأحاديث النبوية ما يدل على أن عدد الأنبياء أكثر من عدد الرسل، فلو كان الأنبياء هم الرسل، والرسل هم الأنبياء لم يكن فرق بين عدد الأنبياء وعدد الرسل، ولم يكن عدد الأنبياء أكثر من عدد الرسل [4].

٤- حكـــى بعض أهل العلم الإجماع على التفريق بين النبي والرسول، وأن الرسول أفضـــل من النبي [5] وفي حكاية هذا الإجماع نظر لوجود الخلاف في المسألة ولكنه يعطي القول بالتفريق بين النبي والرسول نوعا من القوة .

القول الثاني : هناك فرق بين النبي والرسول، وأن الرسول أعلى مترلة وأشرف مكانة مـــن الـــنبي ولكن هؤلاء اختلفوا في وصف كل منهما وتحديد الفرق بينهما على أقوال، وفيما يلي ذكرها باختصار .

١ - النبي من أوحي إليه ولم يؤمر بتبليغ ما أوحي إليه. والرسول هو من أوحي إليه وأمـــر بتبـــليغ مـــا أوحي إليه . هذا القول ذهب إليه جماعة كبيرة من أهل العلم منهم

---

(1) مريم الآية : ٥١

(2) مريم الآية : ٥٤

(3) انظر : الرسل والرسالات (ص : ١٤) .

(4) انظر بعض تلك الأحاديث في (ص : ٧١١-٧١٢) .

(5) انظر : لوامع الأنوار البهية (٤٩/١-٥٠) .

الخطابي[1] والحليمي [2] وابن حزم والبيهقي والقاضي عياض وابن عطية والقرطبي وابن القيم وابن أبي العز والحافظ ابن حجر والسفاريني [3] وابن عاشور وعبد الرحمن السعدي ومحمد رشيد رضا والشيخ محمد بن صالح العثيمين في قول عنه وإبراهيم بن محمد البريكان ومحمد علي الصابوني وسعد بن محمد آل عبد اللطيف وعبد العزيز المحمد السلمان وغيرهم [4].

ولكـــن هـــذا التفريق غير سليم؛ فإن القول بأن النبي غير مأمور بتبليغ ما أوحي إليه باطل وبيان ذلك بما يلي :

١ - أن الله سبحانه وتعالى نهى عن كتمان الحق وذم الذين كانوا يكتمونه وهم يعلمونه في آيـــات كثيرة من القرآن الكريم منها قوله تعالى : ﴿ إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون * إلا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا فأولئك أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم ﴾[5] فهذه الآية وغيرها من الآيات القرآنية تدل على أن كتمان الحق مذموم، وأن مـــن يعـــلم الحق يجب عليه بيانه وتوضيحه، فمن كتمه بعد معرفته فهو مذموم، فمن المستبعد جدا أن يكتم نبي ما معه من الحق الذي أوحي إليه ولا يبينه للناس .

٢ - أن الله ســـبحانه وتعالى نص على أنه أرسل الأنبياء كما أرسل الرسل في قوله تعالى :

---

(١) حمـــد بن محمد بن إبراهيم الخطابي، وقيل اسمه : أحمد بن محمد، محدث لغوي فقيه أديب، توفي سنة ٣٨٨هـــ . انظر : معجم المؤلفين (٢/٦١ و ٤/٧٤) .

(٢) الحسين بن الحسن بن محمد الحليمي الشافعي، فقيه محدث أديب، توفي سنة ٤٠٣هـــ . انظر : معجم المؤلفين (٤/٣) .

(٣) محمـــد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي، محدث فقيه أصولي صوفي مؤرخ، توفي سنة ١١٨٨هـــ . انظر : معجم المؤلفين (٨/٢٦٢) .

(٤) انظـــر بالترتيب : أعلام الحديث للخطابي (١/٢٩٨)؛ والمنهاج في شعب الإيمان للحليمي (١/٢٣٩)؛ والمحلي (١/ ٥٠)؛ وشعب الإيمان للبيهقي (١/١٥٠)؛ والشفا بتعريف حقوق المصطفي (١/٣٤٧)؛ والمحرر الوجيز لابن عطية (١١/٣٧)؛ والمفهـــم لمـــا أشكل من تلخيص مسلم (٧/٤٠)؛ وطريق الهجرتين (ص : ٥٧٢)؛ وشرح العقيدة الطحاويـــة (ص : ١٥٥)؛ وفتح الباري (١٢/٣٧٤)؛ ولوامع الأنوار البهية (١/٤٩-٥٠)؛ والتحرير والتنوير من التفســـير (١٦/١٢٧)؛ تيســـير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص : ٦٦٨ ، مريم : ٥١)؛ والوحي المحمدي (ص : ٤٧)؛ ومجمـــوع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين (١/٣١٣-٣١٤ و٣/١٦٦و ٦/٩٣)؛ والمقدمـــات في أصول الدين للبريكان (ص : ٨٩)؛ والنبوة والأنبياء (ص : ١٣)؛ والتعريفات الاعتقادية لسعد آل عبد اللطيف (ص : ١٨٠ و٣١٤)؛ ومختصر الأسئلة والأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية (ص : ٧) .

(٥) البقرة الآيتان : ١٥٩-١٦٠

﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته ﴾[1] وقال تعالى : ﴿ وكم أرسلنا من نبي في الأولين ﴾[2] وقال تعالى : ﴿ وما أرسلنا في قرية من نبي إلا أخذنا أهلها بالبأساء والضراء لعلهم يضرعون ﴾[3] فإذا كان الفارق بين النبي والرسول هو الأمر بالبلاغ، فالإرسال يقتضي من النبي البلاغ.

٣ - أن الله سبحانه وتعالى وصف الأنبياء بالتبشير والإنذار وأمرهم أن يحكموا بين الناس بالحق فقال تعالى : ﴿ كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه ﴾[4] فبينت هذه الآية أن التبشير والإنذار والحكم بين الناس بالحق الذي أنزل معهم من أهم صفات الأنبياء ووظائفهم، فلا يصح أن يقال أن النبي غير مأمور بالتبليغ .

٤ - قال الله تعالى عن أنبياء بني إسرائيل : ﴿ إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء ﴾[5]. فالله سبحانه وتعالى أخبر عن أنبياء بني إسرائيل أنهم كانوا يحكمون بين الناس بالتوراة، ولا شك أن الحكم بالتوراة دعوة إليها وتطبيق وتبليغ لها قولا وعملا .

٥ - أن الله سبحانه وتعالى حكى قصة نبي من أنبياء بني إسرائيل فقال سبحانه : ﴿ ألم تر إلى الملإ من بني إسرائيل من بعد موسى إذ قالوا لنبي لهم ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله قال هل عسيتم إن كتب عليكم القتال ألا تقاتلوا قالوا وما لنا ألا نقاتل في سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا فلما كتب عليهم القتال تولوا إلا قليلا منهم والله عليم بالظالمين * وقال لهم نبيهم إن الله قد بعث لكم طالوت ملكا قالوا أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال قال إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم والله يؤتي ملكه من يشاء والله واسع عليم * وقال لهم نبيهم إن ءاية ملكه أن يأتيكم التابوت فيه سكينة

---

(1) الحج الآية : ٥٢

(2) الزخرف الآية : ٦

(3) الأعراف الآية : ٩٤

(4) البقرة الآية : ٢١٣

(5) المائدة الآية : ٤٤

من ربكم وبقية مما ترك ءال موسى وءال هارون تحمله الملائكة إن في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين * فلما فصل طالوت بالجنود قال إن الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فإنه مني إلا من اغترف غرفة بيده فشربوا منه إلا قليلا منهم فلما جاوزه هو والذين ءامنوا معه قالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده قال الذين يظنون أنهم ملاقوا الله كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين ﴾ [1] .

فالله سبحانه وتعالى بين أن هذا النبي دعا قومه إلى طاعة طالوت الذي اختاره الله سبحانه وتعالى ملكا عليهم، وأنه أمرهم أن يجاهدوا أعداءهم تحت راية هذا الملك، وأنه قد شاركهم بنفسه في هذا الجهاد، وأنه كان يخبرهم أثناء الطريق ما كان يوحى إليه من ربه فقال : ﴿ إن الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فإنه مني إلا من اغترف غرفة بيده ﴾ . وهذا كله ينافي القول بأن النبي لا يكون مأمورا بالتبليغ .

٦ – قال تعالى بعد أن ذكر جماعة من الأنبياء والمرسلين : موسى وهارون وإبراهيم وإسحاق ويعقوب : ﴿ وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين ﴾ [2] .

فالله سبحانه وتعالى أمرهم بفعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وجعلهم أئمة ودعاة يدعون الناس إلى ما أوحي إليهم من ربهم فلا يصح أن يقال أن النبي لم يكن يؤمر بتبليغ ما أوحي إليه .

٧ – عن ابن عباس – رضي الله عنهما – قال : قال النبي ﷺ : عرضت علي الأمم، فأجد النبي يمر معه الأمة، والنبي يمر معه النفر، والنبي يمر معه العشرة، والنبي يمر معه الخمسة، والنبي يمر وحده، فنظرت فإذا سواد كثير، قلت : يا جبريل، هؤلاء أمتي ؟ قال : لا ولكن انظر إلى الأفق ... الحديث [3] .

فهذا الحديث يدل على أن الأنبياء مأمورون بتبليغ ما أوحي إليهم، وأنهم يتفاوتون في مدى الاستجابة لهم وإلا فكيف استجاب لهم بعض الناس، وهم لم يقوموا بتبليغ ما أوحي

---

(١) البقرة الآيات : ٢٤٦-٢٥٢

(٢) الأنبياء الآية : ٧٣

(٣) أخرجه خ (الرقاق، ب : يدخل الجنة سبعون ألفا بغير حساب ٥/٢٣٩٦ ح : ٦١٧٥)، واللفظ له؛ و م (الإيمان، ب : الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب ح : ٢٢٠) .

إليهم و لم يدعوا الناس إلى ما أوحي إليهم من ربهم جل وعلا ؟ .

٨ - وعـن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنه لم يكن نبي قبلي إلا كان حقا عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم، وينذرهم شر ما يعلمه لهم... الحديث [1].

فهـذا الحديث يبين وظيفة الأنبياء وهي أن عليهم أن يبينوا لأمتهم كل خير يعلمونه لهـم، وأن يحذروهـم مـن كل شر، فهذا ينافي القول بأن النبي لا يكون مأمورا بالتبليغ والدعوة إلى ما أوحي إليه من الله سبحانه وتعالى .

٩ - وعـن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال : كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء، كلما هلك نبي خلفه نبي، وإنه لا نبي بعدي ... الحديث[2] .

فهذا الحديث يدل على أن الأنبياء لم تكن وظيفتهم قاصرة على أنفسهم، ولم يكونوا منعزلين عن قومهم بل كانوا هم السادة القادة لأقوامهم، يأمروهم بما ينفعهم وينهوهم عما يضرهم .

١٠ - القول بأن النبي لم يكن يؤمر بتبليغ الناس ما أوحي إليه يخالف مقتضى النبوة ومقصـود الوحي، لأنه كتمان لوحي الله تعالى، والله سبحانه وتعالى لا يترل وحيه ليكتم ويدفـن في صدر واحد من الناس، ثم يموت هذا العلم بموته، بل دعوى كتمان الأنبياء ما أوحي إليهم وعدم بيانهم ذلك للناس أمر خطير جدا ينبغي تتريه الأنبياء عنه .

٢ - النبي من يأتيه الوحي مناما، والرسول من يأتيه الوحي يقظة . وهذا القول ذهب إليه الواحدي والبغوي والرازي [3]، وذكره الآلوسي وتعقبه بقوله : (وهذا أغرب الأقوال ويقتضي أن بعض الأنبياء لم يوح إليه إلا مناما وهو بعيد ومثله لا يقال بالرأي) [4].

٣ - الـنبي هـو المـبعوث لتقرير شرع من قبله، والرسول هو من أوحي إليه بشرع جديـد. هذا القول ذهب إليه الآلوسي، واختاره الدكتور جمعة علي الخولي والدكتور عمر

---

(1) حديث صحيح، أخرجه مسلم، وقد سبق تخريجه في (ص : ٤٧٣) .

(2) أخرجه خ (أحاديث الأنبياء، ب : ما ذكر عن بني إسرائيل ١٢٧٣/٣ ح : ٣٢٦٨)، و م (الإمارة، ب : وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء الأول فالأول ١٤٧١/٣ ح : ١٨٤٢) .

(3) انظر بالترتيب : الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٧٣٧/٢)؛ ومعالم التتريل (٢٩٣/٣)؛ والتفسير الكبير (٤٩/٢٣).

(4) روح المعاني (١٧٣/١٧) .

سليمان الأشقر [1]، وقريب من هذا القول ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية في موضع إذ قال : (النبي : هو الذي ينبئه الله، وهو ينبئ بما أنبأ الله به؛ فإن أرسل مع ذلك إلى من خالف أمر الله ليبلغه رسالة من الله إليه؛ فهو رسول، وأما إذا كان إنما يعمل بالشريعة قبله، ولم يرسل هو إلى أحد يبلغه عن الله رسالة فهو نبي وليس برسول) [2]، وهو الذي يدل عليه كلام الشيخ محمد بن صالح العثمين – رحمه الله – في موضع إذ قال: (لم تخل أمة من رسول يبعثه الله تعالى بشريعة مستقلة إلى قومه أو نبي يوحي إليه بشريعة من قبله ليجددها) [3] .

ولكن يلاحظ على هذا القول أنه لا شك أن آدم عليه السلام كان نبيا، وهو أول البشر وأبوهم جميعا، ولم يكن قبله بشر في الأرض فكيف يكون أبو البشر آدم النبي مقررا لشرع قبله ولا وجود لبشر قبله في الأرض، فضلا أن يكون هناك رسول منهم إليهم فيأتي أبو البشر مجددا ومقررا لهم شرع ذلك الرسول السابق عليه ! .

كما يلاحظ أن هناك رسلا لم يأتوا بشريعة جديدة مثل لوط عليه السلام فهو رسول ولكن لم تكن له شريعة جديدة، وإنما كان على دين إبراهيم عليه السلام،وكان رسولا، يدل على ذلك قوله تعالى : ﴿وإن لوطا لمن المرسلين﴾ [4].

وكذلك إسماعيل عليه السلام كان على شريعة والده، وكان رسولا . قال تعالى : ﴿ واذكر في الكتاب إسماعيل إنه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا ﴾ [5].

وكذلك يوسف عليه السلام كان على شريعة إبراهيم عليه السلام وكان رسولا . قال تعالى : ﴿ ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات فما زلتم في شك مما جاءكم به حتى إذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا ﴾ [6].

وكذلك يوشع بن نون وداود وسليمان عليهم السلام لم تكن معهم شريعة جديدة وإنما كانوا على شريعة موسى عليه السلام وشيخ الإسلام ابن تيمية يرى أنهم كانوا رسلا إذ قال

---

(1) انظر بالترتيب : روح المعاني (١٧٣/١٧)؛ وتاريخ الدعوة (٥٢/١)؛ والرسل والرسالات (ص : ١٥) .
(2) النبوات (٧١٤/٢) .
(3) مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين (٩٣/٦).
(4) الصافات الآية : ١٣٣
(5) مريم الآية : ٥٤
(6) غافر الآية : ٣٤

في موضع آخر : (ليس من شرط الرسول أن يأتي بشريعة جديدة؛ فإن يوسف كان على ملة إبراهيم، وداود وسليمان كانا رسولين، وكانا على شريعة التوراة)[1].

وقال أيضا : (وقد أخبر الله تعالى أن لوطا كان من أمة إبراهيم وممن آمن معه، ثم إن الله أرسله، وكذلك يوشع كان من أمة موسى، وكان فتاه، ثم إن الله أرسله، وكذلك هارون. لكن هارون ويوشع كانا على دين بني إسرائيل ملة إبراهيم) [2].

فلا يصح أن يقال أن من أوحي إليه بشرع جديد فقط هو الرسول دون غيره بل قد يكون رسولا وليس معه شرع جديد، كما لا يصح أن يقال أن النبي هو من بعث لتقرير شرع من قبله .

٤ - النبي من بعث بغير كتاب، والرسول من بعث بكتاب . هذا القول ذهب إليه الزمخشري والنسفي والجرجاني، وهو أحد القولين الذي اختاره الآلوسي [3].

وهذا التعريف قريب من التعريف السابق و يلاحظ عليه ما لوحظ على التعريف السابق من أن الكتب التي أنزلت قليلة والرسل كثيرون، فمن الرسل من لم يكن له كتاب جديد مستقل، وإنما كان يعمل بكتاب قبله ويدعو إليه .

٥ - النبي من بعثه الله بشرع جديد يدعو الناس إليه أو بعثه لتقرير شرع سابق قبله والرسول من بعثه الله بشرع جديد يدعو الناس إليه . وهذا القول ذهب إليه البيضاوي وأبو السعود والدكتور محمد أبو النور الحديدي والطيب بن عمر الجكني والشيخ عبد القادر بن شيبة الحمد [4].

وعلى هذا القول يكون النبي أخص ويكون الرسول أعم فيكون كل نبي رسولا ولا يكون كل رسول نبيا .

ويلاحظ على هذا التعريف أيضا ما لوحظ على بعض التعريفات من قبل بأن هناك رسل لم تكن معهم شريعة جديدة، فلا يكون التعريف جامعا .

---

(١) النبوات (٧١٨/٢) .

(٢) تفسير آيات أشكلت (٢٣١/١) .

(٣) انظر بالترتيب : الكشاف (٢٧/٤ و ٢٠٣-٢٠٤)؛ ومدارك التنزيل (٣٤٠/٢)؛ والتعريفات (ص : ٣٠٧)؛ وروح المعاني (١٧٣/١٧) .

(٤) انظر بالترتيب : أنوار التنزيل (١٣٣/٤)؛ وإرشاد العقل السليم (١١٣/٦)؛ وعصمة الأنبياء (ص : ٢٦)؛ والعقيدة السلفية والرد على المنحرفين عنها (ص : ١٥٦)؛ والأديان والفرق والمذاهب المعاصرة (ص : ٥)؛ وقصص الأنبياء (ص : ٢٤و٤٩) والمصدران الأخيران للشيخ عبد القادر الحمد .

٦- النبي من بعثه الله إلى قوم مؤمنين موافقين ويعرفون أن ما يدعوهم إليه حق، والرسول هو من أرسله الله إلى قوم كافرين يخالفونه فيما يدعوهم إليه ويكذبه بعضهم. هذا القول ذهب إليه شيخ الإسلام ابن تيمية [١]، وارتضاه جماعة ممن جاء بعده [٢].

والقول بأن النبي يبعث إلى قوم مؤمنين موافقين يؤيده قول النبي ﷺ : ((كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء، كلما هلك نبي خلفه نبي...)) [٣] وكذلك قوله ﷺ : ((العلماء ورثة الأنبياء)) [٤] فإن العلماء يأمرون المؤمنين بما يعرفون أنه حق ويدعونهم إليه .

ولكن القول بأن الرسول إنما يبعث إلى قوم كافرين يشكل عليه أن عيسى عليه السلام كان رسولا بالاتفاق وكان مرسلا إلى بني إسرائيل، ولا سيما عيسى ويحيى وزكريا عليهم السلام كانت بعثتهم إلى بني إسرائيل في أوقات متقاربة جدا. وكذلك يوشع بن نون وداود وسليمان عليهم السلام كانوا رسلا كما ذهب إليه شيخ الإسلام ابن تيمية وكانوا من بني إسرائيل الذين كانت تسوسهم الأنبياء؛ فبنو إسرائيل كانوا أهل شريعة وإيمان من قبل، وكانوا يعلمون أن ما يُدعَون إليه حق وصدق وصواب. فالظاهر لا يصح قصر الرسول على من أرسل إلى قوم كافرين فقط بل قد يكون مرسلا إلى قوم مؤمنين والله أعلم بالصواب .

٧- من بعث ليبين للناس أصل التوحيد؛ أي : داعيا إلى التوحيد؛ فإنه يسمى رسولا ومن كان المقصود من بعثته إما نسخ الشريعة السابقة أو التثبيت لها أو التجديد في بعض مسائلها فإنه يسمى نبيا، ويكون القوم الذين بعث فيهم على أصل التوحيد . قاله الدكتور يوسف بن محمد الغفيص [٥].

وهذا التعريف قريب من تعريف شيخ الإسلام ابن تيمية بل هو مستفاد منه إلا أنه

---

(١) انظر : النبوات (٧١٧/٢-٧١٨) .

(٢) انظر : دراسات في النبوة والرسالة (٩٥-٩٩)؛ ومنهج الحافظ ابن حجر في العقيدة من خلال كتابه فتح الباري (١٢١٠/٣) .

(٣) جزء من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أخرجه الشيخان وقد سبق تخريجه في (ص : ٧٠٠) .

(٤) أخرجه ت (العلم، ب : فضل الفقه على العبادة ٤٨/٥-٤٩ ح : ٢٦٨١)؛ وجه (المقدمة، ب : فضل العلماء والحث على طلب العلم ٨١/١ ح : ٢٢٣) وغيرهما والحديث صححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٧١/٣ ح : ٢٦٨٢) وغيره .

(٥) شرح متن العقيدة الطحاوية [شريط رقم : ٤ ، الوجه الثاني) .

لم يخصص الرسول بكونه مرسلا إلى قوم كافرين كما في تعريف شيخ الإسلام ابن تيمية بل كل من بعثه الله تعالى ليدعو الناس إلى التوحيد فهو رسول؛ فيدخل في هذا التعريف عيسى عليه السلام وغيره من الرسل الذين لا ينطبق عليهم تعريف شيخ الإسلام ابن تيمية للرسول .

ولكن قوله بأن النبي يبعث ناسخا لشريعة سابقة أو مجددا لها أو مثبتا لما اندرس منها يشكل عليه أن آدم عليه السلام كان نبيا، وهو أول البشر وأبوهم جميعا، ولم يكن قبله بشر في الأرض فكيف يكون أبو البشر آدم النبي ناسخا لشرع رسول قبله أو مجددا له ... ولم يكن للبشر وجود قبله في الأرض، فضلا أن يكون هناك رسول منهم إليهم فيأتي أبو البشر ناسخا أو مجددا ومقررا لهم شرع ذلك الرسول السابق عليه ! .

خلاصة القول : إن الأقوال التي ذكرت في بيان الفرق بين النبي والرسول إنما هي اجتهادات من العلماء، وهي كلها من باب التقريب؛ وقد لا تجد قولا جامعا مانعا يمكن الاعتماد عليه كقاعدة كلية إلا أنه في ضوء الأقوال السابقة يمكن أن يقال : النبي لا يبعث إلا إلى قوم مؤمنين، وأما الرسول فالغالب عليه أنه يرسل إلى قوم كافرين وقد يرسل إلى قوم مؤمنين كما هو الحال في آدم عليه السلام وقد يرسل إلى قوم فيهم كفار ومؤمنون كما هو الحال في عيسى عليه السلام ، والله أعلم بالصواب .

المطلب الأول : نبوة آدم ﷺ وأدلتها .

إن من عظيم منن الله على عباده أنه أرسل أنبياءه ورسله لهداية الناس ودعوتهم إلى ما فيه صلاحهم وفلاحهم وسعادتهم في الدنيا والآخرة، وأول من اختاره الله سبحانه وتعالى لهـــذا المنصب العظيم والعمل الجليل فأكرمه بالنبوة هو أبو البشر آدم ﷺ، ومما يدل على نبوة آدم ﷺ ما يلي :

أولا : دليل جامع من الكتاب والسنة .

جـــاء في كثير من آيات الكتاب العزيز وأحاديث الرسول الكريم ﷺ أن الله سبحانه وتعـــالى كلم أبا البشر آدم ﷺ، وخاطبه بلا واسطة، وشرع له في ذلك الخطاب، فأمره ونهاه، وأحل له وحرم عليه بدون أن يرسل إليه رسولا، وهذا من معاني النبوة، فكلام الله إياه وخطابه له وأمره ونهيه ووحيه إليه وحي تشريع يدل على أن آدم ﷺ كان نبيا من الله سبحانه وتعالى، والله أعلم بالصواب [1].

وأما الأدلة على كلام الله تعالى آدم ﷺ فقد سبق ذكرها في الباب الأول عند الكلام عن الأدلة على كلام الله تعالى مع آدم ﷺ [2].

ثانيا : الأدلة من كتاب الله تعالى :

إن الآيات القرآنية لم تذكر لفظ النبوة أو الرسالة لآدم ﷺ كما ذكرت لغيره من الأنبياء والمرسلين كنوح وإبراهيم وإسماعيل وموسى وعيسى وغيرهم من الأنبياء، ولكن هناك آيات في كتاب الله تعالى فيها إشعار وتنبيه ودلالة على نبوة آدم ﷺ ورسالته،وهذه الآيات منها ما فيه إشعار عام ومنها ما فيه تنبيه خاص على نبوة آدم ﷺ ورسالته، وفيما يلي ذكرها :

أ – آيات عامة :

- قـــال الله تعالى : ﴿ ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ﴾ [3] وقال

---

(١) انظر : قصص الأنبياء لعبد الوهاب النجار (ص : ١٠)؛ و النبوة والأنبياء (ص : ١٣٢-١٣٣)؛ وتاريخ الدعوة (١/ ٥٠).

(٢) انظر : (ص : ١٤١-١٤٧) .

(٣) النحل الآية : ٣٦

تعالى : ﴿ ولكل أمة رسول ﴾ [1] وقال تعالى : ﴿ وإن من أمة إلا خلا فيها نذير ﴾ [2] .

فهـــذه آيات من كتاب الله سبحانه وتعالى تدل على أن الله سبحانه وتعالى أرسل في كـــل أمـــة رسولا منهم، يدعوهم إلى الله سبحانه وتعالى، ولا شك أن آدم ﷺ وزوجه وأولاده أمة يحتاجون إلى رسالة الله وهدايته سبحانه لهم، والله سبحانه وتعالى لا يتركهم بدون هدايته ورسالته كما لم يترك غيرهم، رحمة وفضلا منه جل وعلا [3].

● وقال تعالى : ﴿ واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق إذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر قال لأقتلنك قال إنما يتقبل الله من المتقين * لئن بسطت إلي يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك إني أخاف الله رب العالمين * إني أريد أن تبوء بإثمي وإثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين * فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين ﴾ [4].

فهـــذه الآيات تدل على أن أولاد آدم ﷺ كانوا على رسالة وشريعة ومنهج وهداية مـــن الله ســـبحانه وتعالى، فهم كانوا يعبدون الله سبحانه وتعالى، وكانوا يتقدمون إليه سبحانه بالقرابين، وكانوا يعرفون أهمية الخوف من الله والإخلاص له سبحانه وتعالى،وأنه هو وحده المستحق للعبادة، وأنه سبحانه لا يتقبل إلا من أهل التقوى والإخلاص، وكانوا يعلمون أن هناك ثوابا وعقابا من الله سبحانه وتعالى، وأن الظالمين لهم عذاب النار . فهذا كلـــه يشعر بنبوة آدم ﷺ، وأن الله سبحانه وتعالى كان أوحى ذلك كله إليه وعن طريقه علم أبناؤه هذه الأمور المهمة المتعلقة بالعقيدة والأخلاق الفاضلة، والله أعلم بالصواب[5].

ب – آيات خاصة بآدم ﷺ :

● قال تعالى : ﴿ قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو فإما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي

---

(١) يونس الآية : ٤٧

(٢) فاطر الآية : ٢٤

(٣) انظر : أنبياء الله للشيخ محمد الشعرواي (ص : ٣٣) .

(٤) المائدة الآيات : ٢٧-٣٠

(٥) انظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن (١٩٤/٦)؛ وتفسير القرآن الحكيم (٦٠٦/٧-٦٠٧)؛ وأنبياء الله (ص : ٣٣)؛ وفلسفة النبوة والأنبياء في ضوء القرآن والسنة لآدم عبد الله الألوري (ص : ٩٩-١٠٠) .

فلا يضل ولا يشقى ﴾[1] وقال تعالى : ﴿ قلنا اهبطوا منها جميعا فإما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ [2] .

قال أبو العالية في تفسير قوله تعالى : ﴿ فإما يأتينكم مني هدى ﴾ : قال : الهدى : الأنبياء والرسل والبيان [3].

وقال ابن جرير الطبري : (آدم كان هو النبي ﷺ أيام حياته بعد أن أهبط إلى الأرض والرسول من الله جل ثناؤه إلى ولده، فغير جائز أن يكون معنيا - وهو الرسول ﷺ- بقوله : ﴿فإما يأتينكم مني هدى﴾ خطابا له ولزوجته . ﴿فإما يأتينكم مني هدى﴾ أنبياء ورسل إلا على ما وصفت من التأويل) [4].

فالآيتان فيهما وعد من الله سبحانه وتعالى بالهدى، وفيهما نوع من الإشعار بنبوة آدم عليه السلام ورسالته [5].

● وقال تعالى : ﴿ إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين ﴾ [6] .

قال قتادة في تفسير هذه الآية : (رجلان نبيان اصطفاهما الله على العالمين) [7].

وقال الحسن البصري في تفسيرها : (فضلهم الله على العالمين بالنبوة على الناس كلهم، كانوا هم الأنبياء الأتقياء المطيعين لربهم) [8].

وقال الواحدي : ﴿ إن الله اصطفى آدم ﴾ بالنبوة والرسالة [9].

---

(١) طه الآية : ١٢٣

(٢) البقرة الآية : ٣٨

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٤٧/١)، وفي إسناده نظر، وقد سبق الكلام عليه في (ص : ٣٤١-٣٤٢) .

(٤) جامع البيان عن تأويل آي القرآن (٢٤٧/١) .

(٥) انظر : تاريخ الدعوة (٥٠/١)؛ والنبوة والأنبياء (ص : ١٣٣) .

(٦) آل عمران الآية : ٣٣

(٧) أخرجه عنه ابن جرير الطبري في تفسيره (٢٣٤/٣) بإسناده إليه وهو إسناد حسن .

(٨) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (٢٣٤/٣)؛ وابن أبي حاتم في تفسيره (٢٠٨/٢ برقم : ٣٨٩) وفي إسناد ابن أبي حاتم رجل لم يتمكن المحقق من معرفته، ولكن يقويه إسناد الطبري ورجاله كلهم ثقات .

(٩) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٢٠٧/١) .

وقـــال ابـــن عطية الأندلسي في بيان معنى اصطفاء آدم ﷺ في الآية : (آدم هو أبوناﷺ، اصطفاه الله تعالى بالإيجاد، والرسالة إلى بنيه، والنبوة والتكليم، حسبما ورد في الحديث) [1] .

وقال الحافظ عز الدين الحنبلي : (أي : اختارهم واجتباهم للنبوة) [2].

ونحوه قال القاسمي [3].

وقـــال البيضاوي : ﴿ إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين ﴾ بالرسالة، والخصائص الروحانية، والجسمانية، ولذلك قووا على ما لم يقو عليه غيرهم) [4].

فالظاهر أن المقصود بالاصطفاء في الآية هو الاصطفاء بالنبوة والرسالة [5].

● وقال الله تعالى : ﴿ ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى ﴾ [6].

وهـــذه الآية كالتي قبلها، فالظاهر أن اجتباء الله لآدم ﷺ وتوبته عليه وهدايته له إنما هو اصطفاء منه سبحانه وتعالى لآدم ﷺ بالنبوة والرسالة [7].

ثالثا : الأدلة من سنة رسول الله ﷺ :

جاءت أحاديث رسول الله ﷺ موافقة لكتاب الله سبحانه وتعالى، فهي أيضا أشارت إلى ما أشارت إليه الآيات القرآنية من أن الله سبحانه وتعالى اصطفى آدم ﷺ، وزادت في البيان والتوضيح، فصرحت بنبوة آدم ونصت على ذلك وفيما يلي ذكرها :

أ – حديث عام يدل على نبوة آدم ﷺ :

عن أبي بكر الصديق ﷺ قال : أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فصلى الغداة، ثم جلس، حتى إذا كان من الضحى ضحك رسول الله ﷺ، ثم جلس مكانه حتى صلى

---

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٣/٦٠) .

(٢) رمـــوز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز (١/٩٣)، وعز الدين هو عبد الرزاق بن رزق الله الرسعني الحنبلي، محدث مفسر فقيه أديب شاعر ، توفي سنة ٦٦١هـــ . انظر : معجم المؤلفين (٥/٢١٧-٢١٨) .

(٣) انظر : محاسن التأويل (٤/٨٥) .

(٤) انظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٢/١٤) .

(٥) انظر : النبوة والأنبياء (ص : ١٣٣) .

(٦) طه الآية : ١٢٢

(٧) انظر : النبوة والأنبياء (ص : ١٣٣) .

الأولى والعصر والمغرب، كل ذلك لا يتكلم حتى صلى العشاء الآخرة، ثم قام إلى أهله، فقال الناس لأبي بكر : ألا تسأل رسول الله ﷺ ما شأنه ؟ صنع اليوم شيئا لم يصنعه قط، قال : فسأله، فقال : نعم، عرض علي ما هو كائن من أمر الدنيا، وأمر الآخرة، فجمع الأولون والآخرون بصعيد واحد، ففظع الناس بذلك، حتى انطلقوا إلى آدم عليه السلام، والعرق يكاد يلجمهم، فقالوا : يا آدم، أنت أبو البشر، وأنت اصطفاك الله عز وجل، اشفع لنا إلى ربك، قال : لقد لقيت مثل الذي لقيتم، انطلقوا إلى أبيكم بعد أبيكم إلى نوح : ﴿ إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين ﴾ قال : فينطلقون إلى نوح عليه السلام، فيقولون : اشفع لنا إلى ربك، فأنت اصطفاك الله، واستجاب لك في دعائك، ولم يدع على الأرض من الكافرين ديارا، فيقول : ليس ذاكم عندي انطلقوا إلى إبراهيم عليه السلام ... الحديث [1] .

فالاصطفاء في هذا الحديث مثل الاصطفاء الوارد في آية آل عمران، وقد سبق ذكرها قريبا، مقرونا بأقوال من السلف أنه اصطفاء بالرسالة والنبوة ، فكذلك الاصطفاء هنا فيه إشعار بنبوة آدم ورسالته عليه السلام، والله أعلم بالصواب .

ب – أحاديث نصت على نبوة آدم عليه السلام .

١ – عن أبي أمامة رضي الله عنه أن رجلا قال يا رسول الله ! أنبي كان آدم ؟ قال : " نعم مكلم " قال : فكم كان بينه وبين نوح ؟ قال : " عشرة قرون " [2] .

٢– وعن أبي سعيد رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وبيدي لواء الحمد ولا فخر، وما من نبي يومئذ آدم فمن سواه إلا تحت لوائي، وأنا أول

---

(١) أخرجه حم (١/١٩٣-١٩٦ ح : ١٥)، واللفظ له؛ وابن أبي عاصم في السنة (٢/٢٤٩ ح : ٧٥١ و ٢/٣٨١ ح : ٨١٢)؛ والبزار في مسنده (١/١٤٩-١٥٢ ح : ٧٦)؛ وأبو يعلى في مسنده (١/٥٦-٥٨ ح : ٥٦)؛ وحب كما في الإحسان (١٤/٣٩٣-٣٩٦ ح : ٦٤٧٦)؛ والمقدسي في الأحاديث المختارة (١/١٢١-١٢٤ ح : ٣٩) كلهم بأسانيدهم ويجتمعون عند نضر بن شميل المازني ثني أبو نعامة، ثني أبو هنيدة البراء بن نوفل عن والان العدوي عن حذيفة عن أبي بكر الصديق . قال ابن حبان : (قال إسحاق بن راهويه : هذا من أشرف الحديث وقد روى هذا الحديث عدة عن النبي ﷺ نحو هذا) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/٣٧٥): (رواه أحمد وأبو يعلى والبزار ورجالهم ثقات) وقال البزار : (رواه جماعة من جلة أهل العلم بالنقل واحتملوه) وقال الشيخ أحمد شاكر في تعليقه على مسند الإمام أحمد (١/١٧٢ ح : ١٥) : (إسناده صحيح) وقال الألباني في تعليقه على السنة لابن أبي عاصم (٢/٣٤٩ ح : ٧٥١) : (إسناده حسن) .

(٢) حديث صحيح، وقد سبق تخريجه وذكر أقوال أئمة الحديث فيه مفصلا وانظر : (ص : ١٤٦-١٤٧) .

من تنشق عنه الأرض ولا فخر [(١)].

٣ - وعـــن عبد الله بن سلام ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر، وأول من تنشق عنه الأرض، وأول شافع ومشفع، بيدي لواء الحمد، تحتي آدم فمن دونه [(٢)].

٤- وعـــن أنس بن مالك ﷺ قال : لما جاء جبرائيل عليه السلام بالبراق إلى رسول الله ... فســـار رســـول الله ﷺ ... حتى انتهى إلى بيت المقدس، فعرض عليه الماء واللبن والخمر، فتناول رسول الله ﷺ اللبن، فقال له جبرائيل ﷺ : أصبت يا محمد الفطرة ولو شـــربت الماء لغرقت وغرقت أمتك، ولو شربت الخمر لغويت وغوت أمتك، ثم بعث له آدم فمن دونه من الأنبياء، فأمهم رسول الله تلك الليلة ... الحديث [(٣)] .

---

(١) أخـــرجه حم (١٧/١٠-١١ ح : ١٠٩٨٧)؛ و ت (أبواب التفسير ، سورة بني إسرائيل ٣٠٨/٥ ح : ٣١٤٨ والمناقب، ب : في فضل النبي ﷺ ٥٨٧/٥ ح : ٣٦١٥)، واللفظ له؛ جه (الزهد، ب : ذكر الشفاعة ١٤٤٠/٢ح : ٤٣٠٨) كلهم من طريق علي بن زيد بن جدعان وهو ضعيف كما سبق الكلام على ذلك . قال الترمذي : (هذا حديث حسن صحيح وقد روي بهذا الإسناد عن أبي نضرة عن ابن عباس عن النبي ﷺ). قال الألباني عن هذا الحديث في سلسلة الأحاديث الصحيحة (١٠٠/٤ضمن كلامه على حديث : ١٥٧١) : (ابـــن جدعـــان فيه ضعف فحديثه حسن في الشواهد) ، وذكر له عدة شواهد، وصححه في صحيح سنن الترمذي (٤٨٥/٣-٤٨٦ ح : ٣٦١٥)؛ وفي صحيح سنن ابن ماجه (٤٠٢/٣ ح : ٣٤٩٦) .

(٢) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (٣٦٩/٢-٣٧٠ ح : ٧٩٣)؛ وأبو يعلي في مسنده (٤٨٠/١٣-٤٨١ ح : ٧٤٩٣)؛ وحب كما في الإحسان (التاريخ، ب : الحوض والشفاعة، ذكر الإخبار بأن الأنبياء أولهم وآخرهم يكونـــون في القيامة تحت لواء المصطفى ﷺ ٣٩٨/٤١ ح : ٦٤٧٨)؛ واللفظ له، كلهم من طريق عمرو بن عثمان الكلابي ثنا موسى بن أعين عن معمر بن راشد عن محمد بن عبد الله بن أبي يعقوب عن بشر بن شغاف عن عبد الله بن سلام . قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٥٤/٨) : (رواه أبو يعلى والطبراني وفيه عمرو بن عثمان الكلابي وثقه ابن حبان على ضعفه وبقية رجاله ثقات)، وقال الألباني في تعليقه على السنة : (إسناده صـــحيح، رجاله كلهم ثقات)، ونحوه قال في تعليقه على (بداية السول في تفضيل الرسول ﷺ ص : ٣٤)؛ وفي السلسلة الصحيحة (١٠١/٤ ضمن كلامه حديث ١٥٧١) وذكر له عدة شواهد .

(٣) أخـــرجه الطبري في تفسيره (٦/١٥)، ومن طريقه أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٣٦١/٢-٣٦٢)؛ والمقدسي في الأحاديث المختارة (٢٥٨/٦-٢٥٩ ح : ٢٢٧٧) ورجال الإسناد كلهم ثقات إلا عبد الرحمن بن هاشم بن عتبة بن أبي وقاص الراوي عن أنس بن مالك فإني لم أظفر له بترجمة، ولم أتمكن من معرفة درجته في الحديث حفظا وضبطا وإتقانا ولكن أبوه هاشم بن عتبة من الصحابة، وكان مع علي ﷺ عنه في معركة صفين، وقتل يوم ذاك ، وصلى عليه علي بن أبي طالب كما ذكره الطبراني في (المعجم الكبير ١٦٨/٢٢) وابن عبد البر في (الاستيعاب ١٥٤٦/٤ برقم : ٢٧٠٠)؛ وابن حجر في (الإصابة ، القسم الأول ، ٥٩٣/٣ برقم : ٨٩١٢) فعبد الرحمن هذا ابن صحابي وعلى أقل تقدير يكون من أوساط التابعين، وقد قال الذهبي في (ديوان الضعفاء والمتروكين (ص : ٤٧٨) : (أما المجهولون من الرواة : فإن كـــان الرجل من كبار التابعين أو أوساطهم احتمل حديثه، وتلقي بحسن الظن إذا سلم من مخالفة الأصول ومن ركاكة ←

٥- وعـــن أبي أمامة ﷺ قال : كان رسول الله ﷺ في المسجد جالسا، وكانوا يظنون أنه يترل عليه، فأقصروا عنه حتى جاء أبو ذر، فأقحم فأتى فجلس إليه، فأقبل عليه النبي ﷺ فقال : "يـــا أبـــا ذر هـــل صليت اليوم " ؟ قال : لا . قال : " قم فصل ". فلما صلى أربع ركعات الضـــحى أقبل عليه، فقال : " يا أبا ذر تعوذ من شر شياطين الجن والأنس ". قال : يا نبي الله وهـــل للإنس شياطين ؟ قال : " نعم، شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القـــول غرورا "، ثم قال : " يا أبا ذر ألا أعلمك كلمة من كتر الجنة " ؟ قال : بلى جعلني الله فـــداءك. قال : " قل : لا حول ولا قوة إلا بالله ". قال : فقلت : لا حول ولا قوة إلا بالله . قـــال : ثم ســـكت عني فاستبطأت كلامه. قال : قلت : يا نبي الله إنا كنا أهل جاهلية وعبادة أوثان، فبعثك الله رحمة للعالمين، أرأيت الصلاة ماذا هي ؟ قال : " خير موضوع من شاء استقل ومـــن شاء استكثر "... قال : قلت : يا نبي الله فأي الأنبياء كان أول ؟ قال : " آدم " . قال : قـــلت : يا نبي الله أو نبي كان آدم ؟ قال : "نعم، نبي مكلم، خلقه الله بيده، ثم نفخ فيه روحه، ثم قـــال له : يا آدم قبلا ". قال : قلت : يا رسول الله كم وفى عدة الأنبياء ؟ قال : " مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا، الرسل من ذلك ثلاث مائة وخمسة عشر جما غفيرا " [(١)].

٦ – عن أبي ذر ﷺ قال : أتيت رسول الله ﷺ وهو في المسجد فجلست فقال : يا أبـــا ذر هل صليت ؟ قلت : لا . قال : " قم فصل " . قال : فقمت فصليت ثم جلست فقال : " يا أبا ذر تعوذ بالله من شر شياطين الإنس والجن" . قال : قلت : يا رسول الله وللإنس شياطين ؟ قال : " نعم ". قلت :يا رسول الله ما الصلاة ؟ قال : " خير موضوع مـــن شاء أقل ومن شاء أكثر" ... قلت : يا رسول الله أي الأنبياء كان أول ؟ قال :" آدم". قلت : يا رسول الله ونبي كان ؟ قال : " نعم نبي مكلم " . قال : قلت يا رسول الله كم

الألفاظ) وقال الحافظ ابن كثير في (اختصار علوم الحديث ص : ٦٧) : (فأما المبهم الذي لم يسم، أو من سمي ولا تعـــرف عيـــنه؛ فهذا ممن لا يقبل روايته أحد علمناه، ولكنه إذا كان في عصر التابعين والقرون المشهود لهم بالخير، فإنه يستأنس بروايته، ويستضاء بها في مواطن) ثم إن هذا الحديث يشهد له حديث أبي هريرة ﷺ وهو حديث صحيح عند الإمام مسلم (الإيمان، ب : الإسراء برسول الله ﷺ ...١/١٥٦ ح : ١٧٢) وغيره بأن النبي ﷺ صلى بالأنبياء في تلك الليلة وكان إمامهم، ثم إن محل الشاهد من الحديث وهو نبوة آدم ﷺ تشهد له الأحاديث الأخرى .

(١) أخـــرجه حم (٣٦/٦٠٨-٦١٩ ح : ٢٢٢٨٨) .قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١/١٥٩) : (رواه أحمد والطبراني في الكبير ومداره على علي بن يزيد وهو ضعيف)، وذكر محقق المسند أن العلامة الألباني حسنه في تخريج الترغيب (١/١٤٥)، ولعل تحسينه بالنظر إلى الأحاديث الأخرى الواردة في هذا المعنى .

المرسلون ؟ قال : " ثلاثمائة وبضعة عشر جما غفيرا" . وقال مرة : " خمسة عشرة ". قال : قـــلت : يا رسول الله آدم أنبي كان ؟ قال : " نعم نبي مكلم" . قلت : يا رسول الله أيما أنزل عليك أعظم ؟ قال " " آية الكرسي ﴿ الله لا إله إلا هو الحي القيوم ﴾ [1].

رابعا : دليل الإجماع .

قد حكى غير واحد من العلماء الإجماع على نبوة آدم عليه السلام وممن حكى الإجماع على ذلــك سعد الدين التفتازاني فقال : (أما نبوة آدم عليه السلام فبالكتاب الدال على أنه قد أمر ونهـي، مـع القطـع بأنـه لم يكن في زمنه نبي آخر، فهو بالوحي لا غير، وكذا السنة والإجماع، فإنكار نبوته على ما نقل عن البعض يكون كفرا) [2].

وقال ابن حمير السبتي الأموي : (نص الله تعالى في محكم كتابه على الستة والعشرين الذيـن أولهم آدم، وآخرهم محمد - عليهم الصلاة والسلام - فهؤلاء هم الأنبياء الذين مـن أنكر نبوة واحد منهم، أو قدح فيها قدحا يخل بشرط من شروط نبوتهم، فهو كافر حلال الدم والمال مخلد في نار جهنم بالإجماع المتواتر، فهؤلاء هم الأنبياء حقا) [3].

وقال الدكتور محمد علي الصابوني : (نرى علماء المسلمين متفقين على نبوته [آدم

---

(١) أخرجه حم (٤٣١/٣٥-٤٣٢ ح : ٢١٥٤٦ و٤٣٧/٣٥-٤٣٨ ح : ٢١٥٥٢)؛ والطيالسي في مسنده (٦٥/١ ح : ٤٧٨) . قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٥٩/١) : " فيه المسعودي وهو ثقة لكنه اختلط " وهذه العلة لا تضر هنا؛ لأن الحديـث رواه عن المسعودي جماعة ومنهم وكيع بن الجراح وقد نص الإمام أحمد أنه ممن سمع من المسعودي قبل الاختلاط، كما ذكر الحافظ ابن حجر في تهذيب التهذيب (٣٨٣/٣في ترجمة عبد الرحمن بن عبد الله المسعودي) ولكن في الحديث علة أخرى وهي أن في إسناده راويين لا يصح الاعتماد عليهما أحدهما أبو عمرو الشامي وهو ضعيف والآخر عـبيد بن الخشخاش وهو مجهول فيبقى الحديث ضعيفا بهذا الإسناد، وقد نبه على ذلك محقق مسند الإمام أحمد لكن له طـرق أخـرى ضعيفة ذكرها ابن كثير في تفسيره (١٦٦/٢ ، الأنعام : ١١٢) وقال : (فهذه طرق لهذا الحديث، ومجموعها يفيد قوته وصحته، والله أعلم) وكذلك ذكر للحديث عدة طرق وشواهد لكل فقرة منه الشيخ أحمد بن محمد بن عبد الله في تحقيقه لكتاب : المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية (٢٠١/١٤-٢١٩ ح : ٣٤٤١) . وقال الآلوسي في (روح المعاني ١٧٢/١٧) : (زعم ابن الجوزي أنه موضوع وليس كذلك نعم قيل في سنده ضعف جبر بالمتابعة) والحديث ذكره الشيخ حكمت بن بشير في (التفسير الصحيح ٢٦٦/٢) وأيضا الأحاديث الأخرى تشهد له .

(٢) شرح العقائد النسفية (ص : ٢٠٩) .

(٣) تنزيـه الأنبياء عما نسب إليهم حثالة الأغبياء (ص : ١٤١)، وابن حمير هو أبو الحسن علي بن أحمد السبتي الأموي الأندلسي، المعروف بابن حمير، ولعله من علماء القرن السادس، من معاصري ابن العربي المالكي، كما ذكر عنه محقق الكتاب المذكور في مقدمته (ص : ١٤) .

ﷺ] لم يخالف في ذلك أحد والله تعالى أعلم) [(١)].

وقال الشيخ عبد العزيز بن إبراهيم العسكر : (أما نبوته [آدم ﷺ] فاتفقوا عليها، و لم يخالف فيها أحد أبدا، إذا فهو أول الأنبياء من غير جدال) [(٢)].

من أقوال السلف .

لقد ثبت أن آدم ﷺ كان نبيا من أنبياء الله تعالى كما سبقت الأدلة على ذلك في ضوء الكتاب والسنة والإجماع، ولذلك جاءت أقوال كثيرة من السلف الصالح، منبثقة من نور الوحي، فيها إيمان وإقرار وبيان وتوضيح بأن آدم ﷺ كان نبيا من أنبياء الله تعالى، وقد سبق ذكر مجموعة من تلك الأقوال عند ذكر الآيات التي استدل بها أهل العلم على نبوة آدم ﷺ، وهنا أضيف إليها أقوالا أخرى [(٣)] :

قال ابن عطية : (إن بعثة آدم ﷺ بالتوحيد، وبث المعتقدات في بنيه، مع نصب الأدلة الدالة على الصانع، مع سلامة الفطر يوجب على كل أحد من العالم الإيمان واتباع شريعة الله) [(٤)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية (النبوة في الآدميين هي من عهد آدم ﷺ، فإنه كان نبيا، وكان بنوه يعلمون نبوته وأحواله بالاضطرار) [(٥)].وقال أيضا : (فقد علم أن العالم ما زال فيه نبوة من آدم ﷺ إلى سيدنا محمد ﷺ) [(٦)].

قال ابن الجوزي : (ولما أنعم الله على هذا العالم الإنسي بالعقل افتتحه الله بنبوة أبيهم آدم ﷺ، فكان يعلمهم عن وحي الله عز وجل، فكانوا على الصواب إلى أن انفرد قابيل بهواه، فقتل أخاه، ثم تشعبت الأهواء بالناس، فشردتهم في بيداء الضلال حتى عبدوا الأصنام) [(٧)].

وقال الثعالبي : (بعث الله آدم إلى ذريته، ثم لم تخل الأرض من شريعة إلى ختم الرسالة بسيدنا محمد خاتم النبيين) [(٨)]. وقال أيضا : (إن دعوة الله تعالى قد عمت جميع

---

(١) النبوة والأنبياء (ص : ١٣٤) .

(٢) دراسات في النبوة والرسالة (ص : ١٧٦) .

(٣) وأيضا يضاف إلى ذلك قول اللذين يرون أن آدم ﷺ كان نبيا رسولا . انظر : (ص : ٧١٦) .

(٤) المحرر الوجيز (٢٧١/١٠ ، الإسراء : ١٥) .

(٥) شرح العقيدة الأصفهانية (ص : ١٦٢) .

(٦) المصدر السابق (ص : ٢٤٣) .

(٧) تلبيس إبليس (ص : ١١) .

(٨) الجواهر الحسان في تفسير القرآن (١٨/٥، يس : ٦١) .

الخـــلق وإن كان فيهم من لم تباشره النذارة فهو ممن بلغته؛ لأن آدم بعث إلى بنيه، ثم لم تنقطع النذارة إلى زمن محمد ﷺ) [١].

وبالإضـــافة إلى هــــذه الأقوال نرى أن المحدثين [٢] الذين تعرضوا للكلام عن الأنبياء وإيراد الأحاديث المتعلقة بهم – يذكرون الأحاديث المتعلقة بآدم عليه السلام بل نراهم يفتتحون هذا الباب وهذا الكتاب بذكر أبي البشر آدم عليه السلام وإيراد الأحاديث المتعلقة به، فهذا يدل على أنهم جمعيا يرون نبوة آدم عليه السلام .

وكذلك عامة من كتب من المتقدمين والمتأخرين عن الأنبياء والمرسلين : في تاريخهم، ودعوتهم، وفضائلهم، وعصمتهم، وقصصهم وما جرى بينهم وبين أقوامهم وما إلى ذلك من الأمور المتعلقة بهم كلهم تواطئوا على ذكر آدم عليه السلام وبداية الحديث به فهذا يدل على أن الجـــم الغفـــير من السلف والخلف يرون أن آدم عليه السلام كان نبيا ولا خلاف عندهم في ذلك، والله أعلم بالصواب .

---

(١) المصدر السابق (٣٨٧/٤ ، فاطر : ٢٤) .

(٢) انظـــر عـــلى سبيل المثال : الجامع الصحيح للإمام البخاري (الأنبياء، ب : خلق آدم وذريته ١٢٠٩/٣)؛ والمستدرك على الصحيحين (تواريخ المتقدمين من الأنبياء والمرسلين، ب : ذكر آدم عليه السلام ٥٤٢/٢) ومشكاة المصـــابيح (أحوال القيامة وبدء الخلق، ب : بدء الخلق وذكر الأنبياء ١١٢/٣)؛ كشف الأستار عن زوائد الـــبزار (علامـــات النبوة، ذكر نبي الله آدم عليه السلام ١٠١/٣-١٠٢)؛ والمطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية (أحاديث الأنبياء، ب : آدم وعدد الأنبياء ٢٠١/١٤-٢٢٢) .

المطلب الثاني : ذكر الخلاف في رسالته وبيان الراجح فيها.

لا شك أن آدم عليه السلام كان نبيا، وهذا الذي ذهب إليه الجم الغفير من السلف والخلف، حتى من أهل العلم من ذكر الإجماع على ذلك، ولكن اختلفت أقوالهم في كون آدم عليه السلام رسولا، وذلك لأنه لا يعلم دليل صحيح صريح ينص على أنه رسول[1]، فالكلام في هذه المسألة إنما هو استنباط من أهل العلم فمنهم يرى عدم رسالته، ومنهم من يرى أنه كان رسولا إلى زوجه وأولاده، ومنهم من يرى التوقف في المسألة ، وفيما يلي ذكرها :

القول الأول : التوقف في المسألة وتفويض علمها إلى الله سبحانه وتعالى . ذهب إلى هذا القول عبد الوهاب النجار [2].

القول الثاني : إن آدم عليه السلام كان نبيا ولكنه لم يكن رسولا . ذهب إلى هذا القول الماوردي وابن بطال وابن العربي، وهو الذي يترشح من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية، وإليه ذهب الشيخ محمد بن صالح العثيمين في موضع وعبد العزيز العسكر ومحمد إسحاق كندو[3].

وهؤلاء ذهبوا إلى هذا القول استدلالا بما ورد أن نوحا عليه السلام هو أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض، كما في حديث الشفاعة، فعن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : يجتمع المؤمنون يوم القيامة فيقولون : لو استشفعنا إلى ربنا، فيأتون آدم، فيقولون : أنت أبو الناس، خلقك الله بيده، وأسجد لك ملائكته، وعلمك أسماء كل شيء، فاشفع لنا عند ربك حتى يريحنا من مكاننا هذا . فيقول : لست هناكم ، ويذكر ذنبه فيستحي، ائتوا نوحا فإنه أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض ...الحديث [4] .

فهم استشكلوا القول برسالة آدم عليه السلام لأجل هذا الحديث، ورأوا أن خير الجمع أن يقال : إن آدم عليه السلام كان نبيا فقط و لم يكن رسولا، وأن نوحا عليه السلام كان نبيا رسولا، وعلى هذا

---

(١) انظر : فتاوى اللجنة الدائمة (٢٧٨/٣) .

(٢) انظر : قصص الأنبياء (ص : ١١) .

(٣) انظر بالترتيب : أعلام النبوة للماوردي (ص : ٨٠)؛ وشرح صحيح البخاري لابن بطال (٤٤٠/١٠-٤٤١)؛ وأحكام القرآن (١٦٦٦/٤، الشورى : ١٣)؛ والنبوات (٧١٤/٢-٧١٨)؛ ومجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين (٣١٤/١-٣١٦ و ١٦٧/٣)؛ ودراسات في النبوة والرسالة (ص : ١٧٦-١٧٨)؛ ومنهج الحافظ ابن حجر العسقلاني في العقيدة من خلال كتابه فتح الباري (١٢١٤/٣) .

(٤) حديث صحيح، أخرجه الشيخان، وقد سبق تخريجه في (ص : ٦٩) .

ينتهي الإشكال ولا يبقى تعارض بين الأمرين ولكن هؤلاء غفلوا عن حديث آخر، وهو ما جاء فيه أن نوحا أول نبي بعثه الله إلى أهل الأرض، فعن أنس ﷺ أن النبي ﷺ قال : يحبس المؤمنون يوم القيامة، حتى يُهِمُّوا بذلك، فيقولون : لو استشفعنا إلى ربنا، فيريحنا من مكاننا، فيأتون آدم، فيقولون : أنت آدم أبو الناس، خلقك الله بيده، وأسكنك جنته، وأسجد لك ملائكته، وعلمك أسماء كل شيء، لتشفع لنا عند ربك، حتى يريحنا من مكاننا هذا. قال : فيقول: لست هناكم . قال : ويذكر خطيئته التي أصاب : أكله من الشجرة وقد نهي عنها، ولكن ائتوا نوحا، أول نبي بعثه الله إلى أهل الأرض فيأتون نوحا...الحديث [1].

فهذا الحديث يدل على أن نوحا عليه السلام هو أول نبي بعثه الله إلى أهل الأرض، ومعلوم أن آدم عليه السلام كان نبيا، وكان قبله. وعلى هذا، الإشكال الذي فر منه أصحاب هذا القول لا زال قائما، فلا بد له من حل وتوجيه آخر وهو القول الآتي .

القول الثالث : إن آدم عليه السلام كان نبيا وكان رسولا . وهذا القول ذهب إليه أكثر أهل العلم [2]، منهم ابن جرير الطبري، والواحدي، والقاضي عياض، وابن عطية، وابن الأثير الجزري، والقرطبي، والنووي، والبيضاوي، ومحمد بن يوسف الكرماني [3] والحافظ ابن حجر، والعيني، ومحمد التتائي، وملا علي القاري، والمناوي وذكره عن السهيلي أيضا، وعلي العدوي، ومحمد عبد الرحمان المباركفوري، وحافظ بن أحمد الحكمي، ومحمد بن أحمد المورتاني، ومحمد الأمين الشنقيطي وآدم عبد الله الألوري [4] وعبد العزيز بن عبد الله الخلف، والشيخ ابن باز، وعبد القادر بن شيبة الحمد، ومحمد علي الصابوني والشيخ محمد متولي الشعراوي وغيرهم [5].

---

(١) أخرجه خ (التوحيد، ب : قول الله تعالى : ﴿وجوه يومئذ ناضرة* إلى ربها ناظرة﴾ [القيامة : ٢٢-٢٣] ٢٧٠٨/٦ ح : ٧٠٠٢) .

(٢) انظر : قصص الأنبياء ، القصص الحق للشيخ عبد القادر بن شيبة الحمد (ص : ٤٩) .

(٣) محمد بن يوسف بن علي بن سعيد الكرماني ثم البغدادي، فقيه أصولي محدث مفسر نحوي بياني، توفي سنة ٧٨٦هـ . انظر : معجم المؤلفين (١٢/١٢٩) .

(٤) آدم عبد الله الألوري، من علماء نيجيريا، باحث مؤرخ داعية، له تأليفات عديدة، توفي سنة ١٤١٢هـ. انظر : تكملة معجم المؤلفين (ص : ٩).

(٥) انظر بالترتيب : جامع البيان عن تأويل آي القرآن (١/٢٤٧)؛ والوجيز في تفسير الكتاب العزيز للواحدي (١/٢٠٧)؛ والشفا بتعريف حقوق المصطفى (١/٣٤٨)؛ وإكمال المعلم بفوائد مسلم (١/٥٧٦)، وهما للقاضي عياض؛ والمحرر الوجيز لابن عطية (٣/٦٠)؛ والكامل في التاريخ (١/٢٨)؛ والجامع لأحكام القرآن (١/٢٦٣-٢٦٤ و ٣/٣١-٣٢ و٤/٦٢)؛ وشرح النووي لصحيح الإمام مسلم (٣/٥٥)؛ وأنوار التنزيل للبيضاوي (٢/١٥)؛ والكواكب الدراري شرح صحيح البخاري للكرماني (١٣/٢٣٤ و ١٧/٥)؛ وفتح الباري (٦/٣٧٢-٣٧٣)؛ وعمدة القاري للعيني (١٥/٢٢١ و ١٨/٨٣
←

وجاء في فتاوى اللجنة الدائمة : (نوح أول الرسل إلى أهل الأرض بعد آدم) [1].

وأما ما استدل به أصحاب هذا القول قد سبق ذكر بعضها عند ذكر الأدلة على نبوة آدم عليه السلام [2]، وأيضا سيأتي ذكر أدلة أخرى تدل على هذا القول [3].

وأما حديث الشفاعة الذي استدل به من أنكر رسالة آدم عليه السلام أجاب عنه أصحاب القول الثالث بعدة أجوبة وتوجيهات، منها ما يلي :

١ – ذهب بعض أهل العلم إلى أن آدم عليه السلام كان جعل رسولا في الجنة قبل نزوله إلى الأرض.

ومـن هؤلاء من يرى أنه كان رسولا إلى الملائكة لإنبائه إياهم عن الأسماء. ذكره الزجاج عن قوم [4] ولكن ضعفه ابن عطية [5] .

ومـنهم من يرى أنه كان رسولا إلى زوجه . قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي : (قوله تعالى : ﴿ وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة ﴾ [6] وأمثالها من الآيات فإنه ظاهر في أنه بغير واسطة الملك، ويظهر من هذه الآية نهي حواء عن الشجرة على لسانه، فهو رسول إليها) [7].

وقـال أيضا : (أن آدم أرسل لزوجه وذريته في الجنة، ونوح أول رسول أرسل في الأرض، ويـدل لهذا الجمع ما ثبت في الصحيحين وغيرهما، ويقول : " ولكن ائتوا نوحا؛ فإنه أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض ...الحديث، فقوله : " إلى أهل الأرض " لو لم يرد به الاحتراز عن رسول بعث لغير أهل الأرض لكان ذلك الكلام حشوا، بل يفهم من مفهوم مخالفته ما ذكرنا، ويستأنس

و ١٢٧/٢٣)؛ وتنوير المقالة في حل ألفاظ الرسالة (٢٩١/١)؛ ومرقاة المفاتيح للقاري (٢٥٤/٥-٢٥٥)؛ وفيض القدير للمناوي (٩٦/٣-٩٧)؛ وحاشية العدوي على شرح أبي الحسن لرسالة ابن أبي زيد (٧٤/١)؛ وتحفة الأحوذي (١٠٤/٧-١٠٥)؛ ومعـارج القـبول للحكمي (٦٧٨/٢)؛ والفتح الرباني شرح على نظم رسالة ابن أبي زيد القيرواني للمورتاني (٢٩/١)؛ وأضواء البيان (١٧٥/١-١٧٦)؛ وفلسفة النبوة والأنبياء للألوري (ص : ٩٩-١٠٠)؛ وآفاق الهداية لعبد العزيز الخلف (١٣٣/٦)؛ ومجموع فتاوى الشيخ ابن باز (٣١/٣-٣٢)؛ وقصص الأنبياء القصص الحق (ص : ٤٩)؛ والنبوة والأنبياء (ص : ١٣٣)؛ وأنبياء الله للشعراوي (ص : ٣٣).

(١) فتاوى اللجنة الدائمة (٢٧٧/٣) .

(٢) انظر : (ص : ٧٠٥-٧٠٨) .

(٣) انظر : (ص : ٧٢٠-٧٢١) .

(٤) انظـر : معـاني القرآن وإعرابه (٣٩٩/١)، وكذلك انظر ما قاله علي العدوي في حاشيته على شرح أبي الحسن لرسالة ابن أبي زيد القيرواني (٧٤/١) .

(٥) انظر : المحرر الوجيز (٦٠/٣) .

(٦) البقرة الآية : ٣٥

(٧) أضواء البيان (١٧٥/١-١٧٦)؛ وانظر ما قاله علي العدوي في حاشيته على شرح أبي الحسن لرسالة ابن أبي زيد القيرواني (٧٤/١).

لــه بكلام ابن عطية الذي قدمنا نقل القرطبي له)، [1] وكلام ابن عطية الذي أشار إليه الشيخ هو قوله : (قد تأول بعض الناس أن تكليم آدم كان في الجنة، فعلى هذا تبقى خاصية موسى) [2].

فإن صح القول بأن آدم عليه السلام جعل رسولا في الجنة قبل أن يترل إلى الأرض لا يبقى تعارض بين كون آدم عليه السلام رسولا وبين كون نوح عليه السلام أول رسول لأهل الأرض .

٢ – قيــل : الأولية في قول أهل الموقف لنوح مقيدة بقولهم : " إلى أهل الأرض " لأن في زمن آدم لم يكن للأرض أهل . ذكره الكرماني [3] والحافظ ابن حجر [4]. وتعقبه محمد رشيد رضا بأنه باطل؛ لأن أولاد آدم وأحفاده كانوا أهل الأرض و لم يكونوا من أهل السماء [5].

قلت : لعل المقصود من كلام الكرماني والحافظ ابن حجر : أن آدم عليه السلام لما جعل رسولا لم يكــن في الأرض إلا هو وأهله، وأما نوح عليه السلام لما جعل رسولا فكانت الأرض على ظهرها أناس كثيرون، وليس المقصود من كلامهما أن آدم وأولاده لم يكونوا من أهل الأرض، والله أعلم.

٣– إن نوحــا عليه السلام هــو أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض من أولي العزم من الرسل . ذكره ملا علي القاري [6] .

٤– ويحتمل أن يكون المراد أن نوحا عليه السلام هو أول رسول أرسل إلى بنيه وغيرهم من الأمــم الذين أرسل إليهم مع تفرقهم في عدة بلاد، وآدم إنما أرسل إلى بنيه فقط وكانوا مجتمعين في بلدة واحدة . ذكره الحافظ ابن حجر [7].

٥ – إن نوحا عليه السلام هو أول رسول عذب قومه، فأهلكوا هلاكا عاما بحيث لم يبق أحد منهم في الأرض إلا مــن كان معه من المؤمنين في السفينة، فكان هو أول رسول عذب قومه في الأرض، وكان أول رسول فيها بعد الطوفان وبعد تصفيتها من الكفار. ذكره الكرماني والعيني والصابوني [8].

---

(١) المصدر السابق (١٧٦/١) .

(٢) المحرر الوجيز (٢٧١/٢) .

(٣) انظر : الكواكب الدراري شرح صحيح البخاري (٢٣٤/١٣ و ٥/١٧) .

(٤) انظر : فتح الباري (٣٧٢/٦) .

(٥) انظر : تفسير القرآن الحكيم (٦٠٤/٧) .

(٦) انظر : مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٢٥٥/٥) .

(٧) انظر : فتح الباري (٣٧٢/٦-٣٧٣) .

(٨) انظر بالترتيب : الكواكب الدراري (٢٣٤/١٣ و ٥/١٧)؛ وعمدة القاري (٨٣/١٨)؛ والنبوة والأنبياء (ص : ١٣٣).

٦ – إن آدم عليه السلام أرسل إلى بنيه وكانوا مؤمنين، باقين على فطرهم السليمة، لم يقعوا في الكفـــر والشرك، وأما نوح عليه السلام فهو أول نبي رسول أرسل إلى من فسدت فطرهم واجتالتهم الشـــياطين وصـــاروا من الكفار والمشركين . فكان آدم عليه السلام رسولا إلى ذريته في الأرض قبل الاخـــتلاف، وكان نوح عليه السلام رسولا إلى أهل الأرض بعد الاختلاف ووقوع الشرك . وهذا الـــتوجيه ذكـــره المـــناوي نقـــلا عن السهيلي وأقره، وكذلك ذكره ملا علي القاري ومحمد عبد الرحمن المباركفوري وحافظ الحكمي ومحمد الأمين الشنقيطي والشيخ ابن باز [1].

ويدل لهذا الوجه قوله تعالى : ﴿ كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين ﴾ [2]الآية وقولـــه تعـــالى : ﴿ وما كان الناس إلا أمة واحدة فاختلفوا ﴾ [3]؛ أي : كان الناس أمة واحدة على الدين الحنيف، وملة التوحيد، وشريعة الحق حتى وقع فيهم الخلاف، فوقعوا في الكفر والشرك وكان أولـــه في قـــوم نوح، فعن ابن عباس – رضي الله عنهما – قال : كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على شريعة من الحق [4]. وهذا أولى الوجوه المذكورة، والله أعلم بالصواب.

والذي يظهر لي أن الراجح من هذه الأقوال هو القول الثالث، وأن آدم عليه السلام كان نبيا رسولا؛ وذلك لما يلي :

١ – أن مـــا اســـتدل به النافون لرسالته من حديث الشفاعة يمكن توجيهه بحيث لا يتعارض مع كون نوح أول رسول إلى أهل الأرض كما تقدم ذكره .

٢ – الأقوال التي ذكرها أهل العلم في بيان الفرق بين النبي و الرسول، وما عرفوا به الرسول كـــلها تتفق مع القول بأن آدم عليه السلام كان رسولا ما عدا ما ذهب إليه شيخ الإسلام ابن تيمية ومن تبعه، فهو ليس برسول عنده لأنه يرى أن الرسول يكون مرسلا إلى الكفار، وأبناء آدم وزوجه لم

---

(١) انظـــر بالـــترتيب : فيض القدير (٣/٩٦)؛ ومرقاة المفاتيح (٥/٢٥٥)؛ وتحفة الأحوذي (٧/١٠٤–١٠٥)؛ ومعارج القبول (٢/٦٧٨)؛ وأضواء البيان (١/١٧٦)؛ ومجموع فتاوى الشيخ ابن باز (٣/٣٢).

(٢) البقرة الآية : ٢١٣

(٣) يونس الآية : ١٩

(٤) أخـــرجه البزار كما في كشف الأستار (٣/٤١ ح : ٢١٩٠)؛ وابن جرير الطبري في تفسيره (٢/٣٣٤)؛ وكـــم (التفســـير، حم عسق ٢/٤٤٢) وقال : (هذا حديث صحيح على شرط البخاري و لم يخرجاه) ووافقه الذهبي، وصححه ابن القيم في إغاثة اللهفان (٢/٢٠٤)؛ وابن كثير في تفسيره (١/٢٥٠) .

يكونوا كافرين مشركين بل كانوا على الإيمان والتوحيد فعلى هذا آدم ﷺ لا يكون رسولا .

وأما في ضوء تعريف غيره من أهل العلم فآدم ﷺ يكون رسولا لأنه كان مأمورا بالتبليغ، وكان على شريعة جديدة إذ هو أبو البشر ولم يكن قبله شريعة ولا كتاب، والله سبحانه وتعالى كـــلمه يقظة وخاطبه مباشرة، ولأن الله سبحانه وتعالى ذكر قصته في القرآن الكريم، ولأنه كان مرسلا بأصل التوحيد والدعوة إلى عبادة الله وحده .

٣- قال الله تعالى : ﴿ ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ﴾ [١] وقال تعالى : ﴿ ولكل أمة رسول ﴾ [٢] .

فالله سبحانه وتعالى بين أنه أرسل في كل أمة رسولا منهم، يدعوهم إلى الله سبحانه وتعالى، ولا شك أن آدم ﷺ وزوجه وأولاده أمة يحتاجون إلى رسالة الله وهدايته سبحانه لهم، والله سبحانه وتعالى لا يتركهم بدون هدايته ورسالته كما لم يترك غيرهم، رحمة وفضلا منه جل وعلا [٣].

٤- قال الله تعالى : ﴿ ولقد أرسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك ﴾ [٤].

قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين — رحمه الله - : (كل من ذكر في القرآن من النبيين فهم رسل لقوله تعالى : ﴿ ولقد أرسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك ﴾) [٥] وقال أيضا معـــلقا على الآية نفسها : (وبناء على هذه الآية يتبين أن كل من ذكر في القرآن من الأنبياء فهو رســـول) [٦] ،وعلى هذا الاستنباط اللطيف الذي ذكره الشيخ يكون آدم ﷺ رسولا من الرسل لأنه نبي، وقد قص الله سبحانه وتعالى قصته في القرآن الكريم في مواضع كثيرة .

٥ - قال الله تعالى : ﴿ وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي

---

(١) النحل الآية : ٣٦

(٢) يونس الآية : ٤٧

(٣) انظر : (ص : ٧٠٦) .

(٤)غافر الآية : ٧٨

(٥) مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين (٣١١/١)

(٦) المصدر السابق (٣١٤/١) هذا القول، والذي قبله، وكذلك تعريف الشيخ للرسول والنبي، وما فرق به بينهما — وقد سبق ذكره في (ص : ٦٩٧و٧٠١) هذا كله يدل على أن آدم ﷺ كان رسولا، وذلك يناقض ما ذهب إليه الشيخ نفسه من أن آدم ﷺ لم يكن رسولا وإنما كان نبيا فقط، فالظاهر أن له قولان في المسألة والله أعلم بالصواب .

يإذنه ما يشاء ﴾ [1] وقال تعالى : ﴿ تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ﴾ [2] فالله سبحانه وتعالى بين في الآية الأولى أن كلامه مع عباده من الأنبياء والمرسلين على ثلاثة أوجه، وبين في الآية الثانية أنه فضل بعضهم بكلامه إياهم مباشرة بغير واسطة الرسول أو الوحي، وهذا إنعام عظـيم منه سبحانه وتعالى على أولئك الرسل، ومن هؤلاء الرسل الذين كلمهم الله سبحانه وشرفهم بخطابه مباشرة أبو البشر آدم عليه السلام . فهذا يدل على أنه كان رسولا، وقد سبقت أدلة كثيرة من الكتاب والسنة الدالة على كلام الله سبحانه وتعالى لنبيه ورسوله آدم عليه السلام .

٦- جاء في حديثين ضعيفين [3] سندا ما ينص على أن آدم عليه السلام كان رسولا، فعن أبي ذر رضي الله عنه قـال : قـلت : يا رسول الله! أرأيت آدم أنبيا كان ؟ قال :" نعم كان نبيا رسولا كلمه الله ... الحديث.

وعن أبي أمامة رضي الله عنه أن أبا ذر رضي الله عنه قال : قلت : يا نبي الله أي الأنبياء كان أول ؟ قال : " آدم " . قلت : ونبيا كان آدم ؟ قال : نبيا مكلما أول الرسل .

فالحديثان وإن كانا ضعيفين ولا يمكن الاعتماد عليهما ولكن يمكن الاستئناس بهما في تقوية ما تقدم من الوجوه المستنبطة من القرآن الكريم، الدالة على أن آدم عليه السلام كان رسولا؛ فالذي يظهر لي ويترجح لدي أن آدم عليه السلام كان نبيا رسولا، والله أعلم بالصواب .

---

(١) الشورى الآية : ٥١

(٢) البقرة الآية : ٢٥٣

(٣) هـذا الفظ لابن عساكر . انظر : تاريخ مدينة دمشق (٧/٤٤٥ ، ترجمة أبي البشر آدم عليه السلام) وكذلك ورد التصريح برسالة آدم عليه السلام في حديث أبي ذر رضي الله عنه عند ابن جرير الطبري في تاريخه (١/٩٤-٩٥) بإسناد غير ما سبق ولكنه أيضا إسناد ضعيف. انظر : تخريج الحديثين والكلام عليهما في (ص : ٧١١-٧١٢) .

المطلب الثالث : الرد على من أنكر نبوة آدم عليه السلام .

ذهب جماهير أهل العلم من السلف والخلف إلى أن آدم عليه السلام كان نبيا، و لم أجد قولا من أحد من السلف المتقدمين ما يدل على أن آدم عليه السلام لم يكن نبيا، وإنما أنكر نبوته بعض المتأخرين المعاصرين .

منهم الشيخ عبد الله بن زيد آل محمود إذ قال : (إن القرآن لا يثبت لآدم نبوة ولا رسالة، وما كان ربك نسيا، وإنما هو أبو البشر، يذنب فيتوب...إن القائلين بنبوة آدم ليس عندهم دليل سوى محض الظن والتخمين، ... إن الناس من لدن خلق آدم وهم يولدون على الفطرة التي هي معرفة الخير والشر ومحبته، فيلهمون فعل ما ينفعهم، واجتناب ما يضرهم، وقد يذنبون فيتوبون وقد لا يتوبون، كما في حادثة ابني آدم حين قتل أحدهما أخاه و لم يهتد إلى كيفية دفنه، حتى دله غراب يبحث في الأرض، ليريه كيف يواري سوأة أخيه، وكان هذا أول قتيل دفن في الأرض،ولهذا ورد ((ما قتل قتيل ظلما إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها؛ لأنه أول من سن القتل)) [1]، كما يوجد في زماننا أمم من الناس لم تبلغهم الدعوة، ولا الشريعة، فيعيشون متعاشرين متعاملين، ويوصفون بأنهم لم تبلغهم الدعوة، كحالة زمان الفترة ، والله سبحانه بحكمته وعدله لا يعذب أمة حتى يبعث إليها رسولا فيعصون أمره) أهـ باختصار من غير تصرف في الألفاظ [2].

فالشيخ عبد الله بن زيد آل محمود يرى أن آدم عليه السلام لم يكن نبيا ولا رسولا، وأن الناس من لدن آدم عليه السلام إلى عهد نوح عليه السلام كلهم كانوا من غير نبوة إلهية ولا رسالة سماوية ولا دعوة ربانية، وأنهم كانوا يولدون على الفطرة التي هي معرفة الخير والشر، وكانوا يعيشون على مقتضى تلك الفطرة .

وأيضا يوجد هذا المعنى في كلام الشيخ محمد رشيد رضا [3].

---

(١) إشارة إلى حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، ولفظه : ((لا تقتل نفس ظلما، إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها لأنه كان أول من سن القتل)) ، أخرجه خ (الأنبياء، ب : خلق آدم وذريته ١٢١٣/٣ح: ٣١٥٧)؛ وم (القسامة والمحاربين ... ب : بيان إثم من سن القتل ١٣٠٣/٣ ح : ١٦٧٧) .

(٢) الإيمان بالأنبياء بجملتهم وضعف حديث أبي ذر في عددهم (ص : ١٠-١١) .

(٣) انظر : تفسير القرآن الحكيم (٦٠٧/٧-٦٠٨) وانظر : ما ذكره عنه الأخ تامر محمد محمود المتولي في رسالته بعنوان : منهج الشيخ رشيد رضا في العقيدة (ص : ٦٤٨-٦٥٠) .

ولكن هذا رأي باطل وقول فاسد، وبيان ذلك بما يلي :

أولا : إن آدم ﷺ لا شك أنه نبي قد استنبط ذلك العلماء من آيات كثيرة من القرآن الكريم، وقد جاءت أحاديث رسول الله ﷺ صريحة في ذلك فنصت أن آدم ﷺ كان نبيا. ولذلك اتفق السلف على نبوته من غير خلاف بينهم، وإنما الخلاف في رسالته، مع أن الجم الغفير من السلف والخلف يرون أنه كان رسولا وهو الراجح كما سبق ذكره قريبا مقرونا بالأدلة والبراهين [1]، فإنكار نبوة آدم ﷺ قول باطل مخالف لأدلة القرآن وصريح السنة النبوية وإجماع الأمة من السلف والخلف .

ثانيا : دعوى أن الناس من لدن آدم ﷺ إلى عهد نوح ﷺ كلهم كانوا من غير نبوة ولا رسالة ولا دعوة، فهذه دعوى باطلة ؛ لأن الله سبحانه وتعالى قال : ﴿ ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ﴾ [2] وقال تعالى : ﴿ ولكل أمة رسول ﴾ [3] وقال تعالى : ﴿ وإن من أمة إلا خلا فيها نذير ﴾ [4] .

والفترة التي كانت بين آدم ونوح ﷺ وهي عشرة قرون فعن أبي أمامة ﷺ أن رجلا قال يا رسول الله ! أنبي كان آدم ؟ قال : " نعم مكلم " قال : فكم كان بينه وبين نوح ؟ قال : " عشرة قرون " [5] .

وعن ابن عباس – رضي الله عنهما – قال : كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على شريعة من الحق [6].

فالآيات القرآنية تدل على أن الله سبحانه وتعالى أرسل في كل أمة رسولا منهم، والحديثان يدلان على أن الفترة التي كانت بين آدم ونوح عليهما السلام هي عشرة قرون فدعوى أن الناس منذ خلق آدم إلى عهد نوح – وهي عشرة قرون – كانوا على الفطرة

---

(1) انظر : (ص : ٧٠٥-٧٢١) .

(2) النحل الآية : ٣٦

(3) يونس الآية : ٤٧

(4) فاطر الآية : ٢٤

(5) حديث صحيح، وقد سبق تخريجه مع ذكر أقوال أهل العلم في تصحيحه في (ص : ١٤٦-١٤٧) .

(6) صحيح إلى ابن عباس – رضي الله عنهما – وقد سبق تخريجه (ص : ٧١٩) .

مـــن غـــير نبوة ولا رسالة ولا دعوة مخالف لقول الله تعالى بأنه أرسل في كل أمة رسولا ومخالف لقول الرسول ﷺ بأن آدم ﷺ كان نبيا مكلما .

ثالـــثا : فسر الشيخ عبد الله آل محمود الفطرة بمعرفة الخير ومحبته، ومعرفة الشر واجتنابه، وهذا تفسير قاصر غير صحيح؛ لأن الله سبحانه وتعالى يقول : ﴿ والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا ﴾ [1] فكيف يصح أن يقال أن الناس يولدون على معرفة الخير والنفع ومحبته ومعرفة الشر والضرر وبغضه والنفور منه . ثم إن معرفة الخير من الشر وتمييز الضار من النافع لا فرق في ذلك بين الإنسان والحيوان فإن الحيوان البهيم من الإبل والبقر وغيرها يميز بين ما يضره وبين ما ينفعه فإنه إذا قدم له الشعير أو البر أو العشب أكله، وإذا قدم له التراب لا يأكله بل معنى الفطرة أن الناس يولدون على الإسلام والتوحيد والعبودية لله جل وعلا [2].

رابعـــا : ذكر الشيخ عبد الله آل محمود أن ابن آدم الذي قتل أخاه عليه كفل من دم كل قتيل مظلوم؛ لأنه أول من سن القتل واستدل له بحديث رسول الله ﷺ، وهذا حق وصواب، ولكن الشيخ نـــاقض قوله من حيث لم يشعر، فأبطل أوله بآخره، إذ لو كان الناس منذ خلق آدم ﷺ إلى عهد نوح ﷺ من غير رسالة، ولا نبوة، ولا دعوة، فكيف يحمل ابن آدم القاتل كفلا من دم كل مقتول مظـــلوم ؟ والأمر كما قال الشيخ نفسه : (والله سبحانه، بحكمته وعدله، لا يعذب أمة حتى يبعث إليها رسولا فيعصون أمره، قال تعالى : ﴿ وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ﴾ [3]) [4]. فلا يمكن أن يحمل ابـــن آدم القاتل كفلا من دم كل قتيل مظلوم من غير بيان ولا إنذار، ومن غير أن توجه إليه دعوة، ومن غير أن يرسل إليه رسول من الله؛ لأن ذلك يتنافى مع عدل الله سبحانه وتعالى، فإنكار النبوة منذ خلق آدم إلى عهد نوح يلزم منه نسبة الظلم إلى الله سبحانه وتعالى وهذا من أبطل الباطل .

من أنكر نبوة آدم ﷺ ثم رجع عن ذلك .

● ذكـــر الشيخ عبد الوهاب النجار أن رجلا أنكر أن يكون آدم ﷺ نبيا فرفعت عليه

---

(1) النحل الآية : ٧٨

(2) انظر : (ص : ٨١٢-٨١٣) .

(3) الإسراء الآية : ١٥

(4) الإيمان بالأنبياء بجملتهم وضعف حديث أبي ذر في عددهم (ص : ١١) .

الدعوى في المحكمة الشرعية وصدر الحكم عليه بالتفريق بينه وبين زوجته لردته بذلك الإنكار ثم ذكر أن الرجل قال بعد ذلك في محكمة الاسكندرية : " إنه لم ير لفظا في القرآن يذكر آدم ﷺ بالنبوة، وأنه يعتقد نبوته"، فصدر حكمها بإلغاء الحكم الأول وأعيدت إليه زوجته [1].

● وكذلك أخبرني شيخي وأستاذي الشيخ عبد المجيد بن صاحب زاد – حفظه الله –: أن جماعة من القرآنيين – الذين ينكرون السنة النبوية ويدعون إلى الاكتفاء بما في القرآن وحده – في جمهورية نيبال كانت لهم دعوة ونشاط فجرت بينهم وبين أهل السنة والجماعة مناظرة في عدة مسائل ومنها إنكارهم لنبوة آدم ﷺ بحجة أن القرآن الكريم لم يذكر آدم بالنبوة، وبأن الناس كانوا على الفطرة السليمة فكانوا على التوحيد فلما حدث فيهم الشرك بعث الله أنبياءه ورسله وأما قبل حدوث الشرك فلم تكن هناك حاجة إلى الأنبياء والرسل؛ فإن المريض هو الذي يحتاج إلى الدواء وأما الصحيح فلا حاجة له إلى ذلك .

فبين لهم الوفد السني أن القرآن لا يمكن العمل به إلا بالعمل بالأحاديث النبوية، وذكروا لهم الأمثلة على ذلك ، وبينوا أن التمسك بالأحاديث النبوية هو من التمسك بالقرآن الكريم، لأن الله تعالى أمر نبيه أن يشرح كتابه وأمر المؤمنين أن يتمسكوا بهديه وسننه وذكروا الأدلة على ذلك .

ثم بينوا لهم أن آدم ﷺ وإن لم يذكره القرآن الكريم بالنبوة فقد جاءت أحاديث رسول الله ﷺ تنص على أن آدم كان نبيا فيجب الأخذ به والإيمان به لأن القرآن هو الذي أمرنا بالأخذ بما آتاه الرسول والانتهاء عما نهى عنه .

ثم بينوا لهم أن الله سبحانه وتعالى جعل آدم نبيا وأرسله إلى بنيه يربيهم ويرعاهم ويذكرهم بالله سبحانه وتعالى حتى تبقى فطرهم التي فطروا عليها صافية نقية غير مدنسة بالأوهام والشرك، هذا من عظيم فضل الله وإنعامه ورحمته على عباده .

و يمكن توضيحه بمثال، فنحن نرى أن الطفل عند الولادة يكون سليما، ولا يكون به شيء من المرض، ولكن مع ذلك يعطى أنواعا من الأدوية والتطعيمات منذ الولادة إلى أعوام من وقت لوقت بعد كل فترة معينة، وأيضا كثيرا ما نرى الناس مع صحة أبدانهم

---

[1] انظر : قصص الأنبياء (ص : ١٠) .

وسلامة أجسامهم يأخذون التطعيمات الوقائية قبل حلول الأمراض والأسقام المتوقع حدوثها، في أوقات مختلفة ومواسم متعددة، وما ذلك إلا من باب العناية البالغة والتحفظ الكامل والاحتياط التام والوقاية المسبقة من تلك الأمراض الخطيرة التي يخشى منها .

فالله سبحانه وتعالى جعل أبا البشر آدم ﷺ نبيا وأرسله إلى بنيه حتى تبقى فطرهم سليمة، عابدة لله وحده، ولا يتسرب إليها مرض الأوهام والخرافات والكفر والشرك . ثم لم يزل يرسل أنبياءه ورسله من حين إلى حين حتى ختمت النبوة الإلهية والرسالة السماوية بنبوة محمد ﷺ ورسالته الخالدة الباقية إلى يوم القيامة .

فكانت نتيجة المناظرة أن تاب كثير من القرآنيين وعادوا إلى التمسك بالسنة والعمل بها وأعلن رئيسهم توبته في المسجد أمام الناس وكتب كتابة خطية اعترف فيها أن ما ذكره أهل السنة هو الفهم الصحيح للقرآن الموافق للحق وأنه لم يكن على فهم صحيح للقرآن الكريم، وترك دعوته ونشاطه السابق، وأصبح من المتمسكين بالسنة النبوية، العاملين بها، والداعين لها، ولله الحمد والمنة على ذلك .

المبحث الثاني : عصمة آدم عليه السلام . وفيه أربعة مطالب .

المطلب الأول : تعريف العصمة .

أولا : تعريف العصمة في اللغة :

{ **عصـــم** } العين والصاد والميم أصل واحد صحيح يدل على إمساك ومنع وملازمة . يقال : عصمته عن الطعام؛ أي منعته عن تناوله، وعصمته عن الكذب؛ أي : منعته منه [1].

ومنه قوله تعالى حكاية عن ابن نوح : ﴿ قال سآوي إلى جبل يعصمني من الماء ﴾ [2]؛ أي : يمنعني من الغرق، وكذلك منه قوله تعالى حكاية عن امرأة العزيز في أمر يوسف عليه السلام لما راودتــه عن نفسه : ﴿ ولقد راودته عن نفسه فاستعصم ﴾ [3]؛ أي : تأبى عليها وامتنع امتناعا شديدا و لم يجبها إلى ما طلبت ولازم العفة.

ومــنه ما جاء في حديث ابن عمر – رضي الله عنهما – أن رسول الله ﷺ قال : أمرت أن أقــاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة. فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام، وحسابهم على الله [4].

ثانيا : تعريف العصمة في الاصطلاح :

قد اختلفت عبارات أهل العلم في تعريف هذه العصمة اختلافا واسعا [5]، وأنا أكتفي

---

(١) تهذيب اللغة (٥٤/٢)؛ ومعجم مقاييس اللغة (٣٣١/٤-٣٣٢) .

(٢) هود الآية : ٤٣

(٣) يوسف الآية : ٣٢

(٤) أخــرجه خ (الإيمــان، ب : ﴿فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم﴾ [التوبة : ٥] ١٧/١ ح : ٢٥) واللفظ له؛ و م (الإيمان، ب : الأمر بقتال حتى يقولوا : لا إله إلا الله محمد رسول الله ... ٥٣/١ ح : ٢٢).

(٥) فقــد عرفها الفلاسفة والمعتزلة والأشاعرة بتعريفات مبنية على أصولهم المبتدعة التي بنوا عليها مذهبهم، وقد ذكر الشيخ خــالد عبد اللطيف محمد نور عبد الله تعريفاتهم نقلا من كتبهم، وبين ما حملهم على هذا التعريف من أصول مذهبهم الفاســدة، وناقشهم مناقشة هادئة ورد على تعريفاتهم ردا علميا فيحسن الرجوع لمن أراد التوسع في المسألة إلى كتابه : مسائل أصول الدين المبحوثة في علم أصول الفقه عرض ونقد على ضوء الكتاب والسنة (ص : ٣٨٨-٣٩٣) .

بذكر خلاصة قول أهل السنة والجماعة في المسألة [1]، فالعصمة هي حفظ الله لأنبيائه ورسله عن كل ما يقدح في نبوتهم ورسالتهم مع بقاء قدرتهم واختيارهم - سواء كان القادح حسيا [2] أو معنويا وسواء كان متعلقا بما قبل النبوة أو بعدها فهم معصومون عن كل ما يقدح في نبوتهم ورسالتهم على الإطلاق وقد تكون أحسنها وأوجزها عبارة ما يؤخذ من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية، وهو عصمة الله لهم عن (كل ما يقدح في نبوتهم، وتبليغهم عن الله) [3]،والله أعلم بالصواب .

---

(١) انظر : تعريفات للعصمة في : مفردات ألفاظ القرآن للراغب (ص : ٥٧٠)؛ وفتح الباري (١١/٥٠١-٥٠٢)؛ ونسيم الرياض للشهاب الخفاجي (٤/٣٩)؛ وتاريخ الأنبياء لـ محمد الطيب النجار (ص : ٣١)؛ وعصمة الأنبياء للحديدي (ص : ٦٣)؛ ومسائل أصول الدين المبحوثة في علم أصول الفقه ...للدكتور خالد عبد اللطيف (ص : ٣٩٢-٣٩٣)؛ ومناقشة هادئة لبعض أفكار الدكتور الترابي للشيخ الأمين الحاج محمد أحمد (ص : ٦٢)؛ والنبوة والأنبياء للصابوني (ص : ٥٤) وهذه التعريفات مختلفة في عباراتها وبعضها تزداد عن بعضها في البيان والإيضاح لبعض الجوانب ولكنها متقاربة في المعنى العام .

(٢) انظر تحقيقا نفيسا حول عصمة الأنبياء عن النقائص والآفات الجسدية في : شرح النووي لصحيح مسلم (١٥/١٢٧)؛ والمفهم لما أشكل في تلخيص كتاب مسلم (٦/١٨٩-١٩٠)؛ وعصمة الأنبياء للحديدي (ص : ١٢٥-١٣١) .

(٣) منهاج السنة النبوية (١/٤٧٢) .

المطلب الثاني : وقت العصمة ومم تكون .

إن الأنبياء والرسل الذين اختارهم الله سبحانه وتعالى لحمل رسالته وجعلهم سفراء بينه وبين خلقه لهم عصمة خاصة من الله سبحانه وتعالى، ولكن ما الأمور التي يحفظون ويعصمون منها؟ ومتى تكون لهم العصمة قبل النبوة أم بعدها؟ فقد اختلفت الأقوال في ذلك كله اختلافا كثيرا، ويمكن بيان ذلك من خلال محورين وهما :

المحور الأول : الكلام عن عصمة الأنبياء قبل النبوة :

لقد اختلفت الأقوال حول عصمة الأنبياء قبل النبوة اختلافا كثيرا، وفيما يلي ذكرها، وبيان الراجح منها، والله الموفق .

القول الأول : ذهب الشيعة [(١)] إلى عصمة الأنبياء وأئمتهم من الذنوب مطلقا من الولادة إلى الوفاة . قال المجلسي [(٢)]: (أصحابنا الإمامية أجمعوا على عصمة الأنبياء والأئمة من الذنوب الصغيرة والكبيرة عمدا وخطأ ونسيانا، قبل النبوة والإمامة وبعدهما، بل من وقت ولادتهم إلى أن يلقوا الله عز وجل ....) [(٣)].

ونقل إبراهيم الموسوي الزنجاني عن الصدوق أنه قال : (اعتقادنا فيهم أنهم معصومون موصوفون بالكمال والتمام والعلم من أوائل أمورهم وأواخرها، لا يوصفون في شيء من أحوالهم بنقص ولا عصيان) [(٤)].

وهذا القول باطل من وجوه كثيرة، وفيما يلي ذكر بعضها :

١ - إن الله سبحانه وتعالى أخبر في كتابه وعلى لسان رسوله عن صدور بعض المعاصي من بعض الأنبياء بعد النبوة، وأنهم تابوا إلى الله تعالى واستغفروا منه سبحانه على ما صدر منهم، وأن الله سبحانه وتعالى قد غفر لهم وعفا عنهم، فإذا علم باليقين صدور

---

(١) الشيعة : اسم أطلق أولا على معنى المناصرة والمتابعة ثم تميز به من فضل إمامة علي بن أبي طالب على خلافة عثمان بن عفان، ومن بعده من الأئمة، مع تفضيلهم إمامة أبي بكر وعمر رضي الله عنهم جميعا، ثم تطور مفهوم التشيع إلى أن أصبح الاعتقاد إمامة علي بن أبي طالب ﷺ بالنص والوصية معيار التمييز بين الشيعة وغيرهم من فرق الإسلام مع القول بعصمة الأئمة وغير ذلك من العقائد الباطلة . انظر : الفوائد المجتمعة في بيان الفرق الضالة والمبتدعة (ص : ٣٩-٤٠)؛ والموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة (٢/١٠٨٤-١٠٨٥) .

(٢) محمد باقر المجلسي، من كبار علماء الشيعة في إيران، مات عام ١٧٠٠م. انظر : المنجد (الأعلام ص : ٥٢١) .

(٣) بحار الأنوار للمولى محمد باقر المجلسي (٢٥/٣٥٠-٣٥١) بواسطة كتاب : الرسل والرسالات للأشقر (ص : ١١٤) .

(٤) عقائد الإمامية الاثني عشرية (ص : ١٥٧) بواسطة كتاب : الرسل والرسالات للأشقر (ص : ١١٤) .

بعض المعاصي من بعضهم بعد النبوة، فكيف تصح دعوى عصمتهم من الولادة إلى الوفاة من الذنوب مطلقا، لا عمدا ولا سهوا ولا خطأ ولا نسيانا ؟!! وإذا كان الأنبياء والرسل لم يسلموا من بعض المعاصي فكيف تصح دعوى عصمة أئمتهم من الذنوب مطلقا ...؟!!

٢ - قـــال الله تعالى : ﴿ والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا ﴾ [١] وقال تعالى : ﴿ الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة يخلق ما يشاء وهو العليم القدير ﴾ [٢] فالله سبحانه وتعالى بين أن الإنسان عندما يخرج من بطن أمه يكون ضعيفا، لا يعلم شيئا يضره أو ينفعه، فكيـــف يصح أن يقال إن الأنبياء أو الأئمة معصومون عن السهو والغفلة والنسيان والخطأ والجهل؟ وكيف تصح دعوى من زعم أنهم موصوفون بالتمام والكمال ... من الولادة إلى الوفاة ؟.

٣ – قال تعالى حكاية عن قوم موسى عليه السلام أنهم قالوا عنه عليه السلام : ﴿ فقالوا هذا إلهكم وإله موسى فنسي ﴾ [٣] وقـــال تعالى عن موسى وفتاه عليهما السلام : ﴿ فلما بلغا مجمع بينهما نسيا حوتهما ﴾ [٤] وقال تعالى عن يوسف عليه السلام: ﴿ فأنساه الشيطان ذكر ربه فلبث في السجن بضع سنين ﴾ [٥].

وعـــن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : لما خلق الله آدم مسح ظهره، فسقط مـــن ظهـــره كل نسمة هو خالقها من ذريته إلى يوم القيامة، وجعل بين عيني كل إنسان مـــنهم وبيصـــا من نور، ثم عرضهم على آدم، فقال : أي رب من هؤلاء ؟ قال : هؤلاء ذريتك، فرأى رجلا منهم، فأعجبه وبيص ما بين عينيه، فقال : أي رب ! من هذا ؟ فقال : هـــذا رجل من آخر الأمم من ذريتك يقال له داود، فقال : رب كم جعلت عمره ؟ قال : ســـتين سنة، قال : أي رب! زده من عمري أربعين سنة، فلما قضي عمر آدم جاءه ملك المـــوت، فقال : أو لم يبق من عمري أربعون سنة ؟ قال : أو لم تعطها ابنك داود؟ قال : فجحد آدم فجحدت ذريته، ونسي آدم فنسيت ذريته، وخطئ آدم فخطئت ذريته [٦].

---

(١) النحل الآية : ٧٨

(٢) الروم الآية : ٥٤

(٣) طه الآية : ٨٨

(٤) الكهف الآية : ٦١

(٥) يوسف الآية : ٤٢

(٦) حديث صحيح، وقد سبق تخريجه في (ص : ١٤٤-١٤٥) .

وعـــن عبد الله بن مسعود ﷺ قال : صلى بنا رسول الله ﷺ خمسا، فقلنا : يا رسول الله! أزيد في الصلاة ؟ قال : وما ذاك ؟ قالوا : صليت خمسا . قال : إنما أنا بشر مثلكم؛ أذكر كما تذكرون، وأنسى كما تنسون ثم سجد سجدتي السهو [1].

فهذه النصوص من الكتاب والسنة تبين أن الأنبياء يقعون في النسيان والخطأ، وذلك لا يـــنقص من شأنهم شيئا؛ فإنهم بشر، والنسيان من لوازم البشرية، ولذلك يخبر سيد ولد آدم عـــن نفسه فيقول : إنه بشر، وإنه ينسى، ويقول لأصحابه أن يذكروه إذا نسي، ويسجد ســـجدتي السهو، فهل بعد هذا يصح أن يقال إن الأنبياء معصومون من السهو والنسيان ؟ وإذا كـــان الأنبياء يجوز عليهم السهو والنسيان فكيف تصح دعوى عصمة غير الأنبياء من السهو والنسيان من الولادة إلى الوفاة ؟ والنصوص من الكتاب والسنة في هذا المعنى كثيرة .

٤ – إنهـــم مـــع مبالغتهم في عصمة الأنبياء أثبتوا في حقهم ما يعود عليهم بالنقض والإبطـــال إذ جوزوا على الأنبياء إظهار الكفر تقية [2]، وهذا لا يقوله مسلم عاقل تجاه الأنبياء إذ لا يبقى على هذا القول الباطل أي ثقة واعتماد بما جاءوا به من الشرائع [3].

٥ – إنهـــم نســـبوا إلى الله من القبائح والنقائص ما لا يتفوه به عاقل، فقد نسبوا إليه ســـبحانه الـــبداء[4]، فزعموا أنه سبحانه وتعالى يحكم بالشيء ثم يتبين له ما لم يكن يعلمه فيـــنقض حكمه السابق لِمَا ظهر له من خطئه – تعالى الله وتقدس عما يقول الظالمون علوا كبيرا – فهؤلاء نسبوا الجهل والخطأ إلى الله سبحانه وتعالى ولكن زعموا أن الأئمة والأنبياء منزهـــون عـــن الخطـــأ والسهو والغفلة والنسيان والجهل من الولادة إلى الوفاة!! وبذلك انتقصوا الخالق جل وعلا، ورفعوا المخلوق إلى ما لا يؤيده شرع، ولا يقره عقل سليم[5].

٦ – إن أئمـــتهم كانوا يتعلمون العلم كغيرهم من الناس، فلو كان أئمتهم موصوفين بالـــتمام والكمال من الولادة إلى الوفاة لم تكن بهم حاجة للتعلم كغيرهم من الناس، وستأتي

---

(١) حديث صحيح أخرجه البخاري ومسلم، واللفظ لمسلم، وقد سبق تخريجه في (ص : ١٢١) .

(٢) ذكـــره عـــنهم الـــرازي في (عصمة الأنبياء ص : ٢٦)؛ وفي (المحصول في علم أصول الفقه ٣/٢٢٦)؛ والتفتازاني في (شرح العقائد النسفية ص : ٢١٦) وغيرهم .

(٣) انظر : مسائل أصول الدين المبحوثة في علم أصول الفقه (ص : ٤٤١-٤٤٢) .

(٤) انظـــر جملة كبيرة من أقوالهم في نسبة البداء إلى الله تعالى، ذكرها عنهم الدكتور عبدالرزاق ألارو في كتابه : موقف الأئمة الأربعة وأعلام مذاهبهم من الرافضة وموقف الرافضة منهم (ص : ٦٥-٦٨) .

(٥) انظر : منهاج السنة النبوية (٢/٣٩٤-٣٩٥) .

وجوه أخرى تدل على بطلان هذا القول في المطلب القادم إن شاء الله تعالى [1].

القول الثاني : الأنبياء والرسل يجوز عليهم الكفر والشرك بعد النبوة، ولازم هذا القول أنه يجوز عليهم الكفر والشرك وما إلى ذلك من المعاصي والقبائح قبل النبوة من باب أولى. هذا القول ذهب إليه اليهود والنصارى والشيعة -عند التقية - وبعض الخوارج[2]، وهو من أبطل الأقوال وأفسدها في المسألة، وسيأتي بيان بطلانه إن شاء الله [3].

القول الثالث : لا يمتنع بعثة من كان كافرا أو مصيبا للكبائر قبل بعثته . هذا القول عزاه أبو بكر بن الطيب الباقلاني — في موضع – إلى كثير من المعتزلة والأشاعرة وغيرهم [4].

وقرره الباقلاني بأن الإمام يمكن أن يكون مقترفا لأنواع المنكرات والمعاصي حتى الكفر والشرك قبل توليه الإمامة ثم يتوب منها ويتولى الإمامة وينهى الناس عن ارتكاب تلك المعاصي التي كان يفعلها الإمام قبل تولي الإمامة، فكذلك يمكن أن يصدر الكفر والشرك وغيرهما من المعاصي والقبائح من الأنبياء قبل نبوتهم ثم يقلعوا عنها ويختارهم الله للنبوة [5].

ولكن هذا القول غير صحيح، وذلك لما يلي :

١- أن هذا القول مبناه على فرض عقلي، وليس مع القائلين به أدلة سمعية صحيحة صريحة أو نماذج حقيقية واقعية تدل على ما ذهبوا إليه، ولذلك لم يقولوا بوقوعه على سبيل التحقيق والجزم واليقين، بأن فلانا وفلانا من الأنبياء والرسل كانوا كافرين مشركين ثم اختارهم الله لنبوته ورسالته .

قال الشهاب الخفاجي : (اختلف في جوازه عقلا، فعلى من منعه لا يبقى شيء، وعند من جوزه قبل البعثة كالباقلاني لم يقل بوقوعه كذلك، فالكل متفقون على أن الله لم يبعث فاسقا، ولا معروفا بالظلم والفجور وعدم الإنصاف، و لم يبعث إلا نقيا ذكيا

---

(١) انظر : (ص : ٧٥٥-٧٦٠) .

(٢)**الخوارج** : اسم يطلق على تلك الطائفة ذات الاتجاه السياسي والآراء الخاصة، والتي خرجت عن جيش أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ والتحموا معه في معركة النهروان . قال الشهرستاني في (الملل والنحل ص : ١١٤) : (كل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت عليه الجماعة يسمى خارجيا، سواء كان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين أو غيرهم من التابعين لهم بإحسان) وقد انقسمت الخوارج إلى عدة فرق منها الأزارقة والإباضية والفضيلية وغيرها . انظر : الفوائد المجتمعة في بيان الفرق الضالة والمبتدعة (ص : ٥٢)؛ والموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة (٢/١٠٥٣-١٠٥٤)؛ وفرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام (٢/١٠١٧-١٠٥٢) .

(٣) انظر : (ص : ٧٤٦-٧٤٩) .

(٤) ذكره عنه شيخ الإسلام ابن تيمية . انظر : تفسير آيات أشكلت على كثير من العلماء (١/١٨٦) .

(٥) ذكره عنه شيخ الإسلام ابن تيمية . انظر : المرجع السابق (١/١٩٠-١٩١) .

محبوبا للقلوب، مهيبا في عيونهم، له وقع عند كل أحد) [1].

قال محب الله بن عبد الشكور البهاري : (الأكثر على أنه لا يمتنع عقلا ذنب مطلقا، خلافا للشيعة، وللمعتزلة إلا في الصغائر، وأما الواقع المتوارث أنه لم يبعث نبي قط أشرك بالله تعالى طرفة عين، ولا من نشأ فحَّاشاً سفيها) [2].

٢ - إن القول ببعثة من كان كافرا خلاف لما حكاه بعض أهل العلم من الإجماع على عصمة الأنبياء من الكفر والشرك قبل النبوة وبعدها، وممن حكى الإجماع على ذلك الرازي فقال في تفسير قولـــه تعالى مخاطبا للنبي ﷺ : ﴿ ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ﴾ [3] : (اختلف العلماء في هذه الآية مـــع الإجماع على أنه لا يجوز أن يقال الرسل كانوا قبل الوحي على الكفر) [4]. وقال سعد الدين التفتازاني: (أنهم معصومون عن الكفر قبل الوحي وبعده بالإجماع) [5]. وقال السيوطي : (الأنبياء معصومون من الشرك قبل النبوة وبعدها إجماعا) [6]. وقال صديق حسن خان القنوجي : (الإجماع مـــنعقد على أن الأنبياء معصومون من الشرك قبل النبوة وبعدها) [7]. وقال الدكتور محمد أبو النور الحديـــدي : (وقوع الكفر من الأنبياء ممتنع باتفاق قبل النبوة وبعدها، و لم يحدث أن الله تعالى بعث نـــبيا قط أشرك بالله لحظة واحدة) [8]. وقال الدكتور خالد عبد اللطيف محمد نور عبد الله : (إن الإجماع منعقد على عصمتهم من الكفر والشرك قبل إنبائهم إلا ما يذكر من مذهب الخوارج) [9].

٣ - أن الأنبياء والرسل الذين اختارهم الله لرسالته لهم عناية خاصة من الله سبحانه وتعالى حتى قبل نبوتهم ورسالتهم وستأتي الأدلة على ذلك [10].

---

(١) نسيم الرياض (١٤٨/٤) .

(٢) مســـلم الثـــبوت (٦٧/٢)، والـــبهاري هو محب الله بن عبد الشكور البهاري الهندي الحنفي، فقيه أصولي منطقي، لقب بـــ " فاضل خان" توفي سنة ١١١٩هـــ . انظر : معجم المؤلفين (١٧٩/٨) .

(٣) الشورى الآية : ٥٢

(٤) التفسير الكبير (١٩٠/٢٧) .

(٥) شرح العقائد النسفية (ص : ٢١٥) .

(٦) الإتقان في علوم القرآن (٢٤٠/١) .

(٧) أبجد العلوم (٤٩٤/٢) .

(٨) عصمة الأنبياء (ص : ٦٦) .

(٩) مسائل أصول الدين المبحوثة في علم أصول الفقه (ص : ٤٣٧) .

(١٠) انظر : (ص : ٧٣٩-٧٤٣) .

القـــول الرابع : التفصيل وهو أن أنبياء بني إسرائيل لم يكن فيهم كفر ولا شرك[1]، والنبي ﷺ لم يكن كافرا ولا مشركا قط بل كان بعيدا عن جميع الفواحش والمنكرات الموجودة في قومه صغيرها وكبيرها، ولكن لا يلزم من اجتناب النبي ﷺ منكرات قومه كلها أن يكون جميع الأنبياء كذلك؛ لأن الأنبياء متفاضلون في الدرجات[2]، فلا يبعد عن بعض الأنبياء أن يكونوا قبل النبوة على دين أقوامهم من الكفر والشرك [3]. وهذا القول ذهب إليه شيخ الإسلام ابن تيمية .

واستدل لما ذهب إليه بما ذكره الله عن شعيب ولوط فقال تعالى عن شعيب وقومه : ﴿ قال الملأ الذين استكبروا من قومه لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن في ملتنا قال أولو كنا كارهين * قد افترينا على الله كذبا إن عدنا في ملتكم بعد إذ نجانا الله منها وما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله ربنا ﴾ [4] وقال تعالى عن لوط عليه السلام : ﴿ فآمن له لوط ﴾ [5] وقال تعالى : ﴿ وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من أرضنا أو لتعودن في ملتنا فأوحى إليهم ربهم لنهلكن الظالمين ﴾ [6] .

وهـــذا القول شبيه بالقول السابق في جواز بعثة من كان مشركا وكافرا قبل النبوة، فمـــا ذكرت من الملاحظات على القول السابق تنطبق على هذا القول أيضا، وأما الآيات التي استدل بها شيخ الإسلام فليست صريحة في الدلالة على أن شعيبا ولوطا أو غيرهما من الرسل كانوا على الكفر والشرك قبل النبوة، وبيان ذلك بما يلي :

أولا : دعوى أن شعيبا عليه السلام كان على دين قومه من الكفر والشرك فهذا يحتاج إلى دليـــل صريح والآية ليست صريحة في الدلالة على أن شعيبا عليه السلام كان على دين قومه من الشرك والكفر بل الآية تحتمل عدة معان :

١- منها أنه يمكن أن يكون معنى الآية أن شعيبا عليه السلام نشأ بين قومه، ولم يظهر لهم

---

(١) انظر : تفسير آيات أشكلت على كثير من العلماء (١/١٩٣) .

(٢) انظر : المصدر السابق (١/٢٣٠-٢٣١ و٢٣١)؛ ومجموع الفتاوى (١٥/٣١) .

(٣) انظـــر : تفسير آيات أشكلت ... (١/١٩٢-١٩٣)؛ ومجموع الفتاوى (١٥/٢٩-٣٠)، وانظر أيضا : مسائل أصول الدين المبحوثة في علم أصول الفقه (ص : ٤٤٢) .

(٤) الأعراف الآيتان : ٨٨-٨٩

(٥) العنكبوت الآية : ٢٦

(٦) إبراهيم الآية : ١٣

المخالفة قبل بعثته، فظن الكفار أنه كان على ملتهم، فطلبوا منه العودة إلى دينهم وهو في حقيقة الأمر لم يكن على دينهم من قبل [1].

٢ - ويمكن أن يكون معنى العودة هنا العودة إلى ما كان عليه قبل الرسالة من عدم التعرض لدينهم بالطعن، ومن التوقف والسكوت عن عيبهم وعيب دينهم وآلهتهم [2].

٣ - ويحتمل أن الكفار خاطبوا بهذا الخطاب وطالبوا العودة إلى ملتهم من الذين آمنوا برسول الله شعيب عليه السلام، وتركوا دين قومهم، وليس المقصود به شعيبا عليه السلام نفسه، ولكنهم ذكروه في الخطاب إما تغليبا للأتباع عليه وإما لأنه هو الذي دعا الناس فترك الذين آمنوا له دين قومهم، لا أنه عليه السلام كان على دينهم من الكفر والشرك [3].

٤- يحتمل أن العود في جانب شعيب عليه السلام أو غيره من الرسل ليس بمعنى الرجوع إلى الكفر المقتضي اتصافهم به أولا، بل بمعنى الصيرورة وهي وجود شيء بعد أن لم يكن[4]، وهذا كثير في كلام العرب، ومنه ما جاء في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : إذا دخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، يقول الله : من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان فأخرجوه، فيخرجون قد امتُحِشُوا وعادوا حُمَماً، فيلقون في نهر الحياة فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل ... الحديث [5] .

قال النووي : (معنى " عادوا " صاروا، وليس بلازم في عاد أن يصير إلى حالة كان عليه قبل ذلك، بل معناه صار) [6].

فإذا كانت العودة لا تستلزم وجود حالة سابقة بل قد تكون بمعنى الصيرورة، فلا يلزم أن

---

(١) انظر : التفسير الكبير (١٩/٩٩-١٠٠)؛ وعصمة الأنبياء للدكتور محمد الحديدي (ص : ٦٦-٦٧) .

(٢) انظر : المحرر الوجيز (٧/١١١ و١٠/٧١)؛ والتفسير الكبير (١٩/١٠٠) .

(٣) انظر : المصدر السابقين نفساهما؛ ومعالم التنزيل (٢/١٨١)؛ والكشاف (٢/٤٧٤-٤٧٥ و ٣/٣٦٨) ؛ وزاد المسير (٣/٢٣٠)؛ والتسهيل لعوم التنزيل (١/٣٠٩)؛ وتفسير القرآن العظيم (٢/٢٣٣)؛ وفتح القدير (٢/٢٢٥) .

(٤) انظر : معاني القرآن وإعرابه (٢/٣٥٥-٣٥٧)؛ والمحرر الوجيز (٧/١١١)؛ والبيان في غريب إعراب القرآن (١/٣٦٨)؛ ومعالم التنزيل (٢/١٨١)؛ والكشاف (٣/٣٦٨)؛ وزاد المسير (٣/٢٣١) ؛وعصمة الأنبياء للرازي (ص : ٨٧-٨٨)؛ والتفسير الكبير (١٩/١٠٠)؛ والتسهيل لعلوم التنزيل (١/٣٠٩)؛ والجواهر الحسان في تفسير القرآن (٣/٥٥-٥٦) .

(٥) أخرجه خ (الرقاق، ب : صفة الجنة والنار ٥/٢٤٠٠ ح : ٦١٩٢)، واللفظ له؛ و م (الإيمان، ب : معرفة طريق الرؤية ١/١٦٧-١٧٠ ح : ١٨٣) في حديث طويل .

(٦) شرح النووي على صحيح مسلم (٣/٣٢) .

يكون شعيب عليه السلام على الكفر والشرك، بل يمكن أن تكون العودة التي طالب بها الكفار من شعيب عليه السلام بمعنى الصيرورة ابتداء، لا بمعنى العودة إلى حالة سابقة، ويؤكد هذا المعنى الوجه التالي :

٥ - قال الله تعالى : ﴿ وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من أرضنا أو لتعودن في ملتنا فأوحى إليهم ربهم لنهلكن الظالمين ﴾ [١] فالله سبحانه وتعالى أخبر في هذه الآية بصيغة عامة أن الكفار طلبوا من المرسلين العودة إلى ملتهم، وشيخ الإسلام يرى أن هناك أنبياء ورسل لم يكن فيهم شرك ولا كفر، وأنهم لم يكونوا على ملة الكفر والشرك قبل النبوة، فالإخبار بمطالبة العودة بصيغة عامة مع عدم كون بعض الرسل على الكفر والشرك يؤكد أن معنى العود هنا ليس هو العود إلى ما كان حاصلا من قبل، بل هو بمعنى المصير إليه ابتداء وإلا لزم كونهم جميعا على الكفر والشرك وشيخ الإسلام لا يقول به [٢].

الحاصل : العود في الآية لا يلزم منه أن شعيبا عليه السلام كان قبل النبوة على الكفر والشرك، وأنه طلب منه بعد النبوة أن يعود إلى الكفر والشرك كما كان من قبل، بل يمكن حمل العود هنا على معنى السكوت وعدم التعرض بالطعن والعيب لما كان عليه الكفار أو أن المطالب بالعودة هم الأتباع دون الرسول أو أن العودة بمعنى الصيرورة؛ أي طلب منه المشركون أن يصير إلى كفرهم وشركهم، لا أنه كان عليه من قبل، والله أعلم بالصواب .

ثانيا : قوله تعالى : ﴿ فآمن له لوط ﴾ فهذه الآية لا تدل دلالة صريحة على أن لوطا عليه السلام كان متصفا بنقيض الإيمان وهو الكفر والشرك؛ بل تدل على أنه آمن بنبوة إبراهيم عليه السلام وبما جاء به، وذلك لا يقتضي أن لوطا عليه السلام كان قبل ذلك غير موحد، بل كان مصدقا بالبعض وهو التوحيد، وخالي الذهن عن البعض الآخر وهو نبوة إبراهيم عليه السلام، ثم صار مصدقا بالجميع [٣].

قال الخازن في تفسيره قوله تعالى : ﴿ فآمن له لوط ﴾ : (أي : صدق برسالته لما رأى معجزاته، وهو أول من صدق إبراهيم عليه السلام وأما في أصل التوحيد، فإنه كان مؤمنا؛ لأن الأنبياء لا يتصور فيهم الكفر) [٤].

---

(١) إبراهيم الآية : ١٣.

(٢) انظر : مسائل أصول الدين المبحوثة في علم أصول الفقه (ص : ٤٤٢) .

(٣) انظر : عصمة الأنبياء للحديدي (ص : ٦٨-٦٩)؛ومسائل أصول الدين المبحوثة في علم أصول الفقه (ص : ٤٤٢-٤٤٣).

(٤) لباب التأويل في معاني التنزيل (٥/٤٧) .

● وقوله تعالى عن لوط عليه السلام : ﴿ فآمن له لوط ﴾ قريب من قوله تعالى مخاطبا لنبينا محمد ﷺ : ﴿ ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ﴾ (1) فالله سبحانه وتعالى أخبر في هذه الآية عن النبي ﷺ بأنه لم يكن يدري : ما الإيمان ؟ فإن كان هو لم يكن يدري ما الإيمان فهل كان على نقيض الإيمان من الكفر والشرك ؟ لا، بل شيخ الإسلام ابن تيمية (2) وغيره من العلماء يرون – وهو الحق الذي لا ريب فيه – أن النبي ﷺ لم يكن على نقيض الإيمان من الكفر والشرك قط، وهو الـــذي تدل عليه الأدلة (3) ولكن معنى الآية كما فسرها أهل العلم بأن النبي ﷺ لم يكن يدري تفاصيل الإيمان قبل النبوة ثم علمها لما أكرمه الله تعالى بالنبوة (4)، فكذلك يمكن أن يقال أن لوطـــا عليه السلام لم يكن كافرا مشركا بالله تعالى بل كان مؤمنا بالله وموحدا له سبحانه من حيث الجملة، لكنه لما آمن بنبي الله إبراهيم عليه السلام زادت تفاصيل إيمانه والله أعلم بالصواب .

القول الخامس : لا يجوز على الأنبياء الكبيرة، لا قبل النبوة ولا بعدها، لكونه منفرا عن طاعتهم والقبول منهم . قاله القاضي عبد الجبار بن أحمد الهمذاني (5)، وعزاه القاضي أبو بكر ابن الطيب – في موضع – إلى المعتزلة (6) .

ولكن الأمر ليس على إطلاقه فليس كل كبيرة موجبة للنفرة؛ بل قد يكون الفعل من الكـــبائر، ومع ذلك لا يكون منفرا للنفوس؛ فإن العرب وغيرهم لا ينفرون عمن صدرت عـــنه الأفعـــال الدالة على علو الهمة وشهامة النفس والجرأة والشجاعة والبسالة والنجدة والغلـــبة والاســـتيلاء وإن كـــانت فيها مظالم على الآخرين بل قد يعدونه من الشرف ويمدحونه ويرغبون في فاعله، وهذا له نماذج كثيرة في أفعال الملوك ومدح الشعراء وغيرهم لهم، فليس كل معصية منفرة، نعم تنفر النفوس عمن يرتكب خسائس الأمور، ويتعاطى ما

---

(1) الشورى الآية : 52

(2) تفسير آيات أشكلت ...(1/202 ، 209-210) .

(3) انظر بعض الأدلة على ذلك في المصدر السابق (1/211-230) .

(4) انظـــر : معالم التنزيل (4/132)؛ وزاد المسير (7/298)؛ والتسهيل لعلوم التنزيل (2/307)؛ وتفسير القرآن العظيم (4/122) .

(5) انظر : شرح الأصول الخمسة (ص : 573-575) .

(6) ذكره عنه شيخ الإسلام ابن تيمية . انظر : تفسير آيات أشكلت على كثير من العلماء (1/180) .

يتعاطاه سفلة الناس وسفهاؤهم وهذا قد صان الله الرسل قبل البعثة وبعدها [1].

القـــول السادس : الأنبياء كلهم معصومون قبل النبوة من الكفر والشرك ومن جميع الرزائل والقبائح والخسائس التي يمكن أن يعابوا بها بعد النبوة كالزنا واللياطة وغيرها. هذا القول ذهب إليه العلامة ابن حزم [2] .

وهو الذي أراه راجحا على غيره من الأقوال وذلك لما يلي :

أولا : المتأمل في أحوال الأنبياء والرسل يرى أنهم قبل نبوتهم على حالتين [3]:

الأولى : أن يكون النبي قبل نبوته غير مكلف بشرع ما، فالعصمة في حقه غير ذات موضـــوع، لأن المعاصـــي والمخالفات بعد ورود الشرع والتكليف به، والمفروض أنه لم يكلف، فلا مجال لبحث العصمة أو عدمها، لأن الذمة خالية من التكليف [4].

ولكن في هذه الحالة يمكن أن تقسم الذنوب والمعاصي إلى قسمين : قسم يدرك العقل السليم بأنـــه ذنب فينفر صاحبه من ارتكابه، كالزنا واللياطة والسرقة والخيانة والكذب والقتل عمدا ونحو ذلك، فمثل هذه المعاصي يستبعد وقوعها من الأنبياء قبل النبوة لرجاحة عقولهم وسلامة فطرتهم.

والقسم الآخر الذي يتوقف معرفته أنه ذنب على مجيء الشرع، كالتعامل بالربا مثلا فهذا النوع لا يستبعد العقل وقوعه، إذ لا تشريع قبل البعثة يمنع من ذلك [5].

الثانية : أن يكون النبي قبل نبوته تابعا لشرع رسول سابق، متعبدا به، كما كان لوط عليه السلام تابعا – قبل نبوته – لعمه إبراهيم عليه السلام ، وكأنبياء بني إسرائيل من بعد موسى قبل أن يوحى إليهم بالنبوة .

فالنبي في هذه الحالة يستبعد منه أن يعصي الله ربه، ويترك الالتزام بذلك الشرع المتعبد به [6].

وسيرة الأنبياء التي أثرت عنهم قبل نبواتهم تشهد بذلك، فلم يؤثر عن أحد منهم ما يدل على عدم التزامه بشرع الرسول السابق إن كان تابعا له، كما لم يؤثر عن أحد منهم إتيان ما يدرك العقل السليم قبحه وذنبه أو ما يخل بمروءته ويشينها .

---

(١) انظر : حاشية الصنعاني على هداية العقول (٤٥٩/١) بواسطة مسائل أصول الدين ...(ص : ٤٣٩) .

(٢) انظر : الفصل في الملل والأهواء والنحل (٢٥/٤) .

(٣) انظر : المصدر السابق (٢٤/٤-٢٥)؛ والعقيدة الإسلامية وأسسها (ص : ٣٨٤-٣٨٥) .

(٤) انظر : العقيدة الإسلامية وأسسها (ص : ٣٨٤) .

(٥) انظر : عصمة الأنبياء للحديدي (ص : ١١٨-١١٩) .

(٦) انظر : الفصل في الملل والأهواء والنحل (٢٥/٤) .

ثانيا : إن الأنبياء والرسل ليسوا كعامة الناس بل أحوالهم تختلف عن غيرهم حتى قبل النبوة ويمكن الإشارة إلى ذلك بما يلي :

١ - أن الأنبياء والرسل الذين اختارهم الله تعالى لحمل رسالته وجعلهم سفراء بينه وبين عباده هم صفوة البشر، وهو سبحانه قد رباهم تربية خاصة وأنبتهم نباتا حسنا، ورعاهم رعاية كريمة منذ صغرهم . قال تعالى عن إبراهيم عليه السلام : ﴿ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين﴾ [(١)] وقال تعالى لموسى عليه السلام : ﴿ وألقيت عليك محبة مني ولتصنع على عيني ﴾ [(٢)] وقال تعالى عن عيسى عليه السلام أنه قال لقومه وهو في حجر أمه : ﴿ قال إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا * وجعلني مباركا أين ما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا * وبرا بوالدتي ولم يجعلني جبارا شقيا * والسلام علي يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا ﴾ [(٣)] وقال تعالى عن يحيى عليه السلام : ﴿ وآتيناه الحكم صبيا * وحنانا من لدنا وزكاة وكان تقيا * وبرا بوالديه ولم يكن جبارا عصيا * وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا ﴾ [(٤)].

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : خلق الله يحيى بن زكريا في بطن أمه مؤمنا، وخلق فرعون في بطن أمه كافرا [(٥)].

وعن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا ينبغي لأحد أن يقول : أنا خير من يحيى بن زكريا، ما هم بخطيئة، فأحسبه قال : ولا عملها [(٦)].

وجاء في الأحاديث أن النبي صلى الله عليه وسلم كان محفوظا قبل النبوة من الشيطان، منها ما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه جبريل عليه السلام وهو يلعب مع الغلمان، فأخذه

---

(١) إبراهيم الآية : ٥١ . قال الحافظ ابن كثير في تفسيره (١٨١/٣) : يخبر تعالى عن خليله إبراهيم عليه السلام أنه آتاه رشده من قبل؛ أي : من صغره ألهمه الحق والحجة على قومه .

(٢) طه الآية : ٣٩

(٣) مريم الآيات : ٣٠-٣٣

(٤) مريم الآيات : ١٢-١٥

(٥) أخرجه الطبراني في الكبير (٢٢٤/١٠ ح : ١٠٥٤٣) . قال الهيثمي في (مجمع الزوائد ١٩٣/٧) : (إسناده جيد)، وحسنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٤٤٧/٤ ح : ١٨٣١) .

(٦) أخرجه البزار كما في كشف الأستار (١٠٩/٣ ح : ٢٣٦٠) . قال الهيثمي في (مجمع الزوائد ٢٠٩/٨) : (رواه البزار ورجاله ثقات) .

فصرعه، فشق عن قلبه، فاستخرج القلب، فاستخرج منه علقة، فقال : هذا حظ الشيطان منك، ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم ثم لأمه ثم أعاده في مكانه ... الحديث [1].

وعن جابر بن عبد الله – رضي الله عنهما – أن رسول الله ﷺ كان ينقل معهم الحجارة للكعبة، وعليه إزاره، فقال له العباس عمه : يا ابن أخي؛ لو حللت إزارك، فجعلت على منكبيك دون الحجارة، قال : فحله فجعله على منكبيه، فسقط مغشيا عليه، فما رُئيَ بعد ذلك عريانا ﷺ [2].

قال الحافظ ابن حجر : (وفيه أنه ﷺ كان مصونا عما يستقبح قبل البعثة وبعدها) [3].

٢ - ومن هؤلاء الأنبياء من أصابته دعوة صالحة مقبولة عند الله تعالى قبل ولادته فمنهم من كان أبوه نبيا فدعا الوالد النبي لابنه بالصلاح والرضا لله قبل ولادته، والله سبحانه وتعالى أخبر أنه قبل دعاءه وبشره بما طلب، ومنهم من كانت أم أمه صالحة فدعت الله سبحانه وتعالى أن يعيذ ابنتها وذريتها من الشيطان الرجيم، والله سبحانه وتعالى قد أخبر أنه قبل دعاءها، وابن بنتها كان نبيا فلا سبيل للشيطان إليه.

قال تعالى عن إبراهيم عليه السلام : ﴿ وقال إني ذاهب إلى ربي سيهدين * رب هب لي من الصالحين * فبشرناه بغلام حليم * فلما بلغ معه السعي قال يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين * فلما أسلما وتله للجبين * وناديناه أن يا إبراهيم * قد صدقت الرؤيا إنا كذلك نجزي المحسنين ﴾ [4]

وقال تعالى : ﴿ وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا واجنبني وبني أن نعبد الأصنام ﴾ [5].

وعن ابن عباس – رضي الله عنهما – قال : كان النبي ﷺ يعوذ الحسن والحسين ويقول : " إن أباكما كان يعوذ بها إسماعيل وإسحاق : أعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامَّة، ومن كل عين لامة " [6].

---

(١) أخرجه م (الإيمان، ب : الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماوات وفرض الصلوات ١/١٤٧ ح : ١٦٢) .

(٢) أخرجه خ (الصلاة، ب : كراهية التعري في الصلاة وغيرها ١/١٤٣ ح : ٣٥٧)، واللفظ له؛ و م (الحيض، ب : الاعتناء بحفظ العورة ١/٢٦٧ ح : ٣٤٠) .

(٣) فتح الباري (١/٤٧٥) .

(٤) الصافات الآيات : ٩٩-١٠٢

(٥) إبراهيم الآية : ٣٥

(٦) حديث صحيح، أخرجه البخاري، وقد سبق تخريجه في (ص : ٥٨١) .

فإبراهيم عليه السلام كان يعوذ ابنيه إسماعيل وإسحاق – عليهما السلام – بكلمات الله التامة من جميـــع الشياطين، وكان يدعو الله سبحانه وتعالى أن يجنبه وبنيه من عبادة الأصنام والشرك بالله تعالى، وكان قبل ذلك كله لما ترك قومه المشركين وهاجر في سبيل الله دعا الله رب العالمين أن يهب له من الصالحين فهو لم يطلب الولد طلبا عاما وإنما طلب من الله أن يكون من الصالحين، فاســـتجاب الله دعاءه وبشره بإسماعيل عليه السلام ووصفه بالحلم الذي يتضمن حسن الصبر وحسن الخـــلق وسعة الصدر والعفو عمن جنى، وظهر هذا الحلم والصبر في أكمل صورة لما قال صابرا محتسبا، طالبا رضا ربه، وبارا بوالده : ﴿ يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين ﴾ .

وقال تعالى عن زكريا عليه السلام : ﴿ هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة إنك سميع الدعاء * فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب أن الله يبشرك بيحيى مصدقا بكلمة من الله وسيدا وحصورا ونبيا من الصالحين ﴾ [1] وقال تعالى : ﴿ كهيعص * ذكر رحمة ربك عبده زكريا * إذ نادى ربه نداء خفيا * قال رب إني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيبا ولم أكن بدعائك رب شقيا * وإني خفت الموالي من ورائي وكانت امرأتي عاقرا فهب لي من لدنك وليا * يرثني ويرث من ءال يعقوب واجعله رب رضيا * يازكريا إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا ﴾ [2].

فزكـــريا عليه السلام دعا ربه أن يهب له ذرية طيبة، وأن يهب له من لدنه وليا يكون وارثا النبوة من آل يعقـــوب [3] وأن يجعله رضيا. وقد قبل الله تعالى دعاءه، وبشره بيحيى عليه السلام ووصفه بصفات عظـــيمة مـــن التصديق برسالة عيسى بن مريم الذي خلق بكلمة خاصة من الله تعالى، كما وصفه بالسيادة والعصمة والحفظ من الذنوب الشهوات الضارة والنبوة التي هي ذروة الصلاح والتقوى[4].

وقال تعالى عن أم مريم عليهما السلام : ﴿ إذ قالت امرأة عمران رب إني نذرت لك ما في بطني محررا فتقبل مني إنك أنت السميع العليم * فلما وضعتها قالت رب إني وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت

---

(١) آل عمران الآيتان : ٣٨-٣٩

(٢) مريم الآيات : ١-٧

(٣) انظر : النبوات (١/٢٠٦-٢٠٧)؛ وتفسير القرآن العظيم (٣/١١١) .

(٤) انظر : تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص : ١٤٩) .

وليس الذكر كالأنثى وإني سميتها مريم وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم * فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتا حسنا وكفلها زكريا . . . ﴾ [1] .

فالله سبحانه وتعالى أخبر عن أم مريم أنها دعت الله سبحانه وتعالى أن يعيذها وذريتها مـــن الشيطان الرجيم، وأخبر الله سبحانه وتعالى أنه قبل دعاءها، فلا شك أن عيسى ابن مريم عليه السلام له حظ من هذا الدعاء فهو محفوظ من الشيطان الرجيم، وأنه عليه سلام من الله منذ أن ولد كما قال بعد ولادته : ﴿ والسلام علي يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا ﴾ .

٣ - وكذلك نرى أن هناك من الأنبياء من نشأ وترعرع تحت رعاية نبوية كريمة وصحبة شـــريفة جليـــلة، فنبي الله لوط عليه السلام كان مع عمه خليل الله إبراهيم عليه السلام، ونبيا الله إسماعيل وإســـحاق ترعـــرعا في بيت النبوة في حجر والدهما إبراهيم عليه السلام، ونبي الله يعقوب عليه السلام نشأ تحـــت رعاية والده إسحاق عليه السلام، ونبي الله يوسف عليه السلام نشأ نشأته الأولى تحت رعاية والده يعقـــوب عليه السلام، ونبي الله داود عليه السلام كان في صحبة نبي من أنبياء بني إسرائيل يقاتل معه جالوت الجـــبار، ونبي الله سليمان عليه السلام نشأ تحت رعاية والده داود عليه السلام الذي آتاه الله العلم والحكمة والنـــبوة، ونبي الله يحيى عليه السلام نشأ في رعاية والده زكريا عليه السلام، فهؤلاء من الأنبياء الذين كانت نشأتهم محظوظة برعاية نبوية مباشرة، وعيسى عليه السلام نشأ تحت تربية أمه مريم رضي الله عنها التي كفلها زكريا عليه السلام فهو أيضا محظوظ بتربية الأنبياء بواسطة أمها التي كفلها زكريا عليه السلام .

ثالثا : أن الأنبياء والرسل يتحلون بسلامة الفطرة وصفاء النفس وسمو الروح وصحة الضمير ورجاحة العقل وسداد الرأي ما يجعل كل واحد منهم أنموذجا رفيعا بين قومه، في أخلاقـــه ومعاملاتـــه، وأمانته وبعده عن ارتكاب القبائح التي تنفر منها العقول السليمة والطباع المستقيمة والتي يمكن أن يؤذى منها ويعاب بها بعد النبوة [2].

رابعـــا : نرى في أتباع الأنبياء من كان محمود الطريقة وسوي السلوك قبل ظهور النبي، وقـــبل قبولـــه لدعوته، فأبو بكر الصديق رضي الله عنه - مع نشأته في قومه - كان في الجاهلية معروفا

---

(١) آل عمران الآيات : ٣٥-٣٧

(٢) انظر : العقيدة الإسلامية وأسسها (ص : ٣٨٤) .

بالصـــدق والأمانـــة ومكارم الأخلاق، و لم يكن فيه قبل الإسلام ما يعيبونه به بعد الإسلام،[1] وهذا حال واحد من أتباع الأنبياء، فالأنبياء أولى بمثل هذه الأخلاق العالية والصفات الحميدة .

خامسا : قال تعالى : ﴿الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس إن الله سميع بصير﴾[2] وقال تعالى: ﴿واذكر عبادنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب أولي الأيدي والأبصار * إنا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار * وإنهم عندنا لمن المصطفين الأخيار * واذكر إسماعيل واليسع وذا الكفل وكل من الأخيار﴾ [3].فالله سبحانه وتعالى لا يختار لحمل رسالته إلا الأخيار .

فهـــذه الوجـــوه المذكورة يستنبط منها أن أحوال الأنبياء والرسل تختلف عن غيرهم من الـــناس حـــتى قبل النبوة اختلافا عظيما، وأن لهم عناية خاصة من الله سبحانه وتعالى؛ ولذلك نـــراهم محـــل ثقة وأمانة واعتماد وصدق وعفاف ... في أقوامهم حتى قبل النبوة، ويؤكد هذا الاســـتنباط أنهـــم لما أكرموا بحمل رسالة الله إلى أقوامهم، ودعوهم إلى ما أوحي إليهم عادتهم أقوامهم عداوة شديدة، وحاولوا أن يصرفوا الناس عنهم بكل ما يملكون من نسبتهم إلى السحر أو الجـــنون أو الشعر وما إلى ذلك، ولكنهم لم يستطيعوا أن يرموهم بالكفر والشرك والكذب والخيانة والسرقة ووالزنا واللياطة وما إلى ذلك من الأمور المستقبحة المنكرة الخسيسة .

فهـــذا أيضا مما يشعر أن الله سبحانه وتعالى حمى أنبياءه ورسله قبل نبوتهم ورسالتهم عن كل ما يشينهم بما سيكرمهم من نبوته وحمل رسالته إلى عباده فيما بعد .

قال العلامة ابن حزم : (فبيقين ندري أن الله تعالى صان أنبياءه عن أن يكونوا لبغية أو من أولاد بغي أو من بغايا بل بعثهم الله تعالى في حسب قومهم، فإذا لا شك في هذا، فـــبيقين ندري أن الله تعالى عصمهم قبل النبوة من كل ما يؤذون به بعد النبوة، فدخل في ذلـــك الســـرقة، والعدوان، والقسوة، والزنا، واللياطة، والبغي، وأذى الناس في حريمهم، وأموالهم وأنفسهم، وكل ما يعاب به المرء، ويتشكى منه، ويؤذى بذكره)[4].

---

(١) انظر : تفسير آيات أشكلت على كثير من العلماء (١٩٤/١) .

(٢) الحج الآية : ٧٥

(٣) ص الآيات : ٤٥-٤٨

(٤) الفصل في الملل والأهواء والنحل (٢٥/٤) .

وأما ما جاء عن موسى عليه السلام أنه قتل القبطي ثم ذهب إلى مدين وبذلك عيره فرعون فالظاهر أن فرعون قال ذلك تعصبا وتعنتا وإلا فالذي فعله موسى عليه السلام من نصرة الضعيف المظلوم، يعد شرفا عند عامة الخلق، مع أنه لم يكن قاصدا لقتله أصلا [1]، كما قال النبي ﷺ : ((إنما قتل موسى الذي قتل من آل فرعون خطأ)) [2] .

الحاصل فيما يظهر لي : إن الأنبياء والرسل عليهم السلام كلهم معصومون قبل النبوة من الجهل بالله والكفر والشرك به سبحانه وتعالى، ولكنهم غير معصومين عن صدور الكبائر، إلا أنه يظهر لي أنهم كانوا بعيدين من الأفعال الخسيسة التي يمكن أن يعابوا بها بعد النبوة، والله أعلم بالصواب .

المحور الثاني : عصمة الأنبياء بعد النبوة .

إن الأنبياء والرسل الذين أكرمهم الله تعالى بالنبوة والرسالة واختارهم لهذا المنصب الجليل والعمل العظيم على غيرهم من البشر قد سبق البيان بأنهم كانوا محظوظين بعناية خاصة من الله سبحانه وتعالى لهم قبل النبوة، ولما كلل هؤلاء الصفوة المختارة بتاج النبوة والرسالة ازدادت عناية الله سبحانه وتعالى بهم وازدادت رعايته وحفظه وعصمته لهم . قال تعالى لنوح عليه السلام : ﴿ فأوحينا إليه أن اصنع الفلك بأعيننا ووحينا ﴾ [3] وقال تعالى : ﴿واصنع الفلك بأعيننا ووحينا ﴾ [4] وقال تعالى عن إبراهيم عليه السلام : ﴿ ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين ﴾ إلى أن قال : ﴿ قلنا يا نار كوني بردا وسلاما على إبراهيم ﴾ [5] وقال تعالى لموسى وهارون عليهما السلام : ﴿ لا تخافا إنني معكما أسمع وأرى ﴾ [6] وقال تعالى لنبينا محمد ﷺ : ﴿ واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا ﴾ [7] وقال تعالى عن الرسل عامة : ﴿ عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا * إلا من ارتضى من رسول فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا

---

(١) انظر : مسائل أصول الدين المبحوثة في علم أصول الفقه (ص : ٤٤٠) .

(٢) جزء من حديث ابن عمر – رضي الله عنهما –، أخرجه م (الفتن، ب: الفتنة من المشرق... ٢٢٢٩/٤ ح : ٢٩٠٥).

(٣) المؤمنون الآية : ٢٧

(٤) هود الآية : ٣٧

(٥) الأنبياء الآيات : ٥١-٦٩

(٦) طه الآية : ٤٦

(٧) الطور الآية : ٤٨

﴿ ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم وأحاط بما لديهم وأحصى كل شيء عددا ﴾ [1].

فهـــذه الآيـــات وغيرها كثيرة تدل على أن الأنبياء والرسل بعد نبوهم وحملهم لرسالة الله صاروا تحت رعاية الله وحفظه ووقايته وعصمته ونصره، وأنه سبحانه وتعالى كان يوحي إليهم ويسددهم في كل وقت وحين يحتاجون إليه، فكانوا موفقين للخير، بعيدين عن الشر [2] .

مم تكون العصمة بعد النبوة :

الكـــلام عمـــا تكون العصمة للأنبياء بعد نبوهم متشعب، وللناس فيها أقوال كثيرة ومختلفة، وأنا أحاول ذكر الخلاصة من خلال نقطتين :

الأولى ـــ الكلام عن عصمة الأنبياء فيما يتعلق بتبليغ الرسالة .

اتفق المسلمون جميعا على عصمة الأنبياء في كل ما يتعلق بتبليغ الرسالة، والإخبار عن الله سبحانه وتعالى، وأنه لا يستقر في ذلك شيء من الخطأ .

قـــال شـــيخ الإسلام ابن تيمية : (أجمع أهل الملل قاطبة على أن الرسل معصومون فيما يبلغونه عن الله تبارك وتعالى لم يقل أحد قط أن من أرسله الله يكذب عليه) [3]. وقال أيضا : (أن الأنـــبياء صلوات الله عليهم معصومون فيما يخبرون به عن الله عز وجل، في تبليغ رسالته باتفاق الأمة ... العصمة فيما يبلغونه عن الله ثابتة، فلا يستقر في ذلك خطأ باتفاق المسلمين) [4].

وعصمة الأنبياء والرسل عليهم السلام فيما يتعلق بتبليغ الرسالة لها جوانب، والأنبياء عليهم السلام معصومون في جميع تلك الجوانب؛ فهم معصومون في تحمل الرسالة، فلا ينسون شيئا مما أوحـــي إليهم إلا أن يشاء الله ربهم، وكذلك معصومون في فهم رسالة الله إليهم على مراد الله سبحانه وتعالى فلا يخطئون في فهمها، ومعصومون في تبليغ ما أوحي إليهم من ربهم، فهم أمناء عـــلى رسالة الله، ويبلغونها إلى الناس، كما ألقيت إليهم من غير أن يزيدوا فيها شيئا، أو ينقصوا منها شيئا من عند أنفسهم . وكذلك الأنبياء والرسل عليهم السلام كانوا يطبقون على أنفسهم

---

(١) الجن الآيات : ٢٦-٢٨

(٢) انظـــر أدلة أخرى على عصمة الأنبياء من الكتاب والسنة والعقل في : عصمة الأنبياء للرازي (ص : ٢٨-٣٤)؛ وعصمة الأنبياء للدكتور محمد أبي النور الحديدي (ص : ١٣٣-١٤٢) .

(٣) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (١/٤٤٦) .

(٤) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١٠/٢٨٩-٢٩٠) .

كـــل مـــا أوحي إليهم ويدعون الناس إليه، ولم تكن أفعالهم تخالف أقوالهم بل كانت معتقداتهم وأقوالهـــم وأفعالهم منسجمة متطابقة، فهم لما كانوا يدعون الناس إلى الإيمان بالله تعالى وإفراده بـــأنواع العبادة كلها وإلى الصدق والعفاف والنصح ...كانوا بعيدين كل البعد عن الجهل بالله والكفر والشرك به سبحانه، وكانوا بعيدين عن النفاق وكتمان الرسالة والغش والخيانة فيها... بل كـــل ما دعت الرسل إليه أقوامهم كانوا بعيدين عن اتصاف ما يعارض ويخالف دعوتهم؛ لأن مخالفة الفعل للقول يعد كذبا ويكون منافيا ومعارضا لمقصود الرسالة وغايتها [1].

الحاصـــل : إن الأنـــبياء والرســـل عليهم السلام معصومون في كل ما يتعلق بتبليغ الرسالة والإخـــبار عـــن الله سبحانه وتعالى، فلا يستقر فيها شيء من الخطأ، وذلك أمر مجمع عليه عند المسلمين، والله أعلم بالصواب.

الثانية : الكلام عن عصمة الأنبياء فيما يتعلق بغير الرسالة والتبليغ .

وأمـــا عصمة الأنبياء في غير ما يتعلق بالرسالة وتبليغها ففيها نزاع كبير، وللناس فيها مواقف متباينة، ويمكن ذكر خلاصتها من خلال ثلاثة مواقف، وهي كما يلي :

أولا : موقف التفريط والتنقيص، وهو :

أ – مـــا حكي عن الشيعة أنهم يجوزون إظهار الكفر من الأنبياء والرسل على سبيل التقية [2]بل نقل بعضهم أنهم أوجبوا ذلك عليهم عند الخوف[3] .

ب – مـــا حكـــي عن بعض الفرق من الخوارج كالفضيلية والأزارقة أنهم يجوزون الكفر على الأنـــبياء، فالأزارقة نقل عنهم أنهم قالوا بجواز بعثة نبي علم الله أنه يكفر بعد نبوته[4]، والفضيلية يجوزون صدور الذنوب عن الأنبياء، وكل ذنب عندهم كفر، وبذلك جوزوا صدور الكفر عنهم [5].

---

(١) انظر : الرسل والرسالات (ص : ٩٧-٩٨)؛ ومسائل أصول الدين المبحوثة في علم أصول الفقه (ص : ٣٩٩) .

(٢) ذكره عنهم الرازي في (عصمة الأنبياء ص : ٢٦)؛ وفي (المحصول في علم أصول الفقه ٣/٢٢٦)؛ والتفتازاني في (شرح العقائد النسفية ص : ٢١٦) وغيرهم .

(٣) ذكره عنهم الدكتور محمد أبو النور الحديدي عن شمس الدين الأصفهاني وأحال إلى كتاب : (مطالع الأنظار ص : ٢٠٩) وبين بطلانها . انظر : عصمة الأنبياء (ص : ٧٧-٧٨) .

(٤) ذكره عنهم الآمدي في (الأحكام في أصول الأحكام ١/١٥٧)؛ والآلوسي في (روح المعاني ١٦/٢٧٤) .

(٥) ذكره عنهم الرازي في (عصمة الأنبياء ص : ٢٦)؛ وفي (المحصول في علم أصول الفقه ٣/٢٢٦)؛ والآمدي في (الأحكام في أصول الأحكام ١/١٥٧) .

فـإن جاز الكفر على الأنبياء كما حكي عن هؤلاء فما دونه يجوز عليهم من باب أولى، وهذا المذهب الذي ذهب إليه هؤلاء لهم سلف في ذلك، وهم اليهود والنصارى .

فقد نسب اليهود إلى الأنبياء والرسل جميع أنواع القبائح والمنكرات والمعاصي إذ نسبوا إلى نـبي الله نوح ﷺ أنه شرب الخمر وسكر وتعرى داخل خبائه[1]، ونسبوا إلى نبي الله لوط ﷺ أنه شرب الخمر حتى سكر ثم قام على ابنتيه فزنا بهما الواحدة بعد الأخرى، وأن كل واحدة منهما أنجـبت مـنه ولدا [2]، ونسبوا إلى نبي الله هارون ﷺ أنه صنع عجلا وعبده مع بني إسرائيل [3]، ونسـبوا إلى نـبي الله داود ﷺ أنه زنى بزوجة رجل من قواد جيشه، ثم دبر حيلة لقتل الرجل، فقتل، وبعد ذلك أخذ داود الزوجة وضمها إلى نسائه، فولدت له ولدا [4]، ونسبوا إلى سليمان ﷺ أنه ارتد في آخر عمره وعبد الأصنام وبنى لها المعابد [5].

فهـذه بعض المخازي والقبائح التي نسبها اليهود إلى الأنبياء والرسل، وهي مما يتنزه عـنها ويتجنـبها كثير من عوام الناس وأوساطهم فضلا عن فضلائهم وكرامهم، فكيف يتلبس بها الأنبياء الصفوة المختارة من عباد الله تعالى ؟

وأما النصاري فقد سبق ذكر شيء من المخازي والقبائح والكبائر التي نسبها اليهود إلى الأنبياء والرسل، والنصارى وافقتهم على ذلك لتصديقهم بالتوراة المحرفة المغيرة الموجودة اليوم بـين أيديهـم، كما ذكرت النصارى في أناجيلهم المحرفة مخازي وقبائح أخرى مثل ما سبق، ونسبوها إلى الأنبياء، ومنها أنهم زعموا أن عيسى ﷺ قال عن أنبياء بني إسرائيل الذين كانوا قبله : (جميع الذين أتوا قبلي هم سراق ولصوص، ولكن الخراف لم تسمع لهم ... السارق لا يأتي إلا ليسرق ويذبح ويُهْلِك، وأما أنا فقد أتيت لتكون لكم حياة) [6].

ثم إن النصارى يعتقدون أن آدم ﷺ لما أكل من الشجرة المحرمة وقع جميع نسله في عثرة العصيان و الفساد إذ انتقلت تلك الخطيئة من بعده إلى الأبناء ، وبقي الناس كلهم محملين بتلك الخطيئة، تائهين

---

(١) انظر : سفر التكوين (٩/ ٢٠) .

(٢)انظر : المصدر السابق (١٩/ ٣٠-٣٧) .

(٣)انظر : سفر الخروج (٣٢/ ١-٦) .

(٤) انظر : سفر صموئيل الثاني (١١/ ١-٢٦) .

(٥)انظر : سفر الملوك الأول (١١/ ٤-١٣) .

(٦) إنجيل يوحنا (١٠/ ٧-١١) .

في ضلالة وشقاوة حتى جاء عيسى ﷺ وفداهم بنفسه فمات مصلوبا وبذلك نجاهم من تلك الخطيئة .
فهـــم لا يعتقدون بعصمة أحد من الأنبياء سوى عيسى ﷺ (١) ، ومع ذلك نسبوا إليه أنه أهان أمه في وسط جمع من الناس، وأنه قال لها : (ما لي ولك يا امرأة، لم تأت ساعتي بعد) (٢).

ولا شـــك أن مـــا ذهب إليه اليهود والنصارى ومن وافقهم من نسبة الكفر والشرك والارتداد وغيرها من المعاصي والقبائح والفواحش فيها ظلم وجور وعدوان على حقوق الأنبياء والمرسلين وغض من شأنهم ونيل من كرامتهم ونسبة إليهم ما هم براء منه براءة الذئب من دم يوسف؛ فإن هذه المخازي والقبائح التي نسبها هؤلاء إلى الأنبياء والرسل، هي مما يتنزه ويبتعد عنها كثير من عوام الناس وأوساطهم فضـــلا عـــن فضلائهم وكرامهم، فكيف يتلبس بها الأنبياء الصفوة المختارة من عباد الله تعالى ؟ وهو ســـبحانه قد عصمهم من الكفر والشرك وغيرهما من القبائح قبل النبوة فكيف تصح نسبتها إليهم بعد النـــبوة ؟ والله ســـبحانه وتعالى اختارهم لحمل رسالته وأرسلهم لهداية خلقه فكيف يمكن الجمع بين الشـــرك والقتل والارتداد ...الخ وبين النبوة والرسالة الإلهية؟ والله عز وجل يقول : ﴿ لاينالعهدي الظالمين﴾ (٣) وأي ظلم أكبر من الكفر والشرك والارتداد والقتل والزنا ؟ ثم إن الله سبحانه وتعالى جعلهم أسوة لغيرهم، وإذا كان هذا هو تاريخ الأنبياء وأعمالهم وصفاقم فيا ليت شعري ما ذا بقي من حرمتهم، وفيماذا يقتدى بهم وكيف ولماذا ؟؟؟ وما ذا يقال لكبار الفساق والمجرمين ؟ (٤).

ثانيا : موقف الإفراط والمبالغة، وهو ما ذهب إليه الشيعة ومن وافقهم .

وللشـــيعة موقف آخر تجاه عصمة الأنبياء والرسل وهو معاكس تماما لموقفهم السابق كما ســـبقت الإشارة إليه من قبل، وهو أنهم بالغوا في إثبات عصمة الأنبياء والرسل حتى زعموا أنهم معصومون من الذنوب مطلقا، وأنه لا يجوز عليهم الخطأ والغفلة، وأنه لا يصدر منهم صغيرة ولا كبيرة، لا عمدا ولا سهوا، ولا اجتهادا ولا تأويلا، بل هناك من زعم أن الأنبياء والرسل (ليست

---

(١) انظر : الوحي المحمدي (ص : ٥١)؛ والنبوة والأنبياء (ص : ٦٢) وقد سبق الكلام عن عقيدة النصارى هذه مع الرد عليها مفصلا . انظر : (ص : ٤٧٨-٤٩٧) .

(٢) إنجيل يوحنا (٢/٤) .

(٣) البقرة الآية : ١٢٤

(٤) انظـــر : مـــناظرة بين الإسلام والنصرانية (ص : ٢٨٤) والنبوة والأنبياء للصابوني (ص : ٦١)؛ ومصادر النصرانية دراسة ونقدا لعبد الرزاق ألارو (ص : ١٩٦-١٩٧) .

عندهم الصلاحية لارتكاب الخطايا أو الذنوب أو عصيان المولى عز وجل منذ البداية ...) [(١)] وهذا المذهب الذي ذهب إليه الشيعة [(٢)] نحوه قال ابن السبكي[(٣)] ونسبه إلى والده وغيرهم [(٤)].

ولكن دعوى العصمة المطلقة للأنبياء والرسل – عليهم السلام - فيها مبالغة وغلو وإفراط في شـأن الأنبياء، ووصف وإثبات لهم بما ليس فيهم، مع أن نصوص الكتاب والسنة قد أخبرت عن اعترافهم بذنوبهم وتوبتهم إلى الله واستغفارهم منه سبحانه ومغفرته لهم، فلا يمكن أن تصح دعواهم في مقابل نصوص كثيرة من الكتاب والسنة، وقد سبق بيان بطلان قولهم هذا من قبل [(٥)].

الحاصل : إن ما ذهب إليه اليهود والنصارى ومن تبعهم فيه تنقيص للأنبياء والرسل وفي مقابله ما ذهب إليه الشيعة ومن موافقهم فيه غلو ومبالغة في شأنهم ووصف وإثبات لهم بما ليس فيهم، وكلا المذهبين متعارضان مع أدلة الكتاب والسنة، فلا شك أنهما باطلان بعيدان عن الحق والصواب .

قـال شيخ الإسلام ابن تيمية : (واعلم أن المنحرفين في مسألة العصمة على طرفي نقيض، كلامها مخالف لكتاب الله من بعض الوجوه؛ قوم أفرطوا في دعوى امتناع الذنوب حتى حرفوا نصـوص القـرآن المخبرة بما وقع منهم من التوبة من الذنوب، ومغفرة الله لهم، ورفع درجاتهم بذلـك. وقـوم أفرطوا في أن ذكروا عنهم ما دل القرآن على براءتهم منه، وأضافوا إليهم ذنوبا وعيوبا نزههم الله عنها، وهؤلاء مخالفون للقرآن، وهؤلاء مخالفون للقرآن، ومن اتبع القرآن على ما هو عليه من غير تحريف كان من الأمة الوسط، مهتديا إلى الصراط المستقيم) [(٦)].

ثالثا : الموقف الوسط، وهو ما ذهب إليه أهل السنة والجماعة ومن وافقهم.

إن موقف أهل السنة والجماعة تجاه عصمة الأنبياء والرسل موقف وسط كما هو معروف من منهجهم في جميع الأمور، فهم لم يصفوا الأنبياء بما وصفهم به اليهود والنصارى وغيرهم من القبائح

---

(١) قاله رجل اسمه " أحمد أحمد نور " في كتابه (العصمة والرسل والورثة هم النذر ص : ١٤) وانظر أيضا : (ص : ٢٥) .

(٢) ذكره عنهم الرازي في (عصمة الأنبياء ص : ٢٧)؛ وفي (المحصول في علم أصول الفقه ٢٢٥/٣)؛ وشيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٣٢٠/٤)؛ والتفتازاني في (شرح العقائد النسفية ص : ٢١٦)وغيرهم .

(٣) عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي، فقيه أصولي مؤرخ، توفي سنة ٧٧١هـ . انظر : معجم المؤلفين (٢٢٥/٦) .

(٤) انظر : جمع الجوامع لابن السبكي مع شرحه للجلال المحلي وحاشية البناني عليه (١٤٥/٢) وانظر : البرهان في علوم القرآن (١٥٠/٣)؛ والبحر المحيط كلاهما للزركشي (١٦/٦) .

(٥) انظر : (ص : ٧٢٩-٧٣١) .

(٦) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١٥٠/١٥) .

والمنكرات والمعاصي، وأيضا لم ينفوا عنهم ما أثبته نصوص الكتاب والسنة عنهم من وقوع بعضهم في بعض الذنوب وتوبتهم واستغفارهم منها، وفيما يلي ذكر موقفهم في المسألة باختصار :

أ – العصمة عن الكبائر دون الصغائر .

لا شك أن الأنبياء والرسل – عليهم السلام – من البشر، يحملون كل خصائص البشرية، فهم بمقتضى بشريتهم قد يصدر من بعضهم بعض الذنوب والمعاصي ولكنها لا تكون من كبائر الذنوب كالزنا والسرقة والكذب والخيانة وشرب الخمر ...بل تكون من الصغائر فهم معصومون من الذنوب الكبيرة مطلقا، فلا تصدر عنهم هذه القبائح، لا عمدا ولا سهوا، بحفظ الله وعصمته لهم، وأما التي قد يقع فيها بعضهم إنما تكون من الصغائر.

قال ابن عبد البر : (معلوم أن رسول الله ﷺ لم يكفر عنه إلا الصغائر من الذنوب لأنه لم يأت كبيرة قط، لا هو ولا أحد من أنبياء الله ؛ لأنهم معصومون من الكبائر صلوات الله عليهم) [1].

قال القرطبي : (اختلف العلماء في هذا الباب، هل وقع من الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين صغائر من الذنوب، يؤاخذون بها ويعتبون عليها أم لا ؟ بعد اتفاقهم على أنهم معصومون من الكبائر، ومن كل رزيلة فيها شين ونقص إجماعا ...) [2] وقال أيضا : (الأنبياء معصومون من الكبائر ومن الصغائر التي فيها رذيلة إجماعا) [3].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : (إن القول بأن الأنبياء معصومون عن الكبائر دون الصغائر، هو قول أكثر علماء الإسلام وجميع الطوائف حتى إنه قول أكثر أهل الكلام كما ذكر أبو الحسن الآمدي أن هذا قول أكثر الأشعرية وهو أيضا قول أكثر أهل التفسير والحديث والفقهاء بل هو لم ينقل عن السلف والأئمة والصحابة والتابعين وتابعيهم إلا ما يوافق هذا القول) [4].

وقال الحافظ ابن حجر : (الأنبياء معصومون من الكبائر بالإجماع) [5].

الحاصل : أن الأنبياء والرسل عليهم السلام قد يصدر من بعضهم بعض الذنوب ولكنها

---

(١) التمهيد (٣/٢٦٦) .

(٢) الجامع لأحكام القرآن (١/٣٠٨) .

(٣) المصدر السابق (٣/٢٩٩) .

(٤) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٤/٣١٩) .

(٥) فتح الباري (٨/٦٩) .

تكون من الصغائر ولا تكون من الكبائر فإنهم معصومون عن الكبائر كلها بالاتفاق .

ب – العصمة عن الصغائر الخسيسة :

ومن أهل العلم من فصل في الصغائر، فيرى أن الأنبياء والرسل عليهم السلام معصومون أيضا عن الصغائر الخسيسة التي توجب الحكم على فاعله بالخسة ودناءة الهمة وسقوط المروءة كسرقة حبة أو كسرة أو لقمة [1]... كعصمتهم من الكبائر؛ لأن صدورها منهم يؤدي إلى سقوط هيبتهم من النفوس، والتنفير عنهم، وعدم الانقياد لهم، وهو خلاف مقتضى الحكمة من البعثة لهم .

قال القاضي عياض : (قال بعض أئمتنا : ولا يجب على القولين [أي : العصمة عن الصغائر وعدمها] أن يختلف أنهم معصومون عن تكرار الصغائر وكثرتها؛ إذ يلحقها ذلك بالكبائر، ولا في صغيرة أدت إلى إزالة الحشمة، وأسقطت المروءة، وأوجبت الإزراء والخساسة، فهذا أيضا مما يعصم عنه الأنبياء إجماعا) [2].

وقال القرطبي : (الأنبياء معصومون من الكبائر ومن الصغائر التي فيها رذيلة إجماعا) [3].

وقال النووي : (لا خلاف أنهم معصومون من الصغائر التي تزري بفاعلها، وتحط مترلته، وتسقط مروءته) [4].

ج – العصمة عن تعمد الصغائر :

إن هذه الذنوب الصغائر التي قد يقع فيها بعض الأنبياء تكون في الغالب من جهة النسيان أو التأويل أو الخطأ الغير المتعمد؛ لأن الأنبياء والرسل هم أعلم الخلق بالله، وأتقاهم لله، وأخشاهم له سبحانه وتعالى، فهم أعلى وأرفع من أن يتعمدوا معصية الله وأن يرتكبوا الذنوب عمدا ولو كانت صغيرة .

قال الرازي : (إن الأنبياء – عليهم الصلاة والسلام – معصومون في زمان النبوة عن الكبائر والصغائر بالعمد) [5].

---

(١) انظر : الإحكام في أصول الأحكام للآمدي (١/١٥٧) .

(٢) الشفا في تعريف حقوق المصطفى (٢/٧٨٧) .

(٣) الجامع لأحكام القرآن (٣/٢٩٩) .

(٤) شرح النووي لصحيح مسلم (٣/٥٤) .

(٥) عصمة الأنبياء (ص : ٢٨) .

وقال الدكتور شاكر عطية : (والسابقون بالخيرات من المؤمنين، المنتهون عن مناهي الله قــد بــلغ بهم الخوف من الله إلى حد أنه لا يفقدهم حيث أمرهم، ولا يراهم حيث نهــاهم، فالأنبياء عليهم الصلاة والسلام أكثر خوفا من الله، وأسرع امتثالا له، وأحرص على إرضائه، فلا يتعمدون ترك مأمور، أو فعل منهي عنه، وإن كان صغيرة)[1] .

د – العصمة على الإقرار على الذنوب مطلقا .

إن هذه الصغائر التي قد يقع فيها بعض الأنبياء خطأً أو نسيانا أو تأويلا [2]، وقد لا تكون من الذنــوب بالنسبة لغيرهم [3] ولكنهم قد يعاتبون عليها لرفعة مقامهم وعلو مرتبتهم، ومع ذلك لا يقرون عليها بل الله سبحانه وتعالى ينبههم عليها ويوفقهم للتوبة منها ويتوب عليهم [4].

ولذلك لم يذكر الله سبحانه وتعالى في القرآن شيئا من ذلك عن نبي من الأنبياء إلا مقرونا بالتوبة والاستغفار[5]، فقال تعالى عن آدم وزوجته – عليهما السلام – : ﴿ قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين ﴾[6] وقال تعالى عن نوح عليه السلام أنه قال : ﴿ رب إني أعوذ بك أن أسألك ما ليس لي به علم وإلا تغفر لي وترحمني أكن من الخاسرين ﴾[7] وقال تعالى عن موسى عليه السلام : ﴿ قال رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له ﴾ [8] وقال تعالى عن داود عليه السلام : ﴿ وظن داود أنما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعا وأناب * فغفرنا له ذلك ﴾ [9].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : (والقول الذي عليه جمهور الناس، وهو الموافق للآثار المنقولة عن السلف إثبات العصمة من الإقرار على الذنوب مطلقا، والرد على من يقول :

---

(١) مواقف القرآن من عصمة الأنبياء بواسطة كتاب : عصمة الأنبياء للدكتور محمد أبو النور الحديدي (ص : ١٢٤) وهو لم يذكر الصفحة من الكتاب الذي أحال إليه .

(٢) انظر : منهاج السنة النبوية (٤٢٧/٢) .

(٣) انظر : المصدر السابق (٤٢١/٢) .

(٤) انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٣٠٩/١٠) .

(٥) انظر : المصدر السابق (٢٩٦/١٠) .

(٦) الأعراف الآية : ٢٣

(٧) هود الآية : ٤٧

(٨) القصص الآية : ١٦

(٩) ص الآيتان : ٢٤-٢٥

إنـــه يجوز إقرارهم عليها، وحجج القائلين بالعصمة إذا حررت إنما تدل على هذا القول، وحجج النفاة لا تدل على وقوع ذنب أقر عليه الأنبياء) [1].

خلاصة قول أهل السنة والجماعة في المسألة : أن الأنبياء والرسل عليهم السلام قد يقع من بعضهم بعض الذنوب والمعاصي من غير أن يقصدوا ويتعمدوا بها معصية الله تعالى وهي لا تكون من الكبائر والصغائر الخسيسة بإجماعهم، وإنما تكون من الصغائر، مع ذلك هم لا يقرون عليها بل ينبهون عليها ويوفقون للتوبة والاستغفار منها، وهذا هو القول الراجح من أقوال أهل العلم في المسألة، وهو الموافق لما دلت عليه الأدلة من الكتاب والسنة والله أعلم بالصواب .

شبهتان والجواب عنهما :

الذين يرون عدم وقوع الصغائر من الأنبياء ويستعظمون نسبتها إليهم لهم شبهتان في ذلك يتعلقون بهما [2]:

الأولى : أن الله سبحانه وتعالى أمر باتباع الرسل والتأسي بهم، والأمر باتباع الرسول يستلزم أن لا يكون في أفعال الرسول وأقواله شيء من المعصية؛ لأنه لو جاز من الرسول وقوع المعصية لحصل تناقض في واقع الحال؛ إذ يقتضي أن يجتمع في هذه المعصية التي وقعت من الرسول أمران متناقضان : الأمر بفعلها والنهي عنها : الأمر بفعلها لأننا مأمورون بالتأسي بالرسول، والنهي عنها لأنها معصية منهي عنها، فلا يمكن أن يأمر الله عبدا بشيء في حال أنه ينهاه عنه .

وقولهـــم هـــذا لا يكون صحيحا إلا إذا بقيت معصية الرسول خافية غير ظاهرة بحيث تختلط الطاعة بالمعصية، ولكن معصية الرسول لا تبقى خافية بل الله سبحانه وتعالى ينبه رسله وأنبياءه على ما وقـــع منهم من مخالفات ويوفقهم للتوبة منها، من غير تاخير، والتأسي بهم إنما هو مشروع فيما أقروا عليه دون ما نهوا عنه ورجعوا عنه، فما ذكروه لا يصلح دليلا لما ذهبوا إليه بل فيه أمر بالتأسي بالرسل في الإسراع إلى التوبة عند وقوع المعصية وعدم التسويف في هذا، كما فعل الرسل عليهم السلام .

الثانية : الذنوب تنافي الكمال وأنها ممن عظمت عليه النعمة أقبح، وأنها توجب التنفير وهذا كله مناف لمقام الأنبياء والرسل ودعوتهم .

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٢٩٣/١٠) .

(٢) انظر الشبهتين مع الجواب عنهما في : مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٢٩٣/١٠-٣١٠ و١٤٨/١٥)؛ وعنه نقله الدكتور عمر الأشقر في (الرسل والرسالات ص : ١٠٩-١١١) .

وهـــذا اســـتدلال غـــير صحيح لأن الذنوب تنافي الكمال وتوجب اللوم والتنفير إذ بقي صـــاحبها مســـتمرا عليها، ملازما لها، لا يتوب منها ولا يرجع عنها، والأنبياء والرسل عليهم السلام ليسوا كذلك بل هم إن حصل منهم شيء من المعصية يندمون عليها ويبادرون إلى التوبة والاســـتغفار منها، ويسرعون إلى التضرع والالتجاء إلى الله سبحانه وتعالى، وهو سبحانه يحب التوابين والمستغفرين والأوابين والمتضرعين إليه ويفرح بهم، ويرفع من شأنهم ودرجاتهم، ويبدل سيئاتهم حسنات تفضلا وكرما منه سبحانه وتعالى، فوقوعهم في بعض الذنوب مع توبتهم عنها لا يوجب التنفير منهم ولا ينافي كمالهم ومقامهم بل هذا من أسباب ما يرفع الله به من شأنهم .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : (والذنوب إنما تضر أصحابها إذا لم يتوبوا منها، والجمهور الذين يقولون بجواز الصغائر عليهم يقولون : إنهم معصومون من الإقرار عليها، وحينئذ فما وصفوهم إلا بما فيه كمالهم؛ فإن الأعمال بالخواتيم، مع أن القرآن والحديث وإجماع السلف معهم) [1].

خلاصة ما سبق : أن الأنبياء والرسل عليهم السلام لهم من الله عناية خاصة قبل نبوتهم، وأنهم معصـــومون قبل النبوة من الجهل بالله والكفر والشرك به سبحانه وتعالى، والقرائن المحتفة بهم قبل النـــبوة تدل على بعدهم عن كل ما يخل بمروءتهم ويشينها والتي يمكن أن يعابوا بها بعد النبوة. وأن عناية الله سبحانه وتعالى بهم تزداد بعد نبوتهم واختيارهم لرسالته، وأنهم معصومون في كل ما يتعلق بإخبارهم عن الله وتبليغهم لرسالته سبحانه، فلا يستقر فيها شيء من الباطل باتفاق المسلمين، وأنهم معصـــومين عن الكبائر والصغائر الخسيسة بإجماع من يعتد به منهم، وكذلك هم معصومون عن تعمد الذنوب والإقرار عليها مطلقا، وهذا هو المذهب الوسط الذي ذهب إليه أهل السنة والجماعة، الموافق لما دلت عليه نصوص الكتاب والسنة والله أعلم بالصواب .

---

(١) منهاج السنة النبوية (٢/٤٠٠) .

المطلب الثالث : اختصاص العصمة بالأنبياء .

لقد اتفق أهل العلم بالكتاب والسنة على اختصاص العصمة بالأنبياء والرسل عليهم السلام وعدم مشاركة غيرهم فيها، فلا عصمة لأحد بعد الأنبياء والرسل عليهم السلام، حتى أفضل هذه الأمة بعد نبيها محمد ﷺ - الصحابة الذين هم سادات الأولياء وكبار الأتقياء وفيهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي – رضي الله عنهم جميعا – ولكن ليس فيهم من هو معصوم عصمة النبي ﷺ بل كل واحد منهم معرض للخطأ والصواب .

قال الخليفة الراشد الأول أبو بكر الصديق ﷺ في أول خطبة خطبها بعد توليه الخلافة بعد ما حمد الله وأثنى عليه سبحانه بما هو أهله ثم قال : (أما بعد ! أيها الناس فإني قد وليت عليكم، ولست بخيركم. فإن أحسنت فأعينوني، وإن أسأت فقوموني ... أطيعوني ما أطعت الله ورسوله، فإذا عصيت الله ورسوله، فلا طاعة لي عليكم ...) [1].

وقال مجاهد : (ليس أحد من خلق الله إلا وهو يؤخذ من قوله ويترك؛ إلا النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم) [2].

وقال الإمام مالك بن أنس : (ليس أحد بعد النبي – صلى الله عليه وعلى آله وسلم – إلا ويؤخذ من قوله ويترك إلا النبي – صلى الله عليه وعلى آله وسلم) [3].

وقال الإمام أحمد : (ليس أحد إلا ويؤخذ من رأيه ويترك ما خلا النبي ﷺ) [4].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : (اتفق المسلمون على أن كل أحد من الناس : يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله ﷺ، وإن كانوا متفاضلين في الهدى والنور والإصابة) [5].وقال

---

(١) هذا الأثر له عدة طرق إلى أبي بكر الصديق ﷺ، وأحسنها ما أخرجه ابن حبان في الثقات (١٥٢/٢)، واللفظ له؛ فإن رجال إسناده ما بين ثقة وصدوق، وقريب منه ما أخرجه ابن هشام في السيرة النبوية (٢٧٦/٤) عن ابن إسحاق، ثني الزهري ثني أنس بن مالك، وأخرجه الطبري في تاريخه (٢٣٧/٢) بإسناده إلى ابن إسحاق به، وابن اسحاق صدوق في الحديث، وإمام في المغازي والسير ولا يضر كونه موصوفا بالتدليس، لأنه صرح هنا بالتحديث عن الزهري . وكذلك أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٣٦٦/١١) والطبراني في الأوسط(٢٦٧/٨ ح ٨٥٩٧) ولكن سندهما ضعيف؛ فإن في سند عبد الرزاق جهالة وانقطاعا، وفي سند الطبراني جهالة وضعفا.

(٢) رواه ابن عبد البر في (جامع بيان العلم وفضله ٩١/٢) من أربعة طرق، وصححها إليه .

(٣) رواه ابن عبد الهادي في (إرشاد السالك ٢٢٧/١) وصححه، بواسطة صفة صلاة النبي ﷺ (ص : ٢٨) .

(٤) مسائل الإمام أحمد لأبي داود (ص : ٢٧٦) .

(٥) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٢٢٧/٢) .

أيضا : (اتفق أهل العلم أهل الكتاب والسنة على أن كل شخص سوى الرسول، فإنه يؤخذ مـــن قوله ويترك إلا رسول الله ﷺ ؛ فإنه يجب تصديقه في كل ما أخبر، وطاعته في كل ما أمر، فإنه المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى) [1] .

فالمعصوم هو من لا ينطق إلا ما أوحي إليه، وليس ذلك إلا لأنبياء الله ورسله لكن هناك جماعات مـــن الـــناس انحرفت عن جادة الصواب، حادت عن سواء الصراط، فلم تجعل هذه العصمة خاصة بالأنـــبياء والرســـل الذين أمر الله بالاقتداء والتأسي بهم بل ادعت العصمة لغير الأنبياء من الأتباع، فقد ادعـــى أتـــباع المعـــز الفاطمي[2] أنه معصوم هو أولاده عن الذنوب والأخطاء [3]، كما ادعى بعض المتصوفة العصمة لشيوخهم فزعموا (أن شيخهم لا يفعل إلا حقا، ولا يقول إلا حقا) [4]، وأكثر من غـــلا في هـــذا الباب، وأوغل في بيداء الضلال والفساد هم الشيعة الذين ادعوا العصمة لعلي بن أبي طـــالب بعـــد النبي ﷺ ثم لغيره من أئمتهم، والعصمة التي ادعوها للأنبياء هي التي أثبتوها لأئمتهم، وجعلوها من دينهم وعقيدتهم وكفروا من لم يقل بكفرهم وضلالهم وغوايتهم .

قـــال المجلسي : (أصحابنا الإمامية أجمعوا على عصمة الأنبياء والأئمة من الذنوب الصغيرة والكبيرة عمدا وخطأ ونسيانا، قبل النبوة والإمامة وبعدهما، بل من وقت ولادتهم إلى أن يلقوا الله عز وجل و لم يخالف في ذلك إلا الصدوق محمد بن بابويه وشيخه ابن الوليد، فإنهما جوزا الإسهاء مـــن الله تعالى، لا السهو الذي يكون من الشيطان في غير ما يتعلق بالتبليغ وبيان الأحكام) [5].
ونقـــل إبراهـــيم الموسوي الزنجاني عن الصدوق قوله : (اعتقادنا في الأنبياء والرسل والأئمة والملائكـــة أنهم معصومون مطهرون من كل دنس؛ فإنهم لا يذنبون ذنبا لا صغيرا ولا كبيرا، ولا يعصـــون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون)[6] وقال أيضا : (ومن نفى عنهم العصمة في

---

(١) منهاج السنة النبوية (٦/١٩٠-١٩١) .

(٢) معد بن إسماعيل بن سعيد، أبو تميم المعز الفاطمي، وهو أول الخلفاء الفاطميين، مات سنة ٣٢٢هـ. انظر : البداية والنهاية (١١/١٧٩) .

(٣) انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٤/٣٢٠ و٣٥/١٢٠) .

(٤) أسباب البدع ومضارها لمحمود شلتوت (ص : ٤٥) بواسطة الشرك في القديم والحديث (٢/١٠٣٥) وانظر: فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١١/٦٧)؛ ومنهاج السنة النبوية (٦/١٨٩) .

(٥) بحار الأنوار للمجلسي (٢٥/٣٥٠-٣٥١) بواسطة كتاب : الرسل والرسالات للأشقر (ص : ١١٤) .

(٦) عقائد الإمامية الاثني عشرية (ص : ١٥٧) بواسطة المصدر السابق نفسه .

شـــيء من أحوالهم فقد جهلهم، ومن جهلهم فهو كافر) [١]وقال أيضا : (اعتقادنا فيهم أنهم معصومون موصوفون بالكمال والتمام والعلم من أوائل أمورهم وأواخرها ، لا يوصفون في شيء من أحوالهم بنقص ولا عصيان) [٢]وقال الخميني [٣]: (الأئمة لا نتصور فيهم السهو أو الغفلة، ونعتقد فيهم الإحاطة بكل ما فيه مصلحة للمسلمين) [٤] ويقول عبد الله نعمة — وهو من دعاة الرافضـــة المعاصـــرين ــ : (ينظر الشيعة إلى الأنبياء و الأئمة من أهل البيت جميعا نظرة مثالية، ويحوطونهم بهالة مقدسة، لا تقتحمها الظنون والشكوك، فهم لديهم شخوص كريمة، يتجسد فيها المثل الأعلى للإنسان في الخير والحق والعدل والعلم، لا يلتوون، ولا ينحرفون، ولا يجورون، ولا يظلمون، قد تساموا بأنفسهم عن الأهواء والشهوات والمطامع والخطايا والذنوب) [٥].

فتراهم مجمعين على إثبات العصمة لأئمتهم، والعصمة التي ادعوها للأنبياء هي التي أثبتوها لأئمـــتهم[٦]، ولعلهم لم يقولوا بعصمة الأنبياء إلا تقية، أو ليجعلوا عصمة الأنبياء دهليزا لإثبات العصـــمة لأئمتهم؛ ولذلك جعل بعضهم عصمة الأئمة فوق عصمة الأنبياء بدعوى أن النبي إذا وقع في الخطأ يأتيه الوحي من السماء فيرده إلى الصواب، وأما الأئمة فلا وحي إليهم فيجب أن يكـــون على الصواب على الإطلاق بدون احتمال[٧]، ولا شك أن هذه الدعاوى كلها باطلة فاسدة ضالة، وليس من دين الله في شيء، فيما يلي الإشارة إلى بطلانها وضلالها :

أولا : إن الأنـــبياء والرســـل هم أعلم الخلق بالله وبشرعه ومرضاته، وأتقاهم له سبحانه وتعـــالى، ولا سلطان للشيطان عليهم ولا سبيل له إليهم البتة، والله سبحانه وتعالى قد صرف عـــنهم السوء والفحشاء، وإن صدر عن أحد منهم ما لا يحسن صدوره عن مثلهم نبههم ربهم

(١) المصدر السابق بواسطة المرجع السابق .

(٢)عقائد الإمامية الاثني عشرية (ص : ١٥٧) بواسطة كتاب : الرسل والرسالات للأشقر (ص : ١١٤) .

(٣) هـــو روح الله الخميني، رافضي حاقد خبيث، من قواد الثورة الرافضية في إيران، هلك سنة ١٩٨٩م. انظر : المنجد (الأعلام ، ص : ٢٣٤) .

(٤) الحكومة الإلهية (ص : ٩١) بواسطة كتاب : الرسل والرسالات للأشقر (ص : ١١٤) .

(٥) روح التشيع لعبد الله نعمة (ص : ٤٠٩) بواسطة : الشرك في القديم والحديث (١٠٣٢/٢) .

(٦) انظر ما ذكره عنهم الشيخ أبو بكر جابر الجزائري في (رسالة أخوية تقدم لإخوة الإسلام الشيعة ص : ١٥).

(٧) انظر : ما ذكره عنهم أبو الحسن الأشعري في المقالات (ص : ٤٧-٤٨)، ونقله شيخ الإسلام ابن تيمية في منهاج السنة النبوية (٣٩٤/٢) .

عـــليه، وويخهـــم وعاتبهم، وهداهم للتوبة والاستغفار، وحماهم من الإصرار عليه والاستمرار، وعفا عنهم وغفر لهم ذلك، ولذلك كانت للأنبياء والرسل من العزة والمناعة والحفظ والحصانة والعصمة والعناية الإلهية ما لم تحصل لغيرهم من الناس وهذه كلها فضائل عظيمة اختص الله بها أنبياءه ورسله دون غيرهم، فلا يصح إشراك غيرهم فيما اختصهم الله سبحانه وتعالى به .

ثانيـــا : قال تعالى بعد أن ذكر جماعة عن الأنبياء والمرسلين : ﴿ أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده ﴾ [1] وقال تعالى : ﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ﴾ [2] .

فالله سبحانه وتعالى جعل الأنبياء والرسل أسوة للناس وأمر أتباعهم بالاقتداء والتأسي بهم أمرا عامـــا، وجعــل أعمال الأنبياء وأقوالهم ميزانا توزن به أعمال أتباعهم لمعرفة مدي الخطأ فيها من الصواب، و لم يأمر بالاقتداء والتأسي بأحد من الأتباع لكونه غير معصوم معرضا قوله وعمله للخطأ والصواب، فأمر الله بالتأسي بالرسل دون سواهم يدل على اختصاصهم بالعصمة دون غيرهم .

ثالثا : قال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا ﴾ [3] .

فالله سبحانه وتعالى أمر المؤمنين بطاعته وطاعة رسوله، كما أمرهم أيضا بطاعة أولي الأمـــر منهم، ولكنه سبحانه أمر عند التنازع والاختلاف بالرد إلى الله ورسوله فقط و لم يأمر بالرد إلى أولى الأمر لأن طاعتهم ليست على الإطلاق بل مشروطة بطاعة الله وطاعة رسوله، فلو كان أحد من أئمة الشيعة أو شيوخ المتصوفة أو معد بن تميم الفاطمي أو أحد مـــن أولاده معصوما لأمر الله بالرد إليه عند الاختلاف، و لم يأمر بالرد إلى الله والرسول فقط، فعدم أمره تعالى بالرد إلى أحد منهم عند التنازع دليل على عدم عصمتهم [4] .

رابعا : المعصوم لا تجوز مخالفته بل تجب طاعته مطلقا بلا قيد، وهذه المترلة لم يثبتها الله تعالى لأحد من البشر إلا لرسوله الكريم ﷺ .

---

(١) الأنعام الآية : ٩٠

(٢) الأحزاب الآية : ٢١

(٣) النساء الآية : ٥٩

(٤) انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١٢١/٣٥)؛ ومنهاج السنة النبوية (١٨٩/٦-١٩٠) .

قال تعالى : ﴿ ومن يعص الله ورسوله فإن له نار جهنم خالدين فيها أبدا ﴾ [١] وقال تعالى : ﴿ ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا ﴾ [٢] وقال تعالى : ﴿ من يطع الرسول فقد أطاع الله ﴾ [٣] وقال النبي ﷺ : ((من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله ...)) [٤] .

فهذه النصوص من الكتاب والسنة تدل على أن من أطاع الرسول و لم يعصه كان من أهل السعادة على الإطلاق، وأن الرسول ﷺ هو الذي فرق الله به بين أهل الجنة وأهل النار، وبين الأبرار والفجار، فلا يعلم الحق من الباطل، والرشاد من الغي، والهدى من الضلال إلى عن طريق الرسول المعصوم ﷺ، فلا تصح دعوى العصمة لأحد بعده [٥].

خامسا : لقد اتفق المسلمون على أن كل شخص بعد الرسول ﷺ غير معصوم فيؤخذ من قوله ويرد، فادعاء الشيعة العصمة بعد النبي ﷺ لعلي بن أبي طالب ﷺ ولمن بعده من أئمتهم ليس من عمل المسلمين واعتقادهم؛ فإنه لم ينقل ذلك عن أحد له في الأمة لسان صدق أو عقل محمود [٦].

سادسا : انفراد الشيعة دون المسلمين بدعوى العصمة بعد النبي ﷺ لعلي بن أبي طالب ولمن بعده من أئمتهم شبيه بما فعلت طائفة الكاثوليك من النصارى حيث ادعوا العصمة بعد عيسى عليه السلام لبطرس لزعمهم أنه مؤسس كنيستهم وزعيمها، وأنه كان خليفة المسيح عليه السلام ونائبه على وجه الأرض ثم لم يقتصروا في دعوى العصمة لبطرس بعد المسيح عليه السلام بل جعلوها تمتد وتستمر إلى من بعده من الخلفاء والباباوات حتى جعلوا من أقوال الباباوات أمورا واجبة وشرائع لازمة لهم، بحيث لا يجوز لأحد منهم مخالفتها ومعارضتها بأي حال من الأحوال . فقررت الكنيسة الكاثوليكية عصمة باباواتها بشكل رسمي في

---

(١) الجن الآية : ٢٣

(٢) النساء الآية : ٦٩

(٣) النساء الآية : ٨٠

(٤) جزء من حديث صحيح من أحاديث أبي هريرة ﷺ، أخرجه البخاري ومسلم وقد سبق تخريجه في (ص : ٥٠) .

(٥) انظر :مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١٢١/٣٥-١٢٢)؛ ومنهاج السنة له (١٩٠/٦-١٩١).

(٦) انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٢٢٧/٢ و ١٢٦/٣٥) .

المجمع الفاتيكاني الأول المنعقد فيما بين عامي ١٨٦٩م و ١٨٧٠م [١].

سابعا : هؤلاء الأئمة الذين ادعت لهم الشيعة العصمة لم يكونوا يقولون بالعصمة لأحد بعد الرسول ﷺ، كما لم يدعوا العصمة لأنفسهم، ولا ادعاه لهم غيرهم من أقرانهم وأصحابهم الأخيار، بل كلهم كانوا يعتقدون العصمة فيما ثبت مجيئه عن طريق الوحي المتمثل في كتاب الله وأحاديث رسوله ﷺ فكانوا به يحكمون وإليه يرجعون وعنده يقفون .

فقد روي عن علي بن أبي طالب ﷺ أنه قال : (ألا إني لست بنبي، ولا يوحى إلي، ولكني أعمل بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ ما استطعت، فما أمرتكم من طاعة الله، فحق عليكم طاعتي فيما أحببتم وكرهتم) [٢].

ثامنا : المعصوم يجب اتباعه من غير دليل، ولا تجوز مخالفته، وأما غير المعصوم فجائرة مخالفته بل تجب مخالفته إذا علمنا أنه خالف النص؛ لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، وقد كان علي ابن أبي طالب وابناه وغيرهم يخالف بعضهم بعضا في العلم والفتيا، كما يخالف سائر أهل العلم بعضهم بعضا، ولو كانوا معصومين لكان مخالفة المعصوم للمعصوم ممتنعة، ولقد كان الحسن في أمر القتال يخالف أباه، ويكره كثيرا مما يفعله، ويرجع علي ﷺ في آخر الأمر إلى رأيه، وتبين له في آخر عمره أنه لو فعل غير الذي فعله لكان هو الأصوب، وله فتاوى رجع ببعضها عن بعض، والمعصوم لا يكون له قولان متناقضان، إلا أن يكون أحدهما ناسخا للآخر، وقد وصى الحسن أخاه الحسين بأن لا يطيع أهل العراق، ولا يطلب هذا الأمر، ولو كان معصوما لما جاز للحسين مخالفته [٣].

يتبين مما سبق أن دعوى الشيعة العصمة لأئمتهم بعد النبي ﷺ دعوى باطلة مخالفة لدلالة الكتاب والسنة وإجماع المسلمين ومخالفة لأحوال الأئمة الذين ادعوا لهم العصمة ومخالفة لأقوالهم وفتاواهم .

وأما دعوى بعض المتصوفة العصمة لشيخهم ودعوى أتباع المعز العصمة له ولأولاده

---

(١) انظر تفصيله مع الرد المفصل عليه في كتاب : مصادر النصرانية دراسة ونقدا (ص : ٦٠٩-٦٢٤) .

(٢) أخرجه حم (٤٦٩/٢ ح : ١٣٧٧)؛ وكم (معرفة الصحابة ١٢٣/٣)؛ وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه وتعقبه الذهبي فقال : " الحكم وهاه ابن معين "، فسنده ضعيف لأجل الحكم بن عبد الملك البصري ولكن معناه صحيح .

(٣) انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١٢٥/٣٥-١٢٦) .

فـــأبعد وأبطـــل مـــن دعوى الشيعة، فإن الذين ادعت لهم الشيعة العصمة بعضهم من كبار السـادات، ومشهود لهم بالإيمان والتقوى والعمل الصالح، وبعضهم مبشر بالجنة على لسان أصـدق البرية، فإذا كان دعوى العصمة فيهم باطلة، فكيف تصح دعوى العصمة لمن دونهم مـن شـيوخ المتصوفة أو غيرهم ؟ فكل تلك الوجوه المذكورة في بيان بطلان دعوى الشيعة العصـمة لأئمـتهم تدل على بطلان دعوى المتصوفة العصمة لشيوخهم وكذلك تدل على بطـلان دعوى أتباع المعز العصمة له ولأولاده، ويزداد بطلان دعوى أتباع المعز العصمة له ولأولاده بـأنهم كـانوا أهل كذب ونفاق وزندقة وإلحاد فكيف (تكون العصمة في ذرية [عبيد الله بن ميمون القداح[1]] مع شهرة النفاق والكذب والضلال...، وكيف يدعى العصمة مـن ظهرت عنه الفواحش والمنكرات، والظلم والبغي، والعدوان والعداوة لأهل البر والتقوى مـن الأمـة، والاطمئنان لأهل الكفر والنفاق؟! فهم من أفسق الناس، ومن أكفر الناس. وما يدعى العصمة في النفاق والفسوق إلا جاهل مبسوط الجهل، أو زنديق يقول بلا علم) [2].

الحاصـل : إن الله سبحانه وتعالى عصم أنبياءه ورسله عصمة خاصة، ومن زعم أن أحدا بعد النبي ﷺ معصوم كعصمة النبي ﷺ فهو مخالف لدلالة الكتاب والسنة، ومخالف لإجماع المسلمين وعقيدتهم، والله أعلم بالصواب .

---

(١) كان الفاطميون يدعون أنهم من نسل علي بن أبي طالب رضي الله عنه ولكن الأمر عكس ذلك بل هم من سلالة يهودية ومن نسب عبيد الله بن ميمون القداح، وعبيد الله لقب له واختلف في اسمه وكان والده يهوديا . انظر : البداية والنهاية (١١/١٧٩-١٨٠) .

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٣٥/١٢٧) .

المطلب الرابع : شبهات حول عصمة النبي آدم عليه السلام والجواب عنها.

إن آدم عليه السلام لا شك أنه نبي من الأنبياء فهو معصوم كغيره من الأنبياء، ولكن هناك شبهات أثيرت حول عصمته عليه السلام، وفيما يلي ذكرها مع بيان الجواب عنها والله الموفق .

الشـــبهة الأولى :إن أول شـــبهة تثار حول عصمة نبي الله آدم عليه السلام هي أكله من الشجرة المحرمة في الجنة مع النهي الأكيد والتحذير الشديد من الله له عنها .

وقد أجاب عن ذلك أهل العلم بعدة أجوبة وتوجيهات، وقد مضى ذكر بعضها مع بيان ما لها وما عليها [1]، والآن أكتفي بذكر الأصح منها، مع الزيادة عليها، من خلال أقوال تالية :

القـــول الأول : إن آدم عليه السلام لمـــا أكل من الشجرة المحرمة لم يكن جعل نبيا في ذلك الوقت، وإنما جعل نبيا بعد ذلك، ويدل على ذلك قوله تعالى : ﴿ وعصى آدم ربه فغوى * ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى ﴾ [2].

فالظاهـــر مـــن الآيتين أن آدم عليه السلام جعل نبيا بعد معصيته بأكله من الشجرة المحرمة، وتوبته إلى الله منها، ومغفرة الله له؛ لأن الله سبحانه وتعالى ذكر معصية آدم أولا ثم ذكر اجتباءه وتوبته عليه، وفصل بينهما بأداة " ثم " التي تدل على التراخي والمهلة والفصل بين الأمرين، وعلى هذا يكون أكله من الشجرة المحرمة قبل أن يكرمه الله بالنبوة .

قال الشيخ محمد رشيد رضا : (إن تلك مخالفة صدرت منه قبل أن يدركه عزم النبوة كمـــا قـــال جل شأنه : ﴿ فنسي ولم نجد له عزما ﴾ [3]. والاتفاق إنما هو على العصمة عن مخالفة الأوامر بعد النبوة) [4] وقد ذهب إلى المسلك قبله الرازي [5]والأدكاوي [6].

---

(1) انظر : (ص : ٤٣٤-٤٣٧و ٤٥٨-٤٦٥) .

(2) طه الآيتان : ١٢١-١٢٢

(3) طه الآية : ١١٥

(4) تفسير القرآن الحكيم (١/٣٨٠) .

(5) انظر : التفسير الكبير (٣/١٢)؛ وعصمة الأنبياء (ص : ٣٧) .

(6) انظر : موسوعة الأسماء والأعلام المبهمة في القرآن الكريم (١/٦٣) .

وعلى هذا، أكله من الشجرة المحرمة لا يتعارض مع القول الصحيح في عصمة الأنبياء، إذ لم يقل بعصمتهم عن المعاصي مطلقا قبل النبوة إلا الروافض وهو مذهب باطل كما سبق بيانه [1]، والله أعلم بالصواب .

القول الثاني : إن آدم ﷺ لم يقصد بالأكل معصية ربه، ولكنه أكل من الشجرة المحرمة متأولا، فحمل النهي المطلق على شجرة معينة فتركها، وتناول من شجرة أخرى من نوعها، فوقع في مخالفة الأمر اجتهادا وتأويلا منه، لا عن سابق تعمد أو إصرار على المخالفة [2]. وقال ابن العربي عن هذا التوجيه بأنه أظهر الأقوال [3].

القول الثالث : إن آدم ﷺ لما قاسمه عدو الله أنه ناصح، وأخرج له الكلام على أنواع متعددة من التأكيد[4]، فقال كما أخبر الله تعالى عنه : ﴿ وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين ﴾ [5] ولم يكن آدم ﷺ يظن أن أحدا يقسم بالله كاذبا يمين غموس يتجرأ فيها على الله هذه الجرأة ، فغره عدو الله بهذا التأكيد والمبالغة والحلف بالله تعالى فظن آدم صدقه [6]، ونسي عهد الله به، فأكل من الشجرة ووقع في مخالفة الأمر من غير أن يقصد المخالفة والمعصية لربه جل وعلا، ولذلك قال تعالى عنه : ﴿ لقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزما ﴾ [7].

فالله سبحانه وتعالى أخبر وهو أعلم بما في أنفس عباده أن أكل آدم ﷺ من الشجرة كان عن نسيان ولم يكن عن قصد وعمد منه ﷺ، ووقوع الخطأ من غير عمد ولا إصرار جائز على الأنبياء حتى بعد النبوة على القول الصحيح الموافق للكتاب والسنة [8] إلا أنهم يسرعون في التوبة

---

(1) انظر : (ص : ٧٢٩-٧٣١) .

(2) انظر : التفسير الكبير (١٣/٣)؛ والصواعق المنزلة (٢١٢/١) .

(3) انظر : أحكام القرآن (١٨/١-١٩) .

(4) انظر أوجه التأكيد والمبالغة في (ص : ٤٦٤) .

(5) الأعراف الآية : ٢١

(6) انظر : إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (١١٣-١١٤)؛ والصواعق المنزلة (٢١٤/١) .

(7) طه الآية : ١١٥

(8) انظر : (ص : ٧٢٩-٧٣١و٧٥٥-٧٥٦) .

إلى الله تعالى، وآدم ﷺ لم يتعمد المعصية بالأكل من الشجرة، وإنما وقع فيها متأولا؛ فأخطأ في تأويله أو ناسيا لأمر ربه وعهده به، ثم إنه أسرع في التوبة، وبادر إلى الله سبحانه وتعالى بطلب المغفرة، والله سبحانه قد تاب عليه وغفر له؛ فلا لوم على آدم ﷺ في ذلك، وهذا الذي اختاره القرطبي[1] وابن العربي في أحد قوليه [2] وغيرهم [3]وهو الأظهر، والله أعلم بالصواب .

الشـــبهة الثانية : قد فهم بعض المفسرين من المتقدمين والمتأخرين أن آدم عليه السلام حصل مـــنه شرك، وذلك لقوله تعالى :﴿ هوالذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها فلما تغشاها حملت حملا خفيفا فمرت به فلما أثقلت دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحا لنكونن من الشاكرين * فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما فتعالى الله عما يشركون * أيشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون ﴾ [4] .

وســـاندهم عـــلى هذا الفهم ما روي عن سمرة بن جندب ﷺ عن النبي ﷺ قال : لما حمـــلت حواء طاف بها إبليس، وكان لا يعيش لها ولد، فقال : سميه عبد الحارث. فسمته عبد الحارث، فعاش ذلك، وكان ذلك من وحي الشيطان وأمره [5].

وتـــأكد ذلـــك لديهـــم بمـــا حكـــي من الآثار عن السلف مثل أبي بن كعب[6]

---

(1) انظر : الجامع لأحكام القرآن (١/٣٠٦ و ٦/١٤١) .

(2) انظر : أحكام القرآن (١/١٨-١٩) .

(3) انظـــر : عصمة الأنبياء للحديدي (ص : ٢٣٦)؛ والنبوة والأنبياء للصابوني (ص : ٦٦)؛ التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج (١/١٤٢) .

(4) الأعراف الآيات : ١٨٩-١٩١

(5) أخرجه حم (٣٣/٣٠٥ ح : ٢٠١١٧)؛ و ت (تفسير القرآن، سورة الأعراف ٥/٢٦٧ ح : ٣٠٧٧)، واللفظ له؛ وابن جرير في تفسيره (٩/١٤٦)؛ وتاريخه (١/٩٣) والطبراني في الكبير (٧/٢١٥ ح : ٦٨٩٥)؛ وابن عدي في الكـــامل (ترجمة : عمر بن إبراهيم البصري، ٥/٤٣)؛ وكم (التأريخ ٢/٥٤٥)؛ والروياني في مسنده (٢/٥٢ ح : ٨١٦) كلهم من طريق عمر بن إبراهيم عن قتادة عن الحسن عن سمرة مرفوعا . قال الترمذي : (هذا حديث حسن غريب لا نعرفه مرفوعا إلا من حديث عمر بن إبراهيم عن قتادة ورواه بعضهم عن عبد الصمد و لم يرفعه، عمر بن إبراهيم شيخ بصري) وقال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه ووافقه الذهبي هنا !، وكذلك صححه الشيخ فريح بن صالح البهلال في (تخريج أحاديث منتقدة في كتاب التوحيد لشيخ الإسلام : محمد بن عبد الوهاب ص : ١١٢) ولكن فيما يظهر لي أنه غير صحيح إلى النبي ﷺ، وسيأتي بيانه إن شاء الله .

(6) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٥/١٦٣٣ برقم : ٨٦٥٣) بإسناده إليه، فقال : حدثنا أبي، ثنا أبو الجُماهِر[محمد بن عـــثمان التنوخي]، أنبأ سعيد بن بشير عن عقبة عن قتادة عن مجاهد عن ابن عباس عن أبي بن كعب من قوله. وهذا ←

وعبد الله بن عباس[1]

الإسناد قال عنه الشيخ سليمان بن عبد الله آل الشيخ في (تيسير العزيز الحميد ص : ٦٣٥) : (إسناده صحيح)، ووافقه على ذلك الشيخ فريح بن صالح البهلال في (تخريج أحاديث منتقدة في كتاب التوحيد ص : ١١٥و ١١٦) ولكنه إسناد ضعيف؛ فإن فيه سعيد بن بشير، وهو الأزدي وجمهور الأئمة على تضعيفه، وكذلك فيه عقبة، وهو الأصم العبدي كاد أن يتفق الأئمة على تضعيفه . انظر أقوال الأئمة في : تهذيب التهذيب (٢٩١/٢ برقم : ٢٦٧٤، ترجمة سعيد الأزدي)، و (١٥٥/٤ برقم : ٥٣٤٢، ترجمة عقبة بن عبد الله الأصم) وغيرها من المصادر التي ترجمت لهما .

(١) روي معنى هذا الحديث عن ابن عباس من ستة طرق فيما وقفت عليه : **الأولى** : وهي التي تقدمت في الهامش السابق، **والثانية** : أخرجها ابن أبي حاتم في تفسيره (١٦٣٤/٥ رقم : ٨٦٥٤) فقال : ثنا علي بن الحسين، ثنا محمد بن علي بن حمزة، ثنا حبان، عن عبد الله بن المبارك عن شريك عن خصيف عن سعيد بن جبير عن ابن عباس من قوله، وهذا الإسناد فيه شريك بن عبد الله القاضي النخعي، وهو صدوق يخطئ كثيرا، تغير حفظه منذ ولي القضاء و لم يتبين لي متى أخذ عنه ابن المبارك قبل الاختلاط أو بعده، وكذلك فيه خصيف بن عبد الرحمن الجزري اختلفت كلمة الأئمة حوله توثيقا وتجريحا وأعــدل كلمة ما قاله ابن حبان في المجروحين (٢٨٧/١ برقم : ٣١٥) : (تركه جماعة من أئمتنا واحتج به آخرون، وكان شيخا صالحا فقيها عابدا إلا أنه كان يخطئ كثيرا فيما يروي وينفرد عن المشاهير بما لا يتابع عليه، وهو صدوق في روايته إلا أن الإنصاف فيه قبول ما وافق الثقات في الروايات، وترك ما لا يتابع عليه) وقريب منه ما قال عنه ابن عدي في الكامل (٧٢/٣) : ولخصيف نسخ وأحاديث كثيرة ... وإذا حدث عن خصيف ثقة فلا بأس بحديثه ورواياته إلا أن يــروي عنه عبد العزيز بن عبد الرحمن ..فإن رواياته عنه بواطيل، والبلاء من عبد العزيز لا من خصيف . أهـــ بتصرف ولذلك قال عنه الحافظ ابن حجر : (صدوق سيئ الحفظ خلط بأخرة ورمي بالإرجاء) . فالخصيف نفسه سيئ الحفظ مختــلط و لم يتبين لي متى أخذ عنه شريك القاضي الراوي عنه قبل الاختلاط أو بعده وكذلك شريك أيضا مختلط يخطئ كثيرا و لم يتبين لي متى أخذ عنه ابن المبارك قبل الاختلاط أو بعده، وعلى هذا لا يمكن تصحيح هذا الإسناد أو تحسينه والله أعــلم بالصواب . **الثالثة** : أخرجها سعيد بن منصور في سننه (١٧٣/٥ برقم : ٩٧٣ [بتحقيق د. سعد آل حميد]) فقال : نا عتاب بن بشير، نا خصيف عن مجاهد وسعيد عن ابن عباس من قوله، وفي هذا الإسناد أيضا خصيف وقد سبق الكلام عنه وبالإضافة إلى ذلك فيه عتاب بن بشير الجزري هو صدوق لا بأس به إلا أن رواياته عن خصيف منكرة كما نص على ذلك الإمام أحمد والجوزجاني وابن عدي وهذه الرواية مما رواه عتاب عن خصيف فهي منكرة . انظر : أقوال الأئمــة عن عتاب بن بشير في (تهذيب التهذيب ٦٠/٤-٦١ برقم : ٥٠٩٣) . **الرابعة** : أخرجها الطبري في تفسيره (١٤٦/٩) فقال : ثنا ابن حميد، ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق، عن داود بن الحصين، عن عكرمة، عن ابن عباس من قوله، وهــذا الإســناد قال عنه الشيخ فريح بن صالح البهلال في (تخريج أحاديث منتقدة في كتاب التوحيد ص : ١٠٩) : (رجال سنده متكلم فيهم، وفيهم توثيق) وهذه العبارة فيها قصور عن بيان درجة هذا الإسناد بل هو إسناد ضعيف جدا؛ فإن فيه ابن حميد الرازي، وفيه كلام شديد من الأئمة حتى كذبه بعضهم، وسلمة هو ابن الفضل الأبرش، وهو صدوق كثير الخطأ، وابن إسحاق صدوق ولكنه مدلس كبير من الطبقة الرابعة وقد عنعن هنا. وهؤلاء الثلاثة قد سبق الكلام عنهم من قبل (ص : ٤٦١)، وأيضا فيه داود بن الحصين الأموي مولاهم، وأمره دائر بين القبول والرد، فقد وثقه بعض الأئمة توثيقا عاما كابن معين والنسائي وابن سعد والعجلي، وضعفه بعضهم تضعيفا عاما منهم ابن عيينة وأبو زرعة وأبو حاتم ←

وسمرة بن جندب [1] وسعيد بن جبير [2] وعكرمة [3] ومجاهد [4]

والساجي والجوزجاني، وضعفه ابن المديني وأبو داود وابن حجر والألباني خاصة فيما رواه عن عكرمة، وهذه الرواية مما رواه عن عكرمة، وقد انتقد الشيخ صالح الرفاعي على من ضعف داود هذا في عكرمة بعد بحث طويل ثم لخص قوله : (إذا روى عنه ثقة فهو صحيح الرواية سواء روى عن عكرمة أو عن غيره) والرواة الذين نقلوا عنه هذا الأثر قد رأيت أحوالهم فالأثر ضعيف جدا لما سبق . انظر : أقوال الأئمة عن داود بن الحصين في تهذيب التهذيب (١٠٩/٢ برقم : ٢٠٩٦)، وفي الثقات الذين ضعفوا في بعض شيوخهم (ص : ١٥٤-١٥٩)، وكلام الألباني في إرواء الغليل (٣٤٠/٦ ح : ١٩٢١) . **الخامسة** : أخرجها الطبري في تفسيره (١٤٦/٩) فقال : ثنا محمد بن سعد ثني أبي، ثني عمي ، ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس من قوله، وهو إسناد ضعيف جدا؛ فإنه مسلسل بالضعفاء وسيأتي الكلام عنه في (ص : ٧٩٤) . **السادسة** : أخرجها الطبري في تفسيره (١٤٦/٩) فقال : ثنا القاسم، ثنا الحسين، ثنا حجاج، عن ابن جريج، قال : قال ابن عباس . وهو إسناده ضعيف، فإن فيه الحسين وهو سنيد بن داود ضعيف، وكان يلقن شيخه حجاج بن محمد المصيصي أيام اختلاطه،وأيضا روى هذا الأثر من طريق شيخه المذكور، وكذلك فيه عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج وهو مدلس من الثالثة وقد عنعن وأيضا روى عن ابن عباس مباشرة وليس له سماع منه؛ فإنه ولد سنة ثمانين، وابن عباس توفي سنة ثمانية وستين وشيخ الطبري في هذا الإسناد لم أتمكن من معرفته وكذلك الشيخ أحمد شاكر لم يجد له ترجمة يمكن الجزم بأنها ترجمته كما في رجال تفسير الطبري (ص : ٤٥١-٤٥٢) . انظر : أقوال الأئمة في تهذيب التهذيب (٤٣٧/٢ -٤٣٨ برقم : ٣٠٩٢ ، ترجمة سنيد)، و(٤٤٦/١ برقم : ١٣٤٢، ترجمة حجاج بن محمد المصيصي)، و(٥٠١/٣- ٥٠٣ برقم : ٤٨٠٥ ، ترجمة ابن جريج)و(١٨١/٣، تاريخ وفاة ابن عباس في ترجمته) ، فيتبين مما سبق أن هذا الأثر المحكي عن ابن عباس لم يصح إليه طريق ما، وبذلك يعلم خطأ الإيجي في دعواه أن ذلك صحيح إلى ابن عباس كما نقل عنه الشيخ فريح بن صالح البهلال ووافقه عليه في (تخريج أحاديث منتقدة في كتاب التوحيد ص : ١١٠ و ١١٦) .

(1) أخرجه الطبري في تفسيره (١٤٦/٩) من طريقين صحيحين موقوفا على سمرة ﷺ، وقد صحح إسناده ووثق رجاله الشيخ فريح بن صالح البهلال في (تخريج أحاديث منتقدة في كتاب التوحيد ص : ١١٤) .

(2) أخرجه الطبري في تفسيره (١٤٧/٩، ١٤٥) من ثلاثة طرق. الأولى : قال ابن جرير : حدثني القاسم، ثنا الحسين، ثني حجاج عن ابن جريج قال : قال سعيد بن جبير . وهو إسناد ضعيف لأجل الحسين وهو سنيد ولأجل ابن جريج وقد سبق الكلام عنهما قريبا في الطريق الخامس من طرق ابن عباس . الثانية : قال ابن جرير : ثنا ابن وكيع، ثنا ابن فضيل، عن سالم بن أبي حفصة، عن سعيد بن جبير وهو إسناد ضعيف فإن ابن وكيع هو سفيان بن وكيع وهو ضعيف ساقط الحديث، وقد سبق الكلام عنه في (ص : ٤٦٦) والثالثة : قال ابن جرير : ثنا ابن وكيع، ثنا جرير وابن فضيل، عن عبد الملك عن سعيد بن جبير وهو إسناد ضعيف كسابقه لأجل ابن وكيع .

(3) أخرجه عنه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٤٦/٩-١٤٧) بإسناده إليه وفيه سقط كما أشار إليه الشيخ محمود محمد شاكر في تعليقه على تفسير الطبري (٣١١/١٣-٣١٢ برقم : ١٥٥١٩)، وأيضا بعض من ذكر في الإسناد فيه كلام شديد من الأئمة كابن حميد الرازي وقد سبق الكلام عنه في (ص : ٥١٨-٥٢٠).

(4) أخرجه الطبري في تفسيره (١٤٧/٩) بإسناد صحيح .

وقـــتادة [1] وابن زيد [2] وبكر بن عبد الله المزني [3] والسدي [4] في معنى هذا الحديث، بأن آدم عليه السلام وقع في الشرك بوحي الشيطان وأمره له، فكيف بهذا مع دعوى عصمة الأنبياء عن الشرك بالإجماع؟.

لا شـــك أن آدم نبي من الأنبياء وقد اتفقت كلمة المسلمين على عصمة الأنبياء من الشرك، ولذلك لا تجد أحدا من المفسرين أو المحدثين الذين تعرضوا لتفسير هذه الآيات أو شـــرح ذلـــك الحديـــث إلا وحاولوا الدفاع عن عصمة آدم عليه السلام وما قيل عن وقوعه في الشرك، وأجاب كل واحد منهم بما تبين له، فأجوبة أهل العلم عن الشبهة المذكورة كثيرة ومختلفة، ويمكن ذكر خلاصتها بتصنيفها إلى مجموعتين :

المجموعة الأولى : الأقوال المبنية على صحة حديث سمرة رضي الله عنه، وعلى أنه ورد تفسيرا للآيـــات المذكورة، ولكن هذه الأقوال يلزم منها نسبة الشرك إلى آدم عليه السلام، فللتخلص من هذا الإشكال لهم أجوبة وتوجيهات، منها ما يلي :

١- إن الشرك المنسوب إلى آدم وحواء عليهما السلام لم يكن في العبادة، وإنما كان شركا

---

(١) روي عنه من طريقين : أولهما أخرجه الطبري في تفسيره (١٤٧/٩)، والثاني : أخرجه الطبري في تفسيره (١٤٧/٩) وابن أبي حاتم في تفسيره (١٦٣٤/٥ برقم : ٨٦٥٩) كلاهما بإسنادهما ويجتمعان عند بشر[بن معاذ العقدي]، ورجال الإسنادين كلهم ثقات ما عدا راو واحد في الإسناد الثاني وهو بشر العقدي فإنه صدوق فالأثر إليه صحيح.

(٢) أخـــرجه الطـــبري في تفســـيره (١٤٩/٩)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٦٣٥/٥ برقم : ٨٦٦٤) كلاهما بإسنادهما إلى ابن زيد من قوله . ورجال الإسنادين ثقات ولكن فيه أنهما سميا المولود عبد شمس !! وكذلك فيه أن رسول الله ﷺ قال : خدعهما مرتين . قال زيد : خدعهما في الجنة وخدعهما في الأرض ، وهذا الحديث [خدعهمـــا مـــرتين] اعتمد عليه كثير من المفسرين ولكني لم أجد من ذكره بالإسناد إلى النبي ﷺ إلا في هذا الإسناد وهو إسناد معضل على أقل تقدير . انظر : (ص : ٩٥) .

(٣) أخرجه عنه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٦٣٤/٥ برقم : ٨٦٥٨)، ورجال إسناده كلهم ثقات ولكن فيه أن آدم سمـــى ابنه عبد الشيطان !. والمزني هو بكر بن عبد الله، أبو عبد الله البصري، ثقة ثبت جليل، توفي سنة ١٠٦هـــ. انظر : تقريب التهذيب (ص : ١٢٧ برقم : ٧٤٣) .

(٤) روي عنه من ثلاثة طرق : الأولى : أخرجها الطبري في تفسيره (١٤٧/٩-١٤٨) وابن أبي حاتم في تفسيره (١٦٣٤/٥ برقم : ٨٦٥٧) بإسنادهما ويجتمعان عند عمرو بن حماد القناد، ثنا أسباط، عن السدي . وهؤلاء كلهم في مرتبة الصدوق . والثانية : أخرجها ابن أبي حاتم في تفسيره (١٦٣٤/٥ برقم : ٨٦٥٦) فقال : ثنا أبي، ثنا ابن أبي عمر ثنا سفيان عن الهذلي عن السدي . وابن أبي عمر : صدوق، والهذلي لم أتمكن من معرفته وبقية رجاله ثقات. والثالثة : أخرجها ابن أبي حاتم في تفسيره (١٦٣٤/٥ برقم : ٨٦٥٥) فقال : ثنا الحسن بن أبي الربيع، أنبأ عبد الرزاق، أنبا ابن عيينة قال : سمعت صـــدقة قـــال : أبي : يعني عبد الله بن كثير المكي، يحدث عن السدي. الحسن بن أبي الربيع وعبد الله بن كثير المكي : كلاهما صدوقان، وبقيه رجالة ثقات فالإسناد إليه حسن، وبالمجموع يكون صحيحا لغيره .

في التسمية؛ حيث سميا ولدهما عبد الحارث، والحارث اسم إبليس، وكان ذلك بوحي الشيطان إليهما . هذا التوجيه ذهب إليه الفراء وابن جرير الطبري وابن قتيبة وابن أبي زمنين والكرماني [1]، واستحسنه الآلوسي فقال : ولا يعد هذا شركا في الحقيقة؛ لأن أسماء الأعلام لا تفيد مفهوماتها اللغوية لكن أطلق عليه الشرك تغليظا أهـ بتصرف يسير [2]. وبه قال جماعة غيرهم [3].

وهذا القول فيه نظر، وبيان ذلك بما يلي :

أ- إن الأسماء والأعلام لا يقصد بها مجرد الدلالة على مسمياتها فقط بل ينظر إلى معانيها أيضا، فيكون معنى الاسم مقصودا ولو تبعا لمعنى العلمية [4]؛ ولذلك رغب النبي ﷺ في تحسين الأسماء، وغير أسماء جماعة من الصحابة، كانت معبدة لغير الله تعالى أو كانت غير صالحة المعنى، فغيرها النبي ﷺ وجعلها معبدة لله تعالى، وأرجعها إلى معاني حسنة. عبد الرحمن بن عوف ﷺ كان اسمه في الجاهلية عبد الكعبة فغيره النبي ﷺ إلى عبد الرحمن[5]. وأبو هريرة ﷺ قيل كان اسمه عبد شمس فغيره أيضا إلى عبد الرحمن[6]. وابنة لعمر بن الخطاب ﷺكان اسمها عاصية فغيرها النبي ﷺ إلى جميلة[7]... فلو كانت الأسماء المقصود بها مجرد التسمية والدلالة على العلم المسمى به لم تكن هناك حاجة إلى تغييرها، فهذا يدل على أن معنى الاسم أيضا يكون مقصودا مع الدلالة على الغلمية [8]، فلا يصح أن يقال إن تسمية آدم وحواء لولدهما بعبد الحارث

---

(1) انظر بالترتيب : معاني القرآن (٤٠٠/١)؛ وجامع البيان عن تأويل آي القرآن (١٤٨/٩-١٤٩)؛ وتأويل مشكل القرآن (ص : ٢٥٩)؛ وتفسير القرآن العزيز (١٥٨/٢-١٥٩)؛ وغرائب التفسير (٤٣٠/١).

(2) انظر : روح المعاني (١٤٢/٩).

(3) انظر : تفسير الجلالين (ص : ١٧٥)؛ وكتاب التوحيد لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب (ص : ٨٩)؛ وتيسر العزيز الحميد (ص : ٦٣٤-٦٣٥) وفتح المجيد (ص : ٥٢٦)؛ وإبطال التنديد باختصار شرح كتاب التوحيد للشيخ حمد بن علي بن محمد بن عتيق (ص : ٢٠٧-٢٠٨)؛ وشرح كتاب التوحيد للشيخ ابن باز (ص : ٢٣٣)؛ وإعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد للشيخ صالح الفوزان (٢٠٣/٢-٢٠٦)وأيسر التفاسير مع نهر الخير (٢٧٤/٢)؛ ودعوة التوحيد للشيخ محمد خليل هراس (ص : ٨٥).

(4) انظر : فتح البيان (١٠٢/٥).

(5) انظر : تهذيب التهذيب (٤٠٤/٣، ترجمة : عبد الرحمن بن عوف)؛ ومجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٣٧٨/١).

(6) انظر : تهذيب التهذيب (٤٧٩/٦ ، ترجمة : أبي هريرة الدوسي)؛ ومجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٣٧٨/١)؛ وفتح البيان (١٠٢/٥).

(7) أخرجه م (الآداب ب : استحباب تغيير الاسم القبيح إلى حسن ١٦٨٦/٣-١٦٨٧ ح : ٢١٣٩).

(8) انظر : تحقيقا نفيسا، مشتملا على الأحاديث والآثار وأقوال أئمة اللغة - حول ارتباط معنى الاسم بالمسمى في " تحفة المولود بأحكام المولود" لابن القيم (ص : ٣٥-٣٧ و ٩١-٩٢)؛ وفي (مفتاح دار السعادة ٢٣٩/١-٢٤٠).

كـــانت تسمية مجردة بغض النظر إلى معناه ومحتواه، ولا سيما وقد اختارا تسمية معبدة لله تعالى مـــن قـــبل فسميا عبد الله وعبد الرحمن ونحوه، ثم ألجأتهما الأحوال والظروف على اختيار عبد الحارث اسما لولدهما – على فرض صحة الحديث وثبوته .

ب – إن التعـــبيد لغير الله حرام لا يجوز باتفاق أهل العلم . قال العلامة ابن حزم : (اتفقـــوا عـــلى تحريم كل اسم معبد لغير الله عز وجل؛ كعبد العزى، وعبد هبل، وعبد عمرو، وعبد الكعبة، وما أشبه ذلك؛ حاشا عبد المطلب) [1].

وقال العلامة ابن القيم : (لا تحل التسمية بعبد علي وعبد الحسين، ولا عبد الكعبة... فعن هانئ بن يزيد قال : أنه وَفَدَ النبيَّ ﷺ في قومه، فسمعهم يسمون : عبد الحجر. فقال له : ما اسمك ؟ قال عبد الحجر. فقال له رسول الله ﷺ : إنما أنت عبد الله [2]) أهـــ بتصرف يسير [3].

وقـــال الشيخ سليمان بن عبد الله آل الشيخ : (لا تجوز التسمية بعبد المطلب، ولا غـــيره مما عبِّد لغير الله، وكيف تجوز التسمية، وقد أجمع العلماء على تحريم التسمية بـــ: عبد النبي، وعبد الرسول، وعبد المسيح، وعبد علي، وعبد الحسين، وعبد الكعبة ؟ وكل هـــذه أولى بـــالجواز من عبد المطلب لو جازت التسمية به، وأيضا قد نص النبي على أن التسمية بعبد الحارث من وحي الشيطان وأمره) [4].

فالتعبيد لغير الله حرام لا يجوز لعامة الناس، فكيف يجوز لنبي من الأنبياء ؟، وهذا الحكم مـــن حيث الأحكام التكليفية، وأما من حيث ذنبه هل يعتبر شركا أم لا ؟ فالأمر فيه تفصيل: إن كـــان التعبيد لغير الله حقيقة بحيث تعلق به الخوف والرجاء والمحبة، كما هو الواجب تجاه الـــرب، أو شارك الرب في هذه الأشياء فيكون شركا أكبر، وإن اقتصر التعبيد في مجرد إسداء الـــنعمة إلى غير الله كقول من قال : (إن آدم وحواء لم يذهبا إلى أن الحارث ربهما ولكنهما

---

(1) مراتب الإجماع في العبادات والمعاملات والاعتقادات (ص : ٢٤٩) .

(2) أخـــرجه البخاري في "الأدب المفرد" في حديث طويل (كنية أبي الحكم ، ص : ٢٨٢ ح : ٨١١)؛ وابن أبي شيبة في المصـــنف مختصرا على المذكور (الأدب ، في تغيير الأسماء ٢٦٢/٥ ح : ٢٥٩٠١)؛ وفي المطبوع منه خطأ في الاسم والتصويب من " الأدب المفرد"، والحديث صححه الألباني في (إرواء الغليل ٢٣٧/٨ ح : ٢٦١٥) .

(3) تحفة المولود بأحكام المولود (ص : ٧٢) .

(4) تيسير العزيز الحميد (ص : ٦٣٢) .

قصـــدا أن إبـــليس سبب نجاة الولد وسلامة الأم) [١]، فهذا نوع من الشرك لأن فيه إضافة النعمة إلى السبب دون المسبب، وهو الله تعالى إلا أنه لا يصل إلى حد الشرك الأكبر[٢].

قـــال الشـــيخ محمد بن صالح العثيمين في معرض بيانه وجوه الشرك من الأبوين في الأولاد : (الوجـــه الثاني : أن يضيف سلامة المولود ووقايته إلى الأطباء وإرشاداتهم وإلى القوابل وما أشبه ذلك، فيقولون مثلا : سلم هذا الولد من الطلق؛ لأن القابلة امرأة متقنة جيـــدة؛ فهنا أضاف النعمة إلى غير الله، وهذا نوع من الشرك، ولا يصل إلى حد الشرك الأكبر؛ لأنه أضاف النعمة إلى السبب ونسي المسبب، وهو الله عز وجل) [٣].

فالتعـــبيد لغير الله حرام ولا يخلو من نوع من الشرك، ولذلك من العلماء من ذكر التعبيد لغير الله في أمثلة الشرك الأصغر باللسان[٤]، وقال الشيخ محمد بن صالح العثيمين : (الصواب أنـــه لا يجوز أن يعبد لغير الله مطلقا، لا بعبد المطلب ولا غيره، وعليه؛ فيكون التعبيد لغير الله مـــن الشرك) [٥]، فالتسمية بعبد الحارث فيها تعبيد لغير الله، فلا يخلو من الشرك ولا سيما هذه القصة المنسوبة إلى الأبوين: آدم وحواء عليها السلام، فإن ظروف هذه التسمية والقرائن المحـــتف بهـــا تؤكـــد كونـــه شركا، كما سيأتي تقريره، والشرك مهما صغر كان أشد من الكـــبائر[٦]، وقد سبق أن الأنبياء عليهم السلام لا يجوز عليهم الكبائر بالاتفاق، فكيف يجوز عليهم الشرك ولو كان شركا أصغر ؟ وسيأتي له وجوه أخر تدل على بطلان هذا القول.

٢- ليـــس المـــراد بالتعبيد هنا الشرك في عبادة الله، وإنما المراد منه الشرك في الطاعة وذلك لما حصل منهما من طاعة الشيطان إذ سميا المولود عبد الحارث بوحي منه، وهذا القول ذهب إليه قتادة في رواية عنه إذ قال : كان شركا في طاعته و لم يكن شركا في عبادته [٧]، وبه قال البغوي[٨] وغيرهما.

---

(١) انظر : الوجيز في تفسير الكتاب العزيز للواحدي (٤٢٦/١)؛ ومعالم التنزيل (٢٢١/٢) .

(٢) انظر : القول المفيد على كتاب التوحيد (٧٨/٣) .

(٣) المصدر السابق نفسه (٧٨/٣) .

(٤) انظر : المدخل لدراسة العقيدة الإسلامية للدكتور إبراهيم بن محمد البريكان (ص : ١٣٩) .

(٥) القـــول المفيد على كتاب التوحيد (٨٢/٣) وانظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٣٧٨/١-٣٨٠)؛ وتحفة المودود بأحكام المولود (ص : ٧٢-٧٣) .

(٦) انظر : قصص الأنبياء القصص الحق (ص : ٤٠) .

(٧) الإسناد إليه صحيح وقد سبق تخريجه في (ص : ٧٦٧) .

(٨) انظر : معالم التنزيل (٢٢١/٢)؛ والتمهيد لشرح كتاب التوحيد للشيخ صالح آل الشيخ (ص : ٤٩٧-٥٠٠) .

وهذا القول فيه تفسير للعبادة بالطاعة، فيلزم منه أن يكون الشرك في العبادة هو الشرك في الطاعـــة ولكن قد يقال ليس كل طاعة تسمى شركا بل الطاعة التي تكون من الشرك والعبودية لغـــير الله هي الطاعة العمياء التي توصل صاحبها إلى طاعة ذلك الغير على الإطلاق حتى يكون مطيعـــا له في تحـــليل الحرام أو العكس وما إلى ذلك . وأما الطاعة في بعض الذنوب مع اعتقاد حرمته فحكمه حكم المعصية فهذا ضابط الطاعة التي تكون شركا والتي لا تكون شركا [1] .

ولعـــل المـــراد من الذين قالوا بالشرك في الطاعة دون العبادة هو هذا الثاني ؛ أي : الطاعة في المعصية، وعلى هذا ما نسب إلى آدم ﷺ من تسمية ولده عبد الحارث يكون معصية وطاعة للشيطان ولا يكون شركا بالله [2] ولكن هذا التوجيه وكذلك الذي قبله فيهما نظر، وبيان ذلك بما يلي :

أ- إن الله ســـبحانه وتعـــالى لم يذكر عن نبي ذنبا في القرآن الكريم إلا وذكر توبته، فلو كان آدم ﷺ أشرك بالله شركا أصغر على أقل تقدير كما في القول السابق أو أنه معصية من المعاصـــي دون الشرك كما في هذا القول، لذكر الله سبحانه وتعالى توبته، ولم يكتف بذكر معصيته فقط [3]؛ إذ الأنبياء لا يقرون على المعصية ولو كانت صغيرة والله أعلم بالصواب .

ب – سياق هذه القصة يخالف دعوى من زعم أن ذلك كان مجرد طاعة للشيطان في تسميتهما للولد بعبد الحارث أو أن ذلك لم يكن يعني منهما إلا التسمية فقط؛ فإن القصة تـــبدأ أن إبـــليس طاف بحواء عندما كانت حاملة بحملها الأول، وخوفها كثيرا في ذلك الوقت، حتى خوفها بما لا يقدر عليه إلا الله تعالى كقوله : (لتطيعانني أو لأجعلن له قرني إيِّـــل فيخرج من بطنك فيشقه ولأفعلن، يخوفهما، سمياه عبد الحارث)، وحاول إضلالهما كـــل المحاولة، ولكنهما لم يسمعا قوله ولم يقبلا منه ما أشار عليهما، فمات الولد، وفي روايـــة ابن عباس : أن إبليس قتله، ثم حملت حواء مرة أخرى فجاءهما الشيطان، وجرى مثل ما جرى في المرة الأولى ثم لما حملت مرة ثالثة جاءهما إبليس وقالا لهما : إن أردتما أن يعيش ولدكما فسمياه عبد الحارث (فأدركهما حب الولد فسمياه عبد الحارث)، أي : إنهما فعلا كما أمرهما الشيطان، أملا ورجاء منهما أن يحيى الولد ولا يموت. فما كان هذا

---

(1) انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٧٠/٧) .

(2) انظر : الشرك في القديم والحديث (٢٢٣/١) .

(3) انظر : القول المفيد على كتاب التوحيد (٨٥/٣) .

شأنه لا يصح أن يقال عنه بأنه لا يعني إلا مجرد التسمية بل الأمل في سلامة الولد ورجاء حياته والخوف من موته وكذلك الأمل في سلامة الأم وحياتها واضح وراء هذه التسمية – إن صحت القصة كما حكيت – وهذه من الأمور التي لا يقدر عليها إلا الله سبحانه وتعالى، فيكون شركا حقيقيا، ولا يمكن أن يصدر ذلك عن نبي من الأنبياء، والله أعلم بالصواب، وستأتي وجوه أخرى تبين بطلان هذه القصة .

٣- قال عبد الرحمن بن أحمد الإيجي : (لعله كان قبل النبوة) [١].

هذا القول فيه نظر وبيان ذلك بما يلي :

أ – القول بأن هذه القصة على – فرض ثبوتها- حصلت قبل النبوة يحتاج إلى دليل صحيح يعتمد عليه، ولا دليل على ذلك .

ب- قوله تعالى : ﴿ ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى ﴾ [٢] يدل على أن آدم عليه السلام لما أكل من الشجرة المحرمة وتاب إلى الله تعالى تاب الله عليه واصطفاه نبيا .

ج – إن الكفر والشرك ممتنع على الأنبياء حتى قبل النبوة على القول الراجح وقد انتبه الإيجي لذلك، فاستدرك على قوله السابق وقال : (فإن قلت : قد مر امتناع الكفر على الأنبياء مطلقا قلت : معنى إشراكهما بالله أنهما أطاعا إبليس في تسمية ولدهما بعبد الحارث) [٣] ففسر الشرك المنسوب إلى الأبوين بالشرك في الطاعة بتسمية ولدهما عبد الحارث، هذا التوجيه منه عائد إلى القول السابق، فيكون مثله، والملاحظات المذكورة على ذلك القول تنطبق على هذا أيضا .

٤ – جاءت تسمية الولد بعبد الحارث من قبل حواء دون آدم عليهما السلام، فهي التي طاف بها إبليس، وأشار عليها بتسمية ولدها عبد الحارث، فالشرك كان من حواء ولم يكن من آدم عليه السلام . وهذا القول ذهب إليه صديق حسن خان [٤].

وهذا مخرج حسن فيما يتعلق بآدم عليه السلام ولكن يعترض عليه بما ورد في الروايات الأخرى بأنه لما طاف إبليس بحواء وقال لها ما قال فحزن لذلك آدم وحواء وخافا من

---

(١) انظر : المواقف في علم الكلام (٣/٤٣٤) .

(٢) طه الآية : ١٢٢

(٣) المواقف في علم الكلام (٣/٤٣٤) .

(٤) انظر : فتح البيان (٥/٩٩-١٠٠ و ١٠٣) .

ذلك ولذلك جاء في رواية الإمام أحمد (فسموه عبد الحارث) ومن ثم لا يصح أن يقال أن تسمية الولد بعبد الحارث كان من حواء دون آدم عليه السلام على فرض صحة الحديث .

ثم إن هذه الأقوال كلها مبنية على أن الحديث صحيح ثابت عن النبي ﷺ، والأمر ليس كذلك بل هو منتقد لدى أهل العلم بالحديث رواية ودراية، وبيان ذلك بما يلي :

أولا : الكلام على الحديث فيما يتعلق بإسناده .

إن هذا الحديث من ناحية إسناده معلول بعدة علل، وهي كما يلي :

الأولى : قال الترمذي : (لا نعرفه مرفوعا إلا من حديث عمر بن إبراهيم عن قتادة)[1] وقال ابـــن عدي : (وهذا لا أعلم يرويه عن قتادة غير عمر بن إبراهيم)[2]، فهذا الحديث تفرد بروايته عمر بن إبراهيم العبدي، وقد تكلم فيه الأئمة، فضعفه بعضهم تضعيفا عاما، ووثقه بعضهم توثيقا عاما، وفصل بعضهم فضعفوه خاصة فيما رواه عن قتادة كالإمام أحمد إذ قال : (يروي عن قتادة أحاديث مناكير، يخالف) وقال ابن عدي: (يروي عن قتادة أشياء لا يوافق عليها، وحديثه خاصة عن قتادة مضطرب) وقال ابن حبان : (كان ممن ينفرد عن قتادة بما لا يشبه حديثه، فلا يعجبني الاحـــتجاج به إذا انفرد. فأما فيما روى عن الثقات، فإن اعتبر به معتبر لم أر بذلك بأسا) وقال الحـــافظ ابـــن حجـــر: (صدوق في حديثه عن قتادة ضعف) [3] وكذلك قال محمد عبد الرحمن المباركفوري[4] وأحمد محمد شاكر[5] والألباني [6] وصالح بن حامد الرفاعي [7] .

وقـــد يقال [8] : جاء عن ابن معين توثيقه في قتادة خاصة . قال له عثمان بن سعيد الدارمي :

---

(1) سنن الترمذي (٢٦٧/٥ ح : ٣٠٧٧) .

(2) الكامل في ضعفاء الرجال (٤٣/٥، ترجمة : عمر بن إبراهيم العبدي) .

(3) انظـــر أقـــوال الأئمـــة في : الجرح والتعديل (٩٨/٦ برقم : ٥٠٩)؛ والمجروحين (٨٩/٢ برقم: ٦٥٠)؛ والكامل في ضعفاء الرجال (٤٢/٥-٤٣ برقم : ١٢١١)؛ وتهذيب التهذيب (٢٦٧/٤ برقم : ٥٥٩٦)؛ وتقريب التهذيب (ص : ٤١٠ برقم : ٤٨٦٣)؛ ورجال تفسير الطبري (ص : ٤٠٩ برقم : ١٩٠٦) .

(4) انظر : تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي (٣٦٦/٨) .

(5) انظر : تعليقه على تفسير الطبري (٣٠٩/١٣-٣١٠) .

(6) انظر : سلسلة الأحاديث الضعيفة ... (٥١٧/١ ح: ٣٤٢ و٨٢/٥ ضمن كلامه على الحديث : ٢٠٦١).

(7) انظر : الثقات الذين ضعفوا في بعض شيوخهم (ص : ٢٣٣-٢٣٦) .

(8) انظر : تخريج أحاديث منتقدة في كتاب التوحيد لشيخ الإسلام : محمد بن عبدالوهاب لمؤلفه : فريح بن صالح البهلال (ص : ١١٢) .

(فعمر بن إبراهيم في قتادة ؟ قال : ثقة) [1]. ولا شك أن هذا توثيق من ابن معين لعمر بن إبراهيم في قتادة خاصة ولكن خالفه في ذلك جماعة من الأئمة، فيقدم قولهم على قوله[2]، والله أعلم بالصواب.

فيتبين من كلام الأئمة أن روايات عمر بن إبراهيم العبدي عن قتادة مضطربة، وفيها مناكير، فلا تقبل روايته عن قتادة إذا انفرد، وهذا مما انفرد بروايته عن قتادة، كما نص على ذلك إماما جليلان الترمذي وابن عدي، فهو غير مقبول .

الثانية : قتادة بن دعامة السدوسي موصوف بكثرة التدليس، وقد ذكره الحافظ ابن حجر في المرتبة الثالثة من مراتب أهل التدليس [3]، وهم الذين لا تقبل رواياتهم إلا إذا صرحوا فيها بالتحديث، وهنا قد عنعن قتادة، ولم يصرح بالسماع، فلا تقبل منه هذه الرواية بهذه الصفة .

الثالثة : أنه جاء من طريقين صحيحين موقوفا على سمرة ﷺ من قوله[4]، ورجال الموقوف كلهم ثقات، فهم أحفظ وأوثق بكثير من رجال المرفوع فيرجح الموقوف على المرفوع .

الرابعة : أن الحسن البصري نفسه قد فسر الآية بغير هذا فقال : (كان هذا في بعض أهل الملل ولم يكن بآدم) [5]، وقال أيضا : (عنى بها ذرية آدم، ومن أشرك منهم بعده)[6] وقال أيضا : (هم اليهود والنصارى رزقهم الله أولادا فهودوا ونصروا) [7] فلو كان هذا الحديث عنده محفوظا عن رسول الله ﷺ لما عدل إلى غيره .

الخامسة : الحسن البصري في سماعه عن سمرة ﷺ خلاف مشهور، ومن أثبت سماعه منه

---

(1) الجرح والتعديل (٩٨/٦) .

(2) انظر : الثقات الذين ضعفوا في بعض شيوخهم (ص : ٢٣٦) .

(3) انظر : طبقات المدلسين (ص : ٤٣ برقم : ٩٢)؛ والنكت على كتاب ابن الصلاح (٦٤٢/٢ برقم : ٥) وانظر : ما قاله العلائي في جامع التحصيل (ص : ٢٥٤-٢٥٥)؛ والشيخ صالح الرفاعي في الثقات الذين ضعفوا في بعض شيوخهم (ص : ٢٣٦) .

(4) أخرجه عنه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٤٦/٩) بإسناده من طريقين صحيحين وقد سبق ذكرهما .

(5) أخرجه الطبري في تفسيره (١٤٨/٩) فقال : ثنا ابن وكيع، ثنا سهل بن يوسف، عن عمرو، عن الحسن من قوله، وحكم ابن كثير في تفسيره (٢٧٤/٢-٢٧٥) على هذا الإسناد بالصحة ولكنه إسناد ضعيف جدا، فإن فيه ابن وكيع وهو ضعيف وفيه عمرو هو ابن عبيد المشهور في الدعوة إلى الاعتزال، متروك في الحديث، متهم بالكذب . انظر : أقوال الأئمة في تهذيب التهذيب (٣٦٠/٤-٣٦٤ رقم : ٥٨٦٢ ، ترجمة عمرو بن عبيد) .

(6) أخرجه الطبري في تفسيره (١٤٨/٩) قال : ثنا محمد بن عبد الأعلى، ثنا محمد بن ثور، عن معمر قال : قال الحسن . وهذا الإسناد صححه الحافظ ابن كثير في تفسيره (٢٧٥/٢) وهو كما قال .

(7) أخرجه الطبري في تفسيره (١٤٨/٩)؛ وابن أبي حاتم في تفسيره (١٦٣٤/٥ برقم : ٨٦٥) وكلاهما يلتقيان عند يزيد بن زريع عن سعيد [بن ابي عروبة] عن قتادة . وقد صححه الحافظ ابن كثير في تفسيره (٢٧٥/٢) وهو كما قال .

إنما أثبته في أحاديث معدودة، و لم يذكروا هذا الحديث في مسموعاته عن سمرةﷺ، فعلى كلا الرأيين يكون هذا الحديث مما لم يسمعه الحسن من سمرة ﷺ[1]، والله أعلم بالصواب.

السادسة : الحسن البصري - بالإضافة إلى ما سبق عنه - موصوف بالتدليس. قال الذهبي في ترجمته : (كان الحسن كثير التدليس؛ فإذا قال في حديث: "عن فلان"؛ ضعف احتجاجه، ولا سيما عمن قيل إنه لم يسمع منهم)[2]، والحسن لم يصرح بسماعه لهذا الحديث من سمرة، وإنما عنعن فيه، ولا شك أن ذلك يضعف الاحتجاج به، ولا سيما إذا اقترنت به العلة التي قبلها، وهي الكلام في عدم سماعه من سمرة ﷺ[3].

فهذه العلل التي ذكرها الأئمة في هذا الحديث يتبين من النظر فيها أن إسناده لا يصح إلى النبي ﷺ، ولكن قد يقال : إن هذا الحديث (لم يتفرد به عمر بن إبراهيم عن قتادة [عن الحسن عن سمرة عن النبي ﷺ]، فقد جاء من طريق أخرى . قال الحافظ ابن كثير : " ولكن رواه ابن مردويه من حديث المعتمر عن أبيه عن الحسن عن سمرة مرفوعا فالله أعلم"، والمعتمر هو ابن سليمان بن طرخان. وهما ثقتان، ولهذا لم يتعقب ابن كثير هذه الطريق بقدح، فدل على سلامتها منه، وعلى هذا فالحديث صحيح إن شاء الله)[4] ولا سيما قد حسنه الترمذي وصححه الحاكم ووافقه الذهبي .

فالجواب عن ذلك إن هذه الطريق كالتي قبلها، وليست سالمة من الآفات بل فيها أيضا علل تمنع من قبولها والحكم بصحتها، وبيان ذلك بما يلي :

أولا : الإسناد من ابن مردويه إلى المعتمر بن سليمان غير مذكور، وقد يكون فيها ما يمنع صحته إلى المعتمر .

ثانيا : سليمان بن طرخان التيمي - مع إمامته وثقته - موصوف بالتدليس، وصفه

---

[1] انظر : المراسيل لابن أبي حاتم (ص : ٣٢-٣٣)؛ وجامع التحصيل للعلائي (ص : ١٦٥)؛ وشرح علل الترمذي (٨٤٧/٢)؛ وتحفة النبلاء من قصص الأنبياء لابن حجر (ص : ١٤٢)؛ وسلسلة الأحاديث الضعيفة (٥١٧/١ ح : ٣٤٢ و ٧٤/٢ ضمن كلامه على الحديث : ٦٠٧) .

[2] ميزان الاعتدال (٥٢٧/١ برقم : ١٩٦٨، ترجمة الحسن بن يسار البصري) .

[3] انظر : سلسلة الأحاديث الضعيفة (٥١٧/١ ح : ٣٤٢ و ٧٤/٢ ضمن كلامه على الحديث : ٦٠٧)؛ والثقات الذين ضعفوا في بعض شيوخهم (ص : ٢٣٦) .

[4] تخريج أحاديث منتقدة في كتاب التوحيد ...(ص : ١١٢) .

بذلــك يحــيى بن معين [1] والنسائي [2] والعلائي[3] وقد ذكر العلائي شاهدين مما رواه التيمي عمن سمعه ما لم يسمعه منه مقرونا بكلام يحيى بن سعيد القطان وابن عبد البر [4]، وكذلــك وصــفه بالــتدليس الذهبي [5] والحافظ ابن حجر[6] والمقدسي [7] والحلبي [8] والألــباني، وقد ذكر الألباني شاهدا آخر مما رواه التيمي عمن سمعه ما لم يسمعه منه مقرونا بكلام الإمام أحمد[9]، وكذلك وصفه بالتدليس الدميني [10] وغيرهم.

ثالثا : سليمان التيمي وصف بالتدليس ورواية ما لم يسمعه عن الحسن خاصة . قال عنه الذهبي: (قيل: إنه كان يدلس عن الحسن وغيره ما لم يسمعه منه) [11] وقال يحيى بن ســعيد القطان كما نقله البخاري عنه : (ما روى عن الحسن وابن سيرين فهو صالح إذا قــال : سمعت أو [حدثنا]) [12]؛ فسليمان التيمي متهم بالتدليس، وبصفة خاصة فيما رواه عن الحسن البصري، فلا يقبل منه إلا ما صرح فيه بالسماع عن الحسن خاصة، وقد روى هذه الرواية من غير أن يصرح بالسماع أو التحديث عن الحسن، فينبغي التوقف عن قبوله وعدم الحكم بصحته والله أعلم بالصواب .

رابعــا : العلل الأربعة الأخيرة المذكورة في الطريق الأول لا تزال قائمة حتى في هذا

---

(1) انظر : يحيى بن معين وتاريخه (٢/٢٣٢ برقم : ٣٦٠٠) .

(2) حكاه عن الدارقطني . انظر : سؤالات أبي عبد الرحمن السلمي للدارقطني (ص : ٣٦٧ برقم : ٤٤٢) .

(3) انظر : جامع التحصيل في أحكام المراسيل (ص : ١٠٦ برقم : ١٩) .

(4) انظر : المصدر السابق (ص : ١٨٨ برقم : ٢٥٧) .

(5) انظر : ميزان الاعتدال (٢/٢١٢ برقم : ٣٤٨١) .

(6) انظر : طبقات المدلسين (ص : ٣٣ برقم : ٥٤)؛ والنكت على كتاب ابن الصلاح (٢/٦٣٧) .

(7) انظر : قصيدته في المدلسين (ص : ٣٧) بواسطة كتاب (التدليس في الحديث ص : ٢٧٣) .

(8) انظر : التبيين لأسماء المدلسين (ص : ٢٩ برقم : ٢٨) .

(9) انظر : تمام المنة في التعليق على فقه السنة (ص : ٢٧١-٢٧٢) .

(10) انظر : التدليس في الحديث (ص : ٢٧٢-٢٧٣) .

(11) ميزان الاعتدال (٢/٢١٢ برقم : ٣٤٨١) .

(12) التاريخ الصغير (ص : ٧٤)؛ والتاريخ الكبير (٤/٢١ برقم : ١٨٢٨)، في كلا الكتابين : " قلت " ولكن الصحيح " حدثنا " كما نقله ابن حجر في تهذيب التهذيب (٢/٤١١، ترجمة سليمان التيمي) .

الإسناد[1]، ومن ثم يبقى الحديث غير ثابت مرفوعا إلى النبي ﷺ. والله أعلم بالصواب .

وأما قول الترمذي: (هذا حديث حسن غريب لا نعرفه مرفوعا إلا من حديث عمر بن إبراهيم عن قتادة ورواه بعضهم عن عبد الصمد و لم يرفعه، عمر بن إبراهيم شيخ بصري) [2]، فالمتأمل في كلام هذا الإمام يرى أنه لم يكتف بالحكم على الحديث بالحسن بل أشار إلى نقاط ضعيفة في الإسناد وهي : كونه مرويا من حديث عمر بن إبراهيم عن قتادة، ومجيئه موقوفا في إسناد آخر، وأن عمر بن إبراهيم شيخ بصري.

وكلمة " شيخ " من عبارات التوثيق عند الأئمة عموما إلا أنها لا تعني عند المحدثين أن الموصوف بها يحتج به مستقلا بل معنى ذلك أنه ليس من كبار طلبة الحديث، وإنما له روايات أخذت عنه، فهو لا يترك حديثه تماما، ولا يحتج به مستقلا [3]؛ ولذلك صنفه أهل هذا الفن في أنزل درجات التوثيق، التي تكون متجاذبة بين الاحتجاج وعدمه، فينظر إلى القرائن ثم يحكم في ضوئها على ما رواه بالصحة والحسن أو الرد وعدم القبول [4]، والقرائن هنا ترجح عدم القبول؛ لأنه مما رواه عمر بن إبراهيم عن قتادة، وهو موصوف بالاضطراب في مروياته عن قتادة، فتعين عدم الاحتجاج به .

وأما الإمام الذهبي فهو استدرك على ما قاله في تلخيص المستدرك واستبدله في الميزان بقوله : (صححه الحاكم، وهو حديث منكر كما ترى)[5] والذهبي عمل تلخيصه على المستدرك في أوائل اشتغاله بهذا الفن حتى إنه قال عن تلخيصه : (يعوز عملا وتحريرا) [6] وكتابه الميزان من تأليفاته المتأخرة فالقول ما قال في الميزان .

وأما قول الحاكم : (هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه) فنعم ولكنه قول مخالف

---

(1) انظر : لرواية عمر بن إبراهيم العبدي عن قتادة ... لهذا الحديث متابعة أخرى مع رد الإمام ابن عدي عليها في (الكامل في ضعفاء الرجال ٢٩٨/٣ برقم : ٧٦٥، ترجمة : سليمان بن داود المنقري) .

(2) سنن الترمذي (تفسير القرآن، سورة الأعراف ٢٦٧/٥) .

(3) انظر : ميزان الاعتدال (٣٨٥/٢ ، ترجمة : العباس بن الفضل العدني)؛ والنكت على كتاب ابن الصلاح للزركشي (٤٣٤/٣)؛ ونيل الأوطار (٢٢٩/٣)، والشرح والتعليل لألفاظ الجرح والتعديل (ص : ٦٨) .

(4) انظر : ضوابط الجرح والتعديل (ص : ١٧١) .

(5) ميزان الاعتدال (١٧٩/٣ برقم : ٦٠٤٣ ، ترجمة : عمر بن إبراهيم العبدي) .

(6) سير أعلام النبلاء (١٧٦/١٧ ، ترجمة الحاكم) .

لما ذهب إليه جماعة كبيرة من الأئمة الذين انتقدوا هذا الحديث وبينوا عدم ثبوته إلى النبي ﷺ، منهم ابن عدي وابن حزم وابن العربي والقرطبي وابن جزي الكلبي وأبو حيان والذهبي في آخر قوليه وابن القيم وابن كثير وابن حجر وأبو السعود والقاسمي ومحمد عبد الرحمن المباركفوري ومحمد رشيد رضا وأحمد محمد شاكر ومحمد الأمين الشنقيطي والألباني ومحمد بن صالح العثيمين وصالح الرفاعي [1] وغيرهم من المشايخ وأهل العلم [2].

يتبين بالنظر فيما سبق من العلل الموجهة إلى إسناد الحديث وإلى أقوال الأئمة في الحكم عليه أن الحديث لا يصح عن النبي ﷺ بحال، والله أعلم بالصواب .

ثانيا : الكلام عن الحديث فيما يتعلق بمتنه ودرايته :

لقد تبين بالنظر في إسناد هذا الحديث من خلال أقوال الأئمة أنه غير ثابت عن النبي ﷺ، فكذلك إلقاء النظر عليه من حيث الدراية والنظر في متنه يؤكد ضعفه وبطلانه ويبين عدم صحته إلى النبي ﷺ وبيان ذلك بما يلي :

١- لم يرد في غير هذه القصة أن إبليس كان اسمه الحارث في الجنة، وأن آدم ﷺ كان أولاده يولدون ميتين من بطن أمهم أو أنهم كانوا يموتون فور ولادتهم، وهذا كله من أمور الغيب، ولا يمكن الاعتماد على مثل هذه القصة الغير الثابتة في مثل هذه الأمور الغيبية [3]. فأصل القصة قائم على أساس منهار غير مقبول، فكيف يصح ما بني عليه من

---

(1) انظر بالترتيب : الكامل في ضعفاء الرجال (٤٣/٥، ترجمة : عمر بن إبراهيم العبدي)؛ وأحكام القرآن لابن العربي (٨١٩/٢-٨٢٠)؛ والفصل في الملل والأهواء والنحل (٤/٤)؛ والجامع لأحكام القرآن (٣٣٨/٧)؛ والتسهيل لعلوم التنزيل (٣٣٢/١)؛ وتفسير البحر المحيط (٤٣٧/٤-٤٣٨)؛ وميزان الاعتدال (١٧٩/٣، ترجمة : عمر بن إبراهيم العبدي)؛ روضة المحبين لابن القيم (ص : ٢٤٨)؛ وتفسير القرآن العظيم (٢٧٥/٢-٢٧٦)؛ وقصص الأنبياء كلاهما لابن كثير (ص : ٤٥)؛ وتحفة النبلاء من قصص الأنبياء لابن حجر (ص : ١٤٢)؛ وإرشاد العقل السليم لأبي السعود (٣٠٥/٣)؛ ومحاسن التأويل (٣١٧/٧)؛ وتحفة الأحوذي للمباركفوري (٣٦٧/٨)؛ وتفسير القرآن الحكيم لرشيد رضا (٥٢٥/٩)؛ وأضواء البيان (٢٥٤/٢)؛ وسلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة (٥١٦/١-٥١٧ ح : ٣٤٢)؛ والقول المفيد للعثمين (٨٤/٣-٨٥)؛ وتعليق الشيخ أحمد شاكر على تفسير الطبري (٣٠٩/١٣-٣١٠)؛ والثقات الذين ضعفوا في بعض شيوخهم للرفاعي (ص : ٢٣٥-٢٣٦) .

(2) منهم الشيخ عبد القادر بن شيبة الحمد (قصص الأنبياء ص : ٣٩-٤٠)، وطاهر محمود في (أسباب الخطأ في التفسير ص : ١٣٣-١٣٧)؛ وأبو بكر زكريا في (الشرك في القديم والحديث ٢٢٧/١-٢٣٠) .

(3) انظر : الشرك في القديم والحديث (٢٢٩/١) .

أن آدم عليه السلام سمى ولده عبد الحارث بوحي الشطان ووسوسته إليه ليعيش ولده.

٢- جـاء عـن النبي ﷺ ما يرغب في التسمية بالحارث إذ قال : ((أحب الأسماء إلى الله عبد الله وعبد الرحمن وأصدقها حارث وهمام)) [١] ولذلك سمي به كثير من الصحابة والتابعين ومـن بعدهـم مـن الأئمة والمحدثين [٢]. فلو كان الحارث من أسماء إبليس لغيّر النبي ﷺ أسماء الصحابة الذين كانوا يسمون بالحارث، وما كان للصحابة والتابعين وغيرهم من الأئمة والمحدثين أن يقروا هذا الاسم ويرضوه لأنفسهم، وما كان للأمة المحمدية أن تجتمع وتستمر على التسمية به منذ قرونها الأولى إلى يومنا هذا . فهذا يدل على عدم صحة دعوى أن إبليس كان اسمه الحارث، وبالتالي لا تصح دعوى أن آدم عليه السلام وقع في الشرك بتسمية ولده عبد الحارث.

٣- إن الله سـبحانه وتعالى خلق آدم وحواء عليهما السلام، وجعلهما أصل البشر وأنـزلهما إلى الأرض، وبـث مـنهما رجالا كثيرا ونساء، وجعلهم خلائف في الأرض واستعمرهم فيها، فمن المستبعد أن يولد أولادهما ميتين أو يموتوا فور الولادة في مثل ذلك الوقت؛ فإن ذلك يخالف الحكمة التي من أجلها أنزله الله إلى الأرض [٣].

٤- إن آدم عليه السلام كـان مـن أشد الناس معرفة بإبليس وعداوته الشديدة له، وكان عالما بجميع الأسماء كما قال تعالى : ﴿ وعلم آدم الأسماء كلها ﴾ [٤]، فإن صح أن إبليس كان اسمه الحارث فـلا بد أن يكون آدم عليه السلام قد علمه أيضا، فمع العداوة الشديدة التي بينه وبين إبليس ومع علمه بأن الحارث اسم الشيطان مستبعد جدا أن يسمي آدم عليه السلام ولده بعبد الحارث [٥].

٥- إن إبـليس لم يـرد له ذكـر في الآية، فلو كان اللعين كاد الأبوين في هذه القضية وغـرهما فعلاً حتى سميا المولود بعبد الحارث لورد ذكره وصُرِّحَ باسمه، كما بين الله تعالى ذلك في قصة الأكل من الشجرة، فإن المقام مقام تحذير من الانخداع بوسوسة إبليس، وذلك يقتضي

---

(١) أخـرجه د (الأدب، ب: في تغيـير الأسمـاء ٤/٢٨٧ ح : ٤٩٥٠) والحديث صححه الألباني في سلسلة الصحيحة (٢/٥٧٢-٥٧٤ ح : ٩٠٤ و ٣/٣٣-٣٤ ح : ١٠٤٠) وذكر له عدة شواهد ومتابعات .

(٢) ذكر الحافظ ابن حجر العسقلاني مائة وستة وخمسين راويا من الصحابة والتابعين ومن بعدهم،سموا بالحارث . انظر : تقريب التهذيب (ص : ١٤٥- ١٤٩ رقم : ١٠٠٨-١٠٦٤) .

(٣) انظر : قصص الأنبياء لابن كثير (ص : ٤٥) .

(٤) البقرة الآية : ٣١

(٥) انظر : التفسير الكبير (١٥/٨٦)؛ وعصمة الأنبياء للرازي (ص : ٤٤)؛ وعصمة الأنبياء للحديدي (ص : ٢٥٠).

ذكر اسمه والتصريح به، حتى لا يقع في غروره واحتياله بعد ذلك أحد من ذريتهما [1].

٦- قال تعالى : ﴿ فجعلا له شركاء فيما آتاهما ﴾ فهذا يدل على أن المتخذ شريكا لله تعالى جماعة وليس واحدا، في حين أن المتخذ شريكا لله على هذا القول واحد، وهو إبليس، فالتعبير بصيغة الجمع يدل على ضعف هذا القول ويرده [2].

٧- قال تعالى : ﴿ فتعالى الله عما يشركون ﴾ فأخبر عمن أشرك بصيغة الجمع، فلو كان المقصود الإخبار أن الذي أشرك هو آدم وحواء عليهما السلام ؛ لقال : (عما يشركان) ولم يقل : ﴿ عما يشركون ﴾[3].

٨- قال تعالى بعد ذلك : ﴿ أيشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون ﴾ وهذا يدل على أن المقصود من الآية الرد على من جعل الأصنام شركاء لله تعالى، وما جرى لإبليس اللعين في هذه الآية ذكر، ولو كان المراد إبليس لم يقل : ﴿ أيشركون ما لا يخلق شيئا ﴾ بل لقال : (أيشركون من لا يخلق شيئا) لأن العاقل إنما يذكر بصيغة (من) لا بصيغة (ما) غالبا [4].

٩- ورد في هذه القصة أن الشيطان جاء إليهما وقال لهما : " أنا صاحبكما الذي أخرجكما من الجنة " وهذا لا يقوله من يريد الإغواء، وإنما يأتي بشيء يقرب قبوله، فإذا قال : " أنا صاحبكما الذي أخرجكما من الجنة " فسيعلمان أنه عدو لهما، فلا يقبلان منه صرفا ولا عدلا [5].

١٠- وكذلك قول الشيطان في هذه القصة : " لأجعلن له قرني إيّل " إما أن يصدقا أن ذلك ممكن في حقه؛ فهذا شرك في الربوبية لأنه لا يقدر على ذلك إلا الله، أو لا يصدقا، فلا يمكن أن يقبلا قوله وهما يعلمان أن ذلك غير ممكن في حقه [6].

---

(1) انظر : التفسير الكبير (٨٦/١٥) .

(2) انظر : المصدر السابق نفسه .

(3) انظر : التفسير الكبير (٨٦/١٥) ؛ التسهيل لعلوم التنزيل (٣٣٢/١)؛ وأضواء البيان (٢٥٥/٢)؛ والقول المفيد على كتاب التوحيد (٨٦/٣) .

(4) انظر : التسهيل لعلوم التنزيل (٣٣٣/١)؛ والمصادر السابقة نفسها .

(5) انظر : القول المفيد على كتاب التوحيد (٨٦/٣) .

(6) انظر : المصدر السابق نفسه .

١١- جاء في حديث الشفاعة أن الناس يأتون آدم ﷺ فيقولون له : (يا آدم أنت أبو البشر، خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا لك، وأسكنك الجنة، ألا تشفع لنا إلى ربك ؟ ألا ترى ما نحن فيه وما بلغنا؟ فيقول : ربي غضب غضبا لم يغضب قبله مثله، ولا يغضب بعده مثله، ونهاني عن الشجرة، فعصيته نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري ... الحديث [١].

فهذا الحديث يدل على أن آدم ﷺ لم يشرك بالله تعالى – أي شرك- إذ لو كان قد وقع منه شرك لاعتذر به عن الشفاعة إلى الله تعالى، كما اعتذر بالأكل من الشجرة، فإنه ليس من المعقول أن يعتذر آدم ﷺ بالأخف والأدنى، ويترك الاعتذار بالأشد والأغلظ [٢].

١٢- إن آدم ﷺ كان أعلم بالله وأتقى لله سبحانه وتعالى من أن يشرك به سبحانه وتعالى، فمن أوصافه وفضائله أن الله سبحانه وتعالى علمه أسماء كل شيء،وجعله نبيا فهو مع نبوته وعلمه الكثير وتجاربه الكثيرة ولا سيما بعد وقوعه في الزلة وخروجه إثرها من الجنة بسبب إبليس – يستبعد منه أن يقع في مثل هذه الأمور المنكرة الواضحة؛ فإن المؤمن لا يلدغ من جحر مرتين فكيف بأبي البشر آدم ﷺ الذي اختاره الله نبيا وعلمه أسماء كل شيء ؟ [٣].

١٣- إن الأنبياء معصومون عن الشرك باتفاق العلماء ولا سيما بعد النبوة وهذا الحديث يلزم منه عدم عصمتهم من الشرك [٤]، وكل قول طعن في مقام الرسالة وعصمة الأنبياء فهو مردود [٥].

١٤- لو كانت هذه القصة في آدم وحواء فلا يخلو الأمر من حالين إما أن يقال أنهما تابا إلى الله من هذا الشرك أو أنهما ماتا عليه من غير توبة، فإن قيل : إنهما ماتا عليه من غير توبة، فقد أعظم قائله الفرية إذ قال بجواز موت أحد من الأنبياء على الشرك، وأتى بقول مخالف للإجماع، وإن قيل أنهما أشركا بالله تعالى ثم تابا منه فهذا لا يليق بحكمة الله تعالى وعدله ورحمته أن يذكر خطأهما ولا يذكر توبتهما منه، فإن الله سبحانه وتعالى لم يذكر عن نبي ذنبا

---

(١)جزء من حديث أبي هريرة الطويل في الشفاعة، أخرجه الشيخان، وقد سبق تخريجه في (ص : ١١٢) .

(٢) انظر : عصمة الأنبياء للحديدي (ص : ٢٥٢-٢٥٣)؛ والقول المفيد على كتاب التوحيد (٨٥/٣) .

(٣) انظر : قصص الأنبياء (ص : ٤٥) .

(٤) انظر : التسهيل لعلوم التنزيل (٣٣٢/١)؛ والقول المفيد (٨٥/٣)؛ و (ص : ٧٣٢-٧٤٨) من هذا البحث.

(٥) انظر : قواعد الترجيح عند المفسرين (٣٢٨/١و٣٤٣)؛ وأسباب الخطأ في التفسير (ص : ١٣٦) .

إلا مقـــرونا بتوبته، كما في قصة آدم نفسه حين أكل من الشجرة هو وزوجه وتابا من ذلك، فيمتـــنع غاية الامتناع أن يذكر الله تعالى شركا عن آدم وحواء من غير ذكر توبتهما، وهما قد تابا منه . فنسبة الشرك إلى آدم وحواء عليهما السلام باطلة وممتنعة في كلتا الحالتين [1].

١٥-١٦ : جـــاء في الـــتوراة الموجـــودة بين يدي أهل الكتاب اليوم ما نصه : (وعرف آدم حواء امرأته فحبلت وولدت قايين. وقالت : اقتنيت رجلا من عند الرب . ثم عادت فولدت أخاه هابيل . وكان هابيل راعيا للغنم وكان قايين عاملا في الأرض وحدث من بعد أيام أن قايين قدم من أثمار الأرض قربانا للرب وقدم هابيل أيضا من أبكار غنمه ومن سمانها . فنظر الرب إلى هابيل وقربانه ولكن إلى قايين وقربانه لم ينظر. فاغتاظ قايين جدا وسقط وجهه ... وكلم قايين هابيل أخاه وحدث إذ كانا في الحقل أن قايين قام على هابيل أخيه وقتله) [2].

فهـــذا النص من التوراة المحرفة يدل على أن الابن الأول لآدم ﷺ لم يمت فور الولادة بل عاش طويلا، وأنه هو الذي قتل أخاه فيما بعد ويوافق على ذلك ما جاء عن الصادق المصدوق ﷺ فعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : لا تقتل نفس ظلما إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها، لأنه أول من سن القتل [3].

وبعد مجيء هذا الحديث الصحيح الثابت عن المصطفى ﷺ لا يبقى شك أن الابن الأول لآدم ﷺ عـــاش طويلا، وأنه لم يمت فور الولادة، وكذلك الولد الثاني أيضا عاش، و لم يمت فـــور الولادة، وبه يعلم علما يقينيا أن قصة تسمية آدم وحواء عليهما السلام لولدهما بعبد الحارث ليعيش وأنه أولادهما قبله كانوا يموتون قصة باطلة، ولا يمكن أن تكون صادرة من مشكاة النبوة إذ لا يصدر عن النبي المعصوم خبران متناقضان والله أعلم بالصواب .

فهـــذه الوجوه المذكورة تدل على أن هذه القصة غير صحيحة إلى النبي ﷺ، ولا يمكن أن تصدر مثلها من مشكاة النبوة، وإذا جمعت الوجوه بعضها إلى بعض، ونظر إليها جميعها؛ تؤمل فـــيما قيـــل عنها رواية ودراية لا يبقى شك في بطلانها من أساسها، فلا يجوز أن يعتقد في آدم

---

(١) انظر : القول المفيد على كتاب التوحيد (٣/٨٥) .

(٢) سفر التكوين (٤/١-٨) .

(٣) حديث صحيح، أخرجه البخاري ومسلم، وقد سبق تخريجه في (ص : ٧٢٢) .

وحواء – عليهما السلام أنه وقع منهما شرك بأي حال من الأحوال، والله أعلم بالصواب .

وأما الآثار الواردة في ذلك عن السلف، فأغلبها غير صحيحة الأسانيد إلى من حكيت عنهم، وبالإضافة إلى ذلك من المحتمل جدا أن تكون مأخوذة من خرافات أهل الكتاب وأساطيرهم؛ فإن من دأبهم النيل من كرامة الأنبياء والحط من شأن الرسل، ونسبة كل الجرائم والقبائح حتى السكر والزنا والكفر والشرك ...إلى تلك الصفوة المختارة المعصومة المحفوظة بحفظ الله، وهذه القصة يلزم منها نسبة الشرك إلى آدم وحواء عليهما السلام، فلا يبعد أن يكون أصلها منهم، وقد نبه على ذلك جماعة كبيرة من أهل العلم[1]، أكتفي بذكر نماذج من كلامهم في ذلك :

قال العلامة ابن حزم : (وهذا الذي نسبوه إلى آدم ﷺ من أنه سمى ابنه عبد الحارث خرافة موضوعة مكذوبة من تأليف من لا دين له ولا حياء، لم يصح سندها قط، وإنما نزلت في المشركين على ظاهرها) [2].

وقال الحافظ ابن كثير : (قد تلقى هذا الأثر عن ابن عباس من أصحابه كمجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة، ومن الطبقة الثانية قتادة والسدي وغير واحد من السلف، وجماعة من الخلف، ومن المفسرين من المتأخرين جماعات لا يحصون كثرة، وكأنه – والله أعلم – أصله مأخوذ من أهل الكتاب؛ فإن ابن عباس رواه عن أبي بن كعب كما رواه ابن أبي حاتم، حدثنا أبي، حدثنا أبو الجماهر، حدثنا سعيد يعني ابن بشير، عن عقبة عن قتادة عن مجاهد عن ابن عباس عن أبي بن كعب قال : (لما حملت حواء أتاها الشيطان، فقال لها : أتطيعيني ويسلم لك ولدك، سميه عبد الحارث. فلم تفعل، فولدت فمات، ثم حملت، فقال لها مثل ذلك، فلم تفعل، ثم حملت الثالثة، فجاءها فقال : إن تطيعيني يسلم وإلا فإنه يكون بهيمة، فهيبهما فأطاعا) [3]. وهذه الآثار يظهر عليها – والله أعلم – أنها من آثار أهل الكتاب ،...ثم أخبارهم على ثلاثة أقسام، فمنها ماعلمنا صحته بما دل عليه الدليل من كتاب الله أو سنة رسول الله، ومنها ماعلمنا كذبه بما دل على خلافه

---

(1) منهم ابن العربي في (أحكام القرآن ٢/٨٢٠)، والقاسمي في (محاسن التأويل ٧/٣١٧)، ومحمد أبو شهبة في (الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير ص : ٢٩٢-٣٠٠)، ورمزي نعناعة في (الإسرائيليات وأثرها في كتب التفسير (ص : ٢٠٥-٢٠٧)، وأحمد نجيب بن عبد الله في (الروايات الإسرائيلية في تفسير الطبري ص : ٥٣٨-٥٥٠)، وعبد القادر بن شيبة الحمد في (قصص الأنبياء ص : ٣٩-٤١) .

(2) الفصل في الملل والأهواء والنحل (٤/٤) .

(3) السند إليه ضعيف، وقد سبق تخريجه والحكم عليه في (ص : ٧٦٤-٧٦٥) .

مــن الكــتاب والسنة أيضا، ومنها ماهو مسكوت عنه فهو المأذون في روايته ...، وهو الذي لا يصــدق ولا يكذب ... وهذا الأثر هو من القسم الثاني أو الثالث فيه نظر، فأما من حدث به من صحابي أو تابعي، فإنه يراه من القسم الثالث، وأما نحن فعلى مذهب الحسن البصري -رحمه الله- في هذا، وأنه ليس المراد من هذا السياق آدم وحواء، وإنما المراد من ذلك المشركون من ذريته)[1].

وقــال محمــد رشيد رضا : (ولما كانت هذه الآثار مأخوذة من الإسرائيليات، ولما كــانت طعــنا في عقيدة أبوينا آدم وحواء عليهما السلام بما تبطله عقائد الإسلام وجب الجزم ببطلانها وتكذيبهم فيها)[2].

فيتبين مما سبق أن الحديث المذكور والآثار الواردة عن السلف في هذا المعنى لا يمكن الاعــتماد عــليها لتفســير الآيــات المذكورة لعدم صحة الحديث، لا رواية ولا دراية، ولاحتمال أن تكون هذه الآثار مأخوذة من الإسرائيليات ولأنه يلزم منها نسبة الشرك إلى آدم عليه السلام وهو نبي والأنبياء كلهم منزهون عن الشرك بالاتفاق والله أعلم بالصواب .

المجموعة الثانية : الأقوال المبنية على عدم صحة حديث سمرة رضي الله عنه :

أصــحاب هذه الأقوال ذهبوا إلى عدم صحة حديث سمرة رضي الله عنه، فضعفوه وبينوا علله، وفســروا الآيــات بما يوافق طبيعة اللغة العربية، وبما روي من آثار عن السلف في ذلك، ففســروها تفسيرا لا يلزم منه نسبة الشرك إلى النبي المعصوم آدم عليه السلام ، ولهم في ذلك عدة تفسيرات ويمكن ذكر خلاصتها من خلال تقسيمها إلى قسمين :

القسم الأول : إن هذه الآية لا تتحدث عن آدم وحواء عليهما السلام وهذا القسم تحته عدة أقوال، وهي كما يلي :

١- هذا خطاب خاص بكفار قريش الذين كانوا في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وهم آل قصي، والمراد بالــنفس الواحــدة هنا قصي، ومعنى ﴿جعل منها زوجها﴾ أنه زوَّجه بامرأة عربية قرشية مثله، ليســكن إليهــا ... فلما آتاهما ما طلبا من الولد الصالح السوي جعلا له شركاء فيما آتاهما حيث سميا أولادهما : عبد مناف وعبد العزى وعبد اللات وعبد الدار، والضمير في يشركون

---

(1) تفسير القرآن العظيم (٢٧٥/٢) .

(2) تفسير القرآن الحكيم (٥٢٥/٩) .

لهمـــا ولأعقابها الذين اقتدوا بهما في الشرك . فهذه الآيات لا تتحدث عن آدم وحواء عليهما السلام، فلا معنى لوقوعهما في الشرك، وهذا التوجيه ذهب إليه الزمخشري [١].

ولكن هذا التوجيه فيه نظر وبيان ذلك بما يلي [٢]:

أ – المتبادر من الآية أن المراد بالنفس الواحدة وزوجها آدم وحواء عليهما السلام، لا قصـــي وزوجه، ولذلك فسر جمهور المفسرين حتى الزمخشري نفسه هذه الآيات[٣] وما في معناها بآدم وحواء عليهما السلام .

ب – الظاهـــر من قوله تعالى : ﴿هوالذيخلقكم﴾ أن الخطاب عام لبني آدم كلهم، وليس خاصا ببعضهم [٤].

ج – المخاطبون من كفار مكة لم يكن كلهم أو جلهم من أولاد قصي، بل كان في مكة كثير ممن ليس من أولاد قصي، كما أن قريشا في ذلك الوقت لم يكونوا مجتمعين في مكة وحدها بل كانوا متفرقين في أماكن أخرى .

د – قصي لم تكن زوجته قرشية، وإنما كانت بنت سيد مكة من خزاعة .

هـــــ – من أين علم أن قصيا وزوجته كانا وعدا عند الحمل أن يكونا شاكرين لله تبارك وتعالى ثم كفر بعد ذلك بما ذكر من تسمية أولادهما بعبد الدار ونحوه .

و – أن الكفر الذي كانا فيه من عبادة الأصنام والأوثان وصرف ما هو خاص بالله تعالى إلى غيره سبحانه – أشد مما ذكر من تسمية أولادهما بعبد الدار ونحوه .

٢ – المـــراد بالنفس الواحدة في هذه الآية الجنس وجعل من هذا الجنس زوجه، ولم يجعل زوجه من جنس البقر أو الضأن أو نحو ذلك، والنفس بمعنى الجنس وارد في اللغة العربية كما في قوله تعالى: ﴿ لقد منالله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم ﴾ [٥] ؛ أي : من جنسهم، وعلى هذا لا يكون في هذه الآيات ذكر لآدم وحواء عليهما السلام، فلا تبقى شبهة وقوع الشرك منهما،

---

(١) انظر : الكشاف (٢/٥٤٢-٥٤٣) .

(٢) هذه الوجوه التالية أغلبها مستفادة من روح المعاني للآلوسي (٩/١٤١) .

(٣) انظر : الكشاف (٢/٥٤٠) .

(٤) انظر : التسهيل لعلوم التنزيل (١/٣٣٣) .

(٥) آل عمران الآية : ١٦٤

وهذا القول اختاره ابن العربي [1] والشيخ محمد بن صالح العثيمين [2].

٣- إن هـذه الآيـات ضـرب الله تعالى بها مثلا لبيان حالة المشركين في جهلهم ووقوعهم في الشرك، فمعنى الآية : أن الله تعالى يقول لهم أنه هو الذي خلقكم من نفس واحـدة وجعل من جنسها زوجها إنسانا يساويه في الإنسانية، فلما تغشى الزوج زوجته وظهر الحمل دعا الزوج والزوجة ربهما : إن آتانا ولدا صالحا سويا لنكونن من الشاكرين لآلائك ونعمائك، فلما آتاهما الله ولدا صالحا سويا جعل الزوج والزوجة لله شركاء فيما آتاهما؛ لأنهم تارة ينسبون ذلك الولد إلى الطبائع كما يقول الطبيعيون، وتارة ينسبونه إلى الكواكـب كقول المنجمين، وتارة إلى الأصنام والأوثان كقول عبدة الأصنام ، فتعالى الله عن شرك ذلك الشرك . هذا القول ذكره الرازي وعزاه إلى القفال [3].

القسـم الثاني : إن المراد بالنفس الواحدة وزوجها آدم وحواء عليهما السلام ولكن الشرك المذكور في هذه الآيات لم يكن صادرا منهما، وإنما كان من بعض أولادهما، ويدل على ذلك قوله تعالى بعد ذلك: ﴿ فتعالى الله عما يشركون* أيشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون ﴾ وهـذا نـص قرآني صريح في أن المراد المشركون من بني آدم، لا آدم وحواء واختار هذا الوجـه غـير واحد لدلالة القرآن عليه، وممن ذهب إليه عكرمة [4] والحسن البصري [5]، واختاره ابن كثير وابن حجر، ورجحه الشيخ محمد الأمين الشنقيطي [6] وغيرهم .

ولكن قد يشكل على هذا التوجيه تشتت الضمائر [7] في قوله تعالى في آخر الآية :

---

(1) انظر : أحكام القرآن (٢/٨١٩-٨٢٠) .

(2) انظر : القول المفيد على كتاب التوحيد (٣/٧٨-٧٩)

(3) انظـر : التفسير الكبير (١٥/٨٦-٨٧)، والقفال هو أبو بكر محمد بن علي بن إسماعيل الشاشي الشافعي صاحب التصانيف في التفسير والفقه والأصول، توفي سنة ٣٦٥هـ. انظر : سير أعلام النبلاء (١٦/٢٠٠) .

(4) ذكـره عنه سعيد بن منصور في سننه (الأعراف : ١٧٢، ٥/١٧٤ ضمن الأثر برقم : ٩٧٣) [بتحقيق د. سعد آل حميد ط. الأولى] .

(5) سبق توثيق أقواله قريبا في (ص : ٧٧٤) .

(6) انظر بالترتيب : تفسير القرآن العظيم (٢/٢٧٥-٢٧٦)؛ وتحفة النبلاء من قصص الأنبياء (ص : ١٤٣)؛ وأضواء البيان (٢/٢٥٤-٢٥٥) .

(7) انظر : القول المفيد على كتاب التوحيد (٣/٨٠) .

﴿ فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما فتعالى الله عما يشركون * أيشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون ﴾ ، وقد أجاب عن ذلك أهل العلم بما يلي :

١- إن الآيتين في حق آدم وحواء ومعنى قوله تعالى : ﴿ جعلا له شركاء ﴾ ؛ أي : جعل أولادهما له شركاء، ولكن حذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه، وهذا وارد في اللغة العربية كما في قوله تعالى : ﴿ وَسْئَلِ القرية ﴾ [١]؛ أي : أهل القرية . هذا القول ذهب إليه الزمخشري وحسين بن أبي العز الهمذاني والبيضاوي والنسفي وابن جزي الكلبي [٢].

٢- إن أول الآية موصول بآخرها لفظا ولكنه مفصول منها معنى؛ ففي الآية استطراد من الشخص إلى النوع، وهذا أسلوب لطيف من أساليب القرآن الكريم وله أمثلة كثيرة منها قوله تعالى : ﴿ ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين * ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ﴾ [٣] فالأول آدم والثاني بنوه. ومنها قوله تعالى : ﴿ يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى وأتوا البيوت من أبوابها ﴾ [٤] فإنه سبحانه وتعالى لما ذكر لهم وقت الإحرام وهو من فوائد الأهلة استطرد منه إلى ذكر ما كانوا يفعلونه فيه وهو إتيانهم البيوت من ظهورها، فكذلك قوله تعالى : ﴿ هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها فلما تغشاها حملت حملا خفيفا فمرت به فلما أثقلت دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحا لنكونن من الشاكرين * فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما فتعالى الله عما يشركون * أيشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون ﴾ . فهذه الآيات فيها استطراد من ذكر الأبوين إلى ذكر المشركين من أولادهما . وهذا التوجيه ذهب إليه السدي في بعض الروايات المنقولة عنه[٥]، وهو الذي اختاره ابن القيم وابن كثير وابن حجر

---

[١] يوسف الآية : ٨٢

[٢] انظر بالترتيب : الكشاف (٥٤١/٢)؛ والفريد في إعراب القرآن المجيد للهمذاني (٣٩٤/٢)؛ وأنوار التنزيل (٢٥٤/٢)؛ ومدارك التنزيل (٦٢٤/١)؛ والتسهيل لعلوم التنزيل (٣٣٢/١) .

[٣] المؤمنون الآيتان : ١٢-١٣

[٤] البقرة الآية : ١٨٩

[٥] أخرجها عنه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٦٣٤/٥-١٦٣٥) وهي حسنة الأسانيد إليه .

والسيوطي وصديق حسن خان وعبد الرحمن السعدي وعبد القادر بن شبية الحمد [1].

٣- معنى الآية أنه تعالى آتى آدم وحواء نسلا صالحا ولكن كفر بعد ذلك كثير من نسلهما وذريتهما فلم يشكروا الله سبحانه وتعالى بل أشركوا به سبحانه فأسند فعل الذرية إلى آدم وحواء؛ لأنهما أصل لذريتهما ونظير ذلك قوله تعالى : ﴿ولقد خلقناكم ثم صورناكم﴾ [2]؛ أي : بخلقنا وتصويرنا لأبيكم آدم لأنه أصلهم بدليل قوله تعالى بعده : ﴿ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم﴾. هذا التوجيه ذكره أبو جعفر النحاس، وإليه ذهب الشيخ محمد الأمين الشنقيطي [3].

٤- ضمير التثنية في قوله تعالى : ﴿جعلا له شركاء فيما آتاهما﴾ ليس عائدا إلى آدم وحواء عليهما السلام بل هو عائد إلى قوله : ﴿صالحا﴾ وهو صفة لموصوف محذوف، يصح أن يكون نسلا صالحا ويصح أن يكون ولدا صالحا، والولد جنس يشمل الذكر والأنثى والقليل والكثير، فعندما يجري الكلام عليه بعد ذلك بضمير التثنية فالمقصود النوعان : الذكور والإناث، وعندما يجري الكلام عليه بضمير الجمع فالمقصود النسل الصالح والأولاد الصالحون . وهذا القول ذهب إليه أبو جعفر النحاس واستحسنه القرطبي، وبه قال الخطيب الشربيني [4] ومصطفى المنصوري، واختاره الدكتور محمد أبو النور الحديدي [5].

وهذه كلها أوجه سليمة لا غبار عليها من حيث اللغة العربية، ومن حيث أساليب القرآن الكريم في تقرير المسائل، وأيضا معهم آثار وأقوال من السلف، ولا يلزم منها نسبة الشرك إلى آدم وحواء عليهما السلام، فينبغي الأخذ بها، والله أعلم بالصواب .

---

(1) انظر بالترتيب : التبيان في أقسام القرآن (ص : ١٦٥)؛ وروضة المحبين (ص : ٢٤٧-٢٤٨)؛ وهداية الحيارى (ص : ٣٦٣-٣٦٤)وهذه كلها لابن القيم؛ وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢/٢٧٥-٢٧٦)؛ وتحفة النبلاء من قصص الأنبياء (ص : ١٤٣)؛ والإتقان في علوم القرآن (١/٢٥٢-٢٥٣)؛ وأبجد العلوم للقنوجي (٢/٤٩٤)؛ وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي (ص : ٤٠٣-٤٠٤)؛ وقصص الأنبياء لعبد القادر الحمد (ص : ٤٠-٤٢) .

(2) الأعراف الآية : ١١

(3) انظر بالترتيب : معاني القرآن (٣/١١٧)؛ وأضواء البيان (٢/٢٥٤-٢٥٥) .

(4) محمد بن أحمد الشربيني، القاهري الشافعي، المعروف بالخطيب الشربيني، فقيه مفسر نحوي صرفي، توفي سنة ٩٧٧هـ . انظر : معجم المؤلفين (٨/٢٦٩) .

(5) انظر بالترتيب : إعراب القرآن (٢/١٦٧)؛ ومعاني القرآن الكريم (٣/١١٦)، كلاهما للنحاس؛ والجامع لأحكام القرآن (٧/٣٣٩)؛ والسراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير للشربيني (١/٥١٤-٥١٥)؛ والمقتطف من عيون التفاسير للمنصوري (٢/٢٠٦-٢٠٧)؛ وعصمة الأنبياء للحديدي (ص : ٢٥٢-٢٥٣) .

الشبهة الثالثة : حكي من قول علي بن أبي طالب [1]وابن عباس [2] أن ابن آدم لما قتل أخاه، بكى آدم عليه السلام فقال :

تَغَيَّرَت الْبِلاَدُ وَمَنْ عَلَيْهَا فَلَــوْنُ الأَرْضِ مُغْبَرٌّ قَبِيـــحُ
تَغَيَّرَ كُلُّ ذِيْ لَوْنٍ وَطَعْمٍ وَقَلَّ بَشَاشَةُ الْوَجْهِ الْمَلِيـــحِ
قَتَلَ قَابِيْلُ هَابِيْلاً أُخَــاهُ فَوَاحُزْناً مَضَى الْوَجْهُ الصَّبِيْحُ [3].

فهذا الأثر المحكي عن علي بن أبي طالب وابن عباس يدل على أن آدم عليه السلام قال شعرا رثاء على وفاة ابنه هابيل، والأنبياء عليهم لا يقولون الشعر . قال تعالى : ﴿وما علمناه الشعر وما ينبغي له﴾ [4] فكيف تصح نسبة الشعر إلى أبي البشر آدم عليه السلام ؟ .

فالجواب إن نسبة الشعر إلى آدم عليه السلام غير صحيح، وبيان ذلك بما يلي :

أولا : الأثــر الذي حكي عن علي بن أبي طالب وابن عباس في نسبة الشعر إلى آدم عليه السلام لم يصــح إســناده إليهما بل هو منحول عليهما، فالأثر الذي نسب إلى علي بن طالب رضي الله عنه في إسناده إليه رواة متكلم فيهم، وبعضهم كذاب ومتهم بالوضع ، وتفصيل ذلك بما يلي :

- ابــن حميــد هو محمد بن حميد حيان الرازي، كان ابن معين حسن الرأي فيه و لكن أكثر الأئمة على تضعيفه حتى اتهمه غير واحد من الأئمة بالكذب وسرقة الأحاديث وقد سبق الكلام عنه بالتفصيل [5].
- سلمة هو سلمة بن الفضل الأبرش، وهو صدوق كثير الخطأ، وقد سبق ذكره [6].
- غياث بن إبراهيم الكوفي، تالف متروك الحديث، متهم بوضع الحديث[7].

---

(1) أخرجه عنه ابن جرير الطبري في تفسيره (٦/١٩٠) بإسناده فقال : حدثنا ابن حميد، ثنا سلمة عن غياث بن إبراهيم عن أبي إسحاق الهمداني قال : قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه ... الخ .

(2) أخــرجه عنه الخطيب في (تاريخ بغداد ١٢٨/٥ برقم : ٢٥٥٢، في ترجمة أحمد بن محمد المخرمي) فقال : حدثنا الأزهــري، أخبرنا علي بن عمر الحافظ، حدثنا إسماعيل بن العباس الوراق، حدثنا أبو البختري عبد الله بن محمد بن شاكر، حدثني أحمد بن محمد المخرمي، عن عبد العزيز بن الرماح، عن سفيان بن عيينة، عن بن أبي نجيح، عن مجاهد عن بن عباس ... الخ، وكذلك ذكره الذهبي في (ميزان الاعتدال ١٥٤/١، في ترجمة المخرمي) .

(3) البيت الأخير في الرواية المنسوبة إلى ابن عباس وليس في الرواية المنسوبة إلى علي بن أبي طالب .

(4) يس الآية : ٦٩

(5) انظر : (ص : ٤٥٩و٥١٨-٥٢٠) .

(6) انظر : (ص : ٤٥٩) .

(7) انظر : الضعفاء الصغير للبخاري (ص : ٤٧٣ برقم : ٢٩٤)؛ والضعفاء والمتروكون للنسائي (١٨٧ برقم : ٤٨٥)؛ وميزان الاعتدال (٣٣٧/٣-٣٣٨ برقم : ٦٦٧٣)؛ ولسان الميزان (٢٩٩/١، في ترجمة : أحمد بن محمد المخزومي و ٤٢٢/٤ برقم : ١٣٩٧)؛ الوضع في الحديث (٢٧٠/١-٢٧١) .

● أبو إسحاق الهمداني لعله عمرو بن عبد الله بن عبيد ويقال له ابن أبي شعيرة الهمداني فإن كان هو فهو ثقة كان ولد في خلافة عثمان بن عفان ﷺ، وفي سماعه عن علي بن أبي طالب كلام [1].

فهـــذا الأثر لا يصح عن علي بن أبي طالب، والغالب أنه نسبه إليه غياث بن إبراهيم كذبا وزورا عليه فإنه كان متهما بوضع الحديث .

وكذلك ما حكي عن عبد الله بن عباس إسناده أيضا غير صحيح إليه فإن في إسناده أحمـــد بن محمد المخرمي أو المخزومي عن عبد العزيز بن الرماح، وقد قال الذهبي بعد أن ذكر الشعر المذكور : (الآفة المخرمي أو شيخه) [2] ونقل ذلك عنه الحافظ ابن حجر [3] وأقره، وأيضا جاء عن ابن عباس ﷺ ما يعارض هذا القول ويكذبه وسيأتي ذكره.

فـــالقول بنسبة الشعر إلى آدم ﷺ لم يصح سنده إلى علي بن أبي طالب، ولا إلى عبد الله ابن عباس رضي الله عنهم .

ثانيا : القول بأن آدم ﷺ قال الشعر المذكور فرع عن دعوى أنه كان يتكلم بالعربية، واللغة الـــتي كان يتكلم بها آدم ﷺ فيها اختلاف كثير، ولا يمكن تعيينها على وجه الجزم واليقين، فلا يصح أن ينسب هذا الشعر العربي إلى آدم ﷺ ؛ إذ ليس هناك دليل معتمد صحيح صريح يدل على أن آدم ﷺ كان يتكلم بالعربية، وقد سبق الكلام عن ذلك بالتفصيل [4].

ثالـــثا : روي عن عبد الله بن عباس – رضي الله عنهما – أنه قال : (من قال : إن آدم قال شعرا، كذب على الله ورسوله، ورمى آدم بالمأثم، إن محمدا والأنبياء كلهم في النهي عن الشعر) [5].

فهـــذا القول من حبر الأمة يدل على أن الأنبياء كلهم معصومون عن الشعر وأنهم لا يقولون الشعر، فهذا يدل على بطلان ما نسب إلى آدم ﷺ من أنه قال شعرا في رثاء ابنه هابيل، كما يدل على بطلان الأثر المنسوب إليه في ذلك، وأنه مكذوب عليه ﷺ .

---

(1) انظر : أقوال الأئمة فيه في (تهذيب التهذيب ٤/٣٥٦-٣٥٩ برقم : ٥٨٥٤) .

(2) ميزان الاعتدال (١/١٥٤ ترجمة أحمد بن محمد المخرمي) .

(3) انظر : لسان الميزان (١/٢٩٨، ترجمة أحمد بن محمد المخزومي) .

(4) انظر : (ص : ١٩٦-٢٠٠) .

(5) ذكـــر الحافظ ابن حجر في لسان الميزان (١/٢٩٩، ترجمة : أحمد بن محمد المخزومي) جزءا من إسناد الأثر المذكور عن ابن عباس ،وأحال إلى الثعلبي ،وما ذكره من الإسناد رجاله ما بين ثقة وصدوق .

رابعا : هذا الشعر المنسوب إلى آدم ﷺ مع كونه مكذوبا فيه لحن وركاكة لغوية :

قـــال الزمخشري : (روي أن آدم مكث بعد قتل ابنه مائة سنة لا يضحك، وأنه رثاه بشعر، وهو كذب بحت، وما الشعر إلا منحول ملحون، وقد صح أن الأنبياء معصومون من الشعر) [1].

واستحسن الرازي ما قاله الزمخشري فقال (وصدق صاحب الكشاف فيما قال؛ فإن ذلـــك الشعر في غاية الركاكة، لا يليق بالحمقى من المعلمين، فكيف ينسب إلى من جعل الله علمه حجة على الملائكة) [2].

وأشـــار الآلوســـي إلى بعض أوجه الركاكة في البيت المذكور فقال : (ذكر بعض عـــلماء العـــربية : أن في ذلك الشعر لحنا، وإقواء[3] وارتكاب ضرورة[4]، والأولى عدم نسبته إلى يعرب [؛ أي: ابن قحطان]، لما فيه من الركاكة الظاهرة) [5].

وقـــال الشيخ محمد محمد أبو شهبة : (والحق أنه شعر في غاية الركاكة، والأشبه أن يكون هذا الشعر من اختلاق إسرائيلي، ليس له من العربية إلا حظ قليل، أو قصاص يريد أن يستولي على قلوب الناس بمثل هذا الهراء) [6].

خامسا : قد يكون آدم ﷺ قال كلاما يتحزن به على ابنه هابيل ونظمه غيره ونسبه إليـــه . قـــال ابن كثير : (هذا الشعر فيه نظر، وقد يكون آدم ﷺ قال كلاما يتحزن به بلغته، فألفه بعضهم إلى هذا، وفيه أقوال، والله أعلم) [7].

---

(1) الكشاف (٢٢٧/٢) .

(2) التفسير الكبير (٢٠٨/١١) .

(3) الإقـــواء هو أن يختلف إعراب القوافي فتكون قافية مرفوعة مثلا وأخرى مخفوضة أو منصوبة، والبيت المذكور فيه إقواء واضـــح؛ فإن القافية الأولى منه مرفوعة، والثانية مخفوضة ثم الثالثة مرفوعة أيضا، وهذا يعتبر عيبا في الشعر ولا سيما في شعر المولدين . انظر : نقد الشعر لابن جعفر (ص : ١٨٥) والعمدة في صناعة الشعر والنقد لابن رشيق (٢٦٢/١-٢٦٣) ومقامات الزمخشري (مقامة القوافي ، ص : ٢٤٢)؛ ومعجم البلاغة العربية (ص : ٥٧٢-٥٧٤) .

(4) وارتكـــاب الضرورة الشعرية في البيت المذكور هو قوله : " قتل قابيل هابيلا " وذلك أن هابيل غير منصرف للعجمة والعلمية وما كان غير منصرف لا يدخل عليه التنوين كما في " قابيلُ " فإدخال التنوين على ما لا يجوز تنوينه من الضرورة الشعرية والله أعلم .

(5) روح المعاني (١١٥/٦) .

(6) الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير (ص : ٢٥٨) .

(7) قصص الأنبياء (ص : ٤٣) .

فيتـــبين مما سبق أن الشعر المذكور لا تصح نسبته إلى آدم ﷺ، وأن الأثر المحكي في ذلك عـــن علي بن أبي طالب وابن عباس — رضي الله عنهم — غير ثابت عنهما بل هو مكذوب مختلق عليهما ولعله من اختلاق من لم يكن له نصيب جيد بالعربية والله أعلم بالصواب .

الشبهة الرابعة : جاء في الحديث أن آدم عليه السلام كان قد أعطى من عمره أربعين عاما لابـــنه داود عليه السلام ثم لما جاء وقت وفاة آدم عليه السلام جحده ونسيه، فعن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : لما خلق الله آدم مسح ظهره، فسقط من ظهره كل نسمة هو خالقها مـــن ذريته إلى يوم القيامة، وجعل بين عيني كل إنسان منهم وبيصا من نور، ثم عرضهم عـــلى آدم، فقال : أي رب من هؤلاء ؟ قال : هؤلاء ذريتك، فرأى رجلا منهم، فأعجبه وبيـــص ما بين عينيه، فقال : أي رب ! من هذا ؟ فقال : هذا رجل من آخر الأمم من ذريتك يقال له داود، فقال : رب كم جعلت عمره ؟ قال : ستين سنة، قال : أي رب! زده مـــن عمري أربعين سنة، فلما قضي عمر آدم جاءه ملك الموت، فقال : أو لم يبق من عمـــري أربعون سنة ؟ قال : أو لم تعطها ابنك داود؟ قال : فجحد آدم فجحدت ذريته، ونسي آدم فنسيت ذريته، وخطئ آدم فخطئت ذريته [1] .

وقد ضعف هذا الحديث الشيخ عبد القادر بن شيبة الحمد — حفظه الله — فقال : (وأما قصـــة هبته من عمره لداود ... فهذا الخبر لا يصح عن رسول الله ﷺ بحال؛ لأنه يدور على عـــلي بـــن زيد وفي حديثه نكارة، وقد أخرج نحوه الترمذي بسند فيه هشام بن سعد، وقد وصـــف بأنه له أوهام وقد رمي بالتشيع، والظاهر أن هذا من أوهامه، كما رواه ابن أبي حاتم مـــن طـــريق عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وهو ضعيف عند المحدثين، ولا يجوز أن يوصم أبو البشـــر نـــبي الله آدم عليه السلام بالجحود بمثل هذه الأخبار؛ إذ الجحود من الأمور المذمومة التي لا يرتضيها عوام المسلمين لأنفسهم فكيف يوصف بها نبي من أنبياء الله ؟) [2].

فالشـــيخ يرى عدم صحة حديث إعطاء آدم عليه السلام من عمره أربعين سنة لداود عليه السلام وينتقد ذلك من وجهين :

الوجه الأول : عدم صحة سنده إلى النبي ﷺ (في رأي الشيخ).

---

(1) حديث صحيح، وقد سبق تخريجه في (ص : ١٤٤-١٤٥) .

(2) قصص الأنبياء القصص الحق (ص : ٤٢-٤٣) .

والوجه الثاني : إن الجحود صفة ذم فلا ينبغي أن تنسب إلى آدم عليه السلام.

ولكن ما ذهب إليه الشيخ غير صحيح، وبيان ذلك بما يلي :

أولا : إن هذا الحديث له طرق كثيرة، وبعضها ضعيفة، وقد أشار الشيخ إلى ثلاثة منها ولكن لا يـــلزم من ضعف تلك الطرق أن تكون الطرق الأخرى كلها ضعيفة، فإنه مروي عن النبي ﷺ عن ثلاثة من الصحابة فيما وقفت عليه، وفيما يلي ذكر طرقها مع بيان ما لها وما عليها باختصار :

● حديث عبد الله بن سلام رضي الله عنه مختصرا .

أخرجه ابن أبي شيبة [1] والنسائي[2] فقالا : حدثنا قتيبة بن سعيد ثنا، ليث، عن ابن عجلان، عن سعيد المقبري،عن أبيه ، عن عبد الله بن سلام عن النبي ﷺ .

وهذا الإسناد رجاله كلهم ثقات ولكن محمد بن عجلان المدني تكلم فيه الأئمة فيما رواه من طريق سعيد المقبري – خاصة، فقال الإمام أحمد : (كان ثقة، إلا أنه اختلط عليه حديـــث المقبري ، كان عن رجل، جعل يصيره عن أبي هريرة)[3] وقال ابن معين : (ثقة أوثـــق مـــن محمد بن عمرو، وما يشك في هذا أحد، كان دادو بن قيس يجلس إلى ابن عجلان يـــتحفظ عنه، وكان يقول : إنها اختلطت على ابن عجلان يعني أحاديث سعيد المقبري) [4]، وفصـــل ذلـــك يحيى القطان ونقله من قول ابن عجلان نفسه فقال القطان : (قال محمد بن عجلان : أحاديث سعيد المقبري روى بعضها سعيد عن أبي هريرة، وروي بعضها عن سعيد عن رجل عن أبي هريرة، واختلط عليَّ، فجعلتها عن سعيد عن أبي هريرة) [5]. وقال الحافظ ابن حجر : (صدوق إلا أنه اختلطت عليه أحاديث أبي هريرة) [6].

---

(1) انظر : المصنف (٢٦٧/٧ ح : ٣٥٩٥٨) .

(٢) انظر : عمل اليوم والليلة (ص : ٢٣٨ ح : ٢١٩) .

(3) ذكره ابن رجب في (شرح علل الترمذي ٤١٠/١) .

(4) ذكره عنه الحافظ ابن حجر في تهذيب التهذيب (٢١٩/٥-٢٢٠ ، ترجمة ابن عجلان) .

(5) ذكره عنه الإمام البخاري في (التاريخ الكبير (١٩٧/١ برقم : ٦٠٣)، والترمذي في سننه (٨٧/٥)، وابن حبان في (الثقات ٣٨٦/٧ برقم : ١٠٥٤٣)، والذهبي في (سير أعلام النبلاء ٣٢٢/٦ ترجمة : ابن عجلان) وفي ميـــزان الاعـــتدال (٦٤٥/٣ برقم : ٧٩٣٨)، وابن رجب في (شرح علل الترمذي ٤١٠/١)؛ وابن حجر في (تهذيب التهذيب ٢٢٠/٥ برقم : ٧١٥٦) .

(6) تقريب التهذيب (ص : ٤٩٦ برقم : ٦١٣٦) .

الحاصل : إن ابن عجلان حصل له اختلاط فيما رواه عن سعيد المقبري، وقد يكون اختلاطه في أحاديث المقبري عموما، فيخشى في هذا الحديث من اختلاطه، فلا يمكن الاعتماد عليه حينئذ، وقد يكون اختلاطه خاصا بما رواه من طريق سعيد المقبري من أحاديث أبي هريرة، فيكون هذا الإسناد سالما من اختلاطه؛ لأنه ليس من حديث أبي هريرة بل هو من حديث عبد الله بن سلام، وهذا الذي رجحه الدكتور صالح بن حامد الرفاعي [1] وهو الظاهر من كلام الأئمة، والله أعلم بالصواب .

● حديث ابن عباس – رضي الله عنهما – ، وهو مروي من طريقين ضعيفين :

١- ما جاء من طريق محمد بن سعد، ثني أبي[2]، ثني عمي[3]، ثني أبي[4] عن أبيه[5]، عن ابن عباس عن النبي ﷺ .

وهذا الإسناد عند ابن جرير الطبري في تفسيره [6]وتاريخه [7]وهو إسناد مسلسل بجماعة من الضعفاء، وهم : سعد بن محمد بن الحسن بن عطية العوفي، والحسين بن الحسن بن عطية العوفي، والحسن بن عطية بن سعد العوفي، وعطية بن سعد بن جنادة العوفي، فهؤلاء العوفيون كلهم ضعفاء في الحديث مع أن الأخير منهم موصوف بالتدليس القبيح وعده الحافظ ابن حجر في المرتبة الرابعة وقد عنعن، فالإسناد ضعيف جدا، والله أعلم بالصواب .

٢ – ما جاء من طريق حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس – رضي الله عنهما – مرفوعا .

---

(١) انظر : الثقات الذين ضعفوا في بعض شيوخهم (ص : ٢٢٦) .

(٢) هو سعد بن محمد بن الحسن العوفي، قال عنه الإمام أحمد : جهمي و لم يكن هذا ممن يستأهل أن يكتب عنه، ولا كان موضعا لذلك . انظر : تاريخ بغداد (١٢٦/٩) ولسان الميزان (١٨/١-١٩) .

(٣) هو الحسين بن الحسن بن عطية العوفي، ضعفه يحيى بن معين وأبو حاتم وابن سعد والنسائي والعقيلي وابن حبان وغيرهم . انظر : الجرح والتعديل (٤٨/٣)؛ وتاريخ بغداد (٢٩/٨-٣١)؛ ولسان الميزان (٢٧٨/٢) .

(٤) الحسن بن عطية بن سعد العوفي الكوفي، ضعيف. انظر : تقريب التهذيب (ص : ١٦٢ برقم : ١٢٥٧) .

(٥) عطية بن سعد بن جنادة العوفي الكوفي، وقد سبق ذكره في (ص : ٤٦٧) بأنه كان صدوقا يخطئ كثيرا، وكان شيعيا مدلسا، ويضاف إلى ذلك هنا ما قاله الحافظ في (طبقات المدلسين ص : ٥٠) بعد أن ذكره في المرتبة الرابعة : (تابعي معروف ضعيف الحفظ مشهور بالتدليس القبيح) .

(٦) انظر : جامع البيان في تأويل آي القرآن (١١٤/٩) .

(٧) تاريخ الأمم والملوك (٩٩/١) .

وهــذا الإســناد عــند ابن سعد [١] وابن أبي شيبة [٢] والإمام أحمد [٣] وابن جرير الطــبري[٤]وأبي الشيخ[٥] وابن عساكر [٦]وغيرهم، وهو إسناد ضعيف؛ لأن مداره على عــلي بن زيد بن جدعان هو ضعيف وقد سبق الكلام عنه [٧]، وكذلك فيه يوسف بن مهران البصري، وليس يوسف بن ماهك بن مهران الفارسي المكي فإنه ثقة وقد روى عنه جماعة. وهذا لم يرو عنه غير ابن جدعان، وهو لين الحديث [٨].

فحديث ابن عباس لا يمكن الاعتماد عليه لعدم صحة إسناده إليه .

● حديث أبي هريرة ﷺ وهو مروي من عدة طرق منها ما يلي :

١- مــا جاء من طريق عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن عطاء بن يسار عن أبي هريرة ﷺ مرفوعا .

وهــذا الإسناد عند ابن أبي حاتم[٩] وابن مندة [١٠] وابن عساكر [١١]وغيرهم، وهو إسناد ضعيف لأجل عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وقد سبق الكلام عنه [١٢].

٢- مــا أخــرجه أبو يعلى فقال : حدثنا عقبة بن مكرم، حدثنا عمر بن محمد عن إسماعيل بن رافع عن سعيد المقبري عن أبي هريرة ﷺ مرفوعا [١٣].

وهــذا الإسناد فيه ضعف قال عنه الهيثمي : (فيه إسماعيل بن رافع، قال البخاري ثقة مقارب الحديث وضعفه الجمهور، وبقية رجاله رجال الصحيح) [١٤]. ولكن إسماعيل

---

(١) الطبقات الكبرى (٢٨/١) .
(٢) المصنف (٢٦٦/٧ ح : ٣٥٩٤٤) مختصرا .
(٣) حم (١٢٧/٤-١٢٨ ح : ٢٢٧٠ ، ٤٤٦-٤٤٧ ح : ٢٧١٣) .
(٤) تاريخ الأمم والملوك (٩٨/١) .
(٥) العظمة (١٥٥٠/٥ ح : ١٠١٢) .
(٦) تاريخ مدينة دمشق (٣٩١/٧-٣٩٢ ، ترجمة أبي البشر آدم ﷺ) .
(٧) انظر : (ص : ١٦١) .
(٨) انظر : تهذيب التهذيب (٢٦٦/٦ برقم : ٩٠٨٨ و ٢٦٨/٦ برقم : ٩٠٩٦)؛ وتقريب التهذيب (ص : ٦١٢ برقم : ٧٨٨٦) .
(٩) تفسير القرآن العظيم (١٦١٤/٥ ح : ٨٥٣٥) .
(١٠) الرد على الجهمية (ص : ٥٠-٥١ ح : ٢٤) .
(١١) تاريخ مدينة دمشق (٣٩٥/٧ ، ترجمة أبي البشر آدم ﷺ) .
(١٢) انظر : (ص : ٥٠٨-٥١١) .
(١٣) مسند أبي يعلى (٤٥٣/١١-٤٥٥ ح :٦٥٨٠) في النسخة المطبوعة عمرو بن محمد ولكن الصواب عمر بن محمد، وهو عمر بن محمد بن زيد بن عبد الله العمري .
(١٤) مجمع الزوائد (١٩٧/٨) .

ابـــن رافـــع لم ينفرد برواية هذا الحديث عن سعيد المقبري؛ فقد تابعه الحارث بن عبد الـــرحمن على ذلك، وبذلك يتقوى هذا الطريق، وينجبر ضعفه، فيصل إلى درجة الحسن لغيره، وسيأتي ذكر رواية الحارث بن عبد الرحمن في الطريق الرابع .

٣- ما جاء من طريق هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن أبي صالح [السمان] عن أبي هريرة ﷺ مرفوعا .

وهـــذا الإســـناد عند ابن سعد [١] والترمذي [٢] وأبي يعلى [٣] وابن مندة [٤] والحاكم [٥] وابن عساكر [٦] وغيرهم، هو إسناد لا يقل عن درجة الحسن لذاته، فإن رجاله كلهم ثقات ما عدا هشام بن سعد المدني فقد قال عنه الحافظ ابن حجر : (صدوق له أوهام ورمي بالتشيع) [٧] ولكنه روى هذا الحديث عن زيد بن أسلم، وقد قال الإمام أبو داود : (هشام بن سعد أثبت الناس في زيد بن أسلم) [٨] ، فهذا يرفع من شأنه، ويقلل احتمال وهمه في هذا الحديث، والله أعلم بالصواب.

٤- ما جاء من طريق محمد بن بشار ثنا صفوان بن عيسى ثنا الحارث بن عبد الرحمن بن أبي ذباب عن سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أبي هريرة ﷺ مرفوعا .

وهـــذا الإســـناد عند الترمذي [٩] وابن حبان [١٠] و الحاكم [١١] وعند النسائي في (عمل اليوم والليلة) [١٢] والبيهقي [١٣]، وهما يلتقيان في الإسناد عند صفوان بن عيسى. وعند ابن أبي عاصم [١٤]

---

(١) الطبقات الكبرى (٢٧/١-٢٨) .

(٢) سنن الترمذي (التفسير ، سورة الأعراف ٢٦٧/٥ ح : ٣٠٧٦) .

(٣) مسند أبي يعلى (٢٦٣/١١ ح : ٦٣٧٧ و ٨/١٢-٩ ح : ٦٦٥٤) .

(٤) الرد على الجهمية (ص : ٤٩ ح : ٢٣) .

(٥) المستدرك على الصحيحين (التفسير، إعطاء آدم أربعين سنة من عمره لداود ﷺ ٣٢٥/٢) .

(٦) تاريخ مدينة دمشق (٣٩٤/٧-٣٩٥ ، ترجمة أبي البشر آدم ﷺ) .

(٧) تقريب التهذيب (ص : ٥٧٢ برقم : ٧٢٩٤) .

(٨) ذكره عنه الحافظ ابن حجر في تهذيب التهذيب (٢٩/٦، ترجمة هشام بن سعد) .

(٩) سنن الترمذي (أبواب تفسير القرآن، سورتا المعوذتين، الباب الذي قبل الأخير ٤٥٣/٥ ح : ٣٣٦٨) .

(١٠) كما في الإحسان (التاريخ ، ب : بدء الخلق ٤٠/١٤ ح : ٦١٦٧) .

(١١) المستدرك على الصحيحين (الإيمان، قصة خلق آدم ... ٦٤/١) .

(١٢) عمل اليوم والليلة (ص : ٢٣٧ ح : ٢١٨) .

(١٣) السنن الكبرى (ب : الاختبار في الإشهاد ١٤٧/١٠ ح : ٢٠٣٠٧)

(١٤) السنة (٩١/١ ح : ٢٠٦) .

وابـــن جريـــر الطبري[1] وابن مندة [2] بأسانيدهم، ويلتقون عند الحارث بن عبد الرحمن، وهذا الإســـناد كسابقه، لا يقل عن درجة الحسن لذاته؛ فإن رجاله كلهم ثقات ما عدا الحارث بن عبد الرحمن بن عبد الله بن سعد بن أبي ذباب الدوسي المدني، فإنه صدوق يهم [3].

٥- ما جاء من طريق محمد بن خلف عن آدم بن أبي أياس عن أبي خالد الأحمر عن الحارث بن عبد الرحمن عن يزيد بن هرمز عن أبي هريرة ﷺ مرفوعا .

وهذا الإسناد كسابقه، رجاله كلهم ثقات ما عدا الحارث بن عبد الرحمن، وقد تقدم بيان حاله بأنه صدوق يهم، فهو في درجة الحسن لذاته .

٦- مـــا جاء بالإسناد السابق إلى أبي خالد الأحمر عن محمد بن عمرو بن علقمة عن أبي سلمة عن أبي هريرة ﷺ مرفوعا .

وهذا الإسناد رجاله كلهم ثقات ما عدا محمد بن عمرو فإنه صدوق له أوهام .

٧- مـــا جاء بالإسناد السابق أي : من طريق أبي خالد الأحمر عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة ﷺمرفوعا .

وهذا الإسناد رجاله كلهم ثقات .

٨- ما جاء من طريق أبي خالد الأحمر السابق عن داود بن أبي هند عن الشعبي عن أبي هريرة ﷺ مرفوعا .

وهذا الإسناد أيضا رجاله كلهم ثقات .

وهـــذه الأســـانيد الأربعـــة الأخيرة عند النسائي في "عمل اليوم والليلة " [4] وابن جرير الطبري[5]، ويلتقي فيها ابن مندة [6] وابن عساكر [7]بإسنادهما عند أبي خالد الأحمر سليمان بن حيان الأزدي، والإسناد الأخير عند الحاكم [8]، وهو أيضا يلتقي بإسناده عند أبي خالد الأحمر .

---

(١) تاريخ الأمم والملوك (٩٨/١) .

(٢) الرد على الجهمية (ص : ٥٠ ح : ٢٣ و ص : ٥٣ ح : ٢٦) .

(٣) انظر : تقريب التهذيب (ص : ١٤٦ برقم : ١٠٣٠) .

(٤) عمل اليوم والليلة (ص : ٢٣٨ ح : ٢٢٠) .

(٥) تاريخ الأمم والملوك (٩٨/١) .

(٦) الرد على الجهمية (ص : ٥٣ ح : ٢٦) .

(٧) تاريخ مدينة دمشق (٣٩٤/٧-٣٩٥ ، ترجمة أبي البشر آدم عليه السلام) .

(٨) المستدرك على الصحيحين (الإيمان، قصة خلق آدم ... ٦٤/١) .

خلاصة ما تقدم : أن حديث عبد الله بن سلام يترجح جانب قبوله على رده؛ لأنه ليس من روايات المقبري من أحاديث أبي هريرةﷺ بل هو من أحاديث عبد الله بن سلام؛ فيكون سالما مما يخشى عليه من قبل اختلاط ابن عجلان في مروياته عن المقبري، وأن حديث ابن عباس بطريقيه وكذلك الطريق الأول من حديث أبي هريرة لم تصح أسانيدها، وأن بقية الطرق من حديث أبي هريرة جيدة ثابتة، واحد منها حسن لغيره وهو الطريق الثاني، وأربعة منها حسنة لذاتها؛ وهي : الثالث والرابع والخامس والسادس، وطريقان منها صحيحان لذاتهما وهما السابع والثامن .

ثانيا : إن هذا الحديث قد صححه جماعة من كبار أئمة الحديث منهم الترمذي وابن حبان والحاكم وابن مندة وابن العربي وشيخ الإسلام ابن تيمية والذهبي والألباني [1].

فيتبين مما سبق أن هذا الحديث صحيح، ولا شك في صحته وثبوته، وأن ما ذهب إليه الشيخ عبد القادر بن شيبة الحمد – حفظه الله – من أنه لا يصح عن النبي ﷺ بحال قول غير صواب، مبني على عدم اطلاعه على طرق الحديث الأخرى الحسنة والصحيحة، والله أعلم بالصواب .

وأما ما يتعلق بجحود آدم عليه السلام إعطاءه أربعين سنة من عمره لداود عليه السلام، فيقال أولا : حديث المصطفى ﷺ صحيح صريح في ذلك، وإذا صح الحديث وجب على المؤمن قبوله والتسليم له . قال تعالى : ﴿ وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا ﴾[2] .

ثانيا : إن النسيان من الصفات البشرية، وليس آدم عليه السلام هو النبي الوحيد الذي تعرض للنسيان؛ فقد تعرض لذلك غيره من الأنبياء أيضا، ولم يعتبر ذلك نقصا في حقهم أو هضما من شأنهم وكرامتهم، وجحود آدم إعطاءه داود عليه السلام أربعين سنة من عمره إنما كان من أجل النسيان، فلا لوم ولا غضاضة على أبي البشر في ذلك [3] والله أعلم بالصواب .

الحاصل : إن جحود آدم عليه السلام إعطاءه أربعين سنة من عمره صحيح ثابت عن النبي ﷺ فيجب الإيمان به والتسليم له، وكان جحوده من أجل النسيان فهو معذور في ذلك، والله أعلم بالصواب .

---

(1) انظر : (ص : ١٤٤-١٤٥) .

(2) الأحزاب الآية : ٣٦

(3) انظر : عارضة الأحوذي (١١/١٩٩)؛ وتحفة الأحوذي (٩/٢١٦)؛ وصحيح القصص النبوي للأشقر (ص : ٢٢) .

الفصل الثاني : دعوة آدم عليه السلام.

وفيه ثلاثة مباحث .

المبحث الأول : دلالة قصة ابني آدم على مسائل عقدية وأخلاقية في دعوة آدم عليه السلام .

المبحث الثاني : بيان أن التوحيد قبل الشرك وأدلته .

المبحث الثالث : دعوى أن الشرك قبل التوحيد وبيان بطلانها.

وقد اختلف أهل التفسير في بيان المراد من ﴿ابني آدم﴾ في هذه القصة على قولين :

القول الأول : إنهما رجلان من بني إسرائيل حصلت بينهما عداوة فقتل أحدهما الأخر . وهذا القول حكي عن الحسن البصري من طريق ضعيف [1] .

القول الثاني : إنهما ابنان لآدم من صلبه . وهذا القول ذهب إليه جمهور المفسرين واختاروه [2]. وهو الراجح، وذلك لما يلي :

١- قال تعالى : ﴿فبعث الله غرابا يبحث في الأرض ليريه كيف يواري سوأة أخيه قال ياويلتا أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوأة أخي﴾ .

فالله سبحانه وتعالى أخبر أن القاتل لما قتل أخاه لم يدر ما يفعل بجثته واحتار في أمره حتى جاء الغراب فعلمه أن يواري سوأة أخيه ويدفنه، فلو كانت هذه القصة جرت في بني إسرائيل لما خفي على القاتل أمر الدفن .

٢- عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : لا تقتل نفس ظلما إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها؛ لأنه أول من سن القتل [3].

فقول النبي ﷺ : ((ابن آدم الأول)) يدل على أنهما ابنا آدم لصلبه، وأن الأول منهما قتل أخاه، ولو كان المقصود بهما رجلين من بني إسرائيل لم يصح أن يخبر عنه بالأول، وكذلك قول النبي ﷺ : ((إنه أول من سن القتل)) يدل على ضعف قول من قال : إنهما رجلان من بني إسرائيل؛ لأن القتل كان موجودا قبل بني إسرائيل[4].

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٨٩/٦)؛ وتاريخه (٩١/١)، وإسناده إليه ضعيف لأن فيه سفيان بن وكيع شيخ الطبري وهو ضعيف وكذلك فيه عمرو بن عبيد، المشهور في الدعوة إلى الاعتزال، متروك في الحديث، متهم بالكذب، قال ابن كثير في تفسيره (٤٦/٢) عن هذا القول المحكي عن الحسن : (وهذا غريب جدا، وفي إسناده نظر) والغريب أن الحافظ ابن كثير نفسه حكم على هذا الإسناد بالصحة من قبل، وقد سبق ذكره والتعليق عليه . انظر : (ص : ٧٧٤) .

(٢) انظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن (١٨٩/٦-١٩٠)؛ وأحكام القرآن للجصاص (٤٩/٤)؛ وأحكام القرآن لابن العربي (٥٨٩/٢)؛ والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٧٧/٥)؛ وزاد المسير (٣٣١/٢-٣٣٢)؛ والجامع لأحكام القرآن (١٣٣/٦)؛ وتفسير القرآن العظيم (٤٦/٢)؛ وفتح القدير (٣٠/٢)؛ وتفسير القرآن الحكيم (٣٤١/٦)؛ وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص : ٢٧٨)؛ وأضواء البيان (٤٧/٢) .

(٣) حديث صحيح أخرجه البخاري ومسلم، وقد سبق تخريجه في (ص : ٧٢٢) .

(٤) انظر : زاد المسير (٢٣٢/٢) .

٣- جـــاء في الحديث أن آدم عليه السلام لما مرض في آخر حياته واقترب أجله جاءه الملائكـــة : ((فقبضوه، وغسلوه، وكفنوه، وحنطوه، وحفروا له، وألحدوا له، وصلوا عليه، ثم دخلوا قبره، فوضعوه في قبره، ووضعوا عليه اللَّبِنَ، ثم خرجوا من القبر، ثم حثوا عليه التراب، ثم قالوا : يا بني آدم هذه سنتكم)) [1].

فهـــذا الحديـــث يدل على أن آدم عليه السلام لما توفي دفنته الملائكة وعلمت بني آدم طـــريقة الدفن، وقصة ابني آدم تدل على أن هذا القتل هو أول موت في بني آدم، وأن القـــاتل لم يدر ما يفعل بجثة أخيه المقتول، فهذا يدل على أنهما ليسا من بني إسرائيل وإلا لما خفي على القاتل طريقة الدفن .

ثانيا : ذكر بعض المسائل العقدية والأخلاقية في دعوة آدم عليه السلام المستنبطة من هذه القصة .

هذه القصة مشتملة على فوائد جليلة، وفيها إشارات إلى بعض تلك المبادئ التي قامت عليه دعوة آدم عليه السلام، وفيما يلي ذكر ما تيسر منها، والله الموفق .

١- الإيمان بالله تعالى ومعرفة بعض صفاته سبحانه : هذه القصة تدل على أن أولاد آدم عليه السلام كـــانوا يؤمنون بالله تعالى، وكانوا يعرفون أن الله سبحانه وتعالى قادر على كل شيء، وأنه قادر على أن يجزي المحسن بإحسانه والمسيء على إساءته، وأن المسيء لا يستطيع أن يفلت من بطش الله وعقابه وعذابه، وأنه سبحانه وتعالى عدل، يحب العدل فهو سبحانه وتعالى ينتقم من الظالم ويستوفي منه حق المظلوم، وأنه سبحانه وتعالى طيب لا يقبل إلا طيبا .

٢- الإيمـــان بيوم البعث والحساب والجزاء، والاعتقاد بوجود حياة أخروية بعـــد الحياة الدنيوية : هذه القصة فيها دلالة على أن أولاد آدم عليه السلام كانوا يؤمنون بـــاليوم الآخـــر، وكانوا يعلمون أن الناس ليس لهم خلود في هذه الحياة الدنيا بل لهم وقت محدود ويوم موعود يصيرون فيه إلى ربهم عز وجل، فيحاسبهم ويجازيهم حسب أعمـــالهم، فالمســـيء يكون مصيره إلى النار جزاء منه سبحانه وعدلا، والمحسن يكون

---

[1] حديث صحيح مرفوعا وموقوفا، وقد سبق الكلام عنه في (ص : ٤٣٣) .

مصيره إلى دار كرامته ورضوانه رحمة منه سبحانه وفضلا .

٣- **وجوب التقوى والإخلاص لله تعالى في العبادة** : هذه القصة تبين أن أولاد آدم عليه السلام لم يكونوا مشركين بالله شيئا بل كانوا يعبدون الله وحده، فكانوا يتقدمون إليه سبحانه بالقرابين، وكانوا يرجون رحمته ويخافون عذابه، وكانوا يعلمون أن الله سبحانه وتعالى لا يقبل إلا العبادات التي تكون قائمة على الإخلاص والتقوى، وكانوا يعلمون أن العبادة يجب أن تكون كلها خالصة لله جل وعلا، وأن تكون قائمة على محبة العابد لمعبوده، فيقدم العبد أنفس وأخلص ما لديه، وبذلك تكون عبادته مقبولة عند ربه جل وعلا .

٤- **معرفة الصفات السيئة والحذر من التخلق بها** : هذه القصة فيها إشعار بأن أولاد آدم عليه السلام كانوا يعلمون أن الصفات المذمومة يجب الحذر منها؛ فالبخل، والشح، والحسد، والغرور، والتكبر، والجناية على الآخرين، وقتل النفس بغير حق ... هذه كلها صفات مذمومة، لا تعود على أهلها إلا بالشر والخسارة والندامة في الدنيا والآخرة – كما حصل مع القاتل أخاه – فيجب الحذر منها .

٥- **معرفة الصفات الحسنة ووجوب التحلي بها** : هذه القصة تدل على أن أولاد آدم عليه السلام كانوا يعلمون أن الصبر وصلة الرحم والبر بالأقارب والانكسار والتواضع، ومقابلة الشر بالإحسان، ووصل من قطع، وإعطاء من منع، والإحسان إلى من أساء... هذه كلها من كريم الأخلاق وجميل الصفات وحميد الخصال، وأن التمسك بها مطلوب، وأن من فعله ابتغاء مرضات الله تعالى، وطلبا لرحمته ومحبته ومغفرته ودار كرامته جل وعلا فله أجر عظيم وثواب جزيل، كما فعل المقتول .

٦- **الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة** : هذه القصة تبين أن ابن آدم المقتول دعا أخاه القاتل إلى النظر في تقصيره والبحث عن سبب حرمانه، وأرشده في أسلوب لطيف إلى سبيل الفوز والفلاح، وذلك أن القاتل منهما لما هدد أخاه بالقتل، وقال له : ﴿لأقتلنك﴾ أجابه الأخ المقتول جوابا في غاية الأدب والحكمة والنصح، فقال : ﴿إنما يتقبل الله من المتقين﴾ . فهذا الجواب فيه دعوة منه لأخيه أن ينظر إلى سبب حرمانه، فيحاول إزالته، وبيان منه أنه لا دخل له في عدم قبول قربانه عند الله ولكن الله سبحانه وتعالى لا يتقبل إلا من المتقين، فكن متقيا لله تعالى في عملك، وأخلص نيتك له سبحانه سيتقبل منك. وأما هذا الذي قلته لي بأنك ستقتلني، فذلك شيء لا ينفعك، بل يضرك؛ فإنه يوصلك إلى غضب الجبار،

ويؤديـــك إلى النار، وبئس القرار، فعليك بالاجتهاد في تقوى الله وإخلاص النية له والخوف منه سبحانه، وهذا هو سبيل النجاة والفوز والفلاح والقبول عند الله تعالى [1].

٧- الإمســـاك عن إشهار السيف وعدم مقابلة الاعتداء بالاعتداء : هذه القصة تـــبين أن الشـــريعة التي أرسل بها آدم عليه السلام إلى بنيه كانت تمنعهم من الخوض في الفتن، وكانت تحثهم على إخماد نار الفتنة، وكانت تأمرهم بالإمساك عن إشهار السيوف وقتال بعضـــهم لبعض، وإن بغى أحد منهم على غيره فالأفضل له أن يدافع بما دون القتال ولو أدى ذلـــك إلى إزهاق روحه كما فعل خير ابني آدم حيث امتنع أن يبسط يده إلى أخيه ليقتله، خوفا من الله سبحانه وتعالى ولكنه دافع عن نفسه بما دون القتال فبين لأخيه القاتل أنـــه لم يفعل جرما و لم يأت إثما يوجب قتله، وأنه لا دخل له في عدم قبول قربانه عند الله ولكـــن الله سبحانه وتعالى لا يتقبل إلا من المتقين، فكن متقيا لله تعالى في عملك سيتقبل منك. وبين له مضرة القتل والظلم بأنه موصل إلى غضب الجبار ومؤد إلى النار.

وهذا الموقف شبيه بموقف عثمان بن عفان رضي الله عنه الخليفة الثالث الراشد، وذلك حين ثار الثوار عـــليه وأرادوا قتله واغتياله، فقام له جماعة من الصحابة يدافعون عنه ويناصرونه إلا أن عثمان بن عفان رضي الله عنه منعهم صونا لدماء المسلمين وقال : (إنما يراد نفسي، وسأقي المؤمنين بنفسي) [2].

قال أيوب السختياني : (إن أول من أخذ بهذه الآية من هذه الأمة ﴿لئن بسطت إلي يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك إني أخاف الله رب العالمين﴾ لعثمان بن عفان رضي الله عنه) [3].

وقـــال الـــبغوي : (قال عبد الله بن عمرو : " وأيم الله! إن كان المقتول لأشد الرجـــلين ولكن منعه التحرج أن يبسط إلى أخيه " [4] يده، وهذا في الشرع جائز لمن أريد قتله أن ينقاد ويستسلم طلبا للأجر كما فعل عثمان رضي الله عنه) [5].

---

(١) انظر : روح المعاني (١١٢/٦)؛ وتفسير القرآن الحكيم (٣٤٢/٦-٣٤٣) .

(٢) تهذيب الكمال (٤٥٦/١٩ ، ترجمة عثمان بن عفان) .

(٣) ذكره عنه ابن كثير في تفسيره (٤٤/٢)، والسختياني هو أيوب بن كيسان السَخْتِيَاني، ثقة ثبت حجة من كبار الفقهاء العباد، توفي سنة ١٣١هـــ. انظر : تقريب التهذيب (ص : ١١٧ برقم : ٦٠٥) .

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (١٩١/٦)، ورجال إسناده كلهم ثقات ما عدا أبا المغيرة القواس، فهو لا يعلم اسمه، ولم يرو عنه غير عوف بن أبي جميلة العبدي، وقد ضعفه سليمان التيمي ولكن وثقه ابن معين وذكره ابن حبان في الثقات . انظر : الجرح والتعديل (٤٣٩/٩)؛ والثقات (٥٦٥/٥)؛ والمقتنى في سرد الكنى للذهبي (٩٤/٢)؛ ولسان الميزان (١٠٩/٧) .

(٥) معالم التنزيل (٢٩/٢)، وانظر : المحرر الوجيز (٧٧/٥)؛ والتحرير والتنوير من التفسير (١٧١/٦) .

ويؤيد هذا التفسير ما جاء عن النبي ﷺ، فعن أبي موسى الأشعري قال : قال رسول الله ﷺ : إن بين يدي الساعة فتنا كقطع الله المظلم، يصبح الرجل فيها مؤمنا، ويمسي كافرا، ويمسي مؤمنا، ويصبح كافرا...فإن دخل بغي على أحد منكم فليكن كخير ابني آدم (١).

وعن جندب بن سفيان ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : (...ولتكن عبد الله المقتول، ولا تكن عبد الله القاتل، فإن الرجل يكون في فئة الإسلام فيأكل مال أخيه، ويسفك دمه، ويعصي ربه، ويكفر بخالقه، وتجب له النار (٢).

فيجب الإمساك عن الخوض في الفتن والحروب الدائرة بين المسلمين ولا يجوز إشهار السيف في رقاب المسلمين، وإن بغى أحد من المسلمين على غيره؛ فالأفضل الدفاع بما دون القتال ولو أدى ذلك إلى إزهاق روحه، كما فعل الخليفة الراشد عثمان بن عفان ﷺ (٣)، وكما فعل خير ابني آدم، وإن قاتل الباغي دفاعا عن نفسه أو عرضه أو ماله فقتل الباغي يكون دمه هدرا وإن قتله الباغي يكون شهيدا، والله أعلم بالصواب .

٨- معالجة النفس عند شهواتها المحرمة وعدم اتباع هواها (٤): هذه القصة تبين

---

(١) أخرجه حم (٥٠٤/٣٢ ح : ١٩٧٣٠)؛ و د (الفتن والملاحم، ب : النهي عن السعي في الفتنة ١٠٠/٤ ح : ٤٢٥٩)، واللفظ له؛ وت (أبواب الفتن، ب : ما جاء في اتخاذ سيف من خشب في الفتنة ٤٩٠/٤ ح : ٢٢٠٤)؛ وحب كما في الإحسان (الرهن، ب : ما جاء في الفتن، ذكر البيان بأن على المرء عند الفتن أن يكون مقتولا لا قاتلا ٢٩٧/١٣ ح : ٥٩٦٢)؛ والبيهقي في الكبرى (قتال أهل البغي، ب : النهي عن القتال في الفرقة، ومن ترك قتال الفئة الباغية خوفا من أن يكون قتالا في الفرقة ١٩١/٨) قال الترمذي : (هذا حديث حسن غريب صحيح) وفي تحفة الأحوذي (٣٧١/٦) : " حسن غريب"، وصححه العلامة الألباني في (إرواء الغليل ١٠٢/٨) على شرط البخاري، وذكر له شواهد كثيرة .

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير (١٧٧/٢ ح : ١٧٢٤) قال الألباني : (هذا إسناد جيد)، وذكر له متابعا . انظر : (إرواء الغليل ٨/ ١٠٣-١٠٤) .

(٣) إن عثمان بن عفان كان قد بين للثوار أنه لا يستحق أن يعامل بهذه المعاملة، فقال لهم : إن بئر رومة التي تشربون من مائها أنا اشتريتها بمالي وجعلتها للمسلمين فكيف لكم أن تمنعوني من مائها ؟ وأن المسجد النبوي لما ضاق بالمسلمين اشتريت لها أرضا وأضفتها إلى المسجد فكيف لكم أن تمنعوني من الصلاة فيها ؟ فهو بهذا دافع عن نفسه دفاعا دون القتال ولكنهم لما حملوا عليه السلاح استسلم لهم، و لم يقابلهم بالسلاح، صونا لدماء المسلمين، وأخذا بالأفضل، وكان ذلك في عهد الصحابة وحضورهم وعلمهم، ولو كان ذلك غير جائز لم يفعله عثمان ﷺ ، و لم يقره الصحابة على ذلك، والله أعلم الصواب . انظر تفاصيل ما دار بينه وبين الثوار في : تهذيب الكمال (٤٥٣/١٩، ترجمة عثمان بن عفان) .

(٤) انظر هذه الفائدة وكذلك التي بعدها في كتاب : قصص وعبر لمحمد المجذوب (ص : ٢٧-٢٨).

أن ابن آدم القاتل اتبع شهوات نفسه المحرمة حتى سيطرت على قلبه وغلبت على عقله فطوعت له قتل أخيه فقتله فكان من الخاسرين .

وأما ابن آدم المقتول فهو عالج شهوات نفسه المحرمة بالشعور بمراقبة الله سبحانه وتعالى، والوقوف عند أوامره ونواهيه، والالتزام بشرعه، فلم يبسط يده إلى أخيه ليقتله خوفا من الله سبحانه وتعالى، فكان من الفائزين .

فينبغي معالجة النفس عند شهواتها المحرمة بالشعور بمراقبة الله سبحانه وتعالى، والالتزام بشرعه والوقوف عند حدوده حتى نكون من الفائزين .

٩- الأمر بدفن الميت مع الإحسان والاحترام والتكريم : هذه القصة فيها دلالة على أن هذا المقتول هو أول من مات من بني آدم ولذلك احتار القاتل و لم يدر ما يفعل بجثة المقتول فبين الله سبحانه وتعالى له طريقة الدفن بواسطة الغراب،إكراما للميت واحتراما له. ففي هذه القصة إرشاد من الله سبحانه وتعالى للأحياء وبيان لواجبهم الأول تجاه إخوانهم الميتين، فالأحياء يجب عليهم أن يقوموا بدفن من مات من إخوانهم، ففي دفن الميت وقبره إحسان إليه وبر به وتكريم وحفظ له من الإهانة والإذلال [١].

١٠- الدلالة على نبوة آدم عليه السلام : هذه القصة فيها دلالة على أن أولاد آدم عليه السلام

---

(١) وكذلك هذه القصة تبين أن دفن الميت في الأرض هي الطريقة الأولى المثلى، وفي ذلك رد على أولئك الذين لا يدفنون موتاهم، مع قدرتهم على الدفن في الأرض، فيتركون موتاهم في الصحاري والبراري للوحوش والضواري أو يرمونهم في البحار والأنهار أو يحرقونهم بالنار ثم ينثرون الرماد في الفضاء فيكدرون به الهواء، كما يرمونه في البحار والأنهار، فيكدرون الماء المصفى ويجعلونه غير صالح للشرب والاغتسال، حتى إن تصفية تلك المياه وتحليتها يأخذ قسطا كبيرا من ميزانية الفرد والمجتمع والدولة، ومع ذلك يصرون على هذه الطرق القبيحة التي فيها مشقة عليهم في بدنهم ومالهم، وإرهاق لهم ولأقاربهم، والأهم من ذلك فيها إساءة للميت وإهانة وتعذيب له.

وأحيانا يشعرون بذلك في أنفسهم، ولذلك منهم من يوصي أبناءه وأقرباءه عند وفاته بأن يغسلوه ويدفنوه على طريقة المسلمين، وإني لأعرف بعض من اعتنق منهم الإسلام، وفر من دين آبائه وأجداده، وترك تقاليدهم الباطلة؛ وخرج من ظلمة الكفر والشرك إلى نور التوحيد والإسلام، وذلك تأثرا منه لما عند المسلمين من إكرام الميت وحسن تجهيزه وتكفينه ودفنه، وهذا يدل على حسن دين الإسلام وسمو تعاليمه وتطابقه بالفطرة السليمة في كل أوامره ونواهيه وجميع تشريعاته، ويطلب منا معشر العلماء والطلاب أن نقوم بالدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة حتى ننقذ أولئك التائهين في بيداء الضلال ونخرجهم من ظلمات الجهل والكفر والشرك إلى دين الفطرة والتوحيد والإسلام لله جل وعلا .

كـــانوا على رسالة وشريعة ومنهج وهداية من الله سبحانه وتعالى، فهم كانوا يعبدون الله سـبحانه وتعالى، وكانوا يتقربون إليه سبحانه بالقرابين، وكانوا يعرفون أهمية الخوف من الله والإخلاص له سبحانه وتعالى، وأنه هو وحده المستحق للعبادة، وأنه سبحانه لا يتقبل إلا مـا كان قائما على التقوى والإخلاص، وكانوا يعلمون أن هناك ثوابا وعقابا من الله سـبحانه وتعالى، وأن الظالمين لهم عذاب النار . فهذا كله يشعر بنبوة آدم عليه السلام، وأن الله سـبحانه وتعـالى كان أوحى ذلك كله إليه، وعن طريقه علم أبناؤه هذه الأمور المهمة المتعلقة بالعقيدة والأخلاق الفاضلة [1].

١١- الدلالـة على أن الأصل في بني آدم التوحيد : هذه القصة تبين أن آدم عليه السلام وأولاده وأهلـه لم يكونـوا كافرين ولا مشركين بل كانوا يؤمنون بالله تعالى وكانوا على التوحيد الخالص لله جل وعلا. ففيها تقرير وتأييد لقول من قال إن الأصل في بـني آدم هـو التوحيد وإفراد الله وحده بالعبادة كلها، وأن الشرك شيء طارئ عليهم، وردّ على من زعم عكس ذلك، سيأتي الكلام عنه بالتفصيل إن شاء الله [2].

(١) انظر : (ص : ٧٠٦) .

(٢) انظر : (ص : ٨١٧-٨٢٧).

المبحث الثاني : بيان أن التوحيد قبل الشرك وأدلته .

لا شك أن أبا البشر آدم عليه السلام كان نبيا وكان موحدا وداعية إلى التوحيد، فكان هـو وبنوه على التوحيد الخالص لله جل وعلا ثم انحرف بعض بنيه عن التوحيد وضل عن الصراط المستقيم، فوقع في الشرك بالله تعالى . وقد اتفقت جميع الشرائع السماوية على كون التوحيد هو الأصل في الإنسان، وعلى كون الشرك شيئا طارئا عليهم، ولم يخالفهم في ذلك إلا من شذ منهم. والأدلة على ذلك كثيرة، وفيما يلي ذكر بعضها :

١- الغايـة الكبرى من خلق الخلق وإيجاد الكون هي أن تكون العبادة كلها لله تعالى، فهي تقتضي أسبقية التوحيد وتقدمه على الشرك . قال تعالى : ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾ [١] وقال تعالى : ﴿ الله الذي خلق سبع سماوات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علما ﴾ [٢] وقال تعالى : ﴿ يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون * الذي جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون ﴾ [٣].

فالله سبحانه وتعالى بين في هذه الآيات أن الغاية العظمي والحكمة الكبرى من خلق الجن والإنس هي أن يكونوا مخلصين في عبادتهم لله سبحانه وتعالى، وألا يجعلوا معه ندا، ولا يشركوا بـه أحـدا؛ ولذلك جعل لهم الأرض فراشا، والسماء بناء، وأنزل الأمطار، وأخرج الأرزاق والأقوات وما إلى ذلك من النعم والمنافع التي أغدقها عليهم وسخرها لهم. فإذا كان الله سبحانه وتعالى ما خلقهم إلا لعبادته؛ وما أسبغ عليهم نعمه الظاهرة والباطنة التي لا تعد ولا تحصى إلا لأجـل عـبادته[٤] فمحـال أن يترك عباده أزمانا متطاولة يتخبطون في بيداء الكفر والشرك والضلال والظلام، بحيث لا يعرف أحد منهم أن الذي خلقهم ورزقهم وأنعم عليهم بهذه النعم

---

(١) الذاريات الآية : ٥٦

(٢) الطلاق الآية : ١٢

(٣) البقرة الآيتان : ٢١-٢٢

(٤) قد سبق الكلام عن الحكمة من خلق الجن والإنس بشيء من التفصيل . انظر : (ص : ٢٧-٤٠) .

كلها هو الله سبحانه وتعالى، وأنه هو وحده المستحق للعبادة كلها؛ فإن ذلك يخالف مقتضى الحكمة التي من أجلها خلق الله سبحانه وتعالى هذا الكون وسخره للإنسان .

٢- أبو البشر آدم عليه السلام يحمد الله رب العالمين في أول لحظة من حياته : فعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : لما نفخ في آدم فبلغ الروح رأسه عطس، فقال : الحمد لله رب العالمين ، فقال له تبارك وتعالى : يرحمك الله [1].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : لما خلق الله آدم عطس، فألهمه ربه أن قال : الحمد لله، فقال له ربه : يرحمك الله، فلذلك سبقت رحمته غضبه[2].

فآدم عليه السلام هو أول من خلقه الله من البشر، وبعد أن تم خلقه ونفخ الله سبحانه وتعالى فيه من روحه، أخذه عطاس فعرف بإلهام الله إليه وجوب حمد الله وشكره عليه، فحمد الله رب العالمين فور خلقه، فأول كلمة قالها أبو البشر هي كلمة حمد وشكر وإجلال وتعظيم وعبادة لله سبحانه وتعالى، فهذا يدل على أن التوحيد قبل الشرك .

٣- لجوء آدم وحواء - عليهما السلام - إلى الله تعالى وتوبتهما إليه سبحانه : إن آدم وحواء عليهما السلام لما وقعا في معصية الله تعالى بأكلهما من الشجرة المحرمة في الجنة، لم يلتجئ أحد منهما إلى غير الله سبحانه وتعالى، وإنما تابا إلى ربهما، وطلبا منه سبحانه وتعالى أن يغفر لهما ويرحمهما. قال تعالى : ﴿ قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين ﴾ [3].

فالأبوان اعترفا بظلمها وتقصيرهما، وأظهرا ندمهما وعجزهما وضعفهما أمام الله سبحانه وتعالى، وأيقنا أن الخسارة والهلاك سيكون مصيرهما إن لم يتداركهما الله سبحانه وتعالى بمغفرته ورحمته، ولذلك أخلصا التضرع والدعاء، ولا شك أن هذا من أعظم درجات التوحيد وأعلاه، وفي ذلك أوضح دليل على أن التوحيد قبل الشرك .

٤- إن الله سبحانه وتعالى نزّل هداه على آدم عليه السلام وبنيه الذي من اتبعه يكون في مأمن عن الضلال والشقاء : إن الله سبحانه وتعالى لما أخرج الأبوين من الجنة قال

---

(١) حديث صحيح وقد سبق تخريجه في (ص : ١٤٣) .

(٢) حديث لا يقل عن درجة الحسن، وقد سبق تخريجه في (١٤٣) .

(٣) الأعراف الآية : ٢٣

لهما : ﴿ قلنا اهبطوا منها جميعا فإما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون * والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾ [1] وقال تعالى : ﴿ قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو فإما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى * ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى ﴾ [2] .

فـــالله ســـبحانه وتعالى أخبر أنه لما أخرج الأبوين من الجنة إلى الأرض، وعدهما بأنه ســـيترل عليهم هداه، فآدم عليه السلام لم تنقطع علاقته بالله تعالى بعد نزوله إلى الأرض، بل لم يـــزل يتلقى من ربه تبارك وتعالى وحيه وهداه الذي من اتبعه يكون في مأمن عن الضلال والشـــقاء، ولا ضلال ولا شقاء أكبر من الانحراف عن التوحيد والوقوع في الشرك الذي يوجب غضب الجبار والخلود في النار، فهذا يدل على أن التوحيد قبل الشرك .

٥- إن آدم عليه السلام نبي فهو معصوم عن الكفر والشرك : إن الله سبحانه وتعالى لما أخرج أبا البشر آدم عليه السلام من الجنة وأنزله إلى الأرض، أنزله بصفحة بيضاء ودرجة علياء فقد أنزله الله تعالى وقد بشره باختياره له نبيا . قال تعالى : ﴿ ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى * قال اهبطا منها جميعا ﴾ [3] فـــأبو البشر كان نبيا [4]، والنبي لا يجوز عليه الكفر والشرك بالاتفاق [5]، فهذا يدل على أن التوحيد قبل الشرك .

٦- إن أبا البشر آدم عليه السلام لم يشرك بالله قط، وإنما كان على التوحيد الخالص . فقد جاء في حديـــث الشفاعة أن الناس يأتون آدم عليه السلام فيقولون له : (يا آدم أنت أبو البشر، خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا لك، وأسكنك الجنة، ألا تشفع لنا إلى ربك؟ ألا ترى ما نحن فيه وما بلغنا ؟ فيقول : ربي غضب غضبا لم يغضب قبله مثله، ولا يغضب بعده

---

(١) البقرة الآيتان : ٣٨-٣٩

(٢) طه الآيتان : ١٢٣-١٢٤

(٣) طه الآيتان : ١٢٢-١٢٣

(٤) قد سبق الكلام عن نبوة آدم عليه السلام وذكر الأدلة عليها. انظر : (ص : ٧٠٥-٧١٤) .

(٥) انظر : (ص : ٧٣٢-٧٤٨) .

مثله، ونهاني عن الشجرة، فعصيته نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري ... الحديث [1].

فهذا الحديث يدل على أن آدم عليه السلام الذي هو أبو البشر عليه السلام وأصل الناس كلهم - لم يشرك بالله تعالى قط؛ إذ لو كان قد وقع منه شرك لاعتذر به عن الشفاعة إلى الله تعالى، كما اعتذر بالأكل من الشجرة، فإنه ليس من المعقول أن يعتذر آدم عليه السلام بالأخف والأدنى، ويترك الاعتذار بالأشد والأغلظ، فعدم اعتذاره بالوقوع في الشرك يدل على عدم وقوعه فيها، ويدل على كونه على التوحيد، وفي ذلك دليل على كون التوحيد قبل الشرك [2].

٧- إن آدم عليه السلام علم أبناءه ما أوحي إليه من توحيد الله جل وعلا : قال الله تعالى : ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون ﴾ [3] وقال تعالى: ﴿ ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ﴾ [4] .

فالله سبحانه وتعالى أخبر أن جميع الأنبياء والمرسلين أوحي إليهم بالتوحيد وإفراد الله وحده بالعبادات كلها، وأن كل أمة أرسل إليها رسول من الله سبحانه وتعالى يدعوهم إلى عبادة الله وحده . ولا شك أن آدم عليه السلام كان نبيا من الله سبحانه وتعالى، فهو أيضا كان مأمورا بعبادة الله وحده بوحي من الله إليه، وكان مأمورا بالدعوة إليها وتعليمها وتلقينها لأبنائه وذريته، ويؤكد هذا الوجه ويقويه الوجه التالي .

٨- قصة ابني آدم تدل على تمسك الأولين بالعقيدة الصحيحة وإخلاصهم العبادة لله جل وعلا. فقد حكى الله سبحانه وتعالى علينا قصتهما فقال عز من قائل : ﴿ واتل عليهم نبأ ابني ءادم بالحق إذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر قال لأقتلنك قال إنما يتقبل الله من المتقين * لئن بسطت إلي يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك إني أخاف الله رب العالمين * إني أريد أن تبوء بإثمي وإثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين * فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين ﴾ [5].

---

(١) جزء من حديث أبي هريرة الطويل في الشفاعة، أخرجه الشيخان، وقد سبق تخريجه في (ص : ١١١).

(٢) انظر : (ص : ٧٨١) .

(٣) الأنبياء الآية : ٢٥

(٤) النحل الآية : ٣٦

(٥) : المائدة الآيات : ٢٧-٣٠

فهـــذه القصة فيها بيان للعقيدة التي كان عليها آدم عليه السلام وبنوه؛ فهم كانوا يعلمون أن الله سبحانه وتعالى لا يقبل من الأعمال إلا إذا كانت قائمة على الإخلاص والتقوى لله وحــده سبحانه وتعالى، وكانوا يخافون الله سبحانه وتعالى، وكانوا يتقربون بالقرابين إلى الله وحده سبحانه وتعالى، فهذا يدل دلالة واضحة على أن التوحيد قبل الشرك [١].

٩- إن الله ســبحانه وتعــالى أخذ العهد والميثاق من بني آدم على وحدانيته وربوبيته : لقد سبقت الأدلة من الكتاب والسنة [٢] على أن الله سبحانه وتعالى أخرج ذرية آدم عليه السلام من ظهره في عالم الغيب قبل عالم الشهادة الذي نحن فيه، وأنه سبحانه وتعــالى أخذ من جميعهم العهد والميثاق على وحدانيته وربوبيته، وأنه أشهدهم على أنفســهم، فشهدوا به على أنفسهم واعترفوا بوحدانية الله تعالى وربوبيته، فهذا يدل على أن التوحيد هو الأصل في بني آدم دون الشرك .

١٠- إن الله سبحانه وتعالى خلق الناس كلهم على الفطرة السليمة المستلزمة لــتوحيد الله وإفراده وحده سبحانه بالعبادة كلها : إن الله سبحانه وتعالى كما أخذ الميــثاق من ذرية آدم على وحدانيته وربوبيته في عالم الغيب، فكذلك فطرهم في عالم الشهادة على فطرة التوحيد الخالص والإسلام لله وحده سبحانه وتعالى .

قــال تعالى : ﴿ فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ [٣].

فهـــذه الآية تدل على أن العباد مفطورون على الإقرار بالرب والإسلام والتوحيد له سبحانه، وأن هذا هو الأصل في بني آدم .

ويشرح ذلك ويؤكد ما جاء عن الصادق المصدوق ﷺ فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجســانه، كمــا تنــتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء ؟ ثم يقول

---

(١) انظر : (ص : ٧٠٦) .

(٢) انظر : (ص : ٦٠٥-٦١٣) .

(٣) الروم الآية : ٣٠

أبو هريرة ﷺ : ﴿ فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ﴾ [1] .

فهذا الحديث يدل على أن الأصل سلامة الفطرة وكونها مجبولة على التوحيد، وأن الانحراف عنها والوقوع في الشرك شيء طارئ خلاف الأصل كما أن سلامة البهائم من العيوب الجسدية هو الأصل في خلقتها ولكن قد يطرأ عليها التغير بعد ذلك للمؤثرات الخارجية من البتك والقطع [2].

قال العلامة ابن القيم : (فجمع عليه الصلاة والسلام بين الأمرين : تغيير الفطرة بالتهويد والتنصير، وتغيير الخلقة بالجدع، وهما الأمران اللذان أخبر إبليس أنه لا بد أن يغيرهما، فغير فطرة الله بالكفر، وهو تغيير الخلقة التي خلقوا عليها، وغير الصورة بالجدع والبتك، فغير الفطرة إلى الشرك، والخلقة إلى البتك والقطع، فهذا تغيير خلقة الروح، وهذا تغيير خلقة الصورة) [3].

وعن عياض بن حمار المجاشعي أن رسول الله ﷺ قال ذات يوم في خطبته : ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني يومي هذا : كل مال نحلته عبدا حلال، وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا ... الحديث[4].

فيتبين مما سبق أن الله سبحانه وتعالى خلق الناس كلهم على الفطرة السليمة، المستلزمة للدين الحنيف، وأن الناس كلهم كانوا بعيدين عن الشرك، ثم اجتالتهم الشياطين، فأوقعتهم في الشرك، فالتوحيد أسبق وأقدم من الشرك .

١١ – كان الناس كلهم في القرون العشرة الأولى على شريعة الحق والهدى والصراط المستقيم . قال تعالى : ﴿ كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق

---

(١) حديث صحيح أخرجه البخاري ومسلم، وقد سبق تخريجه في (ص : ٦١٥) .

(٢) انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٤/٢٤٥) .

(٣) إغاثة اللهفان (١/١٠٧) .

(٤) حديث صحيح، أخرجه مسلم، وقد سبق تخريجه في (ص : ٦٧٩) .

ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم ﴾[1].

ذهـــب جمهور المفسرين في تفسير هذه الآية أن الناس كلهم في أول أمرهم كانوا أمة واحدة على الهدى والتوحيد وشريعة الحق، ثم حصل فيهم الخلاف، فوقع بعضهم في الانحـــراف والضلال والشرك واتخاذ الآلهة وعبادة الأوثان والأصنام مع الله سبحانه وتعالى وهذا هو المنقول عن السلف في تفسير الآية وبيان المراد منها .

قـــال ابن عباس — رضي الله عنهما - : كان بين نوح وآدم عشرة قرون كلهم على شريعة من الحق، فاختلفوا فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين [2].

وقال قتادة : كانوا على الهدى جميعا فاختلفوا ﴿ فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين ﴾ فكان أول نبي بعث نوح [3].

وقال عكرمة : كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الإسلام [4].

وقـــال الحافظ ابن كثير : (أخبر الله تعالى أن هذا الشرك حادث في الناس بعد أن لم يكـــن، وأن الناس كلهم كانوا على دين واحد، وهو الإسلام . قال ابن عباس : كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الإسلام، ثم وقع الاختلاف بين الناس، وعبدت الأصنام والأنداد والأوثان، فبعث الله الرسل بآياته وبيناته وحججه البالغة وبراهينه الدامغة) [5].

ويؤيـــد هذا التفسير ما جاء في قراءة أبي بن كعب وعبد الله بن مسعود — رضي الله عـــنهما -: {كـــان الناس أمة واحدة فاختلفوا فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين} [6]،

---

(١) البقرة الآية : ٢١٣

(٢) إسناده صحيح إلى ابن عباس — رضي الله عنهما — وقد سبق تخريجه في (ص : ٧١٩) .

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (٣٣٥/٢)، وإسناده صحيح .

(٤) أخـــرجه ابـــن سعد في الطبقات الكبرى (٤٢/١ و٥٣) بإسناد رجاله كلهم من رواة الكتب الستة وكلهم ثقات ما عدا قبيصة بن عقبة السوائي فإنه صدوق فالإسناد حسن لذاته، وكذلك أخرجه ابن جرير في تفسيره (٩٩/٢٩) ولكن إسناده ضعيف جدا .

(٥) تفسير القرآن العظيم (٤١١/٢ ، يونس : ١٩) .

(٦) انظـــر : تاريخ الأمم والملوك (١١١/١)؛ والمستدرك على الصحيحين (التاريخ، ذكر نوح النبي ﷺ ٥٤٦/٢)؛ وتفسير القرآن العظيم (٢٥٠/١)؛ ومعجم القراءات القرآنية (٣٠٧/١) .

وكذلك يؤيده قوله تعالى : ﴿ وما كان الناس إلا أمة واحدة فاختلفوا ﴾[1].

١٢- لو كان الناس كلهم في أول أمرهم على الضلال والخلاف والشرك والكفر لقضي بينهم وانتهي منهم . قال تعالى : ﴿ وما كان الناس إلا أمة واحدة فاختلفوا ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم فيما فيه يختلفون ﴾ [2] .

هذه الآية كالتي قبلها في الدلالة على أن التوحيد قبل الشرك، وأن الناس كلهم كانوا على هدى وشريعة الحق ثم اختلفوا فوقع بعضهم في الشرك، وتزداد دلالةً على كون التوحيد قبل الشرك بأن الله سبحانه وتعالى توعد على الاختلاف فقال :﴿ ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم فيما فيه يختلفون ﴾ .

فهو سبحانه توعدهم على الاختلاف، ولم يتوعدهم على الاجتماع، ولا على كونهم أمة واحدة، فلو كان اجتماعهم قبل الاختلاف على الكفر والشرك ثم كان الاختلاف بعد ذلك بحيث انتقل بعضهم إلى الإيمان والتوحيد وإفراد الله وحده بالعبادة لكان الوعد والبشارة من الله سبحانه وتعالى أولى بحكمته ورحمته ورضوانه دون الوعيد والتخويف والتهديد لأنها حالة توبة وإنابة ورشد وهداية، ولأنها حالة إيمان بالله وعودة إلى عبادته وحده سبحانه، والتزام بما يرضى به الرب ويفرح به فمحال أن يتوعدهم في هذه الحالة الموجبة لرضى الرحمن ورحمته ويترك ذلك في حالة اجتماع الجميع على الكفر والشرك الموجب لغضب الله وعقابه .

١٣- قصة وقوع الشرك في بني آدم تدل على أسبقية التوحيد : قال ابن عباس - رضي الله عنهما - في تفسير قوله تعالى : ﴿ وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا ﴾ [3] : (هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون إليها أنصابا وسموها

---

(١) يونس الآية : ١٩

(٢) يونس الآية : ١٩

(٣) نوح الآية : ٢٣

بأسمائهم، ففعلوا، فلم تعبد، حتى إذا هلك أولئك ونسي العلم عبدت)[1] .

قـــال شـــيخ الإسلام ابن تيمية : (إن الناس كانوا بعد آدم عليه السلام وقبل نوح عليه السلام على التوحيد والإخلاص، كما كان عليه أبوهم آدم أبو البشر عليه السلام - حتى ابتدعوا الشرك وعبادة الأوثان - بدعة من تلقاء أنفسهم لم ينزل الله بها كتابا، ولا أرسل بها رسولا؛ بشبهات زينها الشـــيطان من جهة المقاييس الفاسدة والفلسفة الحائدة ...فابتعث الله نبيه نوحا عليه السلام يدعوهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وينهاهم عن عبادة ما سواه ...)[2] .

قال أبو السعود : (إن التوحيد والإسلام ملة قديمة، أجمعت عليها الناس قاطبة فطرة وتشريعا، وأن الشرك وفروعه جهالات ابتدعها الغواة خلافا للجمهور وشقا لعصا الجماعة)[3].

فيتبين مما سبق من نصوص الكتاب والسنة وأقوال السلف أن التوحيد هو الأصل في الإنسان وأنه قديم قدم البشرية على هذه المعمورة، وأن الشرك شيء طارئ عليهم وهذا هو الحق والصواب، والله أعلم بالصواب.

---

(١) أخرجه خ (التفسير، ب : ﴿ولا تذرن ودا ولا سواعا ...﴾ [نوح : ٢٣] ٤/١٨٧٣ ح : ٤٦٣٦) .

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٢٨/٦٠٣-٦٠٤)، وانظر : (١/٣٢١) .

(٣) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (٤/١٣٢، يونس : ١٩) .

المبحث الثالث : دعوى أن الشرك قبل التوحيد وبيان بطلانها .

لا شك أن التوحيد هو الأصل في بني آدم، وأن الشرك شيء طارئ عليهم، وهذه هـــي الحقيقة القاطعة التي يثبتها النقل الصحيح، وتؤيدها العقول السليمة ولكن زعم كثير من الباحثين في العصر الحديث من الملاحدة وغيرهم أن الشرك أسبق في الوجود عـــلى الأرض مـــن التوحيد، وأن الإنسان قبل أن يصل إلى عقيدة التوحيد مر بعدة مراحل تطورية، فزعموا أنه كان في المرحلة الأولى يعبد آلهة كثيرة وأربابا متعددة، ثم تطور من هذه المرحلة، فبدأ يرجح بين الآلهة الكثيرة التي كان يعبدها من قبل، وجعل يتنازل عن بعضها حتى قل عدد الآلهة قبل المرحلة الأخيرة، ثم تطور في الآونة الأخيرة ووصـــل إلى مرحلة أخيرة، وهي مرحلة الوحدانية؛ أي : عبادة معبود واحد[(١)]، ولا يـــلزم أن يكون ذلك المعبود هو الله سبحانه وتعالى، فقدماء المصريين عبدوا الشمس وحدها في فترة من الفترات وسموها (رع) واعتبر هذا نوعا من الوحدانية [(٢)].

وأما الوحدانية بمعنى عبادة الله وحده وترك ما سواه من الأصنام والأوثان فقد اعتبرها بعضهم حديثة جدا، بل زعم بعضهم أنها وليدة عقلية خاصة بالجنس السامي[(٣)] .

والقـــول بـــتطور العقيدة من الشرك والخرافة والوثنية إلى الوحدانية نادى به أنصار مذهب التطور التقدمي منهم (سبنسر Spencer وتيلور Tyjor وفريزر Frazer ودور كايم Durkheim وغيرهـــم[(٤)]، ووافقهم على هذه الخزعبلات بعض من يسمى بالمفكرين الإسلاميين المعاصرين

---

(١) انظر : كتاب : الله جل جلاله للعقاد (ص : ٢٣) وما ذكره الدكتور عمارة نجيب في : الإنسان في ظل الأديان (ص : ٧٢)؛ والدكتور محمود بن الشريف في (الأديان في القرآن ص : ٢٩)؛ وأحمد عبد الغفور في (الديانات والعقائد في مختلف العصور ١/٦٣) والشيخ عبد القادر بن شيبة الحمد في (الأديان والفرق والمذاهب المعاصرة ص : ٩-١٠) .

(٢) انظـــر : كتاب : الله جل جلاله (ص : ٢٦)؛ وما ذكره الدكتور محمد عبد الله دراز في (الدين ص : ١٠) والشيخ عبد القادر بن شيبة الحمد في (الأديان والفرق والمذاهب المعاصرة ص : ١٠) .

(٣) انظر : ما ذكره الدكتور محمد عبد الله دراز في (الدين : ١٠٧) .

(٤) ذكره عنهم الدكتور محمد عبد الله دراز في (الدين ص : ١٠٧) .

منهم عباس محمود العقاد [١] وعبد الكريم الخطيب [٢] وثريا منقوش [٣].

مناقشة المذهب التطوري :

كانت السطور المذكورة إجمالا للمذهب التطوري للعقيدة الدينية، المذهب الذي حـاول مناصروه كل محاولة لتزييف تاريخ البشرية، خدمة للمذاهب المادية الإلحادية وفـيما يـلي ذكر ملاحظات عامة حول هذا المذهب الباطل ثم تليها مناقشة تفصيلية لأدلتهم مع بيان بطلانها وفسادها .

أولا : ملاحظات عامة حول المذهب التطوري تدل على فساده وبطلانه :

١- قولهـم بـتطور الإنسان في عقيدته من الأساطير والخرافة والشرك إلى الوحدانية ناشـئ من اعتقادهم أن الإنسان نشأ على هذه الأرض نشأة ذاتية، وتطور تطورا ذاتيا، وأنه لم تعن به أية قوة عُلوية، ولم ترعه أية عناية إلهية، وأنه ليس مخلوقا من نفس واحدة من قبل خـالق حكيم عليم خبير ، فهذا القول مبني على أساسين باطلين: أولا : إنكار الخالق جل وعـلا. وثانيا : القول بتطور الإنسان تطورا عضويا ذاتيا وقد سبق بيان بطلان هذا القول من جوانب كثيرة وأوجه متعددة، فهي تدل على بطلان هذا القول وفساده [٤].

٢- إن أنصـار المذهـب التطوري اختلفوا في بيان المعبود الأول، فتارة جعلوه من الحيوانـات والحشـرات، وتارة جعلوه من الأجرام السماوية، وتارة جعلوه من الجوامد الأرضية والقوى الطبيعية ... كما اختلفوا في باعث التدين وأسباب العبادة ؛ وذكروا لها عـللا واهية كالخوف من الحيوانات المفترسة والحشرات المؤذية والشعور بالضعف أمام الأجـرام السماوية والقوى الطبيعية والدهشة من الأحداث المفاجئة أو الأحلام المنامية أو ضرورة الحالة الاجتماعية والتقليل من الأعمال الإجرامية أو الحرمان من التمتع الجنسي...

---

(١) انظر : كتابه : الله جل جلاله (ص : ٧و ٢٤و٢٧-٢٨و٣٤-٣٥ و٢٩٢) .

(٢) انظر : قضية الألوهية بين الفلسفة والدين (ص :٧٠-٩٥و١٧٨-١٨٤)؛ والقصص القرآني (ص : ٣٧٩-٣٨٤) .

(٣) انظـر : التوحيد في تطورها التاريخي (ص : ٩١-٩٢ و١٣٦) بواسطة كتاب : عقيدة التوحيد في القرآن الكريم (ص : ٥٤)؛ وكتاب : الشرك في القديم والحديث (١/١٩٤) .

(٤) انظر : (ص : ٢٢٤-٢٦٧) .

ومــــا إلى ذلك من العلل والأوهام والخرافات التي ذكروها، وهي كلها سواء في البطلان والضلال، وهم أنفسهم متنازعون فيما بينهم، ويرد بعضهم على بعض،[1] ولم يستطيعوا أن يتفقوا على قول معين، وهذا دليل على ضعفهم واضطرابهم فيما ذهبوا إليه.

٣- إنهم بحثوا في أمم قد مضى عليها آلاف مؤلفة من السنين، وهي تعتبر في عالم الغيب الذي لا طريق للوصول إليه على وجه صحيح إلا عن طريق الوحي، فهم بحثوا في شـــيء خارج عن وسعهم وطاقتهم، واقتحموا بعقولهم فيما لا يستطيع العقل أن يخــوض ويبحث فيه؛ ولذلك كانت أقوالهم رجما بالغيب، وكانت أبحاثهم ونتائجها مناقضة للبحث العلمي والمنهج العلمي الصحيح [2].

٤- لقد خاض هؤلاء في دراسة تلك الأحقاب السحيقة من تاريخ الإنسانية من غير براهين ولا أدلة بل بالافتراضات والتخمينات، وقد اعترف بذلك بعض مناصري هذا المذهب . يقول " هـــ. د. ويلز " في معرض حديثه عن الفكر البدائي للإنسان بما فيـــه الدين : (ليس أمامنا الآن من سبيل إلا أن نركز على الاستنتاج والتخمين دون غيرهما في إجابتنا عن هذه الأسئلة) [3].

ويقول "ول ديورانت" [4]: (وبالطبع لن يتاح لنا قط أن نعلم أي الأشياء في هذا العالم الفسيح كان أول معبود للإنسان)[5] ثم لجأ إلى الظن والتخيمن لمعرفة أول المعبودات [6].

فدراســـتهم لتلك الأحقاب الموغلة في القدم ليست قائمة على الأدلة والبراهين، وإنمـــا هـــي ظـــنون وأوهام وافتراضات وتخمينات، ومثل هذه الافتراضات العقـــلية

---

(١) انظر مجموعة من هذه الأقوال الباطلة والردود عليها في كتاب : الدين (ص : ١٠٦-١٦٦)؛ والإنسان في ظل الأديان (ص : ٢٥و٣١-٥٠و٦٠-٦٣)؛ والديانـــات والعقائد في مختلف العصور (١/١٩-٨٥)، والأديان دراسة تاريخية مقارنـــة (القســـم الأول : الديانات القديمة ص : ٢٧-٤٥)؛ وعقيدة التوحيد في القرآن الكريم (ص : ٥٠-٦٤)؛ ودراسات في الأديان : اليهودية والنصرانية (ص : ١٣-٢٠)؛ والشرك في القديم والحديث (١/١٨٩-٢٠٠) .

(٢) انظر : الدين (ص : ١٠٨)؛ والأديان (ص : ٤٢)؛ وعقيدة التوحيد في القرآن الكريم (ص : ٦٤).

(٣) موجز تاريخ العالم (ص : ٤٥) .

(٤) أمريكي، له كتب في التاريخ والفسلفة، توفي عام ١٤٠٢هـــ . انظر : أعلام أجانب (ص : ١٢٥-١٢٦) .

(٥) قصة الحضارة (١/١٥٢) .

(٦) انظر : المصدر السابق نفسه .

والتخميـــنات الوهمية لا تغني في المسائل اليسيرة الدنيوية فكيف يمكن الاعتماد عليها على مسألة كهذه تتعلق بالدين والعقيدة ؟ .

٥- هؤلاء زعموا أن الإنسان تطور في عقيدته من الشرك إلى التوحيد ولكنهم لم يطـــبقوا قاعدة التطور إذ معنى التطور في العلوم والفنون والحضارات وفي كل كائن حي مخلوق : أنها تبدأ في صورة ساذجة متحدة متجانسة، ثم تنتقل تدريجيا إلى نوع من التكـــثر والـــتركيب، تزداد به تعقيدا كلما بعدت عن أصلها. وواضح أن تطبيق هذا القانون التطوري بمعناه العلمي الحيوي على العقيدة الإلهية يستوجب أنها سارت أيضا من الوحدة إلى الكثرة، ومن النقاوة والسهولة واليسر إلى التعقد بالإضافة الأسطورية، والنزوات الخيالية التي لا ضابط لها من العقل السليم [١].

٦- قد سبق في المبحث السابق ذكر وجوه كثيرة في ضوء أدلة قطعية من الكتاب والســـنة النبوية الصحيحة، تدل على أسبقية عقيدة التوحيد في البشرية، وأنه قديم قدم البشرية على هذه المعمورة، وأن الشرك شيء متطفل ومرض طارئ عليها، فكل تلك الوجوه السابقة تدل على بطلان هذا القول وترد عليه [٢].

ثانيا : ذكر ما تعلق به القائلون بتطور العقيدة من الخرافة والشرك إلى التوحيد ومناقشته : اعتمد القائلون بتطور العقيدة من الشرك والخرافات والوثنية إلى التوحيد بما يلي [٣]:

١- دراسة بعض القبائل المنعزلة عن الأمم المتحضرة، والاستدلال بها على ديانة الإنسانية الأولى وعقيدتها .

---

(١) انظر : الدين (ص : ١١١) .

(٢) انظر : (ص : ٨٠٨-٨١٦) .

(٣) انظـــر ما قاله عباس محمود العقاد في كتابه : الله جل جلاله (ص : ٧ و ٢٧)؛ وكذلك ذكر عنهم هذه الأدلة مع الرد عليهم الدكتور محمد عبد الله دراز في (الدين ص : ١٠٨ -١٠٩)؛ والدكتور عمارة نجيب في (الإنسان في ظل الأديان ص : ٧٧-١٠١)؛ والدكتور رشدي عليان وسعود الساموك في (الأديان ص : ٤٢-٤٤)؛ وشيخنا الدكـــتور ســـعود بن عبد العزيز الخلف في (دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية ص : ٢٥-٢٩)؛ والدكتور سعيد محمد بابا سيلا في (أسباب هلاك الأمم السالفة كما وردت في القرآن الكريم ص : ٩٩-١٠٢)؛ وأبو بكر زكريا في (الشرك في القديم والحديث ١/١٩٤-٢٠٠) وغيرهم .

٢- دعوى أن الحفريات دلتهم على أن الناس وقعوا في الشرك وتعدد الآلهة، وأن الإنسان عرف التوحيد متأخرا .

٣- قيـــاس العقيدة على التطور في الصناعة المادية الحديثة، فزعموا أن الإنسان كما تطور في صناعته المادية فكذلك هو تطور في ديانته وعقيدته القديمة .

مناقشة ما تعلق به القائلون بتطور العقيدة الإنسانية من الخرافة والشرك إلى التوحيد وبيان بطلانه : إن هذه الأمور المذكورة التي اعتمد عليها أصحاب المذهب التطوري العقدي كلها باطلة لا تصلح للاعتماد عليها ولا يصح الاستدلال بها وبيان ذلك بما يلي :

أولا : إن دراستهم لبعض القبائل المنعزلة عن الأمم المتحضرة، واستدلالهم بها على ديانة الإنسانية الأولى وعقيدتها باطل من وجوه، وهي كما يلي :

١- إن المـــنهج الذي سلكه القائلون بنظرية التطور حتى توصلوا لما توصلوا إليه من نتائج تطورية، هو منهج خاطئ، لأن مقارنتهم كانت لا تفرق بين الدين الصحيح والخـــرافات الأسطورية الهمجية التي كانت منتشرة عند الشعوب القديمة عن الأرواح والأحـــلام وما إلى ذلك، فجعلوا عقيدة التوحيد على قدم المساواة بالعقائد الأخرى الباطلة، فهم لا يفرقون بين اليهودية والنصرانية والمجوسية والبوذية والهندوكية، وسائر أنواع الشرك من جهة وبين الإسلام من جهة أخرى [(١)].

٢- إن عـــلماء الأجناس لم يتفقوا فيما بينهم على تحديد أي المجتمعات البدائية الموجودة الآن أقدم عهدا أو أيها أقرب إلى الحالة الأولى، فنظرية (دور كايم) – مثلا – بـــنيت على أساس أن قبائل استراليا الوسطى أقدم هذه التجمعات ولكن البحوث العلمية التي أتت بعده أثبتت أن هذه القبائل لا تمثل أقدم القبائل بل يذهب البعض إلى أن قبائل الزنوج الأقزام في أفريقيا هي التي تمثل أكثر المجتمعات بدائية [(٢)].

٣- إن أصحاب تلك النظريات لم يكونوا آرائهم تلك نتيجة بحث وتمحيص لكل

---

(١) انظر : الإنسان في ظل الأديان (ص : ٧٧)؛ وعقيدة التوحيد في القرآن الكريم (ص : ٥٦و٦٣-٦٤).
(٢) انظر : الأديان (ص : ٤٢-٤٣) .

تجمع إنساني، وإنما كونوها بناء على دراستهم لتجمعات إنسانية معينة ثم حاولوا تعميم النتائج التي توصلوا إليها على جميع التجمعات الإنسانية .

والواقع أن فكرة التعميم هذه إن كان يمكن تطبيقها في العلوم الطبيعية فإنه لا يمكن التسليم بها فيما يتعلق بالعلوم الاجتماعية، وذلك لأن هذه العلوم مما تخضع للإرادة والرأي العام، وهي أمور مرنة متطورة لا تسير على وتيرة واحدة [١].

٤- إنهم قاموا بدراسة أديان بعض الشعوب المعاصرة المتخلفة، وحاولوا الاستنتاج منها عقيدة الإنسان الأول، وهذا استنتاج باطل من غير ريب؛ فأن تأثير التجمعات البشرية فيما سواها أو تأثرها بغيرها وخاصة فيما يتعلق بالعقيدة والدين أمر مشاهد ومعلوم، فكثيرا ما تغير المؤثرات الخارجية المفاهيم الدينية لدي الشعوب وتقلبها من توحيد إلى شرك ومن شرك إلى توحيد ومن عبادة لآلهة معينة إلى عبادة آلهة أخرى، وكل دارس للأديان يعلم ذلك.

فمن أين لهم أن هذه الأمم والشعوب المتخلفة التي قاموا بدراستها أنها لم تتأثر بأية حضارة من الحضارات، وأنها لا زالت باقية على الحالة التي كان عليها الإنسان الأول في عبادته وعقيدته وطريقة حياته ومعيشته وما إلى ذلك [٢].

٥- إن من شروط المنهج العلمي أن يقوم بالتجارب والملاحظات عالم بمحلي التجربة والملاحظة وبطريقتها، خبير بعناصرها، ومحيط بخصائصا ومميزاتها وأسرارها، قادر على إجرائها في الموقع والزمان اللازمين لنجاح التجربة، وقادر أيضا على رصد هذه التجارب وتسجيل نتائجها بدقة . فهل توفرت لأحد منهم هذه الشروط ؟ كلا! ولم تتوفر لأحد منهم حتى الآن ولن تتوفر لأحد منهم بعد الآن، بل هذا العلم وهذه القدرة والخبرة لا يحيط بها غير خالق هذا الكون [٣].

٦- كما استدل هؤلاء بدراسة الشعوب المنعزلة عن التجمعات الإنسانية الكبيرة والبعيدة عن الحضارات المدنية على أسبقية الشرك فكذلك هنا جماعة من علماء

---

(١) انظر : المصدر السابق (ص : ٤٤) .

(٢) انظر : الدين (ص : ١٠٨-١٠٩) .

(٣) انظر : الإنسان في ظل الأديان (ص : ٢٨٢) .

الأجناس وعلماء الإنسان وعلماء النفس قاموا بدراسة تلك الشعوب البدائية، وتوصلوا في بحوثهم ودراساتهم أن فكرة : "الإله الأعظم " توجد عند جميع الشعوب الذين يعدون من أقدم الأجناس الإنسانية [1].

ثانيا : وأما استنادهم إلى الحفريات ومخلفات الأمم السابقة، واستدلالهم بها على تطور العقيدة من الشرك إلى التوحيد فهذا أيضا باطل وبيان ذلك بما يلي :

١- أسباب حفظ هذه الحفريات في حالتها الأصلية غير متوفرة، ولا سيما في تلك الأزمان الغابرة الموغلة في القدم .

٢- علم الحفريات ناقص جدا؛ فإنه لا يستطيع أن يدعي أحد أنه أكمل التنقيب في جميع طبقات الأرض .

٣- السلسلة التي تغطيها الحفريات منقطعة غير متصلة .

٤- علم الحفريات في تغير؛ فلا يمكن الاعتماد عليه كدليل قطعي .

هذه الوجوه الأربعة قد سبق ذكرها [2]عند بيان بطلان نظرية النشوء والارتقاء المتعلقة بأصل الإنسان، والردّ على أصحابها الذين استدلوا عليها بالحفريات، وهي أيضا تدل على بطلان مزاعم أنصارها الذين استدلوا بها على أن الإنسان تطور في عقيدته من الخرافة والأساطير والشرك إلى التوحيد .

٥- هذه الحفريات ليس فيها دلالة على أن الشرك والخرافة أسبق في الوجود على الأرض من التوحيد، وأن الناس وقعوا في الشرك أولا ثم تطوروا منه إلى التوحيد، بل غاية ما تدل عليه الحفريات والآثار : أن الأمم السابقة وقعت في الشرك، وهذا لا ننكره نحن، بل كتاب ربنا وأحاديث رسولنا تثبت ذلك وتنص على وقوع الشرك في الأمم الماضية، وأما عبادة الإنسان الأول وعقيدته فلا يمكن معرفتها من خلال الآثار والحفريات حتى يعثروا على الإنسان الأول، ويجدوا آثارا تدل على عقيدته وعبادته ولكن ليس لهم ذلك حتى يلج الجمل في سم الخياط [3].

---

(١) انظر : الدين (ص : ١٠٨)، وعقيدة التوحيد في القرآن الكريم (ص : ٦٣) .

(٢) انظر : (ص : ٢٥٠-٢٥٥) .

(٣) انظر : دراسات في الأديان : اليهودية والنصرانية (ص : ٢٦) .

٦- إن الأمـــم تتقـــلب في عـــبادتها، فتنتقل من التوحيد إلى الشرك، ومن الشرك إلى التوحيد، فمعرفة عبادة أمة من الأمم لا يعني أن تلك الأمة لم تعرف سوى تلك العبادة في سائر فترات تاريخها بل يعني ذلك أنها كانت على هذه العبادة في تلك الفترة فقط [١].

٧- إن الحفـــريات ومخـــلفات الأمم السابقة كما استدل بها بعضهم على القول بأسبقية الشرك، فكذلك استدل بها فريق آخر على أسبقية التوحيد، فقد قال به فريق من العلماء أمثال (لا نج وشريدر وبروكلمان وكاترفاج وشميدت [٢] وبتاتزوني وفوكارت[٣]) وغيرهم فقد توصـــل هؤلاء من خلال أبحاثهم التي قاموا بها إلى أن الأصل هو التوحيد وليس الشرك وسموا نظريـــتهم (نظـــرية فطرية التوحيد وأصالته) وقد انتصر لهذه النظرية فريق كبير من العلماء، وأيدوها بما توصلوا إليه من اكتشافات وحفريات قديمة تدل على أن هناك أمما عريقة في القدم لم تعرف تعدد الآلهة، وكانت تؤمن بالإله الواحد، وبنوا عليه أن عقيدة التوحيد هي أقدم ديانة عرفها البشر، وأن التعدد والوثنية طارئة ومتطفلة على عقيدة التوحيد [٤].

ثالثا : وأما تمسكهم بتطور الصناعات على تطور الديانات والعقائد فلا شك أن هذا قياس فاسد والاستدلال به باطل وبيان ذلك بما يلي :

١- الاستدلال بالتطور الصناعي على التطور العقدي والديني يرد عليه الماضي والحال .

أمـــا الماضي فقد ذكر الله سبحانه وتعالى في كتابه أقواما كانوا في غاية الحضارة الماديـــة في زمـــانهم ولكنهم من الناحية العقدية كانوا في أسوأ المنازل وأردئها ولذلك استحقوا عذاب الله تعالى . قال تعالى : ﴿ أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم كانوا هم أشد منهم قوة وآثارا في الأرض فأخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله واق ﴾ [٥]

---

(١) انظر : المصدر السابق نفسه .

(٢) ذكره عنهم الدكتور محمد عبد الله دراز في (الدين ص : ١٠٧-١٠٨) .

(٣) ذكره عنهما الدكتور محمد أحمد ملكاوي في (عقيدة التوحيد في القرآن الكريم ص : ٦٣)؛ والشيخ أبو بكر زكريا في (الشرك في القديم والحديث ١/١٩٦و١٩٨) .

(٤) انظر : المصدرين المذكورين في الهامش السابق .

(٥) غافر الآية : ٢١

وقـال تعالى عن عاد قوم هود عليه السلام : ﴿ أتبنون بكل ريع آية تعبثون * وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون * وإذا بطشتم بطشتم جبارين ﴾ (١) وقال تعالى عن ثمود قوم صالح عليه السلام : ﴿ واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم في الأرض تتخذون من سهولها قصورا وتنحتون الجبال بيوتا ﴾ (٢) وقال تعـالى عن عاد وثمود وفرعون : ﴿ ألم تر كيف فعل ربك بعاد * إرم ذات العماد * التي لم يخلق مثلها في البلاد * وثمود الذين جابوا الصخر بالواد * وفرعون ذي الأوتاد * الذين طغوا في البلاد * فأكثروا فيها الفساد * فصب عليهم ربك سوط عذاب ﴾ (٣).

فهـذه الأمـم الكافـرة الماضية كانت أشد قوة وأكثر آثارا في الأرض وكانت في غاية القمة والحضارة والصناعة المادية في عصرها ولكنها مع ذلك كانت بعيدة عن التوحيد كل البعد بل كانت منغمسة في الشرك والكفر والوثنية والخرافات ولذلك استحقت عقاب الله جل وعلا (٤).

وأمـا الحـال فقـد نـرى أمما كثيرة قد بلغت مرحلة رفيعة في المدنية المعاصرة ومظاهـرها المادية الصناعية ولكنها لا زالت تعيش في أحط دركات الوثنية والشرك والإيمان بالخرافات، بينما هناك أمم كثيرة لم تنل حظا وافرا من الرقي في نواحي الحياة المادية، ومع ذلك بقي دينها نقيا صافيا لم تتنازعه نوازع الوثنية والإلحاد (٥).

فمـن ينظر نظرة واحدة إلى المدنية المعاصرة ويقارن رقيها في الصناعات بانحطاطها في الجوانب الدينية لا يشك في بطلان الاستدلال بالتطور الصناعي على التطور الديني والعقدي.

٢- القـول بتطور العقيدة قياسا على تطور الصناعة الحديثة قياس فاسد، وبيان ذلك بما يلي :

أ - الصـناعات من الأشياء المادية والعقائد من الأشياء المعنوية، فكيف يقاس شيء معنوي

---

(١) الشعراء الآيات : ١٢٨-١٣٠

(٢) الأعراف الآية : ٧٤

(٣) الفجر الآيات : ٦-١٣

(٤) انظر : الإنسان في ظل الأديان (ص : ٢٨٣-٢٨٥) .

(٥) انظر : أسباب هلاك الأمم السالفة كما وردت في القرآن الكريم (ص : ١٠٢) .

غير محسوس على شيء مادي محسوس ؟ فهذا كمن يقيس الهواء على الماء [1].

ب – إن الصناعات تقوم على التجربة والملاحظة، وتظهر النتائج بعد استكمال مقوماتها في الحال، بخلاف الدين الذي لا يقوم على ذلك ولا تظهر نتائجه في هذه الحياة الدنيا [2].

ج – يلزم من هذا القياس شيئان :

أ – أن يكون الإنسان في هذا الزمن صادق النية خالص التوحيد، لأن الصناعة قد بلغت مبلغا عاليا من التطور، والواقع الديني خلاف ذلك؛ فإن الإنسان في العصر الحاضر أحط ما يكون من الناحية الدينية؛ إذ الإلحاد متفش في أكثر بقاع العالم .

ب – كما يلزم منه ألا يوجد شرك في هذا الزمن، والواقع خلاف ذلك، حيث إن الشرك منتشر في الشرق والغرب انتشارا واسعا، بل مشركوا هذا الزمان أشد تمسكا بشركهم من المشركين في الماضي؛ لأنهم في الرخاء كانوا يعبدون آلهة كثيرين ولكنهم في الشدة كانوا يرجعون إلى الله وحده دون غيره من المعبودات الباطلة، وأما مشركوا زماننا فهم لا يرجعون إلى الله وحده لا في الرخاء ولا في الشدة وعلى هذا هم أشد في الشرك كما وكيفا من الماضي، وهذا يدل على بطلان القول بتطور العقيدة من الشرك إلى التوحيد كتطور الصناعة الحديثة المادية [3].

يتبين مما سبق أن القول بأسبقية الشرك على التوحيد قول باطل فاسد؛ وأن ما استدلوا به ليس إلا تخرصات وتوهمات وظنون وأوهام، لا تقوم في وجه الحق الواضح المبين الذي سبق ذكره، وهو أن التوحيد هو الأصل في الإنسان، وأن الشرك شيء طارئ عليهم، وهذا هو الحق الذي لا ريب فيه، وأنه هو الذي يدل عليه الكتاب والسنة والعقل السليم الموافق للنقل الصحيح، وقد اهتدى بعض علماء الآثار والباحثون في الأديان من الغربيين وغيرهم إلى ذلك، وفيما يلي ذكر نماذج من أقوالهم [4]:

---

(١) انظر : الدين (ص : ١٠٩-١١١)؛ والأديان (ص : ٤٣)؛ ودراسات في الأديان : اليهودية والنصرانية (ص : ٢٥).

(٢) انظر : دراسات في الأديان : اليهودية والنصرانية (ص : ٢٥) .

(٣) انظر : المصدر السابق نفسه .

(٤) هذه النماذج مأخوذة من كتاب : التفكير الديني في العالم قبل الإسلام (ص : ٢٨-٣٠) .

يقول الباحث " آدمسون هيوبل " – المتخصص في دراسة الملل البدائية – : (لقد مضى ذلك العهد الذي كان يتهم الرجل القديم بأنه غير قادر على التفكير فيما يتعلق بـالذات المقدسـة أو في الله العظيم، ولقد أخطأ " تيلور " حيث جعل التفكير الديني الموحَّد نتيجة للتقدم الحضاري والسمو المعرفي، وجعل ذلك نتيجة لتطور بدأ من عبادة الأرواح والأشباح، ثم التعدد، ثم أخيرا العثور على فكرة التوحيد) .

ويقـول الباحث " اندري لانج " – من علماء القرن الماضي – : إن الناس في استراليا وأفـريقيا والهـند لم ينشأ اعتقادهم في الله العظيم على أساس من الاعتقاد المسيحي، وقد أكد هذا الرأي العالم الاسترالي " وليم سميث " حيث ذكر في كتابه " أسـس فكرة التوحيد " مجموعة من البراهين والأدلة جمعها من عدة مناطق واتجاهات تؤكد أن أول تعبد مارسه الإنسان كان تجاه الله الواحد العظيم . أهـ بتصرف .

ويقول الدكتور " حاج أورانج كاي رحمات " – من علماء الملايو في أندونيسيا – : عـندنا في بـلاد أرخبيل الملايو دليل أكيد على أن أهل ديارنا هذه كانوا يعبدون الله الواحد، وذلك قبل أن يدخل الإسلام إلى هذه الديار، وقبل أن تدخل النصرانية .

وفي عقيـدة جزيرة كلمنتان بأندونيسيا لوثة من الهندوسية، ورائحة من الإسلام، مع أن التوحيد كعبادة لأهل الديار كان هو الأصل قبل وصول الهندوسية أو الإسلام إليها .

وإذا رجعـنا إلى اللغة الدارجة لأهل هذه الديار قبل استخدام اللغة السانسكريتية أو قبل هجرة الهندوسية أو دخول الإسلام تأكدنا من أن التصور الاعتقادي لأجدادنا حسب النطق والتعبير الموروث هو أن الله في عقيدتهم واحد لا شريك له . أهـ بتصرف .

خلاصة القول : دعوى أن الشرك قبل التوحيد باطلة، وأدلتها لا تعدو أن تكون تخمينات عقلية واستنتاجات وهمية، يكذبها الماضي والحال، ويردها البحوث العملية والدراسات المحايدة المنصفة، ويشهد ببطلانها الأدلة القطعية من الكتاب والسنة النبوية، والله أعلم بالصواب .

الفصل الثالث : عمر آدم عليه السلام ووفاته .

وفيه ثلاثة مباحث .

المبحث الأول : عمر آدم عليه السلام .

المبحث الثاني : وفاة آدم عليه السلام .

المبحث الثالث : الكلام عن أجساد الأنبياء وحياتهم في القبور والرد على المفاهيم الضالة في ذلك .

المبحث الأول : عمر آدم عليه السلام.

اختلف في بيان عمر آدم عليه السلام عند وفاته، وفيما يلي ذكر الأقوال في ذلك، وبيان الراجح منها، والله الموفق :

القول الأول : جاء في التوراة المحرفة الموجودة بين يدي أهل الكتاب الآن ما نصه : (وعاش آدم مائة وثلاثين سنة وولدا ولداً ... ودعا اسمه شيثا، وكانت أيام آدم بعد ما ولد شيثا ثماني مائة سنة ولد بنين وبنات فكانت كل أيام آدم التي عاشها تسع مائة وثلاثين سنة ومات) [(١)] .

فأهل التوراة المحرفة يزعمون أن كل أيام آدم عليه السلام التي عاشها تسع مائة وثلاثين سنة ولكن هذا مخالف لما جاء عن النبي ﷺ فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : لما خلق الله آدم ونفخ فيه الروح عطس، فقال الحمد لله، فحمد الله بإذنه، فقال له ربه : رحمك الله يا آدم، اذهب إلى أولئك الملائكة إلى ملإ منهم جلوس فقل : السلام عليكم، قالوا : وعليك السلام ورحمة الله ثم رجع إلى ربه فقال : إن هذه تحيتك وتحية بنيك بينهم، فقال الله له – ويداه مقبوضتان – اختر أيهما شئت. قال : اخترت يمين ربي، وكلتا يدي ربي يمين مباركة . ثم بسطها فإذا فيها آدم وذريته، فقال أي رب ما هؤلاء ؟ فقال : هؤلاء ذريتك، فإذا كل إنسان مكتوب عمره بين عينيه، فإذا فيهم رجل أضوؤهم أو من أضوئهم. قال يا رب من هذا ؟ قال : هذا ابنك داود، قد كتبت له عمر أربعين سنة. قال : يا رب زده في عمره . قال : ذاك الذي كتبت له . قال : أي رب **فإني قد جعلت له من عمري ستين سنة** . قال : أنت وذاك قال : أسكن الجنة ما شاء الله، ثم أهبط منها، فكان آدم يعد لنفسه، قال : فأتاه ملك الموت، فقال له آدم : **قد عجلت قد كتب لي ألف سنة** . قال : بلى ولكنك جعلت لابنك داود ستين سنة، فجحد فجحدت ذريته، ونسي فنسيت ذريته قال : فمن يومئذ أمر بالكتاب والشهود[(٢)].

فهذا الحديث النبوي يرد على قولهم بأن آدم عليه السلام عاش تسع مائة وثلاثين سنة فقط بل هو عاش أكثر مما ذكروا فقولهم مردود عليهم لكونه مخالفا لما جاء عن النبي ﷺ .

---

(١) سفر التكوين (٥/٣-٥) .

(٢) إسناده حسن لذاته، والحديث صحيح لغيره، وقد سبق تخريجه في (ص : ٧٤) .

القول الثاني : إن آدم ﷺ عاش ألف سنة . هذا القول ذهب إليه كثير من أهل العلم منهم عثمان بن أبي العاتكة كما ذكر عنه ابن مندة [1]، وبه قال ابن جرير الطبري وابن الجوزي وابن الأثير وعلي المنوفي ومحمد بن إبراهيم التتائي والزرقاني وأحمد النفراوي والدكتور عبد الله بن مطلق الطوالة [2] وغيرهم .

وقد استدل أصحاب هذا القول بما روي من حديث ابن عباس – رضي الله عنهما – قال : قال رسول الله ﷺ : أول من جحد آدم – قالها ثلاث مرات – إن الله لما خلقه مسح ظهره، فأخرج ذريته، فعرضهم عليه، فرأى فيهم رجلا يَزْهَرُ، قال : أي رب، من هذا؟ قال : هذا ابنك داود . قال : كم عمره ؟ قال : ستون . قال : أي رب، زد في عمره. قال : لا، إلا أن تزيده أنت من عمرك . فزاده أربعين سنة من عمره، فكتب الله عليه كتابا، وأشهد عليه الملائكة، فلما أراد أن يقبض روحه، قال : بقي من أجلي أربعون سنة. فقيل له : إنك جعلته لابنك داود. قال : فجحد، قال : فأخرج الله عز وجل الكتاب، وأقام عليه البينة، فأتمها لداود مئة سنة، وأتمها لآدم عمره ألف سنة [3].

فهذا الحديث يدل على أن آدم ﷺ كان عمره ألف سنة، وأنه أعطى من عمره أربعين سنة لابنه داود ﷺ ثم أكمل الله تعالى بفضله لآدم ﷺ ألف سنة ولداود ﷺ مائة سنة تكرمة لآدم ﷺ .

ولكن محل الشاهد من الحديث، وهو الجزء الأخير ؛أي : إكمال الألف لآدم ﷺ ضعيف لا يمكن الاعتماد عليه؛ لأن هذه الزيادة لم ترد في طرق الحديث المتعددة إلا في طريق واحد، وهذا الطريق مداره على علي بن زيد بن جدعان، وهو ضعيف بالاتفاق،

---

(١) انظر : الرد على الجهمية (ص : ٥١) وابن أبي العاتكة هو عثمان بن أبي العاتكة سليمان الأزدي، صدوق ضعفوه في روايته عن علي بن يزيد الألهاني، توفي سنة ١٥٢هـ . انظر : تقريب التهذيب (ص : ٣٨٤ برقم : ٤٤٨٣) .

(٢) انظر بالترتيب : تاريخ الأمم والملوك (١/٩٨-١٠٠)؛ والمنتظم في تاريخ الملوك والأمم (١/٢١٦)؛ والكامل في التاريخ (١/٣٠)؛ وكفاية الطالب الرباني لرسالة ابن أبي زيد القيرواني (١/٣٥)؛ وتنوير المقالة في حل ألفاظ الرسالة (١/٢٩٠)؛ والأجوبة المصرية على الأسئلة المغربية (ص : ١٤)؛ والفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني (١/٨٢)؛ وخلق آدم وذريته كما ورد في التنزيل (ص : ٩٠) .

(٣) أخرجه حم (٤/٤٤٦-٤٤٧ ح : ٢٧١٣)؛ واللفظ له؛ وابن جرير الطبري في تاريخه (١/٩٨-٩٩)؛ وأبو الشيخ في (العظمة ٥/١٥٥٠-١٥٥١ ح : ١٠١٢) كلهم من طريق حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس، وكذلك أخرجه غيرهم بالإسناد نفسه وليس عندهم إكمال الألف لآدم ﷺ . انظر : (ص : ٧٩٥) .

وكذلك فيه يوسف بن مهران البصري، وهو لين الحديث، وقد سبق الكلام عن ذلك[1].

فلا تقبل الزيادة المذكورة إلا إذا توبع عليها ابن جدعان أو إذا وجد ما يشهد لها، وأنا لم أقف على شيء من ذلك، فالله أعلم بالصواب .

القول الثالث : إن آدم ﷺ عاش تسع مائة سنة وأربعين سنة . هذا القول ذهب إليه محمد السيد الوكيل [2] .

واستدل لما ذهب إليه بما جاء في حديث أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : لما خلق الله آدم ونفخ فيه الروح عطس... فإذا كل إنسان مكتوب عمره بين عينيه، فإذا فيهم رجل أضوؤهم أو من أضوئهم. قال يا رب من هذا ؟ قال : هذا ابنك داود، قد كتبت له عمر أربعين سنة. قال : يا رب زده في عمره . قال : ذاك الذي كتبت له . قال : أي رب فإني قد جعلت له من عمري ستين سنة . قال : أنت وذاك قال : أسكن الجنة ما شاء الله، ثم أهبط منها، فكان آدم يعد لنفسه، قال : فأتاه ملك الموت، فقال له آدم : قد عجلت قد كتب لي ألف سنة . قال : بلى ولكنك جعلت لابنك داود ستين سنة، فجحد فجحدت ذريته، ونسي فنسيت ذريته قال : فمن يومئذ أمر بالكتاب والشهود[3] .

فهذه الرواية تدل على أن آدم ﷺ كان عمره ألف سنة، وأنه أعطى من عمره ستين سنة لابنه داود ﷺ، وعلى هذا يكون آدم ﷺ قد عاش تسع مائة وأربعين سنة .

القول الرابع : إن آدم ﷺ عاش تسع مائة سنة وستين سنة .

ويدل على هذا القول ما جاء عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : لما خلق الله آدم مسح ظهره، فسقط من ظهره كل نسمة هو خالقها من ذريته إلى يوم القيامة، وجعل بين عيني كل إنسان منهم وبيصا من نور، ثم عرضهم على آدم، فقال : أي رب من هؤلاء ؟ قال : هؤلاء ذريتك، فرأى رجلا منهم، فأعجبه وبيص ما بين عينيه، فقال : أي رب ! من هذا ؟ فقال : هذا رجل من آخر الأمم من ذريتك يقال له داود، فقال : رب كم جعلت عمره ؟ قال : ستين سنة، قال : أي رب! زده من عمري أربعين سنة، فلما قضي عمر آدم جاءه ملك

---

(١) انظر : (ص : ٧٩٥) .

(٢) انظر : نظرات في أحسن القصص (١/ ٥٩-٦٠) .

(٣) إسناده حسن لذاته، والحديث صحيح لغيره، وقد سبق تخريجه في (ص : ٧٤) .

الـــوت، فقال : أو لم يبق من عمري أربعون سنة ؟ قال : أو لم تعطها ابنك داود؟ قال : فجحد آدم فجحدت ذريته، ونسي آدم فنسيت ذريته، وخطئ آدم فخطئت ذريته [1].

فهـــذه الرواية تدل على أن آدم عليه السلام كان قد أعطى من عمره أربعين سنة لابنه داود عليه السلام؛ وعلى هذا يكون آدم عليه السلام قد عاش تسع مائة وستين سنة .

التعارض في بيان عدد السنين التي أعطى آدم عليه السلام من عمره لابنه داود عليه السلام وذكر أقوال العلماء في توجيه ذلك :

الـــرواية المذكـــورة آنفا تدل على أن داود عليه السلام كان عمره ستين سنة، وأن آدم عليه السلام أعطـــاه من عمره أربعين سنة، فاكتمل لداود عليه السلام مائة سنة، ولكن الرواية التي قبلها تدل عـــلى أن داود عليه السلام كـــان عمـــره أربعين سنة، وأن آدم عليه السلام أعطاه من عمره ستين سنة فاختـــلفت الروايـــتان من حديث أبي هريرة رضي الله عنه في بيان عمر داود وفي بيان السنين التي أعطاها آدم عليه السلام من عمره لداود عليه السلام، فذهب أهل العلم في توجيه الروايتين إلى مذهبين :

المذهب الأول: وهو الجمع بين الروايتين : وذلك بأن يقال: إن آدم عليه السلام جعل أولا من عمـــره لداود عليه السلام أربعين سنة ثم زاده عشرين سنة فصار المجموع ستين سنة، ونظيره قولـــه تعالى : ﴿ وإذ واعدنا موسى أربعين ليلة ﴾ [2] وقوله تعالى : ﴿ وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر فتم ميقات ربه أربعين ليلة ﴾ [3] . هذا التوجيه ذكره ملا علي القاري، وكأنه مال إليه [4].

ولكن هذا الجمع فيه نظر؛ لأنه يلزم منه أن ملك الموت جاء إلى آدم عليه السلام ليقبض روحه بعد ما مضى من عمره تسع مائة وأربعون سنة، فجحد آدم، فعاد ملك الموت وعاش آدم بعد ذلـــك عشـــرين ســـنة، ثم جاءه ملك الموت مرة ثانية، بعد ما مضى من عمر آدم تسع مائة وستون سنة فجحد عليه السلام مرة أخرى، وألفاظ الحديث لا تدل على ذلك بل ترد عليه؛ فإن من ألفـــاظ الحديث : نفد عمر آدم ... انقضى عمر آدم .. واحتضر آدم ... فهذا يدل على أن

---

(١) حديث صحيح، وقد سبق تخريجه في (ص : ١٤٤-١٤٥) .

(٢) البقرة الآية : ٥١

(٣) الأعراف الآية : ١٤٢

(٤) ذكره عنه المباركفوري في (تحفة الأحوذي ٨/٣٦٤) .

ملك الموت جاءه في نهاية عمره، وأنه لم يترك بعد ذلك ليعيش، ثم إن التفصيل المذكور يحتاج إلى دليل من نقل صحيح، وبذلك يتبين أن الجمع المذكور بين الروايتين غير سليم [(١)].

وهناك توجيه آخر للجمع بين الروايتين، وذلك أن يقال : إن ساعات زمان آدم عليه السلام كانت أطول من ساعات زمان داود عليه السلام، فباعتبار ساعات زمان آدم عليه السلام يكون آدم عليه السلام قد أعطى داود عليه السلام أربعين سنة من عمره، وباعتبار ساعات زمان داود يكون قد أعطاه ستين سنة.

وهذا الجمع أيضا ذكره ملا علي القاري، وتعقبه بأن صحة هذا الجمع موقوف على صحة النقل، وإلا فظاهره يأباه العقل كما حقق في دوران الفلك عند أهل الفضل [(٢)].

المذهب الثاني : وهو الترجيح بين الروايتين : لما كان الجمع بين الروايتين فيه نوع من التعذر ولم يتيسر جمع سليم مقبول ذهب آخرون من أهل العلم إلى ترجيح رواية إعطاء آدم عليه السلام أربعين سنة من عمره لداود عليه السلام على رواية إعطائه ستين سنة، وقد اختار هذا المسلك ملا علي القاري أخيرا [(٣)]، وبه قال محمد عبد الرحمن المباركفوري [(٤)] والدكتور عمر سليمان عبد الله الأشقر [(٥)] وإبراهيم محمد العلي [(٦)] .

ويدل على رجحان رواية إعطاء أربعين على إعطاء ستين ما يلي :

١- إن رواية إعطاء آدم عليه السلام أربعين سنة من عمره لداود عليه السلام جاءت من طريق هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن أبي صالح السمان عن أبي هريرة مرفوعا. وقد قال الإمام أبو داود : (هشام بن سعد أثبت الناس في زيد بن أسلم)[(٧)] ، فطريق من هو أثبت الناس فيمن روى عنه أولى بالتقديم على من ليس كذلك، والله أعلم بالصواب.

٢- إن الإمام الترمذي لما أخرج رواية إعطاء آدم عليه السلام أربعين سنة من عمره لداود عليه السلام

---

(١) انظر : المصدر السابق نفسه .

(٢) ذكره عنه المباركفوري في (تحفة الأحوذي ٣٦٥/٨) .

(٣) ذكره عنه المباركفوري في المصدر السابق نفسه .

(٤) انظر : تحفة الأحوذي (٣٦٥/٨) .

(٥) انظر : صحيح القصص النبوي (ص : ٢٢) .

(٦) انظر : الأحاديث الصحيحة من أخبار وقصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام (ص : ٢٢) .

(٧) ذكره عنه الحافظ ابن حجر في تهذيب التهذيب (٢٩/٦، ترجمة هشام بن سعد) .

قـــال : (هذا حديث حسن صحيح)[1] ولما أخرج رواية إعطاء ستين سنة قال عقبه : (هـــذا حديـــث حسن غريب من هذا الوجه) [2] فهذا التفريق من الإمام الترمذي في الحكم على الروايتين فيه إشارة إلى أرجحية رواية الأربعين على رواية الستين؛ لأن عبارته الأولى أقوى في التصحيح؛ فهي أدعى للقبول، وأولى بالتقديم [3] .

٣- إن الإمام الترمذي لما أخرج رواية إعطاء آدم ﷺ ستين سنة من عمره لداود ﷺ قال : (هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه) فكأن الإمام الترمذي أشار بقوله " حسن " إلى حسن إســـناده، وأن رجاله جيدون ليس فيهم ضعيف أو متهم، وأنهم داخلون في دائرة القبول ثم أشار بقولـــــه " غـــريب من هذا الوجه " إلى وجود غرابة في متنه، ويؤكد هذا الاستنباط ما جاء عن الإمام النسائي أنه قال : (حديث محمد بن خلف[4] منكر) [5] ثم ذكر روايته، وفيها أن آدم ﷺ أعطى داود ﷺ ستين سنة من عمره[6]، فهذا يؤكد ترجيح رواية الأربعين على رواية الستين.

٤- قصة إعطاء آدم ﷺ من عمره لداود ﷺ جاء عن ابن عباس — رضي الله عنهما — مـــرفوعا مـــن طريقين ضعيفين[7]، وفيهما أيضا أن آدم ﷺ أعطى من عمره أربعين سنة لـــداود ﷺ، فهـــذان الطريقان وإن كانا ضعيفين ولكنهما يزيدان قوة في ترجيح رواية الأربعين على رواية الستين لتعدد مخرج رواية الأربعين دون رواية الستين .

فهـــذه الوجوه الأربعة يمكن أن يقال في ضوئها أن رواية إعطاء آدم ﷺ أربعين سنة مـــن عمره لداود ﷺ أصح وأرجح من الرواية التي فيها أنه أعطاه ستين سنة من عمره، وبذلـــك يتـــبين أن القول بأن آدم ﷺ عاش تسع مائة وستين سنة أرجح من غيرها من الأقوال التي ذكرت في بيان عمره، والله أعلم بالصواب .

---

(١) سنن الترمذي (التفسير، الأعراف ٥/٢٦٧ ح : ٣٠٧٦) .

(٢) المصدر السابق (التفسير، الباب الذي يلي سورتي المعوذتين ٥/٤٥٣ ح : ٣٣٦٨) .

(٣) انظر : تحفة الأحوذي (٨/٣٦٥) .

(٤) محمد بن خلف بن عمار العسقلاني، من شيوخ النسائي وابن ماجه وابن خزيمة، ثقة صدوق، توفي سنة ٢٦٠هـــ . انظر : تهذيب التهذيب (٥/٩٨ برقم : ٦٨٠٥) .

(٥) عمل اليوم والليلة (ص : ٢٣٨) .

(٦) انظر : المصدر السابق (ص : ٢٣٨ ح : ٢٢٠) .

(٧) انظر تخريجهما والحكم عليهما في : (ص : ٧٩٤-٧٩٥) .

المبحث الثاني : وفاة آدم عليه السلام.

اليوم الذي توفي فيه أبو البشر آدم عليه السلام :

جاء في عدد من الأحاديث النبوية ما يبين لنا اليوم الذي توفي فيه أبو البشر آدم عليه السلام، منها ما يلي :

عن أوس بن أوس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : إن من أفضل أيامكم **يوم الجمعة**؛ فيه خلق آدم، **وفيه قبض**، وفيه النفخة، وفيه الصعقة، فأكثروا علي من الصلاة فيه؛ فإن صلاتكم معروضة علي . قال : قالوا : يا رسول الله وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت - يقولون : بليت ؟ . فقال : إن الله عز وجل حرم على الأرض أجساد الأنبياء [1].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : خير يوم طلعت عليه الشمس **يوم الجمعة**؛ فيه خلق آدم ، وفيه أهبط من الجنة ، وفيه تيب عليه ، **وفيه مات** ، وفيه تقوم الساعة ، وما من دابة إلا وهي مُصِيْخَةٌ يوم الجمعة من حين تصبح حتى تطلع الشمس شفقا من الساعة إلا الجن والإنس، وفيه ساعة لا يصادفها عبد مسلم وهو يصلي يسأل الله شيئا إلا أعطاه إياه . . .الحديث [2] .

وعن سعد بن عبادة رضي الله عنه أن رجلا من الأنصار أتى النبي ﷺ فقال : أخبرنا عن **يوم الجمعة** : ماذا فيه من الخير؟ قال : " فيه خمس خلال : فيه خلق آدم، وفيه أهبط آدم، **وفيه توفي آدم**، وفيه ساعة لا يسأل الله عبد فيها شيئا إلا آتاه الله إياه ما لم يسأل مأثما أو قطيعة رحم، وفيه تقوم الساعة، ما من ملك مقرب ولا سماء ولا أرض ولا جبال ولا حجر إلا وهو يشفق من يوم الجمعة [3] .

وعن أبي لبابة بن عبد المنذر رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : إن **يوم الجمعة** سيد الأيام وأعظمها عند الله، وهو أعظم عند الله من يوم الأضحى ويوم الفطر؛ فيه خمس خلال : خلق الله فيه آدم، وأهبط الله فيه آدم إلى الأرض، **وفيه توفى الله آدم**، وفيه ساعة لا يسأل الله فيها العبد شيئا إلا أعطاه ما لم يسأل حراما، وفيه تقوم الساعة؛ ما من ملك مقرب، ولا سماء، ولا أرض، ولا رياح، ولا جبال، ولا بحر إلا وهن يشفقن من يوم الجمعة [4].

---

(1) حديث صحيح، وقد سبق تخريجه في (ص : ٨٦) .

(2) حديث صحيح، وقد سبق تخريجه في (ص : ٨٧) .

(3) إسناده حسن، والحديث صحيح لغيره، وقد سبق تخريجه في (ص : ٨٧) .

(4) إسناده حسن، والحديث صحيح لغيره وقد سبق تخريجه في (ص : ٨٨) .

فهـــذه الأحـــاديث النبوية تبين لنا أن آدم ﷺ توفي يوم الجمعة الذي هو سيد أيام الأسبوع، وأعظمها وأفضلها عند الله تعالى، والله أعلم بالصواب .

تجهيز آدم ﷺ وتكفينه والصلاة عليه ودفنه :

جـــاء في حديث أبي بن كعب ﷺ أنه قال : إن آدم عليه السلام لما حضره الموت قال لبنيه : أي بـــني إني أشـــتهي من ثمار الجنة، فذهبوا يطلبون له، فاستقبلتهم الملائكة، ومعهم أكفانه وحنوطه، ومعهم الفؤوس والمساحي والمكاتل.

فقالوا لهم : يا بني آدم ما تريدون وما تطلبون ؟ أو ما تريدون وأين تذهبون ؟ قالوا : أبونا مريض، فاشتهى من ثمار الجنة . فقالوا لهم : ارجعوا فقد قضي قضاء أبيكم .

فجاءوا فلما رأتهم حواء عرفتهم، فلاذت بآدم، فقال : إليك إليك عني، فإني إنما أوتيت من قِبَلِكِ، خَلِّي بيني وبين ملائكة ربي تبارك وتعالى، فقبضوه، وغسلوه، وكفنوه، وحنطوه، وحفروا له، وألحدوا له، وصلوا عليه، ثم دخلوا قبره، فوضعوه في قبره، ووضعوا عليه اللَّبِنَ، ثم خرجوا من القبر، ثم حثوا عليه التراب، ثم قالوا : يا بني آدم هذه سنتكم[1].

وهـــو في روايـــة أخرى : عن أبي بن كعب عن النبي ﷺ قال : لما توفي آدم غسلته الملائكة بالماء وترا، ألحدوا له، وقالوا : هذه سنة آدم في ولده [2].

فهـــذا الحديث النبوي يخبرنا أن الله سبحانه وتعالى أرسل ملائكته بالأكفان والحنوط والفؤوس والمساحي والمكاتل، فقبضوا روح آدم ﷺ وتولوا تجهيزه، فغسلوه وترا، وكفنوه وحنطوه، وصلوا عليه، وحفروا له القبر لحدا، ونزلوا في قبره، ووضعوه فيه، ووضعوا عليه اللبن، ثم خرجوا من القبر، وحثوا عليه التراب، وقالوا لأبنائه معلمين لهم : يا بني آدم هذه سنتكم ؛ أي طريقتكم التي اختارها الله في موتاكم [3].

وفي ذلـــك منقبة عظيمة لآدم ﷺ؛ حيث تولت الملائكة تجهيزه والصلاة عليه،ودفنه،

---

(1) حديث صحيح مرفوعا وموقوفا، وقد سبق الكلام عنه في (ص : ٤٣٣) .

(2) أخرجه الطبراني في الأوسط (١٥٧/٨ ح : ٨٢٦١)؛ و كم (التاريخ، ٥٤٥/٢)، واللفظ له، وقال : (هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه)، ووافقه الذهبي، وكذلك صححه الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة (٤٠٦/٦ ضمن كلامه على حديث : ٢٨٧٢)؛ وفي (صحيح الجامع الصغير وزيادته ٩٢٤/٢ ح : ٥٢٠٧) .

(3) انظر : صحيح القصص النبوي (ص : ٢٧-٢٨) .

وكذلك فيه منة عظيمة على بنيه؛ إذ علمهم الله سبحانه وتعالى عن طريق ملائكته أفضل طريقة لدفن الميت وأسهلها وأيسرها وأقلها تكليفا على الأحياء، وأكثرها حفظا وصيانة وكرامة للميت، وهي الطريقة التي شرعها الله لنا في ديننا؛ فله الحمد والمنة[1].

موضع وفاة آدم ﷺ ودفنه :

اختلفت آراء المؤرخين والمفسرين في بيان المكان الذي توفي فيه آدم ﷺ ودفن فيه ﷺ فقيل : إنه توفي بمكة ودفن بغار أبي قبيس، وقيل : دفن عند مسجد الخيف بمنى، وقيل : في المسجد الحرام بين الكعبة وبين بئر زمزم .

وقيل : إنه مات في المكان الذي أهبط فيه من أرض الهند ودفن فيه .

وقيل : إنه حمل إلى القدس ودفن فيه، ورأسه عند الصخرة، ورجلاه عند مسجد إبراهيم الخليل [2].

ذهب المحققون من أهل العلم بأن موضع وفاة آدم ﷺ، وكذلك موضع دفنه لا يعرف معرفة صحيحة إذ لم يرد في ذلك خبر صحيح عن النبي ﷺ وهذا هو الراجح والله أعلم بالصواب[3] .

خلاصة الكلام : أن أبا البشر آدم ﷺ توفي يوم الجمعة، وأن الملائكة قاموا بتجهيزه وتكفينه والصلاة عليه ودفنه،كما دلت على ذلك الأحاديث النبوية، وأما المكان الذي توفي فيه آدم ﷺ وكذلك المكان الذي دفن فيه، فليس لنا في ذلك علم صحيح يمكن الاعتماد عليه، والله أعلم بالصواب.

---

(1) انظر : المصدر السابق نفسه؛ و (ص : ٨٠٦) من هذا البحث .

(2) انظر : هذه الأقوال في : تاريخ الأمم والملوك للطبري (١٠١/١)؛ والعظمة لأبي الشيخ (١٥٥٢/٥و١٥٩٢)[مع تعليق المحقق عليه]؛ والمنتظم في تاريخ الأمم والملوك (٢٢٧/١-٢٢٨)؛ والكامل في التاريخ (٣١/١)؛ والبداية والنهاية (٩٨/١و٣٢٦و٣٢٨)؛ والدر المنثور (١٤٩/١-١٥١و٣٢٨)؛ وموسوعة الأسماء والأعلام المبهمة في القرآن الكريم (٦٢/١)؛ وأوجز المسالك إلى موطأ الإمام مالك (٢٥٦/٢) .

(3) انظر : التمهيد لابن عبد البر (٢٨٩/٢)؛ ومجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٥١٦/٤ و٢٦٩/٢٧، ٢٤٤-٢٤٦، ٢٨٤)؛ واقتضاء الصراط المستقيم (١٦٥/٢-١٦٦)؛ والمجموع في ترجمة العلامة حماد بن محمد الأنصاري وسيرته وأقواله (٥٠٤/٢ برقم : ١٨٤)؛ وفتاوى نور على الدرب [من فتاوى الشيخ ابن باز] (١٦٠/١و٢٧٤)؛ وفضل المدينة وآداب سكناها وزيارتها (ص : ٤)؛ وقصص الأنبياء للشيخ عبد القادر بن شيبة الحمد (ص : ٤٤)؛ وما قاله الشيخ عبد الله مصلح في تحقيقه لقصص الأنبياء للحافظ ابن كثير (ص : ٩٣)؛ ونظرات في كتاب النبوة والأنبياء (١٧-٢٥) بواسطة كتاب : الردود للشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد (ص: ٣٢١) .

المبحث الثالث : الكلام عن أجساد الأنبياء عليهم السلام وحياتهم في القبور والرد على المفاهيم الضالة في ذلك .

أولا : الكلام عن أجساد الأنبياء في القبور :

إن الله سبحانه وتعالى أكرم أنبياءه ورسله فخصهم بفضائل ومكرمات كثيرة، منها ما يتعلق بحياتهم، ومنها ما يتعلق بهم بعد وفاتهم، ومما أكرمهم الله به بعد وفاتهم أنه سبحانه وتعالى صان أجسادهم الشريفة من التغير والفساد والنتن والروائح الكريهة، وحفظها من الحشرات والديدان، وحرمها على الأرض أن تأكل شيئا منها أو تؤثر فيها، فهم مدفونون في قبورهم، وأجسادهم فيها رطبة طرية محفوظة بحفظ الله تعالى لها .

ومما يدل على ذلك ما جاء عن أبي موسى الأشعري ﷺ قال : أتى النبي ﷺ أعرابيا فأكرمه، فقال له : ائتنا. فأتاه، فقال له رسول الله ﷺ : سل حاجتك . قال : ناقة نركبها، وأعتز يحلبها أهلي . فقال رسول الله ﷺ : أعجزتم أن تكونوا مثل عجوز بني إسرائيل ؟ قالوا : يا رسول الله، وما عجوز بني إسرائيل؟ قال : إن موسى عليه السلام لما سار ببني إسرائيل من مصر ضلوا الطريق، فقال: ما هذا ؟ فقال علماؤهم : إن يوسف عليه السلام لما حضره الموت أخذ علينا موثقا من الله أن لا نخرج من مصر حتى ننقل (عظامه معنا) [1]. قال : فمن يعلم موضع

---

(١) هذا الحديث لا يتعارض مع الحديث الذي بعده إذ المقصود بالعظام هنا الجسد كله ولكن أطلق الجزء وأريد به الكل وهذا وارد في اللغة العربية ومثال ذلك : قوله تعالى : ﴿إن قرآن الفجر كان مشهودا﴾ [الإسراء : ٧٨] ؛ أي : صلاة الفجر . ومثله ما جاء في حديث ابن عمر – رضي الله عنهما – أن النبي ﷺ لما بدَّنَ قال له تميم الداري ﷺ : ألا أتخذ لك منبرا يا رسول الله يجمع أو يحمل عظامك ؟ قال : بلى . ... الحديث . ولا شك أن المراد بالعظام هنا الجسد كله فكذلك في قصة يوسف ﷺ . انظر : سلسلة الأحاديث الصحيحة (٦٢٣/١-٦٢٤ ح : ٣١٣) .

وحديث ابن عمر – رضي الله عنهما – أخرجه د (الصلاة، تفريع أبواب الجمعة، ب : في اتخاذ المنبر ٢٨٤/١ ح : ١٠٨١)؛ والبيهقي في الكبرى (الجمعة، ب : مقام الإمام في الخطبة ١٩٥/٣-١٩٦)؛ واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٧٩٨/٤ ح : ١٤٧٠) . قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري (٣٩٨/٢) : (إسناده جيد)؛ وقال العلامة الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٦٢٤/١ ضمن كلامه على حديث : ٣١٣) : (إسناد جيد على شرط مسلم)؛ وصححه في صحيح سنن أبي داود (٢٩٨/١-٢٩٩ ح : ١٠٨١) .

قبره ؟ قال : عجوز من بني إسرائيل. فبعث إليها، فأتته، فقال : دليني على قبر يوسف. قالت : حـــتى تعطيني حكمي . قال : وما حكمك ؟ قالت : أكون معك في الجنة . فكره أن يعطيها ذلـــك، فـــأوحى الله إليه أن أعطها حكمها، فانطلقت بهم إلى بحيرة : موضع مستنقع ماء، فقالت : أنضبوا هذا الماء. فأنضبوه، فقالت : احتفروا. فاحتفروا، فاستخرجوا عظام يوسف، فلما أقلوها إلى الأرض، وإذا الطريق مثل ضوء النهار [1].

فيوســـف عليه السلام نـــبي من الأنبياء، والله سبحانه وتعالى حفظ جسده بعد موته، حتى أخرجه موسى عليه السلام في عهده لما غادر مصر، وخرج ببني إسرائيل منها، وقيل إن المدة التي بـــين وفاة يوسف عليه السلام وبين خروج موسى عليه السلام من مصر هي أكثر من أربع مائة سنة حسب ما ورد في التوراة [2]، فبقاء جسد يوسف عليه السلام محفوظا إلى هذه المدة الطويلة يدل عـــلى أن أجساد الأنبياء والرسل في قبورهم لا تبلى ولا تفنى، فلا تأكلها الحشرات، ولا يؤثر فيها الأرض، ويؤكد ذلك الحديث النبوي التالي :

وهو ما جاء عن أوس بن أوس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : إن من أفضل أيامكم **يوم الجمعة** ؛ فيه خلق آدم، وفيه قبض، وفيه النفخة، وفيه الصعقة، فأكثروا علي من الصلاة فيه؛ فإن صلاتكم معروضة علي . قال : قالوا : يا رسول الله وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت- يقولون : بليت ؟ . فقال : **إن الله عـــز وجـــل حرم على الأرض أجساد الأنبياء** [3].

فهذا الحديث النبوي ينص على أن أجساد الأنبياء لا تبلى ولا تفنى في القبور، وأنها محفوظة من

---

(1) أخـــرجه أبـــو يعلى في مسنده (١٣/٢٣٦-٢٣٧ ح : ٧٢٥٤)؛ وحب كما في الإحسان (الرقائق، ب : الورع والـــتوكل ٢/٥٠٠-٥٠١ ح : ٧٢٣)، واللفظ له إلا ما هو بين القوسين فهو من مستدرك الحاكم وهو عنده في (التفســـير، ســـورة الشعراء، قصة عجوز بني إسرائيل التي دلت على عظام يوسف ٢/٤٠٤-٤٠٥ والتاريخ، ذكر يوسف بن يعقوب صلوات الله عليهما (٢/٥٧١-٥٧٢)؛ والخطيب في تاريخه (٩/٣٦٣ برقم : ٤٩٢٨، ترجمة : الطيـــب بـــن إسماعيل القحطبي) قال الحاكم : (هذا حديث صحيح على شرط الشيخين) ووافقه الذهبي، وقال الهيـــثمي في مجمع الزوائد (١٠/١٧٠-١٧١) : (رواه الطبراني وأبو يعلي ورجال أبي يعلى رجال الصحيح) وقال الشـــيخ الألـــباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (١/٦٢٣ ح : ٣١٣) : (إنما هو على شرط مسلم وحده فإن يونس [بن أبي إسحاق] لم يخرج له البخاري في صحيحه وإنما في جزء القراءة) ونحوه قال الشيخ إبراهيم محمد العلي في (الأحاديث الصحيحة من أخبار وقصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ص : ١١٣) .

(2) انظر : قصة إخراج موسى عليه السلام جثمان يوسف عليه السلام عند خروجه من مصر في التوراة الموجودة بين يدي أهل الكتاب الآن (سفر الخروج ١٣/١٧-١٩)، وكذلك انظر فيها مدة إقامة بني إسرائيل في مصر (سفر التكوين ١٢/٤٠-٤١) .

(3) حديث صحيح، وقد سبق تخريجه في (ص : ٨٦) .

الـــدود والهوام والحشرات، وأن الله سبحانه وتعالى حرم على الأرض أن تأكل شيئا من أجسادهم الشريفة، ولذلك قال أبو العالية : (إن لحوم الأنبياء لا تبليها الأرض، ولا تأكلها السباع) [١]، فهم في قبورهم ولكن أجسادهم رطبة طرية محفوظة بحفظ الله لها[٢]،والله أعلم بالصواب .

ثانيا : الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون :

قـــد أخبر النبي ﷺ أنه رأي موسى عليه السلام قائما يصلي في قبره، وكذلك أخبر ﷺ أن الأنـــبياء في قبورهم يصلون. فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : مررت على موسى ليلة أسري بي عند الكثيب الأحمر، وهو قائم يصلي في قبره [٣] .

وعن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : الأنبياء أحياءٌ في قبورهم يصلون [٤].

فالحديثان فيهما دلالة على أن الأنبياء عليهم صلوات الله وسلامه — أحياء في قبورهم يصلون، ولكن كيفية حياتهم وصلاتهم في تلك الدار الغيبية البرزخية لا يعلم كنهها وحقيقتها وتفصيلها إلا الله سبحانه وتعالى، فيجب الوقوف فيها عند النصوص الصحيحة وعدم التجاوز عنها [٥].

ثالثا : ذكر مفاهيم ضالة عن حياة الأنبياء في القبور :

لقد أخطأ بعض الناس في فهم حياة الأنبياء في قبورهم؛ فزعموا أن الأنبياء عليهم السلام

---

(١) ذكره عنه الحافظ ابن كثير في (البداية والنهاية ٤٠/٢) وقال : (هذا إسناد صحيح إلى أبي العالية) وقد ذكر أيضا بالإســـناد الســـابق في المصـــدر نفسه : قصة دانيال الذي وجدت جثته على سرير في بيت مال الهرمزان في عهد الصحابة، وذلك لما فتحوا تستر، وأنه لم يكن تغير منه شيء إلا شعرات في قفاه، وأنهم حفروا بالنهار ثلاثة عشر قبرا متفرقة، ودفنوه في الليل، وسووا القبور كلها تعمية على الناس، وذكر ابن كثير : من المحتمل أنه كان نبيا . فإن كان كذلك فيكون هذا أيضا من الأدلة على سلامة أجساد الأنبياء عليهم السلام من التغير والفساد، والله أعلم بالصواب.

(٢) انظـــر : ســـير أعلام النبلاء (١٦٠/٩-١٦٢، ترجمة وكيع بن الجراح الكوفي)؛ وجلاء العينين في محاكمة الأحمدين (ص : ٥٢٨)؛ وفتاوى اللجنة الدائمة (٢٦٦/٣) .

(٣) أخرجه م (الفضائل، ب : من فضائل موسى ١٨٤٥/٤ ح : ٢٣٧٥) .

(٤) أخـــرجه أبو يعلى في مسنده (١٤٧/٦ ح : ٣٤٢٥)؛ وتمام الرازي في (الفوائد ٣٣/١ ح : ٥٨)؛ والبيهقي من طـــرق في (حياة الأنبياء بعد وفاتهم ص : ٧٢) وغيرهم . قال الهيثمي في (مجمع الزوائد ٢١١/٨) : (رواه أبو يعـــلى والبزار ورجال أبي يعلى ثقات)، وصححه الألباني في تعلقيه على الآيات البينات (ص : ٤٠)؛ وفي سلسلة الأحاديث الصحيحة (١٨٧/٢-١٩٠ ح : ٦٢١) .

(٥) انظر : سير أعلام النبلاء (١٦٠/٩-١٦٢ ، ترجمة وكيع بن الجراح الكوفي)؛ والتحقيق والإيضاح للشيخ ابن باز (ص : ٩٦-٩٧)؛ وسلسلة الأحاديث الصحيحة (١٩٠/٢)؛ وفضل المدينة وآداب سكناها وزيارتها للشيخ عبد المحسن العباد (ص : ٤٠)؛ وآداب وأحكام زيارة المدينة المنورة للشيخ صالح السدلان (ص : ٥٨) .

أحيــاء في قبورهم حياة دنيوية [1]، وزعم بعضهم عن النبي ﷺ أنه (لا فرق بين موته وحياته في مشــاهدته لأمته ومعرفته بأحوالهم ونياتهم وعزائمهم وخواطرهم) [2]، وزعم بعضهم أنه ﷺ في قــبره (يتمتع بجميع الملاذ والعبادات غير أنه حجب عن أبصار القاصرين) [3]؛ أي : يــأكل ويشــرب ويجامع نساءه[4]، وزعم بعضهم أن النبي ﷺ أخرج يده الشريفة من قبره فصافح فلانا وفلانا [5]، وزعم بعضهم أن النبي ﷺ خرج من قبره، وذهب إلى غرفة فلان – وهو في حالة اليقظة – فتحدث معه طويلا عن أحوال الناس وأخبارهم [6]، وزعم بعضهم أن الــنبي ﷺ وخــلفاءه الأربعة خرجوا من قبورهم، وذهبوا إلى مدينة " ديوبند " في الهند، وأن الــنبي ﷺ طــلب من الشيخ محمد قاسم [7]حساب مدرسة ديوبند، فقدم الشيخ محمد قاسم حساب المدرسة بكل دقة، ففرح الرسول ﷺ بهذا فرحا شديدا [8]، وزعم بعضهم أنه صلى

---

(1) هــذه عقيدة الديوبندية والبريلوية وغيرهم من القبورية . انظر : ماقاله الشيخ خليل أحمد السهارنفوري في كتابه (المهند على المفند ص : ٣٨-٣٩) عن عقيدته وعن عقيدة مشايخه الديوبنديين، وانظر فيما يتعلق عن البريلوية ما ذكره الشيخ إحسان إلهي ظهير نقلا من كتبهم مع الرد عليها في (البريلوية ص : ٧٨-٨٥) وكذلك انظر ما قالــه الســيوطي في رسالتيه[ضمن الحاوي للفتاوى] : إنباء الأذكياء بحياة الأنبياء (٢/٢٦٤-٢٧٧)؛ وتنوير الحلك في إمكان رؤية النبي والملك (٢/٤٣٧-٤٥٤) .

(2) زعمه يوسف بن إسماعيل النبهاني في (الأنوار المحمدية من المواهب اللدنية ص : ٥٩٩) .

(3) زعمه حسن بن عمار الشرنبلالي الحنفي المتوفى سنة ١٠٦٩هــ في كتابه : مراقي الفلاح (ص : ١٤٤).

(4) هذا ما فهمه الشيخ العلامة الفهامة الألباني من قول حسن الشرنبلالي المذكور . انظر : السلسلة الصحيحة (٢/١٩٠) .

(5) انظــر الحكاية المنسوبة إلى الشيخ أحمد بن علي بن أحمد الرفاعي المتوفى سنة ٥٧٨هــ ، وممن نسبها إليه السيوطي في رســالته المســماة (تــنوير الحلك في إمكان رؤية النبي والملك (٢/٤٤٦-٤٤٧) [ضمن الحاوي للفتاوى] ويوسف بن إسماعيل النبهاني المتوفى سنة ١٣٥٠هــ في كتابه : شواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق ص : ١٠٨) وانظر : ردا مفصلا لتلك الحكاية المكذوبة في (غاية الأماني في الرد على النبهاني ١/٢٢٢-٢٢٦) .

(6) انظــر الحكايــة المنسوبة إلى خادم الحجرة النبوية المسمى : الشيخ أحمد مع الرد المفصل عليها من قبل العلامة الشــيخ ابن باز – رحمه الله – في رسالته بعنوان : تكذيب الرؤية المزعومة من خادم الحجرة النبوية المسمى : الشيخ أحمد ١/٣٦٠-٣٦٧) [منشور ضمن : المجموعة العلمية في العلوم الشرعية، المجوعة الأولى] .

(7) هــو قاسم بن أسد علي بن غلام شاه بن محمد بخش الصديقي النانوتوي، من كبار علماء الأحناف الديوبنديين، أخــذ الطــريقة الصوفية عن الشيخ إمداد الله العمري التهانوي، وله جهود طيبة في الرد على الهنود والنصاري والشــيعة، وإليــه ينســب تأسيس مدرسة ديوبند، المسماة : قاسم العلوم، توفي سنة ١٢٧٩هــ . انظر : نزهة الخواطر (٧/٣٨٢-٣٨٥ برقم : ٦٩٣) .

(8) ذكره أمير شاه خان صاحب في (أرواح ثلاثة ص : ٣٨١-٣٨٢) .

الله عـــليه وسلم يحضر كل مجلس، أو مكان أراد بجسده وروحه، وأنه يتصرف، ويسير حيث شـــاء في أقطار الأرض وفي الملكوت[1] وأن (حضور النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ومعه الخلفاء الأربعة رضي الله عنهم بأجسادهم وأرواحهم قراءة "جوهرة الكمال" وعند أي مجلس خـــير أو أي مكان شاءوا لا ينكره إلا الطلبة الجهلة الأغبياء والحُسَّد المرَدَة الأشقياء !!!) [2] وما إلى ذلك من الأقوال الضالة والمزاعم الباطلة .

رابعا : بيان بطلان المفاهيم الضالة حول حياة الأنبياء في قبورهم .

لا شـــك أن الاعتقاد بحياة الأنبياء في قبورهم حياة دنيوية عقيدة باطلة خرافية مخالفة لصـــريح القرآن، ومخالفة لعقيدة صحابة رسول الله ﷺ فعن عائشة – رضي الله عنها – زوج الـــنبي ﷺ : أن رسول الله ﷺ مات ...فجاء أبو بكر فكشف عن رسول الله ﷺ فقـــبله، قال : بأبي أنت وأمي، طبت حيا وميتا، والذي نفسي بيده لا يذيقك الله الموتتين أبـــدا) [3] وفي رواية أنه قال : (لا يجمع الله عليك موتتين؛ أما الموتة الأولى التي كتبت عـــليك فقـــد متها) [4] ثم خرج إلى الناس فخطبهم وقال : (أما بعد، ألا من كان يعبد محمدا ﷺ فإن محمدا قد مات؛ ومن كان يعبد الله – فإن الله حي لا يموت) [5] ثم استدل بقولـــه تعالى : ﴿ إنك ميت وإنهم ميتون ﴾ [6] وقوله تعالى : ﴿ وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإين مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ﴾ [7] .

فهذه هي عقيدة أم المؤمنين عائشة الصديقة – رضي الله عنها– وهذه هي عقيدة أبي بكر الصديق ﷺ، وهي التي أرشد إليها صريح القرآن، وأجمع عليها بقية الصحابة –رضي الله عنهم –

---

(1) ممن زعمه السيوطي في (تنوير الحلك في إمكان رؤية النبي والملك ٤٥٣/٢) [ضمن الحاوي للفتاوى] وعمر بن سعيد الفوتي في كتابه : رماح حزب الرحيم على نحور حزب الرجيم (٢١٠/١-٢١١) .

(2) رماح حزب الرحيم على نحور حزب الرجيم (٢١١/١) .

(3) أخرجه خ (فضائل الصحابة، ب : قول النبي ﷺ : لو كنت متخذا خليلا ١٣٤١/٣ ح : ٣٤٦٧) .

(4) أخرجه خ (المغازي، ب: مرض النبي ﷺ ١٦١٨/٤ ح : ٤١٨٧) .

(5) أخرجه خ (فضائل الصحابة، ب : قول النبي ﷺ : لو كنت متخذا خليلا ١٣٤١/٣ ح : ٣٤٦٧) .

(6) الزمر الآية : ٣٠

(7) آل عمران الآية : ١٤٤

من أن النبي ﷺ قد مات موتا حقيقيا، وفارق الحياة الدنيوية، وانتقل إلى الحياة البرزخية، و لم يقل أحد منهم أن حياة النبي ﷺ في قبره حياة دنيوية أو أنه انعزل عن الناس انعزال المعتكف [1].

● قـــال تعالى : ﴿ ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لا تشعرون ﴾ [2].فالله ســبحانه وتعـــالى أخبر عن الشهداء الذين يقتلون في سبيل الله ويموتون مجاهدين لإعلاء كـــلمة الله أهـــم أحياء عند الله تعالى ولكن حياهم هذه حياة برزخية، فلا نعلم حقيقتها وتفصيلها؛ وقد نبه الله تعالى على ذلك فقال : ﴿ ولكن لا تشعرون ﴾.

فكذلـــك الأنـــبياء عليهم السلام قضوا ما قدر لهم من العمر في هذه الحياة الدنيا ثم ماتوا، وغسلوا، وكفنوا، ودفنوا في قبورهم، وصلي عليهم صلاة الجنازة، فهم ارتحلوا من دار الدنيـــا إلى دار البرزخ، وهم فيها أحياء بل حياهم فيها أكمل وأتم وأحسن من حياة الشـــهداء ولكـــنها حياة برزخية التي لا يعلم كنهها وحقيقتها وتفصيلها إلا الله سبحانه وتعـــالى[3] ؛ فجميع التفاصيل التي قيلت عن حياة النبي ﷺ في قبره كلها باطلة مبنية على جهل وسوء فهم من أصحابها للنصوص الشرعية .

● قال تعالى : ﴿ ثم إنكم بعد ذلك لميتون * ثم إنكم يوم القيامة تبعثون ﴾ [4] وقال النبي : ((إن الناس يصعقون يوم القيامة، فأكون أول من تنشق عنه الأرض؛ فإذا أنا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش، فلا أدري أكان فيمن صعق أم حوسب بصعقته الأولى)) [5] .

فهذا كلام الله وكلام رسوله ﷺ يدلان على أن الخروج من القبر إنما يكون يوم القيامة،

---

(1) انظر : عداء الماتريدية للعقيدة السلفية (٤٤٤/١) .

(2) البقرة الآية : ١٥٤

(3) انظر : سير أعلام النبلاء (١٦٠/٩-١٦٢ ، ترجمة وكيع بن الجراح الكوفي)؛ والآيات البينات في عدم سماع الأموات على مذهب الحنفية السادات للآلوسي (ص : ٣٩)؛ وجلاء العينين في محاكمة الأحمدين (ص : ٥٢٨-٥٢٩)؛ ودفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب (٢١/١٠-٢٣) والتحقيق والإيضاح لسماحة الشيخ ابن باز (ص : ٩٦-٩٧)؛ وسلسلة الأحاديث الصحيحة (١٩٠/٢)؛ وفضل المدينة وآداب سكناها وزيارتها (ص : ٤٠) .

(4) المؤمنون الآيتان : ١٥-١٦

(5) جـــزء مـــن حديث أبي سعيد الخدري ﷺ، أخرجه خ (الخصومات، ب : ما يذكر في الإشخاص والملازمة، والخصـــومة بين المسلم واليهودي خ ٨٥٠/٢ ح : ٢٢٨١)، واللفظ له ؛ و م (الفضائل، ب : من فضائل موسى ﷺ ١٨٤٥/٤ ح : ٢٣٧٤) .

وزاد الحديث النبوي في البيان والإيضاح بأن أول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة هو نبينا محمد ﷺ؛ فمن زعم أن النبي ﷺ انشق قبره وأنه أخرج منه يده الشريفة ... أو أنه خرج منه بنفسه ...وذهب إلى فلان وعلان... فهو بعيد عن الحق والصواب، مخالف لقول الله تعالى وقول رسوله ﷺ ومخالف لفهم الصحابة والتابعين وأئمة الدين وإجماعهم [1].

الحاصل : إن الله سبحانه وتعالى حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء، فتكون أجسادهم في القبر رطبة طرية محفوظة بحفظ الله لها، وأن الأنبياء عليهم السلام أحياء في قبورهم يصلون، ولكنها حياة بزرخية لا نعلم كنهها وكيفيتها وتفصيلها، وإنما علمها عند الله سبحانه وتعالى، فمن زعم أن حياة الأنبياء في قبورهم حياة دنيوية عنصرية ثم رتب عليه أمورا أخرى كجواز التوسل بهم، أو طلب الشفاعة منهم، أو زعمهم أن النبي ﷺ أخرج يده من قبره ...أو أنه خرج من قبره وذهب إلى فلان وفلان ...فهذا كله باطل فاسد مخالف للكتاب والسنة النبوية الصحيحة، ومخالف لفهم الصحابة والتابعين وأئمة الدين وإجماعهم،والله أعلم بالصواب.

وأسأل الله سبحانه وتعالى أن يرينا الحق حقا فيرزقنا اتباعه، وأن يرينا الباطل باطلا فيرزقنا اجتنابه إنه ولي ذلك والقادر عليه .

سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين .

---

(1) انظر : تكذيب الرؤية المزعومة من خادم الحجرة النبوية المسمى : الشيخ أحمد (ص : ٣٦٢) .

الخــــاتمــــــة

أحمد الله عز وجل وأشكره على عونه وتوفيقه لي في كتابة هذا البحث، والآن أختمه بعرض أهم النتائج التي توصلت إليها في هذا البحث، وهي كالآتي :

١- لا يخــلو فعل من أفعال الله تعالى أو أمر من أوامره من حكمة وغاية حميدة، قد يــدرك بعضها البشر ويخفى عليهم غيرها، فالحكمة من خلق الجن والإنس هي عبادة الله وحده لا شريك له سبحانه وتعالى .

٢- خــلق الله ســبحانه وتعالى آدم عليه السلام من الطين، وخلقه بيده التي هي صفة من صفاته الذاتية، كما يليق بجلال الله وعظمته وكبريائه، وكان آدم عليه السلام خُلِقَ يوم الجمعة، بعد العصر في آخر ساعة من ساعات الجمعة فيما بين العصر إلى الليل، وكان خُلِقَ وصُوِّرَ في الجنة على القول الراجح .

٣- خــلق الله سبحانه وتعالى جسد آدم عليه السلام أولا فصوره وشكله على ما سبق به علمه وتركه في الجنة ما شاء أن يتركه فكان إبليس يطيف به وينظر فيه ويقول: خلق خلقا لا يتمالك ظفرت به . ثم لما شاءت إرادة الله واقتضت حكمته تبارك وتعالى نفخ فيه من روحه .

٤- الــروح الذي نفخ في آدم عليه السلام خلق من خلق الله تعالى، له جسم لطيف مخالف لهذا الجسم المحسوس، وجعل الله تعالى حياة الأجساد به، ولم يعط الله علمه أحدا من العباد، وأضافه إلى نفسه تشريفا وتكريما لآدم عليه السلام، وهي إضافة خلق وملك، لا أنه جزء منه.

٥- إن الله ســبحانه تعــالى كلم أبا البشر آدم عليه السلام قبلا، وخاطبه بكلام حقيقي مسموع ومفهوم. وكلامه سبحانه وتعالى غير مخلوق بل صفة من صفاته الذاتية والفعلية، كما يليق بجلاله وعظمته وكبريائه .

٦- إن آدم عليه السلام كان طويل القامة فكان طوله ستين ذراعا في السماء، وكان كثير شعر الرأس، كأنه نخلة سحوق، وكان في غاية الجمال البشري ونهايته، وأن الناس تناقصوا في خــلقهم وجمــالهم بعد ذلك إلى الآن، وأن أهل الجنة يدخلون الجنة يوم القيامة على صورة أبيهم آدم عليه السلام ، ستون ذراعا في السماء .

٧- إن الحديث : ((خلق الله آدم على صورته)) صحيح ثابت عن النبي ﷺ، و لم يكن عند السلف خلاف في رجوع الضمير إلى الله تعالى، كما جاء مصرحا في حديث ابن عمر وأبي هريرة – رضي الله عنهم –، وأن الصورة صفة من صفات الله الذاتية على الوجه اللائق به سبحانه وتعالى كما جاء في هذا الحديث وغيره، فيجب الإيمان بثبوت هذه الصفة لله تعالى كما يليق به سبحانه، وعدم الخوض في تأويلها، وقطع الطمع عن إدراك كيفيتها.

٨- خلق الله تعالى آدم عليه السلام من الطين في أحسن تقويم ثم خلق منه زوجه حواء ثم بارك في أولادهما وأحفادهما حتى ملأ بهم أقطار الأرض وأرجاءها، فهما أصل البشر، والناس كلهم من ذريتهما وأولادهما، وهذا هو أصل البشر الذي قرره الإسلام، وهو أصل كريم شريف، يشعر الإنسان في نفسه العزة والكرامة والسعادة بالانتساب إليه، كما أنه يعطي الخالق الحكيم حقه من الإجلال والتعظيم. ويستوجب من العبد شكره وامتنانه تجاه خالقه وربه، وهو الذي يتوافق مع العقل السليم والفكر المستقيم .

وأما ما عداه من الأقوال في أصل الإنسان فهي أقوال باطلة عارية عن الأدلة والبراهين، مخالفة لأدلة الكتاب والسنة والعقل السليم والفطرة المستقيمة والعلوم الحديثة؛ وفيها إهانة للإنسان وتحقير له، يخجل الإنسان العاقل من الانتساب إليها بل فيها تعطيل للخالق عن خلقه وكماله المقدس، وإنزال للمخلوقين بمنزلة الخالق، وإثبات لآلهة كثيرة وأرباب متفرقة، ونسبة للخلق إلى غير الخالق تعالى أو فيها إنكار للخالق جلا وعلا إنكارا كليا، وهذا كله من أعظم الظلم وأشنع الباطل، فهي كلها ظلمات وضلالات بعضها فوق بعض .

٩- إن الله سبحانه وتعالى أمر ملائكته بالسجود لآدم عليه السلام فامتثلوا جميعا لأمر ربهم وخروا ساجدين لآدم عليه السلام، و لم يكن سجودهم عبادةً لآدم عليه السلام، وإنما كان طاعةً لله وقربةً إليه وعبادةً له سبحانه وتعالى، وفي الوقت نفسه كان تكريما وتشريفا وتعظيما لآدم عليه السلام ولكن الآن لا يجوز لأحد من هذه الأمة أن يسجد لمخلوق أيا كان بل يجب أن نفرد الله وحده بالسجود وبجميع أنواع العبادات التي شرعها لنا وتعبدنا بها، مخلصين له وحده لا شريك له سبحانه .

١٠- إن إبليس كان موقفه من آدم عليه السلام موقف عداء واستكبار . فقد كان ينوي مخالفة آدم عليه السلام قبل أن يتم خلقه وقبل أن ينفخ فيه الروح، وكان يزعم أن آدم عليه السلام لا ينجو من سلطانه وكيده ومكره.

ثم لما أمر بالسجود لآدم عليه السلام بعد نفخ الروح فيه امتنع عن السجود له، إباء واستكبارا وحسدا وغرورا. ولما عوتب على ذلك استند إلى قياس فاسد، وادعى أنه خير من آدم عليه السلام لكونه مخلوقا من النار وكون آدم عليه السلام مخلوقا من الطين، واستمر في غوايته وتقديس عقله وتقديم رأيه على الأمر الإلهي، وصارت هذه المعارضة الإبليسية ميراثا في أتباعه من بني آدم من وجوه كثيرة .

١١- إن الله سبحانه وتعالى أسكن الأبوين في جنة الخلد التي يدخلها المؤمنون يوم القيامة، وأباح لهما أن يأكلا منها حيث شاءا رغدا إلا شجرة حرمها عليهما، ونهاهما عن الاقتراب منها، وحذرهما من كيد الشيطان لهما ولكن سبق القضاء عليهما، فوقعا في كيد الشيطان عدوهما، وأكلا من الشجرة الممنوعة، فلما أكلا منها أمرا بالخروج من الجنة.

١٢- إن الشجرة المحرمة التي أكل منها آدم وحواء عليهما السلام في الجنة لا نعلم عن حقيقتها شيئا، وكل الذي نعرفه أنها شجرة يؤكل ثمرها .

١٣- إن آدم عليه السلام لما أكل من الشجرة المحرمة في الجنة ندم على فعله واعترف بذنبه وأناب إلى ربه وطلب المغفرة والرحمة من ربه سبحانه فسمع الله دعاءه وأجاب نداءه وقبل توبته وغفر خطيئته.

١٤- لم يثبت أن آدم عليه السلام توسل في دعائه بحق مخلوق أو جاهه عند الله تعالى، لا بحق محمد ﷺ أو جاهه عند الله تعالى، ولا بحق محمد ﷺ وعلي وفاطمة والحسن والحسين – رضي الله عنهم – .

١٥- الخطيئة التي وقعت من آدم عليه السلام كانت خطيئة فردية حصلت ومحيت بالتوبة وانتهى أمرها ولم يبق شيء منها في ذمته ولا في ذمة أولاده فدعوى النصارى أن المسيح عليه السلام مات مصلوبا فداء للخليقة ليخلصهم من خطيئة أبيهم آدم عليه السلام دعوى باطلة قطعا.

١٦- إن آدم عليه السلام أدخل الجنة يوم الجمعة، وكذلك أخرج منها يوم الجمعة وأما المدة التي مكثها فيها لا يمكن تحديده على وجه الجزم واليقين لعدم ورود الدليل الصحيح في ذلك .

١٧- أكثر الآثار المنقولة عن السلف تدل على أن آدم عليه السلام نزل في الهند فلا يبعد أن تكون الهند هي مهبط أبي البشر آدم عليه السلام ولكن لا يمكن الجزم به.

١٨- إن عـــداوة إبليس لآدم عليه السلام وبنيه شديدة، فهو وجنوده يمارسون كل أسباب الغوايـــة وأســـاليب الإضـــلال لإغواء بني آدم، وصدهم عن الحق، وقطع صلتهم بالله سبحانه وتعـــالى. ولكن الله سبحانه وتعالى أنعم على بني آدم حيث نزل عليهم هداه الذي من تمسك به وحَفِظَـــه يكون في حفظ الله وحمايته وكفالته ورعايته فيكون في مأمن عن جميع أنواع الحزن والخوف والضلال والشقاء، ولا تصل إليه يد المضلين، ولا تنجح فيه مكايد الشياطين.

١٩- إن الله سبحانه وتعالى أخرج ذرية آدم عليه السلام من ظهره في عالم الغيب، وهم صور كالذر، وأخذ من جميعهم العهد والميثاق على وحدانيته وربوبيته، فاعترفوا بذلك جميعا وأقروا به قولا . والفطرة السليمة الدالة على وحدانية الله وربوبيته من آثار ذلك الميثاق.

٢٠- إن المـــناظرة التي جرت بين آدم وموسى عليهما السلام أمر من أمور الغيب، وقد أخبر النبي ﷺ عنها، فيجب الإيمان بها. وهي تدل على ركن من أركان الإيمان وهو الإيمـــان بـــالقدر، فمن أنكره يكون كافرا. ولا يصح الاحتجاج بها على مخالفة الأوامر الشـــرعية ونواهيهـــا؛ فإن آدم عليه السلام لما وقع في المعصية تاب إلى الله تعالى وطلب الرحمة والمغفرة منه سبحانه وتعالى، وصبر على المصيبة التي حصلت له ولذريته، وأرجع الأمر في ذلك إلى الله سبحانه وتعالى، فكذلك يجب على من وقع في شيء من معصية الله تعالى أن يـــبادر بالتوبة إلى الله وطلب المغفرة منه سبحانه وعدم الاتكال على القدر والاحتجاج به فإنه حجة باطلة عقلا وشرعا.

٢١- إن الخلافـــة الوارد ذكرها في قوله تعالى : ﴿ وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء . . . ﴾ [1] شاملة لآدم عليه السلام وبنيه. وهي تحتمل ثلاثة معان :

● - إن هـــذه الأرض كانت معمورة قبل أن يترل عليها آدم عليه السلام وجاء آدم عليه السلام بعدهم فكان هو وبنوه خليفة لمن سبقهم من المخلوقات .

---

(1) البقرة الآية : ٣٠

●● – إن هـذا الخليفة يكون له نسل وذرية، فيخلف كل قرن وجيل منهم من قبله، فالخلافة عبارة عن ذهاب أجيال من بني آدم ومجيء آخرين منهم مكانهم.

وعلى هذين المعنيين تكون الخلافة عامة لجميع بني آدم من غير تفريق بين الكافرين والمؤمنين .

●●● – المقصود بالخلافة هو الخلافة من جهة الله سبحانه وتعالى في إجراء أحكامه، وتنفيذ قضاياه وإقامة شرعه، ودلائل توحيده، والحكم بين عباده في الأرض بالحق ولكن لا لحاجة به تعالى إلى ذلك بل من باب التشريف والتكريم لهم.

وعلى هذا المعنى تكون الخلافة خاصة بآدم عليه السلام وبالصالحين من بنيه ولا تكون عامة لبني آدم كلهم كما في المعنيين السابقين .

٢٢– حاجة الناس إلى الرسالة السماوية فوق حاجتهم إلى كل شيء لكونها مدار سعادتهم في الدنيا والآخرة وقد امتن الله عليهم إذ أرسل إليهم أنبياءه ورسله يحملون إليهم رسالة ربهم وأول من اختاره الله سبحانه لهذا المنصب العظيم هو أبو البشر آدم عليه السلام فقد كان نبيا بالاتفاق وكان رسولا على قول أكثر أهل العلم .

٢٣– إن أبا البشر آدم عليه السلام كان نبيا فلا شك أنه كان موحدا وداعية إلى التوحيد، ولم يقع في الشرك قط؛ فالأصل في بني آدم التوحيد . وأما الشرك فهو شيء طارئ عليهم، ووقع فيه بعض بني آدم بعد تسعة قرون مضت على التوحيد الخالص لله جل وعلا .

٢٤– إن أبا البشر عاش في الدنيا تسع مائة سنة وستين سنة على الراجح ثم توفي وكان ذلك يوم الجمعة، وقامت الملائكة بتجهيزه وتكفينه والصلاة عليه ودفنه. وأما المكان الذي توفي فيه آدم عليه السلام، وكذلك المكان الذي دفن فيه فليس لنا في ذلك علم صحيح يمكن الاعتماد عليه .

٢٥– إن الله سبحانه وتعالى حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء،فتكون أجسادهم في القبر رطبة طرية محفوظة بحفظ الله لها، وأن الأنبياء عليهم السلام أحياء في قبورهم يصلون، وحياتهم فيها أفضل من حياة الشهداء ولكنها حياة برزخية لا نعلم كنهها وكيفيتها وتفصيلها، وإنما علمها عند الله سبحانه وتعالى، فمن زعم أن حياة الأنبياء في قبورهم حياة دنيوية عنصرية ثم رتب عليه أمورا أخرى كجواز التوسل بهم،

أو طلب الشفاعة منهم، أو زعمهم أن النبي ﷺ أخرج يده من قبره ...أو أنه خرج من قبره وذهب إلى فلان وفلان ...فهذا كله باطل فاسد مخالف للكتاب والسنة النبوية الصحيحة، ومخالف لفهم الصحابة والتابعين وأئمة الدين وإجماعهم والله أعلم بالصواب.

هذا، وإني أحمد الله سبحانه وتعالى وأشكره على ما وفقني ويسر لي من إتمام هذا البحث، وأساله سبحانه بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن يعفو عني ويغفر لي، وأن يوفقني لما فيه الحق والصواب، وأن يجعل عملي كله خالصا لوجهه الكريم. سبحانك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين .

الفهارس

١- فهرس الآيات القرآنية .

سورة البقرة -٢

سورة آل عمران -٣

سورة النساء – ٤

سورة المائدة -٥

سورة الأنعام -٦

سورة الأعراف -٧

سورة الأنفال – ٨

سورة التوبة – ٩

سورة يونس – ١٠

سورة هود – ١١

سورة يوسف – ١٢

سورة النحل -١٦

سورة الإسراء -١٧

سورة الكهف -١٨

مريم -١٩

سورة طه - ٢٠

سورة الأنبياء -٢١

سورة الحج -٢٢

سورة المؤمنون -٢٣

سورة النور - ٢٤

سورة الفرقان - ٢٥

سورة الشعراء - ٢٦

سورة النمل -٢٧

سورة القصص -٢٨

سورة العنكبوت -٢٩

سورة الروم -٣٠

سورة لقمان -٣١

سورة السجدة -٣٢

سورة الأحزاب -٣٣

سورة سبأ -٣٤

سورة فاطر -٣٥

سورة يس -٣٦

سورة الصافات -٣٧

سورة ص -٣٨

سورة الزمر -٣٩

سورة غافر - ٤٠

سورة فصلت - ٤١

سورة الشورى –٤٢

سورة الزخرف –٤٣

سورة الدخان –٤٤

سورة الجاثية –٤٥

سورة الأحقاف –٤٦

سورة محمد –٤٧

سورة الحجرات –٤٩

سورة ق –٥٠

سورة الذاريات–٥١

سورة الطور -٥٢

سورة النجم -٥٣

سورة القمر -٥٤

سورة الرحمن -٥٥

سورة الواقعة -٥٦

سورة الحديد -٥٧

سورة المجادلة -٥٨

سورة الحاقة –٦٩

سورة نوح –٧١

سورة الجن –٧٢

سورة المدثر –٧٤

سورة القيامة –٧٥

سورة الإنسان –٧٦

سورة البينة –٩٨

سورة الزلزلة –٩٩

سورة الإخلاص –١١٢

سورة الفلق –١١٣

سورة الناس –١١٤

٣- فهرس الآثار.

٤- فهرس الأعلام المترجم لهم .

٥- فهرس الكلمات المشروحة .

٦- فهرس الفرق والطوائف

---

(١) الأشـــاعرة : فـــرقة ظهرت في الإسلام بعد أن تنفس الناس صعداء من سيطرة المعتزلة في القرن الثالث الهجري، وهي في الأصل نسبة إلى أبي الحسن الأشعري، الذي كان في أول أمره على مذهب المعتزلة ثم تركه و انتقل إلى مذهب ابن كلاب ثم تـــركه أيضا وتمسك بمذهب السلف ولكن أغلب الأشاعرة في العالم المنتسبين إليه إنما هم على ما كان عليه الأشعري في طوره الثاني وقد اتخذت الأشاعرة الدلائل العقلية والكلامية وسيلة في محاجحة خصومها من المعتزلة والفلاسفة وغيرهم وقد يطلق عليها بعض أهل العلم السبعية لأنها تثبت لله تعالى سبع صفات فقط وتؤول ما عداها . انظر : الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة (١/٨٣-٩٣)؛ وفرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام (٢/١٠٥٩-١٠٧٨).

---

(٢) هم أتباع محمد بن كرام ، يعتقدون أن الله تعالى جسم وأنه تعالى محل للحوادث، وأن له ثقل، وأنه خالق رازق بلاخلق ولا رزق ولهم في الإيمان قول منكر حيث جعلوا الإيمان قول اللسان وإن كان مع عدم تصديق القلب، فيجعلون المنافق مؤمنا .
انظر : الفرق بين الفرق (ص : ٢٠٢ وما بعدها)؛ ومجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٣/١٠٣) .

(٣) المعتزلة : اسم يطلق على فرقة ظهرت في الإسلام في أواخر العصر الأموي بزعامة رجل يدعى واصل بن عطاء الغزال، وازدهرت في العصر العباسي، وتأثرت بشتى الاتجاهات في ذلك العصر، واعتمدت على العقل مما أدى إلى انحرافها عن عقيدة أهل السنة والجماعة . انظر للتفصيل : الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة (١/٦٤-٧٤)؛ وفرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام (٢/١٠١٧-١٠٥٢) .

٧- فهرس الأماكن والبلدان

٨- فهرس الأبيات الشعرية

٩- فهرس المصادر والمراجع .

أولا : القرآن الكريم .

ثانيا : المخطوطات.

(أ)

إتحاف المريد لشرح جوهرة التوحيد لعبد السلام بن إبراهيم المالكي اللقاني . مخطوط في مكتبة الملك عبد العزيز بالمدينة المنورة ، قسم المخطوطات الرقم العام : ٣٠٠/٩٧ والرقم الخاص : ٢٤ .

أسـباب الخطأ في التفسير للدكتور طاهر محمود بن محمد يعقوب. رسالة دكتوراة، تحت إشراف : أ.د.حكمـت بـن بشـير بن يسين، عام : ١٤٢٢هـ، قسم التفسير، كلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة .

(ت)

الـتحرير والتحـبير (شرح لرسالة ابن أبي زيد القيرواني) . لعمر بن علي بن سالم الفاكهاني ٧٣١هـ. نسخة مصورة في فيلم في قسم المخطوطات بمكتبة الجامعة الإسلامية برقم : (١٥٢٨)، وأصلها في مكتبة رضا رامفور بالهند .

تداخـل الأصـول عند اللغويين وأثره في بناء المعجم العربي من خلال مدرسة القافية. لشيخنا الدكتور عبد الرزاق بن فراج دخيل الحربي . رسالة دكتوراه، تحت إشراف : محمد يعقوب تركستاني، عام : ١٤١٤هـ، قسم اللغويات، كلية اللغة العربية بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

ترجـيحات الحافظ ابن كثير – رحمه الله – لمعاني الآيات في تفسيره . للشيخ آدم عثمان علي، رسالة ماجستير، تحت إشراف شيخنا الدكتور / محمد أيوب بن محمد يوسف . عام ١٤١٧هـ ، قسم التفسير، كلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة .

تفسـير ابن كمال باشا . أحمد بن سليمان بن كمال باشا ٩٤٠هـ. تحقيق ودراسة لسورتي الفاتحة والبقرة : يونس عبد الحي ما . رسالة ماجستير، تحت إشراف : عبد العزيز عبد الفتاح قاري، قسم التفسير، كلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة .

تفسير آيات القرآن عن علاقة الملائكة بالإنسان. لشيخنا الدكتور عبد العزيز بن صالح العبيد السـلمي، رسالة دكتوراة، تحت إشراف : د. محمد سالم محيسن، قسم التفسير، كلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة .

تفسير ضياء القلوب. لأبي الفتح سُليم بن أيوب بن سُليم الرازي ٤٤٧هـ. دراسة وتحقيق من أول الفاتحة إلى نهاية قوله تعالى : ﴿أولئك لهم نصيب مما كسبوا والله سريع الحساب﴾ من سورة البقرة : ملفي بن

ناعم بن عمران الصاعدي. رسالة ماجستير، تحت إشراف : د. محمد عمر حوية، قسم التفسير في كلية القرآن الكريم بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية.

التفسير الواضح . لأبي محمد عبد الله بن محمد بن وهب بن بشر بن صالح بن حمدان الدينوري ٣٠٨هـ . تحقيق ودراسة : عبد الله بن محمد الأمين الشنقيطي . رسالة الدكتوراه تحت إشراف : محمد سيد عطية طنطاوي . عام : ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م . شعبة التفسير بالجامعة الإسلامية.

تقييد على رسالة ابن أبي زيد القيرواني . لأبي الحجاج يوسف بن عمر الأنفاسي ٧٦١هـ مخطوط في مكتبة الملك عبد العزيز بالمدينة المنورة، رباط سيدنا عثمان ﷺ ، رقم عام : (٣٦١٥) ورقم خاص : (١٥٤) وهو موجود مصورا في فيلم بمكتبة الجامعة الإسلامية بالمدينة في قسم المخطوطات برقم : (٩٤٥١) .

(ر)

الروايات الإسرائيلية في تفسير الطبري (من سورة الفاتحة إلى آخر سورة الإسراء). للدكتور أحمد نجيب ابن عبد الله صالح، رسالة الدكتوراه تحت إشراف : الدكتور محمد عمر حويه، قسم التفسير بكلية القرآن والدراسات الإسلامية بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة .

(ش)

شرح القلشاني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني . لأبي العباس أحمد بن محمد بن عبد الله القلشاني المغربي ٨٦٣هـ . تحقيق : عبد الوهاب بن محمد جامع إيليشن. رسالة ماجستير تحت إشراف : د. عبد الرحمن بن سعدي الحربي، عام ١٤٢١هـ، قسم الفقه، كلية الشريعة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة .

(ق)

القراءات الشاذة بين الرواية والتفسير وأثرها في التفسير والأحكام . " دراسة مقارنة " للشيخ سامي محمد سعيد عبد الشكور. رسالة ماجستير تحت إشراف : أحمد محمد صبري . عام : ١٤٢٠هـ قسم القراءات، كلية القرآن بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة .

قول فلاسفة اليونان الوثنيين في توحيد الربوبية عرض ونقد في ضوء مذهب السلف . مقال غير منشور لشيخنا سعود بن عبد العزيز الخلف – حفظه الله – .

القياس الفاسد وأثره في الانحراف في العقيدة . لشيخنا الدكتور أحمد بن شاكر الحذيفي . رسالة الدكتوراه تحت إشراف : الدكتور أحمد بن عطية الغامدي . عام : ١٤١٧هـ-١٤١٨هـ قسم العقيدة ، كلية الدعوة وأصول الدين بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة .

(م)

مسائل أصول الدين المبحوثة في علم أصول الفقه عرض ونقد على ضوء الكتاب والسنة . للدكتور خالد عبد اللطيف محمد نور عبد الله . رسالة دكتوراة تحت إشراف : فضيلة شيخنا الدكتور/ صالح بن سعد السحيمي . قسم العقيدة ، كلية الدعوة وأصول الدين، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

مصادر النصرانية دراسة ونقدا . لعبد الرزاق بن عبد المجيد ألارو. رسالة ماجستير تحت إشراف فضيلة شيخنا الدكتور / صالح بن سعد السحيمي، قسم العقيدة، كلية الدعوة وأصول الدين، الجامعة الإسلامية .

المعرب والدخيل في اللغة العربية. لشيخنا الدكتور. ف . عبد الرحيم عبد السبحان، رسالة دكتوراة، تحت إشراف : أ. د. إبراهيم محمد نجا . عام : ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م، كلية اللغة بجامعة الأزهر، القاهرة مصر .

منهج الشيخ محمد رشيد رضا في العقيدة . للشيخ تامر محمد محمود متولي . رسالة ماجستير تحت إشراف شيخنا الدكتور / محمد باكريم باعبد الله . عام : ١٤٢٠هـ-١٤٢١هـ قسم العقيدة، كلية الدعوة وأصول الدين، بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية .

موقف الأئمة الأربعة وأعلام مذاهبهم من الرافضة وموقف الرافضة منهم. للدكتور عبد الرزاق ابن عبد المجيد ألارو. رسالة الدكتوراة، تحت إشراف : شيخنا الدكتور عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر. عام ١٤٢٢هـ، قسم العقيدة، كلية الدعوة وأصول الدين بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة .

(ن)

. **نقض تأسيس الجهمية** . لشيخ الإسلام أبي العباس أحمد بن عبد الحليم الحراني المعروف بابن تيمية ٧٢٨هـ [القسم الأول من الجزء الثالث] نسخة خطية في مكتبة الشيخ سعود بن عبد العزيز الخلف – حفظه الله – بالمدينة المنورة .

ثالثا : الكتب العربية المطبوعة .

(أ)

الآثار . لأبي يوسف يعقوب بن إبراهيم الأنصاري ١٨٢هـ. تصحيح وتعليق : أبي الوفا. لجنة إحياء المعارف النعمانية حيدر آباد الدكن الهند، دار الكتب العلمية بيروت لبنان .

الآثار . لمحمد بن الحسن الشيباني ١٨٩هـ. ط.الأولى ١٤٠٧هـ إدارة القرآن كراتشي باكستان .

الآثار الواردة عن أئمة السنة في أبواب الاعتقاد من كتاب " سير أعلام النبلاء " للإمام الذهبي جمعا وتخريجا ودراسة . للدكتور جمال بن أحمد بن بشير بادي . ط.الأولى ١٤١٦هـ دار الوطن الرياض المملكة العربية السعودية .

الآحـاد والمـثاني . لأحمـد بن عمرو الضحاك الشيباني ٢٨٧هـ. تحقيق : د. باسم فيصل الجوابرة. ط.الأولى ١٤١١هـ/١٩٩١م دار الراية الرياض .

آداب وأحكام زيارة المدينة المنورة . للدكتور صالح بن غانم السدلان . ط.الأولى ١٤١٩هـ، دار بلنسية الرياض، المملكة العربية السعودية .

آدم أبو البشر . تأليف : عبد الله بن حسين الموجان . ط.عام : ١٩٩٨م دار النصر القاهرة .

آدم عليه السلام. ألفه : البهي الخولي.ط.الثالثة ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م مكتبة وهبة القاهرة مصر.

آراء أهل المدينة الفاضلة .لأبي نصر محمد بن محمد الشهير بالفارابي ٣٣٩هـ مطبوع ملخصا ضـمن كـتاب " تراث الإنسانية " لجماعة من أهل العلم . الناشر : المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر . وزارة الثقافة والإرشاد القومي مصر . بدون ذكر بيانات النشر الأخرى .

آفاق الهداية . للشيخ عبد العزيز بن خلف آل خلف . مكتبة دار البيان دمشق . سوريا .

آكام المرجان في غرائب الأخبار وأحكام الجان . للقاضي بدر الدين محمد بن عبد الله الشبلي الحنفي ت : ٧٦٩هـ . تصحيح وتعليق : عبد الله محمد الصديق . الناشر : نور محمد، أصح المطابع، كارخانه تجارت كتب، آرام باغ، فرير رود، كراتشي، باكستان. بدون تايخ الطبعة ورقمها.

الآيـات البينات في عدم سماع الأموات على مذهب الحنفية السادات . لـنعمان بن محمود بن عبد الله الآلوسي . تحقيق : محمد ناصر الدين الألباني . ط.الثانية ١٣٩٩هـ بدون ذكر الناشر .

الإبانـة عن أصول الديانة . لأبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري . ٣٢٤هـ تحقيق : فوقية حسين محمود . ط.الأولى ١٣٩٧هـ دار الأنصار القاهرة مصر.

الإبانـة عن شريعة الفرق الناجية ومجانبة الفرق المذمومة . لأبي عبد الله عبيد الله بن محمد بن بطة العكبري الحنبلي ٣٨٧هـ. تحقيق : رضا بن نعسان معطي . ط.الأولى ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م دار الراية الرياض المملكة العربية السعودية .

الابـتلاء وأثره في حياة المؤمنين كما جاء في القرآن الكريم . لعبد الله مير غني محمد صالح . ط. عام ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م دار الاعتصام، القاهرة .

أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم . لصديق حسن خان القنوجي ١٣٠٧هـ . تحقيق : عبد الجبار زكار . ط. عام : ١٩٧٨م منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي دمشق .

الإبـداع في مضار الابتداع . للشيخ علي محفوظ ١٣٦١هـ. تحقيق : أبي البخاري سعيد بن نصر بن محمد . ط.الأولى ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م مكتبة الرشد الرياض .

إبطال التنديد باختصار شرح كتاب التوحيد . للشيخ حمد بن علي بن محمد بن عتيق ١٣٠١هـ. اعتنى به : سمير بن عدنان الماضي. ط. الثانية ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م دار المعالي عمان الأردن .

ابن رجب الحنبلي وأثره في توضيح عقيدة السلف. لشيخنا د. عبد الله بن سليمان الغفيلي . تقديم : صالح بن فوزان الفوزان، حماد بن محمد الأنصاري . ط.الأولى ١٤١٨هـ/١٩٩٨م دار المسير الرياض .

أبي آدم قصة الخليقة بين الأسطورة والحقيقة. للدكتور عبد الصبور شاهين مكتبة الشباب مصر.

اتجاهـات التفسير في العصر الراهن. للدكتور عبد المجيد عبد السلام المحتسب. ط. الثالثة ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م مكتبة النهضة الإسلامية، عمان الأردن .

اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر. للدكتور فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي . ط. الثالثة ١٤١٨هـ/١٩٩٧م مؤسسة الرسالة بيروت لبنان .

إتحاف الأذكياء بما ورد في التوسل بسيد الأنبياء وغيره من الصالحين والأولياء . لعبد الله بن محمد بن الصديق الغماري الحسني . ط.عام : ١٣٥٣هـ . المطبعة الإسلامية بالأزهر .

إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة. للشيخ حمود بن عبد الله التويجري. ط.الأولى ١٣٩٦هـ . مطبعة المدينة الرياض .

إتحـاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة. لأحمد بن أبي بكر بن إسماعيل البوصيري ٨٤٠هـ. تحقيق : أبي عبد الرحمن عادل بن سعد، أبي إسحاق السيد بن محمود بن إسماعيل . ط.الأولى ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م مكتبة الرشد الرياض .

إتحـاف السـادة المـتقين بشرح إحياء علوم الدين. لمحمد بن محمد الحسيني الشهير بمرتضى الزبيدي ١٢٠٥هـ . دار الفكر بدون .

الإتقـان في عـلوم القرآن . لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي ٩١١هـ، حققه: محمد أبو الفضل إبراهيم . مكتبة دار التراث القاهرة مصر . بدون بيانات النشر الأخرى .

الإجماع في التفسير. لمحمد بن عبد العزيز بن أحمد الخضيري . ط. الأولى ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م دار الوطن الرياض، المملكة العربية السعودية .

الأجوبـة المصرية على الأسئلة المغربية أو العقود الجوهرية لحل الأسئلة المغربية أو الأسئلة المحيرة حول الدنيا والآخرة. تأليف : عبد الباقي الزرقاني ١١٢٢هـ. تحقيق : مصطفى عاشور. مكتبة ابن سينا القاهرة.

الأحـاديث الصـحيحة من أخبار وقصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام . لإبراهيم محمد العلي . ط.الأولى ١٤١٦هـ/١٩٩٥م دار القلم دمشق، الدار الشامية بيروت، دار البشير، جدة .

الأحاديث المختارة . لمحمد بن عبد الواحد بن أحمد المقدسي ٦٤٣هـ تحقيق : عبد الملك بن عبد الله دهيش . ط. الأولى ١٤١٠هـ مكتبة النهضة الحديثة مكة المكرمة .

الإحسـان في ترتيب صحيح ابن حبان . للإمام ابن حبان البستي ٣٥٤هـ . ترتيب : الأمير عـلاء الدين علي بن بلبان الفارسي ٧٣٩هـ . تحقيق : شعيب الأرنؤوط . ط. الأولى ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م مؤسسة الرسالة بيروت لبنان .

أحكـــام أهل الذمة. لمحمد بن أبي بكر المعروف بابن القيم ٧٥١هـــ. تحقيق : يوسف بن أحمد البكري، شاكر بن توفيق العارودي . ط.الأولى ١٤١٨هــ/١٩٩٧م رمادي للنشر الدمام .

الأحكام السلطانية والولايات الدينية. لعلي بن محمد بن حبيب البصري الماوردي ٤٥٠هـــ . مراجعة : محمد فهمي السرجاني . ط.عام : ١٩٧٨م المكتبة التوفيقية .

الإحكام في أصول الأحكام. لعلي بن أحمد بن سعيد المعروف بابن حزم الظاهري ٤٥٦هــ. تحقيق : محمد أحمد عبد العزيز . ط.الأولى ١٣٩٨هــ/١٩٧٨م مكتبة عاطف بجوار إدارة الأزهر القاهرة مصر.

أحكام القرآن. لأبي بكر أحمد بن علي الجصاص ٣٧٠هــ. تحقيق : محمد الصادق قمحاوي . ط.عام : ١٤٠٥هــ دار إحياء التراث العربي بيروت .

أحكـــام القرآن. لأبي بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي (ت : ٥٤٣هــ) . تحقيق : علي محمد البجاوي . طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه . بدون

الإحكام في أصول الأحكام. لأبي الحسن علي بن أبي علي الآمدي ٦٣٠هــ ط.عام : ١٣٨٧هــ/ ١٩٦٧م مؤسسة الحلبي وشركاه القاهرة .

أحكـــام مـــن القرآن الكريم. للشيخ محمد بن صالح العثيمين . جمع : أبي خالد عبد الكريم بن صالح المقرن . ط. الأولى ١٤١٥هــ دار طويق الرياض .

أحوال الرجال. لأبي إسحاق إبراهيم بن يعقوب الجوزجاني ٢٥٩هــ. تحقيق : صبحي البدري السامرائي .ط.الأولى ١٤٠٥هــ/١٩٨٥هــ مؤسسة الرسالة بيروت .

أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار. لأبي الوليد محمد بن عبد الله الأزرقي ٢٤٠هــ . تحقيق : رشدي الصالح ملحس . ط.الثانية ١٣٨٥هــ/١٩٦٥م مطابع دار الثقافة مكة المكرمة .

اختصـــار علوم الحديث. لإسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي ٧٧٤هــ. تعليق وتحقيق : صلاح محمد محمد عويضة . ط.الأولى ١٤٠٩هــ/١٩٨٩م . دار الكتب العلمية بيروت لبنان.

الاخـــتلاف في الـــلفظ والرد على الجهمية والمشبهة . لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ٢٧٦هــ . ط.الأولى ١٤٠٥هــ/١٩٨٥م دار الكتب العلمية بيروت .

الاختيار لتعليل المختار . لعبد الله بن محمود بن مودود الموصلي ٦٨٣هــ . تعليق : محمود أبي دقيقة . مراجعة : محسن أبي دقيقة . ط. الثانية ١٣٧٠هــ/١٩٥١م دار المعرفة بيروت لبنان .

أخـــذ الميقاق في قوله تعالى : ﴿وإذأخذربك من بني آدم من ظهورهم﴾ . للشيخ عبد العزيز بن عبد الرحمن بن محمد العثيم . ط.الأولى ١٤١٩هــ/١٩٩٩م أضواء السلف الرياض. المملكة العربية السعودية .

الأدب المفـــرد. للإمام محمد بن إسماعيل البخاري ٢٥٦هــ . تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي . ط.الثالثة ١٤٠٩هــ/١٩٨٩م دار البشائر الإسلامية بيروت لبنان.

الأديـــان (دراسة تاريخية مقارنة) . للدكتور رشدي عليان و سعدون الساموك . ط. الأولى ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م جامعة بغداد، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي العراق .

الأديان في القرآن . للدكتور محمود بن الشريف . ط. الثالثة ١٩٧٦م دار المعارف القاهرة، مصر .

الأديان والفرق والمذاهب المعاصرة . للشيخ عبد القادر شيبة الحمد . طبعته الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة . بدون رقم الطبعة وتاريخها .

الأذكـــار الـــنووية . لأبي بكر يحيى بن شرف النووي ٦٧٦هـ. تحقيق : محي الدين مستو . ط.الثانية ١٤١٠هـ/١٩٩٠م مكتبة التراث مدينة، دار ابن كثير دمشق، بيروت لبنان.

الأربعين في صفات رب العالمين . للحافظ محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ٧٤٨هـ . تحقيق : عبد القدر بن محمد عطا صوفي . ط. الأولى ١٤١٣هـ مكتبة العلوم والحكم المدينة المنورة .

الإرشـــاد إلى صـــحيح الاعـــتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد . للشيخ صالح بن فوزان الفوزان . ط.الثانية ١٤١٦هـ/١٩٩٥م دار ابن الجوزي الدمام .

الإرشـــاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد . لعبد الملك الجويني ٤٧٨هـ . تحقيق : أسعد تميم . ط.الأولى ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م مؤسسة الكتب الثقافية بيروت لبنان .

إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري . لأبي العباس أحمد بن محمد القسطلاني ٩٢٣هـ. ضبط وتصحيح : محمد عبد العزيز الخالدي ط. الأولى ١٤١٦هـ/١٩٩٦م دار الكتب العلمية بيروت لبنان .

إرشـــاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم .لأبي السعود محمد بن محمد العمادي ٩٨٢هـ دار إحياء التراث العربي بيروت .

الإرشـــاد في معرفة علماء الحديث . للحافظ أبي يعلى الخليل بن عبد الله الخليلي ٤٤٦هـ . تحقيق : د. محمد سعيد بن عمر إدريس . ط. الأولى مكتبة الرشد الرياض .

إرواء الغـــليل في تخـــريج أحاديث منار السبيل . للشيخ محمد ناصر الدين الألباني . ط.الثانية ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م المكتب الإسلامي بيروت .

أساس التقديس . لمحمد بن عمر بن الحسين الرازي ٦٠٦هـ . تحقيق : أحمد حجازي السقا . ط. عام : ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م مكتبة الكليات الأزهرية بالقاهرة مصر.

أسباب هلاك الأمم السالفة كما وردت في القرآن الكريم . للدكتور سعيد محمد بابا سيلا . ط.الأولى ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م السلسلة الثالثة من إصدارات مجلة الحكمة ، بريطانيا - ليدز .

استخراج الجدال من القرآن الكريم. لأبي الفرج عبد الرحمن بن نجم الأنصاري، المعروف بابن الحنبلي المتوفى سنة ٦٣٤هـ. تحقيق : د. زاهر بن عواض الألمعي. ط. الثانية : ١٤٠١هـ. بدون.

الاســـتذكار . لأبي عمر يوسف بن عبد الله المعروف بابن عبد البر ٤٦٣هـ . تحقيق : عبد المعطي أمين قلعجي . ط. الأولى ١٤١٤هـ/١٩٩٣م دار قتيبة دمشق بيروت ودار الوعي حلب القاهرة .

الاستقامة . لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم المعروف بابن تيمية ٧٢٨هـ. تحقيق : محمد رشاد سالم . ط . الثانية مؤسسة قرطبة الهرم ، مصر .

الاستيعاب في معرفة الأصحاب. للحافظ ابن عبد البر ٤٦٣هـ. تحقيق : علي محمد البجاوي. مكتبة نهضة مصر ومطبعتها ، القاهرة.

أسرار التكرار في القرآن. لمحمود بن حمزة بن نصر الكرماني، توفي في حدود ٥٣٥هـ. تحقيق : عبد القادر أحمد عطا . ط.الثانية ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م دار الاعتصام القاهرة . مصر .

الإسرائيليات وأثرها في كتب التفسير . د. رمزي نعناعة . ط.الأولى ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م دار القلم دمشق ، دار البيضاء بيروت.

الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير. لمحمد بن محمد أبو شهبة. مجمع البحوث الإسلامية، الأزهر .

الإسلام ونظرية داروين . لمحمد أحمد باشميل . ط . الأولى ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م، الناشر : المؤلف . مطبعة شركة الطبع والنشر اللبنانية بيروت .

الإسلام يتحدى. تأليف : وحيد الدين خان. تعريب : ظفر الإسلام خان . تحقيق : د. عبد الصبور شاهين. ط. السادسة ١٤٠١هـ/١٩٨١م دار البحوث العلمية الكويت.

أسماء الصحابة الرواة وما لكل واحد من العدد. للعلامة ابن حزم الظاهري ٤٥٦هـ. تحقيق : سيد كسردي حسن . ط.الأولى ١٤١٢هـ/١٩٩٢م دار الكتب العلمية بيروت لبنان .

أسماء الله وصفاته في معتقد أهل السنة والجماعة . للدكتور عمر سليمان الأشقر .ط.الثانية ١٤١٤هـ/١٩٩٤م دار النفائس عمان الأردن .

أسماء الكتب (المتمم لكشف الظنون) . لعبد اللطيف بن محمد رياضي زاده من علماء القرن الحادي عشر . تحقيق : محمد التونجي . ط. مكتبة الخانجي بمصر . بدون

الأسماء والصفات. لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي ت : ٤٥٨هـ. تحقيق : عبد الله بن محمد الحاشدي . ط.الأولى ١٤١٣هـ/١٩٩٣م مكتبة السوادي جدة .

الإسماعيلية تاريخ وعقائد. للشيخ إحسان إلهي ظهير. ط. الأولى ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م الناشر : إدارة ترجمان السنة لاهور باكستان . الطابع : دار عالم الكتب الرياض .

الإسماعيلية المعاصرة : الأصول، المعتقدات، المظاهر الدينية والاجتماعية. لمحمد بن أحمد الجوير . ط.الأولى ١٤١٤هـ/١٩٩٤م بدون ذكر بيانات النشر الأخرى .

الأشباه والنظائر في النحو. لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي . ت : ٩١١هـ تحقيق : طه عبد الرؤوف سعد. ط. عام: ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م. مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة .

الاشـــتقاق . لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد ٣٢١هــ. تحقيق : عبد السلام محمد هارون . ط.عام : ١٣٧٨هــ/١٩٥٨م . الناشر : مؤسسة الخانجي بمصر .

الإصابة في تمييز الصحابة. لأحمد بن علي بن محمد المعروف بالحافظ ابن حجر العسقلاني. ط . الأولى ١٣٢٨هــ مطبعة السعادة بمصر .

أصـــل الأجـــناس البشرية بين العلم والقرآن الكريم. للدكتور عبد العليم عبد الرحمن خضر. ط.الأولى ١٤٠٧هــ/١٩٨٧م . الناشر : تهامة جدة المملكة العربية السعودية .

أصل الإنسان وسر الوجود. لــ باسمة كيال. ط.الأولى ١٩٨١م مكتبة الهلال بيروت لبنان.

الأصول الاعتقادية للمعرفة ومناهج الدراسات الإنسانية في الإسلام . للدكتور فاروق أحمد الدسوقي . ط.الأولى ١٤١٢هــ/١٩٩١م بدون .

أصـــول الإيمـــان في ضوء الكتاب والسنة . إعداد : شيخنا الدكتور صالح بن سعد السحيمي وشـــيخنا الدكـــتور عبد الرزاق بن عبد المحسن العباد، وشيخنا الدكتور إبراهيم بن عامر الرحيلي . مـــراجعة : شيخنا الدكتور محمد ناصر الفقيهي، وشيخنا الدكتور أحمد بن عطية الغامدي . ط.عام ١٤٢١هــ مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة .

أصـــول الدين. لأبي اليسر محمد بن محمد البزدوي ت : ٤٩٣هــ . تحقيق : هانز بيتر لينس . ط.عام : ١٩٦٣م دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه.

أصول الدين الإسلامي. لمحمد بن إبراهيم التويجري . ط.الأولى ١٤١٤هــ. دار العاصمة الرياض .

أصول السنة . لأبي عبد الله محمد بن عبد الله – ابن أبي زمنين ٣٩٩هــ. تحقيق : عبد الله بن محمد عبد الرحيم بن الحسن البخاري . ط . الأولى ١٤١٥هــ مكتبة الغرباء الأثرية المدينة المنورة .

أضـــواء الـــبيان في إيضـــاح القـــرآن بالقرآن . للشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشـــنقيطي ١٣٩٣هــ . تخريج الآيات والأحاديث : محمد عبد العزيز الخالدي . ط.الأولى ١٤١٧ هــ/١٩٩٦م دار الكتب العلمية بيروت لبنان .

إظهـــار الحـــق . للشيخ رحمت الله بن خليل الرحمن العثماني الكيرانوي . عني بطبعه ونشره : عبد الله بن إبراهيم الأنصاري . طبع على نفقة إدارة إحياء التراث الإسلامي، الدوحة قطر .

إعانـــة المستفيد بشرح كتاب التوحيد لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب . شرحه : صالح ابن فوزان بن عبد الله الفوزان . ط.الثانية ١٤٢٢هــ/٢٠٠١م مؤسسة الرسالة بيروت .

الاعتصام . لإبراهيم بن موسى الشاطبي ٧٩٥هــ . مكتبة الرياض الحديثة. الرياض. بدون .

اعـــتقاد أئمة أهل الحديث. لأبي بكر أحمد بن إبراهيم الإسماعيلي ٣٧١هــ. تحقيق : د. محمد ابن عبد الرحمن الخميس . ط.الأولى ١٤١٢هــ/١٩٩٢م دار العاصمة الرياض .

اعـــتقادات فرق المسلمين والمشركين . لأبي عبد الله محمد بن عمر الرازي ٦٠٦هـ. تحقيق : علي سامي النشار. ط.عام : ١٤٠٢هـ دار الكتب العلمية بيروت .

اعـــتقاد أهل السنة أصحاب الحديث. للدكتور محمد عبد الرحمن الخميس. ط.الأولى ١٤١٤هـ/١٩٩٤م دار الصميعي الرياض، المملكة العربية السعودية .

الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث . لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي ٤٥٨هـ. تحقيق : أحمد عصام الكاتب . ط.الأولى ١٤٠١هـ دار الآفاق الجديدة بيروت لبنان .

إعـــراب القـــرآن . لأبي جعفر أحمد بن محمد النحاس ٣٣٨هـ. تحقيق : زهير غازي زاهد . ط.الثانية ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م عالم الكتب ، مكتبة النهضة العربية .

إعراب القرآن الكريم وبيانه. لمحي الدين الدويش . ط. الثالثة ١٤١٢هـ/١٩٩٢م دار اليمامة دمشق بيروت، دار ابن كثير دمشق بيروت، دار الإرشاد للشؤون الجامعية حمص سورية .

الأعلام . خير الدين الزركلي . ط. الخامسة ١٩٨٠م دار العلم للملايين بيروت لبنان .

أعلام أجانب . لمحمد خير رمضان يوسف . ط.الأولى ١٤١٦هـ/١٩٩٦م دار ابن حزم بيروت .

الإعلام بأصول الأعلام الواردة في قصص الأنبياء عليهم السلام . لشيخنا الدكتور ف . عبد الرحيم ط. الأولى ١٤١٣هـ/١٩٩٢م دار القلم دمشق .

الإعـــلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام وإظهار محاسن دين الإسلام وإثبات نبوة نبيـــنا عليه الصلاة والسلام . لمحمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي ٦٧١هـ. تحقيق : أحمد حجازي السقا . ط. عام : ١٣٩٨هـ . دار التراث العربي القاهرة .

أعـــلام الحديـــث في شرح صحيح البخاري. لأبي سليمان حمد بن محمد الخطابي ٣٨٨هـ. تحقيـــق : د. محمـــد بـــن سعيد بن عبد الرحمن آل سعود . ط.الأولى ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م معهد البحوث العلمية جامعة أم القرى مكة المكرمة .

أعـــلام الســـنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة . للشيخ حافظ بن أحمد الحكمي ١٣٧٧هـ. تحقيق : حازم القاضي . ط. عام : ١٤٢٠هـ . وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية .

الأعـــلام الشرقية في المائة الرابعة عشرة الهجرية .لـ زكي محمد مجاهد . ط. الثانية ١٩٩٤م دار الغرب الإسلامي بيروت لبنان .

إعـــلام الموقعين عن رب العالمين . للعلامة ابن القيم ٧٥١هـ . تحقيق : عبد الرحمن الوكيل . ط.عام : ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م دار الكتب الحديثة . القاهرة .

أعـــلام النبوة . لعلي بن محمد الماوردي ٤٢٩هـ. تحقيق : محمد المعتصم بالله البغدادي . ط. الأولى ١٩٨٧م دار الكتاب العربي بيروت .

إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان . للعلامة ابن القيم ٧٥١هـ. تحقيق : محمد حامد الفقي .
ط . الثانية ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م دار المعرفة بيروت لبنان .
أقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات والآيات المحكمات والمشتبهات . لـ مرعي بن يوسف الكرمي الحنبلي ١٠٣٣هـ. تحقيق : شعيب الأرنؤوط . ط.الأولى ١٤٠٦هـ مؤسسة الرسالة بيروت .
الاقتصاد في الاعتقاد . للحافظ عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي ٦٠٠هـ. تحقيق : د. أحمد بن عطية بن علي الغامدي . ط.الأولى ١٤١٤هـ/١٩٩٣م مكتبة العلوم والحكم بالمدينة المنورة .
اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم. لشيخ الإسلام ابن تيمية ٧٢٨هـ. تحقيق : د.ناصر عبد الكريم العقل . ط. السابعة ١٤١٩هـ/١٩٩٩م ، توزيع : وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية .
إكمال إكمال المعلم . لمحمد بن خلفة الوشناني الأبي ٨٢٧هـ تقريبا. دار الكتب العلمية بيروت لبنان .
إكمال المعلم بفوائد مسلم. للقاضي عياض بن موسى اليحصبي ٥٤٤هـ. تحقيق : د. يحيى إسماعيل.
ط. الأولى ١٤١٩هـ/١٩٩٨م دار الوفاء، منصورة، جمهورية مصر العربية ومكتبة الرشد، الرياض.
ألفية السيوطي في علم الحديث. شرح وتصحيح : أحمد محمد شاكر . دار كاتب وكتاب بيروت لبنان.
ألقاب السولاة الواردة في النصوص ودراسة دلائلها الاعتقادية . لشيخنا الدكتور محمد بن عبد الرحمن الشظيفي . ط.الأولى ١٤١٨هـ، دار البخاري، المدينة المنورة .
الله جل جلاله. لـعباس محمود العقاد . المكتبة العصرية صيدا بيروت . بدون.
الله يتجلى في عصر العلم . لنخبة من العلماء الأمريكيين. إشراف : جون كلوفرمونسيما . ترجمة : د. الدمرداش عبد المجيد سرحان . مراجعة وتعليق : د. محمد جمال الدين الفندي . دار القلم بيروت لبنان . بدون معلومات النشر الأخرى .
الأم . للإمام محمد بن إدريس الشافعي ٢٠٤هـ . تخريج وتعليق : محمود مطرجي . ط.الأولى ١٤١٣هـ/١٩٩٣م . دار الكتب العلمية بيروت .
الأمالي. ليحيى بن الحسين الشجري ٥٩٩هـ. ط.الثالثة ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م عالم الكتب بيروت.
إمام دار الهجرة مالك بن أنس . محمد بن علوي المالكي الحسني [مطبوع مع كتابه : أنوار المسالك إلى روايات موطأ مالك] . مراجعة : عبد الله بن إبراهيم الأنصاري. طبع على نفقة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني : أمير دولة قطر، بمناسبة المؤتمر العالمي الثالث للسيرة والسنة النبوية عام ١٤٠٠هـ بدوحة قطر .
أمثال الحديث المروية عن النبي ﷺ . للقاضي أبي الحسن بن عبد الرحمن بن خلاد الرامهرمزي ٣٦٠هـ. تعليق : أحمد عبد الفتاح تمام . ط. الأولى ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م مؤسسة الكتب الثقافية بيروت لبنان .
إنباء الأذكياء بحياة الأنبياء [ضمن الحاوي للفتاوى]. لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي ٩١١هـ. تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد . ط. عام : ١٤١١هـ/١٩٩٠م المكتبة العصرية صيدا بيروت .

أنبياء الله . لأحمد بهجت . ط. الثالثة ١٩٧٥م دار الشروق القاهرة . مصر .

أنبياء الله . للشيخ محمد متولي الشعراوي . دار أخبار اليوم القاهرة .

إنجيـــل برنابا . ترجمة وتحقيق ونشر : د. أحمد غنيم . ط.الأولى ١٤١٣هـــ/١٩٩٣م . مطبعة أبناء وهبة حسان القاهرة .

الإنســـان في ظـــل الأديـــان : المعتقدات والأديان القديمة. للدكتور عمارة نجيب . ط. عام : ١٤٠٠هـــ/١٩٧٩م مكتبة المعارف الرياض .

الإنسان في القرآن الكريم . لـــعباس محمود العقاد . المكتبة العصرية، صيدا، بيروت .

الإنســـان في الكـــون بـــين القرآن والعلم. لـــعبد العليم بن عبد الرحمن خضر . ط. الأولى ١٤٠٣هـــ/١٩٨٣م، عالم المعرفة جدة .

الإنســـان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل. لعبد الكريم بن إبراهيم الجيلي ٨٣٢هـــ ط.عام : ١٢٩٣هـــ، اعتنى به : سعادة حسين بك، محمد أفندي حسن، أفندي أحمد، المطبعة المصرية ببولاق في مصر.

الإنسان وجوده وخلافته في الأرض في ضوء القرآن الكريم . للدكتور عبد الرحمن بن إبراهيم المطرودي . ط. الأولى ١٤١٠هـــ/١٩٩٠م مكتبة وهبة القاهرة . مصر .

الإنصـــاف في مسائل الخلاف بين النحويين : البصريين والكوفيين . تأليف : عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد الأنباري النحوي ٥٧٧هـــ. دار الفكر بيروت . بدون معلومات النشر الأخرى .

أنـــوار التتريل وأسرار التأويل. للقاضي عبد الله بن عمر البيضاوي ٧٩١هـــ المكتبة التجارية الكبرى بمصر.بدون تفاصيل أخرى.

الأنـــوار الكاشفة لما في كتاب " أضواء على السنة " من الزلل والتضليل والمجازفة . للشيخ عبد الرحمن بن يحيى المعلمي. ط.عام : ١٤٠٣هـــ/١٩٨٣م عالم الكتب بيروت.

الأنوار المحمدية من المواهب اللدنية. لـــيوسف بن إسماعيل النبهاني. ط. دار الفكر بيروت بدون.

أنـــواع وأحكام التوسل المشروع والممنوع. لعبد الله بن عبد الحميد الأثري، مراجعة وتقديم : عبد القادر الأرناؤوط، د.عبد الرحمن بن صالح المحمود . ط.الأولى ١٤٢٢هـــ دار الراية الرياض .

أوجز المسالك إلى موطأ الإمام مالك. للشيخ محمد زكريا الكاندهلوي ١٤٠٢هـــ. ط. الثالثة ١٤٠٠هـــ/١٩٨٠م المكتبة الإمدادية، مكة المكرمة . طبع في مطابع الرشيد بالمدينة المنورة.

أوضـــح البيان في جرح علي بن زيد بن جدعان ومناقشة العلامة الظاهري أبي عبد الرحمن في رسالته " البرهان ". للشيخ علي بن حسن بن علي بن عبد الحميد الحلبي الأثري . مطبوع مع كتابه : " تنقيح الأنظار بضعف حديث : " رمضان أوله رحمة، وأوسطه مغفرة، وآخره عتق من النار " . ط. الأولى ١٤١٨هـــ/١٩٩٨م دار المسير الرياض .

أوضح التفاسير . لـــمحمد محمد عبد اللطيف المعروف بابن الخطيب . ط.الأولى ١٣٨٣هـــ/ ١٩٦٤م المطبعة المصرية ومكتبتها . بدون.

أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك . لـــجمال الدين بن هشام الأنصاري، مطبوع مع شرحه ضياء السالك . الناشر : مكتبة ابن تيمية القاهرة مصر .

إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات إلى المذهب الحق من أصول التوحيد. لأبي الله محمد بن المرتضى اليماني المشهور بابن الوزير ٨٤٠هـــ.ط. الثانية ١٤٠٧هـــ/١٩٨٧م دار الكتب العلمية بيروت لبنان.

إيجـــاز الـــبيان عن معاني القرآن . لـــمحمود بن أبي الحسن بن الحسين النيسابوري ٥٥٣هـــ تحقيق : علي بن سليمان العبيد ط.الأولى ١٤١٨هـــ/١٩٩٧م مكتبة التوبة الرياض .

أيســـر التفاسير لكلام العلي الكبير . للشيخ أبي بكر جابر الجزائري . ط.الثالثة ١٤١٠هـــ/ ١٩٩٠م راسم للدعاية و الإعلان جدة .

إيضـــاح الدليـــل في قطع حجج أهل التعطيل . لـــمحمد بن إبراهيم بن سعد الله ٧٢٧هـــ تحقيق : وهبي سليمان الألباني ط.الأولى ١٣٩٠ دار السلام .

الإيمان . للحافظ محمد بن إسحاق بن يحيى بن منده (ت : ٣٩٥هـــ) تحقيق : الشيخ علي بن محمد بن ناصر الفقيهي . المجلس العلمي بلجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة .

الإيمـــان . لشـــيخ الإسلام ابن تيمية ٧٢٨هـــ. تحقيق : العلامة محمد ناصر الدين الألباني ط. الثالثة ١٤٠٨هـــ/١٩٨٨م المكتب الإسلامي بيروت .

الإيمان : أركانه، حقيقته، نواقضه. للدكتور محمد نعيم ياسين . مكتبة التراث القاهرة، مصر . بدون معلومات النشر الأخرى .

الإيمـــان بالأنبياء بجملتهم وضعف حديث أبي ذر في عددهم . لـــعبد الله بن زيد آل محمود . ط.الثانية ١٤٠٢هـــ/١٩٨٢م . رئاسة المحاكم الشرعية والشئون الدينية، دولة قطر .

الإيمـــان بالقضاء والقدر . لـــمحمد بن إبراهيم الحمد . تقديم : الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز . ط.الثالثة ١٤١٩هـــ/١٩٩٨م دار ابن خزيمة الرياض، المملكة العربية السعودية .

الإيمـــان بالملائكـــة عليهم السلام. لـــعبد الله سراج الدين. ط.الأولى ١٣٩١هـــ/١٩٧٢م، الناشر هو المؤلف نفسه، و لم يذكر معلومات النشر الأخرى .

أيهمـــا هو الصحيح : الخلق أم النشوء ؟ تاليف : الدكتور وليم. ي. أوانيل . تعريب : هاني رجا جريس . ط.عام : ١٩٨٦م . الناشر : بيت عنيا، القاهرة .

(ب)

باهـــر البرهان في معاني مشكلات القرآن . لـــمحمود بن أبي الحسن بن الحسين النيسابوري الغـــزنوي توفي بعد : ٥٥٣هـــ . تحقيق : سعاد بنت صالح بن سعيد بابقي . ط.عام : ١٤١٨هـــ/ ١٩٩٧م . معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي. جامعة أم القرى مكة المكرمة .

بحر الدم فيمن تكلم فيه الإمام أحمد بمدح أو ذم. ليوسف بن حسن بن عبد الهادي ٩٠٩هـــ. تحقيق: د. وصي الله محمد عباس . ط.الأولى ١٤٠٩هـــ/١٩٨٩م دار الراية الرياض .

البحر الرائق شرح كتر الدقائق لابن نجيم الحنفي[التكملة] لمحمد بن حسين الطوري الحنفي ١٠٢٦هـــ. ط.الثانية دار المعرفة بيروت لبنان .

الـــبحر المحيط. لبدر الدين محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي ٧٩٤هـــ. ط.الأولى ١٤١٤هـــ/ ١٩٩٤م دار الكتبي القاهرة.

بدائـــع التفســـير، الجـــامع لتفسير الإمام ابن قيم الجوزية . جمع وتوثيق : يسري السيد محمد. ط.الأولى ١٤١٤هـــ/١٩٨٣م دار ابن الجوزي الدمام .

بدائـــع الفوائد . للعلامة ابن القيم ٧٥١هـــ . تصحيح وتعليق : محمود غانم غيث . ط. الثانية ١٣٩٢هـــ/١٩٧٢م مكتبة القاهرة، مصر .

بدايـــة الســـول في تفضيل أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم. للعز عبد العزيـــز بن عبد السلام السلمي . تحقيق : محمد ناصر الدين الألباني . ط.الأولى ١٤١٣هـــ/١٩٨٣م المكتب الإسلامي بيروت .

البداية والنهاية . للحافظ إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي ٧٧٤هـــ. مكتبة المعارف بيروت لبنان.

بذل المجهود في حل أبي داود. خليل أحمد السهارنفوري ١٣٤٦هـــ. دار الكتب العلمية بيروت لبنان.

الـــبراهين الساطعة في رد بعض البدع الشائعة. لسلامة العضاعي العزامي الشافعي ت : ١٣٧٦هـــ، كلمة التصدير : محمد زاهد الكوثري . الناشر : نجم الدين أمين الكردي . مطبعة السعادة مصر .

الـــبرهان في علوم القرآن . لبدر الدين محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي ٧٩٤هـــ. تحقيق : محمد أبي الفضل إبراهيم . ط. الأولى مكتبة دار التراث القاهرة . بدون

الـــبريلوية عقائد وتاريخ . للشيخ إحسان إلهي ظهير . ط.الأولى ١٤٠٣هـــ/١٩٨٣م . إدارة ترجمان السنة . لاهور باكستان .

البعث والنشور . للحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي ٤٥٨هـــ. ط.الأولى ١٤٠٦هـــ/ ١٩٨٦م مركز الخدمات و الأبحاث الثقافية بيروت .

بغيـــة الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة. عبد المتعال الصعيدي. ط.السابعة ١٤١٠هـــ/ ١٩٩٠م مكتبة الآداب القاهرة مصر .

بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث . لنور الدين على بن سليمان الهيثمي ٨٠٧هـ. تحقيق: د. حسين أحمد صالح الباكري . ط . الأولى ١٤١٣هـ/١٩٩٢م مركز خدمة السنة والسيرة النبوية بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، بالتعاون مع مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف .

بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية أهل الإلحاد من القائلين بالحلول والاتحاد. لشيخ الإسلام ابن تيمية ٧٢٨هـ. تحقيق : موسى سليمان الدويش ط.الأولى ١٤٠٨هـ مكتبة العلوم والحكم المدينة المنورة .

بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة . لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي ٩١١هـ. تحقيق : محمد أبي الفضل إبراهيم . ط.الأولى ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه .

البلاغة العربية في ثوبها الجديد. للدكتور بكري شيخ أمين. ط.الثالثة ١٩٩٠م، دار الملايين بيروت.

البلاغة الواضحة . لعلي الجارم ومصطفى أمين . ط.عام ١٩٨٧م دار المعارف القاهرة .

بلوغ الأماني من أسرار الفتح الرباني . لأحمد عبد الرحمن البنا الشهير بالساعاتي ١٣٧١هـ. دار إحياء التراث العربي بيروت البنان . بدون .

البناية في شرح الهداية. لمحمود بن أحمد العيني ٨٥٥هـ. تصحيح : المولوي محمد عمر الشهير بناصر الإسلام الرامفوري. ط. الأولى ١٤٠١هـ/١٩٨١م دار الفكر بيروت.

بهجة الأريب في بيان ما في كتاب الله العزيز من الغريب. لعلي بن عثمان المارديني المعروف بابن التركماني ٧٥٠هـ . تحقيق : د. محمد رياض كريم . ط. الأولى ١٤١٩هـ/١٩٩٨م. بدون .

البوذية تاريخها وعقائدها وعلاقة الصوفية بها. للدكتور عبد الله مصطفى نومسوك. ط.الأولى ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م أضواء السلف الرياض، المملكة العربية السعودية .

البيان في غريب إعراب القرآن . لعبد الرحمن بن محمد بن الأنباري ٥٧٧هـ. تحقيق : طه عبد الحميد طه، ط. عام : ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م الناشر : الهيئة المصرية العامة للكتاب .

البيان في مداخل الشيطان .لعبد الحميد البلالي . تقديم : محمد أحمد الراشد . ط.السادسة ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م مؤسسة الرسالة بيروت .

البيان لأخطاء بعض الكتاب. للشيخ صالح بن فوزان الفوزان. ط. الأولى ١٤١١هـ/١٩٩١م دار ابن الجوزي الدمام المملكة العربية السعودية .

(ت)

تاج العروس من جواهر القاموس . للسيد محمد مرتضى الحسيني الزَبيدي . تحقيق : إبراهيم الترزي و غيره . ط.عام : ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م دار إحياء التراث العربي بيروت .

تاريخ الأمم والملوك. لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ٣١٠هـ. ط.الأولى ١٤٠٧هـ دار الكتب العلمية بيروت .

تـــاريخ الأنـــبياء في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية . للدكتور محمد الطيب النجار . ط. الثانية ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م مكتبة المعارف الرياض .

تاريخ بغداد. لأبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي ٤٦٣هـ. دار الكتب العلمية بيروت لبنان.

تـــاريخ الدعـــوة . للدكتور جمعة علي الخولي . ط. الأولى ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م دار الطباعة المحمدية درب الأتراك بالأزهر، القاهرة مصر.

تاريخ شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام . للدكتور عبد العزيز سالم . ط.عام ١٩٩٩م مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، مصر .

الـــتاريخ الصغير . للإمام محمد بن إسماعيل البخاري ٢٥٦هـ. تحقيق : محمود إبراهيم زايد . ط.الأولى ١٣٩٧هـ/١٩٧٧هـ. دار الوعي حلب، مكتبة دار التراث القاهرة .

التاريخ الكبير . للإمام البخاري ٢٥٦هـ . دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند .

تـــاريخ مدينة دمشق . لأبي القاسم علي بن الحسن المعروف بابن عساكر ٥٧١هـ . تحقيق : محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمروي . ط.عام ١٤١٥هـ/١٩٩٥م دار الفكر بيروت لبنان.

وبـــتحقيق : أبي عبد الله علي عاشور الجنوبي. ط.الأولى ١٤٢١هـ/٢٠٠١م دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان .

تـــأويلات أهل السنة . لأبي منصور محمد بن محمد الماتريدي السمرقندي . تحقيق : د. إبرهيم عوضـــين ، الســـيد عوضين . ط.الثانية ١٤١٥هـ/١٩٩٥م، لجنة القرآن والسنة بالقاهرة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، وزارة الأوقاف، جمهورية مصر العربية .

تـــأويل مختلف الحديث. لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة ٢٧٦هـ . تحقيق : محمد زهري النجار . ط. عام : ١٣٩٣هـ/١٩٧٢م دار الجيل بيروت .

تـــأويل مشـــكل القرآن. لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة ٢٧٦هـ.تحقيق : السيد أحمد صقر. دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه . بدون المعلومات الأخرى .

التـــبيان بشرح ما اتفق عليه الشيخان البخاري ومسلم. لـــعبد العزيز السيروان. مراجعة : د. محمد الطيب الإبراهيم. ط. الأولى ١٤١٣هـ/١٩٩٢م مؤسسة الإيمان بيروت لبنان، دار الرشيد دمشق، بيروت.

التبيان في أقسام القرآن . للعلامة ابن القيم . تصحيح وتعليق : طه يوسف شاهين . ط.عام : ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م دار الطباعة المحمدية القاهرة .

التـــبيان في تفســـير غريب القرآن . لشهاب الدين أحمد بن محمد بن هائم المصري. تحقيق : فتحي أنور الدابولي . ط.الأولى ١٩٩٢م دار الصحابة للتراث بطنطا القاهرة مصر .

تـــبيين الحقائق شرح كنز الدقائق . لفخر الدين عثمان بن علي الزيلعي الحنفي ٧٤٣هـ. ط. الأولى عام : ١٣١٥هـ بالمطبعة الكبرى الأميرية ببولاق مصر .

تـبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري . لأبي القاسم علي بن الحسن المعروف بابن عساكر الدمشقي. ٥٧١هـ ط.الثالثة ١٤٠٤هـ دار الكتاب العربي بيروت لبنان .

التـبيين لأسماء المدلسين. لسبط ابن العجمي الشافعي. تحقيق : يحيى شفيق. ط.الأولى ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م دار الكتب العلمية بيروت .

تتـبع أوهـام الحاكم التي سكت عليها الذهبي . للشيخ مقبل بن هادي الوادعي . ط.الأولى ١٤١٧هـ/١٩٩٧م دار الحرمين للطباعة والنشر، القاهرة .

تجريد الفوائد الرقائق في شرح كتر الدقائق في فروع الحنفية . لأبي العباس أحمد بن محمد بن أحمد المعروف بالشلبي ١٠٢١هـ. مطبوع في هامش " تبيين الحقائق شرح كتر الدقائق " للزيعلي، وقد تقدم .

الـتحرير والتنوير من التفسير. لـمحمد بن طاهر بن عاشور ١٢٨٤هـ. ط.عام : ١٩٤٨م الدار التونسية، تونس .

تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي . لأبي العلاء محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري. ١٣٥٢هـ ط.الأولى ١٤١٠هـ/١٩٩٠م دار الكتب العلمية بيروت لبنان.

تحفـة القاري في الرد على الغماري . للشيخ حماد بن محمد الأنصاري. ط.عام : ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م ضمن السلسة الأنصارية الأولى، مكتبة المعلا الكويت.

الـتحفة المهدية شرح الرسالة التدمرية . للشيخ فالح بن مهدي آل مهدي . ط.الثالثة ١٤١٣ هـ كلية الدعوة وأصول الدين، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة المملكة العربية السعودية .

تحفـة المودود بأحكام المولود. للعلامة ابن القيم. تحقيق : بشير محمد عون. ط.الرابعة ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م مكتبة الرشد، الرياض، المملكة العربية السعودية.

تحفة النبلاء من قصص الأنبياء . انتخبه واختصره الحافظ ابن حجر العسقلاني من قصص الأنبياء لابن كثير . ضبط وتعليق : غنيم بن عباس بن غنيم . تقديم : د. السيد بن حسين العفاني . ط. الأولى ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م، مكتبة الصحابة، الشارقة الإمارات، وجدة المملكة العربية السعودية ومكتبة التابعين، القاهرة مصر .

الـتحقيق والإيضـاح لكثير من مسائل الحج والعمرة والزيارة على ضوء الكتاب والسنة . للشـيخ عـبد العزيـز بن عبد الله بن باز . ط.الثانية والثلاثون . ١٤٢١هـ/٢٠٠١م رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، الرياض .

تخجيـل من حرف التوراة والإنجيل. للقاضي أبي البقاء صالح بن الحسين الجعفري الهاشمي ٦٦٨هـ . تحقيق : شيخنا محمود عبد الرحمن قدح . ط.الأولى ١٤١٩هـ/١٩٩٨م . مكتبة العبيكان الرياض، تحت إشراف : المجلس العلمي بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة .

تخـريج أحاديث منتقدة في كتاب التوحيد لشيخ الإسلام : محمد بن عبد الوهاب. تأليف : الشيخ فريح بن صالح البهلال . ط.الأولى ١٤١٥هـ . دارالأثر الرياض .

تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي. لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ٩١١هـ. تحقيق : عبد الوهاب عبد اللطيف . ط.الثالثة ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م دار الكتب العلمية بيروت .

التدليس في الحديث : حقيقته وأقسامه وأحكامه ومراتبه والموصوفون به . للدكتورمسفر بن غرم الله الدميني . ط.الأولى ١٤١٢هـ/١٩٩٢م ، يطلب من المؤلف : ص.ب : ٩٠٢٠٤ الرياض : الرمز البريدي : ١١٦١٣ ، الرياض أو ص. ب : ١٩٦١ ، رأس الخيمة، الإمارات العربية المتحدة .

تذكـرة الأريـب في تفسير الغريب . لابن الجوزي. تحقيق : على حسين البواب . ط.الأولى ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م مكتبة المعارف الرياض .

تذكرة الحفاظ . لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ٧٤٢هـ . تصحيح : عبد الرحمن بن يحيى المعلمي دائرة المعارف العثمانية حيدرآباد الهند . تصوير : دار إحياء التراث العربي .

الـتذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة. لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي ٦٧١هـ. تحقيق : فواز أحمد زمرلي . ط.الخامسة ١٤١٧هـ/١٩٩٧م دار الكتاب العربي بيروت لبنان .

تذكـرة الموضـوعات . لـمحمد طاهر بن علي الهندي الفتني ٩٨٦هـ. الناشر : أمين دمج بيروت، الشيخ عبد الوكيل دمشق جامع الدرويشية .

تراث الإنسانية . لنخبة من الكتاب. الناشر : وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر . بدون .

تـرتيب المـدارك وتقـريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك. للقاضي عياض بن موسي اليحصبي ٥٤٤هـ . وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية .

الترغيب والترهيب . لأبي محمد عبد العظيم بن عبد القوي المنذري ٦٥٦هـ. ضبط وتعليق : مصطفى محمد عمارة، ط . الثالثة ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان .

تسـمية أصـحاب رسول الله ﷺ . للإمام محمد بن عيسى الترمذي ٢٧٩هـ. تحقيق : عماد الدين أحمد حيدر . ط. الأولى ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م دار الجنان بيروت لبنان .

التسهيل لعلوم التنزيل . لأبي القاسم محمد بن أحمد بن جزي الكلبي (ت : ٧٤١هـ) ضبط وتصحيح : محمد سالم هاشم . ط. الأولى ١٤١٥هـ/١٩٩٥م دار الكتب العلمية بيروت لبنان .

تصـريف الأفعال ومقدمة الصرف . للشيخ عبد الحميد عنتر . ط.الثانية ١٤٠٩هـ الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة .

تعجيـل الـندى بشرح قطر الندى . لـعبد الله بن صالح الفوزان . ط. الأولى ١٤١٩هـ/١٩٩٩م مكتبة الرشد الرياض .

التعريفات الاعتقادية. لسعد بن محمد بن علي آل عبد اللطيف. ط.الأولى ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م دار الوطن للنشر الرياض .

التعريفات . لعلي بن محمد بن علي الجرجاني (ت : ٨١٦هـ) . تحقيق : إبراهيم الأبياري . ط. الثانية ١٤١٣هـ/١٩٩٢م دار الكتاب العربي بيروت .

تعظيم قدر الصلاة . لأبي عبد الله محمد بن نصر المروزي ٢٩٤هـ. تحقيق : د. عبد الرحمن بن عبد الجبار الفريوائي . ط. الأولى ١٤٠٦هـ مكتبة الدار المدينة المنورة .

التعليق الصبيح على مشكاة المصابيح . الشيخ محمد إدريس الكاندهلوي . ط.الأولى عام : ١٣٥٤هـ . بمطبعة الاعتدال دمشق، من قبل : مجلس إشاعة الإسلام حيدر آباد دكن، الهند.

تغليق التعليق . للحافظ ابن حجر العسقلاني . تحقيق : سعيد عبد الرحمن موسى القزقي . ط.الأولى ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م المكتب الإسلامي بيروت ، دار عمار عمان الأردن .

تفسير آيات أشكلت على كثير من العلماء . لشيخ الإسلام ابن تيمية . تحقيق : عبد العزيز بن محمد الخليفة . ط.الأولى ١٤١٧هـ/١٩٩٦م مكتبة الرشد الرياض، شركة الرياض للنشر .

تفسير ابن جريج. جمعه : علي حسن عبد الغني. ط.الأولى ١٤١٣هـ مكتبة التراث الإسلامي القاهرة.

تفسير البحر المحيط . لأبي حيان محمد بن يوسف الأندلسي ٧٤٥هـ. تحقيق : عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض. ط.الأولى ١٤١٣هـ/١٩٩٣م دار الكتب العلمية بيروت لبنان .

تفسير الجلالين. جلال الدين محمد بن أحمد بن محمد الحلي ٨٦٤هـ وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ٩١١هـ. ط.الثامنة ١٤١٥هـ/١٩٩٤م دار ابن كثير دمشق سوريا .

تفسير سفيان الثوري. ١٦١هـ. ط.الأولى ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م دار الكتب العلمية بيروت لبنان.

تفسير سورة البقرة . للدكتور أمير عبد العزيز . ط.الأولى ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م دار الفرقان عمان الأردن و مؤسسة الرسالة بيروت لبنان .

التفسير الصحيح موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور . للشيخ حكمت بن بشير بن ياسين . ط.الأولى ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م دار المآثر المدينة المنورة .

تفسير الضحاك ١٠٥هـ. جمع ودراسة وتحقيق : محمد شكري أحمد الزاويتي . ط.الأولى ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م دار السلام القاهرة مصر .

تفسير غريب القرآن . لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة ٢٧٦هـ. تحقيق : السيد أحمد صقر . ط. عام : ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م دار الكتب العلمية بيروت.

تفسير غريب القرآن العظيم. لمحمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي توفي بعد ٦٦٦هـ. تحقيق : د.حسين ألمالي. ط.الأولى ١٩٩٧م، بمطابع مديرية النشر، التابعة لوقف الديانة التركي. أنقرة .

تفسير القرآن . لعبد الرزاق بن همام الصنعاني ٢١١هـ. تحقيق : مصطفى مسلم محمد . ط.الأولى ١٤١٠هـ مكتبة الرشد الرياض المملكة العربية السعودية .

تفسير القرآن . لأبي المظفر منصور بن محمد السمعاني ٤٨٩هـ . تحقيق : أبي تميم ياسر بن إبراهيم . ط.الأولى ١٤١٨هـ/١٩٩٧م دار الوطن الرياض .

تفسير القرآن الحكيم، الشهير بتفسير المنار. لمحمد رشيد رضا . ط. الثانية دار المعرفة بيروت .

تفسير القرآن العزيز . لأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي زمنين ٣٩٩هـ. تحقيق : حسين بن عكاشة، محمد بن مصطفى الكنز. ط. الأولى ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م الفاروق الحديثة القاهرة .

تفسير القرآن العظيم . للحافظ ابن كثير الدمشقي ٧٧٤هـ. طبع بدار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه . بدون .

تفسير القرآن العظيم مسندا عن رسول الله ﷺ والصحابة والتابعين . لعبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس الرازي ٣٢٧هـ . تحقيق : أ. د. أحمد بن عبد الله الغماري الزهراني . ط. الأولى . ١٤٠٨هـ مكتبة الدار بالمدينة المنورة ، دار طيبة الرياض ، دار ابن القيم الدمام .

وبتحقيق : أسعد محمد الطيب . ط. الأولى ١٤١٧هـ/١٩٩٧م مكتبة نزار مصطفى الباز ، مكة المكرمة و الرياض .

التفسير القرآني للقرآن . لعبد الكريم الخطيب ١٤٠٦هـ . دار الفكر العربي بيروت. بدون .

تفسير القمي . لأبي الحسن علي بن أبراهيم القمي الرافضي (من أعلام قرني ٣-٤هـ) . تصحيح وتعليق وتقديم : السيد طيب الموسوي الجزائري . ط.الثانية ١٣٨٧هـ/١٩٦٨م مطبعة النجف.

التفسير الكبير . لمحمد بن عمر الرازي ٦٠٦هـ. ط.الثالثة . دار إحياء التراث العربي بيروت.

تفسير مبهمات القرآن الموسوم بصلة الجمع وعائد التذييل لموصول كتابي الأعلام والتكميل. لأبي عبد الله محمد بن علي البلنسي ٧٨٢هـ. دراسة وتحقيق : حنيف بن حسن القاسمي. ط.الأولى ١٤١١هـ/١٩٩١م دار الغرب الإسلامي بيروت لبنان .

تفسير المعوذتين . للعلامة ابن القيم . ط.الرابعة عام : ١٣٩٤هـ المطبعة السلفية ومكتبتها . نشره : قصي محب الدين الخطيب .

التفسير المقتطف. للدكتور مصطفى خرم دل. ط. الأولى ١٤١٨هـ، دار إحسان طهران، إيران.

التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج . للدكتور وهبة الزحيلي . ط. الأولى ١٤١١هـ/١٩٩١م دار الفكر المعاصر بيروت، دار الفكر دمشق .

التفسير الوسيط للقرآن الكريم . للشيخ محمد سيد طنطاوي . مراجعة : عبد الرحمن العدوي. ط.عام : ١٤١٢هـ/١٩٩٢م دارالمعارف القاهرة .

التفسير والمفسرون . لمحمد حسين الذهبي . ط.الثانية ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م توزيع المكتبة السلفية المدينة المنورة . بدون ذكر بيانات النشر الأخرى .

التفكير الديني في العالم قبل الإسلام . للدكتور/ حاج اورانج كاي رحمات بن داتو بحر الدين. ترجمة : الدكتور / رؤوف شلبي. دار الثقافة، الدوحة قطر .

تقـريب التهذيب . للحافظ ابن حجر العسقلاني ٨٥٢هـ . تحقيق : محمد عوامه . ط.الرابعة ١٤١٢هـ/١٩٩٢م دار الرشيد سوريا حلب .

تكذيـب الـرؤية المزعومة من خادم الحجرة النبوية المسمى : الشيخ أحمد . لسماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز . منشور ضمن : المجموعة العلمية في العلوم الشرعية، المجموعة الأولى، المجلد الأول ، ط.الأولى ١٤٢١هـ . عمادة خدمة المجتمع بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة .

التكـاليف في ضوء القضاء والقدر . للدكتور أحمد بن علي بن عبد العال . ط.الأولى ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م دار هجر أبها، المملكة العربية السعودية .

تكمـلة الـبحر الرائق شرح كتر الدقائق . لـمحمد بن حسين الطوري ١١٣٨هـ. ضبط وتخريج : زكريا عميرات . ط.الأولي . دار الكتب العلمية بيروت .

تكملة معجم المؤلفين. لمحمد خير رمضان يوسف. ط. الأولى ١٤١٨هـ/١٩٩٧م دار ابن حزم بيروت.

تلبيس إبليس لابن الجوزي .تحقيق : خير الدين علي . دار الوعي العربي بيروت. بدون .

تلخيص كتاب الاستغاثة المعروف بالرد على البكري . لشيخ الإسلام ابن تيمية . تحقيق : محمد ابن علي عجال .ط. الأولي ١٤١٧هـ مكتبة الغرباء الأثرية المدينة .

تلخيص كتاب الموضوعات لابن الجوزي . لخصه : الحافظ الذهبي ٧٤٨هـ. تحقيق : أبي تميم ياسر ابن إبراهيم بن محمد . ط.الأولى ١٤٠٩هـ/١٩٩٨م مكتبة الرشد الرياض .

تلخيص المستدرك . للحافظ الذهبي، مطبوع مع المستدرك على الصحيحين للحاكم و سيأتي .

تمـام المنة في التعليق على فقه السنة. للشيخ محمد ناصر الدين الألباني. ط.الخامسة ١٤٢٢هـ دار الراية الرياض، المملكة العربية السعودية .

الـتمهيد لشرح كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد. للشيخ صالح بن عبد العزيز بن محمد آل الشيخ . ط. الأولى ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م دار التوحيد الرياض .

الـتمهيد لـما في الموطـأ من المعاني والأسانيد . للحافظ ابن عبد البر النمري ٤٦٣هـ. تحقيق : عبد الله ابن الصديق . ط. عام ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمملكة المغربية .

التنبه والرد على أهل الأهواء والبدع . لأبي الحسين محمد بن أحمد الملطي ٣٧٧هـ. تحقيق : محمـد زاهـد بن الحسن الكوثري . ط.عام ١٣٦٨هـ/١٩٤٩م . الناشر : عزت العطار الحسيني الدمشقي، مدير مكتب نشر الثقافة الإسلامية .

تتريـه الأنبياء عما نسب إليهم حثالة الأغبياء . لأبي الحسن علي بن أحمد السبتي الأموي المعروف بابن حمير. تحقيق : د. محمد رضوان الداية. ط.الأولى ١٤١١هـ/١٩٩٠م دار الفكر المعاصر بيروت.

تنزيـــه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة . لأبي الحسن علي بن محمد بن عراق الكـــناني ٩٦٣هـــ. تحقيق : عبد الوهاب عبد اللطيف، عبد الله محمد الصديق . ط. الأولى ١٣٩٩ هـــ/١٩٧٩م دار الكتب العلمية بيروت .

تنزيه القرآن عن المطاعن . للقاضي عبد الجبار بن أحمد الهمذاني ٤١٥هـــ. دار النهضة الحديثة بيروت لبنان . بدون .

تنوير الحلك بإمكان رؤية النبي والملك . [ضمن الحاوي للفتاوى]. لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي ٩١١هـــ. تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد . ط. عام : ١٤١١هـــ/١٩٩٠م المكتبة العصرية صيدا بيروت.

تـــنوير المقالة في حل ألفاظ الرسالة . لمحمد بن إبراهيم التتائي المالكي ٩٤٢هـــ . تحقيق : د. محمد عايش عبد العال شبير . ط.الأولى ١٤٠٩هـــ/١٩٨٨م . بدون .

تهافت الفلاسفة . لأبي حامد محمد بن محمد لغزالي ٥٠٥هـــ. تصحيح وتعليق : سليمان دنيا . ط.عام : ١٣٦٦هـــ/١٩٤٧م دار إحياء الكتب العربية . القاهرة .

تهذيـــب التفسير وتجريد التأويل مما ألحق به من الأباطيل وردئ الأقاويل . للشيخ عبد القادر ابن شيبة الحمد . ط. الأولى ١٤١٤هـــ/١٩٩٣م مكتبة المعارف الرياض .

تهذيب التهذيب . للحافظ ابن حجر العسقلاني ٨٥٢هـــ. ط.الثانية ١٤١٣هـــ/١٩٩٣م دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي بيروت لبنان .

تهذيـــب الكمـــال في أسماء الرجال . للحافظ أبي الحجاج يوسف المزي ٧٤٢هـــ . تحقيق : بشار عواد معروف . ط. الأولى ١٤١٣هـــ/١٩٩٢م مؤسسة الرسالة بيروت.

تهذيـــب الـــلغة . لـــمحمد بن أحمد الأزهري ٣٧٠هـــ. تحقيق : يعقوب عبد النبي !؟. الدار المصرية القاهرة مصر . بدون .

الـــتوبة في ضوء القرآن الكريم . للدكتورة .آمال بنت صالح نصير . ط.الأولى . ١٤١٩هـــ/ ١٩٩٨م دار الأندلس الخضراء، جدة، المملكة العربية السعودية .

الـــتوحيد الـــذي هو حق الله على العبيد . لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب. ط.الثانية . ١٤١٦هـــ/١٩٩٥م رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء . الرياض .

التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل. للإمام محمد بن إسحاق بن خزيمة ٣١١هـــ. تحقيق : د. عبد العزيز بن إبراهيم الشهوان . ط.الأولى ١٤١٨هـــ/١٩٨٨م دار الرشد الرياض.

الـــتوحيد والشرك في القرآن الكريم . لـــجعفر سبحاني – الشيعي الاثنا عشري – ط.الثانية ١٤٠٦هـــ/١٩٨٦هـــ مؤسسة الفكر الإسلامي .

التوحيد ومعرفة أسماء الله عز وجل وصفاته على الاتفاق والتفرد . للإمام محمد بن إسحاق بن محمد المعروف بابن منده ٣٩٥هـ . تحقيق : د. علي بن محمد بن ناصر الفقيهي ط.الأولى، مركز شؤون الدعوة، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة .

التوراة السامرية . ترجمة الكاهن السامري : أبي الحسن إسحاق الصوري. نشرها : أحمد حجازي السقا . ط. الأولى ط.١ عام : ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م مكتبة دار الأنصار القاهرة مصر .

التوصل إلى حقيقة التوسل المشروع والممنوع . محمد نسيب الرفاعي . ط.الأولى ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م بيروت لبنان، بدون .

التوسل أنواعه وأحكامه . تأليف وتنسيق : محمد عيد العباسي، من بحوث كتبها وألقاها : محمد ناصر الدين الألباني. ط.الرابعة ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م المكتب الإسلامي بيروت .

التوشيح شرح الجامع الصحيح . لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي ٩١١هـ. تحقيق : رضوان جامع رضوان . ط.الأولى ١٤١٩هـ/١٩٩٨م مكتبة الرشد الرياض .

توضيح الصرف . للدكتور عبد العزيز محمد فاخر، أستاذ ورئيس قسم اللغويات جامعة الأزهر القاهرة . ط.عام ١٤١٩هـ/١٩٩٩م . الناشر : المؤلف .

توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم الموسومة بالكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية. لأحمد بن إبراهيم بن عيسى. ط.الثالثة ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م المكتب الإسلامي بيروت.

توقيف الفريقين على خلود أهل الدارين . لمرعي بن يوسف الحنبيلي ١٠٣٣هـ. تحقيق : خليل بن عثمان الجبور السبيعي . ط.الأولى ١٤١٩هـ/١٩٩٨م دار ابن حزم بيروت .

التيسير بشرح الجامع الصغير . لـ عبد الرؤوف المناوي ط. عام : ١٢٨٦هـ. المطبعة المصرية ببولاق، وصورته المكتب الإسلامي بيروت .

تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد. للشيخ سليمان بن عبد الله آل الشيخ . ط . عام : ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م المكتب الإسلامي بيروت .

تيسير العلي القدير لاختصار ابن كثير. لمحمد نسيب الرفاعي. ط.الأولى ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م. بدون.

تيسير القرآن الكريم للقراءة والفهم المستقيم . لعبد الجليل عيسى . بدون .

تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان . للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي ١٣٧٦هـ. ط. الأولى ١٤١٨هـ/١٩٩٧م نشر : جمعية إحياء التراث الإسلامي الضاحية الكويت . توزيع : دار الصميعي الرياض، المملكة العربية السعودية .

تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن . للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي ١٣٧٦هـ. مطبوع ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفاته . ط. عام : ١٤١٢هـ/١٩٩٢م الناشر : مركز صالح بن صالح الثقافي، عنيزة . المملكة العربية السعودية .

(ث)

الــثقات . لأبي حاتم محمد بن حبان البستي ٣٥٤هـ . تحقيق : السيد شرف الدين أحمد . ط. الأولى ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م دار الفكر بيروت لبنان .

الثقات الذين ضعفوا في بعض شيوخهم . للدكتور صالح بن حامد الرفاعي . ط.عام : ١٤١٣ هـ . مركز البحث العلمي، الجامعة الإسلامية .

(ج)

جــامع بيــان العــلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله . للحافظ ابن عبد البر ٤٦٣هـ. ط.الأولى ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م إدارة الطباعة المنيرية، دار الكتب العلمية بيروت .

جــامع البيان عن تأويل آي القرآن . لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ٣١٠هـ . ط.عام : ١٤٠٥هـ دار الفكر بيروت لبنان .

وبتحقيق : محمود محمد شاكر، أحمد محمد شاكر . ط. الثانية دار المعارف بمصر .

جامع التحصيل في أحكام المراسيل . لخليل بن كيكلدي العلائي الدمشقي ٧٦١هـ. تحقيق : حمدي عبد المجيد السلفي . ط. الثانية ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م عالم الكتب بيروت.

الجــامع لأحكام القرآن . لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي ٦٧١هـ . تحقيق : أحمد عبد العليم البردوني .ط.الثانية ١٣٧٢هـ دار الشعب القاهرة مصر .

الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع . لأبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي ٤٦٣هـ. تحقيق : د. محمود الطحان . ط.عام : ١٤٠٣هـ مكتبة المعارف الرياض.

الجرح والتعديل . لأبي محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس الرازي ٣٢٧هـ. ط. الأولى ١٣٧٢هـ/١٩٥٣م مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد دكن الهند .

جلاء العينين في محاكمة الأحمدين . لأبي البركات نعمان بن محمود الآلوسي ١٣١٧هـ. الناشر : مطبعة المدني المؤسسة السعودية بمصر، دار المدني جدة، بدون ذكر بيانات النشر الأخرى.

الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي. لأبي الفرج المعافى بن زكريا النهرواني ٣٩٠هـ. تحقيق : د.إحسان عباس. ط.الأولى ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م عالم الكتب بيروت.

جمــع الجوامــع . لعبد الوهاب بن علي السبكي ٧٧١هـ. ضبط وتخريج : محمد عبد القادر شاهين . ط.الأولى ١٤١٨هـ/١٩٩٨م دار الكتب العلمية بيروت .

جمهرة اللغة . لمحمد بن الحسن الأزدي المعروف بابن دريد ٣٢١هـ. دار صادر بيروت .

جــناية التأويل الفاسد على العقيدة الإسلامية . للدكتور محمد أحمد لوح . ط.الأولى ١٤١٨ هـ/١٩٩٧م دار ابن عفان الخبر المملكة العربية السعودية .

الجـــن في القـــرآن والســـنة . ولي زار بن شاه ز الدين . ط. الأولى ١٤١٦هـ/١٩٩٦م دار البشائر الإسلامية بيروت لبنان .

الجواب الباهر في زوار المقابر . لشيخ الإسلام ابن تيمية ٧٢٨هـ. تحقيق : الشيخ عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني . ط. الأولى ١٤١٥هـ/١٩٩٤م مطبعة المدني القاهرة، دار المدني جدة .

الجـــواب الصحيح لمن بدل دين المسيح . لشيخ الإسلام ابن تيمية ٧٢٨هـ. تحقيق وتعليق : د.عـــلي بـــن حسن بن ناصر، د. عبد العزيز بن إبراهيم العسكر، د. حمدان بن محمد الحمدان . ط. الثانية ١٤١٩هـ/١٩٩٩م دار العاصمة الرياض .

الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي. للعلامة ابن القيم. ط.الأولى ١٩٩٤م اعتنى بنشره : قصي محب الدين الخطيب . المطبعة السلفية ومكتبتها .

جواهـــر الأفكـــار ومعادن الأسرار المستخرجة من كلام العزيز الجبار. للشيخ عبد القادر بن أحمد بدران ١٣٤١هـ. تحقيق : زهير الشاويش . ط.الأولى ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م المكتب الإسلامي بيروت .

الجواهر الحسان في تفسير القرآن. لعبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي ٨٧٥هـ تحقيق : عـــلي محمد معوض، عادل أحمد عبد الموجود، عبد الفتاح أبي سنة، ط. الأولى ١٤١٨هـ/١٩٩٧م دار إحياء التراث العربي بيروت.

الجواهر في تفسير القرآن الكريم . للشيخ طنطاوي جوهري المصري . ط . الثانية ١٣٥٠هـ مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر .

جواهـــر القـــرآن . لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي ٥٠٥هـ . تحقيق : د. محمد رشيد رضا القباني . ط. الأولى ١٩٨٥م دار إحياء العلوم بيروت .

(ح)

حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح. للعلامة ابن القيم ٧٥١هـ. دار الكتب العلمية بيروت.بدون.

حاشية السندي على سنن النسائي.[طبع مع سنن النسائي } دار إحياء التراث العربي بيروت. بدون .

حاشـــية العلامة عبد الرحمن بن جاد الله البناني المغربي ١١٩٨هـ، على شرح الجلال شمس الدين محمد بن أحمد المحلي ٨٦٤هـ، مطبوع مع " جمع الجوامع" لابن السبكي وقد تقدم.

حاشـــية العلامة العدوي على شرح أبي الحسن لرسالة ابن أبي زيد . علي بن أحمد الصعيدي العدوي ١١٨٩هـ . ط .عام : ١٣٥٥هـ المكتبة التجارية الكبرى بمصر .

حاشـــية الكلنـــبوي عـــلى شرح جلال الدين الدواني للعقائد العضدية . إسماعيل الكلنبوي ١٢٠٥هـ. ط.عام : ١٣١٨م المطبعة العثمانية استانبول تركيا .

حاضـــر العالم الإسلامي. تأليف : لوثروب ستودارد الأمريكي. نقله إلى العربية : عجاج نويهض، مع تعليقات وحواشي بقلم : الأمير شكيب أرسلان. ط. الرابعة ١٣٩٤هـ/١٩٧٢م دار الفكر بيروت.

حاضر العالم الإسلامي وقضاياه المعاصرة . للدكتور جميل عبد الله محمد المصري . كلية الدعوة وأصول الدين، الجامعة الإسلامية المدينة المنورة .

الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة . لأبي القاسم إسماعيل بن محمد التيمي الأصبهاني ٥٣٥هـ. تحقيق : محمد بن ربيع بن هادي عمير المدخلي ومحمد بن محمود أبو رحيم . ط.الأولى ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م دار الراية الرياض المملكة العربية السعودية .

الحكمة والتعليل في أفعال الله تعالى . لشيخنا الدكتور محمد ربيع هادي المدخلي .ط.الأولى ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م مكتبة لينة دمنهور .

حلية الأولياء وطبقات الأصفياء . لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني ٤٣٠هـ. ط. الثانية ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م دار الكتاب العربي بيروت .

حياة الأنبياء صلوات الله عليهم بعد وفاتهم . للحافظ أبي بكر البيهقي ٤٥٨هـ تحقيق : الدكتور أحمد بن عطية الغامدي . ط.الأولى ١٤١٤هـ/١٩٩٣م مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة.

(خ)

خطبة الحاجة التي كان رسول الله ﷺ يعلمها أصحابه . للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، . ط.الثالثة . ١٣٩٧هـ المكتب الإسلامي بيروت .

خصائص المصطفى ﷺ بين الغلو والجفا عرض ونقد على ضوء الكتاب والسنة . للشيخ/ الصادق بن محمد بن إبراهيم . ط. الأولى ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م مكتبة الرشد الرياض .

خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام من زمن النبي عليه الصلاة والسلام إلى وقتنا هذا بالتمام . للسيد أحمد بن زيني دحلان ١٣٠٤هـ. ط. الأولى ١٣٠٥هـ . المطبعة الخيرية بمصر .

خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى. لعلي بن أحمد السمهودي ٩١١هـ. ط.عام : ١٣٦٧هـ دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي و شركاه ، القاهرة .

خلق آدم وذريته كما ورد في التنزيل " فوائد وأحكام " . للدكتور عبد الله بن مطلق الطوالة. ط.الأولى ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م مكتبة الصحابة الرياض .

خلق أفعال العباد . للإمام البخاري . تحقيق : د. عبد الرحمن عميرة . ط. عام ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م دار المعارف السعودية الرياض .

(د)

دائرة معارف القرن العشرين . محمد فريد وجدي . ط. الثالثة ١٩٧١م دار المعرفة بيروت لبنان.

داون ونظرية التطور . تأليف : شمس الدين آق بلوت . ترجمة : أورخان محمد علي. ط.عام : ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م الناشر: الدار السعودية بجدة بالاتفاق مع دار يني آسيا في استانبول تركيا .

دراســات في الأديان : اليهودية والنصرانية . لشيخنا الدكتور سعود بن عبد العزيز الخلف .
ط.الأولى ١٤١٨هـ/١٩٩٧م مكتبة أضواء السلف الرياض .
دراسات في جغرافية الإنسان. للدكتور فاروق كامل عز الدين. ط. عام : ١٩٨٠م دار الثقافة بالقاهرة.
دراســات في العــربية وتاريخهــا . لــمحمد الخضر حسين . ط.الثانية ١٣٨٠هـ/١٩٦٠م
المكتب الإسلامي دمشق ، مكتبة دار الفتح دمشق .
دراســات في النبوة والرسالة . للشيخ عبد العزيز بن إبراهيم العسكر . ط.الأولى ١٤٠٤هـ/
١٩٨٤م مكتبة المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية .
درء تعارض العقل والنقل. لشيخ الإسلام بن تيمية ٧٢٨هـ. تحقيق : محمد رشاد سالم . ط .
عام : ١٣٩١هـ دار الكنوز الأدبية الرياض، المملكة العربية السعودية .
الدرة فيما يجب اعتقاده . للعلامة ابن حزم ٤٥٦هـ. تحقيق : أحمد بن ناصر بن محمد الحمد،
سعيد بن عبد الرحمن بن موسى القزقي. ط.الأولى ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م مكتبة التراث مكة المكرمة .
الــدرر الكامــنة في أعيان المائة الثامنة . للحافظ ابن حجر العسقلاني ٨٥٢هـ. طبعة دائرة
المعارف حيدر آباد الهند عام : ١٣٥٠هـ، تصوير دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان .
الدر المصون في علوم الكتاب المكنون. لأبي العباس أحمد بن يوسف المعروف بالسمين ٧٥٦هـ .
تحقيق : أحمد محمد الخراط . ط.الأولى ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م دار القلم دمشق .
الدر المنثور. لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي ٩١١هـ. ط.عام : ١٩٩٣م دار الفكر بيروت.
درر الحكــام في شــرح غرر الأحكام . محمد بن فراموز الشهير بملا خسرو الحنفي ٨٨٥هـ. طبعه
ونشره : قريمي يوسف ضيا ولوفجه لي راشد . عام : ١٣٣٠هـ مطبعة أحمد كامل الكائنة في دار الخلافة.
الــدرر الســنية في الأجوبة النجدية. جمع وترتيب : عبد الرحمن بن محمد بن قاسم القحطاني
١٣٩٢هـ. ط. السادسة ١٤١٧هـ/١٩٩٦م . بدون ذكر الناشر .
الدعــاء ومترلته من العقيدة الإسلامية. لأبي عبد الرحمن جيلان العروسي. ط. الأولى ١٤١٧هـ/
١٩٩٦م مكتبة الرشد الرياض وشركة الرياض للنشر .
دعوة التوحيد. لمحمد خليل هراس .ط. الأولى ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م مكتبة ابن تيمية القاهرة .
دعــوة شــيخ الإسلام ابن تيمية وأثرها في الحركات الإسلامية المعاصرة . لصلاح الدين بن
مقبول أحمد . ط. الأولى ١٤١٢هـ/١٩٩٢م مجمع البحوث العلمية الإسلامية تحت إشراف : مركز
" أبو الكلام آزاد " للتوعية الإسلامية جوغا بائي نيو دلهي الهند .
دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب بين المعارضين والمنصفين والمؤيدين . للشيخ محمد بن جميل
زينو . ط.الثالثة . مطبعة دار المجمع العلمي جدة المملكة العربية السعودية .

دفـــاع أهل السنة والإيمان عن حديث خلق آدم على صورة الرحمن. للشيخ عبد الله بن محمد ابـــن أحمـــد الدويش (ت : ١٤٠٨هـــ) الإشراف على الطباعة والتصحيح : عبد العزيز بن أحمد المشيقح . ط. الأولى ١٤١١هـــ/١٩٩٠م دار العليان بريدة القصيم .

دفـــع إيهـــام الاضـــطراب عن آيات الكتاب . للشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي ١٣٩٣هـــ. مطبوع ملحقا في آخر " أضواء البيان" له وقد تقدم.

دفع شبه من شبه و تمرد و نسب ذلك إلى السيد الجليل الإمام أحمد . ألفه : أبو بكر الحصني الدمشقي ٨٢٩هـــ . تحقيق : محمد زاهد بن الحسن الكوثري . المكتبة الأزهرية للتراث القاهرة .

دفـــع الشبهة والغرر عمن يحتج على فعل المعاصي بالقدر .لمرعي بن يوسف الكرمي الحنبلي ١٠٣٢هـــ. تحقيق : شيخنا الدكتور عبد الله بن سليمان الغفيلي ط.الأولى ١٤١٦هـــ/١٩٩٥م دار البخاري المدينة المنورة و بريدة، المملكة العربية السعودية .

دلائـــل النـــبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة . للحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي ٤٥٨هـــ. تحقيق : عبد المعطي قلعجي. ط. الأولى ١٤٠٥هـــ/١٩٨٥م. دارالكتب العلمية بيروت .

الديانـــات والعقـــائد في مختلف العصور . لأحمد عبد الغفور عطار . ط. الأولى ١٤٠١هـــ/ ١٩٨١م مكة المكرمة، لعل الناشر هو المؤلف نفسه .

الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج. لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي ٩١١هـــ. تحقيق : أبي إسحاق الحويني . ط.الأولى ١٤١٦هـــ/١٩٩٦م دار عفان الخبر المملكة العربية السعودية .

الدين . للدكتور محمد عبد الله دراز . ط.الثانية ١٣٩٠هـــ/١٩٧٠م دار القلم الكويت .

ديـــوان أبي الطيـــب المتـــنبي بشرح أبي البقاء العكبري المسمى " التبيان في شرح الديوان " تصحيح : مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري، عبد الحفيظ شلبي . دار الفكر بيروت.

ديـــوان بشار بن برد . شرح وتقديم وتكميل : محمد الطاهر بن عاشور، مراجعة وتصحيح : محمد شوقي أمين . ط.١٣٨٦هـــ/١٩٦٦م، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة .

ديـــوان الضعفاء والمتروكين وخلق من المجهولين وثقات فيهم لين . للحافظ الذهبي . تحقيق : حماد بن محمد الأنصاري . ط.الثانية . مكتبة النهضة الحديثة مكة المكرمة.

ديـــوان عمر ابن الفارض . ط.عام ١٣١٩هـــ . بالمطبعة الميمنية على نفقة أصحابها مصطفى البابي الحلبي وأخوية بكري وعيسى بمصر .

(ذ)

الذيل على طبقات الحنابلة . لأبي الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسين الشهير بابن رجب الحنبلي (ت : ٧٩٥هـــ) . دار المعرفة بيروت لبنان .

(ر)

رجـــال تفسير الطبري جرحا وتعديلا [من كلام أحمد شاكر ومحمود شاكر] جمع وترتيب : محمد صبحي بن حسن حلاق . ط.١٤٢٠هـ/١٩٩٩م دار ابن حزم بيروت .

رحلة الإيمان في جسم الإنسان . للدكتور حامد أحمد حامد . ط. الأولى ١٤١١هـ/١٩٩١م دار القلم دمشق .

الرحلة في طلب الحديث. للحافظ أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت البغدادي ٤٦٣هـ. تحقيق : نور الدين عتر .ط.الأولى ١٣٩٥هـ دار الكتب العلمية بيروت .

رد الإمـــام الدارمي عثمان بن سعيد على بشر المريسي العنيد . تحقيق : محمد حامد الفقي . ط.الأولى ١٣٥٨هـ دار الكتاب العلمية بيروت لبنان .

وبـــتحقيق : شيخنا الدكتور منصور بن عبد العزيز السماري، ط.الأولى ١٤١٩هـ/١٩٩٩م مكتبة أضواء السلف الرياض .

الـــرد على الاخنائي واستحباب زيارة خير البرية الزيارة الشرعية . لشيخ الإسلام ابن تيمية ٧٢٨هـــ. تحقيق : الشيخ عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني . ط.عام : ١٤٠٤هـ الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد الرياض .

الرد على الجهمية . للإمام عثمان بن سعيد الدارمي ٢٨٠هـ. تحقيق : بدر البدر .ط. الأولى ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م الدار السلفية الصفاة الكويت .

الـــرد على الجهمية . للحافظ ابن مندة ٣٩٥هـ . تحقيق : د.علي بن محمد ناصر الفقيهي . ط.الثانية ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م . بدون .

الـــرد على الزنادقة والجهمية . للإمام أحمد بن حنبل الشيباني ٢٤١هـ. تحقيق : محمد حسن راشد . ط.عام : ١٣٩٣هـ المطبعة السلفية القاهرة مصر .

الـــرد عـــلى المنطقيين . لشيخ الإسلام ابن تيمية ٧٢٨هـ. ط. الرابعة ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م إدارة ترجمان السنة لاهور باكستان .

الـــرد عـــلى من يقول القرآن مخلوق . لأبي بكر أحمد بن سليمان النجاد ٣٤٨هـ. تحقيق : رضاء الله محمد إدريس ط.عام : ١٤٠٠هـ مكتبة الصحابة الإسلامية، السالمية، الكويت .

الرد القويم على المجرم الأثيم . للشيخ حمود بن عبد الله بن حمود التويجري . ط. الثانية ١٤٠٦هـ دار العليان الحديثة بريدة القصيم، المملكة العربية السعودية .

رد المحـــتار عـــلى الدر المختار . الشهير بحاشية ابن عابدين . محمد أمين الشهير بابن عابدين ١٢٥٢هـــ. ط.الـــثانية ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، محمد محمود الحلبي وشركاه .

الردود . للشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد . ط. الأولى . ١٤١٤هـ دار العاصمة الرياض .

ردود على أباطيل . لمحمد الحامد . تحقيق : عبد الله بن إبراهيم الأنصاري . منشورات : المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت .

الرســـالة . لعـــبد الله بن أبي زيد القيرواني ٣٨٦هـ. تصحيح وتقديم : أحمد نصر . ط.عام : ١٣٥٤هـ/١٩٣٥م المكتبة التجارية الكبرى بمصر .

رسالة أخوية تقدم لإخوة الإسلام الشيعة. للشيخ أبي بكر جابر الجزائري. ط.عام : ١٤٢٠هـ. بدون.

رسالة إلى أهل الثغر. لأبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري ٣٢٤هـ. تحقيق : عبد الله شاكر محمد الجنيدي . ط.الأولى ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م مكتبة العلوم والحكم المدينة المنورة .

رسالة التوحيد. ترجمة كتاب " تقوية الإيمان " لمؤلفه : إسماعيل بن عبد الغني الدهلوي الشهيد ١٣٤٦هـ . تعـريب : أبي الحسن علي الندوي . ط.الثانية ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م المكتبة اليحيوية سهارنفور الهند ومكتبة ندوة العلماء لكهنؤ الهند.

الرسالة الحميدية في حقيقة الديانة الإسلامية وحقيقة الشريعة المحمدية . لحسين أفندي الجسر. ط.عام ١٣٢٢هـ بمطبعة الحميدية المصرية القاهرة .

رســـالة السجزي إلى أهل زبيد في الرد على من أنكر الحرف والصوت . لأبي نصر عبيد الله بن سعيد بن حاتم السجزي ٤٤٤هـ. تحقيق : شيخنا محمد با كريم با عبد الله . ط . الأولى ١٤١٤ هـ/١٩٩٤م دار الراية الرياض .

رســـالة في قنوت الأشياء كلها لله تعالى. [ضمن : جامع الرسائل] لشيخ الإسلام ابن تيمية . تحقيق : د. محمد رشاد سالم .ط.الأولى ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م مكتبة ابن تيمية القاهرة.

الرسل والرسالات. د.عمر سليمان الأشقر. ط.الثالثة ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م. مكتبة الفلاح الكويت.

رصـــف المباني في شرح حروف المعاني . لأحمد بن عبد النور المالقي ٧٠٢هـ. تحقيق : أحمد محمد الخراط. مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق . بدون .

ركائز الإيمان بين العقل والقلب. محمد الغزالي. ط.الأولى ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م، دار الاعتصام القاهرة.

رماح حزب الرحيم على نحور حزب الرجيم .لـــعمر بن سعيد الفوتي الطوري الكدوي . ط. عام : ١٣٨٣هـ . دار الفكر بيروت لبنان .

رمـــوز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز. للحافظ عبد الرزاق بن رزق الله الرسعني ٦٦١هـ. تحقيق : شيخنا الدكتور محمد صالح البراك . ط. الأولى ١٤١٩هـ/١٩٩٩م دار ابن الجوزي الدمام.

الـــروح . للعلامة ابن القيم ٧٥١هـ . تحقيق : الشيخ العارف الحاج . ط.الأولى ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م دار إحياء العلوم بيروت لبنان .

روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني . لأبي الفضل محمود الآلوسي ١٢٧٠هـ. دار إحياء التراث العربي بيروت .

الـروض الأنف في تفسير السيرة النبوية . لأبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي ٥٨١هـ.
ضبط وتعليق : طه عبد الرؤوف سعد . ط.عام: ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م دار المعرفة بيروت لبنان.
روضـة المحـبين ونزهة المشتاقين . للعلامة ابن القيم ٧٥١هـ. تحقيق : عبد الرزاق المهدي .
ط.الأولى ١٤١٦هـ/١٩٩٦م دار الخير بيروت، دار الصميعي الرياض .
الرياض الناضرة والحدائق الزاهرة في العقائد والفنون المتنوعة الفاخرة . للشيخ عبد الرحمن بن ناصـر السعدي١٣٧٦هـ، مطبوع ضمن المجوعة الكاملة لمؤلفاته . ط . الثانية ١٤١٢هـ/١٩٩٢م مركز صالح بن صالح الثقافي بعنيزة المملكة العربية السعودية .
الرياض النضرة في مناقب العشرة . لمحب الدين أحمد بن عبد الله الطبري ٦٩٤هـ. اعتني به : عبد المجيد طعمة حلبي . ط. الأولى ١٤١٨هـ/١٩٩٧م دار المعرفة بيروت لبنان .

(ز)

زاد المسـير في عـلم التفسير. لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي ٥٩٧هـ .
ط.الثالثة ١٤٠٤هـ المكتب الإسلامي بيروت لبنان.
زاد المعاد في هدي خير العباد. للعلامة ابن القيم ٧٥١هـ. تحقيق : شعيب الأرنؤوط، عبد القادر الأرنؤوط. ط.الرابعة عشر. ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م. مؤسسة الرسالة بيروت، مكتبة المنار الإسلامية الكويت.
الزاهـر في معاني كلمات الناس. لأبي بكر محمد بن القاسم الأنباري ٣٢٨هـ. تحقيق : حاتم صالح الضامن . ط.الثانية ١٩٨٧م دار الشؤون الثقافية العامة بغداد العراق .
الزندقة والزنادقة . لـعاطف شكري أبو عوض . دار الفكر عمان، المملكة الأردنية . بدون.
الـزهد. للإمـام أحمـد بن محمد بن حنبل الشيباني ٢٤١هـ. تحقيق : محمد السعيد بسيوني زغلول. ط. الأولى ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م دار الكتاب العربي .
الـزهد . لهـناد بن السري الكوفي ٢٤٣هـ. تحقيق : عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي . ط. الأولى ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م . دار الخلفاء للكتاب الإسلامي الصباحية الكويت .
الـزهد والـرقائق . لعبد الله بن المبارك المروزي . (ت : ١٨١هـ) تحقيق : أحمد فريد .
ط.الأولى ١٤١٥هـ/١٩٩٥م دار المعراج الدولية الرياض المملكة العربية السعودية .
زوابـع في وجـه السنة قديما وحديثا. لصلاح الدين بن مقبول أحمد. ط. الأولى ١٤١١هـ/ ١٩٩١م. مجمـع الـبحوث العـلمية الإسـلامية تحت إشراف : مركز " أبو الكلام آزاد " للتوعية الإسلامية جوغا بائي نيو دلهي الهند .

(س)

الساميون ولغاتهم . للدكتور حسن ظاظا . ط. الثانية ١٤١٠هـ/١٩٩٠م دار القلم دمشق، الدار الشامية بيروت، لبنان .

سبل السلام . لمحمد بن إسماعيل الصنعاني ١١٨٢هـ. ط. المكتبة التجارية الكبرى، بدون.
السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير . لمحمد بن أحمد الشربيني ٩٧٧هـ. ط.عام : ١٢٨٥هـ دار الطباعة بولاق القاهرة .
سعادة الدارين في الرد على الفرقتين الوهابية ومقلدة الظاهرية . لإبراهيم السمنودي المنصوري، كان حيا قبل ١٣٢٠هـ. ط.عام : ١٣١٩هـ بمطبعة جريدة الإسلام بمصر.
سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها . للشيخ محمد ناصر الدين الألباني . ط.الأولى ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م مكتبة المعارف الرياض المملكة العربية السعودية .
سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في العالم. للشيخ محمد ناصر الدين الألباني . ط.الثانية ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م مكتبة المعارف الرياض المملكة العربية السعودية .
السلفية وقضايا العصر. للدكتور عبد الرحمن بن زيد الزبيدي. ط. الأولى ١٤١٨هـ/١٩٩٨م مركز الدراسات و الإعلام دار إشبيليا الرياض .
سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر . للسيد محمد خليل أفندي المرادي . ط.عام : ١٣٠١ هـ المطبعة المنيرية ببولاق القاهرة ، مكتبة المثنى بغداد .
السنة . لعمرو بن أبي عاصم الضحاك الشيباني ٢٨٧هـ. تحقيق : محمد ناصر الدين الألباني . ط. الأولى ١٤٠٠هـ المكتب الإسلامي بيروت لبنان .
السنة . لعبد الله بن الإمام أحمد بن حنبل الشيباني ٢٩٠هـ. تحقيق : محمد سعيد سالم القحطاني . ط. الأولى ١٤٠٦هـ دار ابن القيم الدمام المملكة العربية السعودية .
السنة . لمحمد بن نصر بن الحجاج المروزي ٢٩٤هـ . تحقيق : سالم بن أحمد السلفي. ط.الأولى ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت.
السنة . لأبي بكر أحمد بن محمد الخلال ٣١١هـ . تحقيق : عطية بن عتيق الزهراني . ط.الثانية ١٤١٥هـ/١٩٩٤م دار الراية الرياض .
السنة النبوية ومطاعن المبتدعة فيها . للدكتور مكي الشامي . ط. الأولى ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م دار عمار للنشر عمان، الأردن .
سنن الترمذي . محمد بن عيسى الترمذي ٢٧٩هـ. تحقيق : أحمد محمد شاكر، دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان .
سنن أبي داود. سليمان بن أشعث السجستاني ٢٧٥هـ. تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد. دار الفكر .
سنن الدارقطني . علي بن عمر الدارقطني ٣٨٥هـ. تحقيق : السيد عبد الله هاشم يماني المدني، ط . عام : ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م دار المعرفة بيروت .

سـنن سعيد بن منصور الخراساني ٢٢٧هـ. تحقيق : الدكتور سعد بن عبد الله بن عبد العزيز آل حميد. ط.الأولى ١٤١٧هـ/١٩٩٧م دار الصميعي الرياض .

وبتحقيق : الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي، ط.الأولى ١٤٠٣هـ/١٩٨٢م، الدار السلفية ممبي الهند .

السـنن الكبرى . لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي ٣٠٣هـ. تحقيق : د. عبد الغفار سليمان البنداري، سيد كسروي حسن. ط. الأولى ١٤١١هـ/١٩٩١م دار الكتب العلمية بيروت .

السنن الكبرى. لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي ٤٥٨هـ. تحقيق : محمد عبد القادر عطا. ط.١٤١٤هـ/١٩٩٤م مكتبة دارالباز مكة المكرمة .

سـنن ابـن ماجه . لأبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني ٢٧٥هـ. تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي . ط. دار الفكر بيروت لبنان .

سـنن النسائي . لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي ٣٠٣هـ. حققه : عبد الفتاح أبو غدة . ط. الثانية ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م مكتب المطبوعات الإسلامية حلب .

سؤالات أبي عبد الرحمن السلمي للدارقطني في الجرح والتعديل. تحقيق : أ.د. سليمان آتش . ط. عام : ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م دار العلوم الرياض .

سؤالات أبي عبيد الآجري . أبا داود سليمان بن أشعث السجستاني ٢٧٥هـ. تحقيق : محمد علي قاسم العمري .ط.الأولى ١٣٩٩هـ/١٩٩٧م الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة .

سـؤال وجواب في أهم المهمات. للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي ١٣٧٦هـ، مطبوع ضمن المجوعة الكاملة لمؤلفاته . ط . الثانية ١٤١٢هـ/١٩٩٢م مركز صالح بن صالح الثقافي بعنيزة المملكة العربية السعودية .

سير أعلام النبلاء . للحافظ محمد بن أحمد الذهبي ٧٤٨هـ. تحقيق : شعيب الأرناؤوط، محمد العرقوسوسي. ط. التاسعة ١٤١٣هـ مؤسسة الرسالة بيروت لبنان.

السـيرة النـبوية . لعبد الملك بن هشام المعافري ٢١٣هـ. تحقيق : محمد علي القطب، محمد الدالي بلطة . ط.عام : ١٤٢١هـ/٢٠٠٢م المكتبة العصرية صيدا بيروت .

(ش)

شـذا العرف في فن الصرف . لأحمد بن محمد بن أحمد الحملاوي ١٣٥١هـ. ط.الثانية دار القلم بيروت لبنان .

شـرح أحمد زروق على متن الرسالة لابن أبي زيد القيرواني. لأحمد بن أحمد بن محمد الفاسي المالكي الشهير بزروق ٨٩٩هـ . ط. عام ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م دار الفكر .

شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة . لأبي القاسم هبة الله ابن الحسن اللألكائي ٤١٨هـ. تحقيق : أحمد سعد حمدان. دار طيبة الرياض، المملكة العربية السعودية.

شرح الأصول الخمسة. للقاضي عبد الجبار بن أحمد الهمذاني ٤١٥هـ. تعليق : أحمد بن الحسين بن أبي هاشم. تحقيق : د. عبد الكريم عثمان. ط.الثانية ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م. مكتبة وهبة، عابدين، مصر.

شرح ابن عقيل على ألفية مالك . عبد الله بن عقيل العقيلي الهمداني ٧٦٩هـ. ط. العشرون ١٩٨٠م دار التراث القاهرة مصر .

شـــرح جـــلال الدين الدواني للعقائد العضدية . مطبوع مع حاشية الكلنبوي عليه ط.عام : ١٣١٨م المطبعة العثمانية استانبول تركيا .

شـــرح جمل الزجاجي . لأبي الحسن علي بن مؤمن بن محمد بن علي ابن عصفور الإشبيلي ٦٦٩هـ. تقديم وفهرسة ووضع الهوامش : فواز الشعار. ط. الأولى ١٤١٩هـ/١٩٩٨م دار الكتب العلمية بيروت .

شـــرح ديـــوان جرير . مهدي محمد ناصر الدين . ط.الأولى ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م دار الكتب العلمية بيروت لبنان .

شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك . محمد بن عبد الباقي الزرقاني ١١٢٢هـ . ط. عام : ١٣٥٥هـ/١٩٣٦م المكتبة التجارية الكبرى بمصر .

شرح السيوطي لسنن النسائي [طبع مع سنن النسائي] . دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان.

شرح السنة . لأبي محمد الحسن بن علي بن خلف البربهاري ٣٢٩هـ. تحقيق : محمد بن سعيد بن سالم القحطاني . ط. الأولى ١٤٠٨هـ . دار ابن القيم الدمام .

شرح السنة. لأبي محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي ٥١٦هـ. تحقيق : شعيب الأرناؤوط. ط.الأولى ١٤٠٠هـ المكتب الإسلامي بيروت ، دمشق .

شـــرح الشـــفا. لملا علي القاري ١٠١٤هـ. مطبوع بهامش " نسيم الرياض في شرح شفاء القاضي عياض " وسيأتي .

شرح شافية ابن الحاجب. لرضي الدين محمد بن الحسن الاستراباذي النحوي ٦٨٦هـ. تحقيق : محمـــد نـــور الحسن، محمد الزفزاف، محمد محي الدين عبد الحميد . ط.عام ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م دار الكتب العلمية بيروت لبنان .

شرح صحيح البخاري. لأبي الحسن علي بن خلف بن عبد الملك المعروف بابن بطال ٤٤٩هـ. ضبط وتعليق : أبي تميم ياسر بن إبراهيم . ط. الأولى ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م مكتبة الرشد الرياض .

شرح عبد الرزاق القاشاني على فصوص الحكم لابن عربي . ط. الثانية ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر .

شـــرح العقائد العضدية . جلال الدين محمد بن أسعد الصديقي الدواني ٩٠٨هـ. اعتنى به : أحمد رفعت بن عثمان حلمي وآخرون . ط.عام ١٣١٨هـ.

شـــرح العقائد النسفية . لمسعود بن عمر التفتازاني ٧٩١هـ. تحقيق : محمد عدنان درويش . مراجعة : الشيخ أديب الكلاس . بدون .

شـــرح العقيدة الأصفهانية. لشيخ الإسلام ابن تيمية ٧٢٨هـ. تحقيق : سعيد بن نصر بن محمد. ط.الأولى ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م مكتبة الرشد الرياض .

شرح عقيدة أهل السنة والجماعة. (شرح العقيدة الطحاوية). تأليف : أكمل الدين محمد بن محمد البابرتي ٧٨٦هـ. تحقيق : د.عارف آيتكن . مراجعة : د.عبد الستار أبو غدة . ط.الأولى ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية دولة الكويت .

شرح عقيدة أهل السنة و الجماعة على مذهب الإمام مالك: شرح القيروانية الميسر. للدكتور محمد بن عبد الرحمن الخميس . طبع عام : ١٤٢٠هـ تحت إشراف : وكالة شؤون المطبوعات والنشر بوزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية .

شرح العقيدة الطحاوية. لعلي بن علي بن محمد المعروف بابن أبي العز الحنفي ٧٩٢هـ. تحقيق : الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، شعيب الأرنؤوط . ط.الثانية ١٤١٣هـ/١٩٩٣م مؤسسة الرسالة بيروت لبنان .

شـــرح العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية . شرحه : محمد بن الصالح العثيمين. خرج أحاديثه واعتنى به : سعد بن فواز الصميل . ط. الثانية ١٤١٥هـ . دار ابن الجوزي. الدمام .

شرح علل الترمذي . للحافظ ابن رجب الحنبلي ٧٩٥هـ. تحقيق : د.همام عبد الرحيم سعيد . ط.الأولى ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م مكتبة المنار الزرقاء الأردن .

شرح الفقه الأكبر . لملا علي القاري الحنفي ١٠١٤هـ. ط. الأولى ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م دار الكتب العلمية بيروت لبنان .

شـــرح قاســـم بن ناجي على متن الرسالة لابن أبي زيد القيرواني . قاسم بن عيسى بن ناجي التنوخي ٨٣٧هـ . ط.عام : ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م دار الفكر بيروت .

شرح القصيدة الميمية لابن القيم. شرحها : سعد المزعل . ط.الأولى ١٤١٨هـ/١٩٩٧م دار ابن حزم بيروت لبنان .

شـــرح كتاب التوحيد لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب. شرحه : سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز . ط.الأولى ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م دار الضياء طنطا مصر .

شـــرح كـــتاب التوحيد من صحيح البخاري . للشيخ عبد الله بن محمد الغنيمان . ط.الثانية ١٤١٣هـ/١٩٩٣م مكتبة لينة دمنهور .

شـــرح كـــنز الدقـــائق في فروع الحنفية. لملا مسكين ٩٥٤هـ. ط. الأولى بالمطبعة الحسينية المصرية عام ١٣٢٨هـ.

شـــرح مختصر الروضة . لنجم الدين سليمان بن عبد القوي بن عبد الكريم الطوفي ٧١٦هـــ. تحقيق : د. عبد الله بن عبد المحسن التركي . ط.الثانية ١٤١٩هـــ/١٩٩٨م توزيع : وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية .

شـــرح مقدمـــة ابن أبي زيد القيرواني في العقيدة . شرحها : الأمين الحاج محمد أحمد . ط. الأولى ١٤١٢هـــ/١٩٩٩م مكتبة دار المطبوعات الحديثة جدة .

شـــرح النووي على صحيح مسلم . يحيى بن شرف النووي ٦٧٦هـــ. ط.الثانية ١٣٩٣هـــ دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان .

الشـــرح والتعـــليل لألفاظ الجرح والتعديل . ليوسف محمد صديق . ط.الأولى ١٤١٠هـــ/ ١٩٩٠م مكتبة ابن تيمية الروضة الكويت .

الشـــرك في القديم والحديث . لأبي بكر محمد زكريا . ط.الأولى ١٤٢١هـــ/٢٠٠٠م مكتبة الرشد الرياض المملكة العربية السعودية .

الشريعة . لأبي بكر محمد بن الحسين الآجري ٣٦٠هـــ. تحقيق : عبد الله بن عمر الدميجي . ط.الأولى ١٤١٨هـــ/١٩٩٧م دار الوطن الرياض .

شـــطحات مصـــطفى محمـــود في تفسيراته العصرية للقرآن الكريم. للشيخ عبد المتعال محمد الجبري. دار اعتصام. بدون .

شعب الإيمان . لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي ٤٥٨هـــ. تحقيق : محمد السعيد بن بسيوني زغلول . ط . الأولى ١٤١٠هـــ/١٩٩٠م دار الكتب العلمية بيروت .

الشـــعر والشعراء أو طبقات الشعراء . لعبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ٢٧٦هـــ. تحقيق: د.مفيد قميحة. مراجعة : نعيم زر زور. ط. الثانية ١٤٠٥هـــ/١٩٨٥م دار الكتب العلمية بيروت.

الشفا بتعريف حقوق المصطفى . للقاضي عياض بن موسى اليحصبي ٥٤٤هـــ. تحقيق : علي محمد البجاوي . طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي و شركاه القاهرة، عام : ١٩٧٧م .

شفاء السقام في زيارة خير الأنام . لعلي بن عبد الكافي السبكي ٧٥٦هـــ. ط.الثانية ١٩٧٨م دار الآفاق الجديدة بيروت لبنان.

شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل. للعلامة ابن القيم ٧٥١هـــ. تحقيق : محمد بدر الدين أبي فراس النعساني الحلبي. ط. الأولى ١٣٢٣هـــ مكتبة الرياض الحديثة. المملكة العربية السعودية.

الشـــمائل المحمديـــة . لأبي عيســـى محمد بن عيسى الترمذي ٢٧٩هـــ. تخريج وتعليق : عزت عبيد الدعاس، ط.الثانية ١٣٩٦هـــ/١٩٧٦م مؤسسة الزعبي بيروت لبنان .

شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم . لنشوان بن سعيد الحميري ٥٧٣هـ. تحقيق : أ.د. حسين بن عبد الله العمري، أ.مطهر بن علي الأرياني، أ.د. يوسف محمد عبد الله . ط. الأولى ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م دار الفكر دمشق، دار الفكر المعاصر بيروت .

شواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق ﷺ . ليوسف بن إسماعيل النبهاني ١٣٥٠هـ. ط. عام : ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م دار الفكر بيروت لبنان .

الشيعة والقرآن . للشيخ إحسان إلهي ظهير . إدارة ترجمان السنة، لاهور باكستان .

(ص)

الصارم المسلول على شاتم الرسول . لشيخ الإسلام ابن تيمية ٧٢٨هـ. تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد . الناشر : الحرس الوطني السعودي بإشراف الإدارة العامة للشؤون الدينية . مؤسسة الممتاز الرياض المملكة العربية السعودية .

الصارم المنكي في الرد على السبكي . لمحمد بن أحمد بن عبد الهادي ٧٤٤هـ . تحقيق : إسماعيل بن محمد الأنصاري . مكتبة التوعية الإسلامية لإحياء التراث الإسلامي . بدون.

الصحاح تاج اللغة و صحاح العربية . لإسماعيل بن حماد الجوهري ٣٩٣هـ. تحقيق : أحمد عبد الغفور عطا . ط.الثانية ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م دارالعلم للملايين بيروت لبنان .

صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري . تأليف : محمد ناصرالدين الألباني ط.الثانية ١٤١٥ هـ/١٩٩٤م دار الصديق الجبيل المملكة العربية السعودية .

صحيح البخاري . أمير المؤمنين في الحديث محمد بن إسماعيل البخاري ٢٥٦هـ. تحقيق : مصطفى ديب البغا . ط. الثالثة ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م دار ابن كثير بيروت لبنان .

صحيح الجامع الصغير وزيادته . للشيخ محمد ناصر الدين الألباني . ط. الثالثة . ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م المكتب الإسلامي بيروت، لبنان .

الصحيح الجامع لأخبار الجن والشيطان من القرآن والسنة وأقوال أهل العلم. لوائل بن السعيد ابن الدمرداش بن المتولي آل درويش . ط.الأولى ١٤١٧هـ/١٩٩٦م دار الفتوح الإسلامية القاهرة .

صحيح ابن خزيمة . محمد بن إسحاق بن خزيمة النيسابوري ٣١١هـ. تحقيق : محمد مصطفى الأعظمي .ط.عام : ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م المكتب الإسلامي بيروت لبنان .

صحيح سنن الترمذي . للشيخ محمد ناصر الدين الألباني . ط.الأولى ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م مكتبة المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية .

صحيح سنن أبي داود . للشيخ محمد ناصر الدين الألباني . ط.الأولى ١٤١٩هـ/١٩٩٨م مكتبة المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية .

صـــحيح ســـنن ابن ماجه . للشيخ محمد ناصر الدين الألباني . ط.الأولى ١٤١٧هـ/١٩٩٧م مكتبة المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية .

صـــحيح ســـنن النسائي . محمد ناصر الدين الألباني . ط.الأولى ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض، المملكة العربية السعودية .

صـــحيح القصـــص النبوي . للدكتور عمر سليمان عبد الله الأشقر. ط. الرابعة ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م دار النفائس الأردن .

صـــحيح مســـلم. مسلم بن الحجاج القشيري ٢٦١هـ. تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي. دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان .

صريح السنة . لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ٣١٠هـ. تحقيق : بدر بن يوسف المعتوق . ط.الأولى ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م دار الخلفاء للكتاب الإسلامي. الصباحية الكويت.

الصفات . للإمام علي بن عمر الدارقطني ٣٨٥هـ. تحقيق : علي بن محمد بن ناصر الفقيهي. ط. الأولى ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، الناشر هو المحقق، المدينة المنورة.

الصـــفات الإلهية في الكتاب والسنة النبوية في ضوء الإثبات والتتريه . للشيخ محمد أمان بن علي الجامي. ط. الثانية ١٤١٣هـ كلية الدعوة وأصول الدين، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة .

صـــفات الله عـــزوجل . للشيخ صالح علي المسند . ط.الثانية ١٤١٢هـ/١٩٩١م دار المدني جدة، المملكة العربية السعودية .

صـــفات الله عز وجل الواردة في الكتاب والسنة. لعلوي بن عبد القادر السقاف . ط.الأولى ١٤١٤هـ/١٩٩٤م دار الهجرة الرياض المملكة العربية السعودية .

صـــفة الجنة . لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني ٤٣٠هـ. تحقيق : علي رضا بن عبد الله بن علي رضا . ط. الثانية ١٤١٥هـ/١٩٩٥م دار المأمون بيروت لبنان .

صـــفة الجنة وما أعد الله لأهلها من النعيم. لأبي بكر عبد الله بن محمد البغدادي المعروف بابن أبي الدنيـــا ٢٨١هـ. تحقيق : عبد الرحيم أحمد عبد الرحيم العساسلة .ط. الأولى ١٤١٧هـ/١٩٩٧م مؤسسة الرسالة بيروت لبنان، دار البشير عمان الأردن .

صـــفة صلاة النبي ﷺ من التكبير إلى التسليم كأنك تراها . للشيخ محمد ناصر الدين الألباني ط.السادسة . ١٣٩١هـ المكتب الإسلامي بيروت .

الصـــفدية . لشـــيخ الإســـلام ابن تيمية ٧٢٨هـ. تحقيق : د. محمد رشاد سالم . ط . الثانية ١٤٠٦هـ . طبع على نفقة أحد المحسنين وقفا لله تعالى .

صـــفوة الآثـــار والمفاهيم من تفسير القرآن العظيم . للشيخ عبد الرحمن بن محمد الدوسري ١٣٨٩هـ. ط. الثانية ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م مكتبة الرشد الرياض .

صـــفوة الـــبيان لمعاني القرآن. لحسنين محمد مخلوف ١٤١٠هـــ. ط. الثانية ١٤٠٢هـــ، لجنة الاحتفالات بمقدم القرن الخامس عشر الهجري، دولة الإمارات العربية المتحدة.

صفوة التفاسير . محمد علي الصابوني . ط. الخامسة ١٤٠٦هـــ/١٩٨٦م دار القلم بيروت .

الصواعق المترلة على الطائفة الجهمية والمعطلة . للعلامة ابن القيم ٧٥١هـــ. تحقيق : شيخنا الدكتور أحمد عطية الغامدي ط.عام ١٤١٠هـــ كلية الدعوة وأصول الدين، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

وبتحقيق : الدكتور علي بن محمد الدخيل الله. ط.الثالثة ١٤١٨هـــ/١٩٩٨م دار العاصمة الرياض .

صـــوفيات : خطاب مفتوح إلى حضرة صاحب السماحة شيخ مشايخ الطرق الصوفية من عبد الرحمن الوكيل . ط.الأولى ١٤١٣هـــ مركز خدمة المؤلف الرياض .

(ض)

الضعفاء . لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني ٤٣٠هـــ. تحقيق : د.فاروق حمادة. ط.الأولى ١٤٠٥هـــ/١٩٨٤م، دار الثقافة، الدار البيضاء المغرب .

الضعفاء الصغير. للإمام البخاري. تحقيق : عبد العزيز عز الدين السيروان. ط.الأولى ١٤٠٥هـــ/ ١٩٨٥م دار القلم بيروت لبنان.

الضعفاء الكبير . لأبي جعفر محمد بن عمر العقيلي ٣٢٢هـــ. تحقيق : عبد المعطي أمين قلعجي ط. الأولى ١٤٠٤هـــ/١٩٨٤م دار الكتب العلمية بيروت لبنان.

الضـــعفاء والمـــتروكون . للإمام أحمد بن شعيب النسائي ٣٠٣هـــ. تحقيق : عبد العزيز عز الدين السيروان . ط.الأولى ١٤٠٥هـــ/١٩٨٥م دار القلم بيروت .

الضعفاء والمتروكون . للإمام علي بن عمر الدارقطني ٣٨٥هـــ . تحقيق : عبد العزيز عز الدين السيروان . ط.الأولى ١٤٠٥هـــ/١٩٨٥م دار القلم بيروت .

الضـــعفاء والمـــتروكون . لأبي الفـــرج عبد الرحمن بن علي المعروف بابن الجوزي ٥٧٩هـــ. تحقيق : عبد الله القاضي . ط الأولي ١٤٠٦هـــ دار الكتب العلمية بيروت .

ضـــعيف الجامع الصغير وزيادته. للشيخ محمد ناصر الألباني . ط.الثالثة . ١٤١٠هـــ/١٩٩٠م المكتب الإسلامي بيروت .

ضـــعيف ســـنن أبي داود . للشيخ محمد ناصر الدين الألباني . ط.الأولى ١٤١٩هـــ/١٩٩٨م مكتبة المعارف الرياض .

ضـــعيف ســـنن الترمذي . للشيخ محمد ناصر الدين الألباني . ط.الأولى ١٤١١هـــ/١٩٩١م المكتب الإسلامي بيروت لبنان .

الضوء اللامع لأهل القرن التاسع . لشمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي . ط.الأولى ١٤١٢هـــ/١٩٩٢م دار الجيل بيروت لبنان .

ضوابط الجرح والتعديل . لشيخنا الدكتور عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم العبد اللطيف . ط. الأولى ١٤١٢هـ . الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة .

ضياء السالك إلى أوضح المسالك . لمحمد عبد العزيز النجار . الناشر : مكتبة ابن تيمية القاهرة مصر . وتوزيع : مكتبة العلم بجدة المملكة العربية السعودية .

(ط)

طبقات الحنابلة. للقاضي أبي الحسين محمد بن أبي يعلى الحنبلي. دار المعرفة بيروت لبنان. بدون .

طبقات الشافعية الكبرى . لعبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي ٧٧١هـ. تحقيق : عبد الفتاح محمد الحلو، محمود محمد الطناحي . دار إحياء الكتب العربية القاهرة. بدون .

الطبقات الكبرى . لمحمد بن سعد البصري ٢٣٠هـ. دار صادر بيروت . بدون .

طبقات المدلسين . للحافظ ابن حجر العسقلاني ٨٥٢ هـ. تحقيق : د.عاصم بن عبد الله القريوتي . ط. الأولى ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م مكتبة المنار عمان .

طبقات المفسرين . لأحمد بن محمد الأدنه وي . تحقيق : سليمانبن صالح الخزي . ط.الأولى ١٤١٧هـ/١٩٩٧م مكتبة العلوم والحكم المدينة المنورة .

الطب محراب الإيمان. لـ "خالص جلبي كنجو". ط. الثانية ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م مؤسسة الرسالة بيروت .

طريق الهجرتين وباب السعادتين . للعلامة ابن القيم ٧٥١هـ. تحقيق : عبد الله بن إبراهيم الأنصاري ط.عام : ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م إدارة الشئون الدينية قطر.

(ظ)

ظاهرة التفسير العلمي للقرآن الكريم. ألفه : خليل إبراهيم أبو ذياب . ط. الأولى ١٤٢٠ هـ/١٩٩٩م دار عمار عمان الأردن .

ظلمات أبي رية أمام أضواء السنة المحمدية . ألفه : محمد عبد الرزاق حمزة . ط.عام : ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م حديث أكادمي فيصل آباد باكستان .

(ع)

عارضة الأحوذي شرح جامع الترمذي . لأبي بكر ابن العربي المالكي . ط.عام : ١٣٥٣هـ/ ١٩٣٤م، مطبعة الصاوي .

عالم الجن في ضوء الكتاب والسنة . لعبد الكريم نوفان فواز عبيدات . ط. الأولى ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م دار ابن تيمية الرياض .

عالم الجن والشياطين . للدكتور عمر سليمان الأشقر. ط. الربعة ١٤٠٤هـ مكتبة الفلاح الكويت.

العبر في خبر من غبر . لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ٧٤٨هـ. تحقيق : صلاح الدين المنجد . ط.عام : ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م وزارة الإرشاد والأنباء، الكويت .

العجاب في بيان الأسباب . للحافظ ابن حجر العسقلاني ٨٥٢هـ. تحقيق : عبد الحكيم محمد الأنيس . ط. السادسة ١٤١٨هـ/١٩٩٧م دار ابن الجوزي الدمام .

عـداء الماتـريدية للعقيدة السلفية وموقفهم من الأسماء والصفات اللهية . لشمس الدين بن محمد أشرف الأفغاني . ط. الثانية ١٤١٩هـ/١٩٩٨م، بدون ذكر الناشر وبلد النشر.

عصمة الأنبياء . لمحمد بن عمر بن الحسن الرازي ٦٠٦هـ . ط. الأولى ١٤٠١هـ/١٩٨١م دار الكتب العلمية بيروت، لبنان .

عصمة الأنبياء والرد على الشبه الموجهة إليهم . للدكتورمحمد أبو النور الحديدي . ط.عام : ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م مطبعة الأمانة، مصر .

العصمة والرسل والورثة هم النذر . لأحمد أحمد نور . بدون .

العظمـة . لأبي محمد عبد الله محمد بن جعفر الأصبهاني ٣٦٩هـ. تحقيق : رضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري . ط.الأولى ١٤٠٨هـ دار العاصمة الرياض المملكة العربية السعودية .

عقائد علماء الديوبند. سيد طالب الرحمن .ط. الأولى ١٤١٧هـ/١٩٩٦م دار الكتاب والسنة كراتشي باكستان .

العقد الفريد. لأبي عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي ٣٢٧هـ. شرح وضبط وتصحيح : أحمد أمين، أحمد الزين، إبراهيم الأبياري ط.الثالثة ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة .

العقلانيـة هدايـة أم غواية. لعبد السلام البسيوني . ط.الأولى ١٤١٢هـ/١٩٩٢م، دارالوفا المنصورة، مصر .

العقلانيـون أفـراخ المعتزلة العصريون . لعلي بن حسن بن علي الحلبي الأثري . ط. الأولى ١٤١٣هـ/١٩٩٣م مكتبة الغرباء الأثرية المدينة المنورة .

العقيـدة الإسلامية وأسسها . لعبد الرحمن حبنكة الميداني . ط.الخامسة ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م دار القلم دمشق وبيروت .

عقيـدة أهـل الإيمـان في خلق آدم على صورة الرحمن . للشيخ حمود بن عبد الله بن حمود التويجري . ط.الثانية ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م دار اللواء الرياض .

عقيدة أهل السنة والجماعة [ضمن المجموعة العلمية في العلوم الشرعية، المجموعة الأولى، المجلد الأول] . للشـيخ محمـد بن صالح العثيمين . ط. الأولى ١٤٢١هـ. عمادة خدمة المجتمع، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة .

عقيـدة الـتوحيد في القرآن الكريم . لمحمد أحمد محمد عبد القادر خليل ملكاوي . ط.الأولى ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م دار ابن تيمية للنشر الرياض .

عقيدة السلف أصحاب الحديث أو الرسالة في اعتقاد أهل السنة وأصحاب الحديث والأئمة . لأبي إسماعيل عبد الرحمن بن إسماعيل الصابوني. تحقيق : بدر البدر . ط.الأولى ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م الدار السلفية الصفاة الكويت .

العقيدة السلفية والرد على المنحرفين عنها . ألفه : الطيب بن عمر بن الحسين الجكني . ط.الأولى ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م المكتب الإسلامي بيروت ، دار ابن حزم بيروت .

العقيدة في الله . للدكتور عمر سليمان الأشقر .ط.الخامسة ١٩٨٤م مكتبة الفلاح الكويت .

عقيدة المسلم . لمحمد الغزالي . ط.الرابعة ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م دار القلم دمشق .

علماء المسلمين والوهابيون . لحسين حلمي ايشيق بن سعيد استنابولي ١٣٩٢هـ. مكتبة ايشيق استانبول تركيا .

العلم في مواجهة المادية . (قراءة في كتاب : حدود العلم لسوليفان) . الدكتور عماد الدين خليل . ط.الثانية ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م مؤسسة الرسالة بيروت .

العلم ومشكلات الإنسان. ليوسف مصطفى الحاروني. دار الكتاب العربي القاهرة مصر، بدون.

العلم يدعو للإيمان . تأليف : أ. كرسي موريسون . ترجمة : محمود صالح الفلكي . ط.الأولى ١٩٨٦م دار القلم بيروت لبنان .

العلو للعلي الغفار . للحافظ محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ٧٤٨هـ. تحقيق : أبي محمد أشرف بن عبد المقصود. ط.الأولى ١٩٩٥م مكتبة أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية.

عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ . لأحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي ٧٥٦هـ. تحقيق : محمد باسل عيون السود . ط.الأولى ١٤١٧هـ/١٩٩٦م دار الكتب العلمية بيروت .

عمدة القاري شرح صحيح البخاري. لأبي محمد محمود بن أحمد بن موسى المعروف بالبدرالعيني ٨٥٥هـ. ط.عام : ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م دار الفكر بيروت .

العمدة في صناعة لشعر ونقده . لأبي علي الحسن بن رشيق القيرواني ٤٥٦هـ. تحقيق : د. البنوي عبد الواحد شعلان. ط.الأولى ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م مكتبة الخانجي بالقاهرة .

عمل اليوم والليلة . للإمام أحمد بن شعيب النسائي ٣٠٣هـ . تحقيق : د.فاروق حمادة . ط.الثانية ١٤٠٦هـ مؤسسة الرسالة بيروت لبنان .

علوم البلاغة . لأحمد مصطفى المراغي . مراجعة : أبو الوفاء مصطفى المراغي . ط. الخامسة . المكتبة المحمودية التجارية . بدون .

عناية القاضي وكفاية الراضي. للقاضي شهاب الدين أحمد بن محمد الخفاجي ١٠٦٩هـ. ضبط وتخريج : عبد الرزاق المهدي . ط. الأولى ١٤١٧هـ/١٩٩٧م دار الكتب العلمية بيروت لبنان .

عـــون المعـــبود شرح سنن أبي داود . لأبي الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي . ط.الأولى ١٤١٠هـــ/١٩٩٠م دار الكتب العلمية بيروت لبنان .

العـــين . لأبي عـــبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي ١٧٥هـــ. تحقيق : مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي . بدون ذكر بيانات النشر الأخرى .

(غ)

غايـــة الأمـــاني في الرد على النبهاني. للعلامة محمود شكري الآلوسي ١٣٤٢هـــ. ط.الثانية ١٣٩١هـــ مطابع نجد الرياض، المملكة العربية السعودية .

غـــرائب التفســـير وعجائب التأويل . لمحمود بن حمزة الكرماني ٥٣٥هـــ. تحقيق : شمران سركال يونس العجلي . ط. الأولى ١٤٠٨هـــ/١٩٨٨م دار القبلة جدة، مؤسسة علوم القرآن بيروت .

غـــرائب القرآن ورغائب الفرقان. لنظام الدين الحسن بن محمد الحسين القمي النسابوري ٨٢٨هـــ. تحقيق : إبراهيم عطوة عوض . ط. الأولى ١٣٨١هـــ/١٩٦٢م شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر .

الغنية في أصول الدين . لأبي سعيد عبد الرحمن بن محمد النيسابوري ٤٧٨هـــ. تحقيق : عماد الدين أحمد حيدر . ط. الأولى ١٩٨٧م ، مؤسسة الخدمات والأبحاث الثقافية بيروت .

(ف)

الفـــارق بـــين المخلوق والخالق . لعبد الرحمن باجه جي زاده . تدقيق وتعليق : عصام فارس الحرستاني . ط. الأولى ١٤١٩هـــ/١٩٩٨م دار عمار عمان الأردن.

فتاوى قاضي خان [مطبوع مع الفتاوى الهندية]، وسيأتي ذكره .

فـــتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء . جمع وترتيب : الشيخ أحمد بن عبد الرزاق الدويـــش . ط.الثالـــثة ١٤١٩هـــ الرئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، الرياض المملكة العربية السعودية . توزيع : دار العاصمة الرياض .

فـــتاوى نور على الدرب، من أجوبة سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز . ط. الأولى ١٤٢٠هـــ/٢٠٠٠م رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، الرياض .

الفـــتاوى الهندية المعروف بالفتاوى العالمكيرية في مذهب الإمام أبي حنيفة. رتبه مجموعة من علماء الهند الأحـــناف بأمـــر من السلطان أبي المظفر محي الدين محمد أورنك زيب بهارد عالمكير بادشاه غازي. ط.الثانية عام : ١٣١٠هـــ المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق مصر. وصورته المكتبة الإسلامية محمد ازدمير تركيا .

فتاوى ورسائل سماحة الشيخ عبد الرزاق عفيفي. إعداد : وليد بن إدريس بن منسي، السعيد بن صابر عبده . ط.الأولى ١٤١٨هـــ/١٩٩٧م دار الفضيلة الرياض .

فتح الباري . للحافظ ابن حجر العسقلاني ٨٥٢هـ. تصحيح : الشيخ عبد العزيز بن عبد الله ابن باز، ترقيم : محمد فؤاد عبد الباقي، إشراف على الطبعة : محب الدين الخطيب. دار المعرفة بيروت .

فتح البيان في مقاصد القرآن. لصديق حسن خان القنوجي ١٣٠٧هـ. اعتنى بطباعته : عبد الله بن إبراهيم الأنصاري. ط.عام ١٤١٢هـ/١٩٩٢م المكتبة العصرية بيروت لبنان .

الفتح الرباني شرح على نظم رسالة ابن أبي زيد القيرواني . لمحمد بن أحمد الشنقيطي الموريتاني (كان حيا عام : ١٣٧٩هـ) . مكتبة القاهرة ، مصر . بدون .

فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير . لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني ١٢٥٠هـ. دار الفكر بيروت لبنان .

فتح المجيد لشرح كتاب التوحيد . لعبد الرحمن بن حسن آل الشيخ ١٢٨٥هـ. تحقيق : د. الوليد بن عبد الرحمن بن محمد آل فريان . ط.الرابعة ١٤١٩هـ/١٩٩٩م توزيع وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد. المملكة العربية السعودية .

فتح الملهم شرح صحيح مسلم . لشبير أحمد العثماني الديوبندي ط.الأولى مكتبة الحجاز كراتشي باكستان . بدون .

الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية . لسليمان بن عمر العجيلي الشهير بالجمل ١٢٠٤هـ. طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه بمصر . بدون.

الفتوحات الربانية على الأذكار النواوية . لمحمد بن علان الصديقي الشافعي الأشعري المكي ١٠٥٧هـ. ط.عام ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م دار الفكر بيروت .

الفتوحات المكية . لمحيي الدين ابن عربي ٦٣٨هـ. تحقيق : د. عثمان يحيى، مراجعة : د. إبراهيم مدكور . ط.عام : ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م المكتبة العربية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، وزارة الثقافة والإعلام، جمهورية مصر العربية .

الفردوس بمأثور الخطاب. لأبي شجاع شيرويه بن شهر دار بن شيرويه الديلمي ٥٠٩هـ. تحقيق : السعيد بن بسيوني زغلول . ط . الأولى ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م دار الكتب العلمية بيروت . توزيع : دار الباز عباس أحمد الباز مكة المكرمة .

الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية . لعبد القاهر بن طاهر البغدادي ٤٢٩هـ. ط. الثانية ١٩٧٧هـ دار الآفاق الجديدة بيروت .

فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها . لشيخنا الدكتور غالب بن علي عواجي . ط.الثالثة ١٤١٨هـ/١٩٩٧م دار لينة دمنهور .

فــرق وطــبقات المعتزلة أو المنية والأمل في شرح كتاب الملل والنحل . للقاضي عبد الجبار الهمــذاني ٤١٥هـــ. نقله عنه : أحمد بن يحيى بن المرتضى . تحقيق : د.علي سامي النشار، أ. عصام الدين محمد علي . ط.عام ١٩٧٢م دار المطبوعات الجامعية . بدون .

الفــروق في الــلغة . لأبي هــلال حسن بن عبد الله بن سهل العسكري توفي بعد ٤٠٠هـــ. ط.الثالثة ١٩٧٩م دار الآفاق الجديدة بيروت .

الفــريد في إعراب القرآن المجيد . لحسين بن أبي العز الهمذاني ٦٤٣هـــ. تحقيق : محمد حسن النمر .ط.الأولى ١٤١١هـــ/١٩٩١م دار الثقافة الدوحة قطر .

الفصل في الملل والأهواء والنحل. للعلامة ابن حزم ٤٥٦هـــ. صححه وذيله بالهوامش : عبد الرحمن خليفة. ط. الأولى ١٣٤٧هـــ، طبعه : محمد علي صبيح في مطبعته الواقعة بجوار الأزهر بمصر.

فصــوص الحكم . لمحي الدين ابن عربي ٦٣٨هـــ . بتعليق : أبي العلاء عفيفي . دار الكتاب العربي بيروت لبنان . بدون

فصــول في أديان الهند . لشيخنا الدكتور محمد ضياء الرحمن الأعظمي. ط.الأولى ١٤١٧هـــ/ ١٩٩٧م دار البخاري المدينة المنورة .

فضائح الصوفية. لعبد الرحمن عبد الخالق. ط.الأولى ١٤٠٤هـــ/١٩٨٤م مكتبة ابن تيمية الكويت.

فضــائل الصحابة. للإمام أحمد ابن حنبل الشيباني ٢٤١هـــ. تحقيق : د. وصي الله بن محمد عباس. ط.الأولى ١٤٠٣هـــ/١٩٨٣م مركز البحث العلمي جامعة أم القرى، مؤسسة الرسالة بيروت.

فضــل المديــنة وآداب سكناها وزيارتها . للشيخ عبد المحسن بن حمد العباد البدر . ط.الأولى ١٤٢١هـــ/٢٠٠٠م . طبع بمطابع الوحيد، مكة .

الفقه الأكبر . المنسوب إلى الإمام أبي حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي، رواية حماد بن أبي حنيفة عــن أبيه . مع شرحه " الشرح الميسر " للدكتور محمد بن عبد الرحمن الخميس . طبع ونشر : وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد الرياض، المملكة العربية السعودية .

الفقيــه والمــتفقه . لأبي بكــر أحمد بن علي الخطيب البغدادي ٤٦٣هـــ . تصحيح وتعليق : إسماعيل الأنصاري ط. الثانية ١٤٠٠هـــ/١٩٨٠م دار الكتب العلمية بيروت .

الفكــر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة . للشيخ عبد الرحمن عبد الخالق . ط.الرابعة ١٤١٠هـــ/ ١٩٨٩م دار الحرمين القاهرة مصر .

الفكر المادي الحديث وموقف الإسلام منه. للدكتور محمود عتمان. مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة.

فلســفة النــبوة والأنــبياء في ضوء القرآن والسنة . للشيخ آدم عبدالله الألوري . ط.الأولى ١٤٠٣هـــ/١٩٨٣م مكتبة وهبة، مصر .

الفهرســـت . لمحمد بن إسحاق بن أبي يعقوب النديم ٣٨٥هـ. ط.عام : ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م دار المعرفة بيروت لبنان .

الفوائـــد . لـــلحافظ أبي القاسم تمام بن محمد الرازي ٤١٤هـ. تحقيق : حمدي بن عبد المجيد السلفي ط.الأولى ١٤١٢هـ/١٩٩٢م مكتبة الرشد الرياض .

الفوائد. للعلامة ابن القيم ٧٥١هـ . تحقيق : الشحات أحمد الطحان.ط. الأولى ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م مكتبة المنارات، المنصورة، مصر .

الفوائد البهية في تراجم الحنفية. للشيخ محمد عبد الحي اللكنوي. دار المعرفة بيروت لبنان. بدون .

الفوائـــد المجـــتمعة في بيان الفرق الضالة والمبتدعة . تأليف : إسماعيل بن عبد الباقي اليازجي ١١٢١هـ . تحقيق وتعليق : الدكتور يوسف بن محمد السعيد . ط. الأولى ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م دار أطلس الخضراء الرياض .

الفوائـــد المجموعـــة في الأحاديث الموضوعة . لمحمد بن علي الشوكاني ١٢٥٠هـ. تحقيق : عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني . ط. الثانية ١٣٩٣هـ. توزيع : المكتب الإسلامي بيروت .

الفواكـــه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني . لأحمد بن غنيم بن سالم النفراوي المالكي ١١٢٥هـ. دار الفكر بيروت . بدون .

فيـــض القديـــر شـــرح الجامع الصغير . للعلامة عبد الرؤوف المناوي ١٠٣١هـ. ط. الثانية ١٣٩١هـ/١٩٧٢م دار المعرفة بيروت لبنان.

في رحاب التفسير. لعبد الحميد كشك. المكتب المصري الحديث. القاهرة مصر. بدون.

في ســـبيل موســـوعة فلسفية. جمعه : مصطفى غالب. منشورات دار ومكتبة الهلال بيروت – سلسلة في أربع مجلدات وكل مجلد طبع في أوقات مختلفة.

في ظلال القرآن . لسيد قطب . ط.العاشرة . ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م دار الشروق بيروت لبنان.

في موكب النبيين . لسيد أحمد الكيلاني . ط. الأولى ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م دار القلم الكويت.

(ق)

قـــاعدة جليـــلة في التوســـل والوســـيلة . لشيخ الإسلام ابن تيمية ٧٢٨هـ. تحقيق : عبد القادر الأرناؤوط. ط.الأولى ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م تحت إشراف : رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء الرياض .

قـــاعدة مختصـــرة في وجوب طاعة الله ورسوله ﷺ وولاة الأمور . لشيخ الإسلام ابن تيمية ٧٢٨هـ. تحقيـــق : شيخنا الدكتور عبد الرزاق بن عبد المحسن العباد البدر. الإدارة العامة للتوعية والتوجيه بالرياسة العامة لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، المملكة العربية السعودية .

القـــاموس المحيط . لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي . ط. الثانية ١٣٧١هـ/١٩٥٢م شركة مكتبة و مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر .

القرآن محاولة لفهم عصري. لمصطفى محمود. ط.الثانية ١٩٧٧م دار المعارف القاهرة . مصر.

قصـــد السبيل فيما في اللغة العربية من الدخيل. لمحمد الأمين بن فضل المحبي ١١١١هـ. تحقيق : عثمان محمد الصيني . ط.الأولى ١٤١٥هـ/١٩٩٤م مكتبة التوبة الرياض المملكة العربية السعودية.

قصــص الأنبياء . للحافظ إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي ٧٧٤هـ. تحقيق : أبي مصعب بلال بن حبشي طبري الجزائري . مراجعة : عبد الله مصلح . ط.الأولى ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م دار هجر أبها، المملكة العربية السعودية .

قصــص الأنــبياء . لعــبد الوهاب النجار . ط. الرابعة ١٣٧٥هـ/١٩٥٦م المكتبة التجارية الكبرى شارع محمد علي بمصر .

قصــص الأنبياء . للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي ١٣٧٦هـ، تحقيق : أشرف بن عبد المقصود . ط.الأولى ١٤١٦هـ/١٩٩٥م مكتبة أضواء السلف . الرياض .

قصص الأنبياء أحداثها وعبرها . لمحمد الفقي . ط. مكتبة وهبة القاهرة . مصر .

قصــص الأنــبياء، القصص الحق . للشيخ عبد القادر بن شية الحمد. ط.الأولى ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م مكتبة المعارف الرياض .

قصــص الــرحمن في ظــلال القرآن. لأحمد فايز الحمصي . ط. الأولى ١٤١٥هـ/١٩٩٥م مؤسسة الرسالة بيروت لبنان .

القصص القرآني في منطوقه ومفهومه. لعبد الكريم الخطيب١٤٠٦هـ . ط.الثانية ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م دار المعرفة بيروت.

قصص المرسلين في كتاب رب العالمين. للشيخ أبي بكر جابر الجزائري. ط.عام ١٤٢٠هـ. بدون.

قصص وعبر، نظرات تحليلية في القصة القرآنية . لمحمد المجذوب . الدار السعودية للنشر بدون.

قصتا آدم ويوسف. لعبد الكريم الخطيب . دار الفكر العربي . بدون معلومات النشر الأخرى .

قصة الإيمان بين الفلسفة والعلم والقرآن . للشيخ نديم الجسر. طرابلس لبنان . بدون.

قصـــة الحضارة . تأليف : ول ديورانت . ترجمة : د. زكي نجيب محمود . ط. الثالثة ١٩٦٨م الناشر : الإدارة الثقافية في جامعة الدول العربية. مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة مصر .

القصة القرآنية هداية وبيان. للدكتور وهبة الزحيلي. ط. الأولى ١٤١٣هـ، دار الخير بيروت.

القصيدة النونية المسماة بالكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية المعروفة. للعلامة ابن القيم ٧٥١هـ. اعتنى به : عبدالله بن محمد العمير. ط. الأولى ١٤١٦هـ/١٩٩٦م، دار ابن خزيمة الرياض.

القضـــاء والقدر في الإسلام . للدكتور فاروق أحمد حسن الدسوقي. ط. الثانية ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م المكتب الإسلامي بيروت، مكتبة الخانجي الرياض .

القضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة ومذاهب الناس فيه . للدكتور عبد الرحمن بن صالح المحمود . ط.الثانية ١٤١٨هـ/١٩٩٧م دار الوطن الرياض .

قضـــية الألوهية بين الفلسفة والدين : الله ذاتا وموضوعا . لعبد الكريم الخطيب ١٤٠٦هـ. ط.الثالثة ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م دار المعرفة بيروت لبنان .

قطـــف الجـــنى الداني شرح مقدمة رسالة ابن أبي زيد القيرواني . للشيخ عبد المحسن بن حمد العباد البدر . ط. الأولى ١٤٢٣هـ دار الفضيلة الرياض .

قواعـــد الترجيح عند المفسرين. حسين بن علي بن حسين الحربي . مراجعة وتقديم: مناع بن خليل القطان . ط.الأولى ١٤١٧هـ/١٩٩٦م دار القاسم الرياض .

القواعـــد المثـــلى في صـــفات الله وأسمائه الحسنى. للشيخ محمد بن صالح العثيمين . ط.الثالثة ١٤٠٩هـ مركز شؤون الدعوة، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة .

القـــول المفيد على كتاب التوحيد. للشيخ محمد بن صالح العثيمين. جمع وتخريج : د. سليمان ابـــن عبد الله الخيل، خالد بن علي المشيقح .ط.الأولى ١٤١٨هـ/١٩٩٧م دار ابن الجوزي، الدمام، المملكة العربية السعودية.

(ك)

الكاشف عن حقائق السنن . لأبي عبد الله حسين بن محمد بن عبد الله الطيبي ٧٤٣هـ. تحقيق : المفـــتي عـــبد الغفار، نعيم أشرف، محب الله، شبير أحمد، بديع السيد اللحام . ط. الأولى ١٤١٣هـ إدارة القرآن والعلوم الإسلامية كراتشي باكستان .

الكاشـــف في معرفة من له رواية في الكتب الستة . للحافظ محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ٧٤٨هـــ. تحقيق : محمد عوامة، أحمد محمد نمر الخطيب . ط.الأولى ١٤١٣هـ/١٩٩٢م دار القبلة للثقافة الإسلامية جدة، مؤسسة علوم القرآن جدة.

الكـــامل في الـــتاريخ . لأبي الحسن علي بن محمد الشيباني المعروف بابن الأثير ٦٣٠هـ. ط. السادسة ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م دار الكتاب العربي بيروت .

الكـــامل في ضـــعفاء الـــرجال . لأبي أحمد عبد الله بن عدي الجرجاني ٣٦٥هـ. ط.الأولى ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م. دار الفكر بيروت لبنان .

كـــبرى اليقينيات الكونية . للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي . ط.التاسعة ١٤١١هـ دار الفكر المعاصر بيروت لبنان، دار الفكر دمشق سورية .

الكتاب المقدس . ط. عام : ١٩٨٢م دار الكتاب المقدس القاهرة مصر .

كســـر الصـــنم (نقض كتاب أصول الكافي) . ألفه : آية الله العظمى السيد أبو الفضل ابن الرضـــا البرقعي . ترجمة : عبد الرحيم ملا زاد البلوشي، مراجعة وتعليق : عمر محمود أبو عمر . ط.

الأولى باللغة العربية ١٤١٩هـ/١٩٩٨م ، من منشورات : رابطة أهل السنة في إيران . دار البيارق ، عمان . الأردن ، بيروت لبنان .

الكشـاف عن حقائق غوامض التتريل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. لأبي القاسم محمود بـن عمـر الزمخشـري ٥٣٨هـ. تحقيق : أحمد عادل عبد الموجود، علي محمد معوض. ط. الأولى ١٤١٨هـ/١٩٩٨م مكتبة العبيكان الرياض .

كشـف الأستار عن زوائد البزار على الكتب الستة. لنور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي ٨٠٧هـ. تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي. ط. الثانية ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م مؤسسة الرسالة بيروت لبنان .

كشف الأسرار . ألفه : روح الله الخميني الرافضي. ترجمه عن الفارسية : د. محمد البنداري . وعـلق عـليه : سـليم الهـلالي . وقدم له : د. محمد أحمد الخطيب . ط.الثالثة . ١٩٨٨م . اتحاد الجمعيات الإسلامية في أمريكا وكندا، وجمعية آل البيت في أمريكا . دار عمار، عمان الأردن .

كشـف السـتار عما يظن أنه عار. للشيخ أبي بكر جابر الجزائري. ط. عام : ١٤١٧هـ. مطابع الإيمان . بدون .

كشف الحقائق شرح كتر الدقائق . لعبد الحكيم الأفغاني ١٣٢٦هـ. تصحيح : محمود العطار . ط.الأولى ١٣٢٢هـ في مطبعة الموسوعات بمصر .

كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون . لمصطفى أفندي بن عبد الله أفندي الشهير بحاجي خليفة ١٠٦٧هـ. مكتبة المثنى بغداد .

كفاية الطالب الرباني لرسالة ابن أبي زيد القيرواني. لعلي بن محمد بن محمد المنوفي ٩٣٩هـ. تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد . مكتبة محمد علي صبيح وأولاده بميدان الأزهر بمصر . بدون .

الكفاية في شرح الهداية. لجلال الدين بن شمس الدين الخوارزمي الكرلاني. تصحيح : شير محمد خان بن غلام محمد خان، ومحمد رحم إلهي . طبع عام : ١٢٨٢هـ مطبع أحمدي بدهلي عام ١٢٨٢هـ .

الكلام على مسألة السماع. للعلامة ابن القيم ٧٥١هـ . تحقيق : راشد بن عبد العزيز الحمد. ط.الأولى ١٤٠٩هـ . دار العاصمة الرياض .

كواشـف زيوف في المذاهب الفكرية المعاصرة . لعبد الرحمن حسن حبنكة الميداني. ط.الأولى ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م دار القلم دمشق .

الكواكـب الـدراري شـرح صـحيح البخاري . لشمس الدين محمد بن يوسف المعروف بالكرماني ٧٨٦هـ. ط.الثانية ١٤٠١هـ/١٩٨١م دار إحياء التراث العربي بيروت .

كوثـر المعـاني الدراري في كشف خبايا صحيح البخاري . لمحمد الخضر الجكني الشنقيطي ١٣٥٤هـ . ط.الأولى ١٤١٥هـ/١٩٩٥م مؤسسة الرسالة بيروت .

الكوكب الدري على جامع الترمذي . للشيخ محمد يحيى بن محمد إسماعيل الكاندهلوي ١٢٣٤هـ. تحقيق وتعليق : محمد زكريا بن محمد يحيى الكاندهلوي. ط. مطبعة ندوة العلماء، لكهنؤ الهند.

كيد الشيطان لنفسه قبل خلق آدم ﷺ ومعه مذاهب الفرق الضالة . لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد المعروف بابن الجوزي ٥٩٧هـ. تحقيق : أبي الأشبال الزهيري . ط.الأولى ١٤١٢٠ هـ/١٩٩٥م مكتبة ابن تيمية القاهرة .

(ل)

اللآلي المصنوعة في الأحاديث الموضوعة. لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي ٩١١هـ. ط.الثانية ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م دار المعرفة بيروت لبنان .

لباب التأويل في معاني التنزيل. لعلي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن ٧٢٥هـ. ضبط وتصحيح : عبد السلام محمد علي شاهين. ط. الأولى ١٤١٥هـ/١٩٩٥م، دار الكتب العلمية بيروت.

اللباب في علوم الكتاب . لأبي حفص عمر بن علي بن عادل الدمشقي الحنبلي توفي بعد : ٨٨٠هـ . تحقيق : أحمد عادل عبد الموجود، علي محمد معوض. ط.الأولى ١٤١٩هـ/١٩٩٨م دار الكتب العلمية بيروت لبنان .

لسان العرب . لأبي الفضل محمد بن مكرم المعروف بابن منظور ٧٧١هـ. اعتنى به : أمين محمد عبد الوهاب، محمد الصادق العبيدي . ط. الثانية ١٤١٧هـ/١٩٩٧م دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي بيروت لبنان .

لسان الميزان . للحافظ ابن حجر العسقلاني ٨٥٢هـ. دار الكتاب الإسلامي القاهرة. ط. الأولى، وهي مصورة من طبعة حيدر آباد الهند عام : ١٣٣٠هـ .

لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف . لابن رجب الحنبلي ٧٩٥هـ. ضبط وتعليق : إبراهيم رمضان، سعيد اللحام . ط.الأولى ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م دار الكتب العلمية بيروت .

لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد. لعبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي ٦٢٠هـ. تخريج وتعليق : بدر بن عبد الله البدر. ط.الأولى ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م الدار السلفية الصفاة الكويت.

لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية. لمحمد بن أحمد السفاريني الحنبلي ١١٨٨هـ. ط. الثانية ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م . منشورات : مؤسسة الخافقين ومكتبتها، محمد مفيد الخيمي، دمشق.

(م)

ما اتفق لفظه واختلف معناه . لأبي السعادات هبة الله بن علي بن محمد الحسني المعروف بابن الشجري ٥٤٢هـ. تحقيق : أحمد حسن بسج . ط.الأولى ١٤١٧هـ/١٩٩٦م دار الكتب العلمية بيروت .

مـــا أصل الإنسان ؟ إجابات العلم والكتب المقدسة. للدكتور. موريس بوكائي. ترجمة : مكتب التربية العربي لدول الخليج الرياض. ط. الأولى ١٤٠٦هـــ/١٩٨٥م بالاتفاق مع مؤسسة سيغرز باريس.

ما جاء في البدع. لمحمد بن وضاح القرطبي ٢٨٧هـــ. تحقيق : بدر بن عبد الله البدر. ط.الأولى ١٤١٦هـــ/١٩٩٦م دارالصميعي الرياض، المملكة العربية السعودية .

مباحث بريئة في الإنجيل. لمصطفى أحمد الرفاعي اللبان. ط. عام : ١٣٥٧هـــ. المطبعة السلفية القاهرة .

المتشابه من القرآن . لمحمد علي حسن الحلي . ط. الأولى ١٩٦٥م دار الفكر بيروت لبنان .

مجاز القرآن . لأبي عبيدة معمر بن المثنى التيمي ٢١٠هـــ. مقابلة وتعليق : محمد فؤاد سزكين . مكتبة الخانجي القاهرة . بدون .

المجروحين . لأبي حاتم محمد بن حبان البستي ٣٥٤هـــ. تحقيق : محمود إبراهيم زايد. دار الوعي حلب.

مجمـــع الـــبيان في تفسير القرآن. ألفه : الفضل بن الحسن الطبرسي الرافضي. تحقيق : الحاج السيد هاشم الرسولي المحلاتي. دار إحياء التراث العربي بيروت. بدون .

مجمـــع الـــزوائد ومنبع الفوائد . لعلي بن أبي بكر الهيثمي ٨٠٧هـــ. ط.الثانية ١٩٦٧م دار الكتب العلمية بيروت .

مجموعـــة الرســـائل والمسائل . لشيخ الإسلام ابن تيمية . ط.الأولى ١٤٠٣هـــ/١٩٨٣م دار الكتب العلمية بيروت لبنان .

مجموعـــة الرسائل والمسائل النجدية . جماعة من علماء نجد . إشراف : عبد السلام بن برجس بن ناصر آل عبد الكريم. ط . الثانية ١٤٠٩هـــ دار العاصمة الرياض .

مجمـــوع فـــتاوي شـــيخ الإسلام أحمد بن تيمية . جمع وترتيب : عبد الرحمن بن محمد بن قاسم وساعده ابنه محمد. ط.عام : ١٤١٦هـــ/١٩٩٥م، في مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة. تحت إشراف : وزارة الشوؤن الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية .

مجمـــوع فـــتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثمين . جمع وترتيب : فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان. ط.الثانية ١٤١٤هـــ/١٩٩٤م دار الثريا للنشر، الرياض، مؤسسة الجريسي للتوزيع، الرياض .

مجمـــوع فـــتاوى سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز . إعداد وتقديم : أ . د. عبد الله بن محمد بن أحمد الطيار والشيخ أحمد بن عبد العزيز بن باز . ط.الأولى ١٤١٦هـــ دار الوطن الرياض .

مجمـــوع فـــتاوى ومقـــالات متنوعة . للشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الرحمن بن باز . ط.الثالثة ١٤٢١هـــ. إعداد : محمد سعد الشويعر . رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، الرياض .

المجمـــوع في ترجمة العلامة المحدث الشيخ حماد بن محمد الأنصاري – رحمه الله تعالى- وسيرته وأقوالـــه ورحلاته . تأليف : عبد الأول بن حماد الأنصاري . ط.الأولى ١٤٢٢هـــ/٢٠٠٢م، الناشر هو المؤلف : المدينة المنورة .

محاســن الــتأويل. لمحمد جمال الدين القاسمي ١٣٣٢هـ. تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي . ط. الثانية ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م دار الفكر بيروت .

محاضرات في النصرانية . ألقاها وكتبها: الشيخ محمد أبو زهرة . ط. الثالثة ١٣٨٥هـ/١٩٩٦م مطبعة المدني . العباسية، عمارة النجمة . بدون .

المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي ٥٤٦هـ. تحقيق : المجلس العلمي بفاس . ط.عام : ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م دار الكتاب الإسلامي القاهرة .

المحصــول في عــلم أصول الفقه . لمحمد بن عمر بن الحسن الرازي ٦٠٦هـ. تحقيق : د. طه جابر فياض العلواني . ط.الثالثة ١٤١٨هـ/١٩٩٧م مؤسسة الرسالة بيروت.

محــق التقول في مسألة التوسل [ضمن مقالات الكوثري] . لمحمد زاهد بن حسن الكوثري ١٣٧١هـ . قام بطبعها ونشرها : راتب حاكمي . عام : ١٣٨٨هـ.

المحكم والمحيط الأعظم. لعلي بن إسماعيل بن سيده ٤٥٨هـ. تحقيق : محمد علي النجار . ط. الأولى ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية، المكتبة التجارية مصطفى أحمد الباز بمكة .

المحلى. للعلامة ابن حزم ٤٥٦هـ. تحقيق : أحمد محمد شاكر، مكتبة دار التراث القاهرة. بدون.

مختار الصحاح. لمحمد بن أبي بكر عبد القادر الرازي ٧٢١هـ. تحقيق : محمود خاطر . ط.عام : ١٤١٥هـ/١٩٩٥م مكتبة بيروت لبنان .

المخـــتار من الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة لابن بطة العكبري. تحقيق : الوليد بن محمد نبيه بن يوسف النصر . ط.الأولى ١٤١٨هـ دار الراية الرياض .

مختصـــر الأسئلة والأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية . للشيخ عبد العزيز المحمد السلمان . ط. الثالثة عشر . ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م الرياض .

مختصـــر الشمائل المحمدية للإمام أبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي ٢٧٩هـ. اختصار وتحقيق : محمد ناصر الدين ا لألباني، ط.الأولى ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م المكتبة الإسلامية عمان الأردن .

مختصـــر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة لابن القيم . اختصار : محمد بن الموصلي . مكتبة الرياض الحديثة، الرياض . بدون ذكر بيانات النشر الأخرى .

مختصـــر العلو للعلي الغفار للذهبي . اختصار وتحقيق : محمد ناصر الدين الألباني . ط. الثانية ١٤١٢هـ/١٩٩١م المكتب الإسلامي بيروت. لبنان .

مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع . لابن خالويه. عني بنشره : ج. برجشتراسر. المطبعة الرحمانية بمصر لجمعية المستشرقين الألمانية . ط.عام : ١٩٣٤م .

مــدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين. للعلامة ابن القيم ٧٥١هـ. تحقيق : محمد حامد الفقي . ط.الثانية ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م دار الكتاب العربي بيروت .

مـــدارك الـــتنزيل وحقائق التأويل. لعبد الله بن أحمد بن محمود النسفي ٧١٠هــ. تحقيق : يوسف علي بديوي. مراجعة : محي الدين ديب مستو. ط.الأولى ١٤١٩هــ/١٩٩٨م دار الكلم الطيب بيروت.

المدخل إلى الصحيح . لمحمد بن عبد الله بن محمد المعروف بابن البيع الحاكم النيسابوري ٤٠٥هــ. تحقيق : الشيخ ربيع بن هادي بن عمير المدخلي. ط.ا لأولى ١٤٠٤هــ/١٩٨٤م مؤسسة الرسالة بيروت.

المدخـــل لدراســـة العقيدة الإسلامية على مذهب أهل السنة والجماعة . للدكتور إبراهيم بن محمد البريكان . ط. الثالثة . ١٤١٥هــ/١٩٩٤م دار السنة الخبر .

مذهب النشوء والارتقاء في مواجهة الدين. لمنيرة علي الغاياتي، مكتبة وهبة عابدين القاهرة. بدون.

مذكرة في أصول الفقه . للشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي ١٣٩٣هــ. ط. الثالثة ١٤١٦هــ/١٩٩٥م الناشر : مكتبة ابن تيمية القاهرة ، توزيع : مكتبة العلم بجدة .

مـــراتب الإجماع في العبادات والمعاملات والاعتقادات . للعلامة ابن حزم . اعتنى به : حسن أحمد إسبر . ط.الأولى ١٤١٩هــ/١٩٩٨م دار ابن حزم بيروت .

المراسيل لابن أبي حاتم ٣٢٧هــ. اعتنى به : شكر الله بن نعمة الله قوجاني . ط.الثانية ١٤٠٢هــ/ ١٩٨٢م مؤسسة الرسالة بيروت .

مراقي الفلاح شرح نور الإيضاح . لـــحسن بن عمار بن علي الشرنبلاني الحنفي ١٠٦٩هــ. ط.الثانية ١٣٢٩هــ المطبعة الخيرية مصر .

المرشد إلى قواعد اللغة العربية .ألفه : أ. خالدية البياع . إشراف ومراجعة : د. حبيب مغنية . ط.عام : ١٩٩٩م دار و مكتبة الهلال بيروت لبنان .

مـــرعاة المفـــاتيح شرح مشكاة المصابيح. لأبي الحسن عبيد الله بن محمد عبد السلام المباركفوري ١٤١٤هــ. ط. الثالثة ١٤٠٥هــ، إدارة البحوث الإسلامية والدعوة والإفتاء بالجامعة السلفية بنارس الهند.

مـــرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح. لملا علي بن سلطان محمد الهروي القاري ١٠١٤هــ. أبناء مولوي محمد بن غلام رسول السورتي في مطبعة أصح المطابع في بمبئي الهند .

المزهر في علوم اللغة وأنواعها . لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي ٩١١هــ. شرح وتعليق : محمـــد أحمـــد جاد المولي، علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم. دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه . بدون ذكر التاريخ و رقم الطبعة .

مســـائل الإمام أحمد. للإمام أبو داود السجستاني. تقديم : السيد محمد رشيد رضا. ط. الثانية، الناشر : محمد أمين دمج . بيروت لبنان .

المســـائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد في العقيدة . جمع وتحقيق ودراسة : شيخنا الدكتور عبد الإله بن سلمان بن سالم الأحمدي . ط.الأولى ١٤١٢هــ دار طيبة الرياض .

المساعد على تسهيل الفوائد. لعبد الله بن عقيل العقيلي ٧٦٩هـ. تحقيق : محمد كامل بركات. ط. الأولى. ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، جامعة أم القرى، مكة المكرمة.

المستدرك على الصحيحين . لأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد المعروف بابن البيع الحاكم النيسابوري ٤٠٥هـ. مكتبة المطبوعات الإسلامية حلب . بدون ذكر التاريخ .

مسلم الثبوت . لمحب الله بن عبد الشكور البهاري ١١١٩هـ . ط.عام : ١٣٢٦هـ . المطبعة الحسينية المصرية .

مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني ٢٤١هـ. بتحقيق : شعيب الأرنؤوط وآخرون معه . ط. الثانية ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م مؤسسة الرسالة بيروت لبنان . توزيع : وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية .

وبتحقيق : أحمد محمد شاكر . ط. الرابعة ١٣٧٣هـ/١٩٥٤م دار المعارف بمصر .

مسند البزار (البحر الزخار) . لأبي بكر أحمد بن عمرو البزار ٢٩٢هـ. تحقيق : د. محفوظ الرحمن ابن زين الله . ط. الأولى ١٤٠٩هـ مؤسسة علوم القرآن بيروت، مكتبة العلوم والحكم المدينة المنورة .

مسند الدارمي المعروف بسنن الدارمي. عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل الدارمي ٢٥٥هـ. تحقيق : حسين سليم أسد الداراني. ط. الأولى ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م دار المغني الرياض .

مسند الروياني . محمد بن هارون الروياني ٣٠٧هـ. تحقيق : أيمن علي أبي يماني . ط. الأولى ١٤١٦هـ مؤسسة قرطبة . القاهرة .

مسند الطيالسي . أبي داود سليمان بن داود الطيالسي ٢٠٤هـ . دار المعرفة بيروت .

مسند عبد بن حميد ٢٤٩هـ. تحقيق : صبحي البدري السامرائي، محمود محمد خليل الصعيدي. ط. الأولى ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م مكتبة السنة القاهرة .

مسند أبي يعلى . أحمد بن علي بن المثنى الموصلي ٣٠٧هـ. تحقيق : حسين سليم أسد . ط.الأولى ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م دار المأمون للتراث دمشق

المسيح والمسيحية والإسلام. للدكتور عبد الغني عبود. ط. الأولى ١٩٨٤م دار الفكر العربي .

مشاهد الخلق في المعصية . للعلامة ابن القيم ٧٥١هـ . تحقيق وتعليق : نذير حسن عتمة . ط.الأولى ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م المكتب الإسلامي بيروت .

مشكاة المصابيح . لولي الدين محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي . تحقيق : محمد ناصر الدين الألباني . ط ١٣٨٢هـ/١٩٦٢م المكتب الإسلامي .

مشكلات موطأ مالك بن أنس . لعبد الله بن السيد البطليوسي ٥٢١هـ. تحقيق : طه بن علي بوسريح التونسي. ط. الأولى ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م دار ابن حزم بيروت لبنان.

مشكل إعراب القرآن. لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي ٤٣٧هـ. تحقيق : د.حاتم صالح الضامن .ط.الثانية ١٤٠٥هـ مؤسسة الرسالة بيروت لبنان .

مصـائب الإنسان من مكائد الشيطان . لأبي إسحاق إبراهيم بن محمد بن مفلح المقدسي ٨٠٣هـ. ط.الأولى ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م دار الكتب العلمية بيروت.

مصـابيح المغاني في حروف المعاني . لمحمد بن علي بن إبراهيم الموزعي المعروف بابن نور الدين ٨٢٥هـ. دراسة وتحقيق : د. عائض بن نافع بن ضيف الله العمري. ط.الأولى ١٤١٤هـ. دار المنار .

مصـباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه. لأحمد بن أبي بكر البوصيري ٨٤٠هـ. تحقيق : محمد المنتقى الكشناوي . ط.الثانية ١٤٠٣هـ دار العربية بيروت .

المصـباح المنير في غريب الشرح الكبير . لأحمد بن محمد بن علي الفيومي ٧٧٨هـ . ط.عام ١٩٨٧م مكتبة لبنان بيروت لبنان .

المصحف الميسر . لعبد الجليل عيسى . ط. السادسة ١٣٩٤هـ دار الفكر بيروت .

مصـرع التصوف أو تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي . لبرهان الدين البقاعي ٨٨٥هـ . تحقيق وتعـليق : عـبد الرحمن الوكيل . ط.عام : ١٤١٥هـ تحت إشراف : رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، الرياض المملكة العربية السعودية .

مصرع الدارونية . لمحمد علي يوسف . ط. الأولى ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م دار الشروق جدة .

المصنف . لعبد الرزاق بن همام الصنعاني ٢١١هـ. تحقيق : حبيب الرحمن الأعظمي ط.الثانية ١٤٠٣هـ المكتب الإسلامي بيروت .

المصـنف في الأحـاديث والآثـار لأبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي ٢٣٥هـ. ط.الأولى ١٤٠١هـ/١٩٨١م مكتبة الزمان المدينة المنورة.

المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية . للحافظ ابن حجر العسقلاني ٨٥٢هـ. تحقيق : أحمد بن محمد بن عبد الله . تنسيق : د.سعد بن ناصر بن عبد العزيز . ط.الأولى ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م دار العاصمة الرياض، دار الغيث الرياض، المملكة العربية السعودية .

معارج التفكر ودقائق التدبر. لعبد الرحمن حسن حبنكة الميداني. ط. الأولى ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م. دار القلم دمشق، الدار الشامية بيروت . توزيع في المملكة العربية السعودية : دار البشير جدة .

معـارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول. للشيخ حافظ بن أحمد الحكمي ١٣٧٧هـ. تحقيق : عمر بن محمود. ط. الأولى ١٤١٠هـ/١٩٩٠م دار ابن القيم الدمام. المملكة العربية السعودية .

المعـارف. لأبي محمـد عبد الله بن مسلم بن قتيبة ٢٧٦هـ. تحقيق : د. ثروت عكاشة. ط. الرابعة، دار المعارف القاهرة مصر .

معـــارف الســـنن شرح سنن الترمذي . للسيد محمد يوسف بن محمد زكريا الحسيني البنوري ١٣٩٧هـــ. ط. الثانية ١٣٩٨هـــ، أدب منزل، باكستان جوك، كراتشي باكستان.

معالم أصول الفقه عند أهل السنة والجماعة . تأليف : محمد بن حسين بن حسن الجيزاني. ط. الأولى ١٤١٦هـــ/١٩٩٦م دار ابن الجوزي الدمام .

معـــالم الـــتنزيل . لأبي محمد الحسين بن مسعود البغوي ٥١٦هـــ . تحقيق : خالد عبد الرحمن العك، مروان سوار . ط.الثانية . ١٤٠٧هـــ/١٩٨٧م دار المعرفة بيروت لبنان .

معالم الثقافة الإسلامية. لعبد الكريم عثمان. ط.الثانية. ١٣٩٠هـــ/١٩٧١م مؤسسة الأنوار الرياض .

معالم السنن شرح سنن أبي داود . لأبي سليمان حمد ين محمد الخطابي ٣٨٨هـــ. تخريج وترقيم ومقارنة : عبد السلام عبد الشافي محمد. ط.الأولى ١٤١١هـــ/١٩٩١م دار الكتب العلمية بيروت لبنان.

معـــاني القرآن . لأبي زكريا يحيى بن زياد الفراء ٢٠٧هـــ. تحقيق : عبد الفتاح إسماعيل شلبي. دار السرور بيروت لبنان . بدون ذكر تاريخ الطبع .

معـــاني القرآن الكريم . لأبي جعفر أحمد بن محمد إسماعيل النحاس ٣٣٨هـــ . تحقيق : محمد علي الصابوني . ط.الأولى ١٤٠٩هـــ/١٩٨٨م معهد البحوث العلمية جامعة أم القرى، مكة المكرمة .

معـــاني القرآن وإعرابه . لأبي إسحاق إبراهيم بن محمد الزجاج ٣١١هـــ. تحقيق : عبد الجليل عبده شلبي . ط. الأولى ٤١٠٨هـــ/١٩٨٨م عالم الكتب بيروت لبنان .

معاني النحو. للدكتور فاضل صالح السامرائي. ط. الأولى ١٤٢٠هـــ. دار الفكر عمان الأردن.

مـــع الأنبياء في القرآن الكريم. لـــعفيف عبد الفتاح طبارة . ط.السابعة ١٩٧٩م دار العلم للملايين بيروت لبنان .

المعـــتزلة . ألفه : زهدي جار الله . ط.الأولى ١٣٦٢هـــ/١٩٤٧م ،منشورات النادي العربي في يافا، مطبعة مصر شركة مساهمة مصرية، القاهرة .

معـــتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى. لشيخنا الدكتور محمد بن خليفة التميمي . ط.الأولى ١٤١٧هـــ/١٩٩٦م دار إيلاف الدولية للنشر والتوزيع . الجهراء الكويت .

معـــتقد أهل السنة و الجماعة في توحيد الأسماء والصفات . لشيخنا الدكتور محمد بن خليفة التميمي . ط . الأولى ١٤١٧هـــ/١٩٩٦م دار إيلاف الدولية الجهراء الكويت .

المعجم الأوسط. لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني ٣٦٠هـــ. تحقيق : طارق بن عوض الله ابن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني . ط.عام ١٤١٥هـــ/١٩٩٥م دار الحرمين القاهرة .

معجم البلاغة العربية. ألفه : بدوي طبانة. ط.الرابعة ١٤١٨هـــ دار المنارة جدة، دار ابن حزم بيروت.

معجـــم البلدان. لأبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي البغدادي ٦٢٦هـــ. ط.عام : ١٣٩٧هـــ/ ١٩٧٧م دار صادر بيروت لبنان .

معجـــم الصحابة . لعبد الله بن محمد البغوي ٣١٧هـــ. تحقيق : شيخنا الدكتور/ محمد الأمين بن محمد محمود أحمد الجكني. ط.الأولى ١٤٢١هـــ/٢٠٠٠م دار البيان حولي الكويت .

معجم الصحابة . لعبد الباقي بن قانع ٣٥١هـــ. ضبط وتعليق : صلاح بن سالم المصراتي . ط. الأولى ١٤١٧هـــ/١٩٩٧م مكتبة الغرباء، المدينة النبوية .

المعجـــم الصغير . لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني ٣٦٠هـــ. تحقيق : عبد الرحمن محمد عثمان . ط . عام : ١٣٨١هـــ/١٩٦٨م المكتبة السلفية المدينة المنورة .

معجـــم القراءات القرآنية . إعداد : د.أحمد مختار عمر، د. عبد العال سالم مكرم . ط.الثالثة ١٩٩٧م عالم الكتب بيروت .

معجـــم القواعد العربية في النحو والصرف. لعبد الغني الدقر . ط.الأولى ١٤٠٦هـــ١٩٨٦م دار القلم دمشق .

المعجم الكبير . لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني ٣٦٠هـــ. تحقيق : حمدي بن عبد المجيد السلفي. ط. الثانية ١٤٠٤هـــ/١٩٨٣م مكتبة العلوم والحكم بالمدينة المنورة.

معجـــم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع . لعبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي ٤٨٧هـــ. تحقيق : مصطفى السقا . عالم الكتب بيروت . بدون .

معجم متن اللغة .لأحمد رضا . دار مكتبة الحياة ط.عام : ١٣٧٧هـــ/١٩٥٨م بيروت لبنان .

معجم المطبوعات العربية والمعربة. ليوسف اليان سركيس. مكتبة الثقافة الدينية القاهرة. بدون.

معجـــم مقـــاييس الـــلغة . لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا . تحقيق : عبد السلام محمد هارون . ط.عام : ١٣٩٩هـــ/١٩٧٩م دار الفكر بيروت لبنان .

معجم المؤلفين. لعمر رضا كحالة. مكتبة المثنى بيروت، إحياء التراث العربي بيروت.

معجـــم المناهي اللفظية. للشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد. ط. الثالثة ١٤١٧هـــ/١٩٩٦م دار العاصمة الرياض المملكة العربية السعودية.

المعجم الوسيط . مجمع اللغة العربية . ط.الثانية ١٣٩٢هـــ/١٩٧٢م القاهرة مصر .

المعـــرب مـــن الكـــلام الأعجمي على حروف المعجم. لأبي منصور موهوب بن أحمد بن محمد الجواليقي ٥٤٠هـــ. تحقيق : شيخنا الدكتور. ف. عبد الرحيم. ط.الأولى ١٤١٠هـــ دار القلم دمشق .

معـــرفة الـــثقات : لأبي الحسن أحمد بن عبد الله بن صالح العجلي الكوفي ٢٦١هـــ. ترتيب : نورالديـــن الهيـــثمي وتقي الدين السبكي. تحقيق : عبد العليم بن عبد العظيم البستوي . ط. الأولى ١٤٠٥هـــ/١٩٨٥م مكتبة الدار بالمدينة المنورة .

معـــرفة الصحابة . لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني ٤٣٠هـــ. تحقيق : عادل يوسف ط. الأولى ١٤١٩هـــ/١٩٩٨م دار الوطن الرياض، المملكة العربية السعودية .

معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار. للحافظ محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ٧٤٨هـ. تحقيق : د. طيار آلتي قولاج. ط.الأولى ١٤١٦هـ/١٩٩٥م مركز البحوث الإسلامية التابع لوقف الديانة التركي، استانبول تركيا.

المعلم بفوائد مسلم . لأبي عبد الله محمد بن علي بن عمر المازري ٥٣٦هـ. تحقيق : محمد الشاذلي النيفر . ط. الأولى عام : ١٩٩١م، المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات، بيت الحكمة، تونس .

المغني في الضعفاء. للحافظ محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ٧٤٨هـ. تحقيق : نور الدين عتر. بدون.

مغني اللبيب عن كتب الأعاريب . لعبد الله بن يوسف بن عبد الله الأنصاري المعروف بابن هشام ٧٦١هـ. تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد . دار إحياء التراث العربي .

مفاهيم يجب أن تصحح . للسيد محمد بن علوي المالكي الحسني . ط. العاشرة ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م . دائرة الأوقاف والشؤون الإسلامية دبي .

مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة . للعلامة ابن قيم الجوزية ٧٥١هـ. دار الكتب العلمية بيروت لبنان .

مفردات ألفاظ القرآن . للراغب الأصبهاني توفي في حدود : ٤٢٥هـ. تحقيق : صفوان عدنان داوودي . ط. الأولى ١٤١٢هـ/١٩٩٢م دار القلم دمشق، الدار الشامية بيروت .

المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم. لأحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي ٦٥٦هـ. تحقيق : محي الدين ديب مستو، يوسف علي بديوي، أحمد محمد السيد، محمود إبراهيم بزال . ط. الأولى ١٤١٧هـ/١٩٩٦م دار ابن كثير دمشق بيروت، دار الكلم الطيب دمشق بيروت .

مقارنة الأديان. للدكتور أحمد شلبي. ط. الرابعة ١٩٧٦م مكتبة النهضة المصرية القاهرة مصر.

مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين . لأبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري ٣٢٤هـ. تحقيق : هلموت ريتر . ط. الثالثة إحياء التراث العربي بيروت .

مقالة التعطيل والجعد بن درهم . لشيخنا الدكتور محمد بن خليفة التميمي . ط.الأولى ١٤١٨ هـ/١٩٩٧م مكتبة أضواء السلف الرياض .

مقامات الزمخشري . ط.الأولى ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م دار الكتب العلمية بيروت .

مقامع الشيطان في ضوء الكتاب والسنة الصحيحة . لسليم بن عيد الهلالي . ط. الثالثة ١٤١٢هـ/١٩٩١م دار ابن الجوزي الدمام .

المقتطف من عيون التفاسير . لمصطفى الحصن المنصوري ١٣٩٠هـ. تحقيق : محمد علي الصابوني . ط. الثانية ١٤١٧هـ/١٩٩٦م دار القلم دمشق ، الدار الشامية بيروت.

المقتنى في سرد الكنى . للحافظ محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ٧٤٨هـ. تحقيق : محمدصالح عبد العزيز المراد . ط. عام : ١٤٠٨هـ المجلس العلمي الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة .

المقدمات في أصول الدين. للدكتور إبراهيم بن محمد البريكان. ط.الأولى ١٤١٨هـ/١٩٩٧م دار السنة الخبر، المملكة العربية السعودية .

مقدمة تاريخ ابن خلدون. عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي المغربي ٨٠٨هـ مؤسسة جمال للطباعة بيروت لبنان .

مكـائد الشيطان. لأبي بكر عبد الله بن محمد بن عبيد المعروف بابن أبي الدنيا ٢٨١هـ. تحقيق : مجدي السيد إبراهيم . مكتبة القرآن القاهرة .

مكمـل إكمال الإكمال. لأبي عبد الله محمد بن محمد بن يوسف السنوسي الحسيني ٨٩٥هـ. دار الكتب العلمية بيروت.

الملل والنحل. لمحمد بن عبد الكريم الشهرستاني ٥٤٨هـ. تحقيق : محمد سيد كيلاني .ط.عام : ١٤٠٤هـ دار المعرفة بيروت لبنان .

مناظرة بين الإسلام والنصرانية لمناقشة العقيدة الدينية بين مجموعة من رجال الفكر من الديانتين الإسلامية والنصرانية . ط. الثانية ١٤١٢هـ مكتبة ابن خزيمة الرياض .

مناقشـة هادئـة لبعض أفكار الدكتوز الترابي . للشيخ الأمين الحاج محمد أحمد . ط .الأولى ١٤١٥هـ/١٩٩٥م مركز الصف الالكتروني . بدون .

المنتظم في تاريخ الملوك والأمم. لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد المعروف بابن الجوزي ٥٩٧هـ. تحقيق : محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا . ط.الأولى ١٤١٢هـ/١٩٩٢م دار الكتب العلمية بيروت.

المنـتقى شرح موطأ الإمام مالك . لأبي الوليد سليمان بن خلف بن سعيد الباجي ٤٩٤هـ. ط.الأولى ١٣٣١هـ مطبعة السعادة مصر، وصورتها دار الفكر حديثا .

المنتقى من فتاوى فضيلة الشيخ صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان. جمع وإعداد : عادل بن علي بن أحمد الفريدان . ط.الثالثة ١٤١٩هـ/١٩٩٩م دار العسل الرياض .

المنـتقى من منهاج الاعتدال في نقض كلام أهل الرفض والضلال، وهو مختصر منهاج السنة لشيخ الإسلام ابن تيمية . اختصار : الحافظ محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق : محب الدين الخطيب. ط .عـام : ١٤١٨هـ تحـت إشراف : وكالة شؤون المطبوعات والنشر بوزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد . المملكة العربية السعودية .

المنتقى النفيس من تلبيس إبليس للإمام ابن الجوزي . اختصره : علي حسن علي عبد الحميد الأثري . ط.الثانية ١٤١٥هـ/١٩٩٤م دار ابن الجوزي الدمام .

المنجد في اللغة والأعلام . ط. السادسة والثلاثون . دار الشروق بيروت .

المنظومة الألفية في مسائل الاعتقاد السلفية أو قلادة الزبرجد في نظم ما يعتقد ابن مقعد. فهد بن مقعد بن حاسن النفيعي العتيبي. ط.الأولى ١٤٢١هـ دار بلنسية الرياض .

منع جواز المجاز في المنزل للتعبد والإعجاز . للشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي . ١٣٩٣هـ. طبع ملحقا في آخر "أضواء البيان" له، وقد تقدم .

منهاج التأسيس والتقديس في كشف شبهات داود بن جرجيس . للشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ ١٢٩٢هـ. ط.الثانية ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م دار الهداية الرياض، المملكة العربية السعودية.

منهاج السنة النبوية لشيخ الإسلام لشيخ الإسلام ابن تيمية ٧٢٨هـ. تحقيق : محمد رشاد سالم . ط.الأولى ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، مؤسسة قرطبة .

المنهاج في شعب الإيمان . تأليف : الحسين بن الحسن الحليمي ٤٠٣هـ. تحقيق : حلمي محمد فوده . ط.الأولى ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م دار الفكر بيروت .

المنهج الأحمد في تراجم أصحاب الإمام أحمد . لعبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن المقدسي ٩٢٨هـ. تحقيق : عبد القادر الأرناؤوط، محمود الأرناؤوط. ط. عام: ١٩٩٧م دار صادر بيروت .

منهج الإمام مالك في إثبات العقيدة. لشيخنا الدكتور سعود بن عبد العزيز الدعجان . ط. الأولى ١٤١٦هـ مكتبة ابن تيمية القاهرة، توزيع : مكتبة العلم بجدة .

منهج أهل السنة والجماعة ومنهج الأشاعرة في توحيد الله تعالى . تأليف : خالد بن عبد اللطيف ابن محمد نور . ط.الأولى ١٤١٦هـ/١٩٩٥م مكتبة الغرباء الأثرية المدينة المنورة .

منهج الحافظ ابن حجر العسقلاني في العقيدة من خلال كتابه " فتح الباري ". تأليف : محمد إسحاق كندو . ط. الأولى ١٤١٩هـ/١٩١٨م مكتبة الرشد الرياض المملكة العربية السعودية .

المنهج السلفي عند الشيخ ناصر الدين الألباني . تأليف : عمرو بن عبد المنعم . الناشر : مكتبة الضياء طنطا .

منهج السلف والمتكلمين في موافقة العقل للنقل وأثر المنهجين في العقيدة . تأليف : جابر إدريس علي أمير . ط. الأولى ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م مكتبة أضواء السلف الرياض .

منهج المدرسة العقلانية الحديثة في التفسير . للدكتور فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي. ط. الأولى ١٤٠١هـ/١٩٨١م مؤسسة الرسالة بيروت .

المهدي المنتظر في ضوء الأحاديث والآثار الصحيحة وآراء الفرق المختلفة . للدكتور عبد العليم ابن عبد العظيم البستوي . ط.الأولى ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م المكتبة المكية مكة، دار ابن حزم بيروت .

المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب . لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي ٩١١هـ تحقيق : الدكتور التهامي الراجي الهاشمي، الناشر : لجنة مشتركة لنشر التراث الإسلامي بين حكومة المملكة المغربية وحكومة دولة الإمارات العربية المتحدة .

المهـــند على المفند . للشيخ خليل أحمد السهارنفوري الديوبندي ١٣٤٦هـ. ط. الأولى ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م إدارة إسلاميات لاهور باكستان .

المواقف في علم الكلام . لعبد الرحمن بن أحمد الإيجي ٧٥٦هـ. تحقيق : الدكتور عبد الرحمن عميرة . ط. الأولى ١٩٩٧م دار الجيل بيروت.

موجـــز تاريخ العالم . تأليف : هـ. ج . ويلز . ترجمة : عبد العزيز توفيق جاويد . مراجعة : محمد مأمون نجا . مكتبة النهضة المصرية القاهرة .

موسوعة الأسماء والأعلام المبهمة في القرآن الكريم المسمى " ترويج أولي الدماثة بمنتقى الكتب الثلاثة . عبد الله بن عبد الله بن سلامة الأدكاوي ١١٨٤هـ. تحقيق : مروان العطية، حسن خرابة . ط.الأولى ١٤١٢هـ/٢٠٠١م مكتبة العبيكان الرياض.

موسوعة خلفاء المسلمين . لزهير شفيق الكبي . ط.الأولى ١٩٩٤م دار الفكر العربي بيروت .

الموسوعة العربية العالمية. ط. الثانية ١٤١٩هـ/١٩٩٩م مؤسسة أعمال المؤسسة للنشر الرياض.

الموســوعة الميســرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة . إشراف وتخطيط ومراجعة : الدكتور مانع بن حماد الجهني . ط. الرابعة ١٤٢٠هـ دار الندوة العالمية للشباب الإسلامي الرياض . .

الموضــوعات . لأبي الفــرج عــبد الرحمن بن علي المعروف بابن الجوزي ٥٩٧هـ. تحقيق : عبد الرحمن محمد عثمان . ط.الأولى ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م. المكتبة السلفية المدينة المنورة.

الموطــأ للإمــام مالك بن أنس الأصبحي ١٧٩هـ . تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي . ط. دار إحياء التراث العربي .

موقــف الجماعة الإسلامية من الحديث النبوي . تأليف : محمد إسماعيل السلفي . تعريب وتقديم وتعليق : صلاح الدين مقبول أحمد . ط.الأولى ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م الدار السلفية، الصفاة الكويت .

ميـــزان الاعـــتدال في نقد الرجال . لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ٧٤٨هـ. تحقيق : محمد علي البجاوي . ط. دار الفكر للطباعة والنشر، ولم يذكر بيانات النشر الأخرى .

(ن)

النـــبوات . لشـــيخ الإسلام ابن تيمية ٧٢٨هـ. تحقيق : شيخنا الدكتور عبد العزيز بن صالح الطويان . ط.الأولى ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية .

نبوة محمد ﷺ في القرآن . للدكتور حسن ضياء الدين عتر. ط.الأولى ١٤١٠هـ/١٩٩٠م دار البشائر الإسلامية، بيروت لبنان .

النـــبوة والأنبياء . لمحمد علي الصابوني . ط. الثالثة ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م مكتبة الغزالي دمشق، مؤسسة مناهل العرفان بيروت .

النــبوة والأنــبياء في ضوء القرآن الكريم . لأبي الحسن علي الندوي . ط.الثالثة ١٣٨٧هـ بيروت، الدار السعودية للنشر جدة .

نــتائج الأفكــار في تخريج أحاديث الأذكار . للحافظ ابن حجر العسقلاني . تحقيق : حمدي عبد المجيد السلفي . ط.الأولى ١٤١١هـ/١٩٩١م مكتبة ابن تيمية القاهرة، ومكتبة العلم بجدة .

النحو الوافي . تأليف : عباس حسن . ط. الثالثة ١٩٦٦م دار المعارف بمصر .

نــزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر . للشيخ عبد الحي بن فخر الدين الحسني . ط.الأولى ١٣٧٨هـ/١٩٥٩م دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند.

نسيم الرياض في شرح شفاء القاضي عياض. لشهاب الدين أحمد الخفاجي المصري . ط.عام : ١٣٢٧هـ بالمطبعة الأزهرية المصرية .

نظرات في أحسن القصص. للدكتور محمد السيد الوكيل. دار القلم دمشق، الدار الشامية بيروت.

نظرات وتعقيبات على ما في كتاب السلفية لمحمد سعيد رمضان ... من الهفوات أو تعقيبات عــلى كتاب : السلفية ليست مذهبا .للشيخ صالح بن فوزان الفوزان . ط.الثانية ١٤١١هـ . دار الوطن الرياض، المملكة العربية السعودية .

الــنظريات العلمية ونظرية التطور. تأليف : البروفسور أ. هـ . أندروز . ترجمة : أورخان محمد علي . ط.عام : ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م . مطبعة الحوادث، بغداد، العراق .

نعمــة الذريعة في نصرة الشريعة . لإبراهيم بن محمد بن إبراهيم الحلبي القسطنطيني . تحقيق : علي رضا بن عبد الله علي رضا . ط.الأولى ١٩٩٨م دار المسير الرياض .

الــنفحات الأقدسية في شرح الصلوات الأحمدية الإدريسية . لمحمد بهاء الدين البيطار الشامي الميداني . شركة مطبعة الرغائب بشارع محمد علي بدارالمويد بمصر .

نقــد الشعر. لــقدامة بن جعفر بن قدامة بن زياد (ت : ٣٣٧هـ) تحقيق : كمال مصطفى. ط. الثالثة ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م مكتبة الخانجي القاهرة .

نقــض تأســيس الجهميــة . لشيخ الإسلام ابن تيمية ٧٢٨هـ . تصحيح وتعليق : محمد بن عبد الرحمن بن القاسم . ط . الأولى ١٣٩١هـ مطبعة الحكومة مكة المكرمة .

الــنكت عــلى كتاب ابن الصلاح . للحافظ ابن حجر العسقلاني . تحقيق : الشيخ ربيع بن هادي عمير المدخلي . ط.الثالثة ١٤١٥هـ/١٩٩٤م دار الراية الرياض .

الــنكت على مقدمة ابن الصلاح . لبدر الدين محمد بن جمال الدين عبد الله الزركشي ٧٩٤هـ. تحقيق : د.زين العابدين بن محمد بلا فريج. ط.الأولى ١٤١٩هـ/١٩٩٨م مكتبة أضواء السلف الرياض.

الـنكت والعيـون في تفسير القرآن الكريم . لعلي بن محمد بن حبيب الماوردي ٤٥٠هـ. مـراجعة وتعـليق : السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم . ط. الأولى ١٤١٢هـ/١٩٩٢م دار الكتب العلمية بيروت، مؤسسة الكتب الثقافية بيروت .

نهايـة الإقـدام في علم الكلام . لعبد الكريم الشهرستاني . تصحيح : الفرد جيوم . توزيع : مكتبة المثنى ببغداد عراق.

النهاية في الفتن والملاحم . للحافظ ابن كثير الدمشقي ٧٧٤هـ . تحقيق : خليل مأمون شحا، محمد خير طعمه حلبي ط.الأولى ١٤١٩هـ/١٩٩٨م دار المعرفة بيروت.

النهاية في غريب الحديث والأثر . لأبي السعادات المبارك بن محمد الجزري المعروف بابن الأثير ٦٠٦هـ. تحقيق : طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي. ط.المكتبة العلمية بيروت. بدون.

نهـج البلاغة . جمعه أبو الحسن محمد الرضي بن الحسين الموسوي – في زعمه- من كلام علي بـن أبي طـالب ﷺ. تحقيـق : د. صبحي الصالح . ط.الثانية ١٩٨٢م دار الكتاب اللبناني بيروت، مكتبة المدرسة بيروت.

نهر الخير على أيسر التفاسير. للشيخ أبي بكر جابر الجزائري؛ مطبوع مع "أيسر التفاسير" له وقد تقدم .

نـور اليقين في أصول الدين في شرح عقائد الطحاوي . تأليف : حسن بن طور خان بن داود الأقحصاري الكافي البوسنوي ١٠٢٤هـ. تحقيق : زهدي عاد لوفينش البوسنوي . ط.الأولى ١٤١٨ هـ/١٩٩٧م مكتبة العبيكان الرياض .

نيـل الأوطار شرح منتقى الأخبار . لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني ١٢٥٠هـ. تحقيق : عصام الدين الصبابطي . ط. الأولى ١٤١٣هـ/١٩٩٣م دار الحديث القاهرة مصر .

(هـ)

هدايـة الحيـارى في أجوبـة اليهود والنصارى. للعلامة ابن القيم ٧٥١هـ. تحقيق : أحمد حجازي السقا . دار الريان للتراث، دار المطبعة السلفية القاهرة مصر. بدون.

الهدايـة شرح البداية. لأبي الحسن علي بن أبي بكر بن عبد الجليل المرغيناني ٥٩٣هـ. شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر. بدون .

هـدي الساري في مقدمة فتح الباري . للحافظ ابن حجر العسقلاني، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي، محب الدين الخطيب . ط . عام : ١٣٧٩هـ دار المعرفة بيروت.

هذه مفاهيمنا. للشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ. هو رد على كتاب : مفاهيم يجب أن تصحح لمحمد بن علوي المالكي . ط.عام : ١٤٠٧هـ . مطابع شركة الصفحات الذهبية المحدودة الرياض .

هذه هي الصوفية . لعبد الرحمن الوكيل . ط.الرابعة ١٩٨٤م دار الكتب العلمية بيروت لبنان .

(و)

الواضح في أصول الفقه. لأبي الوفاء علي بن عقيل بن محمد البغدادي الحنبلي ٥١٣هـ. تحقيق : الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي . ط. الأولى ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م . مؤسسة الرسالة.

الوجيز في تفسير الكتاب العزيز . لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي ٤٦٨هـ. تحقيق : صفوان عدنان داوودي . ط. الأولى ١٤١٥هـ/١٩٩٥م دار القلم دمشق، الدار الشامية بيروت.

الوحي المحمدي. لمحمد رشيد رضا. ط.العاشرة ١٤٠٥هـ المكتب الإسلامي بيروت لبنان .

وسطية أهل السنة بين الفرق . لشيخنا الدكتور محمد باكريم محمد با عبد الله . ط.الأولى ١٤١٥هـ/١٩٩٤م دار الراية الرياض .

الوسيط في تفسير القرآن المجيد. لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي ٤٦٨هـ. تحقيق : عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، أحمد محمد صيرة، أحمد عبد الغني الجمل، أحمد عبد الرحمن أويس، ط. الأولى ١٤١٥هـ/١٩٩٤م دار الكتب العلمية بيروت .

الوضع في الحديث . للشيخ عمر بن حسن عثمان فلاته . ط.عام : ١٤٠١هـ/١٩٨١م مكتبة الغزالي دمشق ، مؤسسة مناهل العرفان بيروت .

وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى . علي بن أحمد السمهودي ٩١١هـ. تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد. ط.الثالثة ١٤٠١هـ/١٩٨١م دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان .

وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان . لأبي العباس أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان ٦٨١هـ. تحقيق : د. إحسان عباس . دار صادر بيروت .

وقاية الإنسان من الجن والشيطان . وحيد عبد السلام بالي . تقريظ : أبي بكر جابر الجزائري. ط.الأولى ١٤١٢هـ/١٩٩١م مكتبة الصحابة . جدة .

(ي)

يحيى بن معين وكتابه التاريخ . لشيخنا الدكتور أحمد محمد نور سيف . ط. الأولى : ١٣٩٩ هـ/١٩٧٩م مركز البحث العلمي جامعة الملك عبد العزيز، مكة المكرمة .

اليهودية والمسيحية . لشيخنا الدكتور محمد ضياء الرحمن الأعظمي . ط. الأولى ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م مكتبة الدار المدينة المنورة .

اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر . لعبد الوهاب الشعراني . ط. الأولى ١٣٥١هـ. نشره : عباس بن عبد السلام بن شقرون، بالفحامين بمصر .

رابعا : المجلات العربية .

- مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة .

مقال بعنوان : " **إزالة الشبهة عن حديث التربة** "، للشيخ عبد القادر السندي، العدد : ٤٩ و٥٠ و٥١، السنة : ١٣ .

ومقـــال بعنوان : " **الأسفار المقدسة عند اليهود، وأثرها في انحرافهم : عرض ونقد** " لشيخنا الدكتور : محمود عبد الرحمن قدح ، العدد : ١١١ — السنة ٣٣ - ١٤٢١ هـ

ومقـــال بعـــنوان : " **الصفات الإلهية تعريفها وأقسامها** " لشيخنا الدكتور / محمد بن خليفة التميمي، العدد : ١١٢ — السنة : ٣٣ — ١٤٢١هـ .

ومقال بعنوان : " **العلمانية وموقف الإسلام منها** " . للدكتور حمود بن أحمد الرحيلي . العدد : ١١٥ ، السنة ٣٤- ١٤٢٢هـ .

● مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها .

مقـــال لشيخنا الدكتور سعود بن عبد العزيز الخلف بعنوان : " **قول الفلاسفة المنتسبين للإسلام في توحيد الربوبية عرض ونقد في ضوء مذهب السلف** "، ج ١٣ ع ٢١ رمضان ١٤٢١هـ.

● مجلة الجامعة السلفية، بنارس الهند .

مقال للشيخ حماد بن محمد الأنصاري – رحمه الله – بعنوان : " **تعريف أهل الإيمان بصحة حديث صورة الرحمن**". المجلد الثامن، العدد الرابع، شهر ذي القعدة ١٣٩٦هـ الموافق نوفمبر ١٩٧٦م .

وقد زودني ابن المؤلف شيخنا عبد الباري بن حماد الأنصاري نسخة مكتوبة بالكمبيوتر، وفيها بعض الإيضاحات والإضافات على المقال المنشور وسينشر قريبا إن شاء الله .

خامسا : مصادر بغير العربية .

ألف: اللغة الأردية .

أرواح ثلاثة . لـ أمير شاه خان صاحب . مكتبة رحمانية، إقرا سنتر، غزني استريت، مطبعة : لتل استار برنترز، أردو بازار لاهور، باكستان .

تحفة الهند . للشيخ عبيد الله السندهي، اعتنى بطبعه : محمد عبد الأحد ط.عام : ١٣٣٠هـ/ ١٩١٢م مطبع مجتبائي، دهلي، الهند، وطبع عام : ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م من قبل : مكتبة حنفية، كلي داك خان والي، أردو بازار، كوجرا نواله باكستان .

تفسير حضرت مولوي محمد نعيم الدين صاحب مرادآبادي . اعتقاد ببلشنك هاوس لال كنوان دهلي .

خلاصة الأنبياء ترجمة أردو قصص الأنبياء . للشيخ غلام نبي بن عنايت الله كمرئي . أنور بك دفو متيا محل جامع مسجد دهلي . الهند .

فضائل أعمال . للشيخ محمد زكريا الكاندهلوي . ط.الثانية ١٩٩٧م . الناشر : سليم بك دبو، بستي حضرت نظام الدين، نئي دهلي . الهند .

المجـــلة الشهرية " **السراج** " مقال بعنوان " **آنحضرت ﷺ كا منشور حقوق إنسانيت** " أي : الحقـــوق الإنســـانية التي نشرها وأعلنها محمد ﷺ . للدكتور / احتشام أحمد الندوي، المجلد التاسع والعدد ١-٢، تصدرها : جامعة سراج العلوم السلفية جهندا نغر نيبال .

ب : اللغة الإنجليزية .

Test Book of Pediatrics المؤلف : Nelson ط. الخامسة عشر عام : ١٩٩٦م . توكيو يابان .

سادسا : مصدر مسموع، وهو

شرح متن العقيدة الطحاوية للدكتور يوسف بن محمد الغفيص، شريط رقم (٤) ضمن سلسلة دروس الدورة العلمية المتقدمة المكثفة لعام ١٤٢٣هــ بجامع الملك عبد العزيز بالمعابدة، نشر : مؤسسة الإمام البخاري الإسلامية، مكة، بالتعاون مع تسجيلات الإمام البخاري الإسلامية .

١٠- محتويات البحث.

الباب الثاني :

سجود الملائكة لآدم عليه السلام وموقف إبليس منه ٣٠٥-٤١٩

الباب الثالث :

دخول آدم وزوجه عليهما السلام الجنة وخروجهما منها وهبوطهما إلى الأرض ٤٣٠-٦٧٥

الباب الرابع :